تاريخ الجوف الحديث

(١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)

الصراع والسلام والثقافة والبحث عن التقدم والكرامة

متروك الفالح

تاريخ الجوف الحديث (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)
الصراع والسلام والثقافة والبحث عن التقدم والكرامة
متروك الفالح

هذا الكتاب

ليس **متروك الفالح** اسماً عادياً في الحركة الثقافيّة في السعوديّة؛ إنه أحد أعلام ثقافة الإصلاح والتطوير والتطلّع إلى دولةٍ ومجتمعٍ حديثيْن. جريء في مواقفه النقدية، متعّمق في تقصّي الحقائق، يشدّد على ضرورة دراسة حالات المجتمعات والدول كمدخلٍ لفهم التاريخ الشامل والكلي لمجتمعات العرب ودولِهم بما فيها السعودية.

كتابه هذا، يسلّط الضوء على منطقة «الجوف»، فيسبر أغوارها تاريخياً، وسوسيولوجياً، وثقافياً، واقتصادياً، ويضع القارئ في صورة بانوراميّة عن هذا الجزء من المملكة، وهو جزء غنيّ بالثروات والآثار التي تعود إلى مراحل غارقة في القِدم، فضلاً عن أنه جزء تميّز بالحراك الاجتماعي ـ السياسي وشهد صراعاتٍ عديدة قبل ضمّه إلى حكم الملك عبد العزيز آل سعود وبعده.

ربّما يكون هذا الكتاب أحد أبرز الكتب المهمّة التي بحثت في تاريخ «الجوف». وفي كل الحالات، يمكن وصفه بأنه سفرٌ تاريخي ـ سوسيولوجي يقدّم معلوماتٍ وتحليلاتٍ جديدة إلى القرّاء والمثقفين العرب.

متروك الفالح

- إصلاحي وحقوقي سعودي وعضو في المنظمة العربية لحقوق الإنسان.
- تخرج في جامعة الملك سعود، كلية التجارة سابقاً (كلية الأنظمة والعلوم السياسية حالياً)، قسم العلوم السياسية (العام ١٩٧٧)، وعُيِّن فيها مُعيداً.
- حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة كانساس لورنس في الولايات المتحدة في العام ١٩٨١، والدكتوراه في العلاقات الدولية والسياسة المقارنة من الجامعة نفسها، في العام ١٩٨٧.

الثمن: ٢٥ دولاراً
أو ما يعادلها

تاريخ الجوف الحديث

(١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)

الصراع والسلام والثقافة

والبحث عن التقدم والكرامة

تاريخ الجوف الحديث

(١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)

الصراع والسلام والثقافة
والبحث عن التقدم والكرامة

متروك الفالح

الناشر: متروك الفالح

العنوان:

(١) في لبنان: ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ٢٤٠٧ ٢٠٣٤

(٢) في السعودية: ص.ب: ٧٠٦٦٦ ـ الرياض ١١٥٧٧

بريد إلكتروني: malfaleh@yahoo.com

الطبعة الأولى: أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤م

إهداء

هذا العمل

أهديه

إلى الجوف وأهلها

(رجالاً ونساءً)

في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

ولكل من يبحث، من خارجهم،

عن واقع وحقيقة تاريخهم الحديث (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)

صراع وسلام وثقافة بحثاً عن التقدم والكرامة

المحتويات

القسم الثاني

الجوف والمسألة الثقافية (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)
مفارقات وجدليات التخلف والوعي والانفتاح والانغلاق

ملاحق الدراسة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شكر وتقدير

في البدء، وقبل الشكر والتقدير، أقول كلمة أولى وهامة، وسوف أكررها، مرة أخرى، في المقدمة. تلك الكلمة هي: هناك كثير من الشخصيات (رجال ونساء)، منها من هو قريب، ومنها من هو بعيد، ومنها من هو من الجوف، ومنها من هو من خارجها، سيرد ذكرهم، لما لهم من صلة بهذا الكتاب، وبما ورد في بعض منه، سواء كان لهم دور/ أدوار في تاريخ الجوف مباشرة و/ أو غير مباشرة، أو أن لهم صلة بالمعلومات المستخدمة بالكتاب، بما في ذلك من تم إجراء مقابلات معهم و/ أو معهن، وكذلك بمن فيهم من قدم معلومات و/ أو وثائق (أوراق) لنا، كثير من هذه الشخصيات إن لم يكن جلُّها هي الآن في ذمة الله، ولذلك نحن منذ البداية، وبغض النظر عن موقفنا تجاه أي منهم، فإننا نترحم على من يستحقها، فنقول: «الله يرحمهم ويغفر لهم». بناء عليه ومن باب العدل تجاه الجميع، فإننا بعد الآن، وفي أي جزئية لاحقة من هذا الكتاب، لن نقرن كلمة «الترحم» بأي شخص يرد ذكره بغض النظر عن علاقتنا به.

وفي الشكر والتقدير وعنه أقول: في الغالب لا توجد دراسة تعتمد على جهد شخص واحد، ونحن في هذه الدراسة، ورغم ما بذلناه فيها من مجهود فردي ليس بالهيِّن، نقول أيضاً إنها دراسة لم يكن لها أبداً أن ترى النور، على الأقل بالتكامل الذي خرجت عليه، لو لم يتوفر لها قدر من المساندة والمعاضدة، مباشرة أو غير مباشرة، من عدة أشخاص من أهالي الجوف (ذكوراً ونساء)، وبالذات من عدد من رواة التاريخ الشفهي للجوف، والذين حظيت وتشرفت بقبولهم إجراء مقابلات معهم، سواء كانت مسجلة و/ أو مدوَّنة، وكذلك من عدد من المهتمين في الشأن العام والثقافي بالجوف، ولم يبخلوا عليّ في تقديم العون والمساعدة إما من خلال توفير معلومات ووثائق ومدوَّنات يدوية مكتوبة لوقائع وأحداث وتفاعلات تاريخية بما فيها ما له صلة بمبادرات فردية وجماعية لأهالي الجوف، وإما من خلال تسهيل حصولي عليها، وإما كانوا من المنسقين لإجراء المقابلات مع الرواة. ومن خارج الجوف، هناك على الأقل شخص لم يبخل أيضاً في تقديم معلومات قيّمة عن الجوف وتاريخه في قديمه وحديثه، وسوف أشير إليه لاحقاً. وحيث التقدير والعرفان لهؤلاء جميعاً واجب عليّ فإنني أخص بالشكر والتقدير أولاً الرواة والأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات مسجلة و/ أو مدوَّنة، ثم أشخاص اللقاءات والمناقشات

والحوارات حول عدد من قضايا تاريخ الجوف في الصراع الأهلي والسلام والثقافة، وكذلك للأشخاص الذين استلمت منهم وثائق وأوراقاً ومدوَّنات عن تاريخ الجوف واللقاءات و/ أو سهّلوا الحصول عليها أو نسقوا المقابلات، من أولئك. ومع حفظ الألقاب والمقامات، أتقدم بالشكر والعرفان للشخصيات التالية أسماؤهم (ليس هناك ترتيب معين): سعد الطارف (مقابلتان)، وفهد الغانم (مقابلة)، وهلال سالم النصر (مقابلتان)، وكساب شاهر الدعيمي (مقابلة)، وعافت مناع الزيد (٤ لقاءات)، وصالح عدوان المنديل (لقاءان)، وسليمان العودة الفلّاح (مقابلة)، ومحمد سليمان الشاعل (لقاءان)، وعاشة بنت خليف الفالح (مقابلة)، ومحمد السلطان الفلّاح (٤ لقاءات)، وسعود منور الفياض (مقابلة)، وأحمد القضيب القايد (لقاءان)، وممدوح سلطان الفلّاح (عدة لقاءات ومنسق)، وعارف المسعر (لقاء وتسليم وثيقة)، وحمود البليهد (لقاء) وسليمان سعد الطارف (مقابلة)، ومحمد عقلاء غالب الضميري (مقابلة)، وخلف الشافي السويلم (مقابلتان)، وعايد العوذة (٣ لقاءات منفردة ورابعة مشتركة)، وعودة عايد العوذة ومنزل العوذة (لقاء مشترك)، وحمدان عضيد العويقيل (لقاء)، وزايد محمد العبط (مقابلة)، وعبد الله عايد الفياض أحمد النخيلان (لقاء مشترك)، وعيد نعيم السهو (لقاء)، ومساعد هداج الهادي (لقاء)، وكذلك مساعد وصالح هداج الهادي (لقاء مشترك)، وحمد عبد الرحمن الوردي (عدة لقاءات)، وعبد الهادي الزارع (لقاء منفرد)، ونهار وعبد الهادي الزارع (لقاء مشترك)، ومبارك عبد الرحمن الفالح (منسق لقاءين)، وفالح جابر المعدوة (منسق لقاءين، ولقاء مشترك)، ومنصور العوذة وفالح جابر المعدوة (لقاء مشترك)، ومنصور سالم العوذة (تسليم مدوَّنة له في فهم تاريخ الجوف)، وسلامة الوقيد (لقاء منفرد ومنسق لقاء مشترك) وثامر وفايز عودة محيسن الكريع (لقاء مشترك)، وعبد العزيز محمد سلمان القعيد (لقاءان وتسليم مجموعة أوراق ومدوَّنات في ملفات على دفعتين وفترتين)، ومفرح سالم البخيت الطالب (لقاءان منفردان، ولقاء مشترك ومنسق له)، وفهد حمود الرشيد ومدالله حماد الرشيد الطالب (لقاء مشترك وتنسيق من مفرح البخيت)، ومدالله حماد الرشيد (معلومة مرسلة نصية بالجوال، ومكالمة هاتفية)، وفارس الحمد (لقاء)، وطراد عقيل السويلم (عدة لقاءات)، وخالد عبد الرحمن الشايع (عدة لقاءات وتسليم أوراق ووثائق ومراسلات)، وسعد سليمان الطارف (لقاءات ومكالمات هاتفية وزيارة ميدانية مشتركة مع الباحث)، وبدر البليهد (لقاءان أثناء زيارة للباحث لمتحف البليهد)، وأحمد السالم (لقاء، وتسليم مراسلات/ وثائق)، وعبد الهادي عبد المحسن السلطان (لقاء ومنسق لقاء وتسليم كتاب تاريخي)، الشرعان، فارس وحامد والحميدي (لقاء مشترك وتسليم خطاب)، والشرعان، فارس بن محمد فهيد (خطاب للباحث)، وفلاح زعل الفالح (خطاب معلومات، ولقاء)، ومهنا محمد الفالح (كتب تاريخية)، فايز عودة محيسن الكريع (تسليم مجموعة أوراق)، ومحمد هلال السياط، ومحمد لقاء وتسليم مقابلة لوالده في صحيفة الجزيرة)، وزياد عبد الكريم السالم (عدة لقاءات، ومكالمات هاتفية، ورسائل نصية (جوال، وجولة ميدانية مشتركة))، وعقل الضميري (منسق لقاءين، ورسائل نصية بمعلومات)، عبد الله الضميري (حديث/ مقابلة في مكالمة هاتفية)، ونمر علي العضيد (لقاء)، وخالد دخيّل العلي (منسق لقاء)، طلال العرفج (منسق لقاء)، وعبد الحميد ذياب السطام (منسق لقاءين، ولقاء مشترك)، وعبد الرحيم محمد مهنا الفالح (منسق لقاءات، ولقاءات مشترك)، وعواد فالح جابر المعدوة (إيصال وثائق)، ومحمد عبد العزيز القعيّد (إيصال ملف مجموعة أوراق/ مدوَّنات)، وعوض البادي (تسليم

نسخة من وثيقة)، صالح مرجي الفالح (منسق لقاءين)، وخالد ابراهيم مطلق السويلم (منسق لقاء)، وناصر صالح الرضي (تسليم شريط/ قصة تاريخية)، وزياد السالم ومحمد سليمان الحبوب وصياح مناور السبيلة (تعريف الباحث في زيارة ميدانية على الأحياء القديمة في دومة الجندل وشارك فيها جزئياً عيد السالم، وبالصدفة طلال القبلان)، ومن خارج الجوف محمد عبد الرزاق القشعمي (تسليم نسخ من مدوَّنات ومعلومات تاريخية عن الجوف). والشكر موصول للمناضل الإصلاحي والحقوقي والعروبي الأخ العزيز محمد سعيد طيب الذي لم يتأخر في الدعم والمساندة وإخراج هذا الكتاب إلى النور. ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر أخي الكبير د. خير الدين حسيب الذي كان دائماً مسانداً وداعماً لي منذ أن عرفته قبل أكثر من ثلاثين عاماً.

يبقى، أخيراً، شكر خاص لأسرتي، وفي المقدمة زوجتي جميلة بنت سليمان عقلاء السليمان، فابنتي خولة، فالِابنين عامر وضرار، ولا أنسى الحفيدين الأخوين «عبد الله وفيصل».

قبل الختام أقول: إذ أتقدم من الذين أسهموا بشكل مباشر أو غير مباشر، من الرواة، والمهتمين بالشأن العام في الجوف تاريخياً وثقافياً، ومن الأصحاب والأصدقاء والأقارب والمعارف الذين وردت أو لم ترد أسماؤهم بالشكر والتقدير والعرفان، فإنني أعتذر لأولئك الذين لم تسعفني الذاكرة بذكرهم، فلهم وللجميع الشكر والتقدير. في الختام أقول، إنه ورغم المساندة التي تلقيتها لإخراج هذا العمل والكتاب التاريخي، فإن هذا العمل بنواقصه وأخطائه ومسؤولياته من مشمولات الباحث، والحمد لله رب العالمين.

متروك الفالح – الرياض.

في ١٢/ ٥/ ١٤٣٥هـ، الموافق: ١٣/ آذار/ مارس ٢٠١٤م

مقدمة

أولاً: في صفحة الشكر والتقدير قلت كلاماً، ولأهميته أكرره هنا، فأقول: بداية وقبل أي شيء، أود أن أنبّه إلى أن هناك شخصيات (رجال ونساء) كثيرة، منها من هو قريب ومنها من هو بعيد، ومنها من هو من الجوف، ومنها من هو من خارجها، سيرد ذكرهم لما لهم صلة بهذا الكتاب، وبما ورد في بعض منه، سواء كان لهم دور/ أدوار في تاريخ الجوف مباشرة و/ أو غير مباشرة، أم أن لهم صلة بالمعلومات المستخدمة بالكتاب، بما في ذلك من تم إجراء مقابلات معهم و/ أو معهن، وكذلك بمن فيهم من قدّم معلومات و/ أو وثائق (أوراق) لنا. كثير من هذه الشخصيات إن لم يكن جلها هي الآن في ذمة الله، ولذلك نحن منذ البداية، وبغض النظر عن موقفنا تجاه أي منهم، فإننا نترحم عليهم ونقول: «الله يرحمهم ويغفر لهم جميعاً». بناء عليه ومن باب العدل تجاه الجميع، فإننا بعد الآن، وفي أي جزئية لاحقة من هذا الكتاب، لن نقرن كلمة «الترحم» بأي شخص يرد ذكره بغض النظر عن علاقتنا به.

ثانياً: في لماذا هذا الكتاب وفكرته وموضوعاته: هذا الكتاب يتناول ثلاثة موضوعات أو قضايا أساسية كبرى، وهي: الحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠م ـ ١٩٢٢م)، وعلاقة الجوف وأهلها بالآخر والقوى المحيطة، وبالذات في انضمام الجوف إلى الدولة السعودية الثالثة (حكم عبد العزيز آل سعود) في عام ١٩٢٢م، وصلة ذلك بالجوف وأهلها وبحثهم عن السلام والتقدم والكرامة، مع التوقف والانطلاق من العلاقة مع حكم الشعلان والرشيد ونهايته (١٩١٨م ـ ١٩٢٢م)، وأخيراً مناقشة وملاحظة المسألة الثقافية بالجوف ومفارقاتها في الفترة (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، وإن كان التركيز سيكون على الفترة (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م)،

هذا الاهتمام بهذه الأفكار والقضايا لم يأتِ دفعة واحدة وعلى نحو متزامن، بل تطور وتتابع بعد التفكير في التعاطي مع القضية والمسألة الأولى وهي الحرب الأهلية بالجوف، في البدء كانت مسألة الحرب الأهلية بالجوف، وبالذات في ما يقال عن الحرب بين القرشة والمعاقلة في سكاكا تحديداً، تشغلني كثيراً وكنت مهووساً بها منذ صغري وبالذات منذ أن بدأت أعي الأمور، وفي تقديري في حدود السنوات الأولى للمرحلة الدراسية المتوسطة. لا أدري لماذا، ولكني، منذ ذلك الوقت وصاعداً، كنت

دائماً ما أقف عندها، وخاصة عندما تظهر بمناقشات المجالس (القهاوي والشبات) من وقت لآخر.كنت دائماً أسأل لماذا تَقاتلَ أهالي سكاكا وهم على ما يبدو وما يتردد عنهم بأنفسهم أنهم يشكلون جماعة واحدة؟

ما كان يدور في المجالس بالجوف (وتحديداً، بالنسبة إلى ملاحظاتي، في سكاكا، وإن كنت أظن أن الحال في دومة الجندل لا يختلف كثيراً عمّا هو في سكاكا) من أحاديث وحكايات عن تلك الحروب والمعارك لم تكن مناقشات موضوعية على نحو واضح؛ كانت المناقشات تدور حول الكلام عن: انتصارات مقابل هزائم، عن هجمات وغزو وعدوان مقابل دفاع وصد ورد لها، عن بطولات الذات وخيانات ومؤامرات الطرف الآخر. كانت هناك روايات ومرويّات شفهية، ولكنها تُقدم من أطرافها على أنها الحقيقة! وبالتالي أنت أمام حقيقتين تزعم كل واحدة منهما وأطرافها أنها هي الصح والأخرى خطأ؛ أنت أمام إقصاء كامل متبادل. طبعاً يجب التنبيه أنه في الغالب لا تجري مناقشات مفتوحة بين المنتمين لطرفي الحرب والمعارك، بل كانت النقاشات تدور بين أشخاص ومجموعات من داخل الطرف الواحد وبمعزل عن أشخاص ومجموعات الطرف الآخر.

في السياق ذاته وبموازاته يمكن رصد التالي: إذا ما صادف ودخل واحد أو أكثر من مجموعة الطرف (أ) وليكن من القرشة، على مجموعة من الطرف (ب) وليكن من المعاقلة، أو بالعكس، وكان الحديث في مجلس للمجموعة الأخيرة، أو الأولى في الحالة المعاكسة، عن الحرب، ولنقل عن كون (واقعة/ معركة) «الظلي»، فإن الحديث على الفور وعلى نحو تلقائي يتوقف و/ أو يُحرف سريعاً نحو قضية لاخلافية بين القرشة والمعاقلة.

بهذا المعنى ما كان يدور من مناقشات، ولا يزال متواصلاً على نحو أو آخر، داخل الطرف الواحد هو في واقع الأمر ليس مناقشات، وإنما هو نوع من إعادة الإنتاج للصورة المراد إيصالها وغرسها في ذهنية ونفسية الأجيال وتواصلها بينهم ولمن بعدهم، وهكذا؛ إنها عمليات تنشئة اجتماعية ثقافية (Cultural Socialization) ممنهجة مقصودة، وإن بدت وكأنها غير واعية أحياناً، في أبعادها الثقافية والنفسية، متواصلة داخل أفراد ومجموعة كل طرف وضد الطرف الآخر.

كنت أسمع، كما ربما سمع غيري، هنا وهناك، مثل تلك الأحاديث مع اختلاف في الروايات وحبكاتها، حسب الموقع والعلاقة مع هذا الطرف أو الآخر، لكن سماعي من وقت لآخر لم يقنعني يوماً أن هذه الصورة هي الصورة المعبِّرة عن والأقرب من الحقيقة الكلية أو على الأقل مما جرى فعلياً. طبعاً، دون شك فإن بعض الروايات عن واقعة بعينها، على ما بها من تناقضات ومغالطات وتعارضات فيما بينها، قد تتضمن وتحمل بعض الحقائق والمعلومات التي قد تكون صحيحة، لكنها دون شك قاصرة بذاتها عن تفسير الواقعة الواحدة ذاتها، فضلاً عن قصورها في تقديم الصورة الكلية لواقعات الحرب كلها، إلا عندما نقابلها ببعض وندقق فيها ونتجاوزها إلى ما هو أهم من جزئياتها إلى كلياتها كحالة عامة مترابطة (نمط عام)، باتجاه الناحية التفسيرية العامة ذات الصلة بالقوى والمتغيرات الفاعلة والحاسمة والمحركة في بنْية تلك الحالة العامة من الحرب الأهلية، وكذلك في بنية الجماعة العامة وعلاقاتها الداخلية والخارجية.

أود أن أضيف قولاً، أعتبره في غاية الأهمية، وهو إنني ورغم هوسي وانشغالي تفكيراً بهذه المسألة «الحرب الأهلية بالجوف» منذ صغري ـ كما أسلفت ـ ورغم قولي إنني كنت أسمع أحاديث في بعض المجالس في مجالس (قهاوي وشبات) اجتماعية عامة لبعض المعاقلة عن بعض واقعات/ معارك الحرب، وأكثرها ترديداً وتكراراً، هي واقعة أو ما يعرف محلياً بـ «كون ـ الظلي»، ورغم أن جدي (خليف الفالح) وجماعته (الدغيفق) وهم من المعاقلة، كانوا من المشاركين الرئيسيين في الحرب الأهلية بين القرشة والمعاقلة في سكاكا تحديداً، كما سيتضح لاحقاً، إلا أنني أزعم أنني لا أتذكر أن أهل بيتي، وأقصد والدي وأخوتي، فتحوا مثل هذه المواضيع للحديث بيننا؛ لا أتذكر أن والدي أو أخي مشعل أو تركي قال لنا هذا ما جرى بيننا وبين القرشة، لم أنشأ ولم أُرَبَّ على عنصرية كهذه كانت على ما يبدو منتشرة وشائعة بين أقراني من شباب القرشة والمعاقلة. كانت لنا علاقات طيبة مع بعض عائلات من القرشة، وجماعات أخرى من خارج المعاقلة، ورفعاً للحرج سأشير إلى بعض منها في هوامش نهاية المبحث[1]. طبعاً هناك أيضاً علاقات قديمة وحديثة إضافية على علاقات ومصاهرات مع الفالح و/ أو الدغيفق مع القرشة والمطر، فضلاً عن كثير منها مع الشلهوب، وكذلك مع عائلات من المعاقلة ذاتها.

---

(١) في علاقات الفالح مع جماعات من خارج المعاقلة (القرشة/ المطر/ الشلهوب)، أمثلة لا حصراً نشير إلى التالي: كانت هناك علاقة رحم مع السياط (رغم ما يُقال في المعاقلة عن أن «بعض السياط» هم من «عتاة القرشة وأكثرهم عنصرية!» حيث نجتمع وإياهم والشاعل بالنصير (أسرة وذرية/ مطلق السويلم) حيث الأخيرين خوالنا نحن والشاعل. لا زلت أتذكر وأنا صغير ذهابي إلى حي الضلع (بيت السياط)، وهم في بيت غرف بعضه من غيران (كهوف) جبل الضلع، وتسلقنا قلعة «زعبل» آنذاك، ولا زلت أتذكر ذهابنا سوية (قرشنا للبر) بسيارة أبو عبد الله (موسى سليمان الشاعل) جنوب قارا، عند «الرجاجيل»، صورة آثار الرجاجيل «لا زالت عالقة في الذهن من ذلك الوقت». لنا علاقة من طرف أمي (مركية بنت مطلق السويلم) بالباسط الزيد، فهم أولاد خالتها ؛ فأم أمي هي عاشة (وهي زوجة مطلق السويلم ـ النصير) أختها «ضحية» أم الباسط، ولهما أخت ثالثة «فزة» وهي أم صالح العدوان (المنديل ـ الشلهوب) ورابعة اسمها «ليلى» تزوجت رويلي، علماً أن أم هؤلاء الأخوات هي «بليشة»، والأخيرة أخت بخيت الطالب تزوجها شخص يبدو أن اسمه «مشحن» ـ من «الشريقية» (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث، الجمعة؛ ١٢:٥ ـ ١٢:٣٥ ظهراً في: ٢١/ ١٠/ ٢٠١١). حتى جدي (خليف الفالح) والفالح وعموم الدغيفق، رغم أدوارهم في الحرب الأهلية بين القرشة والمعاقلة، وخاصة في الفترة (١٨٩٠ ـ ١٩٢٢م) كانت علاقاته بأطراف وعائلات من القرشة حسنة، ومنها بـ «المسعر» (المسعر، ٢٠٠٢)، وبـ «مغرق» ـ المطر (الضميري، محمد عقلا، مقابلة في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ٢ من ٥)، وبصالح العياش «الدرعان» (النصر، لقاء ١، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ص ٤ من ٤). حتى مع السهيان كانت هناك علاقة نسب مع الفالح، حيث تزوج أحمد محسن الفالح من «هية/ أو هجة» أو «نورة» اسمها الآخر الذي يبدو يطلق عليها (الفالح، عاشة، مقابلة في ١٣ ـ ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ٢١ ـ ٢٢ من ٢٣ من ٢ ـ ٢). من القرشة، وأنجب منها بنتاً هي مريضة زوجة عبد الله عطا الله العياف (المثري من الدغيفق)، أم أولاده وبناته، والتي بعد طلاقها تزوجها فالح اللحيد السهيان. عمي (عبد الرحمن خليف الفالح) كان صديقه الشخصي وفي سكاكا، كما ينسب عنه، هو: أبو عافت (مناع الزيد) العلي ـ القرشة»، رغم أن «عبد الرحمن»، وفي إحدى المعارك بين القرشة والمعاقلة تلقى رصاصة أصابته في فكه، وكانت من صديقه «مناع الزيد» (الشاعل، لقاء ٢ في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ٢ من ٢؛ والزيد، عافت، لقاء ٤ في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ص ١ من ١). أيضاً محسن مخلف الفالح أخوه من الأم هو «منزل قاسم» من الشمردل (الدندن ـ المطر) (النصر، مقابلة (٢) في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ص ٥ من ٦) (أمهما على ما يبدو هي من «الهديان من النصير»: لا أعلم من تزوجها أولاً: هل هو مخلف الفالح فأنجب منها محسن، أم قاسم الشمردل فأنجب منها منزل). محسن الفالح كان رفيقه وصديقه الشخصي «فهاد المظهور» (الشلهوب) رغم أن الأخير فكر في قتل صديقه ذات يوم وفي منزل الأول «محسن»، ومع ذلك عندما علم الأخير بالأمر مع تراجع «فهاد» عن خطة الاغتيال، تعانقا، وذبح محسن الفالح خروفاً بعدها مباشرة وأكلاه سوية في الأخير (العودة، مقابلة في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ٢٦ من ٢٧ من ج ٣)، مبارك عبد الرحمن الفالح، معظم صداقاته، وبحكم عمله بشركات الزيت في الخفجي والشرقية، مع عدد من الأخوة من القرشة، ومنهم زيد مانع الزيد، وقد تزوج أخته من أبيه، وكذلك مع عواد وعايد العوذة . عواد حمد محسن الفالح، وقد أصبح ممثلاً لشركة الزيت (التابلاين) في الشمال،كانت علاقاته حسنة جداً مع عدد من الأخوة القرشة العاملين في شركة الزيت (التابلاين)، حيث سيتزوج لاحقاً كريم المريحيل ابنته من زوجته الأولى. شقيقي «تركي» علاقاته قوية مع ممدوح حطاب (البحيران ـ العلي) ومع سالم العدوان (المطر) ومع عبد الكريم الربيَع (اللقائط)، ومع أحمد العصيفير (المطر ـ الضويحي)، ومع أبو جميل/ عبد الله عايد (الشلهوب)، ودهام ناصر المرخان (من دومة الجندل/ المرخان حلف للقرشة) وآخرين.

ولكن كانت الإشارة، في الهامش، هي لبعض الأمثلة عن الحالة القديمة والقريبة من البيئة والحارة مباشرة التي نشأت بها، والتي، ربما، أثَّرت في نشأتي من حيث خلاصي من عبء البعد العنصري. حتى مرحلة المدرسة الثانوية، لم أكن مهتماً أو واعياً للفروقات بين من هم القرشة والمعاقلة؛ فمثلاً «الشاعل» أبناء وبنات خالتي (عليا)؛ الأبناء وهم «موسى ومحمد وعلي»، والبنات وهما «فضية (أم يوسف السياط) وميثا (أم سعود وصالح السياط)، وصلاح نايف الرويلي»، لم أكن أعرف أنهم من القرشة حتى ربما مرحلة المتوسطة.

يبقى السؤال الأهم هو لماذا طرق هذه المواضيع؟ ولماذا هذا الغوص في قضايا أصبحت من الماضي؟! وللإجابة أنطلق من الجزء الأخير وأقول: العودة للتاريخ وللماضي ليس تعلقاً به ولا بقضاياه باعتبارها قضايا منتهية ولا علاقة لها بنا وبالمستقبل. على العكس، الاهتمام بالتاريخ هو انطلاق من تواصله وارتباطه بالمستقبل؛ سنجد أن المحرك الأساسي في كل تلك القضايا هو التحولات البشرية لأهالي الجوف، في صراعها وسلامها وثقافتها وجدلياتها مع الذات (الداخل) و/ أو مع الآخر (القوى الخارجية) إنما هي تحولات وتاريخ جماعة يشير مسارها وصيرورتها وديناميتها إلى المستقبل متطلعة إلى حياة سلام وتقدم وحياة كريمة حرة. إذن هو بحث في التاريخ من حيث هو ترابط بين الماضي والحاضر والمستقبل في حركة جماعة بعينها (الجوف وأهلها) نحو حياة أفضل (الاستقرار والتقدم والكرامة)، هذا فضلاً عن أن مناقشة القضايا ذاتها إنما تترابط وتاريخ الجماعات العربية الفرعية (المحلية) في سياق تاريخ عام للبلدان العربية وشعوبها، ومدى انعكاسات (سلباً و/ أو إيجاباً والتعاطي معها) تلك الحركات التاريخية الفرعية على مجمل ومسار وصيرورة التاريخ العام على مستوى دولة أو بلد عربي بعينه، أم على مستوى التاريخ العربي العام، ومسارته ومآلاته في ضوء تلك البنية التحتية الفرعية (حركة وتاريخ المحليات)، التاريخ قد لا يعيد نفسه بكل تفصيلاته، لكنّ أنماطاً من التاريخ، سواء تعلقت بالصراع أو السلام والتقدم والتخلف والثقافة... إلخ و/ أو حالات منها أو بينها أو خليط منها أو تفريعات منها، قد تحدث، بل وحدثت؛ رأينا منذ ٢٠٠٣م، وخاصة منذ نهاية ٢٠١٠م وبداية ٢٠١١م وحتى الآن (٢٠١٣ ـ ٢٠١٤م)، دوراً حاسماً وفاعلاً للجماعات الفرعية والمحلية في تفاعلات الصراع والحرب والسلام (من ذلك أمثلة لا حصراً: العراق ٢٠٠٣ ـ ٢٠١١م/ السودان ٢٠٠٣م وما قبلها وحتى الآن ٢٠١١م/ لبنان ١٩٧٥م ـ ١٩٩١م، و٢٠٠٥م ـ ٢٠١١م) وفي الانتفاضات، والثورات والمظاهرات والاحتجاجات السلمية و/ أو العنيفة والمسلحة «المفروضة» نحو الحرية والديمقراطية والدعوة لها وفي مآلاتها وتداعياتها ومطبّاتها و/ أو انتكاساتها أو مراوحاتها، في أكثر من بلد عربي، وخاصة في تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين وسورية (٢٠١٠ ـ ٢٠١٣/ ٢٠١٤م).

هذه التفاعلات لا زالت متواصلة في تلك البلدان، وفي الغالب، قادمة على نحو شبه حتمي في بلدان عربية أخرى في ضوء مسار وحركة الربيع العربي منذ ٢٠١١م. نميل إلى الاعتقاد أنه، ورغم انتكاسات الربيع العربي بفعل تحالفات قوى الثورة المضادة في الداخل والخارج، إلا أنه سيمضي ليكمل حركته ودورته الكاملة في كل البلدان العربية خلال العشر سنوات القادمة؛ فإما الإصلاح الحقيقي، وإما التغيير والثورة الجذرية في علاقة الشعوب بالسلطة وتركيبها وبناء الدولة المعبرة عن الشعوب؛ دولة

القانون والحرية والعدالة والكرامة. في الربيع العربي وثوراته العربية تعرّفنا على الريف العربي في تلك البلدان العربية؛ بدأنا نسمع عن «القصرين وتاله وسيدي بوزيد وبن قردان» في تونس، وفي ليبيا بدأنا نسمع عن «نالوت وزواره والزاوية ومصراته وصبراته والقلعة وكلكه والزنتان والصيعان وبني وليد، وتاورغا، وأجدابيا والبريقة ورأس لانوف، والبيضاء، وغدامس ومرزق والقطرون»، فضلاً عن ضواحي وأحياء طرابلس وبنغازي... إلخ. وفي سورية تعرّفنا على جسر الشغور وجبل الزاوية والرستن وتلكلخ وريف دمشق ـ داريا ودوما، ويبرود، والقلمون والشياح، وسراقب، والبوكمال والقامشلي ودير الزور والقورية ونصيبين ودرعا ـ البلد والمحطة والمسيفرة وأنخل، وقراها. في البحرين سمعنا عن دراز وسترة وجد حفص وسنابس... إلخ، من قبل الثورات العربية. وفي الحالة العراقية في العراق بدأنا نسمع عن الفلوجة وبعقوبة وأبو غريب والدورة وتلعفر... إلخ. في هذه السياقات، فقد تبدّت الصورة على نحو فيها مفارقات صارخة. فمثلاً في تونس مع بروز تلك المحليات في الثورة التونسية منذ ١٧/ ١٢/ ٢٠١٠م فصاعداً، فبينما كانت فاعليتها ونشاطها وأدوارها في حراك الثورة وتوابعها بارزة ومثيرة للملاحظة والاهتمام، بدأنا نرى، في الوقت نفسه، كم هي تجمعات سكانية متخلفة، وكم هي خدعة تلك التنمية التي كان نظام بن علي الدكتاتوري يتكلم عنها ويسوِّقها عن تونس؛ هذه الصورة تتكرر في كل من سورية واليمن والبحرين والعراق، ولا أظن أن بقية البلدان العربية الأخرى، بما فيها البلدان العربية النفطية سواء الخليجية أو غيرها، تشذ عن هذه الحالة العامة من التهميش وعدم التوازن في التنمية والتخلف، رغم كل الثروات المكدّسة في هذه البلدان وتلك. سبق أن أشرت إلى تلك الحالة في عدة كتابات سابقة، وكان هذا رأيي منذ ١٩٩٩م عندما كتبت عن حالة تخلف التنمية في سكاكا الجوف مقارنة بالحالة العامة للدولة السعودية ككل (الفالح، ٢٠٠٠) أو في ما كتبته عن المستقبل السياسي للسعودية في أعقاب أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م (الفالح، ٢٠٠٢ب)، أو في ما قدمته عن أطروحة الدكتور/ حمد الوردي في موضوع «جدل حول عدالة البيروقراطية السعودية» من مسألة تعميم التنمية ومواردها على كافة المناطق من عدمها (الوردي، ٢٠٠٦) أو تعلق الأمر بالحديث عن الصورة العربية الكلية في ما تعلق بالدولة العربية واختلالات في التنمية والتهميش للأطراف ومسألة تريّف المدن العربية وأثر ذلك على حالة ومكوّنات ومستقبل المجتمع المدني في البلدان العربية (الفالح، ٢٠٠٢أ).

من هنا فإن مناقشتنا لبعض القضايا، التي تبدو أنها أصبحت منتهية في حكم الماضي، إنما هي ليست إعادة إحياء أحداث بعينها وبعث الروح فيها، وإنما هو لأنها ـ على نحوٍ ما ـ ما زالت متواصلة في التاريخ الجاري والمستقبلي (أقلّه في الذاكرة النفسية المعاد إنتاجها، في المرويات على نحو متواصل بشكل غير مرئي) وبما يقوّض المسيرة لجماعة بشرية أو يدفع بها نحو احتمال اندلاع أو انفجار فاعليتها السلبية كما تبدّت في حالتها السابقة، اعتماداً على سوء فهم و/ أو تفسير خاطئ لها، مع غياب إمكانية عالية من التحكم والسيطرة فيها وعليها؛ والتعرف والاعتراف وعياً وثقافة وممارسة وإدراكاً بالمشكلة (أي مشكلة مهما تكن)، هو المقدمة الأولى لتجاوزها، والانتقال إلى حالة مغايرة تماماً، يتطلب الأمر، فوق الاعتراف بالمشكلة، محاولة فهمها بما يعني تفسير تكوّنها وحدوثها، وبالتالي التعرف إلى متغيّراتها وعواملها وقواها المولِّدة لها، علماً أن حالة التحكم والسيطرة الفعالة تأتي بعد الفهم والتفسير.

من هنا كان الانشغال والاشتغال بالمسألة الأكثر إلحاحاً في بعدها التاريخي ـ المستقبلي، وبما يعني ويتصل باحتمال تولّدها في مرحلة مستقبلية منبعثة من رحم أحشاء التاريخ؛ تلك هي مسألة «الحرب الأهلية في الجوف» (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢).

هذا الكتاب يركز إجمالاً على تاريخ الجوف عن الفترة الممتدة من ١٨٠٠–١٨٥٠م وفي حدودهما وحتى ٢٠١٣م وفي حدودها، مع ذلك ورغم هذا التحديد الواسع للفترة المعالجة من تاريخ الجوف، فإن التركيز في بعض القضايا والمواضيع من التاريخ نفسه يدور حول الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وبعضها على فترة أضيق تدور أحداثها حول (١٩١٨ ـ ١٩٢٢م)، أو على فترة لاحقة قد تمتد حتى منتصف القرن العشرين الميلادي، وقد تتواصل حتى أوائل العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين الميلادي، ومن باب التحديد والتوضيح على نحو جليّ لا لبس فيه، فالكتاب يتناول ثلاثة مواضيع رئيسة في فترات محددة، مقسمة في قسمين أو جزأين رئيسين وهي وفتراتها على النحو التالي:

أولاً: في القسم الأول: في الصراع والسلام: ويشمل مناقشة الصراع والسلام، خلال الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): يشمل هذا القسم ثلاثة فصول متتالية تعالج القضايا التالية:

١ ـ الصراع والحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): في الواقعات والروايات، وفي هذا الفصل يتم التركيز على الواقعات ذاتها (الوقائع والجذور) بتحديد تفاصيل الواقعة ذاتها من حيث تحديد تاريخها وأطرافها وما يتعلق بها من روايات مختلفة باختلاف رواتها. هنا نطرح ونعرض الروايات، التي قد تقدم بعض التبريرات أو الأسباب من وجهة نظرها، ولكننا إذ نعلّق ونبدي ملاحظاتنا أحياناً عليها، فإننا لا نتبنّاها، ولا نعتبرها بالضرورة مفسِّرة للواقعة ذاتها، وبدرجة أكبر نراها قاصرة بذاتها عن تفسير الحالة الإجمالية للحرب الأهلية بالجوف. هذا الفصل يحتوي على مبحثين؛ المبحث الأول يناقش واقعات وروايات الصراعات الأهلية في الفترة (١٨٠٠ ـ ١٨٧٠م)، والمبحث الثاني يناقش واقعات وروايات الصراعات الأهلية (١٨٧٠s ـ ١٩٢٢م).

٢ ـ في تفسير الحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): في هذا الفصل، يتم التركيز ليس على واقعة بعينها، وإنما على النظرة الكلية للواقعات باعتبارها عناصر وواقعات مترابطة (منظومة/ بنية)، وبالتالي محاولة جادة في تقديم تفسير علمي شامل لقيام ونشوب وتكوّن ونهاية هذه الحالة الشاملة كحرب أهلية.

٣ ـ الجوف وابن سعود (١٩٢٢م). الأهالي وأدوارهم في انضمام الجوف إلى حكم الملك عبد العزيز، في هذا الفصل نبحث في المواضيع التالية:

أ ـ لمحة سريعة لعلاقة الجوف بكل من «الرشيد» و«الشعلان» (١٨٣٨ ـ ١٩٢٢م)

ب ـ نهاية حكم الشعلان على أيادي أهالي الجوف (١٩١٨ و١٩٢٢م). والمهم هنا في هذا الفصل هو مناقشة أدوار الأهالي بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل)، وزعامات ونخب وأفراد وجماعات فرعية، في عملية قتل منصوب ابن شعلان (١٩١٨م). وتُبرز المناقشة وعلى نحو موثق الأدوار التفصيلية

للزعامات والأفراد والجماعات الفرعية في الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في العملية و/أو متلازماتها وتوابعها.

ت ـ العلاقة مع الدولة السعودية الثالثة (١٩٢٢م): الانضمام والبحث عن السلام والتقدم، وفي هذا القسم من الفصل، ورغم أن المناقشة تلحظ جذور العلاقة وحتى ١٨٠٠م، فإن التركيز هو على دور أهالي الجوف، زعامات وأفراداً وجماعات، في ما يتصل بفكرة وعملية الانضمام للدولة السعودية الثالثة (حكم الملك عبد العزيز آل سعود) في عام ١٩٢٢م، ورغم أن الباحث يلحظ وعلى دراية بعوامل ومتغيرات وقوى (إقليمية ودولية) ذات صلة في تشكل وقيام العلاقة الجديدة بين الجوف وأهلها والدولة السعودية الثالثة، إلا أن التركيز هنا هو على العلاقة الجديدة من حيث دور أهالي الجوف تحديداً: من حيث فكرة الانضمام ومن هو صاحب الفكرة أساساً (عيد الضميري وآخرون) وكذلك ما يتصل بوفد أهل الجوف للملك عبد العزيز، وعضويته، وملابساته حتى إتمام عملية الانضمام، ويتضمن هذا القسم وما قبله الرد الموضوعي والموثق على بعض الكتّاب وكتاباتهم عن تاريخ الجوف، وفيها قدر من التزييف والتضليل، بما في ذلك ما يتعلق بموضوع مقتل منصوب ابن شعلان، إنهاء حكمهم، وكذلك في فكرة وعملية ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز؛ يشمل الأمر هنا، ضمن ما يشمل، الرد على ما خطه بيده «محمد عبد الله السيف»، من «أهل الزلفي» ولكن بمنطلق «عصبوي»، وبتنسيق مع أصحابه وعصبته (المويشير) باختطاف الجوف وتاريخها وأهلها وتجييرها وإحضارها وتصويرها، زوراً وبهتاناً، على أنها أو وكأنها صناعة رجل واحد: واحد لا يشبهه سوى جنّي أو «عفريت سليمان»! والسيف هنا هو ورواته يتبدى بصورة «الهدهد»؛ فقد طار وحلَّق، لكنه اكتشف أمراً لم يسبقه له أحد من قبل، فوقع على ديار بلقيس (لاحظ أنها في الجوف ـ اليمن) فوجدها وأهلها يعبدون من دون الله، فعاد مسرعاً وأبلغ سليمان الذي أصرّ على أن تحضر أمامه حالاً، فكان «العفريت» جاهزاً للمهمة حيث «برمشة العين» كانت بلقيس تقف أمامه (السيف، ٢٠٠٢). لعلّه من المفارقات المذهلات هو أن «الجوف» تبقى المشترك بين الحالتين (جوف ـ بلقيس اليمن، والجوف في شمال الجزيرة العربية)؛ عليه لا غرابة، في التصوير والتقديم، أن يتبدى عفريت ـ الجوف وكأنه عفريت ـ سليمان!

في نهاية **القسم الأول** وفي أجزاء من **القسم الثاني** وفصوله، وبالذات فصل حالة وثقافة الوعي بالجوف (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م)، وكذلك في **خاتمة الكتاب** و**خلاصته**، هناك كلام ونقاش مختصر عن فكرة التقدم التي كان أهل الجوف يبحثون عنها في مسألة علاقتهم بالدولة السعودية الثالثة. لم يكن همهم فقط الأمن والاستقرار، على أهمية ذلك، ولكن كان هناك تطلع لأن تشهد حياتهم قدراً من التطور والازدهار. طبعاً في عام ١٩٢٢م، سنة الانضمام لحكم الملك عبد العزيز، لم تكن، آنذاك، فكرة أهل الجوف عن التقدم والازدهار واضحة المعالم أو متطابقة مع المفاهيم الحديثة عن التنمية وتوازناتها، ولكن بتفحص رغبات الجوف وأهلها ومطالبهم اللاحقة بحدود ثلاثة عقود على الانضمام، وبالذات عندما بدأت ملامحها بالبروز في «١٩٥٠sم»، وأكثر تحديداً في عام ١٩٥٧م مع ظهور الشكوى الجماعية المطلبية التنموية لأهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، فيمكن القول إن جذورها تعود إلى رغبة قوية متجذرة على نحو عميق في نفسيات أهالي الجوف وتحولات هامة من محطات تاريخهم، وخاصة في

الفترة السابقة (١٨٣٠ ـ ١٩٢٢م)، بحثاً عن حياة حرة كريمة (الحرية والكرامة)، وحيث إن هذه الفكرة عن التقدم ستعالج بشكل أكثر تفصيلاً وعلى نحو موسع، مع قضايا أخرى ذات صلة بالثقافة، في القسم التالي والأخير من الدراسة، فإننا نحيل القارئ في موضوع التقدم وأهل الجوف إلى المناقشات التالية عن المسألة الثقافية في الجوف.

ثانياً: في القسم الثاني من الدراسة/ الكتاب يتم التركيز على المسألة الثقافية بالجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، وبالذات في الفترة (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م). تتعلق هذه المسألة بحالات ومفارقات وجدليات ثقافية تتمثل في: التخلف والوعي والانفتاح والانغلاق. وحيث إن هناك تفصيلات عن تلك المفارقات والجدليات الثقافية، فلا حاجة إذن إلى أن نفصل فيها هنا، وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو، إن المسألة الثقافية بالجوف، وحالاتها الثقافية، مفارقات وجدليات، سنُعالجها في فصول ثلاثة متتالية، على النحو التالي:

الفصل الرابع: في التخلّف المعرفي والثقافي (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م):

أولاً: في بسط الحال والواقع.

ثانياً: في تفسير حالة وثقافة بنْية التخلّف المعرفي والثقافي.

الفصل الخامس: الجوف وثقافة الوعي (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م).

أولاً: في بسط الحال والواقع.

ثانياً: في تفسير حالة وثقافة الوعي.

الفصل السادس: الجوف من ثقافة الانفتاح إلى ثقافة الانغلاق (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م):

أولاً: في الانفتاح بالجوف (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٩٠sم): في بسط الحال والواقع.

ثانياً: في الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف في الجوف (١٩٦٠s ـ ٢٠١٣+): في بسط الحال والواقع

ثالثاً: الانفتاح والانغلاق في الجوف: محاولة في التفسير

تلك القضايا المعالجة في الجزأين فيها تفاصيل ومناقشات تفصيلية لا في المتن فحسب وإنما كذلك في الهوامش، وحيث إنه لا مجال لذكرها هنا، فإن ما نستطيع القول عنها هو أنها تفصيلات ومناقشات هامة ـ كما نعتقد ـ ولذلك نحيل القارئ إليها، ونرى أن من المهم أن يتتبعها، ويتمعنها بعناية وأن يُقارن بينها في الاتصال والانفصال، في التشابه وفي الاختلاف.

كلمة في مصادر الكتاب/ الدراسة: وظفت الدراسة مجموعتين من مصادر المعلومات عن الجوف، ورغم أن الدراسة استفادت من مجموعة المدوَّنات التاريخية المنشورة (من خارج الجوف في الغالب)، وبالذات كتابات الرحالة الأوروبيين/ الغربيين الذين زاروا الجوف عن الفترة ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م، وكذلك بعض كتابات التاريخ لإبن بشر وابن غنام عن الفترة ١٧٩٢ ـ ١٨٠٠م، وما كتب نقلاً عنهما، وكذلك بعض الكتابات الحديثة والتي لها صلة ما بالجوف (عبر الرشيد و/ أو الشعلان)، إلا أن الدراسة،

وبدرجة أهم، وظفت، وعلى نحو استثنائي ومكثف، المرويات الشفهية عن تاريخ الجوف وخاصة للفترة (١٨٣٠s ـ ١٩٢٢م)، وكذلك ما بعدها وحتى ٢٠١٣م، ولا سيّما الأخيرة عن الثقافة بالجوف وحالاتها. من هنا، ولأجل إتمام الدراسة على نحو تتكامل فيه المصادر الخارجية والداخلية عن تاريخ الجوف، قام الباحث منذ ١٩٨٩م وحتى أواخر ٢٠١٣م وأوائل ٢٠١٤م، وفي فترات متقطعة، بجمع معلومات من مصادر أهلية مباشرة، من خلال إجراء مقابلات مسجلة و/ أو مدوَّنة ولقاءات وحوارات مع عدد من الرواة في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل ومحيطهما) والمهتمين بالشأن العام وبتاريخ الجوف. واستطاع الباحث في مقابلاته و/ أو لقاءاته وحواراته مع عدد من الرواة و/ أو المهتمين بتاريخ الجوف وبالشأن العام، أن يتحصل على مجموعات متعددة ومتقابلة من الروايات عن تاريخ الجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م) سواء تعلق الأمر بالصراع والسلام وأحداثها، أو بالثقافة وحالاتها، وفي تفصيل مختصر عن المقابلات واللقاءات، نشير إلى الجهود التالية، التي عملنا عليها في فترات متقطعة. من ذلك:

أهمها على الاطلاق هي إجراء مقابلات مباشرة مسجلة صوتية و/ أو مدوَّنة كتابياً مع عدد من الرواة من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل ومحيطهما) الذين قبلوا بها، ثلاث مقابلات مهمة أجريتها في ١٩٨٩م، اثنتان منها مع أشهر مؤرخ وراوية شفهي في سكاكا (وبالذات في المعاقلة)، وهو سعد الطارف (الكبيدان)، والثالثة هي مع فهد الغانم، ثم ولأسباب تتعلق برفض عدد من كبار السن من أهل سكاكا إجراء مقابلة معهم، ومنهم عارف العساف (الشلهوب)، وقد أرسلت إليه عبد الله زعل خليف الفالح، و«مريف» (المطر)، وقد أرسلت إليه ابنه «مفلح/ أبو خالد»، فضلاً عن أسباب تتعلق بانشغالات أكاديمية، رأيت أنه من المناسب تأجيل الدراسة حتى نتمكن من حصولنا على معلومات وروايات متقابلة. في عام ٢٠٠٢م، ومع محاولة في تزييف تاريخ الجوف بإصدار السيف والمويشير لكتابهم (السيف، ٢٠٠٢م)، وخوفاً على فوات الفرصة وضياع المعلومات بذهاب أهلها، عاودت المحاولة مع عدد ممن توفر وتبقى من كبار السن والمهتمين بالشأن العام وبتاريخ الجوف، كان صيف ٢٠٠٢م حافلاً بالمقابلات وباللقاءات، حيث تمكنت من إجراء عشرات المقابلات المباشرة و/ أو اللقاءات والحوارات والأحاديث مع عدد من الأهالي في سكاكا ودومة الجندل، كذلك في تلك السنة تحصَّلت من عدد من الأشخاص في سكاكا ودومة الجندل، على مجموعة وثائق ومدوَّنات وأوراق وخطابات بالغة الأهمية تتعلق بروايات عن واقعات تاريخية و/ أو مبادرات وفعاليات ثقافية لأهالي الجوف، أغلب تلك الوثائق والمدوَّنات والأوراق، إما أنها بذاتها أو لما فيها من محتوى وروايات، أزعم أنها لم تنشر من قبل أبداً. وما بين ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م، ثم ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٤م، تم إجراء مزيد من اللقاءات والمقابلات الشخصية، وخاصة عبر المكالمات الهاتفية، مع عدد من الأشخاص المهتمين بالشأن العام والثقافة في الجوف، فضلاً عن القيام بزيارات ميدانية، سابقة وحديثة، لمواقع في الجوف (في سكاكا عام ٢٠٠٢م، وفي دومة الجندل ٢٠١٣م). وحيث إن كل المقابلات المسجلة و/ أو المدوَّنة وكذلك اللقاءات والأحاديث المباشرة، وعبر التقنيات الإلكترونية (مكالمات هاتفية و/ أو رسائل نصية هاتفية أو عبر أدوات التواصل الاجتماعي «الواتسآب»)، وكذلك الأوراق والوثائق والخطابات، موثقة في المصادر/ المراجع في نهاية الدراسة/ الكتاب، فإننا نكتفي هنا بالإشارة إلى أهم الرواة و/ أو الأشخاص الذين أجرينا معهم المقابلات

و/ أو اللقاءات والمكالمات وتواريخها، أو تحصلنا منهم على وثائق وأوراق وخطابات، وهم، مع حفظ الألقاب، على النحو التالي:

سعد الطارف (مقابلتان في ١٩٨٩م)، وفهد الغانم (مقابلة في ١٩٨٩م)، وسالم الدليمان (مقابلة في ١٩٨٩م)، وصالح فهيد البحيران (لقاء في ١٩٨٩م)، وجلباخ بن سالم حامد الرويلي (مقابلة في ٢٠٠٢م)، وهلال سالم النصر (مقابلتان في ٢٠٠٢ و٢٠٠٣م)، وكساب شاهر الدعيمي (مقابلة في ٢٠٠٢م)، وعافت مناع الزيد (٤ لقاءات في ٢٠٠٢م)، وصالح عدوان المنديل (لقاءان في ٢٠٠٢م)، وسليمان العودة الفلاّح (مقابلة في ٢٠٠٢م)، ومحمد سليمان الشاعل (لقاءان في ٢٠٠٢م)، وعاشة بنت خليف الفالح (مقابلة في ٢٠٠٢م)، ومحمد السلطان الفلّاح (٤ لقاءات، ثلاثة في ٢٠٠٢م ورابع في ٢٠٠٨م)، وسعود منور الفياض (مقابلة في ٢٠٠٢م)، وأحمد القضيب القايد (لقاءان في ٢٠٠٢م)، وممدوح سلطان الفلّا (عدة لقاءات في ٢٠٠٢م ـ ٢٠٠٣م، و٢٠٠٦م، و٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠م)، وعارف المسعر (لقاء في ٢٠٠٢م وتسليم وثيقة في ٢٠٠٢م)، وحمود البليهد (لقاء في ٢٠٠٢م) وسليمان سعد الطارف (مقابلة في ٢٠٠٢م)، ومحمد عقلاء غالب الضميري (مقابلة في ٢٠٠٢م)، وخلف الشافي السويلم (مقابلتان في ٢٠٠٢م)، وعايد العوذة (٣ لقاءات منفردة ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣ ورابعة مشتركة في ٢٠١٣م، ومكالمة هاتفية في ٢٠١٣م)، وعودة عايد العوذة ومنزل العوذة (لقاء مشترك في ٢٠١٣م)، وحمدان عضيد العويقيل (لقاء في ٢٠٠٢م)، وزايد محمد العبط (مقابلة في ٢٠٠٢م)، وعبد الله عايد الفياض أحمد النخيلان (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، وعيد نعيم السهو (لقاء في ٢٠٠٢م)، ومساعد هداج الهادي (لقاء منفرد في ٢٠٠٢م)، وكذلك مساعد وصالح هداج الهادي (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، وحمد عبد الرحمن الوردي (عدة لقاءات ٢٠٠٢م) سالم حمدان المفرح (لقاء في ٢٠٠٢م)، وعبد الهادي الزارع (لقاء منفرد في ٢٠٠٢م)، ونهار وعبد الهادي الزارع (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، وفالح جابر المعدوة (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، ومنصور العوذة وفالح جابر المعدوة (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، ومنصور سالم العوذة (تسليم مدوَّنة له في فهم تاريخ الجوف في ٢٠٠٣م)، وسلامة الوقيد (لقاء منفرد وآخر مشترك في ٢٠٠٢م) وثامر وفايز عودة محيسن الكريع (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، وعبد العزيز محمد سلمان القعيد (لقاءان وتسليم مجموعة أوراق ومدوَّنات في ملفات على دفعتين وفترتين في ٢٠٠٢م)، ومفرح سالم البخيت الطالب (لقاءان منفردان، ولقاء مشترك في ٢٠٠٢م، ولقاء في ٢٠١١م)، وفهد حمود الرشيد ومدالله حماد الرشيد الطالب (لقاء مشترك في ٢٠٠٢م)، ومدالله حماد الرشيد (معلومة مرسلة نصية بالجوال، ومكالمة هاتفية في ٢٠٠٢م)، وفارس الحمد (لقاء في ٢٠٠٢م)، وطراد عقيل السويلم (عدة لقاءات في ٢٠٠٢ و٢٠٠٩ ـ ٢٠١٢م)، وخالد عبد الرحمن الشايع (عدة لقاءات منفردة ومشتركة، وفوقها تسليم أوراق ووثائق ومراسلات في ٢٠٠٢م)، وسعد سليمان الطارف (لقاءات وزيارة ميدانية مشتركة مع الباحث في ٢٠٠٢م، ومكالمات هاتفية في ٢٠١٠م)، وبدر البليهد (لقاءان أثناء زيارة للباحث لمتحف البليهد في ٢٠٠٢م ورسالة نصية في ٢٠٠٢م)، وأحمد السالم (لقاء، وتسليم مراسلات/ وثائق في ٢٠٠٢م)، وعبد الله عبد المحسن السلطان (عدة لقاءات في وقبل ٢٠٠٢م)، وعبد الهادي عبد المحسن السلطان (لقاء، منفرد ولقاء مشترك وتسليم كتاب تاريخي في ٢٠٠٢م)، الشرعان،

فارس وحامد والحميدي (لقاء مشترك وتسليم خطاب في ٢٠٠٢م)، والشرعان، فارس بن محمد فهيد (خطاب للباحث ٢٠٠٢م)، وفلاح زعل الفالح (خطاب معلومات في ٢٠٠٢م، ولقاء في ٢٠١٠م)، ومهنا محمد الفالح (كتب تاريخية)، وفايز عودة محيسن الكريع (تسليم مجموعة أوراق ٢٠٠٢م)، وزياد عبد الكريم السالم (عدة لقاءات، و/ أو مكالمات هاتفية، ورسائل نصية «جوال»، في ٢٠٠٧ ـ ٢٠١٠م، ولقاء وجولة ميدانية مشتركة في ٢٠١٣م، ورسائل نصية في ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤م)، ونمر علي العضيد (لقاء في ٢٠١٠م)، وعقل الضميري (لقاء مشترك ٢٠٠٢م، ورسائل نصية بمعلومات ٢٠١٣م)، وعبد الله الضميري (حديث/ مقابلة في مكالمة هاتفية في ٢٠١٣م)، وخالد دخيّل العلي (لقاء مشترك ٢٠٠٢م)، وطلال العرفج (لقاء مشترك ٢٠٠٢م)، وعبد الحميد ذياب السطام وعبد الله وفالح زعل الفالح (لقاء مشترك ٢٠١٢م)، وعبد الرحيم محمد مهنا الفالح (عدة لقاءات مشتركة ٢٠٠٢م)، وعواد فالح جابر المعدوة (لقاء مشترك وإيصال أوراق ٢٠٠٢م)، وعوض البادي (تسليم نسخة من وثيقة)، وناصر صالح الرضي (تسليم شريط/ قصة تاريخية)، وزياد السالم ومحمد سليمان الحبوب، وصياح مناور السبيلة (تعريف الباحث في زيارة ميدانية على الأحياء القديمة في دومة الجندل ٢٠١٣م، وشارك فيها جزئياً عيد السالم، وبالصدفة طلال القبلان، ومن خارج الجوف محمد عبد الرزاق القشعمي (تسليم نسخ من مدوَّنات ومعلومات تاريخية عن الجوف ٢٠٠٢ و٢٠١١ ـ ٢٠١٢م).

هناك، كذلك، بعض المداخلات في سياق تلك المقابلات، وكذلك هناك مجموعة من الوثائق، و«المدوَّنات»، ذات العلاقة بالصراع و/ أو الثقافة بالجوف في الفترة عن وقائع وقعت في أوقات مختلفة من الفترة (١٨٣٨ ـ ٢٠١٣م)، بما في ذلك ما تعلق ببيانات ووثائق وتصريحات إضافية أخرى تتعلق بالفترة الحديثة (٢٠٠٠ ـ ٢٠١٣م) في المراجع ومصادر الكتاب بشكل مفصل (للمزيد والتفصيل في المصادر المستخدمة، انظر مصادر ومراجع الدراسة في نهاية الكتاب/ الدراسة).

يهمنا مما تقدم عدة نقاط، النقطة المهمة، منها، وفي هذه المقابلات واللقاءات والمكالمات التي جرت، والأوراق والوثائق التي تم الحصول عليها، خلال الفترة ١٩٨٩ ـ ٢٠١٤م، وإن بشكل متقطع، أنها تتضمن روايات عن أحداث ووقائع تاريخ الجوف في الصراع والحرب الأهلية وكذلك في الثقافة وحالاتها وتحولاتها، هذه الروايات تتضمن معلومات أهلية محلية، نقلاً عن رواة متابعين للأحداث، أو شهود عليها، وهي بذلك إما أنها تسد ثغرات كبرى في المدوَّنات والكتابات التاريخية المنشورة، بما في ذلك مذكرات وكتابات الرحالة الغربيين عن الجوف، أو أنها، فوق هذا وذاك، تأتي بمعلومات لم يسبق أن ظهرت أبداً من قبل، وهي بذلك تتجاوز ما كتبه الرحالة في عدد من الحالات والوقائع في تاريخ الجوف التي تحدثوا عنها و/ أو شاهدوها، لكنهم لم يقدموا معلومات عنها. وفوق هذا، والأهم منه، هو أن تلك الروايات والمدوَّنات من المرويات الشفهية قدمها أشخاص و/ أو رواة من مختلف المجموعات والجماعات، وبالتالي لدينا روايات عديدة ومتقابلة، في الغالب، عن نفس الوقائع.

طبعاً، نحن، في هذه الدراسة، بتوظيفنا لتلك الروايات لا يعني أننا نتبناها، ولا يعني أنها تمثل الحقيقة عن الواقعة بعينها، كما سوف نلفت النظر إلى هذه المسألة في أكثر من مكان لاحقاً، نحن نوظف الروايات لمصادمتها ومقابلتها ببعض، ثم في النهاية، وبغض النظر عن مدى صحة رواية ما أو أخرى

مقابلة، نتجاوزها جميعاً إلى ما هو أهم منها، ألا وهو: تقديم تفسير و/ أو تحليل شامل للمسائل الكلية المطروحة في هذه الدراسة/ الكتاب، وبالذات ما تعلق منها بالصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وفي الثقافة بالجوف وحالاتها وجدلياتها ومفارقاتها، بسطاً للحال والواقع أولاً، ثم في محاولة لتقديم تفسير لكل حالة أو لتفسير مشترك (بالمخالفة) في حالات أخرى.

في هذه الدراسة، ورغم الجهود المضنية التي بذلناها في إعادة بناء وتركيب وقائع تاريخ الجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، سواء ما تعلق منها بالصراع و/ أو بالثقافة، وبالذات في الصراع الأعلى والحرب الأهلية ووقائعها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) من حيث التسلسل الزمني وأطرافها وقواها الداخلية والخارجية، فإنها وبمنهج علمي واقعي (نظري ومفاهيمي) في وعن الصراع والثقافة، تجاوزت حالة البناء والركيب والعرض والبسط (الحال والواقع) إلى حالة تطبيقية في التفسير والفهم لتلك الحالات وتحولاتها ومآلاتها في تاريخ الجوف الحديث (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، غايتها، كدراسة تطبيقية في الصراع والثقافة في الجوف، هي أن تقدم أولاً، فهماً وتفسيراً للصراع، لا من أجل ذاتها، وإنما من أجل الجوف وأهلها في التحوّط مستقبلاً ومعرفة أن الصراع يمكن أن يحدث مرة أخرى. لكن هناك آليات وأدوات لإدارة الصراع بما يجعله تحت السيطرة والتحكم ويحافظ على السلم الأهلي للمجتمع والجماعة العامة ككل دون استثناء. في المقام الثاني، تقدم الدراسة، وفي إطارها النظري وتطبيقه على تاريخ الجوف، في الصراع والسلم الأهلي (الوفاق والتوافق) وكذلك بالثقافة وحالاتها وتحولاتها، إفادة نظرية وعلمية في مجال تاريخ الصراعات والثقافة، وخاصة على مستوى البلدان العربية والمنطقة العربية ككل.

من هنا نقدم هذه الدراسة ونحن على ثقة من أنها ـ فضلاً عما تعلق بالجوف وأهلها ـ ستقدم إضافة علمية عامة (دعماً للنظريات والمفاهيم في الصراع والسلم الأهلي والثقافة وتحولاتها)، وإضافة علمية وثقافية وتطبيقية في المكتبة العربية، وما تعلق منها خاصة كنموذج في دراسة الحالات على المستويات المحلية والمجتمعات داخل البلدان العربية والأخرى المجاورة و/ أو المشابهة، وإن بعدت.

في نهاية المطاف، ستكون هناك خاتمة للكتاب والدراسة تتضمن خلاصة في تاريخ ومستقبل الجوف في الصراع والثقافة والتقدم والكرامة، والحمد لله رب العالمين.

متروك الفالح ـ الرياض

١٢/ ٥/ ١٤٣٥هـ، الموافق ١٣ آذار/ مارس ٢٠١٤م

القسم الأول

في الصراع والسلام

الفصل الأول

الصراع والحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): الواقعات والروايات

مقدمة: تنبيهات

١ ـ في مسألة الحساسية من الحرب الأهلية

عندما بدأت أجمع معلومات عن تاريخ الجوف، وما يتعلق بالحرب الأهلية بالجوف، كان من الطبيعي أن التقي وأتحدث مع عدد من أبناء الجوف، من سكاكا و/أو دومة الجندل. كان عدد من فاتحتهم بالأمر يرى أن موضوع الحرب الأهلية بالجوف حسّاس، وبالتالي كان يرى، أو لنقُلْ يفضل، صرف النظر عن مناقشتها ومعالجتها، لأن معالجة ومناقشة الأمر قد يفتح الملف ويبعث جراحها من جديد في موضوع مناقشة الحرب الأهلية بالجوف، وبالذات ما اتصل منها بالعلاقة بين القرشة والمعاقلة و/أو بين بعض المكوِّنات بالجوف. في التحديد، كأمثلة، كان هذا رأي ووجهة نظر كل من:

١ ـ فهد الغانم (الغانم، فهد ـ مقابلة ـ في منزله، ٢٢/٨/١٩٨٩م) وبتنسيق وحضور مبارك عبد الرحمن الفالح، وحضور فالح ابراهيم الفالح، وكذلك حضور جزئي لشقيق فهد الغانم.

٢ ـ عارف المسعر (المسعر، عارف [وآخرون] ـ لقاء وحديث جماعي ـ بمنزله، في ٢٩ ـ ٣٠ تموز/يوليو ٢٠٠٢: ٩:٣٠ ـ ١ صباحاً)، بتنسيق وحضور ممدوح السلطان، وبحضور عدد من أقارب المسعر ومنهم خليفة المسعر، ومنصور المسعر، وشخص يدعى أبا «رجا»، وآخرين.

٣ ـ عبد الهادي الزارع، في لقاء وحديث معه في البنك العربي بـ «سكاكا (الزارع، عبد الهادي، لقاء (١) في ١٢/٨/٢٠٠٢).

٤ ـ فارس الحمد (الحمد، فارس ـ لقاء وحديث ـ في المستوصف، ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً).

٥ ـ فهد الحمود، ومدالله الحماد، ومفرح البخيت (الطالب، فهد الحمود ومفرح بخيت، ومدالله حماد ـ لقاء وحديث في المزرعة ـ في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ١٠:٥٠ مساءً).

٦ ـ سلامة الوقيد، رغم أن ولده جمال كان مؤيداً لمناقشة الحرب ودراستها (الوقيد، سلامة ـ لقاء وحديث في منزله ـ في ٢٣ ـ ٢٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١١ مساء ـ ١ بعد منتصف الليل).

٧ ـ عبد الهادي عبد المحسن السلطان، في لقاء وحديث أمام دكان البركة سابقاً ـ عند مدخل طريق القنيطرة (السلطان، عبد الهادي ـ لقاء وحديث ـ السبت في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢، عصراً).

٨ ـ ثامر عودة محيسن الكريّع وأخوته، وخاصة فايز، في لقاء وحديث جماعي مشترك، في منزلهم، وبتنسيق وحضور سلامة الوقيد (الكريّع، ثامر محيسن [وآخرون] ـ لقاء وحديث جماعي ـ في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٧:٣٥ ـ ٩ مساءً).

٩ ـ فضلاً عمّن تقدم كان هناك آخرون يمكن وصف موقفهم من مناقشة الحرب الأهلية بالجوف على أن لديهم قدراً من «الحذر و/ أو التحفظ»، ومنهم:

أ ـ طراد عقيل مطلق السويلم، كان متردداً في الإشارة إلى بعض أحداثها (السويلم، طراد ـ لقاء وحديث ـ في مزرعتي، في ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٢، ٧:٣٠ ـ ٩:٣٠ مساءً)، وبحضور أخيه ناصر عقيل.

ب ـ محمد سليمان الشاعل، في لقاء وحديث معه في مكتبه الهندسي شمال سوق البحر، أشار إلى «الحساسية»، ولكنه، بعد أن تفهَّم نقاشي حول مسألة الحساسية، تجاوزها إلى طرح تصوراته، وآرائه حول مناقشة جذور الصراع الأهلي وبعض واقعاته (الشاعل، محمد سليمان، ـ ١ ـ في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٧).

بالموازاة وفوقها، وعلى نحو متطرف، كان هناك من الأشخاص، ولفرط الحساسية والتخوف تجاه الموضوع والموقف نحو أهل الجوف، مَن رفض التحدث معي في هذا الأمر، أو اشترط عدم التسجيل و/ أو حتى في حالة الحديث عدم نسب الكلام إليه «خارج السجل» (Off The Records). بعضهم رفض إجراء المقابلة أو التهرب منها بحجج متعددة، ولكنها تصب جميعاً في خانة التهرب من «المسؤولية» كما بدا أو تبدّى لي و/ أو كما فهمته. من هؤلاء، أمثلة، وليس حصراً: «عبد الرحمن الساكت الوارد» من دومة الجندل رفض معتذراً بحجة أنه «لا يحفظ القصص»! وقد حدث هذا في اتصال هاتفي تم معه أمامي من قبل عبد الهادي الزارع، أثناء لقائي مع الأخير في منزله في دومة الجندل، ثم أكمل هذا اللقاء لاحقاً في منزل شقيقه نهار والحديث المشترك معهما (الزارع، عبد الهادي، في: الزارع، عبد الهادي ونهار ـ لقاء (٢) في ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً) علماً أن عبد الهادي الزاراع، في لقائي به السابق في مقر البنك في سكاكا آنف الذكر، هو نفسه من اقترح عليَّ مقابلة كل من عبد الرحمن الساكت وغازي الحسين وشخص ثالث اسمه الأول «فرحان». للأسف لم تتم مقابلة أي من الثلاثة؛ فبالنسبة إلى «غازي الحسين» لا أعلم إن تم الاتصال به أم لا من قبل عبد الهادي، أما بالنسبة إلى «فرحان» فما أعلمه هو

أن عبد الهادي الزارع، هو من غيَّر رأيه بعدم مقابلته، وكنا في الطريق إليه، وبدلاً منه أخذنا واتجهنا إلى منزل شقيقه «نهار» وأكملنا النقاش هناك. بالموازاة، وفي سكاكا، «حواس العوذة» من اللقايط ـ سكاكا، اعتذر كما أبلغني أبو/ شاكر عايد العوذة في مقابلة معه في مكتبه في مخرطة (ورشة) العوذة بصناعية سكاكا (العوذة، عايد ـ لقاء وحديث ـ في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٢:٣٠ ـ ٢:٣٠ ظهراً)، علماً أن عايد العوذة، وفي لقاء سبق في المكان عينه، هو من اقترح اسم «حواس» الأكبر في جماعة العوذة (العوذة، عايد ـ لقاء وحديث ـ في ٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٢:٢٠ ـ ١:٤٥ ظهراً)، وفهد الغانم اشترط عدم نسب بعض القصص عنه (الغانم، فهد ـ مقابلة ـ في منزله في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩). عارف العساف، وكنت أرسلت إليه عبد الله زعل خليف الفالح في حدود عام ١٩٨٩م، رفض إجراء مقابلة. كذلك اعتذر مفلح المريف (أبو خالد) نيابة عن والده «مريف» بحجة أن والده مريض، وكنت قد طلبت من الأخ مفلح أن أقابل والده آنذاك (في حدود ١٩٨٩م).

ومع ذلك كان هناك من كان له رأي مؤيد ومشجع على القيام بالدراسة، بغضّ النظر عن الحساسية، أو باعتبارها أمراً يمكن تجاوزه. من أولئك أذكر، فضلاً عن «جمال سلامه الوقيد» كما ألمحت إليه سابقاً، تحديداً الأخ «منصور سالم العوذة»، و«عواد فالح جابر المعدوة» (المعدوة، عواد فالح، في: المعدوة، فالح [وآخرون] ـ لقاء وحديث ـ في استراحة ومنزله باللقايط ـ سكاكا، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٥:٣٥ ـ ٨ مساءً). «منصور العوذة» كان يدعم بقوة مشروع الكتاب عن تاريخ الجوف بما في ذلك عن الحرب الأهلية بالجوف، ورغم ما أبداه من ألم شديد لبعض فظاعاتها البشرية من حيث العدد الكبير من القتلى، وبالذات مآلات كون أو واقعة «الظلي» ١٩٠٧م. كان هذا أيضاً موقف الدكتور حمد الوردي، والذي كان حتى اغتياله، غدراً وعدواناً، يتابع ويسألني من وقت لآخر عن كتاب تاريخ الجوف، وعن مدى التقدم فيه. لعله من الملفت للملاحظة، والانتباه في هذه المسألة هو أن المؤيدين لدراسة الحرب وكشف أسبابها وعواملها من أجل تجاوزها هم في الغالب من الجيل الجديد (الأصغر سناً) و/ أو يتحلون بنظرة انفتاحية وربما يتمتعون بمستوى تعليمي حديث.

ردي على مسألة «الحساسية» والموالين لها، كما قلته في وقته ولا زلت مقتنعاً به، على أولئك الأشخاص ووجهات نظرهم المتحسسة والمتخوفة و/ أو النافرة من دراسة الحرب، هو أنني أختلف معهم من حيث إن مناقشة الأمر، **أولاً**، لا تهدف إلى إبراز من هو المنتصر ومن هو المنهزم، أو من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه؛ هكذا تصورات للحرب ليست قضيتي ولا أنتمي إليها ولا أسعى لها. **وثانياً**، هي، بالتالي، دراسة علمية وموضوعية في إطار نظري ومفاهيمي ومنهجي في البحث العلمي، مهمة ومفيدة، ليس بهدف نبش الماضي وإعادة إنتاجه من جديد، وإنما بغرض كشف العوامل والمتغيرات الرئيسة وراء هذا الصراع، ومن ثم المساهمة في تمكين الأجيال الحالية والمستقبلية، من تكوين حالة وعي وإدراك عالية تمكنهم من التحوط، مستقبلاً، تجاه احتمالية ممكنة في الوقوع في الإشكالية مجدداً أو إعادة إنتاجها. **وثالثاً**، فوق هذا وذاك، في هذه الدراسة وفي سياق تاريخ ومسارات الصراع والحروب البشرية للجماعات عالمياً، فأهل الجوف ليسوا استثناء، وليس هناك ما يُخجل منه رغم فظاعة ما حصل، وإن كان محدوداً فعلياً بالمقارنة؛ أهل الجوف وجماعاتها لم يكونوا أول المتصارعين أهلياً، ولن يكونوا

الأخيرين. تاريخياً كثير من المجموعات البشرية تصارعت وتقاتلت وسالت بينها أنهار من الدماء لا تساوي عندها دماء أهل الجوف، على أهميتها وبالمقارنة، شيئاً يذكر. قائمة الحروب الدولية والأهلية، ومآلاتها، وتكاليفها البشرية والمادية والنفسية طويلة، ولا يمكن أن نستعرضها جميعاً للدلالة على سلامة موقفنا من معالجة الحرب الأهلية بالجوف في وجه ما يُقال عن الأمر من حساسية تبدو مفرطة. نكتفي بالإحالة إلى جدول (بيان) عن الحروب الأهلية على مستوى العالم مع ملاحظة الزمان والمكان والتكلفة البشرية كلما كان ذلك ممكناً (انظر الجدول ـ ١: قائمة الحروب الأهلية في التاريخ؛ والجدول ـ ٢: قائمة الحروب طبقاً للتكلفة البشرية «القتلى»، في ملاحق الدراسة ـ ملحق الجداول).

ما نستطيع أن نقوله هنا، **رابعاً**، وهو في غاية الأهمية هو: أن الأوروبيين تقاتلوا فيما بينهم ككيانات منفصلة (حرب دولية)، و/أو في داخل مكوّنات الجماعة العامة الواحدة (حرب أهلية) لكل منهم أو بعضهم على الأقل في عدة حروب صراعات امتدت إلى عقود وبعضها قرون، وكان عدد القتلى كبيراً جداً؛ كالإسبان والأمريكيين والصينيين، والروس، واليونان، والنيجيريين... إلخ، دارت بينهم حروب أهلية طاحنة، لكنها لم تمنع من التفاهم والتعاون والتوحد في كيان وجماعة عامة أقوى من سابقتها. على مستوى الدول وفيما بينها؛ الإسبان والإنجليز تقاتلوا في ما عرف بـ «حرب الثلاثين سنة»، الفرنسيون والألمان تقاتلوا مراراً، وكانوا أشد الأعداء منذ الثورة الفرنسية وقدوم نابليون إلى السلطة في فرنسا، وحتى آخرها الحرب العالمية الثانية والتي قتل فيها ما يقرب من ٦٠ مليوناً من البشر، فضلاً عن الدمار في الممتلكات والبنى التحتية والفوقية. مع ذلك فتلك الحروب ومآسيها الفظيعة لم تحُلْ دون، ولم تمنع من، أن يكون هناك تفاهم وتقارب بين الأوروبيين المتقاتلين ردحاً من الزمان على مسار توحيدي (الاتحاد الأوروبي منذ نهاية خمسينيات القرن الماضي)، والمفارقة في هذا الاتحاد هي أن تقوده ألمانيا وفرنسا العدوين اللدودين التاريخيين لبعضهم البعض!

طبعاً هناك استثناءات في الحروب الأهلية من حيث النتائج النهائية لها، وخاصة ما يتعلق بمسألة تزايد العداوات والانقسامات والانفصالات، ولكنها مع ذلك لا تلغي الفكرة السائدة من أن الحروب الأهلية، وخاصة بعد دراستها والتعرف إلى مكوناتها وأسبابها والوعي بها، لا تمنع بالضرورة من تجاوزها، والتفاهم (الوفاق) الأهلي من جديد نحو حالة أكثر استقراراً وصلابة مؤسساتية. طبعاً حالة الجوف، بالمقارنة مع غيرها عالمياً، بل وحتى عربياً (الحالة اللبنانية/ العراقية/ اليمنية/ السودانية) لا تذكر من حيث التكلفة الاجتماعية والبشرية، فضلاً عن السياسية.

فوق هذا وذاك، وبالمقارنة مع سائر الحروب الأهلية، بما فيها العربية الحديثة منها، من حيث التواصل القتالي الزمني، والحدة والشدة في القتال والمعارك والتداعيات والآثار والإزاحات وتكاليفها المادية والبشرية الباهظة، طبقاً للجداول المرفقة (انظر: الجدول ـ ١، والجدول ـ ٢، في ملاحق الدراسة ـ ملحق الجداول)، فإن حالة الجوف، ربما هي حالة محدودة جداً لحرب أهلية، بل لربما هي لا ترقى حتى إلى هذه التسمية حقيقة؛ ذلك أننا وتجاوزاً منا، ولأغراض البحث والاستقصاء والتحوَط مستقبلاً، أطلقنا عليها هذا المسمى والاسم «الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م»، علماً أن الفترة المقرونة بالحرب (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) لا تعني أبداً أننا أمام حرب متواصلة طوالها، وإنما هي فترة رأينا

فيها بعض البدايات وبعض الواقعات متباعدة ومتقطعة في أتونها وفي أواخرها ونهايتها، فرأينا بحثياً أن تكون الحرب الأهلية بالجوف وكأنها غطت وشملت الفترة عينها. لكل من لديه شك أو إفراط في الحساسية عليه أن يلقي نظرة فاحصة لقائمة تاريخية من الحروب الأهلية المرفقة عالمياً وعربياً (انظر الجدول ـ ١: قائمة الحروب الأهلية في التاريخ؛ والجدول ـ ٢: قائمة الحروب طبقاً للتكلفة البشرية (القتلى)، في ملاحق الدراسة ـ ملحق الجداول)، وبالوقت نفسه يلقي نظرة على الواقع الذي تلاها والقائم حالياً، سوف يرى أن أشد تلك الحروب الأهلية والدولية تم دراستها ومناقشتها وتحليلها على عدة مستويات من البحث والكتابة، وأن هذه الحروب بذاتها لم تمنع أعضاءها، أفراداً وجماعات ودولاً، من تجاوز أغلبها إلى حالات لكيانات وجماعات عامة أكثر استقراراً وتطوراً. فوق هذا، فإن الدراسات المستفيضة حولها، من باحثين من داخل مجتمعاتها أو من آخرين من خارجها (من المحيط والعالم)، لم تكن سبباً في إعادة إنتاجها من جديد، بل، في الغالب، على العكس شكلت بمحتوياتها ونتائجها مرجعيات ومخازن كبرى للرؤى والتصورات جاهزة للاستفادة منها في تجاوزها، وفي تكوين الحلول والوسائل للتفاهمات الجديدة للجماعات العامة، وكذلك ما فيها من الضمانات لحالة بشرية مستقبلية مزدهرة مستقرة، في حالة الوعي بها وإدراكها، لعدم الانزلاق مرة أخرى في أتون نيرانها. هذه الغاية هي ليست فقط في مقدمة انشغالاتنا في إخضاع حالة الجوف من «الصراع الأهلي» (الحرب الأهلية) للدراسة، بل هي أهمها على الإطلاق.

هذا هو التاريخ، والتاريخ البشري على الجملة أو المحدود لجماعة عامة ما بعينها، صغيرة أو كبيرة، وهذا هو فهمنا له ومرادنا من الاشتغال عليه وفيه ومنه لصالح حياة تتسم بالتقدم والكرامة والاستقرار للجوف وأهلها، وكذلك للوطن والأمة على نحو متصل لا منفصل، انطلاقاً من دراسة وفهم للتحولات البشرية لجماعة ما في مسار حركتها وتكونها ومكوناتها وبناها المادية وغير المادية، بما في ذلك ما يتصل ببنية علاقاتها الداخلية والخارجية، ومظاهر طبيعتها من حيث الصراع و/ أو التعاون والسلم أو خليط منهما.

في المقابل، السكوت على الأشياء والخوف أو الخجل من الحديث عنها وحولها و/ أو إنكارها، وكأن شيئاً لم يحدث، لا في الواقع الذي كان، ولا تلازماً في النفوس في الواقع الذي يجري، هو الخطر الأكبر ليس فقط على المجتمع المحلي نفسه الذي ينتسبون إليه، وهذه قد تفضي إلى مخاطر أكبر ليس على المنتسبين للفكرة فقط، وإنما أيضاً وبدرجة أكبر على الجماعة العامة الأكبر (مستوى الجماعة/ الجماعات العامة الكبرى (المجتمعات المتجاورة والمتجاوزة) كمنطقة أو وطن وكيان ودولة وأمة.

في النهاية، وفي سياق ما تقدم ورداً على أية تساؤلات مشابهة من أهل الجوف أو من خارجهم، وبسطاً مختصراً جامعاً للأمر، نقول: إن دراسة «الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م»، هي جزء لا يتجزأ من تاريخ الجوف العام الكلي الشامل، والذي هو بمعنى آخر يمثل التاريخ الثقافي الشامل للجوف، قيَماً وممارسات وسلوكاً ومواقف وأنماط حياة بما فيها العلاقات وتفاعلاتها الكلية داخلياً وتجاه الآخر. بهذا الشكل والمعنى، فإن التاريخ الثقافي الشامل للجوف وأهلها، لا يمكن أن يكتمل في صورته الكلية دون التعرض لأهم مكوناته، ألا وهو الصراع الأهلي «الحرب الأهلية بالجوف». إن

الصراع، كما هو السلام (التعاون)، هو، من منظور آخر، ثقافة «قيَم وممارسات». من هنا فإن الصراع والسلام مع القيَم والممارسات الإنسانية السائدة (المنظومة الثقافية) لجماعة الجوف العامة ومكوِّناتها في تناغماتها و/ أو تناقضاتها في سياق بنيتها و/ أو بناها الذاتية و/ أو البينية، وتفاعلاتها الداخلية والخارجية في مسار وسيرورة الحركة الجماعية الكلية بحثاً عن حياة أفضل، استقراراً وتقدماً وكرامة وتحرراً (حياة حرة كريمة)، تمثل مجتمعة ثلاثية أركان وبنى التاريخ العام للجوف، وهي في الوقت عينه إنما تتضمن وتعبّر عن التاريخ الثقافي العام الشامل للجوف وأهله (جماعته العامة ومكوناتها).

٢ ـ تنبيهات عن حالات وواقعات الحرب الأهلية: في الواقع وفي المناقشة

أ ـ في الواقع: حالات الحرب الأهلية بالجوف حسب وقوعها وتسلسلها في الواقع هي كما في القائمة التالية، علماً أن بعص حالات الحرب تتضمن حالات فرعية مترابطة. الحالات صنفتها كما هي في الواقع مرتبة زمانياً من أولها في دومة الجندل (١٧٩٢/ ١٨٠٠م) وحتى آخرها في سكاكا في عام ١٩٢٢م:

١ ـ في جذور الصراع والسلم الأهلي بالجوف (١٧٩٢م ـ ١٨٣٠sم)

أ ـ صراع السراح/ الدرع (١٧٩٢ ـ ١٨٠٠/ ١٨٣٠sم)

ب ـ صراع الرحيبيين/ الرحيبيين (١٨٣٠sم؟)

٢ ـ واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» (١٨٣٨م) واحتلال الرشيد للجوف.

٣ ـ واقعة صراع السراح/ السراح وتمرد أهل الجوف على الرشيد (١٨٥٣م).

٤ ـ واقعة «المديرس» والحملة التركية على الجوف (١٨٧٠م/ ١٨٧١م).

٥ ـ واقعة «السمرة/ السمرية» أو «روضة الزريع» (١٨٧٠sم/ ١٨٨٠sم؟).

٦ ـ واقعة «سيسرا» (أواخر ١٨٧٠sم).

٧ ـ واقعة مسجد الجمعة ومؤامرة القتل (١٨٨١ ـ ١٨٨١م؟).

٨ ـ واقعة «كون الظلي» (صيف ١٩٠٧م أم أكتوبر ١٩٠٨م).

٩ ـ صراعات أهل الجوف الاصطفافية في سياق فوضى وعنف سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩م/ ١٩١٠ ـ ١٩١٥م).

١٠ ـ الصراع الأهلي الاصطفافي في حروب الرشيد/ الشعلان على الجوف (١٩١٩ ـ ١٩٢٠م)

أ ـ المعارك بين الرشيد والشعلان (آذار/ مارس ـ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م)

ب ـ اختراقات ابن شعلان للجوف:

١ ـ في دومة الجندل فواقعة «هجة الغرب» (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م؟)

٢ ـ في سكاكا وواقعة «الغطغط/ الغطيغط» (١٩٢٠م؟)

١١ ـ واقعة (حرب المعاقلة/ المعاقلة) «الراشد ـ المويشير» (١٩٢٢م)

ب ـ **في المناقشة/ الدراسة**: الحالات قسمت إلى قسمين وفترتين:

١ ـ حالات وواقعات فترة ١٧٩٢/ ١٨٠٠م ـ ١٨٧٠م، وهي واقعات كلها تقريباً في دومة الجندل. وهذه الواقعات مناقشة في المبحث الأول من الفصل الأول (الواقعات والروايات)، وعلماً أننا بدأنا بمناقشة الحالات في هذه المرحلة أولاً في واقعة المديرس (١٨٧٠م/ ١٨٧١م)، ثم نزولاً إلى جذور الصراع ١٧٩٢م/ ١٨٠٠م. السبب في هذا الاختيار أن واقعة المديرس، هي واقعة فاصلة بين المرحلتين، وإلى حد كبير بين دومة الجندل وسكاكا، وبين محاور الصراع الأهلي؛ من محور صراع السراح/ الدرع في دومة الجندل، إلى محور القرشة/ المعاقلة في الصراع الأهلي في سكاكا وحاوياً لما قبله في دومة الجندل.

٢ ـ حالات وواقعات ما بين ١٨٧٠sم و١٩٢٢م، وهي واقعات في الغالب في سكاكا، وإن تداخلت في بعضها مع دومة الجندل. هذه تمت مناقشتها في المبحث الثاني من الفصل الأول (الواقعات والروايات)، علماً أننا بدأنا في مناقشة واقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م/ ١٩٠٨م»، ثم نزولاً إلى واقعة السمرة/ السمرية (١٨٧٠sم)، ثم صعوداً واقعة سيسرا (أواخر ١٨٧٠sم؟)، فواقعة «مؤامرة القتل في مسجد الجمعة» (١٨٨١ ـ ١٨٨٣م؟)، ثم ذهاباً إلى الصراعات الأهلية الاصطفافية في سياق فوضى وعنف سيطرة ابن شعلان على الجوف (١٩٠٩م ـ ١٩١٥م)، وما بعدها من صراعات أهلية في سياق صراع الشعلان الرشيد على الجوف (١٩١٩م ـ ١٩٢٠م)، وصولاً إلى آخر واقعات الحرب الأهلية بالجوف (في سكاكا حصرياً)، واقعة حرب المعاقلة (أو ما عرف بـ «حرب الراشد ـ المويشير» (١٩٢٢م). اخترنا البداية بواقعة الظلي (١٩٠٧/ ١٩٠٨م)، لسبب أنها كانت تبدو الواقعة الأكبر بين الأهالي في سكاكا، ولأن كثيراً من الناس، وخاصة في سكاكا، يستدعونها ودائماً يرددونها في أحاديثهم، ويعتقدون أنها هي الحرب الأهلية بالجوف، ولكن الواقع، ورغم أنها من أكبر الواقعات، إلا أنها غير ذلك كما سوف نبيّن. الحرب الأهلية بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل) وعلى طول الفترة (١٧٩٢/ ١٨٠٠م ـ ١٩٢٢م)، هي حالات وواقعات ليست فقط بين الجماعات الفرعية و/ أو الكبرى المتقابلة، وإنما هي حتى داخل الجماعة الواحدة، بل بين بيوت من عائلات من أصول واحدة، كما سوف نرى.

أولاً: الصراعات الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٨٧١م): الواقعات والروايات

١ ـ واقعة المديرس (١٨٧٠م/ ١٨٧١م)

رغم ملابسات ما أطلق عليها واقعة المديرس من حيث تاريخ وقوعها ومسبِّباتها، إلا أن ما يهمنا من أمر الواقعة هو ما تعلق بالتداخل بين القرشة والمعاقلة (سواء في دومة أو في سكاكا)، وإن كان التداخل مشوشاً من حيث إن عناصر من المجموعتين كانت ضد ومع ابن رشيد، خاصة من حيث تولد بعض الحساسيات في ملابسات سيرورة حدوثها، وفي سياق تداعياتها في إحداث شروخ وصراعات قادمة تالية في أواخر القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين. في البداية علينا أولاً تحديد متى حدثت واقعة المديرس وتمييزها بشكل واضح عن واقعات تبدو عند البعض متلابسة معها، لننتقل بعدها

إلى الحديث عن تداعيات واقعة المديرس على ما بعدها من تفاعلات وأطراف، وبالذات ما يتصل منها بالحرب الأهلية بالجوف، وما يتعلق بها بالصراع الأهلي بين القرشة والمعاقلة.

الواقعة تتحدث بشكل عام على أنه في إحدى السنوات قام ابن رشيد، (الحاكم آنذاك بغض النظر عن من هو ـ رغم أهمية ذلك في تحديد الفترة وهو ما سنحاول القيام به على أية حال لاحقاً)، وقبض على أكثر من سبعين من رجالات الجوف (في دومة الجندل وسكاكا) وبينما أخذ عدد محدود منهم إلى حائل وسجنهم هناك لأكثر من ست سنوات، فإنه أعدم معظمهم في مكان يقال له المديرس في رمال النفود بين حائل وسكاكا ويبدو قريباً مما يعرف الآن بـ «الشقيق» وهي هجرة تقع إلى الجنوب من الطريق السريع بين حائل ودومة الجندل وعلى بعد حوالي سبعين/ كم من الأخيرة. أما لماذا قبض عليهم، ولماذا يريد الانتقام منهم، فهذا مما اختلفت فيه الروايات وهو مصدر الإشكالية في تحديد تاريخ أو وقت حدوثها، وهو ما سنحاول تحديده.

أ ـ رواية سعد الطارف

سعد الطارف، وهو الراوية الأكثر شهرة في تاريخ الجوف الشفهي، وخاصة في سكاكا وفي المعاقلة، يقول عن الحادثة، وإن لم يحدد تاريخها بدقة، إن الحادثة وقعت منذ فترة قديمة، وإنها حدثت قبل زواج والده، وبكلامه مباشرة ـ ما عدا بين قوسين مزدوجين لتوضيح الكلمة/ العبارة، فهي من الباحث ـ: «هاذيك صارت وأبوي ما أخذ المره ((المرأة: أي لم يتزوج بعد))» (الطارف، سعد (II) في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٩ من ١٦). وعن أسبابها، يقول سعد الطارف، إن: «ناس» من أهل الجوف، وهو يشير الآن إلى سكاكا، كأنها ارتدت «ارتدت ولا معها عقول». وهو يقصد أنها ارتدت، أي قامت بما يسمى بالتمرد على حكم ابن رشيد، وذكر أن من قُتل (أي أعدمهم ابن رشيد في المديرس بعد أخذهم عنوة) من أهل سكاكا وبالذات من المعاقلة، وهو ما يعني مشاركتهم في التمرد، أربعة عشر رجلاً من المعاقلة، وواحداً من القرشة، (الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٤ من ٢١؛ الطارف، سعد (II) في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٩ من ١٦، والطارف، سعد (III)، في ١٤١٤هـ: ٣ من ٩ من تفريغ نصّ) وهم:

١ ـ شافي من الحموان (الجحيش ـ معاقلة)

٢ ـ جازي وطلاق وحربي من الراشد (معاقلة)

٣ ـ ضبعان من العبد (معاقلة)

٤ ـ ثلاثة من الورادا: حمد الوردي وولده وولد أخوه (ولده غافل وأخوه عبد العزيز!!) (معاقلة).
ولكن بمقارنة شجرة نسب الورادا، كما أوردها عبد الرحمن الشايع (الشايع الكريّع، عبد الرحمن، ١٩٨٤ (II): ٢٦٥)، غافل هو أخو حمد الوردي وليس ولده إلا أن يكون غير مذكور في الشجرة، وكذلك لا ذكر لشخص اسمه عبد العزيز. المهم هناك ثلاثة من الورادا (معاقلة) ومنهم على وجه التحديد والأهمية حمد الوردي. أما أهمية هذا الأخير فهي في تداخل القرشة والمعاقلة في الواقعة وبالذات في «دور مزعوم» لنسيبه أو صهره «مفضي العطية» (على ما يبدو والد زوجة حمد الوردي) في اعتقال الوردي وتسليمه لابن رشيد، وما خلفته من تراكم بعض الحساسيات التي تولدت عنها، سنأتي على ذكرها لاحقاً.

٥ ـ غاطي البيالي (من البيالية ـ سراحين ـ معاقلة).

٦ ـ نور ومنور من الدغمان الهذال (الشلهوب). ويذكر سليمان سعد الطارف في مداخلة عن الموضوع، (الطارف، سليمان سعد في: الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩) أن واحداً من الهذال الذين قتلوا قتله (ذبحه) شخص يدعى أبو/ ج. (أبو/ ي. ـ بنطق الجيم ياء باللهجة الدراجة القديمة).

٧ ـ واحد من الهبالا (الشلهوب).

٨ ـ وماضي المنديل (الشلهوب) وواحد معه من المنديل، وكما يقول سعد الطارف «ما ادري أخوه أو ولده» (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٣ من ٩ من تفريغ).

٩ ـ عرسان أبو جضاع (أو أبو جضان ـ من القرشة).

ويبدو أن هذا الشخص الأخير «عرسان أبو جضاع أو أبو جضان هو نفسه الشخص الذي ورد ذكره في البند السابق مباشرة رقم ٩ من قائمة من أعدمهم ابن رشيد في المديرس طبقاً لرواية سعد الطارف. كذلك يبدو أن هذا الشخص هو «عرسان ابن مشاري أبو جضان»، كما يقول عنه، زايد محمد العابط، والذي كان على ما يبدو رسول كبار أهل الجوف لابن شعلان «هزاع» طالبين منه المساعدة في الانقلاب على ابن رشيد، وكان ذلك قبيل واقعة المديرس (العابط، زايد محمد ـ مقابلة ـ في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٠ من ١٢ ملخص).

ويذكر سعد الطارف، أن أولئك الأشخاص تم القبض عليهم ليلاً من قبل ابن رشيد، وتم تخشيب أيديهم، ووضع الحديد بأرجلهم، وتم ذبحهم (إعدامهم) لاحقاً. وفي معرض ذكر الأسباب عن اعتقالهم وذبحهم يقول سعد الطارف إنهم، وهم يريدون الارتداد والمحاربة (التمرد) كانوا يرددون ويترادون أشعاراً (الطارف، سعد (I): ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩) ومنها قولهم:

يقول أحدهم: ـ البويضاء ولد

يرد الآخر: ـ وشو ولدها؟

فيرد آخر:

ـ عبد هذا كبر خشته (!)

ويعلق ابنه، «سليمان سعد الطارف»، في سياق الحديث عن الحادثة، والقصيدة (في: الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩)، فيقول إن المقصود بهذا «العبد» الوارد في القصيدة، هو منصوب أو رتبة (نائب الحكم لابن رشيد) في الجوف، وهو «جوهر»، وهم بذلك على ما يبدو يستهزئون به، لذلك انتقم منهم بأن أوشى بهم عند ابن رشيد. الملاحظة المهمة هنا هي في ذكر منصوب ابن رشيد وهو جوهر، وأن الحادثة، كما تلمح القصيدة، إنما وقعت في وقته، علماً أن جوهر لم يتولَّ نيابة حكم الجوف عن ابن رشيد، ولم يكن له وجود، إلا بعد ما سمي بالحملة التركية على الجوف (بدأت في أوائل العام ١٨٧٠ وانتهت في أواخره وبالذات في تشرين الثاني/ نوفمبر منه)، وهو ما يعني أن جوهر ظهر في الجوف في أواخر ١٨٧٠م، و/ أو أوائل عام ١٨٧١م. هذا يعني أن واقعة المديرس، بناء على رواية سعد الطارف، التي تتضمن بعض أبيات القصيدة عن جوهر، آنفة الذكر، تكون وقعت في أوائل ١٨٧١م!!!

ب ـ رواية زايد محمد العابط وعافت مناع الزيد عن واقعة المديرس

(١) عافت الزيد وواقعة المديرس: عافت الزيد، ذكر قصة، وإن مختصرة جداً، ولكن سنرى أنها تتشابه مع ما سيورده زايد محمد العابط عن واقعة المديرس تالياً. يقول عافت الزيد، وأنا (الباحث) ألخص كلامه على الجملة: «... إن ذبحة المديرس لها علاقة بأن بعض القرشة، ومنهم ما لا يقل عن خمسة أشخاص...، ومنهم محمد الزايد العابط...، وكذلك من المعاقلة (وأكثرهم من المعاقلة) كاتبوا ابن شعلان للقدوم لها، ويبدو أن ذلك ضد ابن رشيد، فلما علم ابن رشيد قدم إلى الجوف، وطلب من أنصاره وعسكره اعتقال العناصر المطلوبة، ومنهم الوردي...» (الزيد، عافت مناع ـ لقاء وحديث (II) في ٢٠٠٢/٧/٢٤: ١١ من ١٣).

(٢) أما رواية زايد محمد العابط، عن واقعة المديرس، وهي على ما حُكيَت تبدو تفصيلاً موسعاً لما ورد في رواية عافت الزيد. ذكر زايد محمد العابط، وأنا (الباحث) هنا ألخص كلامه على الجملة: «أن الرتبة آنذاك لابن رشيد، وأن كبار الديرة بما فيهم الورادا وكذلك القرشة؛ محمد الطريف الزايد وقاسم السعيد، كتبوا لـ «هزاع» الشعلان (الرسول على ما يبدو هو عرسان ابن مشاري أبو جضان) يخبرونه برغبتهم الانقلاب على رتبة ابن رشيد آنذاك، ويطلبون المساعدة، وقالوا إنهم اتفقوا مع أهل دومة الجندل ـ الدرع «صفوق ووفوق» على ذلك، فرد عليهم هزاع الشعلان أنه ما عنده مانع. لكن نجدة هزاع الشعلان لم تصل، بينما أهل سكاكا (القرشة) نزلوا (قاموا على) رتبة ابن رشيد، وكذلك فعل أهل دومة (الدرع) بتنزيل رتبة ابن رشيد هناك...»، وأضاف زايد محمد العابط: «أن ابن رشيد لما علم بذلك، قدم إلى الجوف غاضباً ورد الرتب (نواب حكمه بالجوف) في أماكنهم السابقة، وجمع كبار أهل الجوف (سكاكا ودومة)، في قصر مارد، ومنهم محمد الطريف الزايد، وقاسم السعيد، وهدم دورهم، وأخذهم إلى حائل، وكان أن قام بذبح أكثر من ٢٢ في المديرس، ومنهم حمد الوردي وعرسان ابن مشاري أبو جضان، وآخرين، وأخذ الباقين بمن فيهم أولاد حسن الدرع (صفوق ووفوق). وعندما رجع ابن رشيد إلى حائل ومعه المجموعة المعتقلة من أهل الجوف، بعد أن ثبت حكم الجوف له، قام شكر السهيان ومعه وفد من أهل الجوف، وذهبوا عند ابن رشيد في حائل، يطالبون بإطلاق سراح المعتقلين، ولكن ابن رشيد شرط لإطلاق سراحهم هدم القلعة (زعبل) في سكاكا، وقصر دومة/ الدرع ((على ما يبدو قصر «خزام» بجوار عين خذما ـ الباحث))!! في دومة...». وقال العابط: «... إن شكر السهيان والدرع لم يكن أمامهم سوى الموافقة على شروطه، ولكن بعدما رجعوا وأخبروا أهاليهم بمطالب ابن رشيد بهدم القلعة (زعبل) وقصر الدرع، رفض بعض الأهالي الاستجابة لهذا الطلب، ومنهم «مفضي العطية» والذي قصد قصيدة فيها تحدٍّ لابن رشيد بأنه لا يمكن هدم قلعة زعبل، وأنه سيجد أهل سكاكا يدافعون عنها، وقد رد ابن رشيد بقصيدة يتوعد بها. وأما قصر دومة... فقد تم هدم طوق لبنه (دور واحد من اللبن أو الطوب) من فوق منه، ولم يهدم حسب الطلب...» (العابط، زايد محمد ـ مقابلة ـ في ٢٠٠٢/٨/١٩: ١٠ من ١٢ ملخص).

ملاحظات على رواية العابط والزيد عن واقعة المديرس:

١ ـ رغم عدم تحديد تاريخ بعينه لواقعة المديرس، إلا أن رواية عافت الزيد تبدو مختصرة جداً، ولكن على الأقل فيها إشارات إلى اتصال أهل الجوف بابن شعلان للانقلاب على ابن رشيد. ولكن رواية

العابط أكثر وضوحاً في إشاراتها إلى دور لأهل الجوف (كبارهم) بالاتصال على ابن شعلان (هزاع؟) للمساعدة في الانقلاب على ابن رشيد وعلاقتها بواقعة المديرس حسب الرواية. في رواية محمود آغا على الرحالة «أويتنغ» في عام ١٨٨٣م، سنلاحظ أن «سطام الشعلان» هو الذي اتصل بالأتراك لإقناعهم بإرسال حملة على الجوف، ولا يعرف إن كان هناك خلط بين «هزاع» و«سطام» في رواية العابط، علماً، أن هناك إشارات، سنلاحظها لاحقاً كذلك، عن تكريم شخص باسم «هزار الشعلان»، وربما هو «هزاع الشعلان» من قبل الأتراك على تعاونه معهم في استخلاص الجوف من سلطة الرشيد (الوثائق العثمانية ـ وثيقة دفتر العينات رقم ٩٥، في ١١ربيع الأول لسنة ١٢٨٩هـ، ١٩/ ٥/ ١٨٧٢م، كما وَرَدَت في: السديري، ١٩٨٦: ٥٠ ـ ٥١).

٢ ـ ما أورده العابط من أسماء بعض القتلى وبالذات ذكر (عرسان ابن مشاري/ أبو جضان) يتشابه مع ما أورده سعد الطارف عن الشخص نفسه وأنه من بين من أعدموا، ولكن سعد الطارف يقول إنه الوحيد المعلوم من القرشة الذين أعدموا، وأنه يمثل الرقم ١٥ الذين عددهم بالاسم سعد الطارف. ولكن عدد من أعدمهم ابن رشيد في المديرس فعلياً لا يقل عن ٧٩ شخصاً، طبقاً لروايات أخرى، ومنها رواية القعيّد كما سنأتي عليها تباعاً، وليس «أكثر من ٢٢» شخصاً كما يقول العابط في روايته.

٣ ـ رواية العابط في ما يتعلق بذهاب شكر السهيان وحسن الدرع، وقصة هدم القلعة والقصر، يبدو فيها التباس وتداخل مع حادثة سابقة، وهي واقعة و«تمرد ١٨٥٣م»، وهو ما سوف نناقشه ونوضحه لاحقاً، وخاصة في المقاربة والمفارقة بين واقعة المديرس وبين واقعة «تمرد ١٨٥٣م».

ج ـ رواية سلمان القعيّد عن واقعة المديرس والحملة التركية على الجوف

في الرواية تبدو واقعة المديرس حدثت بعيد الحملة التركية على الجوف، انتقاماً من أهل الجوف، وعقاباً لهم، فيما يبدو، على دور لهم في الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠م). الآن، كبداية، نتساءل فنقول: هل واقعة المديرس وقعت بأواخر عام ١٨٧٠م أو بأوائل ١٨٧١م، وبحدودهما، أم لا؟ هل هذا صحيح أم لا؟ سنرى. سنتعامل معها مؤقتاً على هذا الأساس، بمعنى أنها وقعت في أواخر ١٨٧٠م، وفي الغالب في أوائل عام ١٨٧١م، ولكن هذا لا يعني بالضرورة قبول التوقيت بشكل حاسم ونهائي حتى نقارن ذلك ببعض الروايات الأخرى. يتوازى مع القول إن واقعة المديرس، حدثت في ١٨٧١ تقريباً، ما يقوله سلمان القعيّد، كما يرويه ابنه محمد وينقله الأخير لابنه (عبد العزيز محمد سلمان القعيّد والذي سجلها في مدونة تتضمن وقائع وتواريخها بالهجري منذ ١٢٥٠ هـ وحتى ١٣٦٢هـ).

تبين المدونة المعلومة التالية، وأنقلها أولاً كما وردت، مع بعض التوضيحات من الباحث، كما هي بين قوسين مزدوجين، وسأترك بعض التعليقات من حيث تصحيح المعلومات ودقة التواريخ بعد الانتهاء من استعراض ما ورد في المدونة من معلومة ذات صلة بالواقعة. تتضمن المدونة فقرة معلومات، تقول إنه في: «عام ١٢٩٢ هـ ـ جابوا كبار الجوف..((يقصد دومة)).. وأهل سكاكا التركية... ((يقصد الدولة التركية ـ وهي إشارة للحملة التركية))... في رأسة ((برئاسة))... عباس باش... ((يقصد عباس باشا))... عام ١٢٩٣ هـ ـ غزا ابن رشيد محمد ((يقصد محمد بن عبد الله الرشيد)) غزا الجوف،

وخيم في جاوى، وحصل حرب شديدة، وطوَّق الجوف... ((يقصد أن محمد ابن رشيد طوَّق الجوف))...، بعده اتفقوا محمد ابن رشيد وعباس باشا على عقد جلسة، وجلسوا فعلاً بالضحى، وانفضّ مجلسهم ـ جمع عباس باشا كبار أهل الجوف وقال: الدولة... ((يقصد التركية))... تبي منكم ضريبة مائة مجيدي على كل بيت تكون حماية... ((يقصد مقابل حماية الدولة التركية لهم)) ـ،... وهي حيلة من ابن رشيد حتى يخلق مشكلة... ((يقصد مشكلة ما بين أهل الجوف والدولة التركية)) ـ ؛... رفضوا أهل الجوف يدفعون المبلغ ـ قال لهم ((يقصد عباس باشا)): وقعوا أنكم رافضين حماية الدولة التركية ـ وقّعوا أهل الجوف ـ بعده أعطى محمد ابن رشيد أعطى عباس ٣٥ ذلول أمتطاهن ورحل ـ عام ١٢٩٤هـ ـ نزل محمد... ((يقصد ابن رشيد))... محله... ((يقصد محل أو مقر عباس باشا)) في خزام... ((قصر خزام))...و جمع محمد ابن رشيد أهل سكاكا وأهل الجوف...((دومة))... وعاهدوه، وقبلوه أميرا لهم... وأخذ أسماء الجماعة الذين جابوا عباس باشا، وبعده ذهب ((عاد)) إلى حائل، وولّى جوهر على الجوف، ولما مضى ٣ شهور، أرسل محمد ابن رشيد فهاد العيادة على راس سرية للجوف، وأخذ جميع الجماعة الذين جابوا الدولة ((التركية)) برئاسة عباس باشا، وسافر بهم قاصداً حائل، وكان يذبح منهم على المعشى ((يقصد وقت العشاء)) والمغرب، وهي المسماة ذبحة المديرس، وهي في عام ١٢٩٤هـ» (القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان «مدونة» في ملف من مجموعة أوراق ـ تسليم للباحث نهار الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً).

ويذكر القعيّد في مكان آخر من ملف مجموعة الأوراق، آنف الذكر، أن فهد العيادة بعد أن وصل للجوف «ألقى القبض على ثمانين واحد من أهل الجوف كانوا مطلوبين بالاسم لأنهم هم الذين استدعوا الدولة التركية وعملوا على الإتيان بها إلى الجوف وقد تم الاستيلاء عليهم فذهبوا بهم إلى حائل وقد كانت تعطى تعليمات ابن رشيد أن يقتلوا جميعاً... وعندما وصل بهم فهد العياده وسريَّته إلى مكان يسمى المديرس قام بقتل تسعة وسبعون واحداً...» ثم يضيف، بعد أن يحدد موقع «المديرس على أنها شرق الشقيق، أنهم قتلوا لاحقاً الرجل المتبقي الوحيد والذي يكمل العدد الثمانين» (القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان «مدونة» في ملف من مجموعة أوراق ـ تسليم للباحث نهار الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢م، الساعة ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً: ٨ ـ ٩ من ١٢).

ما يهم من الرواية السابقة ما يلي:

١ ـ أن الرواية تقرر أن واقعة المديرس حدثت بعد انتهاء الحملة التركية للسيطرة على الجوف، وبالتحديد بعد ثلاثة أشهر من انسحاب الحملة التركية على الجوف. وتذكر أنه تم قتل ثمانين رجلاً من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في المديرس، ولكنها لا تذكر أسماء الأشخاص الذين تم إعدامهم.

٢ ـ أن الإعدامات التي تمت ضد بعض أهالي الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) كانت، عقاباً لمن شارك منهم الذين، كما تقول الرواية، جابوا الأتراك للجوف!!!.

٣ ـ ما يهمنا من واقعة المديرس، وبالذات من الإعدامات فيها لبعض أهالي الجوف، هو في ما يتعلق بالتداخل بين القرشة والمعاقلة، وخاصة ما تعلق بدور لبعض أفراد من القرشة، ومنهم دور مزعوم

لـ «مفضي العطية» بالقبض على عدد من المتمردين وتسليمهم لابن رشيد، وبالذات الزعم بأنه هو المسؤول عن القبض «خدعة» على حمد الوردي «الأول» (مفضي العطية يبدو نسيبه وصهره، ويبدو أنه والد زوجة حمد الوردي)، وما لذلك من صلة في تراكم في الحزازات والحساسيات المتصلة بالحرب الأهلية أو الصراع الأهلي بين الجماعتين، كما سنأتي على مناقشته لاحقاً. نود أن نشير إلى أنه ورغم أن القرشة (في سكاكا ودومة الجندل) عموماً تميل في التحالف إلى ابن رشيد، إلا أن الاصطفاف مع أو ضد ابن رشيد من أهالي وجماعات الجوف فيه قدر من الالتباس والميوعة والسيولة في بعض الفترات، وإن كانت محدودة ومؤقتة، ومنها ما كان في الفترة تحت المناقشة. من هنا نشير، مثلاً، إلى أنه في هذه الفترة، كان هناك من المعاقلة من كانوا في تلك الواقعة مع ابن رشيد، بل إن بعضهم، والذين قيل عنهم إن ابن رشيد استشارهم حول ماذا يفعل بالمتمردين ضده من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) نصحه بقطع رؤوسهم، ومن ذلك ما ينسب إلى «مشاري الدعيمي» من القصيدة التي سنأتي على ذكرها تالياً. ونلفت النظر إلى أن «مشاري الدعيمي» هذا، هو في الغالب «مشاري (الأول)، وهو أب لـ «شاهر»، وهذا الأخير له من الأبناء «كساب»، و«مشاري» (الأخير). أن شاهر الدعيمي هو والد كل من كساب (توفي صيف ٢٠٠٧م)، ومشاري (الأخير) (يبدو توفي قبل ١٩٥٠) وهذا الأخير ابنه الوحيد هو شاهر، والذي وجد متوفياً، وهو في ريعان الشباب، بعد فقده لأكثر من عدة أشهر خارج عرعر في أوائل ١٩٧٠sم. من هنا، ومن حيث العمر فإن قائل القصيدة، المعنية بالأمر والتالي ذكرها، هو في الغالب الراجح «مشاري الدعيمي» (الأول)، وإن لم يكن كذلك، فهو «شاهر الدعيمي»، وهذا احتمال ولكنه ضعيف. وما يهم من الأمر هو أن قائل القصيدة (الدعيمي)، هو من جماعة العبد من شمر، وعليه فإنه ورغم أنه وجماعته «العبد» محسوبون على المعاقلة، فإنه، أي الدعيمي يرى نفسه، في هذا الموقف، على أنه من شمر وبالتالي يمكن أن يكون له أثر في موقفه ذلك باعتبار أن ابن رشيد أمير وحاكم حائل. يقول «الدعيمي»، كما يذكر سعد الطارف، (الطارف، سعد ـ مقابلة (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٦ من ٢١)، ناصحاً ابن رشيد، في ما عليه أن يفعله بالمتمردين:

أقول:

أضـــرب رأس الـهـيـم واتــوسـط الـشـال　　　يـمـوت شــر الـجـوف وانــتــم تـريـحـون

ورغم أن عايض الزيد، كما ينقل عنه ممدوح السلطان وقاله لنا معلقاً على القصيدة، ونحن عند سعد الطارف، يقول إن هذه الأبيات (النصيحة) من الدعيمي قيلت لابن رشيد ضد «الراشد» تحديداً، بمعنى أن «الدعيمي» قال لابن رشيد: «اذبحوا الراشد...لأنهم أهل الفتنة، وإذا قضيتم عليهم، خلص، فإن سكاكا سوف تهدا» (الطارف ـ مقابلة (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٦ من ٢١)، ورغم أن هذا القول لا يغيّر من جوهر الفكرة، فإن سعد الطارف، عندما سمع هذا الكلام، لم يقبله وينكر على عايض الزيد هذه الإحالة، ويرى بعدم صحة الكلام، عندما يقول مستهزئاً، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح: «يا ويلي يا ويلي، يا ويحي...» ثم وجه سعد الطارف الكلام لممدوح السلطان بالقول: «أليس عايض الزيد من يقول أن المعاقلة وقت «كون الظلي» أخذوا بالبداية يعرضون العرضة بـ «سيل الغديَر»؟...((المعروف حالياً بـ: «الهذال»))...، فرد ممدوح؛ نعم ((أي أن عايض يقول هذا الكلام))، فرد سعد الطارف: «يا

شين!!![1]، قدامها علية الدندن، علية الدندن قايمة» ((يقصد أن الناس من القرشة في ذلك الحين كانوا في وضع قتالي في أحد أبراج (عليّة) قصر الدندن في حي «المطر» المواجه للمعاقلة، وبالتالي ليس من المعقول أن يقوم المعاقلة بالعرضة في وضع مكشوف يعرضهم للقتل ـ الباحث)) (الطارف، سعد ـ مقابلة (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٦ من ٢١)... وبالعودة إلى موضوع أبيات مشاري الدعيمي وأنها قيلت نصيحة منه لابن رشيد ضد «الراشد»، كما نقل عن عايض الزيد، يقول سعد الطارف: إن «مشاري الدعيمي ما كان يتعلل... ((يقصد يسهر ويسمر)) إلا عند القايد الراشد، لأن فلاح الشردان كان شيخهم» (الطارف، سعد ـ مقابلة (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٩ من ٢١).

٤ ـ أن التاريخ الهجري المذكور في رواية سلمان القعيّد لبداية الحملة التركية على انه وقع في(١٢٩٢هـ)، ولحدوث واقعة المديرس على انها في عام (١٢٩٤هـ)، ليس صحيحاً، ذلك أن عام ١٢٩٢هـ يقابل ١٨٧٥م، و١٢٩٤هـ تقابل ١٨٧٧م. الحملة التركية كما ينقل قصتها مباشرة الرحالة جوليوس أويتنغ، نقلاً عن محمود آغا وعلى لسانه، الذي كان مشاركاً في الحملة نفسها، بدأت من «معان» في نهاية شباط/ فبراير ١٨٧٠، وصلت الجوف تقريباً في الأسبوع الثاني من آذار/ مارس ١٨٧٠، وانتهت بانسحابها كاملاً تقريباً في تشرين الأول/ أكتوبر أو تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٧٠م (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م (١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ)، في: البادي، ٢٠٠٢: ص ٢٤١ ـ ٢٤٥). إن ذلك يعني أن واقعة المديرس إذا صحت أنها وقعت على إثر الحملة التركية وبعدها بثلاثة أشهر، تكون وقعت في نهاية كانون الأول/ ديسمبر ١٨٧٠م، أو وقت ما في كانون الثاني/ يناير ١٨٧١م.

٥ ـ ما ورد من رواية سلمان القعيّد عن سبب واقعة المديرس يبدو يتفق جزئياً مع ما أورده سعد الطارف عن الحملة التركية من دور معيّن لبعض أهالي الجوف في الأمر، ولكن سعد الطارف يشدد على أن فلاح الشردان هو من تسبب في قدومهم، وهو واحد من كبار أهل الجوف آنذاك، وبالتالي الاتفاق بين الروايتين إلى حد ما على دور ما لأهل الجوف في قدوم الحملة التركية، لكن تختلف رواية القعيّد بعض الشيء عما أورده سعد الطارف من حيث إن الطارف، يقول إن السبب يعود إلى قيام بعض الأهالي، وأشار إلى بعضهم في سكاكا، في التمرد «الردّات» على حكم ابن رشيد، وليس بسبب أنهم هم من شارك في دعوة الأتراك للسيطرة على الجوف. لم يذكر سعد الطارف بروايته عن واقعة المديرس على الإطلاق إلى أي رابط بين الحملة التركية ومساهمة بعض من أهل الجوف في إدخالها وقضية إعدامات المديرس. كان يردد دائماً أن الأمر متعلق «بردّات وتمرد» منهم ضد ابن رشيد وحكمه. لو كان الأمر بالانتقام من أهالي الجوف، أو بعضهم على الأقل، متعلقاً بدور لهم فقط بدعوة الأتراك وجلبهم للسيطرة على الجوف لكان من المفترض والمتوقع أن أول من يقتله ابن رشيد هو «فلاح الشردان» (الكبيدان ـ معاقلة)، إلا أن تكون رواية سعد الطارف عن دور لفلاح الشردان بقدوم الأتراك فيها اضطراب وغير صحيحة، وبالتالي فيها نظر بما هي غير متسقة مع ما جرى ومع حقيقة الحملة التركية. أما في حالة أن تكون الرواية صحيحة،

---

(١) رغم أن كلمة «شين» و/ أو «شينين» لها مدلول ظاهري سلبي (التحقير)، إلا أن أهل الجوف يستخدمونها، في التعاملات (الثقافية) قديماً ولا زالوا، عندما يخاطبون الشخص/ الأشخاص، كما لو كانوا يقولون يا «فلان أو يا شيخ» دون أن يقصدوا التحقير فعلاً. ربما كانت في أصلها أستخدمت للتحقير، ولكنها أصبحت ممارسة ثقافية عادية ومتعارف عليها.

وهي ما لا تبدو عليه بمقارنتها ببعض الروايات الأخرى وخاصة الأجنبية (من الرحالة) والتي سنأتي على ذكرها والمقارنة بينها، فيبدو أن سبب عدم قتل «ابن شردان» ربما يعود إلى أن تكون هناك حماية تركية لابن شردان، أو أن ابن رشيد فهم من فلاح الشردان أنه بجلبه للأتراك، أنه لم يكن قصده القيام ضد حكم وسيطرة ابن رشيد ككل في الجوف، وإنما قصده فقط حصوله على مشيخة الراشد والدغيفق وبموافقة ابن رشيد وتحت حكمه العام للجوف، وهو ما يبدو أنه هذا ما ذهب إليه ابن شردان طبقاً لرواية سعد الطارف كما سنأتي عليها لاحقاً.

طبعاً إذا كان القصد من القبض على بعض من أهالي الجوف (سكاكا ودومة) هو لأنهم: إما، ربما، لأنهم انحازوا للأتراك، بعد وصول الحملة التركية للجوف أو مع وصولها مشارف الجوف، و/ أو قاتلوا مع الأتراك في المعركة التي جرت بين الأتراك وقوات محمد بن رشيد قبل تفاهمهما على الوضع في الجوف، وعلاقة ابن رشيد بالدولة التركية، أو أن بعض أهالي الجوف اقتنص واستغل الفرصة مع وجود الأتراك والقوة التركية، فقام بنشاطات مناهضة لحكم ابن رشيد بما يعني ممارسة ردات و«تمرد» صريحة ضد حكم ابن رشيد في الجوف وعليها، فهذا أمر يمكن أن يفهم وأن يقبل وربما يكون محتملاً جداً. لكن لأنهم فقط جلبوا وطلبوا سيطرة الدولة التركية فهو أمر يحتاج إلى تدقيق ومراجعة، والسبب أن قصة ورواية (رواية سعد الطارف نفسه) تشدد على أن من أتى بالأتراك هو فلاح الشردان، والذي كان يسعى إلى إجبار ابن رشيد ومنصوبه بقبول إعطائه «مشيخة» على الراشد والدغيفق. وعليه لو كانت الإعدامات مرتبطة فقط بمن أتى بالأتراك للجوف لكان أول من يقتل هو فلاح الشردان، إن كانت الرواية المنسوبة لفلاح الشردان صحيحة ومتسقة مع ما جرى، وهذا كله فيه نظر ويحتاج إلى المراجعة والتدقيق والموازنة مع الروايات الموازية.

طبعاً، سنرى أن هناك، كلاماً لـ «سليمان عودة الفلّاح»، في مقابلة أجريتها معه يشير فيه إلى أن ابن رشيد فرح بوقوع ابن شردان في قبضته، بعد مقدم ابن شردان لحائل برفقة شكر السهيان، في وقت متأخر بعدد من السنوات بعد مغادرة الأتراك للجوف نهائياً. مصدر فرحة ابن رشيد هو أن ابن شردان وقع بين يديه، بعد طول انتظار، لينتقم منه جراء فعلته بجلب الدولة (التركية/ الأتراك)، وإن كان ابن رشيد «عفى عنه» بعدما سمع مبررات ابن شردان، في سياق قتل الأخير لابن أخيه «شنوان» وإنه ما فعل ذلك إلا من أجل ولائه للرشيد (الفلَاح، سليمان العودة ـ مقابلة ـ في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ من ٢٣) (!).

٢ ـ في العلاقة بين المديرس والحملة التركية على الجوف: الحملة التركية على الجوف: روايات متعارضة

إضافة إلى ما ورد في رواية سلمان القعيّد، آنفة الذكر عن دور أهالي الجوف في قدوم الحملة التركية على الجوف، هناك عدد من الروايات المحلية عن الحملة التركية ومن تسبب في قدومها وخاصة القول بدور لأهالي الجوف أو بعضهم فيها، ثم هناك روايتان من الخارج (من الرحالة الأجانب الذين زاروا الجوف وحائل، أو أحدهما في تلك الفترة أو في حدودها)، ولذلك فلا بد من إيرادها ومقابلتها ببعض.

أ ـ في الروايات المحلية

إضافة إلى ما تقدم من رواية محلية (رواية سلمان القعيّد) هناك ثلاث روايات محلية، نوردها على التوالي:

(١) **رواية «دومة الجندل»**: تذهب واحدة من الروايات المحلية، والتي ذكرت في كتاب السديري عن وادي النفاخ ١٩٨٦م، إلى القول: «إنه في عهد عبيد بن الرشيد أمير حائل تنازعت عائلتان من الجوف (دومة الجندل) على قطعة أرض واحتكمتا إلى عبيد الرشيد فحكم بها لأحدها، فغضب المحكوم ضده وعاد إلى الجوف حيث اتصل بالدولة العثمانية والتي قامت بدورها بإرسال باشا عباس والياً على الجوف ومعه قوة صغيرة، وبقي فيها عاماً كاملاً أحس بعدها بالملل ورغب بالعودة إلى تركيا فأخبره عبيد بن الرشيد بأنه سينوب عنه بإرسال التمور والحبوب المستحقه على المنطقة إلى الدولة العثمانية وأنه سيتولى الحكم بنفسه، فصادف ذلك هوى في نفس عباس فغادر المنطقة، وجاء عبيد الرشيد وبسط نفوذه على المنطقة مرة أخرى، وقتل الرجل الذي قام بالاتصال بالأتراك» (السديري، ١٩٨٦: ٥١). وروى أن عبيد بن رشيد قال بهذه المناسبة:

«يا دار ياللي من ورا غر الاطعاس	لا تحسبين اني من البعد ناسيك
يا دار خليتك على شان عباس	و لا لبني شعلان ماني مخليك
والله لجي بمنصور والسيف والطاس	ولازم نهدم ما علا من مبانيك»

(السديري، ١٩٨٦: ٥١).

ملاحظات على الرواية (إذا افترضنا صحة الرواية ولو مؤقتاً):

١ ـ إن «عبيد الرشيد» لم يكن أميراً لحايل، وإنما هو محمد بن عبد الله الرشيد، ولكن يبدو من شهرة عبيد الرشيد وتكرر غزوه للجوف أو أنه قاد بعض الغزوات عليها، فقد اشتهر بين الأهالي على أنه الأمير.

٢ ـ هناك توافق بعض الشيء بين هذه الرواية ورواية القعيّد من حيث إن هناك أناس(عائلة أو شخص من عائلة من دومة الجندل) من أهل الجوف تسببوا في مقدم الأتراك، وأن ابن رشيد أعدمهم (هنا أعدم الشخص المتسبب!!).

٣ ـ اذا صحت القصيدة، المصاحبة للرواية، لعبيد الرشيد، فهناك إشارة إلى الحملة التركية، من خلال ذكر «عباس»، ولكن في المقابل هناك إشارة إلى دور لابن شعلان في الحملة التركية على الجوف، أو أنه أصبح في الجوف مع وجود الحملة.

٤ ـ الرواية لا تذكر وقتاً أو تاريخاً محدداً للحملة التركية (حملة عباس باشا).

٥ ـ الرواية تشير إلى قبول ابن رشيد دفع رسوم أو ضريبة (تمور وحبوب مستحقة على المنطقة ـ الجوف) للدولة العثمانية مقابل استمرار سيطرة ابن رشيد عليها ولكن بتبعية للدولة العثمانية من خلال دفع الأتاوات السنوية.

(٢) **رواية سعد الطارف: فلاح الشردان ومشيخته والأتراك:** رواية محلية أخرى (من سكاكا) يرويها سعد الطارف، نقلاً على ما يبدو عن والده، وهذا الأخير ينقلها، على ما يبدو، عن فلاح الشردان نفسه. في كل المقابلات التي أجريتها مع سعد الطارف نفسه في عام ١٩٨٩ (الطارف، سعد (I): ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٦ ـ ١٩ من ٢١، والطارف، سعد (II) في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩) و/ أو ما وصلني من حفيده من أوراق عنه و/ أو تسجيلات له (الطارف، سعد سليمان سعد ـ حديث مشترك ـ في ١٧/ ٦/ ٢٠٠٢، الساعة ١١:٣٥ ـ ١٢ ظهراً، مكتب مشعل هايس الفالح العقاري) و(الطارف، سعد سليمان سعد ـ ورقة عن قصة مشيخة فلاح الشردان، استُلِمَت في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢)، أو تسجيلات صوتية مفرّغة من تسجيلات مرئية مع سعد الطارف نفسه (الطارف، سعد (III)، مقابلة وتسجيل مرئي بالأصل، ١٤١٤هـ، تفريغ من تسجيل صوتي من المقابلة الأصل وكتابة نصّها في ٨ ـ ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣)، تذهب رواية سعد الطارف إلى القول إن من أتى بالأتراك هو فلاح الشردان، والسبب أنه طلب من ابن رشيد أو من منصوبه (نائبه في الجوف آنذاك) إعطاءه «مشيخة» الراشد والدغيفق من المعاقلة في «سكاكا»، علماً أنه باستثناء الكبيدان (الكبيدان آنذاك كان على ما يبدو لهم شيخاً أو عمدة منهم ويبدو أنه «شرعان الكبيدان»)، فإن كل المعاقلة الآخرين (الراشد والدغيفق والسليمان، والكريّع، والعبد، والجحيش، ومن في حكمهم... إلخ) آنذاك هم تحت مشيخة «الحيزان ـ حمد الحيزان من بعد والده حيزان بن خضير» (من السليمان وهم مع الكبيدان والدغيفق آل معيقل ـ أخذت المعاقلة كحلف لجماعة عامة أكبر أسمها). رفض ابن رشيد أو نائبه طلب فلاح الشردان، فكانت فكرة ذهابه ودعوته للأتراك للسيطرة على الجوف. سأورد تالياً القصة، كما رواها وسمعتها من سعد الطارف، في مقابلة مسجلة أجريتها معه في ١٩٨٩م. يقول سعد، في جواب لسؤال عن الموضوع، طرحه عليه ممدوح السلطان، والذي رتب لي المقابلة، قائلاً، ومخاطباً سعد الطارف؛ أليس فلاح الشردان هو «اللي جاب الأتراك»؟ وليش (لماذا)؟ فأجاب سعد الطارف قائلاً (بكلامة مباشرة أو بما معناه معبراً عنه على الجملة)، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح و/ أو التعليق: «إيه ((نعم)) أن فلاح الشردان هو الذي جاب الأتراك»، وقال، إن القصة تبدأ من حيث إن فلاح الشردان ذهب إلى ابن رشيد طالباً «المشيخة»، وأن يشيخه في سكاكا، لكن ابن رشيد رده، وكأنه مستحقره، رد فلاح الشردان: «والله غير تشيخني وأنا عند أهلي»!!! ((أشك أن فلاح قال هذا الكلام أمام ابن رشيد، وإنما يمكن أن يكون قاله إما بينه وبين نفسه، أو انه قاله أمام منصوب ونائب ابن رشيد في الجوف ـ في دومة الجندل، وهذا الأخير هو الأقرب والأرجح ـ الباحث)) من ثم اتجه فلاح الشردان إلى الغربية ووصل «بصرى» بالشام، واتصل بقائم مقام «بصرى»، وقال له: «أنه وتى ((جاء)) من ديرة ما بها طارف ((ليس بها حاكم))، ونريد طارفه (أي نرغب بإرسال حاكم من قبلكم عليها))، فقام قائم مقام «بصرى»، وأرسل برقية إلى سامي باشا بالشام ((دمشق))، وأخبره بالموضوع، رد سامي باشا على قائم مقام بصرى وقال له: أعطه (يقصد فلاح الشردان) سبع خيالة واجعل عليهم مسؤول ((كبير)) وأعطه راويتين لنقل الماء ((يتدخل سليمان ابن سعد الطارف، في سياق الحديث، ويضيف قائلاً: وكذلك مدفع)) ـ ولتنفيذ المهمة، اتصلوا على بعض الحوازم، وأستأجروا بعض البعارين ((الإبل))، وكذلك أخذ فلاح الشردان منهم ذلول ((بعير)) وركبها ـ وعندما وصلوا الجوف (دومة الجندل) ضافوا عند الحبوب، عند غافل الجبوب، وعمل لهم ذبيحة (عنز أو تيس؟؟ ـ ـ يبدو عشاء!!) على لقيمي قمح،

فأكلوا الأتراك وانبسطوا ـ ـ في الصبح (قصده الفطور)؛ سمن وتمر من إلخابية ((الخابية عبارة عن جرة كبيرة من الجص أو الفخار يخزن فيها التمر)) ـ وهكذا انبسط الأتراك ـ ـ بعد فطور الصبح قال فلاح للأتراك واحد منكم يجلس هنا، والباقي ياتي معي نروح ونسلم على الرتبة «جوهر» (نائب ابن رشيد في الجوف) ـ لما ذهبوا هناك على الحصن ((راكبين الخيل))، وكان فلاح راكباً واحداً منها، دخلوا على «جوهر» وسلموا عليه، ـ ـ ـ فلما شافهم جوهر كأن بدا عليه الخوف ـ ـ ـ قال جوهر لفلاح والأتراك: ترى غداكم اليوم عندنا، فرد فلاح الشردان وقال: حنا ها الحين معزومين على القهوة، وأذا جاء وقت الغداء جيناكم ((!)) ـ ـ ثم خرجوا من عند جوهر، عندها قال جوهر لبعض الشمامرة اللي عنده: من هو الولد اللي أبوه ينشد عن خاله ((يقصد من هو الرجل الذي يعتمد عليه في المهمات الصعبة))، قال أحدهم؛ أنا، وش((ماذا)) تريد؟ ـ ـ قال جوهر: أريدك توصل هالورقه لابن رشيد ـ الورقة مكتوب فيها، كما يقول سعد الطارف، «إن فلاح الشردان أتى بالدولة (العثمانية)، هل أسلمهم السلطة، وإلا ماذا أفعل؟» ـ ـ ـ وقال للشمري أذا وصلت هناك لا ترجع على نفس الذلول ((البعير)) ((القصد هو الرجوع سريعاً باستخدام ذلول جديدة غير منهكة)) ـ ـ ـ ذهب الشمري إلى حائل، وفي صبيحة اليوم السادس من مغادرته الجوف ((دومة الجندل)) عاد مرة أخرى إليها، حاملاً رسالة من ابن رشيد لمنصوبه ((نائبه)) جوهر، وكان مضمون رد ابن رشيد يتلخص في ما يلي: إذا كان فلاح الشردان يعيد ((يخرج)) الدولة ((العثمانية))، فعليك يا جوهر أن تشيّخ (تجعله شيخاً) فلاح الشردان على من يريد ـ ـ عندها ذهب جوهر إلى سكاكا، ونزل عند شكر السهيان، وقال له اطلبوا لنا فلاح الشردان. فلما وتى فلاح الشردان ـ ـ ـ قال له جوهر إن ابن رشيد يقول كذا وكذا ـ ـ ـ فأنت من تريد أن تكون شيخاً عليه من أهالي سكاكا (من المعاقلة) ـ ـ ـ قال فلاح الشردان أريد أكون ((شيخاً)) على الراشد والدغيفق. رد جوهر وقال بكره أحضر ـ ـ ـ في صباح اليوم التالي وبعد أن قدم فلاح الشردان القهوة والتمر لرجال الدولة ((الأتراك)) اللي كانوا بضيافته ((في سكاكا)) ـ ـ ـ ذهب فلاح إلى جوهر، وكانت كبار المعاقلة والقرشة قد تعالمت بالخبر ـ ـ ـ وكان من الحاضرين من المعاقلة: حمد الحيزان، وشرعان الكبيدان، وعواد الواكد، وناصر أبو مرشد ((!!))، فقال جوهر: اسمعوا ياللي تسمعون، ترى أمير الراشد وأمير الدغيفق هو فلاح الشردان، وإن من يعاكسه ((يعارضه)) فإنه يعاكس ابن رشيد ـ ـ ـ . فقال الحضور: ما أحد معاكس أبد أبد ـ ـ ـ ـ يظيف سعد الطارف، قائلاً، إنه وللتخلص من الأتراك (الدولة العثمانية) والضغط عليهم لإعادتهم إلى الشام، حسب الاتفاق مع ابن رشيد ونائبه في الجوف «جوهر»؛ فقد أعد فلاح خطة، وطلب من زوجته «معيوفه» ـ ـ (وهي كما يقول سعد الطارف من جماعة «العفر» بدومة الجندل،...») ـ «أن تعدّ غداء للأتراك مكوّن من: مريقيّق ((مرقوق)) وعليه ذرات سمح وقلطوه ((قدموه)) للأتراك. في العشاء: عصيدة سمح ـ ـ ـ في الصبح: تمر وقهوة ـ ـ ـ وهكذا استمر الحال حتى بدأ الأتراك يشعرون بالملل وعدم الارتياح، فقالوا لفلاح: ما هذا بطعام، هذا ما يسقمنا ((أي لا يكفي لصحتنا وبقائنا أصحاء)). رد فلاح وقال: هذا طعامنا، وش ((ماذا)) نعمل، وإلا اللي به نية خير عزمنا ولا قصر ـ ـ ـ فقال الأتراك: لو توصلنا للشام وجزاك الله خير ـ ـ ـ وعندما أيقن فلاح الشردان أن الأتراك عازمون راغبون في المغادرة، ((وهي بالأصل خطته كما يقول سعد الطارف في روايته))، طلب من زوجته معيوفه أن تجهز وتطحن مدين ((صاعين تقريباً)) سمح، ومدين شعير وأن تنخلهم ـ ثم أتى برجال من

الشرارات، يبيعون الملح بالدين على أهل الديرة، حتى يحين وقت «الصفري» ((الصفري: عندما تصفر أوراق بعض الأشجار ـ ـ يعني محلياً في الجوف بداية الخريف من كل سنة))، وقال لهم فلاح: عندي لكم أربعة أكيال تمر وتوصلون هالدولة ((الأتراك)) سوريا، فقال الشرارات: أبد ((طيب)) ـ وأعطهم الراوية والزهاب «طحيّن وسميح، وشعير، ولعنة ذقاف» ((يقصد أنها أشياء تافهة))، «وتمير وما أدري وشلون» ـ ـ ـ فلما غربوا ووصلوا سوريا قاموا ((الأتراك)) يصفقون ويقولون: ديرة ضايعة وما بها شين ((يقصد إن الجوف ـ سكاكا ودومة الجندل ـ حالتها ضعيفة وفقيرة لا تستحق الاهتمام)) ـ ـ ـ تدخل هنا ممدوح السلطان، وسأل سعد الطارف، وقال: ابن رشيد عقب هالسالفة ((القصة)) ما عمل شيء؟ ما باق (غدر) بفلاح الشردان ـ ـ ـ رد سعد الطارف، وقال؛ لا، فلاح حتى مات وهو الأمير ـ ـ ـ» (الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٦ ـ ١٩ من ٢١ تفريغ).

ملاحظات حول رواية سعد الطارف:

١ ـ إن الرواية تتفق جزئياً مع رواية سلمان القعيّد، وكذلك مع الرواية المحلية من دومة الجندل، من حيث الإشارة إلى أن واحداً أو «كبار أهل الجوف هم الذين أتوا بالأتراك (الحملة التركية للسيطرة على الجوف)، ولكن رواية سعد الطارف تؤكد أن فلاح الشردان وحده، ولا سواه هو من أتى بالأتراك، وهي تتشابه إلى حد ما مع الرواية المحلية الأخرى من دومة الجندل، والتي تشير إلى أن شخصاً ما ـ لكنه من عائلة ما من دومة الجندل، وليس من سكاكا ـ هو المتسبب في قدوم الحملة التركية.

٢ ـ ومع ذلك فرغم القول إن فلاح الشردان هو الذي أتى بالأتراك، وإذا افترضنا صحة الرواية ولو مؤقتاً، فهو، أي سعد الطارف، يؤكد، وعلى خلاف ما ذهبت إليه رواية القعيّد وكذلك الرواية المحلية الأخرى من دومة الجندل، وكلاهما تتكلمان عن إعدامات، أن فلاح الشردان لم يتعرض لأذى من قبل ابن رشيد بسبب فعلته، وأنه استمر أميراً وعلى مشيخة الراشد والدغيفق حتى وفاته طبيعياً، بينما رواية القعيّد تذهب إلى أن ابن رشيد وبعد مرور ثلاثة أشهر من نهاية الحملة التركية (أي تقريباً في نهاية ١٨٧٠ أو في كانون الثاني/ يناير ١٨٧١م) جمع جميع الأشخاص الذين ساهموا في قدوم الحملة التركية، وأعدمهم جميعاً في مكان يقال له المديرس وهي الواقعة التي نحن بصدد تحديد وقوعها. من هنا فإما: ١ ـ رواية القعيّد، وكذلك الرواية المحلية من دومة الجندل، فيها خطأ ما أو غير صحيحة أو مخلوطة مع واقعة أخرى، وأن واقعة المديرس لم تكن قد وقعت وقت أو بُعيد الحملة التركية، وأنها على الأرجح سابقة عليها، وهو ما قد يحلينا إلى واقعة متصلة بـ «تمرد» سابق قام به أهل الجوف ضد حكم ابن رشيد في الجوف في ١٨٥٣م (تشارلز هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦١) وفي رواية أخرى ١٨٥٥م (جوليوس أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: عوض البادي، ٢٠٠٢: ١٩١)، أو: ٢ ـ أن تكون رواية الطارف فيها خطأ، أو خلط لبعض عناصر أو معلومات متصلة بواقعات أو شخوص أخرى، أو أنها غير صحيحة، وكل تلك الملابسات حول الواقعة، بما فيها الحملة التركية (الأتراك ومن أتى بهم)، إنما نحاول أن نوضحها لتحديد أقرب تاريخ لوقوع واقعة المديرس.

٣ ـ يلاحظ حسب رواية الطارف أن مشيخة فلاح الشردان على الراشد والدغيفق تمت بموافقة ابن رشيد، في وقت كان نائبه في الجوف هو جوهر، علماً أن جوهر لم يظهر في الساحة (الجوف: أي تعيين

جوهر نائباً لابن رشيد في الجوف) إلا تقريباً مع نهاية ١٨٧٠ فصاعداً، بعيد انكفاء الحملة التركية على الجوف مباشرة، وهو ما تقول به أيضاً رواية القعيّد آنفة الذكر. هنا يبدو الخطأ في رواية سعد الطارف، أو في ما نقل عن فلاح الشردان نفسه، يتصل بأنه عندما قدم الجوف مع الأتراك كان جوهر موجوداً وأنه ذهب إليه هو والأتراك ودعاهم جوهر للغداء في اليوم التالي لوصولهم. ولكن كما سنرى من روايات الرحالة أن وقت دخول الحملة التركية في أوائل ١٨٧٠ وحتى قبيل خروجها في نهاية العام نفسه، لم يكن جوهر في الجوف (دومة الجندل) ولم يكن على ما يبدو قد تم تعيينه نائباً لابن رشيد في حكم الجوف. في تلك الفترة، من كان قبل جوهر في الجوف «هو حمود العقلا»، ولكن هل كان موجوداً لحظة وصول الأتراك أم لا فهذا غير ممكن التحقق منه. ومع ذلك سوف نرى في رواية محمود آغا، كما أوردها الرحالة أويتنغ عن رحلته لعام ١٨٨٣م، أن «صالح الرخيص» هو الذي ظهر، وكان بالصورة في اليوم الثاني لقدوم الأتراك وتعامل معهم. طبعاً، مع افتراض صحة رواية سعد الطارف أعلاه، يمكن فهم الإشارة المتكررة إلى جوهر وأنه كان هو الموجود، ونسب كثير من الأمور في وقوعها إلى عهده، إلى أن السبب يعود، في الغالب، إلى أن جوهر منذ ظهوره في الجوف ابتداء من نهاية ١٨٧٠ أو أوائل ١٨٧١م استمر نائباً لحكم ابن رشيد طوال أكثر من ثلاثين عاماً وحتى تقريباً ١٩٠٥/١٩٠٦ تقريباً. لذلك ربما تكون هذه الصورة المهيمنة والممتدة زمناً غير قصير لشخصية مثل جوهر هي وراء تداخل أو تكرار بعض المعلومات أو الشخوص (كما هو جوهر) وملابساتها في بعض الروايات الشفهية رغم عدم تطابقها مع الواقع، كما هي رواية سعد الطارف عن مشيخة فلاح الشردان وعلاقة ذلك بالحملة التركية.

٤ ـ ورغم أن سعد الطارف رجل موثوق به، وفي الغالب في ما يقوله، وغير معروف عنه تأليف أو فبركة الروايات، فإن التفسير الأكثر رجحاناً للاضطراب في الرواية، لا يعود إلى سعد الطارف نفسه، وإنما ربما لما نُقل عن فلاح الشردان من حكاية تداخلت فيها المعلومات والشخصيات بشكل لا يتسق مع حقيقة ما جرى. من هنا، ربما، يكون فلاح الشردان نفسه قد استغل أجواء الحملة التركية وملابساتها لإخراج قصة كيف تمت مشيخته، وأنها إنما تمت بطريقة الفرض لا طريقة الشراء والمداهنة لابن رشيد، وبالذات ما تعلق بعامله في الجوف جوهر بعد تعيين الأخير في الجوف بعد مغادرة الحملة التركية في أواخر ١٨٧٠م. من هنا نميل إلى ترجيح أن مشيخة فلاح الشردان، وهي وقعت فعلاً، ولا أحد ينكرها، وقد امتدت لأكثر من عشرين عاماً (من وقت ما من عام ١٨٧١م أو في حدودها تقريباً، وحتى عام ١٨٩٦م، أو في حدودها زيادة أو نقصاناً) حافلة بأحداث ووقائع، مثل واقعة بناء مسجد المعاقلة على خلفية ما قيل عن مؤامرة قتل بين القرشة والمعاقلة في مسجد الجمعة التابع للقرشة (للتفصيل: انظر واقعة مؤامرة مسجد الجمعة)، وقبلها سيسرا بين القرشة والمعاقلة أيضاً (للتفصيل: انظر واقعة سيسرا)، وحبس وتخشيب «ذباح المويشير»، والأخير واحد من رعايا فلاح الشردان آنذاك، حيث الأخير، وكما تذهب الرواية التي نحن بصددها (رواية سعد الطارف عن مشيخة ابن شردان وقدوم الأتراك للجوف) هو شيخ على الراشد والدغيفق ـ والمويشير جزء من الراشد) عقاباً له لتجاوزه، ودون موافقته أو علمه، إلى شكر السهيان بإهدائه قطعة من لحم بعير (الشاعل، محمد سليمان ـ لقاء وحديث (I) في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٢ ـ ١٣ من ١٧ ملخص؛ السويلم، خلف شافي ـ مقابلة (II) في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٥ ملخص؛

الطارف، سليمان سعد ـ مقابلة ـ في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨ ملخص؛ الوردي، حمد ـ لقاء وحديث ـ في صيف ٢٠٠٢؛ الفلّاح، محمد السلطان ـ حديث وحوار ـ في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ملخص؛ الفلّاح، سليمان عودة ـ مقابلة ـ في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٣٨ من ٣٩ ج ٢ ش ٢ تفريغ). عن واقعة حبس ذباح المويشير من قبل فلاح الشردان يُشار إلى أن من تدخل عند فلاح الشردان وتوسط عنده لإخراج ذباح المويشير من الحبس (التخشيب) هو رضي الكبيدان، حيث ألقى بعباته على «ذباح» وقال هذا جاري... احبسني معه كأنك تريد تحبسني... وأطلعه معه» (الفلّاح، سليمان عودة ـ مقابلة ـ في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٣٨ من ٣٩ ج ٢ ش ٢). خلف شافي السويلم، يقول إن هدف شكر السهيان من إخبار فلاح الشردان بأمر هدية ذباح (لحمة البعير) هو، ربما لإحداث «الشقاق» (السويلم، خلف شافي ـ مقابلة (II) في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٥ ملخص)، وهو ما يتسق إلى حد ما مع ما يقوله محمد الشاعل عن القصة من أن سجن فلاح الشردان لذباح المويشير، ربما أغضب شكر السهيان، فساعد الأخير على الحصول على مشيخته لاحقاً (الشاعل، محمد سليمان ـ لقاء وحديث (II) في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٣ من ١٧ ملخص)، علماً أن مشيخة ذباح المويشير، كما هي مشيخة خليف الفالح، لم تتم إلا بعد وفاة فلاح الشردان، وفي وجود جوهر (وبقدر من الشراء و/ أو المداهنة له) وبدعمه لهما بمكاتبة ابن رشيد عن الأمر. هذا ما جرى طبقاً لما كان عليه الواقع فعلاً، حيث إن فلاح الشردان، كان حتى مماته شيخاً على كل من الراشد والدغيفق، وكذلك طبقاً لما يؤكده سعد الطارف نفسه في أكثر من مقابلة (الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٩ ـ ٢٠ من ٢١؛ الطارف، سعد (II) في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩؛ ١٣ من ١٦ تفريغ؛ الطارف، سعد (III) في ١٤١٤هـ: ٦ ـ ٧ من ٩ تفريغ). وفي تفصيل أكثر يقول سعد الطارف، ـ (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح،) ـ، ومشيراً إلى أن فلاح الشردان استمر هو الأمير حتى وفاته «الظهر مثل هاليوم» ويقول إن والده ((والد سعد الطارف)) يقول أنه: «كان ذاك الوقت عند الزايد ((البنية))... حط لنا سحيحة ((تمر)) وكليناها، ويوم قحصت ((قمت)) قال والله ما تقحص...»، ويضيف سعد موضحاً: «... رده أخت لأبوي عمة لي»، ثم يكمل: «تعمل لنا بعصيدة أطيب ((أأكل منها)) منها... يقول أبوي ويوم طيبنا العصيدة ((أكلنا العصيدة كاملة))... فلاح يقول خابره متردي.. ((مريض))... وطلعت والدرب غير يلتقي من جهة البصرية من وراء المصّدر... يقول يوم طلعت من دور الزايد... ولمار ((إذا بـ)) ذباح المويشير مقبل يمنا ((باتجاهنا)) من عند نازل... ولمار بـ «قبلان» ((من الحميّر))... وصار عنه دفيعة، قال قبلان: أبشرك إن فلاح مات... قال ذباح «الله ربنا وربه، هذا اللي يقول رد ذباح، يقول أبوي لقولة قبلان: أنتحى..عرف إن ذباح يشوفه ((يقصد إن ذباح صد منتحياً لأنه يعرف أن طارف أبو سعد يشوفه))... يقول أبوي «ولياهو ((و إذا به))... يراعيني...». ويتابع سعد الطارف قائلاً إن والده بعد ذلك، قال «...أنا روحت وقوطرت مع الشديد قبلي ((مع ديرة الشديد «العبد» على طول))، يم الصبح، ولمار فلاح ميت... ومار نأخذ الغرضان... وقوطر مع...» (الطارف، سعد (I) في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٩ ـ ٢٠ من ٢١). وفي مكان آخر يكمل سعد الطارف القصة فيقول: «... ويوم مات فلاح الشردان... قام ذباح المويشير يم ابن رشيد وقال له إن فلاح الشردان مات... وربعي مريديني، وكتب له العبد... ((يقصد جوهر))... أنه أمير للراشد... وشاخ خليف الفالح على الدغيفق...» (الطارف، سعد (II) في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٣ من ١٦ تفريغ). أما في ما يتعلق ببقية الواقعات الأخرى (واقعة مؤامرة

مسح الجمعة وواقعة سيسرا) ذات الصلة بمشيَخة ابن شردان، فهي مفصلة في مكانها المناسب ضمن هذا الجزء من الدراسة المتعلق بواقعات وروايات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). على أن ما يهمنا منها هنا، بما فيها قصة اللحمة وحبس ذباح، هو أنها كلها حدثت في ظل وجود ودور فاعل وحاسم لفلاح الشردان وسريان فعلي لمشيَخته طوال تلك الفترة. وإذا كانت مشيخة فلاح الشردان ثابتة لا جدال فيها، فإن ما فيها من التباس وجدال إنما يتعلق بمتى وبالطريقة التي تمت بها. رواية سعد الطارف تقول إنها حدثت مع قدوم الحملة التركية وأثناء وجودها، بل تقول إنه هو من أتى بها ومن عمل على انسحابها وخطَّط لها، وهذا أمر مشكوك فيه، كما أسلفنا التنبيه عليه وحوله. الأقرب والأكثر رجحاناً لبداية حدوثها (أي مشيخة فلاح الشردان) هو أنها حدثت بُعيد الحملة التركية ببعض الوقت، وأنها، إذا ما صح القول بأنها أشهرت علناً في مجلس شكر السهيان، وبحضور جوهر نفسه، وأمام مشهد من كبار القرشة والمعاقلة، فإنها لا يمكن أن تكون وقعت وتمَّت إلا بعد مغادرة الحملة التركية نفسها وليس في أثنائها. يبدو أن فلاح الشردان، ـ ربما مستغلاً أجواء و/أو ملابسات الحملة التركية بطريقة ما (مثلاً المساهمة في إقناع الأتراك أو بعضهم على مغادرة الجوف، بقبول استضافة بعضهم على الأقل ثم التضييق عليهم غذائياً أو أنه تعاون مع ابن رشيد وقت قدوم الأخير أثناء وجود الأتراك، أو لأي سبب آخر غير معروف أو على الأقل غير معلن!!) ـ استطاع، على ما يبدو، إما إقناع أو شراء موافقة و/أو دعم جوهر لاحقاً لقدومه (أي بعد ١٨٧٠م، وربما في وقت ما من الفترة ١٨٧١م ـ ١٨٧٥م، أو في حدودها) على موافقة ابن رشيد على قبول مشيخة ابن شردان على الراشد والدغيفق. من هنا يبدو أن ابن شردان اتفق مع جوهر وبتعاون و/أو تنسيق على ما يبدو مع شكر السهيان، على سيناريو ومشهد إخراج إشهار المشيخة بالطريقة التي وردت في الرواية. من هنا، وبسبب من هذه الالتباسات في الروايات، كان علينا، وسيكون علينا، على أية حال، أن ندقق بالروايات وعناصرها من حيث المقارنة بينها ومقابلتها ببعض، للوصول إلى فهم أفضل أو أقرب لما وقع من واقعات أو أحداث تاريخية، بعناصرها وأطرافها وأزمانها. ورغم ما ذهب إليه سعد الطارف، من أن فلاح ابن شردان لم يتعرض للمساءلة طوال فترة مشيخته من سلطة الرشيد، على ما يقول سعد الطارف، إنه هو ابن شردان كان له الدور الحصري في دخول الأتراك في سياق قيام وفرض مشيخته على الرشيد، فإن سليمان العودة الفلاح وفي رواية له عن تداعيات واقعة بناء مسجد جمعة «المعاقلة»، ـ (على إثر طلب شكر السهيان، منه ومن المعاقلة أن يبنوا لهم مسجداً، وعلى خلفية ما زعم بمؤامرة قتل في إحدى صلوات الجمع في مسجد جمعة القرشة «الضلع» ـ وما قيل عن محاولة قتل ابن شردان من قبل ابن عمه «شنوان بن عقيل»، مدعوماً أو محرضاً كما زعم به من قبل خوال «شنوان»[٢]، ثم قتل ابن شردان لابن عمه شنوان... إلخ) ـ يقول إنه بعد قتل شنوان من قبل ابن شردان، ذهب الأخير برفقة شكر السهيان، إلى حايل عند ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد)[٣] ودار الحوار التالي: «... دخل شكر السهيان على ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد) وسلم، وفلاح تغيّب عن السلام... فقال ابن رشيد لشكر: من معك؟ قال شكر: فلاح الشردان... قال ابن رشيد: يالله لك الحمد...

(٢) طبقاً للراوية: يبدو أن خوال «شنوان بن عقيل» هم السعدون/ الراشد.

(٣) حكم محمد العبدالله الرشيد (١٨٦٩ ـ ١٨٩٧م) (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨)، علماً أنه هو الذي في عهده وقعت الحملة التركية على الجوف، وتوابعها، وبالذات واقعة «المديرس» عام ١٨٧١م.

عقب جيبته للدولة...» ((يقصد الأتراك والحملة التركية ـ الباحث)) «.. بديارنا... جابه الله... وفي الصبح قام فلاح وذهب إلى ابن رشيد للسلام عليه... قال محمد الرشيد؛ ما عليك سلام... قال فلاح؛ ليه، لا يا أخو نوره... أنا ذبحت ولد عمي... عشانك... ما انفضخ بقبره...، قال محمد الرشيد؛ هو صادق يا شكر؟ قال شكر: «صادق أي والله... ذبح شنوان...» (الفلّاح، سليمان العودة ـ مقابلة ـ في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ من ٢٣). وهذا، إن صح، يخالف ما قاله سعد الطارف، ويحيل لدور ما لابن شردان في الحملة التركية وقدوم الأتراك. ومع ذلك كله، ورغم كل الاحتمالات، فإنني أشكك في الأمر، وأعيد بعض ما كتبته في واقعة مسجد الجمعة، وتوابعها على النحو التالي: إذا صحت رواية سليمان العودة، وخاصة الإشارة إلى سعادة وفرح ابن رشيد بقدوم فلاح الشردان، وقول ابن رشيد لشكر السهيان عندما أخبره أن برفقته فلاح: «... يالله لك الحمد... عقب جيبته للدولة.... بديارنا... جابه الله...»، فهذا يؤكد ويشير إلى دور ما لـ «فلاح» بقدوم الحملة التركية. ولكننا نشكك في ذلك للأسباب التالية:

أ ـ لا أعتقد أن ابن رشيد كان عاجزاً عن الإمساك بابن شردان، لو كان له الدور، أو دور كبير، في قدوم الأتراك، ونعلم كما ناقشنا ذلك، آنفاً، في قضية وواقعة المديرس أن ابن رشيد نفسه (محمد العبد الله الرشيد) وعلى خلفية الحملة التركية ودور لأهالي الجوف فيها، وهو دور غير واضح وملتبس كما بيَّنا في حينه، قبض على ٨٠ رجلاً من أهل الجوف (دومة الجندل وسكاكا) وقتلهم جميعاً في المديرس قرب «الشقيق. لاحظ أن ذهاب فلاح إلى حايل رفقة شكر السهيان، إن صحت الواقعة، فهي حدثت بعد واقعة مؤامرة القتل المزعومة في مسجد الجمعة «الضلع»، وبعد بناء مسجد الجمعة «للمعاقلة»، وهذا حدث في تقديرنا في إحدى السنوات من الفترة (١٨٨١ ـ ١٨٨٣م)، وهو ما يعني أن ذهاب فلاح الشردان إلى حائل حدث في وقت ما من هذه الفترة (١٨٨١ ـ ١٨٨٣)، وهو ما يعني حدوثه بعد ما لا يقل عن عشر سنوات من الحملة التركية وواقعة المديرس. وعليه فلا يعقل أن ابن رشيد، وهو في عز قوته منذ ١٨٧١ فصاعداً، ينتظر كل هذه السنوات لكي يأتي إليه ابن شردان طوعاً، إلا أن يكون هناك حماية تركية ما لـ ابن شردان على دور ما له أو لتعاونه على نحو ما مع الأتراك والحملة التركية، متفق عليها أو متفاهم عليها مع ابن رشيد وقت الاتفاق الذي تم بين قائد الحملة وابن رشيد نفسه في آذار/ مارس ١٨٧٠م. في الوثائق العثمانية الرسمية، ذات الصلة بالمراسلات حول مستقبل منطقة «قضاء» الجوف وعلاقتها الإدارية بالدولة العثمانية (عبر ولاية سورية أو محافظة المدينة المنورة... إلخ) والتي جرت بين أيار/ مايو١٨٧٣م وكانون الثاني/ يناير ١٨٧٤م، وطبقاً لترجمات عيّنات منها في كتاب عبد الرحمن السديري تشير بعض عيّنات المراسلات إلى تعديات ابن رشيد ومظالمه على أهالي الجوف وعشائرها، وتشدد على أنه وقد تقرر إلحاق الجوف بإدارة ابن رشيد والأخير ملحق بإدارة محافظة المدينة المنورة، فلا بد من أخذ تعهدات صريحة و«... تأمينات قوية من ابن رشيد برفع مظالمه عن الأهالي والعشائر كي يتم بموجب ذلك وضع القضاء المذكور تحت إدارته» (الوثائق العثمانية ـ دفتر العينات رقم ٨٧١ وتاريخ ١٤ رجب ١٢٩٠هـ الموافق ٧/ ٩/ ١٨٧٣م، ورقم ٩٠٥ في نفس التاريخ، وكذلك بالعينة رقم ٩٠٥ في ٣/ ١١/ ١٨٧٣م (١٢ رمضان ١٢٩٠هـ)، والعينة رقم ٨٧٣ في ١ ذو الحجة ١٢٩٠هـ الموافق ٢٠/ ١/ ١٨٧٤م، في: السديري، ١٩٨٦: ٥٦ ـ ٥٩). هذه المراسلات تشير إلى تأكيد أهمية المحافظة على سلامة وأمن سائر

وعامة الأهالي والعشائر في الجوف، وتذكر بالاسم قبيلتين هما «الحرص والرجيس»[٤]، ولا يعرف إن كان هذه التعهدات المطلوب أخذها على ابن رشيد تشمل أفراداً و/ أو نخب من أهالي الجوف (الحاضرة في سكاكا و/ أو دومة الجندل)، كمثل، في هذا السياق «فلاح الشردان». لكننا نميل إلى إن هذا الاحتمال بحماية أفراد ونخب بعينها، ومنهم فلاح الشردان على الأقل في ما يخص هنا، هو أمر مشكوك فيه، وخاصة أن القوة والحامية التركية لم يعد لها وجود، بل أن بعض عناصرها من الأخوة المغاربة انشقوا عليها وانضموا لابن رشيد، الذي قدم هو و/ أو قوات له مرة أخرى وتم إحكام السيطرة على الجوف مع نهاية ١٨٧٠ وأوائل ١٨٧١م، والقبض على حوالي ٨٠ رجلاً وقتلهم في المديرس كما أسلفنا، فضلاً عن من أسر من أبناء كبار وأعيان الجوف، ومنهم ابن «حسن الدرع» (يبدو أن الابن هو: «وفوق»)، والذي أخذه رهينة دون السجن في حائل، عقاباً على ما يبدو لحسن الدرع في ما يتصل بملابسات الحملة التركية، رغم ما قام به حسن الدرع من محاولة قتل الأتراك، أو تحييداً وتقييداً له من تمردات أو اتصالات محتملة مع قوى محيطة منافسة بمن فيها الأتراك. وإذا حدث هذا مع حسن الدرع، وكان في وضع أقوى من فلاح في حينه، فكيف بابن رشيد يترك ابن شردان طوال هذه الفترة دون عقاب، وهو قادر عليه لو أراد.

ب ـ وعليه وطبقاً لمناقشتنا آنفاً في رواية سعد الطارف عن دور فلاح الشردان في قدوم الأتراك (الحملة التركية) أوضحنا أن هناك خللاً ما في الرواية. في المناقشة عينها، حاولنا أن نفسر الخلل وكذلك في محاولة فهم كيفية إخراج مشيخة فلاح الشردان، وهي، وإن كانت مشيخة ثابتة الحدوث، إلا أنها في الغالب تمت لاحقاً لحدوث الحملة التركية واستثمار لأجوائها، وفي تناغم وتنسيق، على ما يبدو، مع المنصوب الجديد لابن رشيد، ألا وهو جوهر، وكذلك ربما بتعاون و/ أو دعم من شكر السهيان، وليس في ما يبدو نتاج دور حصري ووحيد لابن شردان فيها كما تذهب رواية سعد الطارف عن الأمر. إضافة إلى ما ورد من ملاحظات في الفقرة السابقة (أ)، وما ورد في الفقرات (١ و٢)، فإنه في ما يتعلق بمشيخة ابن شردان، هناك احتمال أن يكون ابن رشيد، وفي مواجهة الزعامات التقليدية في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) والتي كان لها دور في التمردات ضد ابن رشيد وبالذات في تمرد ١٨٥٣م، والحملة التركية ١٨٧٠م، قد شجع على تنامي أو بروز قيادات وزعامات بديلة؛ في الجوف (دومة الجندل)، منذ ١٨٧٠ فصاعداً، حيث نلاحظ ما تلاشي زعامات بعينها وهذا ينطبق على السراح، وإما تناقصاً في النفوذ والمكانة، وهذا ينطبق على الدرع «حسن الدرع» نفسه. في المقابل في سكاكا، ورغم دور التوريث في انتقال المشيخات لكل من شكر السهيان وفلاح الشردان، حيث آلت للأول إليه بالوراثة من ابيه سهيان بن مطيلق اللحيد، وحيث إن جد فلاح الشردان «مفرح (أو مفرج) الكبيدان» كان له مكانة في الكبيدان والمعاقلة، إلا أنه يُلاحظ، أولاً، بروز وتزايد مكانة ونفوذ شكر السهيان، وفيما يبدو على حساب كل من قاسم السعيد وإلى حد ما «دخيل الدرعان»، وبالذات لـ «قاسم السعيد»، والذي كان له نفوذ واضح في أحداث تمرد ١٨٥٣م وربما امتد متناقصاً ومتلاشياً مع أحداث ١٨٧٠/ ١٨٧١م (الحملة التركية)، علماً أن هناك من أشار إلى أن سجن قاسم السعيد، في حائل، رفقة آخرين من أهل الجوف، كان نتيجة لشكوى

(٤) قبيلتي «الحرص والرجيس»(!) والمشار لهما، غير معروفة على الأقل بالنسبة إلى الباحث.

ضده من شكر السهيان نفسه (الزيد، عافت ـ لقاء وحديث (IV) في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١)، وكذلك بروز مشيخة ونفوذ فلاح الشردان ثانياً على حساب مشيخة ونفوذ «الحيزان/ السليمان ـ آل معيقل» والتي كانت مشيختهم شاملة على كل المعاقلة وجماعاتها الفرعية حتى تقريباً بروز مشيخة فلاح الشردان بعد نهاية الحملة التركية (أي بعد أوائل ١٨٧١م)، علماً أن هناك إشارات إلى قيام ابن رشيد (والإشارة هنا إلى متعب آل رشيد ووقته «!») بمعاقبة مجموعة من الأهالي في الجوف (دومة الجندل وسكاكا)، بقطع نخيلهم و/ أو هدم بيوتهم و/ أو أحيائهم، ومنهم في سكاكا، وفي المعاقلة، تحديداً، «الحيزان» بقطع نخيلهم وكذلك قطع نخيل «الورادا» و«الجحيش»، مع استثناء مزعوم لنخيل «آل كريّع» بتدخل أو «لاعتراض شكر السهيان على ذلك بقوله: لا يمكن أن نقطع نخيل خوالي آل كريّع» (الشايع الكريّع (II)، ١٩٨٤: ٢٥٣ هامش ١). وفي ما يبدو للباحث فإن الإشارة، آنفة الذكر، إلى أن قطع النخيل كان من قبل متعب آل رشيد، تشير إلى ملابسات وأحداث صراع السراح/ السراح وتمرد أهل الجوف على سلطة «الرشيد» في عام ١٨٥٣م، ذلك أنه، وكما سنين لاحقاً في مناقشة التمرد وصراع السراح/ السراح، فإن متعب الرشيد لم يحكم إلا في ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩ م وقتله ابن اخيه بند بن طلال العبد الله الرشيد في عام ١٨٦٩م، وعلماً أن متعب الرشيد كان رفقة عبيد الرشيد في الحملة أيام حكم طلال الرشيد لإخماد تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨). كل ذلك يؤكد أن ما أشير له عن قطع نخيل «الحيزان» وآخرين في المعاقلة، كما في سكاكا وفي دومة الجندل، إنما هو يعود إلى عام ١٨٥٣م، وسابقاً للحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م. والإشارة إلى شكر السهيان واعتراضه بالنسبة لإستثناء نخيل الكريّع تبدو غير صحيحة، لأن شكر السهيان في ١٨٥٣م لم يصبح شيخاً على القرشة، إذ لا زال والده، آنذاك (١٨٥٣م)، كما سيتبيّن في مناقشات لاحقة، هو شيخ القرشة. نخلص إلى القول إن نفوذ كل من شكر السهيان وفلاح الشردان يتعاظم بعد الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م فصاعداً، وفي الغالب برغبة وتخطيط من الرشيد، على خلفية تداعيات كل من تمرد ١٨٥٣م بداية وما قيل عن تمرد و/ أو اصطفاف كبار أهل الجوف مع الحملة التركية (١٨٧٠م) و/ أو في أثنائها.

عليه نقول إن التوافق و/ أو التنسيق بين الرشيد وعبر عاملهم بالجوف جوهر بدعم طلبات المشيخات المحلية، من جهة، وبين شكر السهيان وفلاح الشردان من جهة أخرى، في سياق إبراز «الرشيد» لقيادات ونخب جديدة بالجوف، متعاونة معهم، وعلى حساب النخب والزعامات السابقة وغير المرغوب بها، هو الأكثر قرباً لتفسير ظهور وإخراج مشيخة فلاح الشردان. طبعاً بالنسبة لشكر السهيان نفسه، قد يكون له مصلحة (كسلطة وقوة ونفوذ ومكانة)، وهو أمر يمكن فهمه وتفهمه، في إضعاف المشيخة الكلية للمعاقلة والتي كانت تحت «الحيزان» بتقسيمها إلى قسمين ومنها القسم المتعلق بمشيخة فلاح الشردان. ينطبق الأمر لاحقاً بعد وفاة فلاح الشردان في حدود ١٨٩٦م، قبلها أو بعدها ببضع سنوات، على دعم شكر السهيان لمشيخة ذباح المويشير، كما أشرنا إلى ذلك في ما قاله محمد سليمان الشاعل في موضوع «هدية اللحمة»، حيث ستنقسم مشيخة الراشد بين المويشير وآل قايد، وتظهر كذلك مشيخة خليف الفالح، وكذلك مشيخة المظهور، في الشلهوب، وعلى حساب مشيخة الفياض في حدود الفترة عينها (منتصف العقد الأخير من القرن الناسع عشر الميلادي) نقصاناً أو زيادة ببضع سنوات.

ت ـ يلاحظ من خلال رواية سعد الطارف، كما هي رواية سليمان العودة الفلّاح إن صحت رواية الأخير، مكانة بارزة لشكر السهيان، حيث إن «جوهر»، في رواية سعد الطارف نزل عنده، ويبدو أن معظم أو كل المناقشات في موضوع فلاح الشردان وإشهار مشيخته على الراشد والدغيفق، أمام أهالي الجوف، إنما تمت عنده أو في مجلسه، وفي رواية سليمان العودة توسط، على ما يبدو شكر السهيان لـ «ابن شردان» عند وفي مجلس ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد). هذه النقطة (مكانة ابن سهيان) تهمّنا لاحقاً في ما يتعلق بالعلاقة بين القرشة والمعاقلة، وما له صلة بمسألة الحرب الأهلية في كلياتها. أما في ما يخص جوهر، فيبدو أن قدومه لسكاكا ونزوله عند ابن سهيان، في ما يتعلق بحل قضية مشيخة فلاح الشردان، إذا صحت رواية سعد الطارف أو قبلناها جزئياً (أي في بعض أجزائها)، إنما حدثت بعد تعيين جوهر نائباً لابن رشيد في الجوف، في أواخر ١٨٧٠ وبعد انكفاء الحملة التركية كلها، وليس في أثناء تواجدها وهم مسيطرون على الجوف ولا يمكن تصور وجود حاكم أو نائب حاكم لآخر غيرهم، وكذلك لأن جوهر كما ذكرنا مراراً لم يتم تعيينه منصوباً لابن رشيد إلا في نهاية ١٨٧٠م، كما تشير رواية القعيّد، وكما تشير رواية محلية أخرى (كما يرويها فهد المارك من حائل) عن تعيين «جوهر العنبر» على رأس سرية لحكم الجوف نيابة عن ابن رشيد، وكما لا يمر اسم جوهر، ولا ذكر لوجوده طوال وجود الحملة التركية على الجوف منذ قدومها وحتى مغادرتها نهائياً، كما في رواية محمود آغا كما سنرى ونناقشها، بعد الانتهاء من رواية ابن رشدان التالية:

(٣) **رواية سلمان بن رشدان** كما ينقلها عنه فهد المارك: في عنوان له تحت مسمى «فتكة فارس عربي أرهبت المعسكر التركي» يورد فهد المارك، في كتابه المعنوَن: **من شيم العرب ـ الجزء الثالث** ـ (المارك، فهد، أولاد المؤلف، ط ٣، ١٤٠٠هـ/ الموافق ١٩٨٠م) رواية عن الحملة التركية، كما ينقلها عن الراوي وشاهد القصة، سلمان ابن رشدان من حائل، ننقلها أولاً كما وردت ثم نعلق ونضع ملاحظاتنا عليها تالياً لها. يقول فهد المارك:

«... وقصتنا هذه حدثت عام ١٣٠٩هـ بالضبط لأنني رويتها عن المرحوم سلمان ابن رشدان الذي ورد اسمه في هذا الكتاب أكثر من مرة وكان الراوي شاهد عيان للحادثة التي جاءت كما يلي:... وفي التاريخ المشار إليه أعلاه أي عام ١٣٠٩هـ ضاق أهل الجوف ذرعاً بحاكم بلادهم أمير حائل محمد العبد الله، ولكنهم وجدوا أنفسهم أضعف من أن يتمردوا عليه ويتحدّوا قوته التي لا طاقة لهم بمقاومتها، فقدروا وفكروا في الأمر، فوجدوا أن خير وسيلة يتخلصون بها من أمير حائل هي أن يذهبوا للحكومة التركية ليطلبوا حمايتها، مفضلين حكم الأتراك من أن يكونوا تابعين لابن رشيد الذي وإن كان عربياً ومنهم وفيهم، ولكنه من أهل حائل، وبحكم النعرة الإقليمية والقبلية الضاربتين أطنابهما خاصة في ذلك العهد، يرى أهل الجوف أنهم عندما يكونون تحت الحكم التركي خير لهم من أن يكونوا تحت نفوذ محمد العبد الله الرشيد ولا سيما الحكومة التركية في ذلك الوقت كانت باسطة سلطانها على أغلبية البلاد العربية كسورية والعراق واليمن والحجاز والإحساء إلخ... ولا يحتاج الجوفيون إلى كثير من العناء عندما قرروا تنفيذ فكرتهم هذه، فكل ما في الأمر **هو أن ذهب نخبة من كبارهم إلى والي السلطان عبد الحميد في دمشق يطلبون حمايتهم من حاكمهم**... وطبيعة الحال تجعل السلطان التركي يلبّي هذا

الطلب بانشراح صدر وطيبة نفس. وعلى الفور بعث السلطان فيلقاً من عساكره بقيادة اللواء محمد سعيد باشا... وما أن بلغ الأمير ابن رشيد هذا النبأ حتى شعر أن إمارته مهددة بالاحتلال التركي بحكم قرب الجوف من عاصمة بلاده حائل، ولا عجب في ما إذا كان لهذا الخبر وقع في نفسه كوقوع الصاعقة... ولذلك لم يتأخر قطعياً من أن جهز جيشاً عرمرماً **وقد كان راوي القصة ابن رشدان ضمن أولئك الجنود** الذين قال هذا الراوي نفسه إن عدد الخيالة أي الفرسان يبلغ ألف فارس والعادة المتبعة هي أنه في حالة كهذه يبلغ عدد الفرسان مثل ذلك العدد فإن عدد الهجانة راكبي النجائب غالباً ما يكون ثلاثة أضعاف هذا العدد... لم يقصد محمد محاربة جيش الأتراك الذي عسكر في ربوع الجوف فهذا شيء لا يطيق احتماله، وبالتالي سوف يقوده إلى ما لا تحمد عقباه، وإنما أراد أن يستعمل مع القائد التركي ما استطاع من الحكمة والعقل، فإن أفاد معه هذا الأسلوب فبها، وإلا فسوف يستعمل معه حرب الأعصاب... سار الأمير بجيشه اللجب من حائل قاصداً الجوف في الحين الذي كان القائد التركي قد وصل الجوف وبنى خيام معسكره خارجاً عن البلد، وبعد بضعة أيام وصل الأمير محمد الجوف وبنى معسكره هو الآخر بقرب معسكر القائد التركي بعدما بعث إليه رسولاً من عنده يخبره بأنه لم يأت من أجل أن يحارب أهل الجوف الذين أصبحوا بعهدة وحماية السلطان وإنما جاء ليتفاهم مع القائد اللواء محمد سعيد ويطلب تعيين الزمان والمكان اللذين يعيِّنهما القائد للاجتماع... فكر القائد التركي في الأمر، بدون أن يتخذ قراره النهائي في الموضوع، ثم بعد ذلك بعث رسالة لسميّه العربي تتضمن كلمة موجزة سلبية خلاصتها (سوف ننظر في الأمر) ثم ذهب بعد ذلك يستعرض جنوده ويدربهم بقصد أن يقوم هو الآخر بحرب الأعصاب... فكأن المحمدين العربي والتركي يريد كل منهما أن يغلب صاحبه بحرب الأعصاب... كان الأمير يقوم أيضاً بالدور التمثيلي الذي يقوم به التركي، حث أمر فرسانه أن يقوموا بعرضة الفرسان... لقد كان منظر فرسان وهجانة ومشاة محمد العربي كافياً أن يدخل الرعب في قلب محمد التركي... لم يعد محمد العربي يطلب الاجتماع ثانية بل ترك الأمر بيد سميّه التركي، وهذا الأخير بعدما رأت عيناه منظر الاستعراض المهيب أصبح أشد حرصاً على الاجتماع من سميّه، الأمر الذي جعله يسرع بانتداب وفد من عنده مؤكداً به موافقته على الاجتماع... وما إن جاء الموعد المعين حتى جاء القائد التركي ممتطياً صهوة حصانه يصحبه فارس من جنوده، كما جاء الأمير العربي بصورة مماثلة، فدخل العربي من باب الخيمة الشرقي كما دخل التركي من بابها الغربي وكان القائد التركي يتقن العربية، فتبادلا التحية الروتينية، ويؤكد لنا الراوي سلمان ابن رشدان، الذي شاهد وقائع هذه المناورات ورافق الحادثة من بدايتها إلى نهايتها بأن زمام المبادرة قد أعطي للأمير الذي استهل حديثه مع القائد التركي بما معناه: ـ إن جيشه ليس إلا جزءاً لا يتجزأ من جيش السلطان خليفة المسلمين وأنه كأمير ملزم بتنفيذ أوامر الباب العالي ثم استطرد وقال: إن كل خلاف يقع بيننا يفرضه تحريض الرعاع كبعض رؤساء قبائل البادية[٥]، وأهل الجهلة فإنه سيؤدي إلى حرب خاسرة بالنسبة لك أنت بالذات لأنني على ثقة بأن جنودك لا قبل لهم برجالي الذين كل فارس منهم يتمنى لو يرى مني أدنى إشارة ليهجم بها على الجوف وليسحقوا أية قوة تقف أمامهم... ثم استطرد

(٥) يقصد، كما يعلق فهد المارك، بذلك بدوياً من رؤساء قبيلة بني صخر بادية الأردن حالياً يدعى قمعان كان من المشجعين لأهل الجوف بتمردهم وطلبهم حماية الدولة التركية... (المارك، ١٩٨٠، ج ٣: ١٣٦، هامش ١).

الأمير العربي بقوله: فوالله إنني لم آتِ من عندهم حتى أصدرت أوامري المشددة بأن لا يقوم أحدهم بأي عمل استفزازي لا من بعيد ولا من قريب.. قال هذه الكلمة محمد العربي ثم وجه سؤاله التالي إلى محمد التركي قائلاً: عسى أن يكون حضرة القائد أصدر أوامره إلى جنوده كما أصدرت أوامري بهذا الشأن؟... فتجاهل القائد التركي استفهام الأمير العربي فقال: لم أفهم ماذا تعني؟ «... (بعد أخذ ورد بينهما عن فحوى السؤال)...» فقال التركي: إن جنودي منظمون وليسوا بحاجة إلى شيء من ذلك... وقبل أن ينتهي القائد التركي من كلمته هذه انطلق فارس من معسكره، وراح متجهاً نحو المعسكر العربي هامزاً جواده بعنف ملوحاً ببندقيته، حتى إذا وصل الفرسان العرب أطلق عدة عيارات نارية من بندقيته، دون أن يصيب أحداً منهم ثم عاد مزهواً بما أبداه من شجاعة تحدى بها أربعين ألف مقاتل من شجعان العرب... كانت هذه العملية بمثابة خرق للهدنة... كان هجوم الفارس التركي استفزازاً صارخاً للفرسان العرب مما أثار ثائرتهم جميعاً فهاجوا وغضبوا وحاولوا أن يخرقوا الهدنة... ولكنهم تذكروا تعليمات أميرهم... في خضم تلك الأحداث المتضاربة وفي تلك اللحظة الحاسمة امتطى جواده الفاتك المشهور المغوار راضي بن جدي[٦]. وانقض على الفارس التركي كالسهم وبسرعة مذهلة لحق به وهو على مقربة من معسكره فضربه بحسامه ضربة قسمته نصفين من صلبه وما فوق فسقط على الأرض وما بقي ظل على صهوة فرسه... فدخلت جواده إلى معسكر الأتراك حاملة من فارسها رجليه اليمين والشمال المتشبثتين بالركاب، وما تبقى من جثمانه الذي لصق على سرج جواده وكان منظراً كافياً أن يدخل في معسكر الأتراك وقائدهم الذي شاهد الرواية والرعب والفزع أما الفتى ابن جدي بعدما قام بعمليته هذه الذي تحدى بها تعاليم أميره كما تحدى بها الفيلق التركي فقد عاد إلى معسكره غير مبالٍ بكل ما يتخذ نحوه من عقاب بعد أن أنقذ شرف قومه من الإهانة... بعد قيام ابن جدي بهذه الفتكة النادرة عاد محمد العربي إلى مواصلة الحديث بنفس قوية وإرادة فولاذية متظاهراً بأسفه على ما جرى من فارسه الذي اعتبره ردة فعل معاكس على ما قام به الفارس التركي... وبعد مشاهدته لمصرع جنديه الفارس الذي ربما كان أفرس ضباط فيلقه، بعد ذلك لم يسعه إلا ان يستسلم للأمر الواقع ويقبل بكل ما يمليه عليه سميه... كانت النتيجة هي أن طلب القائد التركي من الأمير العربي مدة محددة لكي تعطيه مجالاً يستر بها هزيمته أمام الرأي العام من ناحية، ومن ناحية أخرى يتمكن بها من أن يقوم بعملية حرب أعصاب لأهل الجوف الذين طلبوا من السلطان التركي أن يتولى حمايتهم... **وكانت العملية التي دبرها القائد التركي الداهية تجعل أهل الجوف يتنازلون مرغمين عن طلبهم الحماية التركية بطلب منهم وبوثيقة رسمية يقدمونها لكي تكون حجة عليهم وشاهدة له عند الباب العالي. وملخص هذه الحيلة التي أبرمها الباشا التركي هي أن فرض على كل رجل من أهل الجوف مبالغ باهظة ليدفعوها كضريبة مقابل حمايتهم، وكان التركي على يقين من العلم بأن أهل الجوف ليس لديهم القدرة المادية ما يمكنهم من دفع هذه الضريبة... وكانت خطته ترمي بأنه في حالة رفض أهل الجوف لدفع الضريبة عند ذلك يطلب منهم أن يقدموا وثيقة يوقعها جميع أعيانهم معلنين فيها تنازلهم عن طلب حماية الدولة التركية لهم... وقد نجح الباشا بخطته هذه وذلك أن**

(٦) كما وَرَدَ في تعليق المارك في الهامش؛ «راضي بن جدي من قبيلة شمر نجد ومن عشيرة عبده ومن فخذ يسمى بالمفضل، وأسرته تسمى بالجدي يقطنون شمال الجزيرة العربية...» (المارك، ١٩٨٠، ج ٣: ١٣٩، هامش ١).

أهل الجوف أبدوا سخطاً واستياء من طلب القائد التركي لهم بدفع الضريبة لعدة أمور: أولاً ـ إنهم لم يألفوا قط دفع الضرائب. ثانياً ـ أن وضعهم الاقتصادي أعجز من يخوِّلهم بدفع تلك المبالغ الباهظة التي لا طاقة لهم باحتمالها قطعياً فكانت النهاية أن أصرّوا بعدم دفعهم للضريبة المطلوبة منهم... ولما لم يجد أهل الجوف بداً من اختيار أهون الشرين فقد اختاروا أن يعودوا مكرهين إلى زعامة أميرهم القديم محمد العربي وأن يقدموا وثيقة بتوقيعهم جميعاً معلنين بها تنازلهم عن طلبهم السابق الرامي إلى رغبتهم بحماية الدولة التركية لهم، فاستلم الباشا التركي هذه الوثيقة، وقفل بفيلقه عائداً إلى بلاده... هذا وقد دخل الأمير محمد العربي الجوف بعد ما جلا عنها الباشا محمد التركي واختار الأمير محمد نخبة من رجاله ليكونوا سرية الجوف بقيادة جوهر العنبر وكان سلمان بن رشدان الذي روى لنا هذه القصة كشاهد عيان واحداً من بين تلك السرية...» (المارك، ١٩٨٠: ج ٣، ص ١٣٢ ـ ١٤١).

ملاحظات على رواية سلمان بن رشدان

١ ـ تتكلم رواية ابن رشدان عن أن قدوم الحملة التركية حدث في عام ١٣٠٩هـ، وهو ما يقابل ١٨٩١م، ولكن حيث إن هناك روايتين لاثنين من الرحالة، والتي سنأتي تالياً على ذكرهما، نقلاً عن من شارك فيها وهو محمود آغا، تجزم بأن الحملة التركية وقعت في الفترة ما بين ١٨٧٠ و١٨٧٢ وفي حدودها، كما أن الوثائق العثمانية الرسمية المأخوذة من السجلات الرسمية (العينات الخاصة بولايتي الحجاز واليمن، وولايتي سوريا وبيروت ـ في دار المحفوظات لرئاسة مجلس الوزراء في إسطنبول) تشير إلى مراسلات حول وضع الجوف والاستيلاء عليها وهي كلها مؤرخة في تواريخ تتروح ما بين ١٨٧٢ و١٨٧٣ عن تلك الوثائق العثمانية ذات الصلة بالجوف، وردت في؛ (السديري، ١٩٨٦: ٥٤ ـ ٦٧)، فإن ١٣٠٩هـ كتاريخ للحملة التركية غير صحيح على الإطلاق، وقد يكون خطأً من الذاكرة أو النقل أو لأي سبب كان. على أية حال سنرى ومن خلال رواية محمود آغا لكل من الرحالة «أويتنغ» والرحالة «داوتي»، كما سنرى تالياً، أن الحملة التركية على الجوف وقعت في شباط/ فبراير من عام ١٨٧٠م وكانت منتهية تماماً مع نهاية العام ذاته.

٢ ـ هناك مبالغات في تقدير قدرات وقوة ابن رشيد، وهذه النقطة يرد عليها الرحالة «تشارلز داوتي» كما يأتي تالياً.

٣ ـ ما يهمنا من رواية سلمان بن رشدان، إذا افترضنا صحة مضمونها العام بغض النظر عن الأخطاء هنا وهناك في الرواية، **هو التأكيد على دور لأهالي (كبار وأعيان الجوف) في قدوم الحملة التركية، وهذه النقطة تلتقي ورواية القعيّد، وكذلك جزئياً في رواية سعد الطارف والرواية المحلية الأخرى من دومة الجندل عن دور لبعض أهالي الجوف.**

٤ ـ نهاية الحملة التركية تتكلم عن تراجع أهل الجوف بتوقيع وثيقة بالتنازل عن طلب الحماية من الدولة التركية، بسبب ما قيل عن فرض ضريبة باهظة على أهالي الجوف الذين رفضوها، وبغض النظر هل مصدرها حيلة من الباشا عباس للتخلص من الالتزام بحماية الجوف، أم باقتراح من ابن رشيد للباشا محمد سعيد باشا كفكرة للإيقاع بينه وبين أهل الجوف وبالتالي رفض أهل الجوف الضريبة فالتنازل عن

طلب الحماية من الدولة التركية. على أية حال هذه النقطة بتوقيع أهل الجوف على وثيقة بالتنازل عن الحماية التركية بسبب الضريبة، تتفق ورواية القعيّد.

٥ ـ تتشابه رواية ابن رشدان مع رواية القعيّد من حيث إن جوهر تم تعيينه نائباً لحكم ابن رشيد على الجوف بعد مغادرة الحملة التركية، وليس أثناء وجودها، وفي خلاف مع رواية سعد الطارف عن مشيخة ابن شردان وعلاقة ذلك بدوره في الإتيان بالأتراك، وخاصة في ما يتعلق بوجود جوهر قبل وأثناء الحملة التركية على الجوف.

٦ ـ رغم أن ابن رشدان كان مع السرية التي قال إن على قيادتها جوهر العنبر، ودخلت بعد مغادرة الأتراك الجوف، ورغم أنه جلس لما يقرب من العام بعدها (المارك، ١٩٨٠: ج ٣: ص ١٤١ ـ ١٤٣)، لم تذكر رواية ابن رشدان أية إشارة عن سرية لابن رشيد بقيادة فهد العيادة بعد نهاية الحملة التركية بثلاثة أشهر، ولم تذكر أي شيء عن اقتياد وإعدام مجموعة من كبار أهل الجوف المتسببين في طلب الحماية التركية. ربما، لأي سبب من الأسباب، لا يريد فهد المارك أو أن ابن رشدان ذكر مثل هذه الإعدامات في حالة معرفتها و/ أو السماع عنها.

ب ـ في الروايات الخارجية

(١) **رواية محمود آغا للحملة التركية كما أوردها الرحالة** (أويتنغ، ١٨٨٣): رغم ما ذهبت إليه رواية القعيّد على دور لـ «كبار أهل الجوف» أو لرواية الطارف عن دور حصري «لفلاح الشردان» في جلب الأتراك للسيطرة على الجوف، إلا أن رواية محمود آغا، كما يرويها عنه الرحالة «جوليوس أويتنغ» في مذكراته عن رحلته للجوف ١٨٨٣م، تقدم على ما يبدو صورة مختلفة، بل أكثر وضوحاً ودقة، عن سبب الحملة التركية على الجوف وعن من ساهم بإقناع الأتراك للقيام بالحملة. يقول أويتنغ في سرد القصة، كما رواها عليه، خادمه المرافق، محمود آغا والذي كان مشاركاً أصلاً في الحملة التركية نفسها في حينها، يقول:

«وأود هنا أن أقدم القصة كاملة كما رواها محمود: في نهاية عام ١٨٦٩م أو بداية ١٨٧٠م، **أتى شيخ الرولة سطام بن شعلان،** إلى دمشق عند **صبحي باشا** و**محمد سعيد باشا** قائد قافلة حجاج مكة. وجلس يتناقش معهما وكان يعلم بعدم سيادة الدولة على هذه الأرض المثمرة والغنية بالماء، والتي تحتوي على العديد من القرى التي في نفس الوقت سوف تدفع الكثير من الضرائب (الميري). في ذهول استفسر الأتراك عن مكان هذه الأرض المجهولة عندهم، وعلموا أن هذه هي وادي السرحان، وكان بدو الرولة على استعداد أن يتوطنوا في هذه القرى، ويقوموا بدفع الضرائب. ولكي يتحقق لهم ذلك، كان لا بد للأتراك أن يستولوا أولاً على الجوف، التي كانت عملية سهلة ويمكن تحقيقها، والسيطرة عليها توفر لهم الحماية (حماية ظهورهم) من الخلف ضد جيرانهم البدو. لقيت هذه الفكرة قبول الأتراك وتم تخطيط هذه العملية في سرية تامة وصدرت الأوامر بالتحرك من دمشق. و**في نهاية شهر شباط/ فبراير ١٨٧٠م انطلق محمد سعيد باشا** بقواته من قلعة «معان» عند نهاية الجهة الجنوبية للبحر الميت. **كانت تتشكل هذه القوة من ٢٠٠ جندي خيالة، و٦٠ جندياً مترجلاً، و٨٠ رجّلا من العقيلات المسؤولين عن إعداد**

الطعام تحت قيادة الشيخ محمد الرواف، إضافة إلى مدفع صغير، وكان من المنتظر أن يقوم حسين بيك الشركسي زوج ابنة صبحي باشا في استنبول بتولي إدارة البلدة التي سوف يتم الاستيلاء عليها، (وحيث إن هذا الرجل لا يتكلم العربية فقد رافقه خادمنا محمود آغا للقيام بالترجمة). في نهاية فصل الشتاء، وبعد هطول مطر كثير استطاع الأتراك أن يعبروا الصحراء. **وبعد حوالي ٨ أيام وصلوا الجوف**، وبدأوا بالتعامل الحسن مع السكان. كانت مؤخرة القافلة تبعد مسافة نصف يوم في برج العبد، عندما تم احتلال منطقة مارد، وكذلك قصر خزام، وقاموا بتثبيت المدفع على هضبة مرتفعة ثم خلدوا إلى الانتظار، يراقبون فقط ما يحدث حولهم، ولا يبادرون بشيء. في اليوم التالي جاء العديد من النذر (المبشرين بالحرب) من طرف ابن رشيد من حائل، وصعدوا إلى سوق الدرع الموجود بالبلدة وكان على **رأسهم صالح بن رخيص**. وعندما سألهم صالح، ماذا يريدون هنا؟ أجاب الأتراك على هذا السؤال الساذج بقولهم لا شيء فقط أردنا أن نشاهد ما يحدث ويدور هنا في البلدة. وفي اليوم الثالث، أتى محمد ابن رشيد بنفسه ومعه حوالي ٨٠٠٠ رجل على ظهور الإبل، ومعه العديد من الخيالة. وعن طريق مملوك يدعى ابراهيم أرسل رسالة إلى الأتراك وكان ملخصها: وجوب مغادرة الأتراك للجوف فوراً. وبعدها بنصف ساعة تقريباً شن ابن رشيد هجوماً على الأتراك ولكنه لم يتمكن منهم، لأنهم كانوا قد احتلوا مناطق استراتيجية. بعدها وبالتحديد ما بين الظهر والعصر اقترح ابن رشيد إجراء المفاوضات. قبل الأتراك هذا العرض فوراً فجاء ابن رشيد ومعه ثلاثة مرافقين، ومن الأتراك كان الوفد يتكون من محمد سعيد باشا ومعه خورشيد آغا ودرويش آغا ومحمود آغا (وهو خادمنا الآن). انتهت المفاوضات بعد حوالي ربع ساعة، والتي أثناءها كان ابن رشيد يضحك بصوت عالٍ. بعد ختام المحادثات امتطى ابن رشيد ظهر جواده ومعه المرافقون واتجه عن طريق سكاكا إلى حائل. رحل محمد سعيد باشا ومعه ١٢٠ جندياً وكذلك العقيلات بعد حوالي ٧ أيام قضوها في الجوف إلى السلط في شرق الأردن، وترك حسين بيك الشركسي ومعه حوالي ٨٠ جندياً والعديد من المغاربة (الجزائريين) كقوة احتلال وقوات تمركز. بقيت هذه المجموعة الأخيرة بدون أي مضايقات. وتنقل القائمقام الجديد (الحاكم الجديد) من سكاكا إلى قارا والطوير لكي يشاهد بنفسه مناطق نفوذه وسلطانه الجديدة. **عندما بدأ الحاكم الجديد بجمع الضرائب على الغلال والملح بصورة غير عادلة، بدأت حالة من الغضب والسخرية تعم البلاد. وتصاعدت أيضاً حدة الاستنكار من هذه الضرائب. وتم التخطيط للتعامل مع الأتراك بطريقتهم حيث قام حسن بن درع بعمل وليمة كبيرة للأتراك، وكان من المخطط قتلهم** في هذه الوليمة، ولكنهم تمكنوا من الإفلات من هذه المصيدة، التي من بعدها قرروا عدم الخروج من معاقلهم مرة أخرى. جاءت رسالة عاجلة من محمد سعيد باشا، بالصمود بأي شكل من الأشكال حتى يصل ومعه جنود وقوة أخرى للمساندة، وكانت هذه الرسالة غير رسمية، ولكن كان عليها خاتم محمد سعيد باشا الشخصي. وفي الوقت نفسه، حاول ابن رشيد إعطاء حسين بيك الشركسي رشوة قدرها ١٠٠٠ ليرة تركية (١٨٥٠٠ مارك) مقابل انسحابه مع توفير جميع مستلزمات السفر، من جمال وغذاء وحماية حتى يصل بصرى في حوران. واعتقد أن سبب هذا الرفض هو الاعتداد بالنفس أكثر منه إحساساً بالواجب. استعد محمود للانسحاب، وعرض على القائمقام استياءه لتركه في هذه المحنة بدون أي مساعدة من قبل محمد سعيد باشا، وأن لا فائدة ترجى من البقاء هنا، والجنود يتضورون جوعاً والأعداء يحيطون بهم من كل جانب. في الشهر الرابع أعلن محمود بأنه لا يستطيع البقاء

أكثر من ذلك. وغادر البلدة في هدوء بصحبة شراري، وهو عواض الوطة. وفي اليوم الخامس لرحيلهم وصلوا معان. تماسك حسين الشركسي بعدها لمدة أربعة أشهر، ولكن لم يعد يمتلك أي طعام، ثم بدأ يندم بشدة على عدم تقبله العرض السابق لمغادرة البلدة. غادر حسين الجوف بعد ذلك مثل اللص، وهو يسب ويلعن، وفي نفس الوقت يشتكي من أنه قبل ٨ شهور كان يقود جيشه بكل فخر واعتزاز عند دخول البلدة. وقد ضغط عليه ابن رشيد لكي يتقبل ويستسلم للأمر الواقع، (...)» (جوليوس أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: عوض البادي، ٢٠٠٢: ٢٤١ ـ ٢٤٥). يواصل أويتنغ الكلام معلقاً على رواية محمود آغا، وفي محاولة للتثبت من روايته من مصادر و/ أو روايات محلية، بالقول: «إن هذه الادعاءات السابقة لمحمود تم تأكيدها والتصديق على صحة ما جاء فيها من قبل أحد الجوفيين. وعن تاريخ هذه الواقعة، قال هذا الجوفي إن هذا حدث في عام كانت تسوده مجاعة، في العام الثاني من تولي محمد ابن رشيد. وقال إنه عند وصول الأتراك، كان القمح ما يزال في بداية النمو (بداية آذار/ مارس) وعندما غادر محمود الجوف، كان التمر ما يزال أخضر على النخل (يوليو) وعند انسحاب الأتراك من الجوف، كان التمر قد نضج على النخل (تشرين الأول/ أكتوبر)» (جوليوس أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: عوض البادي، ٢٠٠٢: ٢٤٥).

ملاحظات على رواية محمود آغا كما ينقلها جوليوس أويتنغ:

بمقارنة رواية كل من سلمان القعيّد وسعد الطارف برواية محمود آغا التي سردها على جوليوس أويتنغ، نلاحظ ما يلي:

١ ـ أن من استقدم الأتراك، حسب رواية آغا هو سطام الشعلان، وليس هناك ذكر لكبار أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) كما تقول رواية القعيّد، أو لفلاح الشردان كما تقول به رواية سعد الطارف. ولكن يمكن مصالحة الروايات الثلاثة ببعض، إذا افترضنا، أن بعض كبار أهل الجوف، أو فلاح الشردان إن كان واحداً منهم أو لوحده، قد اتصلوا أولاً بالشعلان (سطام الشعلان) وقام الأخير بتبني الفكرة فاتصل بالأتراك في دمشق وأقنعهم بإرسال الحملة التركية للسيطرة على الجوف، وربما لمقدمات لإضعاف سيطرة ابن رشيد عليها، أو أن يكون ابن شعلان وكيلاً أو حاكماً لها تحت سيادة وموافقة الدولة التركية، وهو أمر قد يكون أقرب إلى الواقع لأن الشعلان لهم نفوذ، بدأ يتكون ويتشكل، على بادية الشام في تلك الفترة وخاصة ما بين قرى القريات وجنوب حوران (يعني شمال منطقة وادي السرحان وكامل الأراضي الأردنية الشرقية الحالية، وخاصة من وسطها وحتى شرقها)، ولذلك لا يمكن تصور أن يمر الأمر من دون علمهم أو التنسيق مهم. لذلك يمكن، ولو مؤقتاً، قبول فكرة إعدامات أهل الجوف، وواقعة المديرس على أنها وقعت بعد الحملة مباشرة (نهاية ١٨٧٠، أو بداية عام ١٨٧١م) عقاباً لمن تعاون مع الشعلان والتمرد معه على سيادة ابن رشيد. أما لماذا لم يعدم فلاح الشردان، وكان له دور حصري أو مع آخرين من كبار الجوف تم إعدامهم، فيبدو، كما لمحنا إلى ذلك قبل قليل، إن صحت رواية الطارف عن مشيخة ابن شردان ودور الأتراك فيها، أن ابن رشيد إنما غضب على أولئك الذين كانوا يريدون الإطاحة بحكم الرشيد (أي القيام بتمرد سواء من خلال دعوة الأتراك بشكل مباشر، أم بشكل غير مباشر عن طريق الشعلان، أو أنهم قاموا بالتمرد مع قدوم وتواجد الحملة التركية، بينما ابن شردان لا يبدو أنه هدف من

جلب الأتراك التمرد على حكم ابن رشيد للجوف، أو قد يكون تلقى دعم وحماية تركيا وتفاهم الأتراك مع ابن رشيد على عدم المساس به، رغم أن هذه الفرضية الأخيرة لا تبدو كبيرة الاحتمال، حيث إن تجربة الرشيد في الجوف، وخاصة في احتلالها ١٨٣٨م، حيث أعدم شخصيات ودمر أحياء كاملة وأحرق بساتين وقطع نخيلها وتركها خراباً لعقود، وكذلك ما أعقب تمرد ١٨٥٣م، لا تشي بمثل هذا الاحتمال أو التسامح، وإن كانت لا تنفيه بالمطلق. الاحتمال الأكثر ترجيحاً في ما يخص رواية سعد الطارف عن مشيخة ابن شردان وصِلة ذلك بالحملة التركية، سبق أن أشرنا إليه في حينه بعد عرض رواية سعد الطارف عن الموضوع، ورجحنا أن هناك اضطراباً في الرواية، ولكن على ضوء ثبوت وحقيقة مشيخة ابن شردان على الراشد والدغيفق وأن لا جدال حول حدوثها، حاولنا أن نجد تفسيراً للاضطراب، وعليه يمكن الرجوع لها في ما تقدم أعلاه، وحيث الأمر كذلك فلا جاجة هنا لتكرار النقاش.

٢ ـ مع ذلك رواية آغا لا تتكلم عن سطام الشعلان، إلا في ما يخص أنه اتصل بالأتراك في دمشق وأقنعهم بإرسال الحملة التركية على الجوف، علماً أن الوثائق العثمانية ودفتر عينات المراسلات حول مستقبل الجوف الإداري كانت تتكلم عن تكريم شخص من الشعلان، باسم «هزار» الشعلان، على أنه هو الذي ساعد الأتراك في استخلاص قطعة الجوف... من أيدي ابن الرشيد (السديري، ١٩٨٦: ٥٠) في ١٨٧٠م، وعلماً أن الصحيح كما يبدو لنا أن هزار الشعلان، المشار له آنفا، هو «هزاع الشعلان». طبعاً يمكن المصالحة بين الشخصين على أساس أن شيخ الرولة آنذاك، بعد مقتل فيصل الشعلان في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م هو «هزاع الشعلان» والد «النوري» (الشايع الكريّع (II)، ١٩٨٤: ١٦١ ـ ١٦٢)، وإن سطام الشعلان، هو رسول الشيخ/ هزاع للأتراك في دمشق في موضوع إقناعهم باستخلاص الجوف من الرشيد. على أية حال، فيما عدا إشارة محمود آغا إلى قدوم «سطام الشعلان» لإقناع الأتراك في موضوع الجوف، فلا أثر للكلام عن الشعلان، بعد ذلك، ولا عن ثورة و/ أو تمرد لأهالي الجوف ضد ابن رشيد، ولا مشاركة لهم في القتال مع الأتراك في المعركة التي وقعت بين الطرفين (الأتراك وابن رشيد في منطقة جاوى كما تذهب رواية القعيّد).

على العكس تشير رواية آغا إلى غضب وتذمر الأهالي (الجوف وبالذات في دومة الجندل) على الأتراك عندما بدأوا بفرض وجمع الضرائب، وهو ما تذهب إليه رواية القعيّد، على أنها حيلة من ابن رشيد أقنع بها الأتراك، حسب الاتفاق بينهما، للإيقاع بينهم وبين أهل الجوف. فوق هذا تشير رواية آغا، إلى أن «حسن الدرع» حاول قتل الأتراك عن طريق وليمة أعدها لهم ولكنهم فلتوا من المؤامرة. وإذا كانت رواية محمود آغا لم تتكلم عن إعدامات، لأن محمود آغا غادر أصلاً قبل نهاية الحملة التركية بحوالي أربعة أشهر (غادر تقريباً في أيار/ مايو أو حزيران/ يونيو ١٨٧٠م)، وهو لا يعلم ماذا حدث بعد مغادرته الجوف، فإن الرحالة أويتنغ نفسه والذي يروي رواية محمود آغا، وهو وآغا بالجوف في ١٨٨٣م، وقد سأل أويتنغ الجوفيين، أو أحدهم كما قال، عن قصة الحملة التركية، فإنه لم يذكر أية معلومات عن إعدامات أعقبتها، علماً أنه أشار إلى إعدامات عام ١٨٥٣م (أو بقول آخر ١٨٥٥م)على إثر التمرد الذي وقع آنذاك، وذكر أن طلال الرشيد، وبواسطة عمه عبيد الرشيد، قام «في عام ١٨٥٥ (وفي رواية أخرى عام ١٨٥٣م) ومعه مدافع إلى هناك فقصف الأسوار، والمنازل، وقطع رؤوس ٨٥ شخصاً ممن كانوا

متمردين أو حتى فقط ممن يشتبه بهم... إلخ» (جوليوس أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١ ـ ١٩٢).

٣ ـ مع ذلك رواية محمود آغا، إذا افترضنا صحتها، تتكلم عن قوة من ٢٠٠ جندي، و٦٠ خيالاً، بينما رواية الطارف وفلاح الشردان تتكلم عن قوة صغيرة جداً (سبع خيالة وجعل عليهم مسؤول (كبير) وأعطه راويتين لنقل الماء. وكذلك مدفع).

٤ ـ لا تتكلم رواية سعد الطارف عن حرب أو مفاوضات ما بين الأتراك وابن رشيد. بل لا تشير رواية الطارف إلى قدوم ابن رشيد وقوة له، بينما رواية آغا، تقول إن ابن رشيد أتى بنفسه وبقوة تقرب من ٨٠٠٠ رجل ـ لمقاومة وقتال الأتراك، وهو ما حصل، وإن دون انتصار من قبل الرشيد ـ وهذه كما تقول بها رواية آغا، وكذلك كما تقول بها رواية القعيّد.

٥ ـ لا تذكر رواية آغا هنا، في فترة الحملة التركية، أي وجود لنائب حاكم لابن رشيد، وخاصة لشخص اسمه جوهر، بينما رواية الطارف تتكلم عن أنه مع قدوم الأتراك مع ابن شردان للجوف (دومة الجندل) كان هناك «جوهر»، وأن هذا الأخير أرسل إلى ابن رشيد في موضوع الأتراك وأن الذي أتى بهم هو فلاح الشردان ـ ثم أن جوهر بناء على تعليمات ابن رشيد ذهب إلى سكاكا، ونزل عند السهيان، ثم جرى إشهار مشيخة فلاح الشردان، وبعدها كان على ابن شردان وحسب التفاهم مع ابن رشيد عن طريق جوهر، أن يعمل على إعادة الأتراك وارجاعهم من حيث أتوا، وهذا ما تم حسب رواية سعد الطارف عن مشيخة فلاح الشردان وعلاقتها بالأتراك، وأنه أي فلاح الشردان هو الذي أتى بهم أصلاً وليس أحداً غيره.

(٢) رواية موسيل، ١٩٢٧ (A.Musil, 1927)**، وكذلك ج. لوريمر، ١٩٠٨** (J. Lorimer, 1908)**، كما تنقلها عنهم مضاوي الرشيد**: نقلاً عن كل من: موسيل (A. Musil, 1927: 242)، وكذلك (ج. لوريمر، ١٩٠٨: ١١١١ الجزء الأول ب) تشير مضاوي الرشيد إلى الحملة العسكرية التركية على الجوف، وأنها تمت من قبل الحكومة العثمانية، إذ استغلت الصراعات على السلطة في حائل، وشجعت شيخ الرولة (سطام الشعلان) على غزو الجوف، وهي تشير إلى أنها وإن تمت فإنها في النهاية فشلت. تقول:

«كانت الحملة العسكرية ضد واحة الجوف شمال غرب جبل شمر مؤشراً إلى النيات العثمانية. وكان طلال بن رشيد قد احتل الواحة في عام ١٨٥٣/ ومنذ احتلالها أخذ سكان الواحة يدفعون الإتاوة لأمراء حائل. ولكن في عام ١٨٧٠ استغلت الحكومة العثمانية ما حدث في حائل من اضطرابات حول الخلافة على منصب الأمير وشجعت شيخ قبيلة الرولة، سطام بن شعلان، على غزو الواحة بمساعدة والي دمشق وبعض القوات التركية...» وتواصل مضاوي الرشيد القول حول فشل الحملة، بالإشارة إلى شروط الاتفاق بين الأتراك وبين ابن رشيد، نقلاً عن ملف سجلات مكتب الهند (IOR): (Indian Office Record (IOR), Précis of Najd Affairs -1804-1904-L/P&S/20C238, p. 17) بالقول: «فشلت الحملة في انتزاع الواحة من سيطرة ابن رشيد وتم التوصل معه إلى اتفاق على السماح لمسؤول تركي مع ٨٠ جندياً باللقاء هناك. واستمر ابن رشيد في أخذ الإتاوة من سكان الواحة موافقاً في الوقت نفسه على دفع ١٥٠٠ مجيدي تركي إلى الحكومة العثمانية مقابل خضوع الواحة له. وكان هذا المبلغ إشارة رمزية إلى إذعانه الاسمي» (مضاوي الرشيد، ١٩٩٨: ٢١٩، ص ٢٩١، هامش ٥ من فصل ٨).

ما يهمنا من رواية موسيل ولوريمر، عن الحملة التركية كما نقلتها مضاوي الرشيد آنفة الذكر، أنها تتشابه مع ما ورد من رواية محمود آغا السابقة، سواء ما تعلق منها بنهايات الحملة وفشلها وعودة السيطرة لابن رشيد على الجوف، أو بدرجة أهم من حيث الإشارة إلى دور، إلى سطام الشعلان، وإن بتحريض من الأتراك كما تقول مضاوي الرشيد، وبالتالي خلوها من ذكر أي إشارة لدور ما لأهالي الجوف بقدوم الحملة التركية.

(٣) رواية محمود آغا، (ومحمد علي) كما أوردها الرحالة (تشارلز داوتي، ١٨٧٦): الرواية عن الحملة التركية على الجوف التي نقلها الرحالة جوليوس أويتنغ في ما كتبه عن رحلته للجوف عام ١٨٨٣، عن محمود آغا، تتشابه إلى حد ما مع أورده الرحالة «تشارلز داوتي» (Charles Doughty)، والذي زار حائل في عام ١٨٧٦م، عن الحملة التركية نفسها وعلى لسان محمود (آغا) نفسه وكذلك شخص آخر يدعى «محمد علي» (Mohammed Aly). رغم أن رواية محمود آغا لـ «تشارلز داوتي» سابقة لروايته لجوليوس أويتنغ بسبع سنوات تقريباً، إلا أننا أجلنا عرض ومناقشة ما نقله تشارلز داوتي عن الحملة التركية إلى الأخير لأسباب تتعلق بأن عرض تشارلز داوتي عن الحملة تضمن معلومات إضافية متصلة عن نهاية الحملة التركية لم يذكرها آغا لـ «أويتنغ»، وكذلك لأن هناك شخصاً آخر، إضافة إلى آغا، هو محمد علي نقل عنه تشارلز داوتي تفاصيل الحملة التركية، فضلاً عن معلومات تتعلق بالمغاربة من العناصر المشاركة في الحملة التركية على الجوف.

يقول تشارلز داوتي عن الحملة التركية على الجوف إنها حدثت في ١٨٧٢ أو في حدودها، ولكنه يتكلم عن تفاصيل مختلفة بعض الشيء عمّا أورده محمود آغا في روايته لـ «أويتنغ ١٨٨٣»، من حيث عدد قوات الحملة وقوات ابن رشيد لمواجهتها، وهو يرى أن بعض الأرقام التي أعطيت مضخمة، كما هي في التصورات (التقديرات) العربية، وقد لا تكون صحيحة وخاصة ما تعلق الأمر بقوة أو بعدد رجال ابن رشيد الذين قدموا معه لمقاومة القوة التركيه وسعيد باشا، مقارنة بالقوة التركية. يؤكد تشارلز داوتي على حقيقة تقدير القوة التركية وهي، كما يرى ويقدر، هائلة في مقابل قوة ضعيفة لابن رشيد، وإن تم تضخيمها من قبل البعض (العرب). فوق هذا وذاك يعطي تشارلز داوتي تعليلات مختلفة لنهاية الحملة التركية ودوراً حاسماً لمجموعة لعناصر المغربية فيها، والتي في استيائها من الجنود الأتراك والسوريين وسوء حالهم واهمالهم، انشقت على الدولة التركية ولصالح ابن رشيد.

الرواية التي نقلها تشالز داوتي، عن الحملة التركية على الجوف ونهايتها تتضمن التالي(علماً أن ترجمة النص من الإنجليزية هي من الباحث، وكذلك ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح):

«... حكاية الجوف ((يقصد قصة الاستيلاء على الجوف)) تساعدنا في تقديرنا لقيمة القوة العددية المجردة بالتصورات عربياً، مقارنة بقوات الأتراك تحت القيادة التركية، والمسلحة بالبنادق. في عام ١٨٧٢م أو في حدودها، أرسلت بعثة ((حملة)) من قبل حكومة سوريا ((الأتراك آنذاك يريدون مد سيادتهم للجزيرة العربية))، لإخضاع الجوف، والتي هي خمسين عقدة إلى الشرق من طريق الحج، لطاعة السلطان ((يقصد العثماني)). تجمعت القوة الصغيرة في معسكر «معان». محمود (Mahmud) ((ويبدو أنه يقصد محمود آغا))، والذي ذهب معهم، قال لي إنهم كانوا سبعين من الجنود غير النظاميين،

والباقي طاقم متنوع للخدمة من الرجال بسلاحهم؛ كان من بينهم أولئك المغاربة الذين تم في دمشق استئجارهم للذهاب في الحملة. محمد علي ((Mohammed Aly))، والذي ركب مع الباشا ((يقصد محمد سعيد باشا)) أعطاني أعدادهم ولكن بأكثر من الحقيقة ((يقصد إنه يغالي بالأرقام)): القوات مائتان، والشرطة العسكرية (الزبطية) مائة، بالاضافة لخمسين من قدماء خدمة الحج. الباشا الكردي، محمد سعيد، قادهم. عشرة أشواط ((مراحل)) هي المسافة للجوف من معان وعلى الجمال المحمّلة. عناية كبيرة حظيت بها قرب الماء لتوفيرها، حيث قلة المياه يمكن الحصول عليها في الطريق. «لكن مع انطلاقنا، برحمة الله، كما قال محمود، نزل المطر بغزارة، فكان بإمكاننا شرب الماء من المستنقعات حيثما مشينا يومياً». في الليلة التاسعة، وقبيل الجوف بثلاث أو أربعة عقد من الجوف، أوقف الباشا جنوده، وأمرهم بإضرام النيران في السهل ((نيران ـ المراقبة لجذب الانتباه)). من مواقعهم وأبراجهم في القرية ((يقصد الجوف والجوفيين)) شاهدوا الضوء في السماء وكما لو أن كل البرية احترقت. في البداية بعض من الشرارات قدموا ـ ـ وهم بدو ذو ميل أو علاقة ودية مع الدولة ((العثمانية))، وبذلك القدر الموازي الذي أنفسهم يعتقدون أنهم مظلومون من ((استبداد)) ابن رشيد. في تلك الليلة، لم يمض وقتا طويلا حتى قام أولئك ((الشرارات)) بنقل تلك الأعاجيب والمعجزات في الجوف عن جيش السلطان العظيم من العسكر! كانوا يقولون، وهم متمددون، مررنا ((هناك))؛ أنهم لن يقلوا عن خمسين ألف رجل، لقد رأيناهم، والله عشرين أو أربعين حول كل نار: بعضهم يدق الطبول، آخرون يرقصون؛ ومرافقيهم أعداد لا تحصى؛ يمكن أن تمشي لمدة أربع ساعات بين نيران معسكرهم! إن ما يساعد، يا أهل الجوف، أن ابن رشيد هو هناك ((أي بعيد))!. الشيوخ ((يبدو يقصد كبار أهل الجوف)) ذهبوا هناك ((أي إلى مخيّم الباشا خارج الجوف حيث مكان النيران))، وسلموا المفاتيح بنفس الليلة، واستسلموا بانفسهم للباشا، والذي في الصباح احتل المكان ((الجوف)) سلمياً ((بدون قتال)) (Doughty, vol. 2, 1921: 47-50). عندما وصلت الأخبار «الأمير» في حايل، على أن قريته الطيبة في الشمال أُنتُزعت من قبل الدولة ((يقصد العثمانية))، قام ابن رشيد ببعث رسالة مكتوبة هكذا إلى الباشا العثماني: «كما قد دخلت الجوف دون قتال، فعليك بنفس الطريقة مغادرتها مرة أخرى؛ وإلا فإنني قادم لإخراجك». من حايل، امتطى ابن رشيد، هو و«رجاجيله» والقرويين، النفود على الجمال: تبعه جمع غفير من البدو، الكل عشرة آلاف، بقول محمد علي، ولكن حقيقة الأمر، ربما لا يتجاوزون الألف ـ على الأكثر ((وهذه وجهة نظر «تشارلز داوتي» نفسه اعتقاداً منه أن هناك تضخيماً ومبالغة في التقديرات)). كان هناك مدفع قديم في الأبراج (الحصون): لكن الباشا سدد ضد الأعراب مدفعاً فولاذياً إنجليزي الصنع كان قد حمل على ظهر بغل في الحملة. أول قذيفة، ومن مسافة عجيبة، ضربت أعرابياً راكباً في الوسط، والذي وإن لم يكترث إلا أن أرجله الملطخة بالدماء كانت عالقة على الشداد. على وقع ذلك المشهد أخذت قلوب الأعراب ترتعش ـ الطاعون الأسود ((يقصد الموت)) الذي أنفسهم ظنوا أنهم آمنين منه، أصبح هنا بينهم! ورغم أن رصاص الدولة كان يتساقط عليهم من مسافة عنهم، إلا أنهم مع ذلك واصلوا الهجوم. بينما كان محمود ومعه سبعين، وفي حماية للبوابات، وببنادقهم الصغيرة، اتخذوا مواقف مقاومة لهم، كان الآخرون يصدون المهاجمين بنيران بنادقهم قديمة الطراز (بنادق المشاة ـ ـ المسكيتات). عندما أدرك ابن رشيد أن «رجاجيله» ومدى قوة بدوه لن تفيده، وأن أعداءه محصنون وراء الأسوار، وأن هذه

البداية ضده كانت بالأساس من قبل الدولة ((العثمانية))، قام بدعوة الباشا للتفاوض: وحيث وثق به على أنه «تركي معقول»، جشع طماع يمكن إقناعه بالمال ((البقشيش والرشوة)). تقابلوا، وكما يقول المثل العربي، «فهم كل منهم الآخر». قال محمد ابن رشيد:» إذا أعطيك الجوف» ـ محمد سعيد ((أجاب)): «نحن في الجوف»؛ وإن شاء الله ربما نزحف لننتزع حايل.» في النهاية اتفقوا على أن تبقى الجوف للأمير ((ابن رشيد))، ولكن بتبيعة وأتاوة مدفوعة للدولة؛ وافق ابن رشيد بأن يدفع سنوياً، مقابل الجوف، مبلغ ١٥٠٠ ريال مجيدي إلى الدولة في دمشق؛ وكذلك بقاء قائمقام ((ممثلاً للدولة)) فيها مع حماية عسكرية سورية. وحيث نظر كل من هذين الرجلين المسؤولين لبعضهم البعض نظرة إعجاب، فقد بقيا، كذلك، صديقين طوال حياتهما» (Doughty, vol. 2, 1921: 48-50).

أما عن نهاية الحملة التركية، فيقدم **تشارلز داوتي،** تفصيلاً آخر مختلف بعض الشيء عن ما قدمه محمود آغا للرحالة أويتنغ. يقول تشارلز عن ذلك ((علماً أن الترجمة وما بين قوسين مزدوجين من الباحث)):

«من بين الغرباء في حائل آنذاك (يقصد وقت قدومه ١٨٧٦م) والذين عاشوا على أجور ابن رشيد، كان هنا عدد من المغاربة. كان هؤلاء المغاربة، ضمن الحملة من سوريا ((للدولة العثمانية)) لانتزاع الجوف. بعد مغادرة الباشا للجوف كان قد عهد لهم واحد من الحصنين، وهو «حصن مارد»، بينما الآخر ((ربما يقصد قصر خزام)) عهد به لمجموعة قليلة من العسكر السوريين ـ هؤلاء أبقوا في الحماية العسكرية للقائمقام، أو مقيم الدولة ((العثمانية)). غير أنه ومع مرور الوقت، ومع عدم استلامهم مرتباتهم، فإن هؤلاء الرجال من الغرب ((يقصد المغاربة)) العنيدين والغاضبين قالوا بازدراء، «إنهم سيدعون ابن رشيد للقدوم»! وبنفس الوقت بدأوا يهاجمون العسكر السوريين، والذين ـ ورغم كونهم في نفس الحال ((يقصد من الضجر والملل))، إلا أنهم على أية حال قد يعودون إلى وطنهم ((يقصد سوريا وأنهم قريبون منها)) ـ فقد وقفوا مع السلطان ضدهم ((أي ضد المغاربة)). ولكن المغاربة كانت لهم اليد الطولى، وعندما وصل خبر هذا التحوّل لحائل على عجل، عاد الأمير (يقصد ابن رشيد) برجاله المسلحين، وأعاد احتلال المكان ((الجوف)) وهو ما كان فقده كارهاً بشدة قبل برهة. المغاربة، وهم خمسة عشر، تم نقلهم إلى حايل، حيث أصبحوا من ضمن الخدمة العسكرية للأمير. أحدهم، والذي كان صعب عليه الركوب لضخامته، تم جعله حاجباً عند بوابة قلعة الأمير، حيث ليس باستطاعة رجل أي كان أن يمر منها دون موافقة هذا المغربي. أحياناً، وعندما يكون الشيوخ ((يقصد أمراء الرشيد)) غائبون ((أي خارج حايل))، يترك المغاربة بسلاحهم في حائل، وفي الليل يبيتون داخل القصر، خوفاً من أية تفجرات من بدو ـ البرية ((المتوحشين))، والذين قد سمعوا أعاجيب ((قصص)) تم تداولها عن خزائن وأموال ابن رشيد: وإذ ليس هناك سلام بين الأعراب ((سلالة إسماعيل))، فإنه لا ضمانات حتى في عاصمة الأمير ((ابن رشيد))» (Doughty, vol. 2, 1921: 47-48).

ملاحظات حول رواية محمود آغا عن الحملة التركية كما ينقلها تشارلز داوتي (١٨٧٦م)

١ ـ في رواية آغا لتشارلز داوتي، لم يحدد من الذي طلب قدوم الأتراك (الحملة التركية) للجوف، بينما روايته للرحالة أويتنغ ذكر «سطام الشعلان». وبالمقارنة مع بعض الوثائق العثمانية، كما وردت في

كتاب عبد الرحمن السديري (السديري، ١٩٨٦: ٥٠ ـ ٦٧)، وخاصة ما ورد في وثيقة مترجمة ((دفتر العينات رقم ٩٥ ـ في ١١ ربيع الأول لسنة ١٢٨٩هـ الموافق ١٩ ـ ٥ ـ ١٨٧٢م))، وكما أشرنا لها في ما تقدم، هناك إشارة إلى شخص من الشعلان يدعى هزار الشعلان! ـ ((هكذا ورد اسمه في ترجمة الوثيقة في كتاب السديري آنف الذكر ـ الباحث)) ـ أشير إليه على أنه من ساعد الأتراك «باستخلاص قطعة الجوف... من أيدي ابن رشيد...» ولذلك تم الأمر بالإنعام عليه بوسام «نيشان مجيدي من الدرجة الثالثة ومنحه سيفاً بقيمة ألف أو ألفي غرش على أن يشترى ويقدم له هناك...» (السديري، ١٩٨٦: ٥٠ و٦٥). يبدو أن «هزار الشعلان» في حقيقة الأمر هو «هزاع الشعلان»، والذي هو والد «النوري» وهذا هو الأكثر احتمالاً، لأن حرف العين في آخر الاسم «هزاع» كتبت ربما بالهمزة، ثم هذه الأخيرة على ما يبدو فهمت وقرئت وتحرفت على أنها الراء.

٢ ـ في رواية آغا لتشارلز داوتي، وردت إشارة مهمة وهي قدوم كبار «شيوخ» الجوف إلى معسكر محمد سعيد باشا، المتركز قبل الجوف (دومة الجندل بثلاث أو أربع عقد (حوالي ١٥ ـ ٢٠كم)، وأنهم سلموا مفاتيح الجوف (دومة الجندل) لـ: عباس باشا. **هذه النقطة مهمة جداً لأنها تشير إلى دور لأهالي الجوف في الحملة التركية، ليس من خلال الذهاب إلى دمشق وطلب الحماية من هناك، كما تذهب معظم الروايات التي مررنا على ذكرها، وإنما بذهاب كبارهم إلى حيث معسكر ومخيم عباس باشا والقوة التركية عندما اقتربت جداً من الجوف (دومة الجندل) وقبل دخولها فعلياً والسيطرة عليه، وقيام كبار الجوف بتسليم مفاتيح الجوف لقائد الحملة التركية وهو لا زال في مخيمه ومعسكره خارج الجوف.** وهذا يعني أنهم لم يقاوموا القوة التركية، وربما هذه الحركة من أهالي الجوف أو كبارهم هي ما أغضب ابن رشيد عليهم لأنهم سلَّموا بدون علمه وموافقته، ولذلك أقدم على إعدامهم، إن صحت رواية القعيّد والآخرين عن الإعدامات لكبار الجوف بعد انسحاب القوة التركية منها. **وهذه النقطة إن صحت قد تؤكد أن واقعة المديرس قد حدثت فعلاً بعد الحملة التركية مباشرة (أي في أواخر ١٨٧٠ أو أوائل ١٨٧١م)، وأنها إنما أتت انتقاماً من بعض أهالي الجوف لتسليمهم الجوف، دون علم أو إذن ابن رشيد، أو لتمرد صاحب وجود القوة التركية.**

٣ ـ يلاحظ أن تشارلز داوتي ذكر، مستقياً ذلك من وجوده في حائل أثناء زيارته لها ١٨٧٦م، وليس عن طريق محمود آغا، أن سبب نهاية الحملة التركية، كوجود مادي، هو ليس فقط بسبب الاتفاق بن عباس باشا وابن رشيد ومسألة استياء الحامية التركية عموماً ورئيسها الشركسي خصوصاً بسبب الأحوال المعيشية، وإنما بشكل رئيس بسبب ثورة وغضب العناصر المغربية (الجزائرية) في ما تبقى من الحملة أو الحامية التركية من العناصر التركية، ومن العناصر السورية في ما تبقى من الحماية التركية بالجوف. إنهم العناصر المغربية، في غضبهم وثورتهم على من تبقى من الحامية وعناصرها التركية والسورية، هم من قاموا بالتمرد على الحماية التركية المتبقية، وانشقوا عليها.. واتصلوا وطلبوا قدوم ابن رشيد للجوف والسيطرة عليها مجدداً، وهو ما تم سريعاً بعد تلك الحركة والتمرد من المغاربة. لذلك ربما يكون ابن رشيد بعد قدومه بنفسه للمرة الثانية في ١٨٧٠م (ربما في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر أو أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر من السنة نفسها) وتنصيب جوهر العنبر كما يروي فهد المارك عن ابن رشدان، أو بإرساله

حملة أو سرية بقيادة فهاد العيادة، كما يروي القعيّد، وكذلك كما في إشارات لتلك السرية في رواية خلف الشافي عن ملابسات وتداعيات واقعة المديرس فيما سنأتي لاحقاً عليها (السويلم، خلف الشافي ـ مقابلة (II) في: ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٥)، قد انتقم بالفعل من بعض كبار أهالي الجوف المتورطين في عملية تسهيل فتح الجوف (تسليم المفاتيح) و/ أو التعاون مع الأتراك والتعاطف معهم أو التمرد أثناء تواجدهم على ابن رشيد، بإعدام معظمهم وسجن من تبقى منهم في حائل.

٤ ـ مع ذلك لم يذكر تشارلز داوتي أية إشارة لإعدامات تمت على إثر استعادة ابن رشيد السيطرة على الجوف في أواخر ١٨٧٠م أو بعدها، رغم أنه كان في حائل عام ١٨٧٦م وهي مدة قصيرة وقريبة زمنياً من واقعة ونهاية الحملة التركية، ولا يمكن أن تمر دون ذكر الإعدامات والاعتقالات المصاحبة لو أنها حدثت بالفعل، علماً أن الرحالة الليدي بلنت في رحلتها للجوف ١٨٧٩ أشارت إلى الحملة التركية (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٢٨)، وكذلك جوليوس أويتنغ هو الآخر، كما أشرنا سابقاً، في رحلته عام ١٨٨٣ وقد روى عن محمود آغا نفسه وتحدث مع جوفيين عنها، لكن لم تذكر لا بلنت ولا أويتنغ أية إعدامات على إثر تلك الحملة التركية.

٣ ـ واقعة المديرس (١٨٧٠ ـ ١٨٧١م) وصِلتها بالحرب الأهلية بالجوف

بناء على ما تقدم وما سيأتي من مناقشات، وبالذات ما تعلق منها بملابسات واقعة صراع السراح/ السراح وتمرد ١٨٥٣م، نميل إلى القول ونرجح أن واقعة المديرس قد وقعت في أعقاب الحملة التركية، أي بنهاية ١٨٧٠ أو أوائل ١٨٧١م. طبعاً ما يهمنا من كل هذا النقاش المطوّل أعلاه، بعد تحديد سنة الواقعة ذاتها، وهذا مهم بذاته للتسلسل الزمني لأحداث وقائع الحرب الأهلية وتوالي تراكمها، هو، وكما أشرنا إليه سابقاً في أكثر من مكان متصل، يرتبط بمدى تداخلات وتداعيات تلك الواقعة بمسألة الحرب الأهلية بالجوف، وتراكماتها من حساسيات سيكون لها ما بعدها من تداعيات في واقعات لاحقة مؤلمة، ستتكامل حلقاتها مع بعضها البعض لتؤسس لنا صورة كلية للحرب الأهلية في الجوف.

أشرنا، طبقاً لبعض الروايات، ومنها رواية القعيّد والطارف، أن واقعة المديرس شملت ضمن أشياء أخرى، قيام ابن رشيد باعتقال فإعدام عشرات الأشخاص من الجوف (من دومة ومن سكاكا) انتقاماً منهم على ما يبدو من أدوار ذات صلة بالحملة والقوة التركية على الجوف ١٨٧٠م (المساهمة في إدخالها أو تسهيل مهمتها أو تسليم مفاتيح الجوف أو التعاطف معها، أو المناهضة لابن رشيد أثناء تواجدها أو في أواخرها، أو بعيد مغادرتها.... إلخ). رواية سعد الطارف عن واقعة المديرس هي ربما، وباستثناء رواية خلف الشافي عن اعتقال وقتل الوردي والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً، الرواية الوحيدة من بين الروايات الأخرى التي أشارت إلى إعدامات في المديرس التي استطعنا منها الحصول على أسماء محددة وحقيقية من بعض من أعدموا في المديرس، وقد تم فيها الإشارة في حينه، إلى خمسة عشر بالاسم من أهالي سكاكا تحديداً، أربعة عشر من المعاقلة وواحد من القرشة؛ ثلاثة منهم من الورادا، ومنه على وجه التحديد «حمد الوردي» الأول.

قلنا في أكثر من مكان إن ما يهمنا من واقعة المديرس هو ما له صلة بتداعيات تلك الواقعة من حساسيات وحزازات قد تكون تراكمت مع غيرها ليكون لها ما بعدها من تداخل في الصراع الأهلي بين القرشة والمعاقلة، وخاصة قبيل نهاية العقد الأول وبداية العقد الثاني من القرن العشرين، أي في الفترة الممتدة من ١٩٠٩ وحتى ١٩١٤، وخاصة الفترة ما بين ١٩٠٩م و١٩١١م، حيث ستندلع حرب أهلية بين القرشة والمعاقلة في سياق فوضى وعنف سيطرة ابن شعلان على الجوف. من تلك الحزازات ما تعلق باعتقال مجموعة من أهالي الجوف (في دومة الجندل وبالذات في سكاكا)، ومنهم في سكاكا، الخمسة عشر شخصاً، بما في ذلك حمد الوردي الأول وآخرين من عائلة الوردي.

طبعاً الإشارة هنا هي إلى دور مزعوم يقال إن «مفضي العطية» قام به من حيث إنه احتال على نسيبه وصهره «حمد الوردي ـ الأول» مستغلاً المصاهرة والنسب، حيث كان «الوردي» متخفياً ومتحصناً في بيته، فطرق بيته، فما كان من الوردي، والذي رغم تحذيرات زوجته، وهي ابنة مفضي، إلا أن فتح له الباب، فما كان من أعوان ابن رشيد إلا أن قبضوا عليه، ثم تم أخذه مع الآخرين في سكاكا والجوف (دومة الجندل) وأعدموا في موقع قرب الشقيق يقال له المديرس.

يذكر أبو عناد (خلف الشافي السويلم ـ النصير)، أنه وبعد إحدى المعارك مع ابن رشيد حيث كسر (هزم) فيها من قبل مجموعة من أهل سكاكا عند عودتهم من مناصرة أهل الجوف (دومة) ضد ابن رشيد، وهو على ما يبدو يحيل إلى معارك فترة تمرد ١٨٥٣م لأنه يشير إلى معركة «البدرية» تحديداً، فإن ابن رشيد اعتبر ونظر إلى أهل الجوف وسكاكا، وتحديداً، نظر إلى شكر السهيان على أنه قوماني ((يقصد: عدو له)) على ما يقول خلف.

يقول خلف شافي السويلم، [علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح]: إنه وبعدها ((متى!!؟؟؟ ـ ـ لم يحدد الوقت، وإن كان سياق القصة يحيل إلى واقعة المديرس كما سيأتي الحديث مباشرة ـ الباحث)) ذهب شكر السهيان إلى حائل عند ابن رشيد، فقال له ابن رشيد، طبقاً لما يقوله خلف: «أنت وش جابك وانت قوماني، قال شكر ((أيه)) قوماني، ولكن إن بغيت الحكم خذ رأيي، قال ابن رشيد: وش رأيك؟ قال إن (ترسل) سرية ورأيها معي، وأرسل (ابن رشيد) معه فهاد ابن رخيص، مع شكر السهيان، ويأتي بالليل ويعبرهم بالضلع، وسيوف ركايبهم بالشقيق، ويوم أصبح وتى مع ـ ـ شرق النصير ـ ـ ـ وقال يا أهل سكاكا معي مكاتيب من ابن رشيد اللي شاره يأتي، قال ـ ـ ((واحد يبدو من غير المعاقلة!!؟)) ـ يا معاقلة لا تروحون خلوني أشوف، ووقف بالباب ((أي بعد أن راح هناك)) ـ ولما رجع قال «يا معاقلة لا تروحون والله اللي يدخل مع الباب ما يطلع»، ـ ـ ـ ـ «ما طاعوه وراحوا...... دخلوا اربعين لحية» ـ ـ ـ «ما عدا الوردي» ـ ـ ـ «ما دام ما قضبنا الوردي ما به فايده».... «قال مفضي العطية أنا أجيبه لكم! راح مفضي لبنته» ـ ـ ((بنت مفضي هي زوجة الوردي المقصود هنا، وهو حمد الوردي الأول ـ الباحث)) ـ ـ «وطق الباب! قالت بنته للوردي زوجها: لا تفتح، لا تفتح هذا أبوي؟ ما طاعها وفتح! ومسكوه (الوردي) ـ ـ ـ ومدوا ((سافروا)) بهم للمديرس، وذبحوهم بالمديرس» (السويلم، خلف الشافي ـ مقابلة (II) في ٣١/٨/٢٠٠٢: ٨ من ١٥).

أ ـ رواية خلف الشافي

تتضمن هذه الرواية مسألتين:

١ ـ بداية يبدو من المشكوك فيه أن يأتي شكر السهيان بنفسه ليخاطب أهل سكاكا وبالذات المعاقلة، لدعوتهم إلى داره، إلا أن تكون هناك مناسبة عامة كالاحتفال مثلاً. الغالب، إن صحت الرواية، أن يرسل شكر السهيان شخصاً ما ليقوم بالمهمة. والأهم من ذلك ما يتعلق بالإشارة إلى دور لشكر السهيان في أنه ذهب إلى حائل، ونصح ابن رشيد بأن يرسل معه سرية، تأتمر بأمره، وهو ما فعله ابن رشيد، طبقاً للرواية، إذ أرسل معه «فهاد ابن رخيص». من الرواية يفهم أن دور السرية هو القبض على بعض من أهالي الجوف فاعتقالهم ثم إعدامهم، ومنهم الخمسة عشر في سكاكا، بمن فيهم، الوردي، وهذا ما تم في المديرس. وهذه الرواية من حيث دور لشكر السهيان في الأمر لم يمر علي ولم أسمع به في ما أجريت من مقابلات أو في الروايات الأخرى التي اطلعت عليها والتي تشير إلى واقعة المديرس. أيضاً سبق وأن أوردنا سابقاً أن شكر السهيان وحسن الدرع ذهبا إلى حائل وإلى ابن رشيد بطلب منه، وكان ذلك في الغالب بعد أحداث تمرد ١٨٥٣م، كما تحيل له رواية فهد الغانم ويفهم من مضمونها، وإن كان زايد محمد العابط يشير إلى أن ذهاب ابن سهيان وابن درع كان فيما بعد واقعة المديرس مباشرة وهو ما لا يمكن الجزم به، وإن كان غير مستبعد على الجملة، فهو احتمال وارد، خاصة إذا تذكرنا أن أحد أبناء حسن الدرع كان رهينة دون السجن في حائل حتى ١٨٧٩ وقت زيارة الليدي بلنت إلى الجوف، وأن ذلك الحجز «رهينة» كما هو موضح في مناقشات تمرد ١٨٥٣م، لا يمكن أن يكون مستمراً منذ أحداث تمرد ١٨٥٣م، وخاصة أن عدداً من أهم المعتقلين في سياقه قد أطلق سراحه من الاعتقال في حائل بعد ست سنوات من التمرد، ومنهم خليف الخميس (من الرحيبيين) كما موضح في معالجات ومناقشات تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م، طبقاً لأقوال الرحالة أويتنغ والذي في زيارته للجوف ١٨٨٣م قابل «خليف» نفسه وسمع القصة منه مباشرة. إن ذلك الحجز «رهينة» لأحد أبناء حسن الدرع على الأرجح يعود إلى ما بعد الحملة التركية على الجوف (نهاية ١٨٧٠م) وأحداث واقعة المديرس (نهاية ١٨٧٠م أو بداية ١٨٧١م). في تلك الرحلة لكل من شكر السهيان وحسن الدرع والتي قد تكون حدثت في ما بعد أحداث «تمرد ١٨٥٣م»، أو في وقت ما مباشرة في أعقاب الحملة التركية (١٨٧٠م) وربما قبيل واقعة المديرس نفسها (١٨٧٠ نهاية و/ أو أوائل ١٨٧١م)، طلب منهم هدم أبراج وعلالي القصور في سكاكا ودومة التابعة لكل منهم على التوالي... إلخ. (بقية القصة وما يتعلق بموقف مفضي العطية سنأتي عليها لاحقاً). في المقابل، وفي أحداث نهاية ١٨٧٠ وأوائل ١٨٧١ (وهي ما أعقبت الحملة التركية على الجوف) ـ ـ، رغم أنه وردت الإشارة سابقاً إلى أن ولد حسن الدرع كان في حدود ١٨٧٩ لا زال محجوزاً رهينة، دون السجن، في حائل ويبدو أنه على خلفية أحداث الحملة التركية وما يتصل بها من واقعة المديرس، ودور لأهالي الجوف فيها (تسليم المفاتيح، أو التعاون، أو التعاطف مع الأتراك... إلخ) ـ ـ، فإنه، ـ ـ وباستثناء رواية زايد محمد العابط، وكذلك رواية فهد الغانم إذا ما تم تكييفها على هذا النحو لأنه لم يحدد تاريخ حدوثها، وإن كان مضمونها يفهم منه ويحيل في الغالب إلى أحداث «تمرد ١٨٥٣م» ـ، لم يرد أو يسجل أن شكر السهيان ذهب إلى حائل في أعقابها، وإن كان

هذا لا يعني عدم احتمال حدوث الذهاب. من هنا يبدو هناك خلط بين أحداث تمرد ١٨٥٣م وأحداث الحملة التركية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١م) وما أعقبها من أحداث مباشرة في رواية خلف الشافي، كما هي في رواية فهد الغانم وزايد محمد العابط المشار إليهما آنفاً وسابقاً. طبعاً هناك إشارة في رواية خلف الشافي، تشير إلى سرية كان أرسلها ابن رشيد وعليها «فهاد ابن رخيص». طبعاً ورد في ما سبق الإشارة في الحديث عن واقعة المديرس، وطبقاً لرواية سلمان القعيّد كما ينقلها عنه حفيده عبد العزيز بن محمد إلى أن ابن رشيد بعد مغادرة الحملة التركية بثلاثة أشهر أرسل «فهاد العيادة» على رأس سرية، والتي بالفعل اعتقلت أكثر من سبعين رجلاً من أهالي الجوف، وتم إعدامهم في المديرس. طبعاً لا أعلم إن كان فهد العيادة في رواية القعيّد هو فهاد ابن رخيص كما ورد في رواية خلف الشافي أم لا، ولكن الروايتين فيهما تشابه كبير في هذه النقطة، وخاصة منها ما يتصل بفكرة «السرية» وأن على رأسها شخصاً يدعى «فهاد»، وكانت مهمتها الاعتقال فالإعدام لبعض من أهالي الجوف، وهو ما يعطي لرواية خلف الشافي قدراً من المصداقية.

طبعاً في ما أقوله هنا لست في صدد لا تبرئة أحد ولا إدانته، ولكن المعلوم عن شكر السهيان أنه أكثر تفاهماً ولديه قدر من الصداقات والاتصالات مع عدد من زعامات المعاقلة، ومنهم على وجه الخصوص فلاح الشردان في تلك الفترة، وموقفه من واقعة مؤامرة القتل مسجد الجمعة معروفة... إلخ، وإن كان هذا بدأ يحدث تقريباً منذ منتصف وأواخر عقد السبعينات من القرن التاسع عشر، أي منذ تقريباً ١٨٧٥/ ١٨٧٩ فصاعداً. مع ذلك، يلاحظ أن نفوذ شكر السهيان سوف يزداد في سكاكا عموماً وفي القرشة على وجه الخصوص منذ تقريباً ١٨٧٠ فصاعداً وحتى أواخر القرن التاسع عشر، وإن كان بدأ يقل بعض الشيء وبالذات تجاه غير جماعته المباشرين، وأقصد هنا المعاقلة، لاحقاً وإلى قبيل وفاته مع بداية أو قبيل صيف ١٩٠٧م بقليل. ينطبق الأمر على تزايد نفوذ فلاح الشردان في المعاقلة منذ ما بعد الحملة التركية وحتى وفاته في منتصف الـ (١٨٩٠sم) أو في حدوده نقصاً أو زيادة بسنوات قليلة. إن كل هذا النفوذ لشكر السهيان، كما هو لفلاح الشردان في حينه ربما قد يشير إلى، أو يكون ناتجاً من تفاهم و/ أو تعاون منهما (منفردين و/ أو مجتمعين) مع الرشيد تم في أعقاب أحداث الحملة التركية وواقعة المديرس، والأمر يحتاج على أية حال، إلى مزيد من التفكير والتأمل، كما سبق أن أشرنا إلى، احتمال، وجود دور ما للرشيد في تحولات النخب والزعامات (صعود مقابل أفول) في الجوف (في دومة الجندل وفي سكاكا).

٢ ـ المسألة الأخرى التي تتضمنها رواية خلف الشافي، وهو ما كان سائداً لدى المعاقلة في ما أسمعه في مجالسهم، هو دور مفضي العطية في القبض على حمد الوردي، وهو صهره ونسيبه، ليقبض عليه أعوان ابن رشيد، فيؤخذ مع آخرين من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل) مقيّدين ويتم إعدامهم في المديرس. طبعاً إن كان صحيحاً أن مفضي العطية ساهم بشكل أو بآخر في مساعدة الرشيد في اعتقال صهره الوردي، فإن هذا في الغالب لن يكون تم دون معرفة ما من شكر السهيان و/ أو تنسيق معه، لما بين الاثنين من علاقة وثيقة سنلاحظ بعض أطرافها في مناقشات تمرد أهل الجوف على الرشيد ١٨٥٣م.

ب ـ موقف ورواية القرشة عن واقعة مفضي العطية والوردي:

بداية، نود أن نلفت النظر إلى أنه وبرغم أن شخصية مفضي العطية بالنسبة للغالبية من المعاقلة، وخاصة من المهتمين والمتابعين منهم بالشأن العام المحلي بما فيه ما يتصل بالعلاقة التاريخية بين القرشة والمعاقلة، تنظر إليها على أنها شخصية ملتبسة، لما هو سائد لديهم بأنه هو الذي تسبب في المساعدة في اعتقال صهره ونسيبه الوردي لصالح ابن رشيد، وهذا الأخير أمر بإعدامه مع الآخرين في المديرس، فإنه في المقابل، في نظر معظم القرشة المتابعين للعلاقة ـ إن لم يكن كلهم ـ هو من الشخصيات التاريخية البارزة، إن لم يكن واحداً من أبرزها، والتي لها مكانة رفيعة في تاريخ وذاكرة الجماعة (القرشة) ذاتها، وبخاصة لما قام به من أدوار بطولية في الدفاع والمقاومة عن الجماعة وعن الجوف (سكاكا ودومة الجندل) عموماً كما سنشير إلى بعض من أدواره في حينها، وخاصة في أواسط فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر. إن مفضي العطية بالنسبة للقرشة يمكن أن يوازي شخصية «البطل القومي» لشعب أو لأمة ما. ومع ذلك وحيث إننا نبحث في الصراع الأهلي، في محاولة للإحاطة والتفسير والتجاوز، كان علينا أن نكمل الواقعات والملابسات للواقعة عينها المديرس وتداعياتها على ما بعدها من وقائع وصراعات أهلية.

(١) **رواية زايد محمد العابط**: سألت زايد العابط عن قصة مفضي العطية مع حمد الوردي (الأول)، وقلت له: هل صحيح أن مفضي العطية، وهو نسيب حمد الوردي (الأول)، أقدم على التحايل على نسيبه واعتقاله وتسليمه إلى ابن رشيد، حيث اقتادوه لاحقاً، وذبح مع الآخرين ممن ذبح في المديرس؟، فقال زايد العابط، وأنا (الباحث) ألخص مجملاً كلامه: «إننا نسمع مثل هذا الكلام، ولكن هذا ما هو صحيح أبد، وما هو صحيح هو أن هناك كانت واقعة، وهي أنه صار تصادم بين القرشة والمعاقلة في المنطقة البينية (ربما منطقة الحموان والجحيش حالياً)، وقال إنه وأثناء المعركة أمسك المعاقلة (الورادا) بأخ لمفضي العطية، وهو فياض وحبسوه عندهم، وأن حمدان العطية رجع وذهب إلى هناك لإنقاذ أخيه بالقوة، وعندما عرف المعاقلة ما تم لاحقوا حمدان العطية ومعه فياض (أخوان مفضي العطية)، وأن أمرأة صاحت بالباب في منطقة الحموان لتخبرهم بالأمر... وأن.. ((واحد)) من الحموان من الذين حاولوا اللحاق بحمدان وأخيه فياض، ولكنه استطاع مقاومتهم والإفلات منهم، والوصول بأخيه وهو إلى ديارهم» (العابط، زايد محمد ـ مقابلة ـ في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٢).

(٢) **رواية عافت مناع الزيد**: عندما سألت أبا مختار عن الأمر رد عليَّ وقال، وأنا (الباحث) ألخص كلامه من ملخص اللقاء على الجملة، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح: «... إنه يُقال إن مفضي العطية، نسيب الوردي (ابنة العطية مع حمد الوردي)، هو الذي غدر بنسيبه حيث طرق الباب فسمعته ابنته، فقالت لزوجها الوردي لا تفتح الباب، هذا أبوي، إن فتحت الباب والله غير يذبحونك، فرد عليها إن هذا لا يمكن، ففتح الباب، وعندها كان هناك عسكر لابن رشيد مع ابن العطية، وتم اعتقاله ثم إعدامه في المديرس مع حوالي...»، وزاد أبو مختار فقال: «... إنني أنا ((عافت)) سألت عايض الزيد... وكان حاضراً ولده عبد الله وكريم، وقريب لهم عرج من أهل دومة» ـ ـ ((يبدو المقصود بالعرج هو عبد العزيز بن محمد بن سلمان القعيّد ـ الباحث)) ـ ـ ـ «فقال ورد عايض الزيد؛

وليش تسأل يا عافت، قال عافت، والله أريد أعرف الحقيقة، وأنا مفضي العطية انظر له على أنه قدوة لي، ولا ودي يكون بالصورة اللي تقال عنه»، وأضاف أبو مختار وقال «إن عايض الزيد قال: الله يحاسبكم يا أهل سكاكا، والله مفضي العطية ما يعملها!»، فقال أبو مختار مخاطبني أنا ((الباحث)): «هذا ما قاله عايض الزيد، ولا أدري ما الذي أعتمد عليه من معلومات» (الزيد، عافت مناع ـ لقاء وحديث (II) في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٣).

ج ـ الترابط بين أحداث المديرس وبين أحداث فوضى وعنف سيطرة ابن شعلان على الجوف في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١١م

ما يهم من واقعة المديرس هو في ما يخص تداعياتها في الواقع و/ أو في النفوس، وما ترتب عليه لاحقاً في الأحداث التالية، وخاصة في وقائع ما بعد بداية القرن العشرين، وبالذات في سيرورة ومسار الأحداث العنيفة التي صاحبت فوضى وعنف دخول ابن شعلان وسيطرته على الجوف في الفترة ما بين ١٩٠٩م و١٩١٤م، وبالذات في الفترة الأكثر عنفاً في ١٩٠٩ ـ ١٩١١، حيث اندلع صراع أهلي وحرب أهلية (اصطفافية) بين القرشة والمعاقلة استمرت، وإن متقطعة، لأكثر من أربع سنوات، تخللها قتل وقتيل وإعدامات طالت شخصيات وقيادات معروفة، كان للانتقام المتبادل المبني على حزازات وحساسيات الماضي وما علق في النفوس والتصورات دور كبير لحدوثها.

في تلك الأحداث ومسارها ما يهمنا هو ملاحظة ما تم من عنف، مقصود أو غير مقصود، بين القرشة والمعاقلة، وإن بتبعية لطرف وقوة خارجية (الشعلان والرشيد) من هذا الطرف أو ذاك (معاقلة وقرشة وحلفاؤهم) وسواء في الجوف (دومة الجندل) أو في سكاكا.

وحيث إننا سنناقش تلك الحرب الأهلية بين القرشة والمعاقلة في سياق سيرورة الفوضى والعنف المصاحب لدخول ابن شعلان للجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٠)، وما بعدها (١٩١١ ـ ١٩١٤م) بشيء من التفصيل الموسع، ولكي لا نكرر هنا وهناك، فإننا نحيل القارئ إلى تلك الجزئية والمرحلة من الحرب الأهلية (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م) للتعرف على تداعيات واقعة المديرس في نهاية ١٨٧٠م أو في أوائل ١٨٧١م على ما بعدها من صراعات أهلية وتراكماتها.

في النهاية، وبناء على ما تقدم نقول إننا نميل إلى الجزم بأن واقعة المديرس في الغالب تكون وقعت في أعقاب الحملة التركية، أي في نهاية ١٨٧٠م، ونرجح أنها وقعت في أوائل ١٨٧١م. ومع ذلك، ومن باب التحوط، نلفت الانتباه إلى أننا ونحن سنناقش واقعات أخرى سابقة، وبالذات ما تعلق بتمرد أهل الجوف ١٨٥٣م ضد الرشيد، سنعمل على رصد أية التباسات ذات صلة، إن وجدت، عبر المقارنات والمقاربات والمفاصلة فيما بينهما.

من هنا في متابعة مناقشات واقعات الصراع الأهلي والحروب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، سنبدأ بالرجوع إلى الوراء قليلاً إلى واقعة أو تمرد عام ١٨٥٣ لنرى هل لواقعة المديرس علاقة بالتمرد أم لا؟

٤ ـ واقعة صراع السراح/ السراح وتمرد أهل الجوف على الرشيد (١٨٥٣م)

تمردُ أهل الجوف عام ١٨٥٣م على سلطة وحكم الرشيد كان في الأصل متولداً عن صراع السراح/ السراح، والأخير هو صراع أهلي ضمن الصراع الأهلي الكلي بالجوف أو الحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). ونحن يهمنا أمر الصراع الأهلي بالأساس، ولكن لما بين الأمرين (الحدثين) من تداخل، أي بين صراع السراح/ السراح من جهة، وبين تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م من جهة أخرى، وبما يعني تطور وتحول الصراع السراح/ السراح إلى تمرد شامل ضد الرشيد، فإننا سنبدأ أولاً بمناقشة التمرد نفسه، ثم ثانياً، نناقش صراع السراح/ السراح، كواقعة وروايات.

أ ـ في تمرد أهل الجوف على الرشيد ١٨٥٣م:

١ ـ أول من أشار إلى تمرد أهالي الجوف على حكم وسلطة ابن رشيد في عام ١٨٥٣، هو الرحالة الإيطالي «كارلو غوارماني» (Guarmani Carlo) (في رحلته الثانية للجوف عام ١٨٦٤م، حيث سبق أن زار الجوف «إثره» في عام ١٨٥١م (غوارماني، رحلة ١٨٦٤، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٠). في رحلته عام ١٨٦٤م، كتب غوارماني عن أوضاع الجوف ما يلي: «في بداية القرن التاسع عشر، كان يحكم البلدة شيوخ، هم أسلاف عائلة، جاءت بالأصل من قرى مستقلة في وادي السرحان، وكانوا يدفعون إتاوة إلى قبيلة الرولة. في عام ١٨٥٣م حاصرها طلال الرشيد، واحتلها رغم الدفاع البطولي لأهلها الذي استمر عشرين يوماً. لقد تم أخذ الأمير حطاب بن سراح أسيراً في حينه، ولا زال حياً مقيداً بالسلاسل الحديدية في قلعة حائل، بينما أولاده تراجعوا إلى وادي السرحان حيث بنوا قرية صغيرة اسمها الوشواش، تقع بالقرب من قرى إثرة والأخيضر (شمال غرب قرية إثرة وشرق قرية الأخيضر)». (غوارماني، ١٨٦٤، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٢). طبعاً يلاحظ أن غواماني لم يتكلم لا عن أسباب التمرد ولا عن آثاره في ما يتعلق بإعدامات أو نحوه.

٢ ـ الليدي بلنت (Lady Anne Blunt) في رحلتها للجوف ١٨٧٩ ذكرت إشارات إلى تمرد أو تمرُّدين وقعت في الجوف ضد ابن رشيد خلال العشرين سنه الماضية والسابقة للزيارة، لكنها لم تحدد السنوات التي وقعت فيها. تقول بلنت عن أوضاع الجوف والجوفيين وعلاقتهم بابن رشيد وابن شعلان، ما عدا بين قوسين مزدوجين فهي من الباحث للتوضيح:

«... ولكن الجوف مكان منتزع بالقوة، وفي حالة حصار دائم، والنظام المحافظ عليه صارم جداً... والجوف بقدر ما استطعنا أن نعلم من محمد ((تقصد محمد عبد الله بن عروق مرافقها وابن شيخ تدمر))، لأننا لا نحب أن نسأل أسئلة كثيرة، كانت في السابق إقطاعية لابن شعلان، مشايخ الرولة، وما تزال تدفع إتاوة لسطام، ولكن متعب بن رشيد فتحها منذ حوالي ٢٠ سنة، وعوملت منذ ذلك الحين كجزء من نجد، وقد حدث تمرد مرة أو مرتين، غير أنه أخمد بعنف، وتخاف الجوف الآن من أن تحرك إصبعاً ضد الأمير. وبمناسبة واحدة من هذه التمردات قطع متعب عدداً كبيراً من أشجار النخيل وترك المدينة في حالة نصف خراب، لذا فهم ملزمون بالانتظار، والحصول على أعلى فائدة من الوضع القائم... يوجد في القلعة مدفعان زنة ١٢ رطلاً، إنجليزيّا الصنع. وهما قطعتان قديمتان لا قيمة لهما، ولكنهما أُستُعملا كما يبدو

في حصار الجوف بواسطة متعب». (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٢٦ ـ ١٢٨). وفي إشارة إلى مكانة الدرع في مقابل الحبوب حسب أقوال حسين مضيفها ومرافقها محمد، تشير «**الليدي بلنت**» إلى أن «محسن الدرع»، كما يقول حسين: «إن بيت الحبوب الذي ذكره المستر بلغريف موجود، ولكن أنبل العائلات هي عائلة محسن الدرع، الذي كان شيخ الجوف في السابق، ولكنه أنزل إلى حالة واحد من رعايا الأمير. وابن درع (يخبرنا محمد) ليس راضياً عن التغيرات السياسية في الجوف بأية حال، ولكنه يخاف أن يظهر عدم رضائه لأن محمد بن رشيد يحتفظ بابنه الأكبر رهينة ليضمن حسن سلوكه. ويقيم هذا الشاب في حائل، وهو هناك ليس سجيناً بالمعنى الحرفي، لكنه لا يستطيع أن يعود إلى أصدقائه» (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣١). ولنا (الباحث) ملاحظات على ما أوردته **الليدي بلنت، نوردها كالتالي**:

أ ـ لاحظ أن «تفضيل الدرع على الحبوب» من قبل «حسين»، مضيف الليدي بلنت ومحدثها عن الأمر، لا يخلو ربما من ميول «حسين» إلى الدرع وربما يكون من حلفاء الدرع.

ب ـ لا يبدو أن إشارتها إلى فتح الجوف من ابن رشيد قبل ٢٠ عاماً من تاريخ زيارتها (عام ١٨٧٩ م) صحيحة. ابن رشيد (عبد الله) سيطر على الجوف أول مرة في عام ١٨٣٨م تقريباً. ربما تقصد **الليدي بلنت** استعادة السيطرة على الجوف بعد تمرد عام ١٨٥٣، وهو ما نحن بصدده الآن.

ج ـ في ما أوردته **الليدي بلنت** عن بيت الحبوب والدرع، يبدو، أن المقصود بـ «محسن الدرع» هو، كما نرجّح، حسن الدرع، وهذا حسن هو الذي سيقتل، وقيل من قبل «العرجان»(؟) في حدود عام ١٣٢٦هـ بُعيد «كون الظلي»، وخروج أو هروب فيصل الرشيد من الجوف بقليل أثر الاضطرابات في حائل وخاصة بعد قتل سعود بن حمود بن عبيد الرشيد، من قبل السبهان، وهم أخوال ابن عمه (القعيّد «مدونة» في ملف من مجموعة أوراق، ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ٣). في ما يتعلق باعتقال أو أسر أحد أبناء حسن الدرع واحتجازه في حائل رهينة دون السجن، فربما هذا وقع بعد أحداث التمرد الذي نحن بصدده (١٨٥٣م)، أو أنه وقع بعد تداعيات ونهاية الحملة التركية على الجوف في ١٨٧٠م وما بعدها مباشرة. الاحتمال الثاني هو احتمال وارد، بل أكثر رجحاناً، لأنه ليس معقولاً أن يكون معتقلاً منذ ١٨٥٣م وحتى عام ١٨٧٩ وقت زيارة الليدي بلنت، علماً أن الرحالة أويتنغ في مذكراته عن رحلة ١٨٨٣م، ذكر، أنه التقى «خليف» وهو واحد من الذين اعتقلهم ابن رشيد في تمرد ١٨٥٣م، ولكنه أطلق سراحه بعد ست سنوات (أي بحدود ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠م). وعليه فإن اعتقال ابن حسن الدرع في حائل، في الغالب، هو في أعقاب الحملة التركية على الجوف في عام ١٨٧٠م، وعقاباً على دور ما لابن درع وأهالي الجوف في الحملة، وهذا يعيدنا مرة أخرى إلى واقعة المديرس باعتبارها وقعت في نهاية ١٨٧٠م، أو أوائل ١٨٧١م، عقاباً لأهل الجوف في الحملة التركية، إن صحت مسألة الإعدامات لكبار أهل الجوف عقب نهاية الحملة التركية، علماً أن محمود آغا في روايته للرحالة جوليوس أويتنغ ١٨٨٣، أشار إلى تعرض الأتراك لمحاولة أو مؤامرة قتل كان وراءها حسن الدرع، إذ يقول: «... عندما بدأ الحاكم الجديد بجمع الضرائب على الغلال والملح بصورة غير عادلة، بدأت حالة من الغضب والسخرية تعمّ البلاد. وتصاعدت أيضاً حدة الاستنكار من هذه الضرائب. وتم التخطيط للتعامل مع الأتراك بطريقتهم حيث قام **حسن بن درع**

بعمل وليمة كبيرة للأتراك، وكان من المخطط قتلهم في هذه الوليمة، ولكنهم تمكنوا من الإفلات من هذه المصيدة، التي من بعدها قرروا عدم الخروج من معاقلهم مرة أخرى» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٤٤). وإذا صحت محاولة حسن الدرع بقتل الأتراك، فإنه من المستغرب أن يقوم ابن رشيد باحتجاز ابنه في حائل، إلا أن يكون حسن الدرع، في هذه العملية ومحاولة قتل الأتراك، قد حاول أن يسترضي ابن رشيد ويحسن من صورته أمامه، والتكفير عن دور محتمل له في مشاركة كبار أهل الجوف (وهو واحد من اهمهم آنذاك) في الذهاب إلى معسكر محمد سعيد عباس باشا والقوة التركية خارج وعلى مشارف الجوف (دومة الجندل) وتسليمه مفاتيح البلدة بدون إذن و/ أو علم ابن رشيد والتنسيق معه. على أية حال، في الحالة الأخيرة، يحيلنا الأمر مرة أخرى وإلى أن واقعة المديرس وأنها بالفعل وقعت في أعقاب الحملة التركية، أي أواخر ١٨٧٠م أو أوائل ١٨٧١م.

د ـ وإشارة الليدي بلنت إلى حسن الدرع ونفي ابنه رهينة في حائل وردت الإشارة إليه أيضاً في كتاب، عبد الرحمن الشايع الكريّع، الجوف ـ الجزء الثاني (الشايع آل كريع (II)، ١٩٨٤: ٢٥٦ ـ ٢٥٧) وفيه تفصيل إضافي من حيث الإشارة إلى أن ابن رشيد، وعلى خلفية التمرد، وإن لم يحدد سنة وقوعه، استدعى كلاً من ابن درع وابن سهيان (شكر) لحائل وطلب من ابن درع هدم أبراج قصره، وكذلك طلب من ابن سهيان هدم أبراج الضلع. في حائل وأمام ابن رشيد وافق كل من حسن الدرع وشكر ابن سهيان على الهدم. غير أنه بعد عودتهما، فإن ابن درع نفذ وعده، بينما ابن سهيان، وبمشورة وقصيدة من مفضي العطية، رفض تنفيذ الوعد. هذا القصة (هدم أبراج القصور) أشار إليها فهد الغانم في مقابلة لي معه، أجريتها في عام ١٩٨٩م، وفيها يقول: إنه على إثر الصراع بين الدرع والسراح، وقت اعتقال غالب وحطاب ـ وآخرين منهم، اعتقلهم ابن رشيد وسجنهم بحائل، كما يقول فهد الغانم، وهم: «قاسم السعيد (العلي)، ونداء ظاهر الدندني (المطر)، وخلف محمد البنية (النصير) حيث إن العلي ـ (يقصد العلي من القرشة «وحلفاءهم» ـ الفخذ الثاني من القرشة في سكاكا) ـ كما يقول فهد الغانم قاموا يناصرون السراح ضد ابن رشيد. ويدلل الغانم على ذلك بأبيات من قصيدة مطوَلة تتحدث عن أهل الجوف، وبالذات في سكاكا، وعن بعض من شخصياتها وقياداتها في تلك الفترة وشجاعتهم وكرمهم وتوحدهم، لشاعر على ما يبدو من «النصير» اسمه مبارك ابن زبن النصيري الرويلي» (الغانم ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٣)، يقول في بعضها متحدثاً عن «قاسم السعيد»، وهو كبير العلي آنذاك، ونصرته للسراح في الجوف:

«وأنبيك عن قاسم اليا كانك تريد ... لأجل الشرف ما أوحيت ما جرى له

من شان ابن سراح ضد الاضاويد ... وأرخص بعمره دون قول ينالـه»

لاحقاً، كما يقول فهد الغانم، وبطلب من ابن رشيد سافر حسن الدرع وشكر ابن سهيان لابن رشيد ـ على وقت متعب (!) ـ وقال لهما إنه ليس بيننا وبينكم صداقة «ما هنا صداقة»، إلا تهدون أبراج علاليكم (علالي أو ابراج القصور في دومة الجندل وسكاكا) ـ وافقوا وتعهدوا له أمامه، ولكن بعد عودتهما للجوف، فإن القرشة، بمشورة وقصيدة مفضي العطية (ومنها قوله: الضلع ما هو ضلع ابن درع كذبان ـ والله ما ترقاه غير بصعيعه... إلخ)، وهي نفس القصيدة اللي ذكرها الشايع (الشايع آل كريّع (II)،

١٩٨٤: ٢٥٦) وأيضاً فهد الغانم ص٨ من المقابلة (الغانم ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٣)، رفضوا هد (هدم) الأبراج. عندما وصله الرد بالقصيدة، يضيف فهد الغانم، قام متعب الرشيد (!!) بغزو دومة الجندل، ولكن كسروه (هزموه) في «القنية»*، عندها هددهم ابن رشيد بقطع نخيلهم، لكن دخيل ((يبدو دخيل الدرعان))، قال «ما تستطيع تقطع نخيلنا، نحميها... وراها رجال». وللتغطية على معركة في مكان آخر (سكاكا، أشعل ابن رشيد النيران حول معسكره ومكانه قرب دومة الجندل، موهماً أهل دومة أنه باق في مكانه، ثم اتجه إلى سكاكا لينتقم من أهل سكاكا وليقطع نخلهم كما هدد. ولكن القرشة، (وعلى ما يبدو أكثرهم من العلي)، كما يقول الغانم، قاتلوا ابن رشيد في «البدرية» وهزموه فيها. وتلك الواقعة في البدرية، وهزيمة أهل سكاكا لابن رشيد فيها، بعد عودتهم، كما يبدو، من مناصرة أهل الجوف (دومة الجندل) ضد ابن رشيد، يؤكدها خلف الشافي السويلم، حيث يقول: «... ولما رجعوا أهل الديرة (سكاكا) من دومة، وتوا عن طريق الحماميات غرب الديرة، ثم اتجهوا شمالاً، وتلاقوا مع ابن رشيد بـ «البدرية» وكسروه أهل سكاك،... قال ابن رشيد قصيدة: من العناء جينا نحارب هل الجوف. ملبوسنا جوخ وملبوسهم صوف...» إلخ القصيدة. (السويلم، خلف الشافي (II) مقابلة في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٥). ويذكر الغانم أن الطالب (من هم في منطقة اللقائط ـ شرق سكاكا)، وفي مقدمتهم بدر الفلحي الطالب، بدأوا أولاً بمقاتلة المهاجمين حتى لحق القرشة من العلي والضويحي في المقاتلة. ويواصل الغانم القول: جاء بعدها فيصل الشعلان غازيا البلد، ولكن هزموه أهل البلد (!!!) في «السمرة» (الغانم، فهد ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩). المقصود بالسمرة أو «السمرية» هنا، هي على ما يبدو، ما تعرف بـ «روضة الزريع» هي تلك المنطقة الواقعة في غرب ما يعرف بـ «الزقاقية»، وهي إلى جنوب شرق «السحل» و«الحمى»، وإلى الغرب من سكاكا على بعد مسافة تقريبية تقدر بـ: ١٥كم أو بحدودها، وهي حالياً، كما يقول سليمان العودة، مشغولة على ما يبدو بمزارع تابعة لأولاد لطيف السعدون (نقاء وصلال) (الفلّاح، سليمان العودة ـ مقابلة ـ في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ٢٣ من ج ١)، علماً أن الزقاقية فيها الآن، على ما يبدو، مزرعة فهد السنيدي (العقيلي). ولنا (الباحث) ملاحظات على رواية فهد الغانم عن أحداث واقعة «هدم أبراج أو علالي القصور» وما يتصل بها من ملابسات وأحداث، كما يلي:

١ ـ يبدو أن فهد الغانم يشير إلى تمرد ١٨٥٣ دونما أن يحدده أصلا، علماً أن اعتقال غالب وحطاب وقع في عام ١٨٥٣ طبقاً لأقوال الرحالة الإيطالي غوارماني ١٨٦٤ (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٢). والقنية الوارد ذكرها في الرواية، هي على ما يبدو «عين ماء» في مكان في دومة الجندل أو حولها.

٢ ـ يبدو أن هذه الحادثة المتعلقة بسجن الدندني والعبيكة والسعيد، والمرتبطة بواقعة ما بعد أو على خلفية أحداث ١٨٥٣ وقعت قبل تحول جماعة «النصير» من حليف للقرشة إلى حليف للمعاقلة في سكاكا.

٣ ـ رغم أن رواية فهد الغانم أعلاه تشير إلى شكر ابن سهيان، وأنه هو رفض هدم أبراج الضلع بناء على مشورة وقصيدة مفضي العطية، يبدو أن الأمر، إن لم يكن متعلقاً بأن شكر السهيان موفد إلى حائل من قبل أبيه وممثل له وعنه، فإن الأمر متعلق بـ «سهيان» نفسه، ذلك أن شيخ القرشة والضويحي آنذاك هو

سهيان (ابو شكر) وليس ابنه شكر، إذ إن الابن (شكر) لا يبدو أخذ المشيخة بعد، وهناك دلائل على تلك الوضعية، ومنها أن ابن رشيد عندما وصله رد ابن سهيان عن طريق قصيدة العطية، إن صحت الروايات والقصائد وأصحابها، رد عليها (في؛ الشايع آل كريّع (II)، ١٩٨٤: ص ٢٥٧)، مخاطباً أبا شكر وليس شكراً نفسه، قائلاً:

يا بو شكر صدق يومنك أول عميلي	خطك طويل ووجهك أبيض من الشاش
اليوم هرجك صار ما لا ضويلي	طاوعت هرج فلان وفلان وشلاش
انشد قيال وضلعكم والطويلي	عن حسن منصور اللي هاش واهتاش

ويبدو أن «منصور» المشار إليه في قصيدة ابن رشيد أعلاه، هو «المدفع» وحسنه في «هاش واهتاش» ربما يحيل إلى قنابلة الفتاكة، وهذا تهديد صريح لابن سهيان باستخدامه مرة أخرى في حالة عدم التجاوب وتنفيذ الأوامر.

٤ ـ يقول فهد الغانم إن واقعة السجن والاستدعاء، وهي في روايته تبدو متصلة بإخضاع التمرد قبيلها، وقعت على وقت متعب الرشيد، ولكن من المعلوم أن متعب بن عبد الله الرشيد لم يحكم إلا من عام ١٨٦٨ وحتى ١٨٦٩ (مضاوي الرشيد، ١٩٩٨: ٦٨، جدول رقم ١)، بينما تلك الأحداث تدور حول ١٨٥٣م. ويبدو أن هناك خلطاً بين من هو الحاكم من جهة، وبين من قاد الحملة العسكرية من الرشيد ضد تمرد أهل الجوف على ابن الرشيد في عام ١٨٥٣م، من جهة أخرى. كان الحاكم هو طلال عبد الله الرشيد، أما الحملة العسكرية لإخضاع الجوف وسحق التمرد فيها، فكانت بقيادة عبيد الرشيد (عم طلال)، ومتعب بن عبد الله الرشيد (شقيق طلال)، كما ينسب إلى ما ذكره الرحالة «ألويس موسيل» في ما نشره عن الجوف ١٩٢٨م (مضاوي الرشيد، ١٩٨٨: ٧٠)، ورغم أن الرحالة هوبر يتكلم عن قدوم طلال نفسه للجوف لسحق التمرد (هوبر، ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦١).

٥ ـ ما يتعلق بقدوم فيصل الشعلان وغزوه للجوف وهزيمته في السمرة من قبل أهل الجوف، طبقاً لرواية الغانم، يبدو أن ذلك، كما نعتقد (الباحث) أقرب إلى وقوع تمرد ثانٍ، ولكن متى؟ فهو غير معروف. ومع ذلك فإن الرحالة هوبر، في مذكراته عن أحداث تمرد أهالي الجوف عام ١٨٥٣ على حكم ابن رشيد، يرى أنه ربما تم بمعونة، ودعم من الرولة (النايف والشعلان) (هوبر، ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦١) وهو ما يعني أن مجيء وغزو فيصل الشعلان تم في فترة أحداث ١٨٥٣ نفسها وبالذات معها أو قُبيلها مباشرة، وربما بعدها بوقت ما بسنة و/ أو أكثر، ولكن على نحو قاطع قبل عام ١٨٦١م وليس بعده، ذلك أنه، إن صحّت المعلومات التاريخية عن حياة فيصل الشعلان، فهو قُتل وولده في عام ١٢٧٧هـ الموافق عام ١٨٦٠م، في معركة جرت بينه ومجموعته (الرولة) من جهة، وبين «محمد بن دوخي بن سميّر شيخ ولد علي، وجماعته (عنزة) من جهة أخرى، وبدعم للأخير من القائد العثماني مصطفى باشا المرابط في اللجاة (الشايع آل كريّع (II)، ١٩٨٤: ١٦١ ـ ١٦٢). عليه فإن قدوم فيصل الشعلان للجوف، إن كان صحيحاً أنه قدم وحاول احتلالها و/ أو غزوها، ففي الغالب إن لم يكن تم أثناء تمرد أهل الجوف في عام ١٨٥٣م و/ أو مصاحباً له، فهو في الغالب وقع في سنة ما بين ١٨٥٣م و١٨٦١. وإذ صح هذا الكلام، فإن قصيدة حلاف بن دوخي، عن تكاتف وتوحد أهل الجوف ضد الرشيد والشعلان، وفيها

إشارة واضحة إلى فيصل الشعلان، كما لـ «عبيد ومتعب» الرشيد، وقبلهم، آل علي، تكون بالفعل قيلت في هذه الفترة (ما بين ١٨٥٣م و١٨٦٠/ ١٨٦١م) و/ أو بعدها، وليس قبلها أبداً. من القصيدة الأبيات التالية ذات الدلالة التاريخية:

«قـال حـلاف بـن دوخـي سنـة كوبـه   كـوبـة الـلـي لـفـانـا بـغـيـر جـذّابـي

....

قبـلـنـا جـدودنـا بـالـسـيـف عـيـوبـه   مـا نـزل فـي وطـنـا غـيـر الأصـحـابـي

ويـن جـمـعـن لابـن عـلـي لـفـا نـوبـه   يـوم جـا صـايـلٍ فـي كـل الأعـرابـي

بـالـهـنـادي ربـوعـي يـوم حـلـوبـه   **بـيـن قـارا وفـارع جـمـعـهـم عـابـي**

ويـن عـبـيـدٍ ومـتـعـب كـان قـروا بـه   يـوم جـو بـالـلـقـايـط جـمـعـهـم هـابـي

....

وابـن شـعـلان فـيـصـل مـاتـردوبـه   يـوم جـا صـايـل فـي كـل الأجـنـابـي

هـال واهـتـال مـن ربـعـن تـدالـوا بـه   هـاش واهـتـاش واقـفـى خـاطـره طـابـي

...»

٦ ـ يُفهم من رواية الغانم أن غزو ابن رشيد للجوف (دومة الجندل وسكاكا) في ملابسات تمرد ١٨٥٣ تم على مرحلتين، الأولى هي إخضاع وسحق التمرد والمتمردين وسجن بعضهم، وثانياً بعد ذلك بفترة وجيزة لهدم أبراج وعلالي القصور. ولكن رواية فهد الغانم من حيث تسلسل أحداث تمرد ١٨٥٣ يبدو فيها بعض التشويش والتناقض، ذلك أنه لا يعقل أن يسحق ابن رشيد التمرد ويقتل من قتل ويأسر من أسر، ثم يقال إن ابن رشيد طالب شكر السهيان وحسن الدرع بهدم الأبراج، فيرفض القرشة في سكاكا عملاً بنصيحة مفضي العطية فيأتي ابن رشيد غازياً لإنفاذ الهدم ومعاقبة المعترضين، ولكنه يُكسر (يُهزم) بـ «القنية» ثم لاحقاً في البدرية. يبدو أنه، إذا صح، ذهاب شكر السهيان وحسن الدرع إلى حائل بطلب من ابن رشيد وفي محاولة لفك أسرى أهل الجوف، ومنهم البنية والدندني والسعيد، فإن الأمر، إذ تعلق بأحداث تمرد ١٨٥٣م، فإن ذلك يعني أن سيطرة أو محاولة سيطرة ابن رشيد في تلك السنة على الجوف إنما تمت على عدة مراحل، فأولاً أتى غازياً بُعيد التمرد لكنه لم يستطع دخول الجوف (دومة الجندل)، فحاول مهدداً سكاكا وأهلها ممن منهم ناصر منهم «السراح» في التمرد بهدم القصور وحرق النخيل، ولكنهم تحدّوه رافضين فهزموه في «القنية» حول دومة ثم هزموه لاحقاً قرب سكاكا في «البدرية»، وعندما فشل عاد، وربما كان في معيته، في المرحلة الأولى، وإن ليس على وجه اليقين، «حطاب» وولده «غالب»، حيث بالخدعة أسرهم وعاد بهم إلى حائل.

في مرحلة تالية وفي غضون فترة من الزمن بعد أن استعد بقوات أكبر وسلاح أمضى، ومن ذلك جلب واستخدام المدافع (المدفع المسمى «منصور» كما ورد في القصيدة المنسوبة لابن رشيد والتي يخاطب بها سهيان (أبو شكر)، فسحق التمرد وقتل من قتل وأسر من أسر. طبعاً إن اعتقال حطاب وغالب قد يكون حدث في المرحلة الثانية وليس بالضرورة في المرحلة الأولى، وإن كان ذلك وارداً كما أسلفنا. مع ذلك فإن الباحث يشك بأن تكون معركة وقعت بعد ذلك وعلى نفس الخلفية، وأن أهل سكاكا هزموه،

وهو قد سحق الجوف وتمرد ١٨٥٣م كلياً بالجوف! أعتقد أنه إن تم، فعلاً، اعتقال خلف البنية ونداء ظاهر الدندني وقاسم السعيد على خلفية أحداث تمرد ١٨٥٣م، إن لم يعتقلوا بعد ذلك بسنوات و/ أو إن لم يعتقلوا في أعقاب الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م، فإنه، في الغالب، أطلق سراحهم في حدود ١٨٦٠م، كما الآخرين بمن فيهم أهل الجوف (دومة الجندل)، ومنهم خليف الخميس (الرحيبيين)، حليف وخال السراح (حطاب وولده)، وبغض النظر عن أن يكون «إطلاق سراحهم» هذا تم بتدخل من شكر السهيان وحسن الدرع وذهابهما أم لا.

٧ ـ مع ذلك فإن عافت مناع الزيد، وهو من العلي، كما هو فهد الغانم، يقول، مناقضاً مضمون رواية فهد الغانم آنفة الذكر، إن اعتقال «قاسم السعيد» وسجنه في حائل تم بناء على شكوى قدمها أو أرسلها شكر السهيان ضده لابن رشيد، وإن الشكوى من «شكر» ضد قاسم تعود إلى خلفية مناصرة الأخير (قاسم) للسراح في صراعهم مع الرشيد. ويبدو أن تلك الشكوى حدثت كما يقول عافت بعد خروج أو هروب غالب من السجن في حائل، ومناشدته قاسم السعيد وجماعته مواصلة مناصرته ضد الرشيد (الزيد، عافت مناع ـ لقاء وحديث (IV) في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١). بالنسبة لمطالبة غالب السراح ـ وهو في قرية «الوشواش»، بعد هروبه من السجن ـ من قاسم السعيد مواصلة مناصرته والقيام والثورة على ابن رشيد، فهناك قرائن تدل عليها سنأتي على ذكرها لاحقاً. هذا يعني إن صحت رواية عافت، فإن شكوى شكر، فاعتقال قاسم في حائل وقع في وقت ما متأخر جداً بعد انتهاء وسحق التمرد ١٨٥٣م، وربما بين الفترة ١٨٥٥ و١٨٦٠م، وفي الغالب بعد ١٨٦٠م لأن الرحالة أويتنغ يذكر في مذكراته عن رحلته ١٨٨٣م، لقاءه مع خليف، في قرية «كاف»، وهو في الغالب خليف الخميس، بأن خليف أخبره أنه أطلق سراحه بعد اعتقال ست سنوات في حائل (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١)، علماً أن خليف يبدو أنه، بعد خروجه من السجن، التحق بأولاد حطاب، في قرية الوشواش، القريبة من إثرة، والتي كما يقول عنها الرحالة الإيطالي «كارلو غوارماني» أن من بناها أولاد «حطاب»، بعد أن تراجعوا إلى وادي السرحان في أعقاب تمرد ١٨٥٣م، وإن والدهم حطاب، والذي أسره ابن رشيد على خلفية ملابسات ذلك التمرد في ذلك الوقت، لا زال معتقلاً مقيداً بالسلاسل الحديدية في قلعة حائل في حائل وقت زيارته عام (١٨٦٤م)، الموافق ١٢٨٠هـ (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٢).

أما إذا كان الأمر خلاف ذلك، فأعتقد أن القصة والرواية حولها، وبخاصة ما يتعلق باعتقال عدد من أهل الجوف (دومة وسكاكا) وذهاب شكر السهيان وحسن الدرع لـ «حائل»، إنما هي ملتبسة ومتداخلة مع أحداث الحملة التركية ١٨٧٠/ ١٨٧١م، وهو الأقرب. ما يهم من أمر هو أنه بعد سحق تمرد ١٨٥٣م وحتى ١٨٧٠م لم تقع ـ في تقديرنا ـ أي معركة بين ابن رشيد وأهل الجوف، وأن واقعة القنية والبدرية، هي في المرحلة القصيرة التي سبقت سحق تمرد ١٨٥٣م، لا بعده كما توحي القصة والرواية. ورغم أن الغانم ذكر في روايته لأحداث ١٨٥٣م (دون أن يحددها) سجن ابن رشيد عدداً من أهالي الجوف في حائل، إلا أنه لم يذكر أية إشارة إلى من قتل ابن رشيد من أهالي الجوف، (أسماء/ أشخاص أو أعدادهم)، علماً أن هناك روايات بعض الرحالة الأوروبيين تتكلم عن إعدامات ابن رشيد لأعداد من أهالي الجوف،

بحدود ٨٥ شخصاً، على خلفية التمرد وسحقه، كما ورد في رواية جوليوس أويتنغ عن رحلته ١٨٨٣ (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١) والتي سنوردها كاملة لاحقاً.

أ ـ الرحالة **تشارلز هوبر** في مذكراته عن رحلته للجوف ١٨٧٩، أعطى مزيداً من التفصيلات والتوضيحات عن تمرد ١٨٥٣م وخاصة التأكيد على سنة حدوثه وما صاحبه من قتل وتدمير وتشريد عقاباً لأهل الجوف على التمرد. أشار هوبر إلى أنه بعد سيطرة عبد الله الرشيد على الجوف أول مرة عام ١٨٣٨م، فقد كان هناك نزوع من أهل الجوف للاستقلال عن نير الحكم الجديد، ويكمل قائلاً، (علماً أن التشديد والإبراز للعبارات هما من الباحث): «هذا النير الجديد، كان ثقيلاً على أهالي الجوف، وبالنظر لضعف حكومة ابن رشيد، فقد فكروا في استرداد استقلالهم، لذا فقد انتفضوا، وعملوا على طرد الحاكم الشمري. **إن هذا النصر الذي تحقق من المحتمل أن يكون قد تحقق بالدعم الذي قدمته لهم قبيلة الرولة، وهم قبائل النايف والشعلان،** التي أصبحت قبل فترة جزءاً من قبائل الجوف، وكانت في عداء مستمر مع شمر، فضلاً عن أنها كانت طوال فترة ازدهارها في عداء للوهابية. **لقد أعاد أمير شمر، طلال ابن رشيد الأمر إلى ما كان عليه،** فطلال لم يكن الرجل الذي يتحمل الهزيمة، لقد كانت النفوس قاسية إلا أنها لم تكن تشكل عائقاً بالنسبة لأعراب الأمس. **حدث ذلك عام ١٨٥٣م، أي بعد شهر من العصيان،** حيث عسكر طلال أمام الواحة، وذلك على الأرجح لكي يعمل على زعزعة وإضعاف معنويات المحاصرين. وقد عمل على قذفهم بمدفعين جلبهما معه من حائل، وبالتالي زعزع معنويات المقاومة داخل السوقين (سوق مارد وسوق عين أم سالم) المأهولين بالعرب الرحيمات، الذين ترجع أصولهم إلى المناطق المحيطة بالنجف في الهلال الخصيب. بعد عشرين يوماً من الحصار، اقتحم طلال السوقين ودمرهما كلياً. لقد رأيت الحطام بنفسي. سوق مارد الشهير تم ترميمه، والسكن فيه مرة أخرى، أما بالنسبة لسكانه الأقدمين فمن لم يقتل منهم فقد لجأ تاركاً الواحة إلى الأبد...» (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦١ ـ ١٦٢).

ب ـ الرحالة **جوليوس أويتنغ**، في زيارته للجوف ١٨٨٣م، يقدِّم صورة أكثر تحديداً لتمرد ١٨٥٣، وخاصة ما يتعلق بتحديد عدد القتلى، وكذلك الإشارة إلى أسر واعتقال عدد من أهالي الجوف في حائل، بمن فيهم «خليف»، وكل من حطاب وولده غالب (السراح). يقول أويتنغ عن قصة حكاها له خليف نفسه وهو في قرية «كاف»، وهو (أويتنغ) الآن يستعيدها: «زارني اليوم رجل عجوز من الجوف اسمه خليف، وروى لي تفاصيل مثيرة للاهتمام ـ والتي بكل أسف لم أفهمها كلها آنذاك من حيث اللغة والموضوع، وكانت حول إخضاع موطنه إلى حكم أمير شمر في حائل. تمتعت تلك الواحة (الجوف) عقب غزوة إبراهيم باشا ١٨١٧م بنوع من الاستقلال. ولكن في أعقاب خصومات داخلية، لم يتمكن أهلها من الاحتفاظ بالاستقلال لمدة طويلة، بل وقعت على الأرجح في تبعية بدو ـ الرولة الذين يقيمون بالشمال. استغل طلال الرشيد أمير حائل منازعات العائلات والقبائل بها، وبعد أن ضرب أوتار الرفق في البداية، قام بإرسال عمه عبيد [ابن الرشيد] الملقب بـ «الذئب» في عام ١٨٥٥ (وفي رواية أخرى عام ١٨٥٣م) ومعه مدافع إلى هناك فقصف الأسوار والمنازل، وقطع رؤوس ٨٥ شخصاً ممن كانوا متمردين أو حتى فقط ممن يشتبه بهم، واقتلع أشجار النخيل، وقد أرسى على هذا النحو بالرغم من ذلك العنف

نوعاً من الهدوء والنظام... كان خليف، الرجل المذكور أعلاه من ضمن الناجين من حمام الدم الكبير. لقد تم أخذه مع ٦٥ من الوجهاء لاحقاً إلى حائل، وهناك وضعوا في القيد والسلاسل لمدة ستة أعوام، ولكن فيما بعد أطلق سراحه، لقد دهش كثيراً عندما سمع مني بأنني علمت مسبقاً بحقيقة الحادثة من بلغريف...» (أويتنغ، ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١ ـ ١٩٢).

و«خليف» ـ آنف الذكر ـ هو خليف الخميس، حليف للسراح من جماعة الرحيبيين. غير أن هناك من يرى أن خليفاً المقصود هو خليف السراح ـ أي أن خليفاً من السراح، وليس هو خليف الخميس (زياد السالم، محادثة في اتصال هاتفي، في ١/٦/ ٢٠١٠). ومع ذلك فإذا صحت الشجرة المنسوبة للرحيبيين، وكذلك الشجرة المنسوبة للسراح، حيث شجرة الرحيبيين تظهر وتبرز اسم «خليف»، بينما شجرة السراح ليس فيها وجود أو ذكر لشخص يحمل الاسم خليف، طبقاً لما ورد في كتاب عبد الرحمن الشايع الكريّع (الشايع الكريّع (II)، ١٩٨٤: ٢٤٣، ٢٤٥ ـ ٢٤٦) فإن «خليف» الذي اعتقل في تمرد ١٨٥٣م والذي ينقل عنه الرحالة أويتنغ قصة تمرد ١٨٥٣م، إنما هو خليف الخميس من الرحيبيين، وأن هذا خليف الخميس، وطبقاً لشجرة النسب آنفة الذكر، هو جد خليف وعاطن اللذين قتلهما ابن شعلان في حدود ١٣٣١هـ (القعيّد، مدونة، في ملف من مجموعة أوراق، ٤/ ٩/ ٢٠٠٢).

ب ـ تمرد ١٨٥٣م وواقعة المديرس (١٨٧٠/ ١٨٧١م): مقارنة ومفاصلة

عندما بدأت معالجة واقعة المديرس بدا لي أن هناك تداخلاً مع واقعة تمرد أهل الجوف على الرشيد ١٨٥٣م حيث كنت أميل في بداية مناقشة أمر واقعة المديرس إلى الاعتقاد أنها وقعت في أعقاب تمرد ١٨٥٣، حيث الإشارة إلى عدد من قتلهم وأعدمهم ابن رشيد (طلال آنذاك) حوالي ٨٥ رجلاً، وأسر ما لا يقل عن ٦٥ آخر، كما أورده أويتنغ في ما أشرنا اليه آنفا، إلا أن الصورة الكلية للمناقشات والروايات حول الحملة التركية (١٨٧٠م) وكذلك حول تمرد ١٨٥٣ تقودنا إلى التخلي عن اعتقادنا السابق، وإلى القول إن واقعة المديرس إنما حدثت في أعقاب الحملة التركية مباشرة، أي بنهاية ١٨٧٠ أو أوائل ١٨٧١م، وإن تمرد ١٨٥٣م سابق لها ولا علاقة مباشرة بين الاثنين (سوى ربما فكرة التحرر لدى أهل الجوف من سلطة وحكم الرشيد والتي تبدو مشتركة في الواقعتين) وذلك للأسباب التالية:

١ ـ أن رواية القعيّد أشارت إليه صراحة، كما أشارت إلى تعيين جوهر منصوباً لابن رشيد في حينها أي بعيد الحملة التركية، كما سبق أن فصلنا.

٢ ـ أن رواية سعد الطارف عن واقعة المديرس تحدثت عن أن تلك الواقعة كانت نتيجة ردات (تمرد) قام بها بعض أهالي الجوف وقعت أيام وجود «جوهر». وانه تم إعدام عدد منهم، وفي سكاكا كان هناك إعدام لخمسة عشر رجلاً شاركوا في تلك الردات (التمرد).

٣ ـ ورغم أن الرحالة جميعاً في ما نقلوه عن أحداث الحملة التركية ١٨٧٠ وما بعدها لم يتكلموا عن إعدامات، ورغم ما قاله محمود آغا للرحالة أويتنغ في رحلته ١٨٨٣م عن دور لـ «سطام الشعلان» في قدوم الأتراك، إلا أن رواية محمود أغا للرحالة تشارلز داوتي ١٨٧٦، تشير إلى دور لأهالي الجوف، ليس في طلب قدوم الأتراك للجوف، وإنما في أن «شيوخهم» قد سلموا مفاتيح الجوف لباشا عباس وهو

في معسكره على مشارف الجوف، هذا فضلاً عن أنه من المحتمل أن يكون هناك نوع ما من التنسيق بين بعض أهالي الجوف وابن شعلان (غالباً سطام و/ أو هزاع) بالأمر، أو أن أهالي الجوف استغلوا مسألة القدوم في تأييد الحملة التركية والتعاطف معها في بداية وصولوها وأثناء وجودها وقد يكون بعضهم انحازوا لها فعلاً. في أي من الاحتمالات، يبدو، أن ابن رشيد اعتبره خروجاً على سلطته وتآمراً أو تمرداً عليه ولذلك ربما كان من تداعياتها أسر وإعدام عدد منهم في مكان عرف بـ «المديرس» لاحقاً.

٤ ـ تذكر الرحالة **الليدي بلنت** في رحلتها للجوف عام ١٨٧٩م، والتي أشارت إلى الحملة التركية، وإن كان التاريخ الذي ذكرته أو ذكر لها غير صحيح وهو ١٨٧٥م (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٢٨)، أن محسن الدرع (تقصد كما نعتقد حسن الدرع) كان غير راضياً عن التغيرات السياسية، وهي على ما يبدو تشير إلى أوضاع ما بعد الحملة التركية، وهو ابن درع كما تقول لا يستطيع أن يفعل الكثير لأن ولده أسير ومحتجز في حائل رهينة دون السجن (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣١). ورغم أن ابن درع حاول قتل الأتراك في حفلة رتب لها، إلا أن ذلك على ما يبدو كان محاولة لتحسن الصورة أمام ابن رشيد، خاصة أن ذلك تم بعد الاتفاق ما بين ابن رشيد وعباس باشا على أن تبقى الجوف تحت سلطة وإدارة ابن رشيد مع تبعية سيادية للدولة التركية. ومع توقيع كبار أهالي الجوف، كما ورد في رواية «القعيّد» وكذلك رواية «محمود آغا» للرحالة أويتنغ وكذلك رواية «ابن رشدان» لـ «فهد المارك»، على وثيقة بالتنازل عن الحماية التركية، فإنه من المؤكد أن أنظار أهالي الجوف، وخاصة أعيان وشيوخ الجوف بمن في ذلك «حسن الدرع»، ستتجه إلى التكيّف مع ابن رشيد وسلطته كأمر واقع لا مفر من التعامل معه. من هنا وفوقه لا يعقل أن ابن حسن الدرع معتقل أو أسير في حائل منذ تمرد ١٨٥٣، علماً إن ابن رشيد أطلق سراح الذين اعتقلهم في تمرد ١٨٥٣، بعد ست سنوات من الاعتقال، ومنهم «خليف» (آنف الذكر)، كما يذكر الرحالة أويتنغ (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١)، ورغم كونهم الخصم الرئيس لـ «الدرع»، فإن السراح هم من قاد التمرد آنذاك. إن تمرد ١٨٥٣ يعود في الأصل نتيجة صراع داخلي في عائلة (بيوت) السراح، هو ما يحتاج إلى توضيح ربما سيأتي في تفصيل لاحق. من هنا، ورغم أن حسن الدرع يعتبر في الجوف (دومة الجندل) حليفاً لابن رشيد، إن لم يكن الحليف الأول والأساسي، فإن حركة كبار أهالي الجوف مع الحملة التركية (١٨٧٠)، ربما أثارت شكوك ابن رشيد نحوهم بمن فيهم حسن الدرع، ولذلك تم حجز إقامة ابنه في حائل كرهينة ضد أي تحرك مستقبلي محتمل من ابن درع أو كبار أهل الجوف.

٥ ـ يذكر الغانم في مقابلة ١٩٨٩م أنه على إثر الصراع بين الدرع والسراح، وقت اعتقال حطاب وابنه غالب ـ وآخرين منهم، اعتقلهم ابن رشيد وسجنهم بحائل، كما يقول فهد الغانم، وهم: «قاسم السعيد (العلي)، ونداء ظاهر الدندني (المطر)، وخلف محمد البنية (النصير) ـ حيث إن العلي (يقصد العلي من القرشة وحلفاءهم الفخذ الثاني من القرشة في سكاكا) ـ كما يقول فهد الغانم قاموا يناصرون السراح ضد ابن رشيد...» (فهد الغانم ـ مقابلة ـ في ٢٢/٨/١٩٨٩: ٦ من ١٣)، بل يضيف الغانم أن العلي والقرشة في سكاكا قاتلوا قوات ابن رشيد في غزوه للجوف لسحق التمرد ورفضوا طلب ابن رشيد هدم أبراج علالي الضلع. هذا الكلام طبعاً كان في أجواء عام ١٨٥٣، وفيه ساد، على ما يبدو، قدر من

التفاهم بين السراح والقرشة، في سياق عدم تشكل الاستقطاب الحاد بين القرشة والمعاقلة، علماً أن السراح (وخاصة بيت العمر ـ السراح وهم جماعة حطاب وولده غالب) تاريخياً هم حلفاء المعاقلة في سكاكا، والقرشة تاريخياً حلفاء الدرع في الجوف (دومة الجندل)، وهو ما يعني، إن صحت رواية فهد الغانم عن المناصرة، أن القرشة آنذاك لم يكونوا مع ابن رشيد، بما في ذلك ما يتعلق بموقف مفضي العطية الرافض بحزم هدم أبراج الضلع، رغم أن ابن سهيان تعهد لابن رشيد في حائل، كما هو ابن درع الذي وعد ونفذ الوعد، إلا أن ابن سهيان لم ينفذ، طبقاً لرواية كل من فهد الغانم وكذلك ما أورده عبد الرحمن الشايع الكريّع عنها في ما ذكرنا سابقاً.

٦ ـ في واقعة المديرس (١٨٧٠م) وفي أعقابها، يبدو أن الأمر مختلف، مقارنة مع ما كان عليه الوضع في تمرد (١٨٥٣ م)، وما سبقه، إذ إنه في فترة واقعة المديرس وما تلاها مباشرة، فإن التوتر بين المعاقلة والقرشة سواء في الجوف (دومة الجندل) أو في سكاكا قد بدأ يتكوّن ويؤسس لمرحلة من التنافر والاستقطاب سوف تمتد وتشتد باتجاه أواخر القرن التاسع عشر وحتى أوائل الثلث الأول من القرن العشرين. إن مساندة بعض من القرشة (العلي) للسراح يبدو أنها انتهت مع الفترة التي تلت وأعقبت نهاية التمرد(١٨٥٣م) وسحقه. من الأدلة على ذلك أن غالب حطاب (السراح)، بعد أن لحق بأخوته وقد تراجعوا إلى مكان يقال له «الوشواش» قريب من أثره، إثر اعتقال والدهم حطاب، وكذلك معه على الأرجح ولده غالب نفسه، على خلفية تمرد ١٨٥٣، مع آخرين من أهل الجوف، كما مر بنا، بمن فيهم خليف (الخميس)، قصد قصيدة ينتقد فيها أوضاع الجوف ومنها انتقاده لقاسم السعيد (أخو عينا) لتوقفه عن مناصرته. كانت تلك القصيدة التي قالها غالب والتي سنأتي على ذكرها تالياً، تبدو رداً منه، على ما يبدو، وطبقاً لرواية خلف الشافي، على تخلف قاسم السعيد وجماعته عن الإيفاء بوعدهم وبالثمن الذي طلبه منهم غالب عندما ضافوه في قريته قراقر ((قريته هي الوشواش، ولكن أبو عناد يقول إنها قراقر!)). يقول أبو عناد (خلف الشافي) إن قاسم السعيد وجماعته عندما اكتالوا من غالب، سألوه عن الثمن ((الإشارة هنا هي إما لثمن الكيل أو لثمن ناقة عنده))، فقال غالب: «ثمنها ما تقدرون عليه... قال ثمنها لجيتوا ((إذا جيتوا)) الجوبة، ردوا النقاء على ابن رشيد»، فلما وصلوا الديرة ((المقصود سكاكا)) قال قاسم السعيد مخاطباً ومستشيراً جماعته عن مسألة الثورة على ابن رشيد التي طلبها منهم غالب: «يا رجال حنا وين؟... قالوا أنت تريد تحارب ابن رشيد علشان ابن سراح!..»، ويضيف خلف الشافي أنه عندما «... وصلت ابن سراح هالكلمات» (خلف الشافي ـ مقبلة (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ١٥)، قال قصيدته، والتي نوردها كاملة لأهميتها من حيث أبعادها ودلالتها الثقافية والاجتماعية السائدة آنذاك، فضلاً عن دلالاتها الصراعية، ـ مع التشديد على الأبيات المطلوبة (بما نحن بصدده هنا)، كما تحصلنا عليها مدونة في أوراق استلمناه (القعيّد، في ملف من مجموعة أوراق ـ تسليم، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢) ـ، كما يلي (يقول غالب الحطاب)[٧]:

---

(٧) قصيدة، غالب الحطاب، وَرَدَت أيضاً، في: المصدر نفسه، ولكن بصفحة أخرى، وهي مختصرة، ولكن بأبيات ذات صيغ مختلفة عن ما ورد أعلاه في المصدر نفسه، ولكني أرى أن القصيدة أعلاه أكثر تماسكاً ودقة، فضلاً عن أنها على ما يبدو كاملة الأبيات، أما الثانية المختصرة فهي ناقصة وبعض أشطار البيت مكرّرة ممّا يوحي أنها تنطوي على قدر من النواقص والأخطاء. وحيث الأمر كذلك، فقد وضعنا بعض الأرقام على نهاية بعض أبيات القصيدة كأمثلة على الاختلاف ما بين الصغيتين، و ليس حصراً لها جميعاً، وفيها ملاحظات للتنبيه، من ذلك ما يلي: =

(أ)موفقين خير يأهل الركايب ... عسى السعد بنحورهن يوم تمشون
تريضو وخوذو لي حلي الغرايب ... حيث إنكم يم الرفاقة تمدون
وليعتليتو كالنعام الهرايب ... صبح الثلاث لديرة الجوف تلفون
وليا لفيتوا حول هاك النصايب ... سلام وحذرا للركايب تنيخون
من خوف ياتيكم من السوق نايب ... يأخذ حلايكم والمعازيب يراعون
بالسوق يا ما مشقو من رطايب ... يم الشمال إن قيل صلو يصلون
الجوف حطو به امزكي ونايب ... حتى على شغروف بالهرج يلفون
اخسو غديتو لون سواة الحلايب ... كل يوم بسوق الغَريْرَة تعدون
الجوف تذكر به سموم الهبايب ... ترا طيبنا من طيبكم كان تدرون
والجوف صارت به سواة اللهايب ... وإلخد من كثر البكا تقل مدهون
يذكر مشوّح حاضر تقل غايب ... ما هو ردن به مار ماله يطيعون
مشوّح عن الطرشات يا مير تايب ... أصبح النية صبحة اللي يقولون[#١]
اخسو خسيتوا يا كبار العصايب ... لوا حسايف نقلكم كل مسنون
على إلخباري تدفعون الشرايب ... هو ليه ياكرامين اللحا تستهتمون
حتى صليب له ضيوف وطنايب ... ارداهم اللي باللوازم يسدون
ودنيا توريك الْهوّلْ والعجايب ... والقلب من كثر الهواجيل مطعون[#٢]
لومي على أهل الدلال التعايب ... ولا ابن صليع ولابته ما يلامون
مع النقيب ادعو طريق النجايب ... يمينهن عند بن قادر تنيخون[#٣]
تلقون ناصر مثل حر الجذايب ... ماكر ولا عمر المواكر يبورون
تلقون فنجال من البن رايب ... زود على اللي بالمناسف يحطون
يا حيف اخو عينا يقولون شايب ... لوا هني من حط شيبه على عفون
ليا خو عينا يا بعد كل خايب ... كيف الضيوف من المناخه يقادون
حنا لكم بالجوف مثل الرقايب ... عز وذرى مار ليتكم ما تعرفون
وحنا لكم سيف عطيب الضرايب ... نِسْهر عيون الضد وانتم تنامون
وحنا لكم بيت عذي الطنايب ... يذري عن البرد لاهب كانون[#٤]

= بالنسبة للإشارة رقم #١ لصيقة البيت (مشوّح عن الطرشات يا مير تايب ـ ـ ـ أصبح النية صبحة اللي يقولون). وَرَدَ في المصدرنفسه، ولكن في صفحة أخرى مقتطفات من القصيدة تضمنت هذا البيت ولكن بالصيغة التالية:

مشوّح عن الطرشاة يا مير تايب ... حج بنسبيه حجة اللي يتوبون

الرقم #٢ لصيق البيت (ودنيا توريك الْهوّلْ والعجايب ـ ـ ـ والقلب من كثر الهواجيل مطعون)، تتعلق بعدم وضوح المفردة (الكلمة) «الهواجيل»، وهل هي كذلك، أم الهواجيس، أم غيرها، الأمر غير واضح لعدم وضوح الكتابة.

الرقم #٣ لصيق البيت (مع النقيب أدعو طريق النجايب ـ ـ ـ يمينهن عند بن قادر تنيخون)، تتعلق بوجود بيت موازٍ بصيغة أخرى، في نفس المصدر، ولكن في صفحة أخرى، والبيت المواز هو:

مع النقيب ادعو طريق الركايب ... حيث أنكم عند ابن قادر تضيفون

الرقم #٤ قرين البيت (وحنا لكم بيت عذي الطنايب ـ ـ ـ يذري عن البرد لاهب كانون) وَرَدَ بيت موازٍ له بصيغة أخرى في المصدر نفسه ولكن بصفحة أخرى، وهو:

وحنا لكم بيت قوي الطنايب ... وحنا ذراكم كان هو هب كانون

من الجوف لسكاكا نجيكم عصايب   ما هي سواة الأولـه ما يعفون
يالله يا مدير الفلك والهبايب   يا ناصر موسى على قوم فرعون
انا دخيلك عن جميع المصايب   منا ومنهم نوفي الدين بديون
ودي بشوف ربوعنا والغرايب   ون جاهم الطارش بوجه يهلون
لوا هني من زار هاك الخرايب   بساعة يحضر بها كل ملعون
والدم وسط السوق لدعيه رايب   والسبع يا اللي للقهاوي تدقون
ولا بد ما تطوي عليّ النصايب   عقب الهواء والعز بالقبر مدفون

ج ـ صراع السراح/ السراح ١٨٥٣م: الواقعة والرواية

قلنا في ما تقدم إن تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م ضد الرشيد إنما هو ناتج عن صراع بين بيوت السراح أنفسهم، وبالذات بين بيت آل «عمر» (حطاب وغالب) وبين بيت «السلمان» (المشوّح) وفي حقيقة الأمر رغم أهمية تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م، وما انطوى عليه من مضامين وأطراف ونتائج، فإن اهتمامنا إنما ينصب على الصراعات الأهلية. لذلك يهمنا الآن التعرف على واقعة صراع السراح/ السراح، باعتبارها إحدى واقعات الصراع الأهلي بالجوف.

صراع السراح/ السراح في عام ١٨٥٣م في الجوف (دومة الجندل) كواقعة وقصة نضعها هنا وهي، في الغالب، برواية سلمان القعيّد، كما دونها حفيده عبد العزيز نقلاً عن والده محمد عن جده سلمان. وفي بعض أجزاء الرواية، وخاصة في آخرها ويبدو متعلقاً بقصة أسر وهروب ونهاية غالب الحطاب يشير المدوّن عبد العزيز القعيّد إلى أن «هذا ما سمعته من والدي محمد القعيّد وأكده غازي شنوان الداحس» (القعيّد، ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٤ ـ ٣١ من ٣١ ص). نلفت النظر إلى أنه في هذه الواقعة، كما في الواقعات الأخرى، رغم حرصنا على عرض كل ما يتوافر من روايات حتى ولو كانت متعارضة ومتناقضة، فإننا في تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) في كلياتها، لا نتوقف كثيراً عند هذه الروايات و/ أو نعتمد عليها، لأنها ورغم ما تنطوي عليه من مسببات لا تكفي ليس فقط لتفسير ذاتها وإنما، فوقها لا تقترب من التفسير الكلي والشامل للصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف.

بداية نلفت النظر إلى أنه في الرواية، فإنه لا الراوي ولا الناقل يحدد سنة الصراع، ولكن أحداث القصة كما سوف نلاحظ تحيلنا إلى ما عرف بتمرد ١٨٥٣م، وهو ما تقدم طرحه.

في بداية مدونة الرواية يشير عبد العزيز القعيّد إلى أن عائلة السراح تنقسم إلى ثلاثة عائلات (أقسام) وهي: ١ ـ **العمر** ٢ ـ **الحبوب** ٣ ـ **السلمان**، علماً أن «حبوب» و«سلمان» أخوة أشقاء، بينما «عمر»، هو أخ (غير شقيق) لهما. **عمر** أنجب حطاب وحطاب أنجب غالب والحميدي. **العمر** كبيرهم آنذاك حطاب وولده غالب. **السلمان** كبيرهم آنذاك «مشوّح».

ونضيف نحن (الباحث) أن «الحبوب» كبيرهم آنذاك غافل الحبوب، وهذا الأخير، توفي بحدود ١٨٧٠م (زيادة أو نقصاً بقليل) طبقاً لأقوال الرحالة تشارلز هوبر، عن رحلته للجوف في عام ١٨٧٩م، إذ

يقول: «في الجوف، تمت استضافتنا عند الشيخ سلطان بن حبوب، وهو ابن أخي غافل الذي استضاف من قبل الرحالة بلغريف. لقد مات غافل منذ عشرة أعوام، وسلطان هو صهر الشيخ عبد الله الخميس» (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢م: ١٥٨)، علماً أن هوبر وصل الجوف في ٢٦ ـ ٥ ـ ١٨٧٩م (هوبر، رحلة ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٥٧)، وعلماً أن عبد الله الخميس هو شيخ كاف آنذاك (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٤٩).

تمضي الرواية عن صراع السراح بالقول، ـ وأنقلها كما وردت ـ ما عدا ما يرد ما بين قوسين مزدوجين فهي من الباحث للتوضيح:

«كان غالب الحطاب من جماعة ابن شعلان، وغالب له قيمة عند ابن شعلان، وباقي جماعته مع ابن رشيد، أي بني أخيه من أقسامهم الثانية ـ ـ ـ كان فيه عيال اثنين صغار يسرحون بالغنم في جنوب شرق الديرة في مكان يسمى الحصيبة ـ صار بينهم نزاع، فقام الأول وكان من أهل خذما يضرب بالثاني بحجر على رأسه فمات في الحال ـ والسلمان كبيرهم اسمه «مشوّح» ـ فقامت أم الولد المقتول وكانت جارة لـ «مشوّح» السلمان، ودخلت على مشوّح وقالت: يا مشوّح حنا من جماعتكم وولدي انذبح واريدك تأخذ بثار (أ) ولدي ـ بعد ذلك حصل تفاهم بين أهل القاتل ومشوّح على أنهم يدفعون (أ) دية ـ وكان حسب عوايدهم الأوله يدفعون شيء مع الدية يسمونه الغرا ((؟ أو الفرا؟)) فوق الدية، إما بارود أو سيف أو شيء من ها القبيل ـ ـ وإلا هم ادفعوه هذولا ((وما دفعه هؤلاء)) عبارة عن سجادة أعطوها «مشوّح» ـ ـ ـ أ(ل)دية ((الفلوس)) راحن لأهل المقتول، والسجادة تنازلوا عنها لـ «مشوّح»، قالوا خذها. (أ)علم غالب ((غالب الحطاب))، ولمار ((يقصد كان)) عنده عبد يقال له «سدى»، قال يا سدى أبغي أروح أشوف السجادة و(أ)نت يا سدى، لا جابوا ((إذا جابوا)) السجادة وشفتها وطلعوا بها من عندنا، خذها من الرجال ـ أي كان رغبة غالب هو الاستيلاء على السجادة، ولربما لأنه يرى أنه أكثر قيمة من «مشوّح» ـ وفعلاً أحضرت السجادة بعد أن طلب غالب من مشوّح أن يراها ـ وحينما لفوا السجادة و(أ) نصرف بها من أتابها ((أتى بها)) تبعه عبد غالب ((سدى)) للاستيلاء عليها كما أمره غالب فحصل نزاع بين سدى و(بين) الذي كان يحمل السجادة ـ ـ ـ غالب عند انصرافهم من مجلس (ا) مشوّح لحق بهم بعد قليل ـ فوجد سدى ومن يحمل السجادة من (ا)رجال (ا) مشوّح في عراك شديد على السجادة ـ ـ ـ فعندما رأى رجل(ا) مشوّح غالب قام بالنداء بأعلا صوته على (ا) مشوّح ـ حضر مشوّح مسرعاً ـ ـ ـ فأدرك نية غالب على الفور فسحب سيفه وضرب غالب على يده، وكانت الضربة على أصابعه. يعني لا يريد قتله. يريد تخليص السجادة فقط، فأثرت الضربة بأصابع غالب تأثيراً شديداً (*) ـ وبالمناسبة فإنهم يقولون إن غالب كان أعور ـ حصل بينهم عراك بعد ذلك شديد ـ ـ ـ تدخل بعض جماعتهم، وفكوا بينهم، وذهب كل منهم إلى بيته ـ ـ ـ ولكن بعد ذلك أصبح بينهم نوع من الكراهية ـ ـ ـ وبعد انقضاء مدة ماهي طويلة كان في واحد اسمه «سكران ابن خشاب»، وهو من الحواس، وكان موالي لـ «السلمان»، جماعة مشوّح، والحواس ((بالأصل)) من أهل حايل ـ ـ ـ كان بينه وبين غالب عدم محبة، وذلك لأن سكران كان ساكن بـ «الرحيبيين»، ودارت معركة بين الرحيبيين والسميحان، وبعد انقضاء المعركة كأنه حصل صلح بين أهل السميحان و((بين)) الرحيبيين، وكانوا الرحيبيين بقيادة (ا)خليف العواد (؟**) ـ ـ ـ فقالوا أهل السميحان

أنتم ذبحتوا لنا رجلين، ادفعوا ديّتهم، فقالوا أهل الرحيبيين اللي ذبح الرجلين سكران ابن خشاب، فالزموا سكران أن يدفع النخل بالكامل والتي تعود لملكيته دية عن قتل اثنين من السميحان ـ ـ ـ حيث إنهم قالوا هذا ماهو منا، وبكيفكم معه ـ ـ ـ وكانوا بذلك تخلوا عنه رغم انه كان يقاتل لجانبهم ولمصلحتهم فتخلوا عنه فخسر حلاله مما أغضبه من (ا)خليف وولد اخت خليف ((هو)) غالب الحطاب، فرحل وسكن بـ «السلمان» مجاور لـ «مشوّح» ـ ـ ـ والشاهد على هذا القصيدة سنأتي عليها، حيث ابن رشيد أراد تقطيع نخل «المذهن»، انتصر غالب للمذهن هو ومجموعة ناس معه، فأكمن غالب بمكان يسمى «سيل اللبيد»(؟)، هو ومن معه، وعند حضور الملتفين حول سرية ابن رشيد كان معهم واحد اسمه «نقا» كان هو وغالب عيال الأخوات، فأراد غالب أن يضربه بالسيف، فقال (نقا) اخس يا غالب أنا وياك بيننا صلة رحم وتريد تقتلني، وكان غالب قد انتصر على سرية ابن رشيد، فقال غالب لا والله ماني ابكيا امك، ولكن خذ عقالي حطه على رقبتك وامش واللي يقابلك قل له أنا بوجه غالب... ـ ـ ـ والقصيدة التي تكلمنا عنها كانت عتب على سكران من غالب الحطاب لعدم حضوره المعركة... هي كما قالها غالب:

يا خو طريفه ليه للعين ما جيت	وتشوف اربوعنا يابن خشاب
بحيل ابن بادي (ا) بخالي تشاريت	وشوف ربعي بالعدو تقل قصاب
اذبح جزورك يا نقا كانك اشفيت	اعطيك سيفي يوم قصات الرقاب
(ل)لشرعيبه والسيف خليت	وعرف وربك ماشيا درب الصحاب

وعندما وصلت القصيدة لـ «سكران» وهو زعلان على حلاله اللي راح منه، فرد سكران على القصيدة، قال:

عنكم تخلّيت ومنكم تبرّيت	يوم الرحيبيين حسبت بالرقاب
ثلاث ونات على ساق ونيت	من هَمْ زينات الثمر وقت الرطاب

وتمضي الرواية إلى القول: «فكأن سكران أراد إشعال الفتنة بين غالب وجماعته من السلمان، وبعد أيام كتب قصيدة يهيّج بها السلمان على غالب، فقال:

يا حيف يا السلمان صرتوا معاويد	وسط المجر يردم عليكم ردامي
لا وا حسافة نقلكم للبواريد	بس اللحسافة حب زرق الوشامي

وكان يسعى من وراء ذلك لإيقاع الفتنة بينهم ـ السلمان والحبوب (آباءهم أشقاء)، بينما الحطاب أخ، ولكن ليس شقيق ـ ـ ـ وبعد فترة حضر ابن شعلان للجوف وقام بإعطاء غالب سانيتين ((ابل ـ ناقتين للسني واستخراج الماء)) فأتا لـ «مشوّح» شخص، فقال يا مشوّح ليه ابن شعلان يعطي لغالب سواني وأنتم ما يعطيكم وأنتم كلكم السراح، فقال مشوّح أنت متأكد، قال نعم، الناقتين عند غالب هالحين، والعمال يعسفونهن بالمجر ـ ـ ـ وكان غالب بعد الانتهاء من السني يضع الناقتين في قطعة ((أرض)) فاضية قريبة من مساكنهم، فقال مشوّح لاثنين من (ا)رجاله، وهم «كبريت» و«عقيل»، وهم (اخوان) من السراح، روحوا يم القطعة اللي بها نياق غالب و(إ)ن لقيتوهن قطعوا عراقيبهن ـ وفعلا نفذوا ما اراد «مشوّح» وقطعوا عراقيب نياق غالب ـ ـ ـ وعندما أتى العبد الصبح لأخذهن للمجر وجد أن البعارين

قطعت عراقيبها، فذهب وأخبر غالب، فقال غالب للعبد اكتم الخبر لا أحد يدري بما حصل ـ ـ ـ فقام غالب بعد ذلك بالاختباء في مكان يشاهد منه البعارين، أملاً في أن يعود من فعل ذلك حينما يرى أن الأمر لم يضهر له ردة فعل من قبل غالب ـ ـ ـ هي خطة من غالب لاستدراج من فعل ذلك بسوانيه ـ ـ ـ وقد نجح غالب في خطته حيث حضر في اليوم التالي كبريت وعقيل، واقتربوا من السواني ليروا هل هي لا تزال على قيد الحياة، فما كان من غالب، حينما أدرك الفاعلين، إلا أن سدد بندقيته صوبهم وقام بقتل الاثنين على الفور ـ ـ ـ في أثناء هذه الأحداث كان سكران ابن خشاب موجود عند ابن رشيد بحايل، فأتى خبر قتل غالب لكبريت وعقيل، فأنشد سكران ابن خشاب، قائلا(٨):

العين عن نوم الخلايق بديله	يابو محمد ما تهنيت بمراح
كن الجليجل موق(#١) عيني يشيله	او عنزروت أو حط بالعين زرناح
مزن تبنى فوق راس الجبيله(#٢)	بروقه حياض اللي يشيلن الأرواح
ضفى هللها فوق قصر السبيلة(#٣)	خذت كبريت وعقيل ابن سراح
اللي بسطحه قاعدا ينتطي له	حط الشضا بين الفريقين(#٤) و(أ)رتاح
يا بو حمد خضتك(#٥) اودى صميله	زبده ودايا قطعة حيل ولقاح
وين المطاين وين زمة نخيله	غرايسن ما غزهن كل فلاح
يا حيف يا سراح ويا قبيله	قبيلة ماهم على الزاد شحاح
ويا حيف يا سراح ويا قبيلة	ضلعن تهدهد عن امتون العدا طاح

*** ـ ـ ـ ***

وتمضي الرواية إلى القول: «كان ابن رشيد جالس ويسمع القصيدة، فغضب عندما سمع آخر القصيدة ((العجز الثاني من البيت الأخير: «.... ضلعن تهدهد عن امتون العدا طاح)) وظن ابن رشيد أنه يقصده، فقال سكران لا يا طويل العمر ماهي عليك، أنا أقصدهم هم. وفعلاً وقع بينهم المحذور، وقام القتال بين الحطاب والسلمان ـ ـ ـ **وثاروا جميع أهل الديرة، وحتى أهل سكاكا ضد السلمان**، لما لغالب من مكانة وأبيه ((أبوه: حطاب))، ولأن مشوّح هو من أثار المشكلة في عقر ((قطع)) نياق غالب عن طريق عقيل وكبريت ـ ـ ـ وكان يحمل البواريد من قبل السلمان والحبوب ستين رجل، وقد وجه (أ) مشوّح السلمان بأن كبار السن عليهم مسك المناظر، وأكد لهم أنها إما حياة أو موت، لعلمه بالتفاف أهل الديرة حول غالب السراح ـ ـ ـ (ملاحظة): ابن سكران (؟) ((هكذا ورد هنا، وهو يقصد على ما يبدو ابن

(٨) توضيحات الأرقام في اقصيدة سكران ابن خشاب:

(#١) وفي صيغة أخرى وردت: جفن.

(#٢) الجبيلة: مكان مرتفع قرب بيوت السراح.

(#٣) قصر السبيلة: قصر السراح حول أماكن سكنهم. ((وللمعلومية كما ورد في مكان آخر في قصة مختصرة للصراع بين بيوت السراح من الرواي نفسه: أن السبيلة هم فخذ من السراح والذي له كبريت وعقيل ينتميان)) (القعيّد، ملف في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢)، وعلماً أن هناك مصدر آخر يدعم القول بأن هناك فخذ من السراح يُقال له «السبيلة» (الشايع آل كريّع (II)، ١٩٨٤: ٢٤٢). وينبّه الباحث إلى أن هذا الفخذ «السبيلة» من السراح ليس هم «جماعة السبيلة» القاطنين في حي الغرب من دومة الجندل.

(#٤) الشضا وَرَدَت في صيغة أخرى هي: «الشظى»، و«الفريقين» وردت في صيغة أخرى هي: «الرفاقات».

(#٥) أبو حمد: هو الذي أثار الفتنة بينهم، وفي قول آخر يقال، أخو (أ) اشطينه. وكلمة «خضتك» وَرَدت بصيغة أخرى هي: «خضيضك».

خشاب، أي سكران نفسه)) قد عاد من حائل قبل نشوب المعركة، وعلى ما يبدو أن بيت سكران بالمكان الذي يخص غالب، رغم موالاته للسلمان، وقد وضعت عليه حراسة مشددة لألا ((لكي لا)) يذهب ويفزّع الرشيد على غالب وجماعته، حيث إنه يملك الشجاعة والمعرفة ـ ـ ـ هذا وقد دارت المعركة بين غالب ومن معه وبين عمه ((يقصد: أعمامه)) السلمان، وكانت الغلبة للسلمان بشكل واضح وجلي رغم كثرة أعدائهم. ـ ـ ـ بعد ذلك هدا الوضع تقريبياً، وتوقف إطلاق النار ولكن على حذر ـ ـ ـ وفي أحد الأيام خرج مشوّح... فقابله شراري، فقال له مشوّح من أنت، وش طلبك، فقال أنا معي قعود ابي [أبغي] اهديه على حطاب، قال انت تعرف حطاب، قال لا، ولكن اسمع به، قال ((يقصد مشوّح)) (أ) وصلت على خير أنا حطاب، فأوهم الشراري أنه هو حطاب، قال وش طلبك يا ولدي، قال الشراري أريد بارود وأريد تمر وأريد لي عباة، فقال خلك هنيا وأنا أجيبهن لك، لأن الديرة قايمة على بعضها، وأنا أخاف إن دخلت تنذبح. وفعلاً تسلل مشوّح إلى داخل الديرة وأحضر للشراري طلباته، وترك القعود برى ((برا))، ولم يدخلها للديرة ـ ـ ـ فقام بعد ذلك بتجهيز القعود بما يحتاج المسافر من بندقية إلى طعام إلى ماء وغيره ـ ـ ـ ثم قال مشوّح لأحد المقربين له نبغى (أ)نطلع سكران من بيته، وأنتم تعرفون المراقبة عليه شديدة، وهو يعلم موالاة السكران للسلمان، وش الرأي، فقال الرجل الرأي عندي؛ أن يروحن أمرتين ((امرأتين)) لبيت السكران، ويأخذن معهن ملابس مره ((امرأة)) كاملة ـ ـ ـ يلبس سكران ملابس المره ((المرأة)) اللي معهن، ويأتي مع وحدة منهن، وحدة تبقى بيت سكران، وكأنهن هن اللي راحن وجن ـ ـ ـ وفعلاً (ا)دخلن الحريم البيت، بيت سكران الحواس، وعلمنه ان (أ)مشوّح يريد يرسله لحايل، وعليه أنه يلبس ثوب المره ((المرأة)) اللي معهن ويطلع مع وحده منهن حتى يصلون بيت مشوّح. فعلاً طلع سكران ووصل لحد مشوّح ـ ـ ـ فعندما وصل لمشوّح، قال مشوّح يا ولدي أريد أرسلك لعبيد الرشيد بحايل ـ ـ ـ وافق سكران على الفور، فقام (أ)مشوّح و(أ)عطى سكران قصيدة، هي عبارة عن تفزيع لـ ابن رشيد ضد جماعته الحطاب، يقول فيها:

يــا راكـــبـــاً فـــوق حـــرا معنـا	حـــرا مـــن الـقـعـدان مـالـه مثايـل
ولـــد (الـــ)ذلـــول لـلـمـاشـي حدنـا	لـوسـقـت بـه غـال الـثـمـن مـا تسايل
فـوقـه غـــلام يـوصـل الـعـلـم منـا	صبح اربـع (تـ)يلـفـي ارفـاع الحمايل
تـلـفـي عـلـى طـــلال زبـــن الـمـجـنـا	وخـبـر اعـبـيـد كـــان عـنـا يـسـايـل
ابـــن الـعـــرج وحـــمـود خـــذو ثـمـنـا	طـاحـوا بـراشـد صــار مـالـه دلايـل
جـابـو ابـــن شـعـلان لـمـارد وغـنـا	**جـمـع عـلـيـنـا الـحـضـر والـبـوادي**
يـقـول غـيـر قـصـورهـم يـهـدمـنـا	عـيـو عـلـيـهـن كـاسـيـين الـنـفـايـل
نكس يـدور(يـقـول) الصلح مـا طـال منا	وبـــرد بـغـرسـاتـن تـعـيـش الـقـبـايـل
وش عـــاد لـــو غـرسـاتـنـا قـطـعـنـا	الـلـي وراه عـبـيـد مـاهـو بـسـايـل
كـيـف انـــت يـــا حـمـا كـــل ونـــا	وكـيـف انـت يـا معطي العطايا الجزايل
بـالـجـوف كـل انـطـاع لـه غـيـر حنـا	وحـتـى الـسـكـاكـي للبحر جـاك صـايـل
تـعـاقـب الـمـثـلـوث مـنـهـم ومـنـا	وثـار الـدخـن مـن حـمـو صـلـو الفتايل
نـرمـي وحـنـا لـلـنـظـر مـا مـكـنـا	يـا عـبـيـد مـا نـيـقـن بـخـص الـزوايـل

مــن ضــربــنــا كــل بــــداره يــونــا	والــلــي سلــم مــا نــال غيــر الـفـشـايـل
بـغـرسـاتـنـا حـطـاب وخـلـيـف غـنـا	ســووا ســواتــن مــا ســاوهــا الـقـبـايـل
ان سـاعـف الـبـاري وحـنـا مـكـنـا	انـقـاضـي خـلـيـف لـقـربـتـه مـا نـسـايـل
كـــان أبـــو بـــنـــدر لــفــانــا سـكـنـا	و(إ)ن ما لفانا قولو يشد(يدز) الرحايل
يـا اخـــوات نـــوره لا تـغـاضـون عـنـا	تــرى الـبـحـر سـوق مـن أســواق حـايـل
وصــــلاة ربــــي عـــد مــــزن تـبـنـا	والا عــدد عـشـبـن نـبـت بـالـمـسـايـل

******

وتمضي الرواية إلى توضيح بعض الأسماء الواردة في القصيدة، وتشير إلى أن: «راشد هو راشد ابن درع. حمود هو حمود العامر». الإشارة هنا إلى ابن العرج هي لدوره بالاطاحة بـ «راشد الدرع» والاستنجاد بابن شعلان. ولكن، وللأسف، فإن الرواية والقصة لم تحدد من هو «ابن العرج» الوارد في القصيدة. ورغم عدم التوضيح والتحديد لشخصية ابن العرج، إلا أننا نُرجح أن له علاقة بجماعة العرجان، ذلك أن العرجان والدرع، وإن كانوا فيما مضى حلفاء، فقد أصبحوا خصوماً لبعضهم البعض، وعلماً أن العرجان والدرع (على وقت حسن الدرع وأولاده صفوق ووفوق) ستتطور، لاحقاً، خصومتهم إلى التباسات «خصومة دم» في عام ١٣٢٦هـ/ ١٣٢٧هـ، و«بتحريض من زبن القعيّد»، وطبقاً لما يذكره عبد العزيز بن محمد بن سلمان القعيّد في مدونته، نقلا عن والده نقلاً عن جده (القعيّد، ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ص ١ و٢ من ٣٥)، كما يبدو أثناء أو بعيد سيطرة ابن شعلان على الجوف ١٣٢٧هـ، حيث سيُقتل في ثنايا تلك السيطرة كل من حسن الدرع، وكذلك أولاده صفوق ووفوق، ولم ينجُ من أولاد حسن الدرع سوى «حماد» والذي فر للنجاة بنفسه للشام ثم عاد بعد استتباب الأوضاع لاحقاً. وللمعلومية فإن تلك التقاطعات والالتباسات في الدم بين العرجان من جهة، وبين «الدرع من جهة أخرى، قد تم تسويتها بينهما بالمصالحة فيما بينهما (بين كل من عبيد الله ابن العرج وحماد ابن حسن الدرع) بتنازلهما عن وإسقاطهما لأية حقوق ذات صلة بعداوات أو دماء أو أموال، قديمة أو تالية، مستحقة لأي منهما على الآخر. تمت هذه المصالحة برعاية وأمام «عساف الحسين» (أمير الجوف آنذاك) وبشهادته، وشهادة محمد بن إبراهيم كاتب المصالحة في عام ١٣٤٢م. نسخة الوثيقة، تحصلنا على نسخة منها، ضمن مجموعة نسخ وثائق من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص» أرسلها لنا الأخ بدر البليهد عن طريق عواد فالح عواد المعدوة، في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢م (للمزيد وعن نص المصالحة بين العرجان والدرع، كما كتب منقولاً عن نسخة مصورة منه، انظر ذلك كما أوردناه في واقعة «صراعات أهل الجوف الاصطفافية (١٩٠٨ ـ ١٩١٥) وصورة منها في «ملحق ـ ١: نسخ وثائق الصراع الأهلي بالجوف، في ملاحق الدراسة والكتاب).

خلافات حسن ابن درع وزبن القعيّد، تبدو، بالمقارنة مع ما كان بين الدرع وبين العرجان، أكثر حداثة ومتأخرة. كان الخلاف بين حسن الدرع وزبن القعيّد على ما يبدو يتصل بامتداد خلاف سابق بينهما على مسألة مساندة حسن الدرع لبيع واحد من عائلة الداحس حصة قليب (بئر) مشتركة مع زبن القعيّد، إثر خلاف بينهما، لصالح شخص يدعى فاران ابن عامر، ولدور حسن الدرع بإقناع ابن رشيد ليغيّر الحكم

بتجيير البيع لصالح ابن عامر، رغماً عن رغبة و«حق» زبن القعيّد بالبيع له بالشفاعة. ويبدو أن الأمر في تحريض القعيّد يعود إلى أهم من الخلاف الظاهري على بيع حصة من البئر، إلى ما هو أهم منه، ألا وهو محاولة من زبن القعيّد، على ما يبدو، للتخلص من نفوذ «الدرع» كلية في مقابل زيادة نفوذه هو (زبن القعيّد) نفسه. تلك الفرصة في تصفية نفوذ الخصم يبدو أنها سنحت في فترة تحولات كبرى في الجوف وحائل في حدود فترة ١٩٠٧م، وخاصة مع أو قبيل سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٠م). طبعاً لا يعرف متى تاريخ واقعة البيع ولا ذهاب كل من ابن الدرع وابن قعيّد لحائل للتخاصم أمام ابن رشيد من أجل الحصول على حكم بيع حصة البئر لصالح «فاران» أو لصالح اعتراض «زبن القعيّد» على البيع وحقه في الشفاعة بالشراء لمصلحته هو.

يبدو أن خلاف حسن الدرع وزبن القعيّد هو خلاف لاحق وبفترة طويلة لأحداث وصراع السراح وتمرد ١٨٥٣م، حيث نعلم من أقوال الرحالة موسيل، في رحلته الأولى أن زبن القعيّد عندما أتى إلى ابن شعلان لدعوة «الأمير النوري ليتسلم الحكم» في الجوف في عام ١٩٠٩م، كان عمره آنذاك حوالي ٤٠ سنة (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢م (أ): ٣٧٧)، مما يعني أنه لم يكن أصلاً مولوداً بعد في عام ١٨٥٣م. لكن كل ما يهم في مناقشة الأمر هنا هو في محاولة تحديد أن المقصود بابن العرج الوارد في القصيدة أعلاه هو متصل بجماعة العرجان وأن خلافهم مع الدرع ليس جديداً، وإنما يعود إلى أحداث ١٨٥٣م وربما إلى ما قبله. لذلك ليس غريباً تحالفهم مع السراح (العمر وحطاب وغالب) ضد ابن رشيد وحلفائهم الدرع وبيوت السراح الأخرى (السلمان والحبوب). لاحظ أن القصيدة أعلاه، وهي متصلة بأحداث وصراع وتمرد ١٨٥٣، تتحدث عن الإطاحة بـ «راشد الدرع»، من قبل ابن العرج وحمود، والإشارة إلى حطاب وغالب، ولا تشير إلى «حسن الدرع» من قريب أو بعيد. يبدو أن حسن الدرع سيظهر بعد أحداث ١٨٥٣م، ولنتذكر رواية فهد الغانم (فهد الغانم ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩)، حيث تشير إلى ذهاب كل من حسن الدرع وشكر السهيان، إلى حائل للمثول أمام ابن رشيد، بناء على طلبه، وعلى خلفية أحداث تمرد ١٨٥٣م، وما يتصل بتداعياتها، ومنها ما يتعلق بالأسرى الذين أسرهم ابن رشيد بعد استعادة السيطرة على الجوف، ومنهم، من سكاكا: أسر قاسم السعيد (العلي)، ونداء ظاهر الدندني (المطر)، وخلف محمد البنية (النصير)، وكذلك طلب ابن رشيد من حسن الدرع وابن سهيان هدم أبراج وعلالي القصور في الجوف (دومة الجندل) وفي سكاكا.

ونعود للرواية الأصل المتصلة بصراع السراح وتمرد ١٨٥٣م، إذ تمضي الرواية للقول: «وفعلاً أخذ سكران القصيدة ووصل للقعود اللي مجهزه مشوّح، وسرى بالليل يم حايل، وبعد أربع ليالي وصل لحايل ودخل مع باب برزان، وكانت جلسة عبيد تبغى تنتهي، وحينما وقع نظر عبيد (ابن رشيد) على سكران، قال والله ما جانا ابن خشاب ومعه العلم الزين، قالوا اللي جالسين له يا طويل العمر... الله يكفينا ستره، ما له إلا مدة بسيطة رايح من عندنا ـ ـ ـ وعندما وصل سكران بقرب ابن رشيد... سأل ابن رشيد وش الخبر يا أخو طريفه، فقام وناوله «عصابة وضحى من امشوّح»، وقد كان أرسل بها أمشوّح له كنوع من تعبئة الموقف ضد غالب وحطاب ومن معه، ثم قام بعد ذلك سكران بإلقاء القصيدة على مسامع ابن رشيد فغضب غضباً شديداً... واقفاً وقال لعيناك يابن سراح، ويقصد امشوّح السلمان

السراح». وتمضي الرواية للقول: «اختلف الرواة، هناك من قال إن ابن رشيد أتى للديرة فوراً، وهناك من قال إنه أرسل قصيدة رداً على مشوّح، حيث إنه بعد ذلك حضر ولكنه لم يحضر على الفور كما في الرواية الأولى» ((أي من قال بالرأي الأول)). «ورد عبيد الرشيد، بافتراض صحتها، كما ورد في ثنايا القصة والرواية من المصدر (القعيّد ـ ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢) هو[٩]:

«يـالـلـه يـالـمـعـبـود يــارب الأربــاب	يـا بــادي تـشـرف عـلـى كـل مكـنـون
يـا سـيـدي يـاعـالـم مـا بـالأصـلاب	يـا نـاصـر مـوسـى عـلـى قــوم فـرعـون
وخـلاف ذا يـا راكـب عـجـل الأوثـاب	يـشـدي لـدانـوق مـن الـمـوج مشحـون
عجل الخطى يشبه نسيم الـهـواء الهاب	لا شـفـت زولــه قـلـت هــذاك مجـنـون
صـبـح أربــع يـلـفـي عـزيـزيـن الاقــراب	الـلـي عـلـى الـشـيـمـه ودربــه يـحـامـون
قـل الــرد جـاكـم مـع ذلــول ابـن خشـاب	أخــو طـريـفـه يـوصـل الـعـلـم مـأمـون
إن كــان تـنـخـانـي ونــا غــوج الاطــلاب	الــوي بسيـف لـك عـلـى الـضـد مسنـون
ونــاتــي بـحـمـداتـن يـعـيـدن الاداب	ويــا ويــل مــن بـاطـراف داره يحـلـون
ضـيـاغـمـن لـيـامـن ولــد الـــردى هـاب	لــو هــو ثـقـيـل شـيـلـهـم مــا يـمـلـون
ضـيـاغـمـن تـرخـص حـلالـه والانـــواب	دون الـرفـيـق وفـزعـتـه مـا يـلامـون
يــا مـــن يـبـشـر بـــي خـلـيـف وحـطـاب	تبـشـيـر فــرعــون[#١] بـمـوسـى وهــارون
كــان انـت تـشـكـي لـي خـلـيـف وحـطـاب	الــلــه حـسـيـب الـلـي بـعـهـده يـبـوقـون
مـن خـلـقـتـه صـبـر الأهـالـيـب مـا شـاب	ومــن خـلـقـتـه لـلـشـر والــسـوء مـاعـون
إن سـلـم أبــو بـنـدر وعـفـن الأسـبـاب	الـلـي غـدى مـن شيـكـم لا تـصـيـحـون
من شانـهـم[#٢] جبنا من الهند الاطـواب	تـسـعـيـن لـيـلـة والـمـراسـيـل يـمـشـون
مـن عـنـد أبـو يـعـقـوب حـمـال الانــواب	نـعـم الـرفـيـق لاهـبـا كـل مـمـهـون
مـا تـجـرتـي مـن تـجـرة الـنـاس بـخـضـاب	مــن روس قــوم لـلـحـرايـب يـجـرون
وصـــلاة ربـــي عـد نـجـم ومـــا غـاب	وعـد مـا وطـا بـاطـراف مكـه يـلـبـون»

*** --- ***

وتواصل الرواية القول: «وبعد أن وصل سكران الحواس للديرة أي الجوف، سلم مرد (ا)عبيد ((ابن رشيد)) لمشوّح فسْتبشر مشوّح بذلك. رد عليه **رشيد العرسان**، ابن أخي خليف بقصيدة، فقال[١٠]:

إن جيتـنـا يـا عـبـيـد نـفـتـح لـك الـبـاب	حـنـا نـقـيـف وفـــن ربـعـك يـخـشـون
الـجـوف تـلـقـى بـه خـلـيـف وحـطـاب	ما هم فريق «حــروب»[*١] عنك يهجون

(٩) ملاحظات وتوضيحات الأرقام في القصيدة المنسوبة إلى ابن رشيد (من الباحث):

(#١) وَرَدَ الشطر في مصدر آخر، على أنه: «تبشيرة الكافر بموسى وهارون» (الشايع آل كريّع الشايع،عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٤٥)؛

(#٢) وَرَدَ الشطر الأول في مصدر آخر، على أنه: «من ديرة الهند جبنا لهم الأطواب» (الشايع آل كريّع الشايع،عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٤٥).

(١٠) ملاحظات وتوضيحات الأرقام في قصيدة رشيد العرسان (من الباحث): (*١) الباحث لا يوافق على هذا التوصيف في ما يخصّ الإشارة إلى حرب، إذ هو لا يعبّر عن حقيقة حرب والحروب، ولكن من باب الأمانة التاريخية والموضوعية (التوثيق التاريخي)، أبقينا الكلمة كما وَرَدَت في المصدر، مع وضعها بين إشارتي اقتباس (تنصيصين) للدلالة على تحفّظنا على الأمر.

يا عبيد ما صيدك زكاتك والأنواب   هذي بغاضي ليه يا عبيد تكمون
يا عبيد يوم انك رفيق لحطاب   الدبس عند حسين يغرف بماعون

*** ـــ ***

وتذهب الرواية إلى إكمال القصة، بأن ابن رشيد حاول السيطرة على الجوف، ويبدو أن هذا حدث، كما تلمح الرواية، على مرحلتين. في المرحلة الأولى أتى بقوات ويبدو أن عبيد ابن رشيد على قيادتها كما تشير، وأنه حاول السيطرة على الجوف وعلى حطاب وغالب ولكنه لم ينجح بالقوة وإنما نجح في النهاية عن طريق المكر والخداع بالقبض على حطاب وأولاده (أولاده: غالب والحميدي) وترحيلهم إلى حايل والزج بهم بالسجن هناك. وفي مرحلة لاحقة، يبدو أنها مباشرة أو متتابعة لما قبلها، أو أنها بعدها بفترة وجيزة، أتى بقوة معززة بمدافع (تسمى الأطواب) تمكن من خلالها من السيطرة على الجوف كاملاً، وأن ابن رشيد في أعقاب ذلك مباشرة نصب (عيّن) «ابن الشرطان» أميراً بالجوف نيابة عنه، وكان ذلك كما تقول الرواية حدث في عام ١٢٧٥هـ ((؟*)) (القعيّد، ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ص ٢٢).

وتلمح الرواية إلى أن قوات ابن رشيد وفي محاولاتها للسيطرة ((يبدو في مرحلتها الأولى ـــ قبل استقدام واستخدام المدافع)) على الجوف منيت بخسارة وهزيمة فادحة، وتدلل على ذلك بقصيدة منسوبة إلى عبيد الرشيد. ورغم أن الرواية تشكك بأن قائل القصيدة هو عبيد الرشيد، إلا أنها توردها، وهي:

جميع ما تعطي من اليد مخلوف   بسم الولي معطي العطايا الجسامي
يارب يا معبود خالق الشوف   تكتب لنا نصرا سريعا اشمامي
حنا على بعض القبايل بنا نوف   ما حنا من اللي عيشته بالكلامي
من العيا جينا نحارب هل الجوف   ذباحة الطيب نهار الزحامي
ملبوسنا جوخ وملبوسهم صوف   وردو كما ورد القطيع المضامي
اللي بقي منا على الهجن مشنوف   واللي وقع بالطعس تسعين رامي

ملاحظات على الرواية وعلى بعض القصائد فيها:

١ ـ في رواية أخرى في المصدر نفسه (القعيّد، ملف من مجموعة أوراق، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢)، أن غالب هو الذي ضرب مشوّح بسيف أثر على يده، وليس العكس كما في أعلاه. ومهما يكن من أمر، فإن المهم في الموضوع هو تزايد الكراهية وتراكمها ثم لاحقاً اندلاع الصراع (الحرب) فيما بين بيوت السراح في عام ١٨٥٣م، وهو ما كان يقف وراء تمرد أهل الجوف عام ١٨٥٣ على ابن رشيد (طلال بن عبد الله الرشيد).

٢ ـ في ما ورد في الرواية الإشارة إلى «خليف العواد» يبدو أن هناك خلطاً بين خليف الثاني، وهو خليف الخميس بن خليف (الأول) بن عجلان، وما بين حفيده خليف (الثالث) ولد ابنه عواد ـ إذ نعتقد (الباحث) أن المقصود هنا هو خليف الخميس، أما حفيده خليف العواد مع حفيده الآخر عاطن كانوا إما

صغاراً أو غير مولودين في عام ١٨٥٣م، وهما من قتلهما ابن شعلان في ١٣٣١هـ، لرفضهما الغزو مع ابن شعلان وتكسير الأشدة ووضعها حطباً في مشب النار لعمل القهوة، وما عرف عن الواقعة فيما بعد بـ «سنة تكسير الأشدة»، وخليف الخميس في عام ١٣٣١هـ (الموافق ١٩١٣ م تقريباً) إما يكون متوفياً أو مسناً جداً، علماً أنه كان عجوزاً عام ١٨٨٣ عندما قابله الرحالة أويتنغ في «كاف» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١)، ولا يعقل أن يكون مجنداً بين صفوف غزو ابن شعلان أو غيره وهو في هذا العمر إن كان على قيد الحياة وهو أمر مشكوك فيه.

٣ ـ هناك بعض التناقض في الرواية من حيث القول إن سكران ابن خشاب، كان قد ارتحل جنب السلمان، مجاور لـ «مشوّح» على إثر صراع الرحيبيين (خوال الحطاب) مع السميحان، كما ورد أولاً، ثم القول إن سكران بعد عودته الأولى من حايل عاد إلى بيته «وإن بيت سكران بالمكان الذي يخص غالب رغم موالاته للسلمان وقد وضعت عليه حراسة مشددة... إلخ». طبعاً يمكن مصالحة التناقض إذا كان منزل أو بيت «سكران» بعد رحيله من الرحيبيين كان في موقع بين السلمان والحطاب بحيث إن تحركاته ملحوظة ومراقبة من الحطاب.

٤ ـ ملحوظة على قصيدة مشوّح لابن رشيد يستنجده على بني عمه الحطاب، والتي أرسلها مع سكران بن خشاب وللتنبيه: القصيدة وردت على صيغتين فيها اختلاف بسيط لبعض الكلمات ولذلك وضعناها أو بعض أحرفها بين قوسين؛ فمثلاً وردت «الذلول»، وفي صيغة أخرى «ذلول» في الشطر الأول من البيت الثاني، ولذلك وضعناها بين قوسين على هذا النحو (ال) ذلول... وهكذا.

٥ ـ يلاحظ بقصيدة مشوّح لابن رشيد التي أرسلها عن طريق ابن خشاب الإشارة إلى أن هناك استنجاداً بابن شعلان من قبل خصوم مشوّح والسلمان، أي من جماعة غالب والحطاب. ولا يعرف هل الاستنجاد بابن شعلان تم بالفعل قبيل قصيدة مشوّح لابن رشيد، أم أن المسألة مجرد تحريض من مشوّح لابن رشيد للقدوم للجوف؟ أم هل تم الاستنجاد بابن شعلان لاحقاً بعد استنجاد «السلمان» ومشوّح بابن رشيد. نقول ذلك لأن هناك قصيدة من دخيل الله السراح، وهو من مناصري وجماعة غالب وحطاب، يلمح بها مستنجداً بأن شعلان، وكذلك مستنجداً أبناء جماعاتهم «المغربين» (العاملين في الغربية ـ أي في الشام وفلسطين غالباً). وليس معروفاً على وجه اليقين أي القصيدتين أسبق بالاستنجاد سواء بالشعلان أو بالرشيد!؟ واذا أخذنا منطق القصيدتين وتسلسل الرواية عن صراع السراح، فيُفهم منها كلها أن الحطاب أول من استنجد بالشعلان، ثم استنجد السلمان بالرشيد، ثم من جديد وبعد قدوم ابن رشيد وقصف الجوف (دومة الجندل) بالمدفع المسمى «منصور»، يحاول الحطاب الاستنجاد بابن شعلان مرة أخرى!؟

قصيدة دخيل الله السراح يقول فيها:

(يـــا) راكـــب حـمـرا يـشـادي شـقـاره عـلـيـه مـثـل قـعـايـة الـنـسـر والـذيـب

لا هـي مـن الـفـطـر ولا مـن صـغـاره أبـي الـحـوازم يـوصـلـون الـمـكـاتـيـب

الـصـبـح مـدة مـن جـوانـب سـحـاره والـعـصـر بـالـنـقـرة بـسـوق الـمـزيـريـب

الـزيـت بـيـراس الـمـزيـريـب شـاره سـواد مـنـي لـلـعـيـال الـمـغـاريـب

يـوم الـــردي يـطـبـع رغـيـف الـكـواره	اردى ربـــوع بـالـمـنـاطـر تـقـل ذيـب
مـــا يـنـعـزل بـيـلـوكـه مـــن الـعـمـاره	هـجـمـة عـــرب ون بـــراس الـمـراقـيـب
الـلـــه مـــن يـــوم مـضـــى بـالـقـفـاره	يـــوم الـدخـــن فـــوق الـــوداي تـقـل سب
مـنـصـور ثـــار ومـــن قــريـــب مـشـاره	عـفـيـه خـوالــي كـــن مـنـصـور مـــا جـيـب
عـــزي لـمـــن عـشـــر وفـــوخ عـشــاره	وحـكـومـتـه وصـلـت لـــدار الاجـانـيـب
قـــولـــوا لابـــن دغـمـي يـشـلـع حـضـاره	وإن انـتـحـى عـلـيـان عـــن مــارد الـنـيـب

ويبدو أن ابن شعلان المقصود به في قصيدة مشوّح التي أرسلها لابن رشيد عن طريق ابن خشاب، آنذاك هو ربما فيصل الشعلان على الأرجح، وإن كان ليس هناك ما يدلل يقيناً عليه. وفيصل الشعلان هذا هو أخ لكل من حمد (أبو سطام) وهزاع (أبو النوري)، وهم أبناء نايف العبد الله بن منيف بن غرير الشعلان (Lancaster, 1981: 163-168). أما ابن رشيد المشار إليه، في القصيدة عينها، وهو «طلال» أو «أبو بندر»، فهو دون شك: «طلال عبد الله الرشيد»، وهو الذي حكم بعد والده في الفترة (١٨٤٨ ـ ١٨٦٨).

وهذه القصة وقصائدها تحيلنا في واقع الأمر إلى ما عرف بـ «تمرد ١٨٥٣م»، وهذا التمرد هو ما وقع أثناء حكم طلال عبد الله الرشيد، والذي يبدو أنه من تداعيات الصراع داخل بيوت السراح (بين العمر السراح ـ الحطاب وغالب ـ وحلفائهم من أهل الجوف من جهة، وبين بني أعمامهم السلمان والحبوب السراح وحلفائهم من جهة أخرى بمن فيهم على ما يبدو الدرع، حيث الإطاحة بـ «راشد الدرع» كما تشير القصيدة، وحتى الإشارة إلى السكاكي تشير إلى دخول بعض من أهالي سكاكا في الصراع مع جماعة حطاب وغالب ـ وهذا التدخل من سكاكا يحيلنا إلى رواية فهد الغانم عن صراع السراح وابن رشيد وانحياز القرشة العلي (قاسم السعيد) وخاصة مع قدوم ابن رشيد لمحاربة حطاب وغالب، والذي في النهاية، رغم كل ما قيل عن المقاومة والهزائم التي مني بها ابن رشيد ـ (قوات ابن رشيد التي أتت استجابة لنداء وقصيدة مشوّح السلمان وما في سياقه من تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م، كانت على ما يبدو تحت قيادة عبيد الرشيد ومتعب بن عبد الله الرشيد) ـ سوف يسحق التمرد، وسواء على مرحلة أو مرحلتين، ويأسر كلاً من حطاب وولده غالب، وخليف الخميس من الرحيبيين (خال الحطاب السراح)، وكذلك آخرين، ربما من بينهم كما يقول الغانم (فهد الغانم ـ مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩): «أسر» قاسم السعيد (العلي)، ونداء ظاهر الدندني (المطر)، وخلف محمد البنية (النصير) ـ حيث إن العلي ـ (يقصد العلي من القرشة، وحلفاءهم الفخذ الثاني من القرشة في سكاكا) ـ كما يقول فهد الغانم قاموا يناصرون السراح ضد ابن رشيد في تلك الفترة.

٦ ـ إذا صحت القصيدة المنسوبة لـ «عبيد ابن رشيد» والتي تبدأ بالبيت: «يالله يالمعبود يا رب الأرباب. يا بادي تشرف على كل مكنون»، سواء قالها هو بنفسه أو قالها أحد نيابة عنه، فهي تدل على أن قوات ابن رشيد لسحق تمرد ١٨٥٣م لم تأتِ على الفور أو أنها في مرحلتها الثانية، إن كانت على مرحلتين وهذا هو الأرجح، وهذه كانت القاضية إنما استغرقت حوالي ثلاثة أشهر لجلب المدافع من الهند طبقاً لبيت الشعر في القصيدة الذي يقول (من شأنهم جبنا من الهند الاطواب ـ ـ تسعين ليلة

والمراسيل يمشون)، علماً أن الرحالة الإيطالي، **كارلو غوارماني**، الذي زار الجوف ١٨٦٤، ذكر أن تمرد وعصيان الجوف ١٨٥٣م استمر لمدة عشرين يوماً كما مر بنا (كارلو غوارماني، ١٨٦٤، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٢).

٧ ـ ويلفت الباحث الانتباه إلى أن عام ١٢٧٥هـ، والذي ورد في الرواية أعلاه على أنه تاريخ حملة ابن رشيد على الجوف والقبض على كل من غالب ووالده حطاب في فترة خلاف وصراع السراح تحت المناقشة، يعادل بالتاريخ الميلادي عام ١٨٥٩م، وهو أمر يبدو مشكوكاً فيه. لنتذكر أقوال الرحالة الإيطالي كارلو غوارماني والذي زار الجوف ١٨٦٤م؛ ذكر أن تمرد أهل الجوف على سلطة ابن رشيد حدث عام ١٨٥٣م، حيث تم أسر حطاب حينها وأنه حتى وقت زيارته لا زال حطاب في حائل سجيناً، بينما أولاده تراجعوا إلى قرية «الوشواش» (غوارماني، رحلة، ١٨٦٤؛ في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٢). لاحظ أيضاً إشارة غوارماني لتراجع أولاد حطاب إلى قرية الوشواش، بعد أسر والدهم، وهو ما يلقي ظلالاً من الشك على صحة الرواية في ما يتعلق بأسر ابن رشيد لأولاد حطاب وخاصة «الحميدي»، إلا أن يكون حدث تراجعهم إلى الوشواش، بعد أن تمكنا أو أحدهم من الهرب من السجن بعد فترة ما من الاعتقال، وهذا الأمر ينطبق على غالب تحديداً، الذي هرب أثناء مشاركة له في غزوة لابن رشيد في إحدى الغزوات بالشمال، كما تتبناه رواية القعيّد تحت المتابعة، أو أنه، طبقاً لروايات محلة متداولة وسائدة هرب من سجنه في حايل ثم توجه للبلقاء طالباً النجدة من «نمر العدوان» ثم لاحقاً الاستقرار في قرية الوشواش. ولنتذكر أيضاً أن أويتنغ في رحلته للجوف ١٨٨٣ التقى عجوزاً اسمه «خليف» في قرية كاف وهي ليست بعيدة عن قرية الوشواش، وهو على ما يبدو «خليف الخميس» من الرحيبيين حليف وخال غالب الحطاب، وأنه كان من بين من اعتقلهم ابن رشيد على خلفية تمرد ١٨٥٣ أو ١٨٥٥ كما قال، وقد أطلق سراحة بعد ست سنوات من السجن (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩١ ـ ١٩٢).

٨ ـ القصيدة المنسوبة لـ «عبيد الرشيد» والتي تتحدث عن خسائره أمام أهل الجوف، والتي آخر بيت فيها يقول «اللي بقي منا على الهجن مشنوف ــــ واللي وقع بالطعس تسعين رامي»، تتلاقى وما ذكر سابقاً عن تمرد ١٨٥٣ ودخول بعض من أهالي سكاكا في القتال مع أهل الجوف (دومة الجندل) ضد ابن رشيد. والإشارة هنا هي، على ما يبدو، إلى هزيمة ابن رشيد في القنية، وفي الغويطة في اللقائط (سكاكا) وما نسب إلى مفضي العطية من قصيدة حول تلك المعارك:

((في تالي التوام متعب لفانا ودعى بمارد مثل ضرب (او طق) النحاحيس
واهني لو متعب تنانا لما نفرغ باقي القرن والكيس
متعب وتى يبي يقطع احلانا وبحر اجموعه بالقنية مفانيس))»

(الغانم، مقابلة ١٩٨٩؛ القعيّد، ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، ٤/ ٩/ ٢٠٠٢).

٩ ـ يبدو أن صراع بيوت السراح ١٨٥٣م وتداعياته وخاصة ما يتصل بتحالفاته الداخلية (من داخل الجوف، سواء في دومة الجندل أو في سكاكا أو في كليهما) يسجل ربما بداية النهاية لتقاطع تحالف القرشة والمعاقلة. نلاحظ في الرواية والقصائد فيها أو المتصلة بها، تحالف بعض من أهالي سكاكا ومنهم القرشة، وهو ما كان يؤكده فهد الغانم (الغانم، فهد ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩) مع السراح

(حطاب وغالب) في صراع الأخيرين مع ابن رشيد. إن قصيدة «مشوّح» لابن رشيد عن طريق ابن خشاب والتي فيها إشارات عن السكاكي بمساندة الحطاب ضد السلمان والتي يقول فيها

«بالجوف كل انطاع له غير حنا وحتى السكاكي للبحر جاك صايل»

وكذلك قصيدة مفضي العطية عن قتال وقتل لجموع من قوات لابن رشيد في القنية آنفة الذكر، وهي أحداث تلك الفترة (فترة صراع السراح وتمرد ١٨٥٣م) تؤكد كلها تلك التقاطعات والتحالفات. لكن بعدها، وبعد سحق التمرد ١٨٥٣م يبدو أن التحالفات بين القرشة والمعاقلة في الجوف (في دومة الجندل وكذلك في سكاكا) بدأت بالاختفاء تماماً، لتحل محلها العداوات فالمواجهات والصراعات الأهلية، سواء في دومة الجندل أم في سكاكا، مع الميل المتزايد إلى انتقال العداوات والصراعات الحادة بين القرشة والمعاقلة من دومة الجندل إلى سكاكا، وخاصة بعد الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠/ ١٨٧١م) وتوابعها واقعة المديرس (١٨٧٠/ ١٨٧١م)، وإن كانت الصراعات الأهلية في سكاكا عندما تحدث تمتد انعكاساتها وتفاعلاتها بين أطراف ومناصري المعاقلة والقرشة في دومة الجندل نفسها كما سوف نرى في بعض الواقعات الصراعية. قصيدة غالب الحطاب، وهو في قرية الوشواش مستنصراً فيها بأهله، أهل الجوف لمناصرته ومقاومة ابن رشيد، ومستعيباً فيها على «أخو عينا ـ ـ ـ قاسم السعيد» (من العلي ـ القرشة في سكاكا) تقاعسه عن النصرة، تمثل أول الإشارات على تحولات في المواقف والتحالفات. لا ننسى، إن صحت رواية فهد الغانم (الغانم، فهد ـ مقابلة ـ في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩)، أن قاسم السعيد تم أسره مع آخرين في أجواء وأحداث صراع السراح مع ابن رشيد وتداعيات ذلك في ما عرف بـ «تمرد ١٨٥٣م». لذلك ليس غريباً تغير التحالفات والمواقف على خلفية تداعيات تمرد ١٨٥٣، وخاصة أن ابن رشيد انتقم وقتل مجموعات من أهالي الجوف، وكذلك دمر أملاك ونخيل من قاوموه، فضلاً عن من أسر منهم ومن بينهم حطاب كما يذكر الرحالة الايطالي غوارماني في رحلته للجوف ١٨٦٤، وكذلك خليف (وهو على ما يبدو، وما نعتقده بناء على ما تقدم من توضيحات، هو خليف الخميس الرحيبيين) كما يذكر الرحالة أويتنغ أنه قابله وهو عجوز في رحلته للجوف في كاف ١٨٨٣م.

٥ ـ واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» (١٨٣٨م)

أول من اشار إلى واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي»، من بين الرحالة الغربيين الذين زاروا منطقة الجوف، هو الرحالة «جورج أوغست والن» (Georg August Wallin)، والذي زار الجوف (دومة الجندل) في عام ١٨٤٥م، حيث وصل الجوف في٢٥ ـ أيار/ مايو ـ ١٨٤٥م، وغادرها إلى حائل في٣٠ ـ آب/ اغسطس ـ ١٨٤٥م، ماكثاً فيها مدة تزيد عن ٣ أشهر (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٨ و٥١). هذه الزيارة ومدتها أتاحت له رؤية الأشياء عن قرب، بما في ذلك ما يتعلق ببقايا آثار تلك الواقعة وملابستها، إذ كانت لا زالت مشاهدة وقت الزيارة حيث لم يمض على حدوثها أكثر من ٨ أعوام.

يكتب «والن»، في مذكراته عن واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي»، من خلال ما يكتبه عن بعض أحياء الجوف (دومة الجندل)، وصفاً لها ولمكوناتها الاجتماعية، ما يلي، (علماً أن العبارات بين هلالين

مزدوجين داخل النص هي من الباحث للتوضيح)، فيقول: «الدلهمية: كان في السابق حياً صغيراً بالقرب من خذما، ويضم حوالي عشرين عائلة، من نفس الأصل الذي يعود إليه السراح وهم متحالفون معهم. **وبسبب عداوة قديمة بينهم وبين جيرانهم أهل خذما وحلفائهم سكان الجرعاوي، فإن هذا الحي، دُمر تدميراً كاملاً قبل ثمانية أعوام من قبل شيخ شمر،** وذلك في نفس الوقت الذي أسس فيه سلطته في جبل شمر، لقد جاء شيخ شمر مع قواته ليساعد أقرباءه في الجرعاوي، فسلب ودمر المنازل والبساتين وقطع النخيل وطمر الآبار بالأحجار والأشجار، ولم يترك شيئاً للسكان عدا حياتهم، وحريتهم ليلجأوا إلى حلفائهم السراح» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩).

كان هذا الدمار والتدمير للدلهمية، وإن تم بمساعدة يد خارجية (الرشيد)، عقاباً وانتقاماً من أهل الدلهمية وحلفائهم السراح عما قاموا به هم، سواء بأنفسهم لوحدهم أو بمساعدة خارجية ممكنة، في تدمير حي الجرعاوي. وعن ذلك وعن حي الجرعاوي وتدميره من قبل أهل الدلهمية وحلفائهم السراح يقول «والن»، إنه: «في فترة العداوة التي عمت بين السراح والدلهمية من ناحية، وبين خذما وهذا الحي ((الجرعاوي)) من ناحية أخرى...» فإن حي الجرعاوي والذي «يتكون هذا... من أربع عائلات من الحرفيين، يستمدون أصلهم من قبيلة من قبائل شمر، تسمى الرمال، وقد هاجروا من قرية جبه... دمُر... بشكل كامل، وأجبر السكان على الرحيل من أرضهم ومنازلهم المدمرة ليسكنوا عند حلفائهم أهل خذما. بعد ذلك، وعندما سيطر ابن رشيد على البلدة وأصلح الخلافات بين الأحياء المختلفة، سمح لأهل الجرعاوي بتنظيف آبارهم، وبدأوا بغرس أشجار جديدة مكان النخيل المقطوعة، وفي الوقت الذي غادرت فيه الجوف كانوا جاهزين للانتقال من خذما إلى منازلهم التي أعادوا بناءها» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٠).

ملاحظاتنا على أقوال «والن» عن واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي»:

أولاً، حي الدلهمية، والذي دمر تماماً، كما دمر الجرعاوي قبله، هو حي كما قال «والن» كان يسكنه آنذاك، عشرون عائلة، وهم كما يقول «والن»،»... من نفس الأصل الذي يعود إليه السراح وهم متحالفون معهم...». إن غالبية تلك العائلات العشرين في حي الدلهمية هم من السراحين. ورغم قول «والن» بأن أهل الدلهمية والسراح من نفس الأصل، وبغض النظر عن حقيقة تلاقي الأصل و/ أو تمايزه، وبخاصة في سياق قول «السراح» عن أنفسهم إنهم ينتسبون إلى «شمر»، وإن كان السرحان وشمر يلتقون في النهاية بالأصل العربي القحطاني، فإن ما يهمنا في أمر النسب، وهو شأن بذاته، على ما يبدو، يخص المجموعتين ولا يهمنا كثيراً، هو ما يتعلق منه بمسألة ملاحظة أثره المحتمل (سلباً أو إيجاباً أو حيادياً) في طبيعة ومكونات التحالفات، والصراعات في ما بين المجموعات داخلياً، و/ أو تجاه القوى الخارجية، علماً أن عدداً من عائلات حي خذما والتي تحالفت مع الجرعاوي في صراعه مع أهل الدلهمية هي من السراحين كذلك، وهذا وذاك، ربما ما نحتاج إلى ملاحظته، والرجوع إليه في مناقشة تفسير الصراع الأهلي والحرب الأهلية الكلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م).

إن تلك «العائلات العشرين»، أو في حدودها، والتي كانت تقطن حي الدلهمية، هي التي، كلها أو من تبقى منها لاحقاً على حدوث الواقعة، أخذ يجمعهما تحت لقب عام هو «الجميد». و«الجميد»،

على هذا النحو، هو، وطبقاً لأقوال زياد السالم: «لقب وليس اسماً... لقب لجماعات متداخلة النسب، وبنفس الأصل، وليست متفرعة من شجرة عائلة واحدة... (السالم، زياد «الجميد لقب وليس اسم» رسالة نصية بالجوال للباحث، في ٧/ ٧/ ٢٠٠٧، الساعة ١٢:١٤ ظهراً). أما مناسبة اللقب (الجميد)، فيقول زياد السالم، ونقلاً عن رواية من أحد أفراد عائلة الجباب، وعمره حالياً (٢٠١٠م) فوق الثمانين عاماً»... يقال بسبب صلب «مناور الرزن»... صلبه ابن رشيد حياً وعلقه... في قصر أو قلعة مارد، ومات متجمداً من شدة البرد» (السالم، زياد ـ «رواية من أحد كبار الجباب عن واقعة تدمير» الجرعاوي... إلخ «من أهل الدلهمية» ـ اتصال هاتفي ـ جوال ـ على الباحث ـ الجمعة في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠: الساعة ١٠:٣٠ ـ ١١ صباحاً) انتقاماً منه لتدمير الجرعاوي، ولأنه هو من قتل ومثّل بجثة شخص، محسوب على الرشيد في ما يبدو، كان يعرف على أنه يلقب بـ «مغلوث السبهان». كان هذا الأخير «مغلوث السبهان» معسكراً و/ أو متواجداً، مع عدد من الأشخاص في الجرعاوي آنذاك.

من هنا فإن «الجميد»، كما يقول السالم، كلقب عام تندرج تحته العائلات التالية: «... ١ ـ جماعة السالم؛ ٢ ـ جماعة العشيران؛ ٣ ـ جماعة الهذيل، رحلوا فترة هدم الدلهمية... ولا نسب بيننا...» ـ ((يقصد على ما يبدو بين السالم والهذيل ـ الباحث)) ـ «٤ ـ جماعة «الرزن»، انقرضوا...» (السالم، زياد «الجميد لقب وليس اسم» رسالة نصية بالجوال للباحث، في ٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٧، الساعة ١٢:١٤ ظهراً). وفي اتصال لاحق ذكر زياد السالم أن هناك عائلة أخرى تدعى «السهر»، وهم أقرباء للسالم، كانوا من سكان وأهل الدلهمية وقت تدميرها، وأنهم رحلوا، ويبدو أنهم اتجهوا، آنذاك إلى كاف، والآن من تبقى منهم موجودون في القريات (السالم، زياد ـ «رواية من أحد كبار الجباب عن واقعة تدمير» الجرعاوي.... إلخ «من أهل الدلهمية» ـ اتصال هاتفي (جوال) على الباحث ـ الجمعة في ٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠: الساعة ١٠:٣٠ ـ ١١ صباحاً).

وإذا كانت واقعة «الصلب» حقيقية وحدثت بالفعل، فإن هذا قد يحيلنا إلى تقدير وقت دقيق لغزو ابن رشيد الجوف والسيطرة عليها. أن عملية «الصلب» حياً، فالموت «تصلباً» أي تجمداً، تكون حتماً وقعت في فترة شدة الشتاء (من كل عام، وهي فترة أقرب إلى ما يسمى محلياً بـ: «المربعانية»، وهي عادة تبدأ من نهاية الاسبوع الأول من كانون الأول/ ديسمبر من كل سنة، ويستمر حتى منتصف كانون الثاني/ يناير من العام التالي. وحيث الأمر كذلك، وحيث إن شدة الشتاء قد تمتد من نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر وحتى كانون الثاني/ يناير وقد تصل حتى أواخر شباط/ فبراير، ـ وحيث إن «والن» يقدّر أن واقعة «الدلهمية»، حدثت تقريباً في عام ١٨٣٨م، عندما يقول «... جاء عبد الله بن رشيد بعد تقويته لسلطته في جبل شمر، حيث أرسل أخاه «عبيد الله» (المعروف بـ «عبيد») إلى الجوف ليضع نهاية للعداوات المشار إليها، والتي كانت في حينه بين خذماء والدلهمية، وكان ذلك بالتقريب سنة ١٨٣٨م...» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٣ ـ ٣٤)، فإننا نرجح أن غزو ابن رشيد للجوف والسيطرة عليها وتدمير حي الدلهمية وتشريد أهلها، قد وقع في وقت ما من فترة بين تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر١٨٣٧م ـ وشباط/ فبراير ١٨٣٨م، أو في فترة تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٣٨م.

ورغم أن ابن رشيد، قد دمر حي الدلهمية في حينه (١٨٣٨م)، فإنه على ما يبدو لاحقاً، وفي سياق محاولة لتثبيت الأوضاع بين أهالي الأحياء، قد عمل على التالي:

أ ـ خصص حصة ماء «عصرية» لـ «الجمادا» من أهل «الدلهمية» من «عين خذما»، مقابل أن «الجمادا» عملوا على أنهم «يعبرون عبيد الرشيد عبر ربعهم». ويدلل على ذلك ما ورد في عدة وثائق منها:

١ ـ نسخة لوثيقة، تبدو رسمية، عن تسوية الخلاف بين كل من أهل خذما من جهة، وبين «الجمادا» من جهة أخرى على دعوى/ ملكية «الدلهمية» (انظر صورة من نسخة: وثيقة خذما ـ الدلهمية، في ٢٧ جمادى الثاني ١٣٤١هـ، في ملاحق الدراسة، ملحق ـ ١ ـ نسخ وثائق الصراع الأهلي بالجوف). الوثيقة والتسوية تمت أمام عساف الحسين ال منصور (أمير الجوف/ أو مأمور الجوبة آنذاك كما ورد في نسخة الوثيقة)، وكاتبها محمد بن ابراهيم، في ٢٧/ جماد الثاني/ ١٣٤١م. ولأهمية الوثيقة وما بها من مضامين في الصراع والسلام وأطرافها وأدوارهم فيها، نورد نص نسخة الوثيقة، كما استلمناها من زياد السالم، في ٢٠/ ١١/ ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٦/ ٩/ ٢٠١٣م، والتي تحصل عليها كما يقول من شخص من عائلة «الرزن» فضل عدم ذكر اسمه. نص الوثيقة كما ورد، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين، هي ليست في النص، وإنما هي من الباحث للتوضيح): «بسم الله الرحمن الرحيم ـ ـ ـ الذي يعلم به من يراه أن حامد الجميد وسالم ال مناكد وحمد ابن عشيران تخاصمو عندي هم وشاهر ال متعب وأخوه عبد الله وعناد ال قاضب ومن تبعهم من أهل خذما في الدلهمية فالدعا ((فادّعى)) أهل خذما أنهم مشترين الدلهمية بثمانين نخلة وعصرية من ما ((ماء)) خذما **وادعو** ((وادّعوا)) **الجمادا أن ما هو بيع ومشترا وأن النخل الذي بيديهم من خذما أنه شرط لهم من أهل خذما على أنهم يعبرون عبيد الرشيد على ربعهم وأنهم عبروه بها الشرط** فلما تولاهم عبيد ابن رشيد دهم الديرة وقطع نخله هذي حجة الجمادا ولا عند الجميع منهم حفايظ ولا بينة واضحة على دعواه الا المستفيظ ((السائد/ الشائع)) عند هل الجوف ((أهل الجوف)) والذي ينقلون عن اباهم ((آبائهم)) من غير تحقيق ابهالأمر ((بهذا الأمر)) على ما ادعاه الجمادا فحكمنا ان الجمادا يردون الذي تحت يديهم من نخل أهل خذما وماهم ويرجعون على ديرتهم الدلهمية البحر الذي اطلع بن شعلان والمالحه التي اطلع جوهر وحددنا لهم الأرض الي ((اللي)) تتبع القليبين المذكورات ورسمناها لهم بحضورهم تخمينا لا تحقيق ((تحقيقاً)) برضى الجميع بالتحديد فلم يبقا ((يبقى)) للجمادا تعلق بخذما لا بماء ولا نخل ولا غيره ولا لهل ((لأهل)) خذما تعلق بالدلهمية لا بما ولا ارض ولا غيره والأرض التي بين مراسيم الجمادا وبين الحوط والدور سعة للجميع ما يحدث بها أحد منهم شي لا زرع ولا نخل ولا بنا قط الخصومة بينهم ((قطعاً للخصومة بينهم)) فان ادعا ((فإن ادعى)) احد من أهل الدلهمية الاصليين على الجمادا بدعوا ((بدعوى)) في حكمنا لهم برض ((بأرض)) الدلهمية فالمدعى ((فالمدعي)) على دعواه فيما ادعا به ((أدعى به)) على الجمادا جرا ذالك على يد الأمير عساف بن حسين ال منصور واثبته كاتبه بقلم الفقير إلى الله سبحانه محمد بن براهيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ـ ـ ـ ختم محمد بن إبراهيم، ١٣٤١هـ/ ٢٧ ج. ثم ذيلت الوثيقة الاتفاق بالعبارات التالي: «موجب المذكور أعلاه صحيح برضا الجميع منهم ولا يبقى لأحد منهم على الآخر

معارضة موجب حكم الشرع ـ ـ ـ ولأجل بيانه تحرر ١٣٤١/٢٧جماد الثاني ـ ـ ـ مأمور الجوبه عساف الحسين المنصور (وختمه)». (انتهى نص الوثيقة).

٢ ـ مراسلات، وقعت، على ما يبدو في عام ١٣٤١هـ، بين حامد الفياض الجميد والملك عبد العزيز، بعد انضمام الجوف مباشرة تحت حكمه، حول الدلهمية وملكيتها وبيعها. تلك الرسائل، والتي سبق أن تناقشت بشأنها وما يتعلق منها بـ «حامد الجميد» مع «د./ أحمد السالم» في جلسة/ استراحة «المربع» بالرياض (السالم، أحمد ـ لقاء وحديث «حول حامد الجميد ومراسلاته وعلاقته مع الملك عبد العزيز» في ١٢ ـ ١٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ١ من ٢). من تلك الرسائل والتي زودني بنسخ منها «د./ أحمد السالم» كما وعدني، عبر إرسالها لنا عن طريق كل من د. عبد المحسن اللحيد، وعبد الله موسى الشاعل، في استراحة المربع ـ الرياض، وبوجود عبد الهادي الحيزان، في تمام الساعة: ١٠:١٠ مساء، من يوم الخميس (٩ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٣م)، وكما فهمت منه أنه أخذها من نسخ موجودة في متحف الآثار في دومة الجندل، ما يلي:

٣ ـ نسخة من رسالة (خطاب) تنص على: «**من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم حامد الفياض** سلمه الله، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لا زلتم بحال خير وصحة، وترا احوالنا من كرم الله جميلة الحظ (...؟) وماعرفت كان معلوم مخصوصاً في من طرف الأمر الذي اجرى الله على ((أهل؟)) الجميد، حقيقة انه مكدرني نهاية!، ولكن هذا (السهوان؟) والقصور منكم ومن عساف الذي ما حطيتوا عندنا خبر من قبل حتى جميع من غزا من البيارق نحط (خـ؟)، أيضاً يوم قسم الله وصارت المسئلة ((المسألة)) ما بادرتو وخبرتونا يوم الاشياء موجودة بروسها قبل تخالف (الامور ومشهدين ومشاهدين؟) عليه في ذلك لو ان امرهم (......؟) وانشاء الله بعد هذا ما يجيكم (...؟)، هذا ما لزم معرفته، بلغ السلام العيال والجماعه، ومنا العيال يسلمون، دمتم محروسين صلعم» (في: ١٢ ـ ربيع الأول ـ ؟١٣٤). (انتهى نص الرسالة) (السالم، أحمد، ـ مجموعة أوراق نسخ مراسلات في مغلف، مرسلة للباحث واستلام، الخميس في ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣: ١٠:١٠ مساءً). ورغم أن تاريخ الرسالة غير واضح،(في: ١٢ ـ ربيع الأول ـ ؟١٣٤)، ولكن ورد الإشارة بالرسالة، إلى عساف (الحسين) وحيث أن عساف الحسين لم يصل الجوف إلا في ذي القعدة ١٣٤٠هـ (الشايع الكريّع ـ آل كريّع (I)، ١٩٨٤: ٢٧٢، والسديري، ١٩٨٦: ٧٠ ـ ٧١)، ولذلك يبدو أن السنة في الغالب تعود إلى ١٣٤١!! والرسالة الثالثة التالية تحيل على ما يبدو لتلك السنة (١٣٤١هـ)، وكذلك فإن الرسالة، يبدو أنها، تتعلق بموضوع «الدلهمية» والتي دمرت على وقت ابن رشيد، وهو ما تشير له الرسالة الثالثة والأخيرة أدناه.

٤ ـ نسخة من رسالة (خطاب) يبدأ بـ «**عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى... طارفنا. السلام وبعد. من طرف حامد يرجع إلى ديرته** ماله (وما عليه؟) اين كان من دعوى الشرع، حكم الشرع مضى بين المسلمين (بلعرف؟) معلوم، وصلعم» (في: ٨، أو ١٨ ـ جمادي؟ ـ ؟١٣٤) «انتهى نص الرسالة. (السالم، أحمد، ـ مجموعة أوراق نسخ مراسلات في مغلف، مرسلة للباحث واستلام، الخميس في ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣: ١٠:١٠ مساءً)، رغم أن تاريخ الرسالة، غير واضح، إلا أنها وهي يبدو متعلقة بموضوع

«الدلهمية» والتي دمرت على وقت سيطرة الرشيد على الجوف، وهي على ما يبدو تأتي بعد الرسالة السابقة التي فيها إشارة لشكوى من حامد الفياض للملك عبد العزيز عن موضوع الدلهمية، فإن السنة تعود في الغالب إلى ١٣٤١ هـ، وهي ما تبدو جلية في الرسالة الثالثة التالية**!!**

٥ ـ «**من عبد الرحمن بن علي الفايز إلى من يره، وبعد طلب منا حامد خبر عن الدلهمية** عن اللي سمعنا، وجدنا بعلم شبيب العبد الله وعبيد الجباب ودليم ودايس الخدعان وعبد المصلح وصالح أخو المطاوعة، أن الدلهمية اللي ولاه عبيد ابن رشيد **وخربه ولي عبره الجميد** وحط لهم عصرية من خذماء، أشهد بنطق (هالمعلومين، والسلام بحضرة موسى ابن سيف، وكتب الأحرف محمد العبيد، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين». تاريخ الرساله في (٨ ـ رجب ١٣٤١هـ). مختومة بختم الفايز. **ثم ذيلت الرسالة بتوثيق آخر هو**: «كذلك أنا حمد الشويعر (أشرفت) على ما في الورقة من أهل الجبل و(أهل) الجوف بان ادلهمية ل الجميد، وجانن امر من بن سعود بان الجميد مرخص يبعث ادلهمية ولا به شبهة الا ان ابن رشيد خربه، وصلعم». (ختم يبدو انه للشويعر)، (تاريخ: ٨ رجب ١٣٤١هـ،) (السالم، أحمد، مجموعة أوراق نسخ مراسلات في مغلف، مرسلة للباحث واستلام، الخميس في ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣، ١٠:١٠ مساءً).

ب ـ في ما يتعلق بأهل الجرعاوي، فقد أمر ابن رشيد في ٩ربيع (غير محدد هل هو ربيع أول أو الآخر) من عام ١٢٥٨هـ (نيسان/ أبريل أو أيار/ مايو١٨٤٢م، متوافقاً مع أما ربيع أول أو ربيع الآخر)، بتعويضهم مجموعة من النخيل، وربما ماء، كثمن للأجبة ((الجباب)) من قبل عدد من الأشخاص، بما فيهم أهل خذما، طبقاً لما ورد في وثيقة قال بها وثبتها عبيد ابن رشيد، وأسميناها هنا بـ «وثيقة الجرعاوي» (انظر صورة من نسخة «وثيقة الجرعاوي» ـ في ملاحق الدراسة؛ ملحق ـ ١ (وثائق الصراع الأهلي بالجوف). ولأهمية الوثيقة، كما اطلعنا على نسخة مصورة منها، كما وردت في مقالة لـ «مهند الرمالي»، عن «... رمالات الجرعاوي...» إنزال على موقع شبكة الطنايا ـ ديوانية شمر، في ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٩م، ٣:٠٨ مساءً، نقلاً عما قال إن «أصل الوثيقة موجودة في دارة الملك عبد العزيز ـ قسم المخطوطات التاريخية، نورد نصها كما ورد في الصورة المصورة عن النسخة آنفة الذكر. تنص الوثيقة، التي اسميناها، هنا بوثيقة الجرعاوي على التالي، (علماً أن ما بين هلالين مزدوجين من الباحث للتوضيح)): «الحمدلله وحده ـــ بيان ثمن الجرعاوي للجبة ((للأجبة/ الجباب)) نخل عند عبد العزيز عشرين وعند مناور عشرين ودواس عشرين ومحمد خمسة عشر وخمس من عبد الله اصالح ((الصالح)) عونة لوطبا ومعينهم عبد الله أيضاً من الزغبي كان هو عين بمفروق والكان ((و إلا/ أو كان)) هو يلاقي ومن بحر الشقرى ((الشقرا)) مثل ما من الزغبي من روس جميع أهل خذما وسلام ـــ فيوم ((في يوم)) ٩ را ((؟)) ١٢٨٥هـ، قاله وثبته عبيد ابن رشيد (ختم/ ختام) ١٢٥٨/ ٩ ربيع ((؟)) «(وثيقة الجرعاوي، في: مهند الرمالي، «رمالات الجرعاوي» أنزال على موقع شبكة الطنايا ـ ديوانية شمر، في ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٩: ٣:٠٨ مساءً)[١١].

---

(١١) المصدر: «وثيقة الجرعاوي»، أصل الوثيقة موجودة في دارة الملك عبد العزيز ـ قسم المخطوطات التاريخية، كما وَرَدَت منقولة في مقالة لـ مهند الرمالي، عن «... رمالات الجرعاوي..» أنزال على موقع شبكة الطنايا (ديوانية شمر)، في ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٩: ٣:٠٨ مساءً، على الرابط التالي، <http://www.altanaya.net/vb/showthread.php?t=59249&page=5>.

ثانياً، من سكان الجرعاوي، ومن العائلات الأربعة التي كانت تقطنه آنذاك التي أشار إليها «والن»، يبدو هي: الجباب والوارد والمزيد والدوسق. وبينما عادت، على ما يبدو، عائلة الجباب إلى الجرعاوي بعد إعماره من جديد وقت نهاية زيارة «والن» (١٨٤٥م)، فإن الأسر الثلاثة الأخرى على ما يبدو استقرت في حي «غطي» (السديري، ١٩٨٦: ١٣٩)، وهو إلى الجنوب الشرقي من حي خذما وأهله حلفائهم. من عائلة «الوارد»، هذه الأيام، يهمني الإشارة إلى عبد الرحمن الساكت الوارد، وهو على ما ذُكر لي شاعر وراوٍ للقصص، والذي أرسلت عليه عبد الهادي الزارع في عام ٢٠٠٢م لمقابلته والاستفادة مما قيل لي إن عنده معلومات عن أحداث المنطقة، لكن للأسف لم أفلح معه، حيث إنه ـ وبعد الاتصال الهاتفي عليه من قبل عبد الهادي الزارع، والذي حدث أمامي، إذ كنت في حينه في منزل الأخير قبيل مغرب يوم الخميس ١٥ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م ـ، اعتذر «بحجة أنه لا يحفظ القصص...»(!) (الزارع، عبد الهادي، في: الزارع، عبد الهادي ونهار علي ـ لقاء وحديث في منزليهما بدومة الجندل، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً: ٢ من ٤). يبدو أن فكرة الهواجس والحساسيات في ما يتعلق بالعلاقات التاريخية البينية بين المعاقلة والقرشة كانت مهيمنة طاغية، حيث هو وعائلته محسوبون، على ما يبدو، على حلف القرشة في دومة الجندل، كما هي عائلة الجباب منذ تلك الواقعة فصاعداً وبدرجة متزايدة مع أحداث تمرد ١٨٥٣م فواقعة «المديرس» فالصراعات الأهلية الاصطفافية في سياق فوضى وعنف وإعدامات سيطرة ابن شعلان على الجوف ودخوله فيها، وبالذات في (١٩٠٩ ـ ١٩١٠).

من عائلة الجباب، يهمنا الإشارة إلى «عابد الجباب»، وإلى كل من ابنه «ابراهيم» وحفيده «عابد»؛ الحفيد عابد كان له دور وطني في الحركة الوطنية على مستوى الوطن ككل وفي سياق الأجواء والأفكار والأيديولوجيات والتصورات العربية التي كانت سائدة في أواخر الستينات من القرن الميلادي العشرين المنصرم، واعتقل بسببها، ولكن للأسف لم تلقَ شخصيته ولم يلقَ دوره الاهتمام والدراسة، فضلاً عن أنه هو لم يكتب مذكراته. أما الابن «ابراهيم» فكان له موقف تاريخي مع الأمير سلمان عندما قابله رفقة عافت مناع الزيد (قبل الأخير هو لاحقاً) من أجل إطلاق سراح ابنه، وحيث إننا قد نوّهنا عن ذلك الموقف لـ «ابراهيم عابد الجباب» في كتابنا عن «حمد الوردي»، ويمكن الرجوع إليه مباشرة (الفالح، ٢٠٠٨: ٣٩ ـ ٤٠) فلا حاجة لتكراره هنا. من ناحية أخرى، يهمنا من «عابد الجباب» (الأول)، أنه، وفي سياق عائلة الجباب، محسوب على حلف «القرشة» وابن رشيد، له أشعار وقصيد يرثي بها عدد من رجالات الجوف من القرشة، في سكاكا وفي دومة الجندل، الذين أعدموا و/ أو قتلوا في سياق الصراع والعنف الأهلي المدعوم والمؤجج من الخارج (خارج المنطقة ـ الشعلان ـ الرشيد) الذي رافق وصبغ دخول ابن شعلان وسيطرته على الجوف، وخاصة في الفترة (١٩٠٩ ـ ١٩١٠م). في المقابل هناك من الورادا «مسلم الوردي» من رد على «عابد الجباب»، مذكراً إياه بواقعة المديرس (١٨٧٠/ ١٨٧١م). هذه الملابسات والتداخلات ما بين الواقعات وأطرافها، وخاصة ما يتعلق بالترابط بين واقعة المديرس وواقعة الحرب الأهلية في سياق فوضى وعنف سيطرة ابن شعلان على الجوف ١٩٠٩/ ١٩١٠م، وإلى حدٍّ ما حتى ١٩١٥م، هو ما يهمنا بالموضوع، ليس من باب التأييد لهذا أو ذاك، وإنما من باب ترابط وتراكم واقعات العنف والصراع، فتكاملها بما يؤسس لشمولية الصراع والحرب الأهلية، وبما يتيح لنا الإحاطة

بها فتجاوزها إلى فضاءات مجتمع وجماعة عامة مستقرة متوازنة منتجة فاعلة، وفي سياق سيرورتها نحو المستقبل بأفق إنساني مفتوح على الحياة البشرية، بل ومساهمة ومنافسة إبداعياً فيها.

ثالثاً، إن الرحالة «والن» يرى أن ابن رشيد أتى للجوف، وسيطر عليها في عام ١٨٣٨م، انتصاراً لأهل الجرعاوي وحلفائهم من أهل خذما ضد أهل «الدلهمية» وحلفائهم السراح، وهذا وإن كان فيه جزء من الصحة، إلا أننا نعتقد أن قدوم ابن رشيد إلى الجوف والسيطرة عليها، وإن تم تحت تلك الذريعة والحجة، إنما كان نتيجة محرك أكبر، وهو تطلع من ابن رشيد لتوسيع دائرة سلطانه واستقلاله عن حكم وسلطة الدولة السعودية الثانية، من خلال الاستحواذ على منطقة الجوف، وهي منطقة لدية عنها، على ما يبدو، معرفة سابقة. الجوف منطقة بها مصادر وموارد اقتصادية وإن محدودة (التمور من خلال الزكاة والضرائب والإتاوات)، فضلاً عن كونها وما حولها مناطق رعي وموارد مياه وفيرة ومنطقة عبور باتجاه الشام والمراعي الشمالية.

معرفة الأخوين عبد الله وعبيد بالجوف تبدو، تعود إلى وقت ما من فترة الصراع (على الحكم والسلطة في حائل) بينهما من جهة وبين ابن أعمامهم «آل علي»، منذ أواخر حكم «محمد بن عبد المحسن آل علي» (فترة حكمه تقريباً: ١٨٠٠ ـ ١٨٢٠)، وخاصة بعد بعد وفاته خلال الحملة المصرية في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وبالذات مع شقيقه الذي خلفه في حكم حائل، وهو صالح بن عبد المحسن آل علي، حاكم حائل في الفترة (١٨٢٠ ـ ١٨٣٣ تقريباً). ورغم أن هذا الصراع سوف يمتد حتى ١٨٣٦م، مع «عيسى»، الابن الثالث لـ «صالح بن عبدالمحسن آل علي» بعد مقتل والده على يد «عبيد الرشيد» في قرية «تدعى «سُليمي» في عام ١٨٣٤م أو في حدودها طبقاً لأقوال مضاوي الرشيد (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥١ ـ ٥٩)، إلا أن ما يهمنا هنا هو مسألة معرفة عبد الله الرشيد وأخيه عبيد بالجوف. تشير بعض المصادر ومنها مذكرات الرحالة الغربيين، والتي تنقل عنهم مضاوي الرشيد، أنه في سياق الصراع ما بين الأخوين الرشيد من جهة وما بين آل علي من جهة أخرى، فإن عبد الله، وغالباً ما يكون معه أخوه عبيد، خرج من حائل وتوجه إلى (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٢ ـ ٥٣) **واحد من الأماكن والاتجاهات التالية**: ١ ـ إما إلى جبل أجا ومن ثم هرب بعد محاولة قتلهما إلى العراق ومكث هناك سنتين، كما يقول بذلك هوبر (Huber)؛ ٢ ـ أو إلى جبه، فقبيلة الفدعان فالعراق وبقي عند الجرباء، كما يقول بذلك موسيل (Musil)؛ ٣ ـ إلى الجوف، ولكنه غير وجهته إلى وادي السرحان، فسورية، حتى تماثله للشفاء بمساعدة تاجر سوري، من جروح أصابته نتيجة تعرضه لهجوم من قبيلة عنزة، ثم توجهه للرياض بعد شفائه، كما يقول بذلك الرحالة بلغريف (Palgrave)؛ ٤ ـ أو إلى شمر الجرباء في العراق بعد نفيهما وأمهما، بأمر من صالح آل علي حاكم حائل حينها، خوفاً من تزايد نفوذهما على إثر معركة مع إحدى القبائل (قبيلة عنزة على ما يبدو)، ثم للرياض حيث كان مع فيصل بن تركي في حملته على القطيف والبحرين ١٨٣٣م، كما يبدو نقلاً عن مخطوطة منسوبة لـ «ض. بن رشيد» (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٣).

إن إشارات بلغريف عن أن نية عبد الله الرشيد كانت التوجه للجوف، ولكنه عدل عنها إلى وادي السرحان، لا تغير من الأمر كثيراً، ذلك أن الجوف ووادي السرحان هما متداخلان إن لم يكونا تقريباً شيئاً

واحداً، فضلاً عن أن المتجه لوادي السرحان من الجنوب سيمر، في الغالب، بالجوف (دومة الجندل و/ أو سكاكا أو قراهم المجاورة). ورغم أن مضاوي الرشيد تقلل من ما ذكره بلغريف عن قصة خروج عبد الله الرشيد من حائل إلى سورية عبر وادي السرحان، وتعتبرها نوعاً من الأسطورة وخاصة ما يتعلق بتفصيلات مبالغ فيها ذات صلة بمسألة جروحه ودور التاجر السوري في شفائه (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٢)، فإنها وهي تشير إلى ذهابه للعراق لا تنفي ولا تؤكد مسألة أن عبد الله الرشيد قد عبر للعراق من خلال الجوف، هذا فضلاً عن أن الرحالة «موسيل» يؤكد أن عبد الله الرشيد ذهب إلى جبة قبل ذهابه إلى العراق. وحيث الأمر كذلك، فإن احتمال أن عبد الله الرشيد وأخوه عبيد قد عبرا الجوف ومرّا بها، بل مكثا فيها بعض الوقت أمر كبير، وهذا ما تؤكده على أية حال رواية محلية متداولة بالجوف وفيها قرائن قوية على صحتها إجمالاً. هذه الرواية، وتفصيلاتها، مناقشة ومعالجة في سياق واقعة حرب «كون فارع» ذات الصلة بوجود الأخوين «الرشيد» أو بعضمها على الأقل في حينه، فضلاً عن صلتها بجذور السلم والصراع الأهلي في الجوف (١٧٩٢ ـ ١٨٣٠s م).

رابعاً، عن أسباب واقعة التدمير المتبادل ما بين الدلهمية والجرعاوي لم يذكر الرحالة «والن» إلا إشارة عابرة إلى «عداوات سابقة قديمة» بين كل من أهل الدلهمية وحلفائهم السراح من جهة، وبين أهل الجرعاوي وحلفائهم من أهل خذما من جهة أخرى، ولكنه لم يحددها، وقد يكون هذا أمر لا يعنيه كثيراً للدخول في تفصيلاته، ولكنه يهمنا نحن هنا. يبدو أن الأمر في ما يتعلق بالعداوات السابقة وتحالفاتها يحيلنا إلى صراع أعمق ممتد، وإن كان متقطعاً، بين السراح والدرع، تعود جذوره إلى ما قبل بدايات القرن التاسع عشر (١٧٩٢/ ١٨٠٠م وما بعدها)، وهذا ما نحاول مناقشته تالياً. هنا وفي ما يتعلق بواقعة الدلهمية ـ الجرعاوي ذاتها يكفي أن نشير هنا إلى أن هناك روايتين عن واقعة التدمير لكل من الجرعاوي والدلهمية:

الرواية الأولى: منسوبة إلى عواد الجباب وأحمد القاضب، كما ينقل وكتب عنهم معاشي العطية في كتابه «أوراق جوفية» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ٩٤ و١١٣)، مؤداها يقول إنه وفي أحد الأيام صباحاً، «كان فياض الجباب يسقي زرعه «في حوطته (مزرعته/ بستانه) في حيّهم، حي الجرعاوي، وكان رابطاً حزاماً مستخدماً لذلك ثوب زوجته، عندما مر به على فرسه الشيخ فيصل الشعلان، ويبدو أن الأخير انتقد الجباب ساخراً منه لبسه أو احتزامه ثوب امرأة، عندها رد الجباب على نحو قاسٍ فحصلت ملاسنة بين الاثنين، «فنقل فيصل الشعلان ما حصل بينه وبين فياض إلى صديقه حطاب السراح فجاءت مؤاتية لما في نفس الأخير. فاتخذ قراراً بالاشتراك مع فيصل الشعلان بالإغارة على حي الجرعاوي فدمرت تدميراً تاماً، وردم الآبار وقطع النخيل ولجأ أهل الجرعاوي إلى حي خذما، الذين آووهم وخصصوا لهم عدداً من النخيل خلال محنتهم هذه» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١١٣)، ويضيف معاشي العطية، بأن فياض الجباب، وعلى إثر ما حصل، قال قصيدة، فيها بيت (الخامس) يشير إلى مشاركة عناصر من البادية، وهي على ما يبدو متصلة بمشاركة الرولة وفيصل الشعلان، تقول:

«البارحة عدي على الداب نومي   أقلب الجنبين مدري علامي
من ديرة حطت بقلبي ثلومي   راح الغرس وقصور راحت هدامي

يا حلو مقطانه ليال الوسومي	لجتك القطعان قبل الجهامي
نقدم لهم الميسور قبل الزحومي	يوم ولد العفن كاد السلامي
يا دار جونا مثل ورد البهومي	بدو وفلح وخالطينه تهامي
ثارن عليهم مثل نفض الهدومي	ملح الشفا ومخلطه ملح شامي
الحر منزله بروس إلخشومي	والتبع منزاله جذور العدامي»

بقية قصة «الدلهمية ـ الجرعاوي» معروفة كما أوردها الرحالة «والن ١٨٤٥» في ما مر بنا سابقاً، حيث قام أهل الجرعاوي بالاستنجاد بالرشيد، حيث وصلت حملة بقيادة عبيد الرشيد؛ «... لقد جاء شيخ شمر مع قواته ليساعد أقرباءه في الجرعاوي، فسلب ودمر المنازل والبساتين وقطع النخيل وطمر الآبار بالأحجار والاشجار، ولم يترك شيئا للسكان عدا حياتهم، وحريتهم ليلجأوا إلى حلفائهم السراح» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩).

في سياق ما تقدم، وبما تتضمنه الرواية من استشهادات وقرائن في ما سيأتي تالياً، لدى الباحث بعض الملاحظات على الرواية المنسوبة إلى عواد الجباب وأحمد القاضب، كما أوردها معاشي ذوقان سعد العطية،آنفا، نوردها على النحو التالي:

١ ـ إن الاستناد إلى عواد الجباب، وهو من أهل «الجرعاوي»، في تحديد سبب تدمير الجرعاوي قد يعطي الرواية قدراً من المصداقية، إذ إن كونه من أهل الجرعاوي فهو ربما ينقل ما هو متداول بين أوساط أهله وجماعته. ولكن مضمون الرواية من حيث التركيز على فكرة أن السبب مرتبط «بالملاسنة بين فياض الجباب وفيصل الشعلان» لا تبدو مقنعة، وهذا ما يحيلنا إلى الرواية الأخرى، للمقارنة، والتي قد تقدم بعض الاجابات وتزيل بعض الغموض. ربما الأكثر إقناعاً أن هناك محاولة من الشعلان بقيادة فيصل للسيطرة على الجوف فتحالف مع السراح، حيث إن الأخيرين على ما يبدو يتنافسون مع «الدرع» على حكم الجوف كسلطة عليا مركزية واحدة، في سياق تصارع قديم ولكنه مستجد مع فترة انتقالية (١٨٣٤ ـ ١٨٣٧) تبدو فيها فراغ في السلطة بالجوف بعد معركة وكون «فارع»، وتواصل الصراع في حايل بين «آل علي ـ صالح ثم عيسى» من جهة وبين «الرشيد» من جهة أخرى، وفي سياق الحملة المصرية الثانية (١٨٣٦ ـ ١٨٤١م)، وتقلص وضعف الدولة السعودية الثانية. في محاولة فيصل الشعلان للسيطرة على الجوف في وقت ما من نهاية عام ١٨٣٧هـ أو وقت ما من عام ١٨٣٨م ولكن قبل نهاية العام على الاغلب، يبدو أنه استخدم في السيطرة أفراداً وعناصر من سكان أهل الدلهمية، وقد يكون الأخيرون مدفوعين ومحرضين من السراح باعتبارهم حلفاءهم، وفي تنافس، على ما يبدو، مع «الدرع». السراح يبدو أنهم يعملون من خلف الكواليس. في تلك المحاولة كان الصدام على ما يبدو مع حي «الجرعاوي» وأهله، سواء تحت ذريعة ما قيل أنه ملاسنة بين فياض الجباب وفيصل الشعلان، أو بدونها، ويبدو أن حي «الجرعاوي»، إن لم يكن تحت ذريعة الملاسنة، اختير للتصادم من أجل السيطرة، كنقطة انطلاق أو ارتكاز واختبار باعتبار أن الجرعاوي، آنذاك، حي متطرف (قصي) خارج البلدة (الجوف/ دومة الجندل) جنوباً. طبعاً في ما أطرحه ليس مؤكداً، ولكنه احتمال، وهو مبني على ملاحظة هامة أطرحها في سؤال وتساؤل هو: لماذا ابن رشيد استهدف حي «الدلهمية» وأهله، ولم يستهدف السراح أنفسهم ولم يدمر

أحياءهم؟ حيث إن الرحالة «والن»: كما مر بنا يقول إنه بعد تدمير الدلهمية؛ «... لم يترك شيئاً للسكان عدا حياتهم، وحريتهم ليلجأوا إلى حلفائهم السراح» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩). لم يرد في هذه الواقعة أن بيوت السراح هدمت وأن السراح شردوا، ولم تدمر بيوت بعض السراح (بيت العمر ـ ـ ـ حطاب وابنه غالب) إلا في أحداث تمرد عام ١٨٥٣م، وهذه واقعة منفصلة ولاحقة لواقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» بما لا يقل عن ١٥ سنة كاملة. طبعاً هناك تفسير محتمل لعدم استهداف ابن رشيد للسراح وأملاكهم، إن كان لهم دور في تدمير «الجرعاوي»، وهو متعلق بكون السراح لهم مكانة ونفوذ وقوة في الجوف (دومة الجندل)، وعليه لم يكن يستطيع في حينه و/ أو لم يرغب ابن رشيد، على ما يبدو، أن يتصادم معهم بل يرغب في كسبهم واستمالتهم، ولذلك ركز على معاقبة من شارك ونفّذ مع ابن شعلان في تدمير «الجرعاوي»، وهم في هذه الحالة ربما وفي الغالب رجال وعناصر من أهل الدلهمية، ولذلك كان تدمير «الدلهمية».

٢ ـ في نهاية الرواية، ذكر معاشي العطية نقلاً عن قول لـ «عبد الهادي الزارع»، ما يلي: «أفادني المهندس عبد الهادي علي الزارع، عن أبيه المتمكن من قصص الجوف أن غزوة عبيد للجوف بناء على طلب مشوّح السلمان السراح بعد أن حاصر أبناء عمومته حطاب وغالب وما لف لفهم (٣)، وأن حامل رسالته إلى ابن رشيد هو سكران بن خشاب القعيّد»(!؟) (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١١٤). وفي نفس الصفحة وفي الهامش رقم (٣) المقابل للتوثيق رقم (٣) كما ورد في الفقرة السابقة مباشرة، يعلق معاشي العطية فيقول: «.. من واقع الأحداث، وافقت شكوى مشوّح السلمان السراح طلب النجدة من ابن رشيد، في الوقت الذي تم فيه تدمير الجرعاوي» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١١٤ هامش رقم ٣). ثم يواصل معاشي العطية فيذكر قصيدة عبيد الرشيد التي يرد بها على الطلب والتي منها («... إن كان تشكي لي خليف وحطاب ـ ـ ـ ...» (معاشي العطية، ١٤٢٣هـ: ١١٤ ـ ١١٥)، ثم ذكر معاشي قصيدة رد قال إنها لحطاب السراح، والتي منها:

«إن جيتنا يا عبيد نفتح لك الباب   حنا نقيف وفن رعك يخشون...»

(العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١١٥ ـ ١١٦)، ثم ينتهي إلى القول إنه على ضوء ذلك «جهز عبد الله جيشاً لغزو الجوف بقيادة شقيقه عبيد»، فغزاها ودمر الجرعاوي، وأن أهالي الجوف رغم خلافاتهم وقفوا في النهاية مع السراح» وانظم الجميع تحت راية ابن سراح ضد ما اعتبروه عدوان ابن رشيد» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١١٦). ولكن بعد التدقيق بالأحداث والواقعات والروايات الموازية، نقول إن ما ورد في ما ذكره معاشي العطية وأشرنا إليه، آنفاً وفي هذه الفقرة تحديداً، فيه كثير من المغالطات التاريخية، وخلط بين الواقعات لا يستقيم وحقائق الواقعة والواقعات المتصلة بتاريخ الجوف، ونوضح ذلك على النحو التالي:

أ ـ لا علاقة البتة ولا رابط بين غزو الرشيد للجوف وتدمير الجرعاوي وبين قصيدة «مشوّح السلمان السراح». فقصيدة مشوّح المشار إليها هي كانت في سياق أحداث وتمرد ١٨٥٣م، أي بعد ١٥ سنة على واقعة تدمير الجرعاوي علماً أن خلفية تمرد ١٨٥٣م مرتبط بـ: «صراع السراح ـ السراح» (للتفصيل؛ انظر مناقشتنا لواقعة صراع السراح السراح وتمرد ١٨٥٣م).

ب ـ سكران ابن خشاب ليس من القعيّد، كما يقول معاشي العطية، وإنما هو من «الحواس»، وكان موالي لـ «السلمان»، جماعة مشوّح، وعائلة «الحواس»، بالأصل، هم من أهل حايل (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٥ من ٣١).

ت ـ القصيدة التي مطلعها:

«إن جيتنا يا عبيد نفتح لك الباب　　حنا نقيف وفن ربعك يخشون»

والتي ذكر معاشي أنها لـ «حطاب السراح» يرد بها على قصيدة وتهديد عبيد الرشيد، هي ليست لحطاب السراح، وإن من قالها هو «رشيد العرسان»، وهو من «الرحيبيين» ابن أخي خليف الخميس (القعيّد، ملف في مجموعة أوراق ـ تسليم، ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٢٠ من ٣١).

ث ـ نخلص إلى القول إن معظم الاستشهادات والقرائن المتعلقة بتحديد واقعة تدمير «الجرعاوي» والتي أوردها «**معاشي العطية**» آنفة الذكر، هي استشهادات وقرائن لا علاقة لها بواقعة تدمير «الجرعاوي» ولا بتدمير «الدلهمية» وما يتصل بغزو ابن رشيد للجوف والسيطرة عليه عام ١٨٣٨م. إن معظم ـ إن لم يكن كل ـ الاستشهادت والقرائن المستخدمة، هي في حقيقة الأمر تعود إلى أحداث وملابسات تمرد ١٨٥٣م وما يتصل بخلفيته من صراع «السراح ـ السراح»، أو صراع بيوت السراح فيما بينهم في نفس الفترة تقريباً، وهذه وتلك متأخرة، كما قلنا، ١٥ سنة بعد واقعة الجرعاوي ـ الدلهمية (١٨٣٨).

الرواية الثانية: ينقلها زياد عبد الكريم السالم، برواية أحد أفراد الجباب، وعمره حالياً فوق الثمانين عاماً، ونلخصها كما نقلها لنا زياد السالم في اتصال هاتفي (جوال) مع الباحث في صباح الجمعة (٥ ـ ١١ ـ ٢٠١٠م)، حيث في هذا الاتصال، ومتابعة لاتصال سابق في الخميس ٤ ـ ١١ ـ ٢٠١م، وعن موضوع الجرعاوي ـ الدلهمية، وعن سؤال سبق أن سألته في ذلك الاتصال عن لماذا أصلاً أهل الدلهمية، دمروا «الجرعاوي»؟، فقال إنه بعد الاتصال والحديث، الذي جرى بيننا أمس، سألت واحداً من الجباب وعمره الآن حوالي ٨٢ سنه، فذكر له الأخير، مشترطاً عدم ذكر اسمه، أن سبب قيام أهل الدلهمية، بتدمير «الجرعاوي»، يعود إلى أن: هناك شخص، يلقب أو يطلق عليه بـ «مغلوث السبهان»، ويبدو أن اسمه الحقيقي « إما «عابد أو عبيد السبهان»، وأن هذا، ومعه مجموعة من الرجال (يبدو عدد من الأفراد يشكلون قوة ما)، وهم من أهل حائل، متواجدون أو معسكرون في تلك الفترة في أو عند أهل «الجرعاوي»، وأنه، أي مغلوث السبهان ومن معه، كانوا ينوون مهاجمة «الدلهمية» والدخول عليها. ولكن يبدو أن أهل الدلهمية، ومنهم «مناور الرزن»، كان عندهم أو وصلهم خبر عن نية «مغلوث السبهان» مهاجمة الدلهمية والدخول عليها، فما كان منه وأهل «الدلهمية»، إلا أن أغاروا على «الجرعاوي» ودمروه... حيث أهله رحلوا إلى أهل خذما، وقبضوا على مغلوث السبهان وذبحوه، ومثلوا بجثته بالسحب وإطلاق بعض الكلاب (السلق) لتأكل منه. على إثر ذلك، وانتقاماً من أهل «الدلهمية» لمقتل مغلوث السبهان والتمثيل به، وانتقاماً من تدمير الجرعاوي، أتى ابن رشيد وغزا الجوف ودمر الدلهمية، وقبض على مناور الرزن وصلبه بليالي شتوية بقصر مارد، ومات متجمداً فكان اللقب «الجميد». انتهت رواية الجباب كما نقلها زياد السالم عنه» (رواية من أحد كبار الجباب عن واقعة تدمير «الجرعاوي» من أهل الدلهمية، في: السالم، زياد عبد الكريم، اتصال هاتفي (جوال) على الباحث، الجمعة في ٥ تشرين

الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠، ١٠:٣٠ ـ ١١ صباحاً). وفي نفس الاتصال وفي مواصلة للنقاش مع زياد السالم عن الموضوع، قال إن أهل الدلهمية، وهم حلفاء للسراح، كانوا على اتصال وتواصل مع الشعلان في هذه الفترة، وهو ما يفهم من كلامه إلى أنه يشير إلى أن أهل الدلهمية استنجدوا بالشعلان للقيام بالهجوم على «الجرعاوي»، أو هم الذين عملوا إدخال الشعلان على «الجرعاوي»، كما قال في اتصال سابق يوم الخميس (السالم، زياد، اتصال هاتفي جوال، في ٤/ ١١/ ٢٠١٠)، وسألته، حينها: لكن أيضاً لماذا يريد مغلوث السبهان ومن معه الدخول على أهل الدلهمية؟ فقال: الدلهمية كانت عين ونخيل وأراضي، وهو ما يبدو يلمح إلى أنها مغرية. فقلت ربما، ولكن تفسيري للأمر هو أنها ربما تكون محاولة من مغلوث السبهان، وربما بدفع من الرشيد أو بدونهم، لجس نبض للجوف وقواها، وخاصة السراح وحلفاءهم، للسيطرة على الجوف (دومة الجندل)، وانتزاعها بالتدريج، من خلال السيطرة أولاً على منطقة وحي الدلهمية وتكوين مراكز ارتكاز للانطلاق منها إلى ما بعدها، وهكذا.

في واقعة الدلهمية ـ الجرعاوي، نخلص إلى القول: لعله من المثير للانتباه، والتعجب أن الرحالة «والن»، وهو يشير إلى حلف أهل الدلهمية والسراح في مقابل أهل خذما وأهل الجرعاوي في حديثه عن واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» على أنها امتداد لعداوات سابقة قديمة، لم يذكر شيئاً عن «الدرع» وعن الصراع بينهم وبين السراح، كما هي حال المرويات الشفهية (الأولى والثانية، آنفة الذكر) التي أغفلت الأمر ذاته. واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي»، كما هي واقعة «تمرد ١٨٥٣م»، وربما وقائع فرعية في سياق هذه الفترة (مثلاً: صراع الرحيبيين، وصراع الرحيبيين/ المطر)، ورغم ما بينها من تباين في المعطيات والظروف والمتغيرات والقوى المحيطة من عدمها، هي على ما يبدو امتداد لصراع، أعمق ممتد في عقود خلت، وإن كان على نحو متقطع، بين السراح وحلفائهم من جهة، وبين الدرع وبين حلفائهم من جهة أخرى، والذي يعود قبيل و/ أو بعيد عام ١٨٠٠م أو في حدودها فصاعداً، والذي سيستمر متقطعاً حتى بعيد منتصف القرن التاسع عشر تقريباً. إذاً واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» تحيلنا إلى جذور الصراع الأهلي بالجوف، وبالذات في دومة الجندل، وهذا موضوع سنناقشه في جزء منفصل في سياق الحديث عن واقعة «كون فارع» ومدى علاقتها بأسئلة جذور السلم والصراع الأهلي بالجوف، وخاصة في الفترة (١٧٩٢/ ١٨٠٠م ـ ١٨٣٣م).

٦ ـ في جذور الصراع والسلم الأهلي بالجوف (١٧٩٢م ـ ١٨٣٠s م)

أ ـ في واقعة (كون فارع ١٨٣٣م؟) والسلم الأهلي

إن الرحالة «والن» يرى أن ابن رشيد أتى للجوف وسيطر عليها في عام ١٨٣٨م، انتصاراً لأهل الجرعاوي وحلفائهم من أهل خذما ضد أهل «الدلهمية» وحلفائهم السراح، وهذا وإن كان فيه جزء من الصحة، إلا أننا نعتقد أن قدوم ابن رشيد إلى الجوف والسيطرة عليها، وإن تم تحت تلك الذريعة والحجة، إنما كان نتيجة محرك أكبر، وهو تطلع من ابن رشيد لتوسيع دائرة سلطانه واستقلاله عن حكم وسلطة الدولة السعودية الثانية، من خلال الاستحواذ على منطقة الجوف، وهي منطقة لديه عنها، على ما يبدو، معرفة سابقة. الجوف منطقة بها مصادر وموارد أقتصادية على محدوديتها (التمور من خلال الزكاة

والضرائب والإتاوات)، فضلاً عن كونها وما حولها مناطق رعي وموارد مياه وفيرة ومنطقة عبور باتجاه الشام من أجل المراعي الشمالية وقدر من التجارة.

معرفة الأخوين عبد الله وعبيد (الرشيد) بالجوف تبدو أنها تعود إلى وقت ما من فترة الصراع (على الحكم والسلطة في حائل) بينهما من جهة وبين ابن أعمامهم «آل علي»، منذ أواخر حكم محمد بن عبد المحسن آل علي (فترة حكمه تقريباً: ١٨٠٠ ـ ١٨٢٠)، وخاصة بعد بعد وفاته خلال الحملة المصرية في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وبالذات مع شقيقه الذي خلفه في حكم حائل، وهو صالح بن عبد المحسن آل علي، حاكم حائل في الفترة (١٨٢١ ـ ١٨٣٣ تقريباً). إن هذا الصراع بين «الأخوين الرشيد» من جهة، وبين أبناء عمومتهم آل علي من جهة أخرى سوف يمتد حتى ١٨٣٦، مع عيسى، الابن الثالث لـ «صالح بن عبد المحسن آل علي» بعد مقتل والده على يد عبيد الرشيد في قرية تدعى سُليمي في عام ١٨٣٤م كما تقول بذلك مضاوي الرشيد (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥١ ـ ٥٩)، إلا أن «محمد الزعارير»، في كتابه عن الرشيد، لم يذكر أية إشارة إلى مقتل صالح آل علي على يد عبيد الرشيد، ويشير إلى أن الصراع امتد مع عيسى بن صالح آل علي حتى عام ١٨٣٧م عندما كسب عبد الله الرشيد خورشيد باشا، قائد القوات المصرية في المدينة، أعاده إلى إمارة حائل على حساب عيسى بن صالح آل علي، والذي فر إلى المدينة (الزعارير، ١٩٩٧: ٥٨ ـ ٥٩). وبغض النظر عن دقة تلك الأمور، فإن ما يهمنا هنا هو مسألة معرفة عبد الله الرشيد وأخيه عبيد بالجوف. تشير بعض المصادر، ومنها مذكرات الرحالة الغربيين، والتي تنقل عنهم مضاوي الرشيد، وكذلك ينقل عنهم محمد الزعارير، (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٢ ـ ٥٣، والزعارير، ١٩٩٧: ٥٤)، أنه في سياق الصراع ما بين الأخوين الرشيد من جهة وما بين آل علي من جهة أخرى، فإن عبد الله، وغالباً معه أخيه عبيد، خرج من حائل وتوجه إلى **واحد من الأماكن والاتجاهات التالية**:

١ ـ إما إلى جبل أجا، ومن ثم هرب بعد محاولة قتلهما إلى العراق ومكث هناك سنتين، كما يقول بذلك هوبر (Huber)؛ ٢ ـ أو إلى جبه، فقبيلة الفدعان فالعراق، وبقي عند الجرباء، كما يقول بذلك موسيل (Musil)؛ ٣ ـ إلى الجوف، ولكنه غيّر وجهته إلى وادي السرحان، فسورية، حتى تماثُله للشفاء بمساعدة تاجر سوري، من جروح أصابته نتيجة تعرضه لهجوم من قبيلة عنزة، ثم توجهه للرياض بعد شفاءه، كما يقول بذلك الرحالة بلغريف (Palgrave)؛ ٤ ـ أو إلى شمر الجرباء في العراق بعد نفيهما وأمهما، بأمر من صالح آل علي حاكم حائل حينها، خوفاً من تزايد نفوذهما على إثر معركة مع إحدى القبائل (قبيلة عنزة على ما يبدو)، ثم للرياض حيث كان مع فيصل بن تركي في حملته على القطيف والبحرين ١٨٣٣م، كما يبدو، نقلاً عن مخطوطة منسوبة لـ: «ض. بن رشيد» ((يبدو المقصود: ضاري بن رشيد)) (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٣).

إن إشارات بلغريف عن أن نية عبد الله الرشيد كانت التوجه للجوف، ولكنه عدل عنها إلى وادي السرحان، لا تغيّر من الأمر كثيراً، ذلك أن الجوف ووادي السرحان هما متداخلان إن لم يكونا تقريباً شيئاً واحداً، فضلاً عن أن المتجه لوادي السرحان من الجنوب سيمر، في الغالب، بالجوف (دومة الجندل و/ أو سكاكا). ورغم أن مضاوي الرشيد تقلل من ما ذكره بلغريف عن قصة خروج عبد الله الرشيد من حائل

إلى سورية عبر وادي السرحان، وتعتبرها نوعاً من الاسطورة، وخاصة ما يتعلق بتفصيلات مبالغ فيها ذات صلة بمسألة جروحه ودور التاجر السوري في شفائه (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٢)، فإنها، وهي تشير إلى ذهابه للعراق، لا تنفي ولا تؤكد مسألة أن عبد الله الرشيد قد عبر للعراق من خلال الجوف، هذا فضلاً عن أن الرحالة «موسيل» يؤكد أن عبد الله الرشيد ذهب إلى جبة قبل ذهابه إلى العراق. وحيث الأمر كذلك، فالاحتمال الأكثر رجاحة هو أن عبد الله الرشيد وأخاه عبيد قد عبرا الجوف ومرّا بها، بل مكثا فيها بعض الوقت أمر كبير، وهذا ما تؤكده على أية حال رواية محلية متداولة بالجوف وفيها قرائن قوية على صحتها إجمالاً.

عبد الله وعبيد وأفراد من أسرتهم في الجوف (١٨٣٠ ـ ١٨٣٣):
قصة ورواية محلية بين الحقيقة والأسطورة

تذهب الرواية المتداولة بالجوف، وكما سمعتها من لقاءات و/أو مقابلات أجريتها مع بعض الأخوة من القرشة (من الضويحي والعلي) في صيف عام ٢٠٠٢م (الزيد، عافت مناع ـ لقاء وحديث (II) في ٢٤/٧/٢٠٠٢: ٥ من ١٣؛ الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث، في ٢٧/٨/٢٠٠٢: ٩ ـ ١٠ من ١٧؛ العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/٨/٢٠٠٢: ٧ ـ ٨ من ١٢)، وسبق أن سمعتها من فهد الغانم (العلي) في مقابلة أجريتها معه في عام ١٩٨٩م (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/٨/١٩٨٩: ١ ـ ١٣ ملخص) إلى التأكيد على قدوم الأخوين عبد الله الرشيد وبعض من أفراد أسرتهم للجوف، وأنا (الباحث) هنا ألخص وأُجمل الرواية، بالقول: إنه مع الخلافات التي وقعت في حائل بين عبد الله وعبيد الرشيد من جهة وبين آل علي (حكام حائل) آنذاك من جهة أخرى، والتي وصلت إلى محاولة «آل علي» قتل عبد الله وعبيد الرشيد، فر الأخيران إلى «جبة» لاجئين عند «ابن رخيص»، وطلبوا منه الحماية، ولكنه اعتذر لهم بحجة أن الحكم لـ «آل علي» وأنه لا يستطيع مواجهتهم، ولكنه استجاب لطلبهم بالمساعدة في الحصول على رحايل (جمال) (لاحظ قصيدة عبد الله الرشيد نفسه والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً باعتبارها بذاتها قرينة)، فقدم لهم طلبهم، فاتجهوا إلى سكاكا (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/٧/٢٠٠٢: ٥ من ١٣) وضافوا لاجئين عند السهيان ـ الضويحي، عند لحيد بن مطيلق، والذي على ما يبدو خصص لهم حوطة (بستان) للإقامة فيها، ولا زال اسم الحوطة التي كانت خيمتهم فيها تسمى «الحير»، و«الحير» في حائل، كما يقول محمد الشاعل، تعني الحوطة عندنا (في سكاكا) (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في ٢٧/٨/٢٠٠٢: ٩ ـ ١٠ من ١٧). وتذهب تفريعات من الرواية إلى القول إنهم على ما يبدو، أي عبد الله وعبيد الرشيد ومن معهم من أفراد أسرتهم، ـ فضلاً عن زوجة عبد الله الرشيد، منيرة بنت جبر الرشيد، ويبدو أطفاله (طلال ومتعب) يقال إن ممّن عُرف من المرافقين لهما «ابن سبهان، وحسين المسطحي، وشريده مملوك عبد الله» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٠٠) ـ، مكثوا في سكاكا، في «الحير» (البستان ـ أو ـ الحوطة) مدة ثلاث سنوات تقريباً (العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/٨/٢٠٠٢: ٧ ـ ٨ من ١٢).

هناك أيضاً بعض القرائن التي تدلل على أن الأخوين الرشيد أقاما بالجوف (سكاكا)، والتي سبق لبعض الكتابات عن الجوف أن أورد بعضها. من تلك الكتابات، عبد الرحمن الشايع الكريّع، في كتابه عن

الجوف ـ الجزء الثاني (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٦)، ويعتبر عبد الرحمن الشايع أول شخص من أهل سكاكا يشير كتابة إلى فكرة قدومهما، وكان ذلك في عام ١٩٨٤م عندما صدر كتابه آنف الذكر، ومؤخراً كتاب معاشي العطية «أوراق جوفية» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ٩٩ ـ ١٠٥). وهنا سوف نضيف على ما ورد، كتابات و/ أو إشارات أخرى، مع الإشارة إلى من أوردها سابقاً، ومن ذلك:

أولاً: قصيدة مطوَلة، أشار إليها فهد الغانم في مقابلته عام ١٩٨٩م (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١٣، من ١٣ ملخص)، وقال إنها لشاعر من سكاكا اسمه «مبارك ابن زبن النصيري الرويلي»، مشيدا بأهل الجوف وسكاكا وبعض من قياداتهم، وخاصة من الضويحي والعلي والدرعان، ليس فقط من حيث الكرم والشجاعة، وإنما أيضاً من حيث استقبال وتقديم الحماية لمن يلجأ إليهم، يقول في بعض أبياتها[١٢]:

(يا عيال ياللي راكبين... بداية القصيدة...)

«من دور عبد الله قديما هو وعبيد — يزبنهم المضيوق اليا (؟) بحاله[#١]

من بعد زايد نوَخ المركب للحيد — مشرك دخيله في حلاله وماله»[#٢]

(تسب كرام اللحى جعل ما تعيد... نهاية القصيدة)

ثانياً: هناك أيضاً قصيدتان تنسبان إلى مفضي العطية تشيران إلى قدوم الأخوين الرشيد إلى سكاكا ولجوئهما عند «اللحيد».

١ ـ **القصيدة الأولى** أوردها في الأصل عبد الرحمن الشايع في كتابه عن الجوف ـ الجزء الثاني (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٦)، وكنا قد أشرنا إلى بعض أبياتها في الحديث عن ملابسات تمرد ١٨٥٣م (للتفصيل انظر مناقشة واقعة تمرّد ١٨٥٣م في هذه الدراسة)، واقتبسها منه معاشي ذوقان العطية، ولكن مع تعديلات عليها تصل إلى حد حذف أحد أبياتها!! في كتابه: **أوراق جوفية** (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٤٨). في القصيدة يرد بها مفضي العطية على طلب ابن رشيد من سهيان وابن درع هدم أبراج وعلالي القصور، وينصح «سهيان» برفض الهدم وفيها تذكير للرشيد بما عليهم من معروف لأهل الجوف حيث حموهم عندما لجأوا إليهم، وفيها يقول[١٣]:

---

(١٢) عن الأرقام الواردة في نهايات أبيات القصيدة (المنسوبة إلى مبارك ابن زبن النصيري الرويلي) نشير إلى:

(#١) العبارة؛ «.... اليا (؟)...» في نهاية الشطر الثاني من البيت، فيها كلمة مفقودة، لكن يمكن أن تكون «الياهو لفى أو لفاهم»، أو «اليا هو نصا أو نصاهم»، أو «اليا هو ضاق»، أو «اليا هو بلش»، أو «اليا هو جاء أو جاهم». وكلمة «المضيوق» ربما هي صحيحة، وربما تكون «المضيوف»، ولكن سياق البيت يرجح أنها «المضيوق». وعليه يمكن أن يقرأ البيت على عدة صيَغ محتملة، ومنها الصيغ التالية:

أ (من دور عبد الله قديما هو وعبي — يزبنهم المضيوق اليا هو لفاهم بحاله).

أو

ب (من دور عبد الله قديما هو وعبيد — يزبنهم المضيوق اليا هوبلش بحاله).

(#٢) «زايد» و«لحيد» المذكوران في الشطر الأول من البيت هما أخوان، أبناء «مطيلق» الضويحي. وكانت الشيخة قبل انتقالها إلى «لحيد بن مطيلق» هي لـ: «زايد بن مطيلق» على ما تبيّن القصيدة.

(١٣) ملاحظات على القصيدة، نشير إلى التالي:

أ ـ الأرقام (من (#١) وحتى (#٨)) في نهاية الشطر الثاني من الأبيات تدل على أن هناك اختلافاً في بعض الصيَغ الواردة عند كل من عبد الرحمن الشايع الكريّع ومعاشي العطية، ويمكن الرجوع إلى المصدرين للمقارنة. ورغم أن الأبيات التي أجرى عليها معاشي بعض التعديلات، هي أكثر انسجاماً وتناغماً، إلا أن البيت المقابل الرقم ٧ لم يذكره معاشي بينما ذكره الشايع، ولذلك أضفناه هنا لتتكامل القصيدة، =

يـاركــب مــن عـنـدنـا فــوق مـقـران	مـتـخـيـرة مـن بـيـن هـجـن مـطـيـعـة[#١]
الـصـبـح مــدت مــن مـنـاخـة سـهـيـان	والـعـصـر بـالـنـقـرة بـسـوق الـبـديـعـة[#٢]
تـلـقـى عــيــال كـنـهـم صــف عـقـبـان	فـي ربـعـة عـنـد اخـو تـرفـه وسـيـعـه[#٣]
إن نـاشـدوك عـن جـوفـنـا ويـش مـا كـان	الـجـوف صــارت بـه أمــور شـنـيـعـه[#٤]
كــد بـعـبـد الـلـه غـــدا درب دخــان	ولا عـاش مـن ضـيَـع لـفـاعـل صـنـيـعـه[#٥]
انـشـد مـنـيـرة يــوم فـيـك الـدهـر خـان	يــوم ان عـيـلاتـك مـع الـنـاس ضـيـعـه[#٦]
يـا مـا خـذيـت بـضـلـعـنـا وقـت مـقـطـان	لـم غـدت لأخــوان نــوره وسـيـعـه[#٧]
الـضـلـع مـا هـو ضـلـع ابـن درع كـذبـان	والـلـه مـا تـرقـاه غـيـر بـصـعـيـعـه[#٨]
الـضـلـع تـلـقـى بـه شـغـامـيـم شـجـعـان	كـم حـفـرة مـنـهـم تـفـقـد جـظـيـعـه[#٩]

-----

٢ ـ **القصيدة الثانية**، قالها مفضي العطية (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٤٨)، على لسان سهيان بن لحيد، يرد بها على قصيدة ابن رشيد التي يهدد بها سهيان آنفة الذكر، ويقول فيها:

بـالأمـس يــوم كــان خـطـبـك جـلـيـلـي	وعـيـال عـمـك عـنـهـم كـنـت مـنـحـاش
دزجـــت شـمـر مـا لـقـيـت الـدخـيـلـي	وحـمـوك ربـعـي بـالـوغـى كـل مـهـتـاش
حــمــوك يـــوم انــك مـجـلـي ذلـيـلـي	والـخـوف طـايـف فـوق قـلـبـك وجـواش
وتـيـتـنـا حــافــي تـجـر الـعـويـلـي	والـشـوك مـن رجـلـيـك تـشـيـلـه بـمـنـقـاش

ثالثاً: بل إن عبد الله الرشيد نفسه يؤكد مجيئه للجوف (سكاكا). هناك قصيدة مطوَّلة (٥٢ بيتاً) تنسب إلى أن عبد الله بن رشيد قد قالها واصفاً كامل رحلته ومعاناته وغاياته، ونواياه (ما كان ينوي القيام به) من فراره من حائل مروراً بـ «جبة»، ومن ثم سكاكا، وحتى وصوله بغداد... إلخ. ما يهمنا هنا منها هي بعض أبياتها ذات الدلائل القاطعة بمروره بالجوف (سكاكا)، ومكوثه فيها لبعض الوقت، ونورد منها ما

= ويبدو أن معاشي، من باب التحالف ما بين القرشة وابن درع، لم يكن يريد إيراد هذا البيت وفيه انتقاد مفضي لابن درع حيث الأخير يبدو قد وافق على هدم أبراج وعلالي قصره، ونفذ الطلب.

ب ـ ردّ ابن رشيد على رد سهيان المسنود بقصيدة مفضي العطية أعلاه، مهدداً سهيان، فقال قصيدة، وردت بصيغ مختلفة من حيث بعض المفردات، وإن لم يتغير المعنى العام، ونوردها بالصيغتين كما أوردها كل من عبد الرحمن الشايع الكريّع، ومعاشي العطية على التوالي، علماً أن الاخير أورد أبياتاً إضافية. أولاً كما أورده الشايع الكريّع (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٧)، فقال ابن رشيد:

يــا بــو شـكـر صــدق يـومـنـك عـمـيـلـي	خـطـك طـويـل ووجـهـك ابـيـض مـن الـشـاش؛
الـيــوم هـرجـك صــار مــا لا ضـويـلـي	طــاوعــت هـــرج فــلان وفـــلان وشـــلاش
انـــشـــد قـــيـــال وضـلـعـكـم والـطـويـلـي	عـن حـسـن مـنـصـور الـلـي هـاش واهـتـاش.

وثانياً، كما أوردها، معاشي العطية (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٤٨)، فقال ابن رشيد:

يـــا بـــو شـكـرو الـنـعـم يـومـك عـمـيـلـي	خـطـك جـلـيـل وجـهـك ابـيـض مـن الـشـاش
الـيـــوم صـــار الـهــرج مـالـه ضـويـلـي	طــاوعــت هـــرج فــلان وفـــلان وشـــلاش
إن كـــان عـــنـــدك واحـــد مـسـتـعـيـلـي	خـلـه يـــدور لـــه مـــع الـــنـــاس وشـــواش
انـــشـــد قـــيـــال وضـلـعـكـم هـالـطـويـلـي	عـن صـوت مـنـصـور لـيـا ثـار واهـتـاش
مـــا يـظـهـر الـمـــاء بـالـمـحـال الـزبـيـلـي	والـغـيـد مـا يـظـهـرن قـنـي عـلـى مـاش

يلي من أبيات كما أوردها معاشي ذوقان العطية (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٠٣ ـ ١٠٥). تقول بعض الأبيات[١٤]:

«قل هيه ياللي لي من الناس وداد   ماترحمون الحال ياعزوتي ليه
ماترحمون اللي غدا دمعه ابداد   ذا له زمان وحرق الدمع خديه
تالي زمان ما تهنيت بارقاد   وقصر المعزة قامت تهدم مبانيه
من يوم شفت الشوق مزبور الانهاد   مجلى عن دار اجدادها وأهاليه
اقفى يجر الثوب للضلع شراد   متزبنه من دون حيه وأهاليه
الشوك ماله عن مواطيه رداد   أيضاً ولا سبت قوي يوقيه
يا من يسوي له زرابيل اجداد   من المي لو ياطا على القطن يحفيه
بمشمرخات الهيف بالزحف صعاد   وكم يعرب من خوف الاروام راقيه
أخذ ثمان من ثمان له أذواد   ولا لفا من عزوته من يلفيه
جينا قليب صاير بين الانفاد   والخمس من نصف الثمانين يدليه
وابن رخيص نازل حد الاجراد   قال اقبلوا وانتم هل الدار يا هيه
جبه سقاها من أول الوسم رعاد   ما طالعت خشم أم سنمان يسقيه
حيث انها للمنهزم دار ميعاد   من لاذ به كن الحرم لايذ فيه
الحضيري ما يستوي غير ببلاد   والبديوي ما يستوي له تحضريه
وحلنا على شهب الغوارب منه غاد   وكم عيل يبكي من القيظ حاديه
جينا لناسٍ للطويلات رواد   بالجوف سادوا وهزموا من طمع فيه
نبغي نقارب من هل الجوف خلاد   وندعي عسى الوابل يسقي مفاليه
لذنا بهم هل الكرامه والامجاد   قالوا هلا من خاف وجانا بنحيمه
نحميه من جور الرفاقه والابعاد   وحنا بعيال القريشي نساويه
وعيال قريش ونعم بذالة الزاد   ونعم النكيف إلى لفا السير طاويه

---

(١٤) مصدر القصيدة وملاحظات:

(#١) وَرَدَت القصيدة في: معاشي بن ذوقان سعد العطية، **أوراق جوفية** (الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ)، ص ١٠٣ ـ ١٠٥. والقصيدة هنا كاملة (٥٢ بيتاً)، علماً أن معاشي أورَدَ في ص ١٠٠، بيتاً، منفصلاً عن القصيدة، ولكنه ذكره على أنه من قصيدة عبد الله الرشيد، وقال فيه:

«جينا سكاكا نعم بذالة الزاد   نعم بهم اليا نصا المدح راعيه»

(المصدر نفسه، ص ١٠٠). وعلماً أن معاشي أورد بيتاً، في الصفحة عينها (ص ١٠٠)، يختلف عما وَرَدَ من بيت في كامل القصيدة، البيت هو:

«يا حي والله يالضويحي من أجواد   ريف الغريب ليا نصا المدح اهاليه»

(المصدر نفسه، ص ١٠٠). وعلماً أيضاً أن معاشي أورَدَ في صفحة ١٤٨ هامش رقم (٨) بيتاً مختلفاً بعض الشيء في شطره الأخيرعن ما وَرَدَ في البيت السادس في القصيدة. البيت هو:

«الشوك ماله عن مواطيه رداد   أيضا ولا للترف سبت يوقيه»

(المصدر نفسه، ص ١٤٨، هامش ٨). وَرَدَت أبيات من القصيدة في: محمد الزعارير، **إمارة الرشيد في حايل** (بيروت: بيسان للنشر، ١٩٩٧)، ص ٥٨.

(#٢) ما يهمنا من القصيدة المنسوبة لـ «عبد الله الرشيد»، والتي يبدو أنه قالها لاحقاً لمغادرته للجوف، هي الأبيات ذات الصلة بإشاراته المرور بالجوف (سكاكا). ولذلك ومن أجل إبرازها، شدّدنا عليها بزيادة سواد أحرف كلماتها.

ياحي والله يالضويحي من اجواد ... نعم الرفيق إلى نصا المدح أهاليه

الطيب كله في لحيد ولحاد ... الكل مثل السيف يضرب بحديه

وسرنا على حمر طويلاتٍ الابعاد ... يم الشمال ونية الهور نبغيه

ومن خلفنا غويشٍ وغريرين قعاد ... مامنهم اللي عنده الراي يقديه

في ذمة الله ثم عريبين الاجداد ... باب إلخشب والضلع حروة مراميه

للشط يااللي يمه الغرب منفاد ... كن الشفلح فوق موجات جاريه

كن جيت بدوان باالاذواد وراد ... وكل يزين للعشير نواديه

يا محلى شرشوح الاذواد وقاد ... لا دوه الراعي يزين دواويه

يا ما عليه من المخاليق واعباد ... والكل منهم وال الاقدار مشقيه

هذاك فلاح وهذاك كراد ... وهذا مريح وساهرات دواليه

وهذا يهل الغزل من فوق الاعواد ... وهذاك يبرم له وهذا يساديه

هويت باب ورا جسر بغداد ... يجوظ قلب المسطحي وانهوى فيه

لا هو بشف لي ولا هو بالأمراد ... ولاهو هنواي وطاري النفس يطريه

و حنا بديرة من يعدون الاجداد ... هذا ولد عم وهذا ابن أخيه

من يوم جانا العلم تحرير الاوكاد ... قيل العساكر غربوا تتلي البيه

هب الهوى يا ذرى الريح وانقاد ... ويا من يدور حلاله وأهاليه

الله يسود وجهكم يا هل الواد ... سود السما كل إلخلايق تراعيه

من باب خدام إلى باب عواد ... ومن ينتخي بالضيغميه فدا له

يااللي نسيتوا عمل الاجرب وفهاد ... ومن عقب هذا داخلين قهاويه

و مطيع ابن فرحان مذكور الاجداد ... كل العساكر نكسة تتليه البيه

نكس بهم محسن وعامر وزياد ... ما منهم اللي شاف وحهه وراجيه

و زيد ومنيع والملقي لهم قاد ... من تاه من حمر الطرابيش يهديه

يذكر جراد في جماعته ساد ... هذا يخسس له وهذا امجليه

لو تجتمع كل المخاليق باعداد ... الا مجراد مالك الله انصافيه

و منسوب بمهور النير من غاد ... وسمى ماكول النشاما يباريه

و الله لو أني من وراء جسر بغداد ... أني لهم مثل العمى عند راعيه

عيسى يقول الحرب للمال نفاد ... والمال لو هبت نسايم ذواريه

يااللي تقول الشر ما به لنا ازواد ... انشد أمسوي السيف هو ليه حانيه

لا صار ما يرويه من دم الاضداد ... يوديه يم العرفجية تروية

لا صارما يمضي بصنديد الأولاد ... ضرب الموصى يذهل اللي يوصيه

لاصار ما ينفذ في حمر الاكباد ... فالعنك يا سيف طوى الهم راعيه

لا صار ما هم بصنديد الأولاد ... فالعن شباب ما يبهيه راعيه

*** - ***

رابعاً: ولا زال المعاصرون من أبناء الضويحي الشباب (حالياً) يرددون الرواية المتداولة تلك عن مجيء الأخوين الرشيد للجوف ولجوئهما للسهيان. من ذلك قصيدة حديثة منسوبة إلى سعود الشاعل (وهو على ما يبدو سعود بن موسى سليمان الشاعل)، يرد فيها على أحد الأشخاص، ويبدو أنه من أهل حائل استهزأ بقبيلته، ونورد منها ما يوضح رسوخ قناعات المعاصرين عن صحة الرواية التي تناقلوها عن أسلافهم. والقصيدة مبنية على ما يبدو على ما ورد في قصيدة عبد الله الرشيد نفسه آنفة الذكر، يقول سعود الشاعل في بعض أبياتها[١٥]:

أزعجتني في كلمة ما به امعان   قلته وبين حقدك المستزيدي

....

لا والله الا يالضويحي لكم شان   يشهد على قولي عيال الرشيدي
عبد الله اللي شد للضلع شفقان   والشوك في رجلين شوقه يكيدي
يسحب شليل الثوب للحيد زبان   عند الضويحي عاش وقت سعيدي
لما صفت له ديرته والدهر زان   في حكم حايل وابن عمه طريدي

....

قول بلا فعل مذ له وحقران   وكثر الحكي لا زاد ماهو يفيدي

عوداً على الرواية المحلية المتداولة عن لجوء الأخوين الرشيد بالجوف، فنقول إنه، ورغم أن بعض تفريعات الرواية المتداولة محلياً بالجوف تقول بأن لجوء الأخوين الرشيد في الجوف (سكاكا) استمر حوالي ثلاث سنوات، فإن عبد الله الرشيد لا يبدو أنه بقي طوال تلك الفترة، وإنما غادرها إلى العراق مخلفاً وراءه أخاه عبيد والنساء. ويبدو أن مغادرة عبد الله الرشيد من الجوف (سكاكا) والاتجاه نحو العراق حدثت قبل حدوث واقعة ما يعرف محلياً بـ «كون فارع» (١٨٣٢م ـ ١٨٣٣م؟ أو في حدودهما)، وهي معركة، سنأتي على ذكرها، وبعض من تفصيلاتها، في الأصل متصلة على ما يبدو، بمطاردة «آل علي» للأخوين الرشيد عندما علموا أنهما في الجوف.

في تلك المعركة، المسماة محلياً بالجوف باسم واقعة «كون فارع»، كان عبيد الرشيد، مع النساء، لا زال موجوداً، وقد حاول الخروج والمشاركة مع أهل الجوف في قتال ورد المهاجمين «آل علي»، لكن، كما تذهب تفريعات عافت الزيد من الرواية، فإن «لحيد بن مطيلق»، رفض، وحال بين عبيد الرشيد وتحقيق رغبته، قائلاً على نحو: «إنك في حمايتنا ولا يجوز أن تقاتل، إذ لو تقتل فهذا لا يجوز وعيب في حقنا وفي الدفاع عنك» (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢م: ٦ من ١٣). ويضيف عافت الزيد بالقول، إنه ومع انتصار أهل الجوف ضد «آل علي» وانكسار الأخيرين، نسب إلى عبيد الرشيد، قول يمدح فيه أهل سكاكا، من نحو: «هكذا تكون الرجال!» (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٦ من ١٣).

---

(١٥) مصدر قصيدة (سعود الشاعل): «العاص القرشي ((؟))»، أنزل في: (٢٥/ ٥/ ٢٠٠٨)، على موقع «منتديات قريش»، منقول من «ديوانيه بني خالد»، الرابط التالي: <http://www.alqurashi1.com/vb//showthread.php?p=16661>.

بالنسبة لمصير وما حدث لـ «عبيد» والبقية من النساء معه، فكما تذهب بعض تفريعات الرواية المحلية بالجوف، قد يكون:

١ ـ إما أنه ذهب فيما بعد إلى المدينة ((يبدو المدينة المنورة))، ولكنه أبقى النساء وراءه في سكاكا عند السهيان (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث، ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢م: ٩ ـ ١٠ من ١٧)؛ ٢ ـ أو أنه بقي هو والنساء حتى استلام عبد الله الرشيد الحكم من «آل علي»، بعدها استطاع عبيد ونساؤه العودة إلى حائل وهم، كما يقول عافت الزيد، يحملون معروف أهل الجوف و«اللحيد» (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٣).

بالنسبة لعبد الله الرشيد، فإنه لاحقاً لخروجه من الجوف إلى العراق وبقائه هناك لبعض الوقت، سيتجه، في سياق قصة تبدو أسطورية، وهي على أية حال خارجة عن اهتمامنا، إلى الرياض حيث التقى فيصل بن تركي، علماً أن المصادر التاريخية خارج الرواية المحلية المتداولة، تشير إلى أن عبد الله الرشيد في عام ١٨٣٣م كان مع فيصل بن تركي في حملة على القطيف والبحرين عندما ورد مقتل تركي والد فيصل على يد ابن عمه مشاري، ثم سيكون عبد الله الرشيد في منطقة حائل «جبل شمر»، وأحياناً بينها وبين المدينة المنورة في الفترة ما بين ١٨٣٤ ـ ١٨٣٦م (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٣).

وللمعلومية، فإن المصادر التاريخية عن حكم الرشيد تحدد أن عبد الله الرشيد، وبعد مساعدته لفيصل بن تركي بقتل قاتل أبيه، فتثبيت حكمه في الرياض، قد تلقى دعماً أو حظوة من فيصل بن تركي ليصل بالنهاية، وبعد صراع مع خصمه عيسى بن صالح بن عبد المحسن آل علي، وفي سياق استثماره، ضد خصمه، تحولات وتبدلات دعم ومساندة القوى المحيطة (القوة المصرية في القصيم والحجاز ـ فيصل بن تركي بالرياض ـ وشمر وفروعها عائلاتها الرئيسة) عاد إلى حكم حائل في عام ١٨٣٦م، وكما تقول مضاوي الرشيد: «عندما عاد أخوه عبيد إلى حائل وطرد عيسى، ثم عاد عبد الله بن رشيد إلى حائل، وأعلن نفسه حاكماً في عام ١٨٣٦م» (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٥٥ ـ ٥٦)، ولكن الزعارير يقول إن ذلك لم يحدث إلا في عام ١٨٣٧م، وبمساعدة من خورشيد باشا، قائد القوات المصرية في المدينة (الزعارير، ١٩٩٧: ٥٨ ـ ٥٩).

إن مضاوي الرشيد ذكرت أن عبيد الرشيد كان في قرية «سليمى» من قرى حائل حيث قتل فيها صالح بن عبد المحسن آل علي، وكان ذلك على ما يبدو في عام ١٨٣٤م أو ١٨٣٥م أو في حدودهما. وعلى أية حال، ورغم أن الزعارير، كما ذكرنا سابقاً، لا يمر على أي ذكر لقتل صالح آل علي من قبل عبيد الرشيد، فإنه، إن كانت هذه المعلومة التي تقول بها مضاوي الرشيد صحيحة، وخاصة بالقول إن «عبيد عاد إلى حائل وطرد عيسى»، وإنه (أي عبيد) كان قبل ذلك في قرية «سليمى»، وكذلك إن كانت رواية الجوف المتداولة عن لجوء الرشيد للجوف أيضاً صحيحة، فإننا نرجح أن عودة عبيد الرشيد إلى حائل، من الجوف قد تمت عبر ذهابه أولاً إلى «المدينة المنورة»، أو إلى «جبة»، ثم اتجه إلى حائل «جبل شمر» فقرية «سليمى» في فترة احتدام الصراع مع عيسى بن صالح آل علي.

ب ـ في سؤال السلم الأهلي بالجوف وواقعة أو (كون فارع ١٨٣٣م؟)؟

«فارع» هو مكان جنوب غرب قرية أو ضاحية «قارا»، والأخيرة لمن لا يعرفها، وخاصة من خارج الجوف، تقع إلى الجنوب من مدينة سكاكا بحوالي ١٠ كم. و«فارع» على هذا التوصيف هي حالياً تلك الكثبان الرملية (الطعوس أو الطعيسات) والتي يخترقها حالياً طريق سكاكا ـ قارا ـ مطار الجوف، والمقام على أطرافها من الشمال الشرقي مجسم «الدلة العربية للقهوة»، وهي الواقعة تقريباً بين مجمع أرامكوا وبين محطة الدرزي وبيوت عفات الدرزي.

في ذلك المكان بين «فارع» وقارا، وقعت معركة عرفت محليا باسم «كون فارع». هذه المعركة والتي، وإن كان ليس لها تاريخ محدد أو دقيق، تذكر بعض الروايات المحلية أنها وقعت في وقت ما من عام ١٢٤٩هـ (الغانم، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٣)، وهي تقابل عام ١٨٣٣ م أو في حدودها (للمعلومية فإن: ١ محرم ـ ١٢٤٩هـ يقابل بالميلادي ٢١ ـ أيار/ مايو ـ ١٨٣٣م). قبل أن نمضي علينا التوقف عند تاريخ وقوع واقعة «فارع»، ومدى توافقها أو تعارضها مع تواجد أو عدم تواجد الأخوين في الجوف. ليس هناك من يحدد على وجه الدقة واليقين متى غادر الأخوان «عبد الله وعبيد الرشيد» حائل وبغض النظر عن الاتجاه، ولكنْ هناك أقوال نوردها، ومنها، ما يقول به محمد الزعارير، في ما ينقله عن الرحالة موسيل (Musil)، والفاخري، وضاري الرشيد، فيقول الزعارير أن عبد الله وعبيد تركا نجداً و«... انحدرا إلى العراق في عهد ولاية داود باشا ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦ ـ ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م، ونزلا جزيرة شمر، عند رئيس شمر الجربا (صفوق الجربا) وشاركا في نهب الحلة الذي ذكر الفاخري أنه كان عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، وأبلى عنده أبناء الرشيد بلاءً حسناً. ولا يعرف كم مكث أبناء آل رشيد في العراق. إلا أن ضاري الرشيد ذكر أنهم مكثوا سنين قلائل» (الزعارير، ١٩٩٧: ٥٤). لكن الزعارير وفي الهامش، والذي يتضمن الإشارة إلى الاختلاف بين المصادر التاريخية، حول مدة مكوث الرشيد في العراق، يقول «... فكما تقدم ذكر أنهم قضوا سنين قلائل، أما هوبر...» ويقصد الرحالة تشارلز هوبر في رحلته ١٨٨٣ ـ ١٨٨٤م، «... فقد ذكر أنهما مكثا سنتين» (الزعارير، ١٩٩٧: ٧٤ هامش ٥١). إذا كان وجودهما في العراق في عام ١٨٢٥، وواقعة «فارع» في حدود ١٨٣٣م، فهناك تناقض وتعارض قد يلقي بالشك على الرواية المحلية عن تاريخ واقعة «فارع» ولكن ربما تتم المصالحة بين الأمرين عن طريق واحد أو أكثر من الطرق التالية:

١ ـ إن واقعة «فارع» تكون قد حدثت في وقت سابق بسنوات لعام ١٨٣٣م. وهذا لن يؤثر على المناقشة إلا بما يخص زحزحة تاريخ الواقعة إلى الوراء قليلاً.

٢ ـ إن عبد الله الرشيد ظهر في الرياض والإحساء في عام ١٨٣٣م، كما مر بنا، وأن ضاري الرشيد يقول إنهما أخذا سنين قلائل في العراق، والرحالة هوبر يقول سنتين، وإذا كان الأمران صحيحين أو قريبين من الصحة، فهذا يعني أن الأخوين الرشيد بالفعل ذهبا للعراق في ١٨٣١م أو في حدودها، علماً أن الرواية المحلية تتكلم عن بقاء عبيد والنساء والصغار بالجوف بينما من ذهب للعراق هو عبد الله الرشيد فقط. ومن هنا فالقول إنهما كانا في العراق منذ عام ١٨٢٥م إن لم يكن قبله، لا يبدو معقولاً ومنطقياً.

٣ ـ في ما يخص الحرب الأهلية بالجوف وصلة واقعة «كون فارع» بالأمر من حيث الصراع و/ أو الانسجام بين أهالي الجوف، وهو موضوعنا، فإنه لا يتضرر بمسألة دقة التاريخ من عدمه في ما يخص الأخوين الرشيد، حتى لو افترضنا جدلاً أنهما لم يمرّا بالجوف أبداً ولم يرياه قط. كل ما هنالك قد تكون أسباب معركة «فارع» مختلفة ولا علاقة لها بوجود الأخوين الرشيد، أو بعضهما في الجوف.

بناء على ما تقدم سنمضي في مناقشة الموضوع، بغض النظر عن التعارضات السابقة على فرض أنها صحيحة. من هنا نقول إن ما يهمنا من واقعة كون «فارع» هو الإشارة إلى مسألتين: الأولى متعلقة بأطراف وقوى المعركة، وبالعلاقة مع الخارج المحيط، أي بين الجوف من جهة وبين حائل من جهة أخرى؛ والثانية متعلقة بمسألة العلاقة البينية لأهالي الجوف، وخاصة في ما يتعلق بالانقسام و/ أو الاتحاد داخل الجماعة العامة الكلية لأهل الجوف وصلة ذلك كله بالحرب الأهلية التي نحن بصددها (وقائع ثم تفسير).

في المسألة الأولى: معركة واقعة «كون فارع»، حدثت عندما قام «آل علي» بإرسال حملة على الجوف وبهدف، على ما يبدو، مطاردة الأخوين الرشيد، ومحاولة القبض عليهما عندما علموا أنهما هربا من حائل واتجها للجوف و/ أو مكثا فيه. على رأس تلك الحملة، على ما تقول الروايات المحلية، «عيسى آل علي» (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٣ ملخص). وحيث إن المعركة وقعت في ١٨٣٣م أو في حدودها، وكان لا زال عبيد الرشيد موجوداً في سكاكا، كما مر بنا وطبقاً للرواية المحلية بالجوف عن وجودهما في «الحير» عند لحيد المطيلق، فإننا نعتقد، أن كون «عيسى بن على» على رأس الحملة فهو، إن كان صحيحاً، فعلى ما يبدو، أنه بهذه الصفة في الغالب نيابة عن والده «صالح بن عبد المحسن العالي»، حيث إن هذا الأخير لا يبدو أنه في هذا الوقت قد قتل بعد، لأن من سيقتله، في وقت ما من ١٨٣٤م ـ ١٨٣٥م أو في حدودهما، هو عبيد الرشيد في قرية «سليمى»، وطبقاً لأقوال مضاوي الرشيد آنفاً. وعندما علم أهل الجوف، وخاصة في سكاكا، بقدوم المهاجمين خرجوا لهم والتقوهم جنوب غرب قارا في حدود المكان عينه المسمى «فارع»، ودارت معركة بين المهاجمين والمدافعين، كانت نتيجتها في النهاية انتصار أهل الجوف فيها على «آل علي». كان يقود المعركة من المدافعين حسب رواية فهد الغانم، «سهيان» بن لحيد بن مطيلق، إذ إن والده «لحيد بن مطيلق» عقد له لواء المعركة لمقاتلة الغزاة المهاجمين (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٣ ملخص). في هذه المعركة، والتي، في الغالب، قد حدثت في عام ١٨٣٣م أو في حدودها تقريباً، فإنه بينما كان عبد الله الرشيد قد ذهب للعراق، وربما في هذا الوقت، قد عاد للرياض كما مر بنا، فإن عبيد الرشيد كان لا زال متواجداً في سكاكا عند الضويحي ـ بالضلع، عند لحيد بن مطيلق، وكان يرغب في مشاركة أهل الجوف في قتال «آل علي»، لكنه لم يُمكن من رغبته خوفاً على حياته، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٦ من ١٣). إلى هذه الحدود نكتفي بمناقشة المسألة الأولى.

في المسألة الثانية: (كون فارع ١٨٣٣م؟) وأهل الجوف: في مسألة الانسجام الأهلي (السلم الأهلي): تذهب معظم الروايات والقصص السائدة والمتداولة في الجوف إلى أن واقعة «كون فارع»

كانت معركة وحرباً، وإن فرضت على أهل الجوف من آل علي حكام حائل آنذاك، فقد خاضوها، ليس فقط بكل بسالة ودافعوا بها عن أنفسهم وعن من لجأ عندهم وانتصروا فيها، وإنما فوق ذلك كان أهل الجوف فيها، بل أثبتوا فيها أنهم، رغم تنوعهم الاجتماعي، إنما يشكلون جماعة يسودها الانسجام والتناغم والتضامن العام، خالية من الفرقة والانقسام والصراع. وحيث إنه حتى ذلك التاريخ لم تكن هناك حروب بين أهل البلد، كما تذهب بعض الآراء (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/٨/١٩٨٩: ١ من ١٣)، فقد خاضوها جماعة واحدة غير منقسمة.

ورغم أننا سنقبل هذا القول على الجملة، ولو لبعض الوقت، فإننا قد نختلف معه بعض الشيء، ذلك أننا سنرى أن صراعاً أهلياً كان قد تكون في ما قبل هذه الواقعة وربما يعود إلى ما ما قبل ١٨٠٠م، وما بعدها، ولكنه كان على نطاق ضيق ومحدود وفي مكان بعينه، وخاصة في الجوف (أي في دومة الجندل). كانت سكاكا وأهلها، آنذاك، خارج دائرة الصراع الأهلي هناك (دومة الجندل). في مسألة الاتحاد والانسجام/ السلم الأهلي في الجوف، يُدلل عليها بقصيدة مطوّلة، هي الأخرى متداولة، ولا زال الكثير من أبناء الجوف يرددون بعضاً من أبياتها. تلك القصيدة منسوبة إلى «حلاف بن دوخي»، تقول أبياتها[١٦]:

«قـــال حـــلاف بـــن دوخـــي سـنـة كـوبـه   كـــوبــة الـــلـــي لـفـانـا بـغـيـر جـذّابـي

كـوبـة الـلـي لـفـانـا سـاحـبٍ طـوبـه   لـو جـمـوعـه مـلـتْ وديـــان الأشـعـابـي

لابـتـي أفـهـمـوا هـرجـي وقـولـوا بـه   مـن ضـمـيـرٍ تـوقّـد فـيـه الألـهـابـي

مـن ضـمـيـرٍ بـه الـنـيـران مـشـبـوبـه   جـثّـت الـقـلـب جـثٍ والـحـشـا ذابـي

أحـسـوا الـحـرب وأعـبـوا كـل مـطـلـوبـه   لا تـقـولـون نـجـدٍ شـرهـا طـابـي

نـجـد مـزنٍ تـبـنـى وأنـحـدر صـوبـه   نـوّهـا الـمـوت قـصـافٍ لـلأرقـابـي

بـرقـهـا الـمـلـح والـقـصـديـر صـابـوبـه   سـيـلـهـا الـدم بـالـفـرشـات وهـضـابـي

كـان بـالـسـيـف مـا عـفـيـتـوا الـجـوبـه   تـر حـمـاهـا وعـفـاهـا قـصـف الأرقـابـي

(١٦) مصدر قصيدة حلاف بن دوخي: القصيدة وَرَدَت في عدّة مراجع وبعض المواقع الإلكترونية، ونشير إلى بعض منها:

(أ) عبد الرحمن بن عطا الشايع الكريّع، **هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف مع أبحاث في التاريخ والجغرافية والآثار: الجزء الثاني** (الرياض: المؤلف، ١٩٨٤)، ص ١٢٩ ـ ١٣٠. ولكن للأسف القصيدة هنا فيها نقص وأبياتها غير مرتبة؛

(ب) معاشي بن ذوقان سعد العطية، **أوراق جوفية** (الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ)، ص ١٠٩ ـ ١١٠. القصيدة كاملة مع اختلاف طفيف في نهاية القافية (تشكيل الحرف الأخير)؛

(ج) القصيدة منزلة كاملة تحت توقيع، «مقبل خلف الهذيل السرحاني»، على موقع قبيلة السرحان في١٠/ ٤/ ٢٠٠٦، الساعة ٨:٤٨ مساءً، على موقع شبكة قبيلة السرحان على الرابط التالي، <http://www.alssirhan.com/vb//showthread.php?p=3320>.

(د) القصيدة منزلة كاملة من: «العيشاني السرحاني» عن «حلّاف بن دوخي المنديل السّرحاني» على موقع «شبكة سيسرا» أنزل في: ٩/ ٤/ ٢٠٠٩، الساعة ٣:٤٠ مساءً. رابط القصيدة على الموقع التالي، <http://www.saisra.com/vb/showthread.php?p=95835>.

«العيشاني السرحاني» عضوية شبكة سيسرا رقم: **رقم العضوية: ١١٩٧**، «يبدو أنه اسم مستعار، وربما أنه هو من عائلة العيشان، وهذا جيد إن كان صحيحاً، باعتباره من العائلة نفسها، علماً أن «عيشان» التي تنتسب إليه عائلة العيشان، حالياً، أبوه هو صاحب القصيدة: حلاف بن دوخي بن منديل بن عبد الله ابن شلهوب ـ من قبيلة السراحين (السرحان).

(هـ) كذلك وردت القصيدة منزلة كاملة بنفس الأبيات على موقع منتديات الأسلم (شمر) على الرابط التالي، <http://www.alaslam.org/vb/showthread.php?p=114553>.

قبلنا جدودنا بالسيف عيوبه ... ما نزل في وطنا غيرالأصحابي
وين جمعن لابن علي لفا نوبه ... يوم جا صايلٍ في كل الأعرابي
يوم جا صايلٍ في كل مركوبه ... من قرايا طويّق لنجد لنصابي
بالهنادي ربوعي يوم حلوبه ... بين قارا وفارع جمعهم عابي
كم عديمٍ نشب النار بجنوبه ... من يماني ربوعي طاح منصابي
كم هنوفٍ عليهم شلّقت ثوبه ... عقب لبس الحيا تمشي بلا ثيابي
وين عبيدٍ ومتعب كان قروا به ... يوم جو باللقايط جمعهم هابي
جوهم أهل العوايد حزة الشوبه ... شبهم شاب والشيبان شبابي
شب نارٍ عليهم كنها الشوبه ... لين (فجران) بيّن والقمر غابي
كوموهم لعيني كل رعبوبه ... صك قصرٍ عليهم ماله البابي
وابن شعلان فيصل ماتردوبه ... يوم جا صايلٍ في كل الأجنابي
هال واهتال من ربعن تدالوا به ... هاش واهتاش وأقفى خاطره طابي
لابتي بالملاقا حزّة الشوبه ... لابتي بالملاقا تقل قصابي
عاش سبع إلخلا وضباعة الجوبه ... من جليد السيوف الدم صبابي
يمشي الحيد عقب الهيدره دوبه ... بالرسن والعنان يقود الاصعابي»

ـ ـ

ملاحظات على قصيدة حلاف بن دوخي وعلاقتها بالصراع والسلم الأهلي في الجوف

في هذا السياق، ما يهمنا من قصيدة حلاف بن دوخي، هو ما تضمنته من إشارات أو تأكيدات للنقاط التالية:

١ ـ قدوم «ابن علي»، وحصول واقعة ومعركة بينه وقواته الغازية من جهة، وبين أهل الجوف من جهة أخرى، وأن النصر كان حليفاً لأهل الجوف، وأن الواقعة حدثت في مكان بين «فارع» وقارا، وهي التي نتحدث عنها وتعرف بواقعة أو «كون فارع». طبعاً لا أحد يستطيع التأكيد أن «حلاف بن دوخي» قال هذه القصيدة بناء على أنه كان شاهداً عليها. من الممكن أنه كان شاهداً عليها أو أنه سمع عنها في حين حدوثها، ذلك أن عمره آنذاك قد يكون فوق العاشرة من عمره، أو في حدودها، حيث الواقعة حدثت تقريباً في عام ١٨٣٣م، وانطلاقاً من تقدير ولادته في حدود ١٨١٢م، عن طريق احتساب أن هناك ٦ أجيال منذ جيله هو وحتى (٢٠١٠م) (٦ مضاعف ٣٣ سنة للجيل = ١٩٨ سنة، وعليه يكون مولود ١٨١٢م أو في حدودها (عن طريق: عام ٢٠١٠ مطروحاً منها ١٩٨ سنة = ١٨١٢م). أما واقعة «تمرد ١٨٥٣م» (قدوم عبيد ومتعب)، وكذلك ما يتعلق بالتصدي لفيصل الشعلان، فهو لا بد أن يكون حياً وقت حدوثهما، لأنه لو كان متوفياً فلا يمكن له أن يذكرهما، علماً أن الواقعتين، حدثتا بعد واقعة «كون فارع» (١٨٣٣م أو في حدودها). ورغم أن القصيدة تشير إلى صراع مع «آل علي» في مكان بين «فارع وقارا» وهزيمتهم فيها من قبل أهل الجوف، إلا أن القصيدة لا تشير إلى وجود عبد الله الرشيد و/ أو عبيد الرشيد وبعض من أفراد أسرتهم في الجوف. ومع ذلك، فإن المعركة، كما يقول أهل الجوف وأشرنا إلى ذلك آنفا، هي أتت

على خلفية مطاردة «آل علي» لأبناء عمومتهم، خصميهما اللدودين «عبد الله وعبيد الرشيد» في الجوف حيث، كما تذهب الرواية المحلية إلى لجوئهما في الجوف عند الضويحي في الضلع.

٢ ـ والقصيدة، فضلاً عما تشيره إلى واقعة أو «كون فارع» تشير كذلك إلى بعض الواقعات الأخرى، ومنها كما نوّهنا آنفاً، ما يتعلق بقتال أهل الجوف لقوات ابن رشيد والتي قادها عبيد ومتعب الرشيد، وهذه على ما يبدو متصلة بتمرد ١٨٥٣م بالجوف (للتفصيل انظر مناقشة واقعة «تمرد» ١٨٥٣م)، حيث إنه وقبيل سحق التمرد، وفي المرحلة الأولى من التمرد، يبدو أن أهل الجوف أيضاً قاتلوا قوات ابن رشيد (بقيادة عبيد ومتعب) وهزموهم في «القنية» و«البدرية». وكذلك بواقعة يبدو حصلت مع الشعلان (فيصل الشعلان)، في سياق تمرد ١٨٥٣م، أو بعده بقليل(؟)، علماً أن فيصل الشعلان، يقتل في ١٢٧٧هـ (الموافق ١٨٦٢م، أو في حدودها) في معركة مع ولد على عنزة (على وقت شيخة محمد بن دوخي بن سمير) (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٦١ ـ ١٦٢). وإذا كانت حرب وقعت بين فيصل الشعلان وقواته من جهة وبين أهل الجوف، فإنه في ضوء وفاة أو مقتل فيصل الشعلان (١٨٦٢م أو في حدودها)، لا بد أن تكون الواقعة حدثت في الغالب بين ١٨٦٠ و١٨٥٣م، وهذا يحيلنا إلى أجواء وأحداث وملابسات تمرد ١٨٥٣م.

٣ ـ هناك إشارة إلى شخص «الحيد» ودور له، ويبدو أن ذلك الشخص هو «لحيد بن مطيلق». وإذا كانت هذه الإشارة صحيحة، فهو يشير إلى دور ومكانة شيخ القرشة والضويحي، آنذاك، وهو «لحيد بن مطيلق»، حيث عقد لواء المعركة، طبقاً لأقوال فهد الغانم، لولده «سهيان» (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٣ ملخص). ليس مستغرباً أن يكون «سهيان» ابن «لحيد» معقود له اللواء، ذلك أن «لحيد بن مطيلق» مستهدف أصلاً من حملة «بن علي»، حيث هو يؤوي عائلة الرشيد، أو من تبقى منهم آنذاك. من هنا لا يمكن تخيل أن تدور معركة بين أهل الجوف من جهة وبين «بن علي» وقواته المهاجمة من جهة أخرى ولا يشارك فيها «لحيد» وجماعته.

٤ ـ أن أهل الجوف، آنذاك وفي حينها «واقعة أو كون فارع»، وحتى واقعة ما تشير له القصيدة بقدوم عبيد ومتعب، وهي متعلقة في أكثر الاحتمالات بما عرف بأحداث «تمرد ١٨٥٣م»، وكذلك في سياقها، أو بعدها بما في ذلك التصدي لفيصل الشعلان كانوا، على ما يبدو، على قدر من الانسجام والتضامن، كما تبرزه القصيدة. طبعاً حتى واقعة «فارع»، يبدو الأمر مقبولاً، إلى حدٍّ ما وليس على إطلاقه وبالذات في ثنايا وبعد الواقعة ذاتها، في القول بانسجام أهل الجوف وتضامنهم ككتلة واحدة أمام الغزاة من خارج الجوف، وهذا ينطبق على أهل سكاكا أكثر من انطباقه على أهل الجوف (أي دومة الجندل). الانقسام في سكاكا، وإن كان من ناحية اجتماعية شيء قائم، إلا أنه من حيث الفاعلية والديناميكية الصراعية لم يكن على ما يبدو موجوداً، ولم يبدأ يتهيأ نحو التكوّن، إلا حوالي ما عرف بواقعة «المديرس ١٨٧٠/ ١٨٧١م» بعد نهاية الحملة التركية على الجوف في أواخر ١٨٧٠م، كما أشرنا إلى ذلك في مناقشة «المديرس» والحملة التركية. في دومة الجندل، فيما بعد ١٨٣٣م، وبعد واقعة «فارع»، وقبل تمرد ١٨٥٣م وما في حكمه، نعلم أن صراعاً أهلياً اندلع في دومة عام ١٨٣٨م بين أهل حي الدلهمية وحلفائهم السراح من جهة وبين أهل حي الجرعاوي وحلفائهم أهل خذما

والدرع، ولا يستبعد أن الصراع في واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي ١٨٣٨م» (للتفصيل راجع مناقشة واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي»)، هو في الأصل بين السراح وحلفائهم من جهة، وبين الدرع وحلفائهم من جهة أخرى.

أما الصراع فيما قبل ١٨٣٣م وحتى العقد الأخير من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فهو ما نحاول أن نستكشفه ونميط اللثام عنه في هذه الجزئية التالية من البحث والتي أطلقنا عليها «جذور الصراع بين السراح والدرع».

ج ـ في سؤال جذور صراع السراح/ الدرع (حول١٨٠٠م): حقائق وأساطير

لعله من المثير للانتباه والتعجب أن الرحالة «والن»، وهو يشير إلى حلف أهل الدلهمية والسراح في مقابل حلف أهل خذما وأهل الجرعاوي في حديثه عن واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» على أنها امتداد لعداوات سابقة قديمة، لم يذكر شيئاً عن الدرع، وعن الصراع بينهم وبين السراح.

واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» ١٨٣٨م، كما هي واقعة «تمرد ١٨٥٣م»، وربما وقائع فرعية في سياق هذه الفترة، ورغم ما بينها من تباين في المعطيات والظروف والمتغيرات والقوى المحيطة من عدمها، هي على ما يبدو امتداد لصراع، أعمق، ممتد جذوره إلى عدة عقود خلت. رغم أن قصيدة حلاف بن دوخي توحي بوحدة أهل الجوف وتضامنهم في الفترة ما بين ١٨٣٠ وحتى ما بعد ١٨٥٣م تقريباً، إلا أننا كما قلنا سابقاً، نجد في المرويات وكذلك بعض المدونات التاريخية ما يشير إلى أن صراعاً أهلياً كان موجوداً بالجوف، وخاصة في دومة الجندل، وإن كان على نحو متقطع، بين السراح وحلفائهم من جهة، وبين الدرع وبين حلفائهم من جهة أخرى، والذي يعود إلى قُبيل و/ أو بُعيد عام ١٨٠٠م أو في حدودها فصاعداً والذي سيستمر متقطعاً حتى بعيد منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، فضلاً عن أن هناك إشارات قوية لصراع أهلي آخر، هو «صراع الرحيبيين/ الرحيبيين»، ربما وقع في (١٨٣٣م؟)، أو في وقت ما في الفترة ما بين ١٨٣٣م و١٨٥٣م.

(١) **جذور الصراع في المدونات التاريخية**: عن علاقة الجوف بحكم «محمد بن عبد المحسن آل علي» في حائل والوهابيين والدولة السعودية الأولى، يقول عبد الله الصالح العثيمين، في كتابه عن، نشأة إمارة آل رشيد (١٩٩١م) (العثيمين، صالح، ١٩٩١: ٥٠ ـ ٥١)، نقلاً عن عدة مصادر منها، كتاب مؤلفه غير معروف، تحت عنوان **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** (ص ١٤١ ـ ١٤٤)، وكذلك نقلاً عن كل من، **ابن بشر**، و**ابن غنام**، و**حمد الجاسر** ما يلي:

«وكان من الأعمال الأولى لمحمد بن عبد المحسن في جهوده لتوسيع رقعة الدولة السعودية قيامه بغزو قبيلة الشرارات التي كانت موجودة حينذاك في منطقة الجوف؛ و**ذلك عام ١٢٠٧هـ**. لكن نتيجة **الغزوة لم تكن موفقة**[١٧]. **وبعد عام من ذلك التاريخ** اشترك بأهل منطقته مع القوات السعودية التي

(١٧) نقلاً عن (مؤلف مجهول، **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**، ص ١٤١).

هاجمت الجوف. وكان القائد العام لتلك القوات محمد بن معيقل، أمير أهل الوشم[١٨]. ويذكر ابن بشر أن الجيش السعودي **تمكّن، بعد قتال وحصار، من إدخال الجوف تحت الحكم** السعودي[١٩]. **لكن ابن غنّام يقول**: إن ذلك الجيش **استطاع أن يدخل قرى تلك المنطقة** تحت الحكم المذكور **باستثناء قرية بني سرّاح**، وإن ابن **معيقل أعطى كثيراً من الأموال** التي اجتمعت لديه ابن **درع**[٢٠]. ويقرب من كلام ابن غنّام **ما رواه معاصر لتلك الحادثة، من أن ابن درع** أصبح تابعاً لآل سعود **وابن سراح** ظل يحاربهم ثماني سنوات، **وأن ابن درع صار أميراً للجوف بعد دخولها تحت الحكم السعودي**[٢١]. **ومع احتمال كون ابن درع قد أصبح أميراً محلياً للجوف فإن تلك المنطقة قد ربطت إدارياً بالأمير محمد بن عبد المحسن بن علي أمير منطقة جبل شمر**»[٢٢] (العثيمين، ١٩٩١: ٥٠ ـ ٥١).

نود أن نشير إلى أن عبد الله صالح العثيمين، في الاقتباس أعلاه (الفقرة السابقة)، أحال على مصادر المعلومات التي استقى منها النص في الفقرة السابقة، كما وردت في هوامش الكتاب، (ص ٥٠ ـ ٥١)، وأوردنا الإشارة إليها وأرقامها كما جاءت في النص المقتبس أعلاه.

ورغم أن العثيمين أحال على ابن غنام في التوثيق رقم (٤) (نقلاً عن، ابن غنام، ج ٢، ص ١٦٨ ـ ١٦٩)، إلا أنه وبالرجوع للمصدر الاصلي (أي لابن غنام) حيث حصلت عليه، عن طريق الاخ/ محمد عبد الرازق القشعمي، من خلال صفحات مصورة منه، ورجعت إلى الصفحات ذات العلاقة في الكتاب المعنون (**تاريخ نجد: المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام** ـ تأليف ـ الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام حسين بن غنام ـ الجزء الأول ـ طبعة مصر (شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م)، طبع على نفقة الشيخ ـ عبد المحسن بن عثمان أبابطين (صاحب المكتبة الأهلية ـ بالرياض نجد)، واطلعنا منه على الصفحات المحددة (أي: ص ١٦٤ ـ ١٦٩ وخاصة ص ١٦٨ ـ ١٦٩)، وجدت فيها مقطع مثير، لم يورده العثيمين، كما أن ما أورده العثيمين فيه إضافات لا وجود لها في أصل النص المستقى من ابن غنام. المقطع المثير يبدأ بالإشارة إلى السنة، إذ يقول و«فيها» أي إحالة إلى تلك السنة ويقصد سنة ١٢٠٨ وما فيها من أحداث. يقول ابن غنام عن السيطرة على الجوف ضمن أحداث (السنة الثامنة بعد المائتين والألف) ما يلي:

«وفيها غزا محمد بن معيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أناخ بدومة الجندل، فحط فيها رحله ونزل، ثم أخذ **يحاصر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزيغ والافترا**، ويفجئهم كل يوم بالقتال (...) بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال **وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال**، ولم يبقَ **من تلك القرى إلا قرية بني سراح، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح**، واجتمع **عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع** و**كانوا مقاومين لابن سراح**، ولهم تقدم وإقبال

---

(١٨) نقلاً عن (محمد بن عقيل، نقلاً عن: ابن بشر، ج ١، ص ١٠٩، وما بعدها).

(١٩) نقلاً عن (ابن بشر، ج ١، ص ١٣٢ . ١٣٣).

(٢٠) نقلاً عن (ابن غنام، ج ٢، ص ١٦٨ . ١٦٩).

(٢١) نقلاً عن (مؤلف مجهول، **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب**، ص ١٤١، ص ١٤٢ . ١٤٤).

(٢٢) نقلاً عن (ابن بشر، ج ١، ص ٢٣٨؛ وكذلك، حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية، دار اليمامة، ١٣٩٠هـ، ص ١٢٣).

وكانوا في حصار شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولـم يخطوا.» (ابن غنام، **تاريخ نجد،** ط ١، القاهرة: ١٩٤٩: ١٦٨ ـ ١٦٩).

ما هو مثير من ذلك المقطع هو بعض العبارات المشحونة بالتطرف واتهام أهل الجوف بالافتراء والزيغ (الضلال)... إلخ، ونورد تلك العبارات كما وردت في النص أعلاه:

١ ـ أهل الزيغ والافترا.

٢ ـ دانوا بالإسلام بعد إذلال.

٣ ـ كثير من الأموال أعطى منها آل درع.

٤ ـ آل درع، وكانوا مقاومين لابن سراح.

٥ ـ كلهم دانوا.... إلا قرية بني سراح.

٦ ـ إلا قرية بني سراح، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح.

يلاحظ على طبعة أخرى للكتاب، معنون (**تاريخ نجد،** للشيخ الإمام حسين بن غنام، حرّره وحقّقه الدكتور ناصر الدين الأسد، وقابله على الأصل، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (القاهرة: مطبعة المدني؛ المؤسسة السعودية بمصر، ١٣٨١هـ، الموافق ١٩٦١م)، ص ١٨٥ ـ ١٨٨، وخاصة، ص ١٨٨)، أنها أوردت الإشارة إلى خبر السيطرة على الجوف، ولكن العبارات الأصلية في المصدر السابق، معدلة، وفيها حذوفات، ونورد النص كما هو، لهدف المقارنة بين النصين في الطبعتين، **وبما يدل على التلاعب والتزييف،** وهو أمر خطير: النص في طبعة ١٩٦١، كما يلي:

«وسار محمد بن معيقل ـ أمير ((الوشم)) ـ بمن معه من المسلمين من أهل ((الوشم)) و((القصيم)) و((الجبل)) حتى أناخ ((بدومة الجندل)) فحاصر تلك الناحية، وكان يفاجئهم كل يوم بالقتال، حتى دانوا جميعاً بالإسلام، وبايعوا على دين الله ورسوله، إلا قرية ((بني سراح)) فقد امتنع أهلها، وغنم المسلمون كثيراً من الأموال، فأعطى محمد بن معيقل بعضها إلى آل درع، وكانوا مقاومين لبني سراح، وقد تمسكوا بدينهم رغم ما كانوا يعانون من الحصار». انتهى.

وبمراجعة لطبعة حديثة من كتاب ابن بشر (**عنوان المجد في تاريخ نجد،** الجزء الأول، تأليف المؤرخ الشهير الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، حقّقه وعلّق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، بأمر من وزارة المعارف، طبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية، الرياض، ط ٣، ١٣٩٤هـ/ الموافق ١٩٧٤م، ص ١٣٢ ـ ١٣٣)، يبدو أن الحرج من النص الاصلي واضح حيث تم تحويره وحذف العبارات المثيرة، وهذا فيه محاولة رفع الحرج، إلا أنه زاد الطين بلة، إذ هو قد اقترف جرماً إضافياً من خلال التحريف والتزوير للتاريخ. بغض النظر عن أخلاقية وعدم أخلاقية النص الأصلي. كان من المفترض المحافظة عليه، هذه مسؤولية المحقق بدرجة أولى فضلاً عن الجهات الرسمية المعنية. ولأهمية الأمر من الناحية العلمية والتاريخية، نورد النص المعدل المحرّف، أيضاً للمقارنة بالنص الأصلي الذي أورده ابن غنام. النص المحرف، عن أحداث حملة ضد

الجوف في سياق أحداث عام ١٢٠٨هـ، كما ورد في ما نسب إلى ابن بشر في طبعة وزارة المعارف ١٩٧٤م، يقول:

«وفي هذه السنة، أنزل الله غيثاً وعم جميع البلدان وصار ربيعاً ماله نظير سماه الناس ربيع مواسي، وفيها قبل هذه الغزوة أمر عبد العزيز على أهل الوشم والقصيم وجبل شمر ينفرون غزاة مع أمرائهم، فسار أهل الوشم مع محمد بن معيقل وأهل القصيم مع محمد بن عبد الله آل حسن، وأهل الجبل مع أميرهم محمد بن علي وأمرهم يسيرون على دومة الجندل في جوف آل عمر وفي الشمال وأمير الجميع محمد بن معيقل فسار الجميع وقصدوا تلك الناحية ونازلوا أهلها، وأخذوا منها ثلاث بلدان. ثم حاصروا الباقين وقتلوا منهم عدة قتلى كثير، فلم يزالوا محاصرين لها حتى بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وقتل من الغزو رجال منهم: عمهوج المعرقب من مطير...» (ابن بشر، **عنوان المجد**، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ط ٣، وزارة المعارف: ١٣٢ ـ ١٣٣).

هناك عدة ملاحظات للباحث على تلك المعلومات بما ورد في كافة النصوص، وخاصة ما ورد في المصدر الأصلي للنص غير المحرَّف، كما ورد في ابن غنام (ابن غنام، **تاريخ نجد**، ١٩٤٩، ط ١، مصر: ١٦٨ ـ ١٦٩):

١ ـ لاحظ القول عن القتل الكثير من أهل الجوف، في النص الأخير»... ثم حاصروا الباقين وقتلوا منهم عدة قتلى كثير...»(!؟).

٢ ـ في محاولة للسيطرة على الجوف، يبدو أن هناك حملتين من الدولة السعودية الأولى والوهابيين: أولاً الحملة الفاشلة لعام ١٢٠٧هـ (الموافق ١٧٩٢م تقريباً)، وثانياً هناك حملة ناجحة جزئياً في العام التالي ١٢٠٨هـ (الموافق ١٧٩٣م تقريباً).

٣ ـ يبدو أن الحملات لم تسفر عن إخضاع كامل للجوف (لاحظ مقاومة ابن سراح، ٨ سنوات) وهو ما يعني أن الجوف (دومة الجندل ومنها ما هو تحت سيطرة ـ السراح) في صراع ومقاومة كانت مستمرة حتى ربما ١٢١٦هـ، الموافق ١٨٠١م تقريباً.

٤ ـ لاحظ بدايات أو جذور الصراع بين السرّاح وابن درع، وأنه يعود إلى ما قبل ١٨٠٠م وما بعدها.

٥ ـ لاحظ الإشارة إلى أموال حصل عليها ابن درع؟؟ من ابن معيقل. قد تكون لتقويته على حساب ابن السراح؟؟

٦ ـ الإشارة إلى قرية ابن سرّاح، هي في الغالب إشارة إلى الجوف «دومة الجندل» أو «جوف ـ عمر» كما كان يطلق عليها في ذلك الوقت. ومما يمكن تفسيره هنا، أن الجوف (دومة الجندل) في ذلك الوقت ليست قرية واحدة وإنما هي قرية مركبة من قريتين متجاورتين ولكن منفصلتين (بأسوار منفصلة) وبسلطة وحكم منفصل لكل منهما؛ هناك قرية بها جماعة تقطنها تحت سلطة وحكم السراح، وهذه من قاوم وامتنع واستعصى على الحملة السعودية الوهابية الأولى (١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م) والثانية (١٢٠٨هـ الموافق ١٧٩٣م) وبقي مقاوماً مستقلاً حتى حدود ١٢١٦ هـ الموافق ١٨٠١م، والقرية

الأخرى هي قرية يبدو أن «درع» استطاع، بطريقة ما، أن يكون فاعلاً فيها، وأنها كانت على ما يبدو مقاومة للغزو السعودي الوهابي في الحملة الأولى (١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م)، ولكنها استجابت وخضعت في الحملة السعودية الوهابية الثانية (١٢٠٨هـ الموافق ١٧٩٣م). هذا الخضوع ولد تحالفاً معاً، ودعماً كبيراً من قيادة الحملة السعودية الوهابية الثانية، حيث دفع لابن درع الأموال والغنائم. هذه الأموال هي ربما «الكنز» الذي به ومعه وعن طريقه بدأ الصراع والتنافس بين الدرع والسراح يأخذ أبعاداً إضافية من الحدة والترابط الحلزوني، متواصلاً منفجراً، وإن متقطعاً، من وقت لآخر، منذ ذلك الوقت حتى تقريباً عام ١٨٥٣م، مروراً بفترة ما بين ١٨٠٠ ـ ١٨٣٧ م، ورغم ما قيل عنها إنها فترة انسجام و/ أو تضامن بين أهالي الجوف. طبعاً تحالف «الدرع» مع الدولة السعودية الوهابية الأولى وحملاتها وخاصة مع وبعد الحملة الثانية، يبدو مفهوماً بسبب قرب هجرة «الدرع» من نجد، وأنهم (الدرع) أصلاً قادمون للتو غير بعيد من تلك المناطق.

يثور هنا سؤال للتأمل والتفكير، وهو: هل يكون «درع» والأخوة «الطالب» قد قدموا من نجد، إلى الجوف (قارا و/ أو دومة الجندل) رفقة الحملة السعودية الوهابية الأولى (١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م)؟ طبعاً النص الأصلي لابن غنام يشير إلى أحداث الحملة السعودية الثانية ١٢٠٨هـ، وأن ابن درع دعم بالأموال، وكان مقاوماً للسراح، مما يوحي إلى أن «ابن درع» كان موجوداً من سنوات في دومة قبل هذه الحملة، ولكن ما ورد في نص العثيمين منقولاً عن مؤلف «مجهول» لكتاب أو مخطوطة بعنوان **(كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب،** ص ١٤١ ـ ١٤٤)، يشير إلى حملة ١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م، ولكنها كانت فاشلة، ولكن ليس هناك معلومات عن وضع «ابن درع»، وهل كان في تلك الحملة موجوداً أم لا.

ما يهمنا مما سبق، فضلاً عما ذكرناه في حينه، في سياق المدونات التاريخية عن الجوف، هو ما يتصل بموضوعنا تحت النقاش، ألا وهو مسألة الحرب الأهلية والصراع الأهلي بالجوف، وخاصة ما يتعلق في جذور الصراع بين السراح والدرع. وحيث الأمر كذلك، فهناك حاجة إلى الربط بالمرويات الشفهية المتداولة بالجوف عن الحالة الصراعية بين السراح والدرع، وهي ما سنناقشه تالياً.

(٢) في المرويات الشفهية: تقول رواية شفهية متداولة، عند بعض أهالي الجوف، عن «الدرع» وعلاقتهم بالجوف والسراح، بما في ذلك الحكم في دومة الجندل، سمعت بعضها من «الطالب»، (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث ومحاورة (I) في ٢٠٠٢/٨/١٣: ١ ـ ٣ من ٥؛ الطالب، فهد حمود الرشيد ومفرح بخيت، ومدالله حماد، لقاء وحديث، في ٢٠٠٢/٨/٢١: ١ ـ ٥)، وسبق أن سمعت بعضاً منها من فهد الغانم في مقابلة معه في عام ١٩٨٩م (الغانم، فهد، مقابلة، في ١٩٨٩/٨/٢٢: ٢ ـ ٣ من ١٣)، وأنا (الباحث) ألخصها وأعرضها هنا على الجملة، وبما مؤداها يقول إن «الطالب» ـ، وهو لقب وليس اسماً أو جداً لهم، لأنهم وقت خروجهم من نجد كانوا مطلوبين بدم، كما يقول مفرح بخيت، ونقلاً عن كبار الطالب، ومنهم والده «بخيت»، وكذلك «عايد الفلحي»، وإنهم في الأصل قد قدموا من نجد ـ ومن عنيزة كما يقول فهد الغانم ـ استقروا بداية في «قارا» وحفروا آباراً لهم فيها. هذا الاستقرار لم يدم طويل، حيث انفجر صراع وقتال، بعد حين، مع السرحان من أهل «قارا» بداية لوحدهم في معركة على ما يبدو في مكان يدعى «طعس

الملتقى»، ثم تالياً في معركة، على ما يبدو، في مكان يقال له «قاتل وقتال» نشبت بينهم (أي الطالب) ومن تحالف معهم من أُسر من بعض السرحان، وتحديداً من «المطرود والسمارة»، و«القويضي» من جهة، وبين خصومهم السرحان من أهل قارا بعد أن تحالفوا مع الدغمان من الرولة من جهة أخرى، قتل على إثرها عدد غير قليل من الطرفين؛ مجموع من قتل من الطرفين حوالي ١٠٧ أشخاص؛ أحد الأطراف قتل منه ١٧ شخصاً، وقتل من الطرف الآخر ٩٠ شخصاً. قصة تداعيات صراع الطالب مع السرحان وخاصة مع الدغمان، في ما يتعلق بموقف الطرفين حول ملكية الآبار وتوابعها من الحوَط (المزارع/ البساتين)، يبدو أنها أنهيت وسوّيت بين الطرفين، على أساس من «عدم فتح الملفات السابقة... وترك ودفن الماضي لحكم ابن سعود»، ويبدو أن هذا حدث بعد انضمام الجوف لحكم الملك عبد العزيز، في مجلس «ابن جلوي» حاكم حائل، في حائل، علماً أن الجوف آنذاك كانت تتبع حائل. يبدو أن التسوية تلك حدثت في وقت ما من عام ١٣٤٧هـ أو قبلها، لأن الجوف في وقت ما من ذلك العام، ومع أول برقية تصل الجوف في تاريخه (تشغيل جهاز الإرسال البرقي)، وكانت في تلك السنة كما يقول هلال النصر (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ٤ من ٦)، تم فصلها إدارياً عن حائل، وضمها إلى الحجاز.

على إثر ذلك الصراع، كما تمضي الرواية بقول مفرح بخيت، فإن «الطالب» نزحوا إلى جهتين؛ بعضهم ومعهم حلفاؤهم «المطرود والسمارة والقويضي» نزح إلى سكاكا، والبعض الآخر من الطالب نزح إلى الجوف (أي دومة الجندل). استقر «المطرود» في الشلهوب، واستقر «السمارة» في المعاقلة، واستقر «القويضي» في اللقائط (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث (I)، في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ٥). أما الطالب في سكاكا، فإنه من أجل تحييد وتقييد وتشتيت قوتهم وبأسهم، وبناء على مشورة من امرأة من القرشة، قيل إن اسمها «نويَر» وإنها من العابط (الطالب، مفرح بخيت، في: الطالب، فهد حمود الرشيد ومفرح بخيت، ومدالله حماد، لقاء وحديث، في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٥)، تم تقسيمهم إلى مجموعتين، على أن يسكن قسم منهم (الرشيد والمرشد) في جهة المعاقلة والقسم الآخر (البخيت والمعادي والسند والمحيا) في القرشة في اللقائط.

بالنسبة إلى الطالب الذين نزحوا إلى الجوف (أي دومة الجندل)، تمضي الرواية إلى القول إن من بين الأخوة الأربعة من الطالب الذين كانوا في «قارا»، كما يقول مفرح بخيت، ومنهم: «درع، ودعاس، وخالد، و...((؟))»، فإن «درع ودعاس» ذهبا إلى دومة الجندل حيث استقرا هناك. بعد وصولهم بوقت أشار «درع» على «دعاس» بالتآمر على حاكم دومة آنذاك لقتله، وأخذ الحكم منه. يبدو أن الحاكم في دومة الجندل، آنذاك، كما تقول تفريعة فهد الغانم من الرواية، كان شخصاً يدعى «ابن عقبان(؟)»[٢٣] (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ٢ ـ ٣ من ١٣). لكن «دعاس»، طبقاً لرواية مفرح بخيت، إذ رفض فكرة أخيه «درع»، وقال له بنحو: «وش تبي بالمشاكل، تونا طالعين من مشكلة، وتريد تخلق لنا مشكلة جديدة» (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث (I)، في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ٥) مذكراً إياه

(٢٣) ما هو معلوم تاريخياً عن الجوف من النصوص المدونة و/ أو المرويات الشفهية، وخاصة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، أن «السراح»، هم حكام دومة الجندل. وعليه فهذا الشخص «ابن عقبان» كحاكم لدومة الجندل، طبقاً لأقوال فهد الغانم غير معروف، إلا أن يكون من سلف السراح آنذاك؟

بمشكلة الصراع مع السرحان في قارا، قرر بعدها «دعاس» الهجرة إلى الغربية (الشام)، وذهب إلى القريتين في سوريا، واستقر هناك ولا زال من سلالته في تلك المنطقة، ومنهم عبد الله الطالب، كما يقول مفرح بخيت، ومشيراً إلى، ومسنداً على، أقوال الرحالة الليدي بلنت، على أنه الشخص الذي كان في عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، على وقت زيارتها الرحالة للجوف كان حاكماً لتدمر.

بالنسبة إلى «درع» تذهب الرواية وتفريعاتها، إلى القول إن «درع» وفي أثناء حفره لمزرعته أو مزرعة في دومة الجندل، وجد كنزاً من ذهب أو نقود، فأخفاه ولم يطلع عليه أحد. وفي أحد الأيام، وفي حديث مع حاكم دومة دار نقاش حول الحكم... إلخ، فقال حاكم دومة إنه إذا أحد يعطيه ملء هذه القفه (الماعون) ذهباً أو نقوداً، فإنه سيسلمه الحكم في دومة، فقام «درع» وأحضر الكنز فسلمه للحاكم الذي بدوره ترك الحكم لـ «درع» ((!؟)). لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً، إذ إن السراح، سواء بأنفسهم، كما يذهب مفرح بخيت، أخذوا يتآمرون على «درع»، أو بعد تزايد عددهم وقوتهم وتحالفهم مع آخرين، كما يقول فهد الغانم، بدأوا في منافسة «الدرع» على الحكم وأخذوه بالقوة (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث (I)، في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٥؛ الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ٣ من ١٣). غير أن جماعة الدرع، وبعد استيلاء «السراح» على الحكم بالجوف، خرجوا عبر وادي السرحان متجهين إلى العراق و/ أو الشام، ومرّوا وضافوا على «الطيار ـ عنزه»، والذي بعد أن قدم لهم القهوة، وبعد أن عرف أنهم من أهل السوق من دومة، أو أنه عرف أنه «درع»، وأنه طرد من قبل السراح، قال بنحو؛ «لو أني عرفت لم أصبّ لكم» (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ٣ من ١٣) أو بنحو؛ «لو دريت أنك درع وأنهم طردوك، ما صبيت لك القهوة» (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث (I)، في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٥). تنتهي الرواية بتفريعاتها إلى القول، إن درع وجماعته، وبعد أن استجلبوا سكاكين من العراق و/ أو من سوريا، استطاع أن يتسلق مارد (قلعة وقصر) ويستولي عليه، وينتزع الحكم من السراح (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ٣ من ١٣، والطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث (I)، في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٥).

ما يهمنا من الرواية (المرويات الشفهية) أعلاه هو ملاحظة النقاط التالية:

١ ـ هناك قدر غير قليل من التغليف الأسطوري للرواية، وخاصة قصة الكنز أو «الخزينة من نيرات الذهب»، وما يتصل بها من تنازل حاكم دومة الجندل هكذا، بهذه السهولة والسلاسة (!) لـ «درع» عن حكم دومة الجندل مقابلها. لنفتح سؤالاً ونقول: ألم يكن بإمكان الحاكم أن يصادر الكنز من الدرع و/ أو أن يأخذه بالقوة منه؟، ودونما حاجة للتنازل عن الحكم، خاصة أنه في موقع قوة، إلا أن يكون ذاك الحاكم على وزن «لا بيهشّ ولا بينشّ»!!!.

٢ ـ الرواية وتفريعاتها، وإن غاب عنها تواريخ محددة، تتحدث عن صراع أهلي، وخاصة في دومة الجندل متواصل، وإن متقطع بين الدرع والسراح. في السياق ذاته هناك صراع أهلي في قارا، ما بين «الطالب» وحلفائهم (المطرود، والسمارة، والقويضي) من جهة وما بين السرحان والدغمان من جهة أخرى. لاحظ طبيعة التحالفات بين المتصارعين بالذات في قارا، فالمطرود والسمارة والقويضي هم سراحون (من قبيلة السرحان)، يقاتلون بتحالف مع «الطالب» ضد جماعة أخرى من السرحان، والأخيرة

تتحالف مع الرولة (الدغمان). هذه نقطة تهمنا في مسألة تفسير الصراع الأهلي والحرب الأهلية، كحالة شاملة متكاملة، بالجوف، سنتحدث عنها في حينه وفي مكانه.

٣ ـ الرواية تتكلم عن هجرة «الطالب»، من قارا إلى سكاكا والجوف (دومة الجندل)، ولكن لم تحدد وقتاً وتاريخاً لحدوث ذلك. ولكن الرواية، تشير إلى أن «نويَر» من القرشة (يبدو من العابط)، هي من أشارت إلى تقسيمهم بين القرشة والمعاقلة، وهو ما يعني أن قدوم الطالب إلى سكاكا، ويعني في الوقت نفسه للجوف (دومة الجندل) بالنسبة للقسم الآخر من الطالب، قد وقع عندما كان التمايز والخلاف وتوازن القوة بين القرشة والمعاقلة أخذ بالبروز، وهذا يعني أنه وقع فيما بعد منتصف القرن التاسع عشر (بعد ١٨٥٠م تقريباً). ولكن نعلم من خلال أحداث وملابسات تمرد ١٨٥٣م، أن «بدر الفلحي» (الأول) من الطالب كان في اللقائط آنذاك، وكان أول من اشتبك مع قوات متعب وعبيد الرشيد، في واقعة «البدرية» حول اللقائط، كما يقول بذلك فهد الغانم، عندما قدم ابن رشيد في بداية التمرد، حيث هزم فيها ابن رشيد، وقبلها مباشرة هزم في معركة «القنية» شرق دومة الجندل (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ٩ من ١٣). وإذا كان هذا صحيحاً، فهذا يعني أن الطالب قَدِموا لسكاكا والجوف من قارا قبل منتصف القرن لا بعده.

في السياق نفسه، إذا كانت المرأة «نويَر» التي أشارت على أهل سكاكا بتقسيم «الطالب»، هي من العابط، وربما أبوها هو «طريف بن زايد»، جد «عابط، وعبط، وعبيطان»، وأخوتها هم «محمد ونور ومناور ومنور»، ـ (لاحظ صدى اسم «نويَر» مع أسماء أخوتها الثلاثة الأخيرين، علماً أن كثيراً من أهل الجوف، يسمون أبناءهم وبناتهم اشتقاقاً من بعضهم البعض أو بالتوازي معها) ـ، كما ورد في شجرة القرشة (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٨١) فنحن أمام مرور ٥ أجيال من وقتها، أي يكون قد مر عليها الآن (٢٠١٠م) ١٦٥ سنة أو في حدودها، وهذا ما يحيلنا إلى عام ١٨٤٥م أو في حدوده. إن كانت الإحالة على قول «نويَر» صحيحة، فهذا يعني أولاً، إذا قبلنا برواية مفرح بخيت، أن الطالب قدموا إلى «سكاكا» وإلى دومة الجندل في حدود ١٨٤٥م، وأنه بحد أقصى للوراء لن يتجاوز ١٨٣٠م، ولكن في هذه السنوات لا يبدو أن التمايز بين القرشة والمعاقلة أخذ بالبروز أو التبلور، وهو ما يعني، ثانياً، التشكيك في أن تقسيم الطالب في سكاكا إلى مجموعتين تم على هذا الأساس من التمايز، إلا أن يكون لدى السيدة «نويَر» بصيرة استشرافية نافذة بعيدة المدى للأمام (المستقبل) لصراع بين القرشة والمعاقلة لم يكن موجوداً في حينه، ولكنه قادم لا محالة!!!

مع ذلك، إذا ربطنا بين ما ورد في «المدونات التاريخية» وما بين ما ورد في «المرويات الشفهية»، نجد أن «درع» كان موجوداً، وعلى نحو فعال في الحياة العامة، في الجوف (دومة الجندل) في وقت الحملة السعودية الوهابية الثانية في عام ١٢٠٨هـ، الموافق ١٧٩٣م، وهو ما يعني أن القسم الآخر من «الطالب» وفدوا إلى دومة الجندل إما قبل هذا التاريخ أو في حدوده، وهو على أية حال وفي كل التقديرات سيكون قبل عام ١٨٠٠م. هذا المعطى يعني في ما يعنيه، التشكيك بالمروية الشفهية من حيث القول بترابط هجرة «الطالب» من قارا إلى كل من سكاكا ودومة الجندل في الوقت نفسه.

ولكن قبل القطع بالأمر، فإننا بحاجة إلى قدر من التدقيق والتحليل والربط بين المعطيات ذات الصلة، فنقول: إن كانت علاقة «الدرع» في دومة الجندل، صحيحة بجماعة «الطالب» في سكاكا، ـ ـ وهي ما يؤكدها الطالب في سكاكا والرواية السابقة تقول بها، بما فيها من تفريعات ومنها ما أورده فهد الغانم في عام ١٩٨٩م ومشيراً إلى قوم الدرع، وأنهم إخوان من «الطالب»، وصلوا إلى الجوف قادمين من عنيزة، وحصولهم لاحقاً على الحكم عن طريق الكنز «الخزينة من النيرات الذهبية»، (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩: ١ ـ ٢ من ١٣)، وكذلك قول منسوب إلى «حمود بن مضيان المحيا... المتوفي في سكاكا ١٤١٦هـ، وهو من كبار أسرة الطالب» ـ، نقلاً عن ما قيل إنه بحث كتبه عبد الرحمن بن سليمان الشايع، المدينة: الأحد ٢٦/ ٧/ ١٤٢٧هـ، وكما ورد في إنزالية على الإنترنت باسم وعنوان: ابن سراح، «الصراع على الجوف بين أسرتي الدرع والحطاب، على موقع (أنساب أونلاين.كوم، أنزال في: ١٦/ ١/ ٢٠١٠م) ـ، بأن الطالب هم درع ودعاس وخالد وطالب، وأن الأولَّين (درع ودعاس) شقيقان (أمهما واحدة)، بينما الأخيران (خالد وطالب) هما شقيقان (أمهما واحدة أخرى) (الشايع، عبد الرحمن بن سليمان، ٢٦/ ٧/ ١٤٢٧هـ، في: ابن سراح (؟)، ١٦/ ١/ ٢٠١٠: ١ ـ ٢)[٢٤]، بل أن فهد الحمود الرشيد الطالب، يؤكد في لقاء معه وآخرين من الطالب في صيف ٢٠٠٢م، أنه عندما كان يعمل في مالية الجوف يتذكر أن ابن حسن الدرع، وهو على ما يبدو «حماد»، كان يأتي ويستلم مستحقاته المالية السنوية (العادة أو الشرهة) من مالية الجوف بسكاكا مستخدماً تابعية (حفيظة نفوس) باسم: حماد حسن الدرع الطالب (الطالب، فهد حمود الرشيد، في: الطالب، فهد حمود الرشيد و، ومدالله حماد، لقاء وحديث، في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٥) ـ ـ، فإننا نرجح أن هناك هجرتين للطالب إلى الجوف (دومة الجندل) و/ أو إلى سكاكا: الهجرة الأولى: إن كان «الطالب» بالفعل جميعاً قِدموا بدايةً من نجد واستقروا في قارا، فإن قدومهم في الغالب، إن لم يتم برفقة الحملة السعودية الوهابية الأولى (١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م) وهذا مجرد احتمال ممكن ولكنه غير مؤكد، فقد يكون سبقها ببعض السنوات، وربما حدث قبل عام ١٧٩٠م الموافق ١٢٠٥هـ أو في حدودها، وأن قسماً منهم، وهذا ينطبق على «درع» و«دعاس»، هاجرا أو انتقلا للجوف (دومة الجندل) بعد وقت قصير من وصولهم لـ «قارا» وفي حدود فترة وصولهم أصلاً.

لكن هناك احتمالات أخرى، أكثر رجحاناً ومعقولية، وهي: ١ ـ أن الأخوة «الطالب»، جميعاً في هجرتهم الأولى من نجد إلى الجوف اتجهوا مباشرة إلى دومة الجندل واستقروا هناك، وهذا ما تذهب إليه رواية منسوبة إلى حمود بن مضيان المحيا الطالب، كما مررنا عليها آنفاً (الشايع، عبد الرحمن بن سليمان، ٢٦/ ٧/ ١٤٢٧هـ، في: ابن سراح (؟)، ١٦/ ١/ ٢٠١٠: ١ ـ ٢)، ثم مع اشتداد الصراع في دومة ترك بعضهم دومة وانتقل إلى «قارا» وبقي «درع» في دومة الجندل، وهاجر أخوه دعاس للشام؛ ٢ ـ أو أن الأخوة الطالب، انقسموا، وقت قدومهم إلى الجوف، فبينما اتجه قسم واستقر في دومة الجندل، وهذا

---

(٢٤) للتفصيل، انظر البحث المنسوب لـ «عبد الرحمن سليمان الشايع، كما قيل إنه كتبه في ٢٦/ ٧/ ١٤٢٧هـ، في: ابن سراح، «الصراع على الجوف بين أسرتي الدرع والحطاب،» على موقع أنساب أونلاين. كوم، في ١٦/ ١/ ٢٠١٠، الساعة ٧:١٩ مساءً، على الرابط التالي، <http://www.ansab-online.com/phpBB2/archive/index.php/t-23625.html>، مع ملاحظة (١) أن الاسم «ابن سراح» يبدو اسماً وهمياً؛ (٢) ولاحظ ما يبدو أنه ميول لـ «الدرع» على حساب «السراح»، باستخدام كلمة «الحطاب» بدلاً من السراح في مقابل الدرع في العنوان.

ينطبق على «درع» و«دعاس»، علماً أن الأخير سيترك ويهاجر للشام، اتجه قسم آخر إلى «قارا» واستقر هناك. يمكن لهذا الانقسام أن يكون حدث لحظة الوصول إلى دومة الجندل، أو في «قارا» عند المرور فيها و/ أو قربها. ونحن نرجح أن الطالب الأخوة جميعاً أول ما قدموا من نجد/ القصيم اتجهوا، أولاً، إلى دومة الجندل واستقروا هناك، ثم في مرحلة تالية انتقل بعضهم (خالد وطالب) من دومة إلى «قارا»، بينما بقي «درع» في دومة الجندل، وغادرها للغربية (الشام) «دعاس».

على أية حال من استقر من الطالب في «قارا»، سواء قدم لها في الأصل أولاً، أو قدم لها من دومة الجندل، لا العكس، كما نرجح، هم الذين سيهاجرون إلى سكاكا ويستقرون هناك، بعد صراعهم مع «السرحان» وحلفائهم الدغمان في قارا. إذن، الهجرة الثانية هي متعلقة بالقسم الآخر من «الطالب»، وهم من استقر في قارا، والذي تصارع لاحقاً مع السرحان والدغمان في قارا، وهو الذي ـ نتيجة له ـ اضطر مع حلفائه الآخرين (المطرود، والسمارة، والقويضي) إلى النزوح من قارا والانتقال إلى سكاكا، حيث فيها، وبناء على رأي واقتراح السيدة «نوير»، آنفة الذكر، تم تقسيم «الطالب» في حينه بين القرشة والمعاقلة، وهو ما يعني أن هذا الحدث الأخير (الهجرة الثانية) وقع في وقت يقترب من جيل «نوير» وهو في حدود ما بين ١٨٣٠ إلى ١٨٤٥م تقريباً، وهذا ربما أكثر قرباً إلى واقع وصول الطالب إلى سكاكا ومن ثم تقسيمهم وتوزيعهم بين القرشة والمعاقلة. بهذا التاريخ لقدوم الطالب لـ «سكاكا»، بهذا المعنى، وبسياق منظور تحليلي تقديري ولكنه ليس يقينياً، يمكن قبول بعض ما ورد في المرويات الشفهية ومصالحتها على نحوٍ ما مع ما ورد في المدوّنات التاريخية.

يبقى المهم في ما ورد مما تقدم من المدوّنات التاريخية والمرويات الشفهية، وبغضّ النظر عن التناقض وعدم الدقة في التواريخ أو في غيابها، وبغضّ النظر عن الأسباب والعوامل والمتغيرات المفسرة على أهميتها وهي ما سنخصص لها فصلاً كاملاً في هذه الدراسة، هو أنها كلها تحيل إلى قدر من صراع أهلي وحروب أهلية بالجوف، وإن كانت متقطعة، وخاصة في دومة الجندل، في فترة ما قبل ١٨٠٠م وما بعدها وربما حتى ١٨٣٧م، رغم ما ساد من هدوء عام، أو ما قيل إنه ساد من انسجام و/ أو تضامن، بين أهالي الجوف تشي وتوحي به قصيدة «حلاف بن دوخي»، والتي يرددها ويتداولها أهل الجوف أو بعضهم على الأقل رفعاً للحرج من صراعات حادة سادت في فترات لاحقة من تاريخهم.

في السياق نفسه، هناك إحالات عن صراع حدث في قارا، فضلاً عن صراع الرحيبيين، وإن كان الأخيران وقعا في وقت متأخر عن جذور قاع الصراع الأهلي بالجوف (دومة الجندل) وخاصة بين السراح والدرع، ولكنها صراعات، وإن كانت محدودة، ستكون لها أهمية من حيث فائدتها للتفسير الشامل للصراع الأهلي بالجوف عموماً (دومة وسكاكا وما حولهما).

نود أن نشير إلى أن الجوف بدأت تخضع لنفوذ الدولة السعودية الأولى، ربما كما تقدم بالتحالف مع «ابن درع»، ولكن على ما يبدو بصلة وربط الأخير بحاكم حائل محمد عبد المحسن آل علي»، والذي قام في عام ١٨١٠م الموافق ١٢٢٥هـ، ونيابة عن القوات السعودية ـ الوهابية بمهاجمة الصحراء السورية (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٤٦). يبدو أن هذه الحملة المصرية تكون في الغالب مرت من الجوف، وليس بعيداً بمعونة من أهلها، وخاصة من «ابن درع» باعتباره مرتبطاً به «محمد آل علي». الحملة المصرية

الأولى (١٨١١ ـ ١٨١٨)، والتي في النهاية مع تدمير الدرعية قضت على الدولة السعودية الأولى، وإن انبعثت ضعيفة في عام ١٨٢٤م، يبدو أنها في النهاية، ومع تواصل وجودها في وسط الجزيرة العربية، قوضت من نفوذ حاكم محمد عبد المحسن آل علي في حائل، حيث قتل مع معركة مع حملة للقوات المصرية في جبل حائل وقعت في وقت ما من العشرينات من القرن التاسع عشر (١٨٢٠s)، ولكن شقيقه صالح بن عبد المحسن آل علي سيستلم الحكم في حائل بعده (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٤٨).

في هذه الأجواء ليس غريباً أن يكون الوضع بالجوف غير مستقر، وخاصة أن الأحداث الجارية في وسط الجزيرة وفي سياق الحملة المصرية ليست بعيدة من متابعة أو معرفة من بعض أهل الجوف وبالذات من السراح والدرع. طبعاً ليس هناك أية معلومات مؤكدة في هذه الفترة عن الأوضاع في الجوف، ولكن نعلم أنه في نهاية ١٨٢٨م الموافق ١٢٤٣هـ، كان هناك حاكم للجوف مرسل، على نحو الأبعاد، من قبل الدولة السعودية المنبعثة (تركي بن عبد الله) بالجوف، يقال له محمد العلي العرفج (عبد الكريم، محمد عبد العزيز، ١٩٩١: ٣٧ ـ ٣٨).

في هذه الأجواء غير المستقرة، وفي ضوء تحولات تجري في الفضاء المحيط، القريب والبعيد وقواه الطامعة بالجوف، وكذلك في سياق ذلك القدر من الاستقطاب حول محور السراح/ الدرع، فليس مستغرباً أن تكون الفترة الممتدة من السنوات الأخيرة من الـ «١٨٢٠sم»، إلى ما بعد منتصف العقد التالي (١٨٣٠sم)، حبلى بقدر من الصراعات الأهلية البينية بالجوف (في دومة الجندل)، ومنها، مثالاً لا حصراً، على ما يبدو صراع «الرحيبيين» التالي ملاحظته:

(٣) صراع الرحيبيين وانشقاق السميحان (١٨٣٤/ ١٨٣٥م؟): الرحيبيون جماعة من الأُسر تعود في نسبها إلى تميم، وجدّهم واحد هو، خميس بن سعيد بن حماد التميمي، والذي على ما يبدو هاجر من نجد إلى دومة الجندل، وقد سمي الحي الذي يقطنونه في دومة بـ «حي الرحيبيين» (الشايع آل كريّع (II)، ١٩٨٤: ٢٤٤ ـ ٢٤٧).

في وقت ما، لكنه غير محدد، وإن كان هناك قصيدة ذات دلالة زمانية تحيل إليه سنشير إليها لاحقاً، يبدو أن خلافاً أو نزاعاً نشب بين بعض أسرها وبيوتها، ويبدو أنه بين أسرة خليف الخميس بن خليف العجلان بن خميس التميمي، وأسرة سميحان مرخان بن سالم بن خميس التميمي. على إثر النزاع، وربما في سياقه، انشق السميحان عن الرحيبيين، وأصبحوا في حلف أهل خذما والدرع، لدرجة أن حياً باسمهم بدأ يظهر إلى الجنوب من الرحيبيين ويتمايز عنهم. في المقابل أصبح حي الرحيبيين، وبزعامة خليف الخميس حلفاء السراح (بيت العمر ـ حطاب وغالب)، علماً أن «الرحيبيين» (الأخيرين)، وبالمناسبة، هم أخوال السراح (بيت العمر ـ حطاب وغالب)، حيث إن غالب الحطاب هو ولد أخت خليف، كما تذكر بعض المصادر (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٥ ـ ١٦ من ٣٥)).

ورغم أنه لا يوجد دليل قطعي على تاريخ حدوث هذه الخلاف بين بيوت الرحيبيين، إلا أن بعض الإشارات في بعض الروايات والقصائد قد تساعدنا في الاقتراب من التحديد، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: الخلاف أو النزاع بين الرحيبيين والسميحان، تشير إليه رواية محلية بالجوف (دومة الجندل)، سبق أن مررنا عليها، في سياق الحديث عن صراع بيوت السراح، فتقول، إن معركة وقعت بين الرحيبيين والسميحان، وفي التفصيلات تمضي بالقول إنه، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح): «... وبعد انقضاء مدة ماهي طويلة كان في واحد اسمه «سكران ابن خشاب»، وهو من الحواس، وكان موالي لـ «السلمان»، جماعة «مشوّح»، والحواس من أهل حايل... كان بينه وبين غالب عدم محبة، وذلك لأن سكران كان ساكن بـ «الرحيبيين»، ودارت معركة بين الرحيبيين والسميحان، وبعد انقضاء المعركة كأنه حصل صلح بين أهل السميحان والرحيبيين، وكانوا الرحيبيين بقيادة ((ا))خليف. فقالوا أهل السميحان أنتم ذبحتوا لنا رجلين، ادفعوا ديّتهم، فقالوا أهل الرحيبيين اللي ذبح الرجلين «سكران ابن خشاب»، فالزموا سكران أن يدفع النخل بالكامل والتي تعود لملكيته دية عن قتل اثنين من السميحان... حيث إنهم قالوا هذا ماهو منا، وبكيفكم معه... وكانوا بذلك تخلوا عنه رغم أنه كان يقاتل لجانبهم ولمصلحتهم فتخلوا عنه فخسر حلاله مما أغضبه من ((ا))خليف، وولد أخت خليف ((هو)) غالب الحطاب، فرحل وسكن بـ «السلمان» مجاور لـ «مشوّح»...» ((المقصود أن سكران بن خشاب رحل وسكن جنب السلمان)).

من أجل ذلك، وفي وقت لاحق، عندما عاتب غالب السراح ابن خشاب بقصيدة على عدم حضور الأخير معركة ضد الرشيد، ويشاهد ما جرى فيها، رد عليه ابن خشاب بقصيدة يتبرأ من الرحيبيين والسراح حيث إن الرحيبيين تخلوا عنه رغم أنه وقف معهم ضد السميحان. قال غالب السراح مخاطباً ومعاتباً ابن خشاب (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٥ ـ ١٦ من ٣٥):

يا خو طريفه ليه للعين ما جيت | وتشوف اربوعنا يابن خشاب
بحيل ابن بادي (ا)بخالي تثاريت | وشوف ربعي بالعدو تقل قصاب
اذبح جزورك يا نقا كانك اشفيت | اعطيك سيفي يوم قصات الرقاب
(لـ)لشر عيبه والسيف خليت | وعرف وربك ماشيا درب الصحاب

وعندما وصلت القصيدة لـ «سكران» وهو زعلان على حلاله اللي راح منه، فرد سكران على غالب وقصيدته، فقال (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٥ ـ ١٦ من ٣٥):

عنكم تخليت ومنكم تبريت | يوم الرحيبيين حسبت بالرقاب
ثلاث ونات على ساق ونيت | من هَمْ زينات الثمر وقت الرطاب

يبدو أن الرواية أعلاه، وإن كانت تتحدث في سياق صراع السراح ـ السراح وهذا صراع متأخر وقع قبيل وفي سياق تمرد عام ١٨٥٣م، إلا أنها تشير بالفعل إلى معركة وقعت بين الرحيبيين والسميحان، ولكن في وقت سابق يعود، ربما، إلى منتصف الـ «١٨٣٠s». ويبدو أن هذه هي المعركة الأولى، وقبل ما عرف بمعركة «عين الصفاة» التي يبدو أنها أتت لاحقاً وربما بعدد من السنوات، وأرجح أن الأخيرة وقعت في وقت ما مع أو بُعيد تمرد ١٨٥٣م مباشرة.

ثانياً: هناك قصيدة منسوبة إلى «مرخان السميحان»، بما نقل عن سعود الشاعل، كما أنزلها من يسمي نفسه «أحمد الشباط ـ رقم عضوية ٢٠١» على موقع «بني خالد» على الإنترنت في ١٥/ ٢/ ٢٠٠٥م، تشير إلى معركة أو واقعة تسمى «عين الصفاة». القصيدة تقول[٢٥]:

يـاراكــب(ن) مـن فـوق حــر(ن) نشرنـا	حــــر(ن) يـجـوز الـيــوم لـلـمـطـرشـانـا
عـلـيـه مــن دل الـعـقـيـلـي نـشـرنـا	عـلـيـه مــن يـوصـل جــوابـي عـدانـا
يــــابـــــوطــــواري لاتـبـيــح خـبـرنـا	عـيــب(ن) لـغـاك وعـيـب حـنـا لـغـانـا
غــرك زمــــــان(ن) لـلـدريـعـي غـتـرنـا	بـالـبـوق والا بـالـنـقـا مـا ولانـا
حـنـا بـعـهـد الـلـه عـلـيـه انـحـدرنـا	وكـل الـعـرب سـمـعـة عـهـود(ن) عطانا
عــيـــال شـمـــر والـقـريـشـي بـثـرنـا	وقـمـنـا نــزود مــن حـلا كـم حـلانـا
حـنـا لـيـاثـار الـدخـن وانـتـشـرنـا	يـسـنـي عـلـى كـل الـمـوارد ارشـانـا
حـنـا لـعـوراتـك وفـعـلـك سـتـرنـا	عـيـت عـلـى الـشـيـمـه سـواعـد لـحـانـا
لاعـــاد حـنـا يــوم دورك صـبـرنـا	وش مـجـزعـك مـن دورنـا يـوم جـانـا
اصـبـر إلـى مـنـا نـركـب جـهـرنـا	بــروس الـعـلالـي مـاتـعـيـن احـذانـا
ان حـرك الـمـشـقـاص وارجـف حـذرنـا	بـالـقـنـب الـمـصـيـص نـمـقـس ادلانـا
مـانـنـعـذل عــن ضـدنـا لــو صـدرنـا	نـأخـذ قـضـا مـا فـات بـالـلـي وزانـا

....

وللباحث على تلك القصيدة عدة ملاحظات، منها:

١ ـ قائل القصيدة الذي قيل إنه: «مرخان دابس المرخان» لا يبدو أنه هو، وإنما هو، على ما يبدو، وقياساً على عدد الأجيال في أسرة السميحان وأسرة خليف الخميس، هو، ربما،: «مرخان بن عتيق سميحان المرخان»، إذ هذا الأخير هو المعاصر لـ: «خليف الخميس بن خليف العجلان».

٢ ـ تشير القصيدة إلى أن المعركة التي يقال عنها إنها معركة «عين الصفاة» هي نتاج معركة سابقة عليها، ويبدو أن المعركتين، وإن كانتا مترابطتين، وقعتا في زمنين منفصلين بعض الشيء، وربما بعدد من السنوات. تتضمن القصيدة الإشارة إلى أن السحيمان، وفي معركة تالية، وهي، على ما يبدو، ما سميت بمعركة «عين الصفاة»، وبمساعدة من حلفاء لهم (شمر وعيال قريش) اقتصوا من «الرحيبيين»، وهؤلاء الأخيران سبق لهم أن أغاروا على «السميحان» وبمساعدة من الشعلان، إذ تشير القصيدة إلى «الدريعي» وأنه بالغدر حال عليهم. لاحظ أن السميحان في البداية في المعركة الأولى، على ما يبدو قبلوا الفدية عن من قتل منهم من الرحيبيين، وكانت الفدية، كما أشارت إليه الرواية آنفاً، هي حلال ونخيل «سكران ابن خشاب»، مما أغضب الأخير على الرحيبيين (جماعة خليف الخميس)، فارتحال «ابن خشاب» بجوار «السليمان» (جماعة مشوّح من السراح). يبدو أن قبول «السميحان» لهذه التسوية دليل على أنهم في

(٢٥) مصدر القصيدة: أحمد الشباط، عضوية رقم (٢٠١)، «معركة الصفاة»، أنزل على موقع منتدى بني خالد الرسمي في: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٥، نقلاً عن سعود الشاعل، <http://www.bnikhaled.com/vb/showthread.php?t=4577&page=3>.

وضع أقل قوة، بينما نرى، أنهم في المعركة الثانية، كما ورد في القصيدة، في وضع أقوى وفرضوا فيه ما أرادوا هم، لا ما أراد خصومهم.

ورغم أهمية تحديد متى وقعت المعركة الأخيرة، معركة عين الصفاة، إلا إن المهم هنا هو تحديد متى وقعت المعركة الأولى، والتي تحدد بداية الصراع في بيوت الرحيبيين وانشقاق السميحان عنهم. من واقع القصيدة . يشير «مرخان السميحان» إلى المعركة الأولى على أنها وقعت أيام «الدريعي». والدريعي (المقصود به) هو على ما يبدو «الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان» :Lancaster, 1981) (163 شيخ الرولة آنذاك، والذي كان في عام ١٢٤٦هـ (الموافق ١٨٣٠م تقريباً) لا زال حياً وشيخاً للرولة (الشايع الكريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٦١). وإذ كان صحيحاً أن واقعة «الجرعاوي» (في عام١٨٣٧/ ١٨٣٨م أو في حدودها) وقعت أيام «فيصل الشعلان» بتحالف الأخير مع السراح، كما ورد في رواية منسوبة إلى عواد الجباب (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ٩٤، ١١٣ ـ ١١٤)، فهذا يعني أن المعركة الأولى بين الرحيبيين والسميحان وقعت قبل واقعة الجرعاوي، بعدة سنوات وربما في الفترة ما بين ١٨٣٠ و١٨٣٦.

وحيث إن الامور في الجوف عموماً بدأت في التغيّر، حيث كانت هادئة، وخاصة قبيل كون «فارع»، ولكنها بدأت تتقلب بعدها، ولا سيّما بعد ١٨٣٣م وفي سياق تحولات في الجزيرة العربية ترافقت تقريباً والحملة المصرية الثانية (١٨٣٦ ـ ١٨٤١م)، فإننا نرجح أن «الدريعي الشعلان» قد استغل تلك التحولات في المنطقة، فكان دخوله بالجوف واحتياله عليها، وربما كان ذلك بتحالف مع الرحيبيين (جماعة خليف الخميس ـ الثاني في شجرة الرحيبيين)، مما تولد عنه خلاف مع و/ أو معركة ضد السميحان. ورغم ما ذُكر من أن الجوف وأهلها كانوا في انسجام ووئام (سلم أهلي) فيما قبل واقعة أو «كون فارع» ١٨٣٣م)، فإنه فضلاً عن، الصراع الرئيس والممتد، وإن كان متقطعاً، بين الدرع والسراح ١٨٠٠ ـ ١٨٥٣م وفي سياقهما وعلى جانبي محورهما، فإن دومة الجندل، وفي الفترة (١٨٢٨ ـ ١٨٣٧)، شهدت صراعات أهلية ثانوية، تتصل بمجموعات فرعية وبينها، وحتى صراعات من داخل وبين بيوت الجماعة الفرعية الواحدة، كما رأينا في وبين الرحيبيين أنفسهم، وكذلك ما تعلق بصراع الرحيبيين مع جماعة «المطر» (الذين هم الآن في حي المطر في سكاكا) في دومة الجندل، ويبدو أن أوائلهم سكنوا جنب أو قرب «الرحيبيين»، إذ كانت لهم مواقع في الرحيبيين، وحصلت حرب بينهم وبين الرحيبيين، فخرجوا وارتحلوا إلى سكاكا (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٥١ ـ ١٥٢؛ السالم، زياد، اتصال هاتفي، السبت في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠: ٢:٢٣ ـ ٢:٥٠ ظهراً). الأمر يبدو أنه ينطبق، كذلك على رحيل العوذة والسهو إلى سكاكا بسبب صراعات أهلية فرعية و/ أو في سياق استقطابات صراع السراح/ الدرع في دومة الجندل في تلك الفترة، وبالذات حول ١٨٣٠م، زيادة أو نقصاناً ببضع سنين.

من هنا نخلص إلى القول إن ما بدا أو قيل عنه، في سياق واقعة، أو «كون فارع» أنه سلم أهلي سائد بين الأهالي والجماعات في الجوف عموماً، لا يبدو أنه يسنده الواقع، لا قبل واقعة «فارع» ولا بعدها. الواقع يشير إلى أن الصراع الأهلي كان هو السائد، وإن بتقطع، على طول الفترة من ما قبل ١٨٠٠م وحتى ١٩٢٢م. جذوره في صراع السراح ـ الدرع منذ ١٧٩٢ ونهايته في حرب المعاقلة أو ما عرفت

بـ «حرب الراشد ـ المويشير» (١٩٢٢م). والمهم في الأمر هو ليس في النظر إلى الواقعات وأطرافها بذاتها ولذاتها، ولا في الروايات عنها، على أهميته ذلك، وإنما في فهم وتفسير حدوث هذه الواقعات، ليس كواقعات وحالات منفصلة، وإنما، كواقعات مترابطة، مكوِّنةً ما نعتقد أنه حالة حرب أهلية شاملة بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). إن هذا التفسير والفهم، وكما قررنا سابقاً، ونكرر هنا، هو، أصلاً، في صلب، بل هدفنا الرئيس من كل هذا الاهتمام بالحرب الأهلية بالجوف، وهو ما سنقوم به في القسم الثاني، بعد الانتهاء من عرض الواقعات ورواياتها.

ثانياً: الصراعات الأهلية في (١٨٧٠s ـ ١٩٢٢م): الواقعات والروايات

١ ـ واقعة «كون الظلي» (صيف ١٩٠٧م أم أكتوبر ١٩٠٨م)

أ ـ في تحديد تاريخ واقعة أو ما يطلق عليه «كون الظلي»

هناك أقوال غير متطابقة في تاريخ حدوث الواقعة. فأولاً، وحسب أقوال سعد الطارف يبدو أنها وقعت قبل عامين من دخول ابن شعلان للجوف والسيطرة عليها (الطارف، سعد (I)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٦ من ١٦). ومعروف أن ابن شعلان بدأ بدخول الجوف في الأسبوع الأول من شباط/ فبراير ١٩٠٩، مع قتال امتد لعدة أشهر (موسيل، رحلة، ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٧٥ ـ ٤١٥؛ موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٣٤ و٤٦٢ و٤٦٧)، ويبدو أنه أكمل السيطرة عليها تماماً في ذي الحجة ١٣٢٧هـ الموافق كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٩م طبقاً لرواية سلمان القعيّد، كما دوّنها حفيده عبد العزيز محمد القعيّد، نقلاً عن والده (القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان، «مدوّنة» في ملف، مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢).

ولكن، إذا كان كلام الرحالة ألويس موسيل، في رحلته الأولى للجوف (ما بين ٤ شباط/ فبراير وحتى ٢٨ أيار/ مايو ١٩٠٩) صحيحاً، فهو يقول إنها وقعت في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٨م حيث يقول ما نصه: «عندما انهار نظام ابن رشيد انفجرت حرب أهلية في سكاكا أيضاً. لقد حاول القرشة الاستيلاء على بعض من بساتين المعاقلة فهاجموهم ولكن رُدوا على أعقابهم، وفي يوم واحد فقدوا سبعة وتسعين رجلاً. ومنذ أكتوبر ١٩٠٨م ظلت هذه الحروب تستعر في سكاكا، وارتفعت أعداد الضحايا إلى أكثر من مئتي رجل، وكنا نسمع أعيرة النار صباحا ومساء...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩ ـ ٣٩٠). ولكن بالعودة إلى سعد الطارف فهو يقول إنها وقعت قبل عامين في أيام حر (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٢ من ٢١)، أي في فصل الصيف، فهي وقعت إما صيف ١٩٠٧م، أو صيف ١٩٠٨م (ما بين حزيران/ يونيو وأوائل أيلول/ سبتمبر)، ولكننا نرجح أنها وقعت صيف ١٩٠٧ الموافق ١٣٢٥هـ، وهو الأقرب، ذلك أن فيصل حمود الرشيد عندما وصل في نهاية ١٩٠٧ أو أوائل ١٩٠٨، طبقاً لما أورده الرحالة أس. أس بتلر وزميله ل. أيلمر عندما زارا الجوف في نهاية كانون الثاني/ يناير ١٩٠٨ كان فيصل بن حمود الرشيد، الذي قابلاه فعلياً هناك في نهاية يناير ١٩٠٨م، معيَّناً أميراً على الجوف

منذ شهر تقريباً (أي من بداية يناير ١٩٠٨ أو نهاية كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٧) نائباً عن أخيه حاكم حائل (سعود بن حمود الرشيد) وكان وكيله في سكاكا شخصاً يدعى «علي بن جارد» (Ibn Gaarde) (بتلر، أس. أس، عن رحلة أيلمر وبتلر ١٩٠١ م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٥٦). وإذا كان كلام **بتلر وايلمر** صحيحاً من حيث قدوم فيصل حمود الرشيد أميراً على الجوف منذ نهاية ١٩٠٧ أو يناير ١٩٠٨، فإن سعد الطارف يقول: «وعندما وصل فيصل الرشيد قام «ظاهر» بتبشيره «بكون الظلي» حيث إن المعاقلة آنذاك معونة لـ «الرشيد»، وعساف اللحيد راد النقا ((يقصد ثار على)) الرشيد...» (الطارف، سعد (I) في: ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩). ومع ذلك فالغريب أن كلاً من الرحالة بتلر وايلمر، وقد زارا الجوف ومرّا في سكاكا ومكثا فيها على الأقل يوماً أو يومين، في الأسبوع الأول من شباط/ فبراير ١٩٠٨م، لم يذكرا أية معلومات أو أقوال أو ملاحظات على وجود أعمال قتالية سابقة و/ أو جارية، وهو أمر يثير الدهشة بالمقارنة مع وفي ضوء كلام سعد الطارف بأن فيصل الرشيد أبلغ أو بُشر من قبل «ظاهر» عند مقدمه في يناير ١٩٠٨م، بـ «كون الظلي» (!).

نخلص في تحديد سنة وقوع «كون الظلي» إلى القول: أم أنها، وطبقاً لأقوال الرحالة ألويس موسيل، وقعت في أواخر صيف ١٩٠٨م وتحديداً في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٨م، أو أنها طبقاً لأقوال سعد الطارف وقعت في صيف ١٩٠٧م. وإذا أخذنا برأي سعد الطارف، والذي يقول إن «كون الظلي» سابق حدوثها لمقدم فيصل الرشيد أميراً على الجوف من قبل أخيه سعود بن حمود عبيد الرشيد، بعد أن قتل الأخير أخاه سلطان بن حمود، فإن واقعة «كون الظلي» وقعت في صيف ١٩٠٧م/ صيف ١٣٢٥ هـ)، وربما وقعت في الفترة ما بين ١ ـ حزيران/ يونيو ـ ١٩٠٧ الموافق ١٩ ـ ربيع الثاني ١٣٢٥هـ و١٥ ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٠٧م الموافق. وإذا كانت شدة الحر في الصيف عاملاً حاسماً في التحديد، كما يقول سعد الطارف إنها وقعت بالحر، فالأرجح أن تكون وقعت ما بين أوائل أو منتصف تموز/ يوليو١٩٠٧م الموافق أواخر جمادى الأولى أو أوائل جمادى الآخرة ١٣٢٥هـ، وما بين أواخر آب/ أغسطس ١٩٠٧م الموافق منتصف رجب ١٣٢٥ هـ.

ونميل إلى ترجيح أنها وقعت في صيف ١٩٠٧م استناداً، أولاً، على رواية سعد الطارف، لأن سعد الطارف، في تلك الفترة كان شاهداً عليها، فعمره آنذاك لا يقل عن عشر سنوات، إن لم يكن أكثر، حيث إن ولادته قبيل وفاة فلاح الشردان بقليل، علماً أن وفاة «ابن شردان وقعت في حدود ١٨٩٥م أو بحدودها نقصاناً أو زيادة بقليل، كما ناقشنا أمره، في أكثر من واقعة، ومنها واقعة ما عرف بمؤامرة مسجد الجمعة. وثانياً لأن رواية الرحالة ألويس موسيل في رحلته الأولى للجوف (١٩٠٩م) كانت الأمور القتالية بين القرشة والمعاقلة متداخلة وقائمة مع حالة فوضى مصاحبة لسيطرة ابن شعلان على الجوف منذ فبراير ١٩٠٩م فصاعدا، حيث هو يقول «كنا نسمع أعيرة نارية صباحاً ومساءً»، ويقول بعدها مباشرة عن يوم الجمعة (١٦/ ٤/ ١٩٠٩م)» وفي يوم الجمعة، استطاع شاب من المعاقلة التسلل إلى داخل مساكن القرشة ليهاجم رجلاً كان قد قتل والده. وأخيراً ظهر هذا الرجل، فهاجمه الشاب وقتله. وفي يوم السبت جاءني هذا الشاب، ليطلب مني اختبار بندقيته لأن زنادها لا يعمل جيداً منذ تلك الواقعة قبل يوم واحد» (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

تعتبر هذه الواقعة وما يطلق عليه الأهالي محلياً: «كون الظلي» أول حرب حقيقية (قتالية) كارثية بين القرشة والمعاقلة في سكاكا، وإن ذكر سعد الطارف أن هناك حرباً عرفت بواقعة «السمرة أو السمرية» أقدم من هذه (كون الظلي) بين القرشة والمعاقلة ولكنها يبدو كانت محددوة النطاق والإصابات (سنأتي على ذكرها لاحقاً) (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩). غير أن (كون الظلي) تعتبر واحدة من افظع ما وقع بين المعاقلة والقرشة من معارك وقتال، وذلك لكونها كانت كارثة أهلية حقيقية ذهب ضحيتها عدد كبير من القتلى من الطرفين وخاصة من طرف القرشة. من هنا سجلت هذه الواقعة، مع واقعة هجرة و/ أو تهجير جماعي للقرشة (هجرة القرشة كما تسمى محلياً في سكاكا)، أعقبت فوضى وقتال (١٩٠٩م) تصاحب ودخول وسيطرة ابن شعلان على الجوف عنوة، أكبر مأساة في ذاكرة الجماعتين والتي أثارها النفسية ربما لا زالت متواصلة رغم مرور أكثر من مئة عام على حدوثها. يبقى السؤال هو: لماذا وقعت هذه الواقعة وما هو رأي ووجهة نظر وموقف الطرفين (الجماعتين المتقاتلتين) تجاهها؟

ب ـ «كون الظلي»: الواقعة والروايات

إضافة إلى رواية الرحالة ألويس موسيل، عن رحلته للجوف في ١٩٠٩م، والتي مررنا على مضمونها، آنفاً (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، وهي تبدو متأثرة بوجهة نظر الشعلان و/ أو المعاقلة، فإن لدينا روايات محلية متقابلة من أهل سكاكا عنها، سنوردها في ما يلي، وبغض النظر عن مدى صحتها و/ أو مصداقيتها، علماً أننا، وكما أشرت في أكثر من واقعة، لا نتوقف كثيراً في تفسير الصراع الأهلي الشامل والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، عند واقعة بعينها و/ أو برواياتها، ولا نتبناها، وإن كنا لا نستبعد الاستفادة منها، كل ما كان ذلك مفيداً ومناسباً.

(١) رواية المعاقلة للواقعة:

(أ) **كون الظلي واقعة من واقعتين متتاليتين:** أكثر من يقدم رواية المعاقلة هو سعد الطارف، وهو أشهر رواة المعاقلة لتاريخ الجوف عموماً وسكاكا والمعاقلة على وجه الخصوص. يقول سعد الطارف ـ وأنا هنا ألخص كلامه معيداً صياغته بالفصحى، مع بعض الإشارات لبعض كلماته بالعامية، حيث كان هو يتكلم بالعامية طوال الوقت تقريباً ـ وفي جواب لسؤال عن كون (واقعة) الظلي وأسباب الحرب بين المعاقلة والقرشة، يقول إن الأمر: «يعود لخلاف على مشيخة الضويحي (والقرشة عموماً)، حيث إنه بعد موت شكر السهيان في حدود (صيف ١٩٠٧/ أو ١٩٠٨ الموافق ١٣٢٥هـ/ او ١٣٢٦هـ) وهذا الأخير كان هو شيخ (عمدة) القرشة عموماً والضويحي خصوصاً آنذاك (ما بين قبيل منتصف القرن التاسع عشر وحتى تلك السنة ١٩٠٧ أو ١٩٠٨م تقريباً)، أخذ المشيخة بعده (شاخ على جماعته) أخوه خليفة السهيان. لكن ابن أخيه، عساف شكر السهيان، اعترض على تولّي عمه لمشيخة القرشة والضويحي باعتباره، أي عساف، أولى وأحق بها من عمه خليفة. حظي خليفة السهيان بدعم (رتبة) وممثل حكم ابن الرشيد في الجوف في تلك الفترة والمعروف بـ «السنيدي». من هنا قام «قحص» عساف شكر السهيان ومن معه من المناصرين، ويبدو أنهم الأغلبية، وتحرك ضد (رتبة) ممثل حاكم ابن الرشيد في الجوف المعروف بـ «السنيدي» وعنده مملوك لِابن رشيد مساعد له يدعى «ابن صليبيخ»، وكانا يسكنان في قصر

حمد العبيد المظهور في حي الشلهوب. كان الهدف هو الانتقام من رتبة ابن رشيد «السنيدي» ومساعده «ابن صليبيخ» وبالتالي محاولة قتلهما» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩؛ الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩، والطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ).

ولكن، ونقلاً عن رواية سلمان القعيّد، كما دوّنها حفيده عبد العزيز نقلاً عن والده محمد، فإن منصوب ابن رشيد في الجوف آنذاك هو عبد الرحمن الفايز والذي قامت عليه القرشة في ما عرف بـ: «كون الظلي» (القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان، «مدوّنة» في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢). ورغم أن سعد الطارف لم يذكر أبداً عبد الرحمن الفايز، وإنما ذكر «السنيدي» و«ابن صليبيخ»، إلا أن الأمر يبدو ليس بذي أهمية، فضلاً عن أن عبد الرحمن الفايز كنائب حاكم لِابن رشيد قد يكون مقر إقامته في دومة الجندل آنذاك، وأن السنيدي وابن صليبيخ هما وكيلاه في سكاكا والتي دارت وحدثت فيها واقعة أو «كون الظلي».

وحي الشلهوب لمن لا يعرفه، خاصة من غير أهل سكاكا أو من خارجها، يقع في جنوب سكاكا القديمة، علماً أن غالبية جماعات الشلهوب، باستثناء أسر الفياض والظلي والهبالا والروضان، كانوا في تلك الفترة (خاصة قبيل واقعة كون الظلي) يميلون إلى، أو كما يقول سعد الطارف «يصاهون»، القرشة وبالأخص الصالح والمنديل (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩)، بينما أحياء القرشة، إذا ما استثنينا حي المطر المحاذي شمالاً للشلهوب، كونه وجماعاته في تحالف مع القرشة، تقع من منتصف سكاكا القديمة (شمال شارع العرب حالياً) وباتجاه الشمال الغربي والشرقي من المدينة. في المقابل، المعاقلة تقع أحياؤها من الأطراف الشمالية الغربية لسكاكا القديمة وباتجاه الغرب والجنوب الغربي من المدينة القديمة في محاذاة و/ أو مقابلة لأحياء ومساكن العلي من القرشة، والمطر، والشلهوب.

من هنا، يضيف سعد الطارف، «بقيام عساف شكر السهيان ومن معه من جماعته من القرشة (الضويحي) بدخول قصر «عضيد الشوشلي» وهذا الشخص هو من ساعدهم في دخول القصر، وذلك كخطوة أولى باتجاه، لاحقاً، القيام ضد (رتبة) أو ممثل حكم ابن الرشيد في سكاكا (السنيدي). لكن الخطة لم تكتمل، إذ إن المعاقلة، وكانت حليفة لِابن الرشيد آنذاك، هبت (فزعوا)، كما طلب منهم، وقامت بتطويق القصر (قصر عضيد الشوشلي) ومحاصرة المهاجمين (القرشة)، ومنعت وصول المياه إليهم وذلك بتفجير أحواض (حياض) المياه في الأرض (الوطأة) المجاورة مما حرم نساء المهاجمين من الري وإيصال الماء للمهاجمين. عندما علم المهاجمون بالأمر من عدم تمكن النساء من جلب المياه، ومع شدة الحر، حيث كان الوقت صيفاً شديد الحرارة، شعروا بالضيق فتدخل بعض من المشاهدة (هؤلاء يبدو تجار وأفراد من العراق، أما هل هم من عشيرة المشاهدة المعروفة، أم من عوائل مشهدية من خارج العشيرة في بعض مناطق العراق، وخاصة في النجف، أو كربلاء، أو من منطقة قرب بغداد، فليس هناك من سبيل للقطع في الأمر، رغم الاحتمال بأنهم من النجف وكربلاء هو الأقرب) ودخلوا على «السنيدي» للتوسط بالأمر. وحيث لديهم القدرة المالية، كما يقول سعد الطارف، فقد اشتروا بالرشى ـ (و على ما قيل البراطيل تخرب السلاطين) ـ كل من «السنيدي» ومساعده «ابن صليبيخ» وأكدوا لهما بالأيمان الغليظة أن هذا ما يتكرر (عليكم الله وأمان الله، إنها ما أدري فعلات من تركات..!!!). من هنا طلب

السنيدي وابن صليبيخ من المعاقلة والقرشة التراجع، وقالا لهما: يا معاقلة ارجعوا (أنكسوا) لديرتكم، والقرشة يرجعون لديارهم. خرج المهاجمون عائدين إلى ديارهم، ورجعت المعاقلة إلى ديارهم، فكان الأمر هكذا في نهار ذلك اليوم وحتى مسائه» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩).

(ب) **المرحلة الثانية من الواقعة**: في الليلة التالية من اليوم نفسه الذي أنهى فيه المهاجمون (القرشة) احتلال القصر، وخرجوا منه سوف تتواصل المرحلة الثانية من الواقعة؛ إذ إن القرشة عندما خرجوا (طلعوا) من القصر، والكلام لسعد الطارف، وفي طريقهم، إلى بيوتهم، مروا مع حي وحوَط (مزارع) المطر (حلفاء للقرشة)، ووصلوا حوض ماء بئر حوطة (مزرعة) مرعيد الدندني (ومرعيد الدندني هو من كبار جماعة المطر آنذاك) وكان الماء فيه وفيراً. عندها شربوا وارتووا، انبسطوا، فخامرتهم فكرة الكرّة من جديد للانتقام من (رتبة) ابن رشيد ومحاولة قتله، فبدأوا بتصويب بنادقهم، وبإطلاق النار («بم ــ بم ــ بم»... إلخ) من جديد باتجاه القصر (قصر ممثل حكم ابن رشيد بالشلهوب)، فأشعلوا (قحصوا) الحرب (الطارف، سعد (I)، في ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٨٩م).

ومع حلول الليل، رجعت المجموعة المهاجمة من القرشة، واقتحمت واحتلت قصر «الظلي»، فاستنصر الشلهوب بالمعاقلة، فهبت المعاقلة للنصرة، وتجمعوا للتشاور خلف «صير لافي» (مجموعة متداخلة متشابكة كثيفة من النخيل وخاصة صغارها و/ أو متوسطة الحجم) في منطقة بين شمال شرق حوطة محسن الفالح وجنوب قصر الشهيباء لـ: خليف الفالح قبل بنائه (الذي بعد مصادرته وهدمه بني عليه قصر الإمارة السابق ـ والذي الآن تابع لجامعة الجوف ـ السنة التحضيرية/ مكتب مدير الجامعة). في ذلك الاجتماع، كان هناك من يرى، وقيل إنه رجا المويشير، تأجيل المناصرة حتى الصباح، وكان هناك من يرى في المقابل، كما هو رأي خليف الفالح، أن الرد يجب أن يتم حالاً وبالليل وقبل طلوع النهار، ذلك أن التأجيل للصباح يعني فوات الرد وفشل محقق لمقاومة المهاجمين. حسم الأمر لصالح الرأي الأخير، عندما تقدم خليف الفالح ومشى مطلقاً مقولته المشهورة عنه، والتي سيكررها في أماكن وواقعات أخرى (مثل واقعة الغطيغط/ الغطغط في المطر حوالي ١٩٢٠م والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً)، «يا معاقلة لا تشوفنا عين وتطلبونا دين...» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢؛ المنديل، صالح العدوان، لقاء (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢، والسلطان، عبد الهادي عبد المحسن، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢) متقدماً المقاومين وبمشاركة عدد من رجال الدغيفق، والذين، في الغالب، ما يكونون معه في مثل تلك الحروب أو «الحرايب»، كما يذكر سعد الطارف (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٦). من أولئك، في الغالب: محسن مخلف الفالح، وهذا ابن أخيه دائماً عضيده في كل الملمات والمهام الصعبة، وكذلك كل من يانس ونيس أبناء شقيقه مخلف الفالح، وعطاالله ومحمد ومقبل العياف، وعضيد العويقيل[٢٦] وأخوه إبراهيم العويقيل. ومن رجال الدغيفق الآخرين:

---

(٢٦) عن أن «عضيد العويقيل» يكون له خليف الفالح خالاً وعمّاً بنفس الوقت، فالأمر يحتاج إلى توضيح: أما كونه خاله فلأن «عضيد العويقيل» متزوج من بنت خليف «عنيبه»، وأما كونه عمه وكان، كما يقول ويعتقد حفيده **نمر على العضيد**، دائماً ما يخاطب خليف بالقول «يا عمي وليس يا خالي»، فلأن خليف هو أخ، غير شقيق، لوالده «عويقيل» من الأم، حيث أن والد عويقيل بعد أن توفى، وحفاظاً على أولادها لقرابتهم، وعدم ضياعهم، قام فالح والد خليف الفالح وتزوج أم عويقيل فأنجب منها خليف (نمر العضيد، حديث مشترك، في ١٣/ ٨/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥/ ٧/ ٢٠١٠م). أم خليف الفالح، اسمها «خضرا» وهي، كما تذكر ابنته «عائشة بنت خليف الفالح ـ زوجة ذياب =

محمد وحمد العقيل (وهذا الأخير حمد العقيل هو الذي سيقتل من الدغيفق في المواجهة)، وفهد المفرح، ومحمد الزاعل، وعبد الله المفلح الفلاح، وقضيب وقاضب أبناء نهار المانع الثاري، وملاقي العايف المثري، وكذلك ابنه الأكبر/ عبد الرحمن بن خليف الفالح. ونحن نذكر هؤلاء من الدغيفق، كما سنذكر آخرين من خارجهم، لا من باب إطرائهم و/ أو كيل المديح لهم، كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنما من باب الحق في التاريخ، وفوقه وأهم منه، في تحمل المسؤولية وتبعاتها في تلك الأحداث وفي صناعة ذلك التاريخ للجوف بكل إيجابياته وسلبياته. في تلك الواقعة كان من المتقدمين، كذلك آخرون من المعاقلة، ومنهم: عبيكة أبو سطم (من النصير)، وطايف الهذيل، وتبع الآخرون بما في ذلك عدد من رجال «الراشد»، ومنهم: مشفي المقاود، ومغرق ولد الحميدي الحميمص، خليفة الواكد، مفضي المفرج، وآخرين سيمر ذكرهم وخاصة من قتل منهم. عبر هؤلاء إلى الشلهوب من طريق سيل أو شعيب المجدر (ما بين البلهود والدغمان ـ الشلهوب) حتى وصلوا حارة أو بيوت الفياض؛ من هناك أخذهم ذباح أبو مخلف (من الظلي) من جهة أقصى الجنوب من قصر الظلي من عند غصيبة (حوطة أو مزرعة) ليبعدهم عن اتجاه مرمى بنادق المهاجمين المتحصنين داخل القصر (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢).

عندما اقترب المعاقلة من قصر الظلي من زاويته الجنوبية، استطاعوا أن يفتحوا فتحة بالجدار، ومن خلالها تم إضرام النيران بالقصر من داخله، وحيث الأمر كذلك كان المهاجمون (القرشة) في وضع لم يكن أمامهم فيه إلا أن يفتحوا الباب الرئيس للقصر للخروج، والإفلات من النيران، وكانت الكارثة ما بين النيران ولحظة الخروج حيث كان عدد من المقاومين (المعاقلة) بالانتظار، فنشب إطلاق النار بين الطرفين، كان من نتيجته أن قتل من المهاجمين (القرشة) عدد غير قليل، يتراوح عددهم ما بين أكثر من ٤٥ وحوالي ١٣٥ شخصاً (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩، والفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢)، والأرجح حوالي ٩٧ رجلاً (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩ ـ ٣٩٠). من المعاقلة قتل ستة أشخاص عرف منهم: حمد العقيل (أخو محمد العقيل من الدغيفق)، مغرق ولد الحميدي الحميمص (الراشد)، خليفة الواكد (الراشد) ـ وخليفة هذا هو «التالي» بخلاف «الأول» الذي قتل في واقعة «السمرة» أو «السمرية»، وهي واقعة سابقة لـ «كون الظلي» بأكثر من ٣٠ سنة، كما هي مناقشة في مكان آخر من هذه الدراسة ـ، وقُتل كذلك مفضي المفرج (الراشد)، واثنين من الشلهوب؟؟ (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩، والفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢).

وممن قتل من القرشة، وعُرف منهم، حسب أقوال سعد الطارف: أخو ذويبان وأبوه، واثنين من عيال «الخليوي»، وثلاثة من عيال (ابن درعان؟) (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩)، وخلف المحزم (أبو عساف وعبد الله) (الفلّاح، سليمان، عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢). ورغم أن خليف

= سمير السطام»، هي من أهل الغصيبة وأقرب ما يكون لها هم جماعة «شاهر المسلم» من الصالح من الشلهوب (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في ١٣ ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٢م ؛ الفالح، جمال عبد الله زعل، نقلاً عن: عائشة بنت خليف الفالح، إفادة منها عن أم والدها خليف الفالح، رسالة نصيّة هاتفية (جوال) لنا في ٣ آب/ أغسطس ٢٠١٠).

الفالح كان لا يتقدمه أحد، بل هو دائماً في مقدمة جماعته والمعاقلة عموماً في معظم تلك الحروب التي وقعت في الجوف وبالذات في سكاكا، وخاصة في الفترة ما بين ١٩٠٠م و١٩٢٢م، وسواء كانت في سياق وقائع وحروب أهلية فرضت نفسها، ولمعطيات ومتغيرات (عوامل) نسعى في هذه الدراسة للكشف عنها، أو في سياق الحروب الدفاعية و/ أو المقاومة عن الجوف عموماً في وجه القوى الغازية و/ أو طغيانها أثناء سيطرتها على الجوف في حينه، إلا أنه، وطبقاً لما يرويه سليمان العودة نقلاً عن سعد الطارف، لم يسجل عليه أبداً أن أسال أو سفك قطرة دم رجل واحد، وخاصة من أهالي الجوف، سواء من القرشة أو غيرهم، في كل تلك الحروب، وخاصة الحروب الأهلية (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ١٣ من ٢٣، ج ١، وص ١٣ ـ ١٤ من ٢٧، ج ٣).

هناك حالة واحدة ووحيدة واستثنائية، وهي متعلقة بواحدة من خارج الجوف (سكاكا ودومة الجندل) أصلاً، ذكرت وتنسب إلى خليف الفالح؛ تلك هي مقتل «خلف» شقيق عامر المشورب (منصوب نائب حاكم) ابن شعلان بالجوف في أثناء خطة القضاء على عامر المشورب وقتله في ليلة الرابع عشر من ربيع الأول من عام ١٣٣٧هـ الموافق مساء الأربعاء ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، وإن الذي قتله (أي قتل خلف تلك الليلة) هو خليف الفالح طبقاً لرواية سليمان العودة نقلاً عن سعد الطارف (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ١٣ من ٢٣). **إذا** استثنينا أحداث المرحلة الأولى من كون الظلي، وهي في حدود اليوم والليلة، فإن معركة «كون الظلي» وقعت أحداثها «ضحى» اليوم التالي لمساء الليلة السابقة مباشرة لبدء المرحلة الثانية، حيث كما يقول سعد الطارف، لم يستغرق الأمر: «بس «ضحوية»... القرشة مسكوه العشى... وعبروا عليهم المعاقلة الضحى...» (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٧ من ١٦).

من القصص المحزنة والفظيعة في آن، وهي ليست الوحيدة في هذه الكارثة على الجميع، هي في ما يتعلق بقصة مقتل اثنين من ضحايا تلك الواقعة، وهما على علاقة نسب ومصاهرة فيما بينهما، أحدهما من المعاقلة والآخر من القرشة. لن نذكر اسمَي الشخصين، ولكن سنرمز لهما بـ «ص١» و«ص٢». تذهب الرواية إلى «أن «ص١»، كان خارجاً من القصر مع آخرين من القرشة، وكان «ص٢»، مع غيره من المعاقلة المصوِّبين بنادقهم على من يخرج من القصر، وإذا «ص١» خارجاً... فقال له «ص٢»: يا شين وش جايبك؟» (أي: يا هذا ما الذي أتى بك؟)، فخاف «ص١» من أن «ص٢» يريد قتله، فقال لـ «ص٢»: «يا شين وشو له تيّتم هالوغدان؟ (أيا هذا لمَ تريد أن تيتّم أولادي بقتل أبيهم (أي هو نفسه، وأنت جدهم؟). وفي رواية موازية، قال «ص١» لـ «ص٢»: «بنيخيك (أي: بني أخيك ـ بقصد أولاده ـ أي أقرباءك ـ و«ص٢» جدهم) لا تيتّمهم»، فما كان من «ص٢» إلا أن كفل «ص١»، وطلب من جماعته (المعاقلة) عدم التعرض لـ «ص١» أو قتله.. وتركه وقال له رح (اذهب)... وعندما ابتعد «ص١» قليلاً وكان «ص٢» قد أدار ظهره راجعاً، قام «ص١» وأطلق النار على «ص٢»، فقتل الأخير على الفور.. عندها، وحيث رأى بعض المعاقلة ما جرى، قام بعضهم... وقالوا، والله ما يموت (يقصدون «ص٢») وأنت تحيا.. فلحقوا به وقتلوه ((أي قتلوا «ص ١»)) (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢٣، ج ١).

لا يعني ذكر القصة السابقة، أو ما يليها من قصة في الواقعة نفسها، أو قصص من واقعات أخرى، التشنيع بهذا أو ذاك، ولا إدانة أي منهما مهما كان الموقف من الفعل، ولكن الغاية هي لتبيان مدى شناعة الحرب نفسها وأن الأمور التي تبدو غير معقولة يمكن أن تحدث، ولكنها تصبح طبيعية في سياق أجوائها وظروفها وأعرافها وأخلاقياتها (قوانينها، إن جاز القول بذلك) الضاغطة والحاكمة، والتي غالباً ما تلغي العقل والتبصر، ذلك أن الحرب بذاتها عمل أو فعل بشري غير عقلاني بالأصل. وفي هذا السياق، وفي واقعة «كون الظلي»، ليس كل النهايات مأساوية، وإن كادت أن تكون كذلك. من ذلك قصة أطرافها، عضيد عويقيل (الدغيفق) وعايد الضميري (المطر) وفهد المفرح (الدغيفق) من جهة، وعوده الفلاح (الكبيدان) وبعض من جماعة الراشد من جهة أخرى. تشير القصة إلى أن عايد الضميري كان مع المحاصرين في قصر الظلي في واقعة «كون الظلي»، ولكنه تم إنقاذه بتدخل وكفالة عضيد العويقيل، حيث: «... يوم عايد الضميري.... نزله عضيد... منيع عضيد (بكفالته)... قال عضيد مخاطباً عايد؛ وش على هذا، قال عايد؛ الله وأمان الله، قال عضيد؛ وش البارود، قال عايد؛ شيهاني، قال عضيد: حوِّل (انزل).... يوم حوَّل (نزل) عايد الضميري... لهي (البارود) كويتية.... قال عضيد لـ «عايد»: ليه تكذب علي... قال عايد؛ أريد السلامه.... دنق ((انحنى)) يا عضيد وأركبه....»، ويكمل سليمان العودة القصة بالقول عن ملابسات الحادثة والقصة، مشيراً لوالده «عودة الفلاح» وأنه كاد أن يقتل عايد الضميري بطلب من بعض ((أفراد من جماعة من المعاقلة))، رغم أن عايد الضميري كان بكفالة وضمان عضيد العويقيل ودخيله، فيقول: «... قالوا (...)، يا عودة اذبح الرجل.... والله غشيم أبوي، الله يرحمه... متقفيه (من وراءه) فهد المفرح، واحد طويل... وأخوه (أخو عضيد) ابراهيم... ويدخل ((يقصد والده عوده)) البارود بينهم، ويتوازن له يا فهد المفرح، ويضربه بالعقبية ((عقب البارود)).... أبوي غشيم، وإلا الدخيل ما أتعرضه... قالوا (عضيد وابراهيم وفهد) والله لو مات غير تموت...» وينهي كلامه بالإشاده بالقرشة، ويقول عنهم، رغم كون الظلي؛ «... والله ما بهم خلاف طيبين...» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣٨ من ٣٩، ج ٢).

(٢) **رواية القرشة للواقعة:** تجمع رواية القرشة، رغم تنوعها، ـ والتي تنسب غالباً إلى كبار القرشة آنذاك مثل عرفج وآخرين، والتي سمعتها من أكثر من مصدر من أبناء القرشة الحاليين والمهتمين بتاريخ المنطقة ـ، على عدم قبول رواية المعاقلة عن ملابسات واقعة «كون الظلي». ومن تنوعات تلك الرواية، أن واقعة «كون الظلي» وقعت نتيجة لنقض المعاقلة اتفاقاً سبق التفاهم عليه مع القرشة. كان الاتفاق بين القرشة والمعاقلة، كما تقول الرواية، يقضي بالقيام ضد رتبة (نائب حكم) ابن رشيد في الجوف (سكاكا) (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٧ من ١٧).

وفي رواية متصلة مكملة، وإن كانت تبدو فيها إضافات، تقول إن القرشة من جهة والمعاقلة من جهة أخرى اجتمعوا عند «منصور الباسط» اتفقوا على أن يشكلوا حكماً مركزياً من الأهالي، بدلاً من هذه الفوضى بين الشعلان والرشيد والصراع بالبلد بسببهم، وأن يكون هناك حاكم واحد للديرة هو «عساف بن شكر السهيان»، واتفقوا على تشكيل قوة أو حماية عسكرية (الدندار) مشتركة على أن تتكون من ٨٠ رجلاً (أربعين دندار من القرشة وأربعين دندار من المعاقلة)، واتفقوا على القيام على رتبة (نائب

حكم) ابن رشيد، وهو كما تقول الرواية شخص غير مرضي عنه. كان نائب حاكم ابن رشيد موجوداً آنذاك في قصر الظلي في الشلهوب. وتمضي الرواية فتقول: إن مجموعة قوة «دندار» القرشة ذهبت بالفعل إلى هناك، ولكن مجموعة وقوة «دندار» المعاقلة لم تذهب، وأن سبب الاختلاف ربما يعود إلى الخلاف على رئاسة عساف بن شكر السهيان رغم قول الرواية في البداية على الاتفاق على رئاسته (العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ و١٢ من ١٢).

ويتفق، إلى حد ما مع هذه الرواية الأخيرة في خطوطها العريضة وليست التفصيلية بالضرورة، ما قاله لي الأخ فهد الغانم في عام ١٩٨٩م، ومما قاله هو في ما يتعلق في تراجع بعض شيوخ المعاقلة أو تنصلهم على ما يبدو من الاتفاق على القيام مع القرشة على أو ضد رتبة (منصوب) ابن رشيد (وذكر، آنذاك، أنه ابن «صلييبخ «) خوفاً على ما يبدو من أن عساف اللحيد (هو عساف شكر سهيان اللحيد) يريد حكم الديرة ولذلك «يقال إن بعض شيوخ المعاقلة قالوا عساف يريد حكم الديرة، ولذلك لم يقوموا معه» (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩، الموافق ٢١/ ١/ ١٤١٠هـ).

عافت مناع الزيد له رواية تلتقي مع الرواية الكلية، ولكنها تقدم تعليلات مختلفة بعض الشيء، وفيها تداخل بالمعلومات والشخصيات والأزمان والتي تحتاج إلى توضيح وتدقيق لفرز ما ليس له علاقة بالواقعة، ولكن بعد أن نورد الرواية ذاتها. عندما سألت «عافت» عن سبب مهاجمة القرشة لقصر الظلي، رد وقال: إن تلك الحادثة وإن ارتدت على القرشة وكانت في النهاية عليهم ـ ـ، لكن السبب في مهاجمة القرشة لقصر «الظلي» يعود إلى أن ابن رشيد زعل على شكر السهيان، وأنه بسبب ذلك الزعل، قام ابن رشيد، انتقاماً من شكر السهيان وضده، بتنصيب عبده «ابن صلييبخ»، منصوباً (نائباً له في سكاكا)، وطلب من «ابن صلييبخ» أن يقيم في الشلهوب في حي «الظلي»، ولذلك هاجم القرشة القصر لقتل ابن صلييبخ، وهو ما تم بالفعل، وإن كان القرشة خسروا المعركة مع المعاقلة (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢). وعندما سألت «أبا مختار» عن سبب زعل ابن رشيد و«جوهر» (منصوبه ونائبه في الجوف ـ دومة الجندل) على شكر السهيان أصلاً، قال: إن السبب يعود إلى أن الرولة والبدو عادة ما يضعون حضارتهم (مخزون من التمر والزاد لهم لحين الحاجة) عند بعض الحضر، وأن بعض الرولة وضعوا حضارتهم عند الدرعان، (وإن قال لا أدري الآن من هم)، ثم لاحقاً طلبوها وأخذهوها في وقت كان ابن رشيد هو حاكم سكاكا والجوف، فلما أخبر «جوهر» بالأمر غضب وقَدِم لـ «سكاكا»، وذهب إلى «المسقوف» (مقر مشيخة السهيان ـ تحت «جبل زعبل»، وطلب من ابن شكر أن يجمع له الجماعة (أي القرشة)، فلما اجتمعت القرشة، قال جوهر للحاضرين: إن الدرعان «خانوا الله ورسوله، وابن رشيد»، ولذلك لا بد من معاقبة الدرعان «بأن تقطع نخلهم» وكل واحد منكم يجهز فاس للأمر. فقام «مفضي العطية» وقال يا جوهر ما حنا مقطعين نخل الدرعان؛ الدرعان منا وفينا (أبناء عمومتنا) ولو عملنا هذا حريمنا (نساؤنا) ما يرضن. رد عليه جوهر وقال: «تخسى وتقطع والله غضب عليك غير تقطع نخلهم»، فرد عليه مفضي العطية وهو خارجاً من «المسقوف»، وقال يا جوهر: «تخسى وتقطع» قبل ما تصلني وصلت اللي يمينك واللي يسارك. وتذهب الرواية إلى القول، إنه وبخروج مفضي العطية ومع ما ردَّه على جوهر، بدأ الحضور بمغادرة «المسقوف» والوقوف من «ابن العطية»، ولم يبقَ بالمكان إلا تقريباً شكر

السهيان وجوهر. طلب شكر من جوهر أن يخرجا ويصعدا إلى أعلى الجبل، لكي يتدبّرا الأمر في الفضاء. في هذه الأثناء كان مفضي العطية يجمع ويحرِّض القرشة على التجمع والتجمهر، والقيام بالعرضات مع إطلاق النار، والتوجه إلى شكر السهيان وجوهر. عندما لاحظ العبد جوهر تلك الجموع وهي تطلق النار وتقوم بالعرضات، خاف وقال لشكر وش السواة (ما الحل) يا شكر؟ قال شكر: والله ما فيه سواة (حل) إلا أنا وأنت نقابلهم ونشوف وش (ماذا) يصير. عندها نزل شكر السهيان وجوهر واتجها نحو الجموع التي تقوم بالعرضات، وفي مقدمتهم مفضي العطية وهو يرمي بالنار، وكان ذلك عند «الحزم» (المرتفع من الأرض) الذي فيه بيوت مشعل النداء حالياً، طلب جوهر «الصفح والسموح» من مفضي العطية، وعندها قصد مفضي قصيدة، منها:..... والعبد لو فتح عيونه.....؟؟ بعدها أوشى جوهر بشكر السهيان عند ابن رشيد، والذي أرسل ابن صلييبخ حاكماً لسكاكا، وأن يكون مقره منطقة الشلهوب «قصر الظلي» ولذلك قام القرشة عليه، فوقعت معركة أو كون «الظلي» بين القرشة والمعاقلة.

طبعاً، في الغالب، لا أريد أن أتدخل في الروايات، ولكن رواية عافت الزيد فيها بعض التداخلات بين معلومات الأحداث والشخصيات والأزمان، والتي توحي ببعض اللبس أو التناقض، ولذلك تحتاج إلى بعض التوضيح:

١ ـ «شكر السهيان» في وقت واقعة أو كون «الظلي» (أي بحدود ١٩٠٧م) كان متوفياً، ومن كان بمكانه هو ابنه عساف شكر، وعلى خلاف مع عمه خليفة السهيان، على مشيخة القرشة، على الأقل طبقاً لرواية المعاقلة عن واقعة أو كون «الظلي».

٢ ـ أن «مفضي العطية» أيضاً ربما في هذا الوقت (أيام كون «الظلي») كان متوفياً، أو مسنّاً وكبيراً جداً لا يقوى على مثل هذه الفاعلية أصلاً. ويبدو أن القصة المنسوبة إليه وموقفه من قطع نخيل الدرعان تعود إلى فترة حوالي ١٨٧١م، وخاصة أن «جوهر» عيِّن منصوباً لِابن رشيد بعد نهاية الحملة التركية للجوف في نهاية ١٨٧٠م. وأرجح أن قصة «مفضي العطية» تلك سابقة لوجود جوهر ذاته، وأن الأمر يعود إلى ما قبل ذلك، بالذات يعود إلى حدود ١٨٥٣م عندما وقع تمرد بالجوف (في دومة وسكاكا) ضد ابن رشيد، ويبدو أنه استعين بابن شعلان للقيام بالأمر واستمر لمدة حوالي الشهر. على إثرها قَدِم ابن رشيد لمعاقبة المتمردين ومنهم السراح في دومة (حيث اعتقل غالب وحطاب ـ ومجموعات من أهالي الجوف تقدر بحوالي السبعين أو الثمانين رجلاً) وقد ناصر السراح بعض من أهالي سكاكا، وبالذات بعض القرشة، وكان أن وقعت معارك بين أهالي الجوف (دومة وسكاكا) من جهة، ومع ابن رشيد وقواته من جهة أخرى، خسر في عدد منها، قبل أن يحكم سيطرته على الجوف بالخدعة والقوة. في إحدى تلك المعارك، وما فيها من تلميح بقطع النخيل من قبل ابن رشيد، كان ظهور ودور مفضي العطية. أما في كون «الظلي» فهو على الأرجح كان متوفياً. ولذلك فقضية البدو والتمر والدرعان والانتقام منهم، يبدو على الأرجح أنها وقعت في وقت سابق وبعيد إلى الوراء من واقعة أو كون «الظلي»، أو أنها وقعت بعد الواقعة بوقت ليس قليل وأرجّح الاحتمال الأخير لملابسات تتشابه مع أحداث واقعات أخرى سنمر عليها. من هنا فلا نرى لها صلة بالموضوع.

٣ ـ ما يهم من الرواية هو في جوهرها، والتي تتوافق إلى حد ما مع الرواية الكلية للقرشة، فهي تركز على قيام القرشة بالقيام على منصوب ابن رشيد «ابن صليبيخ»، لأن ابن رشيد، وفي حالة من زعل ما على القرشة، عيّن ابن صليبيخ حاكماً في سكاكا وطلب منه الاستقرار بالشلهوب، وهو ما يعني ضمنياً، من خلال رواية عافت الزيد، كما هي تلميحات الروايات الأخرى للقرشة بما فيها السابق ذكرها، أن مقر حكم نائب ابن رشيد في سكاكا هو في حي «الضلع» (قلب منطقة الضويحي/ القرشة لمن لا يعرفه)، وأن «منصوب أو رتبة أو نائب حكم ابن رشيد في سكاكا، إما يكون بحكم وجوده في حي الضلع تحت نفوذ القرشة/ السهيان بمن فيهم شكر السهيان، قبل مماته، هو ممثل أو وكيل ابن رشيد في سكاكا (رغم أن «جوهر» كان هو نائب ابن رشيد في الجوف عموماً بما يشمل دومة الجندل وسكاكا، ومقرّه كان دومة الجندل والتي كان يطلق عليها آنذاك الجوف). من هنا فإن تعيين منصوب في سكاكا، ـ (بغض النظر عن من هو، وهل هو «ابن صليبيخ» أو «السنيدي»، أو في رواية أخرى عبد الرحمن الفايز، وبغض النظر عن الموقف من مشيخة السهيان بدعم خليفة السهيان ضد ابن أخيه عساف شكر السهيان، طبقاً لرواية المعاقلة) ـ، ونقل مقره إلى الشلهوب في «قصر الظلي» هو ما أثار غضب القرشة وبالتالي قيامهم ضد ابن رشيد ومنصوبه في سكاكا.

الاختلاف الرئيس بين رواية المعاقلة ورواية القرشة، يبقى في أن المعاقلة يؤكدون أن دعم ابن رشيد من خلال منصوبه (السنيدي ومساعدة ابن صليبيخ) لمشيخة خليفة السهيان ضد ابن أخيه عساف شكر السهيان، وبالتالي قيام أغلبية القرشة مع عساف الشكر ضد عمه خليفة وضد منصوب ابن رشيد، المشار إليه أو إلى أي منهم أعلاه، هو الذي دفع بالقرشة للهجوم على قصر «الظلي» حيث مقر الحكم هناك. وحيث إن المعاقلة في هذه الفترة عون (حلفاء) لـ «ابن رشيد» فقد ناصروه وناصروا الشلهوب الذين طلبوا المناصرة والمساعدة، فوقعت المعركة الكارثة بين الطرفين. تتكلم الرواية الكلية للقرشة عن اتفاق بين القرشة والمعاقلة على القيام على منصوب ابن رشيد (في رواية القرشة «ابن صليبيخ» هو المستهدف في الغالب)، وتستهدف في النهاية منع تدخلات كل من الرشيد والشعلان بشؤون الجوف وحكمها، وأن المعاقلة هم الذين تراجعوا تخلفوا عن المشاركة في الهجوم، بل انقلبوا، عند التنفيذ، على القرشة عندما تم الهجوم فكانت الكارثة بحرب أو كون «الظلي».

عندما سمعت مسألة الاتفاق بين القرشة والمعاقلة، فيما ورد في الرواية الكلية للقرشة، وخاصة ما ورد من هذه الرواية، كما ينقلها أبو يزيد/ محمد سليمان الشاعل، وكذلك من زايد محمد العابط، ذكرتهما برواية المعاقلة عن واقعة «كون الظلي»، ولكنهم قالوا إن هذا ما سمعوه من شيابهم (كبارهم) وبالذات من عرفج الجابر. سألت أبا يزيد (محمد الشاعل)، وقلت له حسب كل ما سمعته من رواة المعاقلة، وأشهرهم على الإطلاق سعد الطارف، لا أحد يذكر أن كان هناك اتفاق بين المعاقلة والقرشة على تلك المسألة، بل إن سعد الطارف، عندما سألته هل صحيح، كما قال لي أحد الإخوة من القرشة في عام ١٩٨٩م: إن المعاقلة والقرشة كانوا متفاهمين على أنهم يذهبون سوية إلى قصر «الظلي» للاستيلاء عليه وقتل رتبة ابن رشيد القابع فيه، ويطردون بالتالي كلاً من ابن رشيد وابن شعلان من الجوف، ولكن المعاقلة خافوا من القرشة وانحرفوا عليهم ـ ـ ـ، رد سعد الطارف وقال: «لا لا ما هو صحيح... هذه بوقه»، منكراً بذلك أن

يكون هناك أي اتفاق من هذا القبيل (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٧ من ١٦). كان الرد من أبي يزيد على من هم طرف بالاتفاق بالقول إن الاتفاق «ربما بين القرشة والشلهوب أيام عساف شكر السهيان ـ ـ ـ وأن كل ما أسمعه، وهذا ما سمعته من عرفج أن الشلهوب عندهم خبر بالموضوع، أو بعضهم على الأقل» (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢).

هذه النقطة الأخيرة تثير دور الشلهوب في واقعة «كون الظلي» وهل هناك اتفاق معهم أو مع بعضهم في التحرك. الجواب، فضلاً عما إذا كان صحيحاً ما أشار إليه أبو يزيد عن معرفة بعض من الشلهوب في خطة القيام على رتبة ابن رشيد (السنيدي، ومساعده ابن صليبيخ)، وكذلك عن دور عضيد الشوشلي، وهو أصلاً من الشلهوب بتسهيل وإدخال المهاجمين (القرشة) لاقتحام القصر، يمكن أن نجده عند صالح العدوان المنديل وروايته للمسألة، حيث سألته: «يا أبا نايف، لماذا القرشة احتلوا قصر «الظلي»، ماذا يريدون؟ ما هو السبب؟ فقال: إنهم يريدون، على ما يبدو، السيطرة على الشلهوب أولاً، ثم السيطرة على الديرة من خلال السيطرة على المعاقلة ثانياً» (المنديل، صالح عدوان، لقاء وحديث (III)، الثلاثاء في ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢)، علماً أن فكرة التخوّف لدى المعاقلة من احتمال سيطرة القرشة على الديرة (سكاكا كلها)، بزعامة عساف شكر السهيان، هي ما يرجحها فهد الغانم، كما أشرنا إليه سابقاً، عن تراجع المعاقلة، أو بعض شيوخها عن عدم الالتزام بالاتفاق مع القرشة للقيام ضد منصوب أو رتبة ابن رشيد (الغانم، فهد، مقابلة، في ٢٢/ ٨/ ١٩٨٩، الموافق ٢١/ ١/ ١٤١٠هـ).

وفي حادثة ذات صلة بواقعة أو كون الظلي، والتي يمكن أن تلقي الضوء على ما قاله أبو يزيد آنفاً من دور ما للشلهوب، ذكر أبو نايف (صالح العدوان) القصة التالية، وأنا ألخصها هنا على الجملة، وعلماً أن ما بين قوسين مزدوجين هي من الباحث للتوضيح: «إن عساف شكر السهيان أوصى بطلب الاجتماع مع عساف المنديل، وكان أن قام بمهمة الرسل اثنان من الشلهوب، أحدهما هو توفيق جد عبد المصلح السحيم، وآخر معه لم يتذكره، وكانا في العادة يذهبان إلى ابن سهيان لتناول القهوة هناك. طلب منهم عساف شكر السهيان إبلاغ عساف المنديل برغبته الاجتماع به. وإذ تم التبليغ ذهب الثلاثة (بمن فيهم عساف المنديل) إلى هناك، ومع اقترابهم من منطقة شمال سوق البحر (لمن لا يعرف سوق البحر، وخاصة من خارج سكاكا والجوف، هو المنطقة حول ما يعرف بمسجد الشيخ فيصل بن مبارك وما حولها حالياً)، بدا أن هناك عدة مجموعات متفرقة في تلك المنطقة، فبدأ انزعاج عساف المنديل من ذلك المظهر والحدث، فسأل توفيق وصاحبه: ما هذا؟ ما هذه المجموعات؟ ماذا تعرفون عنها؟ ويبدو أن عساف المنديل أوجس خشية، كما قال أبو نايف، وظن أنها خديعة للإيقاع به من قبل توفيق وصاحبه بالتآمر مع تلك المجموعات، فنفيا علمهما بأي شيء. واصل الثلاثة المسير باتجاه عساف شكر السهيان، وعند وصولهم قدم عساف شكر ورحب بهم. قال له عساف المنديل إنك على ما يبدو وصّيت عليّ ((طلبتني))، فماذا تريد؟ فقال له عساف شكر السهيان إنه يريد أن يعرض عليه أمراً هاماً ويريد رأيه فيه، فقال عساف المنديل، ما هو الأمر؟ فقال عساف السهيان إنه يريد قتل «ابن مظهور» (وهذا الأخير لمن لا يعرفه هو شيخ وعمدة الشلهوب آنذاك)، وأن المظهور «شجرة»... لا بد من اجتثاثها. رد عليه عساف المنديل وقال: إن هؤلاء ((يقصد المظهور)) قرابته، ولا يمكن له أن يوافق على مثل هذا العمل، وإن

كنتم أنتم يا عساف السهيان والقرشة تريدون أن تفعلوا ذلك فهذا الأمر لكم وليس لي، وأنا لا أردكم ولا أهدكم، ولكن لن أوافق أو أشارك فيه ((يبدو أن عساف المنديل في قوله لا أردكم ولا أهدكم كان مضطراً إليه، إذ هو في وضع حرج وكان يريد التخلص أولاً)). بعد ذلك، كما يقول أبو نايف، غادر عساف المنديل، وهو خائف حذر من احتمال تعرّضه لأذى، أو اغتياله، وقد عبَر من خلال سويقات ديرة هلال سالم النصر ثم انحرف مسرعاً شمالاً واستدار من شمال وغرب الديرة حتى وصل سيل الهذال ((لمن لا يعرف سيل الهذال، وخاصة ممن هم من خارج سكاكا، هو شارع الهذال حالياً ـ ـ وهو في الأصل سيل الغديّر/ الدغيفق الواقع بين الدغيفق والكبيدان ـ ـ وسوف نأتي على أسباب تسميته بـ «الهذال» في مكان آخر من الدراسة)). ختم أبو نايف، ملمحاً القول إلى أن عساف المنديل ربما اعتقد بأن توفيق وصاحبه كانا موافقين على تلك العملية، وذكر أن القرشة عندما قرروا مهاجمة قصر «الظلي» طلبوا، على ما يبدو من أحد الاشخاص، والذي له علاقة طيبة مع العقيلي «جد غافل»، أن يفتح له الباب، وأنه بعد أن استأمن العقيلي صاحبه من عدم وجود آخرين فتح له الباب، فما كان من القرشة المهاجمين إلا أن دخلوا قصر «الظلي» واستولوا عليه (المنديل، صالح عدوان، لقاء وحديث (III)، في ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢).

يبدو أن مشاركة بعض من الشلهوب في السيطرة على قصر الظلي، وإن كانت محدودة العدد قد أثارت شجون واحد من رجالاتهم، وكان، آنذاك، مع آخرين من الشلهوب (وكان معه: خلف الدغمان، وفيصل المطرود، ورمان الحمد، وعتيق ومصارع الظلي) ومن الجوف عموماً، في الغربية (الشام وفلسطين)، بحثاً عن العمل، وعندما وصلته أخبار كون الظلي قصد هذه القصيدة، كما يرويها سعد الطارف (الطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩)، ومخاطباً بها جماعته الشلهوب، بل فيها معاتبة لهم، وحدة على بعض منهم.

قصيدة ابراهيم العيشان في أحداث «كون الظلي»

يـا راكـب مـن عـنـدنـا فـوق ثـنـتـين	حـايـلات مـع ريـح الـهـبـوب أقـرشـني
يـا عـارفـين الـرجـم مـا هـن بـعـارين	ولاهـن طـيـور ولا مـع الـلـي مشـني
الـمـزن زوم والـبـرد[٢٧] لـه همـالـين	أول مـا كـبـه فـوق قـصـر ابـن ظـلي
قـل اخـسـو خسيتـم يـا قـلـوب البعـارين	ولـيـه أطـيـع الـعـداء بـإبـن عـمي
مـن مثـلكـم يقـعـد عـلـى حـافـة السيل	يـصـبـر ولـو ان الـسـحـاب استـهـلي

٢ ـ واقعة مسجد الجمعة ومؤامرة القتل (١٨٨١ ـ ١٨٨٣؟)

أ ـ في تحديد تاريخ الواقعة

بداية نود أن نقول إنه ليس هناك سنة محددة بعينها تؤرخ لوقوع واقعة مؤامرة القتل «المزعومة» بين القرشة والمعاقلة، ذلك أنني، وللأسف، لم أجد من المصادر، (سواء من الرواة الذين قابلت و/ أو أية مصادر أخرى)، ما يعينني على تحديدها. وحيث إن الواقعة أو محاولة القيام بمؤامرة القتل إنما

(٢٧) البرد، حسب قول سعد الطارف، هو: الرصاص.

حدثت في وقت كان فيه كل من فلاح الشردان وشكر السهيان على قيد الحياة، وكانا في زمن عز وقوة نفوذ مشيختهما، ـ ـ (علماً أن وفاة شكر السهيان كانت حدثت قبيل «كون الظلي» مباشرة، وكون الظلي وقعت أحداثها، في الغالب، في صيف ١٩٠٧م ـ ١٣٢٥هـ، بناء على مناقشتنا حول واقعة «كون الظلي») (للتفصيل، انظر مناقشات واقعة «كون الظلي») ـ ـ، فإنني أرجح أن تكون وقعت بعد سنوات من تولي فلاح الشردان مشيخة الراشد والدغيفق. وحيث إن مشيخة فلاح الشردان تمت في ما بعد ١٨٧٠ (أي بعد نهاية الحملة التركية على الجوف)، وبعد واقعة «المديرس» (أوائل ١٨٧١م) ونرجح، كما حددنا ذلك في مناقشة واقعة «سيسرا» (للتفصيل، انظر المناقشات عن واقعة «سيسرا») أنها (أي مشيخة فلاح الشردان) وقعت ما بين ١٨٧٢ و١٨٧٥م، فإن واقعة «مسجد الجمعة» لا بد أن تكون وقعت في وقت ما من إحدى السنوات ما بين عام ١٨٧٥م وما بين قبل وفاة فلاح الشردان بعدة سنوات، علماً، أن وفاته ربما كانت في أوائل أو منتصف عقد التسعينات من القرن نفسه (١٨٩٠s). قبل متابعة مناقشة واقعة «مسجد الجمعة» ولارتباطها بحياة، وبوفاة فلاح الشردان، فإن الأمر يتطلب أولاً تحديد الوفاة، وهذا ما سنقوم به تالياً.

ب ـ وفاة فلاح الشردان (١٨٩١، أو١٨٩٦، أو ١٨٩٩م؟)

ليس هناك تاريخ مؤكد لوفاة فلاح الشردان، ولكن هناك ما يفيد بالإحالة إليه وهو ما نحاول بيانه والانطلاق منه تالياً. وفاة فلاح الشردان يبدو أنها وقعت في سنة ما بين ١٨٩١ و١٩٠٠م. أما لماذا ١٩٠٠ كحد أقصى، و١٨٩١م كحد أدنى لوقوعها، فالأمر يتعلق بتاريخ متوقع لوفاة فلاح الشردان نحاول أن نقترب منه، وذلك من خلال الإحالة على أقوال سعد الطارف نفسه عن «عمره» هو. فطبقاً لأقوال سعد الطارف عن نفسه، فإنه يقول إنه للتو كان مولوداً وقت وفاة فلاح الشردان، وبكلامه هو: «أنا توني مجيوب» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٢٠ من ٢١)، علماً أن سعد الطارف توفي في ١٣ ـ ٤ ـ ١٤١٧هـ، طبقاً لإفادة حفيده «سعد سليمان سعد الطارف» في اتصال هاتفي معي (الطارف، سعد سليمان سعد، اتصال هاتفي (جوال)، مساء الجمعة؛ ١٠ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٣م)، وهو ما يعني أن وفاة سعد الطارف، بالتاريخ الميلادي المقابل، تكون وقعت في يوم الأربعاء الموافق ٢٨ ـ أغسطس ـ ١٩٩٦م.

نتوقع أن سعد الطارف عند وفاته كان عمره، على ما يبدو، ١٠٠ سنة أو في حدودها زيادة أو نقصاناً بقليل. سمعت من عائلة الطارف أن عمره يتجاوز ١١٠ أعوام، بل إن حفيده (سعد سليمان الطارف) وفي اتصال هاتفي معه، عندما سألته عن عمر جده وقت وفاته، قال إن عمره ١٤٢ عاماً (الطارف، سعد سليمان سعد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٢٧/ ٩/ ٢٠١٠: ١٢:١٢ ـ ١٢:٢٢ ظهراً). وفي نفس السياق يقول سليمان العودة إن عمر سعد الطارف عند وفاته كان بحدود ١٣٠ عاماً (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٧ من ٣٩ من الجزء الثاني). إن ردي على هذه الأقوال، إن هذا غير ممكن على الإطلاق، وأبيّن تالياً لماذا.

إن هذه التقديرات من عائلة الطارف لعمر سعد الطارف مشكوك في دقتها، ولا يمكن قبولها أو اعتمادها، لأنه لو قبلنا مؤقتاً، على سبيل الافتراض، أن عمره عند وفاته كان ١٤٢ عاماً لكان هذا يعني أنه

ولد، كما هي وفاة فلاح الشردان، في عام ١٨٥٤م، وهذا غير صحيح على الإطلاق، ذلك أن مشيخة فلاح الشردان لم تظهر إلا بعد الحملة التركية (نهاية ١٨٧٠م)، وبعد واقعة المديرس (أوائل ١٨٧١م)، وكان فلاح الشردان نفسه، شاهداً على حادثة «سيسرا»، وواقعة مؤامرة القتل في «مسجد الجمعة» في «الضلع»، وما أعقبها من بناء مسجد المعاقلة لصلاة الجمعة في الفترة ما بين ١٨٧٩ ـ ١٨٨٣م أو بحدودها زيادة أو نقصاناً بعض الشيء. وحتى القول إن عمره وقت وفاته كان هو ١١٠ سنوات فيه قدر من الشك كبير، لأنه لو كان صحيحاً لكان هذا يعني أن ولادته كانت في عام ١٨٨٦م، وهو ما يعني في الوقت نفسه أن وفاة فلاح ابن شردان كانت في تلك السنة أي ١٨٨٦م، وهذا أمر غير معقول، لأن مشيخة فلاح الشردان استمرت لأكثر من عشرين سنة من ما بعد الحملة التركية وواقعة المديرس آنفة الذكر، ولو كان عمر سعد الطارف عند وفاته أكثر من ١١٠ لكانت غير المعقولية لوفاة فلاح الشردان أكبر وأعظم.

إن عمر سعد الطارف وقت وفاته كان، على ما يبدو، يترواح ما بين ٩٧ سنة كحد أدنى وما بين ١٠٥سنوات كحد أقصى ممكن، ونرجح أن عمره بحدود ١٠٠ سنة، ونستدل على ذلك بما يلي:

أولاً: أن سعد الطارف نفسه، يقول وقت ما عرف بواقعة «كون الظلي»، يقول إنه كان يتذكر سماع أصوات ونحيب النساء، قريبات القتلى، على قتلاهن ممن قتلوا من المعاقلة في الواقعة عينها، إذ هو يقول، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح): «والله هاك اليوم وهن يصيّحن، هذه ربيعة ((؟)) تصيح على أخوها مفضي، جد مفضي هذا، ـ ((يقصد بـ «مفضي هذا» على ما يبدو مفضي المشحن)) ـ، وهذه مرزوقة أم عايض، ـ ((يبدو يقصد عايض الزيد))، ـ تصيّح على ولد خالها مغرق ذبح بكون الظلي، واللي يصيّح على خليفة الواكد، لهن صوايح، كنها هالساعة، الضحى الضحى...» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٣ من ٢١)، وهو ما يعني، إذ كان هذا صحيحاً، أنه كان صغيراً وقت حدوث «كون الظلي»، وربما عمره يتراوح ما بين ٧ سنوات إلى ١١ سنة. وحيث الأمر كذلك، ومعه أنه من المعلوم أن واقعة «كون الظلي» حدثت، في الغالب، في صيف عام ١٣٢٥هـ الموافق صيف ١٩٠٧م (انظر التفصيلات عن ذلك في مناقشة «كون الظلي» نفسها)، فإن سنة ولادة سعد الطارف، وهي كذلك سنة وفاة فلاح الشردان، تكون قد وقعت في واحدة من السنوات التالية:

١ ـ إما في عام ١٩٠٠م على فرض عمره في كون الظلي ٧ سنوات.

٢ ـ أو في عام ١٨٩٩م على فرض عمره في كون الظلي ٨ سنوات.

٣ ـ أو في عام ١٨٩٨م على فرض عمره في كون الظلي ٩ سنوات.

٤ ـ أو في عام ١٨٩٧ م على فرض عمره في كون الظلي ١٠ سنوات.

٥ ـ او في عام ١٨٩٦ م على فرض عمره في كون الظلي ١١ سنة.

ثانياً: إن سعد الطارف، نفسه، ووقت ما عرف بواقعة الغطغط أو الغطيغط (دخول قوات من الرولة ـ الشعلان ومعهم مجموعات من البادية، ومنهم الصخور، عن طريق حي «المطر» لمهاجمة المعاقلة) والتي وقعت تقريباً في وقت ما من عام ١٩٢٠م، على وقت سيطرة ابن رشيد على الجوف بعد مقتل منصوب ابن شعلان، يقول إنه: «والله إن هذا سمع آذاني هذولي» عبارات «عطونا فاس عطونا

فاس»... «يا رجال اطلعوا جاي ((هنا))... هذا حكي ما يمضي ((ما يمشي))... امشوا على الرجال...»، التي كان يقولها خليف الفالح للمدافعين من المعاقلة متقدماً فيهم، وطالباً أدوات القتال والتقدم نحو مواجهة ومقاتلة المهاجمين (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١١ من ٢١)، وهو بذلك يشير إلى أنه كان شاباً عندما وقعت تلك الواقعة، وأشك أن يكون تجاوز عمره ٢١ سنة. وإذا قدَّرنا أن عمره وقت واقعة الغطيغط (أو الغطغط) كان بحدود ٢٠ أو ٢١ سنه، هذا إن لم يكن أقل، فيكون عمره وقت وفاته في ١٩٩٦م قد وصل ٩٧ سنة تقريباً (٢١سنة من الواقعة + ٧٦ بعد الواقعة وحتى وفاته ١٩٩٦م)، وهو ما يعني أن ولادته، وكذلك وفاة فلاح الشردان، كانت في ١٨٩٩م أو في حدودها. وإذا كان عمره وقت واقعة الغطغط/ الغطيغط أقل أي بحدود ١٦ أو ١٧ أو ١٨ سنة، فإن عمره وقت وفاته ١٩٩٦م، إما ٩٢ سنة أو ٩٣ سنة أو ٩٤ سنة على التوالي، وهو ما يعني أن ولادته، وكذلك وفاة فلاح الشردان، كانت إما عام ١٩٠٤ أو عام ١٩٠٣ أو عام ١٩٠٢م، وهذه احتمالات ولكنها ضعيفة جداً، لأن هناك مشيخات خليف الفالح على الدغيفق، وراشد القايد وذباح المويشير على جماعتي الراشد (الشماليين أو ما يعرف بـ «رواشدة الوسطه وعليهم راشد القايد، والجنوبيين، أو ما يعرفون برواشدة الحزوم وعليهم ذباح المويشير) كانت قد ظهرت لبعض الوقت (سنوات)، وهي من المؤكد قبل ١٩٠٤م كما سنبين لاحقاً، وهي كلها حدثت بعد وفاة فلاح الشردان.

في السياق نفسه، لو تجاوزنا، كحد أقصى، وقلنا إن عمر «سعد الطارف» كان بحدود ٢٩ إلى ٣٠ عاماً وقت واقعة الغطغط/ الغطيغط، وهو احتمال ضعيف جداً، فهذا يعني أن عمره وقت وفاته كانت تدور حول ١٠٥ أعوام، وهو ما يعني أن ولادته، وكذلك وفاة فلاح الشردان، كانت في حدود ١٨٩١م.

ثالثاً: انطلاقاً من تقدير العمر الحالي لِإبن سعد الطارف، أي عمْر «سليمان سعد الطارف» (أبو داوود)، وطبقاً لأقوال حفيده «سعد»، عندما سألت الأخير عن عمر أبيه سليمان أنه فوق الـ «٨٠ سنة» (الطارف، سعد سليمان سعد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٤/ ١٠/ ٢٠١٠، الساعة ٥:٤٣ ـ ٥:٥ مساء). والقول بأن عمْر سليمان سعد الطارف هو حوالي ٨٠ عاماً، وإن كان ليس مؤكداً وفيه على ما يبدو قدر من المغالاة، يمكن قبوله، ولو مؤقتاً، إذا احتسب العمر بالسنوات الهجرية، ذلك أن هناك زيادة تقدر بنحو ٢,٥ سنة عن عمره «مقدراً بالتاريخ الميلادي، وهو ما يعني أن عمره بالميلادي أقل من ٨٠ سنة بعدد لا يقل عن السنتين على نحو شبه مؤكد. من هنا نحن نقدر، مرجحين، أن عمْر سليمان ابن سعد الطارف وقت الاتصال (تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٠م) يدور حول ٧٥ سنة، زيادة أو نقصاناً قليلاً تقريباً. وإذا كان هذا صحيحاً، وبافتراض أن والده سعد الطارف قد تزوج أمه وكان عمر الأخير، آنذاك، ما بين ٢٥ أو ٣٠ عاماً، فإن عمر الأخير (أي سعد الطارف) سيدور ما بين ١٠٠ و١٠٥ أعوام.

من هنا سيكون عمْر سعد الطارف وقت وفاته (٢٨ ـ آب/ أغسطس ١٩٩٦م) هو: إما بحدود ١٠٠عام، وهذا يعني أن ولادة سعد الطارف، وكذلك وفاة فلاح الشردان كانت في ١٨٩٦م، أو يكون عمره ١٠٥ أعوام وقت وفاته، وهو ما يعني أن ولادته، وكذلك وفاة فلاح الشردان، كانت في حدود ١٨٩١م.

بناء على ما تقدم تكون ولادة سعد الطارف، وهو ما يعني في الوقت نفسه وفاة فلاح الشردان إما في ١٨٩٩، أو في عام ١٨٩٦، أو في عام ١٨٩١م، إذا افترضنا أن عمره وقت وفاته كان إما ٩٧ سنة، أو ١٠٠ سنة، أو ١٠٥سنوات على التوالي. ومع ذلك كله، نرجح أن يكون عمْر سعد الطارف وقت وفاته كان يدور حوالي ١٠٠ سنة (زيادة أو نقصاناً بعض الشيء)، وبالتالي كانت ولادته وكذلك وفاة فلاح الشردان هي تدور حول حدود ١٨٩٦م (زيادة أو نقصانا بعض الشيء).

في ما يتعلق بالحد الأعلى لوفاة ابن شردان في ١٨٩٩م، فالسبب يعود إلى أن مشيخة خليف الفالح على جماعته الدغيفق، وكل من راشد القايد وذباح المويشير على جماعتيهما المباشرتين (الرواشد الشماليين والرواشد الجنوبيين على التوالي) حدثت بعد وفاة فلاح الشردان، ولم تحدث قبلها على الإطلاق، لأن مشيخة الأخير، وحتى وفاته كانت سارية على الدغيفق والراشد جميعاً، وكذلك تمت تلك المشيخات (خليف الفالح وراشد القايد وذباح المويشير)، حيث إنه كما يقول سعد الطارف، في أكثر من حديث ومنها، قوله؛ «ويوم مات فلاح الشردان... قام ذباح المويشير يم ابن رشيد، وقال له إن فلاح الشردان مات... وربعي مريديني، وكتب له العبد ((يقصد على ما يبدو جوهر منصوب ابن رشيد في الجوف)) أنه أمير للراشد... وشاخ خليف الفالح على الدغيفق...» (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٣ من ١٦).

حدثت تلك المشيخات في أثناء وجود منصوب ابن رشيد «جوهر» في الجوف، وإشارة سعد الطارف في الاقتباس السابق إلى «العبد» واضحة الدلالة، علماً أن تواجد «جوهر» منصوباً لِإبن رشيد على الجوف امتد من نهاية الحملة التركية (نهاية ١٨٧٠ وأوائل ١٨٧١م) وحتى عام ١٣١٨هـ (الموافق١٩٠١م) تقريباً طبقاً، أولاً، لمدوّنة تاريخية من حيث الإشارة إلى بداية تعيينه من قبل محمد العبد الله الرشيد، بعد انكفاء ونهاية الحملة التركية تماماً (القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان، «مدوّنة» في ملف من مجموعة أوراق، تسليم واستلام في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢)، وكذلك طبقاً، ثانياً، لما تواتر ذكره من مقابلته أو مشاهدته في الجوف من قبل معظم الرحالة الغربيين، الذين زاروا الجوف منذ ١٨٧٩م (الليدي بلنت، وتشالرز هوبر) وحتى ١٩٠١م، حيث زيارة «ارتشيبالد فوردر» الذي كان، على ما يبدو، شاهداً على وجوده «أي جوهر»، علماً أن الرحالة أس. أس بتلر ول. أيلمر عندما زارا الجوف في نهاية كانون الثاني/ يناير ١٩٠٨م، كان فيصل بن حمود الرشيد معيناً أميراً على الجوف منذ شهر تقريباً (أي من يناير ١٩٠٨ أو نهاية كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٧) نائباً عن أخيه حاكم حائل (سعود بن حمود الرشيد)، ووكيله في سكاكا كان شخصاً يدعى «علي ابن جارد» (Ibn Gaarde) (بتلر، رحلة بتلر وإيلمر ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٥٦)، علماً أن «السنيدي»، وكان مساعده ابن صليبيخ، وفي رواية أخرى «عبد الرحمن الفايز» أثناء واقعة «كون الظلي»، ـ (واقعة الظلي جرت، في الغالب، في صيف ١٩٠٧م ـ ١٣٢٥هـ. للمزيد انظر التفاصيل في الواقعة)، هو منصوب ابن رشيد في سكاكا. وإذا صح أن وفاة ذباح المويشير كانت في وقت ما من عام ١٣٢٢هـ (السيف، ٢٠٠٢: ٥٨)، وهو ما يوافق وقتاً ما من ١٩٠٤ أو في حدودها، فهذا يعني أن تلك المشيخات التي تمخضت بعد وفاة «ابن شردان» لا يمكن إلا أن تكون وقعت قبل عدة سنوات من هذا التاريخ (١٩٠٤م) ونرجح أنها وقعت في سنة ما قبل ١٩٠٠م.

من هنا وبناء على ما تقدم نخلص إلى القول في ما يتعلق بوفاة فلاح الشردان: إنه وحيث نرجح أن ولادة سعد الطارف كانت في ١٨٩٦م أو في حدودها (زيادة أو نقصاناً قليلاً)، فإن وفاة فلاح الشردان تكون قد وقعت في تلك السنة (أي ١٨٩٦ م) أو في حدودها (زيادة أو نقصاناً قليلاً).

وحيث إن واقعة «مسجد الجمعة» حدثت قبل وفاة فلاح الشردان بعدة سنوات، وربما بما لا يقل عن عشر سنوات، فإن واقعة مسجد المسجد، لا بد أن تكون قد وقعت ما بين ١٨٧٥ م و١٨٩٠م، ونرجح انها وقعت ما بين ١٨٨٠ و١٨٩٠م، وهي أقرب في حدوثها إلى الحد الادنى (١٨٨٠) منه إلى الحد الأعلى (١٨٩٠) كما سنبين هذا الترجيح لاحقاً.

إن واقعة «بئر سيسرا» لاحقة في وقوعها لواقعة «المديرس»، لأنها كما يقول سعد الطارف وقعت وقت أن كان «جوهر» منصوب ابن رشيد في الجوف وقد كتب لِابن رشيد عن الخلاف على بئر سيسرا والذي قرر أن تكون حكومية (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٥ ـ ٦ من ٢١، والطارف، سعد، مقابلة (III)، ١٤١٤هـ: ٧ من ٩ ملخص)، ومعلوم أن «جوهر» بدأ في الظهور كنائب حاكم لِابن رشيد منذ نهاية الحملة التركية في نهاية ١٨٧٠م كما حددنا ذلك في أكثر من مكان من هذا الكتاب. وواقعة «سيسرا» سابقة لواقعة مسجد الجمعة بسنة تقريباً كما هي في نص لمضمون «رواية» عن أصل الخلاف بين المعاقلة والقرشة منسوبة إلى عايض الزيد، كما كتبها «عبد الرحمن الشايع»، في مخطوطة يدوية في ما سمعه منه مباشرة عن أصل وبداية الخلاف بين القرشة والمعاقلة (الشايع آل كريّع، رواية عايض الزيد عن أصل الخلاف بين القرشة والمعاقلة، نسخة من أصل مخطوطة يدوية كتبها عبد الرحمن الشايع، في: الشايع، خالد عبد الرحمن، مجموعة أوراق، تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢: الساعة ٥ عصراً).

في الخلاصة في تحديد تاريخ حدوث واقعة مسجد الجمعة «الضلع» نقول: وحيث إننا في مناقشتنا لواقعة «سيسرا» التي حددنا على نحو تقديري، أنها، في الغالب، حدثت ما بين ١٨٧٩ و١٨٨١م، فإن واقعة «مسجد الجمعة» ومؤامرة القتل فيه ستكون وقعت إما في ١٨٨٠ أو ١٨٨١م أو ١٨٨٢، ونرجح أنها وقعت في عام ١٨٨٢م أو في حدودها (قبلها أو بعدها بقليل).

٣ ـ واقعة «مسجد الجمعة» في «الضلع» ومؤامرة القتل: قصة وروايات

أ ـ رواية المعاقلة

نشير، أولاً، إلى أن المقصود بـ «مسجد الجمعة»، المتصل بالواقعة تحت البحث، هو مسجد الجمعة «الضلع» التابع للقرشة والواقع، مكانه حالياً، في منتصف طريق فلسطين حالياً، وهو تقريباً إلى الغرب الجنوبي من بيوت السهيان حالياً، وهذا المسجد كان هو مسجد الجمعة الوحيد في سكاكا في تلك الفترة (تقريباً منذ ١٨٥٠ وربما ما قبلها، وحتى حدوث الواقعة في أوائل ١٨٨٠sم). لذلك كان سكان سكاكا كلهم، قرشةً ومعاقلةً، يصلّون الجمعة فيه.

تذهب رواية المعاقلة، كما يرويها سعد الطارف، إلى أنه في أحد الجمع لاحظ «شكر السهيان»، على ما يبدو، هدوء غير عادي، وقلة حركة للناس، فقال ((علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح)): «هالناس وينها...؟، قال «شراري» عندهم... وانت ما انت داري؟ قال شكر: وشو به، قال الشراري، قضبوا المسجد، اللي خذا شبرية واللي خذا خوصية، يريدون يذبحون المعاقلة يوم يأتون... قال شكر «للشراري»: فزع... فزع... فزع...»، وبعدما فزع ((يقصد نادى على الناس مردداً بأعلى صوته، بأن حلالكم، أي الغنم، تم الاستيلاء عليها))... تفرّق الناس ((بحثاً عن أغنامهم))، ولم تحدث صلاة الجمعة في تلك الجمعة... ((و هو ما يعني تفادي وعدم حصول القتل))... بعدها أرسل ((شكر)) لفلاح ((الشردان))، وقال له: «والله حنا ما حنا مضين «ثيران العلي»[٢٨]... ((يقصد غير قادرين على ضبط والتحكم بعناصر حادة من جماعة العلي))... لا شك اعملوا مسجد يمكم ((ناحيتكم، أي في المعاقلة خاص بهم))، ولا تصلون عندنا...» (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٦ من ٩).

ويُفصل ولده (سليمان سعد الطارف)، في الواقعة وهو ينقلها عما سمع من والده سعد الطارف، وأنا هنا (الباحث) ألخّص ما قاله على الجملة، فيقول: إنه على ما يبدو «... فقد اتفق بعض القرشة، وتحديداً من العلي، على أن يجلسوا في صفوف، وبينهم فراغات لكي يضطر المصلون من أفراد وجماعات المعاقلة من الجلوس في تلك الفراغات، عندها يميل الآخرون (القرشة) كل على من حوله (من المعاقلة) وقتله. وكان شكر السهيان آنذاك هو شيخ القرشة... وكان المعتاد أن يحضر الناس من جماعته لتناول القهوة قبل صلاة الجمعة، ولكن عدم حضور الناس أثار عنده التساؤل، فقال (شكر): وين الناس، فرد عليه أحدهم بالقول: ما تعرف؟ قال شكر: وش اعرف؟ فأخبره بقصة نية قتل المعاقلة في المسجد... عندها طلب شكر سريعاً من «شراري»، وهو يبدو راعي عندهم، بأن يصعد على أعلى الجبل الغربي ويصيح بالناس (مردداً): «حلالكم وخذ... حلالكم وخذ... حلالكم وخذ»، وبالفعل قام بذلك... فلما سمع الناس ذلك الصياح تركوا المسجد باحثين عن حلالهم وأغنامهم... فكانت تلك خطة من شكر السهيان للتخلص من كارثة كادت أن تحدث بالبلد وأهله (قرشة ومعاقلة)... عندها أو بعدها مباشرة (بيوم أو أيام قليلة)، أرسل شكر السهيان لفلاح الشردان وقال له إن عليه أن يبني مسجداً لجماعته، لأنه ما يقدر يأمن «ثيران العلي». عندها قام فلاح الشردان وطلب من الراشد (السعدون) أن يخرجوا جزءاً من أرضهم من الناحية الشرقية، وهو يخرج من أراضي الكبيدان من الناحية الغربية (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٣ ـ ٤ من ١١). والشخص من السعدون الذي أخرج جزء من أرضه للجزء الشرقي من المسجد (مسجد المعاقلة) هو، كما يقول سعد الطارف،» قبلان السعدون» (الطارف، مقابلة (III)، ١٤١٤هـ: ٦ من ٩ ملخص). في رواية أخرى، يقول سليمان العودة الفلاح، إنه عندما قرر فلاح الشردان بناء مسجد جمعة المعاقلة: «... كان على السعدون (من الراشد) أن يخصصوا عشرة أذرع من أرضهم للمسجد، ((والباقي الغربي عشرة أذرع من عند فلاح الشردان))... ولكن السعدون في البداية رفضوا، وقالوا والله ما نعطيك شبر... قال فلاح يا أحمد هاتهم ((يقصد إحضار السعدون بالقوة))، وحطهم ((وضعهم)) بالخشبة ((مسجونين))... وقال فلاح يالله يا معاقلة اشتغلوا... وأخذوا عشرة أيام

(٢٨) والباحث هنا أورد هذه العبارة الأخيرة فقط للامانة التاريخية وليس بتبنيها، بل نتحفظ عليها لذلك وضعت بين تنصيصين.

ضراب ((عمل اللبن ـ الطوب من الطين))... وعشرة أيام بناء... وعشرة أيام سقاف ((عمل السقف))... هذا شهر... وصلوا المعاقلة الجمعة به...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٤ من ٢٣).

(١) تداعيات واقعة بناء مسجد جمعة «المعاقلة»:

(أ) محاولة قتل فلاح الشردان: هذا الإكراه، إذا كان صحيحاً فرضه فلاح الشردان على الراشد (السعدون) باستخراج جزء من أراضيهم لتخصيصها للجزء الشرقي من أرض المسجد من قبل فلاح الشردان، و«ابن شردان»، بالمناسبة مشيخته كانت قائمة على الراشد جميعاً وكذلك الدغيفق، فسيكون له ما بعده من تطورات داخل المعاقلة وتحديداً داخل الجماعة التي يترأسها، وصلت إلى حد بمحاولة مؤامرة قتل فلاح الشردان نفسه، من قبل «شنوان» بن عقيل، وهو ابن عم فلاح ((عقيل وشردان أخوان))، والذي، طبقاً لما تذهب الرواية إليه، كان مدفوعاً من قبل ـ ما قيل زعماً ـ أخواله، وقد ترتب على تلك المحاولة، بعد فشلها أمور عدة منها أن فلاح الشردان نفسه قتل ابن أخيه «شنوان» انتقاماً. ويذهب مضمون الرواية، كما يقول بها سليمان العودة، عن مؤامرة قتل فلاح الشردان وتداعياتها، إلى القول ((علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح)): «... يا شنوان.... وخواله (الراشد)... اذبح فلاح ((الشردان))... ونحطك بداله ((أي على المشيخة مكانه))، وكان فلاح آنذاك معه له عباة... يقولون رهاف مثل ما يقولون لها برقا.. قال يقولون إن فلاح حاط بارودة ((بندقية)) لها بطينين وصلبوخ تقوم وتثور... وقام الراشد بعد أن وزوا شنوان... وأنذروه ((أنذروا فلاح))... وعندما جاء شنوان... وأخذ يبحث له عن سبب للتحرش بـ «فلاح»، وذلك بتغيير الناصوبة... ((الناصوبة هي في الغالب قطعة من صخر توضع أو تغرس في الأرض، وجزء منها يكون ظاهراً على سطح الأرض كعلامة في الأرض بين أملاك وأراضي الناس))... بين أرضه وأرض فلاح وأخذ بوع أو بوعين من الأرض... ((يبدو لصالحه على حساب أرض فلاح))... فلما شافه فلاح قال لـ «شنوان»: ليه يا شنوان؟.. رد عليه شنوان وقال؛ لعن الله أبو نسنوس هالثور الثاوي...»، ويضيف سليمان العودة، أن والده عودة يقول: «... وكان فلاح الشردان طويل ودقاق...»، ويكمل سليمان العودة القصة بالقول: «... إن فلاح الشردان رد عليه وقال؛ وتشتمني بعد... وأخذ فلاح العباة وربط بها شنوان... قال شنوان: لا يبنياخي... ((لا يا ابن أخي: في سكاكا الجيل من الشياب أو كبار السن، يقولون «بناخي»، و«بنياخي»، و«بناخي» للدلالة على القرب من الشخص، وهي على ما يبدو تحريف من الفصحى ابن أخ أو أبناء أخ))...، راجياً إياه بعدم قتله... قال فلاح؛ تخسى... وذبحه» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٤ من ٢٣).

هذه القصة، قصة محاولة ذبح شنوان لِإبن عمه فلاح الشردان ثم قيام الأخير بقتل شنوان، يؤكدها ممدوح السلطان في مخطوطة غير منشورة، معنونة «قراءة في كتاب رجاء...» اطلعنا عليها في أيار/ مايو ٢٠٠٦م، عن طريق ولده عاطف الذي سلمني نسخة منه للاطلاع والتعليق وإبداء الرأي، وبطلب من ممدوح السلطان نفسه (السلطان، ممدوح، مخطوطة كتاب غير منشور، أيار/ مايو ٢٠٠٦: ٢٢ ـ ٢٣ من أصل ٥٤، وانظر هامش ٥ من ص ٥٣)، وكذلك أكد لي ممدوح السلطان القصة عينها، مرة أخرى

في حديث مشترك بيني وبينه تم في منزل ابنه عاطف في الرياض في: ٢٤ ـ ٥ ـ ٢٠٠٦م، مساء؛ وكان الحديث حول ملاحظاتي على مخطوطة الكتاب الذي كان ينوي نشره، وذكر لي ممدوح أنه، ونقلاً كما يقول عن جده لأمه (أمه جفيله بنت نمر الشاقي) وهو «نمر شاقي العقاب، من الكبيدان»، فإن «شنوان» في محاولة قتله لِإبن عمه فلاح الشردان كان مدعوماً أو مدفوعاً من أخواله (السلطان، ممدوح، لقاء وحديث في الرياض، في ٢٤ أيار/ مايو ٢٠٠٦).

كتاب تلك المخطوطة، الذي كان ينوي ممدوح نشره من الداخل، لم يرَ النور بعد، ذلك أنني حسب ما فهمت، لاحقاً، فإن وزارة الاعلام (الثقافة والاعلام) رفضت الترخيص بنشره، وهو أمر غير مستغرب في بلد يغيب فيه دستور (عقد اجتماعي عصري جديد) مصوّت عليه شعبياً، وتغيب فيه، تبعاً، قوانين حامية ورافعة وضامنة لحقوق الإنسان، ومنها قانون حرية الرأي والنشر، فضلاً عن حصار على التاريخ، تقوده وتحرسة عقليات إما قامعة مستبدة، أو مقموعة خانعة متخلفة و/ أو ماضوية لمجوعات وفئات وعناصر متحالفة ومتداخلة فيما بينها، ومتحكمة في التوصية و/ أو البت في قضايا النشر، ومعالجات التاريخ العام الوطني والمحلي. لقد نصحت أبا زياد (ممدوح السلطان)، كما نصحت أولاده وخاصة ابنه عاطف لاحقاً، ألّا ينتظروا موافقة الثقافة والإعلام السعودية على نشره أصلاً، وألا يتوقفوا عن نشر المخطوطة بعد إجراء التعديلات المنهجية والتوثيقية عليها التي اقترحتها لهم في حينه، حتى لو تطلب الأمر القيام بنشره في الخارج (في إحدى عواصم الدول العربية المجاورة)، بل أن نشره بالخارج، باعتباره ممنوعاً من النشر والتداول في الداخل، سيكون قوة جاذبة في البحث عنه والحصول عليه.

سليمان سعد الطارف في حديثه عن أرض مسجد جمعة المعاقلة وضح أن جميع الأراضي التي إلى الغرب من بيت خليف الشاهر (حالياً)، وعلى امتداد بيته شمالاً وجنوباً كانت أصلاً للكبيدان، وأن الراشد كانوا، في ذلك الوقت، من ذلك الخط ومشرق تجاه «الضير» الداخلي، وإن القايد، (أي بيوت راشد وقضيب القايد)، خرجوا إلى ذلك الوضع، أي بيوتهم الحالية، بعد أن شروا ذلك من «موعد الكبيدان» (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٣ ـ ٤ من ٨).

وباستثناء أراضي الدغيفق، فمن المعلوم أن الأراضي كلها الواقعة إلى الجنوب من بيوت وحوَط «مزارع» الحيزان (السليمان) وإلى الجنوب الكبيدان، وحتى «بياض قارا» كانت ملكيتها قد آلت للكبيدان والسليمان. الأصل في ملكيتها هي لكل من معيقل (أبو دغيفق وسليمان وكبيدان) وراشد «الأول» (جد الراشد الحاليين) وجحيش (جد الجحيش)، حيث اشتروها من «السرحان» مقابل خمسة من الإبل، ولكن الأخيرين، وهما راشد وجحيش، بتزاوجهم من السليمان تخلوا عن حقهم لصالحهم، فأصبحت ثلاثة أرباع الأرض للسليمان والربع الباقي للكبيدان (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨).

معظم الأجزاء الأطراف الجنوبية المباشرة لتلك الأراضي ذهب لصالح استيطان عائلات عديدة من داخل سكاكا في الأصل، أو أتت من خارجها بمن في ذلك من دومة الجندل و/ أو من حائل، بالموافقة على النزول والاستيطان فيها، كما هي في حالة صالح المويشير، الذي كما يقول ممدوح السلطان، طلب من الكبيدان أرض «المبيطيحة»، وسمحوا له بها؛ (السلطان، ممدوح، مخطوطة كتاب غير منشور، أيار/

مايو ٢٠٠٦: ١١ من أصل ٥٤)، أو كان ذلك بالبيع على مراحل، (وهذا يشمل كل الأراضي من امتداد سيل الغدّير ((الهذال حالياً))، باستثناء أراضي الدغيفق، وإلى يوسف العياف، والطراد، والمويشير ورواشدة الحزوم، والهذيل، والطالب، والورادا، والإبراهيم السلامه، والشايع حالياً... إلخ) (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨؛ السلطان، ممدوح، مخطوطة كتاب غير منشور، أيار/ مايو ٢٠٠٦: ١١ من أصل ٥٤). وفي ما يخص الأراضي التي بها عبد المحسن وعبد الرحمن المويشير وعايض الزيد حالياً، فإنها آلت إليهم، بعد تزايد الضغط على الأرض، بالشراء بدراهم معدودات (٥٠ ريالاً لكل أرض وبئر ـ وهي قليلة ولكنها في وقتها لا يملكها إلا القليل، وهم من كان لهم، بطريقة أو أخرى، دالة على مال أو نفوذ، وهو ما يدعو إلى التفكير والتأمل في والمقارنة بين أحوال الناس الاقتصادية والمالية، ومن أين لك هذا؟)، فقد طلب الشيخ فيصل المبارك، من السليمان والكبيدان إحياء الأرض، ـ ـ ((في حيلة شرعية تبدو للإجبار على البيع)) ـ ـ، ولما تأخروا في الإحياء، ـ ـ ((وهم على أية حال غير قادرين على إحياء تلك الأراضي كلها))، طلب الشيخ فيصل ممن يريد الاستفادة من الأرض أن يدفع مقابل كل مقدار «أرض بئر» مبلغ ٥٠ ريالاً. بهذه الطريقة ذهبت الأراضي إليهم، أما ما تبقى من الأرض، فبعد ضغط من عبد الرحمن السديري، قام «حمد الحيزان» وهو الذي كانت بيده ورقة الملكية لتلك الأراضي، وأهداها للملك سعود، ((على ما يبدو عندما زار الجوف بعد توليه الحكم، ويبدو أن تلك الزيارة، تمت في أوائل ١٩٥٤م ـ الباحث))، وعوضوا مقابلها ٥٠٠٠ ريال سعودي، وزعت بين السليمان والكبيدان حسب حصصهم (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨)، ولكن الكبيدان، كما قال لي ممدوح السلطان وكذلك محمد السلطان رفضوا استلام مبلغ حصتهم لما اعتبروه تافهاً مجحفاً بحقهم ومقابل الأرض الواسعة.

(ب) ابن «شردان» في قبضة ابن رشيد في حايل: حادثة محاولة قتل «ابن شردان» على يد ولد عمه «شنوان» مدفوعاً أو محرضاً «زعماً» كما قيل من «أخواله»، ثم قتل شنوان من قبل ابن شردان نفسه، كانت له أيضاً تداعيات. من ذلك أن الراشد وقد تعالموا لمقتل «شنوان»، وهو ابن أختهم، تنادوا على ما يبدو فزعة لِإبن أختهم ضد ابن شردان، ويقول سليمان العودة مكملاً أحداثها: «... وعندما ذبحه... جو الراشد فزعة... وكان الحيزان قاعدين لهم... وقام الراشد يريدون يطردون الحيزان... وقالوا للحيزان... عيال عم بيناتهم، وش دخلكم؟...» بعدها راح فلاح الشردان يم.. ((إلى)).. بيت «خلف البنية»... ثم دخل «... على البنية...» ((يقصد خلف المحمد البنية النصيري))... قال خلف البنية... ((مخاطباً فلاح ـ الباحث)): «أبشر إنها سهود ومهود... شكر السهيان يريد يمد ((يسافر)) لـ: بن رشيد بحايل، وأمش معه... مشى فلاح معه «. وبعد أن علق سليمان العودة على شكر السهيان، قائلاً: «... والله شكر... طيب، ما به خلاف» أضاف بأنه بعد وصولهم إلى حايل: «... دخل شكر السهيان على ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد) وسلم، وفلاح تغيب عن السلام... فقال ابن رشيد لشكر: من معك؟ قال شكر؛ فلاح الشردان... قال ابن رشيد: يالله لك الحمد...عقب جيبته للدولة... ((يقصد الأتراك والحملة التركية))... بديارنا... جابه الله... وفي الصبح قام فلاح وذهب إلى ابن رشيد للسلام عليه... قال محمد الرشيد؛ ما عليك سلام... قال فلاح: ليه؟ لا يا أخو نوره... أنا ذبحت ولد عمي... عشانك... ما انفضح

بقبره...، قال محمد الرشيد؛ هو صادق يا شكر؟ قال شكر: صادق أي والله... ذبح شنوان...» (الفلاَح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ من ٢٣).

وفي رواية أخرى، يذكرها ممدوح السلطان، أنه وعلى إثر الخلاف بين فلاح الشردان من جهة، ومنصوب ابن رشيد «جوهر» من جهة أخرى، ويبدو أن الأمر متصل بتطورات وملابسات قتل «شنوان» وتداعياته، أو بأحداث أخرى ولكنها تبدو لنا (الباحث)، مجهولة أو على الأقل غير واضحة، أن فلاح الشردان ذهب إلى قاسم السعيد (كبير العلي آنذاك) مستنجداً به للتوسط عند ابن رشيد، لكن قاسم السعيد «اعتذر له بحجة أن محمد بن رشيد غضبان عليه، فأدرك فلاح بأن عليه أن يذهب ويقابل ابن الرشيد في حائل بنفسه، فعند مقابلته غضب عليه ابن رشيد، فرد عليه فلاح لا تغضب، لكن... منصوبكم... هو السبب، في كل ما حصل... ومحاولة خلق الخلاف والفتن بين الناس، أما من ناحيتي، فقد قتلت ابن عمي بسبب عداوته لحكمكم...» (السلطان، ممدوح، لقاء وحديث في الرياض، في ٢٤ أيار/ مايو ٢٠٠٦).

(ج) ملاحظات حول روايات تداعيات محاولة قتل ابن شردان: ما يهمنا في رواية كل من سليمان العودة وممدوح السلطان، آنفة الذكر، بافتراض صحة وملابسات محاولة قتل ابن شردان من قبل ابن عمه «شنوان» فقتل الأخير من قبل ابن شردان، وسفر فلاح الشردان إلى حايل وكلام ابن رشيد لـ «شكر السهيان» عن «ابن شردان» وله، ما يلي:

١ ـ مضامين الروايات تحيلنا إلى فكرة الصراع الأهلي البيني (من داخل الجماعة الواحدة)، وأهمية هذا سنأتي عليه في الجزء الخاص بالتفسير.

٢ ـ يفهم من الروايات أن لـ «شكر السهيان» دوراً ومكانة بارزة. وهذه المكانة بدات بالتزايد منذ ١٨٧٠ فصاعداً، وحتى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين وقبل وفاته في أوائل صيف ١٩٠٧م. في المقابل، نرى تلاشياً لدور قاسم السعيد، والذي كان بارزاً في الفترة ما بين ١٨٥٣م، وحتى أحداث الحملة التركية، وتداعياتها (المديرس) ١٨٧٠/ ١٨٧١م وبعدها بقليل.

٣ ـ إذا صحت رواية سليمان العودة، وخاصة الإشارة إلى فرح ابن رشيد بقدوم فلاح الشردان، وقول ابن رشيد لـ «شكر السهيان» عندما أخبره أن برفقته فلاح: «... يالله لك الحمد... عقب جيبته للدولة... بديارنا... جابه الله...»، فهذا يشير إلى دور ما لـ «فلاح» بقدوم الحملة التركية. ولكننا نشكك في ذلك للأسباب التالية:

١ ـ لا أعتقد أن ابن رشيد كان عاجزاً عن الإمساك بِابن شردان، لو كان له الدور، أو دور كبير، في قدوم الأتراك. ونعلم كما ناقشنا ذلك في قضية وواقعة «المديرس ١٨٧٠/ ١٨٧١م» (للمزيد؛ انظر مناقشة واقعة المديرس) أن ابن رشيد نفسه (محمد العبد الله الرشيد)، وعلى خلفية الحملة التركية ودور لأهالي الجوف فيها، وهو دور غير واضح وملتبس كما بيّنا في حينه، قبض على ٨٠ رجلاً من أهل الجوف (دومة الجندل وسكاكا) وقتلهم جميعاً في المديرس قرب «الشقيق». لاحظ أن ذهاب فلاح إلى حايل رفقة شكر السهيان، إن صحت الواقعة، فهي حدثت بعد واقعة مؤامرة القتل المزعومة في مسجد الجمعة «الضلع»، وبعد بناء مسجد الجمعة «للمعاقلة»، وهذا حدث في تقديرنا في إحدى السنوات من

الفترة ١٨٨١ ـ ١٨٨٣م، وهو ما يعني أن ذهاب فلاح الشردان إلى حائل حدث في وقت ما من هذه الفترة (١٨٨١ ـ ١٨٨٣)، وهو ما يعني حدوثه بعد ما لا يقل عن عشر سنوات من الحملة التركية وواقعة المديرس. وعليه فلا يعقل أن ابن رشيد، وهو في عز قوته منذ ١٨٧١ فصاعداً، ينتظر كل هذه السنوات لكي يأتي إليه ابن شردان طوعاً، إلا أن يكون هناك حماية تركية ما لـ «ابن شردان» على دور ما له أو لتعاونه على نحو ما مع الأتراك والحملة التركية، متفق عليها أو متفاهم عليها مع ابن رشيد وقت الاتفاق الذي تم بين قائد الحملة وابن رشيد نفسه في آذار/ مارس ١٨٧٠م. لكن هذا الاحتمال أمر مشكوك فيه، وخاصة أن القوة والحامية التركية لم يعد لها وجود، بل أن بعض عناصرها من الإخوة المغاربة انشقوا عليها وانضموا لِابن رشيد، الذي قدم هو أو قوات له مرة أخرى وتم إحكام السيطرة على الجوف مع نهاية ١٨٧٠، والقبض على حوالي ٨٠ رجلاً وقتلهم في المديرس كما أسلفنا، فضلاً عن من أسر من أبناء كبار وأعيان الجوف، ومنهم ابن لـ «حسن الدرع» (يبدو أن الابن هو: «وفوق»)، والذي أخذه رهينة دون السجن في حائل، عقاباً على ما يبدو لحسن الدرع في ما يتصل بملابسات الحملة التركية، رغم ما قام به حسن الدرع من محاولة قتل الأتراك، أو تحييداً وتقييداً له من تمردات و/ أو اتصالات محتملة مع قوى محيطة منافسة بمن فيها الأتراك. وإذا حدث هذا مع حسن الدرع، وكان في وضع أقوى من فلاح في حينه، فكيف بابن رشيد يترك ابن شردان دون عقاب طوال هذه الفترة، وهو قادر عليه لو أراد؟

٢ ـ طبقاً لمناقشتنا في رواية سعد الطارف عن دور فلاح الشردان في قدوم الأتراك (الحملة التركية) أوضحنا أن هناك خللاً ما في الرواية (انظر مناقشتنا للحملة التركية ـ ورواية سعد الطارف عنها وعن مشيخة فلاح الشردان في سياقها). في المناقشة عينها، حاولنا أن نفسر الخلل وكذلك في محاولة فهم كيفية إخراج مشيخة فلاح الشردان، وهي، وإن كانت مشيخة ثابتة الحدوث، إلا أنها، في الغالب، وفي تقديرنا، تمت لاحقاً لحدوث الحملة التركية واستثماراً لأجوائها، وفي تناغم وتنسيق، على ما يبدو، بين فلاح الشردان وبين المنصوب الجديد لِابن رشيد، ألا وهو «جوهر»، وكذلك بتنسيق و/ أو دعم من شكر السهيان، ولكنها، أي مشيخة فلاح الشردان، ليست، في ما يبدو للباحث، نتاج دور حصري لِابن شردان فيها.

إضافة إلى ما ورد من ملاحظات في الفقرة السابقة (أ) وكذلك الفقرات (١ و٢)، فإنه في ما يتعلق بمشيخة ابن شردان، هناك احتمال أن يكون ابن رشيد، وفي مواجهة الزعامات التقليدية في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل)، والتي كان لها دور في التمردات ضد ابن رشيد وبالذات في تمرد ١٨٥٣ والحملة التركية ١٨٧٠م، قد شجع على تنامي أو بروز قيادات وزعامات بديلة؛ في الجوف (دومة الجندل)، منذ ١٨٧٠ فصاعداً نلاحظ إما تلاشياً لزعامات بعينها وهذا ينطبق على السراح، وإما تناقصاً في النفوذ والمكانة، وهذا ينطبق على حسن الدرع نفسه. في المقابل في سكاكا بروز وتزايد مكانة ونفوذ شكر السهيان أولاً، وعلى ما يبدو على حساب قاسم السعيد وكذلك دخيل الدرعان، وبالذات قاسم السعيد الذي كان له نفوذ واضح في القرشة حتى أحداث تمرد ١٨٥٣ م، وإن كانت مشيخة «شكر» آلت إليه بالوراثة من أبيه سهيان بن مطيلق اللحيد، وكذلك بروز مشيخة ونفوذ فلاح الشردان ثانياً، علماً أيضاً أن جد فلاح الشردان (مفرج الكبيدان) كان له مكانة في الكبيدان والمعاقلة.

ب ـ رواية القرشة لواقعة مؤامرة مسجد الجمعة

(١) رواية الضويحي:

(أ) محمد سليمان الشاعل ومضمون الرواية: سألت أبا يزيد (محمد سليمان الشاعل): ماذا تعرف عن حكاية «مسجد الجمعة»؟ فرد عليَ بعد أن دار نقاش بيننا على ما سمعت أنا عنها، قائلاً، وأنا ألخص مضمون كلامه: «إن ما سمعه من «عرفج»، هو أن «العلي» كانوا قد أعدوا خطة لقتل المعاقلة في صلاة الجمعة»، وأضاف قائلاً، «إن مناع الزيد، ودخيل الربع الدرعان، وشخص ثالث لا أتذكره الآن... إن أولئك الأشخاص، وهم من العلي والدرعان، قد اتفقوا على ذبح وقتل المعاقلة بالمسجد صلاة الجمعة»، قلت لأبي يزيد: وكيف عرف شكر السهيان بذلك؟ قال: «إن أحد الأشخاص، يبدو أنه اطلع على تلك الخطة، أخبر شكر السهيان بها، وقال له إنه راح يصير مذبحة بصلاة الجمعة، فلما عرف شكر السهيان طلب بعض القرشة (الضويحي) وأعلمهم بالخبر، واتفقوا على أن يقوم «**عجب السياط**» بأن يركب فرسه ويدور ويصيح حول مساكن القرشة والمعاقلة بأن «الغنم وخذت»، لكي يذهب الجميع للبحث عن أغنامهم وبالتالي يمنع الصلاة ويحبط المؤامرة (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٧ ملخصاً).

(ب) زايد محمد العابط ومضمون الرواية: عندما وجهت السؤال إليه عن مسألة الخلاف بين القرشة والمعاقلة، والزعم بأنه كانت هناك محاولة لذبح المعاقلة من قبل القرشة في مسجد الجمعة «الضلع» (مسجد الشعيب ـ الموجود موقعه حالياً غرب النداء السهيان)، أجابني زايد العابط بالقول، وأنا (الباحث) هنا ألخّص مضمون قوله إجمالاً: «... إن الضويحي بكل عام كانوا دائماً يفضلون أن يحلّوا المشاكل مع المعاقلة ويجدوا لها حلولاً... أما بالنسبة للحادثة»، فيقول العابط، «... إنه وصل خبر إلى شكر السهيان بأن العلي من القرشة ينوون أو اتفقوا على قتل المعاقلة المصلين في المسجد يوم الجمعة، فلما عرف شكر السهيان بذلك، أمر **عطاالله السياط**، بأن يذهب وقت صلاة الجمعة المتفق على القتل فيها، إلى الجبل الغربي من المسجد ويصعد عليه، ويصيح قائلاً ((مردداً)): «الغنم وخذت»، وتم ذلك بالفعل، وبالتالي قبل أن تقوم الصلاة ويتكامل المعاقلة انفض الناس يبحثون عن غنمهم خوفاً من أنها اختطفت من غزو. وكان مَراد شكر السهيان هو تعطيل المؤامرة. بعدها اجتمع شياب ((كبار)) الضويحي وطلبوا من المعاقلة، تلافياً لوقوع مثل هذه المشكلة، بناء مسجد جمعة لهم في مناطقهم، لأن الضويحي»، على قوله، «لا يستطيعون ضمان أمنهم وحياتهم مستقبلاً» (زايد محمد العابط، مقابلة، في ١٩ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م: ٩ من ١٢).

(٢) رواية «العلي» كما أورد مضمونها عافت مناع الزيد: في سياق الصراع بين القرشة والمعاقلة، يقول أبو مختار (عافت مناع الزيد)، وأنا (الباحث) هنا ألخّص وأُجمل كلامه: «... فإن حادثة مسجد صلاة الجمعة، ومحاولة قتل شكر السهيان من قبل ثمانية من كبار المعاقلة في ذلك المسجد، والذي أخبر أحدهم شكر السهيان بتلك المسألة»، فقاطعته (أنا الباحث) فقلت إن رواية المعاقلة تقول بالعكس، وتقول إن العلي من القرشة كانوا يريدون قتل المعاقلة في مسجد الجمعة، صلاة الجمعة، وإن شكر السهيان لما علم بذلك أبطل الخطة بإخراج المصلين بعد أن طلب من أحد الأشخاص الصياح على

جبل مكحل (غرب جنوب العرفج حالياً)، قائلا» «السراح أو الغنم وخذت»... إلخ، فرد أبو مختار، وقال: «هذا ليس صحيحاً، وإنما الصحيح أن هناك مؤامرة لقتل ابن سهيان من قبل ثمانية من المعاقلة، وإن أحدهم أخبر ابن سهيان بذلك، والذي عندما أدرك ذلك، طلب من أحد الأشخاص الخروج إلى جبل مكحل والصياح «السراح وخذت»، وبالتالي خرج الناس، ولما جدوا أن غنمهم لم تؤخذ، أخذوا يعرضون ((غناء ورقص العرضة))، عندها قام شكر السهيان بالاتصال بفلاح الشردان، وقال له عليك تبني لك مسجد للجمعة لجماعتك يصلون فيه... وخلال أقل من أسبوع، وفي الجمعة التالية لتلك الحادثة، استعجل ابن شردان والمعاقلة في بناء المسجد لصلاة الجمعة، وقد صلّى فيه المعاقلة بالجمعة التالية وهو جدران وقبل اكتمال أسقفته...» (المناع، عافت مناع ـ لقاء وحديث (II) في: ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢م: ٧ من ١٣ ملخصاً).

بالمقارنة بين رواية المعاقلة من جهة، وبين رواية القرشة من جهة أخرى عن واقعة مؤامرة القتل نجد أنه، وباستثناء رواية عافت الزيد (العلي)، فإن هناك تشابهاً في مضمونها وجوهرها وتؤكد بعضها بعضاً، ولا تختلف تقريباً إلا في ما يتعلق بهوية وشخصية الشخص الذي طلب منه شكر السهيان أن يفزع الناس بالصياح، موهماً إياهم، أن «الغنم وخذت». في رواية المعاقلة الشخص هو «**شراري**» وهو راعي غنم عند السهيان، واسمه كما قال سليمان العودة في روايته عن واقعة مسجد الجمعة هو «**غتيت**» أو «**غتيّت**» (بالياء المشددة) (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٢٣ من الجزء الأول). في المقابل، وفي رواية الضويحي لا وجود لشخص شراري، وإنما هو؛ إما «**عجب السياط**»» كما يقول بذلك محمد الشاعل، أو هو «**عطاالله السياط**»»، كما يقول زايد العابط. لكن أبا يزيد (محمد الشاعل) يؤكد بعد أن سألته متحرياً عن ذلك الشخص وعن اسمه، أنه «عجب السياط» وليس عطاالله السياط، ذلك أن عطاالله السياط، في ذلك الوقت، كما يقول عنه، كان: «صغيراً بالمقارنة، فأنا أذكره» (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في مكتبه، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٧).

ونخلص إلى القول، إنه وبغض النظر عن صحة الروايات، آنفة الذكر، فإن واقعة عن مؤامرة بنية القتل يقر بها الطرفان، وهي على أية حال تشير إلى قدر من الحساسيات بين المجموعتين، آنذاك، وكذلك سيكون لها ما بعدها في واقعات وصراعات أهلية لاحقة. النقطة الثانية، والأهم، هي بغض النظر عن أطرافها والاتهامات المتبادلة، فإننا هنا لا نتوقف عندها ولا نتبنى بالضرورة أيّاً من رواياتها، وإنما نسعى إلى النظر إليها على أنها حالة من حالات، وإن بدت متباعدة، فهي مترابطة وتشكل ما نقول عنه أنه يرقى إلى تكون حالة حرب أهلية كلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وغايتنا في النهاية هي محاولة جادة في فهم وتفسير هذه الحالة الشاملة للصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف، وهو ما سنعالجه في القسم الثاني من الحرب الأهلية بالجوف.

٤ ـ واقعة «سيسرا» (أواخر ١٨٧٠م)

ليس هناك من تاريخ محدد لوقوع حادثة الخلاف بين القرشة والمعاقلة على الحق الحصري و/ أو المشترك بالاستنفاع بـ «قليب (بئر) سيسرا». ومع ذلك فإن حدوث واقعة «قليب (بئر) سيسرا» هو لاحق

لواقعة المديرس (أواخر ١٨٧٠م أو أوائل ١٨٧١م)، لأنها كما يقول سعد الطارف وقعت وقت أن كان «جوهر» منصوب ابن رشيد في الجوف وقد كتب لِابن رشيد عن الخلاف على بئر سيسرا، وهذا الأخير قرر أن تكون حكومية (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩، والطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ)، وهي سابقة لواقعة «مسجد الجمعة» بسنة تقريباً كما هي في «رواية» عن أصل الخلاف بين المعاقلة والقرشة منسوبة إلى عايض الزيد الواكد، كما كتبها عبد الرحمن الشايع في مخطوطة يدوية في ما سمعه منه مباشرة (الشايع، عبد الرحمن عطا، رواية عايض الزيد عن «سيسرا» وأنها أصل الخلاف بين القرشة والمعاقلة، نسخة من أصل مخطوطة يدوية كتبها عبد الرحمن الشايع، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن (٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢) «مجموعة أوراق» تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ عصراً)، علماً أنني أنا الباحث، وقد استلمت نسخة من هذه الرواية من خالد عبد الرحمن الشايع، في: ٢ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، الساعة ٥ عصراً، كنت قد اطلعت على أصل كتابة هذه الرواية، مكتوبة في كتيب صغير كما كتبها عبد الرحمن الشايع بخط يده.

بعد ثلاثة أشهر مباشرة من نهاية وانكفاء الحملة التركية على الجوف والتي انتهت تماماً في تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٨٧٠، حدثت واقعة ما عرف بالمديرس ونرجِّح أنها وقعت في كانون الثاني/ يناير أو شباط/ فبراير على الأكثر من عام ١٨٧١م، وهي ذات تداعيات مأساوية لبعض أهالي الجوف (في دومة الجندل و/ أو في سكاكا) حيث العشرات أعدموا، بأمر من ابن رشيد، في المكان المنسوب للواقعة، فضلاً عمّن تم أسره سجيناً أو رهينة في حائل (في تفصيلات واقعة المديرس ـ انظر ما ورد عنها من مناقشات في هذا الكتاب). و«جوهر»، هو الآخر كان متواجداً في الجوف منذ نهاية الحملة التركية على الجوف واستمر حتى ربما ١٩٠٥، وعلى نحو مؤكد استمر حتى عام ١٩٠١، حيث كان متواجداً في الجوف عندما زار الجوف الرحالة «فوردر» في تلك السنة وكان في الجوف (دومة الجندل) في يناير ١٩٠١م، وقد كان هناك في عيد الفطر ١٣١٨هـ (أي: ١ ـ شوال ـ ١٣١٨هـ، الموافق ٢٢ ـ يناير ـ ١٩٠١م)، وقد قابل «جوهر»، وتناقش معه أكثر من مرة أثناء تواجده في الجوف (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٥ ـ ٣٢٧)، وهو ما يعني أن «جوهر» كان حاضراً وقت بروز مشكلة «سيسرا» وأحداث القصة والروايات حولها تشير إلى ذلك.

وقد وقعت واقعة سيسرا بعد أن أصبح «فلاح بن شردان» شيخاً على جزء من المعاقلة، وبالذات على (الراشد والدغيفق)، ومشيخة فلاح على ما يبدو وقعت في وقت ما بعد ١٨٧١م، أي بعد نهاية الحملة التركية، وواقعة المديرس، وأرجح أنها وقعت (أي مشيخة فلاح الشردان) ما بين ١٨٧٢ و١٨٧٥م، وبتنسيق مع جوهر نفسه، وربما بدعم وتعاون مع شكر السهيان، وليس طبقاً لما ورد في رواية سعد الطارف الشهيرة عن مشيخة فلاح الشرادن وصلة ذلك بالحملة التركية والأتراك على الجوف كما أوضحنا الالتباس والاضطراب في تلك الرواية عند مناقشة الحملة التركية والروايات حولها. كان فلاح بن شردان، وهو بهذه الصفة، شاهداً على أحداث قصة سيسرا، بل أحد الفاعلين فيها كطرف رئيس من المعاقلة أمام أطراف وفاعليات في أحداثها من القرشة ومنهم دخيل الدرعان، واللذان (أي فلاح الشردان ودخيل الدرعان)، وطبقاً للروايات التي سنأتي عليها، كانت لهما تمظهرات

علنية تنافسية، بما فيها القصائد والأشعار والرقصات المتبادلة أمام الجميع (قرشة ومعاقلة) في موقع الحدث «سيسرا».

بناء على ما تقدم نرجح أن واقعة سيسرا وقعت في نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي، أو أوائل العقد الثامن من القرن نفسه، أي أنها حدثت ما بين ١٨٧٩ ـ ١٨٨١م تقريباً، علماً أن الرحالة «**الليدي بلنت**» عند قدومها للجوف في كانون الثاني/يناير ١٨٧٩ ذكرت أنه عند وصولها للجوف ((أي دومة الجندل)) في ٥ ـ ١ ـ ١٧٨٩م وحتى مغادرتها لسكاكا في ٨ ـ ٩ ـ ١٧٨٩م، فإن «دواس» (نائب جوهر في الجوف) هو المتواجد في دومة الجندل، بينما «جوهر»، وهو حاكم الجوف عن ابن رشيد كان متواجداً في سكاكا، وقد زارته بالفعل في سكاكا في اليوم التالي لوصولها (أي في ٩ ـ يناير ـ ١٨٧٩م) (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٢٩ ـ ١٣٠ و١٣٦).

بناء عليه، إذا ما تجاوزنا احتمال أن تكون زيارة جوهر لـ «سكاكا» في هذا التاريخ على أنها من باب تفقد الأحوال أو تلبية الدعوات، وزيارات المجاملات الاجتماعية تجاه بعض الأعيان في البلدة، فإن الأرجح أن هذا التواجد لـ «جوهر» في سكاكا في هذا التاريخ بالذات ربما يعكس حالة تستدعي وجوده المباشر في سكاكا، وإن كان مؤقتاً، لحل أو التعامل مع بعض المشاكل أو القضايا التي قد تكون ظهرت أو تفاقمت، وهو ما يقودنا إلى الاعتقاد، وإن ليس مؤكداً، أن الأمر ربما كان مرتبطاً بملابسات حدوث واقعة «بئر سيسرا» ذاتها.

واقعة بئر «سيسرا»: قصة وروايات

تذهب القصة الكلية إلى أنه في وقت ما من تلك المرحلة، والتي نعتقد أنها تدور حول سنوات (١٨٧٩ ـ ١٨٨١م) و/أو في حدودها، زيادةً أو نقصاً بقليل، حدث أن هطل مطر غزير في سكاكا ترتب عليه أن تشققت الأرض، فكشف وأسفر عن ظهور «أسراب» (قنوات مجاري مياه أرضية تحت الأرض). من هنا وظناً من أنها لا بد منتهية بعين أو عيون (منابع ماء) قام أهالي سكاكا فقصوها (أي تتبعوها) لمعرفة مصدرها، ووجدوا أنها تنتهي بما عرف بـ «بئر سيسرا» والتي هي، لمن لا يعرفها من داخل أو خارج سكاكا والجوف تقع إلى الغرب والجنوب الغربي من بيوت العرفج حالياً (تقاطع شارع فلسطين مع طريق الحزام الشمالي الغربي)، وشمال أقصى أراضي وبيوت الجحيش حالياً، خلف جبل صغير يحيط ويحف بها من الجنوب والجنوب الغربي (الآن هذا الجبل فيه نافورة ماء على حافة طريق الحزام الغربي).

آنذاك لم تكن بئر سيسرا مملوكة من أحد، وكانت واقعة بين أراضي وممتلكات المعاقلة والقرشة وإن بدت للناظر، وبالذات حالياً، أقرب إلى القرشة. يبدو أنها تعود إلى تاريخ قديم متعلق باستيطان ونشاط زراعي قديم في المدينة، وربما يرتبط على الأرجح بفترة تكوّن وبناء قلعة «زعبل» القائمة، والمرئية حالياً على الطرف الغربي من جبل «الضلع»، والتي تعود على ما يبدو إلى ما قبل دخول الإسلام في المنطقة. لذلك يقول عنها سعد الطارف، إن «سيسرا... قبل كفرية» (أي في السابق كانت كافرة). وهو

يقصد على ما يبدو أنها غير مسلمة من ديانة أخرى، علماً أن الإسلام وقت بناء وتأسيس زعبل لا يبدو أنه ظهر أصلاً، ولهذا فالقول بـ «الكفرية» قد لا يكون سليماً، حيث إن سكانها وقاطنيها، كما هم أغلب سكان وقبائل الجزيرة العربية وعموم منطقة الهلال الخصيب، آنذاك كانوا من أهل الكتاب: إما يتبعون الديانة اليهودية أو تحولوا إلى الديانة النصرانية المسيحية فيما بعد (نصارى).

كانت بئر سيسرا عندما اكتشفها أهالي سكاكا، على ما يبدو مطمورة بالرمال والأتربة. وكان للبئر «شعبين» (مصبّان) لاستخراج الماء منها، باتجاه الجنوب. عمل المتجمعون من المعاقلة والقرشة على استكشاف البئر فكانت الفكرة الأولى هي استخراج الرمال كل من جهته (شعبه)، ولكن تطورت الأمور سريعاً إلى خلاف؛ فقد حاول كل من جماعة القرشة والمعاقلة أن يمسك بالبئر أو يمنع الآخر منها: جماعة القرشة من العلي والضويحي والدرعان أصروا على القول: «ما تطلع علينا ولا تشربها» موجهين الكلام لـ «فلاح الشردان» معتبرين أن ليس للمعاقلة حق أو حصة في البئر بحجة أنها أقرب إليهم منها إلى المعاقلة، وكذلك لأنها تصب في القاع (قاع المطر: شرق المطر وهي المنطقة الصناعية وحتى قارة المندى «القرية الترفيهية» وما حولها حالياً)، والقاع في نظرهم تابع لهم، ولكن المعاقلة، بلسان فلاح الشردان، أصروا على أن يطلعوها بحجة أن لهم الحق فيها لأن حتى «القاع» من طرفه الجنوبي، وهو محاذي للشلهوب، والشلهوب، كما يقول فلاح الشردان «الشلهوب لنا من تحت المطر». نتيجة ذلك نشب تراد (تراشق ومواجهات) في القصائد والأشعار والرقصات المتبادلة بين كل من دخيل الدرعان من جهة، معبراً على ما يبدو عن حال وموقف القرشة، وبين فلاح ابن شردان، من جهة أخرى، معبراً على ما يبدو عن موقف وحال المعاقلة.

أ ـ رواية القرشة عن واقعة «سيسرا»

محمد سليمان الشاعل (أبو يزيد)، عندما سألته عن ملابسات واقعة «سيسرا» أجاب بأن ليس لدي أية معلومات عنها، بل هو سألني عنها وماذا أعرف عنها فأخبرته بما سمعت عنها من وفي المعاقلة (الشاعل، محمد (I)، ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٩ من ١٧).

في المقابل أجابني عافت المناع الزيد، وذكر أن ما يعرفه عن واقعة سيسرا هو أن القرشة والمعاقلة طلب منهم إزالة التراب الذي كان يطمر قليب (بئر) سيسرا، وبعد تلك المشادات طلب من كل منهم أن يقوم بالعمل في يوم مختلف عن الآخر (الزيد، عافت (II)، ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ٩ من ١٣).

زايد محمد العابط، عندما سألته عن واقعة بئر سيسرا أجابني قائلاً: «إن تلك حدثت لما ادعى كل من المعاقلة ملكية تلك البئر، وكان آنذاك الحكم لِإبن رشيد، ولذلك طلب من القرشة والمعاقلة حفر (إخراج) التراب الذي كان يطمر البئر، والوصول إلى الأسراب ومعرفة اتجاهها. إن منصوب ابن رشيد آنذاك طلب التعرف على اتجاه السراب من البئر إلى أي اتجاه لكي يحدد ملكيتها. فلما أعيد حفر البئر واكتشفت السراب، وجدوا أن اتجاهها إلى الجنوب الشرقي ((يقصد القاع ـ قاع المطر)) باتجاه القرشة وبالتالي فهي للقرشة» (العابط، زايد محمد، مقابلة، ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ٩ من ١٢).

ب ـ رواية المعاقلة عن واقعة «سيسرا»

سعد الطارف في روايته عن واقعة «بئر سيسرا»، نقلاً عن والده»، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح، يقول: «... فإن أبوي، وأبوي كان معهم ((يقصد على سيسرا)).. ((يقول)).. أن اللقاي ((أي الشخص الذي يقوم بتلقي المحافر لاستخرج الطين والرمال من البئر)) هو: رضي ((الكبيدان)).. وهي لها ((يقصد سيسرا)) شعبان ((مصبان)) يقوطرن قبله ((يتجهان للجنوب))، هي بس شعبين، وبها اثنين واحد من المعاقلة، وواحد من القرشة...» (الطارف (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٥ من ٢١). في مكان آخر يكمل سعد الطارف حكاية وقصة واقعة «بئر سيسرا»، فيقول إنه بعد المشادات الأولية بين القرشة والمعاقلة: «ثم صار (ت) المراد ((التراد)) بالقصيد.. بين دخيل.. وبين فلاح أمام حرس ابن رشيد ومنصوبه جوهر.. ثم مع تلك القصائد قام الحرس ومنعوا القرشة والمعاقلة، ووقفوهم من استخراج التراب من سيسرا، وكتب جوهر لِابن رشيد، وأعلمه... ((بتلك المشكلة والخلاف بين المعاقلة والقرشة))... وقال ((يقصد أن ابن رشيد قال)): هذه «حكومية» لا للمعاقلة، ولا للقرشة، ومن ذلك اليوم أو الوقت لليوم وهي نيمه ((يقصد نائمة)) (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٧ من ٩، والطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٦ من ٢١).

في أثناء تفاعلات تلك الحادثة، أي الخلاف على «سيسرا» بين المعاقلة والقرشة، دارت أشعار وقصائد، ورقصات وخاصة بين دخيل الدرعان وفلاح ابن شردان، يوردها سعد الطارف، في روايته آنفة الذكر نقلاً عن والده الشاهد على أحداثها، فيقول: «... وقم عاد نسل سيفه «دخيل الدرعان» وأخذ يقصد، ويقول:

«يـــا سـيـسـرا مـــابـــك قـــراح   نـــذبـــح عـــلـــى جـــالـــك فـــلاح»

فقام فلاح الشردان بالرد، وأمسك بسيفه، وكان متحزماً بشماغه، وعليه طويقية ((طاقية))، يقول أبوي، انت يا فلاح، وهو مثل محمد العقيل ـ ـ ((وللمعلومية، فإن محمد العقيل وهو من الدغيفق، جده هو فلاح الشردان، ذلك أن أمه «نورة» هي بنت فلاح الشردان، كما ذكر سعد الطارف في مكان آخر من المقابلة نفسها)) (الطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ص ٢٠ و٢١ من ٢١ تفريغ)... وكان فلاح... ضعيّف ((يقصد أن جسمه نحيل وقد لا يعكس قوة ظاهرية))، وأنسل سيفه «فلاح» وقام يرقص قائلاً وراداً على دخيل:

«يـــا سـيـسـرا مـــا بـــك دفـيـن   نـــذبـــح عـــلـــى جـــالـــك دخـيـل»

ويضيف سعد الطارف: «وكان «شرعان» ـ ـ ـ ((يقصد شرعان الكبيدان وهو شيخ وعمدة الكبيدان آنذاك، بينما فلاح ابن شردان وهو من الكبيدان كان شيخاً على الراشد والدغيفق، بينما بقية المعاقلة شيخهم آنذاك حمد الحيزان «الأول»)) ـ ـ ـ «قبل ما يرقص «دخيل» الدرعان، هو الذي قام يرقص بسيفه ويشعر، قائلاً:

«أنـــهـــزم رجـــلـــي الـكـديـشـة   تـــو غـــال الـــنـــوم يـهـنـالـي
يـاهـلـه عـسـوه (!) لـه الـبـيـشـة   واسـتـعـيـنـوا بـالـلـه الـعـالـي»

ويضيف، سعد الطارف، أنه بعد ذلك فإن: «العبيد عندهم حرس، وقالوا والله ما يردن المحافر... والله ما يردن المحافر ((يقصد ما ينزلن في البئر))... وقالوا اطلعوا ياللي بالقليب.. كل يحط سيفه ويكفه.. وعندما طلعوا الناس، قالوا (الحرس) كل واحد يأخذ غرضانه...، فقام المعاقلة وأخذوا الينابيع والمحالة والميخر، وأخذ القرشة اليمة وغرضانه...». وجواباً على سؤال «ولا طلع ماء...؟، طرحه عليه ممدوح السلطان»، رد سعد الطارف قائلاً: «لا هجرة قبل، هي سايلة» ـ ـ ((يقصد على ما يبدو أنها قديماً كانت مهجورة وليس بها ماء، أما الآن في هذه الحالة والظرف كان بها ماء)) ـ ـ، ويضيف سعد الطارف: «ولقوا سربها يطب ((يصب)) على الغثراوية»، فقال ممدوح السلطان معلقاً؛ ومن الغثراوية يفيض بالقاع، لأن القاع به زراعة (هاللي بالصناعية حالياً)، وهذا كان في القديم، فقال سعد الطارف؛ «قديم إيه» ((يمكن))، وأضاف سعد الطارف، أنه بعد الحادثة تلك كتب منصوب ابن رشيد في الجوف «جوهر» لِإبن رشيد، إن هذا الذي صار وهذا الذي جرى، فرد ابن رشيد وقال: هذه حكومية، لا للمعاقلة، ولا للقرشة، ومن ذلك الوقت لليوم وهي نيمة «((يقصد نائمة على حالها وما كانت عليه)) (الطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٥ ـ ٦ من ٢١).

ج ـ رواية منسوبة إلى «عايض الزيد»

كما ذكرنا في البداية هناك رواية منسوبة لـ «عايض الزيد» عن أصل الصراع بين القرشة والمعاقلة، تشير إلى أن واقعة «سيسرا» تمثل البداية وأصل الصراع بينهما (؟). والرواية كاملة، كتبها عبد الرحمن الشايع وبخط يده، وينسب أنه سمعها من عايض الزيد، علماً أن هناك من يؤيد مضمون ما ورد في نص الرواية وما نسب لـ «عايض الزيد»، وهو ما سنلحظه لاحقاً في النقاش بين سعد الطارف وممدوح السلطان عن الفكرة وصاحبها.

نورد الرواية هنا لعدة أسباب، منها: أولاً، إن هذه بحد ذاتها رواية ووجهة نظر عن موضوع سيسرا وأنها كواقعة تعتبرها الرواية على أنها، والنزاع على ملكيتها، و/ أو الاستنفاع بها أول من أسس للفرقة والصراع بين القرشة والمعاقلة؛ وثانياً، أنها تضمنت الإشارة إلى كل من المواجهة الشعرية بين فلاح بن شردان، ودخيل الدرعان وأوردت أبياتاً، وإن اختلفت بعض كلماتها وتعطي الانطباع بوجود ماء في البئر، وهذا بخلاف الانطباع من الأبيات التي أوردها سعد الطارف والتي لا تشير إلى عدم توفّر الماء بها. ومع ذلك فإن هذه الرواية تتشابه في المضمون العام مع ما أورده سعد الطارف من جوهر القصة، وكذلك من أبيات وشعر بين الاثنين. وفوق ذا وذاك، كما في الروايات السابقة، فهي تمثل إقراراً واعترافاً بقيمة ومكانة كل من دخيل الدرعان، وفلاح بن شردان، وأنهما يمثلان رمزين بارزين في جماعتيهما، القرشة والمعاقلة على التوالي.

نص الرواية، منقول عن ما كتبه عبد الرحمن الشايع بخط يده، منسوباً لما قال إنه سمعه من «عايض الزيد الواكد»، وأنا أنقله كما ورد وبغض النظر عن الأخطاء الواردة فيه، علماً أننا وضعنا أرقاماً قرينة الكلمات الملتبسة وسنوضحها قدر الإمكان بعد نهاية النص. كتب عبد الرحمن الشايع النص التالي:

«يقول عايض الزيد كانت القشة (١) والمعاقلة صايح واحد، الآنه (٢) في أول حكم الرشيد ظهر سرب سيسرا وعند ما قصوه في ديرت (٣) أهل السوق حتى وصل سيسرا، فأراد القشة (٤) (يأخذونها هي وسربها، وحصل نزاع بين دخيل الدرعان وفلاح الشردان، نزاع على سيسرا نفسها، وصار دخيل يقصد ويقول: يا سيسرا مك (٥) قراح ــ ــ ــ ويحرم على ذوقه فلاح، ويقصد فلاح، ويقول:يا سيسرا ماها جميل ــ ــ ــ حلفت ما يذوقه دخيل. وعلا (٦) إثر هذا حصل نزاع، وبعد مضي سنه من مشكلة سيسرا، قامت القرشة برياسة (٧) دخيل، وتواعدوا على ذبح المعاقلة يوم الجمعة، حيث ما كان في سكاكا كلها جامع إلا هذا الجامع، وعندما وصل الخبر لسهيان (٨) يوم الجمعة، مشا ناس (٩) عند بيبان الجامع قبل قيام الصلاة، وقالوا؛ الغنم وخذت، وتفرقة الجماعة من المصلى (١٠)، ومنها ذا (١١) المنطلق نشأته لفتنة (١٢)، وصاروا أضداد لبعظهم، هذا ما ورد بالقصة والله أعلم» انتهى النص (الشايع، عبد الرحمن عطا، رواية عايض الزيد عن أصل الخلاف بين القرشة والمعاقلة، نسخة من أصل مخطوطة يدوية كتبها عبد الرحمن الشايع، في: الشايع، خالد عبد الرحمن، مجموعة أوراق، تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢: الساعة ٥ عصراً).

«وفي الملحوظات عن الرواية وما ورد بها من أرقام، نشير إلى أن الأرقام داخل نص الرواية المنسوبة مضمونها إلى عايض الزيد لم ترد في الأصل، وإنما هي من وضع (الباحث) وكذلك مقابلاتها أدناه. عليه فإن تلك الأرقام وتوضيحاتها تشمل تصحيحاً للاخطاء الواردة في النص أعلاه)، وهي كالتالي:

(١) ـ «القشة» هكذا كتبت ويقصد «**القرشة**».

(٢) ـ «الآنه» هكذا كتبت ويقصد «**إلا أنه**»

(٣) ـ «ديرت» هكذا كتبت ويقصد «**ديرة**».

(٤) ـ «القشة» هكذا كتبت ويقصد «**القرشة**».

(٥) ـ «مك» كتبت هكذا ويقصد «**ماءك**».

(٦) ـ «علا» هكذا كتبت ويقصد «**على**».

(٧) ـ «برياسة» كتبت هكذا ويقصد «**برئاسة**».

(٨) ـ «لسهيان» كتبت هكذا ويقصد «**للسهيان**».

(٩) ـ «مشا ناس» يقصد «**طلب من بعض الناس أن يذهبوا إلى**».

(١٠) ـ «الغنم وخذت وتفرقة الجماعة..» يقصد إنه تم الطلب من أحد الأشخاص للقول والترديد جهاراً أن «الغنم استولي عليها ـ الغنم استولي عليها... وهكذا» ونتيجة لسماع الناس والمصلين هذا القول تفرقوا؛ أي تركوا الصلاة والمسجد طلباً لأغنامهم.

(١١) ـ «ومنها ذا» كتبت هكذا ويقصد «**ومن هذا**»

(١٢) ـ «نشأته لفتنة» يقصد «**تسببت في نشوء فتنة**».

....

وفي ملاحظاتنا على ما تقدم من روايات عن واقعة «سيسرا»، بما فيها الرواية المنسوبة لـ «عايض الزيد»، وتعليقاً على ما جاء فيها، نلفت الانتباه إلى التالي:

أولاً: نسجل اختلافنا مع مضمون الرواية المنسوبة لـ «عايض الزيد»، من حيث القول إن واقعة «سيسرا» حدثت في «**أول حكم الرشيد ظهر سرب سيسرا**». من المعلوم أن بداية سيطرة الرشيد على الجوف يعود إلى عام ١٨٣٨م، ثم إعادة السيطرة مجدداً في ١٨٥٣ بعد تمرد دام لمدة شهر تقريباً، ثم إعادة السيطرة بعد الحملة التركية نهاية ١٨٧٠م. بناء عليه وطبقاً لما أشرنا إليه في حينه وللأسباب عينها نرجح أن واقعة بئر سيسرا حدثت ما بين ١٨٧٩ ـ ١٨٨١م، أو في حدودها نقصاناً أو زيادة بقليل.

ثانياً: نلفت الانتباه، إلى أن سعد الطارف كان يقلل من دقة أقوال «عايض الزيد» في موضوع أن أصل الخلاف بين القرشة والمعاقلة يعود إلى واقعة «سيسرا»، ذلك أن سعد الطارف عندما سمع القول (بالأصل تساؤل من ممدوح السلطان لـ سعد الطارف): «هالحين حرب القرشة والمعاقلة ماهي أسبابها «سيسرا؟»، رد بالقول: «لا لا، تسمع خرط هذاك وهذاك... هذه سوالف هيسي ((يقصد أظن)) عايض الزيد؟ فقال ممدوح «نعم سوالف عايض»، فقال سعد الطارف: «خيط بيط...» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٣ من ٢١). ومع ذلك، ورغم ملاحظة سعد الطارف عن روايات عايض الزيد، فإن رواية الأخير لا تختلف جوهرياً عن ما أورده سعد الطارف أو الروايات الأخرى من حيث تأكيد حدوث واقعة «سيسرا» وما ورد في ثناياها من ملابسات صراع ونزاع بين القرشة والمعاقلة. أما القول بأن اصل النزاع بين القرشة والمعاقلة يعود بداية إلى حادثة سيسرا بذاتها، فهو أمر لا يبدو مؤكداً، بل ومشكوك فيه، وهو ما يفسر عدم قناعة سعد الطارف بهذا القول والتحديد. ورغم ذلك كله، فإن ما يهمنا في هذه الواقعة (واقعة سيسرا) فضلاً عن ما ذكرناه سابقاً ـ وبغض النظر عن كونها أصل النزاع أم لم تكن، وكذلك رغم عدم اندلاع أعمال عنف أو قتال أو قتل فيها ـ، هو أنها إحدى الواقعات والأحداث الخلافية والصراعية، التي حدثت بين القرشة والمعاقلة في ظروف ومرحلة ما تراكمت مع بعضها البعض لتؤسس وتشكل تاريخ ومسار الصراع الأهلي والحرب الأهلية في الجوف، وعلى الأقل في جزء منه، وبالذات ما تعلق منه ما بين القرشة والمعاقلة في سكاكا.

ثالثاً ـ وأخيراً، وفوق ذا وذاك، كما في الروايات السابقة، بما فيها رواية سعد الطارف عن واقعة «سيسرا» نفسها، فهي تمثل إقراراً واعترافاً بقيمة ومكانة كل من دخيل الدرعان، وفلاح بن شردان، وأنهما يمثلان رمزين بارزين في جماعتيهما، القرشة والمعاقلة على التوالي، وهو ما يعني في ما يخص فلاح الشردان تحديداً أنه (أي فلاح الشردان) لم يكن بهذه الوضعية لو لم يكن قد حقق مشيخته في المعاقلة في ذلك الوقت (الراشد والدغيفق). كما أنه يعني في ما يخص «دخيل الدرعان»، أنه كان شخصية محورية في القرشة. مع ذلك سنلاحظ، كما أشرنا إلى ذلك في أكثر من مكان وواقعة، منذ ١٨٥٣م، وبالذات منذ ١٨٧٠م، فصاعداً، تنامي بروز نخب جديدة بديلة عن نخب قديمة بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل)، وهو ربما يتصل برغبة من سلطة الرشيد في تدوير النخب (تصعيد نخب جديدة وتنزيل نخب قديمة). لذلك نرى، في سكاكا، بروزاً كبيراً لـ «شكر السهيان» على حساب كل من «قاسم السعيد» و«دخيل الدرعان»، وبروز كبير لـ «فلاح الشردان» على حساب «الحيزان». في دومة الجندل، بالموازاة،

أشرنا، إلى نهاية «السراح» منذ ١٨٥٣م، وانحسار كبير لـ «الدرع» منذ ١٨٧٠م، والمستفيد والصاعد في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو زبن القعيّد.

٥ ـ واقعة «السمرة/ السمرية» أو «روضة الزريع» (١٨٧٠م/ ١٨٨٠م؟)

بداية، نقول إنه ورغم أن هناك أراضي وبئراً بمسمى «السمرية» وهي الآن، على ما يبدو، أراضي الأحياء التي فيها جماعة «آل الكريع» (الشايع آل كريع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤ : ٤٧)، إلا أن المقصود بـ «السمرية» أو «السمرة» هنا أو ما تعرف بـ «روضة الزريع» هي تلك المنطقة الواقعة في غرب ما يعرف بـ «الزقاقية»، وهي إلى جنوب شرق «السحل» و«الحمى»، وإلى الغرب من سكاكا على بعد مسافة تقريبية تقدر بـ: ١٥كم أو بحدودها، وهي حالياً، كما يقول سليمان العودة، مشغولة على ما يبدو بمزارع تابعة لأولاد لطيف السعدون (نقاء وصلال) (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٨ من ٢٣، ج ١)، علماً أن «الزقاقية» فيها الآن، على ما يبدو، مزرعة فهد السنيدي (العقيلي). ثانياً نقول، إن واقعة «السمرة/ السمرية»، كما هي معظم الواقعات تحت النقاش في هذه الدراسة، ليس لها تاريخ محدد، ومع ذلك سنحاول الاقتراب من تحديده من خلال بعض القرائن حولها/ أو الإحالات إليها. ونقول، ثالثاً، إننا ومن باب الاختصار في المناقشات التالية وما يتعلق بالواقعة والإحالة عليها سنقتصر في مناقشتها على مسمى واقعة «السمرية»، دون الاسم المرادف لها وهو «روض الزريع».

واقعة «السمرة» أو «السمرية» أو «روض الزريع»: قصة ورواية

بداية، لماذا نقول في واقعة «السمرية»، قصة ورواية؟ السبب المباشر يعود إلى أنه في ما وقع بين يدي وما استطعت الحصول عليه من الرواة والمصادر، فإنه ليس هناك روايات متعددة أو متقابلة لواقعة «السمرية»، بل هناك رواية واحدة، وهي بالتالي تمثل وجهة نظر جماعة بعينها عن الواقعة وتفصيلاتها. ورغم غياب وجهة النظر الأخرى عن الموضوع، فإننا نميل إلى إيراد مضمونها، لأن قائلها هو، سعد الطارف، وهو يعتبر من أشهر الرواة والثقاة في تاريخ الجوف وبالذات في سكاكا وعن جماعة المعاقلة بشكل أكثر تحديداً، ونحن نوردها، ثانياً، دون أن نتبناها أو نقول بالضرورة بصحتها ودقتها، لعلاقتها بالخلاف والصراع ما بين الأهالي بالجوف (في سكاكا، بين القرشة والمعاقلة). نحن في الدراسة الكلية لا نهتم بالواقعة بذاتها (أي واقعة سواء هذه الواقعة، أو الأخرى مما سبق مناقشتها أو ستأتي لاحقاً). من هنا، ورغم أهمية مقابلة الروايات في حالة توفرها، فإن اقتصار الطرح هنا على قصة ورواية وحيدة لن يؤثر في الغايات النهائية المستهدفة من هذه الدراسة الكلية.

في سؤال وجهناه إلى سعد الطارف، ومضمونه: هل هناك ثأر أو حرب بين المعاقلة والقرشة غير أو قبل «كون الظلي»؟ تذهب الرواية، التي يقصها بالأصل، سعد الطارف، عن واقعة «السمرية» إلى القول، ((علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح)): «نعم، قبل حرب بينهم، وذبح بها خليفة الواكد (الأول)، غير خليفة الواكد (التالي)، والذي قتل في «كون الظلي». وعن أسباب قتله، قال في البداية إنه لا يدري: «ذبحة خليفة (الأول)، والله ما أدري سببها، ولكن القرشة والمعاقلة اتطالعوا ((خرجوا تواجهوا)) في موقع اسمه «السمرة» وتذابحوا»، وأضاف سعد الطارف:

«أنه عندما مر خليفة الواكد (الأول)، كان «محيا» ـ ـ ـ رجل من الطالب... من ذريته الشخص الذي انتحر حول رمضان ـ ـ ـ «والشايب اللي كان ولده بالقريات حمود المحيا»، كما يضيف سليمان سعد الطارف ـ ـ ـ «هذه الحرب هي حرب قبل» ((أي قبل حرب القرشة والمعاقلة في «كون الظلي»)) ـ ـ ـ ثم تذكر سعد الطارف، وقال إن أسباب الحرب هي: «... أن هناك ضيوفاً من أهل الجوف عند المعاقلة، وحشروهم ((يقصد حاصروهم)) القرشة» ـ ـ ـ (وقالوا) ـ ـ «والله ما يمدّون» ـ ـ ((يقصد منعوهم من السفر والعودة إلى الجوف، أي إلى دومة الجندل)) ـ ـ ـ، وأضاف سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٩ ـ ١٠ من ٢١)، أن هذا حدث: «يوم عيد» جد لـ «نعيم السهو»، قصد يقول:

«راكـب حـمـراء لـفـى بـدلـيـل	ولا مـشـت اسـرع مـن الـقـطـاة
تـلـقـى **أخـو نـورة** زبـن مـن هـو نـصـاة	قـلـه ضـيـفـنـا حـيَـر عـن الـمـديـد
ولـو انـطـبـق وطـاه عـلـى سـمـاه	«الـشـطـر غـيـر واضـح»........!!؟
«الـشـطـر مـفـقـود».............	سيـلـنـا الـدم مـع الـوطـى والـصـفـاة»

وعن أسباب منع الضيوف من العودة إلى الجوف ((دومة الجندل))، فيقول سعد الطارف: «..والله ما أدري وشلون، ولكن القرشة حشروهم، وهم ((يقصد الضيوف)) من صايح ((يقصد حلفاء)) المعاقلة، وتلاقوا بالسمرة، وتذابحوا».. «وهذه التالية «كون الظلي»، ما صار بعده حرب بين القرشة والمعاقلة»، وقبل؟ يقول: «.. هاللي أقولك، الحرب ألّلي بها عيد النعيم واجناسه، وذبح بها خليفة الواكد (الأول)...» (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٠ من ٢١).

في السياق نفسه، يقول أحمد القضيب الراشد عن واقعة روضة أو حادثة «المزيرع» أو «الزريع»، يقولون «... القرشة خذوا حلال المعاقلة...» (الراشد، أحمد القضيب، لقاء حديث (II)، الجمعة في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١:٠٠ ـ ٢:٣٠ ظهراً). أما سليمان العودة الفلّاح، فيقول، عن بداية الصراع ما بين القرشة والمعاقلة: «أسمع... فيه ضيوف عند المعاقلة بالروضة هاللي هالحين ـ ـ ـ ((يقصد بها حالياً)) ـ ـ ـ عيال لطيّف السعدون، (نقاء وصلال)،... روضة الزريع... قاموا القرشة يلحقونهم ويأخذون بعارينهم... وهذه أول شر صار... فزعوا المعاقلة، وذبحو القرشة، وخذوا بعارين الضيوف منهم... وأعطوهم لهم...»، ولكن العودة يقول عن من هم الضيوف: «ما أدري» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٨ من ٢٣، ج ١).

ملاحظات على الرواية واستنتاجات:

١ ـ ليس صحيحاً أن «كون الظلي» هي آخر حرب بين القرشة والمعاقلة، سنرى أن أحداث ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وإن بتبعية للرشيد والشعلان، فيها قدر من الصراع والعنف بين أطراف من المعاقلة والقرشة لها صلة بالعمليات الحربية ذات صلة بالقوى من خارج المنطقة. وليس صحيحاً أن واقعة «السمرة» هي التي تحدد بداية الصراع بين القرشة والمعاقلة في سكاكا تحديداً، إلا إذا كان القصد أنها أول واقعة يسجل بها استخدام الأسلحة النارية، وفيها قدر من عنف وقتال بين المجموعتين وعلى مستوى يتجاوز المستوى الفردي إلى مستوى جماعي من الطرفين. طبعاً الصراع الأهلي والحروب في الجوف

(دومة الجندل) تعود إلى ما قبل هذه الواقعة بكثير (إلى أواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر ١٨٣٨م، وجذورها تعود إلى ١٧٩٢ ـ ١٨٠٠). ما نقوم به هنا وفي كل البحث المتصل بالحرب الأهلية والصراع الأهلي في الجوف، يستهدف في جزء منه تحديد تلك الواقعات، في بداياتها ونهايتها والتي تشكل مع بعضها البعض ما يرقى إلى ما يمكن تسميته بالحرب الأهلية في الجوف، في محاولة للإحاطة بها فهماً وتفسيراً وتجاوزاً.

٢ ـ إذا انطلقنا من أن هناك «خليفة الواكد التالي»، والذي قتل في «كون الظلي ـ في صيف ١٩٠٧م أو صيف ١٩٠٨م على الأكثر)، هو حفيد لـ «خليفة الواكد الأول» وكان صغيراً وقت مقتل جده. وإذا افترضنا أن خليفة الواكد التالي، قتل وهو شاب يافع (لم يتجاوز ٢٠ سنة) فنتوقع أن مقتل جده كان بحدود ١٨٨٧م، وهو ما يعني أن واقعة السمرة وقعت في (١٨٨٧م) أو في حدودها زيادة أو نقصاً ببضع سنوات قليلة. ثانياً الإشارة إلى مواجهة بين المعاقلة والقرشة، بما يوحي إلى حالة من انقسام واضح بين القرشة والمعاقلة، ينبني عليه بالترجيح أن الواقعة وقعت بعد أحداث المديرس والحملة التركية على الجوف (١٨٧٠/ ١٨٧١م). لم يكن الانقسام الأهلي في الجوف بين القرشة والمعاقلة واضحاً قبل ١٨٧٠م. ما كان واضحاً في هذه الفترة وما قبلها هو الانقسام على محور السراح/ الدرع. في سكاكا سيتطور الأمر بعد ١٨٧٠م/ ١٨٧١م فصاعداً مروراً بواقعة سيسرا ١٨٧٠sم (؟) وواقعة مؤامرة مسجد الجمعة (١٨٨٠sم)، وطبعاً شاملاً أو متضمناً واقعة السمرة/ السمرية. من هنا، وعلى أية حال، نتوقع أن واقعة «السمرة/ السمرية» في الغالب حدثت في سنة ما من عقد الـ «١٨٨٠sم؟) أو من عقد الـ «١٨٧٠sم»، وما بينهما، وإن كان ليس هناك من دليل قاطع في الأمر. ورغم أننا في الاستنتاج أعلاه وفي عنوان الواقعة، أوردناها على أن تاريخها هو (١٨٧٠sم/ ١٨٨٠sم)، فإننا في جدول تصنيفات واقعات الحرب والذي أعددناه، ومن باب التحوّط، وبسبب من عدم اليقين، أدخلنا تاريخ «١٨٧٠sم» قرين «واقعة السمرة/ السمرية» في الجدول على أنها وقعت في وقت ما من ذلك العقد، ولكننا وضعنا علامة استفهام(؟) ملازمة لها، كذلك، للدلالة على عدم القطع واليقين بتاريخ محدد بوقوعها، والأمر ينطبق على أية واقعة تلازمها علامة استفهام (؟).

٦ ـ صراعات أهل الجوف الاصطفافية في سياق سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩م/ ١٩١٠ ـ ١٩١٥م)

في إثر التطورات الدموية في حائل داخل أسرة «آلرشيد» في الفترة ما بين ١٩٠٦ و١٩٠٨ (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨م: ٦٨)، وفي سياق تداعياتها على العلاقات الأهلية بالجوف (وبالذات في سكاكا بين القرشة والمعاقلة على محور العلاقة مع الرشيد حيث حدثت واقعة «كون الظلي» في سياقها في صيف ١٩٠٧م أو ١٩٠٨م)، وكذلك في سياق تواصلها فيما بعد مباشرة، سنحت الفرصة لإبن شعلان (نواف النوري الشعلان) وبدعم، وإن كان متردداً في البداية، من والده النوري بن هزاع الشعلان، للسيطرة على الجوف، علماً أن ابن شعلان، وفي سياق تبدلات وتحولات في المواقف والتحالفات الأهلية من وتجاه الرشيد على إثر واقعة «كون الظلي» وما بعدها من تداعيات، تلقى، على ما يبدو، دعماً أو طلباً من بعض

أهالي الجوف، وتحديداً من المعاقلة بالتدخل، وعبر حليفهم في دومة الجندل «زبن القعيّد»، الاتصال على الشعلان «نواف»، وهو ما تم، كما يذكر سعد الطارف (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٦ من ٢١، والطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٥ من ١٦)، وعلماً كذلك أن ابن شعلان تلقى دعماً و/ أو طلباً، على ما يبدو، من ابن سعود، وكذلك من فيصل ابن حمود عبيد الرشيد للسيطرة على الجوف (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢م (أ): ٣٧٧).

لم يكن دخول ابن شعلان سهلاً، بل واجه مقاومة عنيفة استمرت لأكثر من ثمانية أشهر، حيث امتدت المقاومة من شباط/ فبراير ١٩٠٩م، بداية الغزو والدخول الأولي (غير الكامل) لقوات ابن شعلان الجوف (دومة الجندل) وحتى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٩م، الموافق ذي الحجة من عام ١٣٢٧هـ. كانت مقاومة دخول الشعلان بداية في الجوف (دومة الجندل)، وحيث إن المقاومة في دومة الجندل، استمرت قوية فقد حاول ابن شعلان التوجه إلى سكاكا، ولكن كانت المقاومة في سكاكا، وخاصة من حلف القرشة لا تقل شدة عن الحال في دومة الجندل.

في النهاية ومع المطاولة والمناورة، وقدر من الخديعة استطاع ابن شعلان أن يُحكم سيطرته على الجوف في ذي الحجة من عام ١٣٢٧هـ الموافق ديسمبر ١٩٠٩م، باستسلام الحامية والمقاومين في دومة الجندل، أولاً، ثم بعدها، مباشرة في سكاكا. في ثنايا تلك السيطرة الموسومة بالعنف والفوضى، كان أهل الجوف، وعلى محور المعاقلة القرشة، في كل من سكاكا ودومة الجندل، قد انقسموا بين مؤيد، ومتحالف مع ابن شعلان (المعاقلة) من جهة، وبين مقاوم له ومتحالف ضده (القرشة)، مع بقايا قوات وحامية ابن رشيد من جهة أخرى، فكانت رحى الحرب، وعنفها وفوضاها، في جزء غير يسير منها، تدور في حقيقة الأمر بين الأهالي في الجوف؛ بين المعاقلة وتحالفاتهم من جهة، وبين القرشة وتحالفاتهم من جهة أخرى في كل من دومة الجندل وسكاكا في الوقت عينه وفي ترابط كبير بينهما. إنها، وفي سياق التحالفات المتقابلة على محور قوة خارجية تندرج تحت ما يمكن تسميته بالصراع الأهلي الاصطفافي، أو الحرب الأهلية الاصطفافية.

وعليه، فإنه ورغم أن الحرب في الجوف في هذه الفترة إنما اندلعت في سياق فوضى، وعنف سيطرة ابن شعلان، وقواته الغازية على الجوف، إلا أننا هنا سنعالجها كحرب أهلية وصراع أهلي بين أهالي الجوف (في دومة الجندل وسكاكا)، وخاصة أنه، ورغم انتزاع ابن شعلان للجوف عنوة وبقوة وعنف غير قليل في نهاية ١٩٠٩م، فإن تلك الحرب، وفي سياقها الأهلي، لم تتوقف بشكل تام، حيث كانت هناك عمليات قتالية، وإن كانت متقطعة، ومحدودة بين الأهالي، امتدت كما سنرى حتى ١٩١٤ ـ ١٩١٥م، فضلاً عن أن واقعة ما يعرف محلياً بـ «هجة القرشة» قد وقعت في ثناياها، وتحديداً في سياق ملابساتها وتداعياتها ومتصلة بها بدرجة غير قليلة كما سوف نشير إليها في ثنايا هذه المناقشة ذاتها.

وفي ما توفر من معلومات عن واقعة الحرب الأهلية والصراع الأهلي هناك مصدران: الأول هو المدوّنات التاريخية (كتابات الرحالة الغربيين)، والثاني هو المرويات الشفهية المحلية، وفي ما يلي نرصد الواقعة من خلال المصدرين:

أـ في المدوّنات التاريخية (مذكرات الرحالة الغربيين): في مذكرات «موسيل»

الرحالة الوحيد الذي كان شاهداً على بعض من فصولها الأولى (أوائل ١٩٠٩م)، وكذلك سجل بعض من تفصيلات بعض من نهايتها في ملاحظات عينية لبعض من حالات نهايتها أو فصولها الأخيرة (١٩١٤/ ١٩١٥م)، هو الرحالة التشيكي «**ألويس موسيل**» (Alois Musil)، والملقب عند الرولة بـ «الشيخ موسى». زار موسيل منطقة الجوف مرتين؛ الأولى في الفترة ما بين ٤ شباط/ فبراير ١٩٠٩م وحتى ٢١ ـ أيار/ مايو ـ ١٩٠٩م، حين غادر الجوف عبر وادي السرحان، حيث وصل كاف في ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٠٩م، ووصل دمشق في ٢١ ـ ٧ ـ ١٩٠٩م، وفي الثانية في الفترة ما بين ٢٧ ـ كانون الأول/ ديسمبر ـ ١٩١٤م، حيث وصل الحماد، شمال الجوف عند مخيّم النوري الشعلان، وحتى ٧ ـ ١ ـ ١٩١٥م، وفي ١٢ ـ كانون الثاني/ يناير ـ ١٩١٥م، وصل الجوف (دومة الجندل)، وغادرها بعد فترة غير طويلة لحائل، ليعود إلى إستنبول بعد مرور ستة أشهر من بداية رحلته وحتى نهايتها. في كلتا الزيارتين لـ «موسيل» هناك معلومات لا بأس بها عن مجريات الحرب الأهلية بالجوف، ولكنها غير كاملة، مما يحتم علينا محاولة سد النقص فيها بالإحالة على المرويات الشفهية عنها.

في الزيارة الأولى للجوف (فبراير ـ مايو ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ) كان **موسيل** شاهداً على فترات من القتال، والحرب بين الأهالي في سياق سيرورة سيطرة ابن شعلان على الجوف، والتي لم تكن قد اكتملت بعد. عندما وصل **موسيل** للجوف في ٤ ـ فبراير ـ ١٩٠٩م (١٣ محرم ١٣٢٧هـ)، كان نواف النوري الشعلان، ومعه قوة بحدود ٣٥ مسلحاً أغلبهم من العبيد، قد دخل وسيطر سيطرة جزئية على الجوف (دومة الجندل وإلى حد ما سكاكا). في هذه المسألة، بداية دخول الشعلان للجوف تعود إلى ما قبل شهرين من ذلك تقريباً (على ما يبدو حدث هذا فيما بعد منتصف ديسمبر ١٩٠٨م، في الثلث الأخير من ذي الحجة ١٣٢٦هـ). عن تلك الأحوال، والقتال، والحرب، وأطرافها، ومواقفها، وتداعياتها، وتواصلها، يسجل **موسيل** المعلومات التالية، فيقول:

«جاء نواف لمقابلتي، وقادني إلى غرفة في الدور الأرضي... قال لي نواف إنه جاء إلى الجوف ومعه خمسة وثلاثون جندياً، أغلبهم من العبيد الشباب، الذين لم يضعوا أسلحتهم الجاهزة للاستعمال جانباً منذ وصولهم. في المساء (مساء يوم الخميس الموافق ٤ ـ ٢ ـ ١٩٠٩م) جاء إلى مجلس نواف حوالي خمسين رجلاً مسلحاً من أهل الجوف، مع شيوخهم. لم يكن نواف يثق بهؤلاء الشيوخ... كان هؤلاء الشيوخ برئاسة زبن القعيّد، الذي كان في حوالي الأربعين من عمره.... ابن قعيّد هو الآن الشيخ الكبير بالجوف، لذا جاء يدعو الأمير النوري ليتسلم الحكم داخل هذه الواحة وجوارها...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

ويواصل **موسيل** ملاحظاته عن الحرب الأهلية في الجوف، وأطرافها، وسياقاتها ومساراتها، وبعض من خلفياتها، بالقول:

«بعد أن فقد أهل الواحة سيدهم، ابتدأ سكان دومة الجندل والواحات الأخرى بالحرب فيما بينهم. فحال مغادرة فيصل الرشيد، بدأ ابن قعيّد شيخ أكبر أحياء الواحة، بإعلان ولائه لِإبن شعلان، وأخذ على عاتقه التخلص من أعدائه وسلبهم. لجأ هؤلاء الناس إلى اثنين من الأحياء القوية داخل الواحة، وهما

حيًّا مارد وخذما، حيث كانت في خذما حامية مؤلفة من أربعين رجلاً وبقية من جنود ابن رشيد، وكان يقودهم ابن نعام الذي كان يتوق للسيطرة على الجوف لنفسه. بدأ ابن نعام وشيوخ خذما ومارد، ومعهم اللاجئون من الأحياء الأخرى بالاتحاد لمقاومة نواف، الذي انضم إلى ابن قعيّد، الذي كان يعلم جيداً صعوبة السيطرة على المناطق التي يسيطر عليها الأعداء. نصح ابن قعيّد نوافاً بتدمير أملاك معارضيه الموجودة خارج أحياء مارد وخذما، وذلك بهدم منازلهم وتقطيع نخيلهم وردم آبارهم، وأنه فقط من خلال تجويعهم يمكن إخضاعهم له.... لقد رجوت نوافاً لتجاهل هذه النصيحة، لأنه بتنفيذها سيضحّي بخير الجوف لعدد من السنين. كما نصحته بأن لا يتفاوض مع ابن نعام بل مع شيوخ مارد وخذما، الذين سيدركون أن عليهم الخضوع له، عندما يتأكدون من أنهم لا يستطيعون الاعتماد على أي دعم من ابن رشيد، وغير قادرين على مقاومة الرولة. وعدني نواف نواف بأنه سيعمل حسب نصيحتي...»(!) (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٧٧ ـ ٣٧٩).

(١) خسائر الحرب في دومة الجندل (أواخر ديسمبر ١٩٠٨ وحتى السبت ٦ من فبراير ١٩٠٩م):
وعن الخسائر (القتلى الجرحى وتدمير البساتين والأملاك) بين الطرفين الناتجة عن الحرب في ما سبق من الأيام (منذ تقريباً أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٨م وحتى صبيحة يوم الجمعة والسبت ٥/ ٦ ـ فبراير ـ ١٩٠٩م)، يحدثنا الرحالة **موسيل**، بعد خروجه من إقامة نواف الشعلان، وبعد أن مسح المنطقة المجاورة، من على كومة في الخرائب، بالقول: «في يوم الجمعة ٢٥/ ٢/ ١٩٠٩، وبعد شروق الشمس... وخلال وقت قصير كان نواف مُحاصراً بعدد من أهالي الجوف، ومن جميع المستويات، وكانوا يتوسلونه لكي أزور مرضاهم وجرحاهم. لقد تم أخذي إلى عدة أحياء يقطنها أصدقاء ورعايا نواف. من هذه المناطق كانت هناك منطقتان مدمرتان بشكل كامل. فالمساكن مهجورة، والنخيل محروقة، وجدران البساتين مهدمة. لقد واجهت رجالاً يدفعون أمامهم صغار النخيل المصادرة من بساتين أعدائهم المنهزمين. أما الجرحى فكانوا في حالة مزرية، فجراحهم مليئة بالصديد ومتسخة، أطرافهم متورمة، والجميع يعاني من الحمى. لقد علمت بأنه حتى الآن قد قُتل أكثر من ثلاثمائة مقاتل، وإن إطلاق النار مازال مستمراً..» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢م (أ): ٣٧٩) «... في صباح يوم السبت ٦/ ٢/ ١٩٠٩ أتى بعض سكان الجوف إليَّ يدعونني لزيارة الجرحى، الذين عالجتهم في الليلة السابقة، ولكن كانت أغراضي محملة، وأنا أريد الذهاب إلى ميقوع حيث يخيم الأمير النوري على مسافة يومين من هنا، فأوصيتهم بالذهاب إلى نواف الذي تركت معه الأدوية المناسبة والضمادات. وانطلقت إلى مقصدي في ميقوع» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨١).

(٢) ابن قعيَد يجهض اتفاقاً لإستسلام المقاومين (فالحرب الأهلية تتواصل): وعن إجهاض محاولة اتفاق لاستسلام المقاومين، يواصل **موسيل** ملاحظاته، ملقياً باللوم على ابن قعيد ودوره في إحباط الاتفاق، بالقول، إنه في ذلك اليوم (على ما يبدو الجمعة ٥ ـ ٢ ـ ١٩٠٩م): «... بعد أن رجعت أعلمني نواف بأنه أرسل رسولاً إلى شيخ مارد، وقد رجع السفير بخبر مفاده أن السكان يرغبون بقدومه هو، أي نواف، أو عبد الله بن طلال الشعلان مع المملوك عامر [مملوك النوري الشعلان]، وأنهم على استعداد لإكرامهم، وأنهم سيصلون معهم إلى اتفاق. لكن نوافاً، وعبد الله لم يكونا على استعداد للقيام

بذلك، فقد كانا يخافان من الخديعة، ولذلك ذهب عامر وحيداً إلى مارد. في المساء قدم عامر تقريراً إلى نواف يفيد أن السكان على استعداد للاعتراف بنواف سيداً في حال أعاد لهم وللاجئين عندهم أملاكهم، التي تمت مصادرتها فرفض ابن قعيّد هذا الأمر. كانت مطالب الأحياء الأخرى تشابه مطالب حي مارد، ولكن ابن قعيّد ألح على نواف في تلك الليلة للقيام بهجوم على بساتين الأعداء وتدمير جدرانها وقطع نخياها، وقد بدا بعض الشباب المتهورين بفعل ذلك عملياً. وكنا نسمع إطلاق رصاص مستمر، وصيحات الحرب والنواح... حال أن تمددت بفراشي، بدا الحراس حولي بالتصويب وإطلاق الإنذرات. أخذ جنود نواف مواقعهم في الأبراج والسطوح، فابن نعام بدأ هجوماً باتجاه منزلنا، وقد تم صد الهجوم، ولكنه حاول مرتين معاودة الكرة في تلك الليلة. لقد كان الرصاص يزن في أذني بشكل متواصل والمقاتلون يجرون من حولي، وقد أصابت بعض الطلقات الجدار الحجري للبرج الكبير...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٣) الحرب الأهلية والوضع في سكاكا (١٥ ـ ١٦ أبريل ١٩٠٩م): على إثر تواصل القتال في دومة الجندل بين المقاومين من جهة وبين نواف وحلفائه من جهة أخرى، قرر الرحالة **موسيل** في ليلة الجمعة (٥ ـ ٢ ـ ١٩٠٩م) الرحيل، وكان ينوي زيارة سكاكا، كما نصحه نواف، ولكنه عدل عن ذلك بسبب تردي الأوضاع هناك، وقرر الذهاب إلى النوري في ميقوع في صباح السبت ٦ فبراير من عام ١٩٠٩م. عن ذلك يقول **موسيل**: «... بالطبع في هذه الحالة لم أتمكن من النوم، ولا حتى محاولة عمل أي شيء آخر، لذلك وصلت إلى قرار بالمغادرة في اليوم التالي إلى الأمير النوري. اقترح نواف، الذي كان يريدني بجانبه، عليَّ زيارة قارا والطوير وسكاكا، ولكن وبما أنني كنت أعلم بأن هذه الاماكن كانت في حالة عدم استقرار تشابه الوضع في دومة الجندل، أجلت الزيارة إلى وقت آخر... في صباح يوم السبت الموافق ٦/ ٢/ ١٩٠٩م... وانطلقت إلى مقصدي في ميقوع» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨١). وبعد مرور أكثر من شهرين من مغادرته دومة الجندل، وبعد أن قضى طوال تلك الفترة اللاحقة لمغادرته في صحبة النوري، قرر أن يزور سكاكا، وبالفعل وصلها في الخميس ١٥ نيسان/ أبريل ١٩٠٩م الموافق ٢٤ ربيع الأول ١٣٢٧هـ. مكث في سكاكا فقط من الخميس ١٥ ـ ٤ ـ ١٩٠٩، حيث وصلها، وحتى صبيحة الأحد التالي مباشرة (١٨ ـ ٤ ـ ١٩٠٩م) حيث غادرها. في هذه الفترة القصيرة جداً، وفي ضوء أنه قضاها كلها تحت اختطاف وحصار، تعرض خلالها للخديعة والغدر والنهب والسلب والسب واللعن، والبصق في وجهه والتطاول عليه وتهديده بالقتل من أجل ابتزازه، رغم أنه في حماية النوري، من قبل عدد محدود من الأشخاص، ومنهم رجا ومجموعة معه، لم يكن بمقدور **موسيل** أن يستكشف ويحيط بالأوضاع في سكاكا. ومع ذلك فتعرضه ذاته للنهب والسلب، بما هو أقرب إلى وضعية قطّاع الطرق، وما قال له أحد خاطفيه (رجا)، أثناء اختطافه بأن عليه أن يحمد الله على أنه لم يقع «... في يد القرشة في المنطقة الشمالية لسكاكا، والذين كانوا في حالة حرب مع الرولة...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨٣)، يدل على حالة من الفوضى وعدم الاستقرار التي أشار إليها سابقاً في السادس من شباط/ فبراير ١٩٠٩م. ومع ذلك فإن موسيل يقدم تصوراً عاماً عن الأوضاع غير المستقرة في سكاكا، ولكنه في حقيقة الأمر يحيل إلى تواصل الحرب الأهلية في

سكاكا بين القرشة والمعاقلة على خلفية «كون الظلي» وتداعياتها لاحقاً، وإن لم يحددها أو يذكرها. في ذلك كله وعنه يقول موسيل: «كما هو معروف، فإن الجزء الشمالي من سكاكا تسكنه جماعة القرشة، والجنوبي تسكنه المعاقلة. وجماعة القرشة تتألف من عائلات العلي والضويحي والمطر، ويحتلون مئتي منزل، وشيخهم هو عساف ابن لحيد(#١). أما المعاقلة فينقسمون إلى عائلات الجحيش والنصير والشلهوب(#٢)، ويبلغ تعداد منازلهم ثلاثمئة منزل. ويبلغ جميع سكان هذه المستوطنة ثلاثة آلاف نسمة... عندما انهار نظام ابن رشيد انفجرت حرب أهلية في سكاكا أيضاً. لقد حاول القرشة الاستيلاء على بعض بساتين المعاقلة فهاجموهم، ولكن رُدّوا على أعقابهم، وفي يوم واحد فقدوا سبعة وتسعين رجلاً(#٣). ومنذ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٨م، ظلت هذه الحروب تستعر في سكاكا، وارتفعت أعداد الضحايا إلى أكثر من مئتي رجل، وكنا نسمع أعيرة النار صباحاً ومساءً... وفي يوم الجمعة، استطاع شاب من المعاقلة التسلل إلى داخل مساكن القرشة ليهاجم رجلاً كان قد قتل والده. وأخيراً ظهر هذا الرجل، فهاجمه الشاب فقتله. وفي يوم السبت جاءني هذا الشاب، ليطلب مني اختبار بندقيته، لأن زنادها لا يعمل جيداً منذ تلك الواقعة قبل يوم واحد... عندما دخل نواف ادعى المعاقلة أنهم أنصاره، وأعلن القرشة أنهم ضده. قام الرولة بعدة هجمات على القرشة، واستولوا على ماشيتهم، وقتلوا أكثر من أربعين رجلاً منهم، ولعل هذا ما جعل رجا يقول لي؛ بأن عليَّ أن أحمد الله، لأنه أوقعني بأيديهم بدلاً من أن أقع في أيدي القرشة، لأنهم كانوا سيعاملونني بقسوة. ولم يكن هناك أدنى شك في ذلك، لأن القرشة لا يخافون أحداً. إنهم آمنون في منازلهم المتينة المحصنة، وهم مسلحون جيداً، وبساتينهم ذات جدران عالية، لذلك فهم يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ضد غارات البدو والصمود لسنوات» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

هناك بعض الملاحظات على ما أورده «موسيل» من معلومات عن الأوضاع في سكاكا، نضعها أدناه قرينة الأرقام في متن النص، على النحو التالي:

(#١) عساف بن لحيد، الذي أشار إليه «موسيل» على أنه شيخ القرشة، هو: «عساف بن شكر بن سهيان اللحيد».

(#٢) قول «موسيل» عن أقسام المعاقلة، وإنهم «الجحيش، والنصير، والشلهوب» فيه شيء صحيح قليل، ويتضمن شيئاً غير صحيح، وينقصه شيء آخر صحيح. أما الصحيح فهو أن «الشلهوب، بعد واقعة «كون الظلي»، حيث وقعت في صيف ١٩٠٧م أو ١٩٠٨م(؟) قد أصبحوا حلفاً للمعاقلة، وإن كانوا ليسوا منهم، وكذلك الصحيح القول إن «الجحيش والنصير» هم جزء من الجماعة الأكبر للمعاقلة. ولكن غير الصحيح، القول أو الاعتقاد بأن «الجحيش والنصير والشلهوب» هم المعاقلة ككل». وأما الآخر الصحيح الذي ينقصه وما كان يفترض عليه أن يدركه، فهو «أن المعاقلة ككل، في وقت زيارة موسيل لسكاكا (١٥ ـ ١٨/ نيسان/ أبريل ـ ١٩٠٩م) هم: المعيقل (الدغيفق، والكبيدان، والسليمان)، وكذلك الراشد (شمالاً وغرباً)، والجحيش، والنصير، والحميَر، والطالب (الرشيد والمرشد)، والورادا، والهذيل، والعبد، والبيالية، والإبراهيم السلامة. وبعد واقعة «كون الظلي» سيكون الشلهوب في حلفهم إجمالاً». من هنا يمكننا القول إنه ليس كل ما يورده الرحالة من معلومات هي معلومات صحيحة و/ أو

دقيقة. لذلك يحتاج الأمر في بعض الأحيان إلى التدقيق والمراجعة، وهذا ما نقوم به من وقت لآخر حيث يتطلب الأمر.

(#٣) قول «موسيل»: «عندما انهار نظام ابن رشيد انفجرت حرب أهلية في سكاكا أيضاً. لقد حاول القرشة الاستيلاء على بعض من بساتين المعاقلة فهاجموهم، ولكن رُدوا على أعقابهم، وفي يوم واحد فقدوا سبعة وتسعين رجلاً..»، في الغالب، وعلى ما يبدو، يشير ويحيل إلى ما يعرف محلياً بواقعة «كون الظلي»، دون أن يحددها أو يذكرها بالاسم، على أنها حدثت منذ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٨م، ولكننا نعتقد ونرجح أنها حدثت في صيف ١٩٠٧م (انظر تفاصيل مناقشة الواقعة من واقعات الحرب الأهلية بالجوف في موقع آخر من هذه الدراسة).

(٤) **الحرب الأهلية تستعر في سياق دخول مزيد من الأطراف**: عندما غادر «موسيل» سكاكا في الأحد (١٨ ـ نيسان/ أبريل ـ ١٩٠٩م) متجهاً إلى مخيَّم النوري، في «أم أرطى» إلى الجنوب الغربي من قارا، التي وصلها في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر، كانت الحرب الأهلية في الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في سياق محور نواف وحلفائه من جهة، والمقاومين له وحلفائهم من جهة أخرى، لا زالت تتواصل. في ذلك يقول «موسيل»: «... إن نوافاً الذي احتل الجوف قبل شهرين، ويحظى بدعم الكثيرين من الرولة، ما زال حتى الآن غير قادر على إخضاع سكان أحياء مارد وخذما...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٠). بل إنه حتى ٢٠ من ابريل ١٩٠٩م لا زالت الحرب والقتال في دومة وسكاك بين كر وفر. عن الأوضاع في دومة يقول «موسيل»، إنه وبعد قدومه إلى مخيم النوري، وبعد ليلتين من وصول رسل ابن رشيد ناشداً السلام، وخاصة بعد قدوم الرسول («عبد» لـ: زامل بن سهيان وزير ابن رشيد)، ومعه ثلاثة من الرجال، والذي رفضه نواف، رغم موافقة والده النوري على تجديد ميثاق السلام مع ابن رشيد في ما يخصه هو: «...هاجم نواف الموالين لِابن رشيد في الجوف، وتم إحراق وإزالة اثنين من منازلهم، وقطع النخيل في بساتينهم. لقد قال الأمير النوري لي: [إن نواف والمشايخ أحرار، دعهم يفعلوا ما يحلو لهم]» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٤). الحرب الأهلية بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل) ستتواصل سعيرها حتى وقت ما من ذي الحجة ١٣٢٧هـ، الموافق ديسمبر ١٩٠٩م، وسط استمرار المقاومة في كل من سكاكا ودومة الجندل، وهو ما عكس عدم قدرة نواف الشعلان على الحسم. يبدو أن تحولات وتبدلات في بعض القوى والأطراف المحيطة كانت وراء هذه المقاومة وعدم القدرة على الحسم. من ذلك يمكن ملاحظة ورصد التالي:

(أ) **محاولات للسلام**: في حدود ١٩ ـ أبريل ـ ١٩٠٩م، وفي صراعهم مع ابن سعود كانت هناك محاولة من الرشيد لتهدئة و/ أو تحييد الجبهة الشمالية (الجوف، والرولة ـ الشعلان)، كانت هناك رغبة من سعود الرشيد، عن طريق وزيره، ومن أخواله (زامل السبهان)، ناشداً السلام مع النوري والشعلان. وافق النوري على تجديد ميثاق السلام مع ابن رشيد في ما يخصه وطبقاً لبعض الشروط، ولكن ولده نواف لم يوافق على الاتفاقية التي أبرمها والده مع رسول ابن رشيد وزامل السبهان (مملوك لـ «زامل السبهان) (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٣)، علماً أن النوري نفسه كان

حتى هذا الوقت على خلاف مع ابنه نواف، ولم يقدم له دعماً في حملة الأخير على الجوف، وفي سياقها عدم تقديم الدعم له في مواجهة رجال شمر في النفود وفي المناطق الجنوبية والشرقية للجوف، كما سيتبيَّن في الفقرات التالية.

(ب) ابن سعود يدخل على الخط: في حدود ٢١ أبريل ١٩٠٩م، وفي صراعه مع الرشيد، وفي ما يبدو في محاولة منه للضغط عليهم من الشمال (إقحام الرولة ـ الشعلان، والجوف بالصراع ضد الرشيد)، ابن سعود يدخل على الخط بمجريات أحداث الجوف بإرسال مساعدة لـ «نواف الشعلان». عن ذلك يحدثنا «موسيل»، وهو عند النوري، بالقول: «... وبينما كان الأمير يجلس معي، جاء بدوي وهو يصيح قائلاً: [افرح يا النوري بالأخبار السارة، أربعمئة جمل وجمال، بجانب خمسة وستين جملاً، محملة بالمؤن في طريقها من ابن سعود لمساعدة نواف، واليوم يعسكرون في جاو مغيره]، ويتأكد الأمر للنوري في يوم الأربعاء (٢١/ ٤/ ١٩٠٩م)، حيث «استلم الأمير يوم الأربعاء خطاباً من نواف يخبره بأن قوة قوامها ثمانمئة جمّال وجمل أرسلها ابن سعود في طريقها لمساعدته، وأخبرني طراد ابن سطام الذي سلم رسالة نواف لوالده، أن نوافاً كان على حافة اليأس، لأن والده لم يرسل له السلاح والمال والمؤن. ورفض أيضاً السماح لأمه بزيارته، ومعها ابنه الصغير سلطان. وتوسل إليَّ طراد أن أحاول إقناع الأمير النوري بالتخلي عن عناده، ومساعدة ابنه نواف» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٦). وفي مساء الجمعة من يوم ٢٣ ـ أبريل ١٩٠٩م، كما يقول «موسيل»: «... جاء جواد الكاتب يحمل رسائل من الإمام ابن سعود، ومن فيصل بن رشيد، شقيق الأمير سعود الرشيد الذي اغتيل، والذي (فيصل) كان قد هرب إلى الرياض. وقد أحضر الرسالتين الرسول الذي أرسله النوري إلى ابن سعود في أول فبراير ١٩٠٩م، عندما كان مخيِّماً في ميقوع» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٧).

(ج) دخول الرحالة «موسيل» على الخط لإقناع النوري بالوقوف مع ابنه نواف: عن ذلك يحدثنا موسيل بالقول إنه في ظهر السبت (٢٤ ـ ٤ ـ ١٩٠٩م) «... تحادثت طويلاً مع الأمير، لقد طلب مني عدد من الشيوخ، وبينهم فهد بن مشهور ـ أقوى رجل بعد الأمير النوري ـ أن أقنع النوري بالوقوف مع ابن سعود، وأن يعلن أنه سيذهب إلى الجوف لمساعدة ابنه نواف بكل قوته. وقد ترددت في السابق بالتدخل بين أب وابنه، ولكن عندما سمعت بأن نوافاً على استعداد للابتعاد عن أبيه نهائياً، خشيت قيام حرب مفتوحة بينهما، لهذا السبب خاطبت النوري بوضوح، الأمر الذي لم يحدث من قبل، واستغرقت المحادثة ساعتين أو أكثر، وفي النهاية نهض الأمير، وغادر في صمت، ماذا سيصنع يا ترى؟» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٩٨). لم يدم صمت الأمير النوري طويلاً، إذ إنه في صبيحة اليوم التالي (الأحد، ٢٥/ ٤/ ١٩٠٩)، خاطب «موسيل»، وهو راكباً جمله، بالقول؛ [إلى الجوف]، فرد عليه «موسيل»، بالقول: [«الحمد لله»](!)، وأضاف «موسيل» في ما كتبه عن الأمر وعن موافقة النوري بالسير نحو الجوف دعماً لابنه نواف، بالقول: «... وسار معه أكثر من مئتي راكب، ومعه المال، وجملان يحملان البنادق والذخيرة لنواف، وهكذا لم تكن مهمتي بلا فائدة...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

(د) **الرشيد يواصلون محاولة تقديم دعم للمقاومين في دومة الجندل:** بينما كان النوري في منطقة «سلسة جبال الطويل»، وفي طريقه للجوف لمساعدة ابنه نواف، وصلت، في الثلاثاء (٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٠٩م) معلومات من نواف، عن طريق رسول له، تفيد أنه «... ليلتي الأحد والاثنين شهدتا هجوماً عليه، قام به **محارب ابن رشيد،** الذي أمكنه صدهم في المحاولة الأولى، والقضاء عليهم في الثانية. وقد حاول قائدهم الاحتماء وسط الجمع الهارب، ولكنه أصيب ومعه امرأتان، وجرح أربع نساء أخريات، وأُسر خمسة من مقاتلي ابن رشيد وقتلوا على الفور. وبعد هذه الأنباء في يومي الاثنين والثلاثاء بدأت جماعات صغيرة تغادرنا ممتطية ظهور الجمال، لتناوش جماعات شمر، وبهذا أعلن النوري حرباً مفتوحة على أنصار ابن رشيد» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٠).

وهكذا في هذه الفترة وحتى إلى ما بعد صيف ١٩٠٩م، وفي ضوء ما تقدم من تطورات وتداخلات، وما يتبعها من متلازماتها، سيستعر القتال في الجوف، وفي أحشائه الحرب الأهلية الاصطفافية بالجوف تتواصل، ومن ذلك نلاحظ التالي:

ـ **تواصل الهجمات والغزو والسلب والنهب:** في إحدى أمسيات الفترة من الأربعاء إلى الجمعة (٢٨ ـ ٢٩ أبريل ١٩٠٩م)، يسجل موسيل في مذكراته، عن أخبار تفيد أن جماعة «الدغمان» من الرولة، (وهم على الأرجح في قارا)، قاموا بغزو ومهاجمة القرشة في سكاكا، وعن ذلك يقول: «وعند المغرب سمعت صيحات النصر تتردد في المعسكر، وكانت جماعة «الدغمان» عائدة من غزوة ضد القرشة بسكاكا، وعادت تحمل معها مئة وخمسين رأساً من الأغنام» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٠).

ـ **تدفق مزيد من السلاح:** ويسجل «موسيل» عن تلك الفترة من الأربعاء إلى الجمعة (٢٨ ـ ٢٩ أبريل ١٩٠٩م)، ملاحظاً تدفق السلاح والذخيرة على نواف الشعلان، بالقول: «وكان نواف قد أرسل رشراش بن عذوب ليحضر له بنادق وذخيرة، وعاد في نفس اليوم يقود أربعين جملاً تحمل أحد عشر ألف طلقة رصاص، وأربعين بندقية، كان الأمير قد اشتراها من تجار القصيم (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٠).

ـ **النوري يطالب باستسلام حامية ابن رشيد في الجوف (دومة الجندل):** عن ذلك يسجل موسيل في مذكراته عن تلك الأيام (الفترة من الأربعاء إلى الجمعة (٢٨ ـ ٢٩ أبريل ١٩٠٩م) أن النوري، وهو في طريقه للجوف قادماً من الطويل: «... كتب... لمولى ابن سبهان الذي يسيطر على حصن خذما وحصن مارد، وطلب منه الحضور إليه لمناقشة كيفية تسليم هذه المنطقة له، لأنه يرغب في الاستيلاء على الجوف وما حولها من البلدات والقلاع، إما بالتفاوض أو بالقوة، وإذا لم يحضر فسيعتبر ذلك منه عداء وإعلاناً للحرب» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٠).

ـ «**قرابين النفود**»(!): في يوم الخميس (٢٩ ـ ٤ ـ ١٩٠٩م) وفي طريق عودته وقواته من الطويل وباتجاه الشمال الشرقي نحو الجوف، كان النوري، قد أُبلغ، عن طريق بعض الصلب، أن هناك على ما يبدو حملة أو بعثة شوهدت وهي مكونة من عشرين من الجمالة قادمين من الشمال الغربي ومتجهين نحو الجنوب الشرقي. وحيث اعتقد النوري أنها تابعة لِابن رشيد، قرر متابعتها والقبض عليها. وعن

قصة تلك الواقعة وملابساتها ونهايتها المأساوية يحدثنا موسيل بالقول، إنه **وفي يوم الأحد** (٢ ـ أيار/ مايو ـ ١٩٠٩م): «... غيّرنا موضع نزولنا (رحيل)، وبدأنا في السادسة صباحاً متجهين إلى الشمال الشرقي، وبعد قليل انضم إلينا عذوب، وممدوح، وطراد، وآخرون، من الذين كانوا يلاحقون البعثة وحراسها من جماعة شمر، وقال عذوب: [تجاوزنا البعثة ليلة الجمعة في اتجاه الجنوب الشرقي، عند آبار «الشقيق»]. وقد وجه لنا الشمامرة السؤال: [من أنتم يا ها الجيش]، وعندما تبينوا أنهم الرولة أطلقوا النار وولوا هاربين، وأسرع الرولة يحيطون بهم، ولأنهم يعلمون باستحالة الهروب فقد قفزوا من جمالهم، واختبؤوا خلف شجيرات الغضى، وبعضهم سلّم أسلحته، وقد قتل منهم أربعة، وجرح آخر جرحاً خطيراً. وآخر يدعى رجان، استطاع الهرب، لأنه كان ممتطياً جملاً سريعاً، ولكن «عذوب» كان يريد ذلك الجمل، فنادى على الشمري ليستسلم، ويأمن على حياته، ووعده بجمل آخر. وكان عذوب راكباً جملاً سريعاً، وكان يمكن أن يطلق عليه النار ويقتله، أو يسبقه، ولكن رجان استجاب لنداء التحدي، واستسلم، فمنح بديلاً عن جمله المتفوق في السرعة جملاً مستهلكاً عجوزاً، وفقد جماعة شمر جمالهم، وأخذ الرولة الجمال والسلاح والمال والمؤن. وخوفاً من الموت عطشاً، طلب الشمامرة من أعدائهم قتلهم بالرصاص، ولكن الرولة رفضوا ذلك باعتبار أن قتل الأعزل عار يسوِّد وجوههم. وأخيراً علمت أنه لم ينجُ أحد منهم من مهالك النفود، ولم يعد أحد منهم إلى جماعته. وعلق الأمير على ذلك بلامبالاة، عندما ناقشته فيه قائلاً: [إن رمال النفود تريد قرابين، وها نحن نقدم لها القرابين]...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٢ ـ ٤٠٣) (!!!).

ـ **محاولة من الرشيد لتعزيز قوات المقاومين لم يكتب لها النجاح (أيار/ مايو ١٩٠٩م)**: وعن ذلك يسجل «موسيل» في مذكراته عن تلك الأوضاع في الأسبوع الأول من مايو ١٩٠٩م (مساء الخميس الموافق ٦ مايو ١٩٠٩)، بالقول، إنه ورغم أن فرقاً مسلحة من الرولة كانت «... تشدد من ضغطها على شمر ابن رمال وابن رخيص، وكانوا يعودون بالغنائم من غاراتهم»، فإنه و«... بناء على أنباء وردت إلى نواف بواسطة أحد الصلب، وأسرع بتبليغ والده بها تقول إن: زامل بن سهيان وزير سعود بن رشيد الشاب، أرسل تعزيزات من الذخيرة والمؤن إلى حصني مارد وخذما. وأرسل الأمير فوراً فرقة لتحتل الأراضي المجاورة لآبار «الشقيق»، و«ممر المستندة»، في سلسلة جبال الطويل. وفي مساء الخميس عاد الجمالة بالهدايا. لقد اختبؤوا لهم خلف التلال الرملية، وفي منخفضات القعرة في النفود عند متعرجات سلسلة جبال الطويل، وكمن بعضهم في أعالي التلال، وانتظروا حتى تصل القافلة، ولم يطل انتظارهم، وجاءت القافلة، وانتظروا حتى نزلت، ونام الجمالة، وعند الفجر أطبقوا عليهم، ولا يعرف أحد ما الذي حل بهم ـ لم يشر الرولة إلى هذا الأمر، ولكن لم يصل منهم أحد إلى الجوف أو إلى قارا، وكان واضحاً أنهم هلكوا جميعاً، ولكن كيف؟ هل بسلاح الرولة، أم بالعطش والجوع، لا يعلم أحد شيئاً سوى الله، ثم الرولة» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

(هـ) المشاهدة وتجارة السلاح ودورهم في الصراع الأهلي وفي الحرب (تدفق السلاح على الجوف) (مايو ١٩٠٩م): لم يكن السلاح يصل الجوف والأهالي من أطراف الرشيد والرولة فقط، وإنما كان هناك مصدر آخر قام به المشاهدة (وهم في الغالب من المشهد، في النجف و/ أو كربلاء ـ العراق)

الذين كانوا آنذاك يقطنون في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل وبالذات في سكاكا). عن المشاهدة وتجارة الأسلحة وعلاقة ذلك بالصراع الأهلي وبالحرب في الجوف في تلك الفترة، يحدثنا «موسيل» في ما كتبه في مذكراته عن الأمر، فيقول: إنه وفي الأربعاء (على ما يبدو الموافق ٥ ـ مايو ـ ١٩٠٩م): «جاء صلبي برسالة للأمير عن ثمانية جمال محملة سلاحاً وبضائع وملابس قادمة من المشهد، أي من كربلاء، وهي الآن عند معسكر الصلبة في البويتات. وكانت الجمال وما تحمل ملكاً لتجار من المشهد ويسكنون في سكاكا مع القرشة، وهم أعداء الرولة. كان هؤلاء المشاهدة في وضع حرج لأنهم كتجار يرغبون في البيع ليس للقرشة وشمر فقط، ولكن للمعاقلة والرولة في نفس الوقت، وهم يرغبون بالسلام، ولكن طالما يسكنون مع القرشة ويبيعونهم السلاح والذخيرة فقد أغضبوا المعاقلة والرولة. لقد أرسلوا الكثير من الخطابات والهدايا للأمير النوري، يطلبون السلام، وأن يغفر لهم تجارتهم مع أعدائه وكانوا يقولون: [إذا لم نبع لجماعة القرشة، كيف سيعاملوننا؟ إنهم حتماً سيدمرون منازلنا، وينهبون ممتلكاتنا، وكيف سننجو برقابنا منهم؟ هذا لا يعلمه إلا الله]. [أنتم تزودون أعداءنا بالسلاح والذخيرة، إذن أنتم سبب تحدّيهم لنا، أنا لا أريد التدخل بينكم]، هكذا أجاب النوري باقتضاب. وعندما علم بنبأ قافلة المشاهدة، تحرك خمسة عشر شاباً على ظهور المهار لمقابلتها. ولكنهم عادوا صفر اليدين، إلا الصلبي الذي كان مع الرولة، وفي الوقت نفسه، مع جماعة شمر. فعندما رأى القافلة تسير أخبر التجار لإخفاء الجمال في منخفض صغير، وبما أن الأرض كانت صخرية، فلم يتمكن الرولة من متابعة الأثر. ولما لم يكن معهم ماء كافٍ للخيل اضطروا للعودة، ولكنهم أبقوا وحدات مراقبة عند آبار صوير وجاو مغيرة، والمنطقة المجاورة لسكاكا...... **وخلال هذه الأيام كان القتال مستمراً في الجوف، وكل جانب يحاول أن يلحق الضرر بالآخر بتدمير أسوار البساتين وتقطيع النخيل**» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(و) تواصل العمليات القتالية في الجوف وما حولها (نهاية أبريل ومنتصف مايو ١٩٠٩م): بعد أن يقرر «موسيل» بأن القتال في الجوف، كان لا زال مستمراً في هذه الفترة (نهاية أبريل إلى العاشر من مايو ١٩٠٩م) كما مر بنا آنفاً، يذكر بعضاً من التطورات اللاحقة، قبيل مغادرته قارا في طريقه إلى كاف فدمشق، والتي تشير إلى مزيد من تواصل استعار الحرب، والقتال في الجوف، وفي أطرافه مع دخول أطراف وقوى إضافية، ومن ذلك نشير إلى التالي:

- **في يوم الثلاثاء (١١ ـ مايو ـ ١٩٠٩م)** يسجل موسيل في مذكراته: «... علمنا أنه عند آبار صوير اعتقل الشيخ زبن الكويكبي جماعة من شمر، كانوا يبحثون عن الرولة في وادي السرحان، وإلى ما وراء قرية كاف، وكانوا قد استولوا على جمال محملة بالملح تخص السرحان، وعادوا بالغنيمة عن طريق العمود، وطرف وادي الشويحطية، ونجحوا في الوصول إلى صوير، وكانوا يشعرون بأنهم في مأمن، لأنهم ظنوا أن جماعتهم تعسكر في منطقة «البويتات». ولم يقدّر لهم اللحاق بأهلهم، فلقد رآهم رجل كويكبي كان يبحث عن أشجار النصي لفرسه خلال القيلولة، وهم يستريحون، وأبلغ قبيلته. لقد فقد الشمامرة كل شيء من الغنيمة، وكذلك جمالهم» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٩).

• **وما بين الثلاثاء والخميس (١١ ـ ١٣ مايو ١٩٠٩م)** يسجل «موسيل» التالي: «وعند الرولة، وقع جملان يحملان بضائع **للمشاهدة** في سكاكا غنيمة، ولقد وعدوا الصلبي بجمل، ولكي يتأكد من ذلك، باع قبيلته للرولة حيث بين لهم الطريق» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٩). ويبدو أن هذه الواقعة متصلة بواقعة «**المشاهدة**» والسلاح الواردة في الفقرة (ح من البند ٥) آنفة الذكر، حيث إن «**المشاهدة**»، في ما يبدو وبعد رصدهم من قبل الرولة، وعن طريق الصلبي في السابق، قد دفعوا بالجمال المحملة بالبضائع إلى سكاكا باعتبارها خالية من السلاح، وبالتالي ليس عليها خطر من اعتراضها، وحتى لو اعترضت ليس على حياتهم من خطر، بينما حمولة الأسلحة وجمالها، في الغالب، قرروا إعادتها للعراق خوفاً ليس فقط من مصادرتها، وإنما فوقها من تعريض حياتهم للخطر الماحق، بما في ذلك احتمال كبير بقتلهم.

• **في يوم الخميس (١٣ ـ مايو ـ ١٩٠٩م)**، يسجل موسيل أنه: «... جاءت إلى قارا عائلات من جماعة النصير، الذين كانوا يعسكرون مع شمر في منطقة «الحذل»، وتحركوا عند إعلان الحرب بين الرولة وشمر، وسألني رئيسهم: [أين معسكر الأمير النوري؟]، وأخبرني بأن رجال ابن سعود اقتربوا من حائل مقر ابن رشيد، وبناء على روايته فإن زامل ابن سبهان عسكر مع مقاتليه في حصن تربة، وأرسل ابن سعود فصيلاً مع تعليمات بمهاجمة العدو والهروب. وقد تم ذلك، وتبعهم ابن سبهان، وفي غيابه هجم ابن سعود ورجاله على معسكره، وهاجموه من الخلف، وسيطروا على كل الخيام البيضاء لِابن رشيد وخيولهم وجمالهم، ونجا ثلاثون راكباً منهم، فروا على ظهور الخيل، ووصلوا إلى حائل. وسيطرة ابن سعود، كما قال الرجل، وصلت إلى بقعا أو «طيبة اسم»، وهي ملتقى كل الطرق المؤدية إلى حائل» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٩ ـ ٤١٠).

• **قبيل مغادرته الجوف بمعية النوري نحو كاف في ٢٢ ـ مايو ـ ١٩٠٩م**، ـ (والتي فيها وفي مناطق وادي السرحان وحولها سيبقى حوالي الشهرين، حيث في نهايتها سيغادر وادي السرحان برفقة النوري وقبيلته، ويصل إلى دمشق في ١٢ ـ يوليو ـ ١٩٠٩م) ـ، يسجل **موسيل** واقعة وخبراً، في ما بدا أنهما آخر ملاحظاته عن الحرب والقتال بالجوف، في زيارته الأولى. عن الواقعة والخبر، يقول موسيل إنه وفي **يوم الأحد (١٦ ـ مايو ـ ١٩٠٩م)**: «... جاءنا صلبي من الجوف، يحمل أنباء بأن الدغمان، قضوا على هجوم لجماعة التومان، الذين يتحالفون مع شمر، وأُعتقل منهم خمسة وثمانون رجلاً. **وقال إن نوافاً يبني حصناً في الجانب الشمالي الغربي من حصن مارد، ومن هناك سيصب النار على أعدائه**» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤١٠).

ننتهي من كل ما تقدم، ومن ملاحظات ومذكرات الرحالة **موسيل** في زيارته الأولى للجوف عن تلك الفترة، وما يتصل بالقتال والحرب الأهلية بالجوف إلى النقاط التالية:

§ رغم أن القتال الذي كان يدور في تلك الفترة حول الجوف وفي أطرافها (كان في أجزاء منه بين الشعلان ـ الرولة من جهة، وبين الرشيد ـ شمر من جهة أخرى) وفي محاولة للسيطرة على الجوف (من الشعلان) أو منعها وصدها (من الرشيد)، فإن القتال والحرب في الجوف ذاتها (في دومة الجندل وسكاكا وقراها)، وإن بصلة بالشعلان والرشيد، إنما كان جل حطبه ووقوده من أهالي الجوف (القرشة،

والمعاقلة في كل من دومة الجندل وسكاكا)، فضلاً عن مآلاته المأساوية (في الأرواح والممتلكات وفي الكراهية والحقد والشقاق) التي كانت واقعة عليهم لا محالة. من هنا نقول إن الحرب في الجوف في هذه الفترة كانت في جزء منها صراعات أهلية؛ إنها حرب أهلية «اصطفافية»، إنها حرب بين أهالي الجوف في أحشاء فوضى وعنف سيطرة الشعلان على الجوف.

§ إن الحرب الأهلية بالجوف حتى مغادرة موسيل الجوف كانت ما زالت مستمرة مستعرة في الجوف (في دومة الجندل وفي سكاكا، وإن كانت في دومة بشكل أكبر). إنها سوف تستمر، كما سنرى وحتى سقوط الجوف شبه النهائي لحكم الشعلان في ذي الحجة من العام ١٣٢٧هـ الموافق كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٠٩م، وبهذا تكون قد استغرقت سنة كاملة منذ بداية دخول الشعلان للجوف. بل إنها، ورغم سقوط الجوف شبه الكامل لحكم الشعلان في ديسمبر ١٩٠٩م، سوف تتواصل وتمتد إلى ١٩١٤/ ١٩١٥م عند قدوم «موسيل» في زيارته الثانية للجوف، ولكن على شكل اعتداءات متقطعة ومحدودة ومنخفضة الحدة، من حين إلى آخر بين الأهالي (القرشة والمعاقلة)، وخاصة في دومة الجندل، كما سنبين ذلك وندلل عليه لاحقاً.

§ إن هناك مجموعة من القوى والأطراف، أشرنا إليها سابقاً (البنود من ١ إلى ٥ وفقراتها التابعة، أعلاه)، في تدخلها في وتداخلها مع مجريات وسيرورة القتال بالجوف وحوله، كانت وراء تواصل القتال بين نواف الشعلان، وأنصاره وحلفائه من أهل الجوف (المعاقلة في كل من دومة الجندل وسكاكا) من جهة، وبين ابن رشيد، وأنصاره وحلفائه من أهل الجوف، وبالتالي وراء تواصل واستعار حرب أهلية بالجوف.

§ وحيث إن الجوف (دومة الجندل وسكاكا) سقطت لحكم ابن شعلان في نهاية المطاف في ديسمبر ١٩٠٩م، وحيث إن موسيل كان في هذا الوقت غير موجود بالجوف، حيث غادرها منذ قبل ما لا يقل عن أربعة أشهر من سقوطها، فهو لم يشهد سقوط الجوف شبه النهائي، وبالتالي ليس في مذكراته عن رحلته الأولى للجوف ما يفيدنا عن تلك النهايات في أمر سقوط الجوف لحكم الشعلان، وما يتصل بها من تفاعلات لـ «حرب أهلية بالجوف»، في أطوارها شبه النهائية، فضلاً عن الفترة اللاحقة للسقوط وحتى زيارته الثانية للجوف في أواخر ١٩١٤م، وأوائل ١٩١٥م. من هنا كان علينا أن نغطي مرحلة السقوط شبه النهائي للجوف لحكم الشعلان، وما بعده من تفاعلات ذات صلة كلها بهذه الصراعات الأهلية كجزء من الحرب الأهلية بالجوف، وهذه مرحلة تغطي الفترة من قُبيل ديسمبر ١٩٠٩م وحتى أوائل ١٩١٥، بما فيها واقعة ما سمي محلياً بـ «هجة القرشة» وتداعياتها ونهايتها. وحيث إن لا مصادر تاريخية مكتوبة عن تلك الفترة المحددة ووقائعها، كان علينا أن نسد النقص باللجوء إلى المرويات الشفهية المحلية، وهذا ما يلي تباعاً.

ب ـ في المرويات الشفهية والحرب الأهلية بالجوف

(١) في سقوط الجوف للشعلان (ديسمبر ١٩٠٩م): رغم كل الضغوط والهجمات القتالية التي مارسها نواف الشعلان وأنصاره من أهل الجوف (المعاقلة في دومة وسكاكا)، خلال سنة شبه كاملة

منذ نهاية عام ١٩٠٨م وحتى قبيل ديسمبر ١٩٠٩م، فضلاً عن الدعم والسلاح والذخيرة التي تلقاها من ابن سعود، وكذلك القوة القتالية والغطاء الذي تلقاه من والده النوري، ومن جماعات وبيوت الرولة، الذين ساعدوا نواف الشعلان بتركيزه على الجوف ذاتها وتفرُّغه لها، وذلك بتخفيف الضغط عنه بمراقبة وحماية أطراف الجوف الخارجية من غارات شمر ومنع وصول السلاح للمقاومين من أنصار ابن رشيد، واعتراض حملات ابن رشيد لدعم حاميته وأنصاره بالجوف (القرشة، في دومة تحديداً ـ أهل مارد وأهل خذما)، رغم كل هذا لم تسقط الجوف بشكل شبه نهائي إلا بعد مطاولة في القتال وبالمناورة والخديعة. كان حلفاء وأنصار ابن رشيد (القرشة في كل من سكاكا ودومة الجندل) ورغم الحصار شبه الكامل المفروض عليهم على امتداد سنة كاملة تقريباً، يواصلون المقاومة حتى اللحظات الأخيرة للاستسلام. لم يكن ذلك الاستسلام نتيجة معركة حربية مباشرة، وإنما كان، على ما يبدو وطبقاً لما تشير إليه الروايات الشفهية المحلية، نتيجة صدفة وخطأ من أحد قيادات المقاومين الرئيسيين في سكاكا، والذي عرَّض نفسه للاعتقال، فكانت الخديعة المركَّبة اللاحقة تحت الإكراه، والتي ترتب عليها استسلام المقاومين، أولاً، في دومة الجندل، وثانياً، في سكاكا.

(٢) **رواية سعد الطارف عن الحرب الأهلية وسقوط الجوف للشعلان:** في سياق واقعة «كون الظلي»، والتي وقعت، على ما يبدو، في صيف ١٩٠٧م، كانت القرشة بقيادة عساف شكر السهيان اللحيد، وفي خلاف على مشيخة القرشة والضويحي مع عمه خليفة السهيان، قد قامت على منصوب ضد ابن رشيد (السنيدي وابن صليبيخ)، لأنه، فيما تذهب رواية سعد الطارف، وقف منصوب الرشيد مع تولي خليفة السهيان للمشيخة ضد رغبة وما اعتبر «حق» من ابن أخيه عساف تجاهه. وللانتقام من منصوب الرشيد كان احتلال القرشة لقصر الظلي في الشلهوب، فقامت المعاقلة بمناصرة للشلهوب ولحكم ابن رشيد في الجوف آنذاك، ونتج عنها ما عرف بواقعة وكارثة «كون الظلي» بين القرشة والمعاقلة (حسب رواية المعاقلة). إذن في هذه الواقعة كانت القرشة ضد الرشيد، وكانت المعاقلة مع الرشيد، ولكن التحولات الدموية السريعة في وبين أفراد أسرة الرشيد الحاكمة في حائل، أدت إلى تبدلات وتحولات في مواقف جماعات الجوف من الأمر ومن سلطة الأمر القائم في الجوف؛ فمن جهة عاد القرشة للتصالح وللتحالف مع ابن رشيد وسلطته بالجوف، ومن جهة أخرى أوجس المعاقلة خيفة من الأمر فتوجهوا شمالاً نحو الشعلان لطلب القدوم والاستيلاء على الجوف. وعن ذلك وتطوراته في ما يتعلق بالحرب الأهلية بين الأهالي في الجوف (القرشة والمعاقلة في كل من دومة الجندل وسكاكا) يحدثنا **سعد الطارف** بالقول، ـ (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح) ـ، أن عساف شكر اللحيد، ومعه القرشة، عندما اختار احتلال قصر الظلي كان: «يريد يذبح رتبة (منصوب) ابن رشيد، وهي بقصر «حمد العبيد».. (لـ)أنهم شيخوا خليفه ((عمه)).... وفزعت المعاقلة.... النية إنها كانت فزعة للرشيد.... ولا أدري ما اللي جرى، وما اللي صار... وتذابحوا يا الرشيد بيناتهم... وانقلبت القرشة مع ابن رشيد... وإن المعاقلة، عندما قلبت القرشة حربهم لِابن رشيد استضاقت، اركبوا زبن القعيّد، ولا أدري من معه، واتصل بِابن شعلان (نواف)، وجابوه المعاقلة وصايحنا من أهل الجوف... زبن القعيّد... وجابه ونزله بالغرب ((يقصد حي الغرب بدومة الجندل))، وقامت المعاقلة من هانا... تحارب له ((لابن شعلان))...

هذا عقب قصر الظلي... المعاقلة ذلوا يوم احترفت القرشة مع ابن رشيد، وقاموا هم وصايحهم بدومة، خافوا وجابوا نواف الشعلان.... والحرب والله صارت سنتين... بين القرشة والمعاقلة (بسكاكا)، وبين أهل خذما وصايحنا بدومة...» (الطارف، سعد (I)، في: ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٦ من ٢١؛ الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٥ ـ ٦ من ١٦).

ورغم أن سعد الطارف لا يقدم تفاصيل عن عمليات قتل متبادلة بين القرشة والمعاقلة سواء في دومة أو في سكاكا، إلا أنه يورد، ما لم يكن باستطاعة الرحالة «موسيل» أن يسجله في مذكراته في رحلته الأولى للجوف. إن سعد الطارف يورد قصة سقوط الجوف لحكم ابن شعلان واستسلام المقاومين له (من القرشة أنصار ابن رشيد في دومة الجندل أولاً، وفي سكاكا تالياً) في نهاية المطاف. القصة مرتبطة في القبض على كل من «**قشاع**» و«**عساف**» ابني شكر السهيان اللحيد، في عمليتين منفصلتين، ولكن في ترابط بين الأولى والثانية، أو أن الثانية كانت نتيجة حتمية للأولى ومن تداعياتها. كان «عساف» مع المقاتلين المقاومين في دومة الجندل، بينما كان «قشاع» مع المقاومين في سكاكا، ولكن الأخير وفي مناورة ما منه، ربما للتخفي أو لفتح جبهة جديدة أو لأي شيء آخر، ولكنها (أي المناورة) غير معروفة على وجه الدقة، اتجه على ما يبدو مع مجموعة من الأشخاص إلى قصر «المرعي» باللقائط. هناك تم القبض عليه فكانت تداعيات الاعتقال وقصته. عن بقية القصة نذهب إلى سعد الطارف وروايته، مع الإشارة إلى أن العبارات ما بين قوسين مزدوجين هي من الباحث للتوضيح، وليس في أصل الرواية. يقول سعد الطارف: «.... مار قبضوا قشاع بقصر باللقائط، و((هو)) أخو عساف، وعساف بالجوف ((دومة الجندل)) عند صايحه ((حلفاؤهم الدرع وأهل خذما، هناك يحرضهم على القتال ومقاومة ابن شعلان)).... قالوا أذبحوه، أذبحوه، أذبحوه... ((و لكن لم يقتلوه في الحال))... مدوا به ((أخذوه للجوف ـ دومة الجندل))... وقالوا لقشاع ـ ـ ((يقصد أن الشعلان وتحت الإكراه طلبوا منه)) ـ ـ ـ صوت على عساف، وقل له يا عساف؛ سكاكا بردت ((أي سقطت واستسلمت)) بيد ابن شعلان ـ ـ ـ يحكون عليه، وقل ما أقول غصب من عليَ. صوت قشاع على أخوه عساف: يا عساف، يا عساف، يا عساف، قال ((رد)) عساف أيه ((نعم ماذا تريد)).... قال قشاع؛ تعرفني؟، قال عساف؛ أيه، أعرف إنك أخوي قشاع... قال قشاع؛ سكاكا بردت بيد ابن شعلان، وإن كنت تريد تقاتل وتحارب للدرع حارب... فسقط الجوف ((دومة الجندل)) بيد ابن شعلان... ثم جابوا عساف، مكتف اليدين وذهبوا به إلى سكاكا، عند منطقة الجحيش ((وطلبوا منه أن يقول لعرفج مثل ما قال قشاع له)).... وصوت عساف على عرفج وجماعته... وقال لهم تعرفوني يا اللي أنادي... قالوا نعم نعرف أنك عساف... قال عساف؛ الجوف ((دومة الجندل)) سقط بيد ابن شعلان، أنتم من تحاربون له ((؟))... ومار يقعون ((يسلمون))... هذي عقب سنتين.... سنتين بعد «كون الظلي» (الطارف، سعد (II)، في: ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩م: ٦ من ١٦).

(٣) في توابع وتداعيات ما بعد السقوط:

(أ) التشفي بالإعدامات والقتل الفوري: بعد حرب ومقاومة، فيها قدر كبير من المطاولة، سقطت الجوف لحكم الشعلان. ونتيجة لهذه المقاومة الشرسه وانتقاماً منها، ومن قياداتها البارزة في سكاكا ودومة الجندل، كان لدى الشعلان، على ما يبدو، درجة عالية من الرغبة في الانتقام والتشفي من عناصر

وقيادات المقاومين (القرشة في سكاكا وحلفاؤهم في دومة الجندل). كان من بين الإعدامات والقتل شبه الفوري بعد السقوط، هو إعدام وقتل كل من قشاع وعساف (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٦ من ١٦). من المؤسف أن هناك، على ما يبدو، قدراً من الالتباسات و/ أو الإقحام في الانتقامات لبعض أفراد من الأهالي (في كل من سكاكا دومة الجندل). ورغم أن القتل والإعدام والانتقام مدان بشكل عام، فإن الأمور يجب أن ينظر لها من زاوية أن للحروب دائماً مآسيها، وبغض النظر عن أخلاقية الحرب وعدالتها من خلافهما؛ الحروب بشكل عام لها مساراتها ونتائجها الوحشية غير الأخلاقية، حيث إن الحرب على الجملة هي عمل غير أخلاقي ولا عقلاني. وفي تفصيل لبعض من تلك الإعدامات، تذهب بعض الروايات، وإن كانت ملتبسة، وبالتالي من الصعب تأكيدها أو نفيها، إلى القول إنه، ونقلاً عن أقوال، يُقال عنها بأنه عندما سقطت سكاكا، وكان كل من «قشاع» و«عساف»، ابنَي «شكر السهيان اللحيد»، قد أحضرا لسكاكا، في سياق عملية استسلام المقاومين فيها، كما مر بنا آنفاً، وكانا قد أُدخلا، مع آخرين، في أحد القصور في اللقائط (يبدو أنه قصر «المرعي»، وربما غيره! و/ أو قصر قريب منه؟)، عاد إليهم بعض قيادات الشعلان، ومنهم ممدوح الشعلان، وكان معهم بعض أفراد من أهل الجوف، وبالذات من سكاكا، فقال ممدوح الشعلان لهم ((مخاطباً عساف ومن معه)): «... حوّلوا... قالوا، عساف ومن معه: بوجهك... قال ممدوح الشعلان: تخسون ما انتم كفو وجوه... قال ممدوح؛ اللي له يذبحه... وقام ((واحد))، وذبح عساف... عن ((قريب له))... و«جمعان»، ولد «جوهر»، ((جوهر: منصوب ابن رشيد السابق في الجوف))، ذبحه... ((واحد))... عن واحد من ((جماعته))... وذبحوا كم واحد... بقى قشاع، الله المستعان،... قشاع، قال النوري عنه: هذا حديده به... ما ذبحتوه؟!!!.. قالوا المعاقلة: والله لا بطنه مرعي، ولا همل... قال... ((واحد))... انقطعت داره ما هولنا؛ أنا أذبحه... قال له «قشاع»: يا شين ما بطني لك لا مرعي ولا همل...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٠ من ٢٣). في دومة الجندل سيكون هناك أيضاً إعدامات لعناصر بارزة من المقاومين، أنصار القرشة (أهل مارد، وخذما)، ولعل أبرز من يتم إعدامهم هم أبناء حسن الدرع (وفوق وصفوق). وطبقاً لأقوال بعض الروايات فقد قيل إنهما قتلا في التباسات وتقاطعات «الدرع»، و«العرجان»، أما حماد حسن الدرع، فيبدو أنه تمكن من الهرب للغربية (الشام)، ليعود بعد أن استتبت الأحوال لاحقاً، وعلماً أن «حسن الدرع» نفسه كان قد قتل قبل سنة (أي في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) أيضاً، فيما قيل عنه إنها تقاطعات والتباسات سابقة بين «العرجان» و«الدرع»، وبتحريض من «زبن القعيّد»، طبقاً لما ينقله عبد العزيز بن محمد سلمان القعيّد، وعلماً أن «العرجان»، وطبقاً للقعيّد، تم تزبينهم (حمايتهم) عند القعيّد لمدة سنتين بعد مقتل «حسن الدرع» ١٣٢٦هـ (القعيّد، عبد العزيز (I)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ١٣). وللمعلومية فإن تلك التقاطعات والالتباسات في الدم بين «العرجان» من جهة، وبين «الدرع من جهة أخرى، قد تم تسويتها بينهما بالمصالحة فيما بينهما (بين كل من عبيدالله ابن العرج وحماد ابن حسن الدرع) بتنازلهما عن وإسقاطهما لأية حقوق ذات صلة بعداوات أو دماء أو أموال، قديمة أو تالية، مستحقة لأي منهما على الآخر. تمت هذه المصالحة برعاية وأمام «عساف الحسين» (أمير الجوف آنذاك) وبشهادته، وشهادة محمد بن إبراهيم كاتب المصالحة في عام ١٣٤٢م. ولأهمية الوثيقة، والتي تحصّلنا على نسخة منها، ضمن مجموعة نسخ وثائق من «متحف

الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص» أرسلها لنا الأخ بدر البليهد عن طريق عواد فالح عواد المعدوة، في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢م. نضع، أولاً، نصها كما وردت من المصدر، في النسخة المصورة من الوثيقة (انظر صورة منها في «ملحق ـ ١: نسخ وثائق الصراع الأهلي بالجوف، في ملاحق الدراسة والكتاب)، ثم، ثانياً، تليها مباشرة ملاحظاتنا عليها. أولاً، نص المصالحة، كما ورد في المصدر، في ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم ـ ـ ـ الذي يعلم به من يراه أن عبيد الله العرج هو وبني خيه (١) العرجان هم وحماد بن درع حضرو عند الأمير عساف وتسامحو وتساقطوا جميع الذي بينهم من الحقوق من دم ومال أول وتالي وجعلو الله عليهم كفيلا من غير إجبار لأحد منهم وتعاهدو على ذلك وكفلو على أنفسهم القرش (٢) على العرجان وأهل الشرق على الدرع والأمير عساف من فوق الجميع وذلك بحضور كبار هل ((أهل)) الجوف واهل سكاكا شهد على ذلك كاتب الاحرف محمد ابن ابراهيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم» (في: البليهد، بدر، في مجموعة نسخ وثائق من متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص، تسليم للباحث في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢).

انتهى نص الوثيقة، بنهاية الاقتباس أعلاه، ولكنها مذيلة بتاريخ (١٨/ حما؟/ ١٣٤٢هـ) معلوم اليوم والسنة، وغير واضح الشهر (جما؟)، ويبدو أنه جماد (وهل الأول أو الآخر غير واضح). في الركن الأيسر من نهاية الوثيقة ـ وعلى اليمين أسفل الوثيقة شهادة وختم حسين العساف، ثم اسم وختم حماد ابن درع، ثم اسم وختم عبيد الله ابن العرج، وبينهما ختم محمد بن ابراهيم كشاهد وكاتب الوثيقة.

وللباحث، ثانياً، توضيحات وتعليقات على بعض النقاط في الوثيقة، ومنها:

١ ـ أهل الجوف (دومة الجندل/ سكاكا) يقولون «بني خيه/ بنيخيه»، وهم يقصدون أقرباء الشخص وجماعته، مثل العمام، وأبناء العمام، وهي مشتقة أصلاً من «أبناء أخيه».

٢ ـ كتبت العبارة «... وكفلوا على أنفسهم القرش على العرجان...» الخ، هكذا! ويبدو أن المقصود هو «الغرب» وليس «القرش» (القرشة؟)، وربما كتبت سهواً ـ ـ وهذا واضح من السياق ومن العبارة التالية والتي تقابل ما قبلها، والتي تتكلم على «... وأهل الشرق على الدرع»، لتصبح العبارة (صحيحة) كالتالي: «... وتعاهدو على ذلك وكفلو على انفسهم الغرب على العرجان، وأهل الشرق على الدرع والأمير عساف من فوق الجميع وذلك بحضور كبار هل ((أهل)) الجوف وأهل سكاكا...»، علماً أن العرجان ارتحلوا عند أهل الغرب منذ أن صارت المشاكل بينهم وبين الدرع.

٣ ـ وردت أخطاء تحريرية مثل: «حضرو» والصحيح «حضروا»، و«تسامحو»، والصحيح «تسامحوا»، و«جعلو»، والصحيح «جعلوا»، و«تعاهدو»، والصحيح «تعاهدوا»، «كفلو»، والصحيح» كفلوا»، و«هل الجوف»، والصحيح» و«أهل الجوف»... إلخ.

(ب) **الإعدامات: مرثيات الحاضر والماضي**: كان لهذه الإعدامات صداها في الأنفس لدى بعض أنصار الطرفين (القرشة والمعاقلة في كل من دومة الجندل وسكاكا)، فكان أن قيلت قصائد، ومرثيات

على من قتلوا، وأعدموا (١٩٠٩م)، وكان، في المقابل، أن رُد عليها من الطرف الآخر، باستدعاء التاريخ، والتذكير بإعدامات ما خلى من الأيام والوقائع، «واقعة المديرس» (١٨٧١م).

ـ **قصيدة ومرثية «عابد الجباب»**. وردت في أكثر من مصدر، ولكن نوردها أولاً كما وردت في مدوّنة كتبها عبد العزيز محمد سلمان القعيّد (القعيّد، عبد العزيز (I)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣٤ من ٣٥)، ثم، من باب المقارنة والتوازن، نوردها ثانياً كما وردت في مصدر آخر، نشير إليه في حينه. في تلك القصيدة، **يقول «عابد الجباب»**:

يـا دار يـاللـي بـيـن الـقـيـس وفـلـوق	الـيـوم مـا مـنـا عـلـيـك الـسـلامـي
عسـاك بـنـجـم بـتـالـي الـلـيـل حـاقـوف	يـدعـي يـادار الـخـنـا بـالـهـشـامـي
من عقب أخـو شاهه وعساف وصفوق	من عقب سمحين الـوجـوه الكرامي
كـم بـاب شـيـخ عـقـب الـفـتـاح مغلوق	وقـهـاوي مـا حـط فـيـهـا طـعـامـي
من عقبهم ما كل ولا اشرب ولا اذوق	ونـفـسـي تـهـيـالـه مـن الـلـه سقـامـي
أكـل مـواكـيـل ولا عـدي أذوق	أكل ومن لب العمر يشد حطامي
مـن لابـة راحـت كـمـا الـمـي مـدفـوق	تـوزعـوا بـيـن الـقـريـا اقـسـامـي
قلبي على شـوف الـرفـاقـات مشلوق	شـلـقـة جـديـد الـخـام بـيـد شـامـي
يـا مـا حـلا خشـة اربـوعـي مـع الـسـوق	صـبـيـان خـذمـا نـافـضـيـن الـحـزامـي
مـن حكمكـم يـا خـلـيـف عـابـد ممحوق	نـطـلـب عسـى مـا حـولـكـم بـالـتـمـامـي
شـيـخ ولانـا بـالـحـيـلات والـبـوق	ولا حيلته بالسيف والـبـزر حامي

قصيدة عابد الجباب، آنفة الذكر، أوردها معاشي بن ذوقان سعد العطية، في كتابه «**أوراق جوفيه**» (١٤٢٣هـ) (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٩١)، وللمقارنة وللتوازن، مع نصها في المصدر السابق، نوردها تالياً، مع ملاحظة أننا زدنا سواد العبارات أو الكلمات أو الأبيات المختلفة، وعلماً أن معاشي العطية حذف الأبيات الأخيرة من القصيدة، متعمداً كما هو يقول: «لقساوة ما ورد فيها ضد الشيخ درزي» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٩٢). القصيدة كما أوردها معاشي العطية، تقول[٢٩]:

يـا دار يـاللـي بـيـن الـقـيـس وفـلـوق	الـيـوم مـا مـنـا عـلـيـك الـسـلامـي
جعلك بـنـجـم بـتـالـي الـلـيـل حـاقـوف	**ياتيك** يـادار الـخـنـا **بانهشامي**
من عقب أخـو شاهه وعساف وصفوق	يـا حيف يـا هكالوجويه الكرامي[#١]
كم **دار** شيخ عقب الافتاح مغلوق	**ومجالس** مـا حـط فـيـهـا طـعـامـي
قلبي **على لا ما** الرفاقات مشلوق	شـلـقـة جـديـد الـخـام بـيـد شـامـي
أكـل مـواكـيـل ولا عـدي أذوق	وكبدي تهيالـه مـن الـلـه سقامي
مـن **ربـع راحـوا** كما المي **مطروق**	**شـتـات** وبـالـقـريـا اقـسـامـي

(٢٩) ملاحظات على قصيدة عابد الجباب كما أوردها معاشي العطية:

(#١) أخو شاهه هو: «وفوق ولد حسن الدرع، وعساف، هو عساف شكر السهيان اللحيد.

=

مـن حكـم ابــن شعـلان جعلـه امحوق **وجـعـل الـمـحـل حقـه ثـمـانـيـن عـامي**
شـيـخ ولانـــا بـالـحـيـلات والـبـوق مـا ولـيـتـه بـالـسـيـف والـبـــزر حـامي
عـنـدك خبـر خشت اربـوعـي مـع الـسـوق صـبـيـان خـذمـا نـافضـيـن الـحـزامـي[#٢]
(... أبيات محذوفة؟؟؟...)

***** ـ ـ ـ *****

ـ «**مسلم الوردي» يرد على الجباب مستدعياً «المديرس»**. رغم أن الحاضر (في وقته، أي أحداث ١٩٠٩م)، كان من القساوة ما استدعى عابد الجباب أن يرثي ربعه وأصحابه الذين أحس بوطأة فقدانهم بعد إعدامهم، لكن الماضي كان على ما يبدو حاضراً، في حاضر بعض عناصر خصومه من الطرف الآخر. من هنا أتى الرد، على ما يبدو، من «مسلم الوردي»، حيث قُتل عدد من أقربائه «الورادا»، في واقعة المديرس (تقريباً أوائل ١٨٧١م)، من قبل ابن رشيد، وبمساعدة، على ما يبدو، من حلفائه في سكاكا، بقصيدة، وردت في أكثر من مصدر (القعيّد، عبد العزيز (I)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣٤ من ٣٥، والشايع آل كريع (II)، ١٩٨٤: ٢٦٣). قصيدة مسلم الوردي رداً على الجباب دائماً مترابطة مع قصيدة الجباب، وفي الغالب لا تذكر إحداها دون الإشارة و/ أو ذكر للأخرى. لكن معاشي العطية لم يذكرها كاملة، وإنما اكتفى بأربعة أبيات أخذها من كتاب عبد الرحمن الكريِّع الشايع عن الجوف ـ الجزء الثاني (الشايع آل كريع (II)، ١٩٨٤: ٢٦٣). إن هذا التصرف يمكن فهمه في سياق علاقة معاشي العطية بمفضي العطية، وهذا الأخير هو المتهم في ما هو شائع في وعند المعاقلة ورواياتهم عن واقعة المديرس (١٨٧١م)، ومنها أن «مفضي العطية»، آنذاك، ساعد قوات ابن رشيد وعسكره على اعتقال صهره «حمد الوردي الأول» (حمد الوردي زوج ابنة مفضي العطية) وبعض أفراد أسرة الوردي، فإعدامهم في مكان يدعى المديرس في ما عرف بواقعة المديرس والتي أُعدم فيها ابن رشيد أكثر من ٨٠ رجلاً من أهالي الجوف (من سكاكا ودومة الجندل)، ومنهم الوردي وأقرباؤه. وحيث إن التوازن مطلوب في المعالجات التاريخية، فنورد قصيدة مسلم الوردي، دون أن يعني ذلك أننا نتبناها كما هو الحال مع القصيدة السابقة، وكما هو الحال مع الطريقة البحثية العلمية الموضوعية في المعالجات التاريخية، والبحث التاريخي، وهي ما التزمنا وألزمنا أنفسنا بها. رداً على قصيدة عابد الجباب عند سماعه، قصد **مسلم الوردي قصيدة، وردت في مدوّنة كتبها عبد العزيز محمد سلمان القعيّد** (القعيّد، عبد العزيز (I)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣٤ من ٣٥)، يقول فيها[٣٠]:

يـا راكــب الـلـي رعـيـهـا قـطـف زمـلـوق تـقـطـع مـصـاريـع الـرسـن بـالـخـزامـي
حـمـرا عـلـيـهـا مـن الـشـحـم تـقـل زرنـوق مــردوفــة فــوق الــدفــوف الـنـسـامـي
مـتـخـيـرة مـن سـاس هـجـنـا مـن الـنـوق تــغــزفــز امــجــفــلات الـنـعـامــي

= (#٢) السوق؛ سوق الدرع (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ١٩١). علماً أن «صفوق هو أيضاً ولد حسن الدرع، أي هو أخو وفوق، وكلاهما أعدمهما ابن شعلان، مع إعدامات وقتلى يبدو بحدود ٣٠٠ شخص طبقاً لما ورد في قصيدة مسلم الوردي، أدناه، إن كانت الأرقام التي ذكرها حقيقية وصحيحة.

(٣٠) ملاحظات على قصيدة مسلم الوردي: بن نعامي؛ هو ابن نعام، وهو، على ما يبدو، مملوك لأبن رشيد، وكان في أحداث ١٩٠٩م هو قائد حامية ابن رشيد في مارد بالجوف (دومة الجندل)، وحتى سقوط الجوف لابن شعلان.

قــم اركــبــه وسـنـعـه يــا مــرزوق	اغـديـك تـوصـل يـم عـابـد سلامـي
قــالــوا مــا عــاد يـاكـل ولا يـذوق	مـخطي وقـولـوا لـه يـفـك الـصـيامي
إن كـان أنـت تبكي دور عساف وصفوق	قـبـلـك بـكـيـنـا بـالـمـديـرس عـمـامـي
إن كـان أنـت تبكي دور خذما مع السوق	لـلـحـشـر مـا تـطـلـع مـبـانـي الـخـزامـي
وش مزعلك من دوسنا يا سهف روق	حـنـا صـبـرنـا لـك ثـلاثـيـن عـامـي
عـنـدي خبر خشة ربـوعـك مـع الـسـوق	فـي ظـل ابــن سبـهـان وبــن نـعـامـي
يـمشي وسـط الـسـوق والسيـف مدلوق	فـي حكـم جـوهـر حـاكـمـا مـثـل سامي
ونـحـمـد الـلـي سـنـع الـفـعـل بـوفـوق	لـمـا خـذيـنـا حـقـنـا بـالـتـامـامـي
انـتـم ثـلاث مـيـة غير عـساف وصفـوق	وحـنـا اربـعـيـن عـدنـا بـالـتـمـامـي
اخـو اعـطـيشـه هـو وربـعـه لـكـم حـوق	صـكـوا عـلـيـكـم وحـلـقـوكـم اشـمـامـي

*** ـــ ***

(ج) إعدامات لاحقة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م):

ـ **واقعة «كسر الأشدة» وإعدام عاطن وخليف**: ورغم أن الإعدامات الفورية التي قام بها ابن شعلان، والتالية مباشرة للسقوط، طالت عناصر وأفراد من حلف القرشة على وجه التحديد، سواء في سكاكا أو في دومة الجندل، وفيها قدر من الالتباسات والتقاطعات لبعض من أفراد أهالي الجوف، وحتى التباسات بينية تجاه بعضهم البعض كما سوف نرى، فإن إعدامات ابن شعلان تواصلت وامتدت، في أوقات لاحقة، إلى أفراد من خصومه القرشه، ومن أنصاره من المعاقلة. الإعدامات ضد أفراد من أنصاره المعاقلة كانت فقط لأن بعضهم أوشي بهم على أنهم يرفضون القتال معه كمرتزقة (بالإكراه) ضمن قوات وأفراد جيشه. وقد شملت الإعدامات في عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م، في ما عرف بواقعة «كسر الأشدة»، عدد من أبناء دومة الجندل، ومنهم «عاطن» و«خليف» أبناء عواد خليف الخميس من الرحيبيين، (القعيّد، عبد العزيز، مدوّنة في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٣، و٥ من ٦) وهؤلاء في الغالب من أنصار حلف ابن شعلان، وكذلك كادت أن تطول بعض من أفراد من المعاقلة (الدغيفق) في سكاكا، محسوبون على الرشيد، ومنهم «عطا عواد الثاري ـ الدغيفق»، لكنه لم يتم إعدامه بسبب اعتراض ورفض خليف الفالح أن يتم إعدامه باعتبار «عطا» ابن عمه (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٤ من ٢٧). وعن واقعة «كسر الأشدة»، وصلتها بإعدام كل من «عاطن» و«خليف»، يُشار إلى طرف من قصتها بالقول، إن بعض من أهل الجوف (دومة الجندل) اتفق بقهوة ((مجلس))»... بالرحيبيين، على ألّا يغزو مع ابن شعلان، فقام عاطن وضرب الشداد على درج في بيته، وكسره، وهذا يدل على عدم الرغبة بالغزو، وأشعلوا به النار، ووضعوا عليه القهوة، فذهب من وشى بخليف وعاطن، وهم أخوان، لِابن شعلان، وأهل الجوف، فترصدهم، حتى إذا كان يوم من الأيام، في مكان يسمى الرمانه، غرب الجوف، حوالي أربعين كيلو، هاجمهم، وقتل منهم العديد، ثم بعد ذلك ألقى القبض على خليف وعاطن، وتم قتلهم في عام ١٣٣١م، بين سكاكا والجوف في مكان يُدعى جاوى» (القعيّد، عبد العزيز، ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٢ من ١٢).

ـ **حبس عطا عواد الثاري (الدغيفق) ونجاته من القتل مع خليف وعاطن (١٩١٢م) باعتراض خليف الفالح**: وفي اختلاف بعض الشيء عن ما ورد في ما سبق من رواية عن إعدام خليف وعاطن، وفي تفصيل أدق، وبمعلومات إضافية عن واقعة مقتل خليف وطاعن، بما فيها ما يتعلق بموقف خليف الفالح من تلك الإعدامات، بما في ذلك ما يخص ابن عمه «عطا عواد الثاري»، تذهب رواية بالقول، ـ (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح) ـ، فتقول: «... يوم بغوا يذبحون خليف وعاطن... من الرحيبيين... قالوا هم وأهل خذما؛ عذبنا ابن شعلان بالمغازي... عذبنا بالمغازي... لكن نريد نعلق ((نشعل النار)) بـ: «الأشدة»... ما اعلقوا بها ((لم يشعلوا النار بها)).... وانقطعت عن خليف وعاطن... يوم عطا الثاري، قال عن عامر: يريد له اللي يذبحه... وهو... بذي النخلة... يبرد كبده ((يشفي غليله))... وديت ((وصلت هذه المعلومة)) لـ «عامر»، وحبسوه معهم، مع خليف وعاطن، يريدون يذبحونه مع خليف وعاطن... قال الأطرم..»، ((خليف الفالح يقال له الأطرم لأن سمعه ثقيل بعض الشيء ـ في الجوف يقال للأطرم هكذا (!)، رغم أن الأطرم في اللغة وفي ما هو شائع وأصح عند الآخرين تعني الأخرس ـ الباحث))،»..عن عطا عواد الثاري؛ ابن عمي، وأنا كفيله، ولا تذبحونه... وهذولاء ((يقصد خليف وعاطن))، قال خليف... ((مخاطباً عنهم على ما يبدو حراسهم من أهل سكاكا))...، قال قولوا عنهم ناموا وانطلقوا منا... لا تذبحونهم... وإلا... ((يقصد: لكن))... ودوهم... ((وصلوهم))... للنوري بن شعلان... قال ((أحدهم))؛ والله غير يذوق الموت مني... قام ((خليف أو عاطن)) يعوي... ((يصيح))... قال هنيالك بها الخزنة... لحديهم... ((أحدهم))... مروا قبور بأهل الوادي... ((وادي السرحان))... تله... ((هذاك))... قال له ((وجهك على هالخزنه... لكن تعذر من هاالرجال... والله ما قدمنا للذبح غير على بياض... لكن العذر من الله ثم منكم... الميعاد قدام ((الآخرة))... وحسبي الله على الظالم... ((واحد)) ذبح واحد ((خليف)).. وواحد ذبح واحد ((عاطن))» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٤ ـ ١٥ من ٢٧).

ـ **«جريمز» وإعدام عيال خذما**: في نفس السنة من عام (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م) يقوم ابن شعلان بإعدام وقتل «عيال أهل خذما» في «جريمز» (القعيّد، عبد العزيز، مدوّنة في مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٣، و٥ من ٦). لا تتوفر، للأسف، معلومات عن من هم «عيال خذما» الذين أعدمهم ابن شعلان في «جريمز».

ج ـ الحرب الأهلية تتواصل بطرق مختلفة

رغم سقوط الجوف (سكاكا ودومة الجندل) شبه الكامل لحكم ابن رشيد في ذي الحجة ١٣٢٧هـ الموافق كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٠٩م، فإن الأوضاع بالجوف، وإن بدت على الجملة مستقرة نوعاً ما، إلا أن حالات من الأحداث أعقبت السقوط واستمرت حتى وقت ما (ربما حتى أواخر الربيع) من عام ١٩١٥م كانت تشير إلى حالة من عدم الاستقرار النهائي الكامل بالجوف. تلك الأحداث اشتملت على نوعين من التطورات: الأول متعلقة بهجرة «القرشة» في حدود عام ١٩١١م، أو ما يعرف محلياً بـ «هجة القرشة»، والثاني متعلق بتواصل حالات محدودة ومتقطعة من إطلاق نيران متبادلة بين الأهالي، وخاصة في دومة الجندل، تخللتها بعض الإصابات من الطرفين، وفي سياقاتها قدر من الخوف الموازي

وتولد بيئة غير آمنة، مقلقة للناس ومعيقة لحركتهم ونشاطهم. سوف تستمر هذه الحالة المبطنة بنوع ما من عدم الاستقرار حتى ١٩١٥ حين يعود القرشة بعد نزوحهم مرة أخرى إلى مساكنهم وأملاكهم وبالذات في سكاكا.

(أ) هجة القرشة ١٩١١م/ ١٩١٢م (؟؟) إلى حائل: ليس هناك اتفاق بين المصادر، وخاصة بين الرواة المحليين، على التاريخ الذي وقعت فيه واقعة ما يعرف بهجّة القرشة، والمتزامنة مباشرة مع انسحاب زامل السبهان للجوف. هناك قول سعد الطارف كما سيأتي لاحقاً، بأن هجّة القرشة وقعت بعد أربعة أعوام من واقعة كون الظلي. وحيث إن واقعة كون الظلي حدثت في صيف ١٩٠٧م، فإن قدوم زامل السبهان فانسحابه ونزوح القرشة معه تكون وقعت في وقت ما من عام ١٩١١م أو ١٩١٢م(؟) وفي رواية أخرى كان قدوم ابن سبهان للجوف فانسحابه وهجّة القرشة معه وقعت في وقت ما من عام ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م (؟) (القعيّد، عبد العزيز، مدوّنة، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ٣).

على أية حال، بعد سقوط الجوف لحكم الشعلان في نهاية عام ١٩٠٩م، وفي وقت ما من عام ١٩١١م أو ١٩١٢م، أو ربما من عام ١٩١٣م، طبقاً لاختلاف المصادر، بدا أن الرشيد، وبعد أن تم تصفية الأمور في حائل، ـ (اغتيال سعود بن حمود بن عبيد الرشيد، على يد السبهان، خوال سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد ـ المعروف بـ «أبو خشم»، والذي سيصبح حاكم حائل، ولكن تحت الوصاية من قبل أخواله، وبالذات من قبل خاله، ووزيره أولاً، «زامل السبهان» حتى ربيع ١٩١٤م، حيث يُقتل الأخير من قبل سعود بن صالح السبهان (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٣٢)، وهو المعروف بـ «المتوقد»، والذي تولى الأمور حتى ١٩١٩م، عندما أجبره سعود أبو خشم على الرحيل عن حائل، حيث هرب وقتل في العراق في عام ١٩١٩م) (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٧٥) ـ، وفي محاولة لقفل ملف الشمال وجبهته لصالحهم في مواجهة ابن سعود جنوباً، لم يفقدوا الأمل في استعادة الجوف، وانتزاعه مرة أخرى من الشعلان، والانتقام منهم، ومن أنصارهم بالجوف.

وحيث الأمر كذلك، فكل الأقوال والروايات تشير إلى أن زامل السبهان، ـ وفي محاولة منه لتنفيذ تلك الغايات، وفي تنسيق، على ما يبدو، مع بعض الأهالي بالجوف من القرشة، وحتى من عناصر محدودة من المعاقلة، والذين على ما يبدو كانوا على غير وفاق مع ابن شعلان وحلفائه بالجوف ـ، قدم على رأس حملة للجوف وكان ذلك في وقت ما من عام ١٩١١م، طبقاً لرواية سعد الطارف أدناه، ونرجح أنه كان في وقت ما من الربيع أو الخريف من عام ١٩١١م. عندما وصل يبدو أنه خيَّم وعسكر على تلال الرمال (الطعوس) جنوب غرب اللقائط (بين قارا وسكاكا). عن حملة ابن رشيد على الجوف تقريباً ١٩١١م بناء على تقديرات الرواية التالي ذكرها، وهي على ما يبدو تحت قيادة زامل السبهان، يحدثنا سعد الطارف، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح فقط. يقول سعد الطارف ما يلي:

إن هجة القرشة حدثت «... عقب كون الظلي بأربع سنوات، وتى ابن رشيد... وانحاشت المعاقلة... هذي ناس صارت عند ((بقصر)) سعد العايف، وهو رجال ((مناصر وموال)) للرشيد... والجحيش والكريع... صارت بديرة ((قصر)) الحيزان... وقام خليف الفالح على الحصير يكب لهم

من التمر يأكلون ما عندهم شين اللي صاروا عن سعد ((العايف))... وهذي أهل الحزوم... ((الرواشد الجنوبيين))... ومن معهم أدربوا... ((دخلوا))... بقصر الحكومة ((قصر الطين كان مكتملاً من الخارج))... وبعد ذلك رحل ابن رشيد بعد أربعة أيام، وكان مخيّما بالطعوس تحت ((قبلي)) اللقائط... وبعد رحيل ابن رشيد...رحلت القرشة معه وانحاشوا، حريمهم وأطفالهم وأمورهم... ولكنهم ما اتذابحوا المعاقلة والقرشة... وصارت... ((المعاقلة))... وأخذت تنهب ما تجده من حبوب وتمور...» (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١١ من ١٦).

في ما تقدم من رواية سعد الطارف عن هجة القرشة نلاحظ التالي:

١ ـ لم تفصّل الرواية في الأمر كثيراً، ولكنها قدمت تصوراً مجملاً للواقعة، وتعزو الرواية تلميحاً في ما يبدو أن هجة القرشة كانت نتيجة تعاون القرشة وبعض عناصر المعاقلة (مثلاً: سعد العايف ـ من الدغيفق) مع الحملة. يبدو أن الهجة، أو النزوح كان في سياق خوفهم من ردة فعل من قبل ابن شعلان على غرار أحداث وإعدامات ١٩٠٩م.

٢ ـ الرواية تشير إلى أن هذه الواقعة (هجة القرشة) المصاحبة لرحيل ابن سبهان، لم تكن ناتجة عن حرب بين المعاقلة والقرشة، ولكن سنرى في ما يلي من روايات موازية تالٍ ذكرها، أن الأجواء كانت ملبدة بالاصطفافات، وبحشد الأسلحة، وكانت على وشك الانفجار، لولا أن الله ستر وعجّل برحيل السبهان وقواته إلى حائل. ومع ذلك فإن نزوح أو هجة القرشة بالذات، وبغض النظر عن المبررات وراءها، خوفاً من انتقام حقيقي أو تصوري، هي أولاً وبذاتها معاناة وتكلفة هائلة دون شك، وهي ثانياً دلالة على عدم استقرار في بنية العلاقات لأهالي الجوف، والتي ستستمر حتى سيادة السلام في حدود ١٩١٥م متوافقاً مع تكامل عودة القرشة للجوف.

٣ ـ نلاحظ أن سعد العايف (من الدغيفق)، كما الحال مع محيسن الكريِّع، وهما من المعاقلة، كانا حليفين للرشيد وللقرشة. لذلك ليس غريباً أن يلجأ بعض من المعاقلة إليهما وقصرهما للاحتماء، باعتبار أن من يكون في قصر أحدهما، وهو من أنصاره، وبالتالي محمياً من انتقام الرشيد. وعن تلك الحماية التي كان سعد العايف ومحيسن الكريِّع يوفرانها في علاقتهما مع الرشيد، يقول سليمان العودة، أنه على زمن زامل السبهان: «... يا ابن الحلال، هذا ابن رشيد محاصر المعاقلة... هذا خليف (الفالح) الاطرم شايل المعاقلة. قال يالمعاقلة عندنا لكم كل يوم ٦ قبلات تمر... وهذا الناس دخلوا بالعايف... محيسن الكريِّع وسعد العايف اصدقاء لِابن رشيد... واللي عند الحزوم والمويشير بقصر الطين... والشماليين وما بعدهم اللي عند العايف، واللي عند محسين الكريِّع...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٨ من ٢٣). ويضيف سليمان العودة أبعاداً أخرى وإضافية في العلاقة الوثيقة بين سعد العايف وابن رشيد في أثناء حملة ابن سبهان على الجوف (سكاكا) بإيراده الحكاية التالية، عنه وأهله نقلاً عن والدته: «... تقول أمي يوم وتينا بديرة العايف، تقول أمي: إلا أنت مع أخوك مرزوق، وناولنياك... وعيَر... ((صوب البندقية))... عليكم العبد... قالت أمي: لا يا خي... هذا وليدي، وأنا من العايف... العبد عبد لِابن رشيد على وقت زامل.... وملاقي ((العايف، أخو سعد))، وسعد، كانوا مع زامل في عودته لحايل، وقت هجة القرشة معه...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس

٢٠٠٢: ٢٣ من ٢٣)، ولذلك ليس غريباً أن يرحل سعد مع من رحلوا من أهل الجوف حلفاء الرشيد، آنذاك، إلى حائل عند رحيل ابن سبهان وقواته. فوق هذا وذاك، وفي سياق الصراعات والمنافسات الأهلية، كان سعد العايف من المخاصمين للفالح، طامعاً على ما يبدو بزعامة ومشيَخة (الدغيفق)، ولذلك تذهب بعض الروايات إلى أن سعد العايف في هذه الواقعة كان قد حرّض ابن رشيد (في واقع الأمر زامل السبهان) لقتل خليف الفالح، حيث تم استدعاؤه من قبل ابن سبهان، عن طريق سعد العايف، والذي أخبر خليف الفالح بأن عليه أن يراجع ابن سبهان في معسكره. بناء على الاستدعاء ذهب خليف الفالح إلى هناك، وكان، طبقاً لأقوال أتذكر أنني سمعتها من والدي هايس الفالح، نقلاً عن والده (خليف الفالح)، قد لبس درعه الحديدي وامتشق سلاحه. «الدرع الحديدي» لـ «خليف الفالح»، بالمناسبة كان حتى نهاية الستينيات، وأوائل السبعينيات من القرن العشرين الماضي، موجوداً مشاهَداً، معلقاً في مجلس (قهوة) قصره الذي آل إلى حفيده محمد مهنا خليف الفالح. ويبدو أن الدرع الحديدي انتهى به الأمر إلى أحد أبناء وورثة محمد مهنا خليف الفالح، وهو على ما يبدو عبد الرحيم محمد مهنا الفالح. عند وصول خليف الفالح إلى المعسكر وكان على ما يبدو متوقعاً أو شاكاً في أنه قد يقتل، طلب قبل الحديث من ابن سبهان أن يصلي ركعتين، وهو ما سمح له، وفي أثناء صلاته انتبه ابن سبهان، أو أن أحداً نبَّهه، إلى طريقة لبسه وكونه مدججاً بالسلاح ومحمياً بالدرع، ويبدو أنه، في ضوء تلك الملاحظة وبعد الاستفسار ممن يعرفونه وجماعته، اعتقد أن جماعته هم على نفس الوضع من التسلح والجاهزية للقتال، فأخلى سبيله، ولم يتعرض له بسوء. وعن تلك القصة، يورد بعض من تفصيلاتها، سليمان العودة، فيقول إنه عندما قدم ابن سبهان للجوف: «... إن زامل بن سبهان قال غير أشوف خليف الفالح... يريد يشوفه... يريد يذبحه... وتى سعد العايف، وقال يا الله يا خليف، زامل يريد يشوفك، قالت أمه ((أم سعد العايف))، عقيله من المانع «ـــ ((يبدو أن «عقيلة» هذه، هي أخت عقيل مانع الثاري ـ الدغيفق ـ الباحث)) ـــ،» والله إن جرى لخليف شين أني لقص الديد ((الثدي)) اللي أنت رضعته... وين تريد به؟ يم عدوه! تقوله عقيله لولدها سعد العايف... وتكي ((امسكت)) يديه على رقبتها، وقالت: والله إن جرى لخليف جاري، لقص الديد اللي أنت رضعته.... قال ((سعد))... والله...»، ويعلق سليمان العودة على ذلك، وعن سعد العايف من حيث إنه استجاب لطلب أمه وطاعها بعدم التعرض لـ «خليف الفالح» بسوء، بالقول: «... وإلا تراه مسبق سوابق ماهي زينه... لكن طاعها... ويوم سلم ((سعد)) على زامل... قال أريدك تستأنس... معك خليف... عز الله العزيز، قال زامل شفته؟ قال سعد: نعم، أريد أكلمك؛ المعاقلة وتوا يسلمون عليك بيديهم، والقرشة سلاحهم معهم... أريد اربع خيل تحمي هذا عن هذا، لما يطبون ديرتهم... يقوله سعد العايف؛ وارسل خيل، المعاقلة وتوا يسلمون عليك بيديهم، والقرشة بأسلحتهم يريدون يذبحون المعاقلة...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢٣).

وفي قصة موازية لهذه القصة، أما في أثنائها، أو قبلها أو بعدها، وفي محاولة لقتل «الفالح» و«العياف» في المسجد، يروي سليمان العودة الفلاح، ـ (علماً أن سليمان العودة الفلّاح، محدثنا هذا، هو خال أولاد «ملاقي»، حيث إن «ملاقي» متزوج من فتنه بنت عودة الفلّاح الكبيدان، وعلماً أن ملاقي هو أكبر أخوانه، وهم: سعد ونادي وخميس أبناء عايف المثري ـ الدغيفق، وعلماً أن «العياف» الذي

سيأتي ذكرهم، هو أبناء عمومة مباشرين لـ «سعد العايف»، ((عايف وعياف وعوف أخوان عيال مثري من الدغيفق))، وعلماً أن خميس لم يخلف أحداً، وكذلك سعد انقطعت داره لاحقاً بعد موت ولديه ضاري وعبد الله) ـ، القصة التالية عن سعد العايف، فيقول، أن سعد نادى على إخوته مستفسراً عن موقفهم من فكرة القتل ((قتل الفالح والعياف))، فقال لـ «... خميس، أنت لي ولا للذيب، قال خميس: لك. قال سعد لـ... نادي..أنت لي ولا للذيب، قال نادي: لا والله لك. قال سعد ((لهم)): العياف والفالح ما يشمون الهواء، أدخل عليهم بالنمشة، بالمسجد، وأنتم بالبواريد... ما نخلي لهم الدار...»، ويواصل سليمان العودة القصة بالقول إن الغاية من القتل من قبل سعد العايف وأخوته الذين وافقوه هو أنهم «... يريدون الحكم...» ((مشيخة الدغيفق))، ويكمل سليمان العودة، راداً على التعجب من الأمر، الذي أبداه عبد الهادي عبد المحسن السلطان وكان موجوداً وله فضل تنسيق وترتيب اللقاء ومقابلة سليمان العودة في تلك الليلة، بالقول «...شف اللي صار عاد، اللي صار صار... قال سعد ((لأخوانه خميس ونادي)): بقى ثور الفصم... بقى ثور الفصم... «ملاقي»، ما ندري وش يقول؛ يا ملاقي ((ينادي عليه سعد))... قال ملاقي: عارف اللي عندك يا طليان... تحكم على «بعرك»، طز عليك وعلى من شاورك هالشور... خذ بارودہ، واقرطها ((ارمها)) يا ملاقي...» (الفلاح، العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٣ من ٢٣).

٤ ـ دور سيدة من أهل الجوف (سكاكا) (عذفاء بنت ماضي رشيد السويلم ـ النصير) في الصراع وفي فك الحصار: أشار سعد الطارف إلى أن ابن سبهان عسكر في رمال الطعوس ما بين قارا واللقائط وأنه مكث أربعة أيام انسحب بعدها إلى حائل ولكنه، أي، سعد الطارف، لم يتكلم عن هذه العودة والانسحاب السريع لِابن سبهان وقواته، نحو حائل. يبدو أن هناك بعض التطورات والعوامل في كل من حائل وفي الجوف وما حولهما ساهمت، بتضافرها، بأشكال ونسب مختلفة في إحداث قرار الانسحاب السريع. في حائل وما حولها يبدو أن الأمر مرتبط بصراع ما، في جانب منه مرتبط بما يدور حول السلطة داخل حائل (بين بيوت الرشيد وحلفائهم)، في جانب منه كان هناك خلاف وقع في غياب زامل السبهان على ما يبدو بين سعود بن صالح السبهان (المتوقد) وبين ابن رشيد (سعود أبو خشم ـ كان لا زال صغيراً) (القعيّد، عبد العزيز، مدوّنة، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ٣)، وفي جانب آخر منه مرتبط بمصير حائل ذاتها في مواجهة قوة ابن سعود المتنامية آنذاك حيث كما ينقل سليمان العودة عن شخص من أهل حايل، يدعى «نفجان» وكان مشاركاً مع زامل، يقص عليه حينما كانا كلاهما يعملان في عرعر، عن رحيل زامل ابن سبهان المفاجئ فيقول: «... والله يسولف علينا نفجان، من أهل حايل بعرعر يشتغل آنذاك مهندس مساح، يقول نفجان؛ والله أنهن ٨٠ دلة مع نجرهن، انحشنا بالعثث مع زامل... وتى خبر ابن سعود محضب (مطوق ومحاصر) حايل...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٨ ـ ١٩، من ٢٣ من ج ١). في الجوف يبدو أن الأمر مرتبط بقوة المحاصرين (المعاقلة) وقوتهم على الصمود فترة غير قصيرة، وكذلك قوة الرولة ـ الشعلان في الجوف وما حولها، مقارنة بقوة ابن سبهان وحلفائه (القرشة) تجاه تلك المعطيات. من العوامل التي أسهمت بدرجة ما في انسحاب ابن سبهان إلى حائل سريعاً وتخليه عن التصادم بالجوف مع المحاصرين، فضلاً عن الشعلان،

هو دور قامت به امرأة من أهل الجوف. **السيدة هي: عذفاء بنت ماضي رشيد السويلم (من النصير)**، وهي أم حسن العقلاء، حيث أوصلت لِإبن سبهان بطريقة غير مباشرة صورة صلبة لحال المحاصرين وعن حشود للرولة ـ الشعلان قادمة. عن ذلك يحدثنا عبد الهادي السلطان نقلاً عن جدته (لأمه) «عذفاء»، نفسها، بالقول: إن المحاصرين من أهل سكاكا من المعاقلة، في أحد القصور، التي لجأوا لها، وبعد مرور أيام قليلة من الحصار، شعروا بالضيق نتيجة الحصار، فكان أن فكروا في طلب المساعدة من أهل قارا ـ ـ ((علماً، لمن لا يعرف، فإن جماعة الدغمان يقطنون قارا، وهم من الرولة، وبالتأكيد جزء من قوة الشعلان ـ الباحث)) ـ فقيل: «ما يروح بالمهمة رجل، شوفوا لنا مرة (امرأة)، لأنه لا يصلح لهذا الدور إلا امرأة، باعتبار أن الخطر عليها من قوة ابن سبهان أقل في حال اكتشاف أمرها،... تقول وقالوا (أي المحاصرين): «ما فيه غير بنت ماضي (عذفاء)»... فتبرعت السيدة «عذفاء «... وأرسلوها لـ «قارا» توصل وتفزَع»، وبالفعل ذهبت إلى قارا عن طريق محاذي لقرية «الطوير»، ولكنها وهي في منطقة قرب الطوير، وفي طريقها إلى قارا، اُكتشف أمرها واعترضها رجال ابن رشيد، الذين أخذوا يطلقون «الرصاص حول رجليها... شرقي الطوير.... تقول ويوم شمر جوا يمها...»، أوقفوها وأخذوا يسألونها؛ وش (من) أنت؟، وين رايحه؟، في ما يشبه التحقيق. ولتبديد مخاوفهم، وقالت لهم: «... أنا أريد ـ ـ ـ لي بنت بقارا ـ ـ ـ أريد أرضعها... صدقوها، وخلوها... وراحت». (عبد الهادي عبد المحسن السلطان، في: العودة الفلاح، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٨ من ٢٣). وحيث إنهم صدقوها، ولكن قبل أن يدعوها تواصل سيرها لـ «قارا» سألوها عن المعاقلة وحال المحاصرين، فقدمت لهم معلومات مضللة، بالقول إن المعاقلة المحاصرين لديهم من السلاح ومن مخزون الطعام ما يكفي لعدة أشهر، وأشارت إلى أن حشوداً من الرولة مؤيدة لِإبن شعلان تتجه من شمال شرق الديرة باتجاه النفود. عند سماعهم هذه الأخبار والمعلومات تركوا «عذفاء» على عجل وانسحبوا مسرعين عائدين لِإبن سبهان بالأخبار (السلطان، عبد الهادي عبد المحسن، لقاء وحديث، السبت في ٢٥/٨/٢٠٠٢ عصراً: ١ من ١). هذه المعلومات والأخبار التي أوهمت بها السيدة «عذفاء» رجال ابن سبهان، وصلت، بلا شك، إلى «ابن سبهان» نفسه، دون إبطاء، مسهمة في ما يبدو بتكوين «تصور أو انطباع ما» لديه، يشير إلى احتمال بعدم امكانية حسم سريع للأمور لصالحه والرشيد بالجوف، وأن الحسم في الصراع على وفي الجوف قد يحتاج إلى مطاولة مكلفة وغير مضمونة النتيجة. هذه التصورات المتولدة (المتخيَلة) عن صعوبة الحسم في الجوف وعليه، فضلاً عن ضغوط عوامل كانت ربما تدور، آنذاك، في حائل وحولها، أشرنا لها سريعاً في ما تقدم، ساهمت على نحو ما بقرار ابن سبهان بالانسحاب السريع والعودة إلى حائل، وبعد أربعة أيام فقط من وصوله للجوف (سكاكا) محاصراً لها في محاولة لانتزاعها و/ أو الانتقام من بعض أهلها.

٥ ـ من هجّ من القرشة ومن بقى؟ لتضافر بعض العوامل والمعطيات الداخلية (في الجوف وحولها) والخارجية (في حائل وما حولها) أشرنا إليها بعجالة آنفاً، قرر زامل السبهان الرحيل والتوجه إلى حائل، وكان ذلك بعد أربعة أيام على قدومه كما مر بنا في رواية سعد الطارف. حيث قرر زامل الرحيل، فقد قررت القرشة وبعض من عناصر من المعاقلة متحالفين مع الرشيد الرحيل معهم خوفاً من انتقام ابن شعلان، وخاصة أن ذاكرة إعدامات وقتلى عام ١٩٠٩م لا زالت حية في الذاكرة، وصداها

لا زال قوياً في النفوس. تكلمت رواية سعد الطارف إجمالاً عن نزوح أو «هجة القرشة»، ولكنها لم تفصل عن وفيمن رحل وممن لم يرحل. من هنا نذهب إلى **هلال سالم النصر** ليحدثنا عن الأمر، نقلاً عن والده سالم النصر، حيث يقول، إنه في وقت ما بعد سيطرة ابن شعلان على الجوف (يقصد عام ١٩٠٩م)، كان أن قام ابن شعلان بسلب القرشة سلاحهم بعد محاولة من القرشة القيام عليه (!)، ولكنها على ما يبدو لم تنجح وسميت «سنة السلبه»، ثم في المحاولة الثانية للقرشة كان «... قدوم زامل بن سبهان، ووقوف القرشة معه... ترك زامل السبهان الجوف والمعاودة إلى حايل...» وخوفاً من قدوم ابن شعلان ومعاقبة القرشة كان «... فرار وهجة القرشة....»، وأعقبها «... سلب ونهب أملاكهم... لم يبقَ إلا نفر قليل، منهم: سالم النصر، وحلو الشامخ، وواحد من المطر... الباقي ذهبوا جميعاً إلى حايل...» (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، في ٤/ ٤/ ١٤٢٣هـ، الموافق ١٥ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢: ١ من ٢). من المعاقلة، ذهب مع القرشة وابن سبهان إلى حائل عدد من الأفراد، ومنهم سعد العايف المثري (الدغيفق) كما مر بنا، ويبدو عطا الثاري (الدغيفق)، وإن كان ذهاب الأخير غير مؤكد وخاصة في ضوء رواية إعدامات واقعة «كسر الأشدة» التي مررنا عليها سابقاً، تشير إلى تواجده في المنطقة عام ١٣٣١م/ ١٩١٢م، إلا أن يكون هجّ مع من هجّ من القرشة، وعاد في تلك الفترة وقبل حدوث واقعة كسر الأشدة. الأمر ينطبق على ملاقي العايف، والذي قيل إنه هج مع القرشه، لكن لا أذكر أن أحداً، باستثناء سليمان العودة، كما مر بنا سابقاً، قال بذهابه. من الذاهبين إلى حائل، كذلك، على ما يبدو، «محيسن الكريِّع» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٩ من ٢٣). بالمناسبة هلال سالم النصر (توفي في ١٧ ـ ١١ ـ ١٤٢٥هـ) عن عمر يناهز ٩٨ عاماً، حيث عندما قابلته كان يقول عن عمره انه أكثر من ٩٠ عاماً، وأنه يتذكر مقتل منصوب ابن شعلان «عامر المشورب»، وكان عمره كما يقول آنذاك بحدود ٨ سنوات، ولكن ولده حمد (أبو تركي) ذكر، في حينه، أن عمْر والده آنذاك كان ٩٦ سنة. وعائلة النصر هم بالأصل من حائل، كانوا كما يقول هلال النصر نفسه يقطنون المعاقلة، ولكنهم مع تضايقهم من كلام كانوا يسمعونه من بعض المعاقلة، قرروا الارتحال والسكن عند القرشة في حي سوق البحر، مباشرة شمال مسجد الشيخ فيصل المبارك. ويذكر هلال النصر أنهم كانوا على علاقة وثيقة مع الفالح ومحسن الفالح وأنهم وقت دخول، وواقعة الإخوان (١٣٤٧هـ) (للتفصيل في واقعة الإخوان ومذبحة القرشة ١٣٤٧هـ ـ وغيرها من أمثالها ومثيلاتها ـ انظر ما أوردناه عنها، في القسم الأخير من الدراسة «الكتاب» ـ الجوف والمسألة الثقافية) في سكاكا وما تعرض له القرشة منهم، لجأوا لهم حيث وفّروا لهم الحماية حتى انجلاء الخطر (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٦). أذكر هذه المعلومات عن هلال النصر وعائلته ليس من أجل بيان علاقته مع الفالح، حيث إنني عندما أجريت المقابلة مع هلال سالم النصر لم أكن أعلم بعلاقته وعائلته بالفالح على الإطلاق، وإنما أذكرها لما لروايته من مصداقية وعدم تحيّز لطرف دون آخر، حيث هو وعائلته على توازن بين الطرفين وعلاقة حسنه معهما. وفوق هذا وذاك، نذكرها لما للتحولات والنزوح لبعض الأفراد والجماعات بين أحياء وجماعات أهل الجوف (في سكاكا و/ أو دومة الجندل) من أهمية عندما نأتي إلى تفسير الحرب الأهلية الكلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). والأمر، وأهميته للتفسير، ينطبق، كذلك، على ذكر قصة ما تعلق بـ «فكرة» سعد العايف عن اغتيال كل من «الفالح» و«العياف».

(ب) تداعيات هجة القرشة على الجوف:

ـ **الكساد الاقتصادي**: تذهب بعض الروايات إلى القول إن القرشة، ومن معهم من أفراد من المعاقلة، الذين نزحوا إلى حائل، وهم كلهم في الغالب من سكاكا، قد بقوا هناك في حائل لمدة سنة أو في حدودها، قبل عودتهم إلى الجوف (سكاكا). ورغم أن هذه المدة ليست مؤكدة وعليها خلاف، وخاصة أن هناك من الأفراد لم يعودوا للجوف، كما سنرى ونبيّن لاحقاً، إلا بعد ربيع ١٩١٥م مع تضافر عوامل عدة سنشير إليها لاحقاً أيضاً، فإن المهم هنا هو أن إحدى نتائج خروج ونزوح القرشة عن الجوف (سكاكا) قد ولد حالة من الإرباك الاقتصادي، بل التدهور الكبير في الحالة الاقتصادية، وفي النشاط الاقتصادي، وصل حد ما يعرف حالياً بـ «الكساد الاقتصادي»، بل انهيار اقتصادي شبه كامل، حيث انعدم البيع والشراء تقريباً. في ذلك وعنه يقول سليمان العودة واصفاً الحالة في سكاكا، آنذاك بما يلي (علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح)، يقول: «... القرشة خذوا ((مكثوا)) سنه بحايل... وانقطعت الأسعار... وما تلقى اللي يبيع شيء...غير عند خليف الفالح كل أوان ((يقصد مقايضة التمر))... وعايد السمرين... منطيه الله... عايد السمرين تراه أكرم من (...)، بس ما هو يم الحكم ((يقصد مشيَخة الرواشد الجنوبيين)) (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ من ٢٣).

ـ **تواصل الحرب الأهلية بالجوف (دومة الجندل) حتى ربيع ١٩١٥م**: كما أشرنا في أكثر من مكان في هذه الجزئية من الدراسة، فإنه ورغم سقوط الجوف لحكم الشعلان منذ نهاية ١٩٠٩م، وهدوء الأوضاع بشكل عام، إلا أن الحرب الأهلية في الجوف تواصلت بعض الشيء حتى حدود ربيع ١٩١٥م، وعلى شكل اعتداءات بين بعض الأهالي في الجوف (دومة الجندل)، حيث كان هناك إطلاق نيران من وقت لآخر وبالذات في الليل، وفي دومة الجندل على وجه الخصوص. عن تلك الحالة من الحرب الأهلية المتواصلة، ـ وإن كانت متقطعة ومحدودة ومتدنية الحدة والمستوى، وما أوقعته وتوقعه من معاناة متواصلة طوال تلك الفترة على الأهالي بمن فيهم أنصار وحلفاء الشعلان (المعاقلة) ـ، يرصدها الرحالة التشيكي «موسيل» في زيارته الثانية والأخيرة للجوف (نهاية كانون الأول/ ديسمبر١٩١٤م ـ ما بعد منتصف كانون الثاني/ يناير ١٩١٥م، علماً أنه وصل الجوف، أي دومة الجندل، ظهر يوم الثلاثاء ١٢ ـ ١ ـ ١٩١٥م)، وعنها، وفي ما كتبه في مذكراته عن يومي الثلاثاء والأربعاء (١٢ و١٣ ـ يناير ـ ١٩١٥هـ) يقول «موسيل»، أنه بعد وصوله للجوف (دومة الجندل) في يوم الثلاثاء ١٢ يناير ١٩١٥م: «وفي الساعة الثانية والدقيقة الأربعين، التقينا بالسكان المتعبين في أحياء الحصيني والحسن. لقد كانت هذه الأحياء في بداية عام ١٩٠٩م من الأحياء المحصنة بمبانٍ قوية، وبهما بساتين واسعة تحيط بها أشجار نخيل طويلة، وتنتشر فيها حقول العنب، ولكنها الآن، عام ١٩١٥م، لا يوجد بها إلا الحطام، فقد هدمت الأسوار وقطعت النخيل، بسبب الحروب في الفترة من يناير ١٩٠٩م إلى يوليو ١٩١٠م» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٦٢)، علماً أن أحياء الحصيني والحسن واقعة في منطقة الغرب من دومة الجندل، وهذه أحياء ومنطقة كلها كانت محسوبة في حلف المعاقلة الشعلان آنذاك. ويواصل «موسيل» رصده لحالة عدم الاستقرار وحالة من الحرب الأهلية المتواصلة ملاحظاً، أنه وفي نفس يوم قدومه، يوم الثلاثاء ١٢ يناير ١٩١٥م، التقى عدد من الأهالي عند منصوب ابن شعلان، وقد

شكوا له حالهم، وما يتعرضون له من وقت لآخر من اعتداءات وإطلاق نيران، ممن أسموهم أعداءهم، قاصدين بهم حلف «القرشة» كما يفهم من السياق، مما حرمهم الراحة والحركة والنشاط الاقتصادي والتجارة، وضيَّق عليهم العيش. وعن ذلك يقول **موسيل**: «... وعندما رآني سكان الجوف الذين كانوا مع عامر، تقدموا لتحيتي، وتمنوا لي النجاح في مهمتي من أجل السلام، فكلهم كانوا يريدون السلام، قائلين: [يا شيخ خلصنا من هذا السجن. إننا ولخمس سنوات لم نخرج خارج هذا الحصن، لأن أعداءنا يغيرون علينا ليل نهار. لقد ماتت ماشيتنا، وتوقفت تجارتنا، ونحن نعيش على التمر وبعض الحبوب، التي نزرعها في بساتيننا]... وفي يوم الأربعاء ١٣ يناير ١٩١٥م، استيقظت مبكراً، وكان فناء القصر يعج بالجرحى والمرضى طلباً للعلاج. وبعد أن فرغت منهم، ذهبت مع عامر إلى حصن مارد الرئيسي...» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(ج) نهاية الهجة وعودة القرشة: الكيفية والعوامل والادوار: لا يعرف بالضبط كم المدة التي قضاها القرشة في حائل قبل عودتهم إلى الجوف (بالذات سكاكا)، ولكن تذهب بعض الروايات إلى أنهم مكثوا هناك في حائل حوالي السنة تقريباً (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ من ٢٣). ورغم أن هذا قد يكون صحيحاً على الجملة، إلا أن ليس كل من غادر الجوف من القرشة عاد في غضون سنة من المغادرة (الهجة)، ذلك أن الرحالة «موسيل» في زيارته الثانية للجوف، والتي بدأت في نهاية ديسمبر من عام ١٩١٤م واستمرت حتى أوائل ١٩١٥م (استمرت رحلة موسيل الثانية في مجملها من دخوله الجوف وحتى ذهابه إلى حائل ثم العودة إلى إستنبول حوالي ستة أشهر) يذكر أن ابن «درع»، ويقصد على ما يبدو «حماد حسن الدرع» الذي فر مع لحظات سقوط الجوف في ديسمبر ١٩٠٩م، لا زال لم يعد بعد للجوف عندما يورد نقاشاً للنوري مع ولده نواف عن السلام، والعلاقة مع الدولة التركية، وابن رشيد وابن سعود، في سياق اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبحضور «موسيل»، ومشاركته لهما أحياناً، وهم في مخيَّم النوري في حماد الجوف (في ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩١٤م)، حيث يقول النوري مخاطباً ولده، مشيراً إلى أنور باشا والحكومة التركية: «... إنه فقط منذ خمس سنوات تمكنت أنت من انتزاع الجوف من ابن رشيد... يثير ضدي المشاكل قريبي فارس بن فهد الشعلان، وضدك ابن درع، الذي كنت قد نفيته من الجوف...» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٣٤). طبعاً فرار حماد «ابن حسن الدرع» من الجوف كان مع سقوط الجوف في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٩م، بينما هجة القرشة حدثت تقريباً في وقت ما من عام ١٩١١م أو ١٩١٢م، ولا علاقة بين الأمرين، ولكن حيث الأمر يتعلق بعودة القرشة للجوف، وخاصة العودة المتكاملة، فلا شك أن أعداداً وأفراداً منهم، كما هي حال «حماد»، لم تكن عادت للجوف حتى ربيع ١٩١٥م. ومما يؤكد أن أعداداً منهم لم تعد، وإن كانوا لا علاقة لهم مباشرة بهجة القرشة، ما يذكره الرحالة موسيل، في الرحلة الثانية نفسها وفي الفترة نفسها (٣١ ـ ١٢ ـ ١٩١٤م)، عن أقوال لـ «نواف الشعلان» محذراً موسيل من المنفيين من أهل الجوف في حائل الذين قد يعتدون عليه. يقول موسيل عن مخطط رحلته إلى ابن رشيد، ووزيره سعود بن صالح السبهان في حائل، ناشداً السلام بين قبائل وقوى الجزيرة العربية لدعم الجبهة الداخلية للحكومة والدولة التركية، ومحور الحلف التركي ـ الألماني ـ النمساوي المجري ضد الإنجليز وحلفائهم، ما يلي: «...

كان كل من النوري ونواف، وعودة ((ابوتايه ـ شيخ الحويطات)) يخشون على حياتي في إقليم ابن رشيد، وتوسلوا إليَّ إلا أغامر بالذهاب إلى هناك... أسمع يا موسى، قال نواف، إن الوزير سعودا خائن، والخائن لا يعرف الله ولا الشرف، أنه يعرف أنك صديقي، وإنك كنت ساعدتني في غزو الجوف. **أنه سيكون المُحرض للأعمال العدوانية ضدك، وبواسطة نفس الرجال الذين قمت أنا بطردهم من الجوف**. من الذي سيحميك؟ أسال الله أن يُحافظ على حياتك، ولكنني أخشى إلا أشاهدك مرة أخرى....» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٤٨).

بناء على ما تقدم يبدو أن عودة القرشة، كانت للغالبية منهم ربما وقعت قبل عام ١٩١٥م. أما عن متى كانت العودة لهم بشكل أكثر دقة فهذا يعتمد على صحة الروايات في ما يتعلق بتاريخ محدد لقدوم حملة ابن سبهان ومحاصرة سكاكا، والتي تراوحت الأقوال عنها بين ١٩١١م و١٩١٣م، وأنا شخصياً أرجح أنها وقعت في خريف ١٩١١م، وبالتالي أرجح أن هجة القرشة كانت قد وقعت أيضاً في ١٩١١م مع انسحاب زامل وقواته لحائل على عجل. إن كانت رواية سعد الطارف صحيحة عن الهجة وأنها وقعت بعد كون الظلي بأربع سنوات، فهذا يعني أنها وقعت في عام ١٩١١م، وإن كانت وقعت الهجة في عام ١٩١٣ طبقاً لمدوّنة ورواية القعيّد آنفة الذكر، فهذا يعني أن عودة الغالبية العظمى من القرشة، وخاصة من الأفراد والأسر العاديين (أي باستثناء بعض العناصر والقيادات البارزة) إما تكون وقعت في أواخر ١٩١٢م أو في عام ١٩١٤، قياساً على تقديرات رواية العودة عن أن القرشة مكثوا بعد الهجة في حائل سنة تقريباً، وبشرط أن تكون الراوية صحيحة في ما يتعلق بالمدة التي قضاها القرشة في حائل قبل عودتهم. ما يهم من الأمر أن عودة القرشة للغالبية العظمى منهم حدثت قبل عام ١٩١٥م، وأنها ربما تكون قد تكاملت للعناصر المتبقية في ربيع أو خريف ١٩١٥م. أما عن العوامل والأدوار والكيفية التي تمت بها العودة، فنشير إلى التالي:

ـ أدوار و/ أو وساطات في عودة القرشة للجوف

• **دور ووساطة سالم النصر**: مع تدهور الأوضاع اقتصادياً وحياتياً واجتماعياً في سكاكا، في سياق نزوح القرشة إلى حائل، يبدو أن هناك من أقلقلته تلك الأوضاع، فقرر أن يقوم بمبادرة أو دور أو وساطة لتصحيح تلك الأوضاع، وإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية في سكاكا.. من هنا كان دور سالم النصر ووساطته من خلال الدغمان (قارا) لطلب السماح من «النوري» بعودة القرشة إلى سكاكا. يذكر هلال النصر، نقلاً عن والده سالم، أن والده سالم، وفي مبادرة، يبدو أنها بطلب من عناصر من جماعة القرشة، قام وذهب إلى خنيطر ونخيطر (شيوخ الدغمان قبل الدرزي)، وكلمه بالأمر ورغبة جماعة القرشة بالعودة إلى ديرتهم وأملاكهم، فاستجيب له وقيل له لا عليك، وكتب معه خنيطر كتاب إلى عامر المشورب (منصوب ابن شعلان بالجوف ـ بدومة الجندل). ذهب سالم النصر للجوف، لمقابلة عامر، وكان أن وصل بداية بـ «ديرة العباس»، واتجه إلى «قهوة» (ومجلس) سالم الحبوب، فكان هناك في قهوة الحبوب من بين الحاضرين، كل من كايد الوردي وموعد ((يبدو موعد الكبيدان؟)). بعد أن تقهوى، خرج سالم النصر من مجلس الحبوب، على ما يبدو منسلاً ومتخفياً بالعباءة، ومتجهاً إلى قصر مارد لمقابلة «عامر»، ولكن وعند وصوله مسجد عمر، أمسك به كل من كايد وموعد، ويبدو أنهما كانا يتابعانه ويلاحقانه، وقاما بإدخاله على «عامر»، وهذا الأخير، أي عامر، كما يقول سالم النصر لولده هلال، «كان يشرب من الحليب

كأنه الساعة». عندما وقف سالم النصر أمام عامر، قال سالم لـ «عامر»: «... يا عامر ترى أنا اللي جبتهم لك...»، وأخرج الرسالة... وقراها عليه واحد قبيسي، يدعى «نويصر القبيسي»... فلما عرف عامر ما بها وما يتصل بالقرشة، سأل عامر سالماً: «من بقى منهم؟»، رد عليه سالم؛ كلهم راحوا، ما بقى إلا حنا... وحلو... وواحد بالمطر... قال عامر: يا عزوتي يالقرشة، والله ما تنسكن الجوف عقبكم! وأضاف، أنه سيكتب لعودة ورجوع القرشة... رد عليه سالم، في ما يبدو طلباً بضمانات في حال عودتهم، وقال: إنهم ما يرجعون بهالظروف...»، ويذكر هلال النصر، أنهم، أي القرشة؛ «رجعوا عاد بعد ذلك» (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢).

- **دور بعض قيادات القرشة عند النوري في العراق:** في وقت ما من تلك الفترة، أثناء تواجد القرشة في حائل بعد نزوحهم، تصادف أن الأوضاع المناخية في سوريا لم تكن جيدة، حيث قلة أو انعدام الأمطار مما أدى إلى قحط عام في سوريا تسبب في بحث البادية عن مراعٍ لماشيتها، فكان أن ذهب النوري إلى العراق، هناك قابله بعض من رجال القرشة وتوجهوا عليه وطلبوه عودة الأهالي إلى الديرة، فوافق. عن تلك القصة، يحدثنا سليمان العودة قائلاً: «... أمحلت سوريا... ويروح النوري للعراق، ويتوجه عليه؛ الربع وزبون الدرعان... ولما صبوا لهم القهوة... عيوا لا يشربون! قال النوري: ليه؟... قالوا نطلبك ديرتنا... رد النوري وقال: ديرتكم! وش أنتم؟... «فأخبروه أن ديرتهم الجوف (سكاكا)، وقالوا: «... حنا ذلينا منكم.... قال النوري: أبشروا بها...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ٢٣). بعد أن يشير إلى أن القرشة بعد موافقة النوري لهم بالعودة، أخذوا بالعودة، يصف سليمان العودة، نقلاً عن «عذال الدرعان»، بعضاً من جوانب العودة ومعاناة العائدين، بالقول: «... والله ان عذال الدرعان يقول؛ اننا ندارج على رجلينا... محارم ((نساء))، وكبير وصغير... ومن الجوع كانت هناك بعير هامل ((سائبه)) لقوها، وبغوا ذبحها... وحاول عبد الله الكايد منعهم من ذبحها، يقول أنا اعرفها... يريدها له... ولكن واحد من المطر، يُقال له فالح من الضمارا... وضب على ((مسك)) عبد الله الكايد، ونام عليه، وقال لهم؛ أذبحوها... ويقول (عذال)؛ والله ان حتى نقطة الدم ما وصلت الأرض...»، وهو ما يعني، مبالغة، أنه من شدة الجوع تقاطعوا البعير بسرعة لدرجة أن الدم لم يكد يصل إلى الأرض. وينهي العودة القصة بالقول: «... وطبوا القرشة بهذا (سكاكا)» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ٢٣).

- **جهود السلام والحرب العالمية الأولى: دور ومهمة موسيل (١٩١٥م):** برغبة ألمانية وتركية ونمساوية مجرية، ولمواجهة محور الإنجليز وحلفائهم، في سياق الحرب العالمية الأولى التي كانت قد اندلعت في ١٩١٤م، كانت هناك جهود لبناء الجبهة الداخلية في الأقاليم الخاضعة للسيادة التركية، وإحلال السلام بين القوى والقبائل في الشرق العربي، ومنه ما يتعلق بالعلاقة بين الرولة/ الشعلان من جهة، وما بين الرشيد من جهة أخرى، فضلاً عن بعض فروع قبيلة عنزه وبعض القبائل الأخرى (الحويطات مثلاً). من هنا كانت غاية وهدف زيارة موسيل الثانية للجوف وحائل، والتي استمرت لمدة ستة أشهر من نهاية ديسمبر ١٩١٤م. في تلك المهمة، وبعد تردد من قبل تلك القوى والقبائل لإبرام سلام بينها، يبدو أنه تحقق قدر لا بأس به منه. كان من نتائج الجهود، على ما يبدو هو وجود جو عام من السلام ساد إلى

حد ما، فسح في المجال لتلك القوى المعارضة والنازحة بالعودة إلى ديارها. لنتذكر توق الأهالي، بما فيهم أنصار الشعلان بالجوف (دومة الجندل) للسلام، وتمنيهم لـ «موسيل» ومهمته بالنجاح. وعن ذلك، وفي يوم وصوله للجوف (الثلاثاء ١٢ من يناير ١٩١٥ م)، يقول **موسيل**: «... وعندما رآني سكان الجوف الذين كانوا مع عامر، تقدموا لتحيتي، وتمنوا لي النجاح في مهمتي من أجل السلام، فكلهم كانوا يريدون السلام، قائلين: «يا شيخ خلصنا من هذا السجن. أننا ولخمس سنوات لم نخرج خارج هذا الحصن، لأن أعداءنا يغيرون علينا ليل نهار. لقد ماتت ماشيتنا، وتوقفت تجارتنا، ونحن نعيش على التمر وبعض الحبوب، التي نزرعها في بساتيننا» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٦٣).

ـ **الكساد الاقتصادي والتوترات المتواصلة حتى ١٩١٥م**: أشرنا في ما تقدم إلى الكساد الاقتصادي، بل الانهيار الاقتصادي وتعطل التجارة بالجوف، في سكاكا ودومة الجندل، وإن كان في سكاكا أكثر حدة، وكان هذا أيضاً مصحوباً بقدر من التوترات المتواصلة، والتي تمثلت باعتداءات متقطعة، وإطلاق النيران من وقت إلى آخر وبالذات، في الليل، وفي دومة الجندل، أضافت أبعاداً قاتمة للحالة والنشاط الاقتصادي المنهارة أصلاً. وحيث أشرنا إلى تلك الأوضاع الاقتصادية المنهارة، والأمنية غير المستقرة، وكل منهما تغذي الأخرى بطريقة حلزونية ودائرة شريرة، فلا حاجة لأن نكرر القول هنا مرة أخرى. يكفي القول هنا، إن تلك الأوضاع كانت إحدى نتائج خلخلة النسيج الاجتماعي في الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، وبنزوح جزء لا يستهان به من الأهالي (القرشة في سكاكا)، أو ما عرف بـ «هجة القرشة». انعكس الأمر ليس فقط على أهالي الجوف بإنهاكهم مادياً ومعنوياً ونفسياً، بشقيهم القرشة والمعاقلة، الحاضر منهم والغائب، وإنما حتى على، الشعلان أنفسهم (القوة المتحكمة)، من حيث تواصل بيئة غير مستقرة أمنياً، ومتدهورة اقتصادياً، مما ضاعف عليهم الأمر بتقلص النشاط الاقتصادي وتعطل التجارة وبالتالي تدني العوائد الاقتصادية والمالية (انخفاض مداخيل الضرائب والإتاوات والزكاة وبالذات على التمور)، مقابل زيادة الأعباء في توفير الحماية والأمن في الجوف، وفي ما حولها في مواجهة الخصوم (ابن رشيد)، فضلاً عن ضرائب سنوية مفروضة على الشعلان يقدمونها للدولة العثمانية والأتراك في دمشق، وفضلاً عن دعم المجهود الحربي لها في الحرب العالمية الأولى. وعن الضرائب والأعباء المالية التي كان النوري يقدمها للحكومة التركية (العثمانية)، ينقل لنا الرحالة «موسيل» أقوال كل من النوري وابنه نواف عن تلك الأمور في نقاش بينه وبينهم أثناء زيارته للجوف أواخر ١٩١٤م وأوائل ١٩١٥، منها: **أولاً**، عن النوري والذي اعتقلته الحكومة التركية لمدة سنتين تقريباً (١٩١٠ ـ ١٩١١م)، بالقول: «... أنا النوري الذي كانت نفس الحكومة الملعونة تسعى لشنقه قبل أربع سنوات مضت! أنا النوري الذي أُهنت لمدة عامين في قبضتهم! أنا النوري الذي أنقذته أنت من المقصلة، وأنت لوحدك يا موسى، الذي خلصته من السجن! والآن عليّ أن أساعد الحكومة وأتحرك ضد الإنجليز! في ذلك القفص (السجن) تعلمت كيف أخفي حتى الأمور التي تأكل من قلبي. إن الحكومة تستطيع أن تُلحق الضرر بي وبمن معي. أننا بحاجة إلى الملبي، وللحبوب لأنفسنا ولخيلنا وللسلاح والذخيرة. إن السلاح والذخيرة تُجلب لنا بواسطة العقيلات من الكويت والعقير، لكنهم لا يستطيعون إمدادنا بالملابس والحبوب من هناك... نعتمد على الحضر في سوريا والعراق، وهم ما يزالون تحت سيطرة الحكومة... لقد وعدت

الحكومة بكل ما طلبته مني، وسوف استمر أعدهم شفاهة وكتابة. أنني أدفع الضرائب، حينما يحل وقتها، وأسهم في نفقات الحرب، وأقدم للحكومة الجمال وكذلك الخيول، وأدعمها بالذهب، وألعنها. اللعنة على أولئك الذين يلتهمون ذهبي! إن سامي باشا (الحاكم العام لسورية في عام ١٩١٠م) قد التهم عدة أرطال من الذهب، وعندما أنبته ولمتُه أمر بأن يحكم عليَّ بالإعدام. منذ ذلك الحين فإنني لا أعارض، لم يطلب الحاكم ذهباً مني. أنه يطلب أن أظل مخلصاً موالياً أثناء الحرب، ويعد بمساعدتي بعد الحرب ضد ابن رشيد...» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٣٠). **ثانياً**، ينقل موسيل أقوال نواف عن التبعات المالية المترتبة على والده النوري تجاه الحكومة التركية (العثمانية)، بالقول: «إن والدي يدفع للحكومة أكثر من أربعة آلاف جنيه تركي (١٨٠٠٠ دولار) سنوياً كضرائب، ويشتري من موارده الخاصة السلاح والذخيرة الضرورية لحماية الأرواح، والممتلكات الخاصة بقومه، ويفترض بعد ذلك أن يحمي أيضاً مصالح الحضر والحكومة....» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٣٢).

نخلص إلى القول: إن تضافر تلك العوامل مجتمعة (المبادرات والوساطات الفردية الأهلية، التوترات الأمنية، والكساد الاقتصادي، وجهود السلام ذات البعد الدولي)، وتداعياتها على كل من الأهالي بالجوف، والسلطة المتحكمة (الشعلان) قد ساهم إلى حد كبير بعودة القرشة إلى الجوف (سكاكا) وانتهاء ما عرف بـ «هجة القرشة». وبذلك انطوت حالة ومرحلة من مراحل الحرب الأهلية. بعد انتهاء هذه الحالة من الحرب الأهلية، سيكون هناك فترة قصيرة (أربع سنوات منذ ١٩١٥م) كانت تمثل مرحلة التقاط الأنفاس باتجاه سيادة سلم أهلي. لكن ما كادت أن تهدأ الأمور، حتى وتشتعل مرة أخرى تلو الأخرى، (ثلاث أو أربع مرات وحالات أخرى) في السنوات من أوائل عام ١٩١٩م وحتى تموز/ يوليو من العام ١٩٢٢م. تلك الحالات تشمل: ١ ـ حالة الصراع الأهلي في سياق محاولة السيطرة على الجوف من قبل ابن رشيد (سعود أبو خشم)؛ ٢ ـ حرب ما عرف بكون «الغطغط/ الغطيغط» ١٩٢٠/ ١٩٢١ م؛ ٣ ـ وحرب الغرب والشرق في دومة الجندل، وما عرف بـ «هجة الغرب» في دومة الجندل ١٩٢١م؛ ٤ ـ ثم آخر الحروب الأهلية، وهي حرب المعاقلة ـ المعاقلة (أبريل ـ يوليو ١٩٢٢م)، أو ما عرف بحرب الراشد ـ المويشير. إن تلك الحالات المتأخرة من الحرب الأهلية في كل من سكاكا ودومة الجندل، أو فيهما سوية، ستجد مكاناً لها من المناقشة في هذه الدراسة وغالباً ما تكون تالية لما سبقها من حالات حرب أهلية بالجوف، ومتتالية لبعضها البعض.

٧ ـ الصراع الأهلي الاصطفافي في حروب الرشيد والشعلان على الجوف (١٩١٩ ـ ١٩٢٠م)

أ ـ حرب الرشيد ـ الشعلان للسيطرة على الجوف (مارس ـ أكتوبر ١٩١٩م)

بعد القيام على منصوب ابن شعلان وقتله في ١٤ ربيع الأول ١٣٣٧هـ ـ الموافق ١٨ ـ ديسمبر ـ ١٩١٨م، كانت الأمور في الجوف تتسارع في تحولاتها وتبدلاتها، فقد حاول ابن رشيد (سعود أبو خشم) استرداد الجوف من الشعلان مستغلاً تلك التحولات فيها، وقد تمكن من السيطرة

عليها، في وقت قيل إنه في جمادى الثانية ١٣٣٧هـ ـ آذار/ مارس ١٩١٩م، طبقاً لما يورده محمد الزعارير (الزعارير، ١٩٩٧: ٦٩)، وقيل إنه في تشرين الأول/ أكتوبر من عام ١٩١٩م، طبقاً لما ورد في كتاب لـ «جوزف كوستنر» (Joseph Kostiner) مترجم من مكتبة مدبولي في عام ١٩٩٦م (كوستنر، ١٩٩٦: ٥٤)، وأصله صادر بالإنجليزية في عام ١٩٩٣م. هذا القول والتاريخ الأخير هو الأقرب إلى الصحة، إذ إنه يتوافق وأقوال روايات محلية عن أحداث متصلة بتلك الفترة والصراع، وكل منها يشير إلى أن سيطرة الرشيد على الجوف وانتزاعها من الشعلان بشكل كامل لم يتم إلا بعد مضي عدة أشهر (من خمسة أشهر إلى حدود السنة) من الدخول الأولي. وحيث إن تلك الروايات الثلاث هي المصادر المتوفرة عن معلومات تلك الحرب فإننا سنوردها تباعاً.

(١) **رواية باسل ماضي: ابن شعلان يسجن أهل الجوف في دومة الجندل:** في رواية منسوبة لـ «باسل ماضي النصير»، نقلها عنه ودونها عبد الرحمن الشايع الكريِّع بخط يده، في ما يبدو بعد سماعه منه، يهمنا منها أنها تشير إلى أن المعركة بين الرشيد والشعلان على الجوف (في سكاكا) لم تحدث إلا بعد مرور خمسة أشهر من مقتل منصوب ابن شعلان «عامر المشورب» في سكاكا، واعتقال ابن شعلان لأهل الجوف الذين كانوا معه في الغزو، والزج بهم في سجن الجوف (دومة الجندل).

كتب عبد الرحمن الشايع، كلاماً تحت عنوان «قص باسل الماضي عندما كانوا في غزو مع بن شعلان»، ويبدو أنها قصة كتبها نقلاً عن سماع من باسل الماضي نفسه ((باسل ماضي رشيد السويلم ـ النصير))، ويبدو أن أحداثها وقعت في وقت ما بين أواخر ١٩١٨م وإلى حدود ستة أشهر أولى من عام ١٩١٩م أو في حدودها. غير أن تاريخ (وقت) سرد القصة ذاتها من قبل باسل الماضي وقت سماعها من عبد الرحمن الشايع في مجلس ما أو في أي مكان ما، غير معروف على وجه الدقة واليقين، ولكنه حتماً لا بد أن يكون بعد عام ١٩٤٠م فصاعداً، حيث عمر عبد الرحمن الشايع آنذاك لم يكن يتجاوز العشر سنوات، لأنه وقت الشكوى الجماعية لأهل الجوف (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، كما سنرى لاحقاً، كان عمره، كما يقول هو نفسه في حدود ٢٩ سنة. القصة كما وردت (الشايع، عبد الرحمن عطا، «قص باسل الماضي...»: ١ ـ ٢ من ٢؛ في: الشايع الكريّع، خالد عبد الحمن، في مجموعة أوراق، تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً)، (علماً أن الفواصل والنقاط، وكذلك ما بين قوسين هي من الباحث للتوضيح، وليس في أصل نص القصة) تقول: «قص باسل الماضي عندما كانوا في غزو مع بن شعلان،... ((فقال))...؛ حنا كنا مع الغزو على تل أبو حشيش، وعندما كنا هناك، قام حمد المويشير و((ا))سترخص من نواف قائد ((ا))لحملة، وسمحله ((سمح له)). وبعد أن مضى بعد أجازتهم حوالي شهر ونصف تقريباً، قالوا الغزو تنصرف إلى الجوف ((دومة الجندل))، وعندما جهزنا للانصر((ا))ف ذاك اليوم، جانا نواف وأخذ سلاحنا((ء))، وجابون ((جابونا)) إلى دومة الجندل. وعند وصولنا دومة، دخلونا السجن، وحطوا فينا ضباب ((القيد من الخشب))، وكان معنا صالح الشايع، وحمد الحيزان، وهم عدد ٤٥ رجل ((من أهل الجوف، على ما يبدو من سياق القصة))، وكان مع حمد الحيزان موس، وقام وسع الخشب عن اليد اليمناء ((اليمنى)) من كل واحد، إذا راح الحابسين ((الحرس)) أظهرنا ايدنا ((ا))ليماني، وبعد أن مضى خمسة شهور، صار ((ا))لحرب بين ابن شعلان وبن رشيد، وصار الزوم مع ((ا))لمعاقلة وبن

رشيد، وجونا الجمعة وظهرونا من الحبس. ونهت ((تأوه ـ وقال آه))، وصار يقصد رمثان أصايل، من الضويحي، ويقول:

غبطة كلبا رابضة بحارة ((؟))	وتلوف مسكر عليه الباب
ولعيرة شلون بأقصى داره	وتلوف مسكر عليه الباب
و غبطة سوم ((؟)) السواني في العشاء	من طلعت الجوزاء للمغياب

(٢) رواية سليمان العودة الفلاح عن حرب الرشيد والشعلان ١٩١٩م على الجوف: يبدو أن الدخول الأولي لِابن رشيد كان في جمادى الثانية ١٣٣٧هـ/ مارس ١٩١٩م، وهو ما يعني أن دخول ابن رشيد للجوف كان بعد ثلاثة أشهر أو بحدودها، زيادة أو نقصاً بقليل، من القيام على منصوب ابن شعلان وقتله (١٨ ـ ديسمبر ـ ١٩١٨م). نقصد بالدخول الأولي: أن ابن رشيد عندما قدم بداية للجوف، وكان معه حملة صغيرة (٣٠٠ ذلول)، توقف على مسافة قصية من مشارف أطراف نفود الجوف من الجنوب، وأرسل بعثة استكشافية من ثلاث ركايب عادت إليه بالقول إن سكاكا محاطة بقوات من الشعلان وحلفائهم، وإنه من الصعب، المواجهة مع ابن شعلان، لكن ابن رشيد وقد أرسل لـ «غضبان بن رمال»، مستشيره، فرد عليه الأخير بالقول «لو أنك شاورتني وانت بحايل ما خليتك تروح، لكن هالحين... صلها... تخسر تربح» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٦ من ٢٣ من ج ١)، قرر المواصلة والدخول إلى سكاكا، مهما كلفه الأمر. والشاهد على ذلك الموقف والمعطيات أبيات من قصيدة العوني، بلسان وحال ابن رشيد (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٦ من ٢٣ ج ١)، تقول:

جينا ثلاث مئة ذلول نحثهن	نبي نعدل مايل ويسار
لما نزلنا الحدر جتنا ثلاث ركايب	يقولن كل ما قيل بوار
يقولن ابن شعلان بالجوف نازل	وكن مالكم بالجوف صديق بار
شرنا عليك الشور والحال قوة	تدعي بواليد الحديد كسار
عيب على مثلي يهده وينثني	وإن شاف نيران الحروب كبار

وحيث إن ابن رشيد قرر الدخول، فمع تقدمه يبدو أن بعضاً من قوات الشعلان وحلفائهم انسحب، إما مناورة للمحاصرة أو بالحذر من قوة رديفة كبيرة قادمة خلف ابن رشيد، مما فسح في المجال بالدخول لِابن رشيد الذي تمركز في أحياء غرب المعاقلة، ولكن ومباشرة بعد الدخول قام الشعلان بتطويق وحصار سكاكا من كافة الجهات عندما رأى، على ما يبدو، أن قوة ابن رشيد محدودة. من هنا كان الموقف بين ابن رشيد وابن شعلان في وضع المطاولة، دون حرب حقيقية حتى أكتوبر ١٩١٩م عندما وصلت مساعدات وقوات من شمر وفروعها لدعم ابن رشيد، فوقعت معركة في شرق سكاكا (اللقائط)، كان أن انهزم فيها ابن شعلان، فسيطر ابن رشيد على الجوف.

عن تلك المعركة وبعض من تفصيلاتها وعن ما قبلها من فترة قبيل الدخول الأولي لِابن رشيد، وحتى المعركة الأخيرة بين الرشيد والشعلان على الجوف يحدثنا سليمان العودة، فيقول، إنه عقب ذبحة منصوب ابن شعلان، توجه ابن رشيد (سعود الخشم) إلى الجوف لانتزاعها من الشعلان، فكان

التالي (علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح): «... يوم وتى ابن رشيد ((سعود أبو خشم))... مشى، ونزل على المروَب... المروَب، بأقصى النفود عند السايبيه... وارسل ابن رشيد ثلاث ركايب ((استكشاف))... يسأل عن الجوف... الجوف جاها ابن شعلان قبل ابن رشيد... ولكن يقول «عذال» اللي بسبة عامر ما هو عزيز... وإلا ابن شعلان أكثر ((قوة)) وما هو قليل... ابن رشيد قليل ((قوة))... ردوا الركايب وقالوا لِإبن رشيد؛ مالك بها مهاش، صوير، ومغيرا، وهديب، وخوعا دامهن ابن شعلان... عندها ارسل ابن رشيد إلى غضبان بن رمال... قال له؛ نستشيرك، والله حنا أرسلنا ركايب وقالوا تخسر إن حاربت ابن شعلان... رد غضبان بن رمال وقال؛ لو أنك شاورتني وأنت بحايل ما خليتك تروح للجوف... لكن هالحين... صلها... تخسر تربح...»، ويضيف سليمان العودة، أن ابن رشيد عندما وصلته مشورة ابن رمال، طلب من العوني أن يسمعه واصفاً حاله وعزيمته بعدم التراجع عن الجوف «... يا الله عاد عطنا سمعنا...»، فقال العوني القصيدة التي مطلعها: (جينا ثلاث مئة ذلول نحثهن ـ ـ ـ نبي نعدل مايل ويسار... إلخ القصيدة) (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٦ من ٢٣ ج ١).

ويواصل سليمان العودة رواية دخول ابن رشيد (سعود أبو خشم) سكاكا بالقول، إنه يوم جاء ابن رشيد «... لقوا الديرة مطوقه... لكن يوم سمعوا الرولة واللي معهم من الحويطات والشرارات إن ابن رشيد جاهم... يقولون كأنهم ابعدوا شويه ((قليل))، خافوا يحسبون، إن معه جيش كبير... لكن دخل سعود الرشيد بالحزوم... ويوم دريوا ((عرفوا الشعلان)) إن ما معه، إلا ثلاثمائة، هي اللي بها القصيدة (جينا ثلاث مئة ذلول نحثهن.... إلخ)، وضاقت عليهم... رجعوا طوقوهم مرة ثانية، الرولة وأضرابهم... وأرسل ابن رشيد لـ «شمر»، ابن عمه، وواحد من الرمال... يستنجد «شمر» اللي بالعراق... وارسل معهم قصيده... وأنتخوا «شمر»، وجوا وفكوا الحصار...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٧ من ٢٧ من ج ٣). طبعاً فك الحصار كان بعد المعركة الكبيرة، التي وقعت، في وقت متأخر بعدة أشهر بعد الدخول الأول، في شرق سكاكا (منطقة اللقائط)، حيث انتصر فيها الرشيد وحلفاؤهم من أهل سكاكا ودومة، فضلاً عن من قدم للمناصرة من شمر، وانهزم بها ابن شعلان وحلفاؤه.

ويذكر سليمان العودة بعض تفاصيل القتال بين الطرفين وما لحق بسكاكا وأهلها من قتل لبعضهم، ودمار لممتلكاتهم من جراء القصف بالمدافع، فيقول: «... ابن شعلان حط المدفع بقارة «المندى»... وحط مدفع بقارة «العدام»... يلوح ((يرمي)) المعاقلة... ضرب والله المدفع، وجمش ((أصاب)) مرعية ((نوع من النخل في الجوف)) لـ «ناصر» أبو جديع وجدعان ((السمارة))، ما خلا شيء... لكن الحظ على ما قال عذال، اللي قال؛ اللي بسبة عامر مكسور... وإلا ما معه ابن رشيد شين... يوم أنه أقبل من ديرة «ختيرش»... تعنقه ((قابله)) ابراهيم المعتق، وابن مغرق يريدون يشوفون... من الامغر وتوا معه... يريدون يشفون هو معه جمع كثير والا ما معه...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٨ من ٢٧ من ج ٣)، وحيث الأمر كذلك فقد فزعت المعاقلة، وبعض من القرشة، وبالذات الضويحي، حيث كما يقول سليمان العودة إنه بينما تخلف «العلي»، فإن: «... اشوا ((افضل)) ما هنا الضويحي، قالوا؛ أنا عندكم يا المعاقلة...... يوم دخلة سعود الرشيد... ويوم وقف باب مسجد

السوق ((سوق البحر) (... وإلا ((إذا)) الخمعلي أبو عيد... قال له ابن رشيد؛ وش انت؟ رد الخمعلي وقال؛ من «خمعلة شمر»، وهو صاق ((صادق))... قال له ابن رشيد؛ تخسى، أنت رويلي... يريد يوري ((يبين)) القطاعة... خذ النمشه، وأضربه، وإلا هو قطعتين... دخل بالديرة، ابن رشيد، أي والله...».
ثم يواصل سليمان العودة وصف إحدى المعارك والقتال في أحد الأيام، حيث كان ذك اليوم لصالح الشعلان، فيقول:»... ويلغده ابن شعلان... والله يا يوم... يا يوم واحد، شوي، وإلا دخل علينا ((يقصد ابن شعلان))... سعود ابن رشيد حط بديرة «الراضي»... قصر من أربع علالي... ومحصن... ويوم خذوا... لهو يوم جانا ((ابن شعلان)) مع هالفحول... من قارا مع الطوي، وينزل من عند طية ((صخرة)) غبيشه... وتصير المعركة... الشعلان أكثر هاك الساعة... وينذبح ((يُقتل))؛ ابن بلوان، ويدنق ((ينحني)) عليه عليان الوردي، وينذبحون جميع؛ مناحي البلوان انذبح ودنق عليه عليان الوردي وانذبح فوقه... هاك اليوم زحمونا ((الشعلان شدوا علينا))...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٨ ـ ٩ من ٢٧ من ج ٣).

ويذكر سليمان العودة، أنه بدخلة ابن رشيد، وفي المعركة الحاسمة بين الرشيد وابن شعلان، في اللقائط، كان هناك قتلى من أهل سكاكا، من المعاقلة والشلهوب، وكانوا مع ابن رشيد في المعركة. وعن ذلك يقول العودة: «... ويوم أنهزم نواف الشعلان للجوف ((منسحباً باتجاه وعن طريق دومة الجندل))... والمعركة اللي بين ابن رشيد وابن شعلان باللقائط... بدخلة سعود الرشيد على ديرة ختيرش... انذبح ((قُتل)) فيها حمدان (ولد عمي) عايد الفلاح... وانذبح ولد مبارك المنديل... هذولا قاموا مع ابن رشيد... واللي ذبحهم ابن شعلان وجمعته...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ من ٢٣ من ج ١، و٦ من ٢٧ من ج ٣).

(٣) رواية القعيّد والداحس عن حرب الشعلان والرشيد ١٩١٩م على الجوف: إحدى الروايات، وقد دوّنها عبد العزيز محمد سلمان بن سعدون، في ١/ ٨/ ١٤٢٣هـ، كما سمع بعض منها من لسان والده محمد، وكذلك، في الغالب، كما سمعها مباشرة من غازي بن شنوان الداحس، الذي سرد جانباً كبيراً من القصة نقلاً عن أبيه «شنوان الداحس» وبحضور خليف حمد المهاوش الساعة الثامنة والنصف ليلاً في: ٧/ ٧/ ١٤٢٣هـ، تقول بأن هزيمة الشعلان من الرشيد في الجوف، وقعت في معركة حاسمة، بعد مرور ما يقرب من السنة من المطاولة والمواجهة بين الطرفين من دون حرب حقيقية أو نهائية من تاريخ بداية قدوم ابن الرشيد وقواته للسيطرة على الجوف بعد مقتل منصوب ابن شعلان (في: القعيّد، عبد العزيز، في: ملف من مجموعة أوراق، تسليم في سكاكا في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥).

تذهب الرواية؛ إلى أنه بعد الاتفاق في سكاكا على قتل منصوب ابن شعلان، وبعد أن وصل خبر مقتله إلى بعض من أهل الجوف ((دومة الجندل))، قام زبن القعيّد، وبعض من أهل الجوف بالسيطرة على قصر مارد. وبعد نقاش بينهم حول ما الهدف والغاية (هل احتلال قصر مارد من أجل الرشيد وضد الشعلان أم العكس؟) نشب خلاف بين زبن القعيّد ومعظم الآخرين، كان من نتيجته أن تخلى أغلبهم عن ابن قعيد، مما اضطر الأخير إلى ترك القصر، وسوف يصل لاحقاً هجر بن مجول الشعلان، قادماً من الطوير قرب سكاكا، ويعتقل زبن القعيّد ويقذف به في سجن قصر مارد، علماً أن أفراد القعيّد الآخرين

(من عائلة القعيّد) لم يتدخلوا في أمر اعتقال زبن القعيّد، لأنه، كما تشير الرواية ويؤكدها عبد العزيز بن محمد سلمان القعيّد نفسه، لم تتم استشارتهم في أمر الاستيلاء على قصر مارد بعد مقتل منصوب ابن شعلان في سكاكا. ابن قعيّد سوف يقتل شنقاً في سجنه لاحقاً (بعد هزيمة الشعلان من الرشيد في المعركة الحاسمة بين الطرفين على الجوف في معركة اللقائط والتي يبدو أنها دارت في أكتوبر ١٩١٩م) ومصير ابن قعيّد على أهميته تاريخياً، وفي ما يتعلق بأدوار أهالي الجوف (نخباً وزعامات وأفراداً وجماعات فرعية) في إسقاط حكم الشعلان وفي طلب انضمام الجوف لحكم عبد العزيز آل سعود، لسنا معنيين به هنا (انظر في تفصيلات مناقشة دور وسجن وإعدام زبن القعيّد في مكان آخر من الدراسة ـ الجزء الثاني منها). ما يهمنا هنا الآن من الرواية هو ما يتعلق بالحرب بين الرشيد والشعلان على الجوف، وعلاقة ذلك كله بصراعات أهل الجوف الاصطفافية في سياقها وفي أحشائها.

(٤) المعركة بين ابن رشيد (أبو خشم) والشعلان في سكاكا ـ أكتوبر ١٩١٩م: تواصل الرواية بالقول إنه مع توالي الأحداث بعد ذلك؛ «أتى ابن رشيد، كما ((في نفس الوقت)) تقدم نواف الشعلان برفقة العديد من الحوازم والشرارات... وحويطات أتى بهم لمساندته... وقد توجه الجميع لسكاكا...»، كل يريد السيطرة على الجوف ومعهم حلفاؤهم من الطرفين. وتمضي الرواية للقول، إنه وبعد أن استقر الطرفان بسكاكا عام ١٣٣٧هـ «لم تدر بينهم معركة وقد استمر بقاؤهم حوالي سنة كاملة بدون حرب... ((هنا المطاولة))...» وحسب كلام من يروي لنا القصة ((يقصد غازي بن شنوان الداحس ـ الباحث))، كان فيه منطرين ما يسمى بالعليه، أي الأبراج المعدة للقتال والاحتماء داخلها، وكان يفصل بينهم مسافة على ما يبدو أنها ليست بعيدة. الأول ((يقصد بالمنطر؛ البرج ـ الباحث)) حول المطر، وكان به بن سيف من جماعة ابن رشيد، ومن أولي القوة لديهم، والمنطر الآخر، وأنا لا أعلم موقعه تحديداً، كان به فارس ابن فهد ابن شعلان، وفهد أبو فارس هو أخو النوري ابن شعلان، حكم بالرولة مدة ربما كانت قصيرة فقتله[٣١] النوري أخوه، وحكم مكانه، وكان فارس، فزاع مع عمامه،... واللي بالمنطر ((الآخر)) ابن سيف، من رجال ابن رشيد عنده، خابر إن النوري ذابح أبو فارس، فاظهر ابن سيف نفسه يريد أن يتكلم مع كبير الرولة الذي بالمنطر المقابل، فقال يا الروله منهو كبيركم، قالوا فارس الشعلان، قال أريده ينابيني، أي يتكلم معي، فقالوا الرولة عطنا عهد ان ما يثور منكم بارود، قال عليكم الله ومان الله ما يجيكم منا خلاف، خلو فارس ينابيني... فتكلم معه فارس، فسأله ابن سيف، قال، هو أنت فارس ولد فهد الهزاع الشعلان، والا اسم على اسم، قال نعم أنا فارس، قال أنت متأكد وألا الاسم مشتبه، قال لا بلله ألا

(٣١) نشير إلى أن هناك من يؤكد هذه المعلومة في ذلك يقول وليام لانكستر: «إنه بعد وفاة سطام الشعلان في عام ١٩٠١م، حل مكانه في مشيخة الشعلان، فهد هزاع الشعلان، وحيث إن هذا أخذ يزيد الضرائب فقد بدأت شعبيته بالتدني نتيجة استياء رجال القبيلة. حاول أخوه «نوري ابن هزاع» أن يقنعه مقترحاً عليه بأنه، أي فهد «يبقى شيخ الباب...، بمسؤولية التفاوض مع الأتراك، بينما النوري يصبح شيخ الشداد...وهو الذي حافظ على التواصل مع القبيلة. كان هذا يعني تقليصا في الدخل لـ «فهد» لدرجة لم يكن مستعدا لقبولها. في عام ١٩٠٤م، وجد النوري أن أخاه يتآمر مع الاتراك، فكان أن رتب لقتله. وهكذا أصبح «النوري»، واقعيا وقانونياً، هو الأمير» (Lancaster, 1981: 126). المصدر كاملاً: William Lancaster, *Changing Cultures: The Rwala Bedouin Today* (Cambridge [& Others]: Cambridge Universtity Press, 1981), p. 126.

وسبق وأن أكد هذه المعلومة (التباسات النوري في مقتل فهد هزاع الشعلان) أيضاً الرحالة فلبي في ما كتبه الرحالة فلبي عن رحلته للجوف في أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٢م، في ذلك انظر: H. St. J. B. Philby, C. I. E, «Jauf and the North Arabia Desert,» *The Geographical Journal*, vol. LXII, no. 4 (October 1923), pp. 243-271, esp. p. 243.

أنا فارس، فرد عليه ابن سيف قال، اسمع يا فهد كان تبي حكم الجوبة ترى ابن رشيد بوجهي، وأنه غير يتنازل لك عن حكمها لك انت ما هو لغيرك من الشعلان، أما إن كانك ساحب بارودك وسيفك وتحارب مع النوري ونواف، وابوك ببطونهم تراه عيب عليك «يا الـ...»، أول خذ بثار ابوك من اللي ذبحوه، قال انت تقوله، انت تقوله، قال أنا اقوله، لو بك خير خذيت ثار ابوك، فقال كلمة الرولة المشهورة «أنا راع العليا»، ثم قال فارس لربعه اللي معه: حولوا لا رحمة الجوبة ولا اللي هي له». وانسحب، وكان سبب انسحابه هزيمة الشعلان، حيث إن الرولة كله... ((يبدو قصده معظمهم ـ الباحث))... «انسحبت معه. حصل بعض المناوشات ولكن تم النصر الأخير لِابن رشيد. وبذلك، يقول شنوان الداحس، وبعد انهزام الشعلان أنا عدنا للجوف «... ((يقصد دومة الجندل ـ الباحث))...» فوجدنا زبن قد مات في سجنه» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥).

ب ـ الشعلان ومحاولة انتزاع الجوف من الرشيد (مايو/ يونيو ١٩٢٠م) وحرب أهلية في السياق

(١) **في دومة الجندل: «واقعة هجة الغرب»**: تتضمن رواية محلية دوَّنها عبد العزيز محمد سلمان القعيّد (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٤ من ٣٥) كما سمع بعض منها من لسان والده محمد، وكذلك، في الغالب، كما سمعها مباشرة من غازي بن شنوان الداحس، الذي يسرد القصة نقلاً عن أبيه «شنوان الداحس» قصة تقول إنه وبعد سبعة أو ثمانية أشهر على هزيمة الشعلان من قبل الرشيد للسيطرة على الجوف في المعركة الحاسمة بين الطرفين في أكتوبر ١٩١٩م: «... وبعد انهزام الشعلان بمدة ثمان أو سبعة أشهر جاء نواف الشعلان غازياً معه ستة مئة رجل تقريباً..» ((وردت ملحوظة داخل نص الرواية، يبدو من عبد العزيز القعيّد، نفسه، تقول الملحوظة: «للعلم أن ابن رشيد غادر المنطقة ووضع بها أمير وشيخ اللي هم؛ دهام بن هذلول، والشيخ الغنيمي، ووضع على قصر مارد حمد الشويعر بالجوف». انتهت الملاحظة))... ابن شعلان كان ينوي أن يغزو الرمال من شمر، حيث ذكرو له بعذفاء.. وعند وصول نواف موقعهم لم يجد إلا الغربان على منازلهم، حيث سمعوا بقدوم نواف فرحلوا، وعند عودة نواف من عذفاء... أراد أن يمر الجوف وقد كان هناك من أهل الديرة من كانوا يكاتبونه سراً، فوصل ابن شعلان إلى الجوف عند رجم يسمى «رجم نوره»، وقد ذهبو بعض أهل الغرب للسلام عليه، وهم: علي الطريف، ودليان الخنفور، وكوشر الحسن، ودربي الدربي من أهل الوادي، وفالح الحسن، ومن ثم أخذو نواف إلى قصر الدربي بالوادي، ونواف بدوره مشى رجاله، ولم يرغب ببقاءهم معه حيث لم يبقى الا قرابة المئة رجل فقط، قال لهم حين أمرهم بالذهاب، أنا عند أهل الجوف إن ارادوا أن يشيخوني فأنا ماني محتاج لكم، ومن الذين حضروا للسلام على نواف الشعلان؛ سليمان الغثا الزارع، وعزمه على العشاء...» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢م: ٩ ـ ١٠ من ٣٥).

وتواصل الرواية القصة بالقول إن نواف الشعلان كاتب بعض من أهل الجوف، (في سكاكا ودومة)، في محاولة منه، على ما يبدو، لتبديد مخاوفهم وبالتالي ضمان عدم اعتراضهم، وقال لهم: «...

إن أهل الغرب طلبوني وأني حضرت على رغبتهم، واللي بينا وبينكم راح بوقته...» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ من ٣٥).

ولكن حيث إن بعض أهل الجوف (وبالذات في دومة الجندل) ليس على وفاق مع الشعلان، ومنهم القعيّد، ويبدو هذا الموقف مرتبط، في الغالب، بإعدام وشنق زبن القعيّد من قبل الشعلان، وهو في سجنه في قصر مارد مع انسحاب الشعلان بعد المعركة الحاسمة مع الرشيد في سكاكا في أكتوبر ١٩١٩م، فما كان من بعض أهل الجوف، ومنهم القعيّد إلا أن تصدوا لنواف الشعلان بينما «.... انحاز الغرب جميعاً لنواف الشعلان، وحصل هناك ما يسمى بإطلاق النار بين القعيّد، وابن شعلان وأتباعه،...» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ من ٣٥).

وتواصل الرواية، وحيث إنه لم يكن بمقدور القعيّد ومن معهم، وهم قليل من أهل الجوف مجابهة قوة نواف الشعلان وحلفائه من أهل الجوف، وبالذات من أهل الغرب «... فأرسلو لأهل الرحيبيين، ولبعض من يركن عليهم من أهل الديرة، **وقد ثارت الحرب ليلاً... بين الطرفين**...» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ من ٣٥).

وتضيف الرواية، أن المعاقلة ((في سكاكا))، عندما شكّوا بسماع إطلاق نار (!!!) بما نسب إلى «عطا الشايع الكريّع»، شكّوا بحدوث حرب بالجوف، أرسلوا مجموعة منهم للجوف، حيث تبينوا عند وصولهم صباحاً أن الحرب بين ابن شعلان وحلفائه من أهل الجوف من جهة وبين الآخرين من أهل الجوف وبالذات بعض بيوت أهل الغرب، ومنهم «القعيّد» من جهة أخرى، فناصروا المعاقلة من أهل سكاكا مجموعة خصوم الشعلان، وكذلك هب لنجدتهم، من أهل الجوف (دومة الجندل) بعض من الأهالي «... من أهل الديرة من مساكن القعيّد وشرق...»، وأما غرب القعيّد «جميعهم من أتباع ابن شعلان، سوى فريح ناصر المعين...، فقد قام جماعته انتقاماً منه بتقطيع نخله...» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ٣٥).

تواصل الرواية الإشارة إلى أنه، وبعد أن دارت، صباحاً، معركة عنيفة، انهزم فيها ابن شعلان وحلفاؤه، ومع وصول الخبر لنواف الشعلان بتقهقر وانهزام أتباعه، قرر الفرار بجواده من قرب منزل سليمان الغثا الجار الله، حيث ليلاً كان معزوماً على العشاء عند سليمان الجارالله، وعندما ركب جواده واستدار يريد الهرب: «صاح عليه ابن غثاء وقال لا تخليني يا نواف، تسوَد سمعتي وتنحاش، وتخليني لأهل الجوف... خذني معك، ومسك شكيمة الفرس، ومسكه لولده (ولده جارالله)، وقال لنواف أريد اجيب غرض لي من جوى، وكان ظن نواف انه يريد يردفه على الفرس ويهرب به معه، وعندما عاد وخرج من البيت، فإذا البندقية بيده، فعلم نواف أنه يريد قتله، فسحب شكيمة الفرس من يد جارالله، وعند استدارته للهرب أطلق سليمان عليه النار من بندقيته، وقد كانت البندقية (كويتية من اللي تحشى بالملح والحصى)، ففر نواف، وبعد أن حيرت الفرس حوالي مئة متر تعثرت، فسقط نواف أرضاً، فظن سليمان أنه قتله، ففرح بذلك...» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ٣٥).

(أ) رواية «نهار علي الزارع» عن محاولة الجار الله قتل ونواف الشعلان: رغم ما تقدم، مما ورد في الرواية، أعلاه، التي دوّنها عبد العزيز بن محمد سلمان القعيّد، فإن نهار علي الزارع له وجهة نظر في ما يخص سليمان الجارالله ومحاولة **قتل** «نواف الشعلان»، (وأنا هنا ألخص كلامه على الجملة، حيث يقول): إن ابن شعلان (نواف)، وفي إحدى معاركه مع الرشيد... كان قد هُزم وانسحب إلى دومة (الجندل)، ولجأ إلى «الزارع»، ولكن الزارع عندما أدركوا أن الرشيد يريدون الإيقاع بهم بعدما عرفوا أنه لجأ إلى دومة وإلى الزارع، قام أحدهم ((يقصد أحد من الزارع، ويبدو هنا المقصود هو سليمان الجارالله الزارع، كما مر في رواية شنوان الداحس في مدوّنة القعيّد ـ الباحث))، بإطلاق النار عليه مدعياً أنه غشهم، وبالتالي موهماً مناصري الرشيد وأعداء ابن شعلان أن نواف الشعلان ليس لاجئاً عندهم و/ أو أنهم قدموا إليه الحماية (الزارع، نهار، في: الزارع، عبد الهادي ونهار علي، لقاء وحديث، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً: ٣ من ٤).

(ب) هجة أهل الغرب من أهل الجوف (دومة الجندل) (مايو/ يونيو ١٩٢٠م):

ـ **البعض إلى النبك ابوقصر وكاف**: مع هروب نواف، تتواصل رواية شنوان الداحس كما نقلها ابنه «غازي»، وطبقاً لما دوَّنها، عبد العزيز محمد سلمان القعيّد (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٤ من ٣٥)، مشيرة إلى مصير أهل الغرب من أهل الجوف ((دومة الجندل)) وهم الذين انحازوا وقاتلوا مع نواف الشعلان وقواته، فتقول: «...و قد هرب أهل الغرب جميعا مع نواف، وقد كانوا يستعدون بالاحتفال بتنصيب نواف...»، ولكن لم تتم على ما يبدو فرحتهم، وتنسب الرواية طرفة لـ «دليان الخنفور» حدثت في تلك الأثناء، حيث إن شخصاً سأل «دليان» لمن يترك الشيخة وهو يريد الهرب، فقال بلهجته؛ «فرقى أمي ما عاد بها شيخات هج بعمرك اربح لك». وقد تفرق أهل الغرب وابن شعلان بعد ذلك، فمنهم من سكن بـ «النبك أبو قصر»، وهو يبعد مئة واربعون كيلو عن الجوف، ومنهم من أقام بـ «كاف» المعروفة..... علماً أن أهل الغرب عندما، اطمئنوا لاستباب الأوضاع في الجوف، عادوا للجوف بأشكال فردية، كل من احس بالاطمئنان عاد لوحده....» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٣٥).

ـ **سليمان الغثا الجارالله الزارع إلى حائل: إقامة جبرية وضيافته لوفد أهل الجوف للملك عبد العزيز بعد سقوط حايل**: في اليوم التالي لانتهاء المعركة بين نواف ابن شعلان وأنصاره من أهل الجوف من جهة، وبين الآخرين ضده من جهة أخرى، وحيث تم كف الأيدي عن القتال، ذهب سليمان الجارالله، كما تقول الرواية التي دونها القعيّد، إلى «... حمد الشويعر، الذي كان منصوب ابن رشيد في قصر مارد وأبلغ أنه ذبح نواف، وقد كان سليمان في وقتها لا يعلم أن نواف قد سلم من القتل، علماً أن الشويعر لم تكن لديه القوة الكافية للتصدي لِإبن شعلان...» عندما استلم آنذاك «... لم يكن معه إلا اربع رجال أو خمسة هم من المماليك، فما كان من الشويعر إلا أن غضب عندما أخبره سليمان الغثا بما فعل مع نواف ((؟))، فقال له يا سليمان؛ ما وعدتنا وبقتنا، وعاهدت نواف، وتقول أنك ذبحته، إن جاني خبر إن نواف قتل... قتلتك، وإن سلم يأتيني خبر من هالخصة لمدة ثلاث أيام عن نواف، أنا ارسلك لحايل للرشيد، وهم يدبرونك... ولم يأتي خبر بقتل نواف حيث سلم... قام حمد الشويعر بإرسال سليمان الجار الله،

بعد أن سجنه، لحايل للرشيد فوضعه تحت الإقامة الجبرية، وحيث إنه يجيد الصناعة فقد فتح له محل للتعيّش منه، وبعد خروج أهل الجوف، المراسيل اللي راحوا للملك عبد العزيز، من سجن ابن رشيد أقاموا عند سليمان الغثا حتى قابلوا الملك عبد العزيز بعد ذلك» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٣٥).

طبعاً هذه رواية، وقد دوّنها عبد العزيز القعيّد، فيها قدر من الخلفية الذاتية ومثقلة بعض الشيء برؤية معينة يتداخل فيها التحليل مع الوقائع المجردة. من هنا نشك في أن يحاسب «حمد الشويعر» سليمان الجارالله الزارع على أنه، فقط، كان يريد قتل «نواف» الشعلان، والأخير كان خصماً للرشيد (!). الأكثر معقولية هو أن يفرح «الشويعر» لهذا التصرف، ولو قُتل «نواف الشعلان» لربما لم يكن هذا التصرف ليسوء ابن رشيد في حايل. يبدو أن العقوبة التي أوقعت بحق «سليمان الجارالله الزارع» هي مقابل ما كان من أمر التحالف مع ابن شعلان ضد الرشيد، والذي قام به ومثله «سليمان الجارالله»، فضلاً عن الضيافة والعزيمة التي قام بها تجاه نواف الشعلان. أما محاولة القتل، والإبلاغ عنها لـ «الشويعر»، فيبدو هي، كما ذكر نهار الزارع، محاولة من الجارالله لإيهام «... مناصري الرشيد وأعداء ابن شعلان أن نواف الشعلان ليس لاجئاً عندهم و/ أو أنهم قدموا إليه الحماية (الزارع، نهار، في: الزارع، عبد الهادي ونهار علي، لقاء وحديث، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً: ٣ من ٤).

ورغم أن «**نهار العلي الزارع وشقيقه عبد الهادي**»، لم يأتيا على ذكر مصير سليمان الجارالله الزارع والتحفظ عليه بإقامة جبرية له في حائل من قبل ابن رشيد، كما تذكر رواية شنوان الداحس في مدوّنة القعيّد، آنفة الذكر، إلا أنهما يؤكدان واقعة ما يسمى بـ «هجة الغرب» في دومة الجندل، حيث ذكرا للباحث بأن الزارع، وعلى إثر تلك المعركة بين الرشيد وأنصارهم في دومة الجندل من جهة وبين نواف الشعلان وحلفائه من جهة أخرى، فمحاولة قتل «نواف الشعلان» من قبل واحد من الزارع، قد تعرضوا للأذى والمضايقة، وإحراق حوطهم (المزارع)، وأنه نتيجة ذلك فقد خرج الزارع من دومة ولجأوا إلى سكاكا ((يبدو أن المقصود هو بعضهم وليس كلهم ـ الباحث)). ورغم أن نهار وعبد الهادي الزارع لم يحددا العائلات من سكاكا التي لجأ إليها الزارع، ـ ـ ـ لأن كل ما يعرفانه من القصة هو لجوء الزارع إلى سكاكا، أما عند من؟ فهما، كما قالا، لا يعرفان بقية القصة (الزارع، عبد الهادي ونهار علي، لقاء وحديث في منزليهما بدومة الجندل، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً: ٤ من ٤)، فإنني لفت نظرهما إلى أن والدي هايس الفالح قد ذكر لي يوماً ما، أو سمعت منه، في إحدى المرات أن «الزارع» أتوا عند «الفالح ـ الدغيفق»، وأن «خليف الفالح» قدم لهم الحماية حتى أمن لهم الرجوع إلى دومة الجندل بعد فترة من الزمن.

(٢) في سكاكا: واقعة الغطيغط/ الغطغط (١٩٢٠م؟): بعد مقتل منصوب ابن شعلان وسيطرة سعود ابن رشيد على الجوف لفترة محدودة، دخلت مجموعات من الشعلان/ الرولة، ومعهم بعض من عناصر من البادية (صخور وحويطات... إلخ) في حي المطر، وبمساعدة وتسهيل، على ما يبدو، من جماعة المطر، وهي جماعة حليفة للقرشة، وكان الهدف على ما يبدو الإغارة على المعاقلة. حدث ذلك أثناء حكم سعود الرشيد (ابو خشم)، ويبدو أن هذه الواقعة حدثت في فترة ما بين نهاية ١٩١٩م وأوائل

١٩٢١م؟، وعلى الأرجح وقعت في النصف الأول من عام ١٩٢٠م، وهي على وجه اليقين وقعت قبل ما عرف بـ «حرب الراشد ـ المويشير» أو حرب المعاقلة ـ المعاقلة (١٩٢٢م).

(أ) واقعة الغطيغط أو الغطغط: في تحديد تاريخها: رغم أن سعد الطارف يقول عن الواقعة إنها حدثت في حدود خمس عشرة سنة من أحداث كون «الظلي»، إلا أن الغالب في وقوعها هو في وقت ما من عام ١٩٢٠م، أو١٩٢١م، ذلك أنه، أولاً، إذا علمنا أن واقعة «كون الظلي» حدثت في أواخر صيف ١٩٠٨م، وقبلنا، ولو مؤقتاً، التاريخ الذي حدده سعد الطارف (١٥ سنة) تكون واقعة الغطغط أو الغطيغط حدثت في عام ١٩٢٢/ ١٩٢٣م، وهذا غير صحيح لأن الشعلان أعادوا السيطرة كاملة على الجوف منذ أواخر ١٩٢١ تقريباً واستمروا فيها إلى تسليمها للملك عبد العزيز في عام (١٩٢٢). ثانياً كانت تلك السنة ١٩٢٠م، في أوائلها وحوالي مايو/ يونيو، محاولة من نواف الشعلان لاسترداد الجوف، وإن لم ينجح فيها، وكانت في هذا الوقت بالذات تدور معركة في الجوف (دومة الجندل) من أجل إعادة السيطرة عليها ما بينه (أي نواف) وأنصاره من أهل الجوف (دومة الجندل ـ ـ معظم أهل الجوف وبالذات أهل الغرب، باستثناء القعيّد، كانوا معه في تلك المعارك) وبين بعض من أهل الجوف ومناصرين لهم من أهل سكاكا.

في ذلك وعنه رواية منقولة عن «غازي»، نقلاً عن والدة «شنوان الداحس»، والذي يسرد بعض أحداث تلك الفترة، ومنها ما يتعلق بأحداث تلك المعركة، مشيراً إلى أنه بعد هزيمة الشعلان من الرشيد، والتي وقعت بعد مرور ما يقرب من السنة في المواجهة بين الطرفين من دون حرب حقيقية أو نهائية من تاريخ بداية قدوم الرشيد للسيطرة على الجوف بعد مقتل منصوب ابن شعلان، وبعد حوالي سبعة إلى ثمانية أشهر من تلك الهزيمة (هزيمة ابن شعلان)، قدم نواف الشعلان للجوف. ولأهمية الرواية، وخاصة في ما يتعلق بالاستفادة منها بتحديد تاريخ حدوث واقعة أو «كون الغطيغط أو الغطغط»، نوردها هنا مختصرة، حيث تذهب إلى القول:

«وبعد انهزام الشعلان بمدة ثمان أو سبعة أشهر جاء نواف الشعلان غازياً معه ستة مئة رجل تقريباً... ابن شعلان كان ينوي أن يغزو الرمال من شمر، حيث ذكرو له بعذفاء...، وعند عودة نواف من عذفاء... أراد أن يمر الجوف وقد كان هناك من أهل الديرة من كانوا يكاتبونه سراً، فوصل ابن شعلان إلى الجوف... حيث إنحاز الغرب جميعا لنواف الشعلان، وحصل هناك ما يسمى بإطلاق النار... وقد ثارت الحرب ليلاً... وقد هب لنجدة القعيّد العديد من أهل الديرة من مساكن القعيّد وشرق... «وأما غرب القعيّد» جميعهم من أتباع ابن شعلان، سوى فريح ناصر المعين...، فقد قام جماعته انتقاماً منه بتقطيع نخله...»، وبعد أن دارت، صباحاً، معركة عنيفة، انهزم فيها ابن شعلان وحلفاؤه، قرر نواف الفرار بجواده «ففر نواف...» ولكنه لم يقتل رغم إطلاق النار عليه من قبل سليمان الغثا الجارالله، وإن اعتقد الأخير فرحاً أنه قتله (شنوان الداحس، غازي، في: القعيّد، ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ١٢ من ٣٥).

إذا علمنا أن ابن رشيد (سعود أبو خشم) كان قد أحكم السيطرة على الجوف (سكاكا أولاً ثم دومة الجندل) في وقت ما من عام ١٩١٩م، وعلى وجه التقريب بعد حوالي مرور العام أو في حدوده (الغالب

أن ذلك كان بعد حوالي عشرة أشهر) من مقتل منصوب ابن شعلان، والذي قتل في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، وهو ما يعني أن ذلك الحدث (أي سيطرة ابن رشيد على الجوف بشكل كامل)، وطبقاً لما يشير إليه جوزف كوستنر، وقع في الغالب، على ما يبدو، في حدود تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م (كوستنر، ١٩٩٦: ٥٤)[٣٢]، ولكنه في غضون شهر من استعادة الجوف سيقتل (أي سعود أبو خشم) من قبل ابنَي عمه عبد الله ومحمد بن طلال، ويبدو أن ذلك حدث في وقت ما من ديسمبر ١٩١٩هـ أو كانون الثاني/ يناير ١٩٢٠م، طبقاً لما ورد في مصادر مستقاة من مصادر أخرى (الزعارير، محمد، ١٩٩٧: ٦٩ ـ ٧٠، والرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨ و٧٥).

في تلك الأجواء، وتداعياتها على الأوضاع في الجوف وما حولها، يبدو أن واقعة الغطيغط حدثت. وحيث إن قدوم نواف للجوف ومحاولة انتزاعها، وإن فشل فيها، قد حدثت على ما يبدو، طبقاً لرواية «شنوان الداحس»، بعد ٧ أو ٨ أشهر على هزيمة ابن شعلان وسيطرة ابن رشيد (ابو خشم) على الجوف، فإن قدوم نواف آنف الذكر، قد يكون حدث في حدود أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠. من هنا نرجح أن واقعة «الغطيغط ـ الغطغط» إنما وقعت في وقت ما من أحد الأشهر من النصف الأول من عام ١٩٢٠م أو في حدودها زيادة أو نقصاناً بعض الشيء.

(ب) واقعة الغطيغط/ الغطغط: قصة ورواية: حي المطر لمن لا يعرفه، وخاصة من خارج سكاكا، هو الحي الواقع إلى الشرق والشرق الجنوبي من المعاقلة، مقابل بيوت العبد والفالح ـ الدغيفق، وهو كذلك يقع بين حي الشلهوب جنوباً وبين شارع العرب حالياً شمالاً، ويحده من الشرق ما كان يعرف بـ «القاع» أو قاع المطر، وهذا الأخير (القاع) الآن في معظمه شرقاً أصبح مشغولاً بما يعرف بالمنطقة الصناعية. أما «الغطيغط أو الغطغط»، فهي على ما يبدو امتداد حوط وأراضي المطر في الجهة الشمالية الغربية منه.

ننبه بداية إلى أنه في هذه الواقعة لا توجد روايات متقابلة، بل رواية واحدة، هي من المعاقلة، وللأسف لم أجد أية رواية تعارضها أو تقابلها، ولو وجدتها، كما فعلت في واقعات أخرى من هذه الدراسة، لما ترددت في وضعها. ومع ذلك فأنا هنا لا أتبنى أية رواية بذاتها كما أنني لا أهدف أبداً إلى تجريم أو تخطئة أحد. وفوق هذا وذاك، فإن التفسير الشامل للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وهو ما يهمنا وما سنأتي إليه، يتجاوز أية حالة فردية بذاتها من حالات الحرب المتعددة، وبغض النظر عن مدى صحة و/ أو صدقية الرواية، رغم أننا لا نقلل من أهمية المصداقية لأية رواية عن أية واقعة، وإمكانية الإستفادة منها، كل ما كان ذلك ممكناً.

رغم أن الإحاطة بقصة واقعة أو كون المطر، والتي تعرف بـ «الغطيغط أو الغطغط»، تتمحور حول رواية سعد الطارف عن الواقعة، لكنها لا تخلو من بعض أقوال آخرين، وهي على أية حال أقوال في

---

(٣٢) يقول جوزف كوستنر: «... وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩ نجح ابن رشيد في إعادة احتلال الجوف... منتزعاً إياها من نوري الشعلان...» كما ورد في الترجمة العربية لكتابه: جوزف كوستنر، **العربية السعودية ١٩١٦ ـ ١٩٣٦: من القبيلة إلى الملكية**، ترجمة شاكر إبراهيم سعد (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م)، ص ٥٤، والاقتباس نقلناه هنا من نسخة منزلة على موقع مكتبة الحرمين على الإنترنت، <http://www.alharamin.com>. وأصل الكتاب هو: Joseph Kostiner, *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State* (New York: Oxford University Press, 1993).

الغالب متسقة مع رواية سعد الطارف. عن الواقعة، يتحدث سعد الطارف، في أكثر من مقابلة أجريتها معه في عام ١٩٨٩م، أو أحاديث مسجلة عنه في ١٤١٤هـ وصلتني من عائلة الطارف مباشرة، واستمعت إليها كاملة على شريط كاسيت، وأضعها هنا بلغة تقترب من الفصحى، وسأورد ألفاظاً له كما قالها بالعامية كلما كان ذلك مناسباً للتوثيق، علماً أن العبارات ما بين قوسين مزدوجين هي مني (الباحث) للتوضيح، فيقول: «... إنه في هذه الحرب، فإن المطر أتوا بالشعلان..» و/ أو أنهم «... عبروهم في منطقة جدران الغطيغط، رغم أن هناك رتب لِابن رشيد في المطر ـ هناك رتبة عند النومان، وعند الدندن، والضمارا، وعند عبيد البير ـ ـ ـ وقد تم إدخال ابن شعلان وقواته، ومعه بعض عناصر بدوية من الضخور، بالليل، وقال المطر: الرتب التابعين لِابن رشيد اتركوهم هالحين، وخلوهم على جلادتهم...» ـ ـ ـ ((يقصد، على سكونهم وهدوئهم ـ الباحث)) ـ ـ ـ «.. وانتم اذهبوا لديرة الغطيغط وجدرانها واقضبوها، أما رتب ابن رشيد فإنا ممدين عليهم...» ـ ـ ـ ((أي لسنا في عجلة من أمرنا، نعود عليهم فيما بعد ـ الباحث)) ـ ـ ـ «بعد ذلك صاح المصيّح...» ((يقصد على ما يبدو أن هناك إطلاق نار على المعاقلة ـ الباحث)) ـ ـ ـ «... ومن ثم فزعت المعاقلة، مع ديرة المنديل... « ـ ـ ((ديرة المنديل تصبح لاحقاً جنوب ديرة النصير ـ وهي نهاية أراضي وشارع سيل الغدير أو ما سمي رسمياً الآن بـ «سيل الهذال ـ ـ ـ منديل من الشلهوب كان في خلاف مع أخيه صالح فرحل وأبناءه في هذه المنطقة منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، ولكنهم في هذه الفترة تحت النقاش على ما يبدو بدأوا بالعودة إلى الشلهوب تدريجيا ـ الباحث)) ـ ـ ـ «... عن طريق حوطة المغضب «المنديل قوم شلاش»، قال خليف الفالح: عطونا فاس، عطونا فاس...» ويضيف سعد الطارف: «... والله إن هذا سمع آذاني هذولي». وعندما أتوا بالفاس كان الناس خائفين من إطلاق النار الذي ينطلق من «الهبلانية» ((يقصد من أبراج الهبلانية وهي قصر بالشلهوب ـ الباحث))، حيث كانت الشلهوب مع ابن شعلان. وعندما عمل فتحة بالجدار مثل الباب، تقدم خليف الفالح، حيث كان قدام (أمام) هذه الفتحة «ملطام مثل صفا المقام...» ـ ـ ـ ((يقصد حجر كبير سداد ضد شدة واندفاع مياه الأمطار القادمة من الشعيب، وهو سيل ـ الغدير ـ أو الهذال حالياً ـ ـ الباحث)) ـ ـ ـ «.. وصر فيهن، وعندها تبعه صحن، ثم بنية فلاح الشردان والحقه، ثم ماجد أخو لقايد والحقه، فقال خليف الفالح: يا رجال أطلعوا جاي (هنا)، يقوله خليف، هذا حكي ما يمضي... أمشوا على الرجال...» على إثرها بدأوا بالتحرك، كما يقول سعد الطارف: «... ومن ثم بالفعل مشوا...» (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١١ ـ ١٢ من ٢١). وفي رواية منقولة عن عارف العساف، وقد سبق أن سمعتها من آخرين أشرنا إلى بعضهم في مناقشة واقعة «كون الظلي»، يقول عارف العساف أنه لما تردد الناس (المعاقلة) في التحرك نحو مواجهة الغزو في حرب المطر، فإن خليف الفالح تقدم وسار أمامهم، وقال: «... يا معاقلة لا تشوفوني عين وتطلبوني دين...» (العساف، عارف، منقول عنه في: الفالح، فلاح زعل خليف، «خطاب في اربع صفحات»، في ٢١/ ٦/ ١٤٢٣، الموافق ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢م: ٤ من ٤)».

وبصلة بالواقعة وملابساتها، استدرك سعد الطارف، وقال: «كان معهم محمد الزاعل.. «ـ ـ ((من الدغيفق)) ـ ـ ـ» ... قمز معهم، أدخل على الله، والله بيديه، ما معه بارود...»، ثم تدخل في الحديث ابنه (سليمان سعد الطارف)، فقال: «... أيه بس محمد الزاعل أخذ بارود ابن فايز ((وهو من أبرز رجالات

وشيوخ بني ضخر ـ الباحث)) ـــ «... قال سعد الطارف، ايه أدري...»، ثم أكمل سليمان الطارف تدخله فقال، عن محمد الزاعل؛ «طير شلوى، ابن فايز كان مطرف.. ((يقصد على طرف))... ومطلع باروده مع البرية ((فتحة)) يثوَر، وشافها محمد الزاعل، فعدى..» ـ ((مشى وتقدم عدوا بهدوء)) ـ «.. ومسكها، مسك برطمها ((فمها ـ مع مقدمتها ـ الباحث))، وقال محمد الزاعل لصاحبها، «... أنا هذاني قاضبها، حول عليها...». يبدو أن الشخص المعني من الصخور هو الشيخ «عواد بن سطام الصخري»، كما يقول صالح العدوان (العدوان المنديل، صالح (II)، في: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٣).

وإذا كانت القصة بالقصة تذكر، فيُحكى، أنه وبعد فترة من حدوث هذه القصة، وقد رجع الشيخ «ابن فايز أو عواد الصخري» لديرته وللصخور، فقد غرب (سافر للغربية ـ الشام وفلسطين) محمد الزاعل، مع جماعة من الجوف ومروا بجماعة الصخور، وضافوا عندهم، فلما سأل مضيفهم، وهو الشيخ «ابن فايز أو عواد الصخري» نفسه، دون أن يتعرفوا عليه؛ عن من أين الجماعة؟، قالوا؛ حنا من الجوف، قال: من الجوف الأدنى (دومة الجندل) أو الجوف الأقصى (سكاكا)، قالوا؛ من سكاكا، فقال: تعرفون أخو «عذية « ـ يقصد محمد الزاعل؟ فأنكروا معرفتهم به خوفاً عليه. لكن محمد الزاعل، رد عليه وقال: أنا أعرفه؛ هو محاكيك. فقال الشيخ الصخري: أنت «الأماني»؟، قال: أنا «الأماني»، فقام الشيخ الصخري وأخذ يرحب ويحي به من جديد، ويذكر شهامته وشجاعته وقام بذبح خروفين، وكان على الطعام يقف على رأسه والضيوف ويصب له السمن على يديه، اعتزازاً بشجاعته وشهامته وإكراماً له ولجماعته، مشيراً أنه ورغم أنه سبق له أن قتل تسعين رجلاً من قبل، إلا أنه لم يسبق لأحد غير «الاماني» أن أخذ سلاحه وبندقيته منه (العدوان المنديل، صالح (II)، في: ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٣).

يكمل سعد الطارف القصة عن الواقعة (الغطغط)، فيقول: «.. ولما غار المعاقلة على اللي بالجدران من قوات ابن شعلان، ولما شافوا الرجال أقبلوا عليهم، وهم آهه.. « ـــ ((يقصد أنهم أخذوا بالفرار)) ـ « (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١١ ـ ١٢ من ٢١). ويبدو أن سبب الهجوم، فضلاً عن مسألة إعادة السيطرة على الجوف، والتي قد تكون أحد الأهداف من وراء تسلل الشعلان عبر المطر، فإن سعد الطارف يشير إلى أن هناك أسباباً إضافية، قد تجمع ما بين مصلحة الشعلان من جهة وجماعة المطر وحلفائهم من جهة أخرى، ألا وهي تتعلق بالتجارة (مقايضة التمر بالحبوب والأشياء الأخرى) وأطرافها وحصرها في دائرة القرشة بمن فيهم المطر، كما يقول سعد الطارف: «... يريدون ابن شعلان لعله يفرم...» ـــ ((يقضي عليهم أي على المعاقلة)) ـــ «... المطر والهن...» ـــ ((الهن يقصد بها على ما يبدو حلفاؤهم)) ـــ «... يريدون هالبدوان اللي تقطن عليهم كل سنة، ويعبرون، وياكلون ويكيفون...» (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١١ ـ ١٢ من ٢١).

أسفرت تلك الحرب، أو تداعياتها لاحقاً، عن سقوط عدد من القتلى من الطرفين. وطبقاً لما يرويه سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٨ من ١٦، والطارف، سعد (III)، في ١٤١٤هـ: ٩ من ٩)، فقد كان القتلى على النحو التالي:

١ ـ **من المعاقلة**: قتل من المعاقلة في هذه الحرب ثلاثة أشخاص، وهم:

١ ـ ضبعان من العبد

٢ ـ أخو قايد، عم، لمصلح، من القايد (الراشد)

٣ ـ غازي المحوَس (أخو مبارك وبريكان).

٢ ـ من المطر وقوات ابن شعلان وحلفائه (من البادية والشلهوب ودومة الجندل):

١ ـ أحمد الغلاب ((؟))

٢ ـ خطار النومس

٣ ـ الغثيان ابن نومان

٤ ـ زاعل (أو داحش) الشوشل ((الشلهوب))

٥ ـ حماد الزارع ((يبدو من دومة الجندل))

٦ ـ سعود من العباس ((يبدو من دومة الجندل))

٧ ـ عقيل ابن مشهور

٨ ـ ضافي الدندني؛ وهذا لم يقتل في المعركة، وإنما أعدمه ابن رشيد لاحقاً، عقاباً له لتعاونه، على ما يبدو، مع ابن شعلان.

ما يلاحظ على هذه الحرب وأطرافها هو وجود عناصر، هي في الأصل من خارج القرشة. فضلاً عن بعض من الشلهوب وبالذات من «الشوشل»، وإن كان هذا ليس غريباً لأن عضيد الشوشل سبق وأن كان حليفاً للقرشة في واقعة «كون الظلي»، هناك عناصر من الزارع والعباس بالجوف (دومة الجندل)، وهو ما يدل على سيولة التحالفات وتحولاتها في تلك الفترة لصالح ابن شعلان أو ابن رشيد. يلاحظ في هذه الحرب، أن «الزارع» (من دومة الجندل)، وإن كانوا حلفاء لِإبن شعلان، فإنهم تقليدياً حلفاء المعاقلة وضد القرشة، ولنتذكر واقعة السمرة والتي حوصر فيها جماعة من «الزارع» من قبل مجموعة قيل إنهم من القرشة (لمزيد من التفصيل انظر واقعة السمرة أو السمرية)، ولكن يلاحظ هنا أن عناصر منهم، كما هم عناصر من الشلهوب، في هذه المعركة هم مع القرشة المطر. سوف نرى تزايد هذه السيولة في تقلبات التحالفات في جماعات الجوف لصالح ابن شعلان أو ابن رشيد، وسوف نرى في آخر الحروب الأهلية أن معظم أهلي الجوف، في سكاكا ودومة تتحالف مع قوات ابن شعلان.

لاحظ أن هذه الواقعة، كحالة صراع أهلي في الجوف، هي إلى حد ما في حقيقتها، حالة صراع أهلي محدودة، واصطفافية مع و/ أو ضد قوة خارجية (الشعلان).

ج ـ البعد والصراع الأهلي والتكلفة الأهلية لحروب الرشيد الشعلان على الجوف ١٩١٩ ـ ١٩٢٠م

١ ـ رغم أنه غير معروف، على وجه الدقة، من دخل ومن لم يدخل من أهل الجوف في صراعات الرشيد الشعلان (١٩١٩م ـ ١٩٢٠م) إلا أن كل الروايات السابقة تشير إلى قدر ليس قليل من هذا الدخول.

٢ ـ بل إنه، كما في حالات سابقة، وربما لاحقة سنأتي على ذكرها، يتبين أن أهل الجوف (في دومة وسكاكا) كانوا يشكلون معظم وقود وحطب تلك الحروب بين الرشيد والشعلان في الصراع على الجوف. ففي حرب الرشيد والشعلان ١٩١٩م شارك كثير من أهل الجوف (سكاكا ودومة في المعارك اليومية قبل المعركة الحاسمة في أكتوبر ١٩١٩م، وفي المعركة ذاتها) هذا ينطبق على المعاقلة والقرشة، وإن كان في هذه الحرب تحديداً المعاقلة، وإلى حد ما بعض من الشلهوب، هم على نحو شبه حصري المنخرطون فيها والمتضررون منها، ذلك أنهم (المعاقلة)، في القيام على منصوب الشعلان هم الذين أوجدوا فرصة التبدل والتحول في التحالفات، وفي إتاحة الفرصة لِابن رشيد في القدوم للجوف لانتزاعها من الشعلان. الضويحي القرشة، وإن لم ينخرطوا فعلياً في الحرب، أبدوا استعداداً لمناصرة ودعم المعاقلة في تحالف الأخيرين مع الرشيد وضد الشعلان، لكن الضويحي لم ينخرطوا في معمعة الحرب والقتال مباشرة. في المقابل العلي ـ القرشة، لم يقدموا الدعم، وفضلوا على ما يبدو الابتعاد عن الحرب وأطرافها.

٣ ـ وفوق الوقود والحطب الذي مثله أهل الجوف ورجالها في تلك الحروب بين الرشيد والشعلان، فإنهم كانوا رمادها من القتلى والإصابات والإعدامات، فضلاً عن هلاك وتدمير ممتلكاتهم، وفضلاً عن نزوح وشتات البعض منهم وترك الديار والممتلكات، طوعاً أو كرهاً، أو خوفاً من الانتقام (مثال: «هجة الغرب» آنفة الذكر، وقبلها ببعض السنين كانت «هجة القرشة»). لنتذكر أنه في حرب الرشيد ـ الشعلان (آذار/ مارس ـ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩١٩م) كان من بين من قتل، كما قال سليمان العودة: «وينذبح ((يُقتل))؛ ابن بلوان، ويدنق ((ينحني)) عليه عليان الوردي، وينذبحون جميع؛ مناحي البلوان انذبح ودنق عليه عليان الوردي وانذبح فوقه...هاك اليوم زحمونا ((الشعلان شدوا علينا))...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في: ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٨ ـ ٩ من ٢٧ من ج ٣)،»... والمعركة اللي بين ابن رشيد وابن شعلان باللقائط... بدخلة سعود الرشيد على ديرة ختيرش... انذبح (قُتل) فيها حمدان (ولد عمي) عايد الفلاَح... وانذبح ولد مبارك المنديل...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في: ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ من ٢٣ من ج ١، و٦ من ٢٧ من ج ٣).

لنتذكر أيضاً، أن زبن القعيّد، نفسه، وبعد أنجلا المعركة مباشرة، أُعدم شنقا، وهو سجين في قصر مارد، من الشعلان مع انسحابهم من الجوف، حيث كما، يقول شنوان الداحس، وبعد انهزام الشعلان أنا عدنا للجوف... ((يقصد دومة الجندل))... فوجدنا زبن قد مات في سجنه» (في: القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥). طبعاً إذا أضفنا إلى ذلك قتلى وإعدامات كون المطر (ما يعرف بـ «كون الغطغط أو الغطيغط (١٩٢٠م؟)، فتكون الصورة أوضح قساوة ومأساة على أهل الجوف؛ لنتذكر أن حرب أو كون «الغطغط/ الغطيغط «أسفرت عن سقوط عدد من القتلى من أهل الجوف (سكاكا ودومة)، قرشة ومعاقلة. وطبقاً لما يرويه سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٨ من ١٦، والطارف (III)، في ١٤١٤هـ: ٩ من ٩)، فقد كان القتلى من أهل الجوف على النحو التالي:

(١) من المعاقلة: قتل من المعاقلة في هذه الحرب ثلاثة أشخاص، وهم:

١ ـ ضبعان من العبد

٢ ـ أخو قايد، عم، لمصلح، من القايد (الراشد)

٣ ـ غازي المحوَس (أخو مبارك وبريكان/ الراشد).

(٢) من المطر والشلهوب ودومة الجندل:

١ ـ أحمد الغلاب(؟)

٢ ـ خطار النومس

٣ ـ الغثيان ابن نومان

٤ ـ زاعل (أو داحش) الشوشل ((الشلهوب))

٥ ـ حماد الزارع ((يبدو من دومة الجندل))

٦ ـ سعود من العباس ((يبدو من دومة الجندل))

٨ ـ ضافي الدندني؛ وهذا لم يقتل في المعركة، وإنما أعدمه ابن رشيد لاحقاً، عقاباً له لتعاونه، على ما يبدو، مع ابن شعلان.

٩ ـ فضلاً عن أشخاص آخرين من خارج أهل الجوف (عقيل ابن مشهور)

٤ ـ في تلك الأوضاع، الجوف وأهلها، بيئة غير مستقرة. من هنا ليس غريباً أن تكون فيها الجماعات والزعامات في مشهد من التبدل والتقلب في المواقف والتحالفات تجاه بعضهم البعض وتجاه الآخر (القوى الخارجية).

٥ ـ في التوازي تكونت حالة من عدم الثقة المتبادلة بين الأهالي بالجوف.

٦ ـ وفوق هذا وذاك مما تقدم تتواصل التداعيات والجروح النفسية وتراكماتها فيما بينهم لتشكل حالة نفسية مؤسسة لجرعة أخرى من الوقود والحطب جاهزة للاستخدام، منتظرة فقط بعض من محفزاتها (شرارة ما).

من هنا ليس غريباً أن تتواصل تلك الصراعات الأهلية، بما في ذلك في خاتمة واقعات الحرب الأهلية بالجوف في ما عرف بحرب المعاقلة، أو حرب الراشد ـ المويشير، وهي التي ستكون موضوعنا الأخير في مناقشة وقائع الحرب دون و/ أو قبل التفسير الكلي للحرب الأهلية الكلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) الذي يليها.

٨ ـ حرب ـ المعاقلة وصراع الراشد ـ المويشير (١٣٤٠هـ/ أبريل ـ يونيو ـ ١٩٢٢م)

بعد القيام على منصوب ابن شعلان وقتله في ١٤ ربيع الأول ١٣٣٧هـ الموافق ١٨ ـ كانون الأول/ ديسمبر ـ ١٩١٨م، كانت الأمور في الجوف تتسارع في تحولاتها وتبدلاتها، فقد حاول ابن رشيد (سعود أبو خشم) استرداد الجوف من الشعلان مستغلاً تلك التحولات فيها، وقد تمكن من السيطرة عليها، في وقت قيل إنه في جمادى الثانية ١٣٣٧هـ ـ آذار/ مارس ١٩١٩م، طبقاً لما يورده محمد الزعارير

(الزعارير، ١٩٩٧: ٦٩)، وقيل إنه في تشرين الأول/ أكتوبر من عام ١٩١٩م، طبقاً لما ورد في كتاب لـ «جوزف كوستنر» (Joseph Kostiner) مترجم من مكتبة مدبولي في عام ١٩٩٦م (كوستنر، ١٩٩٦: ٥٤)، وأصله صادر بالإنجليزية في عام ١٩٩٣م. هذا القول والتاريخ الأخير هو الأقرب إلى الصحة، إذ إنها تتطابق ورواية محلية، دوَّنها عبد العزيز بن محمد بن سلمان القعيّد، منقولة عن غازي الداحس، نقلاً عن والده «شنوان الداحس» والذي يسرد بعض أحداث تلك الفترة، تقول بأن هزيمة الشعلان من الرشيد في الجوف، وقعت في معركة حاسمة، بعد مرور ما يقرب من السنة من المطاولة والمواجهة بين الطرفين من دون حرب حقيقية أو نهائية من تاريخ بداية قدوم ابن الرشيد، وقواته للسيطرة على الجوف بعد مقتل منصوب بن شعلان (الداحس، غازي شنوان، في: القعيّد، عبد العزيز بن محمد سلمان (II)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ١٢ من ٣٥).

ومع ذلك فإن هذه السيطرة لم تدم طويلاً، إذ إن التحولات المتسارعة في نجد مع تنامي وتقدم قوات الملك عبد العزيز في القصيم، وكذلك الصراع الداخلي الموازي والمتواصل منذ فترة ليست قصيرة داخل أسرة الرشيد، حيث إن سعود الرشيد (ابو خشم) نفسه، ما إن تمكن من انتزاع الجوف، ومر شهر على ذلك، إلا ويقتله ابنا عمه (عبد الله ومحمد) ابنا طلال بن نايف بن طلال (الزعارير، ١٩٩٧: ٦٩ ـ ٧٠). وتسجل مضاوي الرشيد أن قتل سعود الرشيد كان في ١٩٢٠م (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨)، وهو ما يعني أن الاغتيال تم فعلاً، على ما يبدو، في وقت ما من الشهر الأول من عام ١٩٢٠م، كل ذلك شكل ضغطاً كبيراً على حكام حائل جعل سلطتهم في الجوف في ضعف بدا أنه مكشوف ومراقب عن كثب من الشعلان، وقواتهم التي كانت على أطراف وحواف الجوف، ووادي السرحان في الشمال والشمال الغربي.

وحيث الأمر كذلك، وفي سياق تلك الظروف، لم يمر وقت طويل على أول محاولة للشعلان لإعادة السيطرة على الجوف وانتزاعها من الرشيد، فقد قام نواف الشعلان، وبعد مرور حوالي سبعة أو ثمانية أشهر من هزيمة الشعلان أمام الرشيد في الجوف، باستكشاف الأوضاع في الجوف، فقاد حملة من ستمئة رجل تقريباً على الأطراف الجنوبية للجوف (النفود)، ثم عبر ودخل دومة الجندل، في محاولة لإثبات السيطرة، ولكنه، إذ اندلعت حرب ضده، فشل في السيطرة، ففر منها، وفي ذلك تقول رواية محلية:

«وبعد انهزام الشعلان بمدة ثمان أو سبعة أشهر جاء نواف الشعلان غازياً معه ستة مئة رجل تقريباً... ابن شعلان كان ينوي أن يغزو الرمال من شمر، حيث ذكرو له بعذفاء...، وعند عودة نواف من عذفاء.. أراد أن يمر الجوف وقد كان هناك من أهل الديرة من كانوا يكاتبونه سراً، فوصل ابن شعلان إلى الجوف.... حيث انحاز الغرب جميعاً لنواف الشعلان، وحصل هناك ما يسمى بإطلاق النار... وقد ثارت الحرب ليلاً...» بين نواف ابن شعلان وحلفاءه من أهل الغرب (إلى الغرب من القعيّد، باستثناء فريح ناصر المعين) من جهة، وبين واهل الديرة والقعيّد «... من مساكن القعيّد وشرق...»، و«... بعد أن دارت، صباحا، معركة عنيفة، انهزم فيها ابن شعلان وحلفاءه، قرر نواف الفرار بجواده» ففر نواف.. «ولم يقتل، رغم تعرضه لمحاولة قتل بإطلاق النار عليه من قبل سليمان الغثا الجارالله (الزارع)، وإن اعتقد

الأخير أنه قتله (في: القعيّد، عبد العزيز بن محمد سلمان (II)، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٨ ـ ١٢ من ٣٥).

في تلك الأجواء، وتداعياتها على الأوضاع في الجوف وما حولها، يبدو أن واقعة أخرى، إما موازية، أو تالية، أو سابقة بقليل، لمحاولة نواف السيطرة على دومة الجندل آنفة الذكر، وقعت هي الأخرى في سكاكا، وتعرف بواقعة «كون الغطغط أو الغطيغط» وأحياناً تسمى بـ «كون المطر». هذه الواقعة (الغطغط)، وإن فشلت هي الأخرى، يبدو أنها، محاولة من الشعلان لجس النبض وقوة الرشيد و/ أو لاختراق سكاكا من خلال حي المطر والتحالف مع أهل المطر وبعض من عناصر من الشلهوب، علماً أن أهل المطر هم، تاريخياً، حلفاء للقرشة. وحيث إن قدوم نواف للجوف (دومة الجندل) ومحاولة انتزاعها، وإن فشل فيها، قد حدثت على ما يبدو، طبقاً لرواية «شنوان الداحس»، بعد ٧ أو ٨ أشهر على هزيمة ابن شعلان وسيطرة ابن رشيد (أبو خشم) على الجوف، فإن قدوم نواف آنف الذكر، قد يكون حدث في حدود أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م. من هنا نرجح أن واقعة «الغطيغط/ الغطغط» إنما وقعت في وقت ما من أحد الأشهر من النصف الأول من عام ١٩٢٠م أو في حدودها زيادة أو نقصاناً بعض الشيء.

نذكر تلك الواقعات لنشير إلى قدر من عدم الاستقرار والثبات في منطقة الجوف في هذه الفترة والأجواء وانعكاسها على الأهالي والقوى الأهلية في الجوف في ما يتعلق في توقعاتهم ومواقفهم، تجاه ما جرى وما يجري، ومما هو قادم محتمل، وبالتالي انعكاسه على طبيعة واتجاه تحالفاتهم نحو القوى المحيطة المتطلعة (الشعلان)، أو القائمة المتردية (الرشيد)، أو المحتملة الصاعدة (ابن سعود)، وإن كانت الأخيرة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية بعد لأهل المنطقة.

في ضوء متابعة لما يجري في الجوف، ومع تهاوي سلطة الرشيد في حائل، أدرك ابن شعلان (النوري)، أن قوة الرشيد وسلطته بالجوف إلى زوال، فقرر أن يستعيد احتلال الجوف، وهو ما تم بدون عناء يذكر في وقت ما من آب/ أغسطس من ١٩٢١، بإرسال قوة بقيادة حفيده سلطان بن نواف الشعلان، ـ ـ ـ والذي يقدر «فلبي» عمره آنذاك بحدود ١٤ عاماً، وإن كان على ما يبدو أقرب إلى أن يكون بحدود ١٨ سنة، بالإحالة إلى تقديرات الرحالة موسيل في زيارته الثانية للجوف حيث كان يقدر عمره في عام ١٩١٥ على أنه حوالي ١١ سنة (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٥٧) ـ ـ ـ، وبمساعدة من ابن عمه مقحم الشعلان، علماً بأن نواف النوري الشعلان في هذا الوقت كان متوفياً منذ صيف ١٩٢١ في سوريا (Philby, 1923: 243). قبيل إعادة احتلال الجوف في أواخر صيف ١٩٢١م من قبل الشعلان، كان أعيان الجوف (سكاكا ودومة الجندل) قد توافقوا على إرسال وفد من الأهالي إلى الملك عبد العزيز للانضمام إلى حكمه (انظر تفصيلات الوفد في القسم الآخر «الثاني» من الدراسة)، وقد سافر الوفد بالفعل قبل دخول الشعلان للجوف، ولكنه عندما اقترب من حائل قبض عليه من قبل رجال ابن رشيد، وأودع أعضاءه سجن ابن رشيد في حائل.

سقطت حائل بيد الملك عبد العزيز، وكان ذلك في الشهر نفسه (آب/ أغسطس) تقريباً من عام ١٩٢١م الذي تم به احتلال الجوف من قبل الشعلان، كما يقول بذلك «فلبي»، ولكن مصادر أخرى

أكثر دقة وأقرب إلى الصحة تشير إلى أن سقوط حائل واستسلامها كان في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ، الموافق ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ـ من عام ١٩٢١م، وكان ذلك بعد خمسة وخمسين يوماً من بداية حصارها، حيث بدأ الحصار في ٤ محرم من عام ١٣٤٠هـ واستمر حتى ٢٩ ـ صفر ـ من العام نفسه، وهو يوم سقوطها واستسلامها (الريحاني، **تاريخ نجد الحديث**، [٢٠٠٠]: ٢٨٣، والرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٧٦). مع سقوط حائل لحكم الملك عبد العزيز كانت قد مرت سنة كاملة أو في حدودها على ذهاب وفد أهل الجوف، والقبض عليهم وسجنهم في حائل (في سجن ابن رشيد)، وذلك طبقاً لما نقل في مدوّنة كتبها عبد العزيز القعيّد (القعيّد، عبد العزيز بن محمد سلمان (I)، ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢: ٧ من ٨)، نقلاً عن أبيه محمد عن جده سلمان القعيّد، والأخير كان أحد أعضاء الوفد، وهو من بين من تبقى منهم على قيد الحياة وقت الإفراج عنهم من سجن حائل.

٩ ـ اندلاع الحرب الأهلية في سكاكا (أغسطس ١٩٢١ ـ يونيو ١٩٢٢)

مع دخول الشعلان للجوف والسيطرة عليها قام معظم أهالي الجوف (في سكاكا ودومة الجندل وقارا والطوير) كمجموعات وأحياء، وبغض النظر عن خلفياتهم الاجتماعية، وهي نقطة تثير الاهتمام في سياق التفسير الذي سنأتي عليه في جزء آخر من الدراسة، بالالتفاف مع ابن شعلان وسلطته. في سكاكا، فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت مع الشعلان، وهذا يشمل الشلهوب والمطر ومعظم جماعات المعاقلة، وخاصة الراشد (الشماليين ـ تحت مشيخة راشد القايد) والحيزان، والنصير، وبعض من الكبيدان، والجحيش... إلخ، وحتى القرشة، وإن كانوا قابضين على مناطقهم، وفي موقف عام يميل إلى الحياد والترقب والحيطة تقريباً، سيدخل بعض منهم على الخط، وبالذات من العلي (البليهد)، والمطر، لاحقاً. في المقابل، وعلى الطرف الآخر من المعادلة بقيت جماعة الدغيفق، وجماعة المويشير، ورواشدة الحزوم (الراشد الجنوبيين)، وحلفاء كل منهما في محيطهما، وهو ما يشمل العبد، والحميَر، والهذيل، والطالب، والورادا، والبيالية، والإبراهيم السلامة المعيقل في نطاق الحي الممتد إلى الجنوب والغرب من سيل الغدير (المعروف والمسمى حالياً بسيل الهذال). هذا الحي وجماعاته الفرعية من المعاقلة، هو الذي أسماه الرحالة فلبي بالركن أو الطرف الغربي من سكاكا (Philby, 1923: 253-254)، وإن كان، الرحالة «فلبي»، لا يعرف خريطته الاجتماعية الأساسية وتفصيلاتها. هذه المجموعات الفرعية في هذا الحي الغربي، من ناحية عددية تعتبر صغيرة جداً قياساً على سكان سكاكا؛ إن عدد أفرادها مجتمعين قد لا يصل حتى إلى ربع الربع من سكان سكاكا الإجمالي في ذلك الوقت، علماً أن بقية أهالي منطقة الجوف، خارج سكاكا، هم في الغالب مع ابن شعلان بما فيهم أهل دومة الجندل وقارا والطوير.

في أجواء الاحتلال والسيطرة كان هناك نزوع من الشعلان لفرض سيطرة وهيمنة غير مشكوك بها، على الجوف وأهلها عموماً وسكاكا خصوصاً. ولتحقيق ذلك كان سلطان الشعلان وقواته، وفي استعراض للقوة يسيّر شبه يومياً المسيرات من عسكره وحلفائه، رفقة الرقصات وإطلاق أعيرة النيران في كل اتجاه. كانت تلك الحشود ومسيراتها ورقصاتها ذات الطابع الحربي والعسكري التي تجوب عدداً من أحياء سكاكا وساحاتها (مناخاتها)، بما في ذلك في أحياء المعاقلة في منطقة (مناخ) الرواشد الشماليين (جماعة راشد القايد)، وكان يشارك في تلك الاستعراضات والرقصات الحربية مجموعات ممن التف

حول ابن شعلان من أهالي سكاكا، بما فيهم غالبية ساحقة من المعاقلة. إذن، في تلك الأجواء، كان هناك تطور سريع من الاستقطاب الاجتماعي بين الأهالي في سكاكا، وخاصة في المعاقلة، مما أدى في سياقاتها إلى أن تدخل المنطقة في أجواء عنف وحرب وقتال بين الأهالي، وبالذات في سكاكا، وتحديداً كان رحاها وعناصرها الأساسية في المعاقلة. كانت هذه الأجواء الاستقطابية سائدة منذ عودة الشعلان للجوف في آب/ أغسطس ١٩٢١م، ولكنها ستنفجر أعمالاً قتالية وحرباً أهلية، مع أواخر نيسان/ أبريل ١٩٢٢م وسوف تستمر، وإن كان على نحو متقطع، حتى تقريباً أوائل صيف ١٩٢٢م.

لمناقشة واستقراء واقعة الحرب الأهلية في سكاكا ١٩٢٢م، وهي ما تعرف بحرب المعاقلة ـ المعاقلة، أو أدق بـ «حرب الراشد ـ المويشير»، نحتاج إلى مقاربة الأمر فيها من خلال ملاحظة المعلومات المتوفرة عنها، سواء في المصادر المكتوبة أو المرويات المحلية الشفهية، مع التدقيق فيهما والمقارنة بينهما، وهذا ما سنقوم به تالياً.

أ ـ في المدوّنات التاريخية

يذكر الرحالة سانت جون فلبي (St.J.B.Philby,C.I.E)، والذي زار الجوف (كاف ودومة الجندل وسكاكا)، في محاولته الثانية، في الفترة ما بين ٦ أيار/ مايو و٢ حزيران/ يونيو ١٩٢٢، وكان في سكاكا (٢٣ مايو وحتى ٢ يونيو ١٩٢٢م)، أنه بعد مرور وقت من استقرار الأوضاع لسلطة الشعلان في الجوف، والذي كان واضحاً مع بداية ١٩٢٢، فإن الأمر لم يدم طويلاً، حيث إنه وفي أواخر نيسان/ أبريل أو بداية أيار/ مايو من العام نفسه (١٩٢٢م)، وقبل وصوله «كاف» بعشرة أيام (وصل كاف في ٦ مايو ١٩٢٢م)، اندلع «تمرد» كما يقول ويسميه «فلبي»، على سلطان الشعلان، من بعض أهالي سكاكا وبالذات من جهة الطرف الغربي لها، وكان هو شاهداً على بعض من أحداثه ومظاهره، حيث وصل سكاكا في ٢٣ مايو واستمر حتى ٢ يونيو ١٩٢٢ حيث غادرها للعراق.

إن ما كتبه «فلبي» عن التمرد، فيه قدرٌ من الالتباس والغموض، حيث عدم معرفته بالخريطة الاجتماعية لأحياء سكاكا، وجماعاتها وزعاماتها وصِلتهم بأطراف وجماعات وزعامات التمرد. إن محرك التمرد، وإن ارتبط أو ربط بالموقف من الشعلان وربما هذا صحيح، إلا أنه في جزء هام منه هو صراع أهلي أو حرب أهلية في سكاكا وفي المعاقلة، وتحديداً بين الراشد والمويشير، كما ستبين الروايات المحلية عن الأمر، علماً أن الرواة الأساسيين عنها هم أيضاً كانوا حاضرين شاهدين على تلك الحرب أثناء حدوثها. ومع ذلك كله، وللأمانة العلمية سنورد ما سجله الرحالة «فلبي» عن التمرد، من خلال النص الأصلي له عن رحلته والمنشور باللغة الإنجليزية في عام ١٨٢٣ بالمجلة الجغرافية (Geographical Journal)، وبملاحظة ترجمته من عوض البادي (٢٠٠٢ أ)، ثم نعقبه بالروايات المحلية لتوضيح ما خفي من الأمر على «فلبي» والتبس عليه.

يقول «فلبي»، إنه وفي خلال الشهر نفسه الذي سقطت فيه حائل لحكم ابن سعود، وهو يحدده بشهر آب/ أغسطس من عام ١٩٢١ ((لاحظ أن هناك أقوالاً مؤكدة، كما هي أقوال أمين الريحاني، عن أن سقوط حائل كان في ٢ نوفمبر ١٩٢١م، كما أشرنا إليه آنفاً)):

«اتجه سلطان بن نواف يساعده ابن عمه مجحم بن شعلان (توفي نواف في سورية خلال الصيف ـ نفس العام) إلى احتلال الجوف دون مقاومة جدية. لقد عوقب حمد المويشير على غدره السابق من خلال حرمانه من أراضيه وأملاكه. وهكذا مع بداية ١٩٢٢م، وبعد تقلبات، ظهر أن الجوف استقرت إلى ولائها السابق لعائلة الشعلان، بينما منافسوهم السابقون، عائلة الرشيد انتهى وجودهم» (فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٧٨، و244-243 :Philby, 1923).

ويواصل فلبي قصته عن التمرد، فيقول: «حمد ابن مويشير، والذي سبق أن تكلمت عنه، تم العفو عنه مباشرة بعد إنزال العقوبة عليه وأعيدت له كامل ممتلكاته، ولكن هذا التصرف ((يقصد العقاب)) الضعيف من قبل الشعلان كان لا بد من أن يبرهن سريعاً على خرابهم. إن حمداً، مغذياً استياءه، بدلاً من الشعور بالتقدير لمعاملته اللينة، لم يضيع وقتاً في الإزعاج مرة أخرى بالتهرب من تنفيذ أمر النوري بنزع السلاح في سكاكا والجوف، وقد تم إدانته وشجبه بإخفاء مخزون كبير من الأسلحة والذخيرة تحت أرضية إقامته. طلب منه تسليم الأسلحة والامتثال للعقاب، لكنه رفع مستوى التمرد باسم ابن سعود العقيدة الوهابية، وأغلق على نفسه والتابعين المعتبرين له جدران بساتينه وقلعته في نهاية الطرف الغربي من واحة سكاكا. حصل هذا بالفعل قبل وصولنا كاف بعشرة أيام فقط، وسلطان، والذي احتل القرى الشرقية من الواحة، فهو في تطلع إلى محاصرة المتمردين حتى يتم الإخضاع والتسليم، بينما الجوف نفسها بقيت موالية، تحت حكم ـ عبد مملوك، هو دوجان» (فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٨٥، و248-247 :Philby, 1923).

ويواصل فلبي ملاحظته عن التمرد، مسترجعاً بعض التصورات السابقة لدخوله الجوف، وهو على بعد ٢٠ ميلاً من الجوف (دومة الجندل)، في ٢٠ ـ أيار/ مايو ـ ١٩٢٢م، محدداً بداية التمرد في نهاية نيسان/ أبريل ١٩٢٢م، فيقول: «... استيقظنا صباح يوم العشرين من شهر مايو مبكراً، للمسير إلى الجوف التي تبعد عنا ٢٠ ميلاً... كان تمرد ابن مويشير، قد بدأ قبل ثلاثة أسابيع، وأي شيء يمكن حصوله في الفترة الفاصلة، لذلك أخذنا احتياطنا بإرسال رسل خلال الليل لعسعسة الأرض. لقد قابلونا قبل عدة أميال من وصولنا الواحة ومعهم الأخبار بأن كل شيء كان ما زال جيداً، رغم أن المتمردين، اليائسين من الاحتفاظ بسكاكا لوقت غير محدود، كانوا قد أرسلوا وفداً لإبن سعود لطلب مساعدته» (فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٩٢ ـ ٤٩٣، و252 :Philby, 1923).

وفي الطريق إلى سكاكا، وبعد وصوله لها والتي مكث فيها حوالي عشرة أيام (من ٢٣ مايو وحتى ٢ يونيو ١٩٢٢م)، يسجل «فلبي» ملاحظاته وبعض من مشاهدته عن الحصار وحالات من القتال والصراع الأهلي، فيقول: «... في صباح اليوم الثالث والعشرين من مايو، بدأنا رحلتنا إلى سكاكا... كان من المفترض أن يكون مسارنا الطبيعي على امتداد السهل المؤدي إلى الواحة الصغيرة ـ الطوير، ومنها إلى الطرف الغربي لسكاكا، ولكن بما أن المناطق التي يسيطر عليها المتمردون تقع في هذا الجزء من الواحة، فضلنا أن نتوجه مباشرة إلى الطرف الشرقي عبر التلال الرملية... دخلنا الطرف الشرقي لسكاكا خلال نصف ساعة، واتجهنا بجمالنا إلى أمام الباب لمنزل عادي اتخذه سلطان وأتباعه المقربون لإدارة حصار المتمردين، أما القلعة في آخر الواحة فكان بها حامية من العبيد... عندما دخلنا القهوة، تعارفنا مع

سلطان، الذي هو مجرد طفل ربما يبلغ من العمر ١٤ سنة، ولكنه كان بوضوح قد أتقن دوره كحاكم وقائد للقوات... ولكن إدارة الحصار كانت مهزلة يرثى لها. كان عدد المحاصرين ٧٥ رجلاً كما أُخبرنا، بينما العدد الاجمالي لسكان سكاكا لا بد وأن يكون قريباً من الثمانية آلاف، ولكن سلطان لا يستطيع الاعتماد بشكل كامل إلا على الحامية الصغيرة من العبيد في الحصن، وعلى بعض المرتزقة، بينما بقية السكان كانوا يشكلون مصدر إزعاج وقلق دائم، وأنهم قد يغيّرون ولاءهم الاسمي لمصلحة تمرد فعال نشيط عند أول أشارة بوصول مساعدة للمتمردين من ابن سعود. وبانتظار وصول أخبار مؤكدة من نجد، فإنهم أبقوا على ولاء وحماس اسمي وشكلي لسلطان، والذي في المقابل أخذ بتوزيع بنادق وذخيرة عليهم، وهو بهذا إنما يلعب في النار، إذ إنها يمكن أن ترتد عليه في أية لحظة... كان الوقت لا زال رمضان، وبتفاهم ضمني تم حصر كل الأعمال القتالية إلى فترة الليل، حيث لا يميَّز فيه بين الصديق والعدو ولا يستطيعون رؤية بعضهم البعض. ومع ذلك تقع بعض الضحايا أحياناً، حيث خلال إقامتنا ربما قُتل اثنان أو ثلاثة، كلهم من بين المحاصرين. في كل مناسبة من تلك، يقوم الجيش الموالي لسلطان، من بضع ٢٠٠ إلى ٣٠٠ رجل، بالاستعراض أمام مقر سلطان لإبهاجه برقصة حرب ممزوجة بالألحان العسكرية بالضرب على عدد من الطبول، وفي حلقات متتالية وبتناغم معها يضرب الراقصون بأقدامهم، ويلوحون ببنادقهم المعبأة بالذخيرة الحية، ومسدساتهم وسيوفهم، ويطلقون النار، كلما تحركوا، بدون التفكير في الاتجاه وفي التكلفة ((المالية)). أثناء زيارتنا، كانت هذه الاستعراضات تجري مراراً، بالليل والنهار، وفيها ترفع رايات سكاكا جنباً إلى جنب رايات الوهابيين بدون تحيّز، وكان متوقعاً منا أن نحضرها وأن نستمتع بالضجيج... هذه الاستعراضات كان يمكن أن تكون مسلية، لو استخدمت الذخيرة الفارغة، ولكن إطلاق النار العشوائي للرصاص، وغالباً ما يكون على مسافة قريبة من أقدام المتفرجين، جعل هذه المشاهد خطيرة. ومن الأعاجيب بالنسبة لي عدم وقوع أية حادثة ((من هذا القبيل))... لقد رأينا سكاكا ورأينا ما فيه الكفاية منها بعد يومين... إن إقامتنا المفروضة في سكاكا استمرت من ٢٣ مايو وحتى ٢ يونيو ١٩٢٢م...» (فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٩٦ ـ ٤٩٧ و٤٩٩، و:Philby, 1923 253-254). (انتهى كلام فلبي).

وقبل أن ننتقل من رواية «فلبي» عن تمرد ١٩٢٢م في سكاكا، ونتجه للمرويات الشفهية، لا بد من توضيح بعض النقاط عن الرواية السابقة، ومنها ما يلي:

١ ـ يقرر «فلبي» أن استقرار الأوضاع مع سيطرة كاملة لِابن شعلان على الجوف بما فيها سكاكا كان منذ آب/ أغسطس وحتى ما قبل نهاية نيسان/ أبريل من العام ١٩٢٢م. ما يهمنا هنا هو الفترة التي تليها، حيث إن الأعمال الحربية والقتالية ذات الطبيعة الأهلية سوف تندلع في الغالب مع نهاية أبريل ١٩٢٢م وتستمر متقطعة على ما يبدو حتى صيف ١٩٢٢م، وهو ما يعني أنها اندلعت ما بين نهاية شعبان ١٣٤٠هـ وحتى أواخر شوال من العام نفسه، وهو ما يعني بدوره، أن معظم القتال في تلك الحرب إنما وقعت خلال رمضان من العام نفسه كما سيتبين لاحقاً.

٢ ـ خلط فلبي ما بين أحداث ١٩٢٢م من جهة، وما بين أحداث فترة أسابيع محدودة أعقبت قتل منصوب بن شعلان، «عامر المشورب»، في ١٨ ديسمبر ١٩١٨م من جهة أخرى. ولكي لا يلتبس

الأمر على الناس، أو القراء، فإننا نقول: في الأحداث التي أعقبت قتل عامر ١٩١٨م، فقد عادت قوات الشعلان، نواف ووالده إلى سكاكا، لفرض السيطرة والانتقام، وفي تلك الفترة، والتي كانت في حدود ٤ إلى ٥ أسابيع بعد قتل المنصوب، تم تدمير ليس فقط قصر المويشير، وإنما أيضاً قصر الحميمص إلى الجنوب من المويشير. وحدث هذا (تدمير القصور) بينما كان رجا وحمد وأفراد أسرتهما، في وقت ما بعد أن تركوا بيوتهم وأملاكهم خوفاً، ولعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم في وجه الشعلان، وذهبوا لاجئين عند راشد القايد مع نهاية ١٩١٨م، أو بداية ١٩١٩م، حيث قدم لهم الحماية، علماً أن خيارهم الأول كان اللجوء عند الضويحي، ولكن كان قد اعتذر عن استقبالهم عرفج (الضويحي)، ونصحهم باللجوء عند «بنيخيهم» ((أقربائهم، ويقصد راشد القايد وجماعته)).

وفي هذا الوقت أيضاً، وفي «ترضية للنوري و/أو تقرباً منه»، على ما يبدو، وطبقاً لقول أحمد قضيب الراشد (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش وحديث (١)، في ١٢/٧/٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، أو خوفاً «هو هالحين خايف» كما يقول خلف الشافي السويلم، فقد زوج رجاء بنته «نعمة» للنوري الشعلان، وهو لا زال لاجئاً عند راشد القايد (السويلم، خلف شافي، مقابلة (II)، في ٣١/٨/٢٠٠٢: ٧ من ١٥ ملخص)، والذي سيطلقها «بعد عشرة أيام» وفقاً لرواية أحمد القضيب (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش وحديث (١)، في ١٢/٧/٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، وفي قول آخر ثلاثة أيام (الفلاح، محمد السلطان، لقاء وحديث (١)، في ١٦ ـ ١٧/٦/٢٠٠٢: ٥ من ٩)، علماً أن راشد القايد رفض هو وقضيب الراشد تسليم كل من رجا وحمد للنوري، رغم تحذير النوري لـ «راشد القايد» من خواله المويشير، بالقول: «... ما هو شوري عليك والله غير يثورون عليك الحرب..» (الفلاّح، سليمان العودة، مقابلة في ٢٩ ـ ٣٠ آب/أغسطس ٢٠٠٢: ٦ من ٣٩).

إذن بعد زواج نعمة من النوري، أي في أواخر أيام ١٩١٨م، أو في الغالب في أوائل ١٩١٩م، سمح الشعلان (النوري) للمويشير (رجا وحمد) بالعودة لأملاكهم وبناء ما هُدم منها. ((في تفصيلات هذه المواضيع انظر مناقشة الأمر في مكان آخر من الدراسة)).

٣ ـ لاحظ ما يقوله الرحالة «فلبي» عن القتلى بين الطرفين، وأنهم فقط من المحاصرين، وهذا غير صحيح، إذ إن الروايات المحلية من شهود على الحرب تتكلم عن ما بين سبعة قتلى إلى ثمانية ومن الطرفين، بل إن أربعة منهم هم من غير المحاصرين ((انظر، أدناه، المرويات الشفهية عن الحرب))، ويدل على إما أن الحرب استمرت بعد مغادرة فلبي ونتج عنها قتلى إضافيين، أو أن هناك قتلى أثناء وصوله و/أو قبل وصوله، ولكنه لا يعلم عنهم شيئاً، وفي كل الأحوال يدل الأمر على أن ليس كل ما يقوله الرحالة صحيحاً.

٤ ـ يقول «فلبي» إنه رفع التمرد باسم ابن سعود والعقيدة الوهابية، ولكن «هو نفسه» أي فلبي، أيضاً يقول إن الطرف الآخر يرفع الرايات لسكاكا جنباً إلى جنب رايات الوهابيين، فإذن الأمر ليس حكراً على طرف. فوق هذا وذاك فإن الوفد الذي أرسل للملك عبد العزيز لضم الجوف لحكمه، تم التوافق عليه من غالبية زعامات أهالي وجماعات الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، وأرسل بإسم الجوف ككل وممثلاً لها، ولم يكن أبداً يمثل فئة بعينها، فما بالك أن يمثل فرداً بعينه!

٥ ـ «حمد المويشير»، الذي يتكلم عنه فلبي وأنه على حد قوله رفع من مستوى التمرد، لم يكن في ذلك الحين موجوداً في سكاكا، حيث هو واحد من أعضاء الوفد الذين توافق أهل الجوف على إرسالهم للملك عبد العزيز. في هذا الوقت، كان كل أعضاء الوفد، بمن فيهم، حمد المويشير، مقبوضاً عليهم في سجن ابن رشيد بحائل. فوق هذا وذاك فإن من قُتل من طرف «المحاصرين أو المتمردين»، كما يسميهم فلبي، هم اثنان أو ثلاثة، ولكن إذا تفحصنا هوية المقتولين من خلال الروايات الشفهية والتي سنأتي عليها، نجد أنهم: ١ ـ غثوان الكبيدان، وهذا من الكبيدان وشيخهم، وفي منطقة التماس، وقتله، طبقاً للروايات ذاتها، رجا الوارد من جماعة راشد القايد، لأن «غثوان» رفض مناصرة ومشاركة القرشة (العلي ـ البليهد، والمطر) في القتال إلى جانب جماعة راشد القايد، باعتبارها حرباً بين المعاقلة أنفسهم؛ ٢ ـ عبد الله ولد مفلح الفلاح من الدغيفق؛ ٣ ـ مفضي البيالي (البياليه ـ سراحين). من هنا نلاحظ أن لا أحد من «المويشير ولا من جماعتهم المباشرين من رواشدة أهل الحزوم، (الرواشد ـ الجنوبيين ـ المحوَس) قُتل في ما أطلق عليه فلبي «التمرد»!، فضلاً عن أنه في المقابل، وفيما ورد من روايات، فإن من قام بقتل أو اتهم بأنه قام بقتل بعض أفراد جماعة المعاقلة الشماليين (راشد القايد وحلفائه)، من طرف أفراد ما أسماهم فلبي بـ: «المتمردين»، وهم أهل الحزوم، هم من خارج المويشير والراوشدة الجنوبيين، وهو ما يعني أن عبء تلك الحرب والقتال الفعلي، سواء اعتبر ضد ابن شعلان أم ضد راشد القايد والمعاقلة الشماليين، إنما قام بها أفراد وجماعات جنوب غرب المعاقلة، وبالذات من البيالية والطالب والورادا والهذيل والدغيفق، فضلاً عن الكبيدان، وهم جميعاً في حقيقة الأمر من خارج المويشير، علماً أنه في هذا الوقت وفي ظل غياب «حمد»، مقبوضاً عليه في حائل، بقي من العائلة فرد وحيد فقط، هو رجا، والذي يبدو أنه هو من قفل على نفسه الأبواب وليس «حمد» كما يقول عنه فلبي. في السياق نفسه وعلى غاية من الأهمية، لم يسجل فلبي ولم يرد في المرويات الشفهية المحلية، أن أحداً من القوات المباشرة تحت إمرة سلطان الشعلان، والتي كان يقدرها فلبي ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ عنصر من العبيد والمرتزقة، قد شارك في تلك الحرب، بل أن لا أحد منهم ذكر على أنه قُتل، فكيف نتكلم عن تمرد! ثم فلبي نفسه يقول إنه أغلق على نفسه «... جدران بساتينه وقلعته في نهاية الطرف الغربي من واحة سكاكا...»، فكيف بواحد يقول عنه إنه يرفع من مستوى «تمرد»، بينما هو في واقع الأمر لوحده مُغلِق على نفسه الأبواب. ما هو معروف أو متعارف عليه عن التمرد أو المتمردين، أياً يكن، ومن يريد أن يرفع من مستوى تمرد ما، هو أن يقوم أو يقوموا بهجوم وعمليات قتالية ضد الخصم، وغالباً الاستيلاء على السلطة و/ أو مقراتها، لا أن يطلق أو يطلقوا النار من وراء الأسوار والجدران. لذلك فهذا مع ما تقدم وما يلي من التباسات عند فلبي يدل على اضطراب، وعدم دقة في معلومات ورواية فلبي عن القتال وأطرافه المحليين.

٦ ـ الاستعراضات العسكرية ورقصات الحرب التي تكلم عنها فلبي، هي كما يقول تحدث شبه ليل نهار، ولكن ما شاهده فلبي منها، هو ما يحدث منها فقط وفقط أمام مقر إقامة سلطان الشعلان في شرق سكاكا (يبدو مقره أقرب إلى قرية اللقائط آنذاك)، وأما الاستعراضات العسكرية والرقصات الحربية الموازية في غرب شمال سكاكا، فكانت تجري في المعاقلة، والحرب والقتال كان يجري بين أطراف شمالها وجنوبها (شمال وجنوب سيل الغدير أو الهذال حالياً) وهذه وتلك لم يكن فلبي شاهداً عليها،

علماً أن «فلبي» يقر بذلك حيث لم يستطع الاقتراب من المنطقة الأكثر هدوءاً في سكاكا، وهي شمال وشمال غرب سكاكا، رغم بعدها عن منطقة تماس العمليات القتالية التي كانت تجري في وبين المعاقلة، فقد حاول استكشاف قلعة «زعبل»، ولكنه من تل على مسافة بعيدة عنها، أجبر على التراجع نتيجة إطلاق النار عليه (فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٩٨ ـ ٤٩٩، و255 :Philby, 1923).

٧ ـ يشير فلبي إلى أن بعض فصول القتال كان يجري في رمضان (يبدو أن هذا رمضان من عام ١٣٤٠هـ، حيث إن سقوط حائل كان في ٢٩ من صفر ١٣٤٠هـ الموافق ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٢١م، علماً أن القتال في الجوف الذي نتكلم عنه كان قبل سقوط حائل بعدد من الأشهر)، وهو يقول إن القتال تم حصره، بتوافق ضمني بين المتقاتلين، في أوقات الليل حيث لا يعرف الصديق من العدو. ولكن حقيقة الأمر تبدو غير مرتبطة بعلاقة النهار والليل ومسألة الفروقات في القدرة على التمييز فيهما بين الصديق والعدو، وإنما مرتبطة بدرجة أكبر بكون الناس في رمضان، وبالتالي التوقف عن القتال نهاراً، لما يعتقده الناس الصائمون من قدسية الصيام وبالتالي فظاعة القتل أثناء الصيام، وهو ما يحدث نهاراً، ولذلك كان القتال ينفلت على ما يبدو ليلاً.

٨ ـ بالنسبة لطلب سلطان الشعلان نزع السلاح من أهالي الجوف وسكاكا عند عودته، فالأمر كان ليس فقط في سياق يهدف إلى محاولة فرض الهيمنة والسيطرة كما يذهب إلى ذلك فلبي، وإنما أيضاً وبدرجة أكبر في سياق يتعلق بسلاح الشعلان أنفسهم المستولى عليه، الذي كان مخزَّناً بقصر الحكم، والذي في وقت مقتل منصوب الشعلان (عامر المشورب) كان لا زال لم يسكن بعد، حيث القصر كان هو في الأطوار النهائية من الاكتمال. عندما قُتل عامر المشورب اتفق من قاموا على القيام عليه بالمحافظة على السلاح داخل القصر، وعمل حراسة عليه وكان للطالب (الرشيد وبعض من المرشد) دور أساسي في الحراسة، وهو، أي الدور للطالب، مما تجاهله السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه. بعيد عودة نوري الشعلان (العودة الأولى للشعلان وليس هذه الأخيرة) مباشرة بعد مقتل منصوبهم عامر المشورب لم يجد السلاح، حيث كان السلاح قد سحب ودفن في مكان ما من الحوَط (بساتين النخيل)، ولكن الشعلان وصلتهم معلومات أن السلاح نقل ودفن في حوطة المويشير، ولذلك وجه الاتهام إليهم بالاستيلاء على السلاح وإخفائه آنذاك. من هنا كانت المطالبة الأخيرة (عند القدوم الأخير بتسليم السلاح، لأنه آنذاك وفي المرة الأولى تم التفتيش على الحوطة، على عجل، فلم يكتشف السلاح، ولأن رجا، وهو عند راشد القايد، قبل بتزويج بنته «نعمة» للنوري، في ترضية و/ أو تقرُّباً من النوري كما يقول أحمد قضيب الراشد في روايته، مما أفضى إلى ترضية النوري، فتراخى الشعلان آنذاك في متابعة الامر. وسنورد تالياً روايات محلية عن قضية السلاح والاستيلاء عليه، والتفتيش عنه، وتداعياته حتى ما بعد وصول حسين العساف أميراً للجوف من قبل الملك عبد العزيز. عوداً على النقطة، كنا قد ذهبنا إلى القول إن النوري الشعلان وعندما وصل الجوف، مباشرة بعد مقتل منصوبه في سكاكا، بحث عن السلاح، فلم يجده، فأُخبر أنه مدفون في حوطة المويشير، فأرسل ابن شعلان «فهد الهذيل»، وهو خوي عنده، ومعه بعض رجال ابن شعلان، إلى حوطة المويشير، وطبقاً لرواية سليمان العودة، كان المويشير: «... حافرين لهم حفرة وحاطين السلاح بها... وقام يحفر بها فهد الهذيل... قالت جوزاء: يا ابن هذيل ما بقى غير

«بعوري» تحرثهم... اللي يبي يتكلم كف ((عن الحفر))... ويوم راح له زيد الراشد، قال والله ما بقى غير حوالي ذراعين دون السلاح...»، ويوم راح وسافر النوري وترك حفيده سلطان «قال عاد...السلاح اللي بالبويضوات والهجاري حقات النخل، يقوله رجا... قال أطلعوه كله ولا تخلونه به... أطلعوه كله ودسوه...»، وكان راشد القايد قد نصح خواله المويشير بالاحتفاظ بالسلاح عندما وجه الكلام إلى رجا قائلاً: «... يا خالي هذا حكم ما أقدر أواجهه... عندكم سبع صناديق فشق عصملي (بنادق)... وسبع بواريد لا تسلمون أنفسكم... يحلها الله من جاي لجاي... » (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٦ ـ ٧ من ٣٩). كان هذا جزءاً من دور أساسي لـ «راشد القايد» تجاهله السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه، وهو ما سوف نفصل فيه وعنه في مكان آخر من هذه الدراسة.

ما يهم الآن، هو الإشارة إلى أن هذا السلاح، عند ما عاد الشعلان في المرة الأخيرة والنهائية طالبوا بنزع السلاح من جميع أهالي سكاكا بمن فيهم المويشير لعلمهم بما أخفوه من سلاح سابق، ولكن اندلاع القتال والحرب الأهلية في المعاقلة وبين الراشد المويشير تحديداً، قد حال دون ذلك. نهاية قصة هذا السلاح، والتي لم تنتهِ على ما يبدو، يروي بعض فصولها أبو عبد الله/ عبد المحسن عبد الكريم الدوش، والتي سردها عليَّ وعلى آخرين، من بينهم سلامة الوقيد، وناصر العاصي، في ٢٥ آب/ أغسطس من عام ٢٠٠٢م، في منزل ثامر عودة محيسن الكريع وبحضور عدد من أخوته، فضلاً عن من ذكرنا آنفاً، وأنا الباحث هنا ألخص كلامه على الجملة، بالقول: «إنه بعد قدوم عساف الحسين إلى الجوف أميراً لها من قبل الملك عبد العزيز، وبعد أن استقر مؤقتاً في سكاكا، انتقل بعدها إلى دومة الجندل حيث مقر الحكم هناك، وأضاف أبو عبد الله قائلاً، إن رجا المويشير ذهب للجوف (دومة الجندل) عند عساف الحسين، وقدم له شكوى ضد كل من عبد الكريم الدوش (والد أبو عبد الله) وسمحان الحيزان، متهماً إياهما بأن الأسلحة والذخيرة التي كانت في قصر الحكم (الشعلان) في سكاكا في وقت ذبحة منصوب الشعلان «عامر» هي عندهما، وأنهما من أخذها وأخفاها!!!، وقال أبوعبد الله، إن عساف الحسين، بناء على تلك الوشاية والشكوى، استدعى كلاً من والده، عبد الكريم الدوش، وسمحان الحيزان، وعندما دخلا عليه كان عنده شخص من الرحيبيين من أهل دومة، يقال له راشد، وكانت ميوله في السابق مع الرشيد. وأضاف أبو عبد الله، أنه بعد دخول كل من سمحان الحيزان وعبد الكريم الدوش عند عساف الحسين بدأ الأخير بالكلام، بتذكيرهما محذراً، ومتحدثاً مع عبد الكريم الدوش، بأنه لا يخفى عليه شيء لا في سكاكا ولا في دومة الجندل، وأن كل المعلومات تصله، وذكرهما بمسألة السلاح والذخيرة وعلاقتهم بابن شعلان. وقال أبو عبد الله، إن والده (عبد الكريم الدوش) على صغر سنه، رد على عساف الحسين وقال: إنه عندما كان ابن شعلان هنا حاكماً فإننا كنا على علاقة وعهد معه، ولم نخنه، وأما الآن فإننا في ظل حكم ابن سعود، فتدخل راشد الرحيبيين، وقال لـ: عساف الحسين، «هذولا يومون لِابن شعلان»! فرد عليه، عبد الكريم الدوش وأعاد ما قاله لـ: عساف الحسين، وأضاف أنه لولا أننا في ضيافة ومقر عساف الحسين ما جلسنا معك ((يقصد راشد الرحيبيين)). وقال أبو عبد الله، إنه وفي أثناء ذلك النقاش (وهو ما يشبه الاستجواب من قبل عساف الحسين)، دخل عناد القاضب، وعند دخوله اتجه للجلوس باتجاه مكان عبد الكريم الدوش وسمحان الحيزان، فقال راشد الرحيبيين معلقاً ومنبهاً عساف الحسين، وبصوت مسموع، عندما قال عساف الحسين مخاطباً عناد «اقلط هنا»، قال راشد الرحيبيين، «هذا راح

لربعه (يعني الدوش والحيزان)، وكلهم يومون لِإبن شعلان»، فرد عليه عناد القاضب وقال: «فكنا من شرك، فكنا من شرك...، والله لولانا عند عساف الحسين ما جلسنا معك». وقال أبو عبد الله إن عساف الحسين أعاد القصة والموضوع الذي أثاره مع والده (عبد الكريم الدوش)، وإن عناد القاضب رد عليه بما يشبه رد الدوش عليه. وقال أبو عبد الله، إنه وبعد تلك الجلسة، وشبه التحقيق، تركنا (سمح لنا) عساف الحسين بالعودة إلى بيوتنا وسكاكا، وبعد يومين وصل عسكر لـ «عساف الحسين»، وفتشوا بيوتنا وبيوت الحيزان، وما لقوا إلا سلاحنا الشخصي، وأخذوه، وهو كما يقول ما يسوى أصلاً شيئاً، ومؤكداً أن لا علاقة لهم بسلاح ابن شعلان وليس لديهم منه ما زعم به رجا وأوشى به ضدنا» (الدوش، أبو عبد الله، وعبد المحسن عبد الكريم، حديث ونقاش، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٦).

٩ ـ ملاحظة أخيرة؛ يتكلم «فلبي» عن «تمرد» ضد الشعلان، لكننا، ورغم اختلافنا مع هذا التوصيف وعدم قبوله والاعتراض عليه، وكما أشرنا سابقاً في أكثر من موضع، فإننا نقول حتى لو قبلنا جدلاً ومؤقتاً بهذا القول، فإن الأمر الأكثر أهمية، وهو ما يعنينا في هذه الدراسة، هو أن هذا «التمرد»، إن صح وجاز الأمر بقبوله على أنه كذلك، وهو ما لا نذهب إليه، فقد تحول إلى حالة حرب أهلية أطرافها من أهالي سكاكا، وبشكل مكثف من المعاقلة. أما عن جذور هذا الصراع الأهلي وهذه الحالة من الحرب الأهلية، وأهميتها في موضوع الصراع الأهلي الكلي بالجوف لارتباطه بالتفسير الكلي أيضاً، وهو ما نقدمه في مكان وفصل آخر من الدراسة، فهي متأصلة ومتغلغلة في بنية العلاقة الممتدة بين الراشد والمويشير، منذ وفاة «فلاح الشردان» فصاعداً، ومتصلة بمسألة التنافس حول المكانة والمشيخة (مشيخة الراشد).

من هنا وبناء على تلك الالتباسات وعدم الدقة في رواية «فلبي»، وفي توصيف الواقعة، بالقول عنها إنها «تمرد»، وهي، أي الواقعة، في جوهرها خلاف ذلك. إن الأمر، وبغض النظر عن التسمية، يشير إلى حرب أهلية وقعت رحاها في المعاقلة، وجذورها صراع في بنية العلاقة بين الراشد ـ المويشير، وهذا ما تؤكده الروايات الشفهية المحلية التالية.

ب ـ في المرويات المحلية الشفهية

تذهب روايات متعددة، ولكنها متشابهة إلى حد، كبير، ومنها رواية أحمد قضيب الراشد، ورواية سعد الطارف، وكذلك رواية سليمان العودة، وتفريعات من تلك الروايات إلى القول، إنه عندما دخل الشعلان الجوف في المرة الأخيرة (١٩٢١م)، انقسم الناس بسكاكا، وبالذات في المعاقلة بين من يريد ويقف مع سلطان الشعلان وحكمه بالجوف وبين آخرين ضده، وأن الأمور تفاقمت بهذا الانقسام وتحالفاته إلى أوضاع اندلع فيها الحرب والقتال، حرب المعاقلة، بين الطرفين.

في رواية أحمد قضيب الراشد (أبو مشعل) عن حرب المعاقلة ـ المعاقلة، قال، في حديثين ولقاءين تمّا معه في صيف ٢٠٠٢م إن تلك الحرب «وقعت حقيقة بين الراشد والمويشير» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش وحديث (١)، في: ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، وأنه بعد قدوم سلطان الشعلان للجوف وسكاكا «... قام هو ومجموعة من السوق في وسط الديرة، واتجهوا إلى مناطق الراشد وكذلك إلى جهة الحيزان يرقصون ويلعبون ويطلقون النار...» وأضاف أبو مشعل، عن نفسه، قائلاً «...

إنني أنا كنت أمشي معهم ونلقط الفشق...» ـ ((يقصد العبوات الفارغة للطلقات)) ـ «... وبعد أن قامت بعض العرضات في عدد من المناخات، قام على ما يقولون عتيق (...) وقد رأى تلك الرقصات، وراح عند رجا، وأبلغه إن راشد القايد وجماعته يريدون يذبحونكم، وقام رجاء وجماعته من السمرين والحزوم وبدأوا يستعدون للمواجهة، وراح عتيق عند راشد القايد وقال لهم نفس الشيء ((أي أن رجا وجماعته يريدون يذبحونكم)) وبدا إطلاق النيران، فصارت المعركة والقتال واستمر إلى حوالي ثلاثة أيام، قتل فيها حوالي سبعة أشخاص، منهم رجا الوارد، وصلال،... وآخرين» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦)، وأيضاً ذكر أحمد القضيب في اللقاء الأول أن «معتق (ابو مطلق)» قتل فيها (الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (١)، في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، رغم أن لا سعد الطارف ولا الرواة الآخرين ذكروا أن «معتق أبو مطلق» قتل في هذه الحرب، كما سيتبين لاحقاً.

جوهر رواية «**أحمد قضيب الراشد**» يؤكدها «**سعد الطارف**» في روايته عن الحرب، وكنت قد سمعتها منه في صيف ١٩٨٩م، وفيها بعض التفصيل. مع قدوم سلطان الشعلان للجوف واحتلالها، فقد أصبح الوضع في سكاكا على نحو مستقطب، حيث يصفه سعد الطارف، فيقول:

«ناس مع سلطان ابن شعلان... وناس ضد سلطان الشعلان»، وقاموا «الراشد (١)، والحيزان، والنصير والجحيش والكريِّع...»، ولأنهم «يريدونه... جابو سلطان الشعلان... عندهم، وصار معهم الشلهوب، والمطر، وصاروا معهم قرشة... ايه يبغون الشعلان... حكموا سلطان...»، ويضيف سعد الطارف، مشيراً إلى اندلاع الحرب والقتال، أنه «يوم الكون... يوم قدوم سلطان الشعلان،... سليم القنيفذ، وملاقي (٢)، وعودة الفلّاح، وربيع الدحيّل (!؟)، ذهبوا للراشد..»، وعندما «... وصارت عاد الأمور (٣)، الدغيفق واهل الحزوم (٤)، صار صايحهم مع بعضهم... والكبيدان (٥) مع أهل الحزوم...» (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١١ من ١٦).

هناك ملاحظات على ما تقدم من رواية كل من أحمد قضيب الراشد، وسعد الطارف عن حرب المعاقلة ـ المعاقلة، أو ما عرفت بـ «حرب الراشد ـ المويشير»، ما يلي:

أولاً: إن معظم أهالي سكاكا كانت، في هذه الفترة وفي هذه الواقعة، مع سلطان الشعلان. وفي المعاقلة، الأغلبية الساحقة، كانت مع ابن شعلان. الاستثناء، هو ما يخص الدغيفق والمويشير وحلفاءهم من جنوب وغرب سيل الغدير (شارع الهذيل حالياً)، ومعهم الكبيدان، علماً أن بعض العناصر من الكبيدان، ومنهم مسعد الناهض، طبقاً لرواية سليمان العودة الفلاح (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٣ من ٣٩) مع حلف الراشد ـ القايد والآخرين حول ابن شعلان. وهذا يعني أن الحرب (حرب المعاقلة ـ المعاقلة)، وهي ما تعرف بـ « حرب الراشد ـ المويشير»، اندلعت بين الطرفين.

ثانياً: إن الحرب، كما يقول أحمد قضيب الراشد، هي أصلاً بين الراشد والمويشير، وهي ما يؤكدها خلف بن شافي السويلم، عندما يقول «راشد القايد يريد القول معه، وخواله المويشير يقولون الشداد معنا: كل يريد الأمر معه» (السويلم، خلف شافي، مقابلة (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٧ من ١٥، ملخص).

عندما وقعت الحرب، دخل «الدغيفق» فيها، للدفاع عن أنفسهم أولاً، وثانياً كجماعة متوازنة وكقوة موازنة بين القوى المحيطة في سياق تاريخي لهم وخاصة بين الراشد والمويشير. أما في ما يتعلق أولاً، من حيث دخول الدغيفق في الحرب دفاعاً عن أنفسهم فالأمر مرتبط، بالموقف من الدغيفق وبموقعهم. فمن حيث الموقف، فالأمر متعلق بكون الشعلان بعد القيام على منصوبهم وقتله في نهاية ١٩١٨م، لم يعودوا ينظرون للدغيفق والفالح على أنهم في خانة الحلفاء. ومن حيث الموقع فإن «الدغيفق» وأقسام بيوتهم، ومجمل أملاكهم (أراضيهم، وحوَطهم «مزارعهم») تحيط بالركن الجنوبي الغربي من المعاقلة من جهته الشمالية الغربية (العويقيل)، وبشكل أكبر من جهته الشرقية (بعض من الثاري والغدير)، والجنوبية الشرقية (بعض من الثاري، والمثري والفالح)، وقد شكلت على هذا النحو سلسلة ودرعاً حامياً للأحياء الأخرى الداخلية من هذا الركن، بمن فيهم حي المويشير، والمحمي أيضاً من الشمال والشمال الغربي بعدد من الأحياء، ومنها السمارة والإبراهيم والورادا وجزء من الهذيل، والبيالية، ومن الشرق بالطالب (الرشيد)، ومن الجنوب الشرقي الزايد البنيه (من الكبيدان) ومن شرق والجنوب الشرقي للأخيرين بعض من السليمان (الشرعان والقويعان، والمهنا وراشد الفلاح) فضلاً عن بعض من الهذيل (اليونس والطايف). في المقابل، وعلى الطرف الآخر، يبدو أن الأمر ينطبق على الكبيدان، فقد فرضت عليهم الحرب، إذ هم من يحد الراشد من الغرب والجنوب في تقابل تقريبي مع أحياء الدغيفق.

وأما في ما يتعلق بالأمر الثاني، من حيث هم، أي الدغيفق كقوة متوازنة وموازنة بين القوى، وبالذات بين الراشد والمويشير، فالأمر يعود إلى قوتهم، وإلى علاقاتهم المتوازنة مع الآخرين. وفي ما يتعلق بعلاقات الدغيفق المتشعبة والمتداخلة والمتوازنة مع الآخرين من الجماعات الصغرى في الجوف، وتحديداً في سكاكا، نشير إلى أن للدغيفق (بيوت وعائلات)، في تلك الفترة (١٩٢٢م وما قبلها) مصاهرات وزواجات مع الراشد (راشد القايد وقضيب القايد الراشد، والسعدون «الرشيد الكحيل») والجحيش (الحموان) والشلهوب، الشايع والمظهور والدغمان ـ الصالح الشلهوب ـ ومن المنديل (العيشان ـ الشلهوب) والمطر، والنصير (الصحن والهديان والسويلم)، والورادا، والطالب، والحمير، والبياليه، والهذيل، واللحيد (الضويحي)، والضبعان (العلي)، فضلاً عن ما لهم من تدخلات مع بيوت وعائلات أبناء عمومتهم من الكبيدان والسليمان، وفضلاً عما لهم من تكثف من مصاهرات وزواجات في الأجيال التالية، والتي، وإن كانت لا علاقة لها بأحداث هذه الفترة تحت النقاش، إلا أن تواصلها اللاحق والمستمر حتى وقتنا الحاضر، يشير إلى جذورها وتشعبها في ما مضى، ويدلل بشكل كبير على انفتاح الدغيفق مع وعلى الآخرين. طبعاً الأمر في التقاطعات بين بعض الجماعات في الجوف عموماً، ليس محصوراً في الدغيفق والفالح منهم ولا حكراً عليهم، ولكن الفرق ربما يتعلق بالدرجة والمدى والنطاق في مستوى الانفتاح منهم على الآخرين بما هو أمر نسبي. ومع ذلك فإن الشلهوب، وبالمقارنة، كجماعة ذات تداخلات زواجات متعددة مع الآخرين، تبدو أكثر المجموعات، في سكاكا، انفتاحاً على الآخرين واستقبالاً لهم (أي مرونة الشلهوب للآخرين من خارجهم وقبولهم الزواج من بناتهم).

وفي ما يتعلق بـ «الدغيفق» كقوة فإنها لم تكن خافية على أحد، وخاصة من جماعات سكاكا، وزعاماتها، في تلك المرحلة، حيث ساهموا بفعالية عالية في معظم الأحداث (الحرب والسلام) في

سكاكا تحديداً، وخاصة في الفترة منذ ١٨٩٠ وحتى ١٩٢٢م، علماً أنهم (أي الدغيفق كجماعة وليس كأفراد، لأن الأفراد الخيرين والأشرار يوجدون في كل جماعة وأمة وملة) لم ينشئوا حرباً، ولم يكونوا هم سبباً في إشعالها، ولم يغدروا بجماعة، أو يتأمروا عليها أبداً. وأما عنهم كقوة وقوة موازنة، وخاصة في سياق ما تقدم، وفي ما يشبه التفاهم والتوافق بأن يقوم الدغيفق بالدور في حالة حدوث الخلاف، وخاصة فيما بين الراشد والمويشير، فضلاً عن أن أحياءهم تمثل منطقة عازلة بين الطرفين وبين أطراف أخرى، فإنه فضلاً عن ما نحن بصدده من حرب (الراشد ـ المويشير)، نشير إلى تفاهمات تاريخية عن فكرة القوة الموازنة والدور التاريخي للدغيفق والمتفاهم والمتوافق عليه. عن ذلك نحيل إلى حديث أحمد قضيب الراشد، نقلاً عن والده، في اللقاء والحديث الأول معه في ١٢ ـ تموز/ يوليو ـ ٢٠٠٢م، عن واقعة متعلقة بالأمر، ويبدو أنها وقعت في وقت ما من آخر فترة من حكم الرشيد للجوف (ما بين أواخر ١٩١٩ وقبل صيف ١٩٢١م)، وأنا الباحث أضعه هنا على الجملة، بالقول: «... أنه في أثناء حكم الرشيد، ومنصوبهم، ابن مجراد، فقد تم اعتقال راشد القايد، بناء على شكوى من رجا المويشير... ((يبدو أن الشكوى متعلقة بخلاف على إرث وتركة، تعود في ما يبدو إلى محمد الرشيد السعدون))... وبصلة نسائية به...» وقال أحمد القضيب، أنه ونقلاً عن والده وهو يروي هذه القصة؛ «... إن رجاجيل ابن مجراد وتو ((أتوا)) وقبضوا على راشد القايد، فلما عرف قضيب القايد، لحق بهم عند ديرة الواكد حالياً، وأوقفهم، فقال له راشد «اذبح الرجال»، فلما هددهم قضيب أطلقوا سراحه، وذهب رجاجيل ابن مجراد إليه، وأخبروه بالأمر، فأرسل مجموعة من الرجال ((يقصد قوة أكبر))، إلى الراشد فقامت باعتقال راشد وقضيب وعدد من الراشد، وأحضروهم، وهم مربوطين الرؤوس، وأدخلوهم السجن (ووضعهم بالخشبة ـ أي القيد من الخشب). في نفس الوقت كان «الفالح ـ الدغيفق»، ومنهم محسن الفالح هناك، ((أو أنهم عندما سمعوا بسجن راشد القايد وجماعته ذهبوا هناك عند ابن مجراد)) والذي سأل عن سبب إحضار وسجن راشد القايد وعدد من جماعته، فأخبره ابن مجراد، فرد عليه محسن الفالح وقال له اسمع يا ابن مجراد؛ «هذولا ((يعني راشد القايد وجماعته)) لولا ما بينا يا «الفالح والدغيفق» وبين الراشد وبين المويشير من عهد واتفاق بأننا نقف مع الجهة المعتدى عليها «ما جوك إلا بخشوم البنادق». ويضيف أبو مشعل/ أحمد قضيب الراشد، أن ابن مجراد، وعندما سمع كلام محسن الفالح، اتصل على رجا أو تشاور معه، فوافق ابن مجراد لاحقاً على إخراج راشد وجماعته من السجن، ولكن بشرط، أن يقوم راشد القايد بالاستسماح من رجا (وهو خال راشد)، ولكن راشد القايد وجماعته رفضوا، ولما أصروا على ذلك، ومع موقف الفالح، بأنهم لن يتركوا راشد وجماعته، أطلق ابن مجراد سراحهم» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (I)، في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٤).

ثالثاً: في ما يتعلق بالأرقام قرينة بعض فقرات رواية سعد الطارف، فهي تحيل إلى توضيحات هي:

١ ـ يقصد بـ «الراشد: أي؛ الراشد ـ الشماليين ـ تحت مشيخة راشد القايد.

٢ ـ يقصد بـ «ملاقي»: على ما يبدو؛ ملاقي العايف المثري (الدغيفق).

٣ ـ يقصد بـ «وصارت عاد الأمور»: أي، اندلع القتال والحرب.

٤ ـ يقصد بـ «أهل الحزوم»: المويشير والمحوَس (الرواشدة الجنوبيين) والهذيل والبيالية والورادا. علماً أن واحداً من الهذيل ويدعى فهد الهذيل، كما يقول سليمان العودة (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ ـ ٧ من ٣٩) كان خوي مع ابن شعلان.

٥ ـ من الكبيدان مع حلف الراشد ـ الشعلان، فضلاً عن من ذكر في الرواية (أي عودة الفلاح) كان على ما يبدو، مسعد الناهض، كما أشرنا آنفاً، وكما سنرى في بعض روايات إضافية من آخرين، من الكبيدان، متوازية مع رواية سعد الطارف.

وعن خسائر الحرب بين الطرفين، يذكر سعد الطارف أن سبعة أشخاص قتلوا من الطرفين في هذه الحرب، وهم على النحو التالي: من مجموعة جنوب وغرب المعاقلة (الدغيفق والمويشير وحلفائهم من أهل الحزوم)، يقول سعد الطارف، مشيراً إلى أن الكبيدان من هذا الحلف:

«ذبح مننا: غثوان الكبيدان، ومفضي البيالي، وعبد الله ولد مفلح أخو سميحة، هؤلاء مننا...، ومن حلف أو مجموعة شمال المعاقلة (أي الراشد ـ القايد وحلفاء الشعلان)... ذبح منهم: رجا الوارد، وصلال، وراع الطمشاء، وولد عبيكة » (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١١ من ١٦)، علماً أن أحمد قضيب الراشد، أورد في روايته اسماً لشخص ثامن قتل في تلك الحرب، اسمه «معتق» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (I)، في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، و«معتق» هذا هو، على ما يبدو؛ أبو مطلق ومتعب «المعتق».

وفي هذا السياق فلا بد من توضيح، أقله لمن لا يعرف، أن رجاء الوارد، والذي انقطعت داره، وصلال هم من (الراشد الشماليين)، وأن راع الطمشاء، هو حامد عيد الكريِّع (من الكريِّع)، وعبد الله مفلح من (الدغيفق)، ولد عبيكة من (النصير)، ومعتق أبو مطلق هو من (العبد)، ومفضي البيالي من البيالية، علماً أن غثوان الكبيدان هو عمدة وشيخ الكبيدان.

في معرض أقواله وروايته عن الحرب، يذكر سليمان العودة الفلاح (من الكبيدان) بعض الأحداث، وبعد أن يشيرا إلى بعضها، ومنها ما تعلق بقتل وقتيل بين المعاقلة ومن قتل من(؟)، يشير إلى نمط وطبيعة التحالفات بين أفراد ومجموعات المعاقلة في تلك الحرب. من ذلك يشير إلى أن بعض الكبيدان تحالفوا مع راشد القايد وضد الآخرين بما فيهم من أقربائهم من الكبيدان الذين تحالفوا مع حلف غرب وجنوب سيل الغديّر (الهذال). في هذا السياق، يشير سليمان العودة إلى دور لـ «مسعد الناهض» في الحرب وتحالفه مع راشد القايد، بالقول:... لا والله... لا والله كل يريد الدعوى له... مسعد الناهض لابس محزم ومجند، وينتخي... ((طالباً النخوة)).... على قرايبه... سعد ومفلح... سعد عنده حمد الرضي، وأحمد العايد عند مفلح... أمرحوا ((ناموا))... ليلتين... ذالين عليهم،... على سعد ومفلح...، من الراشد..» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٣ من ٣٩).

ورغم أن سليمان العودة الفلاح ينهي كلامه بالقول: «بس مسعد مع الراشد...» وإلا فكل الكبيدان في تلك الحرب مع أهل الجزوم، فإن هذا ليس دقيقاً إذا ما قارناه بأقوال ورواية سعد الطارف، آنفة الذكر، حيث يقول إن عودة الفلّاح، وهو والد سليمان العودة نفسه، عندما اندلع القتال ذهب رفقة مجموعة إلى

راشد القايد وجماعته ومناصرتهم للقتال ضد الآخرين (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١١ من ١٦).

إضافة إلى ما تقدم من الأشخاص ضحايا تلك الحرب من هذا الحلف أو ذاك، هناك أشخاص وأفراد آخرون شاركوا في تلك العمليات القتالية في حرب المعاقلة أو حرب الراشد ـ المويشير، وخاصة في صفوف وضمن الجماعات الفرعية لحلف المعاقلة (جنوب وغرب سيل الغديّر (الهذال)). وبغض النظر عن طبيعة مشاركتهم ومدى التباساتها، وردت الإشارة إلى الأسماء التالية:١ ـ حطاب البيالي (البيالية) ؛٢ ـ فياض البيالي (البيالية) ؛٣ ـ طارف الخلف (الطالب)؛ ٤ ـ ابن صعفيق (الهذيل) (العودة الفلاَح، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١٢ من ٣٩، ج ٢، ش ٢). وننوه إلى أنه في ما يتعلق بفياض البيالي (رقم ٢)، والذي يقول عنه سليمان العودة الفلّاح أنه قُتل في تلك الحرب، فيبدو الأمر، ربما، متداخلاً مع مفضي البيالي، طبقاً لما ورد في رواية سعد الطارف، آنفة الذكر عن قتلى الحرب، حيث أشار إلى مفضي البيالي على أنه قُتل أيضاً في الحرب تلك. وعليه فربما يكون فياض البيالي في رواية سليمان العودة هو مفضي البيالي في رواية سعد الطارف، علماً أنه وطبقاً لشجرة البيالية كما وردت في كتب عبد الرحمن الشايع، فإن «مفضي وفياض/ البيالي» هما أخوان (الشايع آل كريّع (II)، ١٩٨٤: ١٤١)، ومن المشاركين، الذين ظهر اسمهم في الروايات عن تلك الحرب مقبل العياف (الدغيفق)، والذي اتُّهم ظلماً وعدواناً بأنه من قتل «غثوان الكبيدان» بينما من قتله هو واحد آخر ستأتي الإشارة إليه لاحقاً.

نذكر هؤلاء الأشخاص، فضلاً عن من قتلوا في حرب المعاقلة/ المعاقلة (الراشد ـ المويشير)، ومن سيأتي الإشارة لهم كذلك تالياً، من باب التاريخ، ومن باب الإحالة إلى ما تقدم من دور ومساهمات للجماعات الفرعية وأفرادها في «حلف جنوب وغرب السيل»، في فاعلية وفعاليات الدفاع والحماية والقتال في تلك الحرب وفي تحمل أعبائها وأثمانها، وليس للقابع في داره كما يقول عنه الرحالة «فلبي» في ما سبق الإشارة له والتعليق عليه.

في ما يتعلق بمسألة مَن قتل مَن في تلك الحرب والصراع الأهلي، فيبدو أن، الأمور ملتبسة، علماً أن معظمها كان يجري في رمضان (!) وفي الليل تحديداً، وبالتالي ليس هناك ما يثبت أو ينفي أن هذا قتل هذا أو ذاك، وعليه فلا يمكن لا الإشارة لها، ولا إقامة المسؤولية على أحد بعينه، فضلاً عن أن كل شيء في الحرب يصبح ممكناً، بما في ذلك قتل الأقرباء لبعضهم البعض، وهو أمر طبيعي في سياق شروطها وأجوائها، حتى، وإن بدا للكثير من الناس على أنه عمل لاأخلاقي؛ الحروب لها أخلاقياتها وأعرافها وقواعد عملها الخاصة بها.

أما في ما يتعلق بمقتل غثوان الكبيدان، فرغم التباسات واعترافات ضمنية وشبه صريحة لاحقة من جماعة «القاتل»، بعلاقته بواحد منهم وممن قتلوا، كذلك فيها، من حلف المعاقلة الشمالي (حلف راشد القايد)، فإن ما يهمنا منها هو ما ورد في روايات عنها عن دور ما لجماعة القرشة في تلك الحرب، ليس من باب إلصاق التهمة بهم، وإنما من باب التاريخ، وملاحظة سعة المشاركة، وعلاقة الحرب والصراع الأهلي بأطرافها وجماعاتها الفرعية. وعليه فإن مقتل غثوان الكبيدان يعود السبب فيه، في ما يبدو، وفي

ما تذهب إليه بعض تفريعات الروايات عن حرب المعاقلة، أو ما عرفت بـ «حرب الراشد ـ المويشير»، أنه عندما نشب القتال بين طرفي الحرب، قدم لمساعدة ومناصرة راشد القايد مجموعة من القرشة (من العلي وبالذات من البليهد) ومن جماعة المطر، ولكن عندما شاهدهم غثوان الكبيدان، وهو عمدة للكبيدان، اعترض عليهم بتدخلهم هذا، وقال لهم بنحو «هذه حرب بين المعاقلة ملكم بها شغل» (الفلاح، محمد السلطان، لقاء وحديث (I)، في ١٦ ـ ١٧/ ٦/ ٢٠٠٢: ٦ من ٩)، فقفلوا راجعين، فلما رأى من قيل إنه «القاتل»، والذي انقطعت داره على أية حال، أن القرشة منسحبون، انحدر بإثر القرشة ((وراءهم))، وقال، كما يروي سليمان العودة، منادياً عليهم: «يا العوجان،لا تخلونا، يقوله ((القاتل)) لجماعة القرشة...» حيث إن القرشة في تلك الحرب مع راشد القايد، في سياق أن كل المجموعات من «... السيل ((سيل الغدير أو ما يعرف حالياً بالهذال)) وشمال كل هالقبله ((الواجهة))، هذه معهم، مع راشد القايد...»، ويواصل سليمان العودة القول: «... ويوم لحق ((القاتل)) بالعوجان (القرشة)،... قالوا هالشايب اللي يتعوذا مننا... قال ((القاتل)) أسنعه ((يعني سوف أتدبر أمره))... نكس ((القاتل)) وذبح غثوان...» ويضيف العودة قائلاً «... تحكي علي رحمة ليلى نسيبتي، تقول والله ما أدري من وين جته الطلقه... الظاهر أن ذبحه ((هو))...» و((هو ـ القاتل)) ((بعدين)) انذبح بهالحرب (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٢ من ٣٩، ج ٢، ش ٢). وفي رواية مكملة، يذكر سليمان سعد الطارف نقلاً عن والده، سعد الطارف، أنه تحدث بالقول، وأنا الباحث هنا ألخصه على الجملة: «... أن متروك البليهد تحدث مع ضاري المرشد ((من الطالب))، في يوم من الأيام، وقال له: إنهم بعدما قدموا لنصرة الراشد، وطلب غثوان عودتهم وكذلك المطر، قال إن ((شخص معروف لديهم)) سألهم: من الذي منعهم؟، قالوا له إنه غثوان. فقال متروك البليهد إنهم ومع رجوعهم ((انسحابهم)) سمعوا إطلاق نار، ولكنهم لم يشاهدوه عينياً، بعدها قيل إن غثوان قُتل» (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠ ـ ٣١/ ٦/ ٢٠٠٢: ٦ من ٨).

ورغم أن قاتل غثوان الكبيدان،هو نفسه، قُتل في تلك الحرب، إلا أن جماعته، في البداية، ولفترة ما، ظلوا ينكرون أنه هو من قتل غثوان الكبيدان، وألقيت التهمة على مقبل العياف من الدغيفق، وهو منها براء. لكن طبقاً لما يقوله محمد السلطان الفلاح، فإن واحداً من ((جماعته)) اعترف له بأن القاتل وهو فلان هو بالفعل من قتل غثوان الكبيدان وليس مقبل العياف، ويبدو أن هذا الاعتراف حدث بعد موت ذرية القاتل (الفلاح، محمد السلطان، لقاء وحديث (١)، في ١٦ ـ ١٧/ ٦/ ٢٠٠٢: ٦ من ٩).

١٠ ـ واقعة مقتل فهاد المظهور (رمضان ١٣٤٠هـ ـ مايو/ يونيو ١٩٢٢م)

فهاد المظهور، وهو شيخ (عمدة) الشلهوب في سكاكا، في هذا الفترة من قدوم الشعلان للمرة الأخيرة (١٩٢١ ـ ١٩٢٢م)، كان، كغيره من معظم أهالي وجماعات الجوف (سكاكا ودومة الجندل) وزعاماتها، في تحالف مع الشعلان. بل إنه في غياب الشعلان، وقت عودة وسيطرة ابن رشيد (سعود الرشيد ـ أبو خشم) على الجوف (١٩١٩ ـ ١٩٢١م) ظل متمسكاً بولائه لِابن شعلان، ومصرّاً على ذلك، حيث عندما خاطبه سعود ابن رشيد بنفسه مطالباً إياه بمعاهدته، طبقاً لما يرويه سليمان العودة الفلاح، بالقول: «... قال سعود ابن رشيد، أريد اتكلم مع فهاد.... مع قصر محسن الفالح:... يا فهاد... يا فهاد... يا فهاد... رد فهاد وقال أيوه (نعم)، قال ابن رشيد: أريدك تعاهدني... قال (فهاد): والله يا ابن رشيد ما

أقدر أعاهد ابن شعلان وأعاهدك... قال ابن رشيد؛ ول (يا لهذا) ياها الرجل ما أطيبه... وعيا (رفض) يعاهده...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٦ من ٢٧، ج ٣، ش ٣). أوردنا هذا الاستشهاد عن موقف ابن مظهور،لأن له ما بعده من أحداث، وتداعيات، ذات تواصل مع التحالف بينه وبين الشعلان في الفترة الأخيرة من حكم الشعلان، وقد آلت في النهاية إلى واقعة مقتله، والتي على ما يبدو حدثت، في سياق حرب المعاقلة، أو ما عرفت بحرب الراشد ـ المويشير. ليس هناك تاريخ محدد لواقعة مقتل فهاد المظهور، ولكن أكثر الروايات تشير إلى أنها حدثت إما في ثنايا أو قبيل أو بعيد اندلاع حرب المعاقلة (الراشد ـ المويشير). ولعل العبارات التي وردت في بعض الروايات، أدناه، والتي قيل إن فهاد المظهور قالها، ومنها عبارة «سحورنا خوابي المعاقلة» تشير إلى أن هذه الواقعة حدثت في رمضان، وهو ما يعني أن الواقعة، إن كانت الإحالة صحيحة على رمضان، فهي حدثت في رمضان ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، بما يتوافق وقول «فلبي» عن أن بعض فصول القتال في سكاكا، وقت زيارته لها، كان يجري في رمضان (يبدو أن هذا رمضان من عام ١٣٤٠هـ، حيث إن سقوط حائل كان في ٢٩ من صفر ١٣٤٠هـ الموافق ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٢١م، علماً أن القتال في الجوف الذي نتكلم عنه كان قبل سقوط حائل بما لا يقل عن عدة أشهر أو في حدودها. نسوق حادثة مقتل فهاد المظهور هنا ليس من أجل ذاتها على أهميتها، وإنما فوقه من أجل أنها، وإن كانت محدودة النطاق، تشكل تفاعلاً أو صراعاً أهلياً مسلحاً في الجوف (سكاكا)، ذلك أنها تضمنت قدراً من القتال والقتل، وإن كان القتل لحق بطرف واحد، بين مجموعة صغيرة من الشلهوب وبين جزء من المعاقلة.

يبقى السؤال هو لماذا وقعت الواقعة، ومن قتل فهاد المظهور؟ وما هي تداعياته؟ الجواب، كما هو عن ملابسات عدد غير قليل من واقعات الحرب الأهلية بالجوف وربما في غيره من فضاءات اجتماعية قريبة أو بعيدة، محلية أو عربية أو أجنبية، لا يبدو دقيقاً وواضحاً وضوحاً لا لبس فيه، ولكن في ما تذهب إليه بعض الروايات المحلية، فيبدو أن الأمر يعود إلى أنه وفي سياق تلك الأجواء الصراعية والاستقطابات الحادة بين أهالي الجوف، وتحديداً في سكاكا، حول وضد الشعلان، فقد فكر «فهاد المظهور»، وهو في حلف مع الشعلان، كما هم أغلب أهالي سكاكا آنذاك، وبرفقة مجموعة معه من الشلهوب ويبدو أنها محدودة العدد، أن يغير على أو يغزو الأطراف القصية الغربية والغربية الجنوبية من أحياء وحوَط (بساتين) الجزء الغربي من المعاقلة، طمعاً في «التمر»، على ما بدا ظاهرياً، واعتقاداً منه على ما يبدو أن أهل تلك الأحياء والحوَط المستهدفة في وضع ضعيف. في ذلك يقول سليمان العودة الفلاح: إن فهاد المظهور، مخاطباً بعضاً من جماعته الشلهوب «... صيّح (صاح)، وقال:... سحورنا من خوابي المعاقلة... قالوا له (الشلهوب)... منهم مناع... المعاقلة ما هم متولمين لك... يقولون على حظهم، لبخ (ضرب) ((واحد)) كف... أنت يا فهاد...»، ويضيف العودة أن مناع المقصود به هو مناع الطلاع (العودة الفلّاح، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٦ ـ ١٧ من ٢٧، ج ٣، ش ٣). وقريب من هذا القول «... سحورنا من خوابي المعاقلة..» المنسوب إلى فهاد المظهور، كسبب في ذهابه فمقتله، سمعته، على ما أعتقد، من صالح العدوان المنديل، في إحدى مقابلاتي مع صالح العدوان المنديل (العدوان، مقابلة (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢؛ العدوان، مقابلة (II)، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢، والعدوان، مقابلة (III)، في ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢).

ومع ذلك فإن سعد الطارف في ما ورد من روايته عن قتل فهاد المظهور، يشير إلى أمور لا تبدو متصلة «بالتمر» بقدر اتصالها بالنزاع والصراع والقتال الذي كان يجري تلك الأيام في سكاكا على وقت الشعلان الأخير في الجوف، حيث يجيب عن سؤال طرح عليه عن ما هي قصة مقتل فهاد المظهور، ولماذا قتل، ولماذا غزا المعاقلة، فيقول: إنه في سياق أن الشلهوب، وكونهم مع الشعلان، كما هم الحيزان، والراشد، والنصير، والجحيش، والكريع، وصاروا معهم قرشة، وغيرهم، واللي جابوا سلطان الشعلان وحكموه لأنهم يريدونه، قام «... فهاد... فزعوا المطر... يريدون يرمون ناس... عبروا بحوطة الشخير يريدون يرمون أهل الحزوم ويذبحون... تجمعوا أهل الحزوم عليهم، وعبرت بديرة الحشاش، وطلعتهم، ولحقوا فهاد... بقليب مجر مفلح (أخو سميحة ـ من الدغيفق)... وذبحوه...» (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ من ١٦).

سليمان العودة الفلّاح في روايته عن الحادثة، يتحدث عن ملابسات إضافية متصلة بالواقعة (بعد مقتل فهاد)»، يضيف بالقول عن نفسه: «...أنا خابر باروده... صواري عصملي تثور ثورتين... لقوا محزم ومجند ومزهبة فرس كلهن مفضيهن...»، ويضيف العودة، أنه وحيث الأمر وقع ليلاً، فلم يكن من السهل التعرف عليه، فقال: «... قالوا ما يعرفه غير حمدان السمرين... ينصب ((يتغزل)) بالليل.... قال حمدان السمرين؛ لا والله هو (يقصد أنه فهاد المظهور)...»، ويضيف العودة، أنه عندما علم خليف الفالح، وهو فهاد المظهور من خواله، قام «وغطاه بعباته» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ ـ ١٩ من ٢٧)، وفي ما أتذكر سماعه من والدي هايس الفالح، أن خليف الفالح هو من تدخل، وأصر على أن يُمكن أهل فهاد المظهور من استلام وسحب جثته، ومعلوم أن الشلهوب عموماً هم خوال خليف الفالح، حيث إن أمه، واسمها، على ما يبدو، «خضرا»، وهي، كما تذكر ابنته عائشة، من «أهل غصيبة» وأقرب ما يكون لها هم جماعة «شاهر المسلم» من الشايع من الصالح من الشلهوب (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في ١٣ ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢٣ ـ ٢٤ من ٢٤ ش ١ ـ ١).

في أمر من قتل فهاد المظهور، هناك روايات متضاربة ومتعارضة، علماً أن القتل تم ليلاً، وبالتالي يبقى السؤال مفتوحاً على أكثر من احتمال:

١ ـ هناك من يقول إن القاتل من المعاقلة، كما شاع وزعم و/ أو صرّح وادعى به شخصان، من جماعتين فرعيتين شمال وغرب ديار المويشير، طبقاً لأكثر من رواية عن تلك الواقعة وملابساتها؟ (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ من ١٦، والفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ ـ ١٩ من ٢٧).

٢ ـ وهناك من يرى ويزعم أن لا علاقة للمعاقلة وللشخصين، ـ اللذين قيل عنهما بأن كلاً منهما زعم وادعى علناً بأنه هو من قتل فهاد المظهور، طلباً في غنيمة «بندقية المقتول»(!) ـ. بقتل فهاد المظهور وبحقيقة ما جرى. إن من قتله، وطبقاً للرواية التالية، في حقيقة الأمر هو من خارج المعاقلة؛ هو شخص من جماعة الشلهوب نفسها؟ هناك من ينكر أن قاتله أصلاً من المعاقلة، ويشير إلى أقوال عن أقوال تزعم أن قاتل فهاد المظهور هو شخص من الشلهوب أنفسهم، حيث إن هذا الأخير اعترض على فهاد المظهور في مسألة الغارة على المعاقلة، مما أغضب المظهور عليه فأدى إلى قيام المظهور بتوبيخه وضربه أمام

الجماعة من الشلهوب، فكان أن ذهب هذا الشخص المتهم بقتل المظهور، مع مجموعة فهاد المظهور المغيرة على المعاقلة في تلك الليلة من رمضان ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، واستغل أجواء وعتمة الليل وما صاحبها من إطلاق النار، ويبدو أنه انتقم من فهاد المظهور عن ما لقيه منه من إهانة، فأطلق النار ضمن تلك النيران في تلك الأجواء، فكان أن وجد بعدها المظهور قتيلاً! عن تلك الرواية، وفي ما يقال عن تلك الواقعة، يحدثنا سليمان العودة الفلاح، بالقول «إنهم يقولون على حظهم»؛ «ذبحة فهاد المظهور... يقول لي أبو عبيد وعقلا، حمود العقلا... والله ما ذبحوه غير الشلهوب...» ويضيف سليمان العودة، عن ذبحته بالقول: «... تقول عليَّ «ذوابة»... ضاربته من «برية» ((فتحة جدار)) ابن عياف... بالجنب... وحمود العقلا يقول ما ذبحوه غير الشلهوب...» ويضيف العودة قائلاً: «... لأنه يوم قال ((فهاد))... «السحور من خوابي المعاقلة»... قالوا ((الشلهوب)) له... المعاقلة ما هم متولمين ((ليسوا هينين لك))... يقولون على حظهم لبخ ((ضرب واحد))...... أنت يا فهاد... أيه... يقولون على حظه هو اللي ذبحه... ادخل على الله قول يقال» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ ـ ١٨ من ٢٧).

طبعاً هذا الأقوال فيها قدر غير قليل من التناقض والتعارض، وبالتالي ليس فيها دليل قاطع تثبت أن هذا من قتل ذاك، فضلاً عن وقوعها ليلاً، وعدم وجود شهود موثوق فيهم على ما نسب من قول عن قول في هذا الأمر، ولذلك، ومن باب التحوّط لم نورد أسماء الأشخاص الذين قيل عنهم، و/ أو أدعوا أنهم من قاموا بالقتل. من هنا، وعلى أية حال يبقى الأمر في نطاق الممكن والمحتمل ولكنه ليس في نطاق اليقين أبداً. يبقى القول النهائي، وبغض النظر عن من هو القاتل الحقيقي، هو أن «فهاد المظهور» وإن قُتل في تلك الليلة، فإنه مع آخرين، قبلها أو في ثناياها أو بعدها، كانوا من ضحايا و/ أو أطراف تلك الحرب الأهلية والصراع الأهلي في تلك الفترة.

هذه الحرب (حرب المعاقلة أو ما عرف بحرب الراشد ـ المويشير) بنهايتها، وبغض النظر عن ملابساتها، تكون قد طويت آخر فصول الحرب الأهلية بالجوف والتي وقعت بعض من وقائعها، وإن كانت متقطعة، على امتداد أكثر من مئة سنة (١٧٩٢ ـ ١٩٢٢م). المهم في الأمر، أن هذه الواقعة مع الوقائع الأخرى إنما ترقى جميعاً وعلى نحو تراكمي ومترابط إلى تشكيل وتكوين حالة عامة يمكن تسميتها بالحرب الأهلية بالجوف، وهذه الأخيرة في شموليتها وترابطها تحتاج إلى ما هو أبعد من الوقوف عند تفصيلات واقعاتها ذاتها. إنها تحتاج إلى معالجة وتفسير شمولي يقف عند القوى والمتغيرات والعوامل العامة والفاعلة والمحركة لها كحالة كلية. هذه المعالجة الشاملة للحرب الأهلية بالجوف وتفسيرها هي موضوع ومستهدف دراستنا للحرب الأهلية في الفصل التالي.

الفصل الثاني

في تفسير الحرب الأهلية في الجوف
(١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)

مدخل: الحرب الأهلية بالجوف: من الواقعات والروايات إلى التفسير

في الفصل السابق كان علينا أن نحصر الواقعات ذات الطبيعة الصراعية (العنف/ الحرب)، سواء تضمنت عنفاً مادياً مسلحاً (حرب ساخنة) و/ أو اتجاهات ومواقف أو استعراضات وعروض تتسم بالعدائية دون عمليات قتالية بالسلاح (حرب باردة)، وأن نحددها من حيث الزمن والأطراف والمكان. اقتضى هذا وتطلب أن يكون هناك عمل موازٍ تركز على التعرف إلى ما أمكن من روايات متعددة ومتقابلة، وفي أحيان متعارضة عن تلك الواقعات.

تلك الروايات، كما أسلفنا عند الحديث عنها، رغم تعددها وتنوعها وتعارضها تنطوي على قدر من التسبيب (الأسباب)، ولكن مشكلتها، أنها على فرض صحتها، وهو أمر مشكوك فيه على الأقل لعدد منها، لا تقدم تفسيراً كاملاً، لا للواقعة بعينها فحسب، فضلاً عن تناقضاتها مع بعضها البعض، وإنما أيضاً، والأكثر أهمية، أنها، وعلى فرض صحتها، لا تقدم تفسيراً متكاملاً للحرب الأهلية بالجوف منظوراً لها كحالة حرب كلية، وخاصة أننا نتحدث عن حرب أهلية ممتدة، وإن كانت متقطعة، تعود بدايتها إلى حدود ١٨٠٠م، وما قبلها ببضع سنوات، وتنتهي في ١٩٢٢م. كيف يمكن لرواية أو روايات عن واقعة بعينها أن تفسر لنا الحالة/ الظاهرة الكلية للحرب الأهلية التي تشكلت من مجمل الواقعات ومثلت في صورتها الترابطية على ما يبدو ما نطلق عليه ظاهرة الحرب الأهلية بالجوف؟ ورغم أننا سوف ننحو معالجة شمولية للإشكالية (الحرب الأهلية في الجوف) بتوظيف منهج و/ أو مناهج، ونظريات ومفاهيم بحثية معرفية وأكاديمية، إلا أننا سنوظف ما تقدمه تلك الروايات من معلومات كحقائق (Facts) ذات صلة بالعوامل والمتغيرات والقوى المفسرة للحالة تحت الدراسة.

في هذا السياق، واتصالاً بالتنبيهات للقراء والمهتمين بالتاريخ، وبالذات تاريخ الصراعات الأهلية، كما أشرنا لبعض منها (مثلاً: الحساسيات)، في المقدمة عن الحرب الأهلية، نقول التالي وننبه إليه: من المهم للقراء من أهل سكاكا والجوف عموماً، وعلى وجه الخصوص والتحديد لمن ينتسب منهم إلى القرشة أو المعاقلة أو الشلهوب أو أحلاف مع أي منهما أن يتوخوا الحذر، وأن لا يقعوا فريسة لتصورات وقناعات مسبقة. عليهم جميعاً، ودون استثناء، أن لا يقرأوا الأحداث والواقعات والروايات الواردة من زاوية روايات المجموعات التي ينتمون لها أو يتحالفون معها، و/ أو أن تكون هي المعيار التي تقاس عليه صحة الأشياء وحقيقتها، وإنما عليهم أن يقرأوا تلك الأحداث والتفاعلات والصراعات من خلال النظرة الكلية والتكامل بين الرؤى والروايات ومصادمتها ومقابلتها ببعض للوصول إلى حقيقة تبدو أكثر مقبولية وإقناعاً، أخذاً بالمعطيات ذات الصلة.

إن الحقيقة لظاهرةٍ أو حالة ما، وهي نسبية، في تجليها للناظرين لها، فإنها لا يمكن تمثلها كاملة (الأبعاد بكل ما تحتويه) من خلال رؤية ورواية واحدة بعينها وبذاتها باعتبارها وحدها تمثل وتكشف الحقيقة دون سواها. إذا وُضع الأمر في هذا السياق الكلي يمكن فهم الأحداث بشكل أفضل وتجاوز التصورات الذاتية وانحيازاتها: النظرة الكلية هي التي تعطي الصورة أبعادها، وتوضحها على نحو جليٍّ نتجاوز بها النظرات الضيقة التي لا تخرج عن القول نحن على حق والآخرين على باطل (من ليس معنا فهو ضدنا!). وحتى النظرة الكلية للأحداث والوقائع، كما أسلفنا آنفاً، لا تكفيها الروايات والرؤى بذاتها وحتى في مجملها، إذ إنها في أقل تقدير هي قاصرة عاجزة عن التفسير للحالة الشاملة. هي تحتاج إلى دعم وتطعيم وتحصين إضافي وذلك من خلال إطار علمي (نظري مفاهيمي منهجي) متكامل قادر على تقديم تفسير أشمل من خلال ما يوفره من إمكانات وأدوات للبحث والاستقصاء في التعمق في الكشف عن العوامل والقوى والمتغيرات الفاعلة الحاسمة في تكوّن الحالة/ الظاهرة المدروسة (هنا: الحرب الأهلية بالجوف)، وهذا ما نشتغل عليه ونقدمه تالياً.

أولاً: في الإطار النظري لدراسة الحرب الأهلية بالجوف

١ ـ في تحديد إشكالية/ مشكلة دراسة الحرب الأهلية في الجوف

وحيث الأمر كما أسلفنا آنفاً، فإن الدراسة هنا (في هذا الفصل تحديداً) تستهدف وتركز على تفكيك (تفسير) حالة/ ظاهرة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). ولتحديد المشكلة على نحو أكثر نقول: على مر التاريخ وفي كثير من المجتمعات البشرية القريبة منها، والبعيدة، القديمة والحديثة منها، وقعت فيها حروب وصراعات أهلية. وفي هذا السياق فالجوف، ليست استثناء، إذ حدث فيما بين أهلها من حيث هم «جماعة عامة»، وخاصة جماعات من داخلها طالتهم وغيرهم حالات صراعية بعضها كان عنيفاً مسلحاً وبعضها أقل حدة و/ أو غير مسلح.

هذه الحالات، وإن كانت متقطعة ولم تكن متواصلة، كانت متكررة من وقت لآخر؛ كانت تهدأ حيناً لتنفجر مرة أخرى في مرحلة أو حين آخر. يبقى السؤال هو: بعيداً عن الرؤى والروايات الأحادية

عن الواقعات الفردية، وبغض النظر عن مدى أهمية ما احتوته من معلومات وتسبيبات بذاتها ولذاتها و/ أو أطرافها، وفي سياق ومستوى أعلى وأشمل في النظر للواقعات كحالة مترابطة متصلة شاملة على أنها تشكل حالة/ ظاهرة حرب أهلية بالجوف، فما الذي يفسر هذه الحرب الأهلية بالجوف؟ وما هي، بمعنى آخر، المتغيرات و/ أو القوى الداخلية والخارجية (العوامل/ الأسباب) ـ ذات الصلة بالارتكازات و/ أو الجذور والبنى السياسية والاجتماعية/ الثقافية والاقتصادية للجوف وأهلها من الداخل وما في حولها ومحيطها من الخارج ـ التي يمكن أن تقدم تفسيراً معقولاً ومقنعاً لهذه الحالة؟ وأيهما (الداخل/ الخارج) أكثر أهمية من حيث المساهمة في تفسير تلك الحالة؟ ورغم أن التفسير ينصرف للتركيز على حالة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) من حيث تكوّنها (حدوثها)، إلا أن الدراسة والتفسير يلاحظان التواصل والنهاية لتلك الحرب الأهلية. ويمكن تصوير وضع إشكالية أو مشكلة البحث والدراسة هنا (أي في هذه الجزئية والفصل) تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، على نحو مبسط في النموذج (القالب) التالي (انظر أدناه: مخطط ـ نموذج مبسط لتفسير الحرب الأهلية بالجوف النموذج، وكذلك في ملاحق الدراسة ـ جداول الدراسة ـ مخطط ـ ١).

مخطط ـ نموذج مبسط لتفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)



٢ ـ في فرضية/ فرضيات الدراسة

في هذا الفصل من الدراسة، والمركِّز على تفسير حالة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠م ـ ١٩٢٢م)، ننطلق، من فرضية منسجمة مع دراسات ونظريات الحرب والصراعات الداخلية و/ أو الأهلية

منها، مؤداها هو: «غالباً ما يمكن تفسير **الحرب** الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) من حيث تكوّنها خاصة، وربما تواصلها، وإن متقطعة، وصولاً لنهايتها، إلى تضافر مجموعة من القوى والمتغيرات المتصلة بالداخل والخارج، والتي غالباً ما ترتد إلى تفاعلات مجموعة من البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وربما النفسية لأطراف ومكوّنات الجماعات الأهلية بالجوف ومحيطها الخارجي.

وفوق هذا تتبنى الدراسة فرضية إضافية مؤداها: رغم أهمية القوى والمتغيرات الخارجية في الحرب الأهلية بالجوف، وامتداداتها في طبيعة مكوّن البنى السياسية فيها، وفي الجوف، وكذلك رغم أهمية العامل الاجتماعي الداخلي للجوف وأهلها (أي الانقسام على خلفيات اجتماعية مختلفة)، فغالباً ما يكون للبنى الاجتماعية (غير الانقسام الاجتماعي) التحتية والمتصلة بطبيعة النمط الاقتصادي السائد بالجوف فاعلية كبيرة في تفسير الصراع/ الحرب الأهلية بالجوف.

٣ ـ في الحرب الأهلية ونظريات الحرب

حيث إن التفاعلات الصراعية تشمل الحروب سواء كانت الحرب باردة أو ساخنة، فإن الحروب بكل أشكالها وأنماطها هي ظاهرات صراعية محددة من ظاهرة أشمل وأعم متصلة بالصراع أو النزاع البشري. إن الحرب، وخاصة الساخنة منها، يمكن أن نعرِّفها على أنها «تفاعل بشري (بالأصل فعل بشري أو مبادرة أو قرار أو سلوك) عنيف، في الغالب منظم، على مستوى الأفراد أو الجماعات الكبيرة (الدول/ التكتلات من الدول) وبينها أو داخلها، أو على مستوى الجماعات العامة (الأقل والأصغر من الدول والكتل) داخلها وبين مكوّناتها و/ أو بعضها أو بينها وبين جماعات عامة أخرى موازية، باستخدام السلاح القاتل لفترة ما من الزمن قد تكون قصيرة خاطفة أو ممتدة (طويلة نسبياً) ولها آثار في غالبها سلبية في المدى القصير والمتوسط، وفي إحداث تحولات عديدة، وربما عميقة في مجالات عديدة في المدى الأطول، وغالباً ما تقوم أو تنتهي هذه الحرب أو تلك لتضافر مجموعة من العوامل والمتغيرات (الأسباب) الحاسمة والمساعدة في أكثر من مستوى، وإن غالباً التقت في مستوى صنع القرار في تلك الدولة أو الدول و/ أو الجماعات وقياداتها ونخبها المعنية مباشرة باندلاع أو شن الحرب. أما دون اللجوء للسلاح والعمليات القتالية الفعلية فتلك تكون حرباً باردة أو صراعاً بارداً، وقد يتطور ويفضي إلى الحرب الساخنة.

والحرب هي، كذلك، وسيلة وأداة من وسائل السياسة لتحقيق غايات أو أهداف، وبغض النظر عن مشروعية أو عدم مشروعية تلك الأهداف و/ أو الغايات وأنواعها (الفالح، ٢٠٠٧). والحرب أيضاً بهذا أو ذلك المعنى ذات متضمنات أو دلالات متصلة بإدارة المجتمع أو المجتمعات المعنية من حيث السلام والاستقرار والتقدم وصنعهما أو إدارتهما.

ورغم الفروقات في مستويات التحليل بين نظريات الحرب العامة بين الدول من جهة، وبين تلك المتصلة بالحروب الأهلية داخل الدول، أو في الجماعات الأصغر، من جهة أخرى، فإن هناك تشابهاً بين المجموعتين النظريتين من حيث محورية لبعض المتغيرات والعوامل والمفاهيم العامة الموظفة في كل منهما. مع ذلك فإن التركيز هنا سيكون على الدراسات النظرية (النظريات) التي تعنى بتفسير نشوب أو

اندلاع الحرب، وخاصة بين الجماعات والكيانات العامة الأصغر من الدول وداخلها، أكثر منه بين الدول والكيانات والكتل الكبرى.

وبداية نقول إن نظريات (متغيرات/ قوى حاسمة تم التحقق منها) تفسير نشوب الحرب الأهلية/ الداخلية، كما هي في الحروب الدولية، عديدة ومتنوعة بقدر تنوع الحروب، بل إن حرباً واحدة قد تتضمن، أو لنقل يتنافس على تفسيرها أكثر من نظرية واحدة. وقياساً على تنظيرات ودراسات الحروب الدولية، يعود التنوع في النظريات في هذا المجال لا إلى تنوع الحروب وتعقدها فحسب، بل فوق ذلك إلى الاختلافات في الموقف من النظرية نفسها، فضلاً عن التفضيلات المنهجية والمفاهيم والمداخل الموظفة والمستخدمة من قبل الباحثين أنفسهم في عدد من دراسات الحرب وخاصة الدولية منها (دورتي وبالتسغراف، ١٩٨٥: ٧ ـ ٤٠؛ مقلد، ١٩٨٢:١١ ـ ٤٨؛ مقلد، ١٩٩٧: ١٢ ـ ٥٧؛ حتي، ١٩٨٥: ٨ ـ ٢٢، ٤٠ ـ ٤٣ و٥٩ ـ ٦٢؛ ستيرن، ٢٠٠١: ١٠ ـ ٧٣، وحسين، ٢٠٠٣: ١٩ ـ ٤٢).

إضافة إلى ذلك، وكما هي في نظريات الحرب العامة الدولية، فإن الأمر ملحوظ في دراسات ونظريات الحرب الأهلية/ الداخلية من حيث إن كل نظرية وأصحابها في الغالب يركزون على مجموعة من العوامل والمتغيرات التي يرون أنها ربما تكون حاسمة في نشوب حرب بعينها، أو أنها تقع في الغالب في صلب التخصصات الدقيقة لأي منهم... إلخ). وكما في الحروب الدولية من حيث تعدد وكثرة النظريات المتصلة بتفسير الحرب عامة، فكذلك دراسات و/ أو نظريات الحروب الأهلية/ الداخلية (Zimmerman, 1983: 1-434). من هنا كان لدينا إشكالية في استعراض تلك النظريات ومناقشتها بسبب تنوع تصنيفاتها؛ فهناك مثلاً، في نظريات الحرب الدولية، من عالجها وناقشها على أسس ومعايير تتصل بما تصبو إليه النظرية من طموح في التفسير (نظريات كبرى ونظريات صغرى للصراع أو كلية أو جزئية... إلخ)، أو تقليدية وقديمة في مواجهة حديثة ومعاصرة (دورتي وبالتسغراف، ١٩٨٥: ١٣٩ ـ ١٩٣ و٢٢٥)، وهناك من عالجها على أساس انتماء العوامل إلى مجال بعينه (نظريات الحرب، سياسية، اقتصادية، سيكولوجية ـ نفسية، واجتماعية، واستراتيجية ـ أمنية، كما فعل إسماعيل مقلد (مقلد، ١٩٨٢: ٢١٣ ـ ٢٥٥)، وهناك من صنفها طبقاً لمعايير علاقة المتغيرات (الأسباب) بمستويات التحليل (الأفراد، المجموعة، الدولة، النظام الدولي... إلخ) كما فعل «جرج كاشمان» (Cashman, 1993: 14-279). وفي الحروب والنزاعات/ الداخلية أو الأهلية كانت هناك انتقادات حادة لأن معظم دراسات وتحليلات الحالات الصراعية كانت بيانات معلوماتها مجمعة عبر البلدان، بينما الأمر يحتاج إلى مزيد من دراسة الحالات على مستوى المجموعات، والنخب، وكذلك الأفراد، ودورهم في الصراع (Zimmerman, 1983: 412-434).

ونحن في هذه الدراسة ننطلق في تفسير الحرب من ملاحظة نظريات الحرب، وخاصة ما يتعلق منها بالحرب/ الصراعات الأهلية من حيث المتغيرات والعوامل والقوى المفسرة لها. طبعاً نحن هنا لسنا بصدد استعراض لا نظريات الحرب عموماً ولا حتى نظريات و/ أو دراسات الحرب الأهلية في التاريخ البشري الحديث والقديم منه، المتصل بهذه الظاهرة الإنسانية الصراعية الممتدة منذ بدء الخليقة منذ قصة ابنَي آدم «هابيل وقابيل» [**القرآن الكريم**، «سورة المائدة،» الآيات ٢٧ ـ ٣٢] وحتى وقتنا الحاضر، والتي

بدون شك ستتواصل من وقت لآخر في أمكنة ما من هذا العالم في المستقبل. وهذا الفعل البشري، حضوراً في المستقبل، هو واحد من أهم الأسباب وراء إجراء هذه الدراسة والتعلق والهوس بالمشكلة تحت الدراسة ذاتها.

بالنسبة لنظريات الحرب الأهلية (الداخلية)؛ نكتفي بالقول هنا أن نظريات الحرب الأهلية/ الداخلية وهي دراسات متعلقة بشكل عام بـ «العنف»، بما في ذلك العنف السياسي وعدم الاستقرار السياسي، هي دراسات ونظريات متنوعة ومتنافسة في التفسير و/ أو الإقناع، كما أسلفنا بالأمر في نظريات الحروب الدولية عامة (الفالح، ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٢: ١ ـ ٤٦)، تتعلق بمجموعة من المتغيرات/ المفاهيم المحورية في تفسيرها للصراع (العنف) الداخلي متراوحة بين مفاهيم متعددة: من «الحرمان النسبي»، و«الاحباط والعدوانية» والفجوة بين «الحاجات/ التوقعات»، ومروراً بالاختلالات البنيوية، وما يتصل بالفجوة بين «مستويات التعبئة الاجتماعية والمؤسساتية»، وفي التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومستوياتها (اختلالات في العدالة نتيجة سوء توزيع الثروة) وعلاقتها بالمجموعات والنخب المتصارعة، وكذلك مجموعة من المتغيرات ذات الروابط الأساسية (الدينية/ الطائفية، المناطقية/ الجهوية، العرقية/ الإثنية، واللغوية والروابط المتعلقة بالأعراف والتقاليد المجتمعية (للمجوعة/ الجماعات)، فضلاً عن دراسات متعلقة بدور العوامل والقوى الخارجية في الصراعات الداخلية (الأهلية) تأثيراً أو تأثراً... إلخ (Zimmerman, 1983: 40-186).

طبعاً، الدراسات والنظريات المتصلة بالصراع الداخلي والعنف بما في ذلك العنف السياسي آنفة الذكر، هي دراسات ونظريات ناقشت ظاهرة وحالات الصراع/ النزاع الأهلي داخل كيانات سياسية قائمة أو كانت قائمة والمسماة والمعروفة بـ: «الدول»، بينما نحن هنا في حالة الجوف نتحدث عن حرب أهلية في جماعة عامة لم تتشكل ككيان سياسي (دولة) بسلطة ومؤسسات مركزية، أي لم تكن دولة، وإن تبعت، من وقت لآخر، سلطات كيانات سياسية خارجية («الرشيد»/ «الشعلان»). ومع ذلك فإن سلطة أي منهما («الرشيد»/ «الشعلان») هي في ذاتها لم تكن «دول»، وإنما مجرد كيان سياسي صغير «مجرد إمارة عائلة» وحديثة العهد محدودة القدرات والمكوّنات والعناصر المكوّنة لـ «الدولة» بالمفهوم المتعارف عليه؛ أي لم ترقَ إلى مكانة ومواصفات الدولة الحديثة سواء في وقتها أم في ما تلاها من قائمة الدول الحديثة، بما فيها ما تكوَّن في آسيا وأفريقيا من دول مرحلة الاستقلال وما بعده، والتي تناولتها دراسات الصراع الداخلي آنفة الذكر. بل لعله من المفيد التنبيه إلى حقيقة ساطعة، ألا وهي أن حالة أو ظاهرة الحرب الأهلية بالجوف التي نحن بصدد مناقشتها وتفسيرها هي ظاهرة حدثت في الفترة ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م؛ أي سابقة لقيام وتشكل وتكوّن حتى دول «الاستقلال» في العالم النامي، وبالذات في أفريقيا وآسيا.

حيث الأمر كذلك، فإن أغلب المفاهيم (المتغيرات) آنفة الذكر في الدراسات والنظريات للصراع والعنف الداخلي لا يبدو مناسباً، ومفيداً في دراسة وتفسير الحرب الأهلية بالجوف١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م، إلا ما يمكن تكييفه من متغيرات كلية مثل المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد، وإجمالاً كل ما يتعلق بالروابط/العلاقات الأساسية، بما فيها الدينية ـ المذهبية ـ الطائفية والإثنية ـ العرقية ـ القبلية ـ العائلية، والأسرية، وكذلك الجهوية ـ المناطقية... إلخ. بالموازاة نحاول

في هذه الدراسة أن نتلمس مدى فائدة أطروحات ابن خلدون عن مفهومه لـ «العصبية»، في سياق وصِلة ذلك بالحرب وخاصة ما تعلق بالحرب الأهلية (الفالح، ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٢)، وبالذات هنا في حالة الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م).

بناء عليه، ومع ملاحظة الفروقات ما بين دراستنا وحالتنا عن الحرب الأهلية بالجوف، وما بين الدراسات النظرية عن الصراع والحرب الداخلية (الأهلية) و/أو نظرياتها آنفة الذكر، فإننا في هذه الدراسة نركز على مجموعة، تبدو متضافرة، من العوامل والمتغيرات والقوى الفاعلة في تكوّن واندلاع، وربما في تواصل و/أو نهاية الحروب الأهلية، وهي إجمالاً، تبدو، متراوحة بين قوى الداخل والخارج، وامتداداتها وارتباطاتها بالبنى الاقتصادية والسياسية (نمط الاقتصاد والسلطة وطبيعتها وصنع القرار فيها) والعسكرية والاستراتيجية (القوة وعناصرها وتوازناتها) والاجتماعية والثقافية والنفسية والتجربة التاريخية للكيانات المتقاتلة، سواء جماعات و/أو كتل فيما بينها و/أو في داخل مكوّناتها وأطرافها.

المنهج المتبع في الدراسة هنا، كما في معظم أجزاء الدراسة الأخرى، هو في أساسه وجوهره يغلب عليه المنهج التجريبي الاستقرائي، ولكنه في جوانب وأبعاد من الدراسة، حيث يتطلب ويستدعي الأمر في التوظيف والاستخدام، يتعلق بمناهج إضافية ذات صلة كمنهج كالحالة والمقارن والتاريخي (الوثائقي) والتاريخي المادي والسلوكي... إلخ. من هنا نقول إن ما يهمنا هنا هو أن تقدم الدراسة، ومن خلال إطار نظري ومفاهيمي ومنهجي علمي محدد وواضح، تفسيراً موضوعياً متكاملاً معقولاً عن الحرب الأهلية بالجوف خلال الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). ومع ذلك، وقياساً أولياً، على ما سبق الإشارة إليه، نقول وننبه إلى: أن حالة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) تبدو حالة متفردة/ خاصة، ولذلك تحتاج إلى معالجة خاصة، وأن توظف، على نحو مكيّف، ما أمكن من أطروحات نظرية حديثة أو قديمة، وكذلك بالموازاة منهجية، متعلقة بالحرب والصراع والعنف الداخلي والأهلي.

٤ ـ في الدراسات السابقة وأهمية الدراسة

أ ـ في الدراسات السابقة

باستثناء كتابات ومذكرات الرحالة الغربيين، وبالذات بعض منهم والذين زاروا منطقة الجوف وأشاروا إلى بعض من وقائع الصراع الأهلي على نحو عام وغير مفصل ومدقق فيه، وخاصة عن وقائع محددة ومنها الدلهمية ـ الجرعاوي، وتمرد ١٨٥٣ م، وكذلك صراعات وفوضى وعنف مصاحبة لسيطرة «الشعلان» على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وكذلك جزئياً عن حرب «المعاقلة ١٩٢٢م» وإن لم تُسمَّ هكذا، فلم يرد في المصادر القديمة عن تاريخ الجوف في ما يتعلق بالحرب الأهلية، وهي قليلة ومحدودة على أية حال، سوى ما نسب إلى تاريخ ابن بشر وحسين ابن غنام عن الصراع بين «الدرع والسراح» حول ١٨٠٠م و/أو في حدودها كما أشرنا إلى ذلك في موقع آخر من الدراسة وبالذات في جزء الواقعات والروايات وتحديداً في سياق مناقشة ومعالجة «جذور الصراع في الجوف ١٨٠٠م» (ابن غنام، **تاريخ نجد**، ١٩٤٩: ١٦٨ ـ ١٦٩، والعثيمين، ١٩٩١: ٥٠ ـ ٥١)، علماً أن هذا المصدر التاريخي السابق يبدو أنه كان شبه المصدر/ المرجع الوحيد والرئيس الذي اعتمد عليه بعض الرحالة الغربيين في الإحالة

التاريخية (الذاكرة المرجعية) في كتاباتهم وملاحظاتهم لبعض ما تلاها من صراعات، ومنها على وجه التحديد ما تعلق بواقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» ودخول «الرشيد» على الخط، وتمرد عام ١٨٥٣م. وفي التفصيل بالنسبة لكتابات الرحالة الغربيين في ما له صلة بالحرب الأهلية والصراع الأهلي في المنطقة وعليها، نشير إليها على التوالي ونقول:

١ ـ إن أول من أشار إلى الحرب الأهلية بالجوف وبالذات إلى صراع الدلهمية ـ الجرعاوي وتدخل «الرشيد» والسيطرة على الجوف ابتداءً، من الرحالة الغربيين هو «**جورج أوغست والن**»، في رحلته الأولى للجوف ١٨٤٥م، حيث أرجعها إلى عداوات قديمة، وحالة من الضياع وعدم الاتفاق في سياق انحسار أو انهيار سلطة خارجية ١٨٤٥ (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٩ ـ ٣٠ و٣٢ ـ ٣٣).

٢ ـ «**جيفورد بلغريف**»، في مذكراته لرحلته للجوف ١٨٦٢م، أشار إشارات متناثرة لحرب أهلية أو تمرد (بلغريف، رحلة ١٨٦٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٦١)، حيث تحدث عن «غافل الحبوب» وتمرد عائلة الحبوب، وكذلك تحدث عن التخلف في الجوف بسبب الحروب والخلافات وعزاها إلى ميل أهل الجوف للتحرر، وأشار إلى تدمير مساكن مشايخ أسرة الحبوب الأوائل، وما تعرض بعضهم لقتل و/ أو نفي، ولاحظ الدمار والخراب للمساكن، والبساتين أعجاز نخل حاوية، أو أنها أحرقت؛ فهي بساتين ذابلة جافة دمرتها الحروب الأخيرة. يبدو أن المقصود بالحروب الأخيرة هي إما ١٨٣٨ تدمير الدلهمية من قبل ابن رشيد واحتلال الجوف و/ أو وقت تمرد ١٨٥٣م) (بلغريف، ١٨٦٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٦١، ٧٨ ـ ٧٩ و٨٤).

٣ ـ هناك إشارات عن الحرب الأهلية من الرحالة «**كارلو غوارماني**»، في كتابات رحلته للجوف عام ١٨٦٤م، عن تدمير الدلهمية ١٨٣٨م، وتمرد ١٨٥٣م وتدخل «الرشيد» في الأمر وخاصة ما تعلق بـ «تمرد ١٨٥٣م» حيث يقول: «في عام ١٨٥٣م حاصرها طلال بن رشيد واحتلها رغم الدفاع البطولي لأهلها الذي استمر عشرين يوماً. لقد تم أخذ الأمير حطاب بن سراح أسيراً في حينه...» والذي كان لا يزال وقت زيارة غوارماني «حياً مقيداً بالسلاسل الحديدية في قلعة حائل، بينما أولاده تراجعوا إلى وادي السرحان حيث بنوا قرية صغيرة اسمها الوشواس...» ((المقصود يبدو: «الوشواش» ـ الباحث))»... تقع بالقرب من قرى إثرة والأخيضر (شمال غرب إثرة وشرق قرية الأخيضر)»، علماً ان غوارماني، كما يشير هو نفسه، زار الجوف (إثره عام ١٨٥١ م (غوارماني، رحلة ١٨٦٤، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٠٠ ـ ١٠٢).

٤ ـ «**تشارلز هوبر**» في رحلته للجوف ١٨٧٩م أشار إلى تمرد أهل الجوف عام ١٨٥٣ على سلطة ابن رشيد في الجوف (دومة الجندل) وتفسيره للأمر وفي عدم الاستقرار عموماً (الحروب الأهلية ـ خاصة عند نهاية القرن الماضي ويقصد نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي (أي حوالي ١٨٠٠). وعن ذلك يقول: «**عند نهاية القرن الماضي، عمّت الجوف الحرب الأهلية**، والتي أصبحت مظهراً من مظاهرها، فغزاها الوهابيون وخضعت لهم....» فكان أن عمل على نشر الدعوة الوهابية، غير أن الأمر لم يدم طويلاً كما يقول هوبر إذ «... أدى القضاء على الدولة الوهابية بواسطة محمد علي حاكم

مصر إلى تحرير الجوف التي انتهزت الفرصة، وبدأت مرة أخرى حربها ضد القرى والأرياف التي حولها، واستمرت هذه الحالة حتى عام ١٨٣٨م. وفي هذه السنة قام عبد الله ابن رشيد أمير حائل بحملة لنجدة أصدقائه في حي الجرعاوي الذين تعود جذورهم إلى قبيلة شمر، وكانوا في حرب مع جيرانهم في حي الدلهمية. أدت غزوة عبد الله ابن رشيد إلى الاستحواذ على الجوف...» ولكن، وكما يلاحظ ويضيف «هوبر»، فإن «... هذا النير الجديد، كان ثقيلاً على أهالي الجوف، وبالنظر لضعف حكومة ابن رشيد، فقد فكروا في استرداد استقلالهم، لذا فقد انتفضوا، وعملوا على طرد الحاكم الشمري. إن هذا النصر الذي تحقق من المحتمل أن يكون قد تحقق بالدعم الذي قدمته لهم قبيلة الرولة، وهم قبائل النايف والشعلان، التي أصبحت قبل فترة وجيزة جزءاً من قبائل الجوف، وكانت في عداء مستمر مع شمر، فضلاً عن أنها كانت طوال فترة ازدهارها في عداء للوهابية» (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٦٠ ـ ١٦١). ومما يفهم من كتابات هوبر عن الحرب الأهلية بالجوف، فهو يحيل إلى «الانقسام الداخلي» بالجوف، وهو ربما يقصد الانقسام الاجتماعي كما بدا من الإشارة إلى أصول حي الجرعاوي (أي بخلفيات اجتماعية مختلفة، أي ليست من أصول اجتماعية واحدة)، وطبقاً لما يقول من: «إن الذي يفسر هذا الانقسام الداخلي، هو أن الجوف ليست واحدة، وإنما تتكون من خمس عشرة قرية [حي] قائمة إلى جانب بعضها البعض. وكل قرية من هذه القرى محاطة بسور له باب واحد، ولكل قرية شيخها الخاص بها (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٦٣).

٥ ـ هناك إشارات من «**الليدي بلنت**» في رحلتها عام ١٨٧٩ للجوف عن تمرد الجوف، فكتبت التالي عنه: «ولكن الجوف منتزعة بالقوة، وفي حصار دائم... والجوف... كانت في السابق إقطاعية لابن شعلان، مشايخ الرولة، وما تزال تدفع إتاوة لسطام، ولكن متعب بن رشيد فتحها منذ حوالي ٢٠ سنة... **وقد حدث تمرد مرة أو مرتين، غير أنه اخمد بعنف**، وتخاف الجوف الآن من أن تحرك إصبعاً ضد الأمير. وبمناسبة واحدة من هذه التمردات قطع متعب عدداً كبيراً من أشجار النخيل وترك المدينة في حالة نصف خراب، لذا فهم ملزمون بالانتظار، والحصول على أعلى فائدة من الوضع القائم...» (بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٢٦ ـ ١٢٧). طبعاً نلفت الانتباه إلى أن الإشارة إلى فتح الجوف من قبل ابن رشيد على أنه وقع منذ ٢٠ سنة كما تقول «الليدي بلنت»، ليس صحيحاً، والصحيح هو أن سيطرة «الرشيد» على الجوف كانت في عام ١٨٣٨م في سياق واقعة «الدلهمية ـ الجرعاوي» آنفة الذكر.

٦ ـ «**جوليويس أويتنغ**» في رحلته للجوف عام ١٨٨٣م، أشار في لمحات سريعة في سياق الحديث عن تمرد ١٨٥٣م، وتكلفته الاجتماعية ـ البشرية والمادية، إلى «خصومات أهلية» (أويتنغ، ١٨٨٣؛ في: البادي، ٢٠٠٠ (أ): ١٩١ ـ ١٩٢). وفي ذلك وعنه يقدم الرحالة **جوليوس أويتنغ، في** زيارته للجوف ١٨٨٣م، صورة أكثر تحديداً لتمرد ١٨٥٣م، وخاصة ما يتعلق بتحديد عدد القتلى، وكذلك الإشارة إلى أسر واعتقال عدد من أهالي الجوف في حائل، بمن فيهم «خليف»، وكل من حطاب وولده غالب (السراح). يقول أويتنغ عن قصة حكاها له خليف نفسه وهو في قرية «كاف»، وهو الآن يستعيدها: «زارني اليوم رجل عجوز من الجوف اسمه خليف، وروى لي تفاصيل مثيرة

للاهتمام ـ والتي بكل أسف لم أفهمها كلها آنذاك من حيث اللغة والموضوع، وكانت حول إخضاع موطنه إلى حكم أمير شمر في حائل. تمتعت تلك الواحة (الجوف) عقب غزوة إبراهيم باشا ١٨١٧م بنوع من الاستقلال. **ولكن في أعقاب خصومات داخلية، لم يتمكن أهلها من الاحتفاظ بالاستقلال لمدة طويلة**، بل وقعت على الأرجح في تبعية بدو ـ الرولة الذين يقيمون بالشمال. استغل طلال الرشيد أمير حائل **منازعات العائلات والقبائل بها**، وبعد أن ضرب أوتار الرفق في البداية، قام بإرسال عمه عبيد [ابن الرشيد] الملقب بـ «الذئب» في عام ١٨٥٥ (وفي رواية أخرى عام ١٨٥٣م) ومعه مدافع إلى هناك فقصف الأسوار والمنازل، وقطع رؤوس ٨٥ شخصاً ممن كانوا متمردين أو حتى فقط ممن يشتبه بهم، واقتلع أشجار النخيل، **وقد أرسى على هذا النحو بالرغم من ذلك العنف نوعاً من الهدوء والنظام**... كان خليف، من ضمن الناجين من حمام الدم الكبير. لقد تم أخذه مع ٦٥ من الوجهاء لاحقاً إلى حائل، وهناك وضعوا في القيد والسلاسل لمدة ستة أعوام، ولكن فيما بعد أطلق سراحه، لقد دهش كثيراً عندما سمع مني بأنني علمت مسبقاً بحقيقة الحادثة من بلغريف... « (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٩١ ـ ١٩٢).

٧ ـ هناك تبقى من الرحالة كل من الرحالة «**ألويس موسيل**» في رحلتيه للجوف الأولى ١٩٠٩م، والثانية في ١٩١٥م، والرحالة «**جون فلبي**» في رحلته الثانية للمنطقة في أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو١٩٢٢م، حيث أشار كل منهما إلى حرب بالجوف و/ أو شهد أطرافاً منها مباشرة، بعضها يمكن أن نقول عنها إنها تضمنت قدراً من حرب أهلية. وحيث إننا سبق أن ناقشنا بالتفصيل لواقعات حربية بالجوف تكلم عنها كل من «**موسيل**» و«**فلبي**» فلا حاجة هنا إلى تكرارها، ولمن هو مهتم بها يمكن الرجوع إلى ما تعلق بها في هذه الدراسة ـ الكتاب، وتحديداً في فصل واقعات وروايات الحرب الأهلية بالجوف (انظر كلاً من واقعة: الصراع الأهلي الاصطفافي بالجوف في سياق فوضى وعنف سيطرة ابن شعلان على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٥؛ وكذلك واقعة: حرب ـ المعاقلة و/ أو ما عرف بـ «صراع الراشد ـ المويشير» ـ شعبان ـ شوال ـ ١٣٤٠هـ الموافق نيسان/ أبريل ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٢م). كل ما نستطيع قوله هنا إنها نوقشت في سياق حرب ذات صلة بتحالفات صراع على الجوف من قبل سلطات خارجية متنافسة (الشعلان/ الرشيد)، ولكنها وإن كانت في جزء منها وفي أحشائها ذات صلة بصراعات لِبنى ومكوّنات أهلية بالجوف، فإن كلاً من الرحالة موسيل وفلبي لم يتطرقا إلى البعد الداخلي فيها إلا بالقدر الذي هو في تصورهم صراع أو قتال ومعارك مقاومة لجماعات أهل الجوف في سياق تحالفاتهم مع قوى وسلطات الخارج.

٨ ـ لعل الأكثر غرابة بين الرحالة في ما يمكن اعتباره تجاهلاً للحرب الأهلية بالجوف، أو عدم التطرق لها أو لبعض من حالاتها، وخاصة في أواخر العقد الأول من القرن العشرين، هو كل من «**بتلر وإيلمر**» في رحلتهما المشتركة للجوف (سكاكا ودومة الجندل)، حيث وصلا في بداية شباط/ فبراير من عام ١٩٠٨م. لم يذكرا أو يتطرقا إلى أية أحداث وقتال أهلي حدث في سكاكا**!**، علماً أن واقعة «كون الظلي»، وكانت شبه طازجة وآثارها والكلام عنها ربما لم ينقطع بل كان حديث «الديرة ومجالسها» كما يقال إنها كانت للتو قد حدثت، في صيف ١٩٠٧م، وقبيل أشهر معدودة من وصولهم سكاكا.

ب ـ في أهمية الدراسة: ما الذي تضيفه على ما سواها؟

الآن وقد حصرنا تقريباً جل، إن لم يكن كل، الدراسات المهمة التي تطرقت إلى كلام عن حرب أهلية بالجوف منذ ١٨٠٠ وحتى ١٩٢٢م، نلاحظ التالي: أن كل الدراسات السابقة، آنفة الذكر، وأغلبها من الرحالة، في واقع الأمر لم تناقش مناقشة محددة ومركزة الحرب الأهلية بالجوف. هي إشارات سريعة لحروب أهلية بالجوف دون حصر الواقعات، ودون الوقوف على الواقعات ذاتها بنحو من التدقيق والمناقشة.

الاستثناء يمكن أن يتصل، وإن كان هو أيضاً على نحو وبشكل سريع، بصراع «الجرعاوي ـ الدلهمية»، وكان على ما يبدو ليس لذاته وإنما في سياق توضيح خضوع الجوف لسيطرة ابن رشيد، وكذلك تمرد ١٨٥٣م، علماً أن هذا الأخير أشير إليه على أنه انتفاضة على سلطة خارجية (الرشيد)، وأيضاً ينطبق الأمر على مناقشات كل من «ألويس موسيل» لصراعات ومعارك في سياق مقاومة من بعض الأهالي صاحبت فوضى سيطرة «الشعلان» على الجوف ١٩٠٩ وامتدت متقطعة حتى ١٩١٤/ ١٩١٥م، وكذلك مناقشات وملاحظات «فلبي» لمعارك وقتال ١٩٢٢م على أنه مقاومة من مجموعة محدودة من أهل الجوف للشعلان وحلفائهم من بقية وغالب جماعات أهل الجوف في محاولة «الشعلان» إعادة السيطرة على الجوف وتثبيتها. ما يهم مما تقدم هو ملاحظة بعض العوامل التي أبداها الرحالة والدراسات السابقة في تفسيرها لبعض تلك الحروب (الواقعات).

نذكر منها على وجه التحديد التالي:

١ ـ الانقسام الداخلي/ العامل الاجتماعي وهذا متعلق بـ «عامل داخلي».

٢ ـ دخول وتنافس قوى/ سلطات خارجية على الخط: مع ملاحظة فترات الضعف/ الانهيار القوة و/ أو التنافس، وهذا متعلق بـ «عامل خارجي».

طبعاً هذان العاملان آنفا الذكر، دون شك/ لهما دور هام في تفسير ما أشير إليه من كلام عن عداوات واندلاع حروب أهلية، ولكنهما أولاً قاصران وعاجزان عن التفسير لوحدهما، منفردين أو مجتمعين، ليس فقط للحالة الكلية (الشاملة) للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وإنما كذلك عاجزان وقاصران عن تفسير حتى حالات منها، بل هما أشير إليهما أو إلى أحدهما في الكلام على العموم أكثر منه على الخصوص والتفصيل، والذي إن تم التدقيق فيه واحتسابه على أنه كذلك، فالأمر لا يتجاوز الحالتين أو الثلاثة على الأكثر.

في المقابل، نقول، وهذا ما يمكن للدراسة أن تقدمه وتضيفه على ما سواها من دراسات سابقة، قديمة أو حديثة، ويختصر عناصر أهمية دراستنا، التالي:

١ ـ هناك عوامل أخرى تبدو حاسمة تحتية (بنيوية) فاعلة، وهي على الأرجح محركة ودافعة وموازية لحركة وفاعلية ذينك العاملين السابقين آنفي الذكر، بل ويلعبان أدواراً حاسمة في التفسير الكلي للحرب، فضلاً عن تفسير عدد من حالاتها بذاتها، وهذا، بالمقارنة، ما نعمل على تقديمه وإثباته في دراستنا الحالية.

٢ ـ ودراستنا الحالية ستقدم معاجة شمولية ليس فقط لملاحظة المتغيرات والقوى المفسرة للحالة الشاملة وللحالات منها بعينها، وإنما كذلك بتقديم أول بناء تاريخي لقائمة حصرية جامعة للحالات والواقعات المكوّنة للحالة الكلية.

٣ ـ فضلاً عن البناء الزمني للواقعات، فالدراسة تتضمن الروايات المحلية ورواتها، وإن كانت لا تتبنى أياً منها، علماً أن الرواة هم في الغالب من أهل الجوف ومصادر تاريخها الشفوي. وفي هذا السياق فإن مسألة مصادر الدراسة عامة، أو ما تعلق منها هنا بدراسة الحرب الأهلية بالجوف وتفسيرها، فإنه، ورغم الإشارة إلى الدراسات السابقة وما نستخدمه منها حيث تكون مفيدة، **فإننا نعتمد بشكل أساسي على مصادر أولية محلية (من الرواة المحليين)، وهذه المصادر بحد ذاتها تعتبر إضافة أساسية على ما سواها وما سبق من دراسات**، بما في ذلك مذكرات الرحالة الغربيين على أهميتها، وعدم إهمالها على أية حال. بل أكاد أجزم القول إن هذه الدراسة سواء ما تعلق منها بالقضايا الكلية، أو ما تعلق منها بالحرب هنا، لا مثيل لها في الدراسات السابقة عليها والمتعلقة بتاريخ الجوف الحديث في توظيف المصادر الأولية (الرواة) المحلية بشكل قوي ومكثف ومتوازن في الوقت عينه؛ في التوازن والحرص عليه الأمر يتعلق في التأكيد على أن توظيف الروايات ورواتها المحليين، لا يعني ولا يؤخذ بالضرورة على أن أيّاً منها أو بعضها أو كلها سليمة وحقيقية لا غبار عليها، وإنما في توظيفها تخضع لعملية تدقيق ومقابلة بعضها ببعض، وكذلك مع غيرها من مصادر خارجية، بما في ذلك ما ورد في كتابات الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة، وبالذات منهم من أشار إلى بعض المواضيع، والأحداث ذات الصلة بما نناقشه.

٤ ـ فضلاً عما تقدم، وفي سياق أهمية الدراسة وخاصة ما تعلق منها بالباحث شخصياً، فقد سبق وأن ذكرت في مقدمة الكتاب في لماذا اهتمامي وهوسي منذ صغري في مسألة الحرب الأهلية بالجوف وما تعلق منها بين القرشة والمعاقلة، ولا حاجة لإعادة ما قلته هناك. لكن كل ما استطيع تأكيده هنا هو أنني كنت تواقاً لمعرفة حقيقة تلك الأحداث، وهو ما أدى بي لاحقاً للتفكير جدياً في دراسة الحرب الأهلية في الجوف كحالة أو ظاهرة متكاملة. كان التراكم الثقافي الأكاديمي (المعرفي علمياً) التي بدأت أتحصل عليه، وخاصة بعد إكمالي للدراسات العليا في حقل العلوم السياسية (منذ ١٩٨٧م فصاعداً)، وبالذات ما تعرفت عليه في مجال دراسات ونظريات ومفاهيم العنف وعدم الاستقرار السياسي، وبما يشمل الحروب والثورات وتاريخها، وما طبقته في عدد من الدراسات والأبحاث الاكاديمية لاحقاً (الفالح، ١٩٩١؛ الفالح، ١٩٩٢؛ الفالح، ١٩٩٦أ؛ الفالح، ١٩٩٦ب؛ الفالح، ١٩٩٨أ؛ الفالح، ١٩٩٨ب؛ الفالح، ٢٠٠٠؛ الفالح، ٢٠٠٢ب؛ الفالح، ٢٠٠٣؛ الفالح، ٢٠٠٤أ؛ الفالح، ٢٠٠٤ب؛ الفالح، ٢٠٠٥؛ الفالح، ٢٠٠٦؛ الفالح، ٢٠٠٧؛ الفالح، ٢٠٠٨؛ الفالح، ٢٠٠٩أ؛ الفالح، ٢٠٠٩ب؛ الفالح، ٢٠١٠؛ الفالح، ٢٠١١، والفالح، ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٢)، قد ساهم دون شك بمساعدتي معرفياً ومنهجياً ونظرياً على القيام بهذه الدراسة، محصناً والحمد لله، كما أسلفت وفصلت، بحالة تنشئة وتربية بعيدة عن التطرف والعنصرية في النظر للآخر، بما في ذلك ما يتعلق بالموقف من العلاقة التقليدية البينية لجماعات أهل الجوف، إضافة إلى ما تعلق منها ما بين القرشة والمعاقلة في سكاكا الجوف تحديداً.

٥ ـ وبناء على ما تقدم وفي سياقه، فإن الدراسة، وبتوظيف إطار مرجعي نظري معرفي ومنهجي، فضلاً عن معلومات وروايات محلية غير مسبوقة، تقدم دراسة ذات بعد تطبيقي للنظريات والمفاهيم والمناهج المتصلة بالحرب وخاصة الأهلية منها، وبالتالي المساهمة في (التعميم والتفسير) دعماً/ أو تفنيداً. بهذا المعنى فالدراسة تقدم مساهمة نظرية وعلمية غير قليلة، فضلاً عن ما توفره من معرفة عامة وتفصيلية عن الحالات التفصيلية ذات العلاقة سواء للقارئ العادي، أم للقارئ الأكثر عمقاً واهتماماً بالبحث العلمي والنظريات والمفاهيم والمناهج ذات الصلة بالحرب الأهلية، وقياساً على ومقارنة بما تم من الدراسات السابقة وخاصة في الجوف أو في مثيلاتها من مناطق عربية حول نفس المواضيع والمشاكل. بهذا المعنى والسياق والاستهداء بالإطار النظري والمنهجي، فإن الدراسة التي بين أيدينا تعتبر أول دراسة نظرية وتطبيقية وتفصيلية وتفسيرية شاملة تتم عن حالة وظاهرة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). من هنا نؤكد القول إنه لا توجد، حسب علمنا، أية دراسة، لا في السابق، ولا في الحاضر، عالجت هذه الظاهرة للحرب الأهلية معالجة محددة مركزة وشاملة. وفوق هذا وذاك، فإن كل الدراسات السابقة والحالية المتعلقة بتاريخ الجوف والتي قد يكون فيها مس وإشارات، من هنا أو هناك، لحرب أو حروب أهلية حدثت في وقت ما، خلت وبشكل كامل من إطار بحث علمي (نظري ومنهجي) متعارف عليه؛ كل الدراسات السابقة والحالية، إن وجدت، تميزت بشكل لا لبس فيه بغياب شبه كامل، ليس فقط بتفصيلات وقائعها، وفي غياب تعدد رواياتها، وإنما كذلك في غياب وعدم اشتمال أي منها، إن وجدت أصلاً، على إطار نظري ومفاهيمي ومنهجي متصل بالحروب و/ أو العنف بما فيها ما تعلق بالحروب والصراعات الداخلية (الأهلية).

٦ ـ وفي النهاية نقول إننا من جهة ومن زاوية شمولية أمام دراسة تعتبر في مجملها دراسة حالة حيث نظرنا إليها على أنها حالة شاملة كلية مترابطة (الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، ولكنها في تفصيلاتها ووقائعها، وهي مجموعة حالات تبدو على قدر من الانفصال، فإننا بالتالي، ومن جهة أخرى، أمام دراسة، وفي قدر غير يسير من وفي معالجاتها، هي في واقع الأمر دراسة مقارنة لحالات متعددة في الزمان وفي المكان، وإن كنا نتكلم عن الجوف وأهلها، ذلك أن الحالات وواقعاتها كانت أحياناً في دومة الجندل، وفي أحيان أخرى في سكاكا، أو متداخلة في أحايين أخرى في المكانين في الوقت عينه. وإذا ما نظرنا إليها على أنها دراسة حالة، وهي إلى حد ما كذلك، فهي أيضاً دراسة محلية تركز على المحليات وتفاعلاتها وحالاتها، والتي نؤيدها وندعم التوجه لها، لما لها من أهمية فعلية ومستقبلية لفهم أكثر دقة لواقع المجتمعات والبلدان العربية. إن أهمية الدراسات المحلية في كل بلد عربي، وهي دراسات الأساس والمستقبل لأي عمل أو لدراسات أشمل وأعم. كان هذا رأيي من سنوات خلت ولا زال، وخاصة منذ أن كتبت كتاب «سكاكا الجوف نهاية القرن العشرين» (الفالح، ٢٠٠٠م)، وكانت معظم كتاباتي ودراساتي وأبحاثي، وهي، وإن كانت تنحو بعض الشيء نحو دراسات أعم، إلا أنها لا تخلو من التركيز على الحالات بعينها. بهذا المعنى والمنحى في الدراسات فأنا أطرق ظاهرة أو حالة محددة من تاريخ الجوف، وهنا حالة الحرب الأهلية، لتكون، أولاً، الحالة التاريخية المدروسة أكثر عمقاً وحفراً وترابطاً، وثانياً، لتوفر هي، كحالة، مع حالات أخرى، إذا ما دُرست أو توفرت دراسات

عنها، إرثاً بحثياً موثوقاً به على نحو أكبر، وبما يمكن من صياغة تاريخ عام كلي (ولكن بادئة من جزئياته الأقرب لتمثيل الواقع) فيه إمكانية الوصول للتعميمات والتفسيرات العامة للحالة العربية ككل في مجال من المجالات أو في مجالات متعددة.

ثانياً: الحرب الأهلية في الجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م: في التفسير

تمهيد وعود على بدء

قبل الدخول في تفسير الحرب الأهلية في الجوف كان لا بد ولزاماً، علينا، أن نحدد الواقعات أولاً، ووجهات النظر و/ أو الروايات المتوافرة أو التي يمكن الحصول عليها حول كل منها، بما في ذلك روايات الجماعات المتقاتلة (ثنائياً أو أكثر) حولها ثانياً، وهذا ما فعلناه في حينه، في الفصل السابق مباشرة، دون أن يعني ذلك قبولنا أو تبنينا لها أو لأي منها. في موضوع الروايات ومضمونها، قد تتضمن الروايات أو بعضها جزءاً من الحقيقة (تفسير معقول) عن الواقعة، ولكن أية رواية مهما كان مدى اتساقها وتماسكها، فإنها في الغالب لن تحيط بالحقيقة الكاشفة (المفسرة دون غيرها) للواقعة ذاتها، فما بالك بغيرها. من هنا كان علينا أن نواجه الروايات بعضها ببعض، كلما توافرنا عليها، من باب التدقيق والنقد المتقابل لاستجلاء ما قد يكون تعارضاً أو توافقاً، أو تكاملاً، حتى وإن يكن جزئياً، بين الروايات مما يضفي أبعاداً شاملة عن أبعاد حقيقة الواقعة ذاتها.

فوق هذا، نحن لسنا هنا معنيين بواقعة (معركة أو قتال) بذاتها ولذاتها، وإنما همّنا منصرف إلى أن ننظر إلى كل تلك الواقعات الصراعية من زاوية ترابطها وتراكماتها، وما يمكن أن تشكله أو تكوّنه من فكرة جامعة ترقى إلى ما يمكن تسميته بـ: «حرب أهلية»، حدثت في فترة ما في الجوف. من هنا كان علينا أولاً، تحديد الواقعات التي قد تشكل مع بعضها البعض ما يرقى إلى قيام/ تشكل حرب أهلية. وحيث إننا بالفعل قمنا بتحديد الواقعات ومقابلة الروايات حولها بعضها ببعض، ننتقل الآن وفي مرحلة حاسمة إلى البحث في المتغيرات والعوامل (الأسباب) الظاهرة والباطنة (البنيوية) التي تقدم ما يرقى إلى التفسير العلمي والشامل للحرب الأهلية في الجوف ككل في سياق نظري ومنهجي متكامل ومترابط، وهذا ما سنقدمة ونقوم به تالياً.

١ ـ الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م: في التصنيف

للقيام بالتفسير، لا بد من القيام بعمل تمهيدي ويتمثل بتكوين «مصفوفة تصنيفية» لحالات ووقائع الحرب الأهلية بالجوف التي تغطي كامل الفترة تحت الدراسة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). «التصنيف» (Classification) تم على أساس مجموعة من العناصر وتشمل إجمالاً التالي:

أ ـ ملاحظة توفر أو عدم توفر (فاعلية/ عدم فاعلية/ أو غياب) مجموعة من العناصر ذات العلاقة بمجموعة من المتغيرات ومنها:

(١) المتغيرات السياسية (السلطة السياسية: محلية/ مركزية/ فراغ... إلخ)

(٢) المتغيرات الاجتماعية (الانقسامات على خلفية اجتماعية)

(٣) المتغيرات الثقافية والنفسية (الحرية/ التحرر/ التجربة التاريخية والحالة النفسية/ المذهبية/ الدينية... إلخ).

(٤) متغيرات القوة السكانية (الديمغرافية) بما في ذلك ملاحظة النمو والاستيطان والتزايد و/ أو النقصان العددي للسكان والجماعات، وصلة ذلك بالاختلال و/ أو التوازن بين الجماعات على الأرض «التمدد الجغرافي»، وكذلك ملاحظة الأبعاد العسكرية (السلاح والعتاد وتوازناته ومصادرها كل ما كان ذلك ممكناً) ومدى صلتها بحالات الحرب.

(٥) متغيرات القوى الاقتصادية/ المادية ـ الاجتماعية: بالنسبة للاقتصادية ـ المادية التركيز هو على: (طبيعة نمط الاقتصاد السائد «فلاحي بسيط حد الكفاف» وقيمه الاجتماعية «المساواة»). بالنسبة للمادية، التركيز هو على: الضرائب/ الزكاة، والمراعي، والأملاك، والأراضي، والموارد المائية.

ب ـ كذلك ملاحظة من هي القوى والأطراف ذات العلاقة بالصراعات «الواقعات الصراعية» في الجوف وأهلها آنذاك، من حيث الحضور والفاعلية (قوة/ ضعفاً/ عدماً)، وتحديداً ملاحظة التالي:

(١) القوى والأطراف الداخلية (بالجوف)، وتحالفاتهم ذات العلاقة بالصراع.

(٢) القوى والأطراف الخارجية (الكيانات السياسية/ الدول المحيطة) ذات العلاقة بالصراع ومدى فاعليتها (قوة أو ضعفاً أو عدماً).

(٣) التداخل بين الداخل والخارج (القوى والأطراف) وتحالفاتهم (التحالفات).

ج ـ ملاحظة المكان (دومة الجندل أو سكاكا)، والزمان (تاريخ حدوث الواقعات) للواقعات (الأحداث) وامتداداتهما (ما بين سكاكا ودومة الجندل أو بالعكس) إن وجدت.

ولكي نقوم بالتصنيف، نعود إلى الواقعات ونستخلص منها ما تضمنته من عناصر ومتغيرات وقوى وأطراف على نحو موجز وسريع، ونضعها في «مصنفة» حسب الأسس «القوى والمتغيرات» الواردة في جدول محدد، وهو ما تم بعد مراجعة الواقعات، حيث تم بناء مصفوفة «تصنيفية» في الجدول الرقم (٣) أدناه[*].

طبعاً هناك عدد من الوقائع/ الواقعات ذات العلاقة بصراعات أهلية غير مسجلة أو واردة في الجدول، لأسباب تتصل بعدم توافر روايات متقابلة لأطرافها، أو ربما لكونها كانت أحداثاً تبدو صغيرة و/ أو فرعية فلم يهتم بها الرواة أو لم تلقَ الاهتمام الكافي منهم أو من غيرهم، ولكننا، مع ذلك، ولما توفر لدينا من معلومات عنها، فإننا، وفي معرض النقاشات قد نمر عليها، ونشير لها طالما كانت لها أهمية ودلالات ذات صلة بجدلية التوضيح والتفسير، دعماً وتأكيداً أو نقضاً ونفياً.

(*) يعود ترقيم الجدول هنا بـ (٣) إلى حسب تسلسل الجدول الوارد في الملاحق في نهاية هذا الكتاب، لذلك اقتضى التوضيح.

الجدول الرقم (٣)

الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): القوى والمتغيرات

المتغيرات القوى الواقعات زمن/ مكان	قوى/ أطراف/ الصراع		سياسية سلطة/ محلية مركزية واحدة/ فراغ	اجتماعية/ ثقافية/ نفسية اجتماعي حرية/ كرامة		ديمغرافية (د) وعسكرية (ع)	اقتصادية ومادية اقتصادي/ مادي/ نمط اقصاد	
صراعات حرب	داخلي	خارجي	سلطة مركز	انقسام اجتماعي	حرية/ تحرر مذهبية	عدد: +/ −	دعم/ ضرائب/ زكاة أملاك/ مراعي	كفاف/ فلاحي مساوة
صراعات ١٨٠٠ ـ ١٨٣٠S م	سراح/ درع دومة	دولة ـ س١ دعم/ حلف للدرع	**مركزية** ـ NO تنافس/ صراع على سلطة	YES	حرية/ تحرر	د = NO? ع = YES دولة س١	مال للدرع + (سلاح من دولة س١)	YES
واقعة الدلهمية ١٨٣٨م	دلهمية/ جرعاوي دومة	دولة ـ رش جرعاوي	**سلطة محلية** **لا مركزية**	YES	ح/ تح؟	د =؟ استيطان؟	أراضي/ لملاك؟	YES
صراع السراح ـ تمرد ١٨٥٣م	السراح × السراح دومة	الرشيد ـ «الشعلان»	**تمرد** على سلطة «الرشيد» **بعيدة/ ضعيفة**	NO تنافس بيوت	حرية/ تحرر من «الرشيد»	د = NO ع = YES شعلان/ رشيد	حلال/ سجادة	YES
واقعة المديرس الحملة التركية ١٨٧٠/ ١٨٧١م	قرشة × معاقلة (جزئيا) دومة سكاكا	الرشيد الأتراك تدخل الأتراك	**بالأصل تمرد أهل** الجوف على سلطة «الرشيد»	بالأصل No لاحقاً YES	حرية/ تحرر من «الرشيد»	د = ؟ ع = YES قوة تركية عسكر «الرشيد»	ضرائب/ زكاة رشيد/ أتراك	YES
واقعة السمرة ?١٨٧٠S	قرشة × معاقلة سكاكا	NONE	سلطة مركزية «الرشيد» **قوية**	YES	NONE	د = Maybe؟ ع = Yes Bt Limitd	حلال رعي/ مراعي	YES
واقعة سيسرا ١٨٨٠S م عرض قوة	قرشة × معاقلة سكاكا	NO	سلطة «الرشيد» **قوية/ تدخلت** اوقفت العمل	YES BT NO VIP	NO	د = ؟ Maybe? ع = NoUSE	YES مورد/ مياة قليب + قنوات أرضية	YES

يتبع

تابع

واقعة الجمعة ١٨٨٠S م نوايا للقتل	قرشة × معاقلة سكاكا	NO	سلطة «الرشيد» **قوية**	YES	بالأصل NONE لكن المسجد صلاة	د = ?Maybe ع = NO USE	إشارات عن توقف دفع الزكاة؟	YES
كون الظلي صيف ١٩٠٧م مسلح/ قتلى	قرشة × معاقلة سكاكا رحيل شكر السهيان	جزئيا Yes الرشيد/ المعاقلة مشيخة السهيان	سلطة «الرشيد» موجودة ـ لكن **ضعيفة جداً** صراعات «الرشيد»/ حايل؟	YES and NO صراع مشيخة السهيان	NONE جزئياً تحررمن سلطة خارجية «الرشيد»؟	د = معاقلة # قرشة لكن معاقلة استيطان + نمو؟ ع = YES لكن من أكثر؟	توسع المعاقلة جغرافيا ـ حد من توسع القرشة غربا وجنوبا	YES
صراعات سيطرة الشعلان ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م مسلح/ قتلى	قرشة معاقلة دومة سكاكا	Yes «الشعلان» = معاقلة الرشيد = قرشة	سلطة الرشيد **ضعيفة** صراع بحايل # سيطرة لسلطة «الشعلان»	YES	NONE لكن الرولة عداء لوهابية «الرشيد»؟	د = معاقلة # قرشة لكن المعاقلة نمو+؟ ع = YES قوة عسكرية + سلاح للحلفاء (رشيد/ شعلان)+ تجار سلاح (المشاهدة)	ضرائب/ زكاة/ مراعي/ مياه/ تجارة مقايضة محدودة حبوب/ تمر/ ملح حرق/ هدم/ نهب/ املاك ومزارع تهجير/ هجرة	YES
صراعات الرشيد ـ الشعلان على الجوف ١٩١٩م مسلح/ قتلى	مجموعات من سكاكا ودومة ضد بعضهم	YES الرشيد X «الشعلان» ودعم حلفاءهم	**فراغ سياسي على** خلفية القضاء على سلطة «الشعلان» ١٢/١٩١٨م	NO إجمالاً المعاقلة مع «الرشيد» والقرشة غالباً على الحياد	NONE ما عدا ما يتصل بموقف بالرشيد و«الشعلان»/ الرولة من الوهابية	د = معاقلة # قرشة لكن الحرب بين مجموعات خليط ع = YESسلاح للحلفاء	الضرائب/ الزكاة/ ومناطق للرعي وموارد المياه وطريق التجارة للشام	YES
كون الغطغط ـ المطر ١٩٢٠م؟ وهجة الغرب بدومة مسلح/ قتلى	١٭قرشة × ضد معاقلة بسكاكا ٢٭معاقلة + قرشة X ضد معاقلة بدومة الجندل	الرولة «الشعلان» ضد المعاقلة و«الرشيد» بسكاكا ودومة	سلطة «الرشيد» موجودة لكن ضعيفة ٭٭٭ محاولة #٢ «الشعلان» لإنتزاع الجوف	Ys /No بعض الشلهوب بسكاكا وبعض المعاقلة في دومة مع «الشعلان»	NONE ماعدا موقف الرولة الرشيد من الوهابية	د = معاقلة # قرشة لكن معاقلة في نمو ع = YES قوة متعددة من «الشعلان» وبادية + سلاح لمناصريهم في دومة وسكاكا	تجارة التمر ضرائب/ زكاة لصالح «الرشيد» أو «الشعلان»؟	YES

يتبع

تابع

كون/ حرب المعاقلة ـ أو حرب الراشد والمويشير ١٩٢٢م (رمضان ١٣٤٠هـ) مسلح/ قتلى	معاقلة × ضد معاقلة أو بالأحرى هي بين: الراشد والمويشير	«الشعلان» دعم وتحالف مع غالب أهالي الجوف	سلطة «الشعلان» موجودة ولكن ضعيفة وغير مستقرة تنافس على مشيخة الراشد	NO معاقلة Xمعاقلة بل بين الراشد = الراشدX المويشير مشيخة الراشد	NONE	د = حلف «الشعلان» أكثر ❊ القرشة ليست طرف بالحرب شارك عناصر قليلة من العلي والمطر ع = YES سلاح دعم عسكري من «الشعلان» لمجموعات حلفهم ومنهم راشد القايد مقابل سلاح مستولى عليه (١٩١٨م) لحلف جنوب/ غرب معاقلة مطالب به من «الشعلان»		YES
نهاية الحرب الأهلية بالجوف نوفمبر ١٩٢٢م	انهاك أهلي من الصراعات	بروز سلطة كيان جديد بديلة السعودية # ٣ انهيار سلطتين متنافستين	دعوة وقبول سلطة مركزية واحدة بتوافق أهلي عام وتواصلها	انقسام اجتماعي موجود لكن لم يحل دون توافق أهلي على سلطة جديدة	الوهابية متغلغلة بالجوف وأهلها منذ +٨٠ سنة ومتجانسة مع السلطة الجديدة	تقارب وتوازن بين الجماعات الكبرى العامة بالجوف (المعاقلة والقرشة)	وقف الاستنزاف المادي الحاد بنهاية الضرائب الجائرة رغم دفع الأهالي للزكاة المفروضة للسلطة الجديدة + استقرار وتعافي الحالة الزراعية تدريجياً	YES ولكن تحولات لاحقة في تطور الاقتصاد الزراعي آليا مدعوما بمال ونفقات حكومية + وظائف عسكرية + مدنية + دخول البترول وتبعاته على الخط في غضون ٣٠ سنة من دخول الجوف تحت السلطة الجديدة

(❊❊❊) نهاية الجدول الرقم (٣).

ملحوظة هناك عدد من حالات الحرب الأهلية بالجوف للفترة نفسها ولكنها لم تضمَّن في الجدول لغياب روايات بعض أطرافها، ومنها؛ صراع الرحيبيين/ الرحيبيين (١٨٣٠sم؟) في دومة الجندل؛ الرحيبيين/ المطر (١٨٣٠sم؟) في دومة الجندل؛ الطالب/ السراحين والدغمان (١٨٤٠sم؟) في قارا... إلخ. وسنشير لها ولبعضها في المناقشات التالية.

❊❊❊ ـــ ❊❊❊

٢ ـ الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م: في التفسير

وفي التفسير وتفصيلاته (المتغيرات والقوى)، بداية نود التنبيه إلى نقطة هامة وهي: إننا ورغم ما قدمنا من توزيع للقوى والمتغيرات بين الداخل والخارج، فإننا في المناقشة والتحليل الفعلي التالي قد نضطر إلى معالجة الداخل والخارج وبنيتيهما في سياق متصل غير منفصل لضرورات الترابط، ولتمظهرهما واقعياً جنباً إلى جنب في الحالات على نحو قد يكون أكثر ملاءمة ونفعاً في مناقشتهما معاً، بدلاً من مناقشة منفصلة لكل واحد ومجموعته على حدة. عليه نبدأ فنقول: من الجدول أعلاه (٣) يمكن رصد وملاحظة ومناقشة وتحليل المتغيرات والعوامل والقوى والأطراف ذات الصلة بتفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) قوة أو ضعفاً، على النحو التالي:

أ ـ في العوامل الاجتماعية والحرب الأهلية بالجوف

إذا أمعنا النظر في الجدول (٣) نلاحظ التالي: من ١٢ حالة حرب أهلية، يلاحظ بالنسبة للعامل الاجتماعي (أي الانقسام الاجتماعي)، هناك من ٥ إلى ٦ حالات موجود بها، على نحو واضح وصريح، وهو ما يبدو على أنه «محرك « فاعل في هذه الحالات عينها وهي: ١ ـ صراعات ١٨٠٠ ـ ١٨٣٠sم بدومة الجندل بين السراح والدرع؛ ٢ ـ وواقعة الدلهمية ـ ١٨٣٨م في دومة الجندل بين أهل «الجرعاوي»، وهم «بالأصل من جبة» من منطقة حائل من جهة، وبين أهل الدلهمية «سراحين»؛ ٣ ـ واقعة السمرة ـ ١٨٧٠sم(؟) بين جماعة من القرشة وجماعة من المعاقلة من أهل سكاكا في مكان بين سكاكا ودومة الجندل، علماً أن هذه الواقعة فيها عناصر أهلية محدودة من أهل دومة الجندل، وفيها أبعاد على ما يبدو مادية «مراعي وحلال/ مواشي؟»؛ ٤ ـ واقعة الجمعة ـ ١٨٨٠sم(؟): وأطرافها المعاقلة والقرشة في سكاكا، وهذه واقعة في النوايا «مؤامرة» ولم تحدث فعلياً أي لم يتم تنفيذها، ولكن ترتب عليها تداعيات وتراكمات اجتماعية ودينية وربما نفسية بين أطرافها وتجاه العلاقة فيما بينهم لاحقاً؛ ٥ ـ صراعات (أهلية اصطفافية) في سياق سيطرة بن شعلان على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م: رغم أن طرفها الأساسي «الشعلان» إلا أنه كان هناك اصطفاف معه «المعاقلة»، وضده «القرشة» في سكاكا ودومة الجندل، وخاصة في دومة الجندل في توابعها ومراحلها الأخيرة؛ ٦ ـ واقعة سيسرا ـ ١٨٨٠sم: بين المعاقلة والقرشة في سكاكا في مكان يبدو بينهما شمال سكاكا تقريباً، علماً أن الواقعة كما سنشير لها لاحقاً متصلة بعوامل اقتصادية (موارد ما وتوابعها).

إضافة إلى ما تقدم هناك حالتان أخريان من الـ ١٢حالة للحرب آنفة الذكر، العامل الاجتماعي له فيهما وجود «شكلي» (أي رغم أنه موجود في الخلفية لكنه لا يبدو أساسياً، أو أن ليس له أولوية في الواقعة) وهذه تشمل الواقعات التالية: ١ ـ واقعة كون الظلي ـ صيف ١٩٠٧م: ورغم أن هذه الواقعة من أشهر الواقعات القتالية بين جماعة المعاقلة من جهة وبين وجماعة القرشة من جهة أخرى عموماً، مع دخول غالب جماعة الشلهوب في تحالف مع المعاقلة ضد القرشة في الواقعة ذاتها وما تلاها، إلا أن أصلها متداخل بمتغيرات سياسية واجتماعية لا علاقة لها مباشرة بالانقسام الاجتماعي بين القرشة والمعاقلة كما سوف نفصل ونبين لاحقاً، هذا فضلاً عن اصطفاف غالبية الشلهوب، مع المعاقلة

في الواقعة، رغم تباين الحالة الاجتماعية للشلهوب مع المعاقلة، ورغم كون «الشلهوب» في ما سبق الواقعة كانوا على قرب وعلاقة تبدو قوية مع القرشة؛ ٢ ـ واقعة كون «الغطغط ـ ١٩٢١م»: بالأصل الرولة ـ «الشعلان» من جهة، وضد المعاقلة و«الرشيد» في سكاكا ودومة الجندل من جهة أخرى: دخل فيها، من جهة، مع «الشعلان» ـ المهاجمين، من أهالي الجوف بعض عناصر من الشلهوب وعناصر من أهل المطر (حلفاء القرشة تاريخياً) بسكاكا، وبعض المعاقلة في دومة الجندل، بينما في الجهة الأخرى وقف ضدهم في كل من سكاكا ودومة الجندل مجموعات وعناصر من المعاقلة، مما يعني أن التداخل والاشتراك في القتال كان بين عناصر مختلطة لا تنطبق عليها مسألة الانقسام الاجتماعي على نحو حاسم واستقطابي. مما تقدم نلاحظ أن ٥ من ١٢ من حالات الحرب الأهلية يتواجد فيها العامل الاجتماعي «الانقسام الاجتماعي» كعامل أو متغير، وهو ما يمثل حوالي ٤١ بالمئة من الوجود الظاهري في الحالات الكلية المكوّنة للحرب بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م. هناك حالة صراع أهلية إضافية فرعية، لم ترد في الجدول (٣) لعدم توفر معلومات وروايات متقابلة حولها، وقعت، في قرية «قارا» جنوب سكاكا، ربما في وقت ما من عقد الـ (١٨٤٠s م؟)، بين «الطالب» من جهة وبين «السراحين» وبدعم من الدغمان (الرولة) من جهة أخرى؛ هذه الحالة الأخيرة، وإن بدا أنها فيها قدر من الانقسام الاجتماعي، وبالذات بين «الطالب» و«السراحين»، إلا أنها لا تضيف كثيراً على قوة العامل الاجتماعي في الصراع الأهلي بالجوف، بل إن هناك تقييداً للأمر خاصة إذا ما أخذنا بالاعتبار قول غالبية من الطالب على أنهم من عنزة بينما حلفاء السراحين من جهة أخرى هم الدغمان/ رولة (عنزة)، فضلاً عن مشاركة ووقوف عدد من أسر «سرحانية» في الصراع إلى جانب الطالب ضد السراحين من قارا.

إن حضور العامل الاجتماعي «الانقسام الاجتماعي»، بنسبة تتراوح بين ٤١ بالمئة و٥٠ بالمئة في حالات الحرب، مع نوع من الوجود، وإن كان أقل أهمية، في ٢ حالة أخرى، يعطي للعامل الاجتماعي قوة تفسيرية لا بأس بها، وهو على هذا النحو يؤيد ما جنح إليه بعض الرحالة الغربيين في الإشارة وصفياً لأهمية العامل. ومع ذلك فإن هذا العامل الاجتماعي «الانقسام الاجتماعي»، لوحده ولذاته، بهذا الوجود وهذه النسبة ٤١ بالمئة إلى ٥٠ بالمئة لا يعني أن وزنه التفسيري لحالة الحرب الكلية يساوي النسبة الوجودية نفسها له في حالات الحرب (٤١ بالمئة ـ ٥٠ بالمئة).

ما يمكن قوله الآن، هو أن الوزن والثقل الحقيقي الفعلي التفسيري للعامل الاجتماعي من خلال نسبة تواجده الظاهري آنفة الذكر ليس بالمستطاع تحديده هنا، وفي هذه الدراسة ومعالجاتها، خاصة وأنه ليس العامل الوحيد الموجود في حالات الحرب الأهلية. بموازاة ما تقدم من استنتاج بأن العامل الاجتماعي «الانقسام الاجتماعي» بتواجده الظاهري (٤١ بالمئة ـ ٥٠ بالمئة) لا يقدم تفسيراً، بنفس النسبة الموازية والمساوية لوجوده الظاهري، للحرب الأهلية بالجوف لا في كلياتها ولا في بعض حالاتها، فإننا نقدم أدلة وملاحظات إضافية، وهي في مجملها تضع مزيداً من القيود الإضافية على القوة التفسيرية للعامل الاجتماعي، من واقع الواقعات «حالات الحرب الأهلية» في ذاتها. عليه نقول، وبالرجوع إلى تفصيلات الواقعات ذاتها، وباستخدام ملخصها كما ورد عنها في المصفوفة «التصنيف» السابق (الجدول (٣)) التالي:

(١) هناك ٤ حالات من الـ ١٢ حالة للحرب الأهلية بالجوف، وهي ما تمثل ٣٣ بالمئة من الحالة الكلية الوجودية، لا يتواجد فيها العامل الاجتماعي نهائياً؛ أي لا علاقة للعامل الاجتماعي بالحرب على نحو شبه قاطع، حيث الحرب وقعت بين أطراف لمجموعات من خلفية اجتماعية واحدة. (والحالات هي: ١ ـ في صراع السراح وتمرد ١٨٥٣م: رغم أنه تمظهر على أنه تمرد لأهل الجوف على سلطة «الرشيد»، إلا أنه تطور من صراع أهلي جذوره وأصله هو صراع داخل بيوت السراح وهم من خلفية اجتماعية واحدة؛ ٢ ـ واقعة المديرس ١٨٧١م وهي وإن كان لها ملابسات بين القرشة والمعاقلة في أواخرها وتوابعها لاحقاً، فإنها في الأصل امتداد لـ «صراع» أهل الجوف ضد سلطة الرشيد بتداخل مع الدولة التركية في مراحلها الأولى؛ ٣ ـ صراعات «الرشيد ـ الشعلان» على الجوف ١٩١٩م تداخلت مع مجموعات من سكاكا ودومة ضد بعضهم البعض: المعاقلة اصطفوا مع الرشيد ولكن القرشة في الغالب وقفوا على الحياد؛ ٤ ـ كون/ أو واقعة «حرب المعاقلة/ المعاقلة» المعروفة بـ «حرب الراشد ـ المويشير ـ ١٩٢٢م»: وهي، وإن تداخلت مع صراع ضد «الشعلان»، فإنها صراع وحرب وقعت داخل جماعة عامة واحدة «المعاقلة»، بل هي في جزء أساسي منها قتال شارك فيه على نحو متضاد رجال وابناء عمومة من داخل وبين بيوت الراشد (راشد القايد ـ المويشير) وهم من عائلة وخلفية اجتماعية واحدة ـ من الراشد ـ أساعدة من عتيبة، كما هي في حالة «تمرد» ١٨٥٣م ـ في الأصل هي صراع بين بيوت السراح). إضافة إلى ما تقدم من غياب كامل للعامل الاجتماعي «الانقسام الاجتماعي» في تلك الحالات الأربع، هناك على الأقل «٢ ـ حالة» من حالات الحرب الأهلية بالجوف، التواجد فيها للعامل الاجتماعي الانقسامي يبدو وجوداً باهتاً (ضعيفاً أو محدوداً) لأن أصل الصراع مختلف عن ظاهره، أو أن فيه عناصر مختلطة على طرفي صراع حالة الحرب. هذه الحالات وردت الإشارة لها أعلاه، وهي: (واقعة المديرس، ١٨٧١، وكون الغطغط، ١٩٢١)، ويمكن أن يضاف لهما بقدر من التحوّط واقعة كون الظلي ـ ١٩٠٧م. إذا أضفنا هاتين الحالتين أو هذه الحالات الثلاث الأخيرة إلى ما قبلها من عدم تواجد أو ضعف فيه للعامل الاجتماعي تصبح نسبة عدم التواجد له في الحرب الأهلية تتراوح ما بين ٣٣ بالمئة إلى ٥٠ بالمئة وحتى ٥٨ بالمئة، مع ملاحظة أن هذه الحالات الثلاث الأخيرة يمكن أن تحتسب في الحد الأعلى لتواجد العامل الاجتماعي في المجموعة (١) كما سبق الإشارة لها في حينه هناك، وبالتالي هي متداخلة في نسبة تواجد العامل الاجتماعي من عدمه في الحالتين. من هنا فإن هذه الحالات أينما تحتسب ستؤدي إلى زيادة أو تقليل نسبة العامل الاجتماعي تواجداً أو عدم تواجد، وبالتالي تأثيره إيجاباً أم سلباً في تفسير الحرب الأهلية بالجوف. بموازاة ما قلنا سابقاً، نكرر القول إن نسبة تواجد العامل/ المتغير، سواء تعلق الأمر بالعامل الاجتماعي أم بغيره، كوجود ظاهري لا يعني أن لديه نفس القدر والنسبة كقيمة ووزن فعلي تفسيري للحرب في كلياتها أو في حالة من حالاتها، علماً أن هناك عوامل أخرى لاعبة في الحالات الفردية والكلية للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م).

(٢) إضافة إلى ما تقدم من إشارة إلى عدم أهمية العامل الاجتماعي (الانقسام الاجتماعي) في عدد من حالات الحرب الأهلية بالجوف، هناك أيضاً حالات حرب أهلية فرعية لم ترد في الجدول (٣)، وهي أيضاً حالات صراع ونزاع، بعضها اشتمل على قتال مسلح وبعضها الآخر لم يتطور إلى هذا الأمر

ولـم يرقَ ليصل حالة حرب أهلية، وقعت كصراعات، ما بين مسلحة ودونها، ليس بين مجموعات مختلفة اجتماعياً، وإنما بين أطراف تابعة لبيوت من جماعة (عائلة/ قبيلة) واحدة ومنها على سبيل المثال: ١ ـ صراع الرحيبيين ـ الرحيبيين في دومة الجندل في سنة ما من فترة ١٨٣٠s ـ ١٨٤٠sم (؟)، علماً أن الرحيبيين كلهم من «تميم» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٤٤ ـ ٣٤٥)، وإن قال بعض الرحالة الغربيين، ومنهم جورج أوغست والن، عنهم: «... يقال إنهم هاجروا من قرية سورية تدعى رحيبة...» (والـن، رحلة ١٨٥٤، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٨)؛ ٢ ـ صراع وخلاف المنديل ـ الصالح (الشلهوب/ سكاكا): هذا الخلاف يبدو أنه يعود إلى قبيل منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٠م؟) أو في حدوده زيادة أو نقصاناً، ووقع بين الأخوة (منديل وصالح) من الشلهوب (سراحين): أصل الخلاف كما يروي صالح عدوان المنديل (المنديل، صالح عدوان، مقابلة (III)، ٢٠/٨/٢٠٠٢: ٦ من ٦) كان على جزء من أرض بين الأخوين، ترتب عليه أن يقوم «منديل» وأبناؤه بالرحيل والانتقال إلى جنوب منطقة يقطنها الآن جماعة «النصير» مقابل شمالاً لتمثال/ دورا أو ميدان صحن الصينية، على الضفة الشرقية ـ الجنوبية من سيل «الغدير» والمسمى، حالياً، باسم شارع الهذال، نسبة لتواجدهم آنذاك على حافة «سيل/ الغديّر» من الجهة الشرقية الجنوبية، حيث فيما يبدو أن عدداً من «الهذال» وهم من «الصالح ـ الشلهوب» التحقوا فيما بعد بـ «منديل وأبنائه» في المكان عينه شرق شمال سيل الغديّر الهذال/ حالياً). انتهى هذا الوجود للمنديل/ الهذال من منطقة «سيل الغديّر» تدريجياً، بالعودة إلى حي الشلهوب، بعد واقعة القيام على سلطة ومنصوب بن شعلان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م؛ ٤ ـ صراع الفياض ـ المظهور (منذ ما قبل١٩٠٠م؟)، وكلاهما من الشلهوب (سراحين). كانت الشلهوب تتبع مشيخة «الفياض، حتى وقت ما من العقد الأخير من القرن التاسع عشر (١٩٨٠sم)، أي قبيل ١٩٠٠م تقريباً، حيث نشب صراع بين «الفياض» و«المظهور»، وطبقاً لأقوال «أبو أحمد/ سعود منور الفياض» في مقابلة معه، بعد وفاة فياض على مشيخة الشلهوب ككل، لتنتهي في النهاية لصالح المظهور، بعد رفض منور بن فياض مقترح حل الخلاف بتقسيم مشيخة الشلهوب بين «الفوقيين» للفياض، و«التحتيين» للمظهور، ثم، في النهاية، ترك «منور» وتخليه عن الأمر كلية (الفياض، سعود منور، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٣: ٦ من ٦ ملخص). ويبدو أنها انتقلت إلى المظهور، ابتداء من فهاد المظهور (الفياض، سعود منور، مقابلة، في: ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ٦ من ٦ ملخص، والسطام، عبد الحميد، لقاء وحديث جماعي مشترك، في: ١٧/ ١٠/ ٢٠١٢: ٧:١٠ ـ ٧:٤٠ مساءً) على إثر صراعات يبدو أنها كانت مريرة، حيث على ما يبدو لم تخلُ من قدر من القساوة والعنف؛ ٣ ـ صراع العايف ـ الفالح/ العياف (حوالي ١٩٠٧ ـ ١٩١١م): العايف والفالح من خلفية اجتماعية واحدة: كلهم أبناء عمومة من بيوت جماعة الدغيفق (المثري، والفالح) من آل معيقل (الدغيفق والكبيدان والسليمان) من الدهامشة ـ عنزة: وصل الأمر إلى درجة تفكير «سعد العايف» باغتيال كل من الفالح والعياف في المسجد، لكن الله لطف ومن ثم كان رفض «ملاقي» للخطة والفكرة تماماً، علماً أن «العياف» و«العايف» أيضاً هم أقرب لبعضهم البعض ومن بيت واحد (المثري من الدغيفق)، ومع ذلك لـم يمنع هذه الخلفية الاجتماعية الواحدة من هذا النزوع الصراعي، ذلك أن عوامل سياسية «الصراع على مشيخة الدغيفق» كانت تدفع

بهذا الصراع. هناك حالات أخرى مشابهة لمثل هذه الصراعات الفرعية في جماعات أخرى أيضاً، وقد أشرنا سابقاً إليها، ومنها واقعة الظلي ١٩٠٧م، وهي، وإن في ظاهرها وقعت كحرب قتالية فعلية بين القرشة من جهة والمعاقلة والشلهوب من جهة أخرى، فإنها في أصلها، إذا ما أخذنا برواية المعاقلة، تتطورت من صراع ونزاع داخل وبين جماعة القرشة وتحديداً في الضويحي وفي عائلة السهيان حول من له الحق بمشيخة «القرشة» والضويحي تحديداً، بعد وفاة شكر السهيان بين مجموعة مناصرة لـ «عساف» ابن شكر السهيان من جهة، وبين مجموعة أخرى تناصر عم الابن «خليفة السهيان» وهو أخ لـ «شكر السهيان». وإن أخذنا في رواية القرشة عن واقعة الظلي ١٩٠٧م، فهي تشدد على أن الأصل في الواقعة لم تكن ضد المعاقلة، وإنما كانت تستهدف إنهاء سلطة حكم خارجية (الرشيد آنذاك) في سياق خطة مشتركة مفترضة مع كبار المعاقلة، لكن المعاقلة، كما تقول رواية القرشة، تراجعوا عنها، علماً أن جماعة المعاقلة، كما سبق الإشارة إليه في حينه (انظر؛ مناقشة واقعة الظلي ١٩٠٧م في فصل الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): الواقعات والروايات)، تنفي بالمطلق حدوث مثل هذا الاتفاق المسبق مع القرشة! وهناك حالات أخرى قريبة من هذه الصراعات الفرعية خلال تلك الفترة التاريخية وبالذات في سكاكا، منذ ١٨٥٣م فصاعداً بين مجموعات من نفس الخلفية الاجتماعية؛ من ذلك: أ ـ كان صراعاً يبدو على نحو خفي ـ معلن بين شكر السهيان وقاسم السعيد حوالي ١٨٥٣ ـ ١٨٧١م على زعامة القرشة عموماً، وإن حسمت لصالح شكر السهيان في نهاية المطاف وخاصة بعد ١٨٧١م فصاعداً؛ ب ـ صراع داخل جماعة العلي ـ القرشة بين السعيد والبليهد على مشيخة العلي، وإن حسمت منذ أيام «الشعلان» فصاعداً لصالح البليهد؛ ج ـ كما سبق أن ذكرنا في مكان آخر من الدراسة، شنوان عقيل مفرج الكبيدان من المعاقلة (الكبيدان) حاول قتل ابن عم فلاح الشردان مفرج الكبيدان (وله مشيخة الراشد والدغيفق) (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٤ ـ ٥ من ٢٣، ج ١).

إضافة إلى ما تقدم في الحديث عن العامل الاجتماعي «أي الانقسام الاجتماعي» ودوره في الحرب الأهلية بالجوف، في كلياتها أو في بعض من حالاتها، فيجب التنبيه إلى التالي: إن الحديث عن جماعات متحاربة باعتبارها من مجموعات ذات خلفيات اجتماعية متباينة (مختلفة)، كما هو الحديث مثلاً، في حالات حرب بين القرشة والمعاقلة، قد يفهم منه أن هذه الجماعات متضادة إثنياً (عرقياً أو قومياً وطائفياً... إلخ) على نحو كامل كما هو في مجتمعات/ دول عانت من حروب أهلية قديماً وحديثاً، وهذا الأمر في الجوف ليس صحيحاً للأسباب التالية:

١ ـ إن كل الجماعات التي قاتلت بعضها البعض في الجوف في سياق ما نتحدث عنه وفي سياق المكوّن والتركيب الاجتماعي بالجوف (دومة الجندل و/ أو سكاكا)، هم جماعات أصولها واحدة «عربية» وليست من قوميات أو أعراق منفصلة، فضلاً عن أنها جماعات ذات مرجعية دينية ـ مذهبية واحدة (سنية ـ وهابية). ربما إذا انصرف الحديث عن جماعات من قبائل عربية متعددة فهذا صحيح، وهنا الانقسام الاجتماعي يرتبط بالخلفية القبلية.

٢ ـ رغم أن فكرة الانقسام الاجتماعي في الجوف ذات ارتباط «قبلي» أكثر من كونها «إثنياً» كما سبق القول، إلا أنه حتى الانقسام القبلي بين الجماعات المتحاربة لا يعكس واقع الحال فعلياً، ذلك أنه،

مثلاً، في أي حالة من صراع المعاقلة ـ القرشة، فالأمر في القول إنه ناتج عن العامل الاجتماعي/ الانقسام الاجتماعي يعني أن القرشة من خلفية قبلية واحدة من جهة، والمعاقلة من خلفية قبلية واحدة من جهة أخرى هو قول لا يبدو في جوهره صحيحاً، وإن بدا في ضاهره أو لبعض الناس كذلك. لنفصل قليلاً في الأمر:

(١) **جماعة القرشة**: في سكاكا تبدو الأكثر تجانساً اجتماعياً إذ يغلب على غالب عائلاتها أنها تنتمي إلى قبيلة بني خالد. والتسمية تعود إلى قريش والذي عبر الجوف فتزوج فأنجب «مختار». وبغض النظر عن الخلاف حول ممن تزوج «قريش» وكذلك ابنه مختار؛ فحسب عبد الرحمن الشايع الكريّع، فإن «قريش» تزوج من «الكريّع» فأنجب «مختار» والأخير تزوج واحدة من بنات السياط آنذاك (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٤٦)، أما السياط فيقولون إن «قريش تزوج من السياط» (السياط، هلال، مقابلة، صحيفة الجزيرة، في ١٦/ ٨/ ١٩٩١: ٤، والسياط، محمد هلال، لقاء وحديث، ١٩/ ٨/ ٢٠٠٣، ٩:٢٠ مساءً)، لكن عافت مناع الزيد (العلي)، إذ يوافق على أن الكريّع هم أخوال مختار، فهو يقول بأن مختار تزوج من الفضل/ السرحان، فهو يشدد على أن ارتباط القرشة بالسياط نسباً لم يحدث إلا في وقت متأخر يعود إلى «بطي/ الثلج» (الزيد، عافت مناع، لقاء (IV)، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١). على أية حال والمهم في الأمر هو أن «قريش» أنجب «مختار»، فخلّف الأخير ذرية تكاثرت مع الزمن هي نواة «القرشة». لهذه النواة القرشة تقول ثلاث مجموعات أصغر وهم «الضويحي» و«العلي» و«الدرعان» أنها تعود لها. ولكن حتى هذه الجماعة (القرشة) المتجانسة ظاهرياً، تبدو مختلفة في واقع الأمر إذا ما نُظر إليها على أنها «جماعة حلف»؛ فهي تضم مجموعات ليست من نفس القبيلة، فمثلاً «السياط» هم وكما يقولون عن أنفسهم من قبيلة شمر (السياط، هلال، مقابلة، الجزيرة، في: ١٦/ ٨/ ١٩٩١: ٤). إضافة إلى السياط هناك عائلات من السرحان (السويلم في الضلع، والربيع في الشعيب، والعوذة في اللقائط، علماً أن العوذة كانوا بعد قدومهم لـ «سكاكا» يقطنون في حي «المطر»)، وكذلك قسم من «الطالب» (في اللقائط) علماً أن الغالبية الساحقة من الطالب في سكاكا سواء القاطنين في اللقائط أو المعاقلة، يقولون إنهم من قبيلة عنزة. لاحظ أن الطالب في سكاكا وهم من جماعة اجتماعية واحدة منقسمون على محور المعاقلة ـ القرشة؛ فمن يسكن في اللقائط فهو محسوب على وفي حلف القرشة، في المقابل من يقطن المعاقلة فهو محسوب على وفي حلف المعاقلة، وكل قسم يشارك حلفه في الحرب والسلام. في هذا السياق، هناك أيضاً بقايا من عائلات من «النصير ـ رولة» لا زالت محسوبة على وفي حلف القرشة، علماً أن جماعة النصير وهم من الرولة كانوا ككل وحتى وقت ما من ١٨٨٠sم، من حلف القرشة، ولكنهم فيما بعد، انشقوا، وأصبحوا من حلف المعاقلة. أيضاً إذا انتقلنا إلى مجموعات وأحياء حليفة للقرشة وليست منهم نسباً، فهناك حي وجماعة المطر، فهو يتكون من خليط متنوع من مجموعات قبلية متعددة بعضهم يقول إنه من بني خالد (الدندن)، وبعض عائلات تقول إنها سراحين (المغرق والدبيس والزايد... إلخ) وهناك من ينتمي إلى شمر مثل «المريف»، ويبقى آخرون يقولون إنهم من «عنزة» (الضمارا). هذا الحي وجماعته «المطر» على تنوعه القبلي فهو وهم على الجملة محسوبون في وعلى حلف القرشة. وفي سياق حلف القرشة، ولكن في دومة الجندل هناك عائلات وبيوت محسوبة على وفي حلف القرشة، ومنهم:

في حي خذما: عائلات الهديب والحنيبيص والمرعي من السرحان، «فضلاً عن آل عبد الله وبعض من «الجباب» يقولون إنهم من شمر؛ وفي حي علاج إلى الشمال من خذما هناك عائلات فيه مثل المراد/ الحمدان يقولون إنهم من شمر؛ وفي حي السميحان، إلى الشمال من علاج هناك السميحان/ المرخان يقولون إنهم من تميم، علماً أن أبناء عمومتهم، إلى الشمال منهم الرحيبيين، هم من حلف المعاقلة. من حلف القرشة في دومة الجندل كذلك عائلات الوادي (السعدون/ الريس والدربي وآخرين)، وعائلات الجرعاوي (الأجبة/ الجباب)، والعرجان يقولون إنهم شمر كانوا حلفاء لـ «الدرع» والقرشة ولكنهم انشقوا عنهم بعد خلاف وصراع مع الدرع وانتقلوا إلى جهة «الغرب» وأصبحوا من حلف المعاقلة. نشدد على أن من في حلف القرشة في دومة الجندل من الجماعات الفرعية هم في أغلبهم، إن لم يكن كلهم، من قبائل لا تنتمي إلى قبيلة بني خالد باعتبارها نواة وصلب محور حلف القرشة بالجوف (سواء في سكاكا أو في دومة الجندل منفردا و/ أو مجتمعاً)، علماً أن محور حلف القرشة في دومة الجندل وهو يدور حول عائلة الدرع، فإنهم، وكما سمعت من بعض أهل دومة الجندل، يقولون إنهم يرجعون في أصلهم إلى قبيلة بني خالد، ولكن أيضاً مع العلم أن الدرع هم من الطالب، والطالب، في غالبيتهم الساحقة كما قلنا آنفاً، في سكاكا بقسميهم في القرشة (اللقائط) وفي المعاقلة يؤكدون على انتمائهم إلى قبيلة عنزة، وعلماً أنه في هذا السياق وعلى هذا الأساس ومنذ عدة سنوات خلَت تم اختيار يوسف حمود الرشيد الطالب عمدة للطالب بسكاكا.

(٢) **جماعة المعاقلة:** في مقابل القرشة هناك المعاقلة. من يسمع عن المعاقلة في سكاكا وخارجها، يعتقد أو ينصرف ذهنه إلى أنها جماعة متجانسة اجتماعياً أي ذات خلفية اجتماعية واحدة أو من قبيلة واحدة. غير أن واقع الحال لا ينتصر لهذا التصور؛ فالمعاقلة أكثر الجماعات العامة تنوعاً وتبايُناً في الجوف (في سكاكا و/ أو بدومة الجندل) من حيث التعدد القبلي لمكوّناتها؛ ففي الأصل المعاقلة اكتسبت التسمية من «معيقل»، والذي وفد الجوف مع هجرة «عنزة» من نجد باتجاه الشمال، في أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وفي معركة أصيب بها، تخلف فمكث فتزوج فخلف ذرية ومجموعات أصغر هي: الدغيفق والسليمان والكبيدان، ولكنها مع الوقت وعن طريق الاستيطان لمجموعات تنامت وتحولت إلى ما يشبه حلف عريض واسع عرف بـ «المعاقلة» (الطارف، سعد، مقابلة مسجلة ١٤١٤هـ، مفرّغة ٢٠٠٣: ١ ـ ٢ من ٩). في وقتٍ بُعيد قدوم «معيقل» واستقراره، يبدو أن «جحيش» و«راشد» نزلوا واستقروا وذرياتهم حول محور مثلث فيه ديار الجحيش ـ الراشد على الضلع الشرقي الشمالي، والسليمان ـ الكبيدان ـ الدغيفق على الضلعين الشمالي ـ الغربي والغربي ـ الجنوبي، حيث في هذا الوقت أو حوله، يبدو أن معيقل وجحيش وراشد اشتروا مشتركين جميع الأراضي من جنوب وسط المعاقلة (مركز المثلث) وحتى بياض قارا من عائلة من السراحين مقابل خمسة بعارين (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨). طبعاً الأراضي آلت نتيجة زواجات وإرث لصالح السليمان والكبيدان، وانتهى الأمر بها بيد الدولة السعودية حيث قام حمد الحيزان، وبتشجيع وإغراء من قبل عبد الرحمن السديري في عام ١٩٥٤م وقت زيارة الملك سعود للمنطقة، بإهدائها إليه وتسليمه ورقتها (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٨) المعتمدة من كل

السلطات التي تعاقبت على حكم الجوف («الرشيد» و«الشعلان») وحتى من ابن سعود أخيراً. ومن ذرياتهم وتكاثرها، وتوافد مجموعات إضافية بدأت تتشكل نواة جماعة عامة كـ «حلف عريض» بدأت تكتسب مع الوقت مسمى «المعاقلة»، وهي تشمل المجموعات الفرعية التالية: ١ ـ آل معيقل (السليمان/ الكبيدان/ الدغيفق) ويقولون إنهم من الدهامشة ـ عنزة؛ ٢ ـ آل راشد ويقولون إنهم من الأساعدة ـ عتيبة؛ ٣ ـ آل جحيش ويقولون إنهم من الأسلم ـ شمر؛ ٤ ـ آل كريّع ويقولون إنهم من البجايدة ـ عنزة (علماً أن آل كريّع كانوا في البدايات يقطنون حول زعبل ـ «الضلع» هم والسياط، ولكن خلاف وصراع معهم اضطرهم للأنتقال إلى المعاقلة (الطارف، سعد، مقابلة (III)، ١٤١٤هـ: ١ ـ ٢ من ٩ ملخص)؛ ٥ ـ آل سهو ويقولون إنهم من السراحين؛ ٦ ـ آل النصير ويقولون إنهم من الرولة، علماً أن النصير كانوا في حلف القرشة حتى أواخر s ١٨٠م تقريباً، ولكن خلافات وصراع مع بعض بيوت القرشة (العلي) أفضى إلى أن يتحولوا إلى حلف المعاقلة؛ ٧ ـ آل عبد ويقولون إنهم من عبدة ـ شمر؛ ٨ ـ آل ابراهيم السلامة، وهم قدموا من «موقا ـ حايل» ـ ويقولون إنهم من شمر، علماً أنهم في البداية كانوا يقطنون الضلع (القرشة) ولكن خلافاً معهم، كما يذكر سعد الطارف، أدى بهم للانتقال إلى المعاقلة (الطارف، سعد، مقابلة (III)، ١٤١٤هـ: ١ ـ ٢ من ٩ ملخص). طبعاً هناك جماعة السلامة/ عبد الكريم وعبد العزيز وأقربائهم وعائلاتهم، وهم مجموعة غير جماعة ابراهيم السلامة آنفة الذكر، حيث هم على ما يبدو قادمون من القصيم وسكنوا سكاكا والمعاقلة في وقت كانت الحرب الأهلية بالجوف من الماضي، ويقولون إنهم من الأساعدة من عتيبة (السلامة، عبد العزيز، إرسالية صورة من شجرة السلامة (بالواتساب)، في ٢١/ ٩/ ٢٠١٣: ١١:٤٣ صباحاً)؛ ٩ ـ آل حميَر ويقولون إنهم من شمر؛ ١٠ ـ آل الورادا ويقولون إنهم من شمر، رغم أن عبد الله المضحي الوردي، وطبقاً لما ذكره د/ حمد عبد الرحمن الوردي، هو الشخص الوحيد من الورادا من يصر على أن الورادا من تميم (الوردي، حمد، لقاء وحديث بمزرعتي بسكاكا، صيف ٢٠٠٢)؛ ١١ ـ الطالب (الرشيد/ المرشد) ويقولون إنهم من عنزة؛ ١٢ ـ آل البيالية ويقولون إنهم سراحون؛ ١٣ ـ آل سمارة ويقولون إنهم سراحين؛ ١٤ ـ الهذيل ويقولون إنهم من سراحون، علماً أن جماعة الهذيل نزحوا من دومة الجندل بعد تدمير الدلهمية من قبل ابن رشيد واحتلال الجوف ١٨٣٨م). **وفي ما يتعلق بحلف المعاقلة في دومة الجندل،** فإن معظم أحياء ما يعرف بـ «الغرب»، ومعهم بعض من أحياء «الوسط» (شرق السوق ومن «الرحيبيين» شمال)، هم في عداد حلف المعاقلة، وتشمل هذه الأحياء مجموعات عديدة ومن خلفيات قبيلة متعددة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أولاً، من أحياء «الوسط» (شرق السوق من الرحيبيين وشمالاً)؛ ١ ـ الرحيبيون يقولون إنهم من تميم مع ملاحظة أن أبناء عمومتهم «السميحان» هم من حلف «القرشة»؛ ٢ ـ السراح ويقولون إنهم من شمر؛ ٣ ـ الجميد/ الجمادا، وأهل الدلهمية حلفاء السراح من السراحين؛ ٣ ـ العباس يقولون إنهم من عنزة؛ ثانياً: من أحياء الغرب؛ ١ ـ آل القعيِّد ويقولون إنهم من الأساعدة ـ عتيبة؛ ٢ ـ الزارع ويقولون إنهم من حرب؛ ٣ ـ المعين ويقولون إنهم من تميم و/ جيرانهم وأصهارهم الخابور يقولون إنهم من السراحين؛ ٤ ـ السبيلة ويقولون إنهم من شمر؛ ٥ ـ العرجان يقولون إنهم من شمر، علماً أن العرجان كانوا من حلف الدرع والقرشة سابقاً، ولكن صراعهم مع الدرع أدى بهم للرحيل والسكن في الغرب والدخول في حلف المعاقلة؛ ٦ ـ العفر/ العفران ويقولون إنهم من شمر؛ ٧ ـ البادي ويقولون إنهم من عنزة.... إلخ.

عطفاً على ما تقدم، نود أن نشدد على أن ما ذكر من انتماءات وخلفيات اجتماعية «قبلية» للجماعات الفرعية آنفة الذكر سواء في دومة الجندل و/ أو سكاكا، ليس فيه قصد تأكيد أو تثبيت أو نفي الأصول الاجتماعية (الأنساب) والانتماءات لأي مجموعة بغض النظر عن مكانتها و/ أو الاعتزاز بنفسها وأصولها، ولكن الغاية هي تبيان أن «أحلاف» الصراع/ الحرب الأهلية في الجوف لم تكن مبنية على فرز اجتماعي حاد (حاصراً لنوع واحد محدد ومقصياً لما عداها)، وإنما يتكون الحلف الواحد وكذلك الآخر المقابل من مجموعات متعددة الانتماءات والأصول الاجتماعية القبلية، بل إن عدداً منها من نفس الخلفية الاجتماعية تجده في الحلفين المتحاربين، فضلاً عما تقدم من صراعات وحروب بين مجموعات من انتماءات اجتماعية قبلية واحدة داخل الحلف الواحد.

من هنا نقول إن التحالفات في سكاكا و/ أو دومة الجندل، وعلى محاور الصراع/ الحرب والسلام كانت تقوم بين الجماعات الفرعية على أسس تضامنية الشراكة حول «الأرض/ الحي/ الفلاحة»، وليس على أساس «الدم/ النسب/ القبيلة»، وهذا أقرب إلى فكرة «الوطنية» في المفهوم الحديث للدولة، وإن كانت الكيانات (الأحلاف) في الجوف لم ترقَ إلى مكوّنات «الدولة» الحديثة. الجوف وأهله مجتمع «فلاحي» يقوم الاجتماع فيه على رابطة الأرض ومتطلبات الدفاع الجماعي عن كل أعضائها (من يقطنونها من أفراد وعائلات أو مجموعات).

من هنا، وبناء على ما تقدم، نؤكد القول: أولاً، رغم ما للعامل الاجتماعي (الانقسام الاجتماعي) من حضور «ما!؟» في حالات الحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، فإن فاعليته وقدرته التفسيرية، سواء في كليات الحرب و/ أو في بعض حالاتها، لا تبدو بقوة حضوره الظاهري ولا عاكسة بالضرورة له. وثانياً، نمهد لقول آخر، وهذا لا يقل أهمية عن الأول، إن لم يتجاوزه بالأهمية والتفسير، وهو أن فاعلية العامل الاجتماعي/ الانقسام الاجتماعي، متى ما وجدت، وبغض النظر عن مقدار تحريكها للحرب والصراع، ليست نابعة من «ديناميكية/ حيوية» العامل الاجتماعي/ الانقسام الاجتماعي بذاته، وإنما هي ناتجة عن فاعلية قوة محركة تحتية/ بنيوية متولدة عن ديناميكية/ حركة العوامل الاقتصادية والمادية وانعكاساتها الاجتماعية والثقافية النفسية: إنها القوة المحركة المتولدة عن سيرورة ديناميكية نمط الاقتصاد السائد في الجوف ومتلازماتها الاجتماعية والثقافية والنفسية، والتي سنأتي على مناقشتها في وقت لاحق.

عند هذا الحد، وعلى نحو مؤقت، نترك الأمر في موضوع مناقشة «العامل الاجتماعي/ الانقسام الاجتماعي، ونكتفي بما ورد آنفاً عنه في موضوع الحرب/ الصراع، إلى أن تحين مناقشة مدى تأثير العوامل الاقتصادية/ المادية ونمط الاقتصاد في تفسير الحرب الأهلية بالجوف في حالات منها و/ أو في كلياتها، وعندها نقوم بالربط بين العاملين الاقتصادي والاجتماعي في ديناميكية وتفسير الحرب/ الصراع. أيضاً سنترك مؤقتاً مناقشة بعض المتغيرات الثقافية والنفسية ذات الصلة بالعامل الاجتماعي/ الانقسام الاجتماعي ودورهما التعاضدي في موضوع الحرب الأهلية إلى حين مناقشة العامل الاقتصادي/ المادي (نمط الاقتصاد بالجوف).

ب ـ في العوامل السياسية (الداخل والخارج) والحرب الأهلية بالجوف

في العوامل السياسية وبنيتها الداخلية، وإن كانت لا تخلو من التداخل مع الخارج وبنيته، هناك عدة عناصر نلاحظها ونرصدها، من خلال حالات الحرب الأهلية وملخصها في الجدول (٣) على النحو التالي:

(١) **في موضوع «السلطة المحلية المركزية الواحدة»**: نلاحظ على هذا الصعيد التالي: (١٢) حالة من حالات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) لا توجد سلطة محلية مركزية واحدة بعينها باسطة سيادتها على كل التجمع السكاني الواقع في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل). ليس هذا فحسب، وإنما في السياق نفسه لا توجد سلطة محلية واحدة مركزية في الفضاء الاجتماعي الأصغر، أي في دومة الجندل أو في سكاكا على حدة. هناك أكثر من سلطة في الوقت نفسه على مجموعات متعددة في الفضاء الاجتماعي العام؛ فمثلاً في دومة الجندل كانت هناك سلطتان (السراح/ الدرع في فترة ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م) وفي الغالب في صراع متواصل حول الاستحواذ على «السلطة» كاملة ولكن دون حسم دائم مع وجود نوع من الدعم الخارجي لـ «الدرع» من قبل الدولة السعودية الأولى وخاصة حول وقبيل ١٨٠٠م، فتقطعه حتى ١٨١٨م (الحملة التركية/ المصرية)، علماً أن أصل سلطة السراح في دومة، والجوف عموماً، كانت في الغالب متولدة أو مفوضة من «دولة الفضل»، والأخيرة مفوضة من «العثمانيين والمصريين (المماليك)». في سكاكا لم تتبلور سلطة محلية مركزية واحدة على امتداد كامل الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)؛ كانت هناك على ما يبدو «سلطة معنوية» محدودة «للسهيان/ مطيلق ولحيد» في فترة ١٨٣٠sم، مشتقة من السلطة في الجوف (دومة الجندل) من السراح أو الدرع، وتعززت لاحقاً بتنامي سلطة «الـدرع» المدعومة بسلطة القوة الخارجية «الرشيد» بعد ١٨٣٨م فصاعداً. عندما نقول إن «للسهيان/ أو شكر السهيان» سلطة معنوية لا يعني هذا ولا ينبغي أن يفهم منه أن السهيان حكام على سكاكا، وأن لديهم سلطة فعلية عليها وأهلها، ذلك أن المشيخة أو السلطة على كامل المعاقلة في سكاكا كانت لـ «الحيزان» (آل سليمان ـ معيقل) منذ ما قبل ١٨٣٠sم وحتى ظهور مشيخة فلاح الشردان على جزء من جماعات المعاقلة (الراشد والدغيفق) في ما بعد ١٨٧١م/ ١٨٧٢م، ثم تستمر مشيخة الحيزان على بقية المعاقلة وجماعاتها حتى وفاة فلاح الشردان في سنة ما من عقد ١٨٩٠sم، فتظهر مشيخة الدغيفق (خليف الفالح)، ومشيخة الراشد (بين المويشير والراشد القايد)، لتنحسر مشيخة السليمان/ الحيزان على ما حولهم من جماعات فرعية. منذ ظهور مشيخة فلاح الشردان فيما بعد ١٨٧١م/ ١٨٧٢م تقريباً وحتى وفاته في عقد الـ ١٨٩٠sم، كانت سلطة المعاقلة الفعلية المعبر عنها بشكل واضح هو فلاح الشردان، بينما، في المقابل كانت مشيخة وسلطة الحيزان تتآكل وتنحسر على نحو متسارع (!). في مقابل المعاقلة، كانت السلطة الفعلية على القرشة بمن فيهم جماعات المطر هي للسهيان في الفترة ١٨٣٨م ـ ١٩٠٧م، وبالذات لـ «شكر السهيان» منذ ١٨٧١ ـ ١٩٠٧م، رغم أن قاسم السعيد من العلي ـ القرشة، كان الأكثر بروزاً في فترة ١٨٥٠ ـ ١٨٧١م بين مجمل قيادات وشخصيات القرشة آنذاك، وربما كان يتطلع إلى «مشيخة القرشة» ككل، لكن «الرشيد» ـ وعلى خلفية تمرد ١٨٥٣م وتمرد ١٨٧١م وما لـ «قاسم السعيد» من دور ما، وخاصة في تمرد ١٨٥٣م بمناصرة السراح ضد الرشيد ـ حالوا دون ذلك، بإضعافه والتضييق

عليه (سجن لفترة في حايل) وبتقوية شكر السهيان على حسابه (قاسم السعيد)، وإلى حد ما دخيل الدرعان. عليه فإن السلطة الفعلية في سكاكا في الفترة ١٨٣٠وحتى ربما منتصف ١٨٩٠sم، كانت تتوزع بين السهيان على القرشة وحلفائهم من جهة، وبين الحيزان وفلاح الشردان على المعاقلة من جهة أخرى. ومع ذلك يمكن القول إن شكر السهيان تمتع بقدر من الاحترام والتقدير لدى المعاقلة وقياداتها في الفترة (١٨٧١ ـ ١٩٠٧م)، وبما يعني نوعاً من السلطة المعنوية له في سكاكا. يقول سعد الطارف عن كبار المعاقلة: «... كل صبح غير ينهج شرعان وعواد الراشد، وحمد الحيزان، وراشد ولد قايد الراشد، ولا أدري من معهم... غير يجلسون عند شكر كل صبح...» (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٥ من ١٦). يبدو أن سلطة السهيان «المعنوية» في سكاكا كانت نتيجة تضافر عوامل متعددة: ١ ـ على رأسها دعم من القوة الخارجية (الرشيد) وفي سياق إرث تاريخي من علاقة قديمة (لجوء عبد الله «الرشيد» وأخيه عبيد وعائلتيهما عند السهيان «الحير» في «الضلع»، رغم خلافات بين المؤرخين حول صحة لجوء الأخوين الرشيد من عدمه في الجوف (سكاكا) على ما يبدو في أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر (أي قبيل ١٨٣٠م)؛ ٢ ـ مع احتلال الرشيد للجوف (دومة الجندل وسكاكا ١٨٣٨م) يبدو أن الرشيد اعتمدوا على الدرع وحلفهم كقوة في الجوف (دومة الجندل وسكاكا، وإن بدومة بشكل أكبر) وعلى شخصيات فرعية إضافية في القرى المجاورة، ومنها سكاكا، لغاية تحصيل الزكاة من الأهالي وتجميعها عند منصوب (ممثل الحاكم) الرشيد في الجوف ليقوم بدوره بإرسالها لـ«الرشيد» في حايل؛ في هذا السياق يبدو أن السهيان، (ممثلاً لاحقاً بشخص شكر السهيان، وخاصة في فترة حول ١٨٦٠ ـ ١٨٧١ م، وحتى قيام مشيخة فلاح الشردان على ما يبدو في وقت ما من عقد الـ «١٨٧٠sم»، ربما في أوائلها، وخاصة بعد عام ١٨٧٢م، أو أواسطها؟) كان على ما يبدو واحداً من هؤلاء الشخصيات التي كانت مكلفة بأمور جمع وتحصيل الزكاة في الجوف، وهو بالتالي في سكاكا؟ طبعاً ليس هناك إثبات قاطع بالتكليف بالاسم، ولكن هناك بعض الإشارات ذات الدلالة ومنها ما أورد الرحالة جورج أوغست والن في رحلته ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ عن أمور الزكاة، حيث يقول: «حتى جاء عبد الله بن رشيد...، وكان ذلك بالتقريب سنة ١٨٣٨م. بعد هذا التاريخ، أصبحت الجوف تحت حكم شيخ شمر الذي ليس له ممثل مقيم هنا. إن لكل حي شيخه، الذي يحكم ويفصل في الخلافات على الأمور ذات الأهمية المحدودة. أما الأمور ذات النتائج الأكبر، فإنها تعرض على شيخ شمر نفسه... **أما الزكاة فيجمعها خمسة رجال من الجوف، يختارهم شيخ شمر**». (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٢ـ٣٣). في هذا السياق، وبصِلة بموضوع الزكاة ومن المسؤول عنها في الجوف (سكاكا تحديداً)، يقول سليمان العودة الفلّاح (من الكبيدان ـ المعاقلة)، في مقابلة معه إنه على إثر محاولة قيام شنوان بن عقيل مفرج الكبيدان بقتل ابن عمه فلاح الشردان صاحب مشيخة الراشد والدغيفق في المعاقلة (سكاكا)، قام فلاح الشردان وقتل ابن عمه شنوان، وخوفاً من الرشيد سافر مع شكر السهيان إلى حايل على ما يبدو لتسوية الأمر و/ أو أمور أخرى، فكان هذا مضمون الحديث الذي دار هناك في حايل: «... دخل شكر السهيان على ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد)... وفلاح (الشردان)... تأخر عن السلام... فقال ابن رشيد لـ «شكر»: من معك؟... قال شكر: فلاح الشردان... قال ابن رشيد: يا الله لك الحمد... عقب جيبته

للدولة بديارنا... (يقصد بالدولة: الأتراك ـ العثمانيين وقدومهم في حملتهم على الجوف ١٨٧١م)... جابه الله.... وبالصبح قام فلاح وراح يم ابن رشيد للسلام عليه... قال محمد الرشيد: ما عليك سلام... قال فلاح: ليه؟ لا يا أخو نورة... أنا ذبحت ولد عمي... علشانك توه ما انفضخ بقبره... قال محمد «الرشيد»؛ هو صادق يا شكر؟ قال شكر؛ صادق أي بالله... ذبح شنوان... قال محمد الرشيد: زكاة المعاقلة أنت تاخذها (يعني فلاح) وتنطي (تعطي) الحكم مرادته منها منعة وانت تاخذها...»، عندها سألت انا الباحث سليمان العودة، وقلت: «... يعني أول زكاة المعاقلة يعطونها شكر...؟ «رد سليمان العودة وقال: «... أي نعم» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٢٣، ج ١). قبل مشيخة فلاح الشردان ما هو معروف هو أن المشيخة الكلية على المعاقلة في الأساس كانت تتبع الحيزان، وهم من تتجمع عندهم زكاة المعاقلة ويستحوذون على جزء منها. عليه فإن الحيزان يبدو أنهم هم، ومن ثم لاحقاً فلاح الشردان مع بروز مشيخته على الراشد والدغيفق كانوا هم وهو من تجتمع زكاة المعاقلة عندهم ثم على ما يبدو، ومن سياق رواية سليمان العودة آنفة الذكر، تنتقل أو ترسل إلى شكر السهيان ليسلمها بدوره لممثل سلطة «الرشيد» في الجوف «جوهر» حيث ينقلها الأخير إلى حايل. يبدو من خلال رواية «سليمان العودة» فإنه مع حادثة فلاح الشردان وشنوان والرشيد، كان أن فوض ابن رشيد فلاح الشردان بأن يستلم هو زكاة المعاقلة إما على الجملة و/ أو على التحديد في مستوى نطاق مشيخته من المعاقلة (الراشد والدغيفق)، وفي كل من الحالتين هو إضعاف لـ «قوة» ومشيخة الحيزان وبطريقة أخرى تشتيت للمعاقلة بخلق مراكز قوى إضافية فتنافس داخلي (داخل المعاقلة ذاتها). هل هذا الأمر بالفعل مقصود مبيت من الرشيد أم لا؟ وهل هو منسق مع شكر السهيان يبقى موضوعاً للسؤال والبحث والتأمل! ولكن إذا ما استرجعنا واقعة الحملة التركية ١٨٧٠م، وتداعياتها لاحقاً (واقعة المديرس أواخر ١٨٧٠م أو أوائل ١٨٧١م)، يمكن التكهن بفكرة أن الرشيد، وفي محاولة للسيطرة والتحكم عن بعد، أخذوا يفكرون بتشتيت قوة أهل الجوف ونخبها القائمة آنذاك سواء في دومة الجندل أم في سكاكا) بخلق نخب جديدة بديلة للنخب التقليدية (!). نقطة هامة في رواية سليمان العودة آنفة الذكر تتصل بمشيخة فلاح الشردان تحتاج إلى التوقف عندها وتأملها؛ هي متعلقة بما سبق من دور لفلاح الشردان بجلب الأتراك والحملة التركية على الجوف ١٨٧١م، و/ أو ودور لأهالي الجوف بها، وما تعرض له بعضهم على إثرها من إعدامات في ما عرف بواقعة «المديرس١٨٧٠/ ١٨٧١م»، وأخذاً، في السياق، رواية سعد الطارف عن تكوّن وظهور مشيخة فلاح الشردان والتي يشدد فيها على أن فلاح الشردان لم يتعرض لملاحقة أو أن يكون من ضمن القائمة من رجال الجوف الذين تم إعدامهم في الواقعة ذاتها، فرواية سليمان العودة آنفة الذكر، تشير دون لبس إن كانت صحيحة في ما تضمنته من محتوى، إلى أن الرشيد وسلطتهم آنذاك كانت تتربص بفلاح الشردان للانتقام منه بما له من دور في الحملة التركية، ليس كما ورد في رواية سعد الطارف عن مشيخة فلاح الشردان، وإنما ربما كما ورد في رواية محمود آغا كما رواها للرحالة «تشالرز داوتي» في رحلته عام ١٨٧٦م إلى حايل (Doughty, vol. 2, 1921: 47-50)، حيث يبدو ومن سياق رواية محمود آغا فإن عدداً من رجالات (شيوخ) الجوف ذهبوا لمخيم الحملة التركية خارج مدينة دومة الجندل وسلموا مفاتيح البلدة لقيادة الحملة محمد سعيد باشا. يبقى السؤال هل أن فلاح الشردان كان ضمن الشيوخ الذين سلموا المفاتيح واستسلموا بأنفسهم غير

معلوم ومؤكد، ولكنه محتمل، وعلى أية حال الأمر يدعو إلى النظر والتأمل. إن كان فلاح الشردان واحداً منهم وله دور رئيس في جلب الأتراك، طبقاً لرواية محمود أغا، كما أوردها الرحالة «تشالرز داوتي»، أو بدرجة أكبر تورطاً طبقاً لرواية سعد الطارف، فلماذا لم يتم اعتقاله وإعدامه مع أهالي الجوف الآخرين في المديرس؟ يبدو لي أن «فلاح الشردان» ربما لم يكن متواجداً فعلياً مع الشيوخ، والأغلب أنه إما يكون هناك بعض من التنسيق الخفي غير المعلن معهم، وربما بصلة ما بـ «الشعلان»!؟، أو أنه ربما، مع قدوم الأتراك، واستيلائهم على الجوف قد وجد طريقة للتواصل معهم دون أن يقطع مع سلطة الرشيد! على أية حال ربما أن الأتراك وقبل و/ أو مع انسحابهم وفّروا غطاء وحماية له مع ضماناتها من الرشيد! وهذا وارد وإن كان ليس مؤكداً! طبعاً إخراج مشيخة فلاح الشردان على الراشد والدغيفق في الغالب حدثت، وكما ناقشنا الأمر سابقاً في حينه (انظر: واقعة المديرس والحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م/ ١٨٧١م)، بعيد انسحاب الحملة التركية، أي في نهاية ١٨٧١م وأوائل ١٨٧٢م، وليس قبلها، وبتنسيق على ما يبدو مع كل من شكر السهيان وجوهر، بعد قدومه وتعيينه منصوباً لابن رشيد بالجوف في أوائل ١٨٧١م ومع أو بعيد واقعة المديرس مباشرة، وليس قبلها. غير أن هذا التصور، وهو الأقرب إلى حقيقة ما جرى ولكيفية إخراج مشيخة فلاح الشردان يبدو يتعارض مع رواية سليمان العودة، إن كانت هي الأخرى صحيحة، بما تضمنته من فرحة من محمد العبد الله الرشيد بوقوع فلاح الشردان بين يديه، حيث: «... قال ابن رشيد: يا الله لك الحمد... عقب جيبته للدولة بديارنا (يقصد الأتراك ـ العثمانيين وقدومهم في حملتهم على الجوف١٨٧١م)... جابه الله...» (الفلّاح، سليمان عودة، قابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٢٣، ج ١). إذن نحن أمام روايات فيها قدر من التناقض، ولذلك لا بد من المقارنات والمواجهات ببعضها البعض من أجل إجلاء وتوضيح الأمر في طبيعة الواقعات وملابساتها. نترك هذه النقطة الاعتراضية والتي يفترض أن تُلاحظ وتُضاف في مكانها المتصل بالحملة التركية وعلاقتها بمسألة «مشيخة» فلاح الشردان. نعود مجدداً إلى مسألة زكاة المعاقلة وفلاح الشردان وشكر السهيان، فنوصل ما انقطع بالمناقشة فنقول إن فلاح الشردان، وقد فوّض بزكاة المعاقلة، فإنه بعد تجمعها لديه، يقوم على ما يبدو بتسلم ما للرشيد منها لممثلهم في الجوف مباشرة، مستقطعاً جزءاً أو ما له منها كحق له، دون المرور بشكر السهيان كما كان الأمر من قبل تلك الواقعة. سلطة السهيان المعنوية في سكاكا عموماً، والمباشرة/ الفعلية، خاصة، على المجموعات ذات العلاقة المباشرة بالقرشة (الضويحي/ العلي/ الدرعان/ وكذلك المطر) ستتزايد مع صعود مشيخة شكر السهيان، وعلى حساب زعامة شخصية صاعدة متطلعة وهي قاسم السعيد (العلي/ القرشة)، في ظل سلطة الرشيد وخاصة بعد فشل تمرّدين هامين لأهل الجوف (خاصة في دومة الجندل وإلى حد ما في سكاكا ضد سلطة الرشيد)؛ الأول تمرد ١٨٥٣م، وكذلك فشل الحملة التركية ١٨٧٠/ ١٨٧١م. بالموازاة كانت المعاقلة جميعاً وقبل ١٨٧٠م تتبع مشيخة الحيزان (السليمان/ آل معيقل)، وكانت الشلهوب تتبع مشيخة الفياض، حتى وقت ما من العقد الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٩٠sم)، أي قبيل ١٩٠٠م تقريباً، حيث نشب صراع بين الفياض والمظهور، وطبقاً لأقوال أبو أحمد/ سعود منور الفياض في مقابلة معه، بعد وفاة فياض على مشيخة الشلهوب ككل، لتنتهي في النهاية لصالح المظهور، بعد رفض منور بن فياض مقترح حل الخلاف بتقسيم مشيخة الشلهوب بين الفوقيين للفياض، والتحتيين للمظهور، ثم، في النهاية، ترك «منور» وتخليه عن الأمر كلية (الفياض،

سعود منور، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٣: ٦ من ٦ ملخص). ابتداءً من ١٨٧١م فصاعداً، بدأت في سكاكا، وبالذات في المعاقلة، تتبلور سلطة «مشيخة» إضافية تبدو مهندسة من الخارج «سلطة الرشيد» وتحت عيونها، وربما منسقة مع شكر السهيان، وهي مشيخة فلاح الشردان على جزء من المعاقلة (الراشد والدغيفق) مع بقاء الآخرين من المعاقلة تحت مشيخة الحيزان.

هذا الوضع سيبقى هكذا في سكاكا حتى قبيل ١٩٠٠م بقليل حيث وفاة ابن شردان ثم حتى ١٩٠٧م حيث وفاة ابن سهيان، حيث بعدهما، وفي ما تلاهما من توابع وأحداث ستنقسم مشيخات قائمة (انقسام مشيخة السهيان على القرشة ستنقسم إلى مشيخات فرعية الضويحي/ العلي/ الدرعان/ المطر) وتتفرخ مشيخات إضافية في المعاقلة (ظهور مشيخة الراشد وانقسامها بين راشد القايد والمويشير: مشيخة الدغيفق خليف الفالح؛ مع بقاء مشيخة الكبيدان على الكبيدان، ومشيخة الحيزان على ما تبقى من المعاقلة)، وتكون مشيخة «الشلهوب» لصالح أسرة «المظهور» قد ترسخت بعد أن كانت في القرن التاسع عشر وحتى أواخره تقريباً لعائلة الفياض، كما تقدم الإشارة لها. كل ذلك ومزيد منه يحدث على نحو متوازٍ مع دخول الجوف على تحولات سريعة، وتبدلات في السلطة الخارجية (بين الرشيد والشعلان) في مراكزها وعلى الجوف ١٩٠٠ ـ ١٩٢٢م. عَوداً على دومة الجندل؛ نقول في دومة منذ تمرد ١٨٥٣م وفشله، بدأت مكانة وسلطة السراح تنحسر وتتوارى، كرهاً، من قبل الرشيد، ثم بعد تمرد أهل الجوف في ١٨٧٠ ـ ١٨٧١م، وفشل الحملة التركية المتصلة، كانت أيضاً الفرصة مهيأة لـ «الرشيد» لإضعاف الزعامات البارزة آنذاك، ومنهم الدرع، فضلاً عن السراح قبلهم، كما هي الحال في سكاكا مع إضعاف زعامات فيها، في القرشة منها شخصيات قاسم السعيد العلي، ودخيل الدرعان، وخاصة مكانة وزعامة قاسم السعيد (العلي)، وتطلعها نحو زعامة القرشة ككل في سكاكا لمصلحة زعامة شكر السهيان، وكما هو بروز زعامة ومشيخة فلاح الشردان على الراشد والدغيفق في المعاقلة، ربما لموازنة السهيان و/ أو لإضعاف زعامة ومشيخة الحيزان على المعاقلة ككل، وفي النهاية، على أية حال، على حساب نفوذهم/ مشيخة الأخيرين (الحيزان) في دومة الجندل في الفترة (١٨٧١ ـ ١٩٠٠م). مع إضعاف وإنهاك الزعامات التقليدية ومجموعاتها، ستكون البيئة والفرص مهيأة لتشكل وبروز زعامات إضافية غير التقليدية (السراح/ الدرع) كما هم القعيِّد مثلاً وليس حصراً، وهذه وتلك كلها ستكون أكثر وضوحاً مع دخول الشعلان على الخط في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٨م.

تلك كانت الصورة العامة عن السلطة/ السلطات (المشيخات) في وضعها المحلي في الجوف (في دومة الجندل و/ أو سكاكا)، وفي علاقتها بالقوة الفاعلة على الأرض، وهي في الغالب خارجية، وخاصة منذ ١٨٣٨م فصاعداً وحتى ١٩٢٢م. عليه نقول: في جميع حالات الحرب الأهلية بالجوف الواردة في الجدول (٣) وهي ١٢حالة وعلى امتداد فترتها كلها تقريباً (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) لم تكن هناك سلطة مركزية محلية (نابعة من أهل الجوف) واحدة سائدة دون منازع على عموم فضاء الجوف بشقيها (دومة الجندل وسكاكا)، فضلاً عن قُراها الصغيرة والمتباعدة. وعليه، فما طرحه معاشي بن ذوقان العطية من تساؤل محدد، بالقول: «... فأين المجلس الاستشاري الذي كان يقود البلد «أثر عن كبار السن» أن هذا المجلس كان موجوداً قبل مجيء ابن عرفج» (العطية، معاشي، ١٤٢٣هـ: ٩٥)، بما يشير ويوحي إلى أن

هناك سلطة جماعية «مركزية» من أهالي الجوف عبر ما سمي بـ «مجلس استشاري» في تلك الفترة (أواخر ١٨٢٠s م/ أوائل ١٨٣٠s م)، فضلاً عما تلاها، فلا يبدو أن «الفكرة» عن سلطة محلية جماعية لها أساس من الصحة. ما هو صحيح حول فكرة مجلس محلي ما في الجوف هو أنها كانت فكرة تركية في سياق الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠م) وتوابعها خلال الفترة (١٨٧٠ ـ ١٨٧٤م) بإصلاح حال الجوف عبر محاولة لتشكيل «مجلس قضاء الجوف» مع ترشيح الشيخ/ عبد الله الصالح من أهالي دومة الجندل عضواً فيه، ولكنها فكرة ولدت ميتة، لم يكتب لها النجاح ولم تنفذ أبداً، ذلك أنها بقيت مجرد فكرة في سياق أفكار متداولة ومطروحة على الورق، وفي سياق مكاتبات وتحريرات السلطات التركية مع كل من ولاية سورية ومحافظة «المدينة المنورة» حول مصير وتبعية الجوف إدارياً في تلك الفترة، وبما عكسته وأظهرته تلك المكاتبات من صراع جلي على الجوف والاستحواذ على ما فيه من «موارد» ظاهرة ومتوقعة رغم محدوديتها (مثلاً «المملحة»، فضلاً عن الزكاة) ما بين ولاية سورية ومحافظة «المدينة المنورة» وصلة الأخيرة بكون إدارة الرشيد تابعة لها (السديري، ١٩٨٦: ٥٤)، وبما يوحي بقدر من التناغم بين محافظة المدينة المنورة وإدارة ابن الرشيد، و/ أو بإغراء ابن الرشيد لـ «محافظة المدينة المنورة»، وهو تابع لها، بالتشدد تجاه السلطات التركية، وإقناعها بتبعية الجوف لها بدلاً من ولاية سورية، وهو ما تم بنهاية المطاف بضم الجوف تحت إدارة «ابن الرشيد»، مع تبعية الأخير وإدارته لمحافظة المدينة المنورة.

(٢) في السلطة المركزية الخارجية (المحتلة) والحرب الأهلية: من ضمن الـ ١٢ حالة حرب أهلية، الواردة في الجدول (٣) كان هناك:

١ ـ يوجد في حدود ٤ حالات والتي اندلع فيها عنف وقتال مسلح، كانت فيها السلطة المركزية الخارجية (المحتلة) للجوف تبدو في وضع ما بين ضعيف إلى شديد الضعف، وهذه تشمل الحالات التالية: ١ ـ تمرد ١٨٥٣م، علماً أنه في جذوره وفي خلفيته صراع/ حرب بيوت السراح/ السراح، حيث الجوف كانت تتبع الرشيد، ولكن سلطة الرشيد بعد سيطرتها على الجوف سنة ١٨٣٨م وحتى ١٨٥٣م يبدو أنها، ورغم قوتها في حائل، كانت مكتفية قانعة بتبعية الجوف لها عن بعد، وبما تفي به لها من موارد مالية (زكاة وخلافه)، فكانت على ما يبدو مسترخية تجاه الجوف؛ ٢ ـ كون الظلي ١٩٠٧م، سلطة الرشيد بمنصوبها موجود في الجوف (بسكاكا)، ولكن في ضوء انشغالها بمشاكل صراع بيوت الرشيد في تلك الفترة في حايل نفسها، كانت سلطتها في الجوف ضعيفة؛ ٣ ـ كون الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م(؟)، سلطة الرشيد موجودة ولكنها في ضوء ما يدور في حائل وعليها كانت ضعيفة بالجوف؛ ٤ ـ كون أو حرب المعاقلة (الراشد ـ المويشير) سلطة «الشعلان» موجودة، ولكن في وضع غير مستقر وغامض المصير، حيث تسارع تشكل وتكوّن قوى جديدة في محيط المنطقة جنوباً وشمالاً. في الحالات آنفة الذكر يلاحظ أن طبيعة التحالفات الأهلية تجاه السلطة الخارجية (الرشيد)، إما أنها لم تتثبت وتتبلور على نحو قاطع ونهائي، رغم ما بدت عليه من شكل ظاهري كما هي في حالة ١٨٥٣م، أو أنها في حالة سيولة وتحولات تجاهها وتجاه قوى منافسة في المحيط القريب و/ أو البعيد، كما هي جزئياً في حالة ١٨٥٣م، وكما هي بشكل أوضح في كون الظلي١٩٠٧م، أو كون الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م(؟)، أو كون وحرب المعاقلة أو ما عرف بـ «حرب الراشد ـ المويشير» ١٩٢٢م.

٢ ـ هناك حالتان من حالات الحرب الأهلية كان فيها شبه «فراغ سياسي» أو «فراغ سلطة»، والحالتان هما: (١) صراعات/ حروب سيطرة «الشعلان» على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م): سلطة «الرشيد» في الأصل موجودة (في ١٩٠٩م وما قبلها بقليل)، ولكن بسبب الصراعات آنذاك في حائل، وبما حولها مباشرة، كانت منشغلة منكفئة عن الجوف، فدخول الشعلان على الخط في وضع فيه الجوف أقرب ما يكون إلى حالة يمكن وصفها بـ «فراغ السلطة»، علماً أن دخول الشعلان إلى الجوف والسيطرة عليه تم من خلال حالة تحولات في تحالفات جماعات أهل الجوف تجاه القوى المحيطة (الشعلان والرشيد)، فكان تحالف الشعلان مع المعاقلة في سكاكا ودومة الجندل مقابل تحالف القرشة في سكاكا ودومة الجندل مع الرشيد وحاميتهم المتبقية آنذاك في الجوف (دومة الجندل)، علماً أن القرشة في عام ١٩٠٧م (واقعة كون الظلي)، كما سبقت الإشارة، كانوا ضد سلطة الرشيد بالجوف، بينما المعاقلة وقفوا إلى جانب سلطة الرشيد في تلك السنة والواقعة؛ (٢) صراعات الرشيد ـ الشعلان على الجوف ١٩١٩م: انكفاء لـ «الشعلان» مع دخول لـ «الرشيد» على الخط فانتظار متطاول (٦ ـ ٨ أشهر) فمواجهات متبادلة في وضع أقرب إلى كونه حالة من «فراغ سياسي/ فراغ سلطة»، علماً أن انكفاء الشعلان عن الجوف وعودة الرشيد للجوف في هذه الفترة جاء على خلفية تغيرات وتحولات في تحالفات الجماعات الكبرى من أهالي الجوف تجاه القوتين ذاتهما (الشعلان والرشيد)، حيث إن المعاقلة قتلوا ممثل سلطة الشعلان في الجوف في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩١٨م، وتحالفوا مع الرشيد للوقوف في وجه الشعلان الذين كانوا في أعقابها في وضع غير مستقر بالجوف ويحاولون تثبيت سيطرتهم، بينما القرشة وإن كانوا في ميول إلى «الرشيد» كانوا في وضع أقرب إلى الحياد، وذلك في سياق وضع لم يكن واضح المعالم وعلى خلفية تجربة مريرة انتقامية من الشعلان تجاههم، إثر سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وخاصة في نهاية ١٩٠٩م) ووقوف القرشة (في سكاكا ودومة الجندل) مع الرشيد وحاميتهم بالجوف، وبالذات في دومة الجندل، ضدهم وما تخللها من توابع قاسية بما فيها نزوحهم إلى حايل أو ما عرف بـ «هجة القرشة» في حدود ١٩١١/ ١٩١٢م تقريباً(؟) خوفاً على حياتهم من انتقام شبه مؤكد من الشعلان قياساً على ما فعلوه تجاههم عام ١٩٠٩م مع دخولهم للجوف والسيطرة الظاهرية على الجوف (سكاكا ودومة الجندل).

٣ ـ هناك ٣ حالات من الحرب الأهلية كانت السلطة المركزية الخارجية في الجوف تبدو «قوية»، وهذه تشمل: أ ـ واقعة السمرة (١٨٧٠sم؟) بين القرشة والمعاقلة في مكان غرب سكاكا بين سكاكا ودومة الجندل؛ ب ـ واقعة «سيسرا» (أواخر ١٨٧٠sم؟ بين القرشة والمعاقلة في شمال سكاكا؛ ج ـ واقعة مؤامرة مسجد «الجمعة» (١٨٨٠sم؟) بين المعاقلة والقرشة ـ مسجد الجمعة (الضلع) غرب السهيان تقريباً. يلاحظ في الحالات الثلاث أنه وفي أثناء وجود سلطة مركزية خارجية قوية كانت طبيعة حالات الحرب آنفة الذكر إما محدودة العنف والقتال، ولفترة زمنية قصيرة جداً (حالة واقعة السمرة مثلاً)، و/ أو أنها لم تتطور إلى قتال مسلح وعنف كما هي واقعة الجمعة وواقعة سيسرا. ومع ذلك يلاحظ أن السلطة الخارجية المهيمنة آنذاك (الرشيد) لم تتدخل مباشرة في تلك الصراعات الثلاثة، وخاصة لجهة منعها من الوقوع أو التطور نحو حالة عنف، ما عدا في حالة واقعة سيسرا حيث قام ممثل سلطة

الرشيد في الجوف آنذاك جوهر، وبعد اشتداد التنازع الظاهري، والرمزي بين أطرافها، وطلب من طرفي الصراع القرشة والمعاقلة على سيسرا وقف نشاطاتهما عليها والانسحاب منها، ورفض أن تؤول ملكيتها لأي منهما، حيث تم إبلاغ الطرفين أن ملكية سيسرا ملكية عامة.

عطفاً على ما تقدم وإضافة عليه وفي سياقه، يمكننا أن نُفصل في مسألة العلاقة بين السلطة والقوة الخارجية والصراع الأهلي بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) من خلال التأمل والتعامل مع سؤال مركب، والذي يمكن أن نطرحه على النحو التالي: هل السلطة (القوة) الخارجية أججت الصراع الأهلي بالجوف أم منعته أم ماذا؟ وما هي أدواتها ووسائلها في ذلك؟ وما هي طبيعة ومسار التحالفات بينها وبين قوى وأطراف الصراع الأهلي؟

للإجابة على السؤال علينا الانطلاق من ملاحظة تقاطعات (التواجد والوجود والتدخل) السلطة (القوة) الخارجية مع المسار التاريخي (الزمني) للصراع الأهلي بالجوف والذي شمل، على نحو متقطع، الفترة من ١٨٠٠ وحتى ١٩٢٢م. في الملاحظات لهذه التقاطعات، نرى التالي:

(أ) **فترة ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨**: حول ١٨٠٠م وبالذات قبلها بقليل، كان التقاطع الأول هو محاولة عناصر تنتسب للدولة السعودية الأولى وللحركة الوهابية، بمحاولة غزو المنطقة، لكنها فشلت على مدار محاولتين متتاليتين، لكنها تحالفت ودعمت الدرع سلاحاً ومالاً (انظر التفصيلات في معالجة جذور الصراع الأهلي ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م في الدراسة) ضد السراح وسلطتهم التي كانت حتى ذلك التاريخ هي الأكثر هيمنة وسيطرة على الجوف (دومة الجندل) وتوابعها من قراها بما في ذلك سكاكا آنذاك. نلاحظ أن قوة الدرع بدأت تتعزز منذ ذلك التاريخ، وحتى تقريباً الحملة المصرية ١٨١٨م. ما بين ١٨١٨ وحتى تقريباً ١٨٣٨م كان الصراع بين الدرع والسراح يتجذر وينفلت من وقت لآخر، ويؤسس لصراعات لاحقة، وإن كان في ظل معطيات، وقوى خارجية أخرى. من هنا نقول إن بدايات الصراع الأهلي في الجوف، والذي يعود إلى قبيل ١٨٠٠م وما بعدها، قد شهد تصاعداً للعنف والصراع الأهلي بين قوتين محليتين السراح والدرع، علماً أن الدرع، وهم من الطالب كانوا آنذاك حديثي العهد بالجوف، إذ إنهم على ما يبدو قدموا من نجد قبيل ١٨٠٠م بحوالى العقدين أو بحدودهما، زيادة أو نقصاناً، وهم على هذا النحو قريبو عهد بالدعوة الوهابية، وغالباً ما يكونون متشربين بتعاليمها وأفكارها، إن لم يكونوا جزءاً من مكوّناتها و/ أو إرسالياتها التبشيرية الأولى (!؟). من هنا نقول، إن كان هذا التأمل صحيحاً، فليس غريباً إذا تحالف الدرع/ الطالب مع عناصر الحركة الوهابية والدولة السعودية ـ الأولى، والأكثر بعدم الاستغراب هو دعم الدولة السعودية الأولى، في سياق غزوتها، بأن تتحالف مع الدرع وأن تقدم لهم المال والسلاح في صراعهم (أي الدرع) مع السراح الذي استمر لمدة ٨ سنوات، وليستمر بعدها متقطعاً من وقت لآخر، وخاصة في الفترة ١٨١٨ وحتى قبيل ١٨٣٨م. إذن دخول الدولة السعودية الأولى والعناصر الوهابية على خط الصراع بالجوف في تلك الفترة (سلاح ومال ومعتقدات وهابية) عمل دون شك على – ليس فقط – تأجيج وإذكاء الصراع في بداياته (حول ١٨٠٠م)، وإنما أسس لتجذره نفسياً ولتواصله وانفجاراته لاحقاً من وقت لآخر ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م، رغم ما قيل عن فترات هدوء محدود فيما بينهما، وخاصة فترة ١٨٠٠ ـ ١٨١٨م (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٣).

ورغم أن الدرع/ الطالب حديثو العهد بالجوف قبيل ١٨٠٠م، وهو ما يثير تساؤلات حول محلية الصراع، يبقى القول، تجاوزاً، إن الصراع في الأصل هو صراع محلي داخلي بين السراح من جهة وبين الدرع/ الطالب من جهة أخرى. وبغض النظر عن جدلية «محلية» الصراع، بين الدرع من جهة، وبين السراح من جهة أخرى، فالمهم هو أن دخول الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية في الجوف حوالي ١٨٠٠م، وتحالفها مع الدرع (مالاً وسلاحاً وقيَماً متصلة بمعتقدات وهابية) قد أدى بالفعل إلى تزايد وتكثف الصراع وتراكمه وتتابعه.

(ب) **فترة ١٨٣٨ ـ ١٩٠٧م**: رغم أن هذه الفترة شهدت سيطرة سلطة «الرشيد» على الجوف بشكل عام، إلا أن هناك بعض التقاطعات لقوى وسلطات خارجية ذات صلة بتفجر واندلاع وقائع من الصراع الأهلي بالجوف في تلك المرحلة (و خاصة سنوات ١٨٥٣م، و١٨٧٠/ ١٨٧١م)، ويمكن تقسيمها إلى عدة مراحل طبقاً لوقائع الصراع/ الصراعات التي تفجرت وتداخلها بقوى وسلطات خارجية بمن فيهم «الرشيد» وغيرهم.

ـ ١٨٣٨م **(الرشيد وغزو واحتلال منطقة الجوف)**: مع اندلاع الصراع بين أهل الدلهمية وحلفائهم السراح من جهة، وبين أهل الجرعاوي وحلفائهم أهل خذماء وطبعاً الدرع من جهة أخرى، كان أن استغل «الرشيد» الصراع لغزو الجوف والسيطرة عليها. كان من نتيجتها أن قام «الرشيد»، بتدمير «الدلهمية» وتشريد أهلها ما بين داخل الجوف (دومة الجندل) بلجوئهم عند السراح، أو خارجها نحو سكاكا وقرى شمال الجوف، وترتب على هذا إضعاف مكانة السراح وحلفائهم وتقوية لخصومهم الدرع وحلفائهم، مكثفين حالة نفسية من الخصومة تنتظر (قشة البعير؟) لتكوّن لحظات/ أزمات تفجرها لاحقاً. لاحظ رغم أن الصراع هو في الأصل محلي، ـ وقدوم القوة الخارجية (الرشيد) كان بدعوة من أحد أطراف الصراع، ألا وهم أهل الجرعاوي مدعومين من أهل خذماء والدرع ضد أهل الدلهمية وحلفائهم السراح ـ، فإن الدعم الخارجي (سلطة الرشيد) أصبح قوة مباشرة على الأرض وهي منحازة منذ البداية لمصلحة الدرع على حساب السراح، وبما يعني أن الصراع المتفجر، وإن بدا، على السطح، بين الدلهمية والجرعاوي، فهو في حقيقته ونهاياته ومآلاته بين الدرع وحلفائهم من جهة وبين السراح وحلفائهم من جهة أخرى. ما كان متراكماً في النفس منذ أواخر العقد الأخير من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر (أي قبيل ١٨٠٠م وما بعدها)، قد انفجر من جديد وعلى نحو عنيف في عام ١٨٣٨م، ليضاف إليه عنفوان خارجي بدخول سلطة الرشيد للجوف ومناصرتها لطرف على حساب طرف، وفي المناصرة قدر من العنصرية (!) إن صح التعبير، ذلك أن أهل الجرعاوي، ومنهم الأجبة/ الجباب، وهم قادمون من «جبة» وأطراف حايل، يقولون إنهم من شمر امتداداً لحايل وسلطتها. طبعاً الرشيد ربما استغلوا الصراع ليس للمناصرة فقط، وإنما فوقها للسيطرة على الجوف، وهذا ما تحقق لهم، وسوف يتعزز لاحقاً، وإن لم يخلُ من منغصات ومرارات مقاومات كبيرة أبداها أهالي الجوف أو بعضهم على الأقل ضدهم.

ـ الرشيد ـ الشعلان وتمرد أهل الجوف على سلطة الرشيد ١٨٥٣م: رغم أن التمرد في تمظهره وغاياته كان ضد سلطة الرشيد، وكان من قبل أهالي الجوف (من دومة الجندل وسكاكا)، وإن كان بتحريض ومبادرة من بيت من بيوت السراح، إلا أنه في أصله أيضاً كان متولداً عن صراع داخلي بين

بيوت السراح أنفسهم (بين «العمر» ـ حطاب وابنه غالب من جهة وبين السلمان ـ المشوّح من جهة أخرى) (انظر التفصيلات في معالجة واقعة صراع السراح ـ ١٨٥٣م في الدراسة)، فكان أن استعان «العمر ـ حطاب وغالب» بـ «الشعلان»، فقام السلمان ـ مشوّح بالاستعانة وطلب النجدة من الرشيد، فاتجه الصراع إلى أن يتحول إلى «تمرد» شبه شامل على سلطة الرشيد ومقاومتها في ضوء استدعائها، فمحاولتها استعادة الجوف مجدداً. طبعاً مساعدة الشعلان يبدو أنها كانت متواضعة ومحدودة، بينما الرشيد أتوا بقوة استطاعت في النهاية بعد محاولات ومعارك، ورغم فشلها وهزيمتها في أولاها، السيطرة على الجوف واستعادتها، فكانت القاضية لقوة ومكانة «السراح» حيث تم أسر حطاب وغالب، وأكثر من ٦٠ من رجالات الجوف وتم إعدام الكثير منهم، وسجن الباقي في حايل بمن فيهم حطاب وابنه غالب وخليف الخميس من الرحيبيين، وتم تدمير مزارع وممتلكات السراح ـ العمَر بالكامل. لاحظ أن سلطة الرشيد كانت موجودة في الجوف دومة الجندل منذ الاحتلال الأول ١٨٣٨م، ولكن يبدو أنها كانت مكتفية بقوة محدودة، وبالوضع القائم وما تحصِّله من غلة (مكوس/ زكاة على أهل الجوف). هنا ومع ضعف أو إضعاف مكانة وقوة السراح، في المقابل ستزداد قوة ومكانة الدرع نسبياً وإلى حين. ولاحظ أيضاً أن الانقسام بين القرشة والمعاقلة في سياق تمرد ١٨٥٣م، وفي خلفيته صراع السراح/ السراح، لم يكن بهذه الحدة والاصطفاف المتقابل، بل إن عناصر من كلا المجموعتين، بما فيهم من القرشة ومن سكاكا (قاسم السعيد ـ العلي، ومن الطالب ـ اللقايط، مثالاً لا حصراً) من شارك في مقاومة الرشيد في محاولة الأخيرين إعادة إخضاع الجوف (دومة الجندل و/ أو سكاكا). من هنا كان تمرد ١٨٥٣م بتمظهره الخارجي ليس فقط خاصاً بـ «السراح» و/ أو دومة الجندل، وإنما شمل مجموعات من هنا وهناك (سكاكا ودومة الجندل، وتقاطعات الجماعات الفرعية فيهما). طبعاً هناك مجموعات من أهل الجوف، في سكاكا والجوف (دومة الجندل) وبالذات في الأخيرة من وقف وناصر الرشيد. طبعاً ما يهم في الأمر هنا هو:١ ـ أن أصل الصراع محلي بحت، وأن قوى وأطرافاً محلية استدعت القوى (السلطات) الخارجية سواء للدعم أو لاستعادة السيطرة؛ ٢ ـ أن سلطة الرشيد رغم وجودها في الجوف لم تمنع تفجر «الصراع» الداخلي (بين السراح أنفسهم)، وقد يكون لها مصلحة في اندلاعه مجدداً!؟؛ ٣ ـ القضاء على مكانة ونفوذ السراح منذ ذلك التاريخ فصاعداً، وهو ما يعني تنامي قوة ومكانة الدرع في الجوف، وإن بشكل غير مباشر، وحتى حين؛ ٤ ـ أن دور الشعلان آنذاك، وإن أسهم جزئياً وفي المراحل الأولى من الصراع البيني بتأجيجه، فقد كان محدوداً جداً في القوة والفاعلية والوجود.

ـ **الأتراك والحملة التركية وتمرد أهل الجوف (١٨٧٠م) وواقعة المديرس (١٨٧١م)**: حيث إن الحملة التركية (١٨٧٠م) وتوابعها (١٨٧١ ـ واقعة المديرس) مفصّلة في مكان آخر من الدراسة، فلسنا هنا في وارد أن نعيدها، وإنما هنا نلاحظ ما تعلق بها من دور للقوى والسلطة الخارجية في الصراع الأهلي بالجوف آنذاك. في هذه الفترة كانت هناك ثلاث قوى (سلطات) خارجية تتصارع على الجوف: ١ ـ الدولة التركية (العثمانية) قادمة مقتحمة؛ ٢ ـ قوة «الشعلان» (سطام و/ أو هزاع «الشعلان» على ما يبدو، أحدهم البارز آنذاك) متعاونة مع ومتخفية بقوة «الأتراك»، وربما مساهمة في إغراء الأتراك بالحملة على الجوف؛ ٣ ـ «الرشيد»، وهم في وضع مقاوم للوجود التركي والحملة التركية ليس دفاعاً عن مصلحة للجوف

وأهله، وإنما لصالح نفوذهم (مادياً: زكاة، ومراعٍ وموارد مياه وحمى... إلخ) حيث كانت الجوف، آنذاك، تحت سيطرة «الرشيد»، وهي سيطرة ما بين الشكلية والفعلية منذ ١٨٣٨م، وازدادت على نحو أقوى بعد سحق تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م. في سيرورة الحملة، يبدو أن معظم كبار أهالي الجوف (في دومة الجندل، وسكاكا، وبالذات في دومة الجندل) تحالفوا مع الأتراك بطريقة أو أخرى، سواء بتناغمٍ معهم مباشرة، أو عن طريق دور ما للشعلان (سطام/ هزاع) وقبيل القدوم وفي الدعوة إليه، أو في مرحلة القدوم والوصول والعسكرة على مشارف الجوف (دومة الجندل)، أو في أثناء الوجود والسيطرة على الجوف (دومة الجندل وسكاكا، والقرى المجاورة منذ الربع الأول من ١٨٧٠ وحتى أواخر خريفها)، للفكاك والتحرر من حكم الرشيد وسيطرتهم. نود التشديد على أنه قبل وصول الحملة التركية على الجوف، لا يبدو أن هناك صراعاً أهلياً محلياً سابقاً عليه مباشرة، إلا ما كان ربما بالخلفية الذهنية التاريخية بين «السراح» وحلفائهم من جهة، وبين «الدرع» وحلفائهم من جهة أخرى. لكن يبدو أن الوجود التركي دعم وعزز من ظهور وتكثف تمرد على سلطة الرشيد وخاصة طوال التواجد التركي بالجوف (تقريباً كامل عام ١٨٧٠م). بعد أن فشل الرشيد في طرد الأتراك بالقوة، كان اللجوء للاتفاق على إبقاء الجوف في وضع معلق حتى البت فيها مع قبول الرشيد بتبعيتهم والجوف للسلطة الكلية للدولة التركية، على أن يدفع مبلغاً سنوياً (ضريبة/ إتاوة) للأتراك عن الجوف. ورغم أن الحملة التركية كوجود عسكري انتهت تقريباً في أواخر ١٨٧٠م، إلا أنه وخلال الفترة منذ ١٨٧١ وحتى أوائل ١٨٧٤م، كانت تبعية الجوف لا زالت تحت نظر ومتابعة السلطات التركية؛ فقد كانت هناك طوال تلك الفترة (١٨٧١ ـ ١٨٧٤م) مكاتبات تركية حول مصير الجوف القانوني والإداري كقضاء أو قائم مقامية بين متصرفية معان، وولاية سورية، ومحافظة المدينة المنورة، والأخيرة تتبعها إدارة الرشيد. استقر الرأي والأمر في النهاية (في أوائل ١٨٧٤م) على ربط الجوف بإدارة الرشيد مع تبعية الأخير لمحافظة المدينة المنورة بشرط أخذ «تعهدات وتأمينات من ابن الرشيد برفع مظالمه عن الأهالي والعشائر كي يتم بموجب ذلك وضع القضاء المذكور تحت إدارته» كما ورد في وثيقة رقم ٨٧٣ ـ من دفتر العينات الخاصة ـ بولايتي الحجاز واليمن وولايتي سورية وبيروت ـ دار المحفوظات ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ اسطنبول، وطبقاً لنصوص ترجمتها كما وردت في كتاب عبد الرحمن السديري «الجوف ـ وادي النفاخ» (السديري، ١٩٨٦: ٥٩). ورغم تلك المكاتبات والاتجاهات التركية حول مصير الجوف وتبعيتها إدارياً، وما تضمنته من محاولة القيام بإصلاحات فيها بما فيها محاولة تشكيل مجلس محلي (مجلس قضاء الجوف) وبترشيح الشيخ عبد الله الصالح، من أهالي دومة الجندل كعضو فيه (السديري، ١٩٨٦: ٥٤)، وإن لم يكتب لها النجاح، ورغم ما تضمنته تلك المكاتبات من التعهدات الموازية والمطلوب أخذها على ابن رشيد، إلا أن واقع الأمر بالجوف على الأرض هو أنه بعد انشقاق القوة (الحامية) العسكرية التركية بشقها المغربي/ الجزائري، في أواخر ١٨٧٠م، أعاد الرشيد السيطرة على الجوف بالقوة، وتم اعتقال أكثر من ٨٠ من رجالات الجوف من سكاكا ودومة الجندل، وتم إعدامهم في مكان يقال له المديرس، في مكان قريب من «الشقيق»، فكانت ما عرفت بواقعة المديرس ـ أوائل ١٨٧١م تقريباً، والتي لم تفعل تجاهها الدولة التركية شيئاً لمنعها أو معاقبة الرشيد عليها رغم القول بالحرص على أهل الجوف وحمايتهم من «مظالم ابن رشيد» كما مر آنفاً، ويبدو أن هناك تواطؤاً!! قد حدث بين باشا سعيد (قائد الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م)، وابن رشيد

في الاتفاق الذي جرى بينهما قبيل انسحابه من الجوف فتركت الجوف وأهلها لمصيرهم ونقمة وطغيان الرشيد.

(ج) فترة (١٨٧١ ـ ١٩٠٧م) والسلطة الخارجية والصراع الأهلي بالجوف: رغم النفوذ الرمزي التركي على الجوف بتبعيته لإدارة ابن الرشيد، وتبعية الأخير وإدارته لمحافظة المدينة المنورة، ورغم المكاتبات التركية، آنفة الذكر، حول مصير الجوف إدارياً في الفترة (١٨٧٠ ـ ١٨٧٤م)، إلا أنه مع انسحاب و/ أو انشقاق ما تبقى من الحامية العسكرية التركية أواخر ١٨٧٠م، فقد أحكم الرشيد سيطرته على الجوف منذ أوائل ١٨٧١م، والتي ستتعزز مع أوائل ١٨٧٤م مع قبول الأتراك، بضم الجوف إدارياً لإدارة ابن الرشيد التابع بدوره لمحافظة المدينة المنورة. سيطرة الرشيد على الجوف سوف تستمر على نحو قوي وفعال دون منازع منذ تقريباً بداية ١٨٧١م وحتى ١٩٠٧م، ويبدو أن شراسة وقمع ودموية الرشيد ضد أهالي الجوف في أعقاب الحملة التركية بنهاية ١٨٧٠م، وما تلاها من إعدامات طالت أكثر من ٨٠ رجلاً من أهالي الجوف، حيث أعدموا في ما عرف بواقعة المديرس ١٨٧١م، فضلاً عن ما قبلها من وقائع تميزت بقسوة الرشيد تمثلت في إعدامات ودمار وهدم للممتلكات والمزارع ومصادر المياه (القلبان) مارسوها ضد الجوف وأهلها في تمرد ١٨٥٣م، وكذلك ١٨٣٨م، دونما حسيب أو رقيب عليهم من أية قوة بما فيها الدولة التركية وهو التابع لها، قد ولد تلك الحالة من السيطرة السائدة دون منازع طوال تلك الفترة (١٨٧١ ـ ١٩٠٧م). ومع ذلك لم تخلُ تلك الفترة كما أسلفنا من قبل، من حدوث حوالي ٣ حالات من الصراع الأهلي، واحدة منها تضمنت قدر من العنف المسلح (واقعة السمرة ١٨٧٠sم؟ بين المعاقلة والقرشة ما بين سكاكا ودومة الجندل)، وإن كانت محدودة، لم تستطع السلطة الخارجية السائدة (الرشيد) منعها أو عدم حدوثها، ولكنها استطاعت أن تتدخل في واقعة سيسرا ١٨٨٠sم بين القرشة والمعاقلة في سكاكا؟ وربما تمنع انفلاتها نحو عنف مسلح، وأما الحالة/ الواقعة الثالثة فهي واقعة ـ مؤامرة مسجد الجمعة ١٨٨٠sم؟، وهي وإن كانت واقعة «في النوايا»، إلا أن تدخل شكر السهيان وفلاح الشردان ربما حال دون وقوعها، وكان ذلك دون تدخل من السلطة السائدة (الرشيد) وبمعزل عنها! لاحظ أنه كلما تناغمت وتوافقت النخب والقيادات للجماعات الرئيسة الأهلية (أهالي الجوف في سكاكا و/ أو دومة الجندل)، كلما أمكن من إدارة الصراع بينهما بشكل سلمي وبأقل تكلفة ممكنة، والعكس صحيح، حيث عدم التوافق يؤدي في الغالب إلى تفجر الصراع عنفاً ودموية، وغالباً ما يستدعي القوى الخارجية للتدخل و/ أو يغريها به، وهو عند حدوثه عادة ما يعمل على تأجيج الصراع الأهلي في المدى القصير، وغالباً ما يزيد من تراكم المخزون النفسي العدائي بين الجماعات الأهلية المتصارعة، منتظراً «قشة البعير» للانفجار عنفاً آخر وإضافياً في أية لحظة مستقبيلة مواتية.

ـ **الصراعات الأهلية ١٩٠٧ ـ ١٩٢٢م**: وهذه تشمل واقعة كون الظلي ١٩٠٧م، وصراعات أهلية اصطفافية في سياق فوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)، وكذلك في سياق صراعات الشعلان/ الرشيد على الجوف ١٩١٩م، وكون أو واقعة «الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م»، وأخيراً حرب المعاقلة أو ما عرف بـ « حرب الراشد ـ المويشير»، فقد أشرنا إليها سابقاً من حيث السلطة الخارجية المسيطرة و/ أو المنافسة، وهي كانت بالأساس تترواح بين الرشيد والشعلان في الفترة

١٩٠٩ ـ ١٩٢١م وتحالفاتها مع جماعات الجوف الرئيسة وتحولاتها وتبدلاتها، ثم دخول على خط الصراع على الجوف قوة جديدة (ابن سعود) في المرحلة الأخيرة (١٩٢٢م) كقوة موازنة في بداية الأمر، ومحتملة قادمة ظاهرة في المرحلة الأخيرة. دون شك، نلاحظ أن القوة الخارجية المقتحمة وصراعها مع القوة الخارجية السائدة (مثلاً الشعلان/ الرشيد (١٩٠٩ ـ ١٩١٤)، والرشيد/ الشعلان (١٩١٩م)، وكذلك الشعلان) في محاولة اختراق الجوف وإعادة السيطرة على الجوف من الرشيد في ١٩٢٠م في دومة الجندل، وما عرف بـ «هجة الغرب»، وبالتوازي في واقعة الغطغط ـ ١٩٢٠م (في سكاكا)، في الغالب يتولد عنها مزيد من الاستقطابات الأهلية وارتفاع حدة العنف الأهلي بالجوف، وإن كان متداخلاً مع الصراع بين القوى الخارجية نفسها للسيطرة على الجوف. في حالة حرب ١٩٢٢م نلاحظ أن عدم الوضوح والغموض تجاه قوة ومستقبل السلطة الخارجية القائمة والمنافسة والمحتملة ترافق، في المقابل، مع حالة من الانتظار وعدم الثبات و/ أو السيولة في تحالفات الجماعات الأهلية الرئيسة ونخبها. وتبقى ملاحظة هامة أخرى وهي أنه ورغم ما للقوى الخارجية المسيطرة والمنافسة والمحتملة من دور في تأجيج حالات من الصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف والمساهمة في تكوين ذاكرة تاريخية عدائية (مخزون نفسي ذهني تراكمي متضاد)، إلا أنه يلاحظ أن اندلاع الصراع الأهلي بين عدد من مكوّناته وجماعاته الرئيسة ونخبها في الجوف، هو في الغالب من استدعى القوى الخارجية للتدخل و/ أو أغراها وشجعها على التدخل فالسيطرة والتحكم بالجوف ومقدراته بشراً وموارد. وهذا واضح مثلاً في أعقاب واقعة الظلي١٩٠٧م بين القرشة والمعاقلة، وتبدلاتٍ وتحولات في تحالفاتهما تجاه السلطة القائمة، إلى قيام المعاقلة، عن طريق حليفهم في دومة الجندل (زبن القعيِّد) باستدعاء الشعلان للتدخل، وهو ما تم فعلاً، مع عدم استبعاد أن يكون لدى الشعلان تطلعات ومخططات مسبقة للاستيلاء على الجوف مع ما لديهم لربما من معلومات عن حال وواقع سلطة الرشيد في حائل وخاصة من حيث الصراع الداخلي والضعف، وخاصة أمام قوة صاعدة قادمة (ابن سعود). والأمر ينطبق على محاولة الرشيد في إعادة السيطرة على الجوف وصراعهم مع الشعلان (١٩١٩م)، فقد كان هذا بتنسيق مع المعاقلة وضد الشعلان، علماً أن «القرشة» وقفوا على الحياد كما سبق وأن وضحنا. كذلك الأمر في محاولة الشعلان محاولة اختراق الجوف ١٩٢٠م؟ (في دومة الجندل) وفي سكاكا الواقعة الموازية (واقعة الغطغط/ الغطيغط ١٩٢٠م؟)، حيث كان دخول الشعلان للجوف في دومة الجندل وسكاكا تم عن طريق تعاون مجموعات أهلية في كل من البلدتين، وضد الجماعات الأخرى الموالية لـ «الرشيد» كسلطة قائمة آنذاك، مع ملاحظة اختلاط في نمط التحالفات وعناصرها في الحالة الأخيرة.

في المحصلة النهائية للسلطة الخارجية وعلاقتها بالحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) نقول:

أولاً، إن سلطة القوة الخارجية السائدة و/ أو المنافسة قد شجعت أو ساهمت في تأجيج الصراع الأهلي في بعض حالاته في المدى المباشر والقصير، وعملت في المدى الأطول على تولد وتراكم مخزون ذاكرة تاريخية من الخصومة والعداء بين الجماعات المتصارعة، ونخبها من أهل الجوف، معززاً لبنية من الصراع الأهلي قابل للانفجار في أية لحظة مستقبلية (وهو ما حدث بالفعل في حالات من الحرب المتولدة عن سوابقها: إننا أمام معادلة قريبة من «حرب تولد حرباً أخرى»؛ فصراع الدرع/

السراح (١٨٠٠ ـ ١٨١٨م) ولد صراع الدلهمية/ الجرعاوي ١٨٣٨م وتوابعها (غزو الرشيد للجوف والسيطرة عليها)، والأخيرة لها دور في صراع ١٨٥٣م، التي لها دور في الحملة التركية ١٨٧٠م وتوابعها من مثل واقعة المديرس ١٨٧١م، ثم التراكم النفسي لما سبق من واقعات مع ما تلاها من واقعات كواقعة السمرة ـ ١٨٧٠s م(؟)، وواقعة سيسرا ـ ١٨٧٠s م(؟) فواقعة مسجد الجمعة ـ ١٨٨٠s م(؟) لتستقر الأمور حتى ١٩٠٧م، حين تنفجر واقعة الظلي مع تداخل لسلطة الرشيد بالأمر (انحياز وضعف فانحسار)، لتتكامل مع فوضى وعنف صراعات سيطرة الشعلان على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ م، وما تخللها من مآسٍ وويلات، فاسحاً في المجال أمام صراعات متنوعة بعد ١٩١٨م ومقتل ممثل حكم الشعلان بالجوف، فصراعات أهلية في سياق صراعات الشعلان/ الرشيد (١٩١٩م/ ١٩٢١م)، فآخر الصراعات الأهلية ١٩٢٢م مع دخول قوة ثالثة على الخط.

ثانياً، ورغم تلك الحالة العامة من دور للسلطة الخارجية في تأجيج الصراع الأهلي في الجوف وخاصة في عدد من حالاته و/ أو في توابعها من إرث وتراكمات عدائية نفسية لاحقة، فإن الواقع والمعطيات للحرب الأهلية بالجوف، وعلى طول فترتها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، تشير إلى أن صراعات أهلية رئيسة أو فرعية، بما فيها داخل بيوت ونخب من الخلفية الاجتماعية الواحدة نفسها، وتحولات في التحالفات الأهلية تجاه القوى الخارجية المحيطة غالباً ما سبقت وشجعت على تدخل القوى الخارجية و/ أو أغرى الأخيرة بالتدخل فالسيطرة والتحكم.

ثالثاً، أما في حالة الوجود الفعلي لسلطة خارجية قائمة، فإن أمر الصراع الأهلي، انفلاتاً أو تحكماً يعتمد، كما مر بنا، ولاحظنا من خلال حالات الحرب الأهلية واندلاعها، على فاعلية وتقاطع واحد أو أكثر من ثلاثة أمور وهي: ١ ـ قوة وضعف السلطة الخارجبة القائمة بالجوف وفي مركزها/ مقرها الأصلي، بالمقارنة مع قوة خارجية في المحيط متأهبة؛ ٢ ـ طبيعة ومستوى حضور و/ أو غياب التوافقات الأهلية للجماعات الرئيسة ونخبها وقياداتها البارزة داخل الجماعة الواحدة وبيوتها، أو فيما بينها كجماعات ونخب متقابلة تجاه بعضها البعض؛ ٣ ـ طبيعة التحالفات الأهلية وثباتها أو سيولتها تجاه كل من القوى الخارجية ذات الصلة وخاصة تجاه القوة الخارجية السائدة (القائمة) والقوة/ القوى المحيطة المنافسة المتأهبة.

(٣) في القوى الخارجية ونمط التحالفات بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): قبل الوصول إلى الخلاصة في تحديد العلاقة ما بين العامل السياسي والصراع الأهلي وحالاته في الجوف، من المناسب تحديد خريطة تحالف القوى الخارجية الحاكمة السائدة المسيطر في الجوف و/ أو المتنافسة عليه في فترة (١٧٩٢/ ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) مع القوى والمجموعات المحلية الأهلية في الجوف. في أمر خريطة التحالفات وتفصيلات تضاريسها، يمكن أن نرصد التالي:

ـ **١٧٩٢/ ١٨٠٠ ـ ١٨١٨م**: الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية مع «الدرع» ضد «السراح». وتستمر هذه الحالة متقطعة حتى ١٨١٨م.

ـ **١٨١٨ ـ ١٨٣٨م**: وضع ملتبس، حيث القضاء على الدولة السعودية الأولى على يد الحملة التركية ـ المصرية (إبراهيم باشا) في عام ١٨١٨م، وبالتالي انحسارها على نحو شبه كامل بالجوف.

ـ **١٨٣٨ ـ أوائل ١٨٧٠م**: الرشيد مع الدرع وحلفائهم من أهل خذماء والجرعاوي، ضد السراح وحلفائهم من أهل الدلهمية. في ١٨٥٣م تمرد أهل الجوف على سلطة الرشيد، وفي الخلفية صراع السراح/ السراح. بسحق التمرد، نهاية قوة/ نفوذ السراح (البداية في ١٨٣٨م)، وبدايات لتقليص لمكانة ونفوذ الدرع.

ـ **١٨٧٠م: الحملة التركية على الجوف**: تحالف معظم أهالي الجوف معها وضد الرشيد.

ـ **١٨٧١م ـ ١٩٠٧م**: مع نهاية الحملة التركية في عام ١٨٧٠م، ومع واقعة وكون المديرس ـ ١٨٧١م، وجرائم سلطة الرشيد، فيها بإعدامات بالجملة لما يقرب من ٨٠ رجلاً من رجالات أهل الجوف وأبنائها. في هذه الفترة بدأ الرشيد، بمزيد من تقييد وتقليص نفوذ ومكانة لنخب دومة الجندل، ومنهم على وجه الخصوص الدرع، ذلك أن السراح تم إنهاء نفوذهم مع نهاية تمرد ١٨٥٣م. وفي سكاكا بدأ الرشيد التركيز عليها وعلى نخب مجموعاتها الكبرى. في القرشة، شكر السهيان على حساب زعامات من العلي والدرعان، وبالذات قاسم السعيد ودخيل الدرعان. وفي المعاقلة، بروز مكانة وسلطة فلاح الشردان على حساب نفوذ ومكانة الحيزان. ظهور المظهور على حساب الفياض في الشلهوب حول ١٩٠٠م، أو في حدودها نقصاناً أو زيادة ببضع سنوات قليلة. ويلاحظ أن نفوذ كل من شكر السهيان وفلاح الشردان بدأ بالتزايد متزامناً، ومنذ تقريباً ما بعد ١٨٧١م فصاعداً. في هذه الفترة (١٨٧١م وقبل صيف ١٩٠٧م)، بدا أن الرشيد أقرب للتحالف مع القرشة منهم مع المعاقلة.

ـ **١٩٠٧/ ١٩٠٨م**: مع وفاة شكر السهيان، ومع أحداث واقعة كون الظلي ـ صيف ١٩٠٧م (أو ١٩٠٨م؟) حدث تحول في التحالفات مع/ ضد الرشيد: القرشة في غالبهم وقفوا ضد الرشيد، والمعاقلة والشلهوب معه.

ـ **١٩٠٩ ـ ١٩١٨م**: المعاقلة مع الشعلان، والقرشة ضده. في بعض التفصيلات والتفريعات، فإنه مع تضعضع قوة الرشيد، وانحسارهم في مشاكل بينهم في حائل، دخل الشعلان بالقوة على الخط، واحتلوا الجوف مع نهاية ١٩١٠م، بالتعاون والتحالف مع المعاقلة في كل من سكاكا ودومة الجندل، بينما القرشة في كل من سكاكا ودومة بقوا مقاومين وضد الشعلان. في عام ١٩١١م(؟) تقريباً حاول الرشيد استعادة الجوف، بحملة بقيادة زامل السهيان، ولكنها، لظروف معينة، سبق أن فصلنا فيها في مكان آخر من الدراسة، انسحبت سريعاً، وفي غضون أيام من قدومها إلى حائل، ومعها غادر الغالبية الساحقة من القرشة، وبالذات في سكاكا، إلى حائل، في ما عرف بـ «هجة القرشة» خوفاً من بطش الشعلان. في عام ١٩١٢م، أو في حدودها، وبعد ما يقرب من سنة، من الهجرة/ التهجير، عاد القرشة للجوف، بموافقة الشعلان، مدفوعين في جزء منه بتداعيات الكساد الاقتصادي بالجوف. وبقي الحال على ما هو من تحالفات كلية: المعاقلة مع الشعلان و«القرشة» ضدهم، وإن في حال من السكون.

ـ **١٩١٨م**: انقلب المعاقلة على الشعلان بقتلهم لممثل حكمهم وسلطتهم في الجوف. في هذا السياق كان هناك على ما يبدو محاولة، قبل سنة من هذا التاريخ، من القرشة لفعل الشيء نفسه ولكنها لم تنجح.

ـ **١٩١٩ ـ ١٩٢١**: بعد مقتل ممثل حكم الشعلان، قَدِم الرشيد للجوف، وبعد مطاولة في قتال متقطع بينهم وبين الشعلان، استطاع الرشيد وبتحالف مع المعاقلة، في سكاكا بدرجة كبيرة، السيطرة على الجوف. موقف القرشة من الصراع بين الرشيد والشعلان كان يبدو في الغالب، في الحياد، متراوحاً بين استعداد معنوي منقسم من القرشة/ الضويحي بالمساعدة، وإن لم تتم، وبين رفض من القسم الآخر من القرشة/ العلي بالمشاركة. في النهاية في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م حسم الأمر لصالح الرشيد، وبقي التحالف مع المعاقلة حتى انسحابهم مجدداً بضغط التطورات على تخوم حائل في تلك الفترة.

ـ **١٩٢٠/ ١٩٢١م**: حاول الشعلان جس نبض قوة الرشيد في محاولة لاستعادة الجوف فعملوا اختراقين، في الغالب، متزامنين أو متتاليين، في كل من سكاكا ودومة الجندل. في سكاكا من خلال ما عرف بـ «واقعة كون ـ الغطغط ١٩٢٠/ ١٩٢١م؟»، وكان فيها المعاقلة ضد الشعلان، بينما ناصر ودعم الشعلان مجموعة من حلف القرشة، وخاصة من «المطر» وبعض عناصر من الشلهوب، وآخرين من دومة الجندل. في دومة الجندل، كان هناك عدد من عناصر من مجموعات من حلف المعاقلة هناك، وقفوا وساعدوا الشعلان في القتال وفي الاختراق، بينما العدد الأكبر من مجموعات تنتمي أيضاً لحلف المعاقلة في «الغرب»، وقفوا ضد الشعلان. وفي كل من الواقعتين، وباستثناء المطر في سكاكا، كانت القرشة عموماً خارج الصراع ولم تتدخل.

ـ **١٩٢٢م**: مع انسحاب الرشيد، وعودة الشعلان للجوف والسيطرة عليها. كان التحالف في الغالب السائد منه، هو بين الشعلان وغالبية أهالي ومجموعات الجوف (في سكاكا ودومة الجندل وفي قارا والطوير، فضلاً عن قرى في الأصل موالية للشعلان)، سواء معاقلة أو قرشة أو من الشلهوب. الاستثناء الوحيد، كان الجزء الغربي الجنوبي من المعاقلة، (غرب وجنوب سيل الغدير/ الهذال). نتج عن ذلك صراع أهلي اصطفافي ضد ومع الشعلان، وكان في المظهر بين الشعلان وغالبية أهالي ومجموعات الجوف من جهة، وبين عدد صغير من مجموعات صغيرة في غرب وجنوب المعاقلة من جهة أخرى. تلك الحرب عرفت بحرب المعاقلة/ المعاقلة، وفي خلفيتها وجذورها، صراع أهلي بين راشد القايد ورجاء المويشير على مشيخة الراشد (السويلم، خلف شافي، مقابلة (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٧ من ١٥ ملخص، والراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (I)، الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، ولذلك عرفت بـ «حرب الراشد/ المويشير».

خلاصة القول، بالنسبة إلى العوامل السياسية، وقوته التفسيرية للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، نستطيع أن نقول: إن العامل السياسي بما هو سلطة داخلية و/ أو خارجية من حيث الغياب والحضور وبدرجة أهم الفاعلية (قوة وضعف)، لا شك في أن له دوراً في اندلاعها و/ أو التحكم بها. ورغم أهمية دور السلطة الخارجية في الصراع الأهلي، إلا أن العامل الأكثر أهمية، وفي المقام الأول هو في غياب وعدم وجود سلطة مركزية محلية (من أهالي الجوف) متوافق عليها طوال الفترة الممتدة وتحت الدراسة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). هذا الغياب لسلطة محلية أهلية مركزية بالجوف سواء كانت فردية، أو جماعية فارضة نفسها على أرض الواقع، وهو ما يعني غياب التوافق الأهلي بين النخب والجماعات الرئيسة من مكوّنات الاجتماع الأهلي بالجوف، هو ما يفسر بدرجة معقولة ليس فقط اندلاع وتفجُّر

قدر لا بأس به من معظم حالات الانفلات والعنف الأهلي، إن لم يكن كل حالات الصراع الأهلي من وقت لآخر، وإنما كذلك يفسر بدرجة موازية تدخل القوى والسلطات الخارجية بالجوف، وفي مراحل لاحقة و/ أو متلازمة دخولها على خط الحرب الأهلية تأجيجاً أو تحكماً طبقاً لرغباتها وقوتها وضعفها في مراكزها/ مقارها (عواصمها) الأصلية، وبالمقارنة فيما بينها كقوى خارجية متنافسة. نستطيع القول إننا تحققنا من فرضية مؤداها: كلما كانت السلطة الخارجية المتواجدة بالجوف ضعيفة مولدة حالة من فراغ السلطة نتيجة انسحابها لظروف واقعها في مركزها الأصلي مع غياب سلطة مركزية محلية، وفي ظل تنافسات في داخل الجماعات الرئيسة والفرعية ونخبها و/ أو فيما بين الجماعات الرئيسة ونخبها، كلما نشأت واندلعت حالة صراع أهلي وغالباً ما يكون الصراع عنيفاً متداخلاً مع تورط قوة خارجية أخرى منافسة. وبعبارة أخرى: كلما نشأ فراغ سياسي في الجوف متولد عن تضافر غياب سلطة محلية أهلية مركزية مع حالة سلطة خارجية قائمة ضعيفة و/ أو منكفئة على نفسها في مركزها الأصلي، كلما تحول التنافس البنيوي داخل الجماعة الواحدة، ونخبها و/ أو فيما بين الجماعات الكلية والفرعية ونخبها إلى عنف وصراع أهلي (حالة حرب أهلية)، وغالباً ما يتداخل هذا الفراغ، وهذا التنافس، فالعنف مع تورط وتدخل قوة خارجية أخرى موازية قوية متأهبة في المحيط ومنافسة للمنسحبة و/ أو الضعيفة.هذا يُذكرنا بنظرية ابن خلدون عن صعود وأفول الدول (أطوار الدولة) وعلاقته بقوة وضعف العصبية فيها وفي القوة/ العصبية المنافسة بالمقارنة. ونظرية ابن خلدون، هذه، وصلتها بالحرب الأهلية بالجوف سوف نتحدث عنها لاحقاً. نقطة أخيرة نشدد عليها قبل الانتقال للمتغير الاقتصادي، فنقول رغم أن العامل السياسي من حيث حضور و/ أو غياب (قوة/ ضعف) السلطة بالجوف بشقيها المحلي والخارجي له دور غير قليل في تفسير الحرب الأهلية بالجوف وحالاتها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، إلا أنه، كما هو الحال مع العامل الاجتماعي، وإن كان الاجتماعي أقل بكثير من السياسي، لا يفسر لوحدة تلك الحرب لا بكلياتها ولا ببعض حالاتها الفردية. إن العامل السياسي المتمثل بفراغ للسلطة، من حيث غياب السلطة المركزية الأهلية المحلية أو ضعف و/ أو انسحاب السلطة الخارجية القائمة بالجوف في فترة من الفترات، لا شك، يفسر غايات وأهداف اندلاع حالات من الصراع والعنف الأهلي، من حيث، مثلاً، البحث عن مكانة سياسية أو مشيخة ما، لكنه لا يتكلم كثيراً عن بنية الصراع والقوة البنيوية المحركة للتنافس في مكوّنات الاجتماع الأهلي بالجوف، والتي تعمل على تكوّن جاهزية لاندلاع الصراع أو إشعاله، إن شئنا القول، مع توفر الشرارة (القشة). نمط الاقتصاد وانعكاسة الاجتماعي هو المولد الدائم والقوة المحركة للتنافس والذي مع تلاقح العوامل الأخرى يفجر الصراع الأهلي كما سنأتي على مناقشته.

ج ـ في العوامل الاقتصادية والحرب الأهلية بالجوف

مررنا على العوامل الاجتماعية والسياسية ورأينا مدى قدرتها وحدودها التفسيرية للحرب الأهلية الكلية أو حالات منها، ولكننا هنا نرى ونزعم أنهما (أي الاجتماعي والسياسي) على الرغم مما لهما من أهمية وقدرة تفسيرية، وعلى ما بينهما من اختلاف في الأمر، لا يكفيان منفردين أو مجتمعين، وبمعزل عن العوامل والمتغيرات الأخرى، في تقديم التفسير الجامع الشامل للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) أو حتى ببعض من حالاتها. من هنا نرى أن متغيراً آخر، وربما يكون حاسماً، إن لم

يكن موازياً، للعوامل والمتغيرات السابقة، يحتاج إلى ملاحظة وإدخال في معادلة تفسير الحرب الأهلية بالجوف. هنا نتكلم عن دور وقدرة/ قوة العوامل والمتغيرات الاقتصادية والمادية في تفسير الحرب الأهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). إن التركيز هنا هو على ملاحظة طبيعة ونمط الاقتصاد وأبعاده وانعكاساته الاجتماعية ذات الصلة بالحرب. ومع ذلك فإن هذا التركيز لا يعني إغفال ملاحظة عناصر اقتصادية ومالية أخرى متعلقة بالموارد والنشاط الاقتصادي، من مثل التجارة والزكاة والممتلكات والأراضي والمراعي بما لها، أو لأي منها تداخل و/ أو صلة بالحالة الاقتصادية والنشاط الاقتصادي السائد وربما بدور ما بالحرب الأهلية أو حالات منها.

(١) ـ في نمط الاقتصاد والاجتماع والصراع (اقتصاد حد الكفاف والمساواة والتنافس فالصراع):

نمط الاقتصاد السائد في الجوف في الفترة تحت الدراسة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وربما يمتد إلى ما قبلها بكثير، يتكون من تداخل نمطين من أنماط الاقتصاد، أحدهما متعلق بأهالي الجوف (الحضر/ الفلاحين)، وهو اقتصاد فلاحي بسيط يتسم بحد الكفاف (Subsistence Level Economy)، والآخر اقتصاد صحراوي رعوي لمجتمع أهل البادية، يعتمد بدرجة كبيرة على القتال و/ أو الغزو المتواصل؛ قتالاً للدفاع عن الحمى والمراعي، وغزواً للهجوم على الآخرين للاستحواذ و/ أو الإخضاع، وما يتضمنه من «نهب وسلب للممتلكات والمقدرات، فضلاً عن القتل المصاحب و/ أو المتعمد». العلاقة بين الاثنين علاقة تبادلية غير منفكة (على نحو من اعتماد متبادل عبر المقايضة (Bartering))، ولكنها تتسم أيضاً بمستوى وقدر غير قليل من التوتر والصراع، وقدر كبير من استنزاف للموارد على محدوديتها، وفي الغالب، على حساب اقتصاد المجتمع الأهلي الفلاحي. الاقتصاد الفلاحي لأهالي الجوف، هو اقتصاد حد الكفاف يقوم على نشاط اقتصادي متماثل بين أفراد مجتمعه (الفلاحين (Peasant/Farmers)) من خلال استثمار طويل الأجل لحيازات (أراضٍ/ مزارع أو حوَط بالمفهوم المحلي الدارج) محدودة المساحة متماثلة تقريباً بين الفلاحين، وتتركز بدرجة أساسية على زراعة النخيل وإنتاج التمور. هذا الاستثمار وهذا النشاط الاقتصادي يتميز أيضاً بكون عائده (محصوله من التمور) محدوداً، ويحتاج لتلمس نتائجه الأولى في بداياته ما بين ٣ إلى ٥ سنوات، في سياق عمل وجهد شاق ومكلف اجتماعياً ومادياً، وبما يعني أنه يحتاج إلى جهود اجتماعية جماعية (عائلة/ أسرة بكامل أفرادها)، وغالباً ما يتطلب و/ أو يتضمن مستوى وقدراً من التعاضدية والعون من الآخرين (الجوار والأقرباء)، وبما يتضمنه كذلك من قدر عالٍ من التكلفة المالية (ديون)، فضلاً عن تكاليف وأثمان (مبالغ و/ أو قيَم عينية) سنوية تجاه الداخل و/ أو الخارج، كالزكاة والمغارم والجبايات و/ أو الأتاوات، مترتبة، في الغالب وفي النهاية، على كل فلاح. وفي سياقه وفي سياق العلاقة مع الاقتصاد الرعوي/ الصحراوي المجاور هناك حالة متواصلة من تجارة ونشاط تجاري محدود (مقايضة، وفي الغالب، حبوب واحتياجات بسيطة مقابل التمر)، وضيق الأفق وغير قابل للتوسع والازدهار نتيجة استنزاف متواصل للموارد الكلية على محدوديتها، متولداً عن حالة صراعية شبه دائمة مع المحيط (القوى الخارجية والقبائل، والغزو والنهب وتدمير الممتلكات ومصادر المياه (الآبار) أو (القلبان) بالمفهوم المحلي الدارج، فضلاً عن متلازماتها من قتل وإعدامات وتشريد). في هذا النمط من الاقتصاد، والنشاط الاقتصادي ومتغيراته ذات الطبيعة المستنزفة على نحو متواصل، والبيئة المحيطة

المعادية المتواصلة في عداوتها وقساوتها، لم يكن له من مجال أو أفق للتوسع والازدهار والتطور. في هذه الوضعية من الأفق المحدود، بل المسدود، فنحن أمام نمط اقتصادي فلاحي متسم بحد الكفاف، بما يعني أن «فائض القيمة» (Surplus Value) دائماً محدود ومستهلك إن لم يكن معدوماً، أي لا توفير أو ادخار فيه يذكر (Limited or No Saving)، وبالتالي نحن أمام حالة اجتماعية متواصلة تتسم بدرجة عالية من «المساواة» بين أفراد المجتمع الأهلي الفلاحي، أي بغياب شبه كامل للتراتب الاجتماعي «مجتمع لاطبقي أو لا طبقات متمايزة فيه»:(No Social Stratification or No Class Differentiation). طبعاً، قد يوجد أفراد أغنياء وبالتأكيد عدد من الفقراء بالمقارنة للكل، ولكنهم، وبالذات ما تعلق منهم بالأغنياء، محدودي العدد، بل قد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة في الجماعات الرئيسة و/ أو الفرعية من كل أهالي الجوف (الفلاحين)، ولكن القاعدة السائدة هي لا وجود لطبقات متمايزة أبداً. نستطيع أن نقول إن مجتمع حاضرة الجوف (سكاكا ودومة وما في حكمهما من توابعهما) هو مجتمع من طبقة واحدة أعضاؤها وأفرادها بحالة اقتصادية متقاربة جداً، إن لم تكن متماثلة ومتطابقة؛ الكل تقريباً في الجوف الحاضرة (الفلاحون في سكاكا ودومة الجندل وما في حكمها من قرى فلاحية مجاورة وفي المحيط) أفراداً وجماعات رئيسة و/ أو فرعية هم في حالة «تساوٍ» من الناحية الاقتصادية. طبعاً الأمر كما أشرنا منذ برهة لا يخلو من بعض استثناءات قليلة ومحدودة جداً لبعض الأفراد، وهي متعلقة بتوافر بعض من تراكم «فائض القيمة» لديهم بطريقة ما، ربما نتجت عن كثرة أفراد العائلة وقدرتها (في الغالب جهد جسدي متعاضد) على مواصلة نشاطها الزراعي من حيث فلاحة وزراعة النخيل والعناية بها، و/ أو نتجت بالاستحواذ، بطريقة شرعية أو غير شرعية، على بعض الموارد (مثلاً استبقاء جزء من الزكاة وبعض الجبايات، و/ أو الحصول على بعض الأعطيات) مما أتاح لهم مكانة ونفوذاً ما (سلطة مشيخات/ عمودية)، وإن لم تخلُ من مقاومة وتحدٍّ متسق مع السياق الذي نتحدث به وعنه.

هذه «المساواة الاقتصادية» في المجتمع الفلاحي بالجوف تسند وتعزز بـ «مساواة اجتماعية»، في المرجعيات والانتماءات القبلية المتكافئة، ذلك أن الفوارق الاجتماعية في السائد بين فلاحي الجوف، مع بعض الاستثناءات المحدودة، والتي لا تغير بالأمر شيئاً على أية حال، تبدو ضئيلة وضئيلة جداً؛ الأفراد والجماعات الرئيسة والفرعية لأهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل) ليس فقط ينظرون لبعضهم البعض على أنهم متماثلون اجتماعياً (لا أحد أحسن من أحد)، بل ويدركونها ويقرّون بها. هذه المساواة الاجتماعية وفوقها المساواة الاقتصادية السائدة ولفترات طويلة، تعني أننا أمام مجتمع فلاحي يتسم بالمساواة شبه التامة (Absolute Equality). هذه المساواة، في شقيها (الاقتصادي/ الاجتماعي)، تتعزز وتسند كذلك بحالة ومرجعية نفسية وثقافية تاريخية متجذرة ومتراكمة، لأهالي الجوف نازعة بهم، أفراداً و/ أو جماعات، نحو الحرية، والتحرر، والاستقلالية، كما سنأتي على ملاحظة هذه النزعة «النفسية» الأخيرة لاحقاً.

هذه المساواة بأساسها الاقتصادي (المساواة الاقتصادية)، ومعززة ببعد اجتماعي (المساواة الاجتماعية)، وكذلك ببعد نفسي (الحرية والتحرر)، تولد، في المقابل، فكرة «الندية الدائمة» بين الأفراد والجماعات وبالذات بين النخب داخل الجماعة الواحدة وبيوتها و/ أو بين الجماعات المتقابلة

والمتناظرة الأخرى. هذه المساواة الشديدة، وقرينتها الندية الدائمة، المتولدة عن بنية نمط اقتصاد حد الكفاف بالكيفية التي ناقشناها أعلاه، هي المحرك الفاعل والقوة الدافعة الدائمة نحو «تنافس دائم قوي حلزوني» (Constant Spiral Competition)، مستهدفاً تصحيح أي خلل في العلاقة القائمة بين أفراد ونخب الجماعة الواحدة رئيسة كانت أو فرعية وبيوتها و/أو بين أفراد ونخب الجماعات المتقابلة وتفريعاتها، المكوّنة لمجتمع أهالي الجوف. من هنا سيكون «التنافس» على قدم وساق في تثبيت العلاقة و/أو في التماثل في النزوع والتطلع والطموح لمجاراة التغيّر فيها. ورغم أن التنافس أمر طبيعي بين البشر، وأهل الجوف ليسوا استثناءً، إلا أن هذا التنافس، وفي هذه الوضعية الاقتصادية والاجتماعية شديدة التساوي، يصبح في حالة دائبة ودائمة من الحيوية والحركية (الدينامكية) البينية، نزوعاً وتماثلاً في تثبيت العلاقة و/أو في التطلع والطموح لمجاراة التغيّر فيها وتصحيحها، وبما يجعل من هذا التنافس الأهلي حالة متواصلة من التدقيق والموازنة (Check and Balance) بين أطراف عديدة (أفراداً ونخباً وجماعات وتفريعاتها وبيوتها، فيما بينها من داخل الجماعة الواحدة أو فيما بينها كجماعات متناظرة) ونازعاً (أي التنافس) نحو الحدة والتعقيد، وخاصة بتداخله مع معطيات نفسية بين «المتنافسين» تتضمن قدراً من التباغض والتحاسد، في ضوء عوائق وعراقيل وإمكانات ربما تقف في طريق أو تمنع أو تؤخر، ولو إلى حين، تصحيح التغيرات في مستوى العلاقة البينية «بينهم» (بين المتنافسين). لكن رغم هذه الإعاقات القائمة والمحتملة، فإن «التنافس» البيني، وإن تبدى متنحياً أو خافتاً لبعض الوقت، يظل قائماً ومتواصلاً، ولو في النفوس، باحثاً عن التصحيح، ومنتظراً الفرصة والظروف للقيام به، وإن تطلب وانطوى على قدر من التصادم الحاد والعنيف و/أو قد يتطور إليه. بهذه السياقات نحن أمام حالة ديناميكية شبه دائمة من ما يمكن تسميته «التنافس التصادمي» البيني (غير المساوم) (Confrontational and Non-Compromising Competitions)، والذي، بكون طبيعته غير مساومة، في الغالب يؤدي، بذاته، بحالات أحادية أو متعددة وربما متداخلة، أو ربما مع تضافر عامل أو عوامل أخرى، إلى قدر ومستوى عالٍ وحاد وجلي من التنازع والصراع حاوٍ عنفاً، أو منفجرٍ به وإليه (حالة حرب أهلية محدودة أو متوسعة) من حين لآخر. إذن نحن أمام المعادلة التالية:

نمط اقتصاد الكفاف لمجتمع فلاحي (فائض قيمة محدود و/أو مستهلك) = مجتمع لاطبقي = المساواة والندية فيه = «تنافس حلزوني تصادمي» نازع نحو المكانة (طموحاً أو تصحيحاً أو تثبيتاً لها) = فالصراع والعنف الأهلي داخل الجماعة أو بين الجماعات (غالباً).

عليه، فإن «نمط الاقتصاد» السائد من حيث هو اقتصاد حد الكفاف، نتيجة محدودية الإنتاج، وتكاليفه الباهظة (مادياً/ اجتماعياً)، مع الاستنزاف المتواصل للعائد المتاح وللموارد على محدوديتها، فتلاشي فائض القيمة وانعدامها، يعني أنه «البنية» التحتية والفاعلة في تكوّن وتواصل مجتمع لا طبقي في مجتمع الجوف الفلاحي، متسم بـ «المساواة» الشديدة، فقرينتها ومتلازمتها «الندية الدائمة»، النازعة دوماً إلى تصحيح الخلل في العلاقة (المكانة/ النفوذ وفي الأوضاع والأحوال = المساواة)، تثبيتاً أو تجاوزاً لها أو محاولة لإعاقتها أو مجاراتها، فالحركة الديناميكية الحلزونية المتواصلة من «التنافس التصادمي» بين الأفراد والنخب والجماعات رئيسية أو تفرعاتها، بما هو يستبعد التنازلات «المساومة

والتفاوض» مما يولد غالباً، حالة و/ أو حالات من نزاع وصراع أهلي حاد وعنيف، ومتكرر من حين لآخر، خاصة مع تضافر وتداخل عامل أو عوامل أخرى موازية و/ أو محرضة (سياسية داخلية بحتة أم خارجية و/ أو متداخلة معها، وكذلك اجتماعية، وربما نفسية) مررنا على بعضها، وقد نتطرق إلى ما تبقى منها لاحقاً. إذن القوة المحركة بنيوياً للصراع والحرب الأهلية بالجوف، هي نمط الاقتصاد المتسم بحد الكفاف و«فائض القيمة» المحدودة و/ أو المستنفدة فيه؛ فهو المولد لـ «المجتمع» غير الطبقي ومتلازمته «المساواة/ الندية» والمؤدية، بنزوعها نحو التطلع والطموح والتصحيح و/ أو التثبيت في المكانة والعلاقة مع الآخرين، إلى «التنافس التصادمي».

الآن لنذهب ونتحقق من هذه الافتراضات وهذا الزعم بمحورية نمط وبنية نمط الاقتصاد في الحرب الأهلية بالجوف وحالاتها، اندلاعاً، وفي الغالب، تواصلاً ونهاية. بإلقاء نظرة على الجدول (٣) المتعلق بتصنيفات حالات الحرب الأهلية بالجوف، يمكن رصد ملاحظة حالة جوهرية، وهي أنه، ومقارنة بالعوامل والمتغيرات والقوى ذات الصلة بحالات الحرب الأهلية، فإن العامل الاقتصادي، بما هو متعلق بطبيعة ونمط الاقتصاد السائد، وهو نمط «اقتصاد حد الكفاف» لمجتمع فلاحي بسيط ومتسم بالمساواة الشديدة، هو الحالة والعامل السائد والمتواصل في كل حالات الصراع والحرب الأهلية، كما وردت في الجدول، بل والأهم على طول وبامتداد الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وهذا يعني أنه متواجد في كل الحالات التي ذكرت أو لم تذكر من الصراعات الأهلية، بما فيها الفرعية وغير الكبيرة، كما سبق الإشارة لبعض منها، وخاصة في مناقشة المتغير والعامل الاجتماعي للحرب الأهلية بالجوف.

بناء على ما تقدم، فإن معظم، إن لم يكن كل، حالات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وخاصة التي أطرافها و/ أو مجموعاتها الرئيسة من الأهالي، محركها البنيوي هو الحالة المتواصلة من «التنافس التصادمي» المتولد عن نمط اقتصاد الكفاف لمجتمع فلاحي بسيط، لا تراتب اجتماعي فيه «غير طبقي» (المساواة/ الندية)؛ للتثبت من الأمر، لنتناول ونأخذ بعض الأمثلة: ١ ـ صراعات الدرع/ السراح في وعلى طول الفترة ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م، هي وإن كانت صراعاً على السلطة، ومحاولة الاستحواذ عليها (وبالتالي كان الدافع سياسياً)، فهي تعني في الوقت نفسه أنها مغذّاة ومحرَّكة من «التنافس التصادمي» المتولد عن «المساواة/ الندية» المتحركة دائماً نحو تصحيح العلاقة في المكانة والنفوذ و/ أو الأوضاع. عندما حاول «الدرع» الاستيلاء على السلطة في الجوف نهاية القرن التاسع عشر، كان هذا في جزء هام منه ناتج من فكرة أنهم ـ أي «الدرع» ـ يرون بأنفسهم أنهم لا يقلّون عن «السراح»، وحيث إن الأمر لا يتحقق فقط بالتطلع والرغبة، وإنما في القوة والسلاح، وحيث إن المقابل «السراح» يرفضون أن تتغير العلاقة والمكانة، وليس هناك من سبيل إلى التنازلات (التفاوض والمساومة) على المكانة والنفوذ، فكان لا بد من أن يقع التصادم والصراع العنفي بين الطرفين ومجموعاتهما، وحلفائهما من الداخل والخارج (لاحظ أن الدرع في ضوء عدم قدرتهم على الحسم وفي وجه مقاومة شرسة وقوية من خصومهم «السراح» استعانوا بقوة خارجية (عناصر ومجموعات وهابية محسوبة على الدولة السعودية الأولى). سوف نرى أن هذا الأمر يتكرر بين الطرفين «الدرع» وحلفائهم من جهة وبين «السراح» وحلفائهم من جهة أخرى طوال فترة ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م، بل ويتعداها إلى ما بعدها حتى ١٨٥٣م وحتى نهاياته في حدود

نهاية ١٨٧٠م، عندما تم إنهاك وإضعاف الطرفين (السراح والدرع)، وإن كان السراح قد تم إنهاكهم أولاً في ١٨٣٨م ثم في ١٨٥٣م) بفعل ممارسات القوة الغاشمة الخارجية (الرشيد) بين ١٨٣٨م و١٨٧١م؛ ٢ ـ صراع «السراح/ السراح» ١٨٥٣م وما عرف بـ «تمرد أهالي الجوف ١٨٥٣م» على سلطة وحكم «الرشيد»، هو ناشئ بالأصل، وفي جزء هام منه من «التنافس/ المساواة» البيني داخل رؤساء بيوت السراح أنفسهم في محاولة من البعض لتصحيح العلاقة في المكانة والنفوذ والأوضاع القائمة تجاه بعضهم البعض أولاً، وثانياً تجاه خصومهم «الدرع» المتحالفين مع القوة المتحكمة آنذاك (الرشيد). وحيث إن تصحيح العلاقة كان يتطلب قوة ما، ولكنها داخلياً غير متوفرة فلم يتردد «السراح» ومن معهم في الاستعانة بقوة خارجية (الشعلان)(؟)، وإن كانت قوة الأخيرين آنذاك محدودة. في المقابل، لم يتردد بيت السراح الآخر ومن يمثله (مشوّح/ السلمان) بالذهاب إلى الاستنجاد بـ «الرشيد» في محاولة منه لإعادة تثبيت الأوضاع وتصحيحها، عندما رأى محاولة لتغيير في «المكانة والنفوذ» من قبل بيت السراح (العمر ـ حطاب وغالب)، وحلفائهم، وحيث الأمر كذلك تكثف التصعيد ودخلت أطراف إضافية على الخط، من دومة الجندل وسكاكا، فضلاً عن الشعلان والرشيد، ليتحوّل الصراع من صراع بين السراح، إلى صراع وتمرد ـ ١٨٥٣م ضد الرشيد. لاحظ، إن صحت الرواية التي دوَّنها «القعيِّد»، منقولة عن آخرين، عن صراع السراح/ السراح، كما مررنا عليها في واقعة صراع السراح/ السراح وتمرد ١٨٥٣م، فإن بدايات الصراع بين السراح كانت خلافاً شخصياً بين أبناء العم (غالب حطاب العمر السراح) من جهة، ومشوّح السلمان السراح على ما اعتبر تقليلاً في المكانة الشخصية (السجادة وسحبها، وهدية البعارين/ الإبل فقطع عراقيبها)؛ ٣ ـ في حرب، أو ما عرف بـ «كون الظلي ـ ١٩٠٧م»، والتي وقعت بين القرشة والمعاقلة، هي في واقع الأمر، وأخذاً بالاعتبار بكل من رواية القرشة والمعاقلة، حرب تولدت بجزء هام منها بالقوة المحركة التحتيه/ البنيوية «الاقتصادية/ الاجتماعية = التنافس/ المساواة»، بداية ومن جهة بين أطراف من داخل بيوت السهيان (القرشة) ذاتها في سياق التنازع على «مشيخة القرشة» بعد وفاة الشيخ/ شكر السهيان قبيل تلك الحرب، ومن جهة أخرى في تطوراتها ونهاياتها بين القرشة والمعاقلة. فمن جهة القرشة وداخلهم هي تنافس داخلي بين متساويين (عساف شكر السهيان وعمه خليفة السهيان) على المكانة والنفوذ (المشيخة)، وإن حسمت في النهاية لصالح عساف شكر السهيان، ومن جهة أخرى هي تنافس بين جماعتين رئيسيتين (القرشة والمعاقلة) في وضع «متساوٍ» من الناحية الاقتصادية/ الاجتماعية، أقله في ما تنظره كل مجموعة لنفسها بالمقارنة مع الأخرى، وليس بالضرورة من الناحية العددية/ الديمغرافية. طبعاً العامل السياسي الخارجي (القوة/ السلطة الخارجية القائمة آنذاك وهي «الرشيد»)، متورط ومقحم وفاعل لحد ما في هذا الصراع، سواء نتيجة لوضع ومستوى القوة (ضعيفة جداً في ذلك الوقت لصراعات داخل حائل)، و/ أو باستهدافها والهجوم عليها كقوة خارجية مطلوب إخراجها، طبقاً لرواية القرشة عن «كون الظلي»، أو مستهدفة في وضعيتها بانحيازها لصالح خليفة السهيان وضد عساف شكر السهيان في موضوع مشيخة القرشة، وطبقاً لرواية المعاقلة. نعم الدافع الظاهري للصراع هو السلطة/ المشيخة، وربما استهداف للسلطة والقوة الخارجية القائمة في الجوف آنذاك (سلطة وحكم الرشيد)، لكن المحرك الداخلي هو التنافس/ المساواة سواء بين أطراف في داخل القرشة في مرحلة أولى، أو بين القرشة والمعاقلة في مرحلة تالية؛ ٤ ـ في صراع أو حرب «المعاقلة/

المعاقلة»، أو ما عرفت بحرب «الراشد/ المويشير ـ ١٩٢٢م»، فهي الأخرى، ورغم ما بها من اصطفاف ضد أو مع سلطة خارجية قائمة (الشعلان) و/ أو محتملة قادمة (ابن سعود)، صراع تفجر بسبب «تنافس حلزوني تصادمي» بين متساوين على المكانة والنفوذ «مشيخة الراشد»، بين كل من راشد القايد ورجاء المويشير، وهذا «التنافس»، بين الراشد/ المويشير يعود في جذوره إلى حدود أوائل أو منتصف ١٨٩٠sم تقريباً، زيادة و/ أو نقصاً بقليل، وبالذات مع وبُعيد وفاة «فلاح الشردان الكبيدان»، والذي كان حتى وفاته له المشيخة على كل من «الراشد» كلهم، وكذلك «الدغيفق». ينطبق الأمر، كذلك، على حالات صراعية أخرى لم تذكر، أو فرعية ذكرت عرضاً في ما تقدم من مناقشات، بما فيها الحالات التي لم تنفجر عنفاً و/ أو كانت محدودة العنف، مثلاً، لا حصراً، في سكاكا: أ ـ صراع المنديل/ الصالح وصراع المظهور/ الفياض في جماعة الشلهوب؛ ب ـ وكذلك صراع سعد العايف ـ المثري مع خليف الفالح والعياف في جماعة الدغيفق/ المعاقلة؛ ج ـ صراع البليهد/ السعيد من جماعة العلي/ القرشة، وصراع قاسم السعيد (العلي)/ شكر السهيان (الضويحي) من جماعة القرشة؛ وفي دومة الجندل: فضلاً عن الصراع الشهير لبيوت السراح/ السراح ١٨٥٣م، أ ـ صراع الرحيبيين/ الرحيبيين (أبناء عمومة من تميم)؛ ب ـ صراع العرجان/ الدرع وكلاهما كان في الأساس من حلف القرشة، صراع جماعة «السبيلة» من جهة، وجماعة «الحصيني» من جهة أخرى، علماً أن كلاً منهما يقول إنه من شمر وكلاهما في حلف المعاقلة في دومة الجندل.

نخلص مما تقدم إلى القول إن العوامل الاقتصادية، ممثلة في نمط اقتصاد حد الكفاف، المتلازم مع انعدام فائض القيمة، وكلاهما مولدان لمجتمع فلاحي لاطبقي، وبما يعني حالة متواصلة من المساواة/ الندية هي المحرك البنيوي للتنافس الحلزوني التصادمي، والذي في الغالب يقف وراء الاستعداد والجاهزية للدخول والمغامرة في صراعات وحالات من العنف الأهلي أو تفجرها/ تفجيرها. طبعاً هذا «التنافس الحلزوني التصادمي» المتولد عن «المساواة/ الندية الاقتصادية والاجتماعية»، مدعوماً بالحالة النفسية (الحرية والتحرر) قد يحتاج إلى دخول معطيات و/ أو عامل أو عوامل أخرى مساعدة أو محرضة، و/ أو ذات أهمية على الخط لكي يتفجر حرباً أو صراعاً أهلياً عنيفاً. نلاحظ أن العامل السياسي، بما هو تطلع ونزوع للسلطة والنفوذ وللاستحواذ عليها و/ أو التحديات المتقابلة في نطاقاتها، أو بما هو مستوى وقدر من واقع السلطة القائمة من حيث كونها سلطة محلية مركزية في الغالب غائبة، و/ أو خارجية قائمة ضعيفة و/ أو قوية، يشكل عاملاً قوياً باتجاه تفجر أو انحباس «التنافس التصادمي» ولو إلى حين. طبعاً هناك عوامل أخرى لم تناقش حتى الآن تحتاج إلى ملاحظة، وهذه تشمل العوامل النفسية، والتي كنا، وإن لمحنا لها سريعاً آنفاً، قد أجلنا النظر فيها في نهاية مناقشة العامل الاجتماعي إلى مرحلة تالية، وكذلك العوامل المتبقية (الديمغرافية والسكانية) وما يتعلق منها بتوازنات القوى العددية الفعلية والتصورية وصلتها بالحرب الأهلية، وهذه وما قبلها النفسية، نعمل على معالجتها بعد الانتهاء من مناقشة وملاحظة العوامل الاقتصادية والمادية الأخرى.

(٢) في العومل الاقتصادية المادية الأخرى والحرب الأهلية: إضافة إلى نمط وطبيعة الاقتصاد السائد بالجوف (اقتصاد حد الكفاف ولمجتمع المساواة)، وهو يمثل متغيراً حاسماً في تولد وقيام

حالات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وخاصة منها ما تكون جماعات الجوف و/ أو نخبها أطرافها رئيسة فيها، هناك عوامل مادية واقتصادية أخرى ذات صلة بالحرب الأهلية وحالاتها، أو على الأقل حالات منها، سواء كان أطرافها الرئيسة من الأهالي، وإن لم تكن، أو لا تبدو، واضحة جلية، أو كان أطرافها من الخارج والقوى الخارجية، وهذا واضح في عدد من الحالات بعينها. أشرنا بإيجاز شديد في ما سبق إلى دور للتجارة والزكاة والجبايات، في تكوين حالة متواصلة من استنزاف للموارد، وعائد الإنتاج الزراعي الاقتصادي الأهلي (وهو في الغالب فردي/ أسري)، على محدوديتها في توليد حالة من الإفقار المتواصل لأهل الجوف. وهذا الإفقار المتواصل، عبر الاستنزاف المتواصل للموارد عمل على الحد من «فائض القيمة»، بل إلى استهلاكه و/ أو إعدامه، مما أدى إلى حالة متكوّنة ومتواصلة من سيادة نمط اقتصاد حد الكفاف لمجتمع فلاحي متسم «بالمساواة/ الندية»، وهذه وتلك تقف وراء ديناميكية بنيوية لـ «التنافس» فالصراع الأهلي بالجوف. بالنسبة لمحدودية التجارة، والتبادل التجاري، وبالتالي سد أفق التوسع والنشاط الاقتصادي (الزراعة والصناعة وتطورهما)، الأمر ببساطة شديدة ناتج بدرجة أساسية من حالة وبيئة في العمق الصحراوي شبه المعزول عن المراكز الحضرية المجاورة (بغداد ودمشق والقدس والقاهرة والحجاز). وفوق ذلك، الحالة الصراعية على الجوف، وفي محيطها وفي داخلها طوال الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وما قبلها على نحو لا لبس فيه. هذه الحالة المتواصلة من محدودية التجارة والنشاط التجاري، لاحظها ورصدها الرحالة «جورج أوغست والن» في رحلته للجوف عام ١٨٤٥م، وعنها **يقول والن**: «بسبب الحرمان من وجود الجِمال (الوسيلة الوحيدة في الصحراء للتنقل والاتصال)، فإن السكان عليهم دوماً الاعتماد في شؤون التجارة والاتصال على البدو، عكس ما هي عليه الحال في قرى الجزيرة العربية الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك فإن العداوات والحروب المصيرية، التي يبدو أنها تسود بين السكان منذ قديم السكان، حدَّت من فرص التجارة، فلو أخذنا بالاعتبار موقع المكان الذي لا شك يجعله في مأمن من الغزوات الخارجية، فإنه في ما يتعلق بالتجارة والاتصال غير مناسب. لذلك يمكن أن نقول إن الجوف احتلت دائماً موقعاً دونياً في عملية التأثير في التاريخ العربي، فهي محاطة من جميع جوانبها بالصحراء، التي لا تتوفر فيها المياه، ويصعب السفر فيها. كما أن أياً من الطرق الممتدة من سورية أو من العراق إلى مكة، مكان التجمع للعرب في جميع الأزمان ومنبت حضارة العرب والإسلام، لا تمر عبر الجوف. ولأن الجوف معزولة عن الاتصال مع المناطق الزراعية والمدنية المجاورة، فقد بقي أهلها في حدود قدراتهم، التي أبداً لن تكون ضخمة. إن الإنتاج الوحيد لأرضهم الفقيرة هو التمر الذي يقايضونه بالأشياء الأخرى. أما الزيتون، الذي يقول بعض المؤلفين العرب إنه زرع هنا، لا يوجد أية شجرة يمكن رؤيتها، وأنا أشك إذا كانت التربة تناسب هذه الأشجار... إن حاجات السكان المحدودة، بجانب ما تعطيه بساتينهم، ربما تم تزويدهم بها، في السابق، مثل ما هو اليوم، بواسطة البدو، حيث يقايضونهم بالتمر أو يشترونها أنفسهم من السوق السنوي، الذي يقول عنه القلقشندي: إنه كان يعقد سنوياً في قديم الأزمان. إن بعد الجوف عن الطرق التي اعتاد الناس ارتيادها، وصعوبة الاتصال بها، يبدو أنها من الأسباب الرئيسة لعقد السوق بها» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٦ ـ ٣٧).

ومع إقرارنا بما أورده الرحالة **والن** عن عوامل محدودية التجارة وبعض من تأثيراتها، إلا أن لدى الباحث ملاحظات وتحفظات على بعض النقاط الواردة في النص عينه أعلاه، ومنها:

(أ) خلافاً لما يقول به «والن» عن الزيتون، نقول: إن الزيتون، وإن لم يكن في حالة زراعة وقت زيارة **والن** للجوف، فإنه على مستوى التاريخ الزراعي للجوف كان على ما يبدو يزرع أو في حالة وجود في المنطقة. يبدو أن هذا يعود إلى مئات أو آلاف سنين خلت؛ فلو زار والن بعض محيط سكاكا، وخاصة في النطاق الغربي لها لاكتشف الأمر عيانياً، إذ إن هناك شواهد عينية على أشجار متحجرة، بالذات في سكاكا في غربها، ولدي في مزرعتي شخصياً بقايا كبيرة متناثرة، وبعضها تراها متحطمة على الأرض بهيكل (جذع وفروع وأغصان) شبه كامل إلى جنب «مغرس أو حفرة» الزيتونة نفسها، إلى درجة أنه لا يمكن للعين أن تخطئها، والعقل إلا أن يقرر أنها بالفعل أشجار زيتون. يبدو أن براكين وحمماً بركانية انفجرت فسالت وأتت عليها. والزيتون الآن عاد يزرع منذ أكثر من ٣٠ سنة، وأثبت نجاحه بشكل مبهر، وهو ما يثبت، أولاً، صلاحية التربة والمناخ في الجوف لزراعته، خلافاً لما اعتقده والن أيام زيارته للجوف حيث لم تكن هناك زراعة له، وثانياً، يؤكد، مع قرائن بقايا تحجرات آثار أشجاره، على إمكان حدوث زراعته قديماً دون أدنى شك. ولكن الأمر الأكثر أهمية في الجانب الثقافي في الجوف المتعلق بالزيتون هو في التأمل والتفكير في ما نسميه: «سؤال الزيتون؟» بمعنى لماذا غابت زراعة الزيتون حديثاً (منذ أواسط القرن التاسع عشر وربما ما قبله بوقت، وحتى ما قبل ١٩٧٠م)، ولم ينتبه لها من أهل الجوف أحد، علماً أن أعداداً منهم غير قليلة شاهدته عيانياً، وبعض منهم أكل منه في الغربية (الشام وفلسطين)، عندما كانت تذهب للعمل هناك منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر وحتى قبيل وبعيد حرب فلسطين ١٩٤٧/١٩٤٨م. هذا السؤال وإجابته ومناقشته مؤجلة إلى الجزء المتعلق بـ: «المسألة الثقافية» في الجوف من هذه الدراسة.

(ب) أما في ما يتعلق بالعلاقة بين التجارة والتخلف والتاريخ العربي ومكانة الجوف وأهلها فيه، فنقول: إن ربط والن تخلف وتدنّي مكانة الجوف في التاريخ العربي بضعف ومحدودية التجارة، فيه قدر غير قليل من الصحة، ولكن الأمر سواء في تفسير مكانة الجوف، أو في التخلف الثقافي لها، بالطبع أقله بالمقارنة مع مثيلاتها في الجزيرة، هو ليس فقط في ضعف التجارة رغم أهمية ذلك، وإنما مرتبط بدرجة أكبر بما يمكن تسميته، استناداً للمنهج المادي التاريخي، بقلة أو تدني فائض القيمة، إن لم يكن في عدم وجود فائض قيمة على الإطلاق، والسبب هو في استنزاف متواصل للموارد وعائد ومحاصيل الإنتاج الزراعي (التمور) نتيجة لتواصل حالة من عدم الاستقرار داخلياً المتولد عن الصراع الأهلي نفسه شبه المتواصل، وبدرجة أكبر للصراع المتداخل معه، وعلى الجوف، من الخارج، من القوى المحيطة (الوهابيون ـ ـ الرشيد ـ الأتراك ـ ـ الشعلان)، والتي تقوم بفرض جبايات وتحصيل الزكاوات على الأهالي والفلاحين، فضلاً عن حالة الغزو والنهب المتكرر من قبائل في المحيط المجاور مباشرة للجوف و/ أو في حدوده على امتداد الفترة ١٨٠٠ وحتى ١٩٢٢م. من ناحية أخرى، صحيح أن مكانة الجوف في ما يتعلق بالتاريخ العربي ذات تأثير محدود، لكن المشاهدات للأحداث التاريخية العربية المعاصرة، وخاصة منذ العقد الثالث للقرن العشرين فصاعداً، تبين أن أهالي الجوف بأنفسهم أو ممثلين ببعض

أبنائهم قد شاركوا إخوتهم العرب في الدفاع عن قضاياهم المصيرية، ومنها على وجه التحديد القضية الفلسطينية. هذه النقاط معالجة في الجوف والمسألة الثقافية، ولكن نكتفي هنا بالإشارة سريعاً لبعضها:

(١) فقد شارك أهالي الجوف بمظاهرات محلية على مستوى الجوف، بموازاة المظاهرات التي عمت البلدان العربية وبعض مدنها، مناصرة للقضية الفلسطينية تلبية لنداء النصرة التي أطلقتها القيادات الفلسطينية في عام ١٩٣٧م.

(٢) وفي فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الفارط، كان هناك من أبناء الجوف من عمل ضمن القوات العربية، وقد شارك عدد منهم في الجيش العربي السوري، والأردني، وجيش الإنقاذ في فلسطين، واستشهد و/أو جرح عدد منهم في معارك حروب فلسطين، وبالذات في عام ١٩٤٨م، وما زال بعض منهم أو ورثتهم يتلقون بعض رواتب تقاعدهم واستشهادهم، وهناك على الأقل قائمة معروفة ومرصودة لبعض الأسماء لأبناء أهالي الجوف المشاركين في حرب فلسطين (الفالح، ٢٠٠٠: ٩٠ ـ ٩١).

(٣) وأما حديثاً وفي نضالات الحركة الوطنية في السعودية فقد شارك عدد من أبناء الجوف (سكاكا/ دومة الجندل) في الحركة العمالية لشركات الزيت في الخمسينيات وأوائل الستينيات واعتقل بعضهم، كما كان لبعضهم دور في التيارات والتكوينات السياسية والأيديولوجية في الستينيات من القرن الماضي، وتعرض بعضهم للاعتقال والتعذيب منذ ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٥م على خلفية تلك الانتماءات والنشاطات، والاتهام لبعضهم (محمد جبر اللبيخان) بالتورط في محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٦٩. ستتواصل أيضاً مشاركة بعض من أهالي الجوف في فترة الثمانينيات وما عرف بحراك الصحوة فيها وحتى تقريباً ١٩٩٥م، أو في حدودها، وسوف ينخرط عدد منهم في الحركات الجهادية، وخاصة في العراق بعد ٢٠٠٣م فصاعداً، ولا زال هناك العشرات من أبناء أهالي الجوف معتقلين على خلفية اتهامات لهم بنشاطات متصلة بها وعموماً بقضايا ذات صلة بمزاعم حول العنف والإرهاب. في الحركة الإصلاحية السلمية في السعودية منذ ٢٠٠٢م فصاعداً، وبالذات منذ طرح وثيقتي الإصلاح (الرؤية) والإصلاح الدستوري، وما بعدها، عملياً وفكرياً ونظرياً، كان عدد من أبناء الجوف، من المشاركين، إن لم يكونوا من البارزين، فيها.

طبعاً نحن نتكلم عن الجوف وأهلها ودورهم ومكانتهم في التاريخ العربي المعاصر (منذ العقد الثالث للقرن العشرين فصاعداً)، بينما كان الرحالة **والن** يتكلم عن واقع الحال في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وبين الحالين قرن من الزمان تقريباً، ولذلك تبقى ملاحظات والن حتى ذلك الحين صحيحة. ومع ذلك فإن الفكرة عن المكانة والدور للجوف وأهلها في تواصلهما افتراضاً أو تلازماً للحالة السابقة تبدو هي الخطأ والتي أحببنا أن نوضحها ونجليها. على أية حال هذه النقاط المتعلقة بالتقدم والتخلف والثقافة وعواملها بما في ذلك التجارة مفسوح لها مجال أعمق وأكثف للمناقشة في معالجتنا للمسألة الثقافية بالجوف في جزء خاص بها في هذه الدراسة الشاملة عن تاريخ الجوف.

(ج) في موضوع الموارد الاقتصادية الأخرى من زكاة وجبايات ومراع ومصادر وموارد المياه (الآبار/ القلبان) وصلتها بالحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، و/ أو ببعض حالاتها على الأقل، يمكن معالجة الأمر على أكثر من مستوى، ومنها: مستوى القوى الخارجية والصراع على الجوف،

ومستوى القوى والجماعات المحلية والصراع الأهلي، وإن كان فيها من التداخل الكثير، والذي قد أشرنا إلى بعضه في ما سبق من مناقشات، وربما نشير إلى ما تعلق منه هنا في حينه.

(أ) **على مستوى القوى الخارجية والمحيطة بالجوف والصراع على الجوف**: ليس من قوة خارجية عن مكان ما وتستهدفه غزواً و/ أو احتلالاً مؤقتاً و/ أو دائماً، إلا ولها أهداف وغايات في السيطرة والتحكم فيه، ومنها وفي مقدمتها على الأغلب ما تعلق الأمر بالموارد الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية/ العسكرية، والأيديولوجية... إلخ. القوى المحيطة بالجوف في تلك الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، تتكون تقريباً من ثلاث إلى أربع قوى، وإن كانت القوى الثلاث الأولى تابعة للرابعة وتحت سيادتها العامة، وعلماً أن الثانية والثالثة لم تظهرا على الساحة إلا منذ فترة ١٨٣٠s م فصاعداً فحتى ١٩٢٢م. تلك القوى هي: ١ ـ الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية؛ ٢ ـ الرشيد؛ ٣ ـ الشعلان؛ ٤ ـ الدولة العثمانية (الأتراك). في ما يتعلق بالدولة السعودية الأولى، الظهور الأولي لها ولعناصرها الوهابية في الجوف قبيل ١٨٠٠م بقليل، فالانكفاء ما بعدها، لتتواجد اسمياً وشكلياً متقطعة حتى سقوطها على يد الحملة المصرية/ التركية في عام ١٨١٨م تقريباً، لتزداد انحساراً وتلاشياً حتى أوائل (١٨٣٠s م). على أن ما يهمنا هنا منها هو ما تعلق بظهورها الأول والذي كان قبيل ١٨٠٠م بسبع سنوات تقريباً أو في حدودها نقصاً أو زيادة قليلاً، وغايته وتأثيراته على الصراع الأهلي. كان ظهورها الأول، وإن في محاولة تبدو فاشلة تقريباً وعلى مدى سنتين متتاليتين، يستهدف محاولة إخضاع الجوف لسيطرتها، ونشر الدعوة الوهابية وغرزها في المنطقة، لكنها دون شك أججت الصراع الأهلي في الجوف (دومة الجندل) بين الدرع والسراح في تلك السنوات، حيث مع فشلها في السيطرة والإخضاع للجوف كلها انحازت للدرع وقدمت المال والسلاح لهم في صراعهم مع السراح على السلطة، وعلى ما يبدو انتقاماً من مقاومة الأخيرين (السراح) للدولة السعودية وعناصرها وأيديولوجيتها الوهابية. وبموازاة العون والدعم المباشر لـ «الدرع» على حساب «السراح» في تأجيج الصراع بين الطرفين، هو ما ترتب على الصراع بينهما والذي استمر لحوالي ثماني سنوات، من تأسيس لثقافة نفسية تتسم بالعداوة والخصومة قابلة للتفجر في أية لحظة، وهو ما حدث فعلاً في صراعات بين الطرفين امتدت حتى ١٨٣٨م وربما حتى ١٨٥٣م وما بعدها بقليل من السنوات (١٨٧٠م).

لا يبدو أن العناصر الوهابية للدولة السعودية الأولى، كانت تستهدف أساساً من غزوها واحتلالها للجوف موارد اقتصادية، وإن كانت لو نجحت لن توفره، وخاصة محاصيل من التمور و/ أو النقود مقابل الزكوات الموازية لها و/ أو المواشي. كانت تستهدف في المقام الأول نشر الأيديولوجيا الوهابية، ولذلك فإن العامل الأيديولوجي (الديني المذهبي) من عوامل التصادم مع والغزو الخارجي للجوف، وأحد عوامل الاستقطاب والاصطفافات لأطراف وجماعات الاحتراب والصراع الأهلي بالجوف، وهما على الأقل في هذه الفترة (السراح والدرع). ورغم هيمنة هذا البعد الأيديولوجي/ المذهبي للدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية في التصادم مع الجوف وأهلها، إلا أنها هي من قدم المال (عوامل مادية اقتصادية)، فضلاً عن السلاح وأدخل ما يمكن تسميته إخلالاً بتوازن القوى بين أطراف الصراع الأهلي (الدرع/ السراح) مما ساهم في تأجيج حدة الصراع وإطالة أمده وتواصل تراكم مركباته النفسية ليتفجر

صراعات لاحقة. وعن القوة الثانية (الرشيد)، فالمعلوم أنها غزت واحتلت المنطقة في عام ١٨٣٨م، تحت ذريعة نصرة جماعة حي «الجرعاوي» وحلفائهم ضد جماعة حي «الدلهمية» وحلفائهم في دومة الجندل معمقة ومؤججة الصراع بين الدرع وحلفائهم من جهة، وبين السراح وحلفائهم من جهة أخرى، ولكن توابع الواقعة والاحتلال تشير إلى استهداف مقدرات المنطقة وأهلها واستنزاف مواردها، فضلاً عما صاحب احتلال الرشيد للجوف من دمار غير قليل لممتلكات ومزارع ومصادر مياه وما تلازم معها من قتل وتشريد وإعدامات لأهالي الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) عموماً، وللسراح وحلفائهم في دومة الجندل على وجه الخصوص. استهداف الرشيد باحتلالهم للجوف لمقدرات المنطقة من حيث الموارد الاقتصادية يشمل، في ما يشمله، تحصيل عوائد سنوية نقدية أو عينية من خلال الزكاة على التمور و/أو المواشي وبعض النشاط التجاري، أو بأهمية المنطقة من حيث «المراعي» الخصبة والوفيرة في محيط الجوف وحولها، أو كونها كموقع وممر «وادي السرحان» نحو الشام وما يتمتع به الممر (وادي السرحان) من موارد مياه آبار/قلبان وثمايل ضرورية للعبور والسفر للأفراد و/أو الجماعات، فضلاً عن كونها منطقة عازلة تجاه القوى المنافسة والمحتملة شمال وغرب الجوف. طوال فترة تواجد الرشيد واحتلالهم لمنطقة الجوف والممتد تقريباً بين ١٨٣٨م و١٩٠٧م كانت الزكاة والجبايات العامل الأبرز في استهداف الجوف اقتصادياً. وفي هذا السياق يورد الرحالة والن الذي زار المنطقة في عام ١٨٤٥م، أي بعد حوالي سبع سنوات من احتلال الرشيد للجوف والسيطرة عليه، أن الرشيد حتى ذلك الحين اكتفوا بتحصيل الزكاة من المنطقة، وعن ذلك يقول الرحالة والن: «... حتى جاء عبد الله بن رشيد...، وكان ذلك بالتقريب سنة ١٨٣٨م. بعد هذا التاريخ، أصبحت **الجوف تحت حكم شيخ شمر الذي ليس له ممثل مقيم هنا**. إن لكل حي شيخه، الذي يحكم ويفصل في الخلافات على الأمور ذات الأهمية المحدودة. أما الأمور ذات النتائج الأكبر، فإنها تعرض على شيخ شمر نفسه... **أما الزكاة فيجمعها خمسة رجال من الجوف، يختارهم شيخ شمر...**»، حيث إن «... **أهل الجوف يدفعون الزكاة إلى شيخ شمر الذي يتلقى الزكاة بدون التزام بكيفية صرفها...**» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ):٣٢ ـ ٣٣ و٣٧).

بعد تمرد ١٨٥٣م، وإعادة السيطرة، على الجوف، وما رافقها من تدمير هائل لممتلكات ومزارع ومصادر مياه لعدد من أهالي الجوف انتقاماً، وخاصة لـ «السراح» في دومة الجندل، فضلاً عن التشريد والقتل والإعدامات والاعتقالات، عمل «الرشيد» على إيجاد ممثل ونائب لحكمهم مباشرة في الجوف. وفي عام ١٨٧٠م، وأثناء الحملة التركية على الجوف والتمرد المصاحب لها وما تلاها من أحداث، نرى اهتمام وتركيز كل من الدولة التركية أو ممثليها، والرشيد بمقدرات وموارد الجوف الاقتصادية، وخاصة ما يتعلق بموارد الزكاة المتوقعة من و/أو المترتبة على الجوف وأهلها رغم محدوديتها، حيث يرصد محمود آغا، المصاحب للحملة التركية، وشاهد (مترجم) على المفاوضات التي جرت بين قائد الحملة التركية محمد سعيد باشا وبين محمد العبد الله الرشيد (حاكم حائل آنذاك) حول مصير الجوف، اهتمام الأتراك بموضوع الضرائب والزكاة، فيقول، كما أورده الرحالة **جوليوس أويتنغ في ما كتبه عن رحلته للجوف عام ١٨٨٣م**:

«... انتهت المفاوضات بعد حوالي ربع ساعة... بعد ختام المحادثات امتطى ابن رشيد ظهر جواده ومعه المرافقون واتجه عن طريق سكاكا إلى حائل. رحل محمد سعيد باشا ومعه ١٢٠ جندياً وكذلك العقيلات بعد حوالي ٧ أيام قضوها في الجوف إلى السلط في شرق الأردن، وترك حسين بيك الشركسي ومعه حوالي ٨٠ جندياً والعديد من المغاربة (الجزائريين) كقوة احتلال وقوات تمركز. بقيت هذه المجموعة الأخيرة بدون أي مضايقات. وتنقل القائمقام الجديد (الحاكم الجديد) من سكاكا إلى قارا والطوير لكي يشاهد بنفسه مناطق نفوذه وسلطانه الجديدة. **عندما بدأ الحاكم الجديد بجمع الضرائب على الغلال والملح بصورة غير عادلة، بدأت حالة من الغضب والسخرية تعم البلاد. وتصاعدت أيضاً حدة الاستنكار من هذه الضرائب. وتم التخطيط للتعامل مع الأتراك بطريقتهم حيث قام حسن بن درع بعمل وليمة كبيرة للأتراك، وكان من المخطط قتلهم** في هذه الوليمة، ولكنهم تمكنوا من الإفلات من هذه المصيدة، التي من بعدها قرروا عدم الخروج من معاقلهم مرة أخرى. جاءت رسالة عاجلة من محمد سعيد باشا، بالصمود بأي شكل من الأشكال حتى يصل ومعه جنود وقوة أخرى للمساندة، وكانت هذه الرسالة غير رسمية، ولكن كان عليها خاتم محمد سعيد باشا الشخصي. وفي الوقت نفسه، حاول ابن رشيد إعطاء حسين بيك الشركسي رشوة قدرها ١٠٠٠ ليرة تركية (١٨٥٠٠ مارك) مقابل انسحابه مع توفير جميع مستلزمات السفر، من جِمال وغذاء وحماية حتى يصل بصرى في حوران. واعتقد أن سبب هذا الرفض هو الاعتداد بالنفس أكثر منه إحساساً بالواجب...» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: عوض البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٤١ ـ ٢٤٥). وفي مصدر آخر، يقول محمود آغا، نفسه، وفي روايته للرحالة تشارلز داوتي (Charles M.Doughty)، عن المفاوضات بين ابن رشيد ومحمد سعيد باشا حول مصير الجوف والمردود الاقتصادي على محدوديته، طبقاً لما ورد في مذكرات الرحالة تشارلز داوتي للجزيرة العربية: «... عندما أدرك ابن رشيد أن «رجاجيله» ومدى قوة بدوه لن تفيده، وأن أعداءه محصنون وراء الأسوار، وأن هذه البداية ضده كانت بالأساس من قبل الدولة (العثمانية)، قام بدعوة الباشا للتفاوض... في النهاية اتفق فيما بينهما على أن تبقى الجوف للأمير (ابن رشيد)، ولكن بإتاوة مدفوعة للدولة؛ وافق ابن رشيد بأن يدفع سنوياً، مقابل الجوف، مبلغ ١٥٠٠ ريال مجيدي إلى الدولة في دمشق؛ وكذلك بقاء قائمقام (ممثل للدولة) فيها مع حماية عسكرية سورية. وحيث نظر كل من هذين الرجلين المسؤولين لبعضهم البعض نظرة اعجاب، فقد بقيا، كذلك، صديقين طوال حياتهما» (Doughty, vol. 2, 1921: 48-50). وهذه النهايات بمستهدفاتها الاقتصادية تؤكدها، كذلك الباحثة، مضاوي الرشيد، في كتابها «السياسة في واحة عربية: إمارة آل الرشيد»، وإن بقدر من التعالي و/ أو محاولة إنكار لحقيقة خضوع الرشيد للأتراك، بالإشارة إلى فشل الحملة، نقلاً عن كل من: موسيل (A.Musil, 1927: 242)، وكذلك ج. لوريمر، ١٩٠٨، ١١١١ الجزء الأول (ب)، (J. Lorimer, 1908)، وبالإشارة إلى شروط الاتفاق بين الأتراك وبين ابن رشيد، نقلاً عن ملف سجلات مكتب الهند (IOR)، بالقول: «فشلت الحملة في انتزاع الواحة من سيطرة ابن رشيد وتم التوصل معه إلى اتفاق على السماح لمسؤول تركي مع ٨٠ جندياً بالبقاء هناك. واستمر ابن رشيد في أخذ الإتاوة من سكان الواحة موافقاً في الوقت نفسه على دفع ١٥٠٠ مجيدي تركي إلى الحكومة العثمانية مقابل خضوع الواحة له. وكان هذا المبلغ إشارة رمزية إلى إذعانه الاسمي» (مضاوي الرشيد، ١٩٩٨: ٢١٩، ص ٢٩١ هامش ٥ من فصل ٨).

لاحظ أن ابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد آنذاك)، احتفظ بالجوف بموافقة الأتراك عبر محمد سعيد باشا، بعد إذعانه لهم بالسيادة والتبعية، وبالموافقة على أن يدفع للدولة التركية عنها، مبلغاً سنوياً قدره ١٥٠٠ مجيدي. إن هذا المبلغ بالطبع، ليس من جيبه وإنما من الجبايات والإتاوات والضرائب و/ أو الزكاة التي يفرضها على الجوف وأهاليها، والتي بالتأكيد ستتجاوزه بكثير، وإلا لما غامر بقبول الاتفاق ودفع المبلغ المحدد سنوياً.

في هذه الفترة ليس معلوماً ما هي المعايير المحددة/ المطبقة لتحصيل الجبايات والضرائب والزكاة من أهالي الجوف والمترتبة عليهم وعلى نشاطهم الاقتصادي و/ أو التجاري، ولكن قياساً على ما كان سائداً ومعمولاً به في أوائل القرن العشرين، وتحديداً حول عام ١٩٠٨م، يمكن تصور الأمر، حيث رصد لنا الرحالة «أس.أس. بتلر» عن رحلته المشتركة مع «ل. إيلمر» في نهاية/ أوائل فبراير من عام ١٩٠٨م ما كان معمولاً به على النحو الآتي: «... إن سحنات أهل حائل أفتح لوناً من سحنات أهل الجوف. وقد أثبت السكان بأنهم أقوياء المراس في الماضي، وأثاروا مشكلة كبرى للسلطان في حائل، ولكنهم الآن يبدو مطيعون للقوانين ويدفعون الضرائب لابن رشيد بدون أدنى تذمر. والضرائب هي: ريال عن كل عشرة من الماعز أو الضأن، وريال لكل خمسة جمال، وستة ريالات لأي حمولة بضاعة يجلبها التجار، وريال عن كل جمل يباع، والعشر عن جميع محاصيل التمر والحبوب من نفس المنتج» (بتلر، رحلة بتلر وإيلمر ١٩٠٨، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٦٢).

والأمر نفسه و/ أو قياساً عليه، من حيث المعايير المستخدمة لتحديد المقادير/ القيَم العينية والنقدية للضرائب والجبايات والزكاة المترتبة على أهالي الجوف، وبطريقة مشابهة لما كان يفعله الرشيد، ربما ينطبق و/ أو ينسحب على الشعلان وفترة سيطرتهم على الجوف، وخاصة في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٨/ ١٩١٩م، وفترة من عام ١٩٢٢م بعض من حالة الإفقار والفقر، نتيجة استنزاف الموارد، من قوى خارجية، وهي مناقشة في المسألة الثقافية بالجوف (للتفصيل انظر حالة وثقافة التخلف بالجوف)، ولا ضرورة لتكرارها.

لاحظ، أنه فضلاً عن تأجيج الصراع الأهلي نتيجة دخول قوى خارجية على الخط بالجوف بغايات استهداف الجوف اقتصادياً، وبما يعني خلطاً للتحالفات وبنيتها، هناك الاستنزاف المتواصل من قبل القوى الخارجية (الدولة التركية والرشيد فقط في هذه الفترة ١٨٧٠م، وإن كان هناك إشارات لتداخل ودخول محدود جداً من عناصر من الشعلان (سطام الشعلان) وبتداخل مع الأتراك، وما تلاها مباشرة) للجوف وأهلها ومواردها على محدوديتها مما كان يسهم على نحو حاسم في تآكل فائض القيمة والادخار، إن وجدا أصلاً، وهو ما يصب في تواصل تكوّن مجتمع اقتصاد حد الكفاف، المتسم بالمساواة الشديدة، فالندية الدائمة، فحالة من التنافس التصادمي (غير المساوم) المتواصل المحرك البنيوي لانفجارات واقعة و/ أو محتملة من الصراع الأهلي و/ أو حالات منه. وعلى خلفية الإنهاكات البشرية والمادية للجوف وأهلها، بفعل الإعدامات والقتل والتشريد، وهدم الممتلكات والمزارع ومصادر المياه لأهالي الجوف في أكثر من مناسبة وواقعة، وخاصة في أعقاب الحملة التركية ١٨٧٠م وما اعتبر تمرداً متواطئاً معها و/ أو مصاحباً لها من قبل أهالي الجوف، أصبحت الجوف وأهلها ومقدراتها في قبضة الرشيد في الفترة ما بين

١٨٧١م و١٩٠٧م. لاحظ أن إعدام فلاح ما بالجوف، أو عددٍ من أفراد أسرته، فضلاً عن تدمير الأملاك والمزارع، هو يعني، في الغالب، تحوله وأسرته إلى تحت القاع مادياً/ اقتصادياً.

بالتوالي، ما إن خفت قبضة الرشيد على الجوف، نتيجة صراعات في حائل وحولها، بحدود ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩م، حتى استغلها الشعلان ليحلّوا محل الرشيد كقوة خارجية في السيطرة على الجوف في الفترة ١٩٠٩ وحتى ١٩١٨/ ١٩١٩م، لا تقل عن سابقتها في الإمعان في استهداف واستنزاف موارد الجوف الاقتصادية والبشرية، عن طريق الجبايات والزكاة والهدم والقتل والإعدامات والتشريد، فضلاً عن إجبار عدد من الأهالي، وخاصة من الشباب، في الدخول في الخدمة القتالية لـ «الشعلان»، وما صاحبها من قتل وإعدامات وتشريد وهدم للممتلكات في كل من سكاكا ودومة الجندل وخاصة في فترة الدخول ١٩٠٩م و١٩١٠م، وما تلاها وخاصة بين ١٩١٠ و١٩١٤م. وينطبق الأمر على محاولاتهم (الشعلان)، بعد خروجهم و/ أو إخراجهم ١٩١٩ ـ ١٩٢١م اختراق وإعادة السيطرة على الجوف، وإن كانت فاشلة في عام ١٩٢١م، وأيضاً أثناء عودتهم المؤقتة والأخيرة لحكم الجوف في عام ١٩٢٢م، وما رافقهما من استقطاب وقتال أهلي مصاحب حتى داخل الجماعة الواحدة (حرب الراشد/ المويشير في سياق حرب المعاقلة/ المعاقلة ١٩٢٢م، مثالاً). لنتذكر أن الشعلان دخلوا أيضاً، كما هم الرشيد، الجوف للسيطرة عليه لموارده الاقتصادية، على محدوديتها، من زكاة وإتاوات وجبايات على بعض النشاط التجاري (الملح)، فضلاً عن مراعي مصادر «آبار» مياه الجوف وأهميتها الاقتصادية لمواشيهم وللعبور/ المرور من وإلى المنطقة شمالاً وجنوباً. لنتذكر في الفترة ما بين ١٩١١/ ١٩١٢ و١٩١٤م، حيث وقعت بينهما ما عرف بـ «هجة القرشة « تجاه حائل خوفاً من انتقامات الشعلان لهم بالوقوف مع الخصم التقليدي لهم «الرشيد» آنذاك، فقد ساد «الكساد الاقتصادي» وتوقفت تقريباً، النشاطات التجارية على محدوديتها. عن الكساد الاقتصادي، يحدثنا سليمان عودة الفلّاح. في ذلك وعنه يقول سليمان العودة واصفاً الحالة في سكاكا، آنذاك بما يلي: «... القرشة خذوا ((مكثوا)) سنة بحايل... وانقطعت الأسعار... وما تلقى اللي يبيع شيء... غير عند خليف الفالح كل أوان ((يقصد مقايضة التمر))... وعايد السمرين... منطيه الله... عايد السمرين تراه أكرم من (...)، بس ما هو يم الحكم ((يقصد مشيَخة الراشد/ رواشدة الحزوم، أي غرب سيل/ الغدير «الهذال» ـ الباحث)) (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٠ من ٢٣). إن المهم هنا هو أن إحدى نتائج خروج ونزوح القرشة عن الجوف (سكاكا) حصول حالة من الإرباك الاقتصادي، بل التدهور الكبير في الحالة الاقتصادية، وفي النشاط الاقتصادي، وصل حد ما يعرف حالياً بالكساد الاقتصادي، بل انهيار اقتصادي شبه كامل، حيث انعدم البيع والشراء تقريباً، وهو ما يعني في الوقت عينه، وبالموازاة، أن قلَّ وتناقص دخل «الشعلان» من الجوف بشكل كبير، مما كان عاملاً حاسماً، وإن لم يكن وحيداً، في دفعهم لقبول عودة القرشة إلى ديارهم، لإنعاش الحياة الاقتصادية والدورة الاقتصادية لصالح العوائد المتوقعة.

إن دخول كل من الشعلان والرشيد، والدولة السعودية الأولى قبلهما (١٨٠٠ ـ ١٨١٨م)، وكذلك الدولة التركية ١٨٧٠م وعلى خط التنافس على الجوف للسيطرة و/ أو إعادة السيطرة عليه، ولغايات وأهداف اقتصادية مباشرة و/ أو غير مباشرة، أدى إلى صراعات وحروب أهلية (أهالي الجوف)، إما

بالتورط اصطفافاً، مباشرة أو بالوكالة وبالتداخل مع أو ضد القوة الخارجية القادمة و/ أو المنسحبة وفي سياق معاركهما ذات الصلة، أو بالاصطفافات والتحالفات التاريخية المتراكمة والتالية واللاحقة لها في معارك داخلية بين أهالي الجوف وضد بعضهم البعض، وبالذات في ما يتعلق بالتحالفات الكبرى وخاصة بين القرشة والمعاقلة سواء في سكاكا و/ أو في دومة الجندل.

(ب) **على مستوى القوى والجماعات والأطراف الأهلية المحلية المتحاربة (من أهالي الجوف):** وفي الصراع والحرب الأهلية والتي أطرافها بشكل أساسي محليون من أهالي الجوف، وإن تداخلت مع قوى خارجية، وما يتصل بالعلاقة بين الصراع والحرب الأهلية، و/ أو حالات منها من جهة، وبين العوامل الاقتصادية الأخرى (غير نمط الاقتصاد)، يمكن ملاحظة ورصد التالي: نرى أن هناك من ٤ إلى ٥ حالات من الـ ١٢ حالة الكلية (المدونة فقط في الجدول الرقم (٣)، فيها تداخل مع عوامل اقتصادية، والتي قد تشمل واحدة أو أكثر من الزكاة والجبايات، والأراضي والأملاك والمراعي و/ أو مصادر المياه. هذه الحالات تشمل التالي: (أ) صراع الدلهمية/ الجرعاوي ـ ١٨٣٨م، وفي جزء منه هام متعلق بالأراضي والأملاك، وما ترتب عليه في ذاته و/ أو بفعل خارجي (الرشيد) لاحقاً، من استهداف وتدمير للممتلكات والمزارع وهدم لمصادر المياه (العيون/ القلبان)، فضلاً عما ترتب عليه من قتل وتشريد وإزاحات بشرية، فتراكم ثقافة نفسية من الخصومات والعداوات الأهلية البينية لتنفجر لاحقاً حالات من صراع أهلي أو حرب أهلية. (ب) تمرد ـ ١٨٥٣م، ورغم أنه تمظهر في النهاية كصراع ضد حكم وسيطرة الرشيد، إلا أنه في جذوره صراع نبع من داخل بيوت السراح وفيما بينهم، وكان في جزء منه متعلقاً بتنافس على بعض الموارد الاقتصادية واستهداف لها وإن كانت تافهة (حلال/ نياق وسجادة)، وما ترتب عليه من هلاك أو أهلاك لممتلكات بعضهم البعض، فضلاً عن الدمار الأكبر والأوسع لممتلكات وموارد السراح (مزارع وبيوت ومياه) أنفسهم انتقاماً لبعضهم على الأقل ودورهم في التمرد من قبل القوة الخارجية المسيطرة آنذاك (الرشيد). (ج) حالة/ واقعة السمرة ـ ١٨٧٠s(؟) بين أفراد ينتمون للقرشة من جهة وآخرين تنتمي للمعاقلة من جهة أخرى، حيث كانت متداخلة على ما يبدو مع مسائل متعلقة بمواشٍ (حلال) وبـ «المراعي» وذات صلة بأفراد من أهالي دومة الجندل قريبة من المعاقلة في سكاكا، حيث تم محاصرتهم في مكان يقال له «السمرة» ما بين سكاكا ودومة الجندل، لتقع معركة مسلحة بين الطرفين راح ضحيتها عدد من القتلى والجرحى بين الطرفين (للتفصيل انظر/ راجع «واقعة السمرة ١٨٧٠sم»(؟) في المبحث الثاني في الفصل الأول)؛ (د) ـ واقعة «سيسرا ـ ١٨٧٠١sم؟: وهذه كانت خلاف بين المعاقلة والقرشة، على «بئر/ قليب» وقنواتها الأرضية في الأصل قديمة التكوين، ولكنها كانت للتو مكتشفة. ورغم أن الخلاف والنزاع حولها، وإن أخذ أشكالاً من التناوش اللفظي/ الرمزي والشعري الحاد، لم يتطور إلى صراع مسلح بتدخل من السلطة القائمة آنذاك (الرشيد) عبر ممثلها (جوهر)، إلا أن المهم فيه وحوله هنا أن مصدر النزاع هو في جزء هام منه متعلق بمورد اقتصادي (المياه)؛ (هـ) واقعة مؤامرة الجمعة ـ ١٨٨٠sم؟: ورغم أن هذه الحالة من الصراع لم تقع أصلاً، إلا بكونها في النوايا ومخططاً لها، ورغم أن الحادثة بذاتها لم تنطوِ على مسائل اقتصادية مباشرة ظاهرة، إلا أن هناك من يشير إلى أنه وفي أعقابها مباشرة، ومن نتائجها أن توقف المعاقلة عن دفع الزكاة للرشيد عبر«السهيان/ شكر السهيان» (الزيد، عافت مناع، لقاء وحديث (II)، في

٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٨ من ١٣)، رغم أن هذا القول يتناقض مع ما أورده سليمان عودة الفلّاح (الكبيدان) عن أن ابن رشيد هو من أمر، وبحضور كل شكر السهيان وفلاح الشردان أمامه في حائل، بأن يكون لـ «فلاح الشردان» الحق في تحصيل زكاة المعاقلة وتسليمها للرشيد مع استبقاء منها ما له حصة فيها. عن الأمر يقول سليمان العودة الفلّاح (من الكبيدان)، في مقابلة معه إنه على إثر محاولة قيام شنوان بن عقيل مفرج الكبيدان بقتل ابن عمه «فلاح الشردان» صاحب «مشيخة الراشد والدغيفق» في المعاقلة (سكاكا)، قام فلاح الشردان وقتل ابن عمه «شنوان»، وخوفاً من «الرشيد» سافر مع «شكر السهيان» إلى حايل على ما يبدو لتسوية الأمر و/ أو أمور أخرى، فكان هذا مضمون الحديث الذي دار: «... دخل شكر السهيان على ابن رشيد... ((آنذاك هو على ما يبدو؛ محمد العبد الله الرشيد ـ الباحث))... وفلاح (الشردان)... تأخر عن السلام... فقال ابن رشيد لـ «شكر»: من معك؟... قال شكر...: فلاح الشردان... قال ابن رشيد: يا الله لك الحمد... عقب جيبته للدولة بديارنا... ((يقصد الأتراك ـ العثمانيين وقدومهم في حملتهم على الجوف ١٨٧١م ـ الباحث))... جابه الله... وبالصبح قام فلاح وراح يم ابن رشيد للسلام عليه... قال محمد «الرشيد»: ما عليك سلام... قال فلاح: ليه؟ لا يا أخو نورة... أنا ذبحت ولد عمي... علشانك... توه ما انفضخ بقبره... قال محمد «الرشيد»: هو صادق يا شكر؟ قال شكر: صادق أي بالله... ذبح شنوان... قال محمد الرشيد: زكاة المعاقلة أنت تاخذها (يعني فلاح) وتنطي (تعطي) الحكم مرادته منها منعة وانت تاخذها... «...، عندها سألت ((الباحث)): سليمان العودة:...»... يعني أول زكاة المعاقلة يعطونها شكر...؟» رد سليمان وقال: «...أي نعم» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٢٣، ج ١). (٦) كون وواقعة الغطغط ـ ١٩٢٠م؟ ومتلازماتها في دومة الجندل: ورغم أنها متداخلة في الأصل مع محاولة اختراق قوة خارجية، وهي «الشعلان» في محاولة لجس النبض ولاستعادة الجوف من «الرشيد»، إلا أنها كانت متداخلة أيضاً مع قوى وعناصر محلية، بين عناصر من المطر (حلفاء تقليديون للقرشة)، وبعض عناصر محدودة من الشلهوب ومن دومة الجندل متحالفة مع «الشعلان» من جهة، وبين المعاقلة من جهة أخرى. كان جزء من الواقعة والصراع متعلق بموضوع يتعلق بتجارة التمور تحديداً، والذي بدا لـ «الشعلان» وحلفائهم المحليين، أن المعاقلة بدأوا يتحكمون فيها لمصلحتهم ولمصلحة الرشيد. هذه الحالات من ٤ إلى ٥ حالات يشكل فيها العامل الاقتصادي (غير نمط الاقتصاد) وجوداً نسبة تتراوح بين ٣٣ بالمئة و٤١ بالمئة، على أن نسبة هذا التواجد لا تعني أنه الوزن النسبي الفعلي، كقوة ومتغير تفسيري بنفس النسبة، وإنما تعطي قدراً من التفسير، وأن للعامل الاقتصادي بذاته، غير نمط الاقتصاد، قوة تفسيرية ما: أما قدرها ونسبتها الحقيقية قياساً ومقارنة مع العوامل والمتغيرات الأخرى فليس في مقدورنا على وجه الدقة تحديدها والجزم بها.

(ج) **في سياق ما تقدم وعلى الجملة، واستثناء منها مسألة نمط الاقتصاد**: حيث تم معالجته بداية، فإنه في ما يتعلق بالعوامل الاقتصادية الأخرى (الزكاة/ الجبايات والإتاوات، والمراعي والأملاك ومصادر المياه) وصلتها بالحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) وبملاحظة البيانات والمعلومات المتعلقة بواقعات الحرب الأهلية، ومن خلال ما ورد عنها موجزة مختصرة في الجدول الرقم (٣) عن «الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): القوى والمتغيرات»، نقول ونرصد الملاحظات التالية: من

١٢ حالة من حالات الحرب الأهلية نلاحظ أن ٨ إلى ٩ حالات من الصراع فيها تداخل مع و/ أو تتصل بعناصر وموارد اقتصادية ومادية، تتراوح بين الأراضي والممتلكات والمراعي والمياه وبين الزكوات والجبايات و/ أو منتجات محلية ذات صلة بنوع من التجارة/ التمور ومتعلقة بطرف أو بأطراف الصراع سواء من الداخل و/ أو الخارج، أو بتداخل ما بين الداخل والخارج وأطرافهما. وإذا علمنا أن ٤ أو ٥ من الـ ٨ أو ٩ حالات منها تتصل بشكل أساسي بأطراف أهلية، وإن تداخلت في مرحلة لاحقة مع قوى خارجية، فهذا يعني أيضاً أن نصف الحالات الثمانية (أي ٤ و/ أو ٥ حالات منها) هي ذات صلة بأطراف خارجية مستهدفة الموارد الاقتصادية للجوف وأهلها، وإن تداخلت مع قوى أهلية محلية. هذه الحالات تشمل في ما تشمله الواقعات التالية: (أ) واقعة وصراع الدلهمية/ الجرعاوي ـ ١٨٣٨م، وخاصة ما تعلق بها وترتب عليها من غزو وسيطرة لحكم وسلطة الرشيد على الجوف منذ ذلك التاريخ فصاعداً. (ب) الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠م) وملابساتها واقعة المديرس (١٨٧١م)، وفيها الأتراك والرشيد، وبدرجة ضعيفة قوة الشعلان متخفية بـ «الأتـراك»، يتصارعون على مقدرات وموارد الجوف وأهلها الاقتصادية، ومؤججين مباشرة في القتال أو في الاصطفاف و/ أو في التوابع من وفي حالات الصراع الأهلي بين أهل الجوف ومجموعاته ومكوّناته الأهلية. (ج) صراع وحروب الرشيد/ الشعلان على الجوف ـ ١٩١٩م. (د) صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م). (هـ) واقعة أو كون الغطغط ـ ١٩٢١م، ومتلازماتها في دومة الجندل. الآن نسبة الوجود للمتغير والعامل الاقتصادي، غير نمط الاقتصاد، في علاقة الأطراف الخارجية بحالات الصراع الأهلي الكلية المدونة في الجدول الرقم (٣)، يبدو أنها كذلك تتراوح ما بين ٣٣ بالمئة إلى ٤١ بالمئة، ولكنها كنسبة وجود، كما مع أطراف الداخل لحالات الصراع الأهلي لا تعني وزناً فعلياً مقابلاً في القدرة على التفسير.

بالموازاة والتلازم، إذا جمع الداخل والخارج كأطراف في حالات الصراع والحرب الأهلية، فنرى أن لدينا ما بين ٦٦ بالمئة و٧٥ بالمئة كنسبة وجود للعامل المادي/ الاقتصادي، مستثنىً منه نمط الاقتصاد، في حالات الصراع والحرب الأهلية، ولكن هذا الوجود ونسبته لا يعني ولا يقابله بالضرورة وزن فعلي و/ أو قدرة تفسيرية لحالات الحرب الأهلية الكلية أو حتى لبعضها. كل ما يمكن القول به وعنه هنا أن للعامل المادي الاقتصادي، مستثنىً منه نمط الاقتصاد، وزناً وثقلاً «ما» فردياً و/ أو بالاشتراك والتضافر مع عوامل أخرى في تفسير الصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) و/ أو حالات منها.

بناء عليه نقول إن قدرة العوامل المادية والاقتصادية، بعناصرها المتعددة، باستثناء نمط الاقتصاد السائد وتداخلات عناصره، لا يبدو، لوحده وبمعزل عن العوامل الأخرى، مفسراً قوياً للحرب الأهلية الكلية أو معظمها، وإن بدا أكثر قوة في بعض محدود من حالات بعينها من الصراع الأهلي. لكن تلك العوامل الاقتصادية الأخرى، مع ذلك، تقدم قدرة قوية، وإن كانت كذلك غير قابلة للتحديد على وجه الدقة والجزم، في تفسير تدخل القوى الخارجية على خط الصراع الأهلي، من حيث غاياتها وأهدافها من التدخل والسيطرة على الجوف، وبالتالي المساهمة في تأجيج الصراعات الأهلية القائمة، وكذلك في تفجر الصراعات اللاحقة من خلال تراكم ثقافات الخصومة والعداوة المترتبة على الصراعات السابقة

واصطفافاتها الأهلية المتقابلة مع و/ أو ضد القوى الخارجية، وإن كانت الصراعات الأهلية وحالات غير قليلة منها وتفجراتها مرتبطة بالعوامل والبنية التحتية/ الداخلية للجوف وأهلها اقتصاداً ومجتمعاً وسياسة وثقافة.

في **الخلاصة** عن الاقتصاد والحرب الأهلية وحالاتها نستطيع القول، إنه إذا ما تم دمج نمط الاقتصاد وانعكاساته الاجتماعية (المساواة/ الندية فالتنافس التصادمي فالصراع) مع العوامل الاقتصادية الأخرى (أراضٍ وممتلكات ومراعٍ ومصادر مياه وزكاة وجبايات وضرائب، وتجارة محدودة)، ستكون بالتأكيد من أهم العوامل المفسرة للحرب الأهلية وحالاتها، في ذاتها منفردة و/ أو متضافرة متداخلة مع العوامل والمتغيرات الأخرى.

د ـ في العوامل الثقافية/ النفسية والحرب الأهلية بالجوف

كان من المفترض معالجة مناقشة العوامل الثقافية والنفسية، وربما الديمغرافية للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) عند وفي سياق مناقشة العوامل الاجتماعية وترابطاً معها، ولكننا فضلنا مؤقتاً ولدواعٍ بحثية بحتة تأجيل الحديث عنها ومناقشتها، وخاصة بعد الانتهاء من مناقشة العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وحيث إننا وصلنا هذه المرحلة من المناقشات، وجب علينا أن نناقش الأمر وأن نتساءل عن مدى مساهمة هذه العوامل في تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) وحالاتها أو على الأقل لبعضها. في العوامل الثقافية نركز على مفاهيم وقيم وممارسات بعينها، وخاصة ما يتعلق بالدين/ العقيدة و/ أو المذهب والطائفة، وفوقها وبدرجة أهم منها، على الحرية والتحرر والاستقلال كقيَم ومفاهيم نفسية متراكمة ثقافياً وتاريخياً. قبل ذلك من المهم التشديد على نقطة، وهي أننا عندما نناقش ونتحدث عن هذا العامل، أو أي عامل آخر، بما في ذلك ما سبق وما قد يلحق، في ما يتصل بالقول إن له علاقة بالحرب الأهلية بالجوف و/ أو ببعض حالاتها، وتحديداً من حيث إن له «قدرة تفسيرية ما» لها على الجملة أو لبعض من حالاتها، فهذا لا يعني ولا يجب أن يفهم منه أن هذا العامل، وبمفرده وبمعزل عن العوامل الأخرى، يفسر الحرب و/ أو حالاتها، وإنما المقصود أن له قدراً من القوة التفسيرية قد تكون كبيرة قوية، كما لبعض العوامل وأشرنا إليها في حينه، وقد تكون مساعدة وربما محدودة وهامشية، وكما أيضاً أشرنا سابقاً في حينه لبعض منها، و/ أو قد نشير إليه تالياً ولاحقاً. في النهاية سنشير إلى العوامل الرئيسة والمساعدة في تفسيرها للحرب الأهلية على الجملة و/ أو لبعض حالاتها.

لننتقل الآن إلى مناقشة العوامل الثقافية والنفسية وصلتها (قدرتها التفسيرية) بالحرب الأهلية بالجوف.

(١) **في العامل الديني/ المذهبي**: في كل حالات الصراع الاثنتي عشرة المدونة في الجدول الرقم (٣) عن الحرب الأهلية بالجوف، فإن العامل الديني/ المذهبي بما هو يعني حالة اختلاف بين أطراف الصراع في الانتماء للدين و/ أو المذهب، لا وجود له، ولا أهمية له في الصراعات الأهلية بالجوف باستثناء عدد محدود من حالات الصراع الأهلي بالجوف، وفي الغالب عندما يكون فيه طرف خارجي، أو متداخل مع طرف أو قوة/ سلطة من خارج الجوف. هذه الحالات تشمل التالي:

(أ) **صراعات الدرع/ السراح (١٨٠٠ ـ ١٨٣٠s م)**، وخاصة في البدايات قبيل وبعد ١٨٠٠م بسنوات. في هذه الفترة كان الصراع بين الدرع والسراح ناتج في جزء منه عن تداخل وإقحام المعتقدات والممارسات الوهابية في الصراع من قبل عناصر وهابية ومن الدولة السعودية الأولى، حيث رمت بثقلها لدعم «الدرع» ضد صراعهم مع «السراح»، علماً أن «الدرع» وهم من «الطالب» يبدو أنهم كانوا آنذاك (قبل ١٨٠٠م بعقدين من الزمن أو في حدوده) حديثي العهد والقدوم والاستيطان في الجوف (دومة الجندل)، وربما كانوا بالأصل متشربين بالمعتقدات والتعاليم الوهابية، وربما ناشرين و/ أو مبشرين بها، و/ أو على الأقل مرحبين متقبلين لها بدرجة كبيرة. السراح، في المقابل، قاوموا هذا التشدد المذهبي ومحوره (الدرع/ الدولة السعودية الأولى)، واستمروا في المقاومة، ربما، طوال العقود الثلاثة الأولى التالية لعام ١٨٠٠م. من هنا فهذا الاختلاف المذهبي، وبدور خارجي، ربما سيتواصل متناقصاً فيما بعد وحتى ربما أواخر ١٨٣٠s م، ولكنه سيتلاشى عندها أو بحدودها، وخاصة بعد سيطرة الرشيد على الجوف في عام ١٨٣٨م فصاعداً، وذلك لأن المعتقدات والتعاليم والممارسات الوهابية، قد أخذت بالانتشار (أفراداً وجماعات) بين كافة سكان ومكوّنات أهالي الجوف من الحضر (الفلاحين). بعد ١٨٤٠م، وتحديداً بعد تمرد ١٨٥٣م والقضاء شبه النهائي على السراح، مكانة ونفوذاً، في الجوف (دومة الجندل)، وفي ثنايا عقد الـ «١٨٥٠s» ربما لا وجود ولا أهمية للاختلافات المذهبية في الصراع الأهلي، إلا ما تعلق بحالات صراعية لها صلة قوية بقوة/ دولة خارجية، وهذا ينطبق على حالات صراعية متصلة بـ:

(ب) **(الأتراك (الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م وتوابعها)**؛ فصراع الأتراك ضد «الرشيد» و«الوهابية»، باعتبار أن «الرشيد» ممارسون وناشرون لها، وفي الخلفية للأتراك صراعهم مع وعداؤهم للدولة السعودية الأولى وحتى الثانية وأيديولوجيتها «الوهابية»، وكذلك متصلة بـ «**الرولة/ الشعلان**» والذين في الأصل لهم مواقف معادية تجاه «الوهابية» المتشددة مقارنة بحياة وطبيعة مجتمعات البادية وفضاءاتها المفتوحة. وهذا يشمل جزءاً من صراعات أهلية، دخلوا فيها على الخط دعماً لطرف على حساب طرف آخر، ومن ذلك **ما تعلق بصراع ١٨٣٨م بين الدلهمية/ الجرعاوي وحلفائهما (السراح/ الدرع)**، حيث هناك إشارات، وإن لم تكن مؤكدة، على دعم من أحد رجالات الشعلان للسراح في ذلك الصراع و/ أو بداياته، وكذلك ما تعلق **بالحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م**، وفي الخلفية، إشارات لدور من الشعلان (سطام و/ أو هزاع الشعلان) في حدوثها، ضد «الرشيد»، وبالطبع في الخلفية العداء «للوهابية» التي يعتنقها «الرشيد» ويعملون على نشرها وترسيخها. طبعاً الحملة التركية ١٨٧٠م وتصادمها مع الرشيد، أدت إلى اصطفافات أهلية، وخاصة في ما أعقبها وتلاها مباشرة من تداعيات (واقعة المديرس ـ ١٨٧١م) وبتداخل مع الرشيد، ساهمت في تكوّن ثقافات نفسية عدائية بين أهالي وجماعات الجوف، لتتفجر صراعات أهلية لاحقة.

(ج) صراعات وفوضى صاحبت سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)، وكذلك صراع الشعلان مع الرشيد ١٩١٩م للسيطرة على الجوف أو استعادتها؛ في كل تلك الحروب هناك اصطفافات أهلية مع أو ضد القوة القائمة و/ أو القادمة (سواء الشعلان أو الرشيد)، وفي الخلفية لـ «الشعلان»، وخاصة ما قبل ١٩١٤م، الخصومة مع «الوهابية» كأيديولوجية لـ «الرشيد» ومفروضة من قبلهم على

الجوف وأهلها. طبعاً **بين الأطراف الأهلية المصطفة ضد بعضهم البعض على محور القوى الخارجية في هذه المرحلة (الشعلان والرشيد، وكذلك ما تعلق بالأتراك والرشيد)، ليس هناك من أثر للخلاف المذهبي بينهم**، إلا ما انعكس في سياق التحالف مع القوة الخارجية، هذه أو تلك. يبقى القول، أيضاً، إنه ورغم أن الرولة/ الشعلان كانوا في عداء وخصومة مع الوهابية، ولفترة ممتدة من ١٨٥٠م وحتى ١٩٢٢م، وربما حتى بعد ذلك، وخاصة بين أفراد القبيلة والمنتمين لها، فإن الشعلان/ الرولة أنفسهم، قيادات وأفراداً، وبدءاً من سيطرتهم على الجوف في عام ١٩٠٩م فصاعداً، واحتكاكهم بالأهالي وممارساتهم الثقافية، الآخذة بالتشبع بالوهابية مع نهاية القرن التاسع عشر، قد أخذوا على نحو متزايد بتقبل وتطبيق المعتقدات والقيَم الوهابية نفسها، في ممارساتهم اليومية والحياتية. عن تلك الحالة، والتي لاحظها، الرحالة ألويس موسيل (Alois Musil) في رحلته الثانية للجوف (١٩١٤/ ١٩١٥م)، يقول: «لقد دهشت عندما اكتشفت أن الكثيرين من قبيلة الرولة قد أصبحوا ملتزمين بالدين منذ العام ١٩٠٩م. في عام ١٩٠٨ و١٩٠٩م، لم أشاهد أحداً منهم يُصلي على الإطلاق، ولكن في العام ١٩١٤م كان الأمر مختلفاً. أعتقد أن الأمر كان نتيجة لنشاطات نواف، إذ باستيلائه على الجوف ومستوطنات أخرى كان مُضطراً لأدء الصلوات معهم. إن جنوده الذين يأتون من قرى جوار وأواسط الفرات ومن القصيم كانوا ملتزمين بالصلوات ومعتادين على أدائها، وكان يمكن للكثير منهم أن يتلوا جزءاً كاملاً من القرآن، كانوا يُعلمون الآخرين ويحضّونهم على مراعاة المبادئ والقواعد الدينية. إن الجنود من القصيم، مثل سكان الجوف، كانوا مُشبعين بأفكار الوهابية؛ لذلك لم يكن لدى نواف خيار سوى الانضمام إليهم والتمسك ظاهرياً على الأقل بالتعاليم الوهابية. إذاً فالخطيب يأمر جنوده بصوت عال لأداء الصلاة المفروضة ويصلي معهم. كانت الصلاة تقام قُرب خيمة النوري في المساء. لا أحد كان يصلي صباحاً صلاة الصبح، إذ إن البدو ينامون إلى ما بعد طلوع الشمس بوقت طويل، ولكنهم يصلون بين الفينة والأخرى عند الظهر. كان العديد من البدو يحذون حذو الشيوخ ويصلون أيضاً. كان البدوي يُقلد جميع حركاتهم ولكنه لا يقرأ لأنه لا يعرف...» (موسيل، في رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

في الإجمال، وعلى الجملة، وفي ما يخص العامل الديني/ المذهبي ودوره في الصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) وقدرته التفسيرية لها ولحالاتها، فيمكن لنا القول والجزم به: إنه، وباستثناء الحالات الأولى من صراع «الدرع/ السراح» (١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م)، وخاصة حول ١٨٠٠م وما بعدها بعقد و/ أو في حدودها، فهو عامل ضعيف ومحدود المساهمة في فهم وتفسير الصراع الأهلي بالجوف.

(٢) العامل الثقافي النفسي: **الحرية والتحرر والاستقلالية**: في الجوف، وما تعلق منها تحديداً بالتجمعات الحضرية/ الفلاحية (أي في سكاكا ودومة الجندل وما في حكمهما من القرى) هناك نزعة تاريخية متراكمة ومتواصلة لأهلها، أفراداً وجماعات، بالتطلع نحو والتعلق بـ «التحرر والحرية والاستقلالية» في المواقف والممارسات والسلوكيات وفي العلاقات مع و/ أو تجاه الداخل و/ أو الخارج وأطرافها، أفراداً وجماعات وقوى: هم (أهالي الجوف) كأفراد وجماعات ميالون للتحرر والانفتاح والتسامح مع الآخر، ولكنهم، وبدرجة موازية، يأنفون بشدة من الخضوع والإذعان لسيطرة

أية سلطة/ متسلطة (فردا أو قوة) من الداخل و/ أو الخارج، ويعملون على مقاومتها ما يستطيعون لذلك سبيلاً، وتاريخهم الحديث، وخاصة منذ نهاية القرن الثامن عشر فصاعداً يشهد على أفعالهم ومواقفهم. طبعاً هذا القول لا يعني أن أهل الجوف، ليسوا بشراً، وأنهم لا يخضعون أبداً لسلطة أو قوة ما؛ لا لا ليس هذا المقصود؛ هم بالفعل خضعوا، كغيرهم من البشر، لأكثر من قوة، وخاصة عندما تكون قوة خارجية غاشمة، وإنما المقصود أنهم بذاتهم، وفي ما يتعلق بالعلاقة مع «حالة/ سلطة قائمة» في مجتمعهم وفي محيطهم، ميالون في الغالب لرفض ومقاومة القوة الغاشمة والتمرد عليها طلباً للحرية والاستقلال، وإن خضعوا لها في ظروف بعينها. هذه النزعة من الثقافة النفسية (الحرية والتحرر والاستقلالية) ربما تستدعي وتثير الرغبة في البحث في عواملها ومتغيراتها للفهم والتفسير، وهو ما سنفعله ونقوم به على أية حال، ولكن في مكان آخر من هذه الدراسة عن تاريخ الجوف، وبالذات في القسم الأخير منها، والمتعلق بمناقشة «المسألة الثقافية» بالجوف. هنا يكفي القول، وملامسة للتفسير، أن هذه النزعة تعود لعدة عوامل/ متغيرات، ربما أهمها يتعلق بتكوّن «بنية/ بنى» الجماعات الفرعية والرئيسة بالجوف، من حيث التعددية فيها، وفي تنوّع وتعدد مواطنها الأصلية، وفي التشابه في غايات القدوم إلى الجوف والاستيطان به (التخلص من أوضاع غير مرغوب فيها في مواطنها الأصلية، والحصول على ما يعوض عنه بالجوف)، وفوق هذا وذاك، تراكمات التجربة الثقافية الصراعية المقاومة المتواصلة، لأهالي الجوف، أفراداً وجماعات، مع وتجاه محيط معادٍ في طبيعة بيئته الصحراوية وقواها المتعدية والمعادية والمعتدية، بما في ذلك القوى الخارجية. هذه النزعة وخاصة للتحرر، وبما تتضمن وتعني قدر من الانفتاح على الآخر والتسامح تجاهه، فقد تم رصدها وملاحظتها من عدد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجوف وشمال الجزيرة العربية منذ ١٨٤٥م فصاعداً. وفي ذلك يقول الرحالة **ويليم جيفورد بلغريف** (William Gifford Palgrave) في رحلته للجوف عام ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، ما يلي: «إن أعظم سمة لسكان الجوف هي ميلهم للتحرر، فليس في أي مكان، حتى في الجزيرة العربية تتم استضافة الضيف ومعاملته بالحسنى، وإكرامه لدرجة عرض الإقامة عليه وتقريبه حتى يصبح بالتدريج واحداً منهم. أما الشجاعة فلا يستطيع أحد أن ينزعها منهم...» (بلغريف رحلة ١٨٦٢ ـ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٧٩). وهذ النزعة إلى الانفتاح والتسامح مع الآخر، بما فيه الأجنبي، سبق أن سجلها، الرحالة **جورج أوغست والن** (Yorjo Aukusti Wallin)، لأهالي الجوف، في زيارته لها في ١٨٤٥م، قائلاً: «... رغم أن سكان هذه البلدة معروفون بخصوماتهم وصلابتهم فيما بينهم، إلا أنهم معروفون ومعترف بهم من جميع الناس بأنهم مضيافون جداً، ولطفاء مع الغرباء، وفي ما يتعلق بي، فعليَّ الاعتراف أنه حتى من القبائل العربية المضيافة في الصحراء، لم أقابل أية قبيلة تفوق أهالي الجوف في هذه الفضيلة. ولم يعاملني أحد من قبل بمثل ما عاملوني» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٤). في المسألة الثقافية بالجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م) هناك مناقشات مستفيضة عن فكرة ونزعة الحرية والتحرر والاستقلالية عند أهالي الجوف، قديماً وحديثاً، ويمكن الرجوع إليها هناك.

الآن، لننتقل إلى بيانات ومعلومات واقعات وحالات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وبما ورد عنها مختصرة في الجدول الرقم (٣)، لنرى إن كان هناك من علاقة ما بين متغير الثقافة النفسية

(الحرية والتحرر والاستقلالية) وبين الصراع الأهلي بالجوف. بناء عليه، نقول إنه، وعلى الجملة من الصراع الأهلي و/ أو في بعض من حالاته، هناك عدد من الملاحظات نوردها كما يلي:

من ١٢ حالة مسجلة ومدونة في الجدول الرقم (٣)، هناك حوالي ٨ حالات فيها النزعة للحرية والتحرر تتراوح في الحضور ما بين الكثيف والجزئي، وهذه تشمل الحالات التالية:

١ ـ **صراعات الدرع/ السراح (١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م)**، ونزعة التحرر والحرية هي بين الطرفين وحلفائهم من الداخل وتجاه الحلفاء من الخارج. لاحظ أن الحكم والسلطة في الجوف عموماً، وفي دومة الجندل خصوصاً في فترة ما قبل ١٧٩٠م، هي تحت «السراح»، حيث بدا لاحقاً لـ «الدرع»، رغم حداثة عهدهم بالمنطقة، محاولة السيطرة على الجوف كلها من خلال سحب السلطة من السراح، فكان صراعاً امتد ما لا يقل عن ٨ سنوات، دخلت فيه على الخط الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية، داعمة بالمال والسلاح «الدرع». سوف يستمر هذا الصراع بين الطرفين (الدرع/ السراح) وحلفائهم من حين لآخر على امتداد الفترة (١٧٩٢ ـ ١٨٣٨)، تقربيا، مع بعض التقطعات والهدوء المرحلي فيها. لاحظ أن الدرع، وإن كانوا للتو مستوطنين الجوف وقادمين من «نجد»، إلا أنهم ربما بأنفسهم و/ أو في الغالب بتعاون من جماعات فرعية محلية رافضة لـ «الحالة القائمة» من سلطة «السراح» والتحرر منها. في المقابل عندما دخلت القوة الخارجية (الدولة السعودية الأولى) على خط الصراع الأهلي وانحازت لـ «الدرع» في صراعهم مع السراح، عمل السراح مع حلفائهم كل جهدهم في مقاومة الدرع وحلفهم الخارجي، وتشدده الديني (الوهابي) والتخلص و/ أو التحرر من تأثيراتهم أو من الحالة التي يراد فرضها على الجوف. من هنا فصاعداً ينقسم مجتمع الجوف (في دومة الجندل على وجه التحديد) على محور الصراع، بين حلف وحلفاء الدرع من جهة، وبين حلف وحلفاء السراح من جهة أخرى، ليتحول في حدود عام ١٨٧٠م، أي بُعيد الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠/ ١٨٧١م) صراعاً أهلياً عاماً بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل) قطبياً محوره حلف القرشة من جهة وحلف المعاقلة من جهة أخرى. هذا الصراع البيني، سواء بين الدرع والسراح، أو لاحقاً بين المعاقلة/ القرشة، في جزء منه يستهدف «التحرر» الداخلي من وضع و«حالة قائمة» غير مرغوب بها، أي من بعضهم البعض و/ أو تجاه القوة الخارجية المتحالف معها، وإن تطلب الأمر استدعاء قوة خارجية موازنة وموازية والاستعانة بها ضد الخصم وحلفائه الداخليين والخارجيين، مما ولد حلقة حلزونية مفرغة من الصراع، متضمناً على نحو جلي طلب «التحرر» من الآخر المحلي وحلفه الخارجي. لاحظ أننا نقول عن الصراع البيني وأطرافه أنه يستهدف «في جزء منه» ونشدد على «في جزء منه»، لأن هناك ربما أهدافاً أخرى، وبالتأكيد عوامل ومتغيرات أخرى متصلة، ولكن ما نحن بصدده هنا هو في ما تعلق بفكرة «التحرر».

٢ ـ **صراع الدلهمية ـ الجرعاوي ١٨٣٨م**: تشمل هذه المرحلة أيضاً وتتداخل في نهايتها مع ما عرف بصراع الدلهمية/ الجرعاوي ـ ١٨٣٨م، وفي الخلفية صراع «الدرع/ السراح» وتحالفاتهم المحلية، وما اتصل به مما قيل عنه بدعم عناصر من «الشعلان» لصالح الدلهمية وأنصارهم «السراح»، فاستدعاء ودخول لقوة خارجية (الرشيد) على الخط لصالح الجرعاوي وأنصارهم الدرع، لتتم السيطرة لـ «الرشيد» على الجوف منذ ١٨٣٨م وحتى ١٩٠٧م، وإن لم تخلُ من مقاومات لهم وتمردات عليهم، من قبل أهالي الجوف، وخاصة في ١٨٥٣م، و١٨٧٠م، طلباً للحرية والتحرر من هيمنتهم وسلطتهم الغاشمة، على

الأقل من قبل مجموعات غير قليلة من الأهالي، وإن تطلب التحالف مع و/ أو استدعاء قوة خارجية (في ١٨٥٣م دعم جزئي للسراح من الشعلان/ ضد الرشيد وحلفائهم، وإن كان غالبية أهالي الجوف، بما فيهم مجموعات من سكاكا، ومن العلي، قاسم السعيد وجماعته تحديداً، وقفوا مع السراح في صراعهم ضد الرشيد، والذين عادوا في محاولتين بقوة، فشلت في الأولى، ونجحت في التالية ليعيدوا السيطرة على الجوف؛ أما في عام ١٨٧٠م، فالقوتان الخارجيتان هما الأتراك/ الرشيد، وإن لم تخلُ الأولى (الأتراك) من صلة بعناصر من «الشعلان/ سطام و/ أو هزاع، وإن كان بصورة محدودة جداً ومتخفية في دور ما لهم بدعوة الأتراك للسيطرة على الجوف).

نود التشديد على نقطة هامة، وهي، وكما ألمحنا لها سابقاً، فإنه وبعد الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠/ ١٨٧١م)، سيتحوَّل انقسام مجتمع الجوف (في دومة الجندل على وجه التحديد) على محور الصراع، بين حلف وحلفاء «الدرع» من جهة، وبين حلف وحلفاء «السراح» من جهة أخرى، إلى انقسام في مجتمع الجوف ككل (أي في سكاكا ودومة الجندل) ليصبح محور الصراع الأهلي، بشكله العام، هو بين حلف القرشة من جهة وبين حلف المعاقلة من جهة أخرى، وعلى نحو متقابل، وإن يكن هذا لا يعني، ولا يستبعد، عدم وجود صراعات بين أطراف (جماعات فرعية و/ أو رئيسة و/ أو بيوتها وزعاماتها) من داخل أي من الحلفين، أو أية أحلاف أخرى على أية حال، وهو ما يعني أن الحرب الأهلية بالجوف ليست بالضرورة ودائماً هي بين القرشة والمعاقلة، أو انعكاساً دائماً لصراعات بينهما، وإن كانت بعض من حالاتها الكبرى هي بالفعل كذلك مباشرة، وإن لم تخلُ هي كذلك أحياناً من تداخل مع و/ أو تدخل من أطراف وقوى خارجية، فالاصطفافات المحلية المتقابلة تجاهها. وفي سياق هذا التحول في محور الصراع الأهلي وبالموازاة معه، سنلاحظ أيضاً أنه ومنذ ما بعد ١٨٧٠م تقريباً فصاعداً وحتى آخر حالة حرب أهلية بالجوف في عام ١٩٢٢م، فإن مركز الثقل لمعظم الصراعات الأهلية، إن لم يكن كلها، سينتقل من دومة الجندل إلى سكاكا. يستثنى من هذه القاعدة فترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٥م، وكل من سنة ١٩١٩ و١٩٢١م، حيث كان هناك بعض الصراعات الأهلية، وإن بصلة بأطراف خارجية، في تداخل وتزامن فيها بين سكاكا ودومة الجندل.

٣ ـ تمرد ١٨٥٣م: وهو، وإن كان في جذوره صراع السراح/ السراح (بين بيوت السراح أنفسهم)، فإنه في تمظهره الخارجي والنهائي هو ضد «حالة قائمة» لسلطة وحكم الرشيد، والتحرر والخلاص منها وجورها وتعسفها، حتى لو تطلب صراعاً مع القريب (ابن العم/ بيت السراح الآخر)، وكذلك وإن تطلب الأمر و/ أو أفضى إلى الاستعانة بقوة خارجية وببعض عناصرها (الشعلان) على محدوديتها. ورغم أن الجوف (دومة الجندل) كانت منقسمة آنذاك بين الدرع وحلفائهم من جهة، وبين السراح وحلفائهم من جهة أخرى، إلا أن تفاعلات التمرد على سلطة وحكم الرشيد شملت دخول ومشاركة مجموعات كبيرة من أهالي الجوف (دومة الجندل وسكاكا) نصرة للسراح، وقتالاً لقوات الرشيد في أكثر من معركة ضد معارك الرشيد في كل من دومة الجندل وسكاكا، وفي محاولتين لـ «الرشيد» متتاليتين لاستعادة الجوف، فشلت بالأولى ونجحت في الأخيرة بسحق التمرد فانتزاع الجوف وإعادة السيطرة عليه. كان ثمن «الحرية والتحرر» الذي قاده السراح والتفّ معهم غالبية أهالي الجوف في دومة الجندل وسكاكا، كبيراً على الجوف وأهلها، وخاصة على السراح، فقد دمرت بيوت ومزارع وممتلكات بما فيها مصادر

المياه (الآبار/القلبان) من شارك منهم والقريبين منهم، وأعدم العشرات، فضلاً عن اعتقال عدد منهم وسجنهم في حائل لمدة ٦ سنوات أو في حدودها (للتفصيل راجع مناقشاتنا لواقعة «صراع السراح/السراح وتمرد ـ ١٨٥٣م» ضمن قسم واقعات الحرب الأهلية بالجوف، في مكان آخر من الدراسة).

٤ ـ **الحملة التركية على الجوف (١٨٧٠م) وتمرد أهل الجوف** في سياقها: رغم ما قيل لدور ما، وهو غير مؤكد، لأهالي الجوف أو لعناصر منهم في دعوة الأتراك، فإن قدوم الأتراك للجوف في ١٨٧٠م والسيطرة عليها يبدو تم بمعزل عنهم وبدون معرفة و/أو تشاور معهم. ومع ذلك فإنه ومع قدوم الأتراك يبدو أن موقف أهالي الجوف، أو بعض منهم و/أو زعاماتهم من الحملة التركية وتواجدها، في الاستقبال و/أو التعاون معهم، وربما، الترحيب بهم كقوة موازنة للرشيد، شكل دون لبس حالة تمرد على «حالة قائمة»، ألا وهي سلطة «الرشيد» والتحرر والخلاص منها، ولذلك عندما فشلت و/أو انسحبت الحملة والقوة التركية وانشق ما تبقى منها، كان الثمن باهظاً وباهظاً جداً على أهل الجوف وزعاماتها وأفراد ها، وخاصة على بعض منهم، الذين صنفوا على أن لهم موقفاً إيجابياً من الحملة التركية. تم اعتقال أكثر من ثمانين رجلاً من رجالات الجوف (في دومة الجندل وسكاكا)، وتم إعدامهم جميعاً تقريباً (قيل إن هناك واحداً منهم استثني من الإعدام ليروي الحكاية لاحقاً، ترويعاً وإرهاباً لأهالي الجوف!) ورميهم في رمال النفود في مكان يقال له «المديرس»، فكانت ما عرف بواقعة «المديرس ـ ١٨٧١م» وملابسات تداخلها بعناصر ذات صلة بمحور الصراع الأهلي الناشئ للتو في سكاكا بين القرشة والمعاقلة، بديلاً وحاوياً لمحور الصراع بين الدرع والسراح في دومة الجندل. لاحظ أيضاً أن أهالي الجوف ومع تزايد عسف الحملة التركية لاحقاً من خلال اهتمام القائمقام الجديد حسين الشركسي بفرض وجمع جبايات وضرائب متزايدة على الأهالي، أخذ الأهالي بالتململ ومحاولة التخلص من «الحالة القائمة» (السلطة التركية الجديدة)، فضلاً عن ما سبقها من تململ من ورفض الأهالي لمآلات وتوجهات الحملة التركية بالتوجه بفرض مزيد من الضرائب مقابل الحماية للجوف التي توفرها القوة التركية، والتي تبدت وظهرت قبيل الاتفاق وبالتزامن معه، والتواطؤ عليه بين محمد سعيد باشا (قائد الحملة التركية) وابن رشيد (محمد العبد الله الرشيد) آنذاك، لإيجاد مخرج للأتراك للتنصل من مسؤولية حماية الجوف وأهلها، وفي المقابل الضغط على أهل الجوف (من الطرفين، وإن قيل إنها فكرة ابن رشيد محاباة منه للقائد التركي!) لقبول تخلي الأتراك عن حمايتهم والقبول بالعودة مجدداً لسلطة «ابن رشيد»، وهو ما تم فعلاً. ما يهمنا من الأمر (أمر الحملة التركية ١٨٧٠م، بما فيها مآلاتها والاتفاق والتواطؤ عليه) هو في فكرة ونزعة الحرية والتحرر لأهالي الجوف من وتجاه «الحالة/السلطة القائمة» ومدى تعسفها وطغيانها، وسواء كانت موجهة في بداية وتفاعلات هذه الحالة (الحملة التركية) بقبولها كـ «حالة جديدة» بديلة وضد سلطة وحكم «الرشيد» (حالة قائمة غير مقبولة) والتخلص من الأخيرة، أم كانت موجهة في النهاية بالانقلاب على «الحالة الجديدة» (سلطة الأتراك) والتخلص منها بالعودة إلى «سلطة وحكم ابن رشيد» مجدداً، عندما رأى الأهالي عسفاً وجوراً غير مقبول من الأتراك وممثل سلطتهم في الجوف؛

٥ ـ **واقعة أو كون الظلي ـ ١٩٠٧م**: الواقعة في ملابسات وقوعها، وأخذاً بالاعتبار رواية كل من القرشة والمعاقلة عنها وحولها، تتضمن جزئياً حالة من التحرر والخلاص من «حالة قائمة». ففي رواية

القرشة، هي قيام على «حالة قائمة» ممثلة في السلطة الخارجية المتحكمة (الرشيد) وذلك في سياق ما قيل عنه إنه قيام عام «مفترض متوافق» عليه من أهالي الجوف (القرشة والمعاقلة في سكاكا) ضد القوى الخارجية المتدخلة في الجوف القائمة (الرشيد) و/أو الطامحة له (الشعلان) للتخلص منها جميعاً، لكن المعاقلة تخلفوا عن الأمر و/أو الاتفاق. وفي رواية المعاقلة، في المقابل، والتي ينكرون فيها أي اتفاق مفترض وسابق مع القرشة، هي قيام القرشة ضد «سلطة وحكم الرشيد» انتقاماً منها لتحيّزها لصالح «خليفة السهيان» في تسلم «مشيخة القرشة عموماً والضويحي خصوصاً» ضد ابن أخيه عساف شكر السهيان، والذي اعتبر، بدعم وتأييد على ما يبدو من غالبية من جماعة القرشة، أن «مشيخة القرشة» حق حصري له. في النهاية، وقع التصادم بين القرشة والمعاقلة، وكان على ما يبدو حتمياً، وبغض النظر عن مدى صحة وحقيقة الروايتين من الطرفين، وبغض النظر عن مستهدفات التحركات للحركة في بداياتها و/أو في تفاعلاتها؛ حتمياً لأنه، وإن كان القرشة رغبوا في الاستقلال عن والتخلص والتحرر من «سلطة قوة خارجية»، أو الانتقام منها، وكانت آنذاك هي سلطة وحكم (الرشيد)، وهذا جزئياً يمكن اعتباره ضمن العامل الثقافي النفسي أقله على مستوى القرشة، فإن المعاقلة في ردة فعلهم على حركة القرشة هي، في المقابل، حركة تبدو أنها تستهدف رفض تغيير «الحالة القائمة»، خوفاً من أن التغيير، إذا ما تم، سيكون على حسابهم، وبالتالي منعاً له، وحفاظاً على «التوازن والتساوي في المكانة»، مع القرشة كجماعة مقابلة، وإن تطلب الوقوف مع سلطة خارجية، لم تكن يوماً من الأيام، وخاصة في ما سبق فيما بين ١٨٣٨م وصيف ١٩٠٧م، حليفاً لها أو متحالفة معها، ونصرة لجماعة «الشلهوب» التي كانت تتخذ السلطة الخارجية في حيها مقراً لها. طبعاً موقف المعاقلة من القرشة والتصادم معها حول «الحالة القائمة» في واقعة «كون الظلي ١٩٠٧م»، يحيلنا إلى عامل حاسم في الصراعات الأهلية بالجوف، وهو يتعلق أساساً بأهمية وفاعلية حالة وفكرة «المساواة/ الندية» المتولدة بنيوياً في الغالب عن نمط اقتصاد حد الكفاف ومجتمعه غير المتراتب اجتماعياً و/أو طبقياً، كمحرك قوي للتنافس والصراع البيني (بين الأفراد والنخب والجماعات من داخل الجماعة الواحدة و/أو من خارجها فيما بينها). ومع ذلك فإن التصادم حول «حالة قائمة» بالرفض والقبول في نفس الوقت من أطراف و/أو جماعات متقابلة فرعية و/أو رئيسية، وإن اتصل بحالة ونمط اقتصاد حد الكفاف فمجتمع المساواة، و/أو تولد عنها في جزء كبير منه، فإن التصادم على محور «حالة قائمة» بين أطرافه (مع وضد) ولمدة طويلة، يكون، ولو جزئياً، متولداً من وعن حالة ثقافية/ نفسية، متراكمة تاريخياً، في التوازن والتقابل؛ فهي حالة ثقافية تسعى إما للخلاص والتحرر من «الحالة القائمة» بعناصرها ومكوّناتها وارتباطاتها الداخلية و/أو الخارجية، واستبدالها بـ «حالة» أخرى مقبولة، أو هي حالة ثقافية نفسية تتحرك رفضاً لتغيير «الحالة القائمة» لما تعتبرها «حالة مقبولة» في معطيات الواقع وحده الأدنى، وأن أي تغير أو تغيير فيها لن يكون إلا على حسابها.

٦ ـ **حرب وصراعات فوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)**: في معارك حرب الشعلان للسيطرة على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)، والتي اتسمت بقدر عالٍ من الفوضى والحدة، كان الاصطفاف الأهلي بين أهالي الجوف على جانبي محور الصراع (مع وضد)، على التالي: (أ) ـ وقف القرشة بالتحالف مع الرشيد وقوة الحماية لهم آنذاك، وكانت مقاومة تواصلت منذ ١٩٠٩م وحتى تقريباً ١٩١٤م

ضد الشعلان، وحلفائهم المعاقلة، رغم أن الشعلان استطاعوا الاستيلاء على الجوف وانتزاعها بحدود نهاية ١٩١٠ وأوائل ١٩١١م. كانت مقاومة القرشة (في سكاكا و/ أو في دومة) لقوة وسلطة الشعلان، هي في جانب منها تعبر عن رفض تغيير «الحالة القائمة» السابقة (حيث سلطة وحكم الرشيد)، لما اعتبروه ربما تغييراً على حسابهم ولصالح «المعاقلة»، وبما يعني تغييراً في المكانة والنفوذ، عبر قيام «حالة جديدة»، وفي جانب آخر هي مقاومة للخلاص والتحرر من «الحالة الجديدة» المتكونة (سلطة وحكم الشعلان). في المقابل المعاقلة في كل من سكاكا ودومة الجندل، اصطفوا مع «الشعلان» في حربهم مع قوة الرشيد الباقية وحلفائهم من القرشة هنا وهناك، للتخلص والتحرر من «حالة قائمة» كانت تابعة لـ «الرشيد» ولصالح القرشة، ودعماً لقيام حالة «جديدة بديلة»، علماً أن القرشة وقبيل أقل من سنتين، وتحديداً في عام ١٩٠٧م وعلى خلفية واقعة «كون الظلي»، كانوا في خصومة مع الرشيد وسلطتهم القائمة، بينما المعاقلة، وفي تلك السنة ذاتها، وواقعتها «كون الظلي»، اصطفوا مع سلطة الرشيد، وتثبيتاً لـ «الحالة القائمة» وسلطة الرشيد آنذاك (١٩٠٧م). في الحالين، نحن إذن أمام نوع من حالة ثقافية نفسية للتحرر والخلاص من «حالة جديدة» وسلطة تفرض (القرشة ضد الشعلان وحلفائهم المعاقلة)، مقابل التخلص والتحرر من «حالة قائمة» كما هم المعاقله ضد الرشيد وحلفائهم القرشة). ورغم حالة الخلاص والتحرر من «حالة ما» (قائمة/ أو بديلة) من أي من الطرفين (القرشة والمعاقلة)، إلا أن المثير في الأمر هو حالة الارتماء المتبادل منهما (المعاقلة والقرشة) في أحضان قوة خارجية فالإرتهان لها، بل ورهن الجوف كلها وأهلها لها؛ المعادلة هي حلقة مفرغة تتمثل في أنه ما إن يتم الخلاص من قوة وسلطة خارجية، إلا لتحل محلها قوة وسلطة خارجية أخرى، وبدور من أطراف أهلية متنافسة. وكما كان الثمن باهظاً لـ «السراح» في محاولة التخلص والتحرر من سلطة وحكم الرشيد في تمرد عام ١٨٥٣م، كان الأمر كذلك باهظاً لـ «القرشة» في مقاومتهم لـ «الشعلان»، حيث أقدم الشعلان على ممارسات قمعية قاسية تمثلت بتدمير للممتلكات والمزارع، فضلاً عن الإعدامات التي طالت عدداً من رجالات القرشة في الجوف، وخاصة في سكاكا، وما اتصل بهجرة لهم (ما عرف بـ «هجّة القرشة») إلى حائل استمرت سنة أو في حدودها تقريباً، خوفاً من انتقام مماثل لموقفهم الداعم لحملة في عام ١٩١١م، أو في حدودها، من قبل الرشيد بقيادة زامل السبهان على الجوف وضد الشعلان وحلفائهم المعاقلة وفي محاولة لاستعادة الجوف وانتزاعها، وإن لم يكتب لها النجاح.

٧ ـ **صراعات الرشيد/ الشعلان على الجوف ١٩١٩م،** والاصطفافات الأهلية والصراع الأهلي في سياقها: وكما الحال في الحالات السابقة أو قريباً منها فيها، من حيث نزعة وبحث أهل الجوف عن الحرية والتحرر من والاستقلال عن «حالة قائمة» (سلطة ما) متغوّلة طاغية، فإن الأمر لا يختلف كثيراً في ما يتعلق بالصراع الأهلي الناتج والمصاحب لاصطفافات أهلية على محور صراع الرشيد/ الشعلان على الجوف ١٩١٩م. ورغم أن الصراع ١٩١٩م هو في تمظهره الخارجي بين قوتين متنافستين على الجوف من خارجه، فإن دخول مجاميع من أهالي الجوف ضد بعضهم البعض بالاصطفاف على محور الصراع ١٩١٩م، يمثل في جزء منه محاولة البعض التخلص من «حالة/ سلطة قائمة»، وإن تطلب و/ أو اضطرهم لاستبدالها بقوة وسلطة خارجية أخرى لتقوم حالة جديدة مقبولة. الصراع في عام ١٩١٩م بين الرشيد والشعلان، في هذه الحالة أتى على خلفية قيام المعاقلة بالتخلص والتحرر من سلطة لـ «الشعلان»

اعتبروها، في شخص ممثلها بالجوف (منصوب بن شعلان)، آنذاك «حالة غير مقبولة»، فقاموا بالتمرد والانقلاب عليها وقتل ممثلها في الجوف (عامر المشورب) في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، وتحوّطاً لمآلات الأمر من ردة فعل قاسية من الشعلان كان لا بد من موازنتها بقوة خارجية منتظرة متحفزة، فكان دخول وعودة الرشيد للجوف لانتزاعها والسيطرة عليها مجدداً، وإن قيل إنه تم عبر تواطؤ مع بعض الأهالي و/ أو زعامات فيها. ورغم أن المعاقلة تاريخياً كانوا حلفاء لـ «الشعلان»، بينما القرشة، في المقابل، كانوا تاريخياً حلفاء لـ «الرشيد»، فإن الاصطفاف الأهلي في صراع الرشيد/ الشعلان ١٩١٩م، لم يكن صراعاً بين المعاقلة والقرشة، وإنما بين مجاميع وأفراد من خليط من مكوّنات ومجموعات أهالي الجوف في سكاكا وفي دومة الجندل، ذلك أن جماعة القرشة، على العموم والجملة، لم ينخرطوا في الصراع عينه، ووقفوا على الحياد لأسباب سبق أن تحدثنا عنها (للتفصيل راجع قسم العلاقة بين الجوف والدولة السعودية)، وإن كانوا في الغالب ليسوا ضد التخلص من «سلطة وحكم الشعلان، بل ربما مرحّبين بهذا الخلاص منها وبقدوم الرشيد لتشكل حالة/ سلطة جديدة في حال نجاحها ضد الشعلان. لنتذكر أن القرشة كانت لهم محاولة في عام ١٩١٧م تقريباً للإطاحة بحكم وسلطة الشعلان والتخلص والتحرر منها، ولكنها أُجهضت ولم يكتب لها النجاح. من هنا نرى أنه ورغم أن القرشة لم يشاركوا و/ أو رفضوا المشاركة مع المعاقلة في القيام على الشعلان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، ووقفوا على الحياد في صراع الرشيد/ الشعلان ١٩١٩م، ورغم أن المعاقلة كانوا مصطفين في هذه الحالة مع الرشيد وضد الشعلان، فإن المعاقلة والقرشة، على ما بينهما من فوارق في الموقف المباشر كانوا في حقيقة وجوهر الأمر يسعون في تحركهم و/ أو ترقبهم للأمر إلى التخلص والتحرر من سلطة وحكم الشعلان، وإن بثمن قدره ومقداره قيام حالة/ سلطة جديدة لـ «الرشيد» كقوة خارجية بديلة. في نهاية الأمر ومع تشرين الأول/ اكتوبر ١٩١٩م تم التخلص والتحرر من سلطة وحكم الشعلان ليحل الرشيد محلهم!.

٨ ـ **في عام ١٩٢٠م**(؟) كانت هناك محاولات، وإن فشلت، من الشعلان لجس النبض في الجوف وقوة الرشيد، فقاموا بمحاولات اختراقية (واقعة أو كون الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م، في سكاكا، واختراق موازٍ بنفس الوقت تقريباً في دومة الجندل، وما تبعها بما عُرف بـ «هجة الغرب»)، بالتعاون مع عدد من أفراد ومجموعات صغيرة من أهالي الجوف (في سكاكا ودومة الجندل). هذه المجموعات من أهالي الجوف المتحالفة مع «الشعلان» وضد سلطة «الرشيد» القائمة، آنذاك (١٩١٩ ـ ١٩٢١م)، وإن كانت محدودة العدد وضمن مجموعات فرعية صغيرة، كانت هي الأخرى في تصوراتها تسعى للتخلص من حالة قائمة (الرشيد) واستبدالها بحالة أخرى جديدة (الشعلان)، لكنها في ضوء قدرات وتمسك الجماعات الكبرى من الأهالي بـ «الحالة القائمة»، لم يكن بمقدور لا الشعلان وقوتهم، ولا بمقدور وقوة القليل المتحالف معهم من الأهالي تغيير الحالة والوضع القائم. ورغم أن هذه الحالتين (١٩٢٠م؟) من الصراع الأهلي تعتبر في جوهرها محدودة جداً في سياق الاصطفاف والصراع الأهلي على محور خارجي، إلا أن أثمانها كانت باهظة جداً، على المشاركين فيها اصطفافاً مع الشعلان، وخاصة من قبل سلطة «الحالة القائمة» (الرشيد)، والتي رأت في تحركهم مع الشعلان، محاولة للانقلاب وتمرداً عليها، فكانت إعدامات في سكاكا (في حي المطر)، وتشريد (ما عرف بـ «هجة الغرب» في دومة الجندل)، وسجن في حايل، لأفراد من مجموعات فرعية من أهالي دومة الجندل.

وأخيراً **٩ ـ حرب المعاقلة/ المعاقلة**، أو ما عرف بحرب (الراشد/ المويشير)، فهي وإن كانت في جذورها صراع بين راشد القايد ورجا المويشير على «مشيخة الراشد»، ومحاولة من الطرفين أو أحدهما للتخلص من «حالة قائمة» غير مرغوب بها، وإن كان هذا الصراع بين الراشد والمويشير يعود إلى ما بعد وفاة فلاح الشردان مباشرة في سنة ما من ١٨٩٠sم؟، فإن هذه الحالة من الحرب الأهلية، هي في تمظهرها الخارجي، وتفاعلاتها كانت هي الأخرى محاولة للتخلص والتحرر من بعض من أهل الجوف وبالذات في سكاكا وتحديداً جزءاً من المعاقلة (إلى الغرب والجنوب من سيل الغدير/ الهذال) من حكم وسلطة «الشعلان» القائمة آنذاك، وتحالفاتها وأطرافها المحلية آنذاك. وحيث إن غالبية أهالي الجوف في دومة الجندل وسكاكا وقارا والطوير، بما فيهم غالبية المعاقلة في سكاكا، كانوا، آنذاك، وفي تلك الحرب (١٩٢٢م) في اصطفاف وتحالف مع الشعلان، وفي محاولة لتثبيت «حالة قائمة» وأوضاعهم في سياقها، وربما في سياق غموض في «أوضاع ومستقبل الجوف واتجاهاته»، كان التحرك للخلاص والتحرر منها (الحالة القائمة) من قبل بعض الأهالي، ولكي ينجح، كان لا بد من أن يمر عبر توافق أهلي (من المعاقلة والقرشة) تم بهدوء بين زعامات جماعات رئيسة في كل من سكاكا ودومة الجندل، تجاه قوة موازنة وبديلة لـ «الشعلان»، وكذلك لـ «الرشيد» كـ «حالة ممكنة العودة»، علماً أن الرشيد كانوا في هذه الوقت والمعطيات في حالة انكفاء وانحسار وتآكل تقترب من الانهيار والسقوط. من هنا كان الخلاص بالتوافق والوفاق الأهلي المشترك بالتوجه نحو قوة صاعدة جديدة (آل سعود)، موازنة، بل بديلة لكل من الشعلان والرشيد، والتي ستصبح، بناء على هذا التوافق والوفاق الأهلي، الحالة القائمة في الجوف منذ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٢٢م تقريباً فصاعداً.

ورغم أننا في مناقشتنا للحرب الأهلية والصراع الأهلي وبتداخله مع نزعة تراكمية لدى أهالي الجوف بالحرية والتحرر من والاستقلال عن حالة/ سلطة قائمة ظالمة داخلية كانت أو خارجية، وإن كانت لا تخلو من تداخل و/ أو هيمنة طرف خارجي على مسار ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م تقريباً، نتوقف عند عام ١٩٢٢م حيث آخر حالات الحرب الأهلية بالجوف، إلا أنه يمكننا التجاوز إلى الحالة القائمة (ما بعد ١٩٢٢م فصاعداً ـ الدولة السعودية الثالثة) وتسجيل ملاحظة في السياق نفسه، لنقول: إن هذه «الحالة القائمة»، ورغم الاستقرار العام فيها، وغياب الصراع الأهلي المتجاوز للرمزي فيها وبالجوف تحديداً، فإنه وبسبب من تراكم عدم عدالتها وجورها وفساد ممارسة إدارة حكمها المحلي الذي بدا واضحاً للعيان وللأهالي منذ العقد (١٩٥٠sم)، فإنها هي الأخرى لم تسْلم، كذلك، من محاولات أهالي الجوف، عبر مطالب وتحركات جماعية، فضلاً عن الفردية، من حين لآخر وإن لم يكتب لها النجاح، وانطلاقاً من إيمانهم بالحرية والتحرر، بالتخلص من الحالة القائمة «الظالمة» وتغييرها و/ أو إصلاحها إلى «حالة جديدة و/ أو مجددة» يسودها العدالة والإنصاف والمساواة في تحقيق وتعميم التنمية المتوازنة الشاملة وما تتطلبه من مشاركة ومحاسبة ومكافحة للفساد والمفسدين. إن تواصل الحالة القائمة (الدولة السعودية الثالثة) بكل عيوبها الظاهرة و/ أو الباطنة، وبدون الدخول في محاولة إصلاحها، إصلاحاً سياسياً دستورياً ومؤسساتياً على نحو جذري، من خلاله يتم تحقيق ورعاية وتواصل العدالة والحرية والكرامة للمواطنين جميعاً دون تمييز، وبما يعنيه ويشمله من تحقيق وتعميم للتنمية الشاملة المتوازنة لكل فئات الشعب

ومناطق البلد، للجوف وغيرها، فإنه يعني في ما يعنيه أن هذه الحالة/ الدولة تتجه إلى نهايتها وحفر قبرها بيديها، وقد تولد معها حالة من صراعات أهلية ربما يرتد بعضها إلى تاريخيته في جانبها السلبي. على أن هذا الاحتمال للصراع الأهلي وارتداداته التاريخية المحتملة، لا يجب أن يُتخذ ذريعة من الدولة/ السلطة (الحالة القائمة) ذاتها بأن تطلب من الناس/ الشعب أن يختاروا بينها وتواصلاً لاستمرار الوضع القائم كما هو دون تغيير و/ أو أصلاح من جهة، وبين التلويح بالفوضى والصراع في المقابل من جهة أخرى، وكأننا أمام حالات «الربيع العربي منذ نهاية ٢٠١٠ فصاعداً: بن علي «تونس» أو مبارك «مصر»، أو قذافي «ليبيا»، أو حتى بشار «سورية» (أنا والأمن أو الفوضى)! الكرامة والحرية والعدالة مقدمة على كل شيء، وهي المولدة للأمن، العكس (أي الأمن وفرضه عنوة) لم يكن يوماً من تاريخ البشرية صحيحاً في توليد الكرامة والعدالة والحرية. إن السلطة (الحالة القائمة) مسؤولة في كل الحالات؛ فهي، بالقائمين عليها، تتحمل تبعات مخرجات سياساتها. على أية حال نحن لا زلنا أمام وفي الحالة الافتراضية، ولكنها في سياق السيرورات التاريخية للدول في قوة تواصلها و/ أو في ضعفها وانهياراتها الحتمية في النهاية لا تخرج عن معادلاتها. وفي النقطة الأخيرة، والمتعلقة بمطالب وتحركات أهل الجوف تجاه الدولة السعودية الثالثة، هناك تفصيل فيها وحولها في معالجة منفصلة متصلة بـ «المسألة الثقافية» في مكان آخر من الدراسة.

في الخلاصة نقول: أولاً، إن متغير الحالة الثقافية النفسية من حيث النزعة للتحرر والحرية والاستقلالية عند أهالي الجوف، يكون أكثر قوة وحضوراً في الواقعات التي فيها «تداخل مع طرف خارجي (قوة/ سلطة خارجية: من خارج الجوف وأهلها). وثانياً فإن الحالة الثقافية النفسية ونزعتها بالتحرر والخلاص والاستقلال عند أهالي الجوف، أفراداً وجماعات، يبدو أنها في فاعليتها في الصراع الأهلي، بغض النظر عن مستوى وقوة الصراع ذاته، هي أكثر وضوحاً وبروزاً، ليس في ذاتها ولوحدها وإن كان هذا صحيحاً في بعض الأحيان والحالات كما ورد وفصلنا فيه آنفاً، وإنما في: ١ ـ تداخلها وعند تلاقحها مع ومساندتها (كعامل مساعد)، لمفهوم ومتغير «المساواة/ الندية» في توليد حالة من «تنافس تصادمي» غير مساوم لتثبيت وتعديل و/ أو تصحيح «لعلاقة ما» (المكانة و/ أو النفوذ) بين الأطراف المتنافسة/ المتقاتلة من الأهالي و/ أو بما يولد القتال والصراع الأهلي الفعلي بينها، جماعات كانوا أو أفراداً ونخباً، من داخل الجماعات و/ أو فيما بينها من خارجها من المجتمع الكلي للجوف؛ ٢ ـ وبفاعلية وقوة ذاتية أكبر، وأن لا تستبعد التعاضد مع عوامل أخرى، لمقاومة «حالة قائمة» (سلطة) غير مرغوب بها، والتخلص والتحرر منها، وخاصة عندما يكون طرفها الرئيس فيها من خارج الجوف (قوة/ سلطة خارجية)، و/ أو بتحالف فيها بين الخارج والداخل.

هـ ـ في العوامل الديمغرافية والعسكرية والحرب الأهلية بالجوف

١- **في السلاح والتسلح وتوازن القوى**: في الغالب الحروب والصراعات، بما فيها الأهلية، تقع لتوفر معطيات متصلة باختلالات في العوامل الديمغرافية والعسكرية والتي تشمل على اختلالات في عناصر القوة وتوازناتها (سلاح وتسلح، وتوازنات القوى عسكرية و/ أو بشرية «ديمغرافية»)، بين الأطراف و/ أو الجماعات المتقابلة، وسواء كانت تلك الاختلالات حقيقية و/ أو في التصورات والإدراكات لها،

والتي غالباً ما تكون تصورات أو إدراكات خاطئة من قبل الأطراف المتقابلة (المتصارعة) و/ أو أحدهم. هذه الاختلالات في توازن القوى، وخاصة العسكرية (السلاح)، تصوراً أو حقيقة، قد تغري الأطراف، أو أحدها، أو على الأقل عناصر و/ أو نخباً أكثر تطرفاً فيها، باللجوء إلى القوة في حل أية إشكالية مع الطرف الآخر المقابل، أو بالتوجه نحو مزيد من التسلح بين الطرفين فتتكون حالة من «سباق تسلح» مفضية، في لحظة ما، إلى التصادم العسكري (إغراءً وأخطاءً في التصورات/ الإدراك، و/ أو بفقدان السيطرة على الأمر). نظرية «سباق التسلح» هي من ضمن نظريات مستخدمة في فهم وتفسيرات الحروب الدولية و/ أو بعضها على الأقل. ورغم أننا هنا نتحدث عن حرب أهلية في الجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وهي أيضاً، وكما قدمنا في البداية، حرب أهلية لم تكن حقيقة في سياق دولة قائمة، وإن حدثت في سياق بنية قوة/ سلطة ما (خارجية)، فإننا بالإشارة إلى «سباق التسلح» لا نوظفه هنا على نحو حرفي، وإنما نحاول، في سياق الحديث عن السلاح والتسلح وصلتها بالصراعات، الاستفادة من أية مفاهيم و/ أو نظريات يمكن أن تساهم في فهم وتفسير أفضل للحرب الأهلية بالجوف وحالاتها، كلية و/ أو جزئية.

بالرجوع إلى واقعات الحرب الأهلية وفي ما يتعلق بالسلاح، وبما ورد عنها من بيانات ومعلومات، وإن كانت محدودة، مختصرة في الجدول الرقم (٣)، نسجل الملاحظات والنقاط التالية: من ٩ إلى ١٠ حالات من الـ ١٢ حالة للحرب الأهلية بالجوف، المدونة في الجدول، استخدم فيها السلاح، علماً أن هناك حالات فرعية لم تدوَّن فيه، من مثل صراع ما بين الطالب من جهة وبين السرحان وحلفائهم الرولة ـ الدغمان من جهة أخرى في قارا، وكذلك صراع الرحيبيين/ الرحيبيين في دومة الجندل، وما اتصل في سياق الصراع الأخير، ربما في ثناياه أو قبله أو بعده بقليل، بصراع قيل إنه حدث بين الرحيبيين والمطر (قبل انتقال الأخيرين إلى سكاكا)، وفي سكاكا صراع بين النصير (رولة) من جهة وبين العلي (قرشة) من جهة أخرى، علماً أن النصير كانوا حلفاء لـ «القرشة»، وكذلك صراع المنديل/ الصالح من الشلهوب... إلخ)، حيث استخدم فيها السلاح، على نحو كثيف و/ أو محدود، ونتج عنها قتلى وجرحى ونزوح وارتحال طوعي و/ أو إزاحات قسرية). تلك الحالات التسعة أو العشرة، والتي استخدم فيها السلاح، كانت صراعات مسلحة عنيفة وكثيفة، باستثناء حالة «السمرة ـ ١٨٧٠sم(؟)»، من بينها، والتي، وإن استخدم فيها السلاح (بين القرشة والمعاقلة)، فقد كان على الأقل محدوداً. الحالتان اللتان لم يستخدم فيهما السلاح هما كل من واقعة «سيسرا ـ ١٨٨٠sم(؟)» وواقعة «مؤامرة ـ الجمعة ـ ١٨٨٠sم(؟)» وأطرافهما القرشة/ المعاقلة، علماً أن إحداهما، وهي واقعة «مؤامرة ـ الجمعة»، لم تقع فعلياً وإنما في كانت في إطار التخطيط والنوايا، وإن أحدثت أثراً نفسياً سلبياً يضاف على ما قبله من تراكم ثقافي نفسي عدائي بين الطرفين، ولكنها والأخرى، واقعة سيسرا، انطوت على إما عرض للقوة، كما هي الأخيرة (سيسرا)، أو تضمنت احتمال و/ أو إضمار نية مبيتة باستخدام أدوات من السلاح للقتل كما هي الأولى (مؤامرة ـ الجمعة)! في ما يتعلق بالـ ٩ حالات ذات الاستخدام الكثيف للسلاح فيها، فهي تشمل التالي:

(أ) **صراعات الدرع/ السراح ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م**: لاحظ أن السلاح المستخدم فيها في جزء منه أتى من خلال ما قدمته الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية إلى الدرع في صراعهم مع السراح، وخاصة في الثماني السنوات الأولى من الصراع بينهما قبيل وحول عام ١٨٠٠م، وربما امتد إلى ما

بعدها. لاحظ أن تقديم العون سلاحاً من الخارج، هو ما شجع، على الأقل، في تأجيج الصراع وفي حلزونيته، من خلال دعم طرف على حساب طرف آخر، وبما يعني اختلالاً بموازين القوى.

(ب) **صراع الدلهمية/ الجرعاوي ـ ١٨٣٨م**: وفي الخلفية صراع الدرع/ السراح: لاحظ أن السلاح استخدم فيه محلياً أولاً، ثم على ما يبدو بمعونة خارجية، وخاصة بتدخل الرشيد واستخدام القوة المفرطة في الغزو والاحتلال ودعماً لـ «الجرعاوي» وحلفهم الدرع وأهل خذما ضد الدلهمية وحلفائهم السراح، علماً أن هناك إشارات بتلقي أهل الدلهمية معونة، وإن محدودة، من عناصر من الشعلان !؟

(ج) **صراع السراح وتمرد ١٨٥٣م**: ورغم أن تمرد ١٨٥٣م في أصله كان صراعاً داخل أو بين بيوت السراح أنفسهم، واستخدم فيه السلاح ابتداءً على نحو محدود بينهما، إلا أنه تطور إلى صراع ضد الرشيد شارك فيه غالبية أهالي الجوف، واستخدم فيه السلاح بشكل مكثف، وخاصة من قبل الرشيد ضد الجوف وأهلها وفي محاولة لسحق التمرد وعلى مرحلتين متتاليتين، ونتج عنه قتلى وجرحى من قبل الطرفين، وخاصة من الأهالي على يد قوات وقوة الرشيد، وبالذات في المرحلة والمحاولة الأخيرة، فضلاً عن الإعدامات والاعتقالات لعدد من رجالات الجوف، وما لحق بهم من خراب وتدمير للممتلكات والمزارع والمياه، على يد الرشيد. لاحظ أن الرشيد، في المرحلة الثانية والأخيرة، وللتغلب على الخلل في توازن القوى لصالح أهل الجوف كما ظهر في المرحلة الأولى (تفوق أهالي الجوف عليهم بتحالفهم وعددياً وشجاعتهم وسلاحهم التقليدي)، استجلبوا واستخدموا سلاحاً جديداً فتاكاً، وهو «المدفع»، والذي أطلقوا عليه اسم «منصور»! هناك إشارات أن السراح في بدايات الصراع ربما تلقوا عوناً ومدداً من الشعلان، وإن كان على ما يبدو محدوداً، لكنه ربما في البداية شجع على إحداث خلل ما بالتوازن في القوى البينية، فشجع على تفاقم الصراع وتطوره عندما تم استدعاء الرشيد واللجوء إليهم من قبل الطرف المقابل المنافس من داخل بيوت السراح ومن معهم من أهالي الجوف (دومة الجندل) لموازنة الخلل وإعادة الأوضاع، ليتطور الأمر صراعاً وتمرداً كبيراً لعموم أهالي الجوف تقريباً (دومة الجندل وسكاكا) على الرشيد وسلطتهم في الجوف.

(د) **في الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م**: كان هنالك قتال مسلح كثيف بين قوة الأتراك وقوة ابن رشيد في المرحلة الأولى من دخول الأتراك للجوف. ورغم أن أهل الجوف لم يكونوا طرفاً مباشراً فيه، إلا أن عناصر منهم قد لا يستبعد اشتراكها مع هذا الطرف (الأتراك) أو ذاك (الرشيد). وعلى أية حال، كانت الحملة ومآلاتها في النهاية وبالاً على الجوف وأهلها، حيث دمر ابن رشيد ممتلكات ومزارع ومصادر مياه، وأعدم ما لا يقل عن ٨٠ رجلاً منهم، في ما عرف بـ «واقعة ـ المديرس ـ ١٨٧١م»، والتي ساهمت على نحو ما في تكوّن ثقافة نفسية مشحونة بالعداء والخصومة بين المعاقلة والقرشة، من هنا فصاعداً. هذه الحملة التركية ـ ١٨٧٠م ونهايتها المأساوية في حدود عام ١٨٧١م، شكلت مرحلة وحالة فارقة».

(١) فمن جهة تم القضاء نهائياً على ما تبقى من مكانة ونفوذ النخب والعائلات التقليدية بدومة الجندل، وخاصة السراح، وحتى الدرع تم التقليص من مكانهم ونفوذهم بدرجة كبيرة. لنتذكر أنه وحتى عام ١٨٧٩م، وقت زيارة «الليدي آن بلنت» (Lady Anne Blunt) للجوف، كان «ولد» حسن الدرع

الأكبر رهينة في حائل، وربما على خلفية الحملة التركية وتوابعها، حيث تسجل «الليدي آن بلنت»، نقلاً عن عدد من محدثيها من أهل الجوف (دومة الجندل)، أحدهما حسين الذي كان يقارن بين السراح (الحبوب) من جهة وبين الدرع (حسن) من جهة أخرى، وبانحياز واضح للأخير، وإن ورد و/ أو نقل اسمه على أنه محسن الدرع، وهو خطأ، والمقصود به حسن الدرع، والشخص الآخر الذي تنقل عنه «بلنت» هو «محمد»، فتقول: «... ويقول حسين إن بيت الحبوب الذي ذكره المستر بلغريف موجود، ولكن أنبل العائلات هي عائلة محسن ابن درع، الذي كان شيخ الجوف في السابق، **ولكنه الآن أنزل إلى حالة واحد من رعايا الأمير**. وابن درع (يخبرنا محمد) ليس راضياً عن التغيرات السياسية في الجوف بأية حال، ولكنه يخاف أن يُظهر أكثر عدم رضائه، لأن محمد بن رشيد يحتفظ بابنه الأكبر رهينة ليضمن حسن سلوكه. ويقيم هذا الشاب في حائل، وهو هناك ليس سجيناً بالمعنى الحرفي، ولكنه لا يستطيع أن يعود إلى أصدقائه...» (بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٣١).

(٢) ومن جهة أخرى سينتقل مركز الصراع الأهلي من دومة الجندل إلى سكاكا، وليتلاشى أو ليتحول الصراع من صراع أهلي قطبي محوره سابقاً الدرع/ السراح، إلى صراع أهلي قطبي محوره القرشة/ المعاقلة في سكاكا، وحاوياً لاستقطابات الصراع الأهلي في دومة الجندل. فوق هذا وذاك، وفي الفترة ما بين ١٨٧١م وحتى ١٩٠٧م ومع القبضة الحديدية الشديدة، وفي ضوء الأثمان الباهظة التي دفعها و/ أو تحملها أهالي الجوف في أعقاب وتوابع الحملة التركية على الجوف ونكوص الأتراك عن حماية الجوف وأهلها من بطش الرشيد، وفي ضوء تبدلات و/ أو إحلالات في النخب والزعامات والمشيخات و/ أو النفوذ والمكانة، سوف تسود حالة من الهدوء، وغياب شبه كامل للصراع الأهلي بالجوف، باستثناء ٣ حالات كلها في سكاكا بين القرشة والمعاقلة، منها: حالتان، إحداهما فيها استعراضات للقوة (واقعة سيسرا ـ ١٨٧٠sم؟) لكنها لم تتحول أبداً إلى مسلحة، والأخرى حالة افتراضية «مخطط لها وفي النوايا»، ولكنها، ورغم أنها انطوت على احتمال كبير في استخدام أدوات من السلاح، فإنها على أية حال أُحبطت قبل التنفيذ، وهي واقعة «مؤامرة الجمعة ـ ١٨٨٠sم(؟)» الحالة الثالثة وشبه الوحيدة المستخدم فيها السلاح في هذه المرحلة، هي حالة محدودة الصراع عنفاً وسلاحاً مستخدماً، وهي واقعة «السمرة ـ ١٨٧٠sم(؟)».

(هـ) واقعة أو ما عرف بـ «كون الظلي ـ ١٩٠٧م»: استخدم السلاح فيها على نحو كثيف بين القرشة والمعاقلة، وكان الثمن باهظاً للجميع، وإنْ للقرشة بدرجة أكبر بكثير من المعاقلة. في هذه الواقعة، ـ ورغم وجود السلطة الخارجية (الرشيد)، لكنها في وضع ضعيف، على خلفية صراعات في مركزها ومقرها في حائل، وكانت (سلطة الرشيد) بذاتها مستهدفة على الأقل من جانب القرشة ـ، فإن الصراع أصبح أو تحول فيها سريعاً ليكون بين أطراف محلية في سكاكا، من جهة بين القرشة وحلفائهم من المطر ومعهم عناصر محدودة من الشلهوب، وبين المعاقلة وغالبية أهل الشلهوب من جهة أخرى. ليس معروفاً إن كان القرشة في هذه الحالة من حيث السلاح أكثر من المعاقلة أم لا، ولكن حيث الحالة الاقتصادية تبدو متقاربة فالمتوقع أن الجماعتين تبدوان متكافئتين. ولكن حيث إن القرشة من ناحية عددية (بشرياً) أكثر من المعاقلة، وحيث إن كل عائلة ربما لا تخلو من سلاح ما، فإنه ليس مستغرباً أن يكون هناك عدم توازن بين

الطرفين من ناحية عدة وعدد السلاح. على أية حال، وحيث إنه في توازن القوى بين الأطراف المتصارعة خاصة في الصراعات التقليدية، فإن السلاح والبشر يدخلان في المعادلة، فإنه من حيث التوازن في القوى ديمغرافياً (عددياً/ بشرياً) بين أطراف الصراع الأهلي، وهو ما سنفصل فيه لاحقاً، يبدو أنه في ما يتصل بواقعة «كون الظلي ١٩٠٧م»، ومنذ ما قبل هذه الواقعة وما بعدها، هو لصالح القرشة، سواء في تحركهم نحو الشلهوب» والتفرد بهم، استهدافاً لهم وأو عبرهم لسلطة الرشيد المتخذة من حي الشلهوب مقراً لها، أو في المقارنة مع المعاقلة باعتبارهم حالة اجتماعية ذات سيولة، أي مكوّنة من مجموعات فرعية لا تبدو متجانسة اجتماعياً كما هي القرشة. من هنا، وبغض النظر، عن المحرك الحقيقي للمواجهة بين الطرفين، سواء تعلق بالمكانة والنفوذ و/ أو تصحيحاً لها ولعلاقة ما قائمة أو بديلة أو تثبيتاً لها ورفضاً للمساس بها، وارتباطاتها في بنية الاقتصاد فالاجتماع والثقافة في مجتمع وجماعات الجوف عموماً وفي سكاكا خصوصاً، كانت المواجهة للتوازن تتطلب تفعيل الحلف العريض داخل المعاقلة نفسها أولاً، وتالياً مع الشلهوب، لحاجات ومصالح متبادلة/ مشتركة و/ أو متوقعة، لموازنة ما بدا كأنه خلل في توازن القوى، أو منعاً لعدم أن يتحول الخلل ومن خلال الواقعة ومآلاتها، إلى حالة فيها ضرر بمصالح ومكانة ونفوذ كل من المعاقلة والشهلوب منفردين و/ أو مجتمعين. في هذه الواقعة لاحظ أن هناك مجموعة مما يطلق عليهم المشاهدة، وهم من العراق ويعملون في الغالب في التجارة، والبعض الآخر يعمل كتبة (كُتاب) عند ممثل سلطة الرشيد القائمة آنذاك في الجوف (ممثل ابن رشيد في سكاكا تحديداً: السنيدي ومساعده ابن صليبيخ)، كان لهم دور في الصراع ذاته (كون الظلي)، وبالذات ما يتعلق في السلاح والتوازن فيه: **أولاً**، فمن ناحية كانوا بتداخلهم مع السلطة في موقع المؤثر عليها، وحفاظاً على مصالحهم وأوضاعهم في المرحلة الأولى من الواقعة، وطبقاً لرواية المعاقلة (سعد الطارف)، فقد عملوا، وبالتفاهم مع سلطة الرشيد القائمة، على إقناع كل من القرشة والمعاقلة بالرجوع كلٌّ إلى جماعته ووضعه السابق وقدموا التعهدات للطرفين، ولكن محاولتهم باءت بالفشل في اليوم والليلة التالية، حيث تطورت الأمور لتنفجر صراعاً وعنفاً بين الطرفين ولتقع الواقعة بكل مآسيها وويلاتها؛ **وثانياً**، ومن ناحية أخرى لـ «المشاهدة» دور ونشاط تجاري بين العراق والجوف آنذاك، ومن ضمن ذلك ما تعلق بتجارة وتهريب الأسلحة للجوف وأهلها. وهذه الحالة يمكن استنتاجها مما تم تسجيله، وإن تأخر عن واقعة الظلي بسنتين، من قبل الرحالة ألويس موسيل في أحداث عام ١٩٠٩م، المتصلة بالصراعات الاصطفافية الأهلية ما بين القرشة والمعاقلة على محور صراعات سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤)، وخاصة ملاحظاته على المعارك بين أطراف الصراع في وعن يوم الأربعاء (٥ أيار/ مايو ١٩٠٩م)، وبما وصل من معلومات لـ «النوري» الشعلان، عن السلاح، فيقول الرحالة موسيل «... وفي يوم الأربعاء جاء صلبي برسالة للأمير عن ثمانية جمال محملة سلاحاً وبضائع وملابس قادمة من المشهد، أي من كربلاء، وهي الآن عند معسكر الصلبة في البويتات. وكانت الجمال وما تحمل ملكاً لتجار من المشهد، ويسكنون في سكاكا مع القرشة، وهم أعداء الرولة. كان هؤلاء المشاهدة في وضع حرج، لأنهم كتجار كانوا يرغبون في البيع ليس فقط للقرشة وشمر فقط، ولكن للمعاقلة والرولة في الوقت نفسه، وهم يرغبون في السلام، ولكن طالما هم يسكنون مع القرشة ويبيعونهم السلاح والذخيرة فقد أغضبوا المعاقلة والرولة. لقد أرسلوا الكثير من الخطابات والهدايا للأمير النوري، يطلبون السلام وأن يغفر لهم تجارتهم مع أعدائه وكانوا يقولون: «إذا لم نبع

السلاح لجماعة القرشة، كيف سيعاملوننا؟ إنهم حتماً سيدمرون منازلنا وينهبون ممتلكاتنا وكيف سننجو برقابنا منهم؟ هذا لا يعلمه إلا الله». «أنتم تزودون أعداءنا بالسلاح والذخيرة إذن أنتم سبب تحدّيهم لنا، أنا لا أريد التدخل بينكم» هكذا أجاب النوري باقتضاب. وعندما علم بنبأ قافلة المشاهدة، تحرك خمسة عشر شاباً على ظهور المهار لمقابلتها. ولكنهم عادوا صفر اليدين، إلا الصلبي الذي كان مع الرولة وفي الوقت نفسه، مع جماعة من شمر. فعندما رأى القافلة تسير أخبر التجار لإخفاء الجمال في منخفض صغير، وبما أن الأرض صخرية، فلم يتمكن الرولة من متابعة الأثر. ولما لم يكن معهم ماء كافٍ للخيل اضطروا للعودة، ولكنهم أبقوا وحدات مراقبة عن آبار صوير وجاو مغيرة، والمنطقة المجاورة لسكاكا... وخلال هذه الأيام كان القتال مستمراً في الجوف، وكل جانب يحاول أن يلحق الضرر بالآخر بتدمير أسوار البساتين وتقطيع النخيل» (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(و) **صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)**: والاصطفافات الأهلية الصراعية في سياقها: إضافة إلى ما تقدم، وما يمكن استنتاجه وسحبه على أحداث واقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م) في ما يتعلق فيها عن السلاح وتوازن القوى بين القرشة والمعاقلة، وإن كانت الواقعة سابقة بسنتين لملاحظات الرحالة «موسيل»، فإن ملاحظات «ألويس موسيل» أعلاة مباشرة، وهي تتحدث عن أحداث ذات صلة ببداية صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩م)، والتي ستتواصل لاحقاً، وإن متقطعة حتى ١٩١٤م تقريباً، وما فيها من اصطفافات أهلية ضد بعضهم البعض (من جهة المعاقلة مع الشعلان، ومن جهة أخرى القرشة مع الرشيد ومقاومة الشعلان)، فإنها، أي تلك الملاحظات من «موسيل»، وما تلاها من ملاحظات موازية، إضافية و/ أو تفصيلية، في رحلته الثانية ١٩١٤/ ١٩١٥م (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٦٢ ـ ٤٦٣، و٤٦٤)، تغنينا عن التفصيل في الصراعات التالية مباشرة لواقعة «الظلي»، وخاصة اصطفافات الصراع الأهلي بالجوف في فترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وما تعلق من دمار وقتلى وجرحى، وتواصل للقتال، وإن كان متقطعاً، وله صلة بأسلحة وذخيرة تستخدم، وفي سياقها كذلك، توازن قوى و/ أو خلل فيه بين الطرفين بتداخل كبير مع قوى خارجية «الشعلان والرشيد»، علماً أن كلاً من الشعلان والرشيد أيضاً في صراعهما المتبادل للسيطرة على الجوف (١٩٠٩م ـ ١٩١٤م)، بأنفسهم أو بالتعاضد مع حلفائهم المحليين و/ أو بالوكالة عبر الأخيرين (الأهالي)، وخاصة في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م، كانوا هم إما مصادر مباشرة و/ أو مسهلة لحصول الحلفاء من الأهالي بالجوف على السلاح (في هذه المرحلة: حلف المعاقلة/ الشعلان من جهة، مقابل حلف القرشة/ الرشيد من جهة أخرى).

(ز) **الصراع بين الرشيد والشعلان**: ما انطبق على الحالة السابقة من الصراعات الأهلية بالاصطفاف على محور القوى الخارجية المتصارعة على الجوف، وما اتصل بها من توازان و/ أو عدم توازن للقوى بين الأطراف المتصارعة، وما تعلق منه بمسألة التسلح والسلاح والذخيرة ومصادرها، وبدور كبير وجلي لا غبار عليه من القوى الخارجية فيه، فالأمر ينطبق تقريباً على حالة التمحور حول **الصراع بين الرشيد والشعلان (١٩١٩م)** للسيطرة على الجوف من جديد، حيث إن القوى الخارجية المتصارعة تعتبر مصادر مباشرة و/ أو مسهلة للسلاح والتسلح، حيث تغض النظر عن عمليات التسلح وتجارة السلاح وتهريبه

للجوف ولحلفائها تحديداً. طبعاً هناك تجارة أسلحة وتهريب لها لم تتوقف منذ أن عرف السلاح ودخل المنطقة؛ فتجار الحروب، و/ أو صناع السلاح في الغالب موجودون بطرق متعددة، ومن هنا قد يتواجد السلاح تراكمياً عبر الصناعة المحلية، وإن كانت محدودة، و/ أو عبر التجارة المتواصلة، وإن متقطعة، و/ أو عبر أجواء وفضاءات الحروب نفسها، وخاصة عندما تكون أطرافها خارجية و/ أو متداخلة مع الخارج. الفارق، في هذه الحالة الصراعية (١٩١٩م)، مقارنة بما قبلها من صراعات أهلية، هو فارق، ربما، مميّز هذه المرة، وهو: أن المعاقلة في الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في حالة اصطفاف ليس مع الشعلان كما هو المعتاد، وإنما ضدهم ومع الرشيد، بينما القرشة، (في سكاكا ودومة الجندل)، وإن كانوا حلفاء تاريخيين لـ «الرشيد»، فإنهم، ولأسباب سبق أن أفضنا فيها في مكان آخر من الدراسة، كجماعة وقفوا، في الغالب، على الحياد في هذه الحرب. وباستثناء المعاقلة في الجوف عموماً، وفي سكاكا خصوصاً، والذين تحالفوا كجماعة وأفراد مع الرشيد ضد الشعلان، فإن من دخل في هذه الحرب وعلى جانبي قطبي محور الصراع هم خليط من أفراد من هنا (سكاكا) وهناك (دومة الجندل)، وفي صراع، بدا كأنه اصطفاف أهلي عام، لكنه كان شكلياً ولا يعكس أبداً استقطاباً أهلياً حاداً، بكونه لا يتضمن اصطفافات أهلية لجماعات كبرى متقابلة تاريخياً في مجتمع الجوف (الحضري/ الفلاحي). انتهى الصراع وحسم في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م، وبعد مطاولة في القتال والمعارك، لصالح الرشيد، وإن تطلب قلب موازين القوى السائدة (لمدة لا تقل عن ٦ أشهر) بين الرشيد والشعلان، عبر حصول الرشيد على عون ومدد، بما فيه السلاح والذخيرة، أضيف على ما توفر لهم في الأصل، ومن خلال دعم وقوة أهالي الجوف المتحالفين معهم، وخاصة من المعاقلة تحديداً. كان المدد والعون والسلاح لـ «الرشيد» من خارج الجوف، وخاصة من امتدادهم ومخزونهم الاستراتيجي، من قبيلة شمر، شمالاً وفي أطراف العراق آنذاك. في المقابل على جانب «الشعلان»، يبدو أنه، إن صحت إحدى الروايات المحلية التي سبق أن مررنا عليها في مناقشة الواقعة ضمن واقعات الحرب الأهلية بالجوف وراوياتها، حصل خلل (نقص) في القوة لديهم بانسحاب مجموعة قتالية تتبع فارس بن فهد هزاع الشعلان (القعيِّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥).

(ح) في سياق فترة سيطرة الرشيد كآخر مرة لهم على الجوف (١٩١٩ ـ أواخر ١٩٢١ وأوائل ١٩٢٢م)، حاول الشعلان في حدود عام ١٩٢٠م(؟)، جس النبض في إمكانية السيطرة مجدداً على الجوف، وفي ضوء معلومات تبدو متوفرة لديهم عن أوضاع صعبة لـ «الرشيد» في حائل في صراعهم الداخلي وما حولها، ومع ابن سعود، فقاموا بمحاولتين متقاربتين في اختراق الجوف في وقت ما من عام ١٩٢٠م(؟)، في سكاكا، في ما عرف بواقعة الغطغط/ الغطيغط ١٩٢٠م(؟)، وفي دومة الجندل، بموازاتها و/ أو في حدودها، في ما عرف بتوابعها بـ «هجة الغرب». واضح أن خللاً ما في السلاح وفي توازن القوى في كل من الاختراقين، نتج عن دخول الشعلان ومعهم عناصر من البادية (الصخور تحديداً) وما لديهم وما توافر لهم من سلاح، في مقابل انحسار وانكماش و/ أو ضعف لسلطة الرشيد القائمة في الجوف آنذاك، وعلى خلفية صراعات داخلية ومعارك مع ابن سعود في محيط حائل. لكن في ضوء تحالفات مع الشعلان من عناصر و/ أو مجموعات فرعية صغيرة ومحدودة من أهالي الجوف في

سكاكا و/ أو دومة الجندل (المطر وعناصر قليلة من الشلهوب، ومن الغرب في دومة الجندل) ساعدت الشعلان في اختراقات كل من دومة الجندل و/ أو سكاكا. في المقابل، وحيث إن الغالبية العظمى من أهالي الجوف (سكاكا/ دومة الجندل)، في ضوء القبول بالسلطة القائمة (الرشيد) آنذاك، لم تتورط في هذه الاختراقات، أمكن لمجموعات من الأهالي في كل من سكاكا ودومة الجندل، وهم في الغالب من المعاقلة هنا وهناك، من موازنة الخلل وصد الاختراق وإفشاله. لعل من المثير للملاحظة، أن من تحالف مع الشعلان في هذه الاختراقات في سكاكا، وهم في الغالب من المطر، يعتبرون تاريخياً معادين لهم باعتبارهم في حلف القرشة الحلفاء التاريخيين لـ «الرشيد»، وفي عداء تاريخي مع الشعلان، منذ تقريباً ١٨٣٨م فصاعداً (بداية في سياق محور الدرع/ السراح في دومة الجندل)، وبالذات منذ ١٩٠٩م فصاعداً. في المقابل، وباستثناء عناصر من جماعة الشلهوب الميالين، عبر «فهاد المظهور» منذ ١٩٠٩م، للتحالف مع الشعلان، وكذلك باستثناء أعداد محدودة من حي في الغرب في دومة الجندل (تحديداً من الزارع وفي ما حولهم)، وهم كانوا محسوبين تاريخياً على المعاقلة، والمعاقلة تاريخياً كانوا في تحالف مع «الشعلان»، فإن المعاقلة، كحلف عام، في كل من سكاكا ودومة الجندل، وفي هذه الحالات من اختراقات الشعلان للجوف، كانوا ضد الشعلان في سياق وتوابع الانقلاب عليهم وقتل ممثل سلطتهم في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩١٨م وعلى خلفيته. كان الثمن باهظاً على بعض أهالي الجوف (في كل من سكاكا و/ أو دومة الجندل) الذين اصطفوا مع الشعلان، حيث قام الرشيد (كسلطة قائمة آنذاك بإعدام عناصر مشاركة منهم وخاصة في المطر، وتشريد مجموعة من أهالي بعض حي و/ أو أحياء محدودة في «الغرب» في ما عرف بهجة الغرب في دومة الجندل، فضلاً عن نقل عناصر منهم (من الزارع تحديداً) للإقامة الجبرية في حائل، ولم يعودوا إلا بعد سقوط حائل لابن سعود، ودخول الجوف في حكمه والانضمام طوعاً إليه وبطلب ورغبة من أهالي الجوف أنفسهم.

(ط) في آخر الحروب الأهلية بالجوف وهي «حرب المعاقلة/ المعاقلة ـ ١٩٢٢م»، أو ما عرفت بـ «حرب الرشد/ المويشير»، حيث إن جذورها تتصل في جزء هام منها بالصراع بين بيوت الراشد (في الواجهة المتقابلة كل من راشد القايد ورجا المويشير) على مشيخة الراشد. في المقابل، هذه الحالة من الحرب الأهلية، هي في جزء منها، وفي تمظهرها الخارجي، هي صراع أهلي عام عبر الاصطفافات مع الشعلان أو ضدهم. في سياق المنظور الكلي لهذه الحالة من الحرب الأهلية، وفي ما يتعلق بـ «توازن القوى» بين الأطراف المتحاربة فيها، عدداً وسلاحاً، فقد كان مختلاً لصالح المصطفّين مع الشعلان، حيث إن غالبية أهالي الجوف، بغض النظر عن خلفياتهم الاجتماعية ومجموعاتهم، بمن فيهم المعاقلة، في كل من سكاكا ودومة الجندل وأهالي قارا والطوير، فضلاً عن الهجر المجاورة والموالية أصلاً لـ «الشعلان»، اصطفت مع «الشعلان»، بينما فقط الجزء الجنوبي الغربي من المعاقلة (جماعات وأحياء فرعية منها: البيالية، والهذيل، والطالب، والورادا، والمويشير ورواشدة الجزوم، والدغيفق بمن فيهم الفالح، والعبد، علماً أن عناصر من الأخيرين [العبد] تحالفوا مع راشد القايد) في جنوب وغرب سيل الغدير، وما يعرف محليا بـ «سيل الهذال»، والمسمى حالياً شارع الهذال، ومعهم عناصر من الكبيدان، علماً أن عناصر من الكبيدان تحالفت مع راشد القايد. يبدو أن تحالف جنوب/ غرب المعاقلة كان أكثر

تماسكاً وتحصيناً وخبرة تاريخية في القتال والمعارك سواء الأهلية البحتة و/ أو المتداخلة مع قوى خارجية محتلة و/ أو غازية. يُضاف إلى ذلك مخزون من السلاح لصالح الحلف الحنوبي/ الغربي للمعاقلة، وخاصة عند «المويشير/ رواشدة الحزوم» تم الاستيلاء عليه من قصر حكم الشعلان آنذاك مباشرة، بُعيد قتل ممثل حكم الشعلان بالجوف عامر المشورب في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م. هذا المخزون من السلاح كان بحد ذاته جزءاً من انفجار الصراع. فقد طالب الشعلان بإعادته وتسليمه لكن لم يستجب لهم، علماً أن الشعلان، وبُعيد مقتل منصوبهم (ممثلهم) في الجوف في أواخر ديسمبر ١٩١٨م، سبق لهم أن بحثوا عنه في حوطة (مزرعة) المويشير حيث كان بالفعل قد سُحب ودُفن هناك، ولكنهم، وإن كادوا ليصلوا إليه في المكان عينه، لم يعثروا عليه لتوقفهم عن مزيد من الحفر. على أن ما ساعد في مواجهة الخلل في «توازن القوى»، وما بدا على أنه اصطفاف أهلي لصالح الشعلان، هو أن الحرب والمعارك تقريباً، وإن تداخلت مع قوة الشعلان وعناصر منها ومتحالفة معها، اقتصرت أولاً، وفي الغالب، على استعراضات يومية للقوة، بما فيها إطلاق رشقات من الرصاص متصاحبة مع عرضات ورقصات حربية، من قبل الشعلان وقواتهم وحلفائهم في ميادين وطرق المعاقلة. يبدو أن الشعلان، وفي ضوء معلومات ربما متوفرة لديهم عن صراع يجري حول حائل، هم في وضع ترقب لتحولات في حائل وما حولها متعلقة بمصير ومستقبل كل من الرشيد من جهة، ونفوذ وقوة ابن سعود المتصاعدة من جهة أخرى، وفي ضوء معرفتهم عن وفد أهالي الجوف لابن سعود والمعتقل ما تبقى من أعضائه آنذاك في حائل، لم يكن في مصلحتهم، وربما، لا يرغبون في توسيع الصراع على نحو شامل في الجوف وفي سكاكا تحديداً. وثانياً، إن القتال والمعارك الفعلية فيها، انحصرت في مناوشات وهجمات تبدو محدودة ليلية تقريباً بين عناصر مجموعات من شمال المعاقلة من جهة وبين عناصر مجموعات من غربها وجنوبها؛ قتلى وجرحى معارك تلك الحرب هم في الغالب، إن لم يكن كلهم، من أبناء مجموعات شمال وجنوب المعاقلة المتقابلة على محور الصراع. الاستثناء الوحيد تقريباً، في مجال انتشار الحرب جزئياً وفي ما تعلق بالقتلى من خارج المعاقلة، كانت حالة جزئية لاحقة و/ أو متطورة في ثناياها، هي متصلة بمعركة وحيدة في الطرف والجانب الأقصى من الغرب الجنوبي للحلف الجنوبي/ الغربي من المعاقلة مع مجموعة من الشلهوب بزعامة فهاد المظهور والذي قتل في الواقعة. ويبدو أن شهر رمضان، والذي جرت معظم العمليات الحربية فيه، قد حد هو الآخر من تفاقم الصراع وحدّته وحصره في أوقات ليلية (للتفصيلات راجع مناقشاتنا لواقعة حرب المعاقلة/ المعاقلة ـ ١٩٢٢م، في جزء أو قسم واقعات الحرب الأهلية).

يبدو أن التوازن في القوى والخلل فيه ومدى مساهمته في اندلاع الصراعات و/ أو ضبطها بين أطراف الصراع في الحرب الأهلية بالجوف وحالاتها، لا يكفي بحصر الملاحظة والمناقشة على عنصر السلاح والتسلح فيه، وإنما، لكي يكتمل، يحتاج إلى ملاحظة العامل الديمغرافي (البشري) ومدى تداخله في الأمر (التوازن/ الخلل)، وهو ما نعمل على مناقشته ومتابعته تالياً.

٢- في العامل الديمغرافي والحرب الأهلية بالجوف: يشمل الأمر ملاحظة التحولات والتغيرات الهيكلية الديمغرافية، من حيث العدد النسبي (الكثرة/ القلة)، وصلته بالنمو الطبيعي و/ أو غير الطبيعي،

عبر الإزاحات والنزوح و/أو الاستيطان، بين المجموعات الكلية و/أو الفرعية، من داخلها و/أو خارجها، من داخل و/أو خارج الجوف، وخاصة ما تعلق منها بالمجموعات المتصارعة أهلياً حصرياً فيما بينها، أو بالاصطفاف تداخلاً مع قوى و/أو أطراف خارجية. والمهم، في السياق، يبقى السؤال هو: هل لهذه التغيرات والتحولات الديمغرافية (السكانية/البشرية) من تأثيرات ودلالات على توازن القوى، و/أو الخلل فيها، وبالتالي على فهم وتفسير الصراعات الأهلية الكلية وحالاتها و/أو بعضها. عن مسألة النزوح والإزاحات لمجموعات سكانية فرعية بينية (الانتقال والارتحال طوعاً أو قسراً من وإلى مجموعات أخرى داخل سكاكا و/أو دومة الجندل، أو فيما بينهما)، وصلتها بالصراعات الثانوية، وبالتالي في فهم طبيعة الصراع والحرب الأهلية، أود، ومن باب الأمانة التاريخية، أن الفت النظر إلى أن من آثارها كملاحظة ورأي هو أبو فادي/ صالح فهيد البحيران، في حديث ونقاش عن الحرب الأهلية بالجوف، وتساؤلات حولها فتحتها معه في الرياض في ٢٠/٦/١٩٨٩م (البحيران، صالح، حديث ونقاش، في ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٨٩، الساعة: ٩ ـ ١١ مساءً، مكتب ربيع السعدون، شمال شرق طريق الستين، الرياض: ١ من ١ من ملخص). ومع ذلك نود التأكيد أن الإزاحات والنزوح بين المجموعات بالجوف (سكاكا و/أو دومة الجندل)، ورغم ما لها من صلة ما بالصراعات الأهلية الثانوية و/أو الكلية، فإنها بذاتها لا تقدم تفسيراً لطبيعة واندلاع و/أو تواصل الصراع والحرب الأهلية و/أو لحالاتها، كلية كانت أم جزئية، وإنما أقصى ما تقدمه هو في دلالتها الظاهرية للصراع الأهلي وكونها انعكاسات ومؤشرات له وعنه. ما يهمنا هنا من وعن تلك النزوح و/أو الإزاحات الديمغرافية البينية، والاستيطان من داخل و/أو خارج الجوف، هو في مدى تأثيرها التراكمي على توازن القوى و/أو الخلل فيه بين الأطراف والجماعات المتصارعة أهلياً، وخاصة الكبرى منها، من خلال إحداث تغييرات هيكلية سكانية فيما بينها، عددياً و/أو عبر تحالفات زيادة أو نقصاً... إلخ.

وحيث إن العامل الديمغرافي من حيث الفروقات البشرية عددياً، بالنمو و/أو التغير الطبيعي عبر التكاثر الذاتي التدريجي، و/أو غير الطبيعي عبر الاستيطان والنزوح والإزاحات وتحالفاتها، نقصاً و/أو زيادة، في مكوّنات أطرافها بالمقارنة، إلى جانب مسألة السلاح والتسلح، يتصل على نحو ما بتكوّن حالة من توازن القوى و/أو الخلل فيها بين أطراف وجماعات متقابلة مما قد يساهم في اندلاع/نشوب صراعات أهلية بينها في وقت من الأوقات و/أو أوقات متعاقبة، فلنذهب إلى واقعات الحرب الأهلية بذاتها، وبما ورد عنها مختصراً في الجدول الرقم (٣)، المتعلق بتصنيف حالات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) وقواها ومتغيراتها، وكذلك نلحظ ربما غيرها من واقعات ربما لم ترد ولم تدوَّن في الجدول المذكور، لنرى ما يمكن ملاحظته من علاقة له بالأمر. بداية نقول: رغم إشارات لتقديرات عامة عن أعداد أحياء كل من دومة الجندل وسكاكا، وتقديرات عامة موازية لسكان كل منها على حدة، منذ أواسط القرن التاسع عشر، فهي أولاً تقديرات غير دقيقة على الجملة، وثانياً لا تقدم أية معلومات إحصائية سكانية عن المجموعات الفرعية. وبناء عليه فإنه وفي كل حالات الصراع الأهلي المدونة في الجدول الرقم (٣)، إجمالاً، وخاصة ما تعلق منها بأطراف داخلية بحتة، وهي محدودة، لا توجد معلومات دقيقة عن عدد سكان المجموعات الأهلية المتصارعة، ومدى التوازن أو عدم التوازن فيما بينها

ديمغرافياً (عددياً). إذا استثنينا، حالات الصراع الأهلية الاصطفافية، وهي المتداخلة بشكل كبير مع صراع على الجوف من قوى خارجية و/ أو فيما بينها (وهذه تشمل حالات منها على وجه التحديد والوضوح الحالات التالية: سنة ١٨٧٠ بين الأتراك وابن رشيد، و١٩٠٩ ـ ١٩١٠ الشعلان وصراع سيطرتهم على الجوف، ١٩١٩م صراع الرشيد/ الشعلان على الجوف)، يمكننا أن نسجل بعض الملاحظات على المسألة الديمغرافية والصراع الأهلي على النحو التالي:

(أ) **في دومة الجندل (١٧٩٠ ـ ١٨٧٠م)**: سبق أن بيَّنا أن الصراع الأهلي بالجوف، بداية ومكاناً، بدأ واندلع في دومة الجندل في حدود ١٨٠٠م واستمر متقطعاً حتى تقريباً نهاية الحملة التركية (نهاية عام ١٨٧٠م)، مروراً بواقعة الدلهمية/ الجرعاوي ١٨٣٨م، وصراع السراح/ السراح وتمرد ١٨٤٣م. في الفترة من عام ١٩٠٩م ـ ١٩٢٢م، سيتقاطع ويتداخل الصراع الأهلي بالجوف ما بين سكاكا ودومة الجندل، وخاصة بشكل كبير في سياق الصراعات الاصطفافية في فترة فوضى وصراعات الشعلان للسيطرة على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)، وجزئياً في صراع الشعلان/ الرشيد (١٩١٩م) وإلى حد ما في صراعات تتصل بمحاولة الشعلان اختراق الجوف (واقعة الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م؟ في سكاكا، وواقعة هجة الغرب ـ ١٩٢٠م؟ في دومة الجندل). لذلك سيكون التركيز هنا في الصراعات الأهلية في الجوف (دومة الجندل)، على الحالات الصراعية التي وقعت في ثنايا الفترة (١٧٩٠ ـ ١٨٧٠م). في كل هذه

الصراعات الأهلية، والتي كانت محصورة في الجوف (دومة الجندل)، وخلال تلك الفترة (١٧٩٠ ـ ١٨٧٠م)، كانت أطراف الصراع الأهلية (المحلية) الرئيسة المباشرة و/ أو في الخلفية هي في جوهر الأمر بين الدرع وحلفائهم من جهة وبين السراح وحلفائهم من جهة أخرى. الآن لنركز على الحالات الأولى من الصراع بين الدرع والسراح (بين ١٨٠٠ أو ١٧٩٠ ـ ١٨٣٠sم)، وخاصة حول ١٨٠٠م وفي حدودها نقصاً و/ أو زيادة، ونتأمل الفروقات الديمغرافية بين الطرفين المتصارعين. من المعلوم بداية أن الدرع، وهم من الطالب، وصلوا إلى الجوف واستوطنوا فيها قادمين على ما يبدو من نجد (القصيم؟)، ربما قبل عقدين على الأكثر من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أي بحدود ١٧٨٠م، وكانوا عند قدومهم ما بين ٣ أو٤ أخوة(؟). عندما وقع التصادم مع السراح، حكام الجوف آنذاك، فإن الدرع، وبغضّ النظر عن الأسباب والدوافع للتصادم والصراع، كانوا، بذاتهم، كمجموعة عددية محدودة جدة. طبعاً في بعض الروايات عن صراع الدرع مع السراح هناك كلام وقصص عن بطولات وشجاعات مبالغ فيها تصل إلى درجة الأسطورة! ورغم ما للبطولات والشجاعة والإقدام والعزيمة الفردية من دور في المعارك والقتال والصراع على أكثر من مستوى، إلا أننا في السياسة، وفي علم الاجتماع السياسي، نرى أن لتوازنات القوة (بشرياً وعسكرياً وغيرها) دوراً وأهمية تتجاوز، وإن لا تلغي، المبادرات الفردية في التفاعلات البشرية وخاصة الصراعية منها. وحيث الأمر كذلك فإنه من الطبيعي ألّا يكون الدرع في هذا الصراع مع السراح لوحدهم، وإنما، في الغالب، وجدوا مجموعة ما من بعض أهالي ومجموعات الجوف (دومة الجندل) كحلفاء لهم ضد السراح. من هنا، وربما ليس صدفة، أن تكون جماعة حي «خذما» بتفريعاتها، وربما لأسباب خصومة و/ أو تنافس سابق و/ أو قائم مع السراح أو رفضاً لـ «الحالة/

السلطة» القائمة والمتمثلة آنذاك بـ «السراح»، هي المرشحة للتحالف مع الدرع في صراعهم مع السراح. الآن، في هذا الصراع، ماذا عن التوازنات في القوى (ديمغرافياً) بين الدرع وحلفائهم من جهة وبين السراح وحلفائهم من جهة أخرى؟ ليس هناك من جواب قاطع، ولكن من ملاحظة تفاعلات الصراع في بداياته وخلال الـ ٨ سنوات السابقة على عام ١٨٠٠م وفي حدودها، ومن خلال النصوص الأولى المتوفرة والمسجلة عن الصراع بين الدرع والسراح، هناك ما يشير، وعلى نحو مؤكد، أن الصراع بين الطرفين استمر لعدد من السنوات (حوالي ٨ سنوات تقريباً) دونما أن يحسم لصالح الدرع وحلفهم في إخضاع السراح وحلفهم، وخاصة تجاه فرض السيطرة على الجوف ككل، مما يوحي أن توازن القوى بين الطرفين، بما فيه البعد العددي (الديمغرافي) كان مختلاً لصالح السراح وحلفائهم. في الصراعات التقليدية القديمة، أهلية و/ أو غيرها، فإن موازين القوى، وإن لا تخلو من السلاح والعدة والشجاعة الفردية والإقدام، تعتمد بدرجة ملحوظة على التفوق العددي (الكثرة مقابل القلة؛ وفي الأمثال: الكثرة تغلب الشجاعة). في مثل هذه المعطيات، ليس غريباً، أن يبحث الطرف الأضعف عن حليف، وإن كان خارجياً، لتعويض النقص والخلل في التوازن مع الخصم. من هنا وجد الدرع في الدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية، ضالتهم، كقوة موازنة في صراعهم مع السراح، والتي عندما عجزت في إخضاعهم قدمت السلاح والمال لـ «الدرع». إن هذا الدعم العسكري والمالي، ورغم تأثيراته المباشرة الأولى والآنية، إلا أنه، ولكونه حالة مقطوعة، ومن قوة بعيدة عن التفاعلات المباشرة للصراع، لم يغير من حالة المراوحة الكلية للصراع بين الدرع والسراح، إلا بعد مرور فترة تجاوزت الـ ٨ سنوات، أي وصولاً إلى عام ١٨٠٠م وما بعدها، دخولاً في حالة من الهدوء النسبي في فترة ١٨٠٠ ـ ١٨١٨م بسبب حالة فرض من قوة خارجية (الدولة السعودية الأولى) والتي يبدو، من خلال تحالفها مع الدرع وحلفائهم المحليين، تمكنت من بسط سلطة ما على الجوف. في الفترة من ١٨١٨م وحتى ما قبل ١٨٣٨م، والتي لا يبدو لأحداثها تاريخ محدد ومكتوب ومسجل لها وعنها، يبدو أن حالة من التصادم والصراع الأهلي بين خصوم الأمس واليوم (الدرع وحلفهم في مقابل السراح وحلفهم) قد عادت على نحو ما لتنفجر بواقعات حادة وعنيفة. ومن ذلك على وجه الخصوص، وخاصة في نهاية الفترة، وتحديداً في عام ١٨٣٨م، حدوث واقعة وصراع الدلهمية/ الجرعاوي، بين أهالي حي الدلهمية من جهة وبين أهالي حي الجرعاوي من جهة أخرى، عاكسة في اندلاعها وتفاعلاتها وامتدادتها وخلفيتها، للصراع القديم المتجدد بين الدرع والسراح. الآن في الفترة ما بعد ١٨٠٠م، وخاصة في فترة الهدوء التي ربما سادت ١٨٠٠ ـ ١٨١٨، وامتدت إلى ما بعدها، وإن كانت أقل استقراراً، حتى منتصف الـ ١٨٣٠sم، فإنه في ما يتعلق بـ «الدرع» وحلفهم من أهل دومة الجندل، يبدو أنه أخذ بالتزايد والنمو، من ناحية عددية (بشرية)، وهذا في جزء منه عائد ربماً إلى انضواء مجموعات فرعية إضافية من الداخل في الحلف سعياً منها لتحصيل منافع وثمرات من الملك (السلطة/ الحكم) عبر الانجذاب و/ أو الانحياز لسلطة الأمر الواقع، والتي كانت تميل منذ ١٨٠٠م فصاعداً، بدعم من تحالف مع الدولة السعودية الأولى، لصالح الدرع وحلفائهم، مما أضعف السراح وحلفهم جزئياً. يلاحظ أن حي الجرعاوي نفسه، كجماعة أهلية فرعية، يبدو أنه حديث «التكوّن» عبر الاستيطان، القادم أصلاً من خارج الجوف من محيط حائل/ منطقة جبة (الجباب وعدد من العائلات)، ورغم أنهم سكنوا إلى الجنوب من الدلهمية (حلفاء السراح)، فإن الجرعاوي على ما يبدو

انحازوا إلى الدرع وأهل «خذماء» مضيفين بعداً إضافياً (عددياً) وفي مركب هيكل التحالف الكلي بين السراح والدرع لصالح الأخيرين، وإن لم يقلب التوازن الكلي بينهما. من هنا نلاحظ أنه عندما رأى أهل الدلهمية، أن الجرعاوي بذاتهم، وعبر تحالفهم مع الدرع، ـ و/ أو لوجود عناصر، في الجرعاوي، قيل إنها من حائل (قوة عسكرية محدودة تحت إمرة «مغلوث أو مسلط السبهان»!) ربما تنوي تغيير الوضع ـ أقدموا، بأنفسهم و/ أو بتحريض ما من السراح، وبصلة ما بعناصر خارجية قيل إنها من الشعلان!،على التصادم مع الجرعاوي صداماً عنيفاً، نتج عنه تدمير للممتلكات والمزارع، وتشريد لأهالي الجرعاوي لينزحوا حول حلفائهم من الدرع وأهل خذماء. في المقابل، وأمام ما قيل عن استعانة بعناصر من الشعلان، و/ أو أمام ما بدا أنه، على أية حال، خلل في موازين القوى لغير صالحهم، قام الدرع وحلفاؤهم من أهل خذماء، وعبر الجرعاوي باستدعاء قوة خارجية (الرشيد)، والتي أتت واحتلت الجوف وقامت بتدمير الدلهمية مزارع وبيوتاً وآباراً، وقتل عدد من أهلها، وشردت الباقين ما بين دومة الجندل حول حلفائهم السراح، وإلى خارج الجوف، وخاصة تجاه سكاكا، حيث نزح الهذيل، باتجاه المعاقلة ليشكلوا ربما أول أو ثاني حالة نزوح أو إزاحة قسرية داخلية معلومة فيما بين دومة وسكاكا، وليضيفوا أول حالة نمو غير طبيعي لمكوّن المعاقلة من غير الاستيطان من خارج الجوف (لاحظ بداية تزايد أعداد المعاقلة من خلال النزوح والإزاحات). الحالة الأولى من الإزاحة، ليست معروفة على وجه الدقة، ولكنها ربما وقعت في فترة ما من ١٨٠٠ ـ ١٨٣٨م، وربما في وقت ما ١٨٣٠sم، في صراع مع الرحيبيين و/ أو ربما من خلال تفاعلات صراع بين الرحيبيين أنفسهم، نتج عنه هجرة أو نزوح لمجموعة المطر (وخاصة بمركبها من السراحين والدندن (بني خالد))، إلى سكاكا لتسكن وتكوّن ما عرف بحي المطر حالياً، ولتضيف بعداً جديداً في هيكلية التحالفات في سكاكا، والتي سوف تتمظهر في حدود ١٨٧٠م، وما بعدها في مكوّنين رئيسيين متقابلين هما حلف المعاقلة من جهة وحلف القرشة، بما فيه جماعة المطر من جهة أخرى. طبعاً جماعة المطر من غير المكوّنين الأولين (السراحين/ الدندن) تشمل «المريف» و«الضمارا» سوف يضافون إلى مكوّن المطر في وقت لاحق، كمجموعات فرعية أصغر استيطانية من خارج الجوف، شمالاً وجنوباً)، وكذلك «العوذة»، قبل أن تنتقل إلى اللقائط، سكنت المطر نزوحاً من داخل الجوف (دومة الجندل)، وعلماً أن العوذة، وطبقاً لرواية عايد العوذة، (العوذة، عودة وعايد ونزل، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣: ١ من ١ ملخص)، فإنهم أول من سكن المطر نازحين من دومة الجندل، نتيجة صراع مع جيرانهم (أهل خذماء) هناك. في صراع الرحيبيين/ الرحيبيين، والذي ليس له تاريخ محدد على وجه الدقة، وإن كان يرجح وقوعه في عام ما من عقد ١٨٣٠sم، وفي الغالب قبل واقعة الدلهمية/ الجرعاوي بسنوات!؟ حدث بعض الإزاحات والتحوّل في التحالفات بين الدرع والسراح، حيث انضم عدد من بيوت الرحيبيين، ومنهم بيت «خليف الخميس الأول» إلى حلف السراح، بينما بقت بيوت أخرى من الرحيبيين، ومنهم «السميحان المرخان» في حلف الدرع. في تمرد ١٨٥٣م ضد الرشيد، وبزعامة بعض بيوت السراح، نعلم أن أصل الصراع وجذوره هو بين بيوت السراح أنفسهم، وإن تطور لاحقاً ليتحول إلى ما يشبه التمرد العام لغالب أهالي الجوف ضد الرشيد. الآن في سياق أصل الصراع وجذوره بين السراح أنفسهم ليس هناك ما يشير إلى فروقات عددية (ديمغرافية/ سكانية) شجعت

طرفاً على آخر، وبالتالي في اندلاع الصراع الأولي بينهم. ومع ذلك، وبسبب من ثقل السلطة الخارجية القائمة آنذاك (الرشيد)، بدا التوازن مختلاً لأحد بيوت السراح والذي، كان يرى بعدم قبول الحالة القائمة (الرشيد وتحالفهم الداخلي، وهم في الغالب من الدرع وأهل خذماء) فكان أن لجأ إلى طلب العون من عناصر خارجية (الشعلان)، مما دفع بالطرف الآخر (من بيوت السراح أنفسهم) وعبر عناصر مناصرة أصلا لـ «الرشيد» ومن ضمن حلفائهم من أهالي الجوف، بالاستنجاد بقوتهم (الرشيد) في حائل. الغريب في الأمر أن تفاعلات الصراع، وإن بدأ بين بيوت السراح أنفسهم، تشير إلى تطوره باتجاه تمرد عام شبه شامل ضد الرشيد، بالتفاف مجموعات وعناصر أهلية كبيرة من دومة الجندل وحتى من سكاكا حول السراح ونصرة لهم ضد الرشيد، بمن فيهم عناصر كانت محسوبة و/ أو قريبة من الدرع، وفي وضع بدا معه الدرع وحلفاؤهم التقليديون في حالة تبدو أقرب إلى الانزواء والتواري من المشهد الصراعي. ربما تفسير هذا التحول الأهلي لصالح السراح يبدو أنه مرتبط بحالة «التحرر والحرية والاستقلال» المتأصلة في نفوس أهالي الجوف (أفراداً ومجموعات) من وعن «حالة غير مقبولة»، وخاصة من قوة خارجية ربما تبدت لهم قسوتها سابقاً، ومن خلال ردة فعلها الآني المباشر على التمرد نفسه وتجاهه. على أية حال، ورغم إغراءات الانغماس في تفصيلات الصراع، وتحولاته وتمظهراته، فإن ما يهمنا هو ما يتعلق منها بالمسألة الديمغرافية، وتوازنات القوى ذات الصلة. عندما تحول الصراع إلى تمرد عام ضد الرشيد، بدا أن التفاف غالب الأهالي ضد الرشيد، وإن اصطف معهم قليل من أهل الجوف، وتحديداً في دومة الجندل، شكل درعاً بشرياً (ديمغرافياً/ عددياً) هائلاً في وجه الرشيد وقوتهم المصاحبة، مما أدى إلى صمود أهل الجوف وانتصارهم على الرشيد في معارك المحاولة الأولى لـ «الرشيد» لاستعادة السيطرة على الجوف. لم يتغير الوضع لصالح الرشيد في مواجهة أهل الجوف، إلا بعد مضي عدة أشهر تقريباً من المحاولة الأولى لهم، وبعد أن تم استجلاب وادخال سلاح جديد وفتاك، من الهند، (المدفع المسمى «منصور») وإدخاله في المعركة، حيث بقنابله، روّع الأهالي ودمر الممتلكات والبيوت، مما أدى في النهاية إلى سحق التمرد، وإن لم يسحق روح «التحرر والحرية» للجوف وأهلها، حيث ستعود مرة أخرى لتنفجر في وجه الرشيد وظلمهم وقساوتهم، بتحالفهم و/ أو تعاطفهم، وإن مؤقتاً، مع الأتراك والحملة التركية في عام ١٨٧٠م، والتي هي الأخرى لم يسلم أهل الجوف من أذاها وظلمها، وفوق ذلك في النهاية خذلتهم بقذفها لهم في أحضان سلطة الرشيد، مرة أخرى، لتواصل الأخيرة جرائم الترويع والتنكيل بهم، إعدامات ومجازر، ومنها على وجه الخصوص، ما عرف بـ « واقعة المديرس ـ ١٨٧١م»!.

مع نهاية الحملة التركية عام ١٨٧٠م، ينتهي الصراع الأهلي بدومة الجندل تقريباً لينتقل إلى سكاكا مركزاً وثقلاً وأطرافه رئيسة (صراع القرشة/ المعاقلة)، ويستمر هذا الوضع حتى ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ مع فوضى صراعات الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م)، ليعود إليها جزئياً بالاشتراك مع سكاكا في هذه الصراعات، وفي صراعات الرشيد/ الشعلان على الجوف ١٩١٩م، وفي محاولتي الشعلان اختراق الجوف (سكاكا في واقعة الغطغط/ الغطيغط، وفي دومة الجندل في ما عرف بـ «هجة الغرب») ١٩٢٠م(؟). قبل الانتقال إلى سكاكا، وفضائها الصراعي الأهلي، نلاحظ في ما تعلق في دومة الجندل، وكما ألمحنا سريعاً وآنفاً، أن الصراعات الأهلية الرئيسة والفرعية في دومة الجندل وعلى طول وخلال الفترة الممتدة من ١٨٠٠م وما قبلها بقليل وحتى ١٨٧٠م، وبالذات حول عقد الـ «١٨٣٠sم» وفي

حدوده، نقصاً و/ أو زيادة، حدث عنها إزاحات و/ أو نزوح (هجرات) لبعض من مجموعاتها، وخاصة الفرعية منها، باتجاه أحياء وجماعات أخرى داخل دومة الجندل، أو لخارجها ونحو وتجاه سكاكا، وأحياناً إلى قارا وعبرها إلى سكاكا. والأكثر إثارة في أمر النزوح والإزاحات في داخل دومة الجندل، وبين مجموعاتها، أو خارجها ونحو سكاكا، أنها، أولاً، حدثت في أحياء ومجموعات دومة الجندل القديمة، منطقة السوق وما حولها وجنوبها. ويلاحظ أن هذه الأحياء ومجموعاتها الفرعية و/ أو بيوتها هي التي شهدت أكثر التحولات في التحالفات بين الدرع من جهة والسراح من جهة أخرى. فوق هذا وذاك، يلاحظ أن هذه الأحياء القديمة في دومة الجندل، هي الأكثر استنزافاً وتناقصاً، عددياً، وبتآكل تحالفاتها، يتواصل خروج ونزوح مجموعات فرعية منها إلى خارج دومة الجندل وبالذات بالتوجه في الغالب إلى سكاكا، مباشرة، و/ أو مرحلياً عبر قارا، للاستقرار فيها على نحو نهائي («الحميّر»، و«المطر» وخاصة الأولين منهم «السراحين والدندن»، و«الهذيل»، و«الطالب» عبر قارا، «الورادا»، و«السهو ـ المرعي»، و«آل قادر»، و«العوذة»... إلخ). يبدو أن منطقة السوق (مارد) في دومة الجندل وما حولها من الأحياء للشرق والجنوب منها، وحتى الدلهمية والجرعاوي، شهدت أكثر الصراعات عدداً وحدة وعنفاً، والتي تنطق بها وتدلل عليها، على ما يبدو، كثرة المقابر الكبيرة والقديمة المنتشرة في هذه المنطقة بالذات، والتي أكثر ما لفت نظري في مشاهداتي في زياراتي المتعددة لـ «دومة الجندل»، وبالذات في الزيارة الميدانية الأخيرة لها، رفقة زياد عبد الكريم السالم ومحمد سليمان الحبوب وصياح مناور السبيلة، في ١٣/ ٩/ ٢٠١٣م، ما بين العصر والمغرب، وشاركنا جزئياً أبو أحمد/ عيد السالم في جولة حول حي وعين خذما، وكذلك بالصدفة طلال القبلان حيث عرفنا على مكان عين خذما المغلقة والمسوّرة بجدران أسمنتية، وحول حي «الجرعاوي» ساعدنا بالصدفة شخص فهمت أن اسمه عبد الكريم العابد الجباب والذي دلنا على مكان (أنقاض) قال إنه القليب القديم لـ «الجرعاوي». محمد الحبوب وصياح السبيلة شاركونا جولة حول مارد والدرع وعلى مشارف بيوت السراح وقصر «القصير». وأما صياح السبيلة، فقد عمل لنا جولة تعريفية على وحول قصر «السبيلة» في الغرب (الفالح، متروك [وآخرون]، في: زيارة ميدانية لأحياء دومة الجندل القديمة، رفقة السالم والحبوب والسبيلة، في ١٣/ ٩/ ٢٠١٣: ٤ ـ ٦:٣٠ مساءً).

لاحظ أن هذه الإزاحات والنزوح من دومة الجندل وباتجاه سكاكا، ستعمل على تغيير في هيكلية السكان في سكاكا، وربما في ما يتصل بتأثيراتها في التحالفات الكبرى (القرشة/ المعاقلة) المتقابلة فيها. في دومة الجندل نفسها، يلاحظ أنه وبينما تتناقص أحياؤها القديمة، وخاصة حول السوق، وإلى الشرق الجنوب منها، فإن «الغرب» منه وأحياءه ومجموعاته كانت تتنامي وتنمو على نحو مضطرد من خلال وعبر توافد مجموعات وعائلات واستوطنت فيه، في الغالب من خارج دومة الجندل، وإن شملت مجموعات أو عائلات محدودة من داخل دومة الجندل وأحيائها القديمة. عندما زار الرحالة **جورج أوغست والن** (Yorjo Aukusti Wallin) الجوف في رحلته ١٨٤٥م، كان حي «الغرب» آنذاك «... يقسم إلى ستة أقسام فرعية صغيرة هي: عشوان، ابن حصني، صناع المرعي، الجفرية، عين أم سالم، ابن قعيد»، وهو (أي الغرب)، بالمقارنة، وكما يقول عنه **والن**: «... كما يبدو، هو أحد أحدث الأحياء في البلدة» (والن، رحلة، ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٥). بعد زيارة «والن» بعقود

وتحديداً منذ ١٨٧٠م فصاعداً، وباتجاه أوائل القرن العشرين تضاعفت مجموعات هذا الحي (الغرب)، حيث إن أكثر من ١٢ حارة (قسماً) أو جماعة فرعية كانت قد أخذت وضعها داخل هذا الحي وأصبحت جزءاً مندمجاً فيه ومن مكوّناته (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢١٩). هذه التغيرات في هيكلية وديمغرافية المجموعات داخل دومة الجندل، بين أحيائها القديمة، وبين أحياء «الغرب»، سيكون لها ما بعدها؛ أولاً في تمظهر مشيخات وزعامات جديدة (مثلاً ابن قعيد على حساب القديمة «الدرع» و«السراح»)، وثانياً، فوقها ومعها، وفي سياق النزوحات إلى والإزاحات في سكاكا، في تطور هيكلية التحالفات الكلية والكبرى في الجوف ككل (في سكاكا ودومة الجندل سوية) بين قطبي محور الصراع الأهلي «القرشة/ المعاقلة»، وصراعاتهما منذ ١٨٧١ وحتى ١٩٢٢ تقريباً، وخاصة في سياق الصراعات الأهلية ذات الطبيعة الاصطفافية على محور صراع القوى الخارجية (الرشيد/ الشعلان) على الجوف، وخاصة ١٩٠٩/ ١٩١٠ ـ ١٩١٤م، وجزئياً في ١٩١٩م وعلى خلفية قتل ممثل حكم وسلطة الشعلان في الجوف (كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م)، وواقعات ١٩٢٠م؟ (واقعة «الغطغط/ الغطيغط» في سكاكا، وواقعة ما عرفت بـ «هجة الغرب» في دومة الجندل).

(ب) في سكاكا (١٨٧٠ ـ ١٩٠٧م): مع نهاية الحملة التركية ١٨٧٠م، ينتهي الصراع الأهلي في دومة الجندل بشكل شبه تام، لينتقل ويتركز في سكاكا وعلى طول الفترة الممتدة من ١٨٧٠/ ١٨٧١م وحتى ١٩٠٧م وإلى ما قبل ١٩٠٩م تقريباً، ويكون محور الصراع هو بين القرشة وحلفهم من جهة، وبين المعاقلة وحلفهم من جهة أخرى، حاوياً، في امتداداته، لمحور الصراع الأهلي السابق عليه في دومة الجندل (الدرع/ السراح). من هنا، ورغم أن المعالجة الكلية ستلحظ الفترة التالية (١٩٠٩ ـ ١٩٢٢م) من الصراعات الأهلية بالجوف، إلا أنها هنا ستتركز، بدرجة أكبر على صراعات الفترة ١٨٧٠ ـ ١٩٠٧م. الآن في كل حالات الصراع الأهلي في سكاكا بين كل من القرشة من جهة والمعاقلة من جهة أخرى، وخلال الفترة منذ عقد ١٨٧٠sم تقريباً وحتى صيف ١٩٠٧م (شاملة أربع حالات، ما بين فعلية وعنيفة جداً في آخرها «واقعة كون الظلي ـ ١٩٠٧م» وما بين محدودة في العنف، في أولها «واقعة السمرة ـ ١٨٧٠sم؟»، أو أنها، فيما بينهما، أما لم تتطور عنفاً وتمظهرت باستعراضات للقوة «واقعة سيسرا ـ ١٨٧٠sم؟»، أو أنها كانت في النوايا والتخطيط، ولكنها اجهضت، وإن اشتملت على احتمال باستخدام للسلاح في حالة وقوعها، وهذه هي ما عرفت بـ «مؤامرة الجمعة ـ ١٨٨٠sم؟») ليس معروفاً على وجه الدقة مدى الفروقات الديمغرافية بين الطرفين، ولا في مدى تأثير هذه الفروقات الديمغرافية (عددياً بذاتها و/ أو عبر أعداد التحالفات الثانوية المضافة لكل من الطرفين) على اندلاع ونشوب الصراعات بين الطرفين. ورغم كل ذلك يمكن لنا تأمل المسألة من عدة زوايا ونقاط، دون أن يعني هذا إدانة لطرف مقابل الطرف الآخر.

رغم القول بعدم وجود معلومات دقيقة عن سكان سكاكا على الجملة، وبالذات عن جماعاتها الرئيسة والفرعية، إلا أن المعطيات العينية المباشرة، وكذلك أقوال بعض من الرواة الشفويين لتاريخ الجوف، ومنهم في المعاقلة على سبيل المثال والحصر، سعد الطارف، تشير على نحو قاطع أن «القرشة» كجماعة عامة رئيسة بذاتها، فضلاً عن تحالفاتها الفرعية من خارجها (المطر مثلاً، وفي اللقائط)، هي أكبر المجموعات الرئيسة في سكاكا، وتحديداً أكبر من «المعاقلة» كجماعة حلف عام (عددياً/ بشرياً) وعلى

طول الفترة الملاحظة تحديداً (١٨٧٠ ـ ١٩٠٧م)، وإن كانت صحيحة وتنطبق على وتشمل ما قبلها وما تلاها من عقود. عن هذه الوضعية والفروقات الديمغرافية بين المعاقلة والقرشة، وتحديداً في سكاكا، يحدثنا المؤرخ الشفوي لتاريخ الجوف، وتحديداً لتاريخ المعاقلة في سكاكا، سعد الطارف، وفي معرض رده على تساؤلات كنت قد طرحتها عليه عن الأمر، قائلا: «... القرشة أكثر، القرشة أكثر، مار المعونة من الله، وإلا القرشة أكثر، المعاقلة، والله، توها صارت معاقلة، وإلا أول، والله، كانت هريبشة..» ((يقصد قليلة وضعيفة ـ الباحث)) (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٣ من ٢١). ورغم أن هذا التوصيف للكثرة والقلة بين القرشة والمعاقلة يبقى صحيحاً على الجملة طوال الفترة تحت المناقشة، وربما يتجاوزها لما بعدها، إلا أن هناك تحولات في التركيبة السكانية (الديمغرافية) للمجموعات السكانية في سكاكا ككل، وخاصة ما تعلق منها بالمعاقلة وبالمقارنة والمقابلة مع غيرها وخاصة الجماعة الكبرى الأخرى (القرشة). التحولات السكانية في سكاكا تشمل، فضلاً عن النمو السكاني الطبيعي (بالتكاثر)، حالات متواصلة من الاستيطان في الغالب من خارج المنطقة و/ أو عبر النزوح والإزاحات من داخل وبين المجموعات الأهلية بالجوف (في سكاكا أو من دومة الجندل، وقارا، وفي الغالب باتجاه سكاكا). لاحظنا في ما سبق من مناقشات عن دومة الجندل (١٧٩٠ ـ ١٨٧٠م)، أن هناك حالات نزوح طوعية و/ أو إزاحات قسرية لبعض المجموعات، وأغلبها اتجه إلى سكاكا مباشرة أو عبر قارا مرحلياً، ومن تلك المجموعات نشير إلى التالي:

ـ **جماعة المطر الأولى (السراحين/ الدندن)**: على خلفية صراع مع الرحيبيين (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٥١، والسالم، زياد، اتصال هاتفي، في: ٦/ ١١/ ٢٠١٠: ٢:٢٣ ـ ٢:٥٠ ظهراً) في دومة الجندل، ربما قبيل و/ أو أثناء عقد الـ «١٨٣٠s م»، وعلى نحو مؤكد قبل ١٨٣٨م، انتقلت إلى سكاكا، لتقطن ما عرف بحي «المطر»، والذي كان قد سبقهم إليه بوقت أو بسنوات ما؟ عائلة «العوذة ـ من المرعي»، وعلى وقت جدهم «رشيد»، وهي الأخرى قادمة/ نازحة من دومة الجندل، من حي «خذما» على إثر خلاف ونزاع هناك، علماً أن العوذة ـ وعلى وقت جدهم «عودة»، وبناء على ما قيل إنها رؤية رآها ثلاث مرات لرجل صالح ينصحه فيها بترك سكاكا ـ سينتقلون من حي المطر إلى «اليابس في اللقائط» قريباً من آل قادر/ الشمدين (العوذة، عايد، اتصال هاتفي، في ٢٥/ ١/ ٢٠١٣: ٤:٥٩ ـ ٥:٠٥ مساءً، والعوذة، عودة وعايد ونزل، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣: ١ من ١ ملخص). سوف ينضاف لها لاحقاً مجموعات أخرى «**المريف والضمارا**»، قادمة من خارج الجوف «المريف»، يقولون إنهم من شمر ربما قدموا من محيط حائل، و«الضمارا»، يقولون إنهم «عنوز»، ربما قدموا مناطق «عذرا في الشام»، علماً أن بعضاً من جماعات «المطر»، وقت قدومهم دومة الجندل، قيل إنهم قادمون في الأصل من حوران/ الشام.على أية حال هذه المجموعة «المطر» كلها أو في تفريعاتها تعتبر تاريخياً، ومنذ قدومها، في حلف «القرشة». من هنا نلاحظ أن هذه الجماعة، أضافت بقدومها، مكوّناً وتركيباً ديمغرافياً (بشرياً) إضافياً، لحلف «القرشة».

ـ «**آل قادر/ الشمدين**»: قادمون أيضاً من دومة الجندل (ناصر القادر قبل رحيله لسكاكا، كان يسكن في «الحفيرة»، وفيها «المهاوش»... قرب «المعين») ربما حدث ذلك في الـ «١٨٤٠s م»، و/ أو

في حدوده بسنوات، نقصاً أو زيادة، وقطنوا اللقائط، وهم أيضاً محسوبون على حلف القرشة. عندما زارت الليدي بلنت وزوجها «ويلفرد بلنت» الجوف في عام ١٨٧٩م، كان ناصر آل قادر، والذي زارته في سكاكا وأقامت عنده وعائلته ثلاثة أيام، في وضع قائم مستقر منذ فترة (بلنت، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٦ و١٤٢، الهامش رقم ١٠)، ونتذكر أن قصيدة لـ «غالب الحطاب السراح»، قالها وهو بقرية «الوشواش»، بعد هروبه و/ أو إطلاق سراحه من حائل(؟)، ربما في حدود ١٨٦٠ أو ١٨٦٤م م، حاثّاً أهل الجوف على نصرته ومقاومة ابن رشيد، يُذكر فيها بابن «قادر»، مشيراً إلى تواجده هناك (في سكاكا) آنذاك، مما يدل على أن «ناصر القادر» قد يكون قدم لسكاكا/ اللقائط ربما بوقت لا يقل عن ٢٠ عاما من تلك القصيدة !؟

ـ «**الطالب**»: علماً أن «الدرع» في الأصل منهم، وقد قدموا للجوف من نجد (القصيم). وبغض النظر عن أين حطوا بداية في دومة الجندل أم في قارا، وإن كنا رجحنا دومة الجندل أولاً، فإن قدومهم الأصلي للجوف يبدو حدث في حدود ١٧٨٠م، زيادة/ أو نقصاً. في وقت لاحق، وبسبب صراعات أهلية بينية، يبدو أن مجموعة منهم (بعض الأخوة) انتقلت من دومة إلى «قارا»، أو العكس حسب بعض الروايات المتضاربة. على أية حال في «قارا»، ولمن استقر فيها من «الطالب»، فإن الحال لم يدم طويلاً، إذ إن صراعاً اندلع بينهم من جهة، وبين السرحان وبتحالف مع «الدغمان/ الرولة» من جهة أخرى، أفضى بهم للنزوح إلى سكاكا، برفقة عدد من عائلات سرحانية متحالفة معهم (المطرود/ السمارة/ القويضي) وفقاً لرواية مفرح بخيت الطالب (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث، في ٢٠٠٢/٨/١٣: ١ ـ ٥). ليس هناك من تاريخ محدد لنزوح الطالب وبعض العائلات السرحانية المتحالفة معهم إلى سكاكا، ولكن يبدو أن ذلك حدث قبل أو بعد ١٨٤٠م بسنوات؟ المهم في الأمر أن الطالب عندما قدموا إلى سكاكا، قيل إنهم قُسموا بين المعاقلة والقرشة، وبمشورة امرأة، قيل إنها «نوير من العابط/ الضويحي من القرشة» (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث، في ٢٠٠٢/٨/١٣: ١ ـ ٥، والطالب، فهد الحمود، ومفرح بخيت، ومدالله حماد، لقاء وحديث، في ٢٠٠٢/٨/٢١: ١ من ٥) إلى مجموعتين، إحداهما سكنت المعاقلة بين «الهذيل شرقاً والهذيل والمويشير غرباً»، والأخرى سكنت «اللقائط» إلى الشرق الجنوبي. لاحظ أن التقسيم، وبمشورة السيدة نوير العابط، كان على ما يبدو يستهدف أمرين أو أحدهما: إما أنه كان يريد إضعاف قوة «الطالب» بذاتها، بتوزيعها بين جماعتين وجهتين متباعدتين، و/ أو أنها تهدف، إضافة إلى هذا الهدف، الحفاظ على توزانات القوى بين القرشة والمعاقلة، علماً أن المعاقلة والقرشة في هذا الوقت (الـ «١٨٤٠s م» وفي حدوده) لم يكونوا قد برزوا كجماعتين و/ أو قطبين متصارعين، إذ إن الصراع الأهلي بالجوف وقطبه آنذاك (الدرع/ السراح) كان لا يزال متمركزاً في دومة الجندل. السمارة أيضاً قطنوا المعاقلة إلى الغرب من جزء من الطالب (الرشيد)، بينما عائلة القويضي سكنت اللقائط، والمطرود سكنوا حي الشلهوب، علماً أن العائلات الثلاثة، وطبقاً للرواية، وما يقولون عن أنفسهم أنهم سراحون.

ـ **السهو من المرعي**: وهم، يقولون إنهم سراحون، من المرعي من جماعات حي خذما في دومة الجندل، قدموا إلى سكاكا في وقت غير محدد، ولكن يرجح أن يكون قريباً من قدوم العوذة، إذ كلاهما من المرعي ومن حي خذما وربما على نفس الخلفية من النزاع آنذاك في حي خذما، وربما حدث ذلك،

في الغالب، في سنة من سنوات الـ ١٨٣٠s م(؟) وفي الغالب في أوائله وقبل منتصفه. لاحظ أن «السهو» قطنوا في الطرف الشمالي من المعاقلة، وإلى الغرب من السهيان تقريباً. يلاحظ أنه، وربما حتى أوائل القرن العشرين وواقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م» فإن ميول «السهو»، كما هو ميول بعض عائلات الطرف الشمالي من المعاقلة، من «الجحيش» بمن فيهم الهادي والسليمان، باستثناء الحموان، وطبقاً لأقوال سعد الطارف، هو أقرب إلى القرشة منه إلى المعاقلة (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٩ من ٢١ تفريغ، والطارف، سعد، مقابلة (III)، في ١٤١٤هـ: ٨ من ٩ تفريغ).

بالنسبة إلى السهو، بذاتهم، كما هو الحال مع العوذة، يبدو أن الأمر مرتبط بخلفيتهم السابقة، فهم قادمون من دومة الجندل، ومن حي خذما، حيث هو وجماعاته، الحلفاء التاريخيون للدرع ولـ «القرشة». أما ما يتعلق ببعض عائلات الجحيش، على وجه الخصوص، فالأمر فيه نوع من الغرابة، ذلك أن الجحيش ككل ومع آل الراشد، وبتحالفهم مع وحول آل معيقل (السليمان/ الكبيدان/ الدغيفق)، شكلوا النواة الأولى لتطور وتشكل حلف عريض عرف لاحقاً بـ «حلف المعاقلة». ربما يعود السبب إلى أمرين متداخلين: الأول يرتبط بكون حالة الصراع الأهلي في سكاكا كانت معدومة تقريباً قبل ١٨٧٠م، ومحدودة بعدها حتى أواخر القرن التاسع عشر، ولم تنفجر بشكل عنيف إلا في «كون الظلي ـ ١٩٠٧م»، وما بعدها، وثانياً، بسبب قرب جغرافي وتجاور، دون تماس حاد، من ومع «القرشة» (الضويحي: السهيان والعرفج)، وفي سياق فترة (١٨٧٠ ـ ١٩٠٠م) انصبغت واتسمت، على الجملة، بحالة تبدو هادئة بين المعاقلة والقرشة.

في فضاءات ومعطيات كهذه، يبدو أن العلاقات التفاعلية وبحكم الجيرة والمصلحة المشتركة، قد طورت علاقة تفاعلية إيجابية مع القرشة، بما فيها وما تخللها من زواجات بينية، من قبل بعض عائلات الطرف الشمالي لـ «المعاقلة»، سواء تعلق الأمر بـ «السهو» و/ أو ببعض عائلات من الجحيش. ويبدو أن السويلم في الضلع والربيع/ الربيع في الشعيب واللقائط، هم الآخرون يقولون إنهم سراحون قادمون و/ أو نازحون في الغالب من دومة الجندل، كما هم العوذة والسهو، ويبدو أن ذلك حدث في وقت ربما أما متزامن أومتتال ومتقارب معهم؟.

ـ **المنديل** من الشلهوب: على خلفية صراع بين «منديل» وأخيه «صالح» على قطعة أرض و/ أو جزء منها، انتقلوا إلى الأرض الواقعة جنوب وغرب الزيد (العلي/ القرشة) وباتجاه الركن الشرقي الشمالي من سيل «الغدير/ الدغيفق ـ المعاقلة» (المعروف حالياً بـ «سيل/ شارع الهذال»، نسبة لبعض من الهذال/ الدغمان من الصالح من الشلهوب، والذين على ما يبدو التحقوا بأبناء عمومتهم من المنديل، في وقت ما لاحق). رغم عدم وجود تارخ محدد لنزوح «المنديل»، إلا أنه يبدو في وقت ما بين ١٨٥٠م و١٨٧٠م، أو في حدودهما، نقصاً و/ أو زيادة، واستمروا في هذا الموقع على ما يبدو حتى ما بعد ١٩٠٧م بقليل، حيث بدأوا بالعودة تدريجياً إلى الشلهوب و/ أو العبدية، ليكونوا في الغالب مع أو قبل عام ١٩٢٢م ببضع سنوات قد أكملوا العودة. لاحظ أن المنديل عندما انتقلوا إلى هذا المكان (سيل الغدير/ الهذال)، وهو مكان بين القرشة (الزيد/ العلي) من جهة، وبين المعاقلة في طرفه الشمالي والجنوب الغربي، كانوا في وضع غير مريح بين المعاقلة والقرشة ويتعرضون لضغوط متبادلة، رغم أنه وباستثناء الفياض وربما

جزء من الدغمان، فإن الشلهوب عموماً، ومنهم المنديل كانوا، في هذه الفترة (١٨٥٠ ـ ١٩٠٧م) ميالين وأقرب إلى القرشة منهم إلى المعاقلة.

تغيَّر هذا الوضع بعد واقعة أو «كون الظلي ـ ١٩٠٧م»، حيث تحوَّل غالب، إن لم يكن، كامل الشلهوب (المنديل والصالح) إلى التقارب و/ أو التحالف مع المعاقلة. «الخمسان» وكانوا يقطنون إلى الشمال من المنديل، وإلى الجنوب من الراشد، وفي مكان الآن يشغله على ما يبدو النصير، هم الآخرون ارتحلوا من هذا المكان، حيث جزء منهم انتقل إلى الشلهوب، والجزء الآخر إلى اللقائط. ورغم أنه غير معروف على وجه الدقة متى ارتحالهم باتجاه الشلهوب و/ أو اللقائط، فإن ذلك ربما حدث بالتزامن مع أو حول عودة المنديل ومن معهم إلى الشلهوب، وكان ذلك بحدود العقد الثاني من القرن العشرين، وعلى الأرجح قبل نهاية العقد أو في حدودها، نقصاً و/ أو زيادة. سوف يتمدد في مكانهم ومكان المنديل الذي تركوه في المعاقلة، النصير، والذي سيأتي الحديث عنهم لاحقاً. وعن لماذا ترك الخمسان مكانهم في المعاقلة، فغير معروف، ولكننا نرجح أن ذلك مرتبط بحالة عدم استقرار بين المعاقلة والقرشة (و بالذات مع العلي منهم)، وبالتالي كانوا في وضع غير «مريح»، كما هو الحال مع «المنديل»، مما جعلهم يبحثون على مكان يبدو أكثر أمناً و/ أو بعداً عن هذه الأوضاع غير المستقرة.

ـ **عائلة النصر**: انتقلت من المعاقلة إلى سوق البحر، مباشرة شمال شرق المسجد المعروف باسم «فيصل المبارك» في العلي/ القرشة، بسبب عدم ارتياح على ما يبدو اجتماعياً مع بعض عناصر من المعاقلة، حيث كما يقول هلال النصر، ونقلاً عن والده «أن والده... بدأ يسمع كلاماً غير طيب من بعض الناس هناك، أو يُسمعونه كلاماً غير طيب، فقررنا الارتحال إلى السوق...» (النصر، هلال، مقابلة (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ٦ من ٦ ملخص). ويبدو أن الارتحال وقع في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، أو في حدودها، بسنوات قليلة، زيادة أو نقصاً. مع ذلك فإن الانتقال لم يكن مهماً من الناحية الديمغرافية، لأنه: أولاً، كانت عائلة النصر، وقت الانتقال، صغيرة جداً، يبدو تتكون من نصر وزوجته فقط، وحتى أولاده بمن فيهم هلال، لم يكونوا آنذاك ولدوا، أو أنهم كانوا ربما للتو حديثي الولادة، حيث إنهما في سياق حركة الإخوان في الشمال ودخولها الجوف (سكاكا) في حدود ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، كانا وقتها صغيرين، وهربا باتجاه المعاقلة ومحسن الفالح تحديداً حيث لجأا إليه لعلاقة حسنة معه والفالح، كما يقول هلال سالم النصر نفسه (النصر، هلال، مقابلة (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ٦ من ٦ ملخص)، ولأنه ثانياً وقع الانتقال في حدود ١٩٢٠م، نقصاً أو زيادة بسنوات قليلة جداً، فإن ذلك وقع وكانت الحرب الأهلية بالجوف وحالاتها تقريباً منتهية.

ـ باستثناء ما سبق من تداخلات بين المعاقلة والقرشة، وجزئياً مع الشلهوب، يلاحظ أن التغيرات الهيكلية السكانية طالت المعاقلة، أكثر باتجاه تزايدها عبر مجموعات فرعية، عبر الاستيطان القادم من خارج الجوف و/ أو من خلال الإزاحات من داخل الجوف (من دومة الجندل أو من أو من أو عبر قارا، أو حتى من داخل سكاكا). لاحظ أنه باستثناء السهو، إلى الشمال من المعاقلة، فإن تزايد المعاقلة اجتماعياً، وتمددها أرضاً/ إقليمياً، في سكاكا، من خلال وفود مجموعات فرعية بالاستيطان و/ أو النزوح من داخل أو خارج سكاكا، هو في الغالب باتجاه غرب وجنوب غرب سكاكا. لنرى ونرصد الأمر على النحو التالي:

ــ **الكريّع**»: يعتبر الكريّع، وهم يقولون إنهم من عنزة/ البجايدة، من سكان سكاكا الأولين. قدموا لها عبر دومة الجندل، حيث بداية استوطنوا في ما عرف بحي «الحفيرة» في دومة الجندل، قدموا لها من محيط المدينة المنورة (خيبر). عندما قدموا و/ أو نزحوا إلى سكاكا، كان سكنهم بالأصل في حي الضلع. ويبدو أن دخول الكريّع الأول لـ «الجوف» (دومة الجندل) يعود إلى فترة ما، في الغالب، تدور حول ١٦٠٠م أو في حدودها زيادة أو نقصاً بسنوات؟ (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٤٥ ـ ٤٧). ومع ذلك، وفي وقت غير محدد ومعلوم، وعلى خلفية صراع، مع القرشة، كما يقول سعد الطارف انتقل الكريّع، إلى المعاقلة، و«صاروا معاقلة» (الطارف، سعد، مقابلة (III)، في ١٤١٤هـ: ٢ من ٩ تفريغ) **و**استقروا إلى الشمال من الراشد والسليمان/ الحيزان (آل معيقل) وإلى الجنوب من الجحيش، في وقت يبدو أن المعاقلة في نواتها الأولى كانت متكونة. ورغم أن نزوح «الكريّع» من دومة الجندل وباتجاه سكاكا غير معروف على وجه الدقة، إلا أنه وقياساً على عدد الأجيال، يبدو أن ذلك حدث في حدود ١٧٠٠م(؟)، نقصاً أو زيادة بسنوات. أما متى حدث نزوح الكريّع من القرشة إلى المعاقلة، فهو الآخر غير معلوم، ولكن يبدو أن ذلك حدث في وقت ما بعد ١٧٥٠ وربما قبل ١٨٠٠م؟

ــ **العبد ويقولون إنهم من (شمر)**: من خارج المنطقة، ربما من محيط حائل، قدموا إلى المنطقة، قيل إنه في وقت ربما منذ ٣٠٠ عام(؟) (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٨٧)، وإن كنا نرجح أنها، وقياساً على عام ١٩٨٠م كأساس، وعلى عدد الأجيال، حدثت منذ ٢٣٠ عاماً، أي في حدود ١٧٥٠م و/ أو في حدودها، نقصاً و/ أو زيادة بسنوات، واستوطنوا المعاقلة إلى الغرب المحاذي للكبيدان، وإلى الجنوب المحاذي للدغيفق/ الفالح. ويبدو أن استيطان العبد، في المعاقلة، يمثل المجموعة الأولى المضافة على ما قبلها من نواة المعاقلة (آل معيقل، والراشد والجحيش) كاستيطان من خارج منطقة الجوف.

ــ **الحميَر**: ويقولون إنهم من شمر في الأصل، من السماوة جهات عذرا ـ سورية، قدموا إلى الجوف (دومة الجندل) منذ ٢٠٠ عام (قبل عام ١٩٨٠م وقياساً عليها كأساس)، ثم انتقلوا منها إلى قارا وسكاكا (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٢٢) وفي وقت متأخر انتقل بعض منهم إلى القريات. يلاحظ أن الحمير (الربيع والسباتا)، قطنوا وسكنوا، وأقاموا مزارعهم (حوطهم) في الجزء والطرف الأوسط الغربي من سيل الغدير/ الهذال وإلى الشرق من العويقيل/ الدغيفق.

ــ **البيالية** ويقولون إنهم سراحون: قيل إنهم انتقلوا إلى سكاكا، وقطنوا المعاقلة غرباً، بين المويشير والهذيل (القسم الغربي) والدغيفق/ العويقيل، قادمين من قرية قارا وذلك قبل حوالي ٢٠٠عام، قياساً على عام ١٩٨٠م كأساس (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٣٩). لكننا، وقياساً على عدد الأجيال، وملاحظة توالي البيوت والمزارع (الحوَط) في تمدد المعاقلة غرباً، وخاصة الجزء الغربي منها، وإلى الغرب، والجنوب من سيل الغدير/ الهذال، نرجح أن ذلك وقع في وقت ما من الـ ١٨٣٠sم وفي حدوده، وفي الغالب قبيله بسنوات، وعلى الأرجح قبيل وصول الهذيل للمعاقلة ببضع سنوات(؟)

ــ **الهذيل**، ويقولون إنهم سراحون، أصلاً من حي «الدلهمية في دومة الجندل، نزحوا منها، في الغالب عام ١٨٣٨م، إلى سكاكا وقطنوا المعاقلة للغرب من الدغيفق/ الفالح والمثري، والغرب الجنوبي

من الدغيفق/ العويقيل، على خلفية صراع الدلهمية/ الجرعاوي، وفي متلازمتها وتوابعها غزو الرشيد للجوف ١٨٣٨م. يبدو أن الهذيل ومن خلال نخيلهم وبيوتهم ومواقعها، سبقوا قدوم الطالب لسكاكا وتحديداً لمن هم في المعاقلة، بعدد من السنوات، ولذلك كنا رجحنا أن قدوم الطالب لسكاكا ربما وقع في حدود ١٨٤٠م أو بعدها بسنوات(؟) يعتبر الهذيل، بالمقارنة مع من سبقهم أو لحقهم من مجموعات فرعية نازحة إلى سكاكا، هم الذين تاريخ وصولهم سكاكا وفي حي المعاقلة معلوم بدرجة أكثر يقينية وتحديداً أنه في حدود عام ١٨٣٨م، بعد غزو ابن رشيد للجوف والسيطرة عليه في تلك السنة.

ـ ـ **الورادا**: والذين يجمعون ويؤكدون القول إنهم من شمر/ الجربا، وفي اعتراض على ما أورده عبد الرحمن الشايع الكريّع، من أنهم من تميم (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٩٦، ٢٦٢، ٢٦٥). يستثنى من ذلك قول منسوب لـ «عبد الله المضحي الوردي» بأن الورادا هم بالفعل من تميم، طبقاً لما ذكره لي الدكتور حمد عبد الرحمن مشحن الوردي، في إحدى المناقشات والحوارات معه (الوردي، لقاء ونقاش، في: صيف ٢٠٠٢، ليلاً). وعلى أية حال، رغم هذا الاختلاف، فإنه، أولاً، لا يعيبهم في شيء، سواء كانوا من تميم أم من شمر، وثانياً هم أحرص على أصولهم ونسبهم، فالناس مؤتمنون على أنسابهم. ما يهم هنا هو أنهم قدموا من خارج الجوف، وسواء من القصيم أم من غيرها، وحطوا رحالهم وسكنوا في دومة الجندل، بحي العباس. كان ذلك على ما يبدو في حدود ١٧٩٠م. من دومة الجندل، وعلى إثر نزاع وخلاف بينهم، ارتحل/ نزح أحدهم إلى سكاكا (يبدو أنه: حمد عبد الله الوردي) وحفر بئراً (قليب: «مغيضة»)، حيث، وفي فترة تالية، التحق بقية الورادا به في سكاكا (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٦٢). أقام الورادا بيوتهم وحوطهم (مزارعهم) في غرب المعاقلة بالطرف الغربي لبداية سيل الغدير/ الهذال (تقريباً وجزئياً إلى الشمال من العويقيل/ الدغيفق). أما متى قدموا لسكاكا فالأمر غير معلوم على وجه اليقين، ولكن يبدو أنه حدث في الـ ١٨٣٠sم، وفي الغالب في أواخره، أي بحدود عام ١٨٤٠م، زيادة أو نقصاً بسنوات، ويبدو من خلال التمدد الجغرافي للمعاقلة جنوباً، فإن قدوم الورادا أو على الأقل لأولهم حدث، بالتزامن مع قدوم الهذيل أو قبله أو بعده ببضع سنين، وربما قبل قدوم الطالب. نعلم أن الورادا وطبقاً لحادثة أو واقعة المديرس ١٨٧١م، فإن حمد الوردي (الأول) كان ضمن من أعدمهم ابن رشيد من أهالي الجوف انتقاماً منهم، لما زعم عن دور لهم في الحملة التركية على الجوف ١٨٧٠م، علماً أنه اعتُقل من بيته في سكاكا بالمعاقلة (للمزيد انظر قصة واقعة المديرس ـ ١٨٧١م، ضمن واقعات الحرب الأهلية بالجوف، في هذه الدراسة) وبما يعني أنه هو، من الورادا، على الأقل، كان مستقراً منذ فترة في سكاكا، ربما لا تقل عن عقدين من الزمن قبل هذه الواقعة (؟).

ـ ـ **السمارة**: ويقولون إنهم سراحون، وقيل إنهم قدموا للجوف (سكاكا) من البلقاء (الأردن)، منذ ١٥٠ عاماً، قياساً على عام ١٩٨٠م كأساس (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٢٣). غير أن هناك من يؤكد أن السمارة نزحو من قارا إلى سكاكا، رفقة الطالب والمطرود والقويضي، على خلفية صراع مع السراحين هناك (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث، في ٢٠٠٢/٨/١٣: ١ ـ ٥). وحيث سبق أن رجحنا قدوم الطالب، على أنه حدث في حدود عام ١٨٤٠، زيادة و/ أو نقصاً بسنوات،

فيكون قدوم السمارة متزامناً كذلك. استقر السمارة في المعاقلة إلى الغرب من الطالب (الرشيد) وشمال المويشير.

ـ ـ **السلامة/ المعيقل آل إبراهيم**: وهم يقولون إنهم من شمر من موقا من محيط حائل. قيل إنهم وفدوا قبل ٢٠٠ عام، تقريباً، قياساً على عام ١٩٨٠م (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٣٨)، وهو ما يعني أنهم قدموا للجوف في حدود ١٨٠٠م، وقد استقروا أولاً في سكاكا بحي الضلع، ولكنهم على إثر خلاف ونزاع معهم هناك، نزحوا إلى المعاقلة، إلى الغرب من الورادا والدغيفق/ العويقيل، وكان ذلك على ما يبدو في وقت كان «نازل» ولد إبراهيم في عنفوان شبابه (الطارف، سعد، مقابلة (III)، ١٤١٤هـ: ٢ من ٩ تفريغ). عندما ارتحل وسكن إبراهيم وأسرته، آنذاك، في المعاقلة، يبدو أنه رزق بولد، أسماه معيقل، وقيل عنه إنه، تيمناً بـ «آل معيقل»، ورد جميل لهم بالسماح له باقتطاع قطعة من أراضيهم وإحيائها والعيش فيها. **وحيث الأمر كذلك، وقياساً على فروقات عدد الأجيال** من معيقل وحتى ٢٠١٣م، يقدر أن الارتحال والنزوح إلى المعاقلة، تم في حدود الـ ١٨٨٠sم، زيادة و/ أو نقصاناً، وفي الغالب في أوله.

ـ ـ **النصير**: ويقولون إنهم رولة من المرعض، استوطنوا الجوف (سكاكا)، ربما في حدود ١٨٢٠م، نقصاً أو زيادة بسنوات، قياساً على عدد الأجيال. بداية استقر الأولون منهم، على ما يبدو في حي الشريقية، بالقرب من العلي/ القرشة، ثم توسعوا مرحلياً غرباً وشمالاً من العلي وإلى الشرق، والشرق الشمالي من المعاقلة، علماً أن أخوالهم الأولين هم السعيد/ العلي (أمهم يبدو أنها باهي بنت السعيد من العلي) (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٧٢). الأراضي التي انتقل إليها النصير، وخاصة جنوباً من الراشد وباتجاه سيل الغدير/ الهذال هي ما كان يشغلها «الخمسان» و«المنديل» وأقرباؤهم، والذين بدأوا بتركها ربما مع العقد الثاني من القرن العشرين، أو في حدوده. كان النصير كجماعة حلفاء للقرشة، ولكنهم انشقوا عن القرشة، وتحالفوا مع المعاقلة، على خلفية صراع مع العلي وبعض من الدرعان، قيل إنه اندلع على إثر محاولة قتل «خلف آل بنية»، وعلى ما قيل إنها محاولة تستهدف إحداث ردة وتمرد بالجوف في ما يبدو ضد سلطة الرشيد (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٤ ـ ٥ من ١٦ تفريغ)، ولكن، في المقابل، قيل إنه بالأصل صراع تولد عن صراع متصل بمحاولة التعرض لـ «قاسم السعيد»، من قبل أشخاص يبدو أنهم من القرشة أنفسهم، ولكن من أتاهم بها هو خلف البنية، في محاولة ربما لإحداث شقاق مع قاسم السعيد، رغم أن خلف البنية، وكما يقول خلف الشافي السويلم، هو نسيب لقاسم السعيد مما جعل من الصراع بين العلي/ القرشة من جهة وبين النصير وخلف البنية من جهة أخرى، يتواصل ويستمر لأكثر من سبع سنوات، كان فيها خلف البنية متنقلاً متخفياً عند بعض بيوت المعاقلة، وحتى عند بعض القبائل في غرب الجوف طلباً للحماية مما بدا أنها مطاردة له من قبل القرشة/ العلي والدرعان (السويلم، خلف شافي، مقابلة (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٤ من ١٥ ملخصاً).

الآن والمهم، وبغض النظر عن أصل الصراع، ووجهات النظر حوله، ما يهم هنا هو أمران؛ الأول أن النصير كمجموعة فرعية غيرت تحالفها من القرشة إلى المعاقلة، وتزايد تقاربها ونزوحها وتمددها جغرافياً ولاحقاً، مع وباتجاه المعاقلة، وكان ذلك نتيجة لصراع مجموعات فرعية بينية (بين العلي/

والدرعان من القرشة من جهة، وما بين النصير من جهة أخرى). والثاني هو تحديد متى وقع هذا التحوّل في التحالف، فنقول: كل المصادر التي اطلعنا عليها، ومنها ما مر واستُخدم آنفاً، تشير إلى أن وقوع تحول تحالف النصير من القرشة إلى المعاقلة، حدث في وقت وحياة خلف البنية، وقبل ولادة أبنائه (صحن وعبيكة وهطليس)، كما يقول سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٤ من ١٦ تفريغ). وحيث الأمر كذلك، وقياساً على فروقات تقريبية في عدد الأجيال حتى أوائل ٢٠١٣م، فيبدو أن هذا التحوّل، وقع مع أو في أعقاب الحملة التركية على الجوف عام ١٨٧٠م، وفي حدودها زيادة أو نقصاً بسنوات.

بناء على ما تقدم من التغير الديمغرافي، بالاستيطان و/ أو النزوح و/ أو الإزاحة في الجوف عموماً، وفي سكاكا على وجه الخصوص، وبالمقارنة بين المعاقلة والقرشة، نقدم ونرصد الملاحظات التالية:

- في موضوع النزوح و/ أو الإزاحات داخل الجوف، يلاحظ أن النزف الأكثر وقع في دومة الجندل، حيث نزحت مجموعات من دومة الجندل، وباتجاه سكاكا مباشرة أو عبر قارا (الكريّع/ الحميَر/ العوذة/ المطر/ الشمدين آل قادر/ السهو/ السمارة/ المطرود/ البيالية/ الهذيل/ الطالب/ الورادا... إلخ).
- غالبية النزوحات و/ أو الإزاحات من داخل الجوف (في دومة الجندل، وفي سكاكا، أو فيما بينهما، وبالذات من دومة الجندل تجاه سكاكا)، إن لم يكن كلها، كانت متولدة وناتجة، مباشرة و/ أو غير مباشرة، عن صراعات أهلية بينية، سواء كانت صغرى و/ أو كبرى أو خليطاً منهما.
- داخل سكاكا وفي ما يتعلق بالقرشة والمعاقلة، يلاحظ، التالي:

□ أنه وباستثناء «المطر» كجماعة فرعية تحالفت مع القرشة، وعدد محدود من العائلات من خارجها، فإن تنامي القرشة ديمغرافياً (عددياً)، هو ناتج من تكاثر ونمو ذاتي، وليس بسبب توافد مجموعات فرعية من خارجها. بالمقارنة، يلاحظ أن تنامي المعاقلة، وإن شهدت نمواً ذاتياً لمجموعاتها الأولى (آل معيقل، الراشد، الجحيش)، إنما كان بسبب توافد مجموعات فرعية، إما بالنزوح و/ أو الإزاحة من داخل الجوف و/ أو عبر الاستيطان من خارجه، تواصلت منذ ١٨٠٠ فصاعداً، وبالذات منذ الفترة الممتدة ما بين الـ «١٨٣٠s م»، وحتى أوائل الـ «١٨٧٠s م».

□ في سياق النمو والتغير الديمغرافي بين المعاقلة والقرشة، وخاصة في سكاكا فيما قبل عام ١٩٢٢م، يلاحظ أنه بينما تمدد المعاقلة جغرافياً (أرضاً)، هو باتجاه الغرب والغرب الجنوبي من سكاكا، فإن تمدد القرشة جغرافياً هو جزئياً نحو الجنوب والجنوب الغربي (السوق ومنطقة العلي/ الزيد) والأكثر نحو الجنوب الشرقي (تجاه الشعيب واللقائط). طبعاً تمدد القرشة نحو الجنوب الشرقي وباتجاه الشعيب، يبدو أنه كان أمراً لا خيار فيه، إذ إن تمدد القرشة شمالاً وشرقاً، أمر غير مرغوب فيه لشح المياه هناك، فضلاً عن انكشاف الحماية الطبيعية فيه، والتمدد تجاه الجنوب والجنوب الغربي وصل مداه مع تماس الزيد مع النصير غرباً وأقصى الجنوب الغربي، بينما التمدد نحو الجنوب أرضاً غير صالحة (القاع: قاع المطر)، فضلاً عن تقابله مع جماعة وحي المطر وإن كانوا حلفاء. لاحظ أن في هذه النقاط تداخلاً بين البعد والنمو الديمغرافي من جهة، وبين التمدد والتوسع جغرافياً وما يتصل بالموارد (المياه والأراضي وجودتهما) من جهة أخرى.

□ في النزوحات البينية، وبالمقارنة بين القرشة والمعاقلة في سكاكا، يلاحظ أن عدد المجموعات النازحة و/أو المزاحة، ـ (الكريّع/ الإبراهيم/ النصير/ المنديل/ الخمسان/ النصر) ـ، من الجماعتين نحو خارجهما، سواء تجاه بعضهما البعض و/أو تجاه جماعات سكاكا الفرعية الأخرى من خارجهما، هي في الغالب حدثت في زمن القرشة أكثر مما هي في زمن المعاقلة. وربما الملاحظة الأكثر أهمية، في ما يتعلق بهذه النقطة وصلتها بالصراع الأهلي وتحالفاته البينية، هي أن النزوحات المشار إليها، ترافقت وتحولات في التحالفات مع كل من المعاقلة والقرشة، في ما بدا أنه لمصلحة الأولى (المعاقلة) على حساب الأخيرة (القرشة). ما يهم في هذه النزوحات والتحولات في التحالفات في ما يتعلق بالمقارنة بين القرشة والمعاقلة، هو ما وقع منها في الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م وفي حدودها زيادة أو نقصاً بقليل، ذلك أن تلك الفترة ستتضمن قدراً من الخلخلة والتغير في مكوّنات البنية الديمغرافية للصراعات الأهلية في سكاكا، وتحالفات المجموعات المتصارعة فيها، وخاصة التي فيها تقابلات ومواجهات بين القرشة والمعاقلة، والتي رأينا أنها في الغالب تمظهرت في الفترة ١٨٧٠ ـ ١٩٢٢م، وخاصة ١٨٧٠ ـ ١٩١٤م، وحالاتها الصراعية الأهلية.

الآن وأمام هذه الحالة والحالات من التغيرات السكانية (الديمغرافية) سواء بالنمو الطبيعي أو عبر الاستيطان و/أو الإزاحات من داخل الجوف أو من خارجها، هل هناك من تأثير لها على الصراعات الأهلية في الجوف أو رابط فيما بينهما؟ في الجواب: كما ألمحنا سابقاً، ليس هناك إجابة قطعية يقينية حول المسألة. ومع ذلك نقول إن هناك بعض المؤشرات على التداخل بين الأمرين، ومن ذلك نسجل التالي:

١ ـ لا شك في أن للعامل الديمغرافي، من حيث العدد والكثرة، أثراً في هيكلية وميزان القوى بين الأطراف المتصارعة، ولو من الناحية الشكلية، وخاصة في الحروب القديمة والتقليدية، أهلية أم دولية، إذ إن الكثرة في الغالب تغلب القلة ولو كانت شرسة (الكثرة تغلب الشجاعة)، وخاصة مع عدم وجود فوارق نوعية بالسلاح؛ لقد رأينا ذلك في معارك ابن رشيد ضد أهالي الجوف في تمردهم عليه في عام ١٨٥٣م، فلم ينتصر عليهم إلا بعد أن جلب واستخدم سلاحاً فتاكاً جديداً (مدفع «منصور»).

٢ ـ التقارب في العدد وفي السلاح، بين الأطراف المتقابلة في الغالب يولد حالة من التوازن والتكافؤ، وبالتالي يولد حالة من الهدوء و«الاستقرار».

٣ ـ في الحالات من الصراع الأهلي، رأينا أن الخلل في ميزان القوى (عددياً وربما سلاحاً)، استدعى غالباً الاستنجاد بطرف أو قوة خارجية (الدرع/ السراح «١٧٩٢ ـ ١٨٠٠م»، والدولة السعودية الأولى وعناصرها الوهابية؛ الدلهمية السراح/ الجرعاوي (الدرع) ١٨٣٨م، الرشيد؛ السراح/ السراح ١٨٥٣م الشعلان/ الرشيد... إلخ).

٤ ـ في دومة الجندل، نلاحظ أن التغيرات الهيكلية في التركيب السكاني/ الديمغرافي، وما اتصل بها من نزف كبير بنزوح مجموعات فرعية متعددة منها إلى خارجها، وفي الغالب تجاه سكاكا، في الفترة منذ ١٨٣٠s م وحتى تقريباً ١٨٧٠م، ترافقت في النهاية وخاصة مع وبعد نهاية الحملة التركية على الجوف ـ ١٨٧٠م، مع توقف شبه كامل للصراع الأهلي فيها وبين جماعاتها الفرعية والكبرى. صحيح

أن للسلطة الخارجية وجبروتها وقمعها للأهالي في دومة الجندل، ولما لحقهم من إنهاك متواصل متراكم بسببها وبسبب الصراعات الأهلية السابقة، دوراً في تراجع الصراع الأهلي فيها مع نهاية ١٨٧٠/ ١٨٧١م، ولكن الصحيح أيضاً، ومن جهة أخرى، أن هذا التراجع أو التوقف في الصراع الأهلي في دومة الجندل بعد ١٨٧٠م، إن لم يكن مرتبطاً مباشرة بتغيرات في التركيبة السكانية والتغيرات في التحالفات المصاحبة لها، فهو دون أدنى شك بدا متزامناً معها، وعلى طول الفترة وحتى ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وهو ما يعكس، على الأقل، ولو ظاهرياً قدراً من التلازم بين المتغيرين. في هذه السنوات الأخيرة (١٩٠٩ ـ ١٩١٤م: صراعات فوضى سيطرة الشعلان على الجوف)، نلاحظ أن الصراع الأهلي، وإن بصلة بقوى خارجية، قد عاد جزئياً إلى دومة الجندل، مترافقاً مع مآلات التغيرات الهيكلية الديمغرافية في دومة الجندل، من حيث تنامي مجموعات أحياء الغرب (القعيِّد وحلفائهم)، وبروز قوتهم مع بروز نخب ومشيخات تبدو جديدة صاعدة على حساب مجموعات أحياء دومة القديمة (من حي الدرع والسوق وباتجاه خذماء وما حولها من أحياء متحالفة معها) والتي بدت ديمغرافياً، كما هي نخبها ومشيخاتها، في وضع متآكل. لاحظ أن الصراع الأهلي الاصطفافي، على محور الصراع مع وضد قوة الشعلان/ الرشيد الخارجية، في ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وبالذات ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م، كان في دومة الجندل، بين حلف المعاقلة في أحياء «الغرب» من جهة وبين القرشة الدرع وحلفائهم في الأحياء الجنوبية القديمة (الدرع وخذماء) من جهة أخرى. فوق هذا وذاك، لاحظ أن أحياء «الغرب» في دومة الجندل ومجموعاته المتنامية مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين كانت، هي ونخبها الجديدة الصاعدة، وعلى حساب السراح، كنخب تقليدة متآكلة مستنزفة، هي من حلّت محلهم في قيادة حلف المعاقلة في مواجهة الطرف الآخر القرشة وحلفهم في دومة الجندل من الأهالي (الدرع وخذماء والمجموعات حولها، وكانت هي الأخرى في وضع مستنزف، وإن استماتت في المقاومة).

٥ ـ في سكاكا، بينما انتهى الصراع الأهلي من دومة الجندل مع نهاية ١٨٧٠/ ١٨٧١م تقريباً، يلاحظ أنه انتقل تدريجياً، وبشكل كامل إليها، وأخذ يشتد باتجاه ١٩٠٠م، وما بعدها. ورغم أن قطبي محور الصراع الأهلي الكبير، في سكاكا، هما المعاقلة من جهة والقرشة من جهة أخرى، وحاوياً لما قبله من صراع وأطراف في دومة الجندل (السراح/ الدرع وحلفاؤهما)، إلا أنه لا يستبعد، وقد يتركز على صراعات أهلية بينية داخل الجماعات الفرعية ونخبها وفيما بينها، وقد يكون خاصاً بها. في هذه الفترة يلاحظ أن المعاقلة، في سكاكا، أخذت تتزايد ديمغرافياً بتوافد مجموعات هي في الغالب مزاحة و/ أو نازحة من دومة الجندل، مضيفة على ما فيها من قبل من نمو ذاتي، وكذلك على ما فيها من نمو متولد عن وعبر الاستيطان من خارج الجوف. يلاحظ أن الصراع الأهلي في سكاكا، وقد بدأ في الانتقال إليها ما بعد ١٨٧١م فصاعداً، ترافق مع، أو بالأحرى، أتى في أعقاب ما بدا أنه حالة متكوّنة من تغيرات هيكلية سكانية في سكاكا عموماً (الشلهوب/ المطر/ القرشة/ المعاقلة)، وفي المعاقلة على وجه الخصوص، من حيث تناميها عبر قدوم و/ أو نزوح أو انشقاق مجموعات فرعية إليها من داخل الجوف (من دومة الجندل ومن سكاكا نفسها) أو من خارج الجوف. ورغم أن الصراع الأهلي في سكاكا شمل حالات صراعية من داخل المجموعات والمجموعة الواحدة، فرعية و/ أو رئيسة (مثلاً حرب المعاقلة/ المعاقلة أو ما عرف بحرب

الراشد/ المويشير)، إلا أن الغالب في حالات الصراع كانت بين الجماعات الكبرى فيها، وبالذات بين القرشة والمعاقلة، بما في ذلك الحالات الصراعية الأهلية الاصطفافية على محور صراع القوى الخارجية للسيطرة على الجوف. في معظم حالات الصراع التقليدية والقديمة، أهلية أم غيرها، يؤدي توازن القوى، بشراً وسلاحاً، بين الأطراف المتحاربة دوراً في اندلاع الصراع، فضلاً عن استمراره و/ أو نهايته. في الصراعات الأهلية الاصطفافية بالجوف على محور صراع القوى الخارجية المتنافسة والمتحاربة للسيطرة على الجوف، ومنها مثلاً (صراعات فوضى سيطرة الشعلان على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، وبالذات في ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م)، نلاحظ أن التوازن في القوة (مقاتلين وسلاحاً)، وعبر التحالفات المحلية المتقابلة (القرشة والمعاقلة)، بطلب المعاقلة (في كل من سكاكا ودومة الجندل) من الشعلان التدخل في الجوف والتحالف معهم، وبوقوف القرشة، في كل من سكاكا ودومة الجندل، ضد الشعلان ومع الرشيد وحاميتهم في الجوف (دومة الجندل)، أدى إلى اندلاع الصراع، بل إلى مطاولته وتواصله قتالاً ومعارك دامت في حدود سنة كاملة قبل السيطرة الأولية والظاهرية للشعلان على الجوف، واستمرت متقطعة في واقع الأمر حتى نهاية ١٩١٤ وأوائل ١٩١٥م. لاحظ أن دخول الشعلان للجوف كان في جزء هام منه مترتباً على طلب واتصال من المعاقلة لموازنة ما يقولون عنه إنه تغير وتراجع في موقف القرشة لمصلحة سلطة وحكم الرشيد في أعقاب قيامهم عليهم في أحداث واقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م». كما قلنا فإن القرشة عددياً، وربما سلاحاً، أكثر من المعاقلة، ولذلك يبدو أن المعاقلة لم يكن بمقدورهم لوحدهم تغيير الحالة القائمة التي بدت في غير صالحهم، فكان أن اتجهوا، لموازنة القوة عدة وعدداً بالتحالف مع قوة خارجية (الشعلان). في الصراع الاصطفافي الأهلي عام ١٩١٩م ضد ومع (الشعلان/ الرشيد) للسيطرة على الجوف، يلاحظ أنه ورغم أن الصراع الأهلي بالجوف، اصطفافاً، لم يكن بين المعاقلة والقرشة، وإنما بين جماعات وأفراد مختلطة من الجوف (من سكاكا ومن دومة)، وفي غالبهم من المعاقلة في دومة الجندل وسكاكا، وبالذات في سكاكا بدرجة أساسية، ولمصلحة الرشيد بشكل عام، فإن الصراع أخذ قدراً من المطاولة لمدة تراوحت بين ستة وثمانية أشهر، نتيجة لما يبدو من التوازن في القوى عدة وعدداً، بما فيها التحالفات المحلية (من أهالي الجوف) مع الرشيد وضد الشعلان. لم يحسم الصراع إلا بعد أن تم دخول مدد إضافي (بشراً وسلاحاً) من خارج الجوف ومن شمر تحديداً من أطراف العراق لمصلحة الرشيد وحلفائهم، ونقصاً عند الشعلان، في المقابل، في ما قيل من رواية عن انسحاب مجموعة فارس بن فهد هزاع الشعلان من المعركة (القعيِّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥). وعن الكثرة والقلة وأثرها في تلك المعارك بين الرشيد والشعلان، والاصطفاف لبعض الأهالي في ثناياه، يمكن استخلاصه مما قاله سليمان العودة الفلّاح واصفاً بعض أحداثها وهو شاهد عليها، على نحو ما يلي، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين هو من الباحث للتوضيح)؛ يقول سليمان العودة الفلّاح: «عقب الذبحة... ((يقصد مقتل ممثل حكم الشعلان بالجوف: عامر المشورب))...الجوف جاها ابن شعلان قبل ابن رشيد... جا سعود بن رشيد... على ثلاثمائة ذلول... يوم جو لقو الديرة مطوقة... ((يقصد من الرولة ـ الشعلان))... لكن يوم سمعوا الرولة واللي معهم من الحويطات والشرارات إن ابن رشيد جاهم... يقولون كأنهم أبعدوا شوي... خافوا يحسبون أن معه جيش كثير... وإلا ابن شعلان أكثر ما هو قليل... ابن رشيد قليل...»، وابن رشيد وهو قادم إلى سكاكا أرسل

بعثة استطلاعية،... أرسل ركايب... للجوف... ردوا الركايب وقالوا لأبن رشيد؛ ملك بها مهاش، صوير ومغيرا، وهديب وخوعا دامهن ابن شعلان... عندها أرسل ابن رشيد إلى غضبان بن رمال... قال له: نستشيرك، والله حنا أرسلنا ركايب وقالوا تخسر إن حاربت ابن شعلان... رد غضبان بن رمال وقال: لو أنك شاورتني وأنت بحايل ما خليتك تروح... لكن هالحين صلها، تخسر تربح!... لكن دخل سعود بن رشيد بالحزوم ((يقصد غرب سكاكا مباشرة)).... ويوم دريوا... ((يقصد يوم عرفوا الشعلان))... إن ما معه إلا ثلاثمية ذلول... وضاقت عليهم... رجعوا طوقوهم مرة ثانية، الرولة وأحزابهم... أرسل سعود بن رشيد لـ «شمر»، ابن عمه وواحد من الرمال... يستنجد «شمر» اللي بالعراق... وأرسل معهم قصيدة... ابن شعلان حط المدفع بقارة «المندى»... ((في القاع ـ شرق المطر))... وحط المدفع بقارة «العدام»... ((غرب سكاكا)).. يلوح... ((يقصد: يرمي))... المعاقلة... يا شين قنبلة المدفع... ((يقصد من قبل الشعلان))... وقعت بدورنا، لو ما عليان... ((يقصد: عليان الوردي))... ثارت علينا... ضرب دارنا، والله المدفع جمش... ((يقصد: أصاب))... مرعية... ((نوع من أنواع النخل في الجوف))... لـ «ناصر أبو جديع وجدعان...» ((السمارة))... ما خلى شيء، لكن الحظ على ما قال «عذال»؛ اللي بسبة عامر ما هو عزيز أو مكسور... ((يقصد من يمشي وراء هذا الشخص وجماعته فهو مهزوم))... وإلا... ابن رشيد... ما معه... شين... يوم أنه أقبل من ديرة ختيرش... تعنقه ابراهيم المعتق، وابن مغرق يريدون يشوفون... من الأمغر وتوا معه... يريدون يشوفون هو معه جمع كثير وإلا ما معه جمع... فزعت معه المعاقلة... ويوم دخلة سعود ابن رشيد... ((للديرة ـ سكاكا))... ويوم وقف عند باب مسجد السوق... ((سوق البحر))... وإلا بـ «الخمعلي أبو عيد»... قال له ابن رشيد: وش أنت؟ قال الخمعلي: من خمعلة «شمر»، وهو صاتس... ((صادق))... قال ابن رشيد: تخسى أنت رويلي !... يريد يوري القطاعة... خذ النمشة، وأضربه، وإلا هو قطعتين... دخل الديرة، ابن رشيد، أي وألله،... وألله يلغده ابن شعلان.... وألله يا يوم... يا يوم واحد شوي، وإلا دخل علينا... ابن رشيد حط بديرة «الراضي»... قصر من أربع علالي... ومحصن... ويوم خذوا... لهو يوم جانا... ((يقصد ابن شعلان وقواته))... مع هالفحول... من قارا مع الطوير... وينزل من عند طية... ((صخرة))... غبيشة... وتصير المعركة... الشعلان أكثر هاك الساعة... وينذبح ابن بلوان... ويدنق... ((ينحني عليه))...عليان الوردي، وينذبحون جميع؛ مناحي البلوان أنذبح ودنق عليه عليان وأنذبح فوقه... هاك اليوم زحمونا ((يقصد الشعلان وقواته شدوا عليهم ذاك اليوم ـ الباحث))...و يوم أنهزم نواف للجوف... ((يقصد دومة الجندل))... والمعركة... ((بين ابن رشيد وابن شعلان))... باللقائط، انذبح فيها حمدان، ولد عمي، عايد الفلّاح، وأنذبح بها واحد من المنديل» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٥ ـ ١٧ من ج ١ تفريغ و٦ ـ ٩ من ج ٣ تفريغ). لاحظ أن «القرشة»، وبالذات في سكاكا، في الغالب، ولأسباب سبق أن ناقشناها في مكان آخر من الدراسة، وقفوا على الحياد في هذه المعركة؛ فبينما رفض العلي التدخل والمساندة، فإن الضويحي، وإن أبدوا استعداداً لمساندة المعاقلة والرشيد في حربهم ضد الشعلان، لم يشاركوا وينخرطوا فعلياً في القتال بين الطرفين، ذلك أن مساندتهم وقفت عند المستوى المعنوي (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ج ٣ تفريغ).

وحيث إننا أشرنا إلى الخلل و/ أو التوازن في القوى، عددياً (ديمغرافياً/ بشرياً)، فضلاً عن العدة والسلاح بين الأطراف المتصارعة في حالات الحرب الأهلية الأخرى (واقعة كون الغطط/ الغطيغط ـ ١٩٢٠م(؟) في سكاكا وقرينتها الموازية، واقعة ما عرفت بـ «هجة الغرب ـ ١٩٢٠م(؟)» في دومة الجندل، وكذلك حرب المعاقلة/ المعاقلة ـ ١٩٢٢، أو ما عرف بواقعة حرب المويشير/ الراشد والتي فيها الصراع الأهلي كان متداخلاً مع اصطفاف قوى خارجية (الشعلان)، فلا داعي من تكرار الأمر هنا، ويمكن الرجوع إليه في ما تقدم، أعلاه، من مناقشات ومعالجات وملاحظات.

الآن، ما تبقى لنا في موضوع ملاحظة ورصد البعد الديمغرافي (البشري/ العددي) وصلته بتوازن القوى و/ أو الخلل فيه، وبالتالي في فهم وتفسير الصراع الأهلي ذي الصلة، هو حالات محددة من الصراع الأهلي، في سكاكا، بين القرشة والمعاقلة، وتشمل أربع حالات وهي: واقعة السمرة ـ ١٨٧٠sم(؟)؛ واقعة سيسرا ـ ١٨٧٠sم(؟)؛ واقعة الجمعة ـ ١٨٨٠sم(؟)؛ وواقعة كون ـ الظلي ـ ١٩٠٧م. سبق أن قلنا أن واقعتين مما تقدم، لم تنفجرا صراعاً مسلحاً، وإنما تمظهرتا صراعاً رمزياً و/ أو في النوايا وهما: واقعة سيسرا: استعراضات للقوة؛ وواقعة الجمعة، كانت مؤامرة في النوايا، ولكنها، لكونها انتشرت بين الناس، وكانت تتضمن ترتيبات وخططاً للقيام بعمل دموي/ مسلح فيما لو نفذت، فكان أثرها تراكماً نفسياً سلبياً متضاداً بين الجماعتين العامتين الكبرى في سكاكا (القرشة والمعاقلة). بالنسبة إلى واقعة السمرة ـ ١٨٧٠sم؟، سبق أن قلنا عنها إنها، وإن انفجرت صراعاً مسلحاً ودموياً، إلا أنها كانت، محدودة وسريعة بين عناصر محدودة من القرشة من جهة وبين عناصر محدودة من المعاقلة وعدد محدود من أهالي دومة الجندل من جهة أخرى. الأكثر دموية بين القرشة والمعاقلة هو واقعة كون الظلي ١٩٠٧م.

تبقى النقطة المهمة هنا وفي مجمل حالات الصراع بين القرشة والمعاقلة في سكاكا، هي في مدى صلة الفروقات الديمغرافية بين القرشة من جهة والمعاقلة من جهة أخرى في حدوث «فهم وتفسير» حالات الصراع الأهلية بينهما، سواء انفجرت فعلياً أو تمظهرت رمزياً وفي النوايا. في محاولة للإجابة والفهم علينا أن نستذكر ونشير إلى بعض النقاط، فنقول: سبق أن قلنا إن:

أ ـ القرشة، من ناحية العدد، وربما بموازاتها من ناحية السلاح والتسلح، هي كجماعة عامة أكثر من الجماعة المقابلة (المعاقلة).

ب ـ قلنا ورصدنا أيضاً أن هناك تغيرات ديمغرافية/ بشرية في سكاكا عامة وفي كل من القرشة والمعاقلة تحديداً. وفي هذا السياق لاحظنا وبالمقارنة بين القرشة والمعاقلة، أنه بينما كان هناك نمو ذاتي في القرشة، كان النمو الأكثر في المعاقلة ناتج عن استيطان متواصل من خارج المنطقة، و/ أو عبر نزوح أو أزاحات لمجموعات فرعية من داخل الجوف، من سكاكا ودومة الجندل، وبالذات من دومة الجندل مباشرة أو منها عبر قارا. ولاحظنا أن الزيادة الكبيرة في المعاقلة، وخاصة عبر النزوحات و/ أو الإزاحات للجماعات الفرعية، حدثت في الفترة ما بين عقد ١٨٣٠sم وبعيد نهاية الحملة التركية على الجوف، أي في عام ١٨٧١م وفي الغالب في حدودها بالزيادة بعدد من السنوات؟ ولاحظنا كذلك أن نمو وتمدد المعاقلة جغرافياً اتجه للغرب والغرب الجنوبي من سكاكا، بينما القرشة نموها وتمددها، اتجه نحو الجنوب الشرقي، باتجاه الشعيب واللقائط.

ج ـ وقلنا ورصدنا أن الصراع الأهلي بالجوف بحالاته، توقف في دومة الجندل تقريباً مع نهاية عام ١٨٧٠م (الحملة التركية على الجوف) لينتقل إلى ويبدأ في سكاكا، على أن أطراف قطبي محوره الأساسيين هما القرشة وحلفاؤهم من جهة والمعاقلة وحلفاؤهم من جهة أخرى، وأصبح في تطوراته وتمظهراته التالية، حاوياً في ثناياه لما قبله من صراع في دومة الجندل، وأطرافه (الدرع وحلفائهم جنوباً وبالذات خذما والوادي مع القرشة/ والسراح وحلفائهم بمن فيهم الغرب مع المعاقلة). طبعاً هناك عوامل ومتغيرات خارجية وداخلية وراء هذا التحول في الصراع وانتقاله وتمركزه في سكاكا وخاصة بعد ١٨٧١م فصاعداً وحتى نهاية الحرب الأهلية في عام ١٩٢٢م، وإن لم يخلُ من تداخل مع دومة الجندل في ١٩٠٩ ـ ١٩١٤، وقليلاً في ١٩١٩ وكذلك في عام ١٩٢٠م(؟). طبعاً ما يهمنا هنا هو، على الأقل، ما تعلق منها بالعوامل الداخلية، وخاصة ما له صلة بالمسألة والبنية الديمغرافية وتغُيراتها وتحولاتها في الجوف عموماً، وفي سكاكا على وجه التحديد.

د ـ ولاحظنا سابقاً، وكما هو وارد، كذلك، ضمناً في النقطتين السابقتين، أن هناك على الأقل، تزامناً بين تغيرات في الهيكلية الديمغرافية لـ «سكاكا» عموماً، وتحديداً في المعاقلة، وبين اندلاع الصراع الأهلي في سكاكا وتمركزه فيها وبالذات فيما بين القرشة من جهة والمعاقلة من جهة أخرى، وإن شمل كذلك اندلاع حالات صراع أهلية في سكاكا بين نخب وجماعات فرعية في الجماعة العامة الواحدة وداخلها (أي في داخل القرشة و/ أو في داخل المعاقلة). الآن، يبقى السؤال، هو: هل الفروقات الديمغرافية (السكانية/ البشرية)، سواء في فعلية وواقع الأمر، أو في الإدراك والتصورات، لدى كل من المعاقلة والقرشة، أو عند أحدهما، ساهمت في توليد حالة و/ أو حالات من الصراع الأهلي، على خلفية تكوّن لـ «حالة» ما «قائمة، أو متوقعة ومفترضة» من عدم تكافوء في «القوة النسبية» (من ناحية عددية)؟ في الإجابة ليس من أمر قاطع في الأمر، ولكننا، ومن باب التأمل، يمكن أن نقول التالي: رغم عدم القطعية في الأمر، فإن ما يمكن طرحه وتصوره هو أن هناك ربما، ونشدد على ربما، خطأً مشتركاً بين المعاقلة والقرشة نشأ عن هذا الأمر (الفروقات الديمغرافية في الواقع و/ أو في الإدراك): **أولاً**، في الإدراك وفي التصورات (Perception and Misperception): طبعاً في قياس الإدراك و/ أو للخلل فيه عن التكافؤ و/ أو التفوق في القوة النسبية «عددياً» بما فيها عبر التحالفات مع الجماعات الفرعية، ربما ليس من السهل القيام به؟ لو أتيح توجيه السؤال للمتحاربين أنفسهم في وقته ربما استطعنا أن نستخلص من إجاباتهم مدى الإدراك و/ أو الخلل في الإدراك المتعلق بالأمر، ولكن حيث، في الغالب، لا أحد من المتحاربين الفعليين أو من شارك في الصراعات الأهلية وشهدها، حياً أو على قيد الحياة، من الصعب الجزم بالعلاقة. كل ما هنالك هو التكهن في ضوء نظريات الصراع، من حيث إن للإدراك وللتصورات عن موازين القوى (عددياً/ سلاحاً = قوة؟) أثراً في الصراعات والحروب، أهلية كانت أم دولية. عليه نقول: ربما هناك خلل في الإدراك من قبل الطرفين و/ أو أحدهما على الأقل، وعلى الأقل لدى بعض عناصرهما هنا أو هناك؛ الأطراف المتطرفة لدى الطرفين والنازعة لحل الإشكالات والخلافات بالقوة والعنف، قد تنزع في إدراكاتها وتصوراتها، خطأً، على أنها أكثر وأقوى، فتجنح للقوة، أو تستفز الأخرى بما تتصور أنها أقوى أو أصبحت متعادلة! في كل الواقعات بين القرشة والمعاقلة في سكاكا (واقعة سيسرا، واقعة الجمعة، واقعة

السمرة، وكون الظلي ١٩٠٧م)، وبما فيها ما تعلق باصطفاف أهلية صراعية متقابلة بينهما على محور صراع قوى خارجية (صراعات الشعلان على الجوف ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م وبالذات ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م) كانت القرشة أكثر عددياً. المعاقلة كانت تتنامى عددياً وإن لم تتوازن فعلياً لاحظ أن المعاقلة، وفي ضوء تجارب حالات صراعية محددة، ومنها على وجه التحديد، في كون الظلي ـ ١٩٠٧م، وإن كانت عددياً أقل من القرشة ولم تتوازن معها رغم تناميها المطرد، وكذلك أقل تجانساً داخلياً بالمقارنة مع تجانس كبير لـ «القرشة»، فإنها، في الغالب، تعمل على تعويضه وموازنته باستدعاء وتفعيل تحالفها العريض، عبر مجموعاتها الفرعية الداخلية، وعبر مجموعات من خارجها، إن تطلب الأمر، كما مع جماعة الشلهوب، مثلاً، في واقعة كون الظلي ـ ١٩٠٧م. إذن، بخلاف العوامل الأخرى وبغض النظر عنها، على الأقل هنا وفي معطيات المسألة تحت المناقشة، يبقى السؤال هو: لماذا تفجرت كون الظلي ـ ١٩٠٧م مثلاً؟ هل يمكن أن يفسر الخلل في الفروقات السكانية و/ أو في الإدراكات والتصورات عنها، في هذا الصراع تحديداً، وخاصة اندلاعه؟ وإذا كان صحيحاً في اندلاعه، فكيف يفسر توقفه أو انتهاؤه، ولو مؤقتاً!؟ لاحظ أن الصراع بين المعاقلة والقرشة سينفجر، وإن بامتداد خارجي، ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ الشعلان/ الرشيد مع تغيرات وتحولات في منحى التحالفات بين قوى الداخل وبين قوى الخارج؛ لاحظ لجوء المعاقلة لـ «الشعلان» في مقابل تمسك القرشة بـ «الرشيد» والتحالف معهم وبذل مقاومة شرسة/ مستميتة ضد الشعلان، علماً أن القرشة كانوا قبل سنتين وفي ملابسات كون الظلي ـ ١٩٠٧م ضد سلطة الرشيد، بينما المعاقلة وقفوا مع الرشيد. الآن هل هذا اللجوء من قبل الطرفين و/ أو أحدهما للقوى الخارجية، رغم أثمانها الباهظة على الطرفين وعلى الجوف ككل تحديداً، هو محاولة تعويضية للخلل في موازين القوى بين الطرفين، وخاصة في البعد الديمغرافي/ البشري (العددي)؟ هذه أسئلة نطرحها، ورغم ما تتضمنه من إجابات ممكنه محتملة، إلا أنها إجابات غير قطعية وحاسمة بالضرورة. **ثانياً**، الأمر ربما يتصل بعلاقة ما بين التغيرات والتحولات في التركيبة والفروقات السكانية بين المعاقلة والقرشة وتمددها الجغرافي من جهة وبين تزايد الأحتقان بين الطرفين (القرشة/ المعاقلة)، على الأقل من طرف نحو الآخر، من جهة أخرى!؟ وبما ينعكس على تكوّن و/ أو زيادة حالة نفسية عدائية متراكمة ومتهيئة للجنوح بالأمور نحو الصراع فتفجره بينهما. قلنا سابقاً إن المعاقلة، وإن كانت أقل من القرشة، ولم تتعادل معها رغم تزايدها، فإن تناميها وتكاثرها عبر النزوح والإزاحات و/ أو الاستيطان، عددياً وكمجموعات فرعية، أخذ منحىً تمددياً نحو وباتجاه الغرب والغرب الجنوبي لسكاكا. في المقابل كانت القرشة، وفي ضوء موقع المعاقلة وتمدّدها غرباً، مضطرة، على ما يبدو، إلى التمدد للشرق الجنوبي منها (نحو الشعيب واللقائط). الآن هل هذه التمددات واتجاهاتها لكل من القرشة والمعاقلة، ولدت قدراً من الاحتقان بينهما عبر حالة من الغبن لدى إحداهما، عن وحول جودة الأراضي للفلاحة والسكن والمراعي وصلة ذلك كله بمصادر ونوعية ووفرة المياه هنا وهناك؟ أيضاً لا إجابة قاطعة، ولكن يلاحظ أن المراعي والمياه تجاه الشمال الغربي لسكاكا وغربها، ولصالح «المعاقلة»، تبدو أكثر وفرة وجودة ونوعية، مما هي في شرق وشمال شرق سكاكا حيث تمدد القرشة. هل هذا الوضع المتداخل بين الديمغرافيا وأبعاده المادية (الأراضي/ المراعي/ المياه/ الفلاحة)، بين القرشة والمعاقلة، ولد حالة من الغبن وبالذات عند القرشة وتجاه المعاقلة؟ الأمر ربما محتمل، وإن لم يكن قطعياً. مع ذلك يلاحظ أن واقعتين من الصراع الأهلي بين

القرشة والمعاقلة، تتضمنان أو تتعلقان بالموارد، ومنها المياه، كحالة واقعة سيسرا ـ ١٨٧٠s م(؟)، والتي، وإن لم تندلع عنفاً مسلحاً، تضمنت صراعاً رمزياً عبر استعراضات للقوة بين الطرفين والادعاء بملكية «مصدر الماء» بئر/ قليب سيسرا، والأخرى منها متعلقة على نحو ما بالمراعي/ الأراضي غرب سكاكا، وهي واقعة السمرة ـ ١٨٧٠s م.

في موضوع توازن القوى (عددياً/ سلاحاً)، نختصر فنقول التالي: رغم أهمية توازنات القوى و/ أو الخلل فيها بين الأطراف المتقابلة في الصراعات بينهما، فإن معظم حالات الصراع الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وخاصة في الحالات الصراعية والتي أطرافها جماعات أهلية كبرى متقابلة، وبما فيها الحالات الصراعية الأهلية ذات الطبيعة الاصطفافية على جانبي محور صراع القوى الخارجية على الجوف، **تضمنت قدراً من الخلل في موازين القوى بين الأطراف المتصارعة، دون أن يكون هو العامل الحاسم و/ أو المباشر في اندلاع أي من الصراعات بذاته. مع ذلك فإن الخلل في موازين القوى بين الأطراف المتقابلة، يكون حاسماً، بعد أن يندلع الصراع، في مواصلته ومطاولته بين الأطراف المتقاتلة، وفي الغالب في حسمه وإنهائه، وحسم نهايته ونتائجه لصالح الطرف الأقوى.** في الحالات الصراعية الأهلية البحتة، والتي أطرافها الرئيسة من أهالي وجماعات الجوف، يبدو واضحاً أن الخلل في موازين القوى يعتبر عاملاً من ضمن عوامل أخرى مساعدة وغير مباشرة في نشوب الصراع، وبما يعني أنها ليست العوامل المحركة والحاسمة والمباشرة للصراع. من هنا، وفي المخطط الذي يلخص تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) (انظر: مخطط تفسير الحرب الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، المرفق، أدناه، وبما هو يبرز ويختصر العوامل والقوى الداخلية والخارجية، المحركة والرئيسة، و/ أو العوامل المساعدة غير المباشرة، حيث وضعنا وجعلنا سهم التأثير من متغير «توازن القوى/ الخلل فيه» المتجه نحو خانة «الصراع الأهلي» أو حالات منه، قاصراً عنه وغير ملامس لدائرته (خانته) الممثلة له في المخطط. في حالة الخلل في موازين القوى، يلاحظ، كذلك، أن التعويض عنه، يتم، في الغالب، إما عبر تفعيل تحالف عريض وأعرض من داخل الطرف الأضعف كجماعة عامة، ومن خارجه مع جماعات أخرى عامة فرعية، أو عبر التوجه للخارج واستدعاء لقوة خارجية في مقابل الطرف الآخر الأقوى بذاته و/ أو بتحالفاته الخارجية كذلك.

الخلاصة: في تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)

القوى والمتغيرات

بناء على ما تقدم من مناقشات تفصيلية للقوى والمتغيرات (العوامل) المحتملة والمفترضة لتفسير الحرب بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، يمكننا القول إن تلك الحرب الأهلية بكلياتها وحالاتها في تكوّنها ونشوئها وتواصلها، من وقت لآخر، رغم التقطع والتباعد النسبي بين حالاتها، أمكن الوصول إلى تفسير مقنع لها، من خلال تحديد القوى، والمتغيرات (العوامل) المؤثرة الحاسمة والمباشرة منها و/ أو الأقل تأثيراً والمساعدة وغير المباشرة، داخلية كانت أم خارجية، وبما بينها من تداخلات. ومن أجل الاختصار والتوضيح العيني التصويري، قمنا باستخلاص وإعداد وتصميم مخطط تفصيلي مركز يوضح الترابط

والتأثير بين القوى والمتغيرات من جهة وبين اندلاع الصراع الأهلي (حالة/ حالات منه) من جهة أخرى، وأطلقنا عليه مسمى مخطط تفسير الحرب الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وسنشير له اختصاراً، فيما بعد بـ «**مخطط الحرب**». وانطلاقاً من «مخطط الحرب» أدناه، فإن الحرب الأهلية بالجوف في كلياتها و/ أو حالاتها إنما تكونت بفعل تلاقي عدد من القوى والمتغيرات، ما بين الحاسمة والمباشرة وبين المساعدة وغير المباشرة، داخلية كانت أم خارجية. نود أن نلفت النظر إلى أننا نميل إلى ونفضل استخدام مفهوم وكلمة/ عبارة «المتغيرات» و«العوامل» للتعبير عن ما يعرف بـ «الأسباب»، وبدلاً منها، لذا حيثما ترد كلمة «المتغيرات/ متغير» فهي تعني العوامل والأسباب (أسباب/ سبب). الآن، ومن خلال «مخطط الحرب» أدناه نقدم تلك القوى والمتغيرات، على نحو مختصر ومركز، فنقول:

١ ـ **المتغيرات/ العوامل الاقتصادية (داخلياً/ خارجياً)**: إن المتغيرات أو العوامل الاقتصادية، داخلياً، بما هي ممثلة بحالة ونمط اقتصاد فلاحي بسيط يتسم بسيادة حد الكفاف (Subsistence Level Economy)، وبما يعني حالة من انعدام و/ أو تلاشي فائض القيمة (لا ادخار، أو ادخار محدود جداً ومتآكل)، تحت تأثيرات خارجية (قوى ومحيط) باستنزاف وإنهاك متواصل للموارد الاقتصادية والمالية والمادية الإنتاجية، على قلتها و/ أو محدوديتها، كل ذلك ولد مجتمعاً لاتراتبياً أو مجتمعاً لاطبقياً (Non-hierarchical Community Or Classless Society). وحيث إن المجتمع في الجوف لاتراتبي (أي لاطبقي)، بغياب التمايز الاقتصادي فيه، فإن المجتمع في الجوف، يتسم بالمساواة المطلقة، وبالتالي «الندية الشديدة» أو «التكافؤ شبه التام» (Absolute Equality and Sever Or Quasi-Complete Parity) في الأوضاع والأحوال، وخاصة ما تعلق منها بـ «المكانة والنفوذ» (Status and Power) بين أفراده ومجموعاته، رئيسة كانت و/ أو فرعية، ونخبها على محدودية الأخيرة (النخب). هذه المساواة والندية الشديدة، مدعومة على نحو إضافي بعامل ثقافي ممثل بثقافة الحرية والتحرر والاستقلالية ومتداخلة معها، وبدرجة أقل مع عامل اجتماعي «خلفيات اجتماعية (قبلية) متعددة ولكنها متقاربة، إن لم تكن متساوية، في الأصول والمنابت»، هي من ولد حالة متواصلة من تنافس حلزوني غير مساوم (تصادمي) تجاه أي تغيير أو محاولة تغيير في العلاقة البينية» المساواة/ الندية (الأحوال والأوضاع القائمة عموماً، والمكانة والنفوذ خصوصاً). هناك حالة متواصلة من التراقب على والتدقيق في الحالة القائمة؛ أية تغيرات تطرأ عليها من هذا الطرف أو ذاك هي تحت النظر والملاحظة والاستعداد لمواجهتها، وخاصة إن لم تكن في صالحه. بين الأطراف المتقابلة المتنافسة ليس هناك، في الغالب، حوار أو تفاهم يجري أو يقوم حول تغيير و/ أو تغير الحالة القائمة «مكانة و/ أو نفوذاً»، وإنما في الغالب الجنوح إلى المواجهة، وإن تطلب الأمر القوة والعنف، وإن تطلب التوجه للخارج والاستعانة بقوة خارجية، وبما يؤدي كارثياً إلى تدخل الخارج والقوى الخارجية، وفتح المجال أمامها للسيطرة على الجوف كلها. من هنا كان التدخل الخارجي، في جزء ومراحل منه، ناتجاً من وعن استدعاء و/ أو إغراء قوى محلية بالجوف. هذه المساواة والندية الشديدة، بين الأفراد والجماعات في الجوف، والتمسك بها، وعلى نحو متواصل، هي من وما أدى إلى انعدام أو غياب توافق أهالي الجوف على قيام سلطة محلية مركزية. لاحظ أن الرحالة، أو بعضهم على الأقل، والذين لمحوا للحروب الأهلية على نحو خاطف وسريع بدون دراسة، أشاروا

إلى أن سببها هو عدم اتفاق الأهالي. لكن المثير في الأمر أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء التفكير أو حتى طرح مجرد السؤال: لماذا عدم الاتفاق الأهالي؟ يستثنى من ذلك إشارات وتلميحات من بعضهم عن انقسامات (بيوت/ أحياء) اجتماعية، لكنها لا تفي بالغرض ولا تقترب من الإجابة، وفي أحسن تقدير تعتبر قاصرة عنه وعنها كثيراً!

إن نمط الاقتصاد (حد الكفاف/ تلاشي فائض القيمة) بتكونه داخلياً، وبتداخل مع الخارج (القوى/ المحيط)، هو العامل المحرك، والبنيوي الأكثر حسماً وتأثيراً في تولد حالة/ حالات الصراع الأهلي، عبر تكوين المجتمع غير الطبقي، فالمساواة/ الندية، فالتنافس الحلزوني غير المساوم (التصادمي) بين الأطراف والمجموعات والقوى في الجوف. هذا التنافس الحلزوني في حالة دائبة من الحركة والتواصل، القابل للتحول إلى حالة صراعية أهلية في أي لحظة، وكل ما تحتاج إليه لحدوثها هي «قشة البعير» التي قصمت ظهره.

من هنا كان مسار تأثير العوامل الاقتصادية، وتحديداً نمط الاقتصاد، على تكوّن الصراع/ الحرب الأهلية على النحو التالي: نمط الاقتصاد (حد الكفاف/ تلاشي فائض القيمة) = (يؤدي إلى) مجتمع لاطبقي = (يؤدي إلى) مساواة/ ندية = (يؤدي إلى) تنافس حلزوني غير مساوم «تصادمي» = (يؤدي إلى) حالة/ حالات صراع أهلي. طبعاً هناك تداخلات بين مكوّنات وحلقات ومراحل هذا المسار لنمط الاقتصاد مع وبين مكوّنات العوامل الأخرى، سياسية و/ أو ثقافية أو اجتماعية أو توازن القوى، داخلياً وخارجياً، كما هو موضح على «مخطط الحرب» الموجود في ملاحق الكتاب.

٢ ـ المتغيرات/ العوامل السياسية (السلطة السياسية: داخلياً/ خارجيا): تلك «المساواة والندية» والتمسك بها، والتنافس الحلزوني التصادمي «غير المساوم» حولها وحول الأوضاع والأحوال القائمة البينية ذات الصلة، هي في حقيقة الأمر، وفي جزء هام بسببها، من شكّل الحالة السياسية والعامل السياسي في الجوف (السلطة السياسية وطبيعتها) وتأثيرهما المباشر والغير مباشر في تكوّن الصراع الأهلي وفي تواصلة متقطعاً من وقت لآخر. فمن زاوية جوهرية، فإن المساواة/ الندية هي من وما أدى إلى عدم اتفاق أهالي الجوف على قيام سلطة محلية أهلية مركزية، والأخيرة وحالها، بما هي منعدمة، ساهم في تعزيز التمسك في المساواة والندية، وفي تواصل التنافس الحلزوني غير المساوم بين أفراد ونخب وجماعات الجوف، رئيسة و/ أو فرعية. وهذه وتلك عملت و/ أو شجعت على تكوّن حالة ضعف بالجوف، فإغراء و/ أو استدعاء للخارج والقوى الخارجية للتدخل، فاحتلال الجوف والسيطرة عليه. هذا العامل الخارجي بالجوف، ممثلاً بالقوى الخارجية، وتدخله بذاته و/ أو بالاستدعاء و/ أو بالإغراء، بالترابط مع انعدام سلطة محلية أهلية مركزية وتلازماً مع عدم قيام توافق أهلي حولها، أدى إلى تكوّن الصراع الأهلي و/ أو تزايده وتأجيجه من عدة زوايا:

أولاً، كان التدخل، وفي مرحلة التدخل/ الدخول الأول، أو في محاولات العودة واستعادة السيطرة في مراحل لاحقة، ساهم على نحو مباشر في حدوث مواجهات أهلية، ومن الصراع الأهلي من خلال الاصطفافات الأهلية المتقابلة على محور صراع القوة نفسها و/ أو على محور الصراع بين القوى الخارجية المتنافسة للسيطرة على الجوف (مع أو ضد).

ثانياً، من خلال التدخل والسيطرة على الجوف، تكونت سلطة سياسية مركزية في الجوف من خارجه تابعة لقوة خارجية مركزها خارج الجوف ومحيطه. هذه السلطة المركزية بالجوف من قوة من خارجه، تعتمد قوتها وضعفها على وضع تلك القوة الخارجية في مركزها الأصلي. لاحظنا أنه في حالة تراخيها وتضعضعها و/أو ضعفها في مركزها غالباً ما تكون السلطة السياسية التابعة لها في الجوف ضعيفة. وفي حالة الضعف في الجوف لاحظنا تزايد التنافس الحلزوني التصادمي بين المجمعات وداخلها وبيوتها، وانفجار حالات من الصراع الأهلي. في الوقت نفسه مع ضعف و/أو تخلخل قوة خارجية سائدة بالجوف، لاحظنا دخول قوة خارجية منافسة للقوة السائدة ومتصارعة معها. المواجهة بين القوتين تولد قبل الحسم، المرتبط بتوازنات القوة (سلاحاً وبشراً) بينهما وفي تحالفاتها مع الأطراف الأهلية الداخلية، حالة من فراغ سياسي في الجوف، وبما يعني ويماثل انعداماً للسلطة السياسية في الجوف، مغرياً بمزيد من التنافس الحلزوني التصادمي بين الأهالي في الجوف. في هذه الأجواء من ضعف سلطة مركزية بالجوف لقوة من خارجه و/أو لفراغ سياسي متكوّن بانسحاب قوة خارجية كانت حاكمة بالجوف، أو ناشىء عن صراع مطاول بين قوتين متنافستين على الجوف، يكون التنافس الحلزوني غير المساوم على أشده جاهزاً ومتحفزاً للتحول نحو حالة من الصراع الأهلي.

في العامل السياسي، من حيث طبيعة السلطة السياسية، وتكوّنها في الجوف هناك، وكما أشرنا أعلاه وسابقاً، إلى تداخل بين الداخل والخارج، من خلال أساسيات مكوّنات «نمط الاقتصاد» بالجوف وآثاره على المجتمع (المساواة/ الندية) والسياسة محلياً (انعدام السلطة المركزية الأهلية)، فتكوّن لسلطة مركزية لقوة خارجية متدخلة. هذه المتغيرات والعوامل السياسية (السلطة السياسة: انعدام/ ضعف/ فراغ) من حيث تأثيراتها على تكوّن وحدوث الصراع الأهلي تتراوح بين المباشرة وغير المباشرة. فهي، من ناحية، قد تقحم أطرافاً أهلية في صراع اصطفافي، وقد تذكي من تسارع وديناميكية التنافس الحلزوني بين أطراف و/أو نخب أهلية ومجموعاتها، رئيسة و/أو فرعية، بالتطلع نحو السلطة والنفوذ والمكانة، بما هي « مشيخات»، وخاصة داخل المجموعات ونخب بيوتها. والعوامل السياسية (السلطة السياسية)، هي، كذلك، من ناحية أخرى، تتداخل مع متغيرات أخرى، اجتماعية وثقافية وتوازن و/أو اختلال في القوى في الجوف ومجموعاتها. فمثلاً، التدخل الخارجي وسلطته المركزية الخارجية، عبر ممارساتها القمعية المتعددة والمتكررة ضد الأهالي في الجوف، أو بعضهم على الأقل، تذكي من روح المقاومة والتحدي طلباً للتحرر والحرية والاستقلال، تجاهها وتجاه حلفائها، بمن فيهم من أهالي الجوف. هذه الثقافة وقيمها تجاه السلطة القائمة (خارجية في الغالب) تؤدي إلى تفاقم وتواصل حركية التنافس الحلزوني بين أطراف وجماعات أهلية وباتجاه انفجار صراع أهلي بينهم. وفي كل الأحوال تكوّن و/أو اندلاع حالة صراع أهلي يحتاج فقط إلى «فتيل/ شرارة = قشة ظهر البعير».

٣ ـ **العوامل الاجتماعية والثقافية وتوازن القوى**: تبدو من خلال المناقشات التفصيلية لها، ومن خلال إشارات سريعة لبعضها أعلاه، على أنها عوامل مساعدة وليست حاسمة في اندلاع الصراع الأهلي وفي تفسيره. العامل الثقافي أدى دور مساعداً في حدوث حالات من الصراع الأهلي، وخاصة عندما يكون فيها تداخل مع طرف أو قوة خارجية. فكرة التحرر والحرية والاستقلال تعزز من فكرة «المساواة/

الندية» بين الأطراف والمجموعات الأهلية، وبما ينعكس على حالة حركية وديناميةالتنافس الحلزوني غير المساوم (التصادمي) تجاه وحول تغيرات تطرأ على الحالة القائمة (المساواة/ الندية) نفسها ومتعلقاتها وتوابعها. توازن القوى أو الخلل فيه يؤدي دوراً في الصراع الأهلي من زاوية سوء الإدراك بداية عند طرف ما محلي تجاه طرف آخر محلي. لكنه بدرجة هامة وحاسمة يكون أكثر فاعلية عندما يقع الصراع الأهلي، وخاصة في حالات الصراع ذات الحالة الاصطفافية مع محور صراع قوى خارجية فيما بينها، وعلى الجوف. عندما يقع الصراع يكون لتوازن القوى و/ أو الخلل فيه دور أكبر و/ أو أوضح في تواصل الصراع و/ أو تطاوله بين أطرافه، وفي حسم وإنهاء الصراع ونتائجه، علماً أن بعض الشجاعة والإقدام لقلة في مقابل كثرة، قد تؤدي دوراً في حسم حالة صراع أهلي و/ أو لا تستبعد في الحسم! يبقى القول إن العامل الاجتماعي، بما هو انقسام اجتماعي على خلفية اجتماعية قبلية متنوعة، رغم حضوره طوال فترة الصراع الأهلي، لم يكن أكثر من عامل مساعد وثانوي في توليد الصراع الأهلي بكلياته و/ أو حالاته، عبر دعم فكرة «المساواة/ الندية»، وكذلك ربما عبر تكوّن حالة نفسية تراكمية متضادة من وبين جماعات متقابلة خلال مسارات وحالات الصراع الأهلي نفسها. صحيح أن ما بدا مهيمناً على محور حالات من الصراع الأهلي بالجوف، هو بين القرشة والمعاقلة في سكاكا و/ أو في دومة الجندل (في دومة االجندل وخلال الفترة ١٧٩٢ ـ ١٨٧٠م، كان محوره الدرع/ السراح، وفي سكاكا القرشة/ المعاقلة في الفترة ١٨٧١ ـ ١٩٠٧م وعام ١٩٢١م، ومشتركاً في بينهما في فترة ١٩٠٩ ـ ١٩٢١م)، لكن كما فصلنا سابقاً رأينا أن واقع التكوين الاجتماعي لكل من القرشة والمعاقلة في دومة الجندل وسكاكا لا يبدو متقابلاً اجتماعياً على نحو حصري، بل هناك تداخل في الانتماءات بين مجموعات فرعية فيهما، فضلاً عن أن المعاقلة في سكاكا، كما هي في دومة الجندل، لا تشكل نسيجاً اجتماعياً واحداً. وحتى القرشة وإن غلب عليهم في سكاكا على أنهم ينتمون إلى خلفية واحدة (بني خالد)، فإن هناك عائلات وتحالفات لمجموعات فرعية معهم من خارج القرشة (بني خالد)، في كل من سكاكا ودومة الجندل وبدرجة كبيرة في دومة الجندل. فوق هذا وذاك، رأينا حالات من الصراع الأهلي أطرافها من داخل المجموعات الفرعية و/ أو الرئيسة ذات الخلفية والانتماءات الواحدة، بل من داخل بيوت لحالة اجتماعية واحدة (مثالاً لا حصراً: السراح/ السراح؛ الرحيبيين/ الرحيبيين؛ بيوت الراشد، أي «المويشير/ الراشد»؛ المنديل/ الصالح: المظهور/ الفياض... إلخ)، تطلعاً إلى السلطة والمشيخات (المكانة/ النفوذ) داخل الجماعة الواحدة. من هنا وضعنا تأثيرات العوامل الاجتماعية والثقافية وتوازن القوى، على أنها تأثيرات مساعدة وغير مباشرة، وعبرنا عنها في «مخطط الحرب»، على شكل «أسهم/ سهام» متجهة إلى خانة «صراع/ حرب أهلية» حالة/ حالات، ولكنها تقف عند مسافة قاصرة عن الوصول والتماس بالأخيرة (خانة الصراع كما في «مخطط الحرب»).

نخلص إلى القول إن العوامل الاقتصادية (نمط اقتصاد حد الكفاف وتلاشي فائض القيمة) بدرجة أولى، والسياسية (السلطة السياسية: انعدام محلي و/ أو ضعف وفراغ لقوة خارجية) بدرجة تالية، في ترابطهما وتداخلهما، داخلياً وخارجياً، هما، المتغيران (العاملان) الحاسمان في تكوّن الصراع الأهلي وتواصله، وإن كان متقطعاً، وفي فهمه وتفسيره. أما العوامل الأخرى فدورها غالباً محفز ومساعد ومراكم

لمكوّنات وتأثيرات العاملين الاقتصادي والسياسي تجاه الصراع الأهلي في الجوف. في النهاية نحيل إلى الفرضيات والنظريات التي وظفناها وتبنيناها في مقدمة الإطار النظري للصراع، ونرى أن الدراسة قد أفاضت في الأمر ودعمت، من خلال مناقشاتها ونتائجها وخلاصاتها، تلك النظريات التي تتحدث عن قدرة المتغيرات الاقتصادية والسياسية وبدرجة ما بالثقافية والاجتماعية وموازين القوى في تفسير الصراعات، وخاصة الصراع الأهلي، علماً أن حالة الجوف والصراع فيها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، تمثل، كما أسلفنا تنبيهاً في حينه، إلى أنها تمثل حالة فريدة من الصراع الأهلي، من حيث كون الجوف ليست دولة قائمة، وإن تضمنت وجود حالة من سلطة وقوة خارجية، وإنما «حالة سياسية ما» حدث فيها صراع أهلي خلال تلك الفترة، وتبين لنا فيها أهمية وقدرة العاملين الاقتصادي والسياسي، بتداخلهما الداخلي والخارجي، في تفسير وفهم حدوث وتواصل الصراع الأهلي بالجوف. يبقى نقطة أخيرة متعلقة بمفاهيم ابن خلدون عن مفهوم «العصبية» (ابن خلدون، ١٩٧٨م) وعلاقته في الصراع والحرب (الفالح، ٢٠٠٨م/ ٢٠١٢م) (والعنف والثورة (الفالح، ١٩٩٦م)، فنقول إن مفهوم «العصبية»، عند ابن خلدون، ورغم أنه استخدمه في تفسير ظهور وسقوط الدويلات في التاريخ العربي/ الإسلامي، يبدو في هذه السياقات، وفي ما يخص دراستنا عن الصراع/ الحرب الأهلية بالجوف، يفيد في فهم التمظهرات الخارجية للصراعات بين الجماعات الفرعية وفي داخل بيوتها، تطلعاً إلى السلطة والمكانة «المشيخات». لكن ابن خلدون، ورغم أنه ربط بين بعد اقتصادي «الموارد: الضرائب/ الانفاق/ الترف والإسراف والتبذير» وبين قوة وضعف العصبية الحاكمة (للسلطة/ الدولة) بالمقارنة مع أحوال العصبيات الأخرى المنافسة والمتطلعة للسلطة/ الحكم، إلا أنه من ناحية لم يناقش هذا الترابط في سياق صراعات أهلية، وإنما في سياق صراع عصبيات للانقضاض على الدولة و/ أو لإنشائها. ومن زاوية أخرى، حتى لو سحبنا الأمر على إشكالية «الصراع الأهلي»، فإنه، فضلاً عن غياب الحديث عن العامل الخارجي للصراع، لم يتكلم عن نمط اقتصاد بعينه، وكما في حالة الجوف، مثلاً، من حيث هو نمط يتسم بحد الكفاف وبغياب أو انعدام أو تلاشي فائض القيمة والادخار، مما يولد حالة مجتمع لا تراتبي (لا طبقي)، وبما يعني تكوّن حالة من «المساواة المطلقة/ والندية الشديدة» بين أفراده ومجموعاته ونخبه، وكل ذلك يشكل القوة المحركة للتنافس فالصراع. طبعاً إذا طعمنا هذه العناصر، وخاصة الاقتصادية منها، بـ «مفهوم العصبية»، وكذلك بالتداخل بين الداخل والخارج، فيمكن عندئذ أن يقدم المفهوم فهماً أفضل للصراعات الأهلية وتفسيرها. طبعاً ابن خلدون، وفي الظروف المعرفية التي عاشها وقياساً عليها، قدم مفهوماً هاماً لفهم وتفسير الأحوال والتحولات السياسية في عصره وما سبقه، ولكن فيما نحن فيه فإن ما نطالبه به هو في غالب الأمر يتجاوزه هو بذاته، ولكنه في ضوء معطيات عصرنا، والمستقبل، المنفتح على فضاءات مفتوحة من المعرفة وأدواتها وتقنياتها، قد يستدعي التفكير في الأمر، بحثاً وتطويراً وإضافة من قبل المهتمين المعاصرين من الباحثين، وخاصة في البلدان والمنطقة العربية.

دون الإخلال بما ورد في مخطط تفسير الحرب الأهلية من علاقات وارتباطات بين قوى ومتغيرات الحرب، وكذلك دون الإخلال بما ورد من مناقشات تفصيلية عنها في ما سبق وآنفاً، نختصر ما تقدم من القول في تفسير الحرب الأهلية ومتغيراتها في المعادلة التالية:

نمط اقتصاد (حد الكفاف/ مستنزف) = (مجتمع لاطبقي= مساواة/ ندية = (تنافس حلزوني غير مساوم) + عامل سياسي (انعدام سلطة محلية مركزية بسبب «المساواة/ الندية» = + تدخل قوة خارجية وتكوّن سلطة خارجة = استنزاف للموارد + عندما تكون ضعيفة أو فراغ سياسي بانسحاب أو تصادم مع قوة منافسة) + دعم من قيَم للتحرر والحرية «للمساوة/ الندية» ضدها وحلفائها + قدر من سوء إدراك لتوازن القوى+ مع قدر من انقسام اجتماعي = (شدة في التنافس الأهلي الحلزوني غير المساوم) + قشة بعير!؟ = اندلاع حالة/ حالات صراع أهلي.

في نهاية الحرب الأهلية بالجوف

قبل مناقشة نهاية الحرب الأهلية وعواملها، من المناسب، أولاً، الإشارة إلى مراحل الحرب من حيث تمظهرها وتركزها مكاناً وزماناً. وبناء على مناقشات واقعات الحرب الأهلية وحالاتها، وبما ورد عنها موجزاً في الجدول الرقم (٣) يمكننا أن نقول، وكما سبق أن ألمحنا إليه، أن مراحل الحرب الأهلية بالجوف من البداية وحتى النهاية توزعت على الشكل التالي:

١ ـ **البدايات**: في دومة الجندل في ١٧٩٢م/ ١٨٠٠م (الدرع/ السراح).

٢ ـ **النهاية**: في سكاكا في عام ١٩٢٢م (الراشد/ المويشير أو حرب المعاقلة/ المعاقلة).

٣ ـ المراحل زماناً ومكاناً (ما بين دومة الجندل وسكاكا):

ـ **١٧٩٢ ـ ١٨٧٠م**: **في دومة الجندل** (١٧٩٢/ ١٨٠٠ ـ ١٨١٨م وحتى ١٨٣٨م ما بين الدرع/ السراح؛ ١٨٣٨م الدلهمية/ الجرعاوي وفي الخلفية الدرع/ السراح وبتداخل خارجي وخاصة الرشيد (احتلال الجوف)؛ ١٨٥٣م ـ صراع السراح/ السراح وتمرد أهل الجوف على سلطة الرشيد؛ ١٨٧٠م الحملة التركية على الجوف فواقعة المديرس ـ ١٨٧١م. من نهاية الحملة التركية يتوقف الصراع الأهلي في دومة الجندل.

ـ **١٨٧١م ـ ١٩٠٧م**: **في سكاكا** (بعد نهاية الحملة التركية) ينتقل مركز ومحور الصراع الأهلي وحالاته إلى سكاكا ويتركز فيها، وفي الغالب بين القرشة والمعاقلة: (واقعة السمرة ١٨٧٠s(؟)؛ واقعة سيسرا ١٨٧٠sم(؟)؛ واقعة الجمعة ١٨٨٠sم(؟)؛ كون الظلي ـ ١٩٠٧م).

ـ **١٩٠٩ ـ ١٩١٥م**: **في سكاكا ودومة الجندل** (صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف).

ـ **١٩١٩م**: **في سكاكا** (صراعات الرشيد/ الشعلان على الجوف).

ـ **١٩٢٠/ ١٩٢١م**: **في سكاكا ودومة الجندل** (واقعة أو كون الغطغط ـ ١٩٢١م، وهجة الغرب في دومة الجندل ١٩٢١م).

ـ **١٩٢٢م (نهاية الحرب)**: **في سكاكا** حرب المعاقلة/ المعاقلة أو ما عرف بـ «حرب الراشد/ المويشير»، وبتداخل مع الشعلان.

إذن نلاحظ أن الحرب الأهلية بالجوف بدأت في دومة الجندل وتقريباً في عام ١٧٩٢م أو في حدودها، ولكننا وتجاوزاً قلنا في أكثر من مكان إن الحرب الأهلية بالجوف كانت ما بين ١٨٠٠

و١٩٢٢م، وكانت بين الدرع والسراح، وانتهت في سكاكا في عام ١٩٢٢م، وكانت بين الراشد/ المويشير (المعاقلة/ المعاقلة، وإن بتداخل مع الشعلان).

ما بين البداية والنهاية عدة حالات من الصراع والحرب الأهلية بالجوف، وهي وإن بدا عليها هيمنة لمحور صراع بين مجموعتين وحلفين كبيرين، هما: أولاً، الدرع/ السراح في دومة وحتى ١٨٧٠م؛ وثانياً، هما القرشة/ المعاقلة في سكاكا، بعد١٨٧١م فصاعداً وحتى تقريباً ١٩٢٢م، وحاوياً لما قبله من محور صراع أهلي في دومة الجندل (الدرع/ السراح)، فإن عدداً من الحالات، المدونة في الجدول الرقم (٣)، أو التي لم تدوَّن وأشرنا إلى بعض منها في ما سبق من مناقشات، شملت صراعاً أهلياً من داخل مجموعات فرعية، وبين بيوت بعضها. يبقى السؤال هو في: لماذا هذا الانتقال في حالات الحرب من دومة الجندل وتمركزها في سكاكا منذ ١٨٧١م فصاعداً؟ رغم أن الإجابة تحتاج إلى بحث وتفصيل معمق، إلا أنه سبق أن أشرت إلى تلمحيات في الإجابة عن السؤال، وبالتالي لا داعي لتكرارها هنا، ولكني أختصر فأقول إن لـ «الرشيد»، ربما دوراً في الأمر، من حيث الارتكاز على نخب بديلة في سكاكا، وبالتعاضد مع تراكم إنهاكات الصراع في دومة الجندل طوال الفترة ١٨٠٠ ـ ١٨٧٠م على مجتمع دومة الجندل بشكل عام، ولما لحق، خصوصاً، بالنخب التقليدية ومجموعاتها وحلفائها هناك (بما في ذلك السراح وحتى الدرع بعد ١٨٧٠م) من تصفيات وتآكل و/ أو تقلص في القوة والنفوذ في سياق التدمير للممتلكات والإعدامات والسجون والحصار والتشريد من قبل القوى الغازية، وخاصة من الرشيد في الفترة ما بين ١٨٣٨م ـ ١٨٧٠م.

٤ ـ **في تفسير نهاية الحرب الأهلية بالجوف (المتغيرات والقوى)**: مناقشاتنا عن تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، خلصنا إلى القول إن الحرب الأهلية بالجوف وفي حالاتها على الجملة، رغم ما بينها من تمايزات وتفردات في خصوصية كل واحدة على حدة، اندلعت وتواصلت، وإن على نحو متقطع، لما يقرب من نيف واثني عشر عقداً من الزمن، بتضافر عوامل داخلية محركة بنيوية حاسمة ومباشرة، وأخرى مساعدة وإضافية غير مباشرة، وتعاضدها مع عوامل ومتغيرات قوى خارجية، كانت أحياناً حاسمة وأحياناً أخرى مساعدة. هذه الحرب الأهلية انتهت في عام ١٩٢٢م، حيث كانت آخر حالاتها هي حرب المعاقلة/ المعاقلة، أو ما عرفت بـ «حرب الراشد/ المويشير»، رغم تداخلها مع اصطفاف أهلي مع وضد قوة خارجية (الشعلان).

هذه النهاية، كما هي البداية والاستمرارية، هي الأخرى، تستدعي الفهم والتفسير عبر طرح السؤال التالي: لماذا وكيف انتهت، وبما يعني ما هي العوامل والمتغيرات والقوى في داخل الجوف وخارجه، والتي عملت على إنضاج هذه الخاتمة والوصول إليها؟ خلافاً للتعمق والتفصيلات التي فعلناها مع تفسير حالة التكوّن «الاندلاع والنشوء»، والتواصل (الاستمرار، وإن بتقطع) للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، فإننا هنا لن نتعمق ولن ندخل في تفصيلات لتفسير نهاية الحرب. بناء عليه، وانطلاقاً من مرجعية وخلفية سابقة مفصلة عن عوامل نشوء الحرب الأهلية بالجوف وحالاتها الكلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، نستطيع أن نقول، وعلى نحو مختصر موجز، إن الحرب الأهلية بالجوف وضعت أوزارها في نهاية خاتمتها حرب المعاقلة/ المعاقلة (المويشير/ الراشد)، ولم يكن لحالة صراعية

إضافية أن تنشأ مجدداً، وذلك لتلاشي قدر كبير من تلك العوامل والقوى الداخلية والخارجية المحركة والحاسمة و/ أو تراجع قوتها النسبية التأثيرية المولدة للصراع. وباختصار نسجل التالي:

في الداخل (الجوف: في سكاكا و/ أو دومة الجندل)

أ ـ على مستوى القوى والأطراف الداخلية في الجوف، يلاحظ أن دوامة حالات الصراعات الأهلية المتوالية، وإن على نحو متقطع، لحوالي القرن والربع تقريباً (١٧٩٢م ـ ١٩٢٢)، وبما تضمنته من تكاليف بشرية ومادية باهظة، في الأنفس والممتلكات، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار النفسي المتواصلة خلالها، ولدت حالة من التعب والمعاناة والإنهاك، ضاغطة عليها جميعاً بقوة، أقله نفسياً دون شك، والجنوح بها بحثاً عن مخرج من هذه الحالة الصراعية. تذكرنا هذه الحالة الصراعية في الجوف ولأهلها بالحالة الطبيعية «الصراعية» كما هي قريبة مما طرحها توماس هوبز، وفي الرغبة الجامحة لمجتمعها في الخروج منها نحو حياة أكثر استقراراً وسلاماً، وإن كان طرح «هوبز»، في سياق توظيف نظرية العقد الاجتماعي، بغرض مساندة ووضع الأساس الفلسفي للحكم المطلق الإنجليزي في القرن السابع عشر الميلادي (بركات [وآخرون]، ١٩٨٤: ١٠٢ ـ ١٠٤).

ب ـ ترافق هذا الإنهاك لقوى الجوف الأهلية، والرغبة لديها في الخروج منه، مع إنهاك فسقوط وتلاشٍ وانهيار للقوى الخارجية المتصارعة والمتنافسة على الجوف (الرشيد و/ أو الشعلان). في المقابل كانت هناك قوة ثالثة جديدة صاعدة، «قوة آل سعود» لم تكن متورطة في تأجيج الصراع الأهلي، باستثناء ما اتصل ببدايات الصراع الأهلي في الجوف (بـ «دومة الجندل») بين الدرع والسراح حول ١٨٠٠م وفي حدودها، ودعم العناصر الوهابية من الدولة السعودية الأولى لها. في عام ١٩٢٢م، وبعد انقطاع عن الجوف دام لأكثر من قرن (من ١٨١٨ وحتى ١٩٢٢م)، كانت القوة الثالثة ممثلة بـ «ابن سعود: عبد العزيز» تبدو غير منحازة لأي طرف أو قوة محلية بالجوف. السراح في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وربما حتى العقد الثالث من القرن الأخير، كانوا ربما ينظرون للدولة السعودية الأولى بنوع من العداء، ولكن هذا العداء بدأ يتلاشى مع أواخر الـ ١٨٣٠sم، مع سيطرة الرشيد، وانتشار الأفكار والمعتقدات والممارسات الوهابية. وفوق هذا وذاك، في عام ١٩٢٢م، كان السراح، كما هم الدرع، قد تلاشوا نفوذاً ومكانة بالجوف مع صعود قوى ونخب أهلية جديدة بالتوازي.

ج ـ من هنا كان هناك وفد أهلي متوافق عليه، من قبل القوى الرئيسة لأهالي الجوف، ومن دافع أهلي بحت، بدعوة لـ «ابن سعود» وبقبول دخول الجوف في حكمه. إذاً كان هناك دعوة أهلية وقبول لسلطة مركزية واحدة متوافق عليها أهلياً في بداياتها وفي تواصلها، وفي غياب كامل لقوى متنافسة معها على الجوف. يلاحظ أن الانقسام الاجتماعي في الجوف وبين أهاليها وجماعاتها، الكبرى و/ أو الفرعية، بما هو خلفيات وانتماءات اجتماعية قبلية متعددة، كان موجوداً، كما كان من قبل وفي أثناء حالات الحرب الأهلية ولم يتغير، ولكنه لم يحل دون التوافق الأهلي على قيام سلطة مركزية جديدة (ابن سعود) في وعلى الجوف. إن هذا العامل الاجتماعي وجوداً، وبالتوصيف أعلاه، وبالقدر الذي لم يمنع الأهالي في الجوف من التوافق على سلطة مركزية جديدة خارجية، فهو أصلاً لم يكن عاملاً حاسماً في نشوء

وتوليد الصراع والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وإن كان له دور مساعد وغير مباشر في تواصل الصراع متقطعاً في حالات لاحقة. بالحد الأقصى، كان للعامل الاجتماعي دور مساعد غير مباشر في تكوّن الصراع وحدوثه.

د ـ وبالتوازي مع ما ورد في ما سبق من بنود، وبالذات في البندين (ب) و(ت)، فمن ناحية العامل الثقافي، يلاحظ أن حالة من الوهابية سادت وانتشرت في الجوف، وبالتالي كان هناك انسجام أهلي في هذا السياق، فضلاً عن أنها لم تكن أحد العوامل في الصراع، إلا ما كان منها بين الدرع والسراح حوالى ١٨٠٠ ـ ١٨١٨م. فوق هذا وذاك، كانت حالة وقيَم التحرر والحرية والاستقلال لأهالي الجوف، أفراداً ونخباً وجماعات، وخاصة تجاه القوى الخارجية، بدت وكأنها غير موجودة بانهيار القوى التقليدية المتصارعة على الجوف (الرشيد والشعلان). في المقابل، وكما أسلفنا قبل قليل، لم يكن هناك موقف عدائي من القوة الثالثة القادمة «ابن سعود»، فضلاً عن أن قدوم ابن سعود كسلطة وحكم كان برغبة الأهالي وبدعوة له وطلب توافقي منهم إليه. على أن هذا الموقف الثقافي وما يتصل بقيَم الحرية والتحرر والاستقلال، سوف يُستدعى لاحقاً من الذاكرة التاريخية ومخزونها، كخبرة تاريخية نفسية متراكمة عبر الأجيال، تجاه الدولة السعودية الثالثة في أواخر الـ ١٩٥٠s م فصاعداً، عندما يتبين لأهالي الجوف، أن السلطة الجديدة (الدولة السعودية الثالثة) بدأت بممارسة قدر من الحرمان والتهميش والإقصاء للمنطقة وأهلها، وهي أمور وتطورات سنأتي عليها بالحديث عند مناقشة المسألة الثقافية في الجوف، وفي واحدة من مظاهرها ومراحلها، وخاصة منذ منتصف ١٩٥٠م فصاعداً. أما ونحن نتكلم، الآن، عن نهاية الحرب الأهلية وفي حدود ١٩٢٢م، فإن الصورة في وقتها كانت تعبر عن ترحيب وقبول بالسلطة الجديدة من قبل الجوف وأهلها، وإن هذا الترحيب والقبول كان ثمار حالة موقف طبيعي وذاتي، ولم يكن أبداً نتيجة قسر وإكراه.

هـ ـ فوق هذا وذاك، في كل ما تقدم وأساسه البنيوي في الجوف، كان هناك تغير في الحالة الاقتصادية السائدة في الجوف، وعواملها، والتي هي، في ما كانت عليه، والنمط الاقتصادي المصاحب لها (اقتصاد حد الكفاف وتلاشي أو محدودية فائض القيمة)، المحرك البنيوي للصراع الأهلي على طول فترته (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، بما ولدته من مجتمع لاتراتبي وغير طبقي، وبما يتسم بحالة من «المساواة شبة المطلقة، والندية الشديدة» بين الأفراد والنخب والجماعات في الجوف، فالحالة التنافسية الحلزونية غير المساومة (التصادمية) على المكانة والنفوذ، وعلى التغيرات فيها وعليها ونحوها، رغبة وقبولاً و/ أو رفضاً واعتراضاً لها وعليها، جزئياً و/ أو كلياً. رغم دفع الأهالي للزكاة المفروضة للسلطة الجديدة (ابن سعود)، فيما بعد ١٩٢٢م، فإن تغيّراً في الحالة الاقتصادية السائدة ما قبلها (السابقة)، طالها من عدة نواحٍ: ١ ـ فمن ناحية، كان هناك توقف كامل لاستنزاف موارد الجوف، مالياً واقتصادياً، بتوقف الجبايات والضرائب الجائرة، فضلاً عن توقف الدمار للممتلكات والمزارع والمياه، المصاحبة لغزو وصراع القوى السابقة المتصارعة على الجوف، فضلاً عن انحسار متواصل، فتلاشٍ في النهاية، لعدائية محيط صحراوي معادٍ وعدائي في ثقافته وفي ممارساته القاسية تجاه الأهالي، عبر الغزوات والسلب والنهب والتحكم بطرق المواصلات والتواصل مع المحيط المجاور (الهلال الخصيب: فلسطين، والشام، والعراق، وما بينها)؛ ٢ ـ ترافق ذلك كله مع تكوّن حالة أمنية مستقرة، ساهمت في تعافي حالة اقتصادية زراعية متعافية

ومتواصلة في تطورها، وإن على نحو تدريجي، بما في ذلك تطورها بمزيد من مكننتها؛ ٣ ـ مدعومة بتوفر موارد مالية مضافة، عبر نفقات ووظائف حكومية، عسكرية وأمنية ومدنية، وإن كانت محدودة، لكنها كانت تتنامى تدريجياً، لعدد متنامٍ من أفراد وأهالي الجوف خلال الفترة ١٩٢٢ ـ ١٩٥٠م، لتزداد بوتائر أسرع بعد منتصف الـ ١٩٥٠sم فصاعداً، عبر دخول النفط، ومداخيله وتبعاته، على الخط، لتنعكس جزئياً على الجوف وأهلها بنوع من التحسن في الأحوال المعيشية والسكنية، عبر مزيد من القدرات المالية المكتسبة في العمل في بعض قطاعات الدولة، وخاصة الجيش والشرطة، وشركات البترول. إذن نحن أمام سيرورة انتهاء حالة نمط اقتصادي اتسمت بحد الكفاف، وباتجاه تدريجي في الدخول في «اقتصاد رأسمالي» خاص وعام، عبر توسع زراعي، وإن بخطى تدريجية، مع تنامي فرص وظيفية محلية وفي بعض أطراف الدولة، على محدوديتها. ارتبط وترافق ذلك كله مع توافر موارد إضافية (فائض قيمه متراكم، وإن ببطء)، في جزء منه عبر ومن تعافي الإنتاج المحلي (الزراعي) التدريجي، والمعزز أصلاً بتوقف حالة الاستنزاف وتوفر قدر من الأمن والاستقرار، ومعها وفوقها عبر قدر من النفاقات والوظائف الحكومية على محدوديتها في الثلاثة عقود الأولى ما بعد ١٩٢٢م.

و ـ في سياق ما تقدم بدأت التجارة والنشاط التجاري بالتعزز في الداخل ومع الخارج، وبالذات مع المحيط العربي المجاور والقريب، فكانت أكثر وضوحاً مع العراق بداية، ومنذ أواخر أواخر ١٩٤٠sم، ومنتصف الـ ١٩٥٠sم مع الشام والأردن والكويت.

على مستوى الجوف والحالة السياسية الجديدة (الدولة): الآن حالة «المساواة/ الندية»، بين أفراد ونخب وجماعات الجوف، وإن بقت ربما في النفوس من الناحية الثقافية العامة، إلا أنها في الحقيقة طرأ عليه تغيرات وقدر متنامٍ من التقييدات، لعل أهمها: أولاً، الحالة البنيوية المحركة لها من حيث نمط الاقتصاد وحد الكفاف وانعدام و/ أو تلاشي فائض القيمة بدأ في التغير؛ وثانياً، أن الناس في الجوف، ومع تكوّن الحالة الجديدة، بدأوا بالانشغال بتحسين الأحوال المعيشية، عبر تنمية النشاط والإنتاج الزراعي المحلي، وعبر البحث عن العمل في المتاح من أعمال ووظائف حكومية (الشرطة المحلية تحديداً ولاحقاً الجيش) وفي مرحلة لاحقة في شركات البترول وبالذات مع وفي أعقاب أعمال وإنشاءات خط التابلاين «خط الأنابيب عبر البلاد العربية» (TAPLINE = Trans-Arabian Pipeline)، والذي تم ما بين ١٩٤٨ و١٩٥٠م (ويكيبيديا، ٢٠١٢)[1]. من هنا بدأ، الناس في الجوف، ومع الحالة السياسية الجديدة، وما صاحبها من هدوء واستقرار وتعافٍ، وإن بالتدريج، في الحياة الاقتصادية والمادية، بتصريف معظم طاقاتهم في التنافس المعيشي، وبالتالي بدأوا بالانصراف عن التنافس التصادمي حول الشأن

---

(١) **التابلاين** (بالإنكليزية: Tapline) خط أنابيب نفطي يمتدّ من القيصومة بالمملكة العربية السعودية حتى ميناء صيدا في لبنان. جاء اسم تابلاين من اختصار عبارة «Trans-Arabian Pipeline» والتي تعني بالعربية «خط الأنابيب عبر البلاد العربية». بدأ إنشاء الأنبوب عام ١٩٤٨ بطول ١,٦٠٠ كلم بأمر من الملك عبد العزيز، وقد تمّ إنشاؤه بشراكة ما بين شركة إسو Esso، شيفرون Chevron تكساكو Texaco وموبيل Mobil. استعمل لإنشاء هذا الأنبوب ٣٥٠٠٠٠ طن من الأنابيب و٣٠٠٠ قطعة من الآليات ومعدات البناء وقد عمل على إنشائه ١٦٠٠٠ عامل بتكلفة قدرها ١٥٠ مليون دولار. تمّ الانتهاء من إنشائه في عام ١٩٥٠ وبعد شهرين من ذلك بدء ضخ النفط إلى ميناء صيدا. انظر: «تابلاين،» ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، آخر تعديل لهذه الصفحة في ١٥ نوفمبر ٢٠١٢، الساعة ٢١:٠٩، تمّت الزيارة في ٢٠١٣/٢/١١، وهو متاح على الرابط التالي: <http://ar.wikipedia.org/wiki/%d8%aa%d8%a7%d8%a8%d9%84%d8%a7%d9%8a%d9%86>.

العام (المكانة والنفوذ). هذه الأوضاع تعززت في الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٩٠، حيث بدا أن تركيبة النخب والمشيخات التقليدية آخذة في التحوّل لصالح نخب جديدة، تتكوّن من مكوّنات طبقة وسطى (وظيفية وتعليمية وتجارية) (الفالح، ٢٠٠٠). طبعاً نحن في حقيقة الأمر نتكلم عن نهاية الحرب الأهلية في عام ١٩٢٢م وفيما بعدها مباشرة وفي حدودها، ولكننا سحبنا النقاش على فترة ما بعدها لسببين رئيسين: الأول، والمهم أن الفترة التي تلت ١٩٢٢م، وخاصة ما بين ١٩٢٢م وحتى نهاية عقد ١٩٥٠s، وربما تمتد حتى أواخر ١٩٦٠s م وما بعدها، حدثت فيها تحولات في نمط الاقتصاد السابق وبما ينعكس على متلازماته الاجتماعية (المساواة/ الندية). الآن، لو تصورنا، أو افترضنا، أن نمط الاقتصاد (حد الكفاف وتلاشي فائض القيمة) في الجوف ما قبل ١٩٢٢م، استمر بالتواصل ولم يتغير في الفترة التي أعقتبها (أي تقريباً، ١٩٢٢م ـ ١٩٧٠م)، فإن الصراع الأهلي بالجوف، أو حالة جديدة منه، في الغالب، ستكون إما قد وقعت، أو أنها في طريقها للوقوع، وبغض النظر عن ثبات العوامل الأخرى للصراع. من خلال ملاحظة فترة الحرب الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) لاحظنا أن الصراع الأهلي، بما هو حالات وواقعات، إنما يتمظهر وينفجر متقطعاً بين فترة وأخرى، ربما أغلبها يحدث كل حوالي عشرين عاماً أو في حدودها، زيادة أو نقصاً. ثانياً، يتعلق الأمر بالتغيرات الهيكلية في مكوّنات النخب وأساس بنيتها، من القديم والتقليدي إلى النخب الحديثة وبنيتها، إذ بدت وكأنها أمر يحتاج إلى هذا الربط والترابط، وبما يتصل بسؤال المستقبل من ناحية احتمال عودة لصراع أهلي بالجوف، في ضوء متغيرات البنية التحتية الاقتصادية ومتلازماتها الفوقية (المساواة والتصادم) (؟). طبعاً رأينا أن هناك تغيرات جوهرية في بنية الاقتصاد ونمطه، في الجوف، وتقييدات طرأت على فكرة «المساواة/ الندية»، فانصراف عن التصادم الحلزوني غير المساوم إلى تنافسات في الحالة والمكانة (الحياتية)، عبر التعليم والوظيفة والتجارة. في هذه التغيرات نلحظ أن فكرة «المساواة/ الندية»، وإن بقت من الناحية الثقافية النفسية لدى مكوّنات المجتمع في الجوف، أفراداً ومجموعات، إلا أن أساسها الاقتصادي بدأ يتلاشى ويتغير على نحو كبير، وانعكس على تحولات في بنية المجتمع من حيث تكوّن فئات ونخب اجتماعية جديدة، كظهور طبقة وسطى (تعليمية وظيفية وتجارية)، مع انهيار للنخب والمشيخات والعائلات التقليدة، (الفالح، ٢٠٠٠: ١٦٩ ـ ٢٠٨)، وإن بقت اسمياً برغبة فوقية، وبما انعكس على تكوّن وتشكل نوى لتمايزات تبدو طبقية على أساس اقتصادي (أنشطة رأسمالية وتجارية) و/ أو تعليمية/ ثقافية ووظيفية (في انهيار العائلات التقليدية بسبب تحولات بنيّوية وهيكلية اقتصادية، وبسبب نمط تحالفات النظام الجديد بالقوى المحلية، فضلاً عن عوامل ذاتية، انظر ما تعلق بمناقشتنا لإنهيار عائلة الفالح، مثالاً لا حصراً، في هوامش نهاية فصول الثقافة بالجوف، وخاصة فصل الانفتاح والانغلاق)[٢]. ورغم تلك التحولات، وفي ضوء التجربة والذاكرة المثقلة بالتاريخ، يبقى الانشغال بسؤال الصراع الأهلي واحتمالاته المستقبلية مشروعاً ومفتوحاً. إن الإشكالية تكمن في مشروعية التساؤل حول إمكانية عودة الصراع الأهلي بالجوف؛ فهل هي واردة ومحتملة أم ماذا؟ سوف نترك الجواب المفصل إلى خاتمة وخلاصة الكتاب، ولكن ما يمكن أن نقوله هنا، مختصراً،

---

(٢) في انهيار العائلات التقليدية بسبب تحوّلات بنيّوية وهيكلية اقتصادية، وبسبب نمط تحالفات النظام الجديد بالقوى المحلية، فضلاً عن عوامل ذاتية، انظر ما يتعلّق بمناقشتنا لانهيار عائلة «الفالح»، مثالاً، لا حصراً، في هوامش نهاية فصول الثقافة بالجوف، وخاصة فصل الانفتاح والانغلاق.

عن احتمال عودة الصراع الأهلي بالجوف واردة، هو أن هذا يتوقف على تفاعل وتلاقح ثلاثة عوامل، وهي:١ ـ تواصل تغذية ذاكرة نفسية عدائية متراكمة، ومعاد إنتاجها وعلى نحو مقصود و/ أو بجهالة من و/أو بين بعض المجموعات والأفراد في المكوّنات الكبرى لفضاء الجوف الاجتماعي؛ ٢ ـ في حالة غياب و/أو تغييب وعدم تكوّن بنى ومؤسسات حديثة (مؤسسات المجتمع المدني والأهلي الفاعلة «المستقلة»)، رديفاً لفكرة المواطنة وترسيخاً لها، وبديلاً من المؤسسات الأهلية التقليدية المتهاوية، وغير القادرة، في ضوء طبيعتها وعملها وخبرتها السابقة، أن تتعامل مع سيرورة وتاريخ البشر وثقافته المستقبلية وتحدياتها، وهذه مرتبطة بالعامل التالي. ٣ ـ عدم قدرة و/أو رغبة السلطة الحاكمة في الدولة السعودية على التقدم على مسارات جوهرية وحقيقية في الإصلاح السياسي الشامل، بما يتضمن قيام دولة وحكومة دستورية؛ تسود فيها العدالة والحرية والكرامة والمساواة والتقدم والتنمية المتوازنة: دولة القانون وحقوق الإنسان والديمقراطية.

في صلب الموضوع وعودة له، نقول هنا، وسنكرره في الخاتمة ما يلي: إننا ناقشنا، الصراع الأهلي بالجوف كحالة تارخية كلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، ليس من باب الترف ولا من باب العودة إلى الماضي و/ أو إحياء له، كما قد يبدو للبعض، وإنما، أولاً، بهدف فهمه وتفسيره، من خلال عوامله ومحركاته الأساسية، للتنبؤ في احتمالاته المستقبلية، وللتحكم فيه وضبطه واحتوائه ومنعه، تالياً، من قبل المجتمع ومكوّناته وقواه، وخاصة نخبه الحالية والمستقبلية، عبر الوعي والإرادة والرغبة والقدرة في توظيف كل الإمكانات والموارد المتاحة، وأهمها وفي مقدمتها العقل والمعرفة والتوافق والتفاهم حول وعلى مصلحة مشتركة، لا فكاك منها ولا نجاة خارجها و/أو في الخروج عليها؛ أنها مصلحة السلم الأهلي للجميع وبما يكفل تواصل المجتمع وتقدمه ونهضته وبما يجعله مشاركاً بفعالية، ضمن مكوّنات الوطن والبلدان العربية وشعوبها، في صناعة تاريخها وتحولاته وفي سياق المشاركة والمساهمة في صناعة وتقدم التاريخ البشري، والحضارة الإنسانية المنفتحة على الكل، والمنبسطة المتاحة لصالح البشرية جميعاً. لا أحد رابح في صراع أهلي، وإن بدا، له و/أو لغيره، أنه كذلك رابح! وفي الجوف، وفي حربها الأهلية، في كلياتها و/أو في حالات منها، الكل كان خاسرا. إن كان هناك من ربح، فهي فيما تكوّن وتولد عنها من وعي، إن توفر، حول مآسيها وكوارثها ومآلاتها وعواقبها على الحرث والنسل، وبما هو تقويض للسلم الأهلي وللحياة المشتركة، وبما يحيل إلى الحاجة وضروراتها بتجاوز العودة للصراع الأهلي و/أو الارتكاس فيه وفي متونه مرة أخرى ! الصراع بذاته، وإن كان مشيناً ومدمراً، فإنه في الفطرة الإنسانية وارد ومفهوم وحالة «طبيعية» في حده الأدنى وفي الظروف والمعطيات القديمة للحياة وتفاعلاتها وأطرها المعرفية، ولكن ما هو مشين بدرجة أكبر، أن يلجأ الإنسان (أفراداً وجماعات)، وفي ضوء معطيات حياة معاصرة ذات قدر متاح من الإدراك والمعرفة لا بأس بها، إلى خيار القوة والعنف في حل أية أشكالات وخلافات مع الطرف الآخر، مستبعداً خيار الحوار والتفاوض والتفاهم والاتفاق و/أو التوافق معه أو معهم وبينهم. من هنا فالعيب ليس في أن يحدث وينشأ الصراع، وإنما في فقدان الآليات، فضلاً عن الرغبة والإرادة، في إدارة الصراع والتحكم فيه وضبطه قبل أن ينفلت عنفاً مسلحاً ومدمراً، خارجاً عن السيطرة، وعاكساً لمزيد من حالات الاحتقان الدائمة، عبر حالات متكررة ومتبادلة من الثأر والانتقام، فدوامة الصراع وحلقته المفرغة وآثارها المدمرة.

الفصل الثالث

الجوف وابن سعود (١٩٢٢م): الأهالي وأدوارهم الحاسمة في انضمام الجوف إلى حكم الملك عبد العزيز

مقدمة

تعود علاقة الجوف بالدولة السعودية في جذورها إلى حدود عام ١٨٠٠م مع محاولة للحركة الوهابية التوسع في شمال الجزيرة العربية، علماً أن هذا الوصول والتوسع كان ملتبساً من حيث العنف والتطرف الذي رافقه ووشمه، فضلاً عن أنه لم يتميَّز بالتمكن المتواصل والمستقر في المنطقة. وحيث إننا سبق وأشرنا في مكان آخر إلى العلاقة التاريخية وملابساتها والتباساتها (انظر الفصل الأول ـ الواقعات والروايات: جذور الصراع والسلم الأهلي بالجوف ـ ١٧٩٢م ـ ١٨٣٠sم)، فإننا هنا لسنا بصدد مناقشة العلاقة بين الجوف والدولة السعودية من الناحية التاريخية على أهميتها. إن ما يهمنا هنا هو التركيز على العلاقة الحديثة وخاصة في ما يتعلق بانضمام الجوف للدولة السعودية الثالثة (أي الانضواء تحت حكم الملك عبد العزيز)، في عام ١٩٢٢م.

طبعاً هناك عوامل متداخلة في قيام وطبيعة العلاقة بين الجوف والدولة السعودية، وهي تتراوح ما بين الداخلية والمحلية، وما بين الخارجية والدولية والإقليمية العربية (بريطانيا والهاشميين في الأردن، وانحسار ونهاية الدولة العثمانية، وسقوط حكم الرشيد وضعف ونهاية سلطة الشعلان في الجوف)، فضلاً عن التاريخية منها والتي أشرنا إليها. رغم أن العامل الخارجي، وخاصة الدور البريطاني والهاشمي كان حاسماً في عملية التفاوض وحسم وتثبيت نهائي للعلاقة بين الجوف وحكم الملك عبد العزيز (مسألة الصراع على الجوف وقضية الاستفتاء والحدود لاحقاً)، إلا أن ما يهمنا هنا هو مناقشة العامل والموقف الأهليين المحليين لأهل الجوف عام ١٩٢٢ وفي حدودها، في إنشاء وإرساء تلك العلاقة والبناء عليها. وبتفصيل أدق وأهم ما يهمنا هنا هو ملاحظة ومناقشة الأدوار والإسهامات، الفعلية والحقيقية لأهالي

الجوف، نخباً وزعامات وجماعات فرعية وعامة، في عملية الانضمام الطوعي والاختياري للجوف إلى حكم الملك عبد العزيز بن سعود في عام ١٩٢٢م، والتحقق من تلك الأدوار والإسهامات على أرض الواقع من خلال الروايات والمصادر المتعددة ومقابلتها بعضها ببعض. وقبل الخوض في الأمر وتفصيلاته أود أن أنبه إلى أنني (الباحث)، وأنا أتحدث عن علاقة بين الجوف والدولة السعودية، فيجب ألّا يُفهم منه أنني أتحدث عن علاقة بين دولتين، وإنما أتحدث عن علاقة الجوف كإقليم وجماعة فيه، مع سلطة وحكم (الملك عبد العزيز) في سياق تطور تكوّن الأخيرة باتجاه قيام كيان سياسي أكبر (دولة) وإن لم تتضح معالم الدولة السعودية الثالثة إلا بعد ضم الحجاز، ثم لاحقاً الإعلان في عام ١٩٣٢م عن قيام ما عرف باسم المملكة العربية السعودية.

وقبل مناقشة موضوع دور الأهالي في ضم الجوف إلى الدولة السعودية الثالثة في عام ١٩٢٢م، لا بد من التعرض لمسألة هامة سابقة، وهي قيام أهل الجوف على منصوب ابن شعلان في الجوف في (١٤/ ربيع الأول ١٣٣٧هـ)، الموافق (١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م)، والقضاء في النهاية على حكمه. ذلك أن تلك العملية وتوابعها وسياقاتها أسست لفكرة العلاقة بين الجوف والدولة السعودية الثالثة في صيغتها وطبيعتها وعواملها الحديثة. لماذا التركيز على هذه المسألة؟ الجواب يتعلق بأمرين: الأول، تبيان الأدوار الحقيقية والتاريخية لأهالي الجوف، الأدوار للزعامات والنخب والجماعات، في إتمام الأمر، والثاني هو، بناء على ما سبق، فضح التزييف التاريخي الذي مارسه محمد بن عبد الله السيف ومن استكتبه من «المويشير» في موضوع علاقة الجوف بالدولة السعودية الثالثة، وما قبلها من القيام على سلطة ابن شعلان في ما يتعلق بقتل منصوبه في الجوف عام ١٩١٨م.

أولاً: في مقتل منصوب ابن شعلان في الجوف (١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م)

تميَّز حكم «الشعلان» للجوف وأهله بالعنف في سنواته الأولى (١٩٠٩ ـ ١٩١٥م)، كما تميَّز بعدم المبالاة، والإهمال تجاه الأهالي ومشاعرهم ومطالبهم في سنواته الأخيرة (١٩١٧ ـ ١٩١٨م). طبعاً هذا الكلام لا يعفي الرشيد وسلطتهم من عنف وقتل رافق حكمهم للجوف (١٨٣٨ ـ ١٩٠٨، و١٩١٩ ـ ١٩٢١م)، ولكن الرشيد بدأت سلطتهم بالانحسار عن الجوف مع أوائل القرن العشرين نتيجة الصراع والقتل فيما بين أفراد وبيوت أسرة الرشيد ذاتها، وخاصة فيما بعد ١٩٠٦م فصاعداً. ونقول منذ البداية إنه ورغم التباين النسبي بين الرشيد والشعلان في حكم الجوف، والتعامل مع أهله، فإنه من المؤسف القول إنه لم تقدم لا سلطة الرشيد ولا سلطة الشعلان للجوف وأهلها ما يعينها ويعينهم على الاستقرار والتقدم ويحفظ لهم الكرامة في فترة امتدت إلى حوالي القرن (١٨٣٨ ـ ١٩٢٢م)، بل إن كلاً منهما ساهم في تواصل «حالة التخلف» بالجوف باستنزاف ثرواته البشرية والمادية في الحروب وفي الضرائب. سنناقش واقع حالة وثقافة التخلف بالجوف وتفسيرها بالتفصيل في الجزء الثاني من الكتاب والمعنية بالمسألة الثقافية بالجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م). هنا نكتفي ببعض الإشارات الكلية لموضوع التخلف بالمنطقة، فنقول: طبعاً هذا الكلام عن التخلف، وصلته بالقوى الحاكمة الخارجية، لا يعفي أهل

المنطقة أنفسهم ودورهم المحلي النسبي في الصراع الداخلي، وفي توابعه وتداعياته السلبية في سياق الحديث عن التقدم والتخلف. وأيضاً لا يعفي هذا الكلام الدولة السعودية الثالثة، ونظامها السياسي من تهميش وإهمال للتنمية في منطقة الجوف، كما هي حال إهمال مناطق أخرى من الدولة، وخاصة في الجنوب (جيزان ونجران، وساحل تهامة، وشمال غرب البلاد (منطقة تبوك) والحدود الشمالية (عرعر وتوابعها من القرى والهجر)، ومناطق من الشرقية الإحساء، والقطيف وقراهما، وحتى كذلك في المنطقة الوسطى وأطراف المدن الرئيسة، وخاصة في سياق توفر ثروة نفطية هائلة كان بإمكانها أن تحول البلاد إلى جنان. ورغم أن مشكلة الرشيد والشعلان أنهما وسلطتهما لم يرقيا إلى مستوى الدولة، فإن مشكلة الدولة السعودية الثالثة، كما لمحنا إليها في نهاية الفصل السابق، ونقول عنها: إنها في بنيَة تكوّنها السياسي لم تستطع و/ أو لم ترغب نخبتها الحاكمة أن تنقل الدولة، وطريقة إدارتها من الطريقة القديمة الفردية المهمشة للمجتمع وقواه، إلى دولة عصرية مؤسسية دستورية، تسود فيها العدالة والحرية والقانون والمحاسبة والشفافية والمشاركة الشعبية في القرار وفي السياسات، وتقوية المجتمع من خلال مؤسسات مجتمع مدني فاعل مستقل. إن عدم الانتقال إلى الدولة الدستورية، وبما يؤسس لعصر ومرحلة «الدولة السعودية الرابعة» (الدستورية)، والتلكؤ به، سيكون هو السوسة التي ستنخر في جسد وبنية الدولة الحالية مفضية بها إلى الانهيار لا محالة، إن استمرت الأوضاع على ما هي عليه لفترة ربما لا تتجاوز العقدين من السنين أو في حدودها. ليس الهدف هنا مناقشة أمر الإصلاحات ومطالب قوى الإصلاح في السعودية، فهذه أصبحت معروفة للجميع في الداخل والخارج، وهي كانت مطروحة منذ منتصف الخمسينيات وحتى هذه اللحظات (نهاية ٢٠١٣م)، وإنما الهدف فقط الإشارة إلى التشابه و/ أو الاختلاف في فشل السلطات القديمة، وتواصل الفشل في ظل الدولة المعاصرة في التعامل مع قضية التقدم والتخلف للجوف وغيرها من مناطق البلد الأخرى، والأمر كله ينطبق على بقية الدول والبلدان العربية وفشلها في الأمر. من هنا ليس غريباً أن نرى بداية اندلاع ثورات الشعوب العربية على سلطاتها المستبدة البوليسية القمعية الفاسدة: أولاً، الثورة التونسية ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠ وحتى ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١م، حيث أطاحت النظام الدكتاتوري البوليسي، لنظام بن علي؛ ثم ثانياً الثورة المصرية ٢٥ كانون الثاني/ يناير وحتى ١١ شباط/ فبراير ٢٠١١م، حيث أطاحت نظام مبارك الدكتاتوري، ورغم انتكاستها والثورة المضادة وعودة حكم العسكر منذ تموز/ يوليو ٢٠١٣م؛ ثم ثالثاً الثورة اليمنية (١١ شباط/ فبراير ٢٠١٣م) رغم مشاكلها وعدم تحققها كاملاً؛ ورابعاً الثورة الليبية (١٧ شباط/ فبراير ٢٠١١م) ومطباتها، وصولاً إلى الثورة السورية منذ آذار/ مارس ٢٠١١م، والتي لا زالت للعام الثالث على التوالي تتواصل بفعل وحشية ودموية النظام. ورغم الانتكاسات في عدد من الثورات العربية، وتراجع في الحقوق والحريات، على محدوديتها، في عدد من الأقطار العربية، وبالذات الخليجية، ومنها السعودية تحديداً في الفترة منذ ٢٠١١م وما بين ٢٠١٣م، وما بعدها، فإن غضب الشعوب العربية لن تطول انفجاراته، وربما لن ينتهي العقد الثاني، إلا وتكون بقية الدكتاتوريات العربية قد أطيحت و/ أو هبت عليها رياح قوية عاصفة باتجاه التغيير والديمقراطية، إن لم تصالح هي ونخبها الحاكمة طوعاً شعوبها، وتتفاعل معها، بل تستجيب لرغبات شعوبها في الحرية والكرامة والعدالة والديمقراطية.

١ ـ ما قبل قتل منصوب ابن شعلان في الجوف: مراسلات ومطالب أهل الجوف بإقالة منصوب ابن شعلان

عودة لحكم الشعلان للجوف، وخاصة في سنواته الأخيرة، وبالذات قيام أهل الجوف في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م على قتل منصوبه عامر المشورب، نقول إن سلطة الشعلان (نواف الشعلان، ومن خلال منصوبه عامر المشورب) للجوف تميزت بالعنف والتعسف، وسوء الإدارة والتضييق على الناس والأهالي، فضلاً عن تجاوزات متعددة، بما فيها تجاوزات وانتهاكات وتعديات على الممتلكات والتطاول على بعض السكان وكرامتهم، شعر معها أهل الجوف أنها ممارسات تعسفية وتجاوزات تمس كرامة الجميع لا يمكن السكوت عليها. سنأتي على تلك التجاوزات بالتفصيل لاحقاً، لأن بعضها كان قد حدث قبيل قتل المنصوب فعلياً في ١٩١٨م بفترة وجيزة ومرتبطاً بملابساتها، وبعضها الآخر كان سابقاً بعدة سنوات، وخاصة في فترة السنوات الأولى (١٩٠٩ ـ ١٩١٥م) لسيطرة ابن شعلان على المنطقة، والتي في معظمها تتعلق بالقرشة وما تعرضوا له من عسف وقسوة سلطة وحكم الشعلان. من هنا كانت هناك محاولات من أهل الجوف لوضع حد لتلك التجاوزات، فكان أن قام عدد منهم بالتواصل والاتصال مع الشيخ النوري نفسه لحثه على إزاحة منصوب ابنه نواف بالجوف (عامر المشورب).

أ ـ رجا المويشير والنوري ومسألة مطالبته بعزل «المشورب»

يقول السيف ومن استكتبه من المويشير أن رجا قام بالاتصال بالنوري في دمشق، وأن الأخير طالبه بإقالة عامر المشورب، وأن النوري وعده ولكنه لم يفِ بوعده (السيف، ٢٠٠٢: ٨٥ ـ ٨٦). هذا قول يفتقر للمصداقية، ذلك أن المصادر المحلية، أو الشهود (وهم: عبد الرحمن السلمان الشاهر الإبراهيم وعايد الراجي البلهود) التي اعتمد عليها في هذا القول هي مصادر، وشهود مشكوك بمصداقيتها، حيث لا يعرف عنها أنها أبداً من الرواة المشهود لها والمعتبرة في ما يتعلق بالتاريخ الشفوي لتاريخ الجوف، وهذا ما يقرره ويشدد عليه الرواة المحايدون، ومنهم هلال سالم النصر، والذي قال عنهم: «متى كان عايد وعبد الرحمن وطلحاب ومناور من الرواة وكبار السن الذين لديهم تلك الروايات والقصص؟» (هلال النصر، مقابلة، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ٢ من ٤).

في المعاقلة كان سعد الطارف هو الراوي الأشهر عن تاريخ المعاقلة خاصة، وعامة عن الجوف (سكاكا تحديداً) على الإطلاق، ورغم أنه كان متوفياً وقت كتابة السيف وأصحابه من المويشير، إلا أنه كان يمكن اللجوء إلى ابنه سليمان، والذي كان مجالساً لوالده، ومطلعاً على تفصيلات روايات أبيه عن الجوف، هذا فضلاً عن توافر عدد من الرواة المسنين الآخرين في سكاكا ودومة الجندل، وكانوا أحياء آنذاك وقت كتابة مكتوبه ومكتوبهم، ومن كل الأحياء والجماعات الصغرى والكبرى، (منهم على سبيل المثال لا الحصر، في المعاقلة فقط: أحمد القضيب الراشد، عبد الله مسباح الراشد، خلف شافي السويلم/ النصير، صطم العبيكة/ النصير، كساب الشاهر/ العبد، عبد المحسن عبد الكريم الكريّع، سليمان العودة الفلّاح، ومحمد السلطان/ الكبيدان... إلخ) ـ، ولكن السيف، وأصحابه ممن استكتبه من المويشير، أغفلوهم، كما أغفلوا مصادر سابقة على مكتوبهم، هم على علم بها واطلاع عليها، في محاولة

لتغطية الشمس بالغربال. وأما الإشارة في الهامش (السيف، ٢٠٠٢: ١٠٥، الهامش ٤٣) إلى قول منسوب لـ: حمد الجاسر، فإن حمد الجاسر ليس من أهل المنطقة، وفوق ذلك لم يقابل رواة المنطقة الحقيقيين في الجوف، وكان الكثير منهم أحياء وقت كتابته لكتابه عن تاريخ شمال الجزيرة العربية، بل اعتمد على ما قُدم له من معلومات من جهات غير أهلية و/ أو غير محايدة.

ب ـ أهل الجوف والنوري في دومة الجندل: وفد لم يكتمل

وللتحقق والتدقيق في الأمر، في المقابل، حاولت أن أتقصى مسألة مراسلات أهل الجوف مع ابن شعلان في أمر عامر المشورب. قابلت عدداً من الرواة الموثوق بهم في الجوف (سكاكا)، ومنهم سعد الطارف، والذي قابلته مرتين في عام ١٩٨٩م لم يذكر لي أحد منهم، بمن فيهم سعد الطارف، ما يفيد أو يؤكد قول السيف وأصحابه المويشير. هلال سالم النصر، وإن لم يحدد أسماء بعينهم، ذكر أنه بالنسبة للمراسلات والاتصالات مع ابن شعلان، في ما يخص الشكوى ضد المنصوب عامر المشورب فقد كان هناك: «كثير من أهل سكاكا اتصلوا، وشكوا عند ابن شعلان» (النصر، مقابلة (I)، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٤). محمد السلطان وهو من الرواة والملاصقين لسعد الطارف، وآخرين، عندما دار نقاش معه عن الأمر وما زعمه السيف وأصحابه المويشير من مراسلات رجا للنوري في موضوع إزاحة المنصوب، قال: «إن هذا الكلام لم نسمع به أبداً من شيابنا ومن الرواة عندنا، وما نعرفه وما سمعناه، أنه عندما كان النوري الشعلان مخيِّماً في دومة الجندل أو قربها، فإن أهل الجوف (أهل سكاكا ودومة الجندل) اتفقوا على تشكيل وفد لمخاطبة ابن شعلان في الموضوع، وكان الوفد يفترض أنه تكوَّن من التالي:١ ـ القرشة وكَّلوا واحداً منهم وهو مسعر البليهد؛ ٢ ـ المعاقلة وكَّلوا واحداً منهم وهو حمد المويشير؛ ٣ ـ أهل دومة الجندل وكَّلوا واحداً منهم وهو عناد القاضب (السلطان، محمد، لقاء ونقاش، في ٨/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١، والسلطان، محمد، مقابلة، في ١٦/ ٤/ ٢٠٠٨: الساعة ١١:٣٥ ـ ١١:٥٠ ظهراً).

وأضاف محمد السلطان، أن الوفد لم يذهب إلى دومة الجندل، حيث تراجع عن الذهاب، مسعر البليهد وكيلاً عن القرشة، وكذلك تراجع حمد المويشير وكيلاً عن المعاقلة، وطُلب من عناد القاضب أن يتكلم باسمهم (!) (السلطان، محمد، لقاء ونقاش، في ٨/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١، والسلطان، محمد، مقابلة، في ١٦/ ٤/ ٢٠٠٨: الساعة ١١:٣٥ ـ ١١:٥٠ ظهراً). طبعاً سبب التراجع عن الذهاب للجوف (دومة الجندل) ومقابلة النوري الشعلان هناك غير معروف، كما يقول محمد السلطان، ولكن يبدو الأمر يثير التساؤل عن السبب، وربما يعود الأمر لخوف من بطش ابن شعلان، وخاصة من ابنه نواف، والذي كان هو الحاكم الفعلي للجوف، وله مواقف قاسية مع بعض أهالي الجوف بمن فيهم الذين كانوا معه بالغزو وقواته، ومنهم حمد المويشير نفسه، والذي مع آخرين من أهل الجوف، وبالذات من أهل سكاكا، تعرض للإهانة من قبل ابن شعلان في ما عرف بقصة «السنيدي الدرعان ومقتل بعير أو ناقة الشعلان»، والتي سنوردها لاحقاً.

المهم، كما يقول محمد السلطان، إن عناد القاضب، وهو رجل صلب العزيمة وقادر على الحديث، دخل على النوري، وأبلغه برغبة أهالي الجوف بطلب عزل عامر المشورب، مبتدئاً القول: «أنتم يالنوري

يوم دخلتوا الجوف ما قلتم بسم الله، وحنا ما قلنا الحمد لله...»، ويكمل السلطان القصة بالقول إن النوري، وكان يهم بأكل بعض التمر، أراد أن يقول شيئاً بهذا الاتجاه (الموافقة على الطلب!)، غير أن بعض من كبار الديرة تدخل على ما يبدو طالباً الإبقاء عليه...» (السلطان، محمد، لقاء ونقاش، في ٨/٨/٢٠٠٢: ١ من ١). لم يحدد محمد السلطان مَن هم من كبار الديرة الذين كانوا مع إبقاء عامر المشورب ضد الرغبة العامة لأهالي الجوف، ولكن الأمر يبدو مرتبطاً بإحدى الشخصيات في دومة الجندل، والتي قد تشير روايات أخرى إليها لاحقاً كما سنرى.

ج ـ خليف الفالح والنوري ومطالب بعزل المشورب

أول إشارات مدونة/ مكتوبة عن اتصالات أهل الجوف بالنوري في موضوع إزاحة المنصوب عامر المشورب، ومنها اتصالات خليف الفالح، وردت بالقول: «ففي عام ١٣٣٧هـ، عندما أساء منصوب ابن شعلان المدعو عامر المشورب التصرف بالحكم. واعتدى على حرمات الأهالي وأخافهم بسلطته ـ قامت قبائل المعاقلة في سكاكا برئاسة المرحوم خليف آل فالح، وكتبت إلى نوري الشعلان في مقره بعذرا في سورية عن سوء تصرف منصوبه. ولكن نوري أهمل الردَّ على رسائل المعاقلة...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٤).

محمد سليمان الشاعل، نقلاً عن ما سمعه عن هايس الفالح في منزل ابنه تركي، في الرياض، وكذلك، كما يقول إنه، سمعها منه وقصها عليه في سكاكا عدة مرات، يقول إن هايس يقول: «... إنني (أي هايس) كنت مع أبوي (خليف الفالح) عندما ذهب لمقابلة النوري الشعلان في دومة الجندل، شاكياً للنوري من تصرفات العبد عامر، ومطالباً النوري بإزاحته عن الرتبة في الجوف. ويضيف الشاعل القول موجهاً الكلام لي (الباحث) إن: «أبوك هايس يقول إن ذلك حدث في بيت زبن القعيّد، وأنه أثناء الحديث مع النوري دخل من كبار الجوف آخرين، والذين لما سمعوا الكلام طالبوا ابن شعلان بالإبقاء على العبد عامر، فقال النوري، وقد سحب يده من أكل التمر: «باكر العبد ينيك حريمكم... إلخ». يضيف محمد الشاعل أني سألت والدك (هايس): من هم الذين دخلوا من أهل الجوف؟ فرفض أن يخبر عنهم، وحاولت عدة مرات أن أعرف ذلك، ولكنه رفض الإخبار عنهم» (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، الثلاثاء في ٢٧/٨/٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ١٧).

هذه القصة و«رواية هايس الفالح»، كما نقلها عنه محمد الشاعل، يؤكدها أيضاً أبناء أخيه زعل الفالح، والذين يذكرون أنهم سمعوها منه أكثر من مرة، ومما يذكرونه أن «العم هايس» قال: «ركب والدي (خليف الفالح) ومعه ابن أخيه محسن الفالح قاصدين النوري بن شعلان في منطقة عذرا بالشام، وعندما توسطوا بالحماد قابلوا بعض البادية، فسألوهم عن النوري، فأفادوهم أن النوري مخيِّم في الأضارع (قرب دومة الجندل غرباً) فعدلوا سيرهم للأضارع. وعند وصولهم الأضارع قابلوا النوري ليلاً، وتحدث معه بشأن المنصوب بعد أن خلا المجلس إلا من بعض المقربين، حيث وعدهم خيراً... وقال إنه تم عزل المنصوب نتيجة المقابلة لمدة ستة أشهر ونقله من سكاكا إلى دومة الجندل. كما إنه تحدث عن اجتماع انعقد في دومة الجندل، بعد هذه المقابلة، وتواجد به الكثير من أعيان سكاكا ودومة الجندل، منهم من

يريد بقاء المنصوب (عامر)، ومنهم من يريد إزاحته. وقال إن ابن قعيِّد (زبن)... تحدث لمصلحته وبقاؤه، وكان في الاجتماع النوري بن شعلان وابنه نواف. وعقّب (علّق) النوري على حديث المجتمعين بقوله: «يا أهل الجوف ما عندي لكم غير هالشبرية، وخلوا العبد «ينيك حريمكم»، ما هي مكاتيبكم اللي تكتبون لي، فسأل خليف الفالح ابن أخيه؛ وش يقول؟ فقال يقول: كذا وكذا (عبارة ابن شعلان رددها على عمّه)، فقال خليف الفالح: أنا اللي اكتبله، ويقول هالحكي، قم خلهم ينفعونه. وقام وترك المجلس. بعد قيامه وتركه للمجلس، التفت النوري إلى ابنه نواف، وقال: يجيك علمي يا نواف...» (الفالح، فلاح زعل، خطاب، مؤرخ في ٢١/ ٦/ ١٤٢٣هـ، الموافق ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢م: ١ من ٣).

ويبدو أن الاجتماع الذي وقع في دومة الجندل بين النوري وأهالي أهل الجوف حول موضوع إزاحة المنصوب (المشورب)، هو الذي أشار إليه محمد السلطان آنفاً، ووقع في اليوم التالي بعد مقابلة خليف الفالح وابن اخيه محسن الفالح للنوري في الأضارع، حيث إن النوري على ما يبدو أبلغهم أنه ذاهباً للجوف (دومة الجندل) غداً لمناقشة الأمر في اليوم التالي وهم مدعوون هناك لنفس الغاية (القعيّد، عبد العزيز [وآخـرون]، لقاء ونقاش، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١، والسلطان، ممدوح، قراءة حول كتاب...، مسوّدة، ٢٠٠٦: ٣٢ من ٥٤). وأما الإشارة إلى أن النوري قد عزل المنصوب لمدة ستة أشهر ونقله إلى دومة الجندل، فلا يبدو أن الأمر واضح و/ أو دقيق، وخاصة على ضوء نتائج الاجتماع الكبير في دومة الجندل، إلا أن يكون العزل قد وقع سابقاً للاجتماع الكبير بعدة أشهر، أو أن يكون «العزل والنقل» فكرة أو مبادرة وعد بها النوري كحل وسط تحت الاختبار، لكن اعتراضات ابنه نواف وحلفائه من أهل الجوف بددتها.

طبعاً من الشخصيات الرئيسة والحاسمة في رفض عزل عامر المشورب هو، على ما يبدو، كما وردت الإشارات إليه: زبن القعيّد، وهو ما يؤكده أيضاً ممدوح السلطان في مسودة كتاب كان ينوي نشره ولم ينشر بعد (السلطان، ممدوح، قراءة حول كتاب...، مسوّدة، ٢٠٠٦: ٣٢ من ٥٤). عندما أثير هذا الأمر مع عبد العزيز محمد سلمان القعيّد، كان مستغرباً من الموقف من مسألة العبد عامر المشورب، وأنه كان بالامكان لأي واحد أن يقوم بذبحه! (القعيّد، عبد العزيز [وآخرون]، لقاء ونقاش، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١). طبعاً موقف زبن القعيّد ليس غريباً، وهذا الكلام ليس دفاعاً عنه، ولكن الأمر يمكن فهمه و/ أو تفسيره في ضوء تحالفات زعامات وجماعات أهل الجوف مع السلطة القائمة و/ أو البائدة. نود أن نشير إلى أن خليف الفالح والدغيفق وكذلك راشد القايد والراشد (شمالاً) هم ضمانة حكم الشعلان في سكاكا وبالذات مع النوري.

في الموازاة كان زبن القعيّد، هو ضامن حكم الشعلان في دومة الجندل في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٨م، ولكنه كان قريباً جداً من نواف الشعلان نفسه، وهو الحاكم الفعلي للجوف. لنتذكر أن زبن القعيّد هو بنفسه، من اتصل بنواف الشعلان للقدوم إلى الجوف والسيطرة عليها، وبترتيب مع المعاقلة في سكاكا ودومة الجندل، كما يقول سعد الطارف في روايته عن تداعيات حرب و«كون الظلي ـ ١٩٠٧م» وتبدل المواقف (التحالفات) بين القرشة والمعاقلة تجاه الرشيد والشعلان. عن دور زبن القعيّد في مساعدة ودعوة ابن شعلان على الجوف (١٩٠٩م)، يقول سعد الطارف إنه بعد واقعة كون الظلي تطورت

الأمور، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح): «... ولا أدري ما اللي جرى وما اللي صار... وتذابحوا يا الرشيد بيناتهم... وانقلبت القرشة مع ابن رشيد... وإن المعاقلة، عندما قلبت القرشة حربهم لأبن رشيد استضاقت، اركبوا زبن القعيّد، ولا أدري من معه، واتصل بأبن شعلان وجابوه المعاقلة وصايحنا من أهل الجوف... زبن القعيّد... وجابه ونزله بالغرب ((يقصد حي الغرب بدومة الجندل))، وقامت المعاقلة من هانا... تحارب له ((لأبن شعلان))... هذا عقب قصر الظلي... المعاقلة ذلوا يوم احترفت القرشة مع ابن رشيد، وقاموا هم وصايحهم بدومة، خافوا وجابوا نواف الشعلان.... والحرب والله صارت سنتين... بين القرشة والمعاقلة (بسكاكا)، وبين أهل خذما وصايحنا بدومة...» (الطارف، سعد (I)، في: ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٦ من ٢١، والطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٥ ـ ٦ من ١٦).

رواية سعد الطارف عن دور زبن القعيّد في دعوة وسيطرة ابن شعلان على الجوف، يؤكدها الرحالة موسيل في زيارته الأولى للجوف ١٩٠٩م، حيث إن زبن القعيّد قد استقبل ابن شعلان (نواف) فعلاً وقاتل معه حتى تمت السيطرة على الجوف (دومة الجندل وسكاكا). عن قدوم زبن القعيّد لابن شعلان ودعوته للسيطرة على الجوف، يقول موسيل في مذكراته عن رحلته الأولى: «في المساء (مساء يوم الخميس الموافق ٤ ـ ٢ ـ ١٩٠٩م) جاء إلى مجلس نواف حوالي خمسين رجلاً مسلحاً من أهل الجوف، مع شيوخهم. لم يكن نواف يثق بهؤلاء الشيوخ... كان هؤلاء الشيوخ برئاسة زبن القعيّد، الذي كان في حوالي الأربعين من عمره... ابن قعيّد هو الآن الشيخ الكبير بالجوف، لذا جاء يدعو الأمير النوري ليتسلم الحكم داخل هذه الواحة وجوارها...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

من هنا فرغم استغراب البعض من هكذا موقف لـ «زبن القعيّد» تجاه طلب عزل عامر المشورب من قبل أهالي الجوف، فالأمر فيه مصالح وارتباطات مع الشعلان، وكذلك تنافس مع آخرين من زعامات وجماعات الجوف (دومة الجندل). من هنا ليس غريباً أن يقف زبن القعيّد هذا الموقف من حيث هو مع عدم إزاحة المنصوب، وهو موقف نابع ليس بالضرورة دفاعاً عن المنصوب نفسه، وإنما بالدفاع عن نواف الشعلان والحلف معه، إذ إن «نواف» كان مصراً على إبقاء المنصوب، وإنه هو صاحب القول الفصل بالأمر وليس والده النوري.

ومع ذلك، ورغم هذا التحالف اللصيق بين زبن القعيّد ونواف ابن شعلان، ودفاع زبن القعيّد عن مواقف الأخير، وعن منصوبه عامر المشورب والإبقاء عليه وعدم عزله عن الجوف، فإن زبن القعيّد، وعلى خلفية دوره في الاستيلاء على قصر مارد وفي سياق القيام على منصوب ابن شعلان عامر المشورب في سكاكا وقتله في ليلة ١٨ كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩١٨م، انتهى نهاية مأساوية حيث تم قتله شنقاً في سجنه في قصر مارد من قبل الشعلان أنفسهم، مع انسحابهم من الجوف في حدود تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م مع سيطرة ابن رشيد (سعود أبو خشم) على الجوف (سكاكا) وانتزاعها من الشعلان. لم تشفع له علاقته وتحالفه القوي مع نواف الشعلان من الإعدام وعلى أيدي قيادات من الشعلان.

٢ ـ محاولات سابقة لقتل منصوب ابن شعلان

أ ـ محاولة القرشة قتل منصوب ابن شعلان (عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م) والمشاركون فيها:

(١) وثيقة أو بيان «أول ثورة لقتل منصوب ابن شعلان»:في أوائل آب/ أغسطس من عام ٢٠٠٢م قابلت الأستاذ سلامة الوقيد، صدفة في قصر أفراح الجوف بمناسبة زواج أحد أبناء الأخ مدالله الحماد الطالب، ودار بيني وبينه نقاش عن تاريخ الجوف وأخبرني عن وجود «وثيقة» عن أول ثورة لقتل منصوب ابن شعلان، ووعدني بأن يسلمني نسخة منها. بعد ذلك بنحو ٣ أسابيع، وبالضبط في مساء ٢٣ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م قمت بزيارته في منزله في حي الضلع، والتحدث معه، وبوجود ٣ من أولاده، ومنهم «جمال» واستمر اللقاء والنقاش حتى ما بعد الواحدة بعد منتصف الليل من يوم ٢٤ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م.

تركز النقاش بيننا، وبمشاركة ابنه جمال، عن تاريخ الجوف وقضايا ذات صلة منها صراع القرشة والمعاقلة. في سياق وأثناء ذلك اللقاء والنقاش أطلعني الأستاذ سلامة على ما قال إنها «وثيقة»، وسلمني نسخة منها. تشير الورقة (الوثيقة) إلى ثورة أو محاولة للثورة أو قتل منصوب ابن شعلان عامر المشورب قام بها مجموعة من أهل الجوف، أو بالأحرى القرشة في سكاكا، ومعهم عناصر من المعاقلة والشلهوب ودومة الجندل. وذكر لي سلامة الوقيد أن أصل الوثيقة موجود لدى أبناء عودة محيسن الكريّع، حيث إن جدهم (محيسن الكريّع) كان من بين الأساسيين المشاركين والمدبرين لمحاولة الثورة. طلبت منه ترتيب زيارة ولقاء مع الأخوة ثامر وفايز عودة محيسن الكريّع (الوقيد، سلامة، لقاء ونقاش، في ٢٣ ـ ٢٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: الساعة ١١ مساء ـ ١ بعد منتصف الليل: ١ من ١)، وهو ما تم بالفعل في ٢٥ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م: ٧:٣٥ ـ ٩ مساء)، وبعد مناقشات عامة كانت بحضور «أبو عبد الله» (عبد المحسن عبد الكريم الدوش)، و«أبو عيد» (ناصر العاصي)، وطبعاً الأستاذ سلامة الوقيد، انتقلنا إلى مجلس داخلي أنا وأ. سلامه الوقيد، وكل من ثامر وفايز عودة محيسن الكريّع، من دون الآخرين.

في ذلك المجلس الداخلي طلبت من الأخوين ثامر وفايز إطلاعي على أصل «وثيقة» الثورة على منصوب ابن شعلان، فكان أن أحضر أ. فايز علبة «زيت بريك» فرنسية الصنع وقديمة جداً، واستخرج منها ورقة على أساس أنها أصل الوثيقة، ولكن عندما تم فتح الورقة وكانت ورقة قديمة جداً، وبسبب من قدمها، فيها قدر من التهتك، ولكنها واضحة تبيَّن عندما بسطناها وقرأناها، أنها وصية عن تقسيم «إرث»، مكتوبة بخط رديء، لكنه عريض أزرق، على ما يبدو بقلم من خشب، وكان عليها شهادة وختم «خليف الفالح»، وكذلك شهادة وختم ابن أخيه «محسن الفالح». طبعاً لم نطلع على أصل للوثيقة عن محاولة الثورة على الشعلان، ويبدو أن الأصل مفقود ولا وجود له، وبدلاً من الاصل سلموني نسخة من نفس النسخة التي استلمتها من أ. سلامة الوقيد في زيارته آنفة الذكر. (الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن [وآخرون]، لقاء ونقاش، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٦).

ورغم أن أصل الوثيقة أو البيان الأصلي للمشاركين في ما قيل إنها أول محاولة جدية للثورة على منصوب ابن شعلان أو قتله، لم نتمكن من الاطلاع عليها لكونها غير متوفرة أو مفقودة، فإن هناك عدداً من الرواة والروايات يؤكد أن الفكرة والمحاولة، وبأسماء بعينها، في القيام من قبل مجموعة من أهل

الجوف، وبالذات من القرشة في عام ١٣٣٦هـ، قد حدثت بالفعل. وفي ذلك يؤكد **هلال سالم النصر**، أن القرشة، وقبل قتل منصوب ابن شعلان بأكثر من سنة، حاولوا أكثر من مرة (على الأقل مرتين أو محاولتين)، وكان هناك بعض التنسيق مع المعاقلة، ولكن المعاقلة، في المحاولتين، إما أنهم لم يقوموا معهم، أو أنهم تخلفوا أو تراجعوا عن العملية، أو «باقوا» كما يقول النصر (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ٢؛ النصر، وهلال سالم، مقابلة (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣). وفي السياق نفسه وعن تلك المحاولة والمشاركين فيها، يقول أبو عبد الله/ عبد المحسن عبد الكريم الدوش، محدثنا في تلك الليلة في بيت أبناء عودة محيسن، وأنا ألخص كلامه على الجملة (علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح): «... أنهم اجتمعوا في منزل ضبعان المسلط، واتفقوا على أن يذبحوا «العبد عامر»، وأن من بين المشاركين، محيسن الكريّع، والذي أخذ بيان وأسماء المشاركين في المحاولة، ودفنه قبل وصوله إلى منزله عند أثلة في شرقي البيت، لا زالت قائمة حتى الآن ((أي صيف ٢٠٠٢م)) (الدوش، عبد المحسن عبد الكريم، في: الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن [وآخرون]، لقاء ونقاش، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦). ويبدو أن هذا الدفن للوثيقة «البيان» تحت تراب شجرة الأثلة، وهي شجرة يبدو أنها للشرق المجاور لبيت محيسن الكريّع، وتقع في مزرعة سليمان النويمان (الكريّع، فايز عودة، ١٤٢٤هـ: ٥٢ ـ ٥٤)، أو الحرق كما سيأتي في رواية أخرى، هو الذي أدى، مع مرور الزمن، ربما إلى تلفها و/ أو فقدانها وضياعها، أو إتلافها (حرقاً). وأضاف «أبو عبد الله» (عبد المحسن عبد الكريم الدوش): «... أنه ما أن وصل محيسن الكريّع إلى منزله، إلا وعسكر «للعبد عامر» يطرقون عليه الباب ويعتقلونه، ويقتادونه إلى «العبد عامر»، والذي حقق معه، وعذبه لمدة ثلاثة أشهر وقيَّده في الخشبة، وهدده بالقتل ما لم يخبر بمن اشترك في ذلك الاجتماع وتلك الخطة، ولكنه رفض...» (الدوش، عبد المحسن عبد الكريم، في: الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن [وآخرون]، لقاء ونقاش، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦).

هذه القصة والمحاولة لقتل منصوب ابن شعلان أول من أشار إليها كتابة هو عبد الرحمن الشايع الكريّع، من خلال الحديث عن شخصية ومكانة محيسن الكريّع. عن ذلك يقول إن: «... محيسن بن ثامر الكريّع... له قصة مشهورة في التضحية وحفظ العهد، ذلك أنه اتفق سرياً مع مسلط بن ضبعان من القرشة (آل علي)، وجماعته لقتل منصوب ابن شعلان والتخلص من حكمه، ولكن واحداً من المتآمرين، بلغ هذا المنصوب فسمع الحديث حامد بن عيد (راعي الطشا) ((من الكريّع ـ الباحث)) فأخبر محيسن بأن المنصوب علم باتفاقهم السري، فأسرع محيسن إلى مسلط بن ضبعان، وطلب منه الأوراق التي فيها أسماء الذين اتفقوا على قتل المنصوب، بحجة أنه يريد أن يضيف اسماً آخر، فأخذها محيسن، وتحيَّن غفلة مسلط، وألقى بها في النار، ليخفي أسماء المتآمرين، وفي صباح ذلك اليوم جمع منصوب ابن شعلان جميع المتآمرين، وأخذ يحقق معهم، وأخيراً صار يخرجهم واحداً واحداً، وكلما أخرج رجلاً أطلق طلقة ليوهم محيسن بأنه يقتل كل من خرج، ولما وصل إليه ـ وكان آخرهم قال، قال له المنصوب بأنه قتل كل الرجال، ولم يبق إلا هو، وطلب منه أن يخبر بصدق الخبر. فما كان من محيسن إلا أن قال: (ما عندي أي علم، ولا أقدر أظلم أحد، وسوّي اللي تبيه) ثم تشهّد، ولف وجهه بعباءته، وتهيأ للموت، على ألا يفشي سراً أو يخون عهداً» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٥١).

في السياق ذاته، عندما سئُل أبو عبد الله/ عبد المحسن عبد الكريم الدوش، أثناء المرحلة الأولى من الجلسة والنقاش فيها؛ عن من هو الشخص الذي أفشى خبر وخطة المحاولة لمنصوب ابن شعلان؟ تردد بداية بالبوح، ولكنه في النهاية قال، وشاركه بعض الحضور بالقول، يقولون «ب/ ج» (!؟). وعند الاستفسار، وكيف عرف «ب/ ج» بالأمر؟، فقالوا، يُقال إنه كان معهم، إذ إنه هو كاتبهم وكاتب البيان والأسماء وبالتالي عرف الخطة والقائمين عليها (الدوش، عبد المحسن عبد الكريم، في: الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن [وآخرون]، لقاء ونقاش، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦).

ورغم ذلك القول وما يُقال بتورط شخص بعينه، أو أشخاص بعينهم، في عملية الإفشاء، كما هي الحال مع القيل والقال في ما يتعلق بالقول بتورط أشخاص بعينهم في قتل آخرين في وقائع الحرب الأهلية بالجوف، وأشرنا إليه وأكدناه في حينه، وفي أكثر من مكان، فإن الأمر لا يمكن تأكيده وتقريره، ما لم تكن هناك دلائل دامغة عليه. لذلك كله أبقينا اسم الشخص المتهم، بإفشاء خطة الثورة على الشعلان، مجهولاً تحت رمز «ب/ ج».

بناء على ما تقدم، وفي سياق روايات متعاضدة في تأكيد وجود محاولة للقيام على منصوب ابن شعلان وقتله في عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، نورد قائمة الأسماء التي كان من المفترض أنها مشاركة في الخطة وفي المحاولة، رغم عدم تنفيذها. ننبه إلى أن إيراد الأسماء المشاركة، هي منقولة كما هي في الورقة التي استلمتها أولاً من سلامة الوقيد وكذلك من الأخوة ثامر وفايز عودة المحيسن الكريّع (سلامة الوقيد، لقاء ونقاش، في ٢٣ ـ ٢٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: الساعة ١١ مساءً ـ ١ بعد منتصف الليل: ١ من ١، والكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن [وآخرون]، لقاء ونقاش، استلام نسخة الوثيقة في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢:١ من ٢) مع وجود اسم آخر رقم (١٧) كما ورد في كتاب فايز عودة الكريّع (الكريّع، فايز عودة، ١٤٢٤هـ: ٥٢)، لكن مع تعديل صفاتهم لأنها كما أوردت تركز على وتعكس أبعاد قبيلية لا انتماءات أهلية بالجوف، وأنا هنا لا أتبنى تلك الصفات الواردة قرينة كل اسم كما وردت في النسخة المستلمة.

(٢) أسماء المشاركين في المحاولة لقتل منصوب ابن شعلان (١٣٣٦هـ):

١ ـ محيسن بن ثامر الكريّع ـ سكاكا ـ الكريّع ـ المعاقلة.

٢ ـ ضبعان مسلط البحيران ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

٣ ـ سعد عايف المثري ـ سكاكا ـ الدغيفق ـ المعاقلة.

٤ ـ سالم الجريان ـ سكاكا ـ الجحيش ـ المعاقلة.

٥ ـ عوض الجريان ـ سكاكا ـ الجحيش ـ المعاقلة.

٦ ـ عناد قاضب الهديب ـ الجوف (دومة الجندل).

٧ ـ قضيب بن سالم العشيش ـ سكاكا ـ الضويحي ـ القرشة.

٨ ـ منصور بن باسط الزيد ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

٩ ـ جليبط الحصني المطيلق ـ سكاكا ـ الضويحي ـ القرشة.

١٠ ـ ضامن بن مانع الزيد العلي ـسكاكا ـ العلي ـ القرشة.

١١ ـ مسيب بن مطر الهفيل ـ سكاكا ـ الضويحي ـ القرشة

١٢ ـ عقل بن ضيف الله البحيران ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

١٣ ـ صالح الخليفة اليحيران ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

١٤ ـ مصبح الرشيدان ـ سكاكا ـ الشلهوب.

١٥ ـ محمد مران البحيران ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

١٦ ـ غياض بن شادخ ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

١٧ ـ نزال المسعود ـ سكاكا ـ العلي ـ القرشة.

ب ـ فشل المحاولة ١٣٣٦هـ: في العوامل والتداعيات

هذه المحاولة آلت إلى الفشل وتم إحباطها، إذ إنها قبل تنفيذها اكتُشف أمرها واعتُقل أغلب أصحابها كما مر ذكره آنفاً. ما يهم من أمر هذه المحاولة هو الإشارة إلى أمرين متعلقين بها: الأول، يتعلق بإشارات سريعة إلى أسباب الفشل، والثاني، يتعلق بتأثيراتها وتداعياتها. عن الأمرين نذكر ونشير إلى النقاط التالية:

١ ـ هناك على ما يبدو اختراق للمجموعة الثائرة، من قبل شخص أو أشخاص بعينهم، بغض النظر عن انتماءاتهم، وهم لهم علاقة بطريقة ما بالشعلان.

٢ ـ عدم التنسيق مع الفعاليات والشخصيات الهامة في المعاقلة، أو بتراجع (بوق) البعض منهم، إن كان هناك تنسيق، كما يقول هلال سالم النصر، في ما مر بنا سابقاً.

٣ ـ يبدو أن العدد الكبير المشارك ساهم في عدم إحكام سرية العمل، وهذا عمل خطير يتمثل في أنه ربما كان يهدف لتجاوز قتل منصوب ابن شعلان نفسه. يبدو أن الخطة كانت تتجه إلى الانقلاب على سلطة وحكم الشعلان وبتنسيق غير معلن مع الرشيد. ويبدو أن دخول الرشيد على الخط وتقديم الدعم والتوجه للجوف كان مرهوناً بنجاح الخطة. نقول بذلك، رغم عدم وجود معلومات وتفصيلات عن هذا الترابط أو الربط مع الرشيد، لأنه، أولاً، هناك سابقة لانتقام القرشة من الشعلان، على خلفية ما جرى لهم وزعاماتهم في عام ١٩٠٩م أثناء السيطرة على الجوف. تلك السابقة تتصل بتحالف القرشة مع الرشيد عن طريق «زامل السبهان» في قدومة للجوف، قبيل ما عرف بـ «هجة القرشة» في عام ١٩١١م/ ١٩١٢م، أو ١٩١٣م كما في رواية أخرى. وثانياً، فإنه لا يعقل أن يقوم القرشة بالقيام على منصوب ابن شعلان، بما يعني الانقلاب على حكم وسلطة ابن شعلان الكلية بالجوف، بينما حلفاؤه هم المعاقلة (في سكاكا: خليف الفالح ـ الفالح والدغيفق، وكذلك راشد القايد ـ والراشد (الشماليون)، وفي دومة الجندل: زبن القعيّد وجماعات أهل الغرب في دومة)، وهؤلاء الأخيرين (المعاقلة في سكاكا وفي دومة الجندل ـ حلفاء الشعلان) لايبدو أن بينهم وبين المشاركين في محاولة القيام على منصوب الشعلان وقتله أي تنسيق. طبعاً كما ورد في قائمة المشاركين، هناك عدد من المحسوبين شكلياً على المعاقلة، ولكنهم من ناحية

جوهرية يعتبرون رجالاً وحلفاء للرشيد، وبالتالي حلفاء للقرشة في تلك الظروف والمعطيات. الأمر هنا ينطبق تحديداً على محيسن الكريّع وعلى سعد العايف (المثري ـ الدغيفق)، ولكن الإشكالية هي أن كلاً منهما، آنذاك، لم يكن له ثقل كبير داخل المعاقلة ذاتها. من هنا كان على القرشة والمشاركين معهم في محاولتهم الثورة على منصوب ابن شعلان في عام ١٣٣٦هـ، أو ما قبلها في ما قيل عن محاولات سابقة، أن يجدوا ويبحثوا عن قوة توازن حلف المعاقلة مع الشعلان وقوتهم. وفي ضوء أنه لم يكن بالإمكان فك التحالف بين المعاقلة والشعلان، فإن المنطق والعقل يقول إن تلك القوة الموازنة والوحيدة الممكنة للقرشة والمشاركين في الثورة على منصوب ابن شعلان للاعتماد عليها، في تلك الظروف، هي قوة الرشيد ولا غيرها. من هنا يمكن القول إن المشاركين في تلك الثورة من القرشة وممن معهم من غيرهم، وهم محدودو العدد، لا بد أنهم تطرقوا إلى تلك الفكرة، وإن لم يفعلوا فسيكون أمراً غريباً جداً.

٤ ـ أما في ما يتعلق بتأثيرتها وتداعياتها لاحقاً، فهي تخص في ما يمكن قوله باستفادة الآخرين وخاصة في المحاولة التالية ١٩١٨م والتي تم فيه قتل المنصوب. يشمل الأمر التحفيز والتحريض للثورة مجدداً، وتجنب المثالب والعيوب التي خالطتها. إن كانت محاولة و«مؤامرة ١٣٣٦هـ» لقتل منصوب ابن شعلان صحيحة من حيث اتفاق المشاركين، فانكشاف أمرهم ثم سجن غالبيتهم، أو حتى بعضهم، وعلى الخلفية نفسها، فإنه دون شك سيكون قد شاع الأمر عنها بين الناس من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، وخاصة بعد الاعتقالات. انتشار الفكرة بين الناس والأهالي، وخاصة بين أفراد وشخصيات منهم، ستكون حركت لديهم أو بعضهم فكرة القيام على المنصوب وقتله، وخاصة في ضوء تلك العوامل الخاصة والعامة، آنفة الذكر، والدافعة للقيام بالعمل، مع عوامل إضافية أخرى قد تكون متصلة ببعض الشخصيات التي كانت تبحث عن دور ومكانة بين الزعامات القائمة ذات المكانة والنفوذ المعترف بها من جماعاتها ومن السلطة الحاكمة نفسها في المنطقة آنذاك. هذه النقطة الأخيرة (البحث عن مكانة ودور لم يكن موجوداً) سنأتي على ذكرها لاحقاً وفي المكان المناسب. إضافة إلى عامل التحفيز والتحريض للقيام بعمل مواز، كما هي محاولة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، هو القيام بتنفيذ الفكرة نفسها، مع ضمان نجاحها، من حيث تدارك الأخطاء والخلل الذي أدى إلى فشل محاولة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م. كان هذا يقتضي السرية والثقة، وحصر رأس الأمر في عدد محدود من الشخصيات أو الزعامات الضامنة للآخرين، وهو ما يبدو أنه تحقق في محاولة ١٩١٨م، وأدت إلى نجاحها جزئياً، من حيث قتل المنصوب فعلياً. من هنا نقول إنه ورغم فشل محاولة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م لقتل منصوب ابن شعلان، وبغض النظر عن العوامل والأسباب، فإن المحاولة لم تخلُ من تداعيات وآثار إيجابية، كان لها ما بعدها، وإن كان من الصعب التأكيد القاطع على تداخلها.

٣ ـ ابن شعلان ومنصوبه والتعسف وإهانة أهل الجوف

هناك عوامل عديدة للقيام على منصوب ابن شعلان وتالياً على سلطة وحكم الشعلان، منها ما هي عوامل عامة مشتركة بين أهل الجوف جميعاً، ومنها ما هي عوامل تتأرجح بين الشخصي والعام. ولذلك ليس صحيحاً أن القيام على سلطة الشعلان بقتل ابن شعلان كان بسبب عامل واحد بعينه كما يذهب إليه،

ويزعم به البعض سواء من خارج الجوف أو من داخلها وأهلها. ومن تلك العوامل، والتي تتراوح ما بين العام والخاص نذكر ما يلي:

أ ـ التعسف والعنف وسوء الإدارة وإرهاق الأهالي بالأعباء والضرائب والمشاركة لفئات وعديد منهم جبراً مع غزو قوات ابن شعلان (نواف). بالنسبة للعنف والتعسف، نعلم أن سيطرة ابن شعلان على الجوف في بدايتها وسنواتها الأولى (١٩٠٩ ـ ١٩١٥م)، كانت مفعمة بالعنف والقتل والتصفيات شملت عناصر وقيادات من أهل الجوف وبالذات من القرشة، كما طالت أشخاصاً حتى من بين حلفائه، من المعاقلة في سنوات لاحقة للسيطرة، ونشير هنا بإيجاز إلى بعضها:

١ ـ كان من بين الإعدامات والقتل شبه الفوري بعد السقوط، هو إعدام وقتل كل من قشاع وعساف (الطارف، سعد (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٦ من ١٦). في دومة الجندل سيكون هناك أيضاً إعدامات لعناصر بارزة من المقاومين، أنصار القرشة (أهل مارد، وخذما)، ولعل أبرز من يتم إعدامهم هم أبناء حسن الدرع (وفوق وصفوق). أما حماد حسن الدرع، فيبدو تمكن من الهرب للغربية (الشام)، عاد بعد أن استتبت الأحوال لاحقاً، وعلماً أن حسن الدرع نفسه كان قد قُتل قبل سنة (أي في عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) وفي المراحل الأولى من دخول الشعلان للجوف (دومة الجندل). وطبقاً لأقوال بعض الروايات، كما أوردها عبد العزيز القعيّد، فقد قيل إن تلك الإعدامات فيها التباسات بين «العرجان» و«الدرع»، وبالتباس آخر من «زبن القعيّد» طبقاً لأقوال عبد العزيز القعيّد نفسه، وعلماً أن «العرجان» تم تزبينهم (حمايتهم) عند القعيّد لمدة سنتين بعد مقتل حسن الدرع ١٣٢٦هـ (القعيّد، عبد العزيز (I)، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ١٣). وللمعلومية، فإن تلك الالتباسات بالدم بين العرجان والدرع، تم على ما يبدو تسويتها بين الأسرتين في وثيقة مصالحة تمت برعاية، تبدو رسمية (أمام وبشهادة عساف الحسن وكاتب المصالحة محمد بن إبراهيم) في عام ١٣٤٢هـ بتنازل متبادل بينهما عن أية حقوق تتعلق بـ «دم» أو «أموال»، في «أول وتالي» بينهما وتجاه بعضهم البعض (انظر صورة من نسخة من وثيقة المصالحة بين العرجان والدرع عام ١٣٤٢هـ، في الملحق الرقم (١) نسخ وثائق الصراع الأهلي في الجوف، في نهاية الدراسة؟الكتاب) (البليهد، بدر، في مجموعة نسخ وثائق من متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص، تسليم للباحث عن طريق عواد فالح عواد المعدوة، في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢).

٢ ـ إعدامات لاحقة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢ م): واقعة «كسر الأشدة» وإعدام عاطن وخليف: ورغم أن الإعدامات الفورية التي قام بها ابن شعلان، والتالية مباشرة للسقوط، طالت عناصر وأفراداً من حلف القرشة على وجه التحديد، سواء في سكاكا أو في دومة الجندل، وفيها التباسات لبعض أفراد من أهالي الجوف، فإن إعدامات ابن شعلان تواصلت وامتدت، في أوقات لاحقة، إلى أفراد من أنصاره (من المعاقلة). الإعدامات ضد أفراد من أنصاره المعاقلة كانت فقط لأن بعضهم أوشى بهم على أنهم يرفضون القتال معه كمرتزقة (بالإكراه) ضمن قوات وأفراد جيشه. وقد شملت الإعدامات في عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٢م، في ما عرف بواقعة «كسر الأشدة»، عدداً من أبناء دومة الجندل، ومنهم «عاطن» و«خليف» أبناء عواد خليف الخميس من الرحيبيين، (القعيّد، عبد العزيز، مدونة في مجموعة

أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٣، و٥ من ٦) وهؤلاء في الغالب من أنصار حلف ابن شعلان، وكذلك كادت أن تطول بعض أفراد من المعاقلة (الدغيفق) في سكاكا محسوبين على الرشيد، ومنهم «عطا عواد الثاري ـ الدغيفق»، لكنه لم يتم إعدامه بسبب اعتراض ورفض خليف الفالح بإعدامه باعتبار «عطا» ابن عمه (من قرابته) (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٤ من ٢٧). وعن واقعة «كسر الأشدة» وصلتها بإعدام كل من عاطن وخليف، يُشار إلى طرف من قصتها بالقول، إن بعض أهل الجوف (دومة الجندل اتفق بقهوة (مجلس): «... بالرحيبيين، على ألّا يغزو مع ابن شعلان، فقام عاطن وضرب الشداد على درج في بيته، وكسره، وهذا يدل على عدم الرغبة بالغزو، واشعلوا به النار، ووضعوا عليه القهوة، فذهب من وشى بخليف وعاطن، وهم أخوان، لأبن شعلان، وأهل الجوف، فترصدهم، حتى إذا كان يوم من الأيام، في مكان يسمى الرمانه، غرب الجوف، حوالي أربعين كيلو (عن الجوف)، هاجمهم، وقتل منهم العديد، ثم بعد ذلك ألقى القبض على خليف وعاطن، وتم قتلهم في عام ١٣٣١م، بين سكاكا والجوف في مكان يُدعى جاوى» (القعيّد، عبد العزيز، ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٢ من ١٢).

٣ ـ **حبس عطا عواد الثاري (الدغيفق)** ونجاته من القتل مع خليف وعاطن (١٩١٢م) باعتراض خليف الفالح، **وإعدامات إضافية:** وفي اختلاف بعض الشيء عن ما ورد في ما سبق من رواية عن إعدام خليف وعاطن، وفي تفصيل أدق، وبمعلومات إضافية عن واقعة مقتل خليف وطاعن، بما فيها ما يتعلق بموقف خليف الفالح من تلك الإعدامات، إضافة إلى ما يخص ابن عمه (عطا عواد الثاري)، تذهب رواية منسوبة إلى أقوال، يُقال إنها تقول، (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح):

«... يوم بغوا يذبحون خليف وعاطن... من الرحيبيين... قالوا هم وأهل خذما: عذبنا ابن شعلان بالمغازي... عذبنا بالمغازي... لكن نريد نعلق ((نشعل النار)) بـ: «الأشدة»... ما اعلقوا بها (لم يشعلوا النار بها))... وانقطعت عن خليف وعاطن... يوم عطا الثاري، قال عن عامر: يريد له اللي يذبحه... وهو... بذايا النخلة... يبرد كبده ((يشفي غليله))... ودّيت ((وصلت هذه المعلومة)) لـ: «عامر»، وحبسوه معهم، مع خليف وعاطن، يريدون يذبحونه مع خليف وعاطن... قال الأطرم: ((خليف الفالح يقال له الأطرم لأن سمعه ثقيل بعض الشيء ـ في الجوف يقال للأطرم هكذا (!)، رغم أن الأطرم في اللغة وفي ما هو شائع وأصح عند الآخرين تعني الأخرس))،... عن عطا عواد الثاري؛ بن عمي، وأنا كفيله، ولا تذبحونه... وهذولاء» ((يقصد خليف وعاطن))، قال خليف...، ((مخاطباً عنهم، على ما يبدو، حراسهم))... ((...))، قال: قولوا عنهم ناموا وانطلقوا منا... لا تذبحونهم... وإلا... ((يقصد: لكن)).. ودوهم.. ((وصلوهم))... للنوري بن شعلان... قال ((أحد الحراس))؛ والله غير يذوق الموت مني.... قام يعوي.. ((يصيح))... قال هنيالك بها الخزنة... حديهم... ((أحدهم))... مروا قبور بأهل الوادي ((السرحان))... تله ((واحد من الحراس))... قال له وجهك على هالخزنه... لكن تعذر من هاالرجال... والله ما قدمنا للذبح غير على بياض... لكن العذر من الله ثم منكم... الميعاد قدام ((الآخره))... وحسبي الله على الظالم... ((حارس)) ذبح واحد.. و((الحارس الثاني)) واحد...» (الفلّاح، سليمان عودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٤ ـ ١٥ من ٢٧).

٤ ـ «**جريمز» وإعدام عيال خذما**: في السنة نفسها (١٣٣١هـ/ ١٩١٢) يقوم ابن شعلان بإعدام وقتل «عيال أهل خذما» في «جريمز» (القعيّد، عبد العزيز، مدونة في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٣، و٥ من ٦). لا تتوفر، للأسف، معلومات عن من هم عيال خذما الذين أعدمهم ابن شعلان في جريمز.

٥ ـ **هجة القرشة وعدم الاستقرار الأمني**: رغم سقوط الجوف (سكاكا ودومة الجندل) شبه الكامل لحكم ابن شعلان في ذي الحجة ١٣٢٧هـ الموافق كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٠٩م، فإن الأوضاع بالجوف، وإن بدت على الجملة مستقرة نوعاً ما، إلا أن حالات من الأحداث أعقبت السقوط، واستمرت حتى وقت ما من عام ١٩١٥م، ربما حتى أواخر الربيع منها. كل تلك الأحداث كانت تشير إلى حالة من عدم الاستقرار النهائي الكامل بالجوف. تلك الأحداث اشتملت على نوعين من التطورات: الأول متعلق بهجرة «القرشة» في حدود عام ١٩١١م/ ١٩١٢م، أو ١٩١٣ طبقاً لاختلاف الروايات، أو ما يعرف محلياً بـ «هجة القرشة»، والثاني متعلق بتواصل حالات محدودة من إطلاق نيران متبادلة بين الأهالي، وخاصة في دومة الجندل، يتخللها بعض الإصابات من الطرفين، وفي سياقاتها قدر من الخوف الموازي وتولد بيئة غير آمنة، مقلقة للناس ومعيقة لحركتهم ونشاطهم. سوف تستمر هذه الحالة المبطنة بنوع ما من عدم الاستقرار حتى ١٩١٥ حين يعود القرشة بعد نزوحهم مرة أخرى إلى مساكنهم وأملاكهم وبالذات في سكاكا. وفي سياق ما تقدم كله، وخلال السنوات الأولى لسيطرة بن شعلان (١٩٠٩ ـ ١٩١٥م) كان هناك تدمير للممتلكات (النخيل والأشجار والبساتين والآبار)، كانت ذاكرتها مريرة للكثير من أهالي الجوف، في سكاكا ودومة الجندل.

ب ـ **التجاوزات «غير الأخلاقية»** (التطاول على بعض النساء)، وهي ما اعتبره أهل الجوف مسّاً وتجريحاً بالغاً لكرامتهم جميعاً. هناك إشارات من بعض الرواة والروايات أن هناك تجاوزات لاأخلاقية قام به منصوب ابن شعلان طالت حالات من نساء الجوف، منتهكاً فيها الحرمات. ورغم أن تلك التجاوزات كانت محدودة من حيث العدد، إلا أنها بذاتها وعندما بدأ الناس يتعالمون الأمر عنها شكلت لهم ما اعتبروه تجاوزاً، وانتهاكاً للكرامة لا يمكن السكوت عليه. ورغم هذه الانتفاضة للكرامة، وهذا أمر واجب أخلاقياً واجتماعياً ودينياً على أية حال، فإنه من المخجل أن هناك اثنين أو شخصين من أهل سكاكا تحديداً وكان أحدهم يقطن في جماعة كبرى منها، بينما الآخر يقطن في جماعة كبرى أخرى مقابلة، وتواتر عنهما من روايات وسمعتها من أكثر من واحد ممن قابلتهم في الفترة (١٩٨٩م ـ ٢٠٠٣م) وكانت شائعة في الجيل الذي سبقنا، كانا من أعوان وخدم منصوب ابن شعلان (عامر المشورب)، وكان من ضمن مهامهما تسهيل تلك التجاوزات. كان كل من هذين الشخصين معروفاً «بالاسم» للجميع، وبمن فيهم وبالذات لزعامات أشيع عنها، وزعم أنها إنما قامت على منصوب ابن شعلان، وقتله، لوضع حد لهذه التجاوزات فقط. رغم كل هذا القول والمعرفة، فإن كلاً من هذين الشخصين لم يقتل، بل لم يتعرض لأي أذى، وهو ما يثير التساؤل، والشك حول أن السبب الرئيس وراء حقيقة قتل منصوب ابن شعلان (عامر المشورب) هو مسألة التجاوزات «غير الأخلاقية»! يبدو أن هذه التجاوزات «غير الأخلاقية» لم تكن هي بذاتها المحرك للأمر، ولم تكن على أية حال الوحيدة، ولا يبدو أنها كانت

الرئيسة، وإنما كانت عاملاً وسبباً من ضمن عوامل وأسباب أخرى، تضافرت بين العام والخاص لتدفع إلى تنفيذ الأمر.

ج ـ السنيدي الدرعان ومقتل ناقة الشعلان (نواف وإهانة أهل الجوف): وعن تلك القصة (قصة السنيدي الدرعان وبعير أو ناقة الشعلان وإهانة أهل الجوف) نورد التالي: يقول سعد الطارف، وهو يشير إلى تراكم عوامل القيام على منصوب ابن شعلان، وإن سحب الخشب من «الفالح» كان لاحقاً لقصة السنيدي الدرعان، والناقة والإهانة، بالقول: (علماً أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث للتوضيح): «أولها السنيدي ضرب له بعير، عند ابن شعلان حوالي القريات، وهي لنواف، ومات البعير. وذهب معه حمد الحيزان، وحمد المويشير، وعبيكة، وقالوا ما حنا مخلينه... وقام حمد المويشير، وقال لنواف: تنازل سطام (صاحب البعير)، قال نواف لحمد المويشير: لا يغدي لك بقبقة، تراك أنت وغيرك واتينا بالنمشة! قال حمد المويشير لنواف: حنا ما حنا قاعدين غير بذرا الله ثم نمشتك ولا ليلة. قحصوا من عند نواف وسروا ((رجعوا لأماكنهم مع الغزو))، وكتب حمد لرجا، وقاله: هذا ما قالي نواف... وقدام أهل القرشة وأهل الجوف ((دومة الجندل))، وأهل قارا، وأهل الطوير، كل سمع ها القول...» (الطارف، سعد (II)، ١٤١٤هـ: ٤ ـ ٥ من ٩). وفي تفصيل توضيحي للقصة، كما يرويها سليمان الطارف، نقلاً عن والده سعد الطارف، يقول، مُلخصاً على الجملة: «إن السنيدي الدرعان، وكان هو وآخرون من القرشة والمعاقلة من الذين يعملون مع ابن شعلان في شمال منطقة الجوف آنذاك، وكان منهم حمد المويشير، وإن السنيدي الدرعان ضرب بشوحط (عصا) أحد نياق الشعلان في موقع قريب من أذنها مما أدى إلى موتها. لذلك وخوفاً على السنيدي الدرعان من أن يلحق الضرر به ابن شعلان، اتفق مجموعة من أهل الجوف، والذين يعملون بالغزو مع ابن شعلان، على أن يخاطبوا ابن شعلان وأن يطلبوا منه السماح، باعتبار أن الحادث غير مقصود». وأضاف، أن المجموعة ذهبت عند ابن شعلان، وأشاروا إلى تلك المسألة، وأنهم يعملون في خدمته... إلخ، فردّ ابن شعلان، بما معناه،: إن عملكم ليس تفضلاً، وإنما أنتم مُساقون إليه بالقوة (النمشة)، فرد عليه حمد المويشير، وقال: إننا تحت ظلك، وإن ابن رشيد كان يذبحنا، وليس لنا غير ظلكم...، بعدها أرسل حمد، وهو زعلان، إلى أخيه رجا تفاصيل الحادث...» (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ٨).

د ـ إهانات إضافية: قرب الانتهاء من إكمال بناء قصر الحكم في سكاكا (مكانه الواقع حالياً في شمال مستوصف الحمد الطبي وغرب المبنى القديم لإدارة زراعة الجوف)، وفي ما يبدو معاقبة لأحد الأشخاص لتلكؤهم في العمل، قام منصوب ابن شعلان (عامر المشورب) بـ: «ضرب محمد آل الحشاش ودحى إثمه من الطين، وقال له: (رح ما ينثل الطين من أثمك إلا رجاء المويشير)، لأنه من جيرانه، وإلا فهو من قبيلة مذهن في القريات. وعندما سمع رجاء وأخوه كلام العبد عامر. وهو... لا يقيم وزناً لأخلاق العرب. خافوا أن يحصل منه تجاههم شيء فقاموا وقلطوا (جهزوا) معاويدهم (بعارين) وشالوا عليها قصدهم الجلاء إلى القريات...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٤). وأكد هذه الواقعة، محمد السلطان الفلاح، حيث ذكر: أنه في إحدى المرات، قام عامر المشورب بضرب ابن حشاش، وكان الأخير ممن يقومون بالعمل في إكمال جزء من بناء قصر الحكم، ودم فرته (ملأ فمه) من التراب، وقال

له: رح عند رجاء خله ينظفها لك (السلطان، محمد، حديث وحوار، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٩). وفي رواية أخرى، كما يرويها صالح العدوان المنديل (الشلهوب)، أن منصوب ابن شعلان (عامر المشورب)، وكان آنذاك مخيِّما خارج القصر، يتفقد عمل أهالي سكاكا في إكمال بناء قصر الحكم، حيث إن إكماله كان موزعاً على أهالي سكاكا وجماعاتهم، كل له جزء عليه أن يتمَّه، فلاحظ أن رجاء المويشير وجماعته مقصرين في إتمام الجزء المطلوب منهم وعليهم، فقال عامر لرجاء، والأخير كان يعمل في البناء، بما معناه: «يا رجا كان أنت وجماعتك ما تعمل مثل الثانين (الآخرين)، وتلحق بهم، ترى «أفت خصيواتك فت»!، فرد عليه رجا: «الخيل الأصيل تلحق بالأخير، ولا تخاف يا عامر نكمل اللي علينا». ويضيف، صالح العدوان المنديل أن رجا شعر بالإهانة، ولما بقي من اكتمال القصر سقف المجالس الكبيرة، قال عامر لرجا: نبي خشب نسقف بها المجالس، قال له رجا: «شفها عند خليف الفالح...» (المنديل، صالح العدوان، لقاء وحديث (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٣ من ٩).

هـ ـ التعدي على الممتلكات: التعدي على الممتلكات كثيرة، ونورد هنا أمثلة لا حصر لها، ومنها:

١ ـ عامر المشورب وخوابي تمر صالح العياش الدرعان: يذكر هلال سالم النصر، أن منصوب ابن شعلان (عامر المشورب) علم أن صالح العياش الدرعان لديه مخزون من التمر (خوابي تمر)، وأنه يخفيها، فقرر الانتقام منه والاستيلاء عليها بالغصب (بالقوة)، وأرسل حرسه لأخذها عنوة، ولكنهم عندما وصلوا وفتشوا البيت لم يجدوا في الخوابي أي تمر، حيث إن صالح العياش قد عرف مسبقاً بالأمر فأفرغ الخوابي من التمر ووزعها وأخفاها في أماكن أخرى. ويقول هلال سالم النصر إن من أنقذ صالح العياش الدرعان هو خليف الفالح، والذي عرف بأمر ومخطط عامر المشورب للاستيلاء على خوابي تمره، فأرسل له وأخبره بما يخطط له عامر، وقال له بما معناه: «إذا ما عندك قدرة على التصرف، فإن الحريم والقدور والمراوي (لنقل وتفريغ التمر)، عندي...» (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٤). طبعاً قد تبدو هذه الحادثة صغيرة غير مهمة للبعض، ولكن الأمر على بساطته هو تعدٍّ على حرمات البيوت والممتلكات، وعدم الالتفات لكرامة الناس والاهتمام بها.

٢ ـ سحب خشب سواني «الفالح»: مما هو شائع ومعروف في الجوف، وفي سكاكا تحديداً، أن منصوب ابن شعلان (عامر المشورب)، قام، بسحب خشب عريش سواني قليب «غصيبة» لـ: خليف الفالح، وقليب «الفاضلية» لابن أخيه: محسن مخلف الفالح. وفي تفصيلات القصة، أنه بعد انتها بناء قصر الحكم ما عدا أسقف مجالسه الكبيرة، كان الحوار بين عامر المشورب ورجا حول الأمر حيث الأخير سيَّر على (زار) «عامر» في مخيمه خارج القصر، فقال عامر مخاطباً رجا: «... القهوة خلصت ولكن نبيلها خشب، رد رجا وقال له: «... ارع الخشب الجاهز عند خليف آل فالح ومحسن، ربعك، خذه واسقف القهوة منه» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

وفي رواية موازية قال عامر لـ «رجا»: «القصر قضى، قال رجا: ابلس لك ولاني بلوس، ارع الخشب عند الفالح مثل المرادي... للتين والعنب...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١١ من ٢٣). عندها «... أوصى العبد عامر (ل) خليف الفالح، وقال: نبي الخشب الذي عندكم، نسقف عليه المجالس. قال خليف: اجمع له من أهل سكاكا، وإذا أعطوك خمس خشبات

أعطيك عشرة، ولكن ما تسقف من خشبي كل المجلس. فقام العبد، وترك قول خليف، وأخذ الخشب عنوة... بالقوة جميعه من عند آل فالح... عندها زعل خليف ومحسن آل فالح... وتوقف آل فالح عن مساعدة العبد عامر...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

أما عن من سحب الخشب والكيفية التي تم بها، ففيه اختلاف وروايات. فهناك من يقول إنه لسحب خشب الفالح، قام منصوب ابن شعلان عامر المشورب باستدعاء خليف الفالح ومحسن مخلف الفالح، وأخذ يشاغلهم بالحديث والسوالف، بينما المكلفون بالسحب يقومون بالتنفيذ على الأرض، وعندما رجع خليف الفالح قابلته إحدى (البنات وأخبرته بالأمر وقالت له أيضاً إن خشب سواني الفاضلية (محسن الفالح) تم سحبها أيضاً، وتأكد من الأمر بنفسه (المنديل، صالح العدوان، لقاء (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٩).

لكن هناك روايات أخرى تذهب إلى القول إن سحب الخشب تم بينما خليف الفالح وابن أخيه محسن الفالح كانا تحت رهن الاعتقال (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٢ من ٨، والفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٢٣). أما من هم الذين كلفوا بسحب الخشب، وقاموا بالفعل بالعمل، فيقول سعد الطارف إن المنصوب عامر المشورب جاب «المطر والعبد وسحبوا خشب الفالح» (الطارف، سعد (III)، في ١٤١٤هـ: ٤ من ٩ من التفريغ)، ولكن سليمان العودة يقول، في إشارة على ما يبدو لناس من المطر تحديداً، نقلاً عن ابن محزم (عساف بن خلف المحزم): «... والله إن ابن محزم، يقول: جميع معيقلي ما نقله... نقلناه كله يالقرشة للقصر...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١١ من ٢٣).

خليف الفالح (الفالح ـ الدغيفق)، كما هو راشد القايد (الراشد ـ الشماليين)، كانا هما الضامنين لحكم وسلطة الشعلان بالجوف، وبالذات في سكاكا، كما هو زبن القعيّد في دومة الجندل، كما أسلفنا القول، وإن كان راشد القايد وجماعته المباشرة بدرجة أقل، «إذ إن الحماية الفعلية والحلف والعهد الأكثر فاعلية هو مع الفالح» كما يقول محمد السلطان (السلطان، محمد، حديث وحوار، في ١٦/ ٦/ ٢٠١١: ٢ من ٩). من هنا فعهد وحلف الفالح كان مع الشعلان، وتحديداً مع الشيخ النوري ذاته، وليس مع منصوب ابنه نواف، أي ليس وقوفاً أو مساعدة لـ: «عامر المشورب». لذلك ونتيجة لكل تلك العوامل المتعلقة بسوء إدارة وتصرفات منصوب ابن شعلان، بما في ذلك ما يتعلق بالضرر الشخصي والخاص والإهانات الفردية والجماعية المعنوية والمادية، فضلاً عن التجاوزات غير الأخلاقية، وفي ضوء مراسلات مع النوري ومطالب سابقة له بإزاحة منصوب الشعلان بالجوف عامر المشورب، كانت كافية وسالبة للحماية تجاه المنصوب والقيام ضده من قبل خليف الفالح وجماعته الدغيفق، كما هي كافية عند الجماعات الأخرى وزعاماتها، كل في ما يخصه، وربما ما يطمح إليه (البعض) من مكانة أو نفوذ بين آخرين، و/ أو يجمعه مع الآخرين، للقيام عليه، سواء كانت من القرشة أو المعاقلة.

طبعاً بالنسبة لجماعة القرشة، ستكون الرغبة لديها، وزعاماتها في القيام على سلطة ابن شعلان وقتل منصوبه قوية لما لحق بهم من قتل وتصفيات وتهجير في الفترة (١٩٠٩ ـ ١٩١٥)، كما أشرنا إلى بعض منها آنفاً، ولذلك ليس غريباً أن تكون المحاولات الأولى للثورة على منصوب ابن شعلان، وخاصة

محاولة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، كان مهندسوها ومن يقف وراءها هم في الغالب من القرشة، وكانت سابقة بسنة على الأقل، على مقتله فعلياً في ١٩١٨م.

ثانياً: أهل الجوف والقيام على منصوب ابن شعلان في الجوف (١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م)

١ ـ في الزعامات والجماعات (الفرعية) والأدوار في العملية

خطة وعملية القيام على منصوب ابن شعلان لم يقم بها فقط اثنان، أو واحد كما يزعم بها البعض، ومنهم السيف ومن استكتبه من «عصبيته» المويشير. إن الأمر أكثر تعقيداً مما زعمه وأصحابه، ومما يظنه البعض حتى من أهل الجوف. لم يكن بالتأكيد بمقدور واحد لوحده أن يقوم بها. طبعاً القتل بذاته يمكن أن ينفذه أي شخص حتى لوحده، حتى المعتوه يمكن أن يقوم به، ولكن الأمر يترابط بتبعاته وتحملها، ذلك أن قتل منصوب سلطة (حكم ما) يعني التطاول عليه وعلى من هم يتولونها.

مر بنا أن **عطا الثاري**، من الدغيفق، لمجرد كلام حول الأمر، تم حبسه، وكاد أن يُعدم لولا الله لطف ثم بتدخل خليف الفالح. ورأينا أيضاً كيف مآل محاولة القرشة ١٣٣٦هـ، وكيف انتهى الأمر باعتقال المشاركين بها أو أغلبهم، ومنهم محيسن الكريّع، وما تعرض له من تعذيب في السجن.

مر بنا كيف أن محاولة القرشة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م)، لم يكتب لها النجاح، وبيَّنا بعض أسبابها. والعملية الأخيرة (١٩١٨م) في القيام على منصوب ابن شعلان، والتي نفذها جزء أساسي من زعامات وقوى المعاقلة لم يكن ليكتب لها النجاح لولا توفر عوامل نجاحها، وأهمها مشاركة مجموعات وأفراد آخرين مشاركة مباشرة في العملية في مراحلها الأولى والتخطيط والتهيئة لها، أو مشاركة غير مباشرة في سياقها، وفي متلازماتها، وفي توابعها وتداعياتها في مراحلها التالية حتى تكاملها. سوف نرى، مثلاً، دوراً للقرشة، حتى لو لم يشاركوا مباشرة، ولم يدخلوا مباشرة في التخطيط والتنفيذ للعملية. ينطبق الأمر على مجموعات وأفراد وزعامات من داخل المعاقلة أنفسهم، لم يشاركوا مباشرة، ولكنهم ساهموا على نحو حاسم في توابع ومتلازمات المسألة، ومنهم على وجه التحديد راشد القايد (من المعاقلة)، وكذلك زبن القعيّد في دومة الجندل.

هؤلاء، وأمثالهم، وآخرون ممن شاركوا فعلياً في العملية سوف نعرِّج على كل منهم، ونرى كم، وكيف تم التغافل الكامل عن أدوارهم ومساهماتهم من قبل صاحب الزلفي (السيف) و«عصبته» المويشير ممن استكتبوه، وسوف نرى كم أن العملية للقيام على منصوب ابن شعلان لم تكن أبداً عمل رجل واحد، ولا جماعة واحدة، كما يزعم السيف ومن استكتبه من المويشير، وكذلك البعض ممن يروِّجون للفكرة نفسها، وهم في حقيقة الأمر مجيَّرون، بوعي أو بجهل، للفكرة وأصحابها وماكينتهم الإعلامية، لتعويمها وتقديمها للداخل والخارج على أنها الحقيقة! الحقيقة نسبية، وهي ذات أبعاد ومواقف ورؤى أطرافها. من هنا سنحسن الظن بهم على أنهم يروِّجون لرؤيتهم هم عن حقيقة الواقعة، ولكننا سنرى كم أن رؤيتهم

بذاتها ليست فقط محدودة، ولا تعبِّر عن حقيقة الواقعة وأبعادها، بل سنرى كم هو التزييف والتحريف والتشويه للحقيقة وفوقها لأهل الجوف، زعامات وأفراداً، وجماعات فرعية أو كلية.

أ ـ الاتفاق بين خليف بن فالح (الدغيفق) ورجا بن ذباح (المويشير)

تضافر العوامل الشخصية والعامة، والتي بيَّنا بعضاً منها، كانت كافية لأن تولد تحركاً باتجاه القيام على منصوب ابن شعلان. كانت محاولة القرشة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م، وإن فشلت، دافعاً وحافزاً إضافياً للقيام بالأمر بطريقة ما. يزعم محمد بن عبد الله السيف ومن استكتبه من المويشير وشهودهم «شهود الزور»، أن خليف الفالح، تردد في البداية، ولم يتحرك ضد منصوب ابن شعلان إلا بعد أن سحب خشبه (السيف، ٢٠٠٢: ٨٧ ـ ٨٨)، بل يضيف كاذباً، هو وشهوده (مصادره) بأن خليف الفالح ليس فقط ذهب إلى رجا، وإنما انضم إليه في عملية الهجوم (السيف، ٢٠٠٢: ٨٨)، بل إنه، ومن فرط كذبه، هو ومن استكتبه من المويشير، و«شهود الزور» (عبد الرحمن الشاهر البراهيم، عايد راجي البلهود، وحمد بن طلحاب العتيبي، ومناور القايد)، يعدّ أن خليف الفالح ليس فقط من رجال رجا، بل إن رجا أحضر خليف إلى قصره! عندما يقول «... وفي ليلة الهجوم على قصر ابن شعلان أحضر رجاله والمؤيدين له من سكاكا، وعددهم ثلاثين رجلاً إلى قصره... « (السيف، ٢٠٠٢: ٩١) (!!!)، ويضيف هو وعصبته وشهوده كذباً على كذب، عندما يقول: «... وفي منتصف الليل، وزع رجا الرجال الذين معه إلى مجموعتين، مجموعة بقيادته، ومجموعة بقيادة أخيه حمد، وهجمت المجموعتان على قصر الشعلان من اتجاهات مختلفة...» (السيف، ٢٠٠٢: ٩١).

ب ـ في نص الاتفاق ومعطياته وشروطه

لكي نرد على تلك المزاعم بل الأكاذيب التي روَّجها السيف وعصبته وشهوده «شهود الزور»، نورد الاتفاق بين خليف بن فالح (الدغيفق) من جهة وبين رجا بن ذباح (المويشير)، والكيفية التي تمت بها، وشروطه وأسبابها، كما وردت في أكثر من مصدر، بل سنأتي بمصادر إضافية، وفيها تفصيلات عن الاتفاق والمكان، وعن من أتى من؟، وأدوار ومساهمات لبعض الأفراد فيه. أول مصدر محلي مكتوب أو مدوَّن، عن الاتفاق بين خليف الفالح ورجا المويشير، ورد في كتاب عبد الرحمن الشايع الكريّع (هدية الأصحاب في تاريخ وأنساب الجوف...، الجزء الأول، ١٩٨٤م)، وقد اطلع عليه السيف وعصبته المويشير واستخدموه في مواقع أخرى تخدمهم، ولكنهم أغفلوه في هذه المسألة على وجه التحديد، لأنه يقدم رواية تخالف كثيراً روايتهم، بل تنقضها في كثير من عناصرها.

عن الاتفاق، كما في المصدر، (علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح) ورد ما يلي: «... في عام ١٣٣٧هـ، عندما أساء منصوب ابن شعلان المدعو «عامر المشورب» التصرف بالحكم. واعتدى على حرمات الأهالي وأخافهم بسلطته ـ قامت قبائل المعاقلة في سكاكا برئاسة المرحوم خليف آل فالح، وكتبت إلى نوري الشعلان في مقره بعذرا في سورية عن سوء تصرف منصوبه. ولكن نوري أهمل الرد على رسائل المعاقلة...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٤). وبعد انتهاء بناء قصر الحكم ما عدا أسقف مجالسه الكبيرة، كان الحوار بين عامر المشورب ورجا حول

الأمر حيث الأخير سيّر ((زار)) عامر في مخيمه خارج القصر، فقال عامر مخاطباً رجا: «... القهوة خلصت ولكن نبيلها خشب، قال رجا: ارع الخشب الجاهز عند خليف آل فالح ومحسن، ربعك، خذه واسقف القهوة منه. وحيث إن المعاهدة كانت بين النوري بن شعلان من جهة وآل فالح ومحسن، والقايد... ((راشد القايد ـ الراشد))...، من جهة أخرى، وكان قصد رجا إثارة مشكلة بين آل فالح ومنصوب ابن شعلان، الذي هو العبد عامر المشورب من جهة وآل قايد من جهة أخرى... أوصى العبد عامر (لـ)خليف الفالح، وقال: نبي الخشب الذي عندكم، نسقف عليه المجالس. قال خليف: اجمع له من أهل سكاكا، وإذا أعطوك خمس خشبات أعطيك عشرة، ولكن ما تسقف من خشبي كل المجلس. فقام العبد، وترك قول خليف، وأخذ الخشب عنوة... بالقوة جميعه من عند آل فالح... عندها زعل خليف ومحسن آل فالح... وتوقف آل فالح عن مساعدة العبد عامر...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

ويواصل المصدر (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٥ ـ ٢٥٦) القول: «... وعندها قام... رجا المويشير، وذهب إلى عند خليف بعد المغرب في الثالث من ربيع الأول عام ١٣٣٧هـ، وقال له: ماهذا الفعل الذي فعله العبد، يقصد أنه أخذ الخشب من عندكم جميعه. قال خليف: عمل العبد ما هو خفي عليك. قال رجا: وش تبني أسوّي. فرد رجا على خليف ـ (الواه) العمل كله بأيدينا. فقال خليف: واش على هذا. فقال رجاء: عليها الله ومانا. قال خليف: ما عندي مانع، ولكن هناك شروط. قال رجا: ما هي الشروط؟ قال خليف: لا بد أني أنقض العهد أمام العبد، وهو العهد الذي بيني وبين النوري بن شعلان. قال رجا: كيف تنقض العهد أمامه؟ قال خليف: أنقض العهد، وما جاك دبس بشاربي. رجا: طيب وما هو الشرط الثاني؟ خليف: جميع بيت من بيوت المعاقلة، يكون فيها رجال الغزو مع ابن شعلان، ما يعلمون «أي لا يحضر من المعاقلة ـ أهل الغزاة ـ أحد. خوفاً عليهم أن ينتقم ابن الشعلان، عندما يعلم بمقتل العبد». رجاء: ما عندي مانع من هذه الشروط وتعاهدوا على ذلك، وتواعدوا في الليلة الرابعة عشر من الشهر الجاري، في أن يقوموا ويقتلوا العبد عامر المشورب».

ويكمل المصدر (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٦ ـ ٢٥٧) الرواية والقصة، بالقول: «بعدها ذهب خليف آل فالح ومحسن».. ((ابن أخيه: مخلف الفالح))... «وسيَّروا إلى قصر الحاكم، أي عند العبد عامر المشورب... فلما وصلوا قابلهم العبد، وكانوا قد انقطعوا عن زيارته فترة من الزمن. قال المشورب: تعال يا عم خليف شوف هالمجلس بعد ما استقف وانتهى. قال خليف: شايفه والمجلس زين ويتبارك لك. العبد: ليه يا عم خليف، أنت زعلان؟ خليف: أنا لست زعلان، ولكن العرض من العرض أبيض. (ومعنى الكلام نقض العهد). العبد: ليه يا عم خليف تريد تذبحني؟ خليف: ماني ذابحك، ولكن العرض من العرض أبيض» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

هكذا كان النص العام للاتفاق بين خليف بن فالح وبين رجاء بن ذباح، وهو ما يعني اتفاق بين (الفالح والدغيفق) من جهة، وبين (المويشير ـ رواشدة الحزوم) من جهة أخرى، طبقاً لما ورد من رواية في كتاب عبد الرحمن الشايع الكريّع. طبعاً للاتفاق عناصر متعلقة بخطة وعملية الهجوم ومجموعة خليف الفالح ومجموعة رجا المويشير، ومشاركة مجموعة من رجال آخرين، ومكان وجهة كل منهما،

سنأتي عليها لاحقاً، بعد أن نورد أيضاً رواية أخرى من مصادر أخرى عن الاتفاق، وعناصره وأطرافه وشروطه، وفيه تفصيلات إضافية لم ترد من قبل عن مكانه ومن ساهم به من غير خليف ورجا.

ج ـ الاتفاق برواية آخرين: الترتيبات والشروط والمكان

سليمان سعد الطارف، وهو ملازم لوالده (سعد الطارف) وينقل عنه، في ما يتعلق بمقتل العبد عامر والاتفاق بين خليف الفالح ورجا المويشير، يقول، مُلخصاً على الجملة: إنه بعد حادثة الإهانة التي تعرض لها حمد المويشير من نواف الشعلان، ـ في سياق واقعة السنيدي ـ الدرعان وقتله لبعير للشعلان حول القريات، كما سبق الإشارة إليها آنفاً ـ، أرسل حمد، وهو زعلان، لأخيه رجا، مخبره عن الأمر، فكان أن رد عليه رجا طالباً منه أن يسترخص (يستأذن) لنفسه، ولشامخ وبعض من جماعتهم من ابن شعلان، للقدوم إلى سكاكا، تحت حجة موت حلالهم ويريدون أن ينقذوه. عندما قدم حمد المويشير، وكان أخوه رجا وجماعته من الذين يقومون بإكمال ما عليهم من بناء قصر الشعلان، طالب العبد رجاء بإحضار خشب لسقف المجالس. رد عليه رجاء بأن الخشب عند آل فالح، (عند خليف، بقليب: «غصيبة»، وعند محسن، بقليب: «الفاضلية»). ويضيف، سليمان سعد الطارف، أن «العبد» بعد أن استدعى خليف ومحسن الفالح، اعتقلهم، وطلب من العاملين لديه، سحب وإحضار خشب الفالح، وقام بالسحب والنقل مجموعة من جماعة «**المطر**». بعدها جرى اتفاق بين خليف الفالح ورجا المويشير، حيث تم الاتفاق في حوطة (بستان) «**طارف الخلف**» (الرشيد ـ الطالب)، في مكان قريب من حوطة «**مهنا الساير**» (السليمان ـ آل معيقل)، حيث ذهب رجا إلى تلك الحوطة، وطلب من الأخير، (أي **مهنا الساير**)، أن يذهب إلى خليف الفالح، ويخبره برغبة رجا التحدث إليه، وأنه ينتظره هناك. وبالفعل التقى الاثنين واتفقا على أن يجهز كل واحد منهما جماعته ومن معهم لقتل العبد عامر» (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٨).

محمد السلطان الفلّاح، في تفصيل أكثر، وهو ينقل الرواية والقصة عن كل من **سعد الطارف**، و**عايض الزيد**، من جهته يؤكد تلك الرواية، مُلخصاً على الجملة: «أن عامر المشورب، عندما اكتمل بناء القصر... قال لـ «رجا»: نبي خشب نسقف بها المجالس، رد عليه رجا، وقال: ارع الخشب عند خليف الفالح. وعندها قام عسكر وعمال المشورب... بسحب الخشب من عند خليف الفالح، وابن أخيه محسن مخلف الفالح، وكانت تلك الأخشاب موضوعة على عرايش السواني عند كل منهما. بعدها بكم ليلة، كما يقول محمد السلطان: إن رجا ذهب إلى طارف الخلف (الطالب)، وقال له: ناد لي مهنا الساير، ولم جاءه مهنا الساير، قال له: اذهب عند خليف الفالح، وإذا ما عنده أحد، قل له: إن رجا ينتظرك بتحتي الحوطة (حوطة خلف الطارف). ويكمل، محمد السلطان القصة بالقول: إن خليف الفالح اجتمع ورجا المويشير، وبعد نقاش كان الاتفاق بينهما على القيام وقتل عامر المشورب (منصوب ابن شعلان). وذكر محمد السلطان، أنه ورغم القول إن الحلف مع ابن شعلان كان من خليف الفالح وراشد القايد وهذا صحيح، إلا أن الحماية الفعلية والحلف والعهد الأكثر فاعلية مع ابن شعلان هو مع الفالح (خليف الفالح والدغيفق). وأضاف محمد السلطان، إن خليف الفالح سأل رجا عن الموقف من الرشيد؟ فقال الأخير أن اللي يجي (يعتدي) على أي منا يعتدي علينا كلنا! وتعاهدا على ذلك، وعلى مقتل عامر المشورب،

وبشروط أشترطها خليف الفالح، ومنها: أنه، أي خليف الفالح، لا بد أن ينقض العهد مع الشعلان علناً، وأمام «العبد» نفسه، فضلاً عن انه استدرك الشرط الثاني الذي أصر عليه خليف الفالح؛ وهو ألّا يشارك في الهجوم على المنصوب عامر المشورب، أي رجل من عائلات أهل الجوف يكون لها أحد من أبنائها في ومع غزو وقوات الشعلان. وذكر محمد السلطان، أنه، وبعد أن تعاهدوا، قام خليف الفالح ولبس لباسه وتحزم بالسلاح، وذهب هو ومحسن الفالح وبعض آخرين من الفالح، إلى عامر المشورب، ولما أقبلوا عليه، قال لهم عامر المشورب: تفضل يا عم خليف، أشرب القهوة، قال له خليف الفالح: العرض من العرض أبيض (أي إعلان نقض العهد ورفع الحماية). ويذكر محمد السلطان أنه من ضمن الاتفاق بين خليف ورجا على قتل عامر المشورب، اتفقا على أن يقوم كل واحد منهما ويجهز مَن عنده، من جماعته، الناس (الأشخاص والرجال) اللي يعتمد عليهم... وقال إن عدداً كبيراً من الفالح والدغيفق وبعض السليمان (آل معيقل) كانوا مع خليف الفالح، وأما رجا فكان في مجموعته عدد من الطالب والبيالية والهذيل، وبعض من الراشد (رواشدة الحزوم) وعدد من الرواشد الشماليين الآخرين، وزويمل الكريّع، وآخرين...» (السلطان، محمد، حديث وحوار (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٩).

ويؤكد عبد الله عايض الزيد الواكد، في مداخلة له أثناء مقابلة مع سليمان العودة، في ٢٩/ ٣٠ ـ آب/ أغسطس ـ ٢٠٠٢م، على تقسيم المشاركين في القيام على المنصوب إلى مجموعتين، واحدة من الشرق (مجموعة خليف الفالح والدغيفق)، والأخرى من الغرب (مجموعة رجا) عندما يرد على عبد الهادي السلطان الذي قال «إنه لولا خليف الفالح ما انذبح العبد»، فيقول (عبد الله عايض الواكد): «... بعض المعاقلة من شرق القصر، وهذولاء من غربه...» (الواكد، عبد الله عايض زيد، في: الفلّاح، سليمان العودة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٣ من ٣٩ ج ٢).

د ـ في الرجال والمجموعات المشاركة

طبقاً لأقوال **سعد الطارف،** فإن خليف الفالح غالباً ما يشاركه في مثل تلك الحروب أو «الحرايب»، كما يذكر سعد الطارف (الطارف، سعد (II)، ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٦) عدداً من رجال الدغيفق، ومنهم على وجه التحديد: محسن مخلف الفالح، ابن أخيه وشريكه في كل الملمات والمهام الصعبة، وكذلك كل من يانس ونيس أبناء أخيه مخلف الفالح، وعطالله ومحمد ومقبل العياف (المثري)، وعضيد العويقيل (الحادي). ومن رجال الدغيفق الآخرين: محمد وحمد العقيل المانع (الثاري) (وهذا الأخير «حمد العقيل» قُتل في واقعة كون الظلي «صيف ١٩٠٧م»)، ومحمد الزاعل، وقضيب وقاضب أبناء نهار المانع الثاري، وملاقي العايف المثري، وعبد الله مفلح الفلاح، وفهد المفرح (؟)، وآخرين.

وحيث إن المصادر المدونة، وروايات الرواة عن واقعة القيام على منصوب ابن شعلان تشير إلى أن أكثر من ستة عشر رجلاً من الدغيفق والفالح كانوا في مجموعة «خليف الفالح»، وبناء على ما توفر من معلومات حول المشاركين في القيام على منصوب ابن شعلان (عامر المشورب)، من مصادر متعددة (الطارف، سعد (II)، ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١ من ١٦؛ النصر، هلال سالم (I)، ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ٢ من ٤؛ المنديل، صالح العدوان، لقاء، ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٩؛ السلطان، محمد، ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٣ من ٩؛

السيف، ٢٠٠٢: ١٠٦ ـ ٤٩؛ السلطان، ممدوح، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١؛ السلطان، ممدوح، مسوّدة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٦؛ الفلّاح، سليمان العودة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٤ من ٢٣ ج ١؛ الهادي، مساعد هداج، لقاء وحديث، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١؛ الهادي، مساعد وصالح هداج، لقاء وحديث، في ٢٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١؛ القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥، والطالب، مدالله حماد الرشيد، اتصال هاتفي (جوال)، في ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧، الساعة ١٠:٣٠ صباحاً)، فإنه بالامكان حصر عام نسبي وغير دقيق، (أي ليس دقيقاً ويقينياً، بما يعني قد يكون هناك نسبة من الخطأ من حيث إدخال أسماء قد لا تكون شاركت بالفعل، أو إهمال أسماء رجال آخرين قد يكونون شاركوا في واقع الأمر، وتبقى أسماء شاركت ولكن للأسف لا تتوفر عنها معلومات)، لأسماء كل من مجموعة خليف الفالح، ومجموعة رجا المويشير، ومجموعة رجال آخرين، على النحو التالي:

مجموعة خليف الفالح[1]

١ ـ خليف الفالح

٢ ـ محسن مخلف الفالح

٣ ـ عضيد العويقيل

٤ ـ ابراهيم العويقيل

٥ ـ محمد العقيل

٦ ـ مقبل العياف

٧ ـ عطالله العياف

٨ ـ محمد العياف

٩ ـ قضيب النهار

١٠ ـ قاضب النهار

١١ ـ يانس مخلف الفالح

١٢ ـ ونيس مخلف الفالح

١٣ ـ محمد الزاعل

١٤ ـ ملاقي العايف(؟)

١٥ ـ عبد الله مفلح الفلاح

١٦ ـ علي الفرحان(؟).

(١) بالنسبة للرجال في مجموعة خليف الفالح والذين ورد مقابلهم علامة استفهام (؟) تعني عدم التأكد على نحو قاطع من المشاركة، ولكنها مشاركة على أنها احتمال كبير.

١٧ ـ واحد من أبناء مفرح بن راشد الدغيفق (راشد أو حسن ـ أما فهد؛ فيبدو أنه في هذا الوقت كان متوفياً، طبقاً لأقوال سليمان العودة (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٣٧ من ٣٩).

١٨ ـ عبد الرحمن خليف الفالح (؟)

مجموعة رجا المويشير[٢]:

١ ـ رجا المويشير

٢ ـ حمد المويشير

٣ ـ شامخ المفرج

٤ ـ حمدان السمرين

٥ ـ عسكر الحميمص

٦ ـ مشفي المقاود

٧ ـ زيد الواكد

٨ ـ فياض المفرج

٩ ـ حمد عواد الواكد

١٠ ـ مبارك الراضي

١١ ـ عطا الحميمص

١٢ ـ مثقال الراضي

١٣ ـ ملفي المقاود

١٤ ـ حمد الحويكم.

مجموعة رجال آخرين من جماعات أخرى

هناك أيضاً عدد من رجالات جماعات المعاقلة الآخرين شاركوا في عملية القيام على منصوب ابن شعلان، وكانت مشاركتهم، وسواء بشكل مباشر أو غير مباشر، سابقة أو لاحقة لعملية الهجوم ذاتها، أو في ثناياها، على أنها مشاركة تمثل أنفسهم وجماعاتهم ويشاركون في عمل عام كل يطمح للمشاركة فيه، وليس على أنهم رجال ملحقون بهذا (رجا) أو ذاك (خليف)، وإن دخل بعضهم من خلال المجموعتين. من أولئك الرجال:

١ ـ من (السليمان ـ آل معيقل): مخلف العيادة، ومهنا الساير.

---

(٢) ملحوظة: أسماء قائمة المجموعة كما وردت في كتاب السيف والمويشير (السيف، ٢٠٠٢: ١٠٦ #٤٩). غير أن ما أعلمه من خلال الرواة الذين قابلت، فإن الأسماء التسعة الأولى هي التي تكررت الإشارة إليها على أنها بالفعل شاركت في الهجوم في المجموعة، وعليه فلا أنفي ولا أؤكد مشاركة الآخرين.

٢ ـ من (الكبيدان ـ آل معيقل): عايد محمد الفلاح، وبنية الزايد، خلف (أو حمد؟) الرضي.

٣ ـ من (الجحيش): عوض الجريان وسالم الجريان، وزويمل الهادي.

٤ ـ من (الكريّع): معارك الكريّع، وأحمد الزميليك(؟).

٥ ـ من (العبد): خاتم وعطا الهيشان.

٦ ـ ومن (الطالب): كل من: حمود الحمد الرشيد، طارف الخلف الرشيد، ضاري المرشد، ربيع المحمود الرشيد، عوض الحميدي (الطالب، مدالله حماد الرشيد، اتصال هاتفي (جوال)، في ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧، الساعة ١٠:٣٠ صباحاً).

٧ ـ ومن (الهذيل): طايف الهذيل.

٨ ـ ومن (النصير): صحن خلف المحمد البنية، وكريّم الحنظل(؟).

٩ ـ ومن البيالية: نزال البيالي، وخاتم البيالي، ومران البيالي، ومفضي البيالي، وطايس البيالي.

١٠ ـ من الشلهوب: سعد وفهيد المنديل، وتركي وحمد وغشام المظهور.

١١ ـ ومن (الابراهيم): سلمان الشاهر، وعوض المعيقل. ومن الحميد؛ سالم الحميد.

١٢ ـ **في دومة الجندل:** زبن القعيّد وعدد من أهل الغرب والسيطرة على قصر مارد ومنهم: شنوان الداحس؛ سليمان الجارالله، وحماد المسعد، وسليم الحمود، وفريح ناصر المعين، وخلف السلامة، ورزق العفر، علماً أنه لاحقاً انسحب الجميع، ولم يبقَ إلا زبن القعيّد، لوحده في القصر، بل هو نفسه وخلال يوم أو يومين يترك القصر، حيث سيعتقل لاحقاً، ثم يعدم شنقاً في حدود تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥). سنورد تفصيلاً لدور وقصة زبن القعيّد في القيام على حكم الشعلان ومنصوبه بالجوف (دومة الجندل) في سياق عملية الهجوم على المنصوب في سكاكا وعلى خلفيتها.

هؤلاء الشخصيات والرجال ومشاركاتهم، وآخرون من جماعات أخرى سنأتي على التفصيل عنهم، تُلحظ وتُناقش هنا باعتبار أن مشاركتهم تمثل مساهمة هامة وحاسمة في مراحل العملية، سواء في بدايتها، والتمهيد لها، أو في توابعها، وتمثل دوراً ليس لهم كأفراد فقط، وإنما لجماعاتهم الفرعية المباشرة، وسواء في سكاكا أو في دومة الجندل.

٢ ـ في ليلة وخطة الهجوم ومآلاتها (١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م): من قتل من، وكيف، وما الغاية؟

كان الاتفاق بين خليف الفالح ورجاء المويشير، يقضي بتقسيم المشاركين في عملية الهجوم على مقر «مخيَّم» منصوب ابن شعلان، خارج القصر، إلى مجموعتين رئيسيتين، واحدة من الشرق والشرق الجنوبي للقصر وهي مجموعة خليف الفالح والدغيفق، والآخرة من الغرب والغرب الشمالي، وهي مجموعة رجا المويشير، ويقوم آخرون بدور الرقابة والترصد، وآخرون بدور التسهيل والمساعدة في الولوج في المخيَّم للقبض على المنصوب عامر المشورب، وهذا الدور الأخير والهام جداً سيقوم به نزال

البيالي ومن معه في الحراسات من الأهالي (سعد وفهيد المنديل، وتركي وحمد وغشام المظهور، وسالم الحميد) في المخيَّم وحوله.

ويكمل عبد الرحمن الشايع الكريّع الرواية والقصة عن الهجوم على مقر المنصوب، بالقول: «وفي الليلة الرابعة عشر من الشهر نفسه، قام أربعون مسلحاً من قبائل المعاقلة، ما عدا الدار التي يكون منها محاربون مع ابن شعلان، فقد تركوها خوفاً على رجالهم الموجودين مع ابن شعلان في تل أبو حشيش. وهكذا قصد خليف، وكان في رجاله من آل فالح ستة عشر مسلحاً في الفزعة التي ضد العبد... أقول: قامت المعاقلة وساروا إلى قصر ابن شعلان، وعندما فتحوا الباب، وصار (الحس) داخل القصر سمع العبد (الحس) فهرب متجهاً إلى الغرب جهة بيوت رجا المويشير وأخيه حمد، لأنه وقع بخاطره أن الذي قام بالحركة خليف ومحسن آل فالح لوحدهما، ولم يعلم أن رجا والمعاقلة متفقون على قتله. أثناء هرب العبد عامر رآه مقبل العياف، من جماعة خليف الفالح، وراح يعدو وراءه، وأطلق عليه النار غربي القصر، ولكن الطلقة قطعَت (هدومه) وحزامه من كتفه، وسلم. وفي الوقت نفسه، كان مخلف آل عيادة وبعض المعاقلة يعدون وراء العبد، وهو هارب جهة المويشير، وعندما ضيق عليه مقبل العياف ومخلف العيادة، وبعض من الرجال من المعاقلة وافق... شامخ آل مفرج، ابن عم رجاء ونسيبه، ودخل العبد عنده، وقد تواقف شامخ هو والفزعة الذين يطاردون العبد. وتواقفت الفزعة التي منها مقبل آل عياف خوفاً من أن تحصل فتنة على إثر العبد ـ وبعثوا لرجاء وخليف، وهم بالقصر. وقال الرسول: إن شامخ أدخل العبد ونخشى أن تحصل بينه وبين الجماعة شيء ـ قال رجاء اين هو؟ فجاء رجاء يعدو ومن معه من رجال المعاقلة. وعندما وصل... قال: وخر يا شامخ عن العبد... قال: دخيلي. قال: وخر، وإلا ذبحتك وأياه... ودفع شامخ... وذبح رجاء العبد ومعه مخلف بن عيادة ومقبل العياف...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

ملاحظات على رواية الشايع الكريّع (أعلاه):

١ ـ **مقر منصوب ابن شعلان عامر المشورب** والذي وقع عليه الهجوم لم يكن هو القصر (المبنى)، وإنما كان هو المخيَّم خارج القصر، ذلك أن القصر آنذاك، باستثناء السور الخارجي، لم يكن مكتملاً من الداخل، ولذلك لم يتم الانتقال إليه بعد. كان في القصر السلاح فقط، وقصة السلاح، ومن قام من الأهالي بحمايته بعد قتل المنصوب، سنشير إليها جزئياً لاحقاً، حيث سبق أن أشرنا إليه بالتفصيل في مكان آخر من الدراسة.

٢ ـ لاحظ أنه فضلاً عن شرط نقض العهد علناً، كان الشرط الثاني للقيام على المنصوب، كما أصر عليهما، خليف الفالح في اتفاقه مع رجاء، هو عدم مشاركة أي رجل من عائلات أهل الجوف يكون لها أبناء، في ذلك الوقت، مع غزو وقوات ابن شعلان المتركزة آنذاك في تل أبو حشيش حول القريات. الهدف ألا يتعرضوا للقتل أو الأذى انتقاماً. من هنا نرى أولاً أن رجا تنبه للأمر وطلب من أخيه «حمد» وابن عمه «شامخ»، وكانا ضمن أفراد غزو ابن شعلان، الاستئذان من ابن شعلان والقدوم إلى الجوف، حفاظاً على مصيرهم. وفوق هذا، ثانياً، فإن هذا الأمر (الشرط الثاني آنفاً) مهم في ملاحظة ومناقشة وتفسير ما يخص دور ومساهمة أفراد وجماعات آخرين، أو عدم مشاركتهم مباشرة في العملية،

وهذا يتعلق تحديداً بجماعة القرشة. في الموازاة، كان شرط نقض العهد علناً، وأمام منصوب ابن شعلان نفسه، لا يقل أهمية بالتوازي مع المراسلات، والمطالب السابقة من قبل خليف الفالح لابن شعلان بإزاحة المنصوب عامر المشورب، وخاصة في ما يتعلق بتفسير موقف الشعلان من الفالح بعد القيام على المنصوب وقتله، بالمقارنة مع موقفهم من المويشير.

٣ ـ **لم تكن نهاية عامر المشورب وقتله بالشكل والطريقة والدقة** التي وردت في الرواية (أعلاه).

أولاً، كان الترتيب والاتفاق مع نزال البيالي وبالتعاون مع من معه من أهالي سكاكا في الحراسة، أنه مع قدوم المهاجمين يقوم بفتح باب المخيَّم. لهذه الغاية كان نزال البيالي قد فكر في حيلة يخدع بها المنصوب، فأخذ منذ الصباح الباكر من ذلك اليوم الذي تقرر في مسائه (ليلاً) أن يكون الهجوم، يخرج عدة مرات، وفي أوقات غير متباعدة عن بعضها البعض، فانتبه المنصوب لهذه الحركة أو أن أحداً نبهه لها، فسأل المنصوب «نزال» عن الأمر، فرد عليه أنه «مصاب بالإسهال». يبدو أن هذا الجواب أقنعه، رغم أن معلومات، كما يذكرها محمد السلطان، قيل إن مصدرها، واحد يعمل لديه من أهل سكاكا «ج/ ب(!؟)»، وصلت المنصوب يوم الذبحة قبل الليل، تفيده أن هجوماً عليه قد يقع الليلة، ولكن المنصوب كان مشككاً، فطلب حبس «ج/ ب»، مخاطبه بالقول «إن صدقت والله لأغنيك، وإن كذبت والله لأقتلك»، وبالفعل لم يطلق سراحه إلا بعد القتل (السلطان، محمد، حديث وحوار، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٣ من ٩). وفي رواية أخرى، يقول سليمان العودة، عن تسرب معلومات الهجوم، ملخصاً على الجملة: إنه في منتصف الليل من اليوم السابق للهجوم... أتى «عواد لاحق»، ـ ـ وهو من المقربين للعبد «عامر»، كما هو مثيله «سعد عمران»، ـ ـ واتجه وذهب إلى رجاء لتحذيره، خوفاً عليه باعتبار أن رجا من جماعته بل هو شيخها (رواشدة الحزوم ـ جنوب وغرب السيل)، من أن يبطش به عامر المشورب، وابن شعلان بعد أن نمى إلى علمهما خبر وخطة الهجوم. طق (طرق) عواد الباب، فقال رجاء؛ من هاللي يطق؟ ـ ـ ـ «العبد عامر واتيه (واصله) ورقة من الرشيد وقعت بيد «مناور؟»، وقبضها... وداها (أوصلها) لعامر المشورب، وعامر وداها لـ: «نواف» الشعلان، ونواف قال: يرى الحاضر ما لا يرى الغائب... الظاهر يريد يذبح رجاء... وعامر بالنسبة له عواد لاحق حشيم عليه (!) ـ ـ قال رجاء يا «عذاب» افتحي الباب، شوفي من هاللي عنده؟ قالت «عذاب»: هذا عواد... قال رجاء: واللعنه (!)... ويوم سمع لعن رجا له، أنهشم عواد يبكي، وقال؛ ذوان (ألآن) أنا أريد أنذرك... وتقول اللعنه (!). قال رجاء لعواد:...وكاد هالحكي؟ قال عواد: وكاد... (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٢ من ٢٣، ج ١).

ثانياً: عندما قدمت المجموعة الأولى المهاجمة (مجموعة خليف الفالح) من الشرق، وأقبلت على المخيَّم، كان نزال البيالي ومن معه من الأهالي في الحراسة، وفي تنسيق مع المهاجمين، قد فتح باب المخيَّم، وقُتل في البداية أخو عامر المشورب. ورغم أن محمد السلطان يقول إنه لا أحد يدري من قتل «أخو عامر المشورب» لأن السالفة صارت بالليل» (السلطان، محمد، حديث وحوار، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٩)، فإن سليمان العودة يذكر، ونقلاً عن سعد الطارف، أن من قتله هو خليف الفالح، وعن ذلك يقول العودة، وهو شاهد بنفسه على الحدث: «أنا عاد وقعت على واحد مقتول يُقال له «خلف» (أخو عامر المشورب)... أنا شفته... أنا لي عشر سنين هالوقت... وسألت سعد الطارف

بعدين من اللي قتله... وقال سعد الطارف: ذبحه الأطرم (خليف الفالح)» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٣ من ٢٣، ج ١). ورغم أن خليف الفالح كان لا يتقدمه أحد، بل هو دائماً في مقدمة جماعته والمعاقلة عموماً في معظم تلك الحروب التي وقعت في الجوف وبالذات في سكاكا، وخاصة في الفترة ما بين ١٩٠٠م و١٩٢٢م، وسواء كانت في سياق وقائع وحروب أهلية فرضت نفسها، ولمعطيات ومتغيرات (عوامل نسعى في هذه الدراسة للكشف عنها، أو في سياق الحروب الدفاعية و/ أو المقاومة عن الجوف عموماً في وجه القوى الغازية و/ أو طغيانها أثناء سيطرتها على الجوف في حينه، إلا أنه، وطبقاً لما يرويه سليمان العودة، ونقلاً عن سعد الطارف، لم يسجل عليه أبداً أن أسال أو سفك قطرة دم رجل واحد، وخاصة من أهالي الجوف، سواء من القرشة أو غيرهم، في كل تلك الحروب، وخاصة الحروب الأهلية (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ١٣ من ٢٣، ج ١، وص ١٣ ـ ١٤ من ٢٧، ج ٣). الحالة الوحيدة والاستثنائية، وهي تلك المتعلقة بمقتل «خلف» شقيق عامر المشورب (منصوب نائب حاكم) ابن شعلان بالجوف في أثناء خطة القضاء على عامر المشورب وقتله في ليلة الرابع عشر من ربيع الأول من عام ١٣٣٧هـ الموافق مساء الأربعاء ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، وإن الذي قتله (أي قتل خلف تلك الليلة) هو خليف الفالح طبقاً لرواية سليمان العودة نقلاً عن سعد الطارف (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ١٣ من ٢٣، ج ١).

ثالثاً: في ما يتعلق بهروب ومقتل عامر ومن قتله وكيف تم القتل، فيبدو أن الأمر ليس بهذه البساطة المرويَّة (كما في الرواية اعلاه)، وإن تضمنت بعض الحقائق. هناك تفصيلات تحتاج إلى ملاحظة وتدقيق ليتبيَّن من القاتل الفعلي، وكيف تم القتل، ولماذا تم القتل أصلاً؟، وهل قتْل العبد عامر المشورب كان هو المستهدف بذاته أم حكم الشعلان ككل؟ أم أن القتل تطور على نحو لم يكن مخططاً له، على الأقل بالنسبة لبعض الأطراف الرئيسة المشاركة في الأمر.

وفي تفصيلات الأمر نقول: ورد في رواية عبد الرحمن الشايع الكريّع، أن العبد عامر المشورب عندما أحس بأن هناك أمراً غير طبيعي يجري شعر بالخطر فخرج هارباً من المخيم، ولكن: «...أثناء هرب العبد عامر رآه مقبل العياف، من جماعة خليف الفالح، وراح يعدو وراءه، وأطلق عليه النار غربي القصر، ولكن الطلقة قطعَت (هدومه) وحزامه من كتفه، وسلم. وفي الوقت نفسه، كان مخلف العيادة وبعض المعاقلة يعدون وراء العبد، وهو هارب جهة المويشير، وعندما ضيّق عليه مقبل العياف ومخلف العيادة، وبعض من الرجال من المعاقلة وافق... شامخ آل مفرج، ابن عم رجاء ونسيبه، ودخل العبد عنده، وقد تواقف شامخ هو والفزعة الذين يطاردون العبد. وتواقفت الفزعة التي منها مقبل آل عياف خوفاً من أن تحصل فتنة على إثر العبد ـ وبعثوا لرجاء وخليف، وهم بالقصر. وقال الرسول: إن شامخ أدخل العبد ونخشى أن تحصل بينه وبين الجماعة شيء...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٦ ـ ٢٥٧). نلاحظ من وفي المقطع السابق، (والذي لا ينكره أحد، بل يردده معظم، إن لم يكن كل الرواة الذين قابلت، حتى السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه، يقرون به، وإن بتحريف مكشوف لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً، كما سنأتي على توضيحه وتفصيله)، النقاط الجوهرية التالية:

في ما يتعلق بقتل عامر المشورب (أي مَن قتل مَن وكيف؟)، ورد في الرواية أعلاه، أن المنصوب (عامر المشورب) بعد هروبه اتجه شمالاً باتجاه بيوت المويشير. وتجمع الروايات الأخرى الموازية، أن المنصوب، وهو هارب، مُلاحق ومطارد من مقبل العياف، ومخلف العيادة، عندما اتجه إلى الشمال باتجاه بيوت المويشير، لم يقابله أحد سوى «شامخ المفرج» (من رواشدة الحزوم ـ جماعة رجا)، والذي لم يعترضه أصلاً، وإنما عندما قدم عليه أدخله في حمايته «دخيله»، وفي مكان قرب «طلعة بين الحشاش والعرف»، وهو مكان يبعد عن القصر إلى الشمال بما لا يقل عن ٧٠٠م وفي الحواف مباشرة لبيوت بعض رواشدة الحزوم ـ جماعة رجا، وأقل من ٣٠٠ متر من بيوت المويشير أنفسهم. لاحظ أن شامخ لم يقم بقتله، وإنما وفر له الحماية، ورفض أن يعتدي عليه من أي أحد من الملاحقين له. فوق هذا، ليس دقيقاً القول أن رجا قام بـ: «... دفع شامخ»، ثم «ذبح رجا العبد...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٧)، أما الصحيح فسنبيّنه بعد قليل. السيف وأصحابه من المويشير وشهود زورهم، من درجة إمعانهم في الكذب والتزوير، يقول ويقولون إن المنصوب عندما هرب من القصر «.. فأمسكه شامخ المفرج، والذي اقتاده إلى قصر رجا... وعندما علم رجا بالخبر توجه إلى قصره، وفي الطريق أمسك بعامر طالباً من شامخ أن يتنحى عنه، وترك عامراً له كي يتخذ فيه ما يراه مناسباً بحقه! إلا أن شامخاً فوجئ بما أقدم عليه رجا عندما قتل عامراً المشورب، وصاح قائلاً: «**ما هذا اللي قمنا عليه**» (السيف، ٢٠٠٢: ٩١). الكذب والتزوير هو في: **أ** ـ القول إن شامخاً أمسك بالمنصوب، وهذا ليس صحيحاً، وما هو صحيح أن المنصوب عندما قابل شامخ عند طلعة الحشاش ـ العرف، طلب أن يكون «دخيله»، وهو ما فعل، وأما لماذا قبل بذلك ولم يقتله، ولم يقبل بأحد آخر أن يقتله بما فيه رجا فسوف نناقشه لاحقاً. **ب** ـ وكذلك في القول إن رجا أمسك بالطريق بعامر وسحبه وقتله عندما رفض شامخ السماح له، فهذا ليس صحيحاً. ليس صحيحاً أن رجا سحب عامراً أو دفع شامخاً عنه. أما الصحيح في طريقة وكيفية قتل عامر المشورب، فهو كالتالي: أنه بعد وصول المنصوب طلعة الحشاش ـ العرف (حالياً)، وكان هارباً وملاحقاً ومضيَّقاً عليه من قبل مقبل العياف وخلف العيادة، وهما من مجموعة خليف الفالح، قابل شامخ المفرج من جماعة رجا، وقال له: «دخيلك»، فقبل شامخ و«أدخله» ولم يقتله، ورفض أن يقتله أحد من الملاحقين والمهاجمين الذين توافدوا على المكان. ونتيجة للخلاف والنزاع على المنصوب، وخوفاً من الفتنة بين المعاقلة، أُرسل إلى خليف الفالح ورجاء المويشير، واللذين حضرا. عندها قال خليف الفالح مخاطباً رجا المويشير: «يا رجاء لا تصير مذبحة بين المعاقلة» (السلطان، محمد (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٤ من ٩)، وفي رواية وقول آخر، قال خليف الفالح لرجا، بما معناه: «يا رجا هذا دخيل بواحد من جماعتك، وشوف لك حل، وإلا ترى المعاقلة راح يتقاتلون عليها» (المنديل، صالح العدوان (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٩). في هذه الأجواء المشحونة والتباساتها، (ولأن خليف الفالح أو أياً من مجموعته لا يجوز له في عرف العرب أن يقتل دخيل شخص آخر، وخاصة من جماعة أخرى، وأنه لو فعل فتعتبر جريمة نكراء وعاراً ما بعده عار، ومفضياً لا محالة إلى نشوب صراع أو حرب أهلية محدودة أو شاملة، في حالتنا بين جماعات من المعاقلة؛ الفالح ـ الدغيفق من جهة والمويشير ـ رواشدة الحزوم من جهة أخرى، فضلاً عن تداخل المجموعات الأخرى، وقد تتحول إلى حرب أهلية شاملة في المعاقلة كلها)، فكان على رجا أن يتصرف بما يعني أن عليه، أو أحد من جماعته المباشرة أن يقوم بإنهاء الأمر وقتل المنصوب. عندها كان رجا

مضطراً للتصرف لأن يفعل شيئاً ما فطلب من شامخ التخلي عن المنصوب، ولكن شامخ رفض قائلاً: «**ما هذا اللي قمنا عليه**» (السيف، ٢٠٠٢: ٩١). ومع وعند إصرار شامخ على عدم التعرض للمنصوب، وعندها فقط، وكما يروي سليمان العودة، وهو ممن شهد أحداثها، آنذاك، قام كل من **مشفي المقاود وزيد الواكد وفياض المفرج**، وكلهم من الراشد (شمال السيل ـ جماعة راشد القايد)، وقبضوا شامخ وأزاحوه عن العبد عامر، حتى كشفوه أعزل، لا حول له ولا قوة، فكان أن أطلق، رجا، عليه النار. وفي تفصيل عن الواقعة وطريقة القتل، يقول سليمان العودة، مكذباً ومعترضاً على القول بأن رجا أدخل البارود بين شامخ والمنصوب؛ «... لا والله... لا والله قضبه زيد، ومشفي، وفياض... قضبوه الراشد؛ قضبوا شامخ... حتى ذبحوا العبد... ذبحه رجا... بديرة الشخير... أنا واقف عليه... أنا شفته... أي والله كيف... ويوم جاء الصبح، وتت «بسيرة»، وقلبت العبد عامر المقتول، وحصلت بجيبه نيرتين...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٣ ـ ١٥ من ٢٣، من ج١). هذا الدور لكل من **مشفي وزيد وفياض من الراشد**، ليس فقط أغفله ولم يتطرق إليه السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه، وإنما فوقه، زعم وزعموا أن رجا هو من أمسك بعامر وسحبه وقتله(!!)، وهذا الدور الذي قام به المشار إليهم آنفاً، كما هو أدوار آخرين، هو وهم وأدوارهم نقاط هامة سنعرّج عليها ونناقشها ونطرحها جميعاً بالتفصيل لاحقاً. **الآن نبقى في موضوع القتل، ومن قتل من؟** فنقول التالي: إن القول بأن رجا هو من قتل عامر المشورب، فهذا قول يمكن وصفه بأن بعضه صحيح، وبعضه غير صحيح. ما هو صحيح أننا أمام حالة فيها السيّاف أو المفوَّض بالإعدام، قُدم له المراد إعدامه مقيَّداً، لا حول له ولا قوة، فقام السيّاف بضرب عنقه، أو أطلق رصاصة الموت عليه، فأرداه قتيلاً تنفيذاً للأمر. فهل السيّاف، أو من في حكمه، هو القاتل، أم من أمر بقتله، ومن أخرجه وقيَّده، وأحضره وجهزه ليكون ذبيحة جاهزة للذبح أو القتل؟ هذا أولاً؛ إن رجاء، في هذه الحالة، هو في وضع «السيّاف»، أو «الجزار» الذي قام بذبح «الذبيحة ـ الضحية» التي تم تقييدها وربطها له فما عليه إلا أن ينفذ الذبح. ألم يقم مشفي المقاود وزيد الواكد وفياض المفرج ويقبضوا على شامخ بالقوة ويفصلوه عن عامر المشورب، فيصبح الأخير ضحية جاهزة مكشوفاً لا حول ولا قوة أمام السيّاف» و/ أو منفذ الإعدام، فقام بإطلاق النار عليه! هكذا كان الذبح، وليس كما يُقال، أو يُزعم به كما فعل السيف وأصحابه من المويشير، أن رجا دفع بشامخ، وقتل الضحية (عامر المشورب). وحتى لو افترضنا صحة هذا القول الأخير (أن رجا هو من دفع شامخ وسحب عامر وقتله)، وهو ما بيَّنا بطلانه، ولكن من باب الجدل ورفع الحرج، وحسن الظن ولو إلى حين نقول ثانياً؛ إن هذا القول لا يُغيِّر في تكوّن لحظات وتهيئة أجواء ومشهد القتل من حقيقة الأمر شيئاً، ذلك أن المنصوب عامر المشورب، وهذا هو الأكثر أهمية بالموضوع، تم إخراجه من صياصيه (مخيَّمه وقصره) بالقوة، وأن الذي أخرجه هو الهجوم عليه، وبالذات من جهة الشرق، وهي مجموعة خليف الفالح ومن معهم، وكان بعضهم، ومنهم مقبل العياف ومخلف العيادة يطاردونه ويطلقون النار عليه حتى في أثناء هربه، وتلك المطاردة وإطلاق النار عليه يؤكدها، فضلاً عما تقدم قولاً ورواية، سليمان العودة، وكان شاهداً على أحداثها، حيث بعد أن يصف مشاهدته جثة خلف أخي عامر شخصياً، وأن من قتله هو خليف الفالح، كما مر بنا آنفاً، فيقول، إنه في الملاحقة والمطاردة: «... أما عامر فقد رُمي بطلقة ضربته بالعنقر وطلعت مع الموق، ولكنه ما مات ولـم يقع من تلك الطلقة... أنضرب هاللون، وراح يركض، وقمز عليه مخلف العيادة، وقال: اليوم يومنا

يا زميتان...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ١٣ من ٢٣، ج ١). وفي قول موازٍ إنه بعد مهاجمة المنصوب، قام وفر «العبد عامر... وراح يم جهة رجا... ولحقه خلف العياده، وركب فوق متونه، وصار ينادي: عامر يا طلابه... وإذا بجية شامخ، وهو يدخل بشامخ... وكان مقبل العياف يريد يذبحه، واحتمى (العبد عامر)، دونه شامخ...» (السلطان، عبد الهادي، في: الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ص ١٤ من ٢٣، ج ١). إذن المنصوب واصل فراره متجهاً شمالاً حتى قابل شامخ المفرج ودخل فيه، وقبل «شامخ المفرج» أن يدخله ويحميه. من هنا وبهذه القوة المهاجمة وفاعليتها تم تجريد المنصوب عامر المشورب من قوته وحمايته وحرسه، فكان في ذلك المكان والمشهد الذي أُعدم فيه، كما هي «الضحية» المجهزة للذبح، أو «المجرم» المعتقل الصادر بحقه قرار الإعدام، فتم إحضاره مقيَّداً إلى ساحة الإعدام، فما كان من السيّاف و/ أو منفذ الإعدام، عندما طُلب منه التنفيذ، إلا أن نفذ الأمر بالذبح و/ أو القتل. تبقى نقطة أخرى متعلقة بالأمر، هي مسألة افتراضية تساؤلية يمكن وضعها على النحو التالي: لو كُتب وقُدر لـ «مقبل العياف» أو لـ «مخلف العيادة» أن تمكن من «المنصوب ـ عامر» وقتله قبل أن يصل ويدخل في حماية «شامخ»، (علماً أنهما، وكما مر الإشارة إليه آنفا، كانا يلاحقانه ويطاردانه، بل أن مقبل العياف أطلق النار على المنصوب غرب القصر، وأصابته إصابة غير قاتلة، وهو في حالة الفرار) ـ، فماذا يُقال؛ هل يُقال أو ينسب القتل لهم؟ أم أنه أيضاً سيخطف أو يُجيَّر لصالح هذا أو ذاك؟ بالتأكيد، فإنه لو قتله أحد منهما، أو كلاهما، فسوف نقول، مع الفارق النسبي، إن من قتله هو العمل الجماعي الكلي لأهل الجوف، أما «السيّاف»، فسنقول، عنه، إنه المنفذ النهائي للقتل، أيّاً كان.

٤ ـ **الآن النقطة المهمة هنا للمناقشة، هي:** هل كان المقصود بالقيام على منصوب ابن شعلان، قتله بنفسه أم التعامل معه بطريقة أخرى؟ وهل القيام على المنصوب عامر، كان بالأصل يستهدف القضاء على حكم ابن شعلان بالجوف؟ الجواب يمكن معالجته ومناقشته على مستوى طرفين: على مستوى الطرف الأول هو خليف الفالح، والطرف الآخر هو رجا المويشير. بداية سبق وذكرنا وعددنا عوامل وأسباباً بين العامة والخاصة التي اجتمعت لتعبئة وشحن كثير من الزعامات وجماعات الجوف الفرعية للتحرك ضد المنصوب و/ أو حكم ابن شعلان.

أ ـ بالنسبة لـ «خليف الفالح»: كان الاتفاق بين خليف ورجا هو على القيام على منصوب الشعلان عامر المشورب من أجل قتل المنصوب نفسه ولم يرد فيه ما يتعرض لحكم الشعلان ذاته، ولهذا أميل إلى القول إن قيام خليف الفالح على المنصوب، لم يكن يستهدف حكم ابن شعلان في الجوف ككل، ولذلك كان متحوّطاً من الأمر، فكان أن حرص خليف الفالح على أن يكون الأمر واضحاً فسأل خليف «رجا»، وقت اجتماع الاتفاق بينهما في حوطة طارف الخلف الرشيد، عن الموقف من الرشيد؟ فقال رجا: «إن اللي يجي (يعتدي) على أي منا يعتدي علينا كلنا! وتعاهدا على ذلك» (السلطان، محمد، حديث وحوار (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٢ من ٩). عليه، كان قيام خليف الفالح إنما يستهدف قتل المنصوب نفسه، للأسباب العامة والخاصة التي ذكرناها، ومنها دون شك ما تعلق بسحب الخشب، وهذا عامل خاص وشخصي صحيح، وليس فيه ما يدعو إلى الاستغراب، إذ إن أي شخص آخر لو حدث له هذا الاعتداء

لن يكون موقفه من المنصوب إلا هذا الموقف الذي اتخذه خليف الفالح. طبعاً هذا التصرف لم يكن مدفوعاً فقط بالدافع الشخصي، وإنما كان هناك عامل عام متعلق بسوء تصرف المنصوب، ومنها قضية التجاوزات «غير الأخلاقية»؛ إن المراسلات والمطالبات التي، ذكرناها سابقاً ولا حاجة لتكرارها، قام بها خليف الفالح باتجاه ابن شعلان في هذا الموضوع (طلب عزل المنصوب) تبقى شاهداً على موقفه، وسابقة لسحب الخشب بفترة لا تقل عن السنة و/أو في حدودها. أما لماذا خليف الفالح لم يستهدف الحكم الكلي لابن شعلان بالجوف، فالأمر بسيط، سبق أن أشرنا إليه، وهو أن خليف الفالح (الفالح والدغيفق) من جهة، وراشد القايد (والراشد ـ شمال الشيل) هما الضامنان لحكم ابن شعلان (النوري تحديداً)، كما هو زبن القعيّد ضامنه في دومة الجندل، وتحديداً مع ابنه نواف الشعلان، حيث الأخير هو الحاكم الفعلي للجوف والذي يقف بشدة وراء استمرار عامر المشورب في الجوف، حاكماً بالنيابة. لذلك، وتذكيراً بالأمر فإن الأخير (زبن القعيّد)، وهو على علم بكلام عن تجاوزات المنصوب، رفض طلب أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، ومنهم خليف الفالح، عزل المنصوب عامر لأسباب شرحناها سابقاً، وليس منها ما يوحي بالضرورة إقراره بتجاوزات المنصوب عامر «غير الأخلاقية». أما بالنسبة لـ «خليف الفالح» فالخلاف كان مع نواف ومنصوبه عامر المشورب وليس مع الشيخ «نوري»، ولذلك كان الهدف الحقيقي عندما رفضت المطالب في الاتصالات والمراسلات، مع تداخل العوامل الأخرى، ومنها دون شك قضية «سحب الخشب» التي افتعلها رجا لأسباب سنأتي عليها، كان الاستهداف هو المنصوب عامر نفسه، وقتله، لفرض أمر واقع على الشعلان وحكمهم، وبالذات على نواف الشعلان. طبعاً، في المقابل، لا يعني أن تصرف رجا في القيام على المنصوب عامر كان محركاً بقضية التجاوزات «غير الأخلاقية»، وإن كانت ربما واحدة منها. كانت هناك عوامل أيضاً شخصية ذكرنا بعضها سابقاً، وهناك غايات وأهداف أخرى سنأتي عليها عندما نناقش الطرف الآخر (رجا المويشير). موقف خليف الفالح من حكم الشعلان بدأ يتحول إلى التخلص منه، ولصالح حكم قوة ثالثة صاعدة (قوة وحكم الملك عبد العزيز) في سياق توافق أهلي عليه (سنأتي عليه بالتفصيل لاحقاً)، عندما بدأت الأمور بالجوف تتغير إلى حالة من عدم الاستقرار، حيث وقعت الجوف في أتون حروب وصراعات مسلحة متواصلة كانت أطرافها من جهة الشعلان والرشيد، ومن جهة أخرى كان أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل، وإن كان الأمر في سكاكا أوضح) ليس فقط وقوداً وحطباً لها، بل فوق ذلك تفجرت بينهم حرب أهلية (حرب المعاقلة، أي حرب الراشد ـ المويشير ١٩٢٢م)، وكان الشعلان (سلطان) واستقطاب أهل الجوف حوله وضده أحد محركات تلك الحرب الأهلية. في هذه الحالة غير المستقرة والعنفية في الجوف، نميل إلى الاعتقاد، تحليلاً ولا نزعم بمعلومات قطعية ويقينية عن وفي الأمر، أن خليف الفالح، على ما يبدو، أدرك أن لا الرشيد ولا الشعلان، وكلاً منهما جزء رئيس من تكوّن تلك الحالة وتواصلها، أهلاً لحكم الجوف. هنا، في الغالب، كان تحوله ضد حكم الشعلان، فكان أن توافق مع آخرين من زعامات وجماعات أهل الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) لمصلحة قوة ثالثة صاعدة (حكم الملك عبد العزيز)، وخاصة أن هناك معلومات تطفو على السطح في الجوف عن مراسلات تجري منذ فترة بين عدد من أعيان الجوف مع الملك عبد العزيز، سنأتي عليها لاحقاً. بناء عليه كان خليف الفالح صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، وملتزماً بالاتفاق (أهدافاً وشروطاً) وأميناً عليه وعليها؛ فلم يلتف ولم يناور، وفوق هذا وذاك لم يغدر

بأحد بما فيهم خصومه، وهو الآن في ذمة ربه، كما هم الآخرون في عصره، والله وحده يعلم ما في النفوس مما تبديه وما تخفيه.

ب ـ بالنسبة لـ «رجا المويشير»: رغم أن الاتفاق بين رجا وخليف كان يقضي بقتل المنصوب ذاته، إلا أن مسارات ومآلات الأمور تقتضي إثارة عدة أسئلة، ومنها: بالنسبة لرجا هل القيام على المنصوب عامر، كان هدفه قتل المنصوب فعلياً، أم شيئاً آخر؟ وهل القيام على المنصوب يستهدف حكم ابن شعلان، أم ماذا؟ لكي نصل إلى إجابات دقيقة وموضوعية، نحتاج، أولاً، الرجوع للبدايات والبديهيات وتمظهرات ومسارات الهجوم على المنصوب وتوابعه، **فنلاحظ التالي**: عندما تم تحريض المنصوب عامر المشورب على أن الخشب المناسب لسقف المجالس الكبيرة لقصر الحكم هو عند «الفالح»، كان هذا بتحريض مباشر من رجا. أما لماذا التحريض، فهو بالتأكيد يعود إلى عدم قدرة «رجا» على تنفيذ مثل هذه المهمة لوحده، بما فيه جماعته المباشرون (رواشدة الحزوم)، وتحمل تكاليفها وأثمانها وأعبائها اللاحقة والمترتبة عليها، بدون مشاركة خليف الفالح والدغيفق، و/ أو راشد القايد وجماعته من الرواشد الشماليين، وهذه حقيقة يقر بها كل الرواة الذين قابلتهم، وخاصة أولئك المشهود لهم كمصادر ومراجع لتاريخ الجوف الشفوي، بل إن السواد الغالب من أهل الجوف يعترف بها، بما فيهم أناس من الراشد أنفسهم، كما أشرنا إلى بعضهم في ما تقدم مما ورد في روايات سليمان العودة (الواكد، عبد الله عايض زيد، في: الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٣ من ٣٩ من ج ٢)، **وإن كان** رأي الأخير (أي عبد الله عايض الزيد) قد يقلل البعض منه بسبب أن والده (عايض الزيد) كان، تاريخياً، خصماً ومنافساً لـ «صالح المويشير»، والأمر في الخصومة بين الرجلين، يحيلنا إلى أمر الصراع الأهلي بالجوف، وأن جزءاً أساسياً منه إنما هو يقع في «التنافس» داخل وبين بيوت الجماعة الفرعية الواحدة. على أية حال، بالنسبة لبعض الناس، والذين يمكن لهم أن يجادلوا بالعكس وقد يكون لهم رأي آخر مخالف لما نذهب إليه ونقول ونجادل به، عليهم أن يجيبوا عن السؤال التالي: لماذا لم يقم رجا لوحده على المنصوب عامر، أو مع جماعته المباشرين (رواشدة الحزوم)، من دون الفالح والدغيفق؟ طبعاً كما سبق أن بيَّنا سابقاً (سابقة «عطا الثاري» مثالاً)، فإن أي شخص، بغض النظر عمن يكون، يمكن له أن يترصد لـ «المنصوب» يوماً ما أو لحظة ما، ويحاول قتله، وقد يقتله، لكن العبرة، ليس بالقتل ذاته على ما فيه من مخاطر مباشرة، وإنما العبرة هي بالثمن والتكاليف والأعباء والتداعيات المترتبة على «القتل» وتحدي السلطة الحاكمة، ومن يتحملها؟ بالنسبة للتحالف مع راشد القايد، كبديل لـ «الفالح والدغيفق»، لم يكن ذلك على ما يبدو ممكناً، ذلك أن العلاقة ذات الطبيعة التنافسية والخصومة التقليدية، والتي ستتطور لاحقاً، كما رصدناه في مكان آخر من الدراسة، إلى واقعة حرب أهلية بين الطرفين في المعاقلة في عام ١٩٢٢م (انظر تفصيلات ذلك في الدراسة: وقائع الحرب الأهلية بالجوف: الحرب الأهلية ١٩٢٢م: حرب المعاقلة أو حرب الراشد ـ المويشير) بين رجا من جهة وبين راشد القايد من جهة أخرى، كانت عاملاً حاسماً في عدم وجود أرضية مشتركة للاتفاق بين قطبين متنافسين على نحو حاد، هذا فضلاً عن أن الضامن الأكثر فاعلية لحكم ابن شعلان للجوف، وفي سكاكا تحديداً، هو خليف الفالح (الفالح والدغيفق). لذلك ورغم المفارقات بين البدايات والمآلات في القيام على المنصوب، والتي سنأتي على

تفصيلاتها في ما يخص موقف راشد القايد منها، فإن راشد القايد، وهو شيخ الرواشد الشماليين، وكان وجماعته حليفاً للشعلان (النوري)، لم يتم إطلاعه، على ما يبدو، على اتفاق وعملية وخطة وليلة الهجوم على منصوب ابن شعلان. إذن الهدف من التحريض، كما هو شائع في عدد من الروايات المتداولة في الجوف وبالذات في سكاكا، والمعاقلة تحديداً، هو في ظاهره إغضاب للفالح (خليف الفالح ومحسن الفالح) وجماعتهم الدغيفق على منصوب ابن شعلان عامر المشورب، وبالتالي إيجاد سبب لإمكانية قيام تحالف بين خليف الفالح ورجا على القيام على المنصوب نفسه دون القتل، وإن تم قتل المنصوب، سيكون الغطاء موفراً بقدر من الحماية الجماعية المشتركة. السبب غير المعلن هو الوقيعة بين الفالح والشعلان، وخاصة أن الفالح ـ الدغيفق، كما هو راشد القايد ـ وجماعته من الرواشد الشماليين، هم الضامن الفعلي لحكم الشعلان في الجوف عموماً، وفي سكاكا على وجه التحديد. وبالتالي فإن نجح التحالف في القيام على المنصوب، فإن الهدف بالنسبة لرجا، هو ليس القتل، وإنما الإمساك به من طرف رجا، فالمساومة عليه مع ابن شعلان، وإلصاق التهمة بالفالح والدغيفق. هنا يكون الفالح والدغيفق هم الذين قاموا عليه، وفي المقابل يكون رجا هو الذي حماه وأنقذه(!) (المنديل، صالح العدوان (II)، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ٣)؛ كل ذلك من أجل أن يتحقق الهدف النهائي له، وهو حصوله على دور ومكانة بين زعامات كانت لها، آنذاك، مكانتها ونفوذها وصاحبة القول في المنطقة بالتوافق مع الحكم السائد آنذاك. في سكاكا كان الوضع (خريطة القوى الاجتماعية ونفوذها ومكانتها وعلاقاتها بالسلطة الحاكمة السائدة) في تلك الفترة على النحو التالي: ١ ـ **القرشة**: كانت في وضع يتسم بعدم التوافق والرضا مع ابن شعلان، على خلفية ما تعرضوا له من تصفيات وقتل وهجرة، وخاصة في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٥، هذا فضلاً عن انكشاف وفشل محاولتهم لقتل منصوب ابن شعلان (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)، أي قبل سنة من القتل الفعلي للمنصوب في عام ١٩١٨م. من هنا كان القرشة في حالة انكفاء على الذات، وليس في وارد التصرف والمواجهة ضد الشعلان، ولكنهم على مستوى جماعتهم الكبرى (القرشة)، والجماعات الفرعية (الضويحي والعلي، والدرعان)، كان لديهم زعامات لها شأنها في إطار ذاتها، ولكن ليس في إطار أن لها القول والتصرف مع الحكم والسلطة الحاكمة (النوري وابنه نواف، آنذاك)؛ ٢ ـ **الشلهوب**: كان فهاد المظهور في وضع تحالف، أيضاً، مع الشعلان، ولكنه لم يكن في وضع الضامن لحكم الشعلان؛ ٣ ـ **المعاقلة**: كان فيها طرفان بارزان آنذاك، وهما كل من خليف الفالح/ (الفالح ـ الدغيفق)، وراشد القايد/ (جماعته من الراشد ـ الشماليين)، وهما الضامنان لحكم الشعلان ولهما القول الفصل بالأمر في سكاكا في ما يتعلق بالعلاقة بالسلطة الحاكمة (وبالذات مع الشيخ النوري). رجا كان في هذه المعطيات في عام ١٩١٨م وما قبلها، لا زال يبحث عن دور ومكانة ونفوذ مع السلطة الحاكمة و/ أو بديل لها، إن أمكن، للتساوي والتوازي مع نفوذ الآخرين، بمن فيهم خليف الفالح وراشد القايد، في حده الأدنى، أو تجاوزهما في النفوذ والمكانة والحظوة مع السلطة الحاكمة (الشعلان) باعتباره البديل لهما. ليس الهدف كما يُقال ويشاع أن السبب الرئيس والوحيد وراء القيام على منصوب ابن شعلان، هو سوء سلوكيات وأخلاقيات المنصوب، وإنما الهدف والغايات تشمل الأمر، وتتجاوزه عند البعض إلى عوامل شخصية ونزعة للتنافس والنفوذ مع الآخرين. هذا الأمر واضح مع رجا، ويثبت الأمر التالي:

١ ـ أن العبد عامر المشورب فر وهرب قاصداً الجهة الشمالية نحو بيوت المويشير، وهذا يحتاج إلى مناقشة وتفصيل لاحق.

٢ ـ أن العبد عامر المشورب لم يخرجه من مخيَّمه إلا الهجوم على مخيمه، وبالذات من جهة الشرق، وهي مجموعة «خليف الفالح والدغيفق»، علماً أنه، أي خليف الفالح، كما مر بنا، هو من قتل «خلف» (شقيق عامر المشورب) حول أو في المخيَّم مباشرة. ولذلك اتجه «عامر المشورب»، هارباً فارّاً إلى الغرب قليلاً، ثم شمالاً، وباتجاه بيوت المويشير(!) وهذا يحتاج إلى مناقشة وتفصيل وتفسير سنأتي عليها لاحقاً.

٣ ـ طالما أن المنصوب فرَّ غرباً فشمالاً فيثور، هنا، تساؤل بديهي: أين مجموعة رجا؟ كان الاتفاق بين خليف الفالح ورجا المويشير يقضي أن تكون هناك مجموعتان للهجوم: مجموعة من الشرق، وهذه مجموعة خليف الفالح والدغيفق، ومجموعة من الغرب والشمال الغربي، وهذه مجموعة رجا والآخرين. إذن وطبقاً للاتفاق: ألم يكن رجا ومجموعته، من المفترض، أن يكونوا في غرب وشمال القصر؟ هل مجموعة رجا كانت بالفعل متواجدة في مكانها وفي وضع الهجوم؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فإنه، وإنهم لم يعترضوا طريق المنصوب(!)، ويبقى السؤال؛ لماذا لم يعترضوه؟ نعلم أن المنصوب، اتجه إلى الشمال باتجاه بيوت المويشير، لم يقابله أحد سوى شامخ المفرج، والذي لم يقتله عندما التقاه(!)، بل هو لم يعترضه أصلاً، وإنما عندما قدم عليه أدخله في حمايته (دخيله)، وفي مكان قرب «الشخير» و«طلعة بين الحشاش والعرف»، وهو مكان يبعد عن القصر/ المخيَّم إلى الشمال بما لا يقل ٧٠٠م، ويقع في الأطراف الجنوبية المباشرة والملاصقة تماماً لرواشدة الحزوم، وليس بعيداً من بيوت المويشير أنفسهم، وعلماً أن المنطقة (ما بين القصر ومكان الطلعة، حيث دخل المنصوب في حماية شامخ) التي قطعها وسلكها الهارب المنصوب هي منطقة مكشوفة تماماً، فكيف بمجموعة (مجموعة رجاء) يفترض أنها أصلاً متواجدة فيها مباشرة ولا ترصده أو تعترضه، أو تقتله (!)، وعلماً أن الهارب (المنصوب) كان يُلاحَق من بعض عناصر المجموعة المهاجمة من الشرق (مقبل العياف ومخلف العيادة)، وبالتالي هناك حركة وجلبة (أصوات وضجيج وأصوات طلقات رصاص) تصاحبها لا يمكن للعين أو للأذن أن تخطئها، فأين مجموعة رجاء من كل هذه الحركة والضجيج؟ الإجابة على هذا التساؤل يتبع في ما يلي من نقاط.

٤ ـ عندما وصل المنصوب إلى شامخ لم يقتله، بل إنه قبل طلب حمايته والدخول فيه، وهو ما تم فعلاً. كان شامخ على ما يبدو يتصرف في سياق ترتيب معين، وهذا الترتيب يقتضي بعدم القتل، إن أمسك به أحد من مجموعة رجا؛ المطلوب هو التحفظ عليه فالمساومة به مع الشعلان بحثاً عن دور ومكانة له (رجا) يقر بها الشعلان له. يثبت هذا التوجه والغاية، ما قال به شامخ نفسه رافضاً قتل المنصوب وموجهاً كلامه إلى رجا بالقول وبالحرف: «**ما هذا اللي قمنا عليه**» (السيف، ٢٠٠٢: ٩١)، وكان صادقاً مع نفسه ومع ما أُتفق عليه، وأورده وثبته السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه في «كتيِّبهم ـ ٢٠٠٢م»، وإن حاول وحاولوا، أن يخرجوه بطريقة تدعو للسخرية، فضلاً عن أنه يستخف بعقل وفهم شامخ المفرج نفسه! كان شامخ على ثقة واضحة من التفاهم مع رجا على أن القيام على المنصوب لا يستهدف قتله، علماً أن شامخ المفرج لم يتردد في قتل «المشهدي» المسؤول المالي للمنصوب، وهو أصلاً من العراق،

ويبدو أن اسمه «عطا المشهدي» (السلطان، ممدوح، مسودة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٥) عندما التقاه في مكان قريب من بيوت «ابن عياف» غرباً إلى القليل من موقعه حيث دخل فيه المنصوب نفسه، وهو ما يثبت أن «شامخ» كان متواجداً في تلك التخوم بعيداً إلى الشمال والشمال الغربي من مخيَّم المنصوب الذي هوجم فيه. وعن قتل «شامخ» للمشهدي يقول سليمان العودة الفلّاح التالي، علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح): «... المشهدي، وهو المسؤول المالي عند عامر... وقالوا ((المعاقلة)) إن زوجته عند الإبراهيم، ما حنا ذابحينه وهو عند الإبراهيم... يزعلون... ولكن يروح حمد الواكد،... وعايد الفلاح، وحمد الرضي، ويقولون له، وهو عند الإبراهيم: وصلكم ضيوف روح... ولكن... المشهدي، يبدو أنه عرف القصة... عامر كان لا يزال ينام في المخيَّم، خارج القصر... ولو أنه كان بالقصر ماهيوله ((أي ليس الأمر بالسهل))... قام المشهدي، ويلبس المحزم والمجند، وراح مع ديرة عبد المحسن المويشير ((حالياً))... وهو يرمي ((يطلق النار))... ويومنه ((لما)) مر من عند ديرة ابن عيَّاف... وافق شامخ المفرج، وهو يذبحه ((شامخ ذبح المشهدي))...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٣ من ٢٣، ج ١). في المقابل، وبالمقارنة، عندما وصل المنصوب ـ عامر المشورب لـ «شامخ» أو قابله، أو حتى لو قبلنا القول إنه أمسك به، فلم يقم شامخ بقتله، وإنما أدخله، ورفض أن يتعدى عليه أحد أياً كان، فلماذا لم يقتله بينما قتل المشهدي؟ الجواب هو في مقولة شامخ نفسه مخاطباً وموجهاً الكلام لـ «رجا» نفسه: «**ما هذا اللي قمنا عليه**». هذا القول لـ «شامخ» (ما هذا اللي قمنا عليه) وهو ما يعني التفاهم بين شامخ ورجا بعدم قتل المنصوب عامر المشورب نسب ترديده وقوله أيضاً إلى «جزاع»، ابن شامخ المفرج نفسه، والذي يوماً ما في مجلس (شبة وقهوة) حمدان عضيد العويقيل قبل عدة سنوات، وقبل صدور «كتاب السيف وأصحابه المويشير» وقبل وفاته هو نفسه وعدد من حضور المجلس، إذ رد به على «منصور النمر» وما دار من القول حول الموضوع، فقال جزاع: «لعنكم هذا ((من وقت لآخر)) قلتم دخيل شامخ، دخيل شامخ!! الصحيح، إن رجا اتفق مع أبوي (يقصد أبوه شامخ) على أنه في حالة القبض عليه، عليك يا شامخ إدخاله في المجالس وحبسه للتفاوض والمساومة عليه مع ابن شعلان. ولمزيد من التحقق، وإن كان خلافه لا يغير شيئاً من حقيقة الأمر، سألت حمدان العضيد في سياق حديث معه في: ٢ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م: ما بين الساعة ١٠:٣٠ ـ ١١:١٠ مساء في منزل ولده فالح حمدان العضيد، عن ذلك الحوار، ولكنه ورغم أنه لم يشأ أن ينسب له ما يؤكده، فإنه لم ينفه، وقال أبو فرحان، ويبدو أنه لا يريد أن يقع في حرج: «أنا والله تراني ما أسمع وش اللي يصير، سمعي ثقيل... لو تسأل منصور النمر يمكن يكون أكد مني» (العويقيل، حمدان عضيد، لقاء وحديث، في ٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١). على أية حال لم أتمكن من سؤال منصور النمر قبل وفاته، ولكن ممدوح السلطان قام بالمهمة وسأل خاله «منصور النمر» عن قول «جزاع» في ما يخص موقف والده «شامخ» من أن الاتفاق بين رجا وشامخ والآخرين من مجموعة رجا بعدم قتل المنصوب في حالة القبض عليه، فقال إن خاله، وكان مريضاً جداً وفي وضع «شبه غيبوبة»، بسبب فشل كبده، ردد أنه ما يقدر يتذكر هالقصص وهالسوالف، ولكن ممدوح السلطان يذهب إلى أن تلك القصة حدثت، ولكن «بعض الشيَّاب لا ينتبهون» (ممدوح السلطان، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١)، وإن تنبهوا قد لا يريدون أن ينسب لهم أي شيء. ولكن، وعلى أية حال فإن كلام شامخ نفسه «**ما هذا اللي قمنا عليه**»، والذي أورده السيف وأصحابه

المويشير (السيف، ٢٠٠٢: ٩١) **كان** واضحاً ومذكوراً في «الكتاب» أعلاه ولم ينكره المويشير أنفسهم، وكلما هنالك أنهم حاولوا، هم والسيف تغطية وتبديد الفكرة بالقول إن شامخ فهم خطأ المقصود**!** هذا التبرير والقول من السيف وأصحابه المويشير جاء بعد مرور أكثر من ١٠٠عام على الواقعة، وبعد أن أخذت الأمور اتجاهات أخرى، أبرزها انحسار سلطة الرشيد والشعلان، وفوقها توجه أهل الجوف نحو حكم الملك عبد العزيز، واعتقاداً من السيف وعصبته المويشير ممن استكتبوه، أنه وبعد مرور تلك المدة الطويلة من الزمن فليس هناك من رواة وأدلة، ومؤرخين يدحضون مزاعمهم ويبينون بالأدلة الدامغة مدى تحريفهم وتزييفهم للوقائع وحقائق تاريخ الجوف وتحولاته المتصلة تحت النقاش، وخاصة ما يتعلق بأحداث وتحولات ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م.

٥ ـ **رجا المويشير يزوج ابنته نعمة للنوري الشعلان**: إن قيام رجا على القيام على المنصوب وهدفه من ذلك، لم يكن بهدف قتل المنصوب، إلا أن يفعله الفالح والدغيفق فهذا أمر يصب في الاتجاه المطلوب، ويخدم الهدف. الهدف بالقيام على منصوب ابن شعلان (عامر ـ المشورب) هو الإمساك به، دون القتل، فالمساومة عليه مع ابن شعلان من أجل دور ومكانة لـ «رجا» مع سلطة وحكم الشعلان بالجوف، آنذاك، وأن الفالح الدغيفق هم من قاموا عليه و/ أو قتلوه (قبل الإمساك به في حالة قتلهم له). يؤكد هذا الأمر ما كان واضحاً من موقف رجا من حكم الشعلان لاحقاً. عندما تم ذبح «المنصوب عامر المشورب»، وكان هذا تطوراً غير مقصود لذاته من قبل رجا، قدم الشعلان وقواتهم بمن فيهم النوري الشعلان للجوف (إلى سكاكا ودومة الجندل)، وكان رجا (وأخوه/ حمد وأفراد أسرتهم)، قد اضطر إلى اللجوء إلى خصمه، ومنافسه راشد القايد لتقديم وتوفير الحماية لهم من انتقام الشعلان، وهو (أي راشد) ما فعل وقام بالواجب، علماً أن «رجا» لم يكن راغباً باللجوء عند راشد القايد؛ كان يرغب باللجوء عند القرشة/ الضويحي ـ عرفج. في هذه الأثناء وبينما كان رجا وأخوه لاجئين عند راشد القايد، والذي بالفعل أمّن لهما ولأسرتهم الحماية، وفي هذا الوقت أيضاً، وفي ترضية للنوري و/ أو تقرباً منه، على ما يبدو، وطبقاً لقول أحمد قضيب الراشد، فقد زوَّج رجاء بنته «نعمة» للنوري الشعلان، والذي سيطلقها بعد عشرة أيام» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش وحديث (I)، الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤). في رواية وقول آخر لـ «محمد السلطان الفلّاح»، إنه وبينما كان رجا لاجئاً عند راشد القايد ومحمياً وقتها منه، قام طايس البيالي، نيابة عن رجا وبطلب منه، بخطب «نعمة» بنت رجا للنوري الشعلان، والذي تزوجها ودخل عليها ليليتين أو لثلاثة، ثم طلقها (السلطان، محمد، لقاء وحديث وحوار (I)، في ١٦ ـ ١٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢: ٥ من ٩)، علماً أن نعمة هذه هي التي سيزوجها رجا لاحقاً لـ: «تركي السديري» في غضون مرور عشر سنوات من تزويجها الأول من النوري الشعلان، وهذه وتلك إنما هي زواجات سياسية. إذن قام رجا بتزويج النوري الشعلان ابنته نعمه، وكان عمرها لا يتجاوز العشر سنوات(**!**)، فإذا كان هدف رجا من القيام على المنصوب، هو القيام على حكم الشعلان نفسه، وليس المساومة معهم على مكانة ودور له في ظلهم، فيبقى سؤال مشروع هو: فلماذا إذن يزوج ابنته نعمة للشيخ النوري؟ يقول أحمد القضيب، كما مر بنا، إن التزويج إن لم يكن خوفاً فهو إنما طمعاً وتقرباً وترضية من النوري الشعلان وحكمه. يتوازى مع هذا القول ما يذهب إليه محمد سليمان الشاعل من الرأي بالقول

بأن القيام على المنصوب لم يكن يستهدف حكم الشعلان (الشاعل، محمد سليمان، لقاء وحديث (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٧)، وإلا لماذا تم التزويج!؟

٦ ـ **بناء على ما تقدم**؛ نخلص إلى القول إن الهدف من القيام على المنصوب، من جهة وغاية رجا، لم يكن يستهدف لا قتل المنصوب، ولا إنهاء حكم الشعلان ذاته. ما حدث هو أن الأمور تطورت في الموقف من الأمرين إلى خلاف غاياتها. جزء من السبب، هو أن القتل وقع. أما لماذا وقع القتل في نهاية المطاف، وكان رجا هو السيّاف، فقد شرحناه سابقاً، ولكنا نوجز ونكرر هنا القول بأن تنفيذ القتل بالمنصوب كان نتيجة وتطوراً محتوماً لتفاقم الأمر بين المهاجمين والذين تجمعوا حول المنصوب وشامخ، فكان قدوم خليف الفالح ورجا المويشير، ثم طلب خليف الفالح من رجا أن ينهي الأمر لأن المنصوب محمي من واحد من جماعته، وإلا تحول الأمر إلى فتنة وقتال بين المعاقلة أنفسهم. عندها كان لا بد من أن يُقتل المنصوب (المنديل، صالح عدوان (II)، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ٣)، وكان المنصوب عامر المشورب في وضع «الضحية الجاهز للذبح»، مُخرجاً، أصلاً، من مخيَّمه وقصره، ومجرّداً من قوته وسلاحه وحرسه، فضلاً عن دور لكل من «مشفي المقاود، وزيد الواكد، وفياض المفرج» بالإمساك بـ «شامخ» عن «عامر المشورب» وسحب الأخير منه، فكان أن قام السيّاف بتنفيذ المهمة وذبح الضحية المستسلمة، إذ لا حول ولا قوة لها. السبب الآخر، وخاصة في ما يتعلق بالتحول عن حكم الشعلان، أنه بعد تلك التطورات، وما أعقبها من ملابسات دخول الرشيد على الخط، بما فيه ما قيل عن تنسيق مع رجا، وفشل الرشيد في البقاء والصمود بالجوف لأسباب تتعلق بالأوضاع في حائل، وما حولها آنذاك، وعودة الشعلان مدعومة باصطفافات أغلب أهل الجوف حولهم، (في سكاكا ودومة الجندل؛ في سكاكا، أغلب أهل سكاكا اصطفوا مع قوة وحكم سلطان الشعلان، ومنهم راشد القايد وجماعته، وأغلب المعاقلة، باستثناء جماعات المعاقلة جنوب وغرب سيل الغديّر «المعروف حالياً بسيل الهذيل»، ومنهم الدغيفق، والمويشير والرواشدة ـ الجنوبيون، والطالب والهذيل، والحمير، والبيالية، والإبراهيم)، واندلاع صراع وحرب أهلية (حرب المعاقلة ـ أو حرب الراشد ـ المويشير)، كل هذه الأسباب تزامنت مع بروز قوة ثالثة موازية ومتعاظمة، مع بروز اتجاهات وبوادر من أفراد من أهالي الجوف، وغيرهم للتواصل والتراسل مع الملك عبد العزيز، وضعف مواز كبير واضح في قوة الرشيد، أدى إلى أن يقوم رجا بحسم خياراته باتجاه التوافق مع زعامات أهل الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) للتوجه للقوة الثالثة (الملك عبد العزيز). إذن ليس الأمر صحيحاً، كما يزعم به السيف وعصبته من المويشير، بالقول إن هدف رجا، من جهته، في القيام على المنصوب، هو قتل المنصوب عامر المشورب وإنهاء حكم الشعلان، وكذلك زعمهم أنه، من جهته، عندما قام اتجه للرشيد للموازنة مع الشعلان فقط، ولكن عينه كانت على الملك عبد العزيز (!!!). كان رجا يبحث عن دور ومكانة في ظل حكم الشعلان، لكنه لم يتحقق، فذهب للرشيد لنفس الغاية، لكنهم لم يصمدوا وانسحبوا في صيف ١٩٢١م ليعود الشعلان مرة أخرى. في هذه الأجواء، وفي ظل أواخر حكم الرشيد للجوف كانت هناك مراسلات متعددة من بعض الأهالي، وغيرهم من خارجهم وهم بالجوف، سنأتي عليها بالتفصيل لاحقاً، مع القوة الثالثة (الملك عبد العزيز) تدعوه لحكم الجوف، وكانت هذه المراسلات سابقة للوفد الذي توافقت عليه زعامات أهل الجوف في صيف وأواخر عام

١٩٢١م؛ عندها كان الحسم من رجا ضد حكم الشعلان، وخارج حكم الرشيد، باتجاه القوة الثالثة في سياق توافق أهلي لزعامات الجوف، وكان هو واحداً منهم.

٣ ـ في أدوار أهالي الجوف الآخرين بالقيام على المنصوب وحكم الشعلان

إضافة على ما تقدم من أدوار لزعامات ورجال أهل الجوف وجماعاتهم في القيام على منصوب ابن شعلان وتوابعه على حكم ابن شعلان نفسه بالجوف، بما في ذلك ما تعلق بأدوار كل من خليف الفالح ومجموعته، ورجا المويشير ومجموعته وبغض النظر عن الغايات والنوايا الحقيقية لكل منهما، فضلاً عن مشاركة رجال آخرين أشرنا لهم سريعاً، فإن هناك رجالاً وزعامات وجماعات آخرين، لعبوا وساهموا في إنجاح تلك المهمة. كانت مساهمة البعض من هؤلاء في التهيئة والإعداد قبل الهجوم وفي سياق الترتيب له، وللبعض الآخر مباشرة في عملية الهجوم، وكانت مساهمة الآخرين غير مباشرة، ولكنها كانت، في الحالين، مساهمة حاسمة في إتمام العملية، بل إن بعضهم تحمل أعباء تداعياتها، ليس فقط المباشرة منها، وإنما فوقها توابعها اللاحقة وأعباءها. بدون تلك المواقف والمساهمات وتحمل أثمانها، لم يكن بالإمكان الحد من عواقبها المباشرة، ولا من التخلص في النهاية من حكم الشعلان. القضية كما كررنا عدة مرات، لا يقتصر الأمر فيها على أن «تقتل» شخصاً (منصوباً بذاته)، وهو ما يمكن أن يقوم به أي شخص، وإنما العبرة في تحمل تداعياته، وخاصة أن الشخص المستهدف، ليس شخصاً عادياً، وإنما يمثل سلطة وحكم قوة ما (الشعلان) على الأرض (الجوف)، وبالتالي تعدياً وتحدياً لها، وخاصة على ضوء نتائجها وتداعياتها.

أ ـ في سكاكا

(١) رجال المجموعة الثالثة (المجموعة الرقم (ت)): قبل أن نبدأ بالرجال والزعامات والجماعات، التي كانت أدوارها ومساهمتها مترتبة على عملية القيام على المنصوب، وتالية لها مباشرة أو في فترة متأخرة، مما حصن ضد تداعياتها المباشرة من خلال تقديم العون، و/أو الحماية لبعض المساهمين فيها، وإنقاذهم من الانتقام قتلا، وإعداما من القوة الحاكمة (الشعلان)، نكمل تبيان المساهمات المباشرة لبعض الرجال،و جماعاتهم، والتي تم حصرها للتميَز في المجموعة الثالثة (أي: المجموعة الرقم (ج) أعلاه) في القيام على المنصوب، سواء بالترتيب والتمهيد له، وبالتنفيذ له، أو في متابعاته التالية مباشرة. تشمل هذه المجموعة، على الرجال وأدوارهم على النحو التالي:

(أ) مهنا الساير ومخلف العيادة (السليمان ـ آل معيقل): مر بنا سابقاً، كيف أن مهنا الساير، وهو من جماعة السليمان، وهم أبناء عم الدغيفق والكبيدان ـ آل معيقل، لعب دوراً مهماً في أن يكون الرسول الأمين بين خليف الفالح ورجا المويشير، وكان شاهداً على الاتفاق بين الرجلين. ما تسرب من قصص وروايات عن الاتفاق بين خليف الفالح ورجا المويشير، وشروط الاتفاق، كان مصدرها في واقع الأمر هو «مهنا الساير». ألم يكن بإمكان مهنا الساير أن يفشي سر الاتفاق؟ ولو فعل ما الذي سيكون قد حدث؟ هل يمكن أن يكتب النجاح لخطة الهجوم؟ بل ماذا سيكون مصير كل من خليف الفالح ورجا المويشير؟ ولو عرف المنصوب عن الاتفاق والخطة وعن دور لـ «مهنا الساير» من شخص آخر، وأن الأخير لم يخبره،

فماذا سيكون مصيره؟ من هنا نرى أن دور «مهنا الساير»، لا يقل خطورة، إن لم يتجاوز أدوار من شارك مباشرة بالهجوم على المنصوب. بالنسبة لـ: «مخلف العيادة»، مر بنا قبل قليل، أنه، ليس فقط مشاركاً مباشرة في الهجوم، بل كان هو ومقبل العياف (الدغيفق) ملاحقاً ومطاردا لـ «المنصوب عامر المشورب» وهو هارب، شمالاً، باتجاه بيوت المويشير، وكادا أن يقتلاه لولا تدخل «شامخ المفرج» بتقديم الحماية للمنصوب، كما تقدمت الإشارة إليه. فوق هذا وذاك، ماذا لو تمكن مخلف العيادة، كما هو مقبل العياف، من المنصوب، ثم قتله قبل وصول الأخير لـ «شامخ»؟ ماذا يُقال عن القاتل والقتيل، ومن قتل من، ولمن يُجيَّر القتل؟ هل يُجيّر القتل لهذا «الرجل» أو لذاك، أم لأهالي الجوف ككل؟

(ب) **من (الكبيدان ـ آل معيقل)**: عايد محمد الفلاح، وبنية الزايد، خلف الرضي. ومن (الجحيش): عوض الجريان وسالم الجريان، وزويمل الهادي. من (الكريّع)؛ معارك الكريّع، وأحمد الزميليك(؟) وهذا الأخير ورد ذكره في مصدر واحد (السلطان، ممدوح، مسوّدة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٦ من ٥٤). هؤلاء، ومن سنأتي على ذكرهم لاحقاً، كلهم شاركوا بشكل أو آخر في عملية وخطة الهجوم، وكان بعضهم يقوم بعملية الرصد والمراقبة والملاحقة، وبعضهم انقسم ما بين مجموعتي الهجوم من الشرق والغرب، وقُسموا بين مجموعة العدوة، وما بين مجموعة الهجوم، طبقاً لأقوال ممدوح السلطان (ممدوح السلطان، مسودة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٦ من ٥٤).

(ج) **من (العبد)**: خاتم وعطا الهيشان: كان لعطا الهيشان من العبد دور إضافي على مشاركته المباشرة في الهجوم على المنصوب تمثل بأن يقوم بمهمة «الرسول» في الذهاب، ليلاً بعد القتل مباشرة، إلى العلي ـ القرشة، وشيخهم «مسعر البليهد» والطلب منهم العون والدخول مع الذين قاموا على المنصوب، ولكن طبقاً لرواية عافت مناع الزيد ونقلاً عن شاكر الزيد، والتي سنأتي عليها بالتفصيل (انظر موقف العلي ـ مسعر البليهد، أدناه) فإن مسعر البليهد رفض الطلب والمشاركة (الزيد، عافت مناع (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٣ ـ ٤ من ١٣)، لأسباب سنأتي على مناقشتها وتفسيرها ومحاولة فهمها لاحقاً.

(د) **ومن (الهذيل)**: طايف الهذيل. **ومن (النصير)**: صحن خلف المحمد البنية، وكريَم الحنظل(!)، وهذا الأخير لم يرد ذكره إلا في مصدر واحد (السلطان، ممدوح، مسودّة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٦ من ٥٤). ونود أن نشير إلى أن صحن خلف المحمد البنية النصيري، كما هو طايف الهذيل، من الرجال الشجعان، وكانوا دائماً من المتقدمين في كل تلك الحروب والصراعات في الفترة ما بين ١٩٠٩ ـ ١٩٢٢م، وأنهما كانا من المشاركين، كغيرهم ممن سنذكر لاحقاً، في حرب الشعلان ـ الرشيد ١٩١٩م، وحرب الغطغط/ الغطيغط في النصف الأول من ١٩٢٠م تقريباً، وكذلك في حرب الراشد ـ المويشير ـ ١٩٢٢م)، وكل تلك الحروب والصراعات التي شاركوا فيها، كانت من تداعيات وتوابع ونتائج عملية القيام على المنصوب عامر (١٩١٨م).

(هـ) **ومن (الابراهيم)**: سلمان الشاهر، وعوض المعيَقل، وكانوا فضلاً عن مشاركتهم بليلة الهجوم على منصوب الشعلان عامر، فإن سلمان الشاهر، كما هو نزال البيالي، كان لهم مشاركات والتباسات في المعركة التي قتل فيها فهاد المظهور/ الشلهوب، وكانت متصادفة ومتزامنة بحرب المعاقلة/ المعاقلة، أو حرب الراشد ـ المويشير من الجنوب. وهذه الحرب وتوابعها في رمضان ١٩٢٢م، في أحداث وصراعات

وحرب أهلية اصطفافية، كانت هي من ضمن تداعيات وارتدادات القيام على منصوب الشعلان (كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م)، ومن ردود الفعل والمواقف تجاه حكم الشعلان في مرحلته الأخيرة (سلطان الشعلان ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م). (انظر تفصيلات ذلك في جزء الدراسة المتعلق بوقائع الحرب الأهلية حرب ـ المعاقلة وصراع الراشد ـ المويشير؛ شعبان ـ شوال ١٣٤٠هـ الموافق نيسان/ أبريل ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٢م). ونشير كذلك إلى أن «الإبراهيم» كانوا أصهاراً لواحد من «المَشاهدة، وقيل إنه يدعى محمود المشهدي، وكان هذا الأخير يعمل كاتباً ومستشاراً عند المنصوب عامر المشورب، وقد قتل في ليلة الهجوم في مكان قريب من دور يوسف محمد العياف حالياً (صالح العدوان المنديل (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٥ من ٩). وفي رواية أخرى، فإن المشهدي، صهر الإبراهيم، والذي قُتل في ليلة الهجوم على منصوب الشعلان عامر المشورب هو عطا المشهدي وطبقاً لأقوال ممدوح السلطان (السلطان، ممدوح، مسوّدة كتاب، ٢٠٠٦: ٣٥)، على أن الباحث يرجح أنه محمود المشهدي.

(و) **ومن (الطالب) كل من**: حمود الحمد الرشيد، طارف الخلف الرشيد، ضاري المرشد، ربيع المحمود الرشيد، عوض الحميدي (مدالله حماد الرشيد الطالب، اتصال هاتفي (جوال)، في ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧، الساعة: ١٠:٣٠ صباحاً).. دور رجال «الطالب» كان بارزاً في العملية، وفي القيام بمهمام هامة مباشرة بعد قتل المنصوب، وخاصة في ما يتعلق بأنهم من تكفلوا بتقديم الحماية والحراسة على وحول قصر الحكم، والتحفظ على السلاح المخزن في القصر لحين البت فيه. نهاية السلاح في ما يتعلق بمحطته الأخيرة، كانت له تداعيات حربية، وقصتها، أشرنا إليها، بالتفصيل، في جزء آخر من الدراسة (انظر تفصيلات القصة في قسم وقائع الحرب الأهلية بالجوف، وخاصة، في واقعة: «حرب المعاقلة ـ أو ما عرف بحرب الراشد ـ المويشير ١٩٢٢م). في التوابع، كان لهؤلاء من «الطالب» أدوار في الحرب الأخيرة (أي في حرب الراشد ـ المويشير)، كما هي أدوار لآخرين من الجماعات الفرعية من المعاقلة في جنوب، وغرب سيل الغديّر (سيل الهذيل حالياً)؛ لقد تحملوا أعباءها وتكاليفها، مع آخرين من البيالية، والهذيل، والعبد، والورادا، فضلاً عن الدغيفق، فكانت أدوارهم حاسمة في تفاعلات وتحمل أعباء وأثمان تلك الحرب، علماً أن هذه الحرب (حرب الراشد ـ المويشير)، وإن وقعت بعد سنتين تقريباً من واقعة القيام على منصوب ابن شعلان، كانت واحدة من تداعيات القيام على منصوب الشعلان، ومن ثم المواقف النهائية من حكم الشعلان والتخلص منه. طارف الخلف الرشيد الطالب، في توابع القيام على منصوب ابن شعلان وقتله، كاد أن يقتل فهد الهذيل، عندما قام الأخير، بالذهاب إلى رجا، ليبلغه رسالة يحثها فيها للتواصل مع الشعلان فحواها: «... يقول الأمير... سلم... لا تخصره... قال رجا: عويذا الله من شرك»، فلما سمعه طارف الخلف الرشيد، قال له: « انقلع، والله لأحطها بكبدك... وش دخلك...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ من ٣٩، ج ٢). إن الطالب، قديماً، كما هو حديثاً مشهود لهم بمواقف شجاعة وتضامن مع الآخرين، ولكن السيف ومن استكتبه، قد أغفلوا ولم يبرزوا أدوارهم الحديثة، وفي القيام على المنصوب، كما سبق في مواقع وأزمنة أخرى، أن أهملوا دور جماعة الطالب، وخاصة ما يتعلق بنجدة ونصرة «آل طالب»، وهم كانوا، آنذاك، لا يزالون في قارا قبل ارتحالهم إلى سكاكا، لـ «جمعان الراشد» وعلى وقته، وقت حصاره في بيته، في

الوقت الذي تخلف فيه بعض من جماعات أخرى في المحيط، عن نصرته، وطبقاً لأقوال منسوبة لبعض الراشد أنفسهم، ومنهم «الشريم» و/ أو ما سمع عنهم، وعن «مسباح مشفي المقاود» (الطالب، فهد حمود الطالب ومفرح سالم بخيت الطالب ومدالله حماد الطالب، لقاء ونقاش، في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ٥، والطالب، مدالله حماد الرشيد، اتصال جوال، في ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧، الساعة: ١٠:٣٠ صباحاً).

(ز) **مجموعة الحراسة على مخيَّم المنصوب**: نزال البيالي وآخرين من الشلهوب: سعد وفهيد المنديل، وتركي وحمد وغشام المظهور. ومن الحميد؛ سالم الحميد. كان دور نزال البيالي، كما هو بالتعاضد مع آخرين من الشلهوب، حاسماً في إنجاح عملية الهجوم، من حيث التنسيق بفتح أبواب المخيَّم، وتسليم مفاتيح القصر لاحقاً، حيث كان فيها السلاح. لو لم يقم هؤلاء، وبالذات نزال البيالي، بالتعاون مع المهاجمين بفتح المخيَّم لكان احتمال فشل العملية محققاً، مع ما قد يتعرض ويتعرضون له من عقاب قد يصل إلى حد الشنق، فضلاً عن أن نزال البيالي، ومن معه، استطاع كتمان الخبر، ولو قدم المعلومات للمنصوب لفشلت المهمة ولحصل على مكانة عالية عند المنصوب والشعلان. عندما تصرف نزال البيالي ومن معه على هذا النحو لم يتصرفوا على أنهم رجال لـ «خليف الفالح»، أو رجال «رجا المويشير»، وإنما تصرفوا على أنهم رجال من الجوف يمثلون أنفسهم وجماعاتهم الفرعية، وجزء من الجماعة العامة لأهل الجوف الثائرة على المنصوب. في هذا السياق نرى أن عدداً من البيالية، ومنهم: نزال البيالي، وخاتم البيالي، ومران البيالي، ومفضي البيالي، وطايس البيالي، كانت لهم أدوار متصلة أو لاحقة بتداعيات الهجوم وحكم الشعلان لاحقاً. فمثلاً، وفي ثنايا التفاعلات المباشرة لما بعد القيام على المنصوب، قام مران البيالي، وبرغبة من رجا بتولي مهام مشيخة رجا نفسه للتخلص من أعبائها، بعد أن اتجه رجا وأخوه وأسرتهم للجوء عند راشد القايد. عن ذلك يقول سليمان العودة، إنه وقبيل توجه رجا وأخوه إلى راشد القايد، يوم طالب النوري بتسليمهم، فإن: «... رجا وكل مران البيالي، قال ترى الشيخة لـ: «مران البيالي»... رجا يريد يسلم منها...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٥ من ٣٩، ج ٣). وأما في ما يتعلق بـ: «طايس البيالي»، فقد مر بنا أن رجا، وكان لاجئاً عند راشد القايد، طلب منه ووكله، أن يخطب، ابنته «نعمه» للنوري الشعلان، وهو ما فعل حيث تزوجها الأخير ودخل عليها، واستمر الزواج ما بين ثلاثة أو عشرة أيام طبقاً لاختلاف الروايات حول الموضوع، كما أسلفنا، في الإشارة إليها. أخيراً، ورغم بعض تصرفات ملتبسة، للبعض من الرجال الذين سنأتي على ذكرهم، وآخرين في وقائع أخرى سبق أن أشرنا إليها في حينها، فإنه في ما يتعلق بكل من خاتم البيالي ومفضي البيالي، فكان لهما، مع آخرين من البيالية، والطالب، والهذيل، والعبد، والورادا، فضلاً عن الدغيفق، أدوار حاسمة في تفاعلات وتحمل أعباء وأثمان حرب المعاقلة، أو ما عرف بـ: «حرب الراشد ـ المويشير» (انظر تفصيلاتها في قسم الدراسة: وقائع الحرب الأهلية بالجوف)، علماً أن هذه الحرب (حرب الراشد ـ المويشير)، وإن وقعت بعد سنتين تقريباً من واقعة القيام على منصوب ابن شعلان، كانت واحدة من تداعيات القيام على منصوب الشعلان، ومن ثم المواقف النهائية من حكم الشعلان والتخلص منه. ولولا قيام هذه المجموعات الفرعية في الدفاع والحماية وتشكيل جبهة وطرف مقابل جبهة وطرف آخر، في سياق وقيام وتطور حرب ـ المعاقلة، أو ما عرف بـ «حرب الراشد ـ المويشير

(١٩٢٢م)، لكان «رجا» غير قادر على حماية نفسه، ولأصبح لقمة سائغة لسلطان الشعلان، وقواته المتحالفة آنذاك مع المعاقلة شمال سيل الغديّر (الهذيل حالياً)، بمن فيهم راشد القايد وجماعته، ولكان مصير رجا الإعدام والشنق، وإن كان راشد القايد قد لا يقبل هذا المصير، إذ سبق له أن أنقذ رجا مباشرة بعد القيام على المنصوب، كما سنفصل فيه، وفي دور راشد القايد، بعد قليل.

(٢) القرشة (العلي والضويحي) المواقف والأدوار: رغم أن القرشة، وبالذات العلي والضويحي، لم يشاركوا مباشرة في القيام على المنصوب، وهذا الموقف له أسباب وعوامل سنأتي عليها بعد عرض طبيعة المواقف ذاتها، فإنهم لعبوا أدواراً غير قليلة الشأن، أقل ما يُقال عنها إنها وفرت: إما قدراً من الدعم والمساندة لاحقاً، أو قدراً من عدم التدخل، بما وفر حالة من الحياد الإيجابي لصالح القائمين على عملية القيام على منصوب ابن شعلان «عامر المشورب» وقتله، وساعد على عدم خلط الأوراق بما يفشل عملية ما تم من قيام على منصوب ابن شعلان، ويخلط أوراق التحالفات ويقلب الأوضاع رأساً على عقب. سوف يكون هذا واضحاً في الأيام والتطورات التي أعقبت القيام على المنصوب، ولكن الآن المطلوب هو عرض الأدوار والمواقف.

(أ) العلي ـ (مسعر البليهد): رفض التوريط والمشاركة اللاحقة: عندما تم «قتل» منصوب ابن شعلان، كان خليف الفالح، وجماعته الدغيفق، وهم الضامن الأساسي لحكم الشعلان، وبالذات مع النوري، قد بيَّنوا وأراحوا وحموا أنفسهم من تبعات الحدث؛ حيث إنه سبق وطالب خليف الفالح، وراسل النوري في موضوع عزل المنصوب، بل وفد عليه بنفسه لنفس الغاية في الأضارع ودومة الجندل، فضلاً عن أنه حصن نفسه وجماعته الدغيفق ومن معهم بنقض «العهد علناً»، برفع الحماية عنه، بما يعني أن المنصوب بذاته مستهدف لا غيره، فضلاً عن شرعية قيامهم عليه لما تعرضوا له من تعديات على أملاكهم، وفضلاً عن أن خليف الفالح وباشتراطه عدم مشاركة أي فرد من عائلات أهل الجوف يكون لهم أحد مع غزو وقوات الشعلان، كان حريصاً على حماية أهل الجوف وعدم تعرضهم للأذى أو القتل. في المقابل، كانت كل المؤشرات تدل على أن رجا اضطر «للقتل»، كما أسلفنا توضيحاً، خلافاً لما كان يريده بالأصل وهو الإمساك بـ «المنصوب» دون القتل للمساومة عليه مع الشعلان تقرّباً، وهو ما يعني الإيقاع بالفالح بتهمة القيام على المنصوب و/ أو بفعل وجرم «القتل»، إنهم فعلاً قتلوه قبل الإمساك به. وحيث تطور الأمر إلى القتل، بالتوصيف الذي قدمناه، عندها، وعندها أفاق «رجا» على تداعيات الأمر، وهول ما هو قادم، وكان يعلم حدود قوته وحاله، والتي وصفها واحد من الضمارا من أهل حي المطر، ببيت من الشعر يقول: «ذباح عامر ما ينام ـ وإن نام ما نومه هني» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٥ من ٢٣، ج ١)، فكان أن بدأ يبحث عن من يشاركه ويقاسمه دفع غضب الشعلان، من خارج الفالح والدغيفق، وراشد القايد وجماعته (الراشد الشماليين). لم يكن يريد أن يتجه إلى راشد القايد وجماعته (الراشد ـ شمالاً) لطلب الحماية، لأسباب سنأتي عليها في مناقشة موقف ودور راشد القايد بعد الانتهاء من مناقشة دور القرشة جميعاً، علماً أنه في النهاية لم يجد بداً من اللجوء إلى خصمه ومنافسه راشد القايد، ورغم ما تبدى منه له بقدر من التقليل والإهانة، كما سنرى. من هنا كان، في بحثه عن الحماية والتوريط، أن اتجه رجا، أولاً، للقرشة؛ اتجه للعلي ومسعر البليهد، واتجه،

ثانياً، للضويحي ـ عرفج الجابر. حيث الأمر كذلك، وفي ما يتعلق، بموقف العلي ومسعر البليهد، نشير إلى القصة التالية والتي يرويها عافت مناع الزيد، نقلاً عن شاكر الزيد، حيث يذكر له شاكر الزيد القصة والرواية بالقول مُلخصة على الجملة؛ أنه هو (أي شاكر الزيد) وكل من عياش الزيد، ومناطح الضامن، وفي ليلة ذبحة المنصوب سمعوا إطلاق النار، ولما خرجوا لاحقاً لاكتشاف الأمر والأخبار، سمعوا مشي أحد الأشخاص في الليل متجهاً شرقاً (تجاه بيوت البليهد)، فصاحوا على الرجل؛ من أنت؟ فرد عليهم، وقال: أنا عطا الهيشان رايح يم (إلى) مسعر البليهد أخبره أن «العبد عامر ذبح (قُتل)، وأن الجماعة اللي ذبحوه أرسلوني لمسعر البليهد، لأخبره، وأقول له أنه شريك مع الجماعة، وبالقسمة للغنائم والسلاح اللي بالقصر»، فلما سمعوا ذلك ذهبوا معه، وبالفعل طرقوا الباب مطوَّلاً، وعندما ظهر عليهم «مسعر البليهد»، أخبره عطا الهيشان بالخبر وبالطلب، ولكن مسعر البليهد رد، وقال: «يوم رجا وسخ يديه يريدنا نظفها له»(!) (الزيد، عافت مناع (II)، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢: ٣ ـ ٤ من ١٣). وفي رواية أخرى، رد مسعر البليهد على عطا الهيشان بالقول مخاطباً الحضور من القرشة: «يالأخرشة (يالقرشة) رجا يوم أنه «بال» على ثوبه يريدكم تحمونه» (السلطان، محمد (I)، في ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢: ٧ من ٩). ومع ذلك فإن كان هذا موقف العلي ومسعر البليهد، فهو موقف يحتاج إلى مناقشة وتفسير، ولكن بعد أن نأتي على استعراض موقف الضويحي وعرفج الجابر، لتكتمل الصورة عن الموقف العام للقرشة والذي تؤكده كل الروايات السابقة والتالية، وهو ما يتبع مباشرة.

(ب) الضويحي (عرفج الجابر): نصيحة، ووعد «بدعم مسلح» ورفض لإعدام رجا في الوقت الذي رفض فيه مسعر البليهد المساهمة في التورط في أمر كان، بالنسبة له، قد تم وانتهى دون الاستشارة والتفاهم مسبقاً، كان موقف عرفج أكثر تقدماً من موقف مسعر البليهد. مع قرب تقدم قوات الشعلان للجوف، بعد فترة قصيرة من قتل المنصوب، ومع عدم تجاوب مسعر البليهد في المشاركة اللاحقة للحدث، كان أن وجد رجا نفسه في موقع لا بد أن يبحث له من حماية شخصية له ولأخيه وأسرتهم، فكان أن توجه إلى الضويحي والسهيان برسول قيل إنه «عطا الشايع»، وتوجه بشكل أكثر تحديداً إلى «عرفج الجابر/ الضويحي» برسول قيل إنه «عشقة» زوجة أخيه «حمد» طالباً الانتقال عندهم وتوفير الحماية له منهم. كان الرد من الضويحي (السهيان وعرفج) شبه متطابق بالقول إنهم، وإن كانوا يرحبون بهم، إلا أنهم ينصحونه وأخاه حمد بالانتقال إلى قرابتهم «راشد القايد» وجماعته/ الراشد شمالاً (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٦٠؛ الراشد، أحمد القضيب (I)، في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ من ٤، والراشد، أحمد القضيب (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ٦). وفي تفصيل ورواية أدق، ومن شاهد عيان، بل هو رسول عرفج في نقل الرد إلى رجا، نورد رواية سليمان الشاعل، كما سمعها ونقلها عنه مباشرة ولده محمد (أبو يزيد). يقول محمد سليمان الشاعل، نقلاً عن والده، مُلخصاً على الجملة، ما يلي: أنه بعد ذبحه «العبد عامر»، وقبيل وصول الشعلان من أجل الانتقام لمقتل منصوبهم، فإن رجا، أرسل للقرشة، ومنهم عرفج، يطلب المجيء عندهم خوفاً من الشعلان، فرد عرفج؛ أنه ينصح رجا بأن يذهب أولاً عند أقاربه (راشد القايد). وقال محمد سليمان الشاعل، إنه وقبيل وصول الشعلان بقليل، قام عرفج، وأرسل والدي (سليمان الشاعل) رسولاً منه إلى رجا، وذكر أبو يزيد، أن السبب وراء إرسال والده

سليمان الشاعل، هو أنه كان آنذاك صغيراً، وأن خواله المعاقلة. وقال إن عرفج، طلب من والده (سليمان الشاعل) الذهاب إلى رجا، وإبلاغه أنه في حالة وقوع ضيم عليه (شدة وخوف) فإن لدينا (عرفج) ٤٠ ـ ٦٠ مسلحاً للدفاع عنه أو المساعدة في الدفاع عنه. ويقول أبو يزيد، وهذا الكلام أنقله الآن عن والدي (سليمان الشاعل)، والذي يكمل القصة: إنني بعد أن وصلت إلى بيت رجا، دخلت وسلمت على من في القهوة (المجلس)، وكان بها بعض الرجال، وكان هناك شخص يقهوي الموجودين. قدموا لي التمر والقهوة، ولكني كنت لا اعرف رجا، وكنت متردداً بالكلام ومتحرجاً. بعد أن خرج المقهوي إلى الخارج، استغليت الفرصة ولحقت به لعلي أسأله عن رجا فيعرفني به، وعندما لحقت بالرجل سألته: أريد أقابل رجا، قال الرجل: أنا رجا، قلت له: إنني مرسل لك من عرفج، يسلم عليك ويقول: «إن لحقك ضيم فإن عندنا ستين مسلح يساعدون إن احتجتهم...»، فقال رجا لي: طيب، أنا أريدك تدخل من جديد (على المجلس)، وتقول (أي تعيد) الكلام اللي قلته لي أمام الجالسين. ويضيف سليمان الشاعل، وبالفعل دخلت المجلس من جديد وسألت الجالسين: وين رجا؟، فعرَّف رجا بنفسه، وقال وش عندك؟ فقلت ما أوصاني به عرفج، وأعدت الكلام أمام الجالسين. ويضيف أبو موسى (سليمان الشاعل)، أن رجا، وبعد أن سمع الكلام ورد عرفج كما نقلته، قام وقال للحضور، وأمامي: «شوفوا يا معاقلة وش الضويحي يقولون؛ عندهم سلاح ومسلحين، هذولاء «عدواني» (!) اسمعوا كلامهم «قايمين معي»، ثم قال، موجهاً الكلام لي: «والنعم بالضويحي»، سلم لي على «عرفج وقل له: «إن جانا أحد من برا حنا ما نستغني، وإن كان القصد راشد وجماعته، «تسلب» ماطيً على ذيله» (الشاعل، محمد سليمان (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٣ ـ ١٤ من ١٧، والشاعل، محمد سليمان (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢). مثل هذه التوصيفات والأوصاف، كما أسلفنا القول عنها مراراً في ما سبق، لا نتفق معها ولا نوافق عليها، ولذلك وضعناها بين إشارتي اقتباس، ولكننا أوردناها للأمانة التاريخية والبحثية. بناء على رواية سليمان الشاعل، نقلاً عن ولده محمد (أبو يزيد)، وهو رسول «عرفج» للرد على طلب رجا، فإن موقف الضويحي، ورد عرفج تحديداً، وسبق أن سمعته من زايد محمد العابط في مقابلة معه (العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ١٢)، يتمثل في: ١ ـ قدموا وعداً بتقديم مجموعة مسلحة وسلاح في حال الحاجة. ٢ ـ أما بالنسبة لطلب رجا اللجوء والقدوم عندهم، فكان رأيهم، إنهم وإن كانوا يرحبون، إلا أنهم ينصحون، (وهو ما يعني أنهم، يفضلون) أن يذهب ويلجأ عند أقربائه (راشد القايد وجماعته) لأنهم أولى بتقديم الحماية. فوق هذا، تمثل موقف عرفج، وطبقاً لأقوال محمد الشاعل، بأنه، وعندما استدعي، ضمن آخرين من أهل الجوف، من قبل النوري وهو مخَيِّم في «صوير» حيث طلب رأي أهل الجوف في ماذا يفعل بـ «رجا»، كان رأي عرفج برفض تسليم رجا للنوري، و/ أو أن يتعرض له ولحياته (الشاعل، محمد سليمان (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٣ ـ ١٤ من ١٧). ورغم أقوال، وهي غير مؤكدة ومشكوك في صحتها، بأن هذا الطلب والردود، حدث بعد واقعة حرب المعاقلة (حرب الراشد ـ المويشير)، وليس بعد ذبحة المنصوب مباشرة، إلا أنني أميل جازماً وبدون تردد إلى القول إن الأمر حدث بعد الذبحة مباشرة، وبالذات في الفترة ما بين أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م وأوائل آذار/ مارس ١٩١٩م، وقبل حرب المعاقلة (أي الراشد ـ المويشير)، حيث لا يعقل أن تكون الحرب وقعت، ثم يذهب رجا وأخوه وأسرتهم إلى راشد القايد طالباً الحماية، علماً أن الحرب ذاتها هي أصلاً في جزء غير قليل منها

كانت بين راشد القايد وجماعته الرواشد شمالاً من جهة، وبين المويشير، (رجا والرواشدة جنوب وغرب سيل الغديّر ـ الهذال)، وعلماً أن تلك الحرب وقعت في فترة نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ١٩٢٢م، وهذه فترة متأخرة جداً، وكان فيها رجا مقفلاً على نفسه لوحده، بينما كان أخوه حمد في هذا الوقت سجيناً في حائل ضمن المسجونين من أعضاء وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز، ولم يطلق سراح من لم يقتل منهم حتى سقوط حائل ذاتها، علماً أن سقوط حائل واستسلامها كان في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ، الموافق ٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني من عام ١٩٢١م، وكان ذلك بعد خمسة وخمسين يوماً من بداية حصارها، حيث بدأ الحصار في ٤ محرم من عام ١٣٤٠هـ واستمر حتى ٢٩ ـ صفر ـ من العام نفسه، وهو يوم سقوطها واستسلامها (الريحاني، أمين، **تاريخ نجد الحديث**، [د. ت.]: ٢٨٣، والرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٧٦). ما يهم أيضاً من رواية «**سليمان الشاعل**»، فضلاً عما تقدم مما احتوته من تبيان لدور ومواقف الضويحي وعرفج تحديداً، هو أنها تشير بذاتها إلى دور قام به الرسول نفسه سليمان الشاعل في تلك الأحداث، رغم صغر سنه وفي ظل الظروف ومعطيات المخاطر التي كان يمكن أن يتعرض لها.

(ج) في تفسير موقف القرشة: فضلاً عما تقدم من وقائع وروايات، يؤكد هلال السياط، كما ينقل عنه «طراد عقيل مطلق السويلم»، بالقول إن القرشة بالفعل لم يشاركوا في عملية قتل المنصوب عامر المشورب (السويلم، طراد عقيل مطلق، لقاء وحديث، في ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ١). إن هذا الموقف، ورغم التباين النسبي لبعض أطرافه، من عدم المشاركة المباشرة في القيام على المنصوب و/ أو رفض المشاركة اللاحقة عليه، يحتاج إلى وقفة وتفسير. نخلص إلى القول إنه في ما يخص موقف القرشة العام (العلي والضويحي على ما بينهما من فروق)، فهو بدا على أنه رفض للمشاركة المباشرة اللاحقة، سواء تمثل في رفض الدخول في حلف «أمر» قد تم ونفذ، أو تمثل بعدم الرغبة في قبول لجوء «رجا» عندهم. يبقى السؤال هو: في لماذا هذا الموقف؟ الجواب يرتبط بعدة عوامل منها:

أ ـ ليس غريباً ولا غير متوقع أن يرفض، مثلاً، مسعر البليهد، أن يدخل في حلف قام على منصوب ابن شعلان بعد أن انتهى الأمر تقريباً. لم تكن هناك اتصالات سابقة على التنفيذ، ولا استشارة، فكيف يطلب من زعامة، أو جماعة ما أن تقاسم آخرين فعلهم (جريمتهم) بعد ارتكابها؟ هذا الطلب فهم على أنه توريط وإقحام لهم، وهو ما يبدو أن هذا هو فهم العلي ـ ومسعر البليهد. كان المطلوب، من مشاركتهم لو تمت، هو دفع وتحمل وتقاسم الثمن والعبء في مواجهة سلطة وحكم الشعلان، على فعل أمر لم يكن لهم يد به.

ب ـ الأمر ينطبق على موقف الضويحي ـ عرفج. رغم أنه أبدى قدراً من الدعم المعنوي، والقول بتوفر ٤٠ ـ ٦٠ مسلحاً تحت الطلب عند الحاجة، إلا أنه بنصيحته أن يذهب رجا إلى قرابته من الراشد (راشد القايد)، فهو لم يكن يريد أن يتحمل عبء وثمن المواجهة مع الشعلان. كان الأولى أن يتحملها صاحب الفعل وعصبته المباشرون.

ج ـ فوق ما تقدم، وكما أشرنا سابقاً، وفي مواقع أخرى من الدراسة (انظر تفصيلات ذلك في واقعة: الحرب الأهلية في الجوف (١٩٠٨ ـ ١٩١٥م) نعلم أن القرشة تعرضوا لسلسلة من الممارسات القمعية الشديدة من قبل سلطة حكم الشعلان على طوال فترة حكمهم، وبالذات في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٥م، بما

فيه قتل وإعدام قياداتهم وتدمير ممتلكات، وما ترتب لاحقاً، في ثناياها، مما عرف بهجرة أو هجة القرشة إلى حايل... إلخ. كل ذلك كان دافعاً أن تكون ردة فعلهم ومواقفهم من أي حركة ضد الشعلان فيها قدر من التحوّط والحذر، وهذا تصرف يعتبر معقولاً وعقلانياً في ضوء تجربة سابقة، وكذلك في ضوء تكوّن حالة وجو عام من عدم الثقة ليس فقط مع الشعلان، ولكن أيضاً مع الجماعات الفرعية الأخرى بالجوف (هنا في سكاكا مع المعاقلة، أو بعض منهم).

د ـ سبق الإشارة إلى قول هلال سالم النصر من أن القرشة حاولوا ثلاث مرات القيام على منصوب ابن شعلان، ولكن المعاقلة لم يقوموا معهم، أو «باقوا» كما يقول النصر (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، في ١٥/٦/٢٠٠٢: ١ من ٢، والنصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢/٩/٢٠٠٣). من تلك المرات، وقبل عام من عملية قتل «المنصوب»، وبالذات في عام ١٣٣٦هـ الموافق ١٩١٧م، كانت هناك أيضاً محاولة من بعض من القرشة للقيام على حكم وسلطة الشعلان في الجوف وقتل منصوبه في سكاكا. فشلت الخطة، لأسباب ناقشناها سابقاً، وترتب عليه سجن وتعذيب عدد من المشاركين فيها، هذا فضلاً عن أن المعاقلة، أو بعضهم على الأقل، كان، وطبقاً لأقوال هلال سالم النصر، قد رفض أو تراجع عن المشاركة في أكثر من مرة للقيام على منصوب الشعلان.

هـ ـ فوق هذا وذاك، كان هناك مجموعة من الأفراد من القرشة، وآخرون من جماعات وعائلات الجوف، في وقت القيام على منصوب ابن شعلان وقتله، كانوا مع غزو ابن شعلان في منطقة تل «أبو حشيش». هذا يعني أن المشاركة، حتى لو كانت لاحقة، سيترتب عليها تعريض أبنائهم للخطر قد يصل لحد القتل والإعدام. لنتذكر أن الشرط الثاني الذي أصر عليه خليف الفالح عند الاتفاق مع رجا على القيام على المنصوب، هو عدم إشراك أي فرد من أي عائلة يكون أحد من أبنائها مشاركاً مع غزو ابن شعلان. بناء عليه كان رجا حريصاً على إنقاذ أخيه حمد وقريبه شامخ المفرج من انتقام ابن شعلان، حيث كانوا مع الغزو، فطلب منهم قبل الهجوم بشهر أو في حدوده، أن يستأذنوا من ابن شعلان بالقدوم لسكاكا، وهو ما تم فعلاً. عندما تم القيام على المنصوب، وتطور الأمر للقتل، وعندما علم الشعلان، كان أن أمر ابن شعلان غزوه، ومن معهم من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، أن يتجهوا للجوف (دومة الجندل)، وعندما وصلوا هناك، تم إيداع كل أبناء الجوف، ممن كانوا بالغزو، في سجن قلعة مارد. عن سجن أهل الجوف، ممن كانوا مع غزو ابن شعلان، في دومة الجندل، نورد **رواية** «**باسل ماضي النصيري**» حيث يقول كما نُقلت عنه، علماً أن ما بين قوسين هي من الباحث للتوضيح، وليس في أصل نص القصة: «قص باسل الماضي عندما كانوا في غزو مع بن شعلان، ((فقال)): حنا كنا مع الغزو على تل أبو حشيش، وعندما كنا هناك، قام حمد المويشير واسترخص من نواف قائد الحملة، وسمح له. وبعد أن مضى بعد إجازتهم حوالي شهر ونصف تقريباً، قالوا الغزو تنصرف إلى الجوف ((دومة الجندل))، وعندما جهزنا للانصراف ذاك اليوم، جانا نواف وأخذ سلاحنا، وجابون ((جابونا)) إلى دومة الجندل. وعند وصولنا دومة، دخلونا السجن، وحطوا فينا ضباب ((القيد من الخشب))، وكان معنا صالح الشايع، وحمد الحيزان، وهم عدد ٤٥ رجل ((من أهل الجوف، على ما يبدو من سياق القصة))، وكان مع حمد الحيزان موس، وقام وسع الخشب عن اليد اليمناء ((اليمنى)) من كل واحد، إذا راح الحابسين

((الحرس)) أظهرنا ايدنا اليماني، وبعد أن مضى خمسة شهور، صار الحرب بين ابن شعلان وبن رشيد، وصار الزوم مع المعاقلة وبن رشيد، وجونا الجمعة وظهرونا من الحبس. (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن، «رواية باسل الماضي» عن أحداث ١٩١٨ ـ ١٩١٩: ١ ـ ٢ من ٢). بناء على ما تقدم من أسباب وعوامل منفردة و/ أو مجتمعة، ليس غريباً أن يتحوَّط القرشة وزعامتهم من التورط في عملية كهذه، وخاصة بعد أن تم الأمر ولم يوضعوا في الصورة منذ البداية. ومع ذلك نقول، إن موقف القرشة، في حقيقة الأمر، لم يكن مناهضاً لهذا الأمر، بل ربما كان القرشة سعداء به دون أن يتحملوا أعباءه. وحيث إن القرشة لم يعملوا على الانقلاب على المعاقلة، ممن قاموا على منصوب ابن شعلان، من حيث عدم خلط التحالفات مع أو ضد الشعلان، وحسب قول منسوب لبعض القرشة في اجتماع لهم بـ «الغثروية»: « أنتم يا المعاقلة حلفاء لابن شعلان، وعليكم الله وأمانه أنا ما نجيكم... وبالمختصر ملنا شغل...» (العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ١٢)، فإن موقفهم هذا كان يمثل نوعاً من الدعم غير المباشر لهم، فضلاً عن موقف عرفج الذي أبدى دعماً معنوياً أكبر، وقدم وعداً بدعم مسلح وقت الحاجة، بل إنه رفض تسليم «رجا» للنوري والتعرض لحياته كما أشرنا إليه آنفاً. إذن القرشة، رغم عدم مشاركتهم المباشرة في القيام على المنصوب وقتله، فإن موقفهم العام يمكن اعتباره موقفاً يمكن القول عنه في حده الأدنى أنه موقف، إن لم يكن داعماً مباشراً، فإنه كان محايداً على نحو إيجابي من حيث عدم خلط الأوراق، والتحالفات والانقلاب على المعاقلة بالتحالف مع الشعلان عند قدومهم، علماً أن القرشة (الضويحي)، وطبقا لأقوال زايد محمد العابط، وبعد ذبحة منصوب ابن شعلان مباشرة، قاموا بزعامة يوسف العشيش وقضيب العشيش، (والأخير هو خال يوسف العشيش)، واحتلوا قلعة زعبل، واستمروا بالتمسك بها، واحتلالها، حتى بعد قدوم سلطان الشعلان، إلى أن أتى عساف الحسين للجوف واستلم السلطة لمصلحة حكم ابن سعود (زايد محمد العابط، مقابلة، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ١٢). لنتذكر أن الرحالة «فلبي» في زيارته للجوف، وسكاكا تحديداً في أيار/ مايو ١٩٢٢م، قال بأنه غير قادر على الاقتراب من الجهة الشمالية لـ «سكاكا» وبالذات من قلعتها، فقد حاول استكشاف قلعة «زعبل»، ولكنه من تل على مسافة بعيدة عنها، أُجبر على التراجع نتيجة إطلاق النار عليه (Philby, 1923: 255؛ فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٩٨ ـ ٤٩٩). هذه الأدوار والمواقف للقرشة، وخاصة من قبل الضويحي وعرفج، أغفلها «السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه»، ومن قبلهم، بعض ممن على شاكلتهم، ممن كتب عن تاريخ الجوف. إن السيف وأصحابه من المويشير ممن استكتبوه، إنما هو وهم في تصرفهم هذا ليس غريباً عليهم، لأنهم أغفلوا وتعمدوا إغفال ليس فقط أدوار ومواقف القرشة والآخرين ومن ينظرون لهم على أنهم الأباعد، بل فوق ذلك تعمدوا إغفال أدوار ومساهمات حتى لأقرب الأقرباء، ومنهم بالذات موقف ودور راشد القايد (وجماعته الرواشد ـ شمال السيل الغديّر/ الهذال)، كما سنفصل فيه تالياً.

(٣) موقف ودور راشد القايد وجماعته: حماية «رجا» وإنقاذ حياته من الإعدام برفض تسليمه: رغم مشاركة محدودة لرجال هم في الأصل من جماعة راشد القايد (الرواشد ـ شمال سيل الغديّر/ الهذال حالياً)، ومنهم: مشفي المقاود، وزيد الواكد، وفياض المفرج، كما وردت الإشارة عنهم أعلاه، إلا أن راشد القايد، وهو شيخ الرواشدة الشماليين، لم يشارك مباشرة في عملية القيام على المنصوب، إذ لم

يكن على ما يبدو على علم بالأمر(!)، ولم يوضع في الصورة. يبدو أن الأمر يعود في جوهره إلى التنافس الحاد من قبل رجا تجاهه، فضلاً عن أن راشد القايد يعتبر على عهد مع النوري الشعلان، وضامناً، مع خليف الفالح والدغيفق، لحكم وسلطة الشعلان في الجوف وبالذات في سكاكا. ورغم هذا الغياب، أو بالأحرى التغييب المتعمد على ما يبدو، لمشاركته المباشرة، فإن مساهمة ودور راشد القايد في تحمل أعبائه وتكاليفه لا تقل أبداً عن من شارك مباشرة فيه، بل إن ما قدمه في ما تلى العملية مباشرة تتجاوز دور أطراف رئيسة من المشاركين في العملية. مساهمات وأدوار ومواقف راشد القايد وجماعته، تمثلت في التالي:

(أ) **اللجوء والحماية**: عندما حصحص الحق، وكانت قوات الشعلان تتقدم باتجاه الجوف (سكاكا ودومة الجندل) لفرض سيطرتها من جديد على الجوف، وللانتقام من القيام على منصوبهم، وبالتالي ممن تحدّوا حكمهم وسلطتهم، ومع رفض مسعر البليهد توريطه في مشاركة لاحقة، وفي ضوء رسالة عرفج له بأن عليه أن يذهب إلى أقربائه، (إلى راشد وجماعته، لتوفير الحماية)، وفي سياق عدم قدرة على تحمل الثمن وحتى الدفاع عن النفس والأسرة، كان على رجا أن يطلب اللجوء والحماية من راشد القايد والرواشد الشماليين. كان «رجا»، لا يريد ولا يرغب اللجوء إلى راشد القايد. رجا، بعد والده «ذباح»، والذي حصل على جزء من مشيخة الراشد (رواشدة الحزوم ـ غرب سيل الغديّر/ الهذال حالياً)، بعد وفاة فلاح الشردان والذي كان حتى وفاته (وفاة فلاح الشردان حول سنة ١٨٩٦م أو في حدودها زيادة أو نقصاً بسنوات قليلة، شيخاً على كل من جماعة الراشد كلهم (شمالاً وجنوباً) والدغيفق، كان ينظر إلى راشد القايد، والذي حصل، في الوقت نفسه (بعد وفاة فلاح الشردان)، على مشيَخة الرواشد (شمال السيل)، على أنه خصم ومنافس قوي له، على المشيَخة الكلية للراشد جميعاً (شمالاً وجنوباً من سيل الغديّر أو الهذال حالياً). كانت رغبة رجا الأولى، هي اللجوء إلى القرشة ـ الضويحي، ولكن عرفج كان يرى غير ذلك. كان يرى أن في هذا الأمر توريطاً للقرشة في عمل ليس من صنعهم، وليسوا في وارد أن يتصادموا مجدداً مع الشعلان، وهم للتوّ خارجين من تصادمات شديدة العنف والقسوة منهم ومعهم، ولم يمضِ بعد عليه أكثر من أربع أو خمس سنوات، فضلاً عن تبعات المحاولة الفاشلة للقيام على المنصوب عام ١٩١٧م. من هنا كانت نصيحة عرفج لـ «رجا» أن يذهب «ويلجأ عند أقربائه». فهم «رجا» النصيحة، وقبل على مضض أن يذهب إلى راشد القايد وجماعته، رغم ما كان يقوله عنه من تقليل ونظرة دونية له. لنتذكر آخر كلام في رواية سليمان الشاعل، حيث يقول، إن رجا، وبعد أن سمع الكلام ورد عرفج كما نقلته له، قام وقال للحضور، وأمامي: «شوفوا يا معاقلة وش الضويحي يقولون؛ عندهم سلاح ومسلحين، هذولاء «عدواني»(!) اسمعوا كلامهم «قايمين معي»، ثم قال، موجهاً الكلام لي: «والنعم بالضويحي»، سلم لي على عرفج وقل له: إن جانا أحد من برا حنا ما نستغني، وإن كان القصد راشد وجماعته، «تسلب» ماطيً على ذيله» (الشاعل، محمد سليمان (I)، في ٢٧/٨/٢٠٠٢: ١٣ ـ ١٤ من ١٧، والشاعل، محمد سليمان (II)، في ٣١/٨/٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢). عندما أدرك رجا الأمر وفهم النصيحة، وقرر الذهاب واللجوء إلى راشد القايد، فهو لم يبلغ راشد القايد مسبقاً، وإنما أخذ حاله وأخاه وأفراد أسرتهم، وركبوا وساروا إلى بيت راشد وقضيب الراشد، وولجوا إليه وفيه، وأنزلوا أغراضهم

ودلالهم. يقول **أحمد القضيب الراشد،** والذي يروي القصة، نقلاً عن والده، وكذلك كما كان هو شاهداً عليها ويتذكر فصولها، فيقول، مُلخصاً على الجملة: إنه قبيل ومع قدوم النوري وقوات الشعلان، بعد ذبحة «المنصوب عامر» وكان النوري الشعلان يريد القبض على رجا وأخوه، وأنه كان يريد قتل رجا، وعندما شعر بتلك المخاطر، أرسل «عشقة» إلى «عرفج» طالباً اللجوء عندهم. ولكن عرفج رد على رجا، وقال له بيوتنا «مفتوحة» لكم، ولكن أنصحك تروح لقرابتك وبنيخيكم هم اللي يحمونكم وما يتركونكم. عندها، يضيف أبو مشعل (أحمد القضيب الراشد)، ونقلاً عن والده مباشرة والذي يحكي له القصة، ومسترجعاً هو بعضاً من تفصيلاتها، بالقول على الجملة: «بعدها، وأنا كنت في سن السابعة تقريباً، فإذا برجا وحمد وكساب وعبد الله وصالح (وكان الثلاثة الأخيرون صغاراً على ما يبدو) قد وصلوا إلى بيت والدي (قضيب)، فأرسلني والدي إلى عمي راشد القايد، وكانوا عندما دخلت عليهم ينزلون بالمزهبة وفيها الدلال ـ فذهبت إلى عمي وأخبرته بقول والدي «قل له إن خوالك تراهم عندنا» (راشد القايد خاله رجا)... بعدها جا عمي راشد وسلم وتقهووا القهوة مع رجا وحمد...» (الراشد، أحمد القضيب (I)، في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ من ٤، والراشد، أحمد القضيب (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ٦).

(ب) **راشد القايد و«قضيب» ينقذان حياة رجا برفضهما تسليم رجا للنوري:** لم يتوقف دور ومساهمة راشد القايد على توفير الملجأ الآمن لـ «رجا» وأخيه وأسرتهم حتى حين، وإنما امتد الأمر إلى أنه هو راشد القايد، وقضيب الراشد، أنقذا حياة «رجا وحمد» من الإعدام والشنق الذي كان شبه محقق، وذلك عندما رفضا طلب النوري تسليمهما، وأصرا على موقفهم رغم محاولات متكررة من النوري، كانت تنطوي على التهديد والوعيد والتحذير. لنترك **أحمد قضيب الراشد** يكمل القصة، حيث يقول: إنه بعد لجوء رجا وأخوه حمد عندنا... استمروا عندنا، ولكن النوري استدعى راشد القايد، وقال له:... نبي ناخذ رجا وحمد معنا للقريات، وعليهم عهد الله وأمانه. رد راشد القايد، وقال: هذا خالي، والله ما يقولون إنه سلمه. وحاول النوري إغراء راشد القايد بمشيخة الراشد كلهم بمن فيهم المويشير، ولكن راشد القايد أصر على عدم التسليم، وخاطب النوري لتطمينه، وإقناعه بالعدول عن رغبته، وقال له: «أنتم هالحين لكم الحكم وإن بقى لكم، هذولاء ((يقصد رجا وأخاه حمد)) مثل الطيور المبرقعة، ما هم غادين، وعهد ما يجيكم أحد مننا، وفكنا يالنوري. فرد النوري على راشد القايد، وقال: «عوق ما أخبره» (الراشد، أحمد القضيب (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ٦). وفي ما يتعلق بموقف، قضيب الراشد من طلب النوري تسليم رجا وأخوه حمد، فقد كان متطابقاً مع موقف راشد القايد، وعن ذلك يقول أحمد القضيب: إنه بعد وقت أو أيام من استدعاء النوري لراشد القايد، استدعى النوري قضيب القايد الراشد (أبو أحمد)، وقال له: أنا قلت لأخوك (راشد القايد) كذا وكذا، ورد علينا كذا وكذا، وأنت وش رأيك؟ رد عليه قضيب وقال: أنتم يا الجلاس لصار عنكم دخيل، وش تسوون به؟ قال النوري؛ وش تقصد؟ قال قضيب: أقصد إن العرب ما تقبل تسليم دخيلهم، ولو فعلت هذا يسوَد وجهها أمام العرب، وما أحد يرضى بسواد وجهه. رد النوري وقال «عوق ما أخبره... هذا أكوَد من هذاك» (الراشد، أحمد القضيب (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ ـ ٥ من ٦). قرر النوري في النهاية، ترك رجا وأخيه للعودة إلى بيوتهم، والسماح لهم، وللسمرين، بإعادة بناء وترميم ما هُدم منها، وخاصة بعد أن زوج رجا ابنته

«نعمة» للنوري، فضلاً عن أسباب موضوعية في عدم فقدان تحالفه مع راشد القايد وجماعته المباشرين (الرواشدة شمالاً)، ومواقف زعامات من أهل الجوف بعدم مساندة رغبة النوري بتسلم رجا وحمد، بمن فيهم عرفج كما مر بنا، وكذلك كان هو رأي خليف الفالح. ومع ذلك، فإن النوري، وقبل رحيله، حذر راشد القايد من أن رجا سوف ينقلب عليه، بل قد يشن عليه حرباً يوماً ما. عن ذلك، وكما يروي سليمان العودة، قال النوري لـ «راشد القايد» محذراً من خواله المويشير، ومن عدم الموافقة على تسليمهم، بالقول: «... ما هو شوري عليك والله غير يثورون عليك الحرب..» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٦ من ٣٩). وكان راشد القايد، وهذا دور إضافي له، قد نصح خواله المويشير، بالاحتفاظ بالسلاح التابع للشعلان، والذي كان مخزناً في الأصل في قصر الحكم، عندما وجه الكلام إلى رجا قائلاً: «... يا خالي هذا حكم ما أقدر أواجهه... عندكم سبع صناديق فشق عصملي (بنادق)... وسبع بواريد لا تسلمون أنفسكم... يحلها الله من جاي لجاي...، ويوم راح وسافر النوري وترك، قال (رجا)؛...عاد...السلاح اللي بالبويضوات والهجاري حقات النخل، يقوله رجا... قال اطلعوه كله ولا تخلونه به... اطلعوه كله ودسوه ((أخفوه))...»، وقد تم إخفاء السلاح لاحقاً تحت أرضية غرف البيت (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٦ ـ ٧ من ٣٩). كان هذا جزءاً من دور أساسي لـ «راشد القايد» ـ فضلاً عن ما يلي له من أدوار، وأعباء تحملها ولـ «قضيب الراشد» ـ تجاهله السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبوه، كما تجاهلوا الكل من أهل الجوف زعامات وجماعات، قاصرين وحاصرين الأمر كله في بطولات ورجولات شخص «واحد»، مصور في صورة وكأنه «عفريت سليمان» الجوف(!).

(ج) **راشد القايد يتحمل اعباء إضافية**: فوق ما تقدم فإن راشد القايد سوف يتحمل أعباء إضافية، ومنها أن الحرب التي كان يحذر منها النوري، قد اندلعت بالفعل، وهي ما عرف بحرب المعاقلة، أو هي حرب المويشير ـ الراشد (نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ١٩٢٢م)، ليرتد عليه «سلاحاً» سبق لراشد القايد أن نصح رجا بأن يحتفظ به، وأن لا يسلمه للشعلان. من هنا لم يكن لما قدمه راشد القايد من توفير الملجأ الأمن والحماية، ولا لإنقاذ الحياة من الإعدام والشنق برفض التسليم لرجا وأخيه، أية قيمة ومعنى لمنع الحرب والقتل والقتيل راح ضحيتها عدد من الأهالي، ومنهم عدد من الراشد من جماعة راشد القايد، فضلاً عن ما وقع للآخرين من الدغيفق والبيالية والكبيدان، وهو وهم بذلك يدفعون ضريبة تداعيات وتوابع القيام على منصوب الشعلان. وعن خسائر الحرب بين الطرفين، يذكر **سعد الطارف** أن سبعة أشخاص قتلوا من الطرفين في هذه الحرب، وهم على النحو التالي: من مجموعة جنوب وغرب وجنوب المعاقلة (غرب وجنوب سيل الغديّر/ الهذال حالياً)، يقول سعد الطارف، مشيراً إلى أن الكبيدان من هذا الحلف: «ذبح مننا؛ غثوان الكبيدان، ومفضي البيالي، وعبد الله ولد مفلح أخو سميحة، هؤلاء مننا...»، ومن حلف أو مجموعة شمال المعاقلة (أي الراشد ـ القايد وحلفاء الشعلان) «... ذبح منهم؛ رجا الوارد، وصلال، وراع الطمشاء، وولد عبيكة» (سعد الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١١ من ١٦)، علماً أن أحمد قضيب الراشد، أورد في روايته اسم شخص ثامن قتل في تلك الحرب، اسمه «معتق» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء (I)، في الجمعة ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، و«معتق» هذا هو،

على ما يبدو أبو مطلق ومتعب «المعتق» (**العبد**). من هنا، وإذا ما تفحصنا هوية المقتولين من خلال الروايات الشفوية والتي سنأتي عليها، نجد أنهم: ١ ـ غثوان الكبيدان، وهذا من الكبيدان وشيخهم، وفي منطقة التماس، وقُتل في ما قيل من شخص انقطعت داره، طبقاً للروايات ذاتها، لأن غثوان رفض مناصرة ومشاركة القرشة (العلي ـ البليهد، والمطر) في القتال إلى جانب جماعة راشد القايد، باعتبارها حرباً بين المعاقلة أنفسهم؛ ٢ ـ عبد الله ولد مفلح من الدغيفق؛ ٣ ـ مفضي البيالي (البياليه). من هنا نلاحظ أن لا أحد من المويشير ولا من جماعتهم المباشرين من رواشدة أهل الحزوم، (الرواشد ـ جنوب وغرب السيل) قُتل في هذه الحرب(!)، وهو ما يعني أن عبء تلك الحرب والقتال الفعلي، إنما تحملها راشد القايد وجماعته والمتحالفون معه من شمال المعاقلة من جهة، ومن جهة أخرى جماعات وأفراد من جنوب غرب المعاقلة، وبالذات من البيالية والطالب والدغيفق، فضلاً عن الكبيدان، وهم جميعاً في حقيقة الأمر من خارج المويشير، علماً أنه في هذا الوقت وفي ظل غياب حمد، مقبوضاً عليه في حائل ضمن من قبض عليه من الوفد للملك عبد العزيز، بقي من العائلة فرد وحيد فقط، هو رجا، والذي يبدو أنه هو من قفل على نفسه الأبواب وليس حمد، كما يقول عنه فلبي (Philby, 1923: 247-248؛ فلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٨٥).

ب ـ دور الأهالي في دومة الجندل في القيام على المنصوب: في الأعباء والتداعيات اللاحقة

(١) دور «زبن القعيّد» في القيام على منصوب ابن شعلان: الاستيلاء على قصر مارد فالسجن والإعدام شنقاً في ١٩١٨ ـ ١٩١٩م قصة وروايات: تذهب الرواية والتي نوردها تالياً، بغض النظر عن أخطائها التحريرية (الإملاء)، كما أوردها ودوّنها عبد العزيز محمد سلمان القعيّد (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥)، كما سَمع بعضاً منها من لسان والده محمد، وفي الغالب كما سمعها مباشرة من غازي بن شنوان الداحس، الذي يسرد القصة نقلاً عن أبيه شنوان الداحس وبحضور خليف حمد المهاوش الساعة الثامنة والنصف ليلاً في ٧/ ٧/ ١٤٢٣هـ، إلى أنه بعد الاتفاق في سكاكا على قتل منصوب ابن شعلان، وبعد أن وصل خبر مقتله إلى بعض من أهل الجوف (دومة الجندل): «قام زبن القعيّد بإرسال شنوان الداحس لأهل الغرب، وهم: سليمان الجارالله، وحماد المسعد، وسليم الحمود، وفريح ناصر المعين، وخلف السلامة، علماً أن أغلب رجال الغرب كانوا بالسمح (بالحماد)، و(... الزبار؟)، ورزق العفر وغيرهم. يقول شنوان: أني بلغت الجميع أن زبن يطلب حضورهم على الفور، علماً أن عواد القعيّد، وسلمان القعيّد، وسويلم القعيّد موجودين، ولكن زبن لم يشأ أن يخبرهم عن رغبته في احتلال قصر مارد، طمع الفوز باحتلاله لوحده نظراً لأن المذكورين من جماعته أصحاب نفوذ على أهل الغرب والمعن. ذهب بعد ذلك زبن والمذكورة أسمائهم بعاليه، بعد أن تجمعوا بعيداً عن أنظار باقي جماعة القعيّد، لقصر مارد، وعندما وصلوا القصر لم يكن هناك أحد في القصر أصلاً سوى «عبد» يقال له «الصعيدي»، كان يرتجي(!) ((ربما يقصد يلبس ـ الباحث)) طربوش أحمر، علماً أن القصر في حينها تحت إمرة الشعلان، ويحتوي القصر من الداخل على بعض الأسلحة والأرزاق، أي المواد الغذائية، قمح وتمر وخلافه. وعندما وصلوا لقصر

مارد، أمر زبن «العبد» الذي يسمى «الصعيدي» بفتح باب الخويخة ـ باب قصر مارد، ولكن العبد قال يا شيخ زبن أنا ما عندي مفتاح، فقام زبن بضرب العبد على وجهه فطارت طربوشه، فأدرك بعد ذلك العبد أن لا مناص من فتح الباب ـ فقام بسحب حجر من حائط المبنى كان يضع المفتاح خلفه، وفتح الباب، وقاموا بالدخول، زبن القعيّد ومن معه، وبعد أن اطمأنوا لوضعهم داخل القصر، دار بينهم نقاش، كان جلوسهم بالروشن الفوقي داخل القصر، فسأل سليمان الجارالله زبن القعيّد عن سبب مسكه القصر: قال يا زبن كانك ماسك القصر للرشيد، علينا نستفزع باللي يوالون الرشيد بالديرة، وإن كانك ماسكه للشعلان خلنا نستفزع بأهل السوق (العرجان)، لأن العرجان لا يرغبون بقدوم الرشيد للمنطقة وذلك خوفاً من أن ينكلوا بهم بسبب (...) حسن الدرع... فرد عليه زبن قال: الله يهديك ياسليمان هذي أمور حنا مدبرينها مالك بها شغل. وكان معهم واحد اسمه مرزوق الحنيف ((أو المنيف!))، أغضبته كلمة زبن، علماً أن الجميع نمى إلى علمهم بطريقة أو أخرى... ويعلمون سبب مسك زبن القعيّد... ولم يسعَ مرزوق الحنيف ((أو المنيف)) إلى إثارة مشكلة، وقد تم له ما أراد فقال القوم: نطلع أحسن، قوموا يا عيال، فقام معه من الذين كانوا مع زبن فقام مرزوق الحنيف ((أو المنيف))، وسليمان الجارالله، وعوض السعد وحماد المسعد، وتبقى من تبقى مع زبن، وبعد خروجهم من عنده، وكان الوقت في الصبح الباكر، وجد سليمان الجارالله واحد يدعى رزيق من أهل السوق جالس على الربعه، كانوا يتجمعون بالجلوس عليها... فوكزه سليمان بعصى كانت بيده، وقال اسمع يا رزيق؛ ما أقولك إلا أن ابن قعيّد ماسك قصر مارد لابن رشيد، لان العبد منصوب الشعلان انذبح، مار خبر العرجان بالخبر يأخذون حذرهم. ((ويدوِّن عبد العزيز القعيّد ملاحظة عن العرجان، علماً أن ما بين قوسين من الباحث للتوضيح)) فيقول: «العرجان زبنوهم القعيّد لمدة سنتين بعد ((مقتل)) حسن الدرع ١٣٢٦هـ، وحيث إن حسن الدرع موالي للرشيد لذالك لا بد للعرجان أن يخافوا أن تسقط الجوف بيد الرشيد فينكل بهم» ((انتهت الملاحظة)). علماً بأن زبن فعلاً كان يكاتب الرشيد، والذي كان يكتب له حماد المسعد، وكان يحتفظ بنسخ مماثلة»... ويروي **شنوان الداحس لولده غازي** الذي يسرد علينا هذه القصة: «أن أهل السوق حضروا فور سماعهم بالخبر لقصر مارد، بقيادة عبد الله العرج ((ربما المقصود عبيدالله العرج))، ومعه ابنه عبد الرحمن، وباقي العرجان، فقال: يا زبن أنت تريد تجيب لنا ابن رشيد يقطع روسنا قبل نخلنا، وانت تعلم اللي بينا حنا واياهم من أول، ويقصد ذبحة حسن الدرع، فقال زبن: أني ماسك القصر لابن شعلان، فقال عبيد ((يقصد على ما يبدو عبيدالله العرج)) يا زبن عندنا خبر... ولكن اترك القصر... مل من تبقوا مع زبن، فاضطر زبن من الخروج من القصر حيث لم يبقى إلا هو برأسه، واستطاعوا العرجان تأليب أهل الديرة ضده من الشرق للغرب، ولم يشأ «القعيّد» ((بقية جماعة القعيّد)) التدخل نظراً لأن زبن أراد ذلك لنفسه،... **وقد حضر «هجر ابن مجوَل»، وهو من الشعلان للجوف، وتمركز بقصر مارد، حيث كان يسكن بالقرب من الطوير حول سكاكا**، وقد التف حوله أغلب أهل الديرة الجوف لدعمه وتأييده، كذلك احتماء به عن حكم الرشيد. فقال: **ابن مجوَل** أحضروا زبن وقيّدوه بالسلاسل وضعوا الحديد بأرجله. وهو بذلك يعتمد على أهل الجوف حيث إنهم أيدوه، فذهب عبد الرحمن ولد عبد الله العرج... ((يبدو المقصود عبيد الله العرج))... قصده لتحذير زبن، وجد أمه «شطنة»، وسألها عن ابنها زبن، فقالت: ربما ذهب لتناول القهوة في بيت حماد المسعد، فضرب كف على كف، فقال: كيف يذهب لهم، وهم سبب

إخراجه من القصر، وتأليب الناس عليه، فذهب عبد الرحمن إلى منزل حماد المسعد، ودق باب منزله وقال أريد زبن، وعند خروج زبن له قال يا زبن انتم لكم علينا معروف، وهالحين «**هجر ابن مجوَل**»، ماسك القصر، وانتم يوم... حسن زبنتونا، وانت قاعدا مع الربع اللي باقوك ابدارهم، وحنا ما نبغى الرشيد علشان المعروف اللي بينا، لا تروح لقصر مارد، لأن ابن شعلان إن شافك سجنك، اغديك تركب ذلولك وتروح لرجا المويشير، ولكن زبن تعنت حيث يشعر بالقوة! وفرض رأيه، علماً بأن عبد الرحمن، أيضاً، قال له ان لم ترغب الذهاب لرجا أهرب من قصرك وغرب، ولكنه أيضاً رفض، وحاول أن يمرر عليهم أنه ماسك القصر لابن شعلان، فأصر زبن على الذهاب للقصر والالتقاء بـ «**هجر بن مجوَل**»، وفعلاً ذهب يقصد منزله لارتداء ملابسه وأخذ سلاحه، وقابله بالطريق رجال **هجر بن مجوَل ابن شعلان،** فقالوا الأمير يريدك أن تحضر، فقال أنا ذاهب له، ولكن كنت أريد أن أذهب لبيتي أولاً، فأصروا عليه أن يذهب على حاله التي وجدوه عليها وقد أخذوه عنوة، وبعد أن وصل للقصر سأله هجر بن مجوَل عن الذي فعل... وقال له وش اللي أنتم عملتم يا زبن انت ورجا، فقال ما عملنا إلا الزين، فأمر بوضعه بالسجن وتقييده بالسلاسل، وسجنوا معه مهاوش، ومهاوش من الراشد بسكاكا وكان يسكن الجوف (دومة الجندل)... ولم يشأ باقي القعيّد التدخل في موضوع زبن، وذلك بسبب عدم أخذه لرأيهم وإشراكهم بما أراد أن يفعل، علماً بأنهم لو أرادوا اخراجه من السجن لفعلوا... ومما زاد من مشكلة زبن القعيّد أن اللي كان يكتب له الرسائل لأبن رشيد أعطى صوراً منها لسلطان ابن شعلان حيث قابله بالقطب وهي مكان بالحماد... وقال خذ يا سلطان رسايل ابن قعيّد لابن رشيد، وانتم ما تعطونه غير عشر عشر من الجمال للسني...» (القعيّد، عبد العزيز محمد بن سلمان، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥).

(٢) إعدام زبن القعيد بعد معركة الرشيد ـ الشعلان في سكاكا (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م)

ورواياتها: تواصل الرواية بالقول إنه مع توالي الأحداث بعد ذلك؛ «أتى ابن رشيد، كما تقدم نواف الشعلان برفقة العديد من الحوازم والشرارات... وحويطات أتى بهم لمساندته... وقد توجه الجميع لسكاكا...»، كل يريد السيطرة على الجوف ومعهم حلفاؤهم من الطرفين، وتمضي الرواية للقول، إنه وبعد أن استقر الطرفان بسكاكا عام ١٣٣٧هـ «لم تدر بينهم معركة وقد استمر بقاؤهم حوالي سنة كاملة بدون حرب» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥). ولكن الرواية تشير إلى أنه وبعد مضي تلك الفترة، اندلعت معركة نهائية حاسمة بين الرشيد والشعلان في سكاكا، وكانت لصالح الرشيد، ويبدو أن هذا الحسم تم لعدة عوامل، ولكن من بينها وأهمها، كما يقدرها ويقررها الراوي، هو ضغط نفسي مورس على فارس بن فهد الهزاع على خلفية الصراع في أجنحة بيت «الهزاع الشعلان»، أدى إلى انسحابه وقوة يقودها، علماً أنه وكما ورد في الرواية فإن: «... فهد أبو فارس هو أخو النوري ابن شعلان، حكم بالرولة مدة ربما كانت قصيرة فقتله [٣] النوري (أخوه)، وحكم مكانه، وكان فارس فزاع مع عمامه،...، وكان سبب انسحابه

(٣) نشير إلى أن هناك من يؤكد هذه المعلومة، في ذلك يقول وليام لانكستر: «إنه بعد وفاة سطام الشعلان في عام ١٩٠١م، حلّ مكانه في مشيخة الشعلان، فهد هزاع الشعلان، وحيث إن هذا أخذ يزيد الضرائب فقد بدأت شعبيته بالتدنّي نتيجة استياء رجال القبيلة. =

هزيمة الشعلان، حيث إن الرولة كله ((يبدو قصده معظمهم)) انسحبت معه. حصل بعض المناوشات ولكن تم النصر الأخير لابن رشيد. وبذلك، يقول شنوان الداحس، وبعد انهزام الشعلان أنا عدنا للجوف ((يقصد دومة الجندل)) فوجدنا زبن قد مات في سجنه» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥).

(٣) رواية «نهار علي الزارع» ومعلوماته عن دور ابن قعيّد فسجنه فإعدامه في سجن قصر مارد: ولكن نهار الزارع، وعن تلك الواقعة وما يخص منها زبن القعيّد ومصيره النهائي، يقول، وأنا هنا أجمل وألخص مضمون كلامه، حيث طبقاً لمعلوماته فإنه، وبعد أن ذبح العبد «عامر» في سكاكا، فإن ابن قعيّد في الجوف (دومة الجندل) وبعضاً من أهالي دومة قاموا على قصر مارد، واحتلوه، ولكن ابن قعيّد بعدما دخل القصر انقلب على المشاركين في احتلال القصر، وبالتالي قام «المَشاهدة» ((على ما يبدو المَشاهدة هم أشخاص من العراق)) مع بعض الأهالي مع قدوم ابن شعلان لمحاصرة ابن قعيّد بالقصر، وتم اعتقاله، ثم سجنه، ثم إعدامه لاحقاً بعد قدوم سلطان الشعلان (الزارع، نهار، في: الزارع، عبد الهادي ونهار، لقاء وحديث، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساءً: ٣ من ٤).

١ ـ **سليمان العودة الفلّاح**، في روايته عن أحداث تلك الفترة، يؤكد أن زبن القعيّد تم إعدامه شنقاً من قبل الشعلان، في سجنه بقصر مارد، وكان ذلك بمعاونة ومشاركة «القبيسات» ((يبدو قصده)) المتواجدين آنذاك في دومة الجندل (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٤ من ٢٧، ج ٣).

٤ ـ أهل الجوف وتداعيات القيام على منصوب وسلطة الشعلان

أ ـ حروب (١٩١٩ ـ ١٩٢٢م) والأدوار والأعباء

أشرنا في ما تقدم إلى أدوار وأفعال قام بها أفراد وجماعات فرعية من سكاكا ودومة الجندل، في واقعة القيام على منصوب ابن شعلان، مباشرة أو غير مباشرة وسواء قبل العملية أو بعدها مباشرة، كما مر وثبت آنفاً، ولكنْ هناك آخرون لم نذكرهم، لأنهم ليسوا مشاركين مباشرة في تلك الواقعة أو في ما تلاها مباشرة، وإنما شاركوا في وقائع أخرى ذات صلة، بل كانت متولدة عن تلك هذه الواقعة ومن تداعياتها ومترتبة عليها، ودفعوا دماءهم فيها. من تلك الأحداث والحروب والصراعات التالية للواقعة والمترتبة عليها:

= حاول أخوه «نوري ابن هزاع» أن يقنعه مقترحاً عليه بأنه، أي فهد «يبقى شيخ الباب...، بمسؤولية التفاوض مع الأتراك، بينما النوري يصبح شيخ الشداد... وهو الذي حافظ على التواصل مع القبيلة. كان هذا يعني تقليصاً في الدخل لـ «فهد» لدرجة لم يكن مستعداً لقبولها. في عام ١٩٠٤م، وجد النوري أن أخاه يتآمر مع الأتراك، فكان أن رتّب لقتله. وهكذا أصبح «النوري»، واقعياً وقانونياً، هو الأمير» (Lancaster, 1981: 126). المصدر كاملاً: William Lancaster, *Changing Cultures: The Rwala Bedouin Today* (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1981), p. 126.

ويؤكد هذه المعلومة (قتل النوري أخاه فهد) أيضاً الرحالة فلبي في ما كتبه الرحالة فلبي عن رحلته للجوف في أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٢م. في ذلك انظر: H. St. J. B. Philby, C. I. E, «Jauf and the North Arabia Desert,» *The Geographical Journal*, vol. 62, no. 4 (October 1923), pp. 243-271, esp. p. 243.

(١) حروب الرشيد ـ الشعلان ١٩١٩م ـ ١٩٢٠ للسيطرة على الجوف

حرب الرشيد ـ الشعلان (مارس ـ أكتوبر ١٩١٩م): رغم أنه غير معروف، على وجه الدقة، من دخل ومن لم يدخل من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في صراعات الرشيد الشعلان (١٩١٩م ـ ١٩٢٠م) إلا أن كل الروايات ذات الصلة تشير إلى قدر ليس قليل من هذا الدخول. بل أنه، كما في حالات سابقة، وربما لاحقة سنأتي على ذكرها، يتبين أن أهل الجوف (في دومة وسكاكا) كانوا يشكلون معظم وقود وحطب تلك الحروب بين الرشيد والشعلان في الصراع على الجوف. ففي حرب الرشيد والشعلان ١٩١٩م شارك كثير من أهل الجوف (سكاكا ودومة في المعارك اليومية قبل المعركة الحاسمة في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م، وفي المعركة ذاتها) هذا ينطبق على المعاقلة والقرشة، وإن كان في هذه الحرب تحديداً المعاقلة، وإلى حدٍّ ما بعض من الشلهوب، هم على نحو شبه حصري المنخرطون فيها والمتضررون منها، ذلك أنهم (المعاقلة) في القيام على منصوب الشعلان هم الذين أوجدوا فرصة التبدل والتحول في التحالفات، وفي إتاحة الفرصة لابن رشيد في القدوم للجوف لانتزاعها من الشعلان. الضويحي القرشة، وإن لم ينخرطوا فعلياً في الحرب، أبدوا استعداداً لمناصرة ودعم المعاقلة في تحالف الأخيرين مع الرشيد وضد الشعلان، لكن الضويحي لم ينخرطوا في معمعة الحرب والقتال مباشرة. في المقابل العلي ـ القرشة، لم يقدموا الدعم، وفضلوا على ما يبدو الابتعاد عن الحرب وأطرافها، وهو ما يعني على أية حال أنهم، في نهاية المطاف، لم يعملوا على إفساد تحالفاتها، وهو ما يحسب لهم. وفوق الوقود والحطب الذي مثله أهل الجوف ورجالها في تلك الحروب بين الرشيد والشعلان، فإنهم كانوا رمادها من القتلى والإصابات والإعدامات، فضلاً عن هلاك وتدمير ممتلكاتهم، وفضلاً عن نزوح وشتات البعض منهم وترك الديار والممتلكات، طوعاً أو كرهاً، أو خوفاً من الانتقام (مثال: هجّة الغرب وتوابعها من أهل دومة الجندل الذين اضطروا على خلفية فشل نواف الشعلان في محاولة انتزاع الجوف في١٩٢٠ من الرشيد إلى الفرار من بطش الأخير). [في تفصيلات هجّة الغرب انظر وقائع الحرب الأهلية بالجوف، وخاصة ما ورد فيها من واقعة: الصراع الأهلي الاصطفافي في حروب الرشيد والشعلان على الجوف (١٩١٩ ـ ١٩٢٠م)].

لنتذكر أنه في حرب الرشيد ـ الشعلان (آذار/ مارس ـ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م) كان من بين من قتل، كما يقول **سليمان العودة**: «... يوم دخلة سعود الرشيد... ويوم وقف باب مسجد السوق (سوق البحر)... وإلا ((إذا)) الخمعلي أبو عيد... قال له ابن رشيد: وش انت؟ رد الخمعلي وقال: من خمعلة شمر، وهو صاق (صادق)... قال له ابن رشيد: تخسى، أنت رويلي... يريد يوري ((يبين)) القطاعة... خذ النمشه، واضربه وإلا هو قطعتين... دخل بالديرة، ابن رشيد، أي والله...» ثم يواصل العودة واصفاً إحدى المعارك والقتال في أحد الأيام، حيث كان ذاك اليوم لصالح الشعلان، فيقول: «... ويلغده ابن شعلان... والله يا يوم... يا يوم واحد، شوي، وإلا دخل علينا ((يقصد ابن شعلان))... سعود ابن رشيد حط بديرة 'الراضي'... قصر من أربع علالي... ومحصن... ويوم خذوا... لهو يوم جانا ((ابن شعلان)) مع هالفحول... من قارا مع الطوير، وينزل من عند طية (صخرة) غبيشه... وتصير المعركة... الشعلان أكثر هاك الساعة... وينذبح ((يُقتل))؛ ابن بلوان، ويدنق (ينحني) عليه عليان الوردي، وينذبحون جميع؛

مناحي البلوان انذبح ودنق عليه عليان الوردي وانذبح فوقه...هاك اليوم زحمونا ((الشعلان شدّوا علينا))...» (الفلاّح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٨ ـ ٩ من ٢٧، ج ٣). ويذكر سليمان العودة، أنه بدخلة ابن رشيد وفي المعركة الحاسمة بين الرشيد وابن شعلان، في اللقائط، كان هناك قتلى من أهل سكاكا، من المعاقلة والشلهوب، وكانوا مع ابن رشيد في المعركة. وعن ذلك يقول العودة: «... ويوم انهزم نواف الشعلان للجوف ((منسحباً باتجاه وعن طريق دومة الجندل))... والمعركة اللي بين ابن رشيد وابن شعلان باللقائط... بدخلة سعود الرشيد على ديرة ختيرش... انذبح (قُتل) فيها حمدان (ولد عمي) عايد الفلاّح... وانذبح ولد مبارك المنديل...هذولا قاموا مع ابن رشيد... واللي ذبحهم ابن شعلان وجمعته...» (الفلاّح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ من ٢٣، ج ١، و٦ من ٢٧، ج ٣).

ولنتذكر أيضاً، أن زبن القعيّد، نفسه، وبعد انجلاء المعركة مباشرة، أُعدم شنقاً، وهو سجين في قصر مارد، من الشعلان مع انسحابهم من الجوف، حيث كما، يقول شنوان الداحس «وبعد انهزام الشعلان أنا عدنا للجوف ((يقصد دومة الجندل)) فوجدنا زبن قد مات في سجنه» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسليم في الأربعاء، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٩ من ٣٥).

(٢) حروب الشعلان (١٩٢٠؟) في سكاكا ودومة الجندل

(أ) **حرب الغطغط/ الغطيغط (١٩٢٠م) في سكاكا**: طبعاً إذا أضفنا إلى ذلك قتلى وإعدامات كون المطر (ما يعرف بـ «كون الغطغط أو الغطيغط (١٩٢٠م؟)» فتكون الصورة أوضح قساوة ومأساة على أهل الجوف، وهي وإن تداخلت بين الحرب الأهلية وعناصرها وقواها الخارجية وتحالفاتها، إلا أنها، كما هي سابقتها آنفة الذكر، وكما هي لاحقتها وآخرها (حرب المعاقلة أو حرب الراشد ـ المويشير)، كانت من تداعيات القيام على منصوب الشعلان؛ لنتذكر أن حرب أو كون الغطغط/ الغطيغط أسفرت عن سقوط عدد من القتلى من أهل الجوف (سكاكا ودومة)، قرشة ومعاقلة، وطبقاً لما يرويه سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٨ من ١٦، والطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٩ من ٩). ولكي لا نعيد تفاصيل تلك الحرب (انظر تفصيلات حرب الغطغط/الغطيغط ـ ١٩٢٠م؟ في وقائع الحرب الأهلية بالجوف)، فنذكر هنا بما هو لصيق بما نحن بصدده، وهو ما يتعلق بالخسائر البشرية التي أسفرت عنها تلك الحرب، وكذلك بمن شارك فيها وتحمل أعباءها قتالاً ودفاعاً أو قتلاً، وبغض النظر عن علاقته بهذا الطرف أو ذاك أو تحالفاتهم. أسفرت تلك الحرب، أو تداعياتها لاحقاً، عن سقوط عدد من القتلى. وإذا حصرنا الكلام على قتلى أهل الجوف، فإنه وطبقاً لما يرويه سعد الطارف (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ٨ من ١٦، والطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٩ من ٩)، فقد كان القتلى من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) على النحو التالي:١ ـ ضبعان من العبد (العبد ـ سكاكا)؛ ٢ ـ أخو قايد (يبدو أنه ماجد)، عم، لمصلح، من القايد (الراشد) (سكاكا)؛ ٣ ـ غازي المحوس (أخو مبارك وبريكان ـ سكاكا)؛ ٤ ـ أحمد الغلاب (المطر! سكاكا)؛ ٥ ـ خطار النومس (المطر ـ سكاكا)؛ ٦ ـ الغثيان ابن نومان (المطر ـ سكاكا)؛ ٧ ـ زاعل (أو داحش) الشوشل (الشلهوب ـ سكاكا)؛ ٨ ـ حماد الزارع (يبدو من دومة الجندل)؛ ٩ ـ سعود من العباس (يبدو من دومة الجندل)؛ ١٠ ـ ضافي الدندني

(المطر ـ سكاكا) ـ ـ ـ وهذا لم يقتل في المعركة، وإنما أعدمه ابن رشيد لاحقاً، عقابا له لتعاونه، على ما يبدو، مع ابن شعلان. طبعاً هنا على الأقل قتيل من طرف الشعلان، ولكن هذا خارج اهتمامنا هنا.

طبعاً لا ننسى أدوار ومساهمات زعامات وأفراد وجماعات فرعية في هذه الواقعة (الغطغط/ الغطيغط ١٩٢٠م؟)، من الفالح والدغيفق، وبالذات ما تعلق تحديداً بـ «محمد الزاعل» الملقب بـ «الأماني»، وكذلك آخرين من مثل صحن النصيري (النصير)، بنية فلاح الشردان (الكبيدان) وعدد من جماعة راشد القايد (الراشد)، في مواجهة قوة الشعلان المهاجمة وصدهم ودحرهم. عن الواقعة، يتحدث سعد الطارف، في أكثر من مقابلة أجريتها معه في عام ١٩٨٩م، أو أحاديث مسجلة عنه في ١٤١٤هـ وصلتني من عائلة الطارف مباشرة، واستمعت إليها كاملة على شريط كاسيت، وأضعها هنا بلغة تقترب من الفصحى، وسأورد ألفاظاً له كما قالها بالعامية كلما كان ذلك مناسباً للتوثيق، (علماً أن العبارات مابين قوسين مزدوجين هي من الباحث) للتوضيح، فيقول، مبينا أولاً تحالفات أطراف الواقعة: «.. إنه في هذه الحرب، فإن المطر أتوا بالشعلان... و/ أو أنهم... عبروهم في منطقة جدران الغطيغط، رغم أن هناك رتب لابن رشيد في المطر ـ هناك رتبة عند النومان، وعند الدندن، والضمارا، وعند عبيد البير... وقد تم إدخال ابن شعلان وقواته، ومعه بعض عناصر بدوية من الصخور، بالليل، وقال المطر: الرتب التابعين لابن رشيد اتركوهم هالحين وخلوهم على جلادتهم ((يقصد سكونهم وهدوءهم)) وانتم اذهبوا لديرة الغطيغط وجدرانها واقضبوها، أما رتب ابن رشيد فإنا ممدين عليهم ((أي لسنا في عجلة من أمرنا، نعود عليهم فيما بعد)) بعد ذلك صاح المصيَح ((يقصد على ما يبدو أن هناك إطلاق نار على المعاقلة)) ومن ثم فزعت المعاقلة، مع ديرة المنديل ((ديرة المندل، آنذاك، تصبح لاحقاً جنوبي ديرة النصير ـ وهي نهاية أراضي وشارع سيل الغديّر أو ما سمى رسمياً الآن بـ «سيل الهذال» ـ، علماً أن منديل من الشلهوب كان في خلاف مع أخيه صالح فرحل وأبناؤه في هذه المنطقة منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، ولحق به بعض من الهذال/ الصالح، ولكنهم في هذه الفترة تحت النقاش على ما يبدو بدأوا بالعودة إلى الشلهوب تدريجياً)) عن طريق حوطة المغضب (المنديل قوم شلاش)، قال خليف الفالح: عطونا فاس، عطونا فاس...» ويضيف سعد الطارف: «... والله إن هذا سمع آذاني هذولي». وعندما أتوا بالفاس كان الناس خائفين من إطلاق النار الذي ينطلق من الهبلانية ((يقصد من أبراج الهبلانية وهي قصر بالشلهوب))، حيث كانت الشلهوب مع ابن شعلان. وعندما عمل فتحة بالجدار مثل الباب، تقدم خليف الفالح، حيث كان قدام هذه الفتحة «ملطام مثل صفا المقام...» ((يقصد حجر كبير في وضع حاجز وسد ضد شدة واندفاع مياه الأمطار القادمة من الشعيب، وهو سيل ـ الغديّر ـ أو الهذال حالياً)) وصر فيهن، وعندها تبعه صحن، ثم بنية فلاح الشردان والحقه، ثم ماجد اخو لقايد والحقه، فقال خليف الفالح: يا رجال أطلعوا جاي (هنا)، يقوله خليف، هذا حكي ما يمضي... أمشوا على الرجال...» على إثرها بدأوا بالتحرك، كما يقول سعد الطارف؛ «... ومن ثم بالفعل مشوا...» (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١١ ـ ١٢ من ٢١). وفي رواية منقولة عن عارف العساف، وقد سبق أن سمعتها من آخرين أشرنا إلى بعضهم في مناقشة واقعة «كون الظلي»، يقول عارف العساف إنه لما تردد الناس (المعاقلة) في التحرك نحو مواجهة الغزو في حرب المطر، فإن خليف الفالح تقدم وسار أمامهم، وقال:

«... يا معاقلة لا تشوفوني عين وتطلبوني دين...» (العساف، عارف، منقول عنه في: الفالح، فلاح زعل خليف، خطاب، في ٢١/ ٦/ ١٤٢٣هـ، الموافق ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢م: ٤ من ٤). وبصلة بالواقعة وملابساتها، استدرك سعد الطارف، وقال: «كان معهم محمد الزاعل ((من الدغيفق)) قمز معهم، أدخل على الله، والله بيديه، ما معه بـارود...»، ثم تدخل في الحديث ابنه (سليمان سعد الطارف)، فقال: «... أيه بس محمد الزاعل أخذ بارود ابن فايز ((وهو من أبرز رجالات وشيوخ بني صخر))»... قال سعد الطارف: «ايه أدري...»، ثم أكمل سليمان الطارف تدخله فقال، عن محمد الزاعل: طير شلوى، ابن فايز كان مطرف ((يقصد على طرف))... ومطلع باروده مع البرية ((فتحة)) يثور، وشافها محمد الزاعل، فعدى.. ((مشى وتقدم عدوا بهدوء)) ومسكها، مسك برطمها ((فمها ومقدمتها))، وقال محمد الزاعل لصاحبها، «... أنا هذاني قاضبها، حول عليها...». يبدو أن الشخص المعني من الصخور هو الشيخ عواد بن سطام الصخري، كما يقول صالح العدوان (المنديل، صالح العدوان (II)، في ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٣).

(ب) ابن شعلان في دومة الجندل (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م): في فترة واقعة الغطغط أو الغطيغط نفسها، تقريباً (قبلها أو بعدها مباشرة أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م؟)، دخل نواف الشعلان، إلى دومة الجندل، وبعد حوالي ثمانية أشهر من هزيمته من الرشيد في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م، في محاولة على ما يبدو، لانتزاع الجوف من الشعلان. نشب على إثرها قتال ومعركة في دومة الجندل، تحولت في جزء منها إلى حرب أهلية هناك. وعن تلك الواقعة نورد الرواية التالية، كما دونها عبد العزيز محمد سلمان القعيّد (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥)، وكما سمع بعضاً منها من لسان والده محمد، وفي الغالب كما سمعها مباشرة من غازي بن شنوان الداحس، الذي يسرد القصة نقلاً عن أبيه شنوان للقول: «... وبعد انهزام الشعلان بمدة ثمان أو سبعة أشهر جاء نواف الشعلان غازياً معه ستة مئة رجل تقريباً ((ملحوظة، يبدو من عبد العزيز القعيّد، تقول: «للعلم ان ابن رشيد غادر المنطقة ووضع بها أمير وشيخ اللي هم: دهام بن هذلول، والشيخ الغنيمي، ووضع على قصر مارد حمد الشويعر بالجوف»))... ابن شعلان كان ينوي أن يغزو الرمال من شمر، حيث ذكرو له بعذفاء... وعند وصول نواف موقعهم لم يجد إلا الغربان على منازلهم، حيث سمعوا بقدوم نواف فرحلوا، وعند عودة نواف من عذفاء... أراد أن يمر الجوف وقد كان هناك من أهل الديرة من كانوا يكاتبونه سرّاً، فوصل ابن شعلان إلى الجوف عند رجم يسمى «رجم نوره»، وقد ذهبو بعض أهل الغرب للسلام عليه، وهم علي الطريف، ودليان الخنفور، وكوشر الحسن، ودربي الدربي من أهل الوادي، وفالح الحسن، ومن ثم أخذو نواف إلى قصر الدربي بالوادي، ونواف بدوره مشى رجاله، ولم يرغب ببقاءهم معه حيث لم يبقى إلا قرابة المئة رجل فقط، قال لهم حين أمرهم بالذهاب، أنا عند أهل الجوف إن أرادوا أن يشيخوني فأنا ماني محتاج لكم، ومن الذين حضروا للسلام على نواف الشعلان: سليمان الغثا الزارع، وعزمه على العشاء...» وتضيف الرواية أن نواف كاتب بعضاً من زعامات دومة وسكاكا، وقال لهم: «... إن أهل الغرب طلبوني وأني حضرت على رغبتهم، واللي بينا وبينكم راح بوقته...، فما كان إلا أن تصدى له القعيّد...، حيث انحاز الغرب جميعاً لنواف الشعلان، وحصل هناك ما يسمى بإطلاق النار بين القعيّد، وابن شعلان وأتباعه، ولم يكن القعيّد

يستطيعو مجابهة هذا العدد الهائل، فأرسلو لأهل الرحيبيين، ولبعض من يركن عليهم من أهل الديرة، وقد ثارت الحرب ليلاً....»، وتضيف الرواية، أن المعاقلة ((في سكاكا))، عندما شكّوا بسماع إطلاق نار (!)، بما نسب إلى عطا الشايع، شكّوا بحدوث حرب بالجوف، أرسلوا مجموعة منهم للجوف، حيث تبينوا عند وصولهم صباحا أن الحرب بين ابن شعلان وحلفائه من أهل الجوف من جهة، وبين القعيّد من جهة أخرى، فناصروا المعاقلة القعيّد؛ «... وقد هب لنجدة القعيّد العديد من أهل الديرة من مساكن القعيّد وشرق...»، وأما غرب القعيّد «جميعهم من أتباع ابن شعلان، سوى فريح ناصر المعين...، فقد قام جماعته انتقاماً منه بتقطيع نخله...»، وبعد أن دارت، صباحاً، معركة عنيفة، انهزم فيها ابن شعلان وحلفاؤه، ومع وصول الخبر لنواف الشعلان بتقهقر وانهزام أتباعه، قرر الفرار بجواده من قرب منزل سليمان الغثا الجارالله، حيث ليلاً كان معزوماً على العشاء عند سليمان الجارالله، وعندما ركب جواده واستدار يريد الهرب: صاح عليه ابن غثاء وقال: لا تخليني يا نواف، تسوّد سمعتي وتنحاش وتخليني لأهل الجوف... خذني معك. ومسك شكيمة الفرس، ومسكه لولده (ولد جارالله)، وقال لنواف أريد أجيب غرض لي من جوّى، وكان ضن نواف أنه يريد يردفه على الفرس ويهرب به معه، وعندما عاد وخرج من البيت، فإذا البندقية بيده، فعلم نواف أنه يريد قتله، فسحب شكيمة الفرس من يد ولد جارالله، وعند استدارته للهرب أطلق سليمان عليه النار من بندقيته، وقد كانت البندقية (كويتية من اللي تحشى بالملح والحصى)، ففر نواف، وبعد أن حيرت الفرس حوالي مئة متر تعثرت، فسقط نواف أرضاً، فظن سليمان أنه قتله، ففرح بذلك... (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١٠ ـ ١١ من ٣٥). ولكن «**نهار علي الزارع**» له وجهة نظر في ما يخص سليمان الجارالله ومحاولة قتل نواف الشعلان، وأنا هنا ألخص كلامه على الجملة، حيث يقول: إن ابن شعلان (نواف)، وفي إحدى معاركه مع الرشيد... كان قد هُزم وانسحب إلى دومة (الجندل)، ولجأ إلى «الزارع»... ولكن الزارع عندما أدركوا أن الرشيد يريدون الإيقاع بهم بعدما عرفوا أنه لجأ إلى دومة وإلى الزارع، قام أحدهم ((يقصد واحداً من الزارع، ويبدو هنا المقصود هو سليمان الجارالله الزارع، كما مر في رواية شنوان الداحس في مدونة القعيّد)) بإطلاق النار عليه مدعياً أنه غشهم، وبالتالي موهماً مناصري الرشيد وأعداء ابن شعلان أن نواف الشعلان ليس لاجئاً عندهم و/ أو أنهم قدموا إليه الحماية (الزارع، نهار، في: الزارع، عبد الهادي ونهار، لقاء وحديث في منزليهما بدومة الجندل، الخميس في ١٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٦:٣٠ ـ ٧:٣٠ مساء: ٣ من ٤). فوق ما تقدم من أعباء وأثمان تحملها الأهالي بالجوف (دومة الجندل)، وهي من تداعيات القيام على منصوب ابن شعلان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، كانت هناك أعباء ومساهمات وأدوار إضافية لتلك الحرب والمعركة، ومنها:

ـ هجة أهل الغرب من أهل الجوف (دومة الجندل) (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م؟):
مع هروب نواف، تتواصل رواية شنوان الداحس كما نقلها ابنه غازي، وطبقاً لما دوّنها عبد العزيز محمد سلمان القعيد (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ١٤ من ٣٥)، قام أهل الغرب من أهل الجوف (دومة الجندل) وهم الذين انحازوا وقاتلوا مع نواف الشعلان، وقواته، فتقول: «... وقد هرب أهل الغرب جميعاً مع نواف، وقد كانوا

يستعدون بالاحتفال بتنصيب نواف... ولكن لم تتم على ما يبدو فرحتهم، وتنسب الرواية طرفة لـ «دليان الخنفور» حدثت في تلك الأثناء، حيث إن شخصاً سأل دليان لمن يترك الشيخة وهو يريد الهرب، فقال بلهجته: «فرقى أمي ما عاد بها شيخات هجّ بعمرك أربح لك». وقد تفرق أهل الغرب وابن شعلان بعد ذلك، فمنهم من سكن بـ «النبك أبو قصر»، وهو يبعد مئة وأربعين كيلو عن الجوف، ومنهم من أقام بـ «كاف» المعروفة... علماً أن أهل الغرب عندما، اطمأنوا لاستباب الأوضاع في الجوف، عادوا للجوف بأشكال فردية، كل من أحس بالاطمئنان عاد لوحده» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٣٥).

ـ **سليمان الجارالله الزارع وضيافة وفد أهل الجوف (١٩٢٢م) في حايل**: كان أيضاً من نتائج تلك الحرب والمعركة أنْ تم اعتقال سليمان الجارالله (الزارع)، ونفيه إلى حائل والإقامة جبراً هناك دون الاعتقال، وسوف يستمر وجوده هناك حتى سقوط حائل للملك عبد العزيز، وسيلعب دوراً إضافياً باستضافته، في منزله لأعضاء وفد أهل الجوف بعد خروجهم من سجن ابن رشيد هناك، وحتى عودتهم للجوف، حيث إنهم «... أقاموا عند سليمان الغثا حتى قابلوا الملك عبد العزيز بعد ذلك» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٣٥).

ب ـ حرب المعاقلة (الراشد ـ المويشير نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ١٩٢٢م): أدوار ومساهمات وأعباء أهل الجوف (سكاكا)

فضلاً عمّا تقدم من أدوار، ومساهمات لأهالي الجوف (من سكاكا و/ أو دومة الجندل)، وأعباء وأثمان قدموها في حروب كانت من تداعيات القيام على منصوب ابن شعلان، كانت، كذلك، حرب المعاقلة أو ما عرف بـ «حرب الراشد ـ المويشير»، وهي آخر تلك الحروب والصراعات، المترتبة على عملية القيام على منصوب الشعلان وسلطتهم. لهذه الحرب معالجة كاملة ومفصلة في موقع آخر من الدراسة، ولكن هنا نشير بإيجاز إلى بعض الأدوار والمساهمات للأهالي في سكاكا في تلك الحرب، وما تحملوه من أعباء وأثمان نتيجة لها. شارك في هذه الحرب بشكل جوهري وأساسي عدد من جماعات فرعية من المعاقلة، وإن كانت هناك بعض التداخلات المحدودة من أشخاص من جماعات فرعية أخرى، ومنها من القرشة (العلي والمطر). كان من خسائرها البشرية أن لقي سبعة أو ثمانية أشخاص من أهالي الجوف (خاصة من المعاقلة). وعن خسائر الحرب بين الطرفين، وبغض النظر عن المواقف والتحالفات والاصطفافات فيها، يذكر سعد الطارف أن سبعة أشخاص قُتلوا من الطرفين في هذه الحرب، وهم على النحو التالي: من مجموعة جنوب وغرب المعاقلة (الدغيفق والمويشير وحلفاؤهم من أهل الحزوم)، يقول سعد الطارف، مشيراً إلى أن الكبيدان من هذا الحلف: «ذبح مننا: غثوان الكبيدان، ومفضي البيالي، وعبد الله ولد مفلح أخو سميحة، هؤلاء مننا...»، ومن حلف أو مجموعة شمال المعاقلة (أي الراشد ـ القايد وحلفاء الشعلان) «... ذبح منهم: رجا الوارد، وصلال، وراع الطمشاء، وولد عبيكة» (الطارف، سعد، مقابلة (II)، في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩: ١٠ ـ ١١ من ١٦)، علماً أن أحمد قضيب الراشد، أورد

في روايته اسم شخص آخر قتل في تلك الحرب، ويقول إن اسمه «معتق» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء (I)، الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤)، ومعتق هذا هو، على ما يبدو، أبو مطلق ومتعب المعتق **(من العبد)**. في هذا السياق، إذا تفحصنا هوية المقتولين من حلف جنوب وغرب المعاقلة، ومن خلال الروايات الشفوية آنفة الذكر، نجد أنهم: ١ ـ غثوان الكبيدان، وهذا من الكبيدان وشيخهم، وفي منطقة التماس، وقتل، طبقاً للروايات ذاتها، من شخص انقطعت داره، لأن غثوان رفض مناصرة ومشاركة القرشة (العلي ـ البليهد، والمطر) في القتال إلى جانب جماعة راشد القايد، باعتبارها، في نظره، حرباً بين المعاقلة أنفسهم؛ ٢ ـ عبد الله ولد مفلح من الدغيفق؛ ٣ ـ مفضي البيالي (البياليه ـ سراحين). في المقابل، تبدو هوية المقتولين على الطرف الآخر (حلف راشد القايد ـ شمال المعاقلة) هم في أغلبهم من جماعة راشد القايد (الرواشد ـ شمالاً) وهذا يشمل كلاً من رجا الوارد وصلال، وهناك واحد من **الكريّع**، وهو راع الطمشا، وهناك واحد من **النصير**، وهو ولد عبيكة. من هنا نلاحظ أن لا أحد من المويشير ولا من جماعتهم المباشرين من رواشدة أهل الحزوم (الرواشد ـ الجنوبيين) قُتل في تلك الحرب، وهو ما يعني أن عبء تلك الحرب والقتال الفعلي، سواء اعتبر ضد ابن شعلان أم ضد راشد القايد والمعاقلة الشماليين، إنما قام بها أفراد وجماعات جنوب غرب المعاقلة، وبالذات من البيالية والطالب والدغيفق، فضلاً عن الكبيدان، وهم جميعاً في حقيقة الأمر من خارج المويشير، علماً أنه في هذا الوقت وفي ظل غياب حمد، مقبوضاً عليه في حائل، بقي من العائلة فرد وحيد فقط، هو رجا، والذي يبدو أنه هو من قفل على نفسه الأبواب وليس حمد كما يقول عنه فلبي (Philby, 1923: 247-248، وفلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٨٥).

تلك المساهمات والأدوار للأفراد والجماعات الفرعية في تلك الحروب، وما بينهما (في تفصيلات ذلك انظر وقائع الحرب الأهلية بالجوف)، كانت هامة وحاسمة في تلك الصراعات والتداعيات المترتبة على القيام على منصوب ابن شعلان وسلطته بالجوف في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م، في الدفاع عن وحدة وتماسك الجماعة الفرعية وتحالفاتها المجاورة، وهم عندما فعلوا ذلك لم يكونوا في تصرفهم ينطلقون من أنهم رجال هذا أو ذاك من الزعامات الأخرى، وإنما هم رجال يمثلون أنفسهم وجماعاتهم الفرعية، وأنهم لا يقلّون عن الآخرين، وهم جزء من تحالفات جماعات عامة أكبر، غايتها الدفاع والحماية والتضامن الكلي. بل إن ما دفعوه من أثمان ودماء (ما قتل منهم) في سبيل ذلك، وفي حروب وصراعات متصلة، ربما يتجاوز ما قدمه الآخرون مما كانوا يُحسبون أو يُقدمون على أنهم أطراف رئيسة. تلك الأدوار والمساهمات والأعباء والأثمان للأفراد والجماعات الفرعية بالجوف (سكاكا ودومة الجندل) سواء في عملية القيام ذاتها على منصوب ابن شعلان، أو ما ترتب عليها لاحقاً وما تلاها من تداعيات وحروب وصراعات ما بين ١٩١٩ وحتى صيف ١٩٢٢م، تجاهلها على نحو فاضح «السيف وعصبته من المويشير الذين استكتبوه» لكي يقدم ويقدموا الجوف وما تم بها من تحولات (منذ ١٩١٨ وحتى صيف ١٩٢٢م) على أنها صناعة رجل واحد (رجا) مصوراً وكأنه «عفريت سليمان الجوف»(!). نترك الأمر للقارئ، أيّاً كان موقعه ليقارن ويرى الصورة كاملة بكل أبعادها وعناصرها، للجوف وأهلها، أفراداً وجماعات وأدوارهم ومساهماتهم، وما تحملوه من أعباء وأثمان ودماء في تلك التحولات والأحداث.

ثالثاً: الجوف وابن سعود (١٩٢٢): في أدوار أهالي الجوف الحاسمة في عملية انضمام وضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز

١ ـ في الدور التاريخي لأهالي الجوف وتكامل الصورة

إن ما تقدم من مشهد عن فعاليات وأدوار أهالي الجوف، نخباً، وزعامات وأفراداً وجماعات، في أحداث القيام على الشعلان ومنصوبهم، وتوابعها خلال الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م، على اتساعه وأهميته، لا يكفي لكي يعبر عن الصورة والمشهد كاملاً. إن الوقوف عند ما تقدم من مشهد وصورة سيكون ليس فقط مخلّاً بالمشهد والصورة تلك، وإنما، كذلك وفوقه، بحق الجوف وأهلها. من أجل ذلك لا بد من إكمال الصورة والمشهد، وذلك من خلال تبيان وملاحظة وابراز أدوار ومساهمات أهالي الجوف، أفراداً وزعامات وجماعات فرعية وعامة، سواء ذُكروا في ما تقدم، أو آخرين لم يذكروا بعد، في عملية وسيرورة انضمام الجوف لحكم وسلطة الملك ابن سعود، باعتبارها عملية طوعية أهلية اختيارية من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل). ولكي نعالج تلك الأدوار والمساهمات والأحداث، سوف نعرِّج أولاً على مزاعم السيف وأصحابه وشهود زوره، ثم ننتقل إلى حقيقة الصورة وأبعادها كاملة.

في رواية السيف والمويشير: يقول السيف وأصحابه ممن استكتبه من المويشير، مُلخصاً على الجملة: أنه بعد أن قتل رجا منصوب ابن شعلان، وبعد أن استدعى الرشيد على الجوف فسيطروا على الجوف، لكنهم غادروا، وبعد عودة وسيطرة الشعلان مرة أخرى، كان لرجا وأخوه رأي آخر، وهو تخليص الجوف من الشعلان، وضمها لسلطة عبد العزيز آل سعود، ولذلك أخذ الجوف وأهله للملك عبد العزيز في وفد شكله، وأرسله إلى الملك عبد العزيز لضم الجوف لحكمه (السيف، ٢٠٠٢: ١٢٥ ـ ١٢٧). ورغم أن السيف في ما يتعلق بجزئية الوفد، وفي محاولة للتغطية، يشير إلى فؤاد حمزة، وعلى نحو مكيّف، فهو في الوقت نفسه يُحرّف كلام الرحالة فلبي بما يخدم الفكرة نفسها، من حيث قوله عن أهل الجوف وإرسالهم وفداً للملك عبد العزيز: «... إن المتمردين أرسلوا وفداً إلى ابن سعود لطلب مساعدته...»، ولكن «المتمردين» هؤلاء، وهم ممثلو أهل الجوف، ليسوا كذلك كما هم في أقوال السيف وكما يريد هو، ومرحِّلاً كلامه إلى الهامش(!)؛ أنهم وكما يقول عنهم «... بالطبع ابن مويشير وأتباعه!» (السيف، ٢٠٠٢: ١٣١ و١٤١، الهامش ٤٤). ولكي يصبح رجا هو الوحيد من أهل الجوف صاحب المهمات، ومتى شاء وبأي اتجاه، «فليس في هالبلد غير هالولد»، ولكي يصبح رجا، هو من عمل كل شيء، فهو من قتل منصوب ابن شعلان، وهو من تمرد على سلطة الشعلان وقضى عليها، وهو من أتى بابن رشيد، ولكن كانت عينه على الرياض والملك عبد العزيز، فأخذ الجوف وأهلها وقدمها للأخير، مصوَّراً على أنه «عفريت سليمان الجوف»، فقد قام السيف ومن استكتبوه ورواته، شهود زوره، ومنهم كما يقول «عبد الرحمن الشاهر البراهيم، وعايد البلهود وغيرهم»، بعدم ذكر أسماء الوفد في المتن، واكتفى بذكر بعض أسمائهم في الهامش(!) (السيف، ٢٠٠٢: ١٤١، الهامش ٤٦ و٤٨)، كما فعل من قبل في الترحيل للهامش من قال عنهم إنهم مشاركون في قتل المنصوب (السيف، ٢٠٠٢: ١٠٦، الهامش ٤٩)، وكيف يذكر السيف أسماء الوفد في المتن، وهم، كما هم «المتمردين» في نظره ونظرة أصحابه، ليسوا

إلا «أتباع ابن مويشير» (السيف، ٢٠٠٢: ١٣٠). في نظر السيف ومن استكتبوه من عصبته من المويشير، لا يمكن لأهل الجوف الآخرين، أيّاً كانوا، أن يقرنوا جنباً إلى جنب «صاحبهم»، وكيف يمكن أن يقرن الأتباع بـ «المتبوع»؟! بالنسبة للقيام على منصوب ابن شعلان، ومن قتل من، وكيف؟ سبق أن ناقشنا الأمر أعلاه، ولا حاجة لتكراره هنا. أما الإشارة إلى فلبي و«التمرد»، فلنتذكر أن الأمر متعلق في ما عرف بحرب المعاقلة، أو حرب الراشد ـ المويشير (نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ١٩٢٢م)، وهي في جزء هام منها حرب أهلية، فصلنا فيها في مكان آخر من الدراسة، ويكفي هنا في الرد على مزاعم السيف ومن استكتبه وشهود زوره، هو الرجوع إلى تلك المناقشة، وإلى ما أشرنا إلى بعض منها أعلاه، وفيها أدوار ومساهمات وأعباء الآخرين من الزعامات والأفراد والجماعات الفرعية. وأما ما يتعلق بالوفد للملك عبد العزيز، ومن قام به، وممن تشكل وكيف، ومن هو صاحب الفكرة في ضم الجوف للملك عبد العزيز، وما هي تفصيلات أدوار أهالي الجوف، زعامات وأفراداً وجماعات من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، فهو ما سنفصل فيه، وفيه إثبات لحقيقة الأمر وصورتها الكاملة بكل أبعادها.

٢ ـ أهل الجوف والملك عبد العزيز (١٩٢٠/ ١٩٢١): مراسلات وفكرة الانضمام

أ ـ مراسلات أهل الجوف مع الملك عبد العزيز ما قبل الوفد الأهلي (١٩٢٠/ ١٩٢١م)

يذكر هلال سالم النصر، أن عدداً من أهل الجوف، وبالذات من أهل سكاكا، كانوا يتراسلون مع ابن سعود لغاية طلب ضم الجوف لحكمه، ومن أولئك: عيد الضميري، ومنصور الباسط، ومسلط الضبعان، ومحسن الصليع، وغثوان الدخيل الدرعان (النصر، هلال سالم (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ١ من ٦). ويضيف النصر، فيقول إنه، وإضافة إلى ما تقدم من شخصيات وأعيان أهل الجوف (سكاكا)، فإن هناك شخصيات من غير أهل الجوف، وكانوا آنذاك في الجوف، ومن مسؤولي ابن رشيد في المنطقة، كانوا أيضاً يراسلون سراً، ابن سعود، ومن أولئك دهام الهذلول والشيخ الغنيمي، وكلاهما في الأصل من أهل حائل (النصر، هلال (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ١ من ٦). ويبدو أن دهام الهذلول هو منصوب ابن رشيد في سكاكا، والشيخ الغنمي، هو قاضي ابن رشيد بالجوف، حيث إنه بعد السيطرة على الجوف في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م، فإن «... ابن رشيد غادر المنطقة ووضع بها أمير وشيخ، اللي هم: دهام بن هذلول، والشيخ الغنيمي، ووضع على قصر مارد حمد الشويعر بالجوف» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٩ من ٣٥).

(١) **عيد الضميري (صاحب فكرة الضم): الدور والمهمة والثمن**: يؤكد محمد العقلاء غالب الضميري، في مقابلة معه في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢م، أن عيد الضميري، وقبل ذهاب وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز، وفي وقت كانت الجوف لا زالت تحت حكم الرشيد، ويبدو أن ذلك كان في وقت ما، في الفترة ما بين منتصف وأواخر ١٩٢٠ م، و/ أو أوائل ١٩٢١م، قام عيد الضميري بالتراسل مع الملك عبد العزيز، والأخير في منطقة القصيم، وقبل محاصرة حائل، فطلب الملك عبد العزيز من «ابن معمر» والذي كان برفقته، أن يكتب إلى عيد الضميري في الجوف مستوضحاً منه موقفه وموقف أهل الجوف. وورد في المراسلات كلام ونصوص تبدو قريبة من التالي: «ابن سعود؛ وش عندكم يا أهل الجوف؟ أنت

معنا وإلا علينا؟ رد عيد الضميري وقال؛ حنا مع الشريعة، وابن سعود راعي حق، وإلا هذولاء، يحكمون بالطغيان، وما يحكمون بالحق» (الضميري، محمد العقلاء غالب، مقابلة، في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٥). وذكر محمد عقلاء غالب الضميري، أن عيد الضميري، ومن باب الحرص على سرية الأمر، كان يرفض إطلاع أحد على تلك الرسالة، والتي وصلت من ابن معمر بطلب من ابن سعود، إلى درجة أن جد محمد العقلاء الضميري لأمه (عايد العبد الله الضميري) قال لهم إن عيد الضميري، في حينه، كان يرفض إطلاعهم على الرسالة. وذكر محمد العقلاء الضميري، أن من كان يحمل رسالة عيد الضميري ورده للملك عبد العزيز، هو رجل شمري يدعى «الصلعاء» (الضميري، محمد العقلاء غالب، مقابلة، في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ٥). وفي مرحلة سابقة أو لاحقة أو موازية، يبدو أن عيد الضميري أخذ يواصل مراسلاته مع الملك عبد العزيز، ولم يكتفِ بمراسلاته الفردية، وإنما فوق ذلك أخذ يطوّر الأمر في تلك الاتصالات على مستوى أعلى وجماعي، ويرفع من أهميته وجديته ليس في نظره، وإنما في نظر ابن سعود، وذلك بتنسيق وتحالف مع آخرين من مسؤولي ابن رشيد في الجوف، وبالذات مع كل من دهام الهذلول، منصوب ابن رشيد في سكاكا، والشيخ الغنيمي، وهو قاض لابن رشيد في الجوف. وفي رواية لـ «سلمان القعيّد»، كما يدوّنها حفيده (عبد العزيز بن محمد سلمان القعيّد نقلاً عن والده عن جده)، علماً أن جده «سلمان القعيّد» كان أحد أعضاء وفد الأهالي للملك عبد العزيز (١٩٢١/ ١٩٢٢م)، والذين سجنهم ابن رشيد في حائل، يتبيَّن أن هناك إشارة إلى دور رئيسي لـ «عيد الضميري»، في فكرة ضم الجوف وفي الاتصال على الملك عبد العزيز للغاية ذاتها، بالتعاضد مع كل من دهام الهذلول والشيخ الغنيمي، وهذا دور سابق وفكرة سابقة على فترة، وعلى وفد أهل الجوف الذي اعتقل في حائل في صيف ١٩٢١ تقريباً، علماً أن عيد الضميري نفسه سيكون واحداً أساسياً من الوفد. وفي تفصيل الرواية، والتي تشير في بعض من تفصيلاتها إلى أحداث سابقة للوفد وذهابه لحائل، أنه عندما اكتُشف أمر مجموعة وفد أهل الجوف حول حائل، وهم في طريقهم للملك عبد العزيز، تم اعتقالهم وإيداعهم في سجن ابن رشيد (الأمير آنذاك كان على ما يبدو؛ محمد بن طلال) في حائل، و«... كان ابن طلال حاقد على الأمير اللي بالجوف. أرسل ابن طلال خالد بن مجراد، أميراً للجوف، بدل دهام الهذلول أمير الجوف، وأرسل معه عبيد اثنين، واحد اسمه «مرجان»، والثاني اسمه «ابن سقيان»، ومعمدين بعد استلام الأمير خالد إن واحد يذبح الشيخ، وواحد يذبح الأمير. بعد ما ذبحوا العبيد الأمير والشيخ، استنكر الأمير خالد! قالوا العبيد: معمدنا معزبنا هالشكل، حاقد الأمير لأن لهم توقيع (للأمير دهام هذلول، والشيخ الغنيمي، وعيد الضميري معهم)، كانوا مرسلين الكتاب مع واحد اسمه «ختَّام السويدي» لابن سعود يطلبون انضمام الجوف لابن سعود...» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢). هذه الرواية، من حيث قتل ابن رشيد لكل من دهام الهذلول، والشيخ الغنيمي، سبق أن أشار لها عبد الرحمن الشايع في كتابه عن الجوف الجزء الأول (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٨)، وكذلك يؤكدها هلال سالم النصر، حيث يشير إلى مقتل «دهام الهذلول» ويقول على الجملة: إن ابن رشيد، ويبدو أنه علم باتصالات منصوبه دهام مع ابن سعود، فأرسل من رجاله لقتله، وبالفعل فإن «دهام وبعد أن خرج بعد العشاء من عند محسن مخلف الفالح، قتلوه، رجال ابن رشيد» (النصر، هلال (II)، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣: ١ من ٦).

ويبدو أن أول من قُتل هو دهام الهذلول في الطريق، وأن ذلك وقع ما بين سكاكا ودومة الجندل، وهم في طريقهم للقبض على الشيخ الغنيمي لقتله، علماً أن الشيخ الغنيمي آنذاك كان «عريس على بنت النحاس، وجيب وقتل» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ظهراً، ٤ من ٤).

(٢) **عيد الضميري ثمن الدور والفكرة: الإعدام**: مع إعدام وقتل كل من دهام الهذلول والشيخ الغنميي، لم يبقَ سوى عيد الضميري والذي، على ما يبدو، في هذا الوقت، وقت إعدام الهذلول والغنيمي، كان مقبوضاً عليه في حايل ضمن وفد أهل الجوف. قبلها كان عيد الضميري، فردياً و/ أو جماعياً، كما قلنا، على تواصل مع الملك عبد العزيز، ويحتضن ويدفع بفكرة ضم الجوف للملك عبد العزيز. من هنا، سوف نرى، في تفصيل لاحق، أنه وبناء على ما قام به عيد الضميري من اتصالات ومراسلات سابقة مع الملك عبد العزيز، فسيكون مصيره الإعدام مع قدر غير قليل من التعزير به أثناء القتل. ونود أن نشير إلى أن إعدام وقتل عيد الضميري، لم يكن نتيجة أو عقاباً له على أنه كان كاتب رسالة وفد أهل الجوف، كما يزعم السيف وعصبته من المويشير ممن استكتبوه (السيف، ٢٠٠٢: ١٢٩)، وإنما لأنه، وفي حين كانت الجوف لا زالت خاضعة لحكم وسلطة الرشيد، وسابقاً لواقعة الوفد، هو من دفع بفكرة ضم الجوف للملك عبد العزيز وتواصل وتراسل معه مباشرة فردياً و/ أو بالاشتراك مع دهام الهذلول والشيخ الغنيمي، وهذا ما تشير له رواية مفصلة، كما سترد لاحقاً، وكما دوّنها القعيّد (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٨ من ٨)، وكذلك سبق أن لمح لها عبد الرحمن الشايع في كتابه عن الجوف، عندما قال: «... فقام ابن **الرشيد وذبح الشيخ الضميري صبراً، لأنه له خطأ سابقاً مع ابن دواس والشيخ الغنيمي**...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٨)، علماً أننا نعتقد، وطبقاً للمقارنة بروايات أخرى موازية، سابقة وتالية، بأن الشخص الذي يشير إليه الشايع الكريّع على أنه ابن دواس هو في حقيقة الأمر دهام الهذلول. عندما قبض على الوفد، وكان عيد الضميري من ضمنهم إنما كان هذا دليلاً إضافياً على دوره الجوهري في مواصلة عملية حركية، وليست كتابية فقط، في تبني وتنفيذ فكرة ضم الجوف للملك عبد العزيز. من هنا كان إعدامه، وكان فيه قدر من التعذيب المقيت، انتقاماً منه، لكونه صاحب فكرة ضم الجوف ولأنه بقي ملتزماً بالفكرة والمراسلات مع الملك عبد العزيز، وفي الاشتراك مباشرة في تنفيذ الفكرة عملياً. أود أن أُشير، ومن باب الأمانة العلمية، إلى أن أول من لمح لي عن أن عيد الضميري ربما يكون وراء فكرة ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز، هو سالم حمدان راشد المفرّح، وكان ذلك في حديث مشترك حول الجوف وتاريخها في صيف ٢٠٠٢م، دار بيننا وفي مكتبه بمقر شركة كهرباء الجوف المستأجر في المخطط المميّز، رغم أنه وعندما طالبته بإعطائي بعض المعلومات المحددة إن كان لديه سواء تعلق الأمر بالفكرة أو بتاريخ الجوف عموماً، تردد ولم يبدي حماساً، وبدا أنه لا يرغب بذلك (المفرح، سالم حمدان، حديث ونقاش، صيف ٢٠٠٢). ورغم أنني كنت قد اطلعت على عدة كتب عن تاريخ الجوف، فإنني لم أكن متأكداً من كيفية الوصول إلى التحقق من دور عيد الضميري وكونه ربما يكون صاحب فكرة ضم الجوف، إلا بعد أن أجريت مقابلات عديدة وقارنتها مع بعضها البعض، ومنها، ما مر بنا، مع

كل من هلال سالم النصر، وكذلك مع محمد العقلاء غالب الضميري، ومعها وفوقها عندما اطلعت على رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف، كما سنأتي على عرضها لاحقاً، علماً أن سلمان القعيّد هو أحد أعضاء الوفد وشاهد على أحداثه. بعد تلك المقارنات والمطابقات بين الروايات والمصادر عن تاريخ الجوف، تبيَّن لي وعلى نحو لا لبس فيه أن عيد الضميري هو بالفعل صاحب فكرة ضم الجوف لابن سعود. وفي هذا السياق أميل إلى ترجيح القول بأن ما ورد في كتاب «الجوف» لـ «عبد الرحمن الشايع الكريّع» (١٩٨٤م) في جزئه الأول، وخاصة العبارة آنفة الذكر، والتي تتكلم عن أن ابن رشيد قتل الشيخ عيد الضميري صبراً (تعزيراً)، بعد اعتقاله مع وفد أهل الجوف لأبن سعود، لأن «... **له خطأ سابقاً** مع ابن... والشيخ الغنيمي...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٥٨) تبدو أنها، وفي ضوء عدم الكشف عن أدلة أو مصادر أخرى وإتاحتها لنا للاطلاع والمقارنة، غالباً ما يكون المصدر الذي اعتمد عليه سالم الحمدان المفرّح في التلميح لنا بأن عيد الضمير قد يكون وراء فكرة ضم الجوف لحكم ابن سعود.

ب ـ وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز (نهاية صيف ١٩٢١م)

في ظل تلك الظروف السائدة بالجوف من عدم الاستقرار والحروب على الجوف وفيها، بما فيها تحوّل بعضها إلى حروب أهلية في الفترة ١٩٠٧ وحتى ١٩٢٢م، وبالذات فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م، وفي ظل ظهور قوة ثالثة بموازاة قوتين متآكلتين (الرشيد والشعلان) وعدم قدرة أي منهما على توفير استقرار دائم للجوف وأهلها، فضلاً عن فقدانهما نموذج حكم للتقدم والحياة الكريمة مقبولاً من الأهالي في ضوء تجارب مريرة مع كل منهما، كانت هناك تصورات وأفكار من بعض أهالي الجوف، وممن كان فيها من غيرهم للخروج من هذه الحالة. من هنا نبعت فكرة مراسلات واتصالات مع قيادة القوة الثالثة، من أهل الجوف، ومنهم عيد الضميري ومن غيرهم، حتى من مسؤولي ابن الرشيد أنفسهم في الجوف، ومنهم دهام الهذلول منصوب ابن رشيد في الجوف (سكاكا)، والشيخ الغنيمي. كان ذلك بحدود الفترة ما بين صيف ١٩٢٠ وأواخرها وما بين أوائل ١٩٢١م، لكن في ضوء انكشاف أمرها من الرشيد، كان إعدام كل من دهام الهذلول والشيخ الغنيمي، ولاحقاً عيد الضميري، ولكن قبل الإعدامات كان عيد الضميري فردياً وبالتعاضد جماعياً مع الهذلول والغنيمي قد رعى وأبرز فكرة ضم الجوف لابن سعود. ومع عودة الشعلان واندلاع حرب فيها قدر من الاصطفافات والاستقطابات الأهلية (حرب المعاقلة أو ما عرف بحرب الراشد ـ المويشير) وموقف من العداء متنامٍ ما بين مجموعات رئيسة من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) من جهة وبين الشعلان من جهة أخرى في سياق القيام على منصوبه ١٩١٨م وما تلاها من صراعات بين الرشيد والشعلان متعاقبة، فضلاً عن موقف للقرشة كان معادياً للشعلان على خلفية الأذى الذي لحقهم منه والتصادم معه وبالذات في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م، كانت الأجواء مهيأة للتوافق بين أهلها زعامات وجماعات على أمر الجوف، فلمعت فكرة التوجه مجدداً للقوة الثالثة، وكانت إمكانية تحقيقها كبيرة. من هنا دار تواصل بين عدد من زعامات الجوف، وقبيل مقدم الشعلان في حدود نهاية صيف ١٩٢١م، على أمر وفكرة ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز، فكان أن توافق عدد من

زعامات الأهالي بالجوف (في سكاكا ودومة الجندل) على تكوين وفد، وإرساله للملك عبد العزيز وكان الأخير لا زال في القصيم، لم يتقدم إلى حائل ولم يحاصرها بعد.

(١) أسماء أعضاء وفد أهل الجوف:

(أ) الأسماء برواية سلمان النومان:

ـ أسماء أعضاء وفد أهل الجوف الذي ذهب للملك عبد العزيز طالباً انضمام الجوف لحكمه، وفقا لرواية سلمان النومان كما نقلها لنا الدكتور عارف المسعر، وأرسلها في خطاب سلم لنا في «جلسة واستراحة المربع» عن طريق الأخ خليل الصلهام، في ٣٠/ ٣١ ـ تشرين الثاني/ نوفمبر ـ ٢٠٠٢م. سوف نضعها مرتبة كما وردت هي في أصل الخطاب:١ ـ عيد الضميري؛ ٢ ـ صلهام الحمد؛ ٣ ـ منصور الباسط؛ ٤ ـ كبيريت الدرعان؛ ٥ ـ عبد الرحمن الفالح؛ ٦ ـ شامخ المفرج؛ ٧ ـ حمد المويشير؛ ٨ ـ سلمان القعيّد؛ ٩ ـ شخير المحيني؛ ١٠ ـ حامد الجميد؛ ١١ ـ محسن خليف الفالح (المسعر، عارف «قائمة وفد أهل الجوف برواية سلمان النومان»، مرسلة في خطاب، استلمها الباحث في ٣٠ ـ ٣١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢: ١ من ١). بالنسبة لـ «حامد الجميد»، فله قصة أخرى سنأتي عليها بالتفصيل لاحقاً، وكل ما يمكن قوله الآن هو أنه وحسب ما توفر من معلومات عنه فلم يكن من ضمن الوفد عينه والذي قبض عليه في حائل، ولكن له قصة أخرى لاحقة للوفد وما بعد القبض عليهم، إذ تم إرساله من قبل أهالي الجوف لإبلاغ ابن سعود، برغبة وطلب الأهالي بالانضمام لحكمه، ولإخطاره بمصير الوفد في حائل (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٣٢ من ٣٥).

ـ وعطفاً على قائمة وفد أهل الجوف برواية سلمان النومان، فقد أورد معاشي بن ذوقان سعد العطية، في كتابه «أوراق جوفية»، قائمة بأسماء وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز، قال إنها مملاة عليه ومستقاة مباشرة من سلمان النومان، حيث «يضم الوفد الشخصيات التالية: منصور الباسط، وحمد المويشير، وعبد الرحمن الفالح، ومسعر البليهد، وشامخ المفرج، وصلهام الجابر، وغشام المظهور، وعيد الضميري، وكبريت الدرعان، ومحسن بن خليف الفالح، وفالح بن خليف الفالح» (العطية، معاشي ١٤٢٣هـ: ٢٢١، وهامش ١). ولكن هذه الأسماء بالمقارنة مع القائمة السابقة كما أرسلها الدكتور عارف المسعر تختلف بعض الشيء ويبدو فيها أخطاء واضحة ومنها على الأقل أنه لا وجود في عائلة الفالح لشخص اسمه «فالح خليف الفالح»، فضلاً عن أنها ذكرت أسماء لم ترد في ما سمعته من عدد من رواة الجوف، عن مشاركتها ولم يمر عليَّ في كتابات عن الجوف، ومنها، مثالاً، كل من مسعر البليهد وغشام المظهور، وفضلاً عن أنها أهملت أسماء أخرى كانت ضمن الوفد، ومنها مثالاً سلمان القعيّد، وكذلك شخير المحيني.

(ب) الأسماء برواية عبد الرحمن الشايع الكريّع: تجدر الإشارة إلى أنه من بين كتابات أهل الجوف، فإن أول من دوَّن وأشار إلى سبعة من أسماء وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز، هو عبد الرحمن الشايع الكريّع. وعن ذلك يقول الكريّع؛ «وكان الوفد يتألف من: محسن خليف آل فالح وعبد الرحمن خليف آل فالح، وحمد بن ذباح المويشير،... وفضيلة الشيخ عيد الضميري من الضمارة، والدليل شخير المحيني من عنزة... وسليمان آل قعيّد من دومة، وكبريت آل درعان، وآخرين...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن

(I)، ١٩٨٤: ٢٥٨). ونود أن نلفت الانتباه إلى أن محسن الفالح الوارد ذكره أعلاه، سواء في رواية سلمان النومان أو في ما أورده الشايع الكريّع وهو في حقيقة الأمر: «محسن مخلف الفالح»؛ بمعنى أنه ليس ابن خليف الفالح، وإنما هو ابن شقيقه مخلف الفالح. ونلفت الانتباه، كذلك، إلى أن سليمان القعيّد الوارد ذكره كما جاء اعلاه في كتاب عبد الرحمن الشايع الكريّع، هو في حقيقة الأمر: سلمان القعيّد وليس سليمان القعيّد.

(ج) أسماء الوفد برواية سلمان القعيد: سلمان القعيّد، وهو واحد من المشاركين في الوفد، وبما ينقله عنه ابنه محمد من رواية، ويدوِّنها عن الأخير ابنه عبد العزيز (عبد العزيز محمد سلمان القعيّد)، فيقول إنهم سبعة أشخاص، وهم: «... وكان الوفد مكوّن من سبعة أشخاص: حمد ذباح المويشير، الشيخ عيد الضميري، عبد الرحمن خليف الفالح، محسن بن صليع الدرعان، كبريت الدرعان، هؤلاء من سكاكا، ومعيوف بن وديعة راعي قارا، سلمان سعدون القعيّد من الجوف دومة الجندل» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٨).

(د) في تفسير الاختلافات في قوائم أسماء الوفد: ليس هناك جواب شافٍ وكافٍ لهذا الاختلاف بين القوائم في الأسماء لوفد أهل الجوف وما ورد من روايات عنها، ولكن الأمر يمكن تأويله بعض الشيء. يمكن رد الأمر للتالي: يبدو أن هناك أكثر من وفد ذهب للملك عبد العزيز. هناك الوفد الأول (١٩٢١م)، وبغض النظر عن صحة أعضائه، والذي تم اعتراضه وسجنه في حائل. تبعه أن أرسل أهل الجوف «حامد الجميد» في مهمة كمتابعة للأمر، ولذلك هناك من أدخل اسم حامد الجميد، كواحد من أعضاء الوفد الأول، وهذا ليس بصحيح. والصحيح أنه قام بمفرده، وبطلب من الأهالي لاحقاً، بمهمة كان الوفد الأصلي ينوي القيام بها بعد اعتقاله في حائل. فوق هذا وذاك، يبدو أن هناك وفداً ثالثاً (وربما وفد رابع؟) مكوّناً من عدد من أعيان أهل الجوف (من سكاكا ودومة الجندل) ذهب لتقديم التهنئة و/ أو البيعة لابن سعود بعد الإعلان عن إما: ١ ـ تنصيب ابن سعود سلطاناً «على نجد والحجاز» و/ أو؛ ٢ ـ الإعلان توحيد البلاد والإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية (١٩٣٢م)، أي بعد حوالي عشر سنوات من انضمام الجوف لسلطة وحكم ابن سعود. ليس هناك معلومات دقيقة عن أعضاء الوفد الأخير، ولكن ما يمكن القول عنه هو أنه أكثر عدداً وتنوّعاً مقارنة بالوفد الأصلي (١٩٢١م). من هنا ليس غريباً أن ترد بعض الأسماء أو تختفي هنا أو هناك في الروايات والقوائم. يبقى القول إن ما هو مثير في أمر وفد أهل الجوف للتهنئة و/ أو البيعة، هو أنه على ما يبدو كانت هناك عملية فردية بعينها لاختطاف أهل الجوف وأعيانهم. يتعلق الأمر بواقعة حرمان أعضاء وفد أهل الجوف من الدخول والسلام على الملك عبد العزيز وتهنئته، وتجييرها لصالح فرد بعينه. وفي القصة إجمالاً، وكما يروي عبد الله السلطان: أنه ورغم أن جميع أعضاء الوفود الأخرى، والتي وصلت بأعداد غفيرة وكثيرة من مختلف الجماعات والقبائل والمناطق للتهنئة، قد سمح لها ودخلت للسلام على الملك جميعاً، وبدون استثناء لأي شخص مهما كان، إلا أن وفد أهل الجوف، وبترتيب من ورائهم وبدون علمهم، تم الالتفاف عليهم واستبعادهم من السلام والدخول على الملك جميعاً باستثناء أحدهم فقط، حيث تم الاكتفاء والتبرير بالقول إن رغبة الملك هي أن شخصاً واحداً يكفي للسلام عليه. في المقابل، حيث علموا لاحقاً، عندما دخل الشخص على الملك، وبوجود

مسؤول ترتيب دخول الوفود والذي يبدو أن له صلة بالأمر، سأل الملك عن وفد أهل الجوف؟ فقيل إن الرد جاء بالقول بأنهم وكلوا «رجا» ينوب عنهم!» (السلطان، عبد الله عبد المحسن، حديث ونقاش، صيف ٢٠٠٢). أما بقية أعضاء وفد أهل الجوف للتهنئة، فهي، وإن قطعت مسافة لا تقل عن ٢٠٠٠ كم مشياً وعلى الجمال (ذهاباً وإياباً) فما عليها إلا تبهرج «المنظر» وتكتفي بالتدافع على صواني الإمام لتقلط عليها. بناء على ما تقدم من روايات عن أسماء وفد الجوف الأصلي (١٩٢١م) والتباين بينها، ومع عدم وجود معلومات مؤكدة، فإنني لا أستطيع أن أرجح صحة أي من تلك القوائم بعينها.

(٢) مسار ومصير وفد أهل الجوف للملك عبد العزيز (١٩٢١م): بين الاعتقال والتعذيب والإعدام: كان واضحاً أنه ترتب على المراسلات مع الملك عبد العزيز والتي كان يقوم بها ـ سراً في بداية الأمر على ما يبدو ـ عدد من الشخصيات من داخل الجوف (من أهلها ومن غيرهم ممن هم كانوا متواجدين بينهم)، وبالذات عيد الضميري وكل من دهام الهذلول والشيخ الغنيمي، أن راجت فكرة ضم الجوف للملك عبد العزيز. كان عيد الضميري يحتضن ويدفع بـ «فكرة الضم» ويواصلها. في هذه الأجواء وفي سياقها وسياق ما سبق أن بيَّنا من حالة عدم استقرار في الجوف وحولها، كان أن بدأ انتباه أعيان أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) لتلقف فكرة ضم الجوف للملك عبد العزيز، وتطبيقها عملياً، وكان يقف وراءها ويدفع بها عيد الضميري، ولذلك ليس غريباً أن يكون واحداً أساسياً من الوفد، فتم التوافق بينهم على تكوين الوفد وإرساله للملك عبد العزيز. في تفاصيل مسار ومآلات الوفد يدوّن عبد العزيز محمد سلمان القعيّد، نقلاً عن والده عن جده (وجده هو سلمان القعيّد كان عضواً ضمن الوفد) رواية، يقول فيها: «... سار الوفد... للملك عبد العزيز قصدهم تسليم... الجوف له، وكان برفقتهم دليل، هو حمد الذرفي الشمري، وقد كان سبب اختيارهم الشمري المذكور هو اتقاء لشكوك من يصادفهم من دوريات ابن رشيد. كانت خطتهم أن يُحاذوا حائل من الجهة الشرقية، ثم الاستيلاء على الدليل، ثم يتجهون للملك عبد العزيز مباشرة... الدليل (الذرفي) جابهم على خط يُحاذي «رطيّان»، مكان (مورد) ماء معروف، لأنه شك أنهم رايحين لابن سعود، وهم قالوا له إنهم رايحين لابن رشيد. كانوا لا يعرفون الأرض، قال لهم (الدليل) يوم حل الظلام ليلاً: أهلي ما هم بعيدين عن الماء «رطيَّان»، لعلكم تسمحون لي أروح أسلّم عليهم وأرجع لكم مع صلاة الصبح، تركوه يذهب سعياً منهم لعدم تأكيد شكوكه حيث إنهم لم يبلغوا النقطة المستهدفة، وبالتأكيد سيصادفون في اليوم التالي دوريات ابن رشيد، لذا لم يريدوا قتله، ولم يستطيعوا أسره، فما كان من الدليل «حمد»، إلا أنه بلغ عنهم دورية ابن رشيد، ويروي جدي سلمان لوالدي محمد...، أنه وبعد صلاة الصبح، مع ظهور أول الضوء، وعند استدارتي... في الصلاة حيث إنني كنت أئمهم في صلاة الصبح، وإذا أشجار الغضى والأرطى، التي لم تكن بعيدة عنا، يتستر وراءها رجال كثر، فأدركت على الفور أننا أوقع بنا، فقمت بدفن المكتوب الموجه للإمام عبد العزيز، وأبقيت المكتوب المكتوب لأبن رشيد، وهذا العمل متفق عليه من قبل. هاجمنا بعد ذلك رجال ابن رشيد، وتغلبوا علينا لقلتنا وكثرة عددهم، وذهبوا بنا إلى حائل للأمير محمد بن طلال ابن رشيد، وأدخلونا السجن، ووضعوا بأيدينا السلاسل الحديدية، وأرجلنا» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٤

من ٨). وتضيف الرواية، في إشارة وتداخل لأحداث متصلة، بالقول؛ «... كان محمد طلال حاقد على الأمير اللي بالجوف. أرسل ابن طلال خالد بن مجراد، أميراً للجوف، بدل دهام الهذلول أمير الجوف، وأرسل معه عبيد اثنين، واحد اسمه «مرجان»، والثاني اسمه «ابن سقيان»، ومعمدين بعد استلام الأمير خالد إن واحد يذبح الشيخ، واحد يذبح الأمير. بعد ما ذبحوا العبيد الأمير والشيخ، استنكر الأمير خالد!، قالوا العبيد: معمدنا معزبنا هالشكل، حاقد الأمير لأن لهم توقيع (للأمير دهام هذلول، والشيخ الغنيمي، وعيد الضميري معهم)، كانوا مرسلين الكتاب مع واحد اسمه «ختام السويد» لابن سعود يطلبون انضمام الجوف لابن سعود...» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢). وفي تداخل مع الأحداث، وإكمالاً للواقعة ولبعض من تداعياتها وسوابقها، تمضي الرواية بالقول أنه بعد وصول خبر اعتقال الوفد وأعضائه في حائل؛ «... كتب أهل الجوف رسالة لابن طلال، إنك أسرت رجالنا، وإن حصل لهم شيء سنقتل رجالك (الرتبة) اللي عندنا. وكان سبب حقد ابن طلال على ابن هذلول والغنيمي هو توقيعهم رسالة سابقة مع الشيخ عيد الضميري، وقد أرسلت الرسالة في وقت سابق مع شمري يدعى ختَّام السويدي، وقد ألقي عليه القبض من رجال ابن رشيد، وكشف سر الرساله، وقتل في وقته...» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٤ من ٨). وفي تفصيل لنهاية حياة عيد الضميري ثمناً لدوره في فكرة ضم الجوف، ومراسلاته السابقة مع ابن سعود، تمضي الرواية، بالإشارة إلى حقد محمد بن طلال الرشيد عليه، بالقول: «... أما الشخص الثالث المحقود عليه فهو عيد الضميري، حيث يروي جدي لأبي الآتي: يقول، كانوا يخرجوننا من المكان الذي نحن فيه، ويقتادوننا للقتل، ويقف المكلف بالقتل شاهراً سيفه ونحن بوضع جلوس، ـ وعلى ما يبدو أن اسمه، أي السيّاف، وهو عبد من عبيد الرشيد كان (الضعيف)، وهو سيّاف الرشيد المعروف ـ، ثم يقومون بإعادتنا إلى السجن. وقد كان الشيخ عيد...، برواية جدي سلمان، يأكل بنفس مفتوحة، ثم نقول له مازحين: كيف تأكل يا عيد، وهم يريدون ذبحنا أما اليوم أو بكرة، ما فيه داعي تاكل. يرد علينا ضاحكاً، ويقول قول الواثق بالله: أنا ماني طماع، والله ما هو بخيل ياخذ من أيامي، وما أريد أموت جيعان. ثم يروي جدي بعد ذلك: أنهم أخرجونا كالمعتاد ونحن مكبلين بالسناسل بأيدينا وأرجلنا، ثم يقف السيّاف، بكل جبروت، ويطعن عيد الضميري في كتفه الأيمن من الخلف، ثم في كتفه الأيسر بمقدمة السيف. وكان عيد..، شامخا رأسه لا تبدو منه أي حركة تشفي غليلهم، وقد كرر السيّاف هذا العمل بغرض أن تبدر من عيد عبارات الاسترحام والترجي، ولكنه لم يفعل. وعندما ضجر عيد الضميري من هذا الفعل المشين التفت إلى العبد وقال له أحسن القتل يا كلب، فضربه من الجهة اليمنى، وخرج السيف من تحت أبطه الايسر، علماً بأنه طلب منهم أن يصلي ركعتين فرفضوا، وطلب منهم أن يتوضأ فرفضوا. استمر سجنهم حتى سقطت حائل» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في: ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٨). وفي تفسير لعدم قتل بقية الوفد، وفي عبارات ليس واضحة إن كانت من أصل الرواية أم هي «مداخلة» من مدوّن الرواية (عبد العزيز القعيّد)، يُشار بالقول:... كان السبب في عدم قتلهم هو أن ابن طلال ينظر إلى الجوف ملء عينه، حيث إنه يزمع إقامة دولة لهم، أي للرشيد، بها (الجوف) في

حالة سقوط حائل في يد الملك عبد العزيز، ولم يرغب ابن طلال في إيغار صدور أهل الجوف في قتل كامل الوفد، فقد اضطر مرغماً(!) أن يبقي ستة منهم، ويشاء الله أن تسقط حايل، ويقول جدي...، وعلى حين غرة، وقد كنا وقت صبح، سمعنا من ينادي بأعلى صوته: ابشروا بالسلامة يا أهل الجوف؛ الحكم لله ثم لابن سعود، وكسروا أقفال الأبواب، وقاموا بإخراجنا بعد مكوثنا سنة كاملة في السجن. وقام الملك عبد العزيز بعد ذلك باستقبالنا، استقبال جميل، وقال لنا بالحرف الواحد: «ولاكم هالاجودي، الله يسوق لنا وله». وعوضنا عن أسلحتنا وركايبنا، وسرنا متجهين للجوف، بعد أن سلمناه الجوف، وعاهدناه. وفي أثناء الطريق أصيب جدي سلمان بمرض الجدري، وبقى بجبة الغربية من حايل، وأكمل الوفد طريقهم للجوف... وأتى أول أمير للمنطقة، عساف الحسين، في ذي القعدة ١٣٤١هـ» (القعيّد، عبد العزيز، «رواية سلمان القعيّد عن وفد أهل الجوف»، في: ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الاثنين في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٦ ـ ٨ من ٨).

ملاحظات على الرواية

١ ـ أن من كان معه الكتابات (الرسالتان)، ودفن بالرمل الرسالة الموجهة لأبن سعود، وأبقى رسالة ابن رشيد، قبيل القبض عليهم هو سلمان القعيّد، وليس كما يشاع أنه عيد الضميري (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤ : ٢٥٨).

٢ ـ ربما كاتب الرسائل هو عيد الضميري لما له من علاقات مع ابن سعود ودراية سابقة بالتعامل معه، وكونه كذلك، وفوقها مراسلاته السابقة على ذهاب الوفد، لوحده أم بالشراكة مع الهذلول والنعيمي، يثبت مرة أخرى أنه هو صاحب فكرة ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز، لذلك كان هو الوحيد الذي قُتل، وكان قتله عقاباً له على ذلك الدور والمراسلات السابقة، فضلاً عن مشاركته الفعلية مع الوفد بالذهاب عيناً بنفسه. لاحظ أن عيد الضميري هو الوحيد الذي قُتل وأُعدم، فهل من قدم نفسه ودمه فداء للفكرة، جدير بالإهمال والإغفال أم يستحق التقدير والاحتفاء به؟ سؤال يوجه ليس فقط لمن أراد أن يضعه في الهامش وفي الخلفية، وأنه من أتباع «رجا» لا أكثر ولا أقل»، كما فعل السيف وأصحابه من عصبته المويشير!، وإنما للدولة والسلطة السعودية ذاتها!

٣ ـ أن الوفد وأعضاءه جميعاً، باستثناء عيد الضميري بسبب قتله من قبل ابن رشيد، بعد خروجهم من السجن قابلوا الملك عبد العزيز، وهم جميعاً من سلموه الجوف، وليس كما يزعم السيف بأن أحدهم لوحده هو من قابل وسلم الجوف (السيف، ٢٠٠٢: ١٢٩)، علماً أن «حامد الجميد»، وكما يأتي تباعاً، هو، وبسبب من اعتقال الوفد وبينما كان أعضاؤه لا زالوا في حينه بالسجن في حائل، من أبلغ الملك برغبة أهل الجوف بالانضمام، في مهمة قام بها بطلب من أهل الجوف، كما سنبيّن تالياً.

٤ ـ ورغم أن الرواية أعلاه تتكلم عن أن ابن رشيد تردد في قتل أعضاء الوفد، باستثناء عيد الضميري، إلا أنه كانت هناك محاولة لقتل بعضهم. وعن الوفد ومصيره، يقول سليمان العودة، إن «منصور الباسط» كان أحد أعضاء الوفد، وكان ابن رشيد يرغب في قتله، ولكن أهل «لدة»، من منطقة حائل، اعترضوا على قتله، وقالوا مشيرين إلى مكانته وكرمه وعلاقته بهم: «... شبعنا بداره من الخبز»... وعيد الضميري، يقول (عند قتله): أحسن القتل يا... ذبحه ابن رشيد... (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة،

في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٤ من ٢٧، ج ٣). ويؤكد هذه النقطة، زايد محمد العابط، حيث يقول إنه بعد اعتقال وفد أهل الجوف في حائل من قبل ابن رشيد، كان الأخير يريد أن يقتل منصور الباسط، لكن بعض أهالي حائل تدخلوا لمصلحته، قائلين إن منصور الباسط رجل معروف لهم وأنه مضياف لهم عندما يقدمون إلى سكاكا، وبالتالي يرجون ابن رشيد عدم قتله، وهو ما فعل (العابط، زايد محمد، مقابلة، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ١٢).

(٣) حامد الجميد إلى الملك عبد العزيز (بالقصيم): الدور والمهمة في إيصال الرغبة بالانضمام: عندما تم اعتقال أعضاء وفد أهالي الجوف للملك عبد العزيز في حائل من قبل ابن رشيد، كان هناك حاجة ملحة إلى إيصال رغبة أهالي الجوف بالانضمام للملك عبد العزيز وإبلاغه بمصير الوفد، وكان الملك عبد العزيز آنذاك (يبدو الوقت بحدود نهاية ١٩٢١م و/ أو أوائل وربيع ١٩٢٢م تقريباً) في أو قرب منطقة القصيم، بينما جزء أساسي من قواته يتجه نحو حائل لمحاصرتها. من هنا تم التوافق بين أهالي الجوف مجدداً على أن يقوم أحد أبناء الجوف بالمهمة، فكان أن وقع الاختيار على حامد الجميد لِما يتمتع به من شجاعة ومصداقية ومهارة في معرفة الأرض. وفي رواية عن المهمة، ينقل عبد العزيز محمد بن سلمان القعيّد، عن والده، ويدوِّن التالي: «... بعدما ألقي القبض على وفد أهل الجوف، وهم من أعيان الديرة، كمحاولة من أهل الديرة لإنقاذهم من الرشيد، وهم خافوا عليهم من القتل، أرسلوا حامد الجميد، وهو يكنى بأبو غياض، وهو شاعر وفارس ودليل، وعلى جانب كبير من الذكاء والحكمة وحسن تصريف الأمور. حُمل حامد برسالة موقعة من أهل الجوف. وبالمناسبة، ومن مكان بدومة الجندل تحديداً، فحمل رسالتهم واتجه باتجاه حائل حتى أصبح في مكان قريب من حائل، فضاف عند بدو، وقال أريد لي واحد يرعى الذلول وأعطيه جنيه ذهب، فكان هذا المبلغ سبب من الأسباب التي جعلت مضيفي حامد لا يشعرون بنيته، ولو شعروا بنيته لأبلغوا عنه ابن رشيد، فابن رشيد لا يريد أن يصل أحد من أهل الجوف للملك عبد العزيز. حضر الرجل (أحدهم) وقال أنا أرعى ذلولك، فقام حامد وناوله جنيه ذهب، وكانوا يسمونه «نيرة»، فصار الرجل يذهب بالذلول نهاراً ويأتي ليلاً، ويعقلها بعيد عن البيوت حسب العادة، وبعد أيام وبعد أن اطمأنوا، ذهب حامد ليلاً لذلوله، وربط فمها لكي لا يصدر عنها أي صوت، وكان يسمى هذا العمل «التصقيع»، فيقال صقع الذلول أي ربط فمها. قفز حامد في ظهر ذلوله، وحثها على السير. وحيث إنه دليل ويعرف الأرض جيداً فما طلع الصبح حتى كان صار في وسط معسكر الإمام عبد العزيز آل سعود.... وطلب حامد مقابلة الإمام. عندما قابله أعطاه الرسالة، وهي عبارة عن رغبة أهل الجوف بانضمامهم طوعاً، كما كانوا يرجون منه سرعة إخراج الوفد المسجون عند ابن رشيد. بقي حامد الجميد عند الإمام، وصار الخويا يراقبونه؛ فهم يتنقلون وراءه من خيمة إلى خيمة. لاحظ حامد هذا التصرف فحس بانزعاج، حيث إن دل على شيء فهو يدل على عدم الثقة الإمام به، فذهب على الفور للإمام، وقال له؛ يا طويل العمر أنا جيتكم ما جيتوني، وأشوف رجالك يتبعوني، فقال الملك عبد العزيز ضاحكاً: لا واحد يتبع أبو غياض... وبقي عنده حتى سقطت حائل، وتم تسليم الجوف من قبل وفد أهل الجوف المشار إليهم سابقاً» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ٣٢ من ٣٥).

يلاحَظ مما تقدم أنه ورغم أن وفد أهل الجوف بعد خروجه (من تبقى منهم ـ حيث إن عيد الضميري تم إعدامه من قبل ابن رشيد) من سجن ابن رشيد بعد سقوط حائل قد سلم الجوف لابن سعود، إلا أن حامد الجميد هو، وليس وفد أهل الجوف آنف الذكر، من أبلغ ابن سعود رغبة الأهالي بالانضمام إلى حكمه، قبل أن تسقط حايل وقبل أن يخرج وفد أهل الجوف من السجن. من هنا، ورغم ما يُرى كم من أعباء تحملها «الجميد» وصلت حد المجازفة والمخاطرة بحياته في سبيل إنجاز المهمة، فيلاحظ القارئ والمتابع لتاريخ الجوف والكتابات عنه، كم هو الإهمال والإغفال، بل التغييب الكامل(!)، الذي مارسه «السيف وعصبته وأصحابه المويشير ممن استكتبوه» في حق هذا الرجل (الجميد) دوراً ومهمة وأعباء ومخاطر. لعله من المناسب أن نشير إلى أن «حامد الجميد»، وابتداءً من تماسه مع الملك عبد العزيز من خلال تلك المهمة، بدأ ينسج علاقات متناغمة مع الملك عبد العزيز بالجوف ويتواصل ويتراسل معه ومع ممثليه بالجوف وفي حائل في حلحلة بعض القضايا العالقة من أيام حكم الرشيد، ومنها ما كان يتعلق بقضية وملكية «الدلهمية» كما أشرنا اليها سابقاً (للمزيد انظر واقعة الدلهمية في وقائع الحرب الأهلية بالجوف).

(٤) سليمان الغثاء الجارالله الزارع: استضافة وفد أهل الجوف في حائل بعد سقوطها: نود أن نشير إلى أن سليمان الغثاء الجارالله الزارع، وهو من أبناء الجوف (دومة الجندل) وعلى خلفية أحداث محاولة فاشلة لـ «نواف الشعلان» بانتزاع الجوف في حدود أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠م من سلطة وحكم الرشيد، كان قد اعتُقل وبُعث به إلى حائل وتم إجباره على الإقامة (دون السجن) هناك. هناك في حائل بقى سليمان الغثاء الجارالله الزارع يعمل حتى سقوط حائل لحكم الملك عبد العزيز. مع خروج من تبقى حياً من وفد أهل الجوف، بعد سقوط حائل، كان أن وجد الوفد رجلاً، وواحداً من بلدهم قام بتقديم كل العون وواجبات الضيافة والتكريم لهم، واستمرت هذه الضيافة حتى عودة أعضاء الوفد للجوف. وفي إيجاز عن معركة نواف الشعلان وما ترتب عليها من نفي لـ «سليمان الجارالله» ووضعه تحت الإقامة الجبرية (دون السجن) هناك، ثم دوره في استضافة وفد أهل الجوف، نورد جزءاً متصلاً من رواية عن تلك الواقعات. تذهب الرواية للقول بأنه في اليوم التالي لانتهاء المعركة (أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٠ تقريباً) بين نواف ابن شعلان وأنصاره من أهل الجوف من جهة، وبين الآخرين ضده من جهة أخرى، وحيث تم كف الأيدي عن القتال، ذهب سليمان الجارالله، كما تقول الرواية، إلى «... حمد الشويعر، الذي كان منصوب ابن رشيد في قصر مارد وأبلغ أنه ذبح نواف، وقد كان سليمان في وقتها لا يعلم أن نواف قد سلم من القتل، علماً أن الشويعر لم تكن لديه القوة الكافية للتصدي لابن شعلان... عندما استلم آنذاك... لم يكن معه إلا أربع رجال أو خمسة هم من المماليك، فما كان من الشويعر إلا أن غضب عندما أخبره سليمان الغثا بما فعل مع نواف، فقال له يا سليمان: ما وعدتنا وبقتنا، وعاهدت نواف، وتقول أنك ذبحته، إن جاني خبر إن نواف قتل، قتلتك، وإن سلم يأتيني خبر من هالخصة لمدة ثلاث أيام عن نواف، أنا أرسلك لحايل للرشيد وهم يدبرونك ـ ولم يأتي خبر بقتل نواف حيث سلم ـ قام حمد الشويعر بإرسال سليمان الجارالله بعد أن سجنه، لحايل للرشيد فوضعه تحت الاقامة الجبرية، وحيث إنه يجيد الصناعة فقد فتح له محل للتعيّش منه، وبعد خروج أهل الجوف، المراسيل اللي راحوا للملك

عبد العزيز، من سجن ابن رشيد أقاموا عند سليمان الغثا حتى قابلوا الملك عبد العزيز بعد ذلك» (القعيّد، عبد العزيز، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ ـ ١٢ من ٣٥).

هكذا كانت الوقائع والأحداث في ما يتعلق بتاريخ الجوف، وخاصة ما يتعلق منه بمسألة وأحداث القيام على منصوب ابن شعلان (عامر المشورب)، وصولاً إلى واقعة دور أهل الجوف وطلبهم، من خلال وفدهم وتوابعه، الانضمام لحكم الملك عبد العزيز. وهكذا كانت الأدوار والمساهمات والأعباء الأثمان التي قام بها أو قدمها أهالي الجوف، في سكاكا ودومة الجندل، أفراداً وزعامات، وجماعات فرعية وعامة في تلك الوقائع وتكوّنها ونشوئها وتحولاتها وتداعياتها. كل ذلك تم مناقشته ورصده وتوثيقه من خلال رواة وروايات عديدة ومتنوعة ومتوازنة ومتقابلة وصولاً لاكتمال أبعاد الصورة عن الحقيقة بعناصرها وأبعادها. هكذا كان تاريخ الجوف وصناعته، وقائع وتحولات وأدواراً بشرية متعاضدة، أفراداً و/ أو زعامات، وجماعات فرعية و/ أو عامة لأهالي الجوف. لم يكن تاريخ الجوف، صناعة رجل واحد كما كان يريد السيف وعصبته المويشير ممن استكتبوه أن يصوروه أو يقدموه!

رابعاً: السيف وتزييف تاريخ الجوف

١ ـ عود على بدء (١٩٩٩ ـ ٢٠٠٨م)

في مقدمة هذا الفصل من الدراسة والموضوع تحت المناقشة (الجوف والبحث عن السلام والتقدم: الجوف والدولة السعودية الثالثة (١٩٢٢م)؛ أهالي الجوف ودورهم الحاسم في عملية الانضمام)، كنت كتبت التالي: لمناقشة موضوع دور الأهالي في ضم الجوف للدولة السعودية الثالثة في عام ١٩٢٢م، لا بد من التعرض لمسألة هامة سابقة وهي قيام أهل الجوف على منصوب ابن شعلان في الجوف، في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م والقضاء في النهاية على حكمه، ذلك أن تلك العملية وتوابعها وسياقاتها أسست لفكرة العلاقة بين الجوف والدولة السعودية الثالثة في صيغتها وطبيعتها وعواملها الحديثة. لماذا التركيز على هذه المسألة؟ الجواب يتعلق بأمرين: **الأول** تبيان الأدوار الحقيقية والتاريخية لأهالي الجوف، الأدوار للزعامات والجماعات، في إتمام الأمر، و**الثاني** هو، بناء على ما سبق، فضح التزييف التاريخي الذي مارسه محمد بن عبد الله السيف ومن استكتبه من «المويشير» في موضوع علاقة الجوف بالدولة السعودية الثالثة، وما قبلها من القيام على سلطة ابن شعلان في ما يتعلق بقتل منصوبه في الجوف ١٩١٨م.

وفي سياق التدقيق في الأمر الثاني (فضح تزييف السيف وعصبته وشهود زوره عن تاريخ الجوف وأهله) نود أن نُذكر بما كنا قد أشرنا له عن الأمر في ما مضى من الأيام وفي ما دوَّناه سابقاً. في سياق كتابي عن الدكتور حمد الوردي الذي صدر في بيروت في حزيران/ يونيو ٢٠٠٨م، كنت كتبت في عدد من صفحاته شيئاً عن تاريخ الجوف وما حاول السيف أن يزيّفه عنه خدمة لشخص بعينه انطلاقاً من أسس «عنصرية مقيتة»، فقلت هناك (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٤ ـ ٢٨٠)، وأعيده هنا:

«... أود أن أشير إلى أنه سبق لي في حوالي ١٩٩٩ أن قابلت أحد العاملين في «دارة الملك عبد العزيز» ويدعى د. ناصر الجهيمي على ما أعتقد، وذكر لي أن منطقة الجوف هي الوحيدة التي ليس فيها كتابة عن تاريخ العلاقة مع حكم الملك عبد العزيز، وعندما فهم أن هناك كتاباً لي عن «سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين»، وأنه سوف يصدر قريباً، طرح فكرة أن أقوم بهذه المهمة مع استعداد الدائرة للدعم، فقلت أنا لدي اهتمامات أخرى ومشغول، وأعتقد أن هذا الأمر يحتاج إلى فريق عمل، وأقترح أن تطلب من إمارة الجوف المساهمة في ذلك، ولو كتبت للدكتور «حمد» ربما ساعد في إنجاز تلك المهمة. طبعاً لا يبدو أن هناك نتائج لهذه اللجنة» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٣ ـ ٢٧٤). وأضفت قائلاً: «ليس بعيداً من فكرة «الدارة» تلك، أن يكون محمد عبد الله السيف، وبعضاً من «المويشير»، اختطف الفكرة، فكتب «كتاباً» في عام ٢٠٠٢م، مقابل «ثمن دراهم معدودات»، أقل ما يقال فيه وعنه، أنه بعيد كل البعد عن التاريخية والمنهجية العلمية، بل تعدٍّ عليها وانتهاك متعمد وصريح مكشوف لها، فضلاً عن أن مكتوبه، بهذه العقلية غير الأمينة، تزييف وتشويه ومصادرة لتاريخ المنطقة وأهلها ورجالاتها وأدوارهم الحقيقية في علاقة الجوف بالوطن والدولة، من شخص، هو من الزلفي، من خارج منطقة الجوف، لا يعرف من المنطقة وأهلها، إلا كونه فقط يرى نفسه «أسعدي» من «أساعدة الزلفي» امتداداً، لمن يرى أنهم «أساعدة آخرون» في الجوف، فكتب عن «رجاء المويشير» باعتباره واحداً منهم» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٤). وقلت: «وفي ما قلته أو سوف أقوله عن الموضوع تالياً، ومستقبلاً، ليس فيه ما يهدف إلى التقليل من مكانة أشخاص أو جماعة بعينها، سواء كانت عتيبة عموماً، أو الأساعدة خصوصاً، أو حتى رجاء المويشير ذاته. لكن حيث الحق أولى أن يقال ويتبع ويستمع إليه، فإن الكتاب، أي كتاب عندما يكتب ويظهر وينشر، يصبح خارج الملكية الخاصة لمن كتبه و/ أو استكتبه، ويصبح من حق أي إنسان، وخاصة من المعنيين بالثقافة والمعرفة أينما كانوا، أن يقرأه ويراجعه، من أجل تبيان مدى صدقيته من زيفه، وهذا ما أقوم به» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٤). وأكدت أنه: «طبعاً لا السيف نفسه، ولا المويشير الذين استكتبوه، فكرس قلمه للكتابة عنهم، لا أحد منهم يريد أن يسجل إلا رواية لهم للواقعة باعتبارها رواية الحقيقة، وأن لا روايات أخرى، رغم إطلاعه هو على، ومعرفة أصحابه الذين استكتبوه بوجود روايات أخرى، أقلها متداولة ومكتوبة في كتب ودراسات، وتلك الدراسات استخدمها «السيف» نفسه في مواقع أخرى، ولكنه عندما أتى لهذه الحادثة والواقعة، على أهميتها وأسبقيتها، تعمد تجاهلها هو ومن استكتبوه ولم يشر لها، وهذا التصرف بحد ذاته وفي العرف الأكاديمي يعتبر خرقاً صريحاً للأمانة العلمية. وليت روايته وروايتهم أُخذت من الرواة الثقاة والمعروفين في الجوف من كبار السن، أو على الأقل طعّمها ببعض من رواياتهم وروايات بعض الجماعات الأخرى المساهمة في العملية، ولكنه بدلاً من ذلك استقى روايته من أربعة أشخاص، وهم (مناور عبد المصلح القايد، والحميدي طلحاب العتيبي، وعبد الرحمن سلمان الشاهر، وعايد راجي البلهود) وهؤلاء جميعاً لا يُعرف عنهم أبداً، لا في الجوف ولا في غيرها، أنهم من رواة تاريخ الجوف، فضلاً عن أنهم منحازون من حيث إن الشخصين الأولين هم من «عتيبة» (الأول من الراشد، أسعدي، والآخر عتيبي من خارج المنطقة أتى مع حكم السدارا لمنطقة الجوف)، وأما الشخصين الأخيرين فهم من المعروفين بميولهم لأصحابهم المويشير» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٤ ـ ٢٧٥). ومما تقدم استنتجت: «من هنا فإن روايتهم للواقعة، هي بالتأكيد غير الحقيقة، ولا تمثلها، ذلك أن الحقيقة لكي

تتكامل لا بد من تجميع الجوانب الأخرى منها، بأطرافها وعناصرها وأدوارها، أو على الأقل رواياتها المتعددة من مصادرها الأصلية مباشرة، وكذلك من خلال الدراسات السابقة ومراجعة الأدبيات في الموضوع والإشارة لها، وهو ما لم يفعل السيف وأصحابه. هدفه وهدفهم، ومن يقف وراءهم، هو أن يصوروا، زعماً وزيفاً، أن تاريخ الجوف وتحولاته في تلك الحقبة كلها من أفعال وأدوار شخص واحد، مما يدل على رغبة في تصوير صناعة تاريخ الجوف على أنه صناعة رجل واحد، وكأنه «عفريت» سليمان، عليه السلام، الذي أتى ببلقيس وعرشها في لمح البصر، فهو أي «رجا المويشير»، كما صوَّره السيف ومن استكتبه من «المويشير» يصبح وكأنه «عفريت» الجوف، إذ إنه، لوحده، قضى على حكم ابن شعلان في لحظة، ثم هو، بذاته، أتى بالجوف فسلمها لابن رشيد (سعود الرشيد ـ أبو خشم)، ثم هو، لوحده، ينقلب على ذاك وهذا في لحظة أخرى، فيأخذ الجوف وأهلها، جماعات وقيادات وشخصيات، ويحضرها أمام الملك عبد العزيز!» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٤ ـ ٢٧٦). آنذاك قلت أيضاً: «لو كان عند السيف حد أدنى من إحساس بالمسؤولية الأخلاقية والأمانة، لانصرف إلى حيث يجب أن ينصرف له، فيكوّن ويحصن نفسه أولاً معرفياً وفي المنهجيات التاريخية ومصادرها، ثم يمكن له، ثانياً، أن يكتب عن تاريخ منطقة أو حقبة تخصص فيها أو قريبة منه، يعرفها حق المعرفة، مثل مدينته الزلفي أو عن أحد أبنائها، كما فهمت أنه مؤخراً، على ما يبدو، فعل حسناً بنفسه، بما كتبه عن الأستاذ عبد الله الطريقي،...، وأما الجوف وأهلها، أو غيرها من المناطق التي لا يعرفها، فكان، الأحرى به، أن يتركها إما لمن هم لديهم المعرفة التاريخية من المؤرخين والمتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية عموماً، أو لبعض من أهلها ولمن لديهم القدرة المعرفية والمصادر المتنوعة والمتعددة والموثوقة عن تاريخ منطقتهم أو مناطقهم» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٦).

وبصلة بالموضوع سبق أن قلت في الكتاب عينه: «في ٢٠٠١م، وقبل ما لا يقل عن سنة من صدور «كتابه» أبلغني الأخ العزيز/ أبو يعرب، محمد عبد الرزاق القشعمي عن أن محمد السيف، وهو على ما يبدو ابن خالة السيف كما فهمت من أبي يعرب، ينوي، أو أنه بالفعل يقوم بكتابة شيء عن الجوف. قبل أن أواصل الحديث في ما يتعلق بالسيف ومكتوبه، أريد أولاً أن أقول كلمة حق في أبي يعرب: محمد القشعمي، وهو من أبناء الزلفي، وإن كان بالأصل شمري من أهل حائل، أعده واحد من أهم المثقفين في السعودية ليس فقط في ما يكتبه وما ساهم فيه من دعم الإصلاح ودعاته في السعودية، وإنما فوق هذا أيضاً، الدور الكبير الذي قام به ويقوم به، بتعريف وتعارف المثقفين في السعودية على بعضهم البعض وكذلك حتى مع المثقفين العرب، وخاصة في مصر والشام والمغرب. إن كان لأحد من فضل في تجميع المثقفين في السعودية، من كافة المناطق والتيارات والخلفيات، وتعريفهم على بعضهم البعض، فإنه أبو يعرب. أبو يعرب، فضلاً عن ما يقوم به من دور تاريخي في توثيق وتسجيل التاريخ الشفوي والأحداث والتحولات للعديد من مدن ومناطق البلاد، من خلال الرواة وكبار السن المعروفين فيها، وكذلك من خلال تسجيل الذكريات لعدد الأدباء والمصلحين والرواد الأوائل من كافة المشارب والتجارب في مختلف المناطق، فهو أيضاً مشهود له في النشاط الثقافي في الصحافة وفي الديوانيات ومعارض الكتاب، وكذلك في نشاطات التكريم للرواد الأوائل من الأدباء والمثقفين، من أمثال أبي سهيل، حيث حضرت

مع أبي يعرب تكريم أبي سهيل في الحجاز، وفي شقراء، وفي الدمام. أبو يعرب هو الذي اقترح فكرة في عام ١٩٩٩ تقريباً على عدد من الإخوة، وكنت واحد منهم وكذلك أبا نزار/ صالح الصويان، ـ والذي هو الآخر من المناضلين والداعمين للإصلاح منذ السبعينات من القرن الماضي، ودخل، في أوائل الثمانينات من القرن الماضي، مع عدد من رفاقه السجون وتعرضوا للأذى وهو لا زال مع الإصلاح والحقوق والكرامة والحريات، ومع قضايا الأمة العربية والقضية الفلسطينية... ـ، إن نعمل لقاء دوريا كل أسبوع، بعد صلاة المغرب وحتى أذان العشاء، مع وعند أبي سهيل في منزله، من أجل مساعدة ومؤانسة أبي سهيل والوقوف معه في هذا المرحلة من العمر، وهو ما تم ولا زال منذ ذلك الحين. وكان أبو يعرب قد أخذ يلتقي بابي سهيل منذ عدة سنوات قبل لقائنا، وكان أبو يعرب في ما أقدم عليه تجاه أبا سهيل، يمثل ذلك الإنسان الصديق والأخ، بل والابن الحنون. من هنا أقول، وقد سبق أن اقترحت ولا زلت أقترح، أن هذا الرجل، أبا يعرب/ القشعمي يستحق بالفعل التكريم، وأن هذا وقته» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٦ ـ ٢٧٧).
أما أبا سهيل/ الشيخ عبد الكريم الجهيمان[٤]، فهو غني عن التعريف، ولكني أقول عنه هذه الكلمات: إنه الأديب المصلح المناضل الكبير، الذي، فضلاً عن ما كتبه من مقالات وذكريات وأمثال وأساطين وهي بذاتها على غاية من الأهمية، فإنه أيضاً رجل كلمة وموقف والتزام وإصلاح متواصل، دفع ثمن وضريبة الكلمة الحق، فدخل السجن والاعتقال، لانتقاداته القوية والموضوعية للسياسات الحكومية ومسؤوليها، وكذلك لمطالبه الإصلاحية والتنموية الشاملة لكافة المناطق وفئات المجتمع، بما في ذلك المرأة وحقوقها في التعليم والعمل والمساهمة بالتنمية، ولكنه صبر عليها وعلى كل محاولات الإقصاء والتهميش، واستمر بالعطاء، أطال الله في عمره وهو في صحة وعافية» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

وقلت آنذاك، وفي الكتاب عينه أيضاً: «عوداً على السيف و«كتابه»، سألت أبي يعرب/ القشعمي عن ماذا يريد السيف أن يكتب قال: لا أدري بالضبط. قلت له: أخبر السيف أن موضوع الجوف موضوع شائك ويحتاج إلى اطلاع واتصال على مصادر متعددة ومتنوعة وموثوقة، وسيكون من المناسب أن يلتقي معي لنتباحث بالأمر. بعد أن سألت الأستاذ القشعمي، ماذا صار بالموضوع، أبلغني، أنه الذي عليه قام به، إذ إنه أبلغ السيف أهمية لقائي. ولكن السيف، لأنه لا يريد ولا من استكتبه، تجاهل الأمر تماماً ولم يتصل علي أبداً، رغم إلحاحي المتكرر على أبي يعرب. والغريب في الأمر هو إن السيف يعرفني منذ عام ٢٠٠٠م، إذ التقينا في تكريم أبي سهيل/ عبد الكريم الجهيمان، من قبل جمعية الثقافة والفنون بالدمام، وركب معي لوحده بسيارتي، وكان يسألني عن لماذا أنا كتبت كتاب: (سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين) بهذه الطريقة الناقدة!، ولاحقاً بعد فترة، ويوماً ما، أوصلته بسيارتي، إلى سكنه في ملحق عمارة بمنطقة تقع في شرق أسواق العويس، بالرياض. والغريب أيضاً أنه ورغم اطلاعه على كتابي (سكاكا الجوف آنف الذكر)، وقد ذيّله في قائمة مراجع كتابه!، وما به من أدلة دامغة، بالإحصاءات الرسمية ومؤشراتها، عن تبيان تخلف المنطقة تنموياً، ودور ومسؤولية الحكم المحلي والإدارة (السلطة) المركزية في تراكم هذا التخلف، فإنه في نهاية «كتابه» يكتب ويتكلم هو وأصحابه المويشير عن ما شهدته الجوف من نهضة شاملة!» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٨ ـ ٢٧٩). وأضفت قائلاً: «عندما صدر «كتاب» السيف

(٤) توفي الأديب الكبير عبد الكريم الجهيمان في مساء الخميس ٦ محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ١/ ١٢/ ٢٠١١م.

وأصحابه المويشير، واطلعت عليه، كان أن فاتحت أبي يعرب مجدداً عن تزييف السيف في ما كتب عن الجوف، وكان ذلك في بيت أبي سهيل/ عبد الكريم الجهيمان، وحضر النقاش، إضافة للجهيمان والقشعمي، كل من أبي نزار/ صالح الصويان ومقبل الذكير على ما أظن، وأوضحت لهم وبينت لهم بالأدلة تزييف السيف ومن استكتبوه. وبعد أن سمعوا مني رأي في «الكتاب»، قالوا لي إنهم حيث لا يعرفون شيء عن تاريخ الجوف لا يستطيعون أن يحكموا على الموضوع، ولكنهم أجمعوا على الاستغراب من تصرف السيف بهذه الطريقة، وشدد أبو سهيل وأبو يعرب على أن من حقك أن ترد على كتابة السيف وتبين للناس من داخل وخارج المنطقة، ما اقترفه السيف من تشويه وتزييف لتاريخ الجوف وأهلها. أبو يعرب جدد كلامه، وأنه أخبر السيف عني وقال إنني قلت له عليك الاتصال بأبي عامر (يقصدني)، ولكنه، كما ذكرت سابقاً، لم يفعل، وهذا بحد ذاته يدل على أنه (السيف) ومن استكتبوه كان لديهم ما يخفونه ويريدون أن ينجزوه بالظلام لحاجة في أنفسهم، غير أن ما كان يريدون إخفاءه لم يكن بالإمكان التستر عليه بعد صدور «الكتاب»، ولكنهم في أنفسهم، وبصدور «الكتاب» على ما هو عليه، يعتقدون أنهم أنجزوا المهمة التاريخية!» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٩).

وفي الكتاب عينه، انتهيت في ملاحظاتي عن السيف وعصبته «المويشير» ومكتوبهم، إلى القول: «إن أطال الله في عمرنا ومتعنا بنعمة الصحة والعافية، لنا وقفة تفصيلية ليس مع «السيف ومكتوبه» لذاتهما، إذ إن مكتوبه لا يساوي حتى درهماً واحداً من ثمنه المقبوض، وإنما مع الفكرة نفسها (الأحداث والتحولات في الجوف (١٨٣٠ ـ ١٩٦٠)، ومنها خاصة في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢، وما يتصل بالعلاقة مع الوطن والدولة) لتوضيح أبعاد حقيقة التحولات الموضوعية، من حيث أطرافها وأدوارهم، أفراداً وشخصيات وجماعات، وكشف الزيف والتزييف الذي قام به السيف بشكل تفصيلي وموثق من خلال الأدلة، من مصادر شهودها ورواتها المتعددين والمعروفين في المنطقة، التي، ولله الحمد، نمتلكها بالفعل، في سياق مشروع أكبر لدراسة تاريخية علمية متوازنة، خدمة للمنطقة والوطن والدولة والأمة. ولولا الخشية من احتمال تقبُّل ما ورد في كتاب السيف وأصحابه على أنه يمثل الحقيقة، وخاصة من الذين قد يقرأونه من خارج أهل الجوف، لما تعرضت «للكتاب» على الإطلاق، لأن الكتاب بالفعل لا يحتوي على أية معلومات ذات قيمة» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

والآن أقول، وبعد أن قدمت آنفاً مناقشة وقراءة مفصلة لتاريخ الجوف في ضوء مصادر وأدلة متعددة وموثقة وموثوق بها، فأقول الحمدلله الذي أطال بعمري إلى هذا الوقت لكي أنجز ما وعدت به، بالوقوف مع ذلك التاريخ ووقائعه وتحولاته، بما في ذلك ما هو منحصر تحديداً في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢ م، وإن كنا، ولله الحمد تجاوزناها لما قبلها وبعدها وبما يشمل مناقشة وقراءة شاملة لتاريخ الجوف (١٨٠٠م ـ ٢٠١٣م) وقضاياه وتحولاته في الحرب والسلام والثقافة. كان السيف وأصحابه من عصبته يريد أن يقدم تاريخ الجوف على أنه صناعة رجل واحد، سعياً منه ومنهم لاختطاف الجوف وتجييره كاملاً لصالح فرد بعينه، كل ذلك من أجل أن يدخلوه قائمة «الملك عبد العزيز ورجاله». لكن الحقيقة خلاف ذلك؛ الحقيقة هي أن تاريخ الجوف ليس صناعة رجل واحد، إنما هو صناعة أهله جميعاً بمختلف مكوّناته وأطرافه على نحو ما تقدم من تفصيل في الأمر.

٢ ـ انتقادات إضافية للسيف ومكتوبه

بالنسبة لي أكتفي بما تقدم من مناقشة، ولكن من باب الأمانة العلمية لا بد من الإشارة، ولو باختصار، إلى ما قاله لي و/ أو ما سمعته من عدد من أبناء الجوف، الذين أجريت معهم مقابلات و/ أو مناقشات، تجاه السيف وأصحابه «المويشير» ممن استكتبوه، في «مكتوبهم». إذ ما تجاوزنا ما سبق الإشارة إليه من رواة وروايات، على أهميتها البالغة والحاسمة، عن وقائع وتاريخ الجوف، وخاصة عن فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م، وكان فيها من الرد ما كفى ووفى لفضح مزاعم السيف وأصحابه المويشير ممن استكتبه، وبيان «تزييفهم لتاريخ الجوف، وقائع وأدواراً ومساهمات لأهل الجوف، زعامات وجماعات فرعية و/ أو عامة» على نحو لا لبس فيه، فإن معظم من قابلتهم، إن لم يكن كلهم، كان مستاءً من «المكتوب» وممن جاء به، وخاصة بالتقليل من أهالي الجوف وتهميشهم، و/ أو تزييف بعض حقائق ووقائع من تاريخ الجوف. من أولئك، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نشير إلى النماذج التالية:

أ ـ **هلال سالم النصر**: يقول هلال النصر إنه عندما قرأ «كتاب السيف» كلم عبد الرحمن المويشير، عن أن هناك أشياء وردت في الكتاب ما كان لها أن تورد، وذكر تحديداً أمراً يتعلق بواقعة «كون الظلي»، وذكر أن عبد الرحمن رد عليه وقال «إنه لا يعلم أي شيء عن محتويات الكتاب»(!) (النصر، هلال سالم، مقابلة (I)، في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ٤).

ب ـ ومع ذلك فإنه وقياساً على ما تقدم، فالأمر لا يبدو غريباً، إذ فيه قدر من توزيع أدوار(!)، حيث إنه، عندما زارني، **سلطان سليمان عبد الله المويشير**، في مكتبي (٩٩أ) في قسم العلوم السياسية ـ جامعة الملك سعود، وهو من سلمني نسخة من الكتاب، قال بعد أن تناقشت معه عن إهمال الروايات والمصادر الأخرى، والتي كان المؤلف قد استخدمها وفي مواقع أخرى، قال إن معظم أفراد المويشير لا يعلمون عن الكتاب ومشروعه قبل صدوره فعلياً، وإن هناك أربعة أشخاص من المويشير تقريباً هم الذين يقفون وراء الكتاب وهذا العمل، وهم «عبد الرحمن المويشير، وولده بندر، ورجا وناصر عبد المحسن المويشير»، وذكر سلطان أن بعضاً منا ليس راضياً عن ذلك، وأن هناك ملاحظات حول الكتاب، وهو يعرف حتى اعتراض وعدم رضاء «آل راشد» على ما ورد في الكتاب (المويشير، سلطان سليمان، زيارة وحديث، في ٣/ ٦/ ٢٠٠٢: ١ من ١).

ج ـ لكن **عبد الله عايض الزيد الواكد**، يقول في نقض لما تقدم بالزعم بعدم المعرفة عن الكتاب وأمره بالقول: «إن المويشير عزمونا على العشاء مع واحد... يريد يكتب عن حياة رجا... كان عندكم معلومات... سألوني أنا... وقالوا عندك شيء... قلت ما أعرف شيء... أنتم عياله وعارفين تاريخه كل أبوه...»، ويضيف الواكد محاولاً تبرير الانحراف، فيقول: «... لكنه (السيف) هو توسَّع...» (الواكد، عبد الله عايض زيد، في: الفلّاح، سليمان العودة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢١ من ٣٩، ج ٢).

د ـ **الطالب**، من جهتهم كان لبعضهم رأي ناقد عن الكتاب وما جاء به، وخاصة ما يتعلق بتهميش دورهم في وقائع تاريخ الجوف. من المعلوم أن الطالب، قديماً، كما هم حديثاً مشهود لهم بمواقف شجاعة وتضامن مع الآخرين، ولكن السيف وعصبته المويشير ممن استكتبوه، قد أغفلوا ولم يبرزوا أدوارهم الحديثة في القيام على المنصوب كما بيَّنا سابقاً على نحو مفصل. فوق ذلك ومعه، سبق للسيف

وأصحابه المويشير، وفي مواقع وأزمنة أخرى، أن أهملوا دور جماعة الطالب، وخاصة ما يتعلق بنجدة ونصرة آل طالب، وهم كانوا لا يزالون في قارا قبل ارتحالهم إلى سكاكا، لـ «جمعان الراشد» وعلى وقته، وقت حصاره في بيته، في الوقت الذي تخلف فيه بعض من جماعات أخرى في المحيط، عن نصرته، وطبقاً لأقوال منسوبة لبعض الراشد أنفسهم، ومنهم «الشريم» و/ أو ما سمع عنهم، وعن «مسباح مشفي المقاود» (الطالب، فهد حمود الطالب ومفرح سالم بخيت الطالب ومدالله حماد الطالب، لقاء ونقاش، في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ من ٥، والطالب، مدالله حماد الرشيد، اتصال جوال، في ١٠/ ٦/ ٢٠٠٧: الساعة ١٠:٣٠ صباحاً).

هـ ـ **محمد سليمان الشاعل**، فضلاً عما أورده من رواية هامة ومفصلة نقلاً عن والده الذي بنفسه قام بالمهمة، بشأن رد ودور وموقف عرفج والضويحي من طلب رجا اللجوء لهم، ورد الأخير عليه وموقفه من راشد القايد، وكيف أن هذه الادوار والمواقف سواء لعرفج أو راشد القايد، أو حتى للرسول نفسه (سليمان الشاعل) تم إغفالها تماماً كما بيَّنا في حينه، فإن محمد الشاعل أشار إلى بعض المغالطات التي أوردها السيف في ما يتعلق بتوصيفات الوقائع والمعارك سواء بين الرشيد والشعلان (واقعة اللقائط)، وأطرافها وحلفائها، مبيناً أن القرشة (الضويحي) كانوا في تلك الواقعة حلفاء للرشيد، أو تعلق الأمر بالمعركة شمال الديرة (التمرد) في سكاكا مع سلطان الشعلان في عام ١٩٢٢م، فإنها في حقيقة الأمر هي حرب «المعاقلة» (الشاعل، محمد سليمان (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٣ ـ ١٤ من ١٧؛ والشاعل، محمد سليمان (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢)، أو كما سبق أن بيَّنا نحن على أنها هي ما تعرف بأنها «حرب الراشد ـ المويشير».

و ـ **عيد نعيم السهو**، قال لي تعليقاً على كتاب السيف والمويشير: «إنني اطلعت على الكتاب والحقيقة أن الكتاب ليس فيه شيء يستحق الاهتمام، وأنهم بالفعل أهملوا الآخرين، أدوارهم، وهذا خطأ»، وذكر أن هناك معوقات وحساسية تحد مما يمكن أن يقوله في هذا المجال، ومنها أن «رجا» هو خال والده (خال نعيم السهو) (السهو، عيد نعيم، لقاء وحديث، في ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٤).

ز ـ **مساعد هداج الهادي**، أكد لي في حديث مشترك «أن الناس بالجوف لم يكونوا راضين عنه» (عن الكتاب). ولكنه هو الآخر، كما هو من قبله عيد النعيم، احتج بالقرابة مع «رجا» وأنها تعيقه من التعليق كثيراً على الكتاب (الهادي، مساعد هداج، لقاء وحديث، في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١). وللعلم فإن قرابة مساعد الهداج مع رجا تتصل بزواج الأخير من عمته «هياء» أخت هداج، وأنجب منها «أحمد»، بعد طلاقها من عساف الحسين، حيث، وكما تمضي رواية لـ «سالم البخيت الطالب»، وكما ينقلها عنه ولده «مفرح» فإن رجا، وفي سفرة مشتركة معه وابنه صالح للرياض، وأنهم في طريقم مروا على الغاط، وعندما وصلوا الغاط قال رجا نريد نزور ونسلم على عبد الرحمن السديري، وكان «السديري» للتو عائداً من الجوف بعد مباشرة عمله لأول مرة في الجوف. ورغم اعتراض سالم البخيت على الوقت (كان الوقت عصراً) إلا أنه أصر على الزيارة والسلام، فذهبنا، كما يكمل سالم، ووجدنا عبد الرحمن السديري، وكان مع «صالح» صقر، فكان السديري يراقب الصقر من وقت لآخر. وعندما غادرنا السديري سأل رجا: ماذا لاحظت يا سالم، وحنا عند السديري؟ فقال سالم: لاحظت أنه بس يطالع للصقر، فقال رجا لولده صالح،

رح واعطه الصقر، فرفض صالح بالبداية، ولكن والده أصر عليه بإعطاء السديري الصقر، فقبل صالح على مضض، وأعطاه الصقر، ويبدو أن السديري اعطاه «بارود ـ بندقية» مقابله. ويضيف مفرح، نقلاً عن والده: بعد أن انتهت زيارتنا للملك عبد العزيز، وفي طريق عودتنا إلى سكاكا، كان عساف الحسين قد طلق «هياء» أخت هداج، فرافقتنا هياء لـ «سكاكا»، وكانت غاية في الاحتشام، فلم يظهر منها شيء ماعدا أطراف أصابعها، وكانت تجلس بعيداً عنا عند نزولنا، فكان رجا يتحدث عنها من وقت لآخر، وبعد فترة من وصولنا سكاكا، طلبها رجا، وتزوجها وأنجب منها أحمد (الطالب، مفرح سالم بخيت، في: الطالب، فهد حمود الطالب ومفرح سالم بخيت ومدالله حماد، لقاء ونقاش، في ٢١/٨/٢٠٠٢: ٢ ـ ٤ من ٥). وحيث إن عبد الرحمن السديري، كما هو يقول، قد باشر العمل في إمارة الجوف في ٥ ـ رمضان ـ ١٣٦٢هـ، الموافق ٥ ـ ٩ ـ ١٩٤٣م (السديري، ١٩٨٦: ٧٢)، فيبدو أن تلك الواقعة، حدثت في الغالب في أواخر ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م أو أوائل ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

ح ـ **فارس حمد العقلا**، وبعد نقاش معه في ٢١ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م، وبحضور ولده (نايف)، وشقيقه خالد الحمد وولده، في مكتبه في مستوصفهم، أكد أن هناك بالفعل إهمالاً لأهل الجوف، وأدوارهم، بل ومصادرة لها، وقال إن هناك عدم رضى شامل في المنطقة عن هذا الكتاب. واقترح فارس الحمد أن يكون الرد شاملاً، ولا يتعلق بمسألة الرد على الكتاب ذاته، وأن يُركز على الحقائق، فقلت هذا بالضبط ما أريد أن افعله، بل إنني أريد أن أتجاوزه إلى ما هو أهم منه في تاريخ الجوف، بما في ذلك دراسة الصراع الأهلي بالجوف، وكذلك دراسة المسألة الثقافية فيه وعنه (العقلا، فارس حمد، لقاء وحديث، في ٢١/٨/٢٠٠٢: ١ من ١).

ط ـ **فارس الشرعان، وحامد الشرعان، ود. الحميدي الشرعان، وفي** زيارة لهم لي في مزرعتي بـ «سكاكا»، في ٦ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م، وبحضور وتنسيق صالح مرجي الفالح، وكذلك حضور فالح زعل الفالح اللقاء والحديث في آخره، وفي مناقشة عن تاريخ الجوف وما يتصل بملاحظاتهم على «كتاب السيف والمويشير»، أكدوا أن هناك تزييفاً في ما كتبه السيف عن تاريخ الجوف، وأتوا بمثال محدد. المثال يتعلق بواقعة بيع وملكية قلعة الطوير، فيقولون: إن السيف والمويشير ادعوا في كتابهم امتلاكهم للقلعة شراء من مالكها الأصلي ابن شرعان بينما كانت القلعة محتلة من حامية ابن رشيد، في السنوات الأخيرة من حكم الرشيد، حيث كان للأخير حامية فيها وحيث إن منصوب ابن رشيد قام بمصادرتها وأخذها من مالكها عنوة وقسراً، في فترة الصراع بين الرشيد والشعلان (يبدو الفترة تحيل إلى ١٩١٩ ـ ١٩٢١م)، وأنهم بعد شرائها من مالكها (أخرجوا حامية ابن رشيد من القلعة عنوة (السيف، ٢٠٠٢: ٢٣). و«آل الشرعان»، ممن تقدم ذكرهم و/ أو سيُذكرون لاحقاً، وهم يفضحون كذب وبطلان الادعاء، يقولون ويؤكدون التالي:

١ ـ أن بيع قلعة الطوير لم يتم إلا في عهد حكم الملك عبد العزيز للجوف، علماً أن الأرض بما فيها القلعة عرضت للبيع عن طريق «طريف البادي»، وكانت ملكيتها عند البيع لـ «سلمان حمدان الشرعان» والذي هو بالفعل عرضها للبيع وباعها عن طريق طريف البادي (الشرعان، فارس، وحامد، ود. الحميدي، لقاء وحديث، في ٦/٨/٢٠٠٢: ١ من ١). وأكد فارس بن محمد فهيد الشرعان، في

خطاب منفصل موجه للباحث على خلفية اللقاء المشترك في: ٦ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م، آنف الذكر، أن البيع تم في عام ١٣٤٧هـ، مع العلم أنه، وكما يقول، تم إحياؤها من عائلة الشرعان في عام ١٢٦٥هـ وبقت تحت ملكيتهم حتى تاريخ البيع (الشرعان، فارس بن محمد فهيد، خطاب عن تارخ قلعة الطوير، في ١٨/ ٧/ ١٤٢٣هـ)، وهو ما يعني أن البيع وقع بعد ما لا يقل عن ست سنوات من دخول الجوف تحت حكم الملك عبد العزيز.

٢ ـ إنه ليس صحيحاً أن «منصوب ابن رشيد قام بمصادرة القلعة من مالكها ابن شرعان»، وأن وجود الحامية التابعة لابن الرشيد والتي كانت فيها إنما كانت فيها قبل عقدين من البيع، و«كان وجود هذه الحامية والرتبة، باستضافة، وبمحض إرادة أصحاب القلعة، وهم أبناء شرعان (وكبيرهم آنذاك حمد الشرعان) وقد كان بينهم وبين ابن رشيد تحالف، وذلك أثناء فترة الصراع بين ابن رشيد وابن شعلان لتولي زمام الأمر في المنطقة. والجدير ذكره أنه حتى في مرحلة انحسار دور ابن رشيد في المنطقة، وبعد مقتل كبير آل شرعان، استطاع أخوه الحميدي الشرعان، الذي خلفه ككبير لأهالي الطوير، في المحافظة على القلعة وما حولها، وأملاك الشرعان الأخرى حتى وفاته. ومن ثم تولى أمر القلعة ابنه فهيد، وابن أخيه سلمان حمدان الشرعان، وقد أصبحت القلعة ملكاً لسلمان بعد أن تقاسم أحفاد شرعان أملاك آبائهم (الشرعان، عبد الله سلمان، ومحمد فهيد الحميدي، وحمود فهيد الحميدي، خطاب موجه للسيف عن «قلعة الطوير»، في ١٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ: ٣ من ٤).

٣ ـ ويجادل آل الشرعان في الرد على مزاعم السيف ومكتوبه، مخاطبينه بالقول: «لو افترضنا جدلاً أن هناك حامية قد استولت على القلعة آنذاك عنوة وقسراً، كما ذكرتم، فهل يعقل أن تنصاع هذه الحامية بهذه البساطة والسهولة لطلب رجا... بمغادرة القلعة دون الدخول معه في خلاف، أو قتال، وهل كان المويشير يملك قوة أو جيشاً يمكنه من فرض سيطرته وإملاء شروطه على تلك الحامية؟ وليكن أنه يملك تلك القوة، فلماذا لم يقم بتطبيق القانون كما ذكرتم دون شراء القلعة؟ وكيف يعقل أن يقوم بشراء القلعة من شخص فقد ملكيته لها حسب ما ورد في روايتكم (المزعومة) التي اعتمدتم عليها؟! لقد أسأت في كتابك، آنف الذكر، لابن شرعان، ووصفته بطريقة غير مباشرة بأنه مسلوب الإرادة ـ حسب روايتك لقصة بيع القلعة... ونحن هنا نتساءل كيف سمحت لك نفسك، وأمانتك العلمية أن تطلق هذه التهمة الخطيرة جزافاً، دون أن يكون لديك الدليل القاطع على ذلك. فتاريخ وسمعة الناس ليست مستباحة لك ولا لغيرك...» (الشرعان، عبد الله سلمان، ومحمد فهيد الحميدي، وحمود فهيد الحميدي، خطاب موجه للسيف عن «قلعة الطوير»، في ١٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ: ٣ ـ ٤ من ٤).

٤ ـ وقد أخبرني «آل الشرعان»، أنهم بعثوا بخطاب احتجاج واعتراض للسيف بهذا الخصوص، مبيَنين التاريخ الحقيقي لملكية القلعة ومآلاتها، وقد أبلغتهم أنني اطلعت على نسخة منه مؤرخة في ١٠ ـ ٢ ـ ١٤٢٣هـ، عن طريق ممدوح عبد الحميد السلطان. وذكروا أن السيف، وفي محاولة للتهرب من المسؤولية التاريخية عن أخطائه وتزييفه للتاريخ، رد عليهم مطالباً إياهم «إثبات واقعة البيع»(!)، لكن السيف، نفسه، لم يلزم نفسه بما يطالب آل الشرعان به!؛ لقد نسي أو تناسى أنه في «مكتوبه» كان عليه وعلى من استكتبوه من المويشير «إثبات واقعة الشراء»، وبدلاً من ذلك ذهب لأقوال غير موثقة، وليس

لها مصدر على الإطلاق، بالقول إن لشراء «... القلعة من ابن شرعان قصة تروى على نطاق واسع»(!) (السيف، ٢٠٠٢: ٢٣).

٥ ـ وتأكيداً لما تقدم، وبما توفر من معلومات ورواية إضافية، يود الباحث أن يشير إلى أن لبيع القلعة قصة محددة، وأن بيعها لا علاقة له لا من بعيد ولا من قريب بموضوع الحامية و/ أو إخراجها كما يزعم السيف وأصحابه المويشير. عن بيع قلعة الطوير، وأسبابها، يقول عبد الله ملاوي مفضي الوشيح، كما ينقل عنه مباشرة، فلاح زعل الفالح، بعد أن التقاه بعد مغرب يوم الجمعة (٢١ ـ ٦ ـ ١٤٢٣هـ/ الموافق ٣٠ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م): «قلعة الطوير كان يملكها سلمان ح. الشرعان، ويوجد بجانبها من الشرق، قليب تسمى البحيرة. وأراد سلمان أن يتعمد (عمدة/ مشيخة) على أهل الطوير، فلم يستجيبوا لطلبه، ورفضوا أن يكون عمدة أو شيخاً عليهم، فأدى هذا الموقف إلى ردة فعل لديه، وقال (...)، (وبما معناه أنه سوف يورطهم في أمر ما يقدرون يطلعون منه)، فقام ببيع قلعة الطوير على رجا، وارتحل إلى القريات..» وأكد أنه تم البيع في عهد حكم الملك عبد العزيز» (الوشيح، عبد الله ملاوي، «رواية بيع قلعة الطوير»، في: الفالح، فلاح زعل، خطاب في مجموعة أوراق، استلمها الكاتب في ١٢/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ من ١).

ك ـ **ممدوح عبد الحميد السلطان**، في رد شبه شامل وفي قراءة ومراجعة مفصلة للكتاب، وفي سياق عمل كان ينوي إصداره في كتاب تحت عنوان «قراءة حول كتاب رجا المويشير» كتب مسودته عام ٢٠٠٦م، ولم ينشر بعد، تناول معظم النقاط التي وردت في السيف ومكتوبه، وبيَّن مدى التزييف المتعدد والمتنوع في أكثر من مكان وموضوع ومسألة. وحيث إنني لا أريد أن أتطفل على الكتاب ولا أخترق حقوق الملكية الفكرية، فإنني أشير فقط أنه أُتيح لي الاطلاع على مسودة ومخطوطة الكتاب، حيث تم استلام نسخة من المخطوطة عن طريق ابنه عاطف في قسم العلوم السياسية يوم السبت: ٢٠ ـ ٥ ـ ٢٠٠٦م، حيث طلب المؤلف مني مراجعة وإبداء الملاحظات على المخطوطة، في زيارتي له في منزل ابنه عاطف في الرياض، في ١٩ ـ ٥ ـ ٢٠٠٦م وقد ناقشته وعرضت عليه ملاحظاتي على المخطوطة، في ٢٤ ـ ٦٥ ـ ٢٠٠٦م (السلطان، ممدوح، قراءة في مسوّدة كتاب..، ٢٠٠٦: ٩ ـ ٥٤).

٣ ـ الجوف وأهلها والبحث عن السلام والتقدم والكرامة

عود على بدء في موضوع الجوف وأهلها والدولة السعودية الثالثة (١٩٢٢م)، نقول إن توجه أهل الجوف إلى الملك عبد العزيز، آنذاك، كان بتوافق ووفاق أهلي، وكان اختياراً أهلياً طوعياً، بامتياز، شارك فيه زعامات وقيادات ومجموعات فرعية من الأهالي من سكاكا ودومة الجندل. كانت رغبة وتوجهاً أهلياً حقيقياً، بحثاً ليس فقط عن السلام والأمن والاستقرار على أهمية ذلك، وإنما معه وفوقه، تطلعاً إلى التقدم والانعتاق من التخلف، ونزوعاً نحو وتوقاً للحرية والكرامة المتأصلة في نفوسهم تاريخياً. كان هذا هو محركهم الأساسي، وإن لم يكن بوضوح المصطلحات والمفاهيم المعاصرة. ما يؤكد هذا التوجه وهذا التطلع والنزوع للحرية والكرامة، أنهم في تاريخهم انتفضوا على كل سلطة أو قوة ظالمة من خارجهم و/ أو من داخلهم، حتى وإن لم يحالفهم الحظ في أغلب الأحيان لفوارق بالقوة والإمكانات. إن نظرة فاحصة، كما فصلنا في بعض واقعات الصراع الأعلى (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وما ورد منها وعنها في تفسير

الحرب الأهلية، وخاصة ما تعلق منها بعوامل الثقافة والحرية والتحرر، يكفي وزيادة. وفي هذا السياق سوف نرى، في مناقشاتنا لحالة وثقافة الوعي في القسم الثاني من الدراسة (الجوف والمسألة الثقافية)، أن أهل الجوف، أفراداً وجماعات، ما إن رأوا الدولة السعودية، في حدود ثلاثة عقود من انضمامهم للدولة، تمارس تجاههم، مركزياً و/ أو عبر الحكم المحلي، سياسات إهمال وتهميش، وخاصة في سياق فقدان التنمية في منطقتهم، وبالمقارنة بغيرهم آنذاك، إلا وتقدموا بمطالب وشكوى جماعية مطلبية (تنموية) كانت ربما أول وثيقة أهلية بمطالب التنمية وتحولت، كذلك، في تطوراتها وتحولاتها إلى ما يبدو أنها وثيقة في مكافحة الفساد غير مسبوقة ربما على مستوى السعودية كلها. نعم أهل الجوف كانوا ولا زالوا يرغبون بالسلام والأمن، وهم دون شك ينعمون بقدر لا بأس به، ولكنهم كانوا ولا يزالون يتطلعون إلى التقدم والحرية والكرامة، وتلك أمور يبدو أنها إما لم تتحقق أبداً، وليس في الأفق ما يشيء بها، أو أن ما تحقق من بعضها (قدر من التقدم) أقل من توقعاتهم، وخاصة بالمقارنة بالوفرة المالية الهائلة للبلد، والتي لا يبدو أنها وظفت التوظيف الأمثل، بل إن الواقع يشير إلى أن كثيراً منها يذهب هدراً ودونما رقابة و/ أو محاسبة شعبية! وهذه وتلك إحدى نقاط التحديات والمخاطر الكبرى التى تواجه مستقبل الدولة نفسها.

القسم الثاني

الجوف والمسألة الثقافية (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)
مفارقات وجدليات التخلف والوعي
والانفتاح والانغلاق

مقدمة القسم الثاني

الجوف والثقافة (١٨٠٠/١٨٥٠م ـ ٢٠١٣م): حالات ومفارقات وجدليات في الفكرة والإطار النظري[1]

١ ـ في الفكرة: البدايات

قبل عدة سنوات، وفي أوائل العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، وقبل أن أكتب كتابي عن سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين... كنت قد تحدثت مع عدد من الزملاء الأساتذة من أهل المنطقة ومنهم د. سليمان محمد الجبر ود. عبد الرحمن عناد القاضب ود. موافق فواز الرويلي وآخرون، وكنا في إحدى الليالي في لقاء أمام استراحة في ظهرة لبن للأخ ربيع السعدون، عن الحاجة لكتابة تاريخ الجوف على أن يقوم كل أستاذ بكتابة جزء من ذلك التاريخ الذي يقع في حدود تخصصه، وكانت الإجابة المبدئية بالإيجاب. لكن يبدو أن الكتابة التاريخية تحتاج إلى اهتمام والتزام، فضلاً عن الجهد المضني والشاق، وهي على ما يبدو لم تكن متوفرة لدى أغلبنا آنذاك. مع ذلك فإن أمور تاريخ الجوف كانت تشغلني منذ أن كنت في المراحل الدراسية قبل الجامعية، وخاصة في ما يتعلق بمسألة «الحرب الأهلية» بالجوف حيث بدأت بعد سنتين من انتهائي من إكمال دراساتي العليا في أمريكا، وتحديداً منذ صيف ١٩٨٩م، أجمع معلومات عنها، حيث شرعت بالقيام بإجراء عدد من المقابلات مع شهداء العصر على الجوف، أو من هم لديهم الذاكرة والتاريخ الشفهي، ومن أبرزهم في سكاكا، آنذاك، وفي المعاقلة تحديداً، كان «سعد الطارف»، الذي قبل مشكوراً أن أسجل له أشرطة صوتية في مقابلتين منفصلتين صيف عام ١٩٨٩م. ما زالت الأشرطة المسجلة للمقابلات لدي وبحالة جيدة، بما فيها المقابلات مع «الطارف»، وقد قمت

---

(١) أصل المسوّدة من ٢٣ صفحة غير منقّحة، في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤م، كتبتها بسجن المباحث في عليشة (الرياض) أثناء اعتقالي مع د. عبد الله الحامد وأ. علي الدميني. تمّ تعديلها وتنقيحها تحريرياً على فترات، بعضها يعود إلى ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٩، ثم أدخلتُ عليها بعض التعديلات والإضافات الأخرى كمبيوترياً بدءاً من ١٨/ ١/ ٢٠١٢ فصاعداً وحتى تاريخه (شباط/ فبراير ٢٠١٤).

بتفريغها في عام ٢٠٠٣م، أي بعد أكثر من ١٤ سنة على تسجيلها، مع مقابلات أخرى أجريتها في فترات لاحقة، معظمها تم في صيف ٢٠٠٢م، وكذلك مع أو بعض النصوص المدوّنة (كتابة لا تسجيلاً) لبعض المقابلات، بما فيها مقابلة مدونة تعود إلى صيف ١٩٨٩م مع «فهد الغانم».

عندما كتبت كتاب سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين (الفالح، ٢٠٠٠)، كانت فكرته الأساسية هي رصد التحولات في النخبة في مدينة سكاكا. لكن الكتاب حيث ارتبط موضوعه المراد بحثه بقوى التحديث والتمدن وأبعاد التنمية، فقد تم ربط موضوع التنمية للمنطقة في سياق طبيعة وسياسات الدولة والتوجه الحاكم، والحكم المحلي في السعودية، فكان الكتاب على ما ظهر مبيّناً لواقع تخلّف المنطقة وتهميشها تنموياً. بظهور الكتاب كان له صدىً طيب، وخاصة بين أوساط المثقفين في السعودية وبين أبناء وأهل الجوف، رغم أن الأوساط الرسمية لم يكن بعضها راضياً عن الروح النقدية في الكتاب، حيث فهمت لاحقاً أن وزارة الإعلام، وعن طريق تقارير بعض «المرتزقة» ممن يحسبون على الثقافة والمثقفين، قدمت تقريراً سيِّئاً عن الكتاب ورفعته للمقام السامي، وقد فهمت ذلك من خلال حديث مشترك، كان بالأصل بيني ود. أسامة بن عبد الرحمن[2] من جهة، وبين الأمير عبد العزيز بن فهد آل سعود من جهة أخرى، في مكتب الأخير في قصر اليمامة في أوائل رمضان من العام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م على ما أعتقد. في اللقاء والنقاش حول الكتاب، الذي أثاره الأمير عبد العزيز، بنفسه، في محاولة، على ما يبدو منه، للضغط عليَّ بشأن موضوع آخر يتعلق بعلاقتنا بمركز دراسات الوحدة العربية، وندواته ومؤتمراته التي تعوّدنا على حضورها، وفي الغالب بدعوة منه. قلت باختصار للأمير عبد العزيز، آنذاك: إن هذا التقرير يتناقض مع ما وردني من رد إيجابي وشكر لي وعلى الجهد المبذول فيه، من كل من الأمير نايف والأمير أحمد بن عبد العزيز. عندما أطلعته على ردهما حيث كان معي بالصدفة، وبعد أن قرأ الرد منهما تجاوز الموضوع نهائياً ولم يعد إليه أو لإثارته أبداً!

ذلك الكتاب، الذي كتبته عن سكاكا ونشر عن طريق دار بيسان للنشر والتوزيع في بيروت في بداية عام ٢٠٠٠م، ساهم بدرجة ما في تشجيعي على مواصلة اهتماماتي بكتابة تاريخ الجوف في أبعاده المختلفة، وخاصة ما تعلق منها هنا بالجانب أو المسألة الثقافية ولا سيّما في جذورها، وامتداداتها التاريخية ترابطاً و/ أو انفصالاً. بالموازة، كان للأخ الأديب والكاتب أ. محمد عبد الرزاق القشعمي ـ الذي كان له فضل مقَدر ومعتبر في تنبيه عدد من المثقفين في السعودية ومن أصحابه في بعض البلدان العربية لذلك الكتاب والترويج له ـ وللحديث المشترك بيني وبينه في «شقراء» قبل عدة سنوات، وبعيد صدور الكتاب مباشرة، دور في إحياء الرغبة عندي في التوجه لهذه الجزئية الهامة من تاريخ الجوف، وهي المسألة الثقافية والمعرفية. كان الحديث قد نشأ بيننا قبيل النوم في نادي «شقراء» الأدبي، حيث دعاني هو أو طلب من النادي دعوتي لحضور تكريم شيخنا الجليل أبو سهيل، أ. عبد الكريم الجهيمان. قبيل الحفل، كان أن دعانا أحد أبناء شقراء على حفل قهوة وشاي بعد المغرب مباشرة، وقد وزع علينا بعض الكتب عن تاريخ شقراء الثقافي، ومن بينها عمل من جزءين عن «العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (البسيمي، ١٤٢٠هـ (أ)، والبسيمي، ١٤٢٠هـ (ب)).

(٢) توفي الدكتور أسامة عبد الرحمن، في الرياض، يوم الخميس في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣.

في تلك الليلة وقبل النوم سألت «أبا يعرب» عن موضوع الثقافة في شقراء وفي نجد، وقد استغربت من وجود هذه الحالة الثقافية، على رغم عزلة قرى وواحات نجد عن المحيط المعرفي، بينما كنت أقول له، الجوف لا تعكس مثل هذه الحالة من الاهتمام بالثقافة والمعرفة وبالتاريخ والكتاب والمؤرخين، رغم قربها، بالمقارنة، من مصادر الثقافة العربية الأكثر حيوية في حينها (الهلال الخصيب «بغداد ودمشق وفلسطين» وحتى مصر). من هنا بدأ إصراري على طرق الموضوع واهتمامي بسؤال الثقافة والمعرفة في الجوف يتعمق بدرجة أكبر.

كان السؤال في البداية هو: لماذا أهل الجوف لم يظهر من بينهم مؤرخ ولا كاتب ولا عالم دين خلال تلك الفترة، وخاصة وتحديداً في فترة ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠، على رغم قرب الجوف من بلاد الهلال الخصيب واحتكاك لم ينقطع معها؟ كان هذا سؤال يؤرقني، في الوقت الذي كانت الجوف وأهلها في الفترة الحالية (منذ ستينيات القرن العشرين فصاعداً) تشغل اهتمام كثيرين من المثقفين في السعودية من كافة المناطق، باعتبار أن أهل الجوف لديهم وعي مرتفع وعلى نحو غير عادي!

سوف يتطور الاهتمام لاحقاً إلى اهتمام إضافي يتعلق بملاحظة أن حالة الوعي مصاحبة بقدر من حالة من الانفتاح والتسامح في التعاملات والممارسات الثقافية الداخلية وتجاه الخارج! إذن نحن أمام إشكالية ثقافية مزدوجة وهي: حالة وعي مرتفع معاصر (منذ ما قبل منتصف القرن العشرين فصاعداً) متصاحبة جزئياً مع حالة انفتاح ثقافي (غير معرفي)، ولكنها (أي حالة الوعي) متكئة على إشكالية ثقافية أخرى، ألا وهي حالة وبنية تخلف ثقافي (معرفي) تمتد إلى الوراء لقرن أو أكثر من الزمن: أنه مفارقة وجدلية ثقافية: وعي وانفتاح مقابل بنية من التخلف!

نود أن نلفت الانتباه إلى أنه ورغم المصاحبة بين الوعي والانفتاح في فترة ما بعد ١٩٥٠م، فإن المصاحبة قد تبدأ بالتواري بين الحالتين كلما تقدمنا زمانياً للأمام، بحيث نرى تواصلاً في الوعي في العقود التالية باتجاه نهاية القرن العشرين وصولاً حتى وقتنا الحاضر (٢٠١٣/ ٢٠١٤م)، بينما الانفتاح، في المقابل، يبدأ بالتناقص التدريجي مع التقدم زمانياً للأمام، وقد يصل إلى حد حالة من التلاشي، أو قريباً منها مع أواخر الـ «١٩٨٠s م»، علماً أن الانفتاح في بداياته وجذوره، وخلافاً للوعي، يمتد، إلى الوراء، إلى عمق فترة بنية التخلف المعرفي الثقافي (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م). لذلك ستكون المعالجة للحالتين الوعي والانفتاح، على ما بينهما من مصاحبة واتصال ما ولفترة ما، معالجة فيها فصل بينهما وتفصيل لكل منهما. وحيث إن حالة وثقافة الانفتاح تترابط بالمعاكسة مع حالة وثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فستكون المعالجة للانفتاح والانغلاق فيهما قدر من الربط والفصل في آن.

كان المشروع البحثي المنشغل به في عام ٢٠٠٢م، ينصب على الحرب الأهلية، حيث قمت بإجراء أكثر من ٢٧ مقابلة مع كبار سن ومهتمين بالتاريخ الشفهي للمنطقة وعلى دراية به، وكذلك مع آخرين من أبناء المنطقة ممن لهم أهتمام ومتابعات به و/ أو ببعض جوانبه وأبعاده. لذلك عندما شرعت في عمل مقابلات عن إشكالية الحرب الأهلية في الجوف، بدأت أوسع الموضوع ليشمل الحالة الثقافية والمعرفية.

للأسف لم يتم تنفيذ المشروع مباشرة، وذلك لتكوُّن وتراكم مجموعة من المتغيرات والتطورات الهائلة، ومنها على وجه الخصوص:

أ ـ عندما بدأت أجمع هذه المادة في صيف ٢٠٠٢، كانت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر قد ألقت بظلالها على الوضع السياسي والثقافي والفكري والديني والاجتماعي والاقتصادي في المنطقة العربية والسعودية على وجه الخصوص. لذلك كان التوجه إلى الاهتمام بالوضع السياسي الحالي للسعودية، ومستقبلها في ضوء أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وفي ضوء انغلاق الدولة السعودية والحاجة الماسة لإصلاحها، لأن إصلاحها كان في رأيي، وربما رأي آخرين غيري، هو المنقذ في وجه الانهيار القادم و/ أو التدخل الأجنبي والتقسيم على حساب المجتمع والسلطة. من هنا انصرفت رفقة زملاء وطنيين كرام، بعد أن كتبت مقالة عنوانها: «المستقبل السياسي للسعودية في ضوء ١١/ ٩/ ٢٠٠١: الإصلاح في وجهة الانهيار أو التقسيم»، وقد نشرت في عدة حلقات في صحيفة **القدس العربي** ما بين ٢٦ نيسان/ أبريل والأول من أيار/ مايو ٢٠٠٢م، إلى تكوين وتأصيل خطاب ومذكرات الإصلاح السياسي الشامل الذي يقوم على تبني الدستور وقيام الحكومة الدستورية، متسقاً مع الإسلام، منطلقاً من التأسيس على الفصل بين السلطات للوصول إلى سلطة «مقيدة» برقابة سلطة شعبية وقضائية ومدنية؛ أي عن طريق قيام ووجود سلطة نيابة شعبية منتخبة لها صلاحيات دستورية تشريعية ورقابية، أي بالرقابة ومحاسبة السلطة التنفيذية ومسؤوليها، مع وجود سلطة قضائية مستقلة لمراقبة السلطتين، فضلاً عن وظائفها بتحقيق العدالة والمساواة وحماية الحقوق والحريات العامة، وكذلك بقيام مؤسسات المجتمع المدني وممارسة وظائفها العامة والخاصة. كل ذلك من أجل تأكيد العدل والشورى، وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً بين الأفراد والمناطق، وصولاً إلى تنمية حقيقية تتأكد فيها كرامة وحقوق المواطن، والحقوق والحريات العامة، بما في ذلك حقهم في المشاركة بصنع السياسات والقرارات من خلال السلطة النيابية المنتخبة التي تمثلهم مركزياً و/ أو محلياً (المجالس البلدية)، ومن خلال حرية الرأي والتعبير وتشكيل مؤسسات المجتمع المدني (الجمعيات الأهلية المدنية الطوعية والاختيارية المستقلة) للقيام بالاحتساب على السلطات (المركزية/ الوطنية و/ أو المحليات والمناطق) والتوازن فيما بين الجهات الأهلية والمنتسبين لها. هذا الانشغال بالشأن العام الوطني أخذ مني جل وقتي منذ صيف ٢٠٠٢ وحتى الآن (أي نهاية ٢٠٠٤م)، حيث أنا (أكتب الآن في المعتقل السياسي من مباحث عليشة بالرياض (الآن الساعة ١٢,٢٠ بعد منتصف الليل من ٢٩/ ٩/ ١٤٢٥هـ الموافق ١٢/ ١١/ ٢٠٠٤م).

ب ـ فيما بين ٢٠٠٢ و٢٠٠٤ أيضاً أتت أحداث ذات صلة بالعنف وبداياته، من أهمها وفي المقدمة منها، على مستوى الجوف خصوصاً، والسعودية عموماً، هو الاغتيال الغادر للزميل والصديق الدكتور حمد بن عبد الرحمن مشحن الوردي، وكان آنذاك يشغل وكيل إمارة منطقة الجوف.

ج ـ قبيل ذلك كان أول الجهود الجماعية الوطنية الإصلاحية في هذه الفترة (٢٠٠٣م فصاعداً) مذكرة وخطاب الرؤية «رؤية لحاضر الوطن ومستقبله»، التي وقع عليها ١٠٤ من أبناء الوطن من كل التيارات والخلفيات والمناطق (٨/ ١١/ ١٤٢٣هـ الموافق ١١ كانون الثاني/ يناير٢٠٠٣م) ورفعت إلى ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز، علماً أن د. حمد الوردي كان مساهماً بشكل غير

مباشر في تلك الجهود، ومن ذلك مساهمته في تسليم نسخة من «المذكرة وخطاب الرؤية» إلى الأمير عبد الإله بن عبد العزيز، أمير الجوف آنذاك، في مقر إقامة الأخير في إحدى فلل فندق الأنتركونتننتال بالرياض.

د ـ لاحقاً، وقبل رمضان ١٤٢٤هـ وفي نهاية شوال الموافق كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، تواصلت الانشغالات بقضية الإصلاح وتطوير عناصرها ومتطلباتها؛ فكان انشغالي رفقة أخوة أعزاء، من مثل: د. عبد الله الحامد وأ. محمد سعيد طيب، ود. توفيق القصير، والشيخ سليمان الرشودي، وأ. عبد الله الناصري، وأ. صالح الصويان، وآخرين، بإصدار مذكرة وخطاب آنذاك عنون بـ: «إلى القيادة والشعب معاً: الإصلاح الدستوري أولاً»، في (٢٢/ ١٠/ ١٤٢٤هـ، الموافق ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٣م). ورغم أن نشاطنا الإصلاحي السياسي كان علنياً وسلمياً مدنياً، ورغم مشروعية تلك المطالب والحاجة لها لصالح الدولة (مجتمعاً وسلطة)، إلا أن هناك من أراد إجهاض وقتل الحركة الوطنية الإصلاحية في مهدها، حيث تفاعلت الأمور، فكانت مقابلة الأمير نايف بن عبد العزيز في مكتبه مع ثمانية عشر من الموقعين عليه، والتي انتهت باعتقالات ١٦/ ٣/ ٢٠٠٤م لدعاة الإصلاح السياسي عموماً، فبقينا نحن الثلاثة من دعاة الإصلاح الدستوري والمجتمع المدني (د. عبد الله الحامد، أ. علي الدميني، متروك الفالح) في الاعتقال منذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظة[*] ((*) اللحظة تعود إلى ١٢/ ١١/ ٢٠٠٤م حيث كتابة أصل المسوّدة)[٣].

طبعاً، رغم ما هدفت إليه السلطة، وبعض عناصرها المتنفذة في ضرب دعاة الإصلاح الدستوري وتيار الإصلاح السياسي عموماً، إلا أن الاعتقال وتفاعلاته وتداعياته الداخلية والخارجية، بما في ذلك ما اتصل بالمحامين وبالمحاكمات وسيرها ومحاولة الالتفاف على علنيتها، قد ساهم في بلورة وتنافي وتجذر فكرة الدعوة إلى الإصلاح السياسي، والمطالبة بالدستور والملكية الدستورية، ومؤسسات المجتمع المدني، وكذلك لفت الاهتمام إلى الحاجة نحو استقلال القضاء، بمراعاة والتزام المعايير الدولية المحددة والمبيّنة لمستلزمات قيامه وممارسته وفاعليته والحد من الفساد فيه و/ أو عليه. كذلك أبرز ذلك الاعتقال وملابسات جلسات المحاكمة وأحكامها الجائرة، والدفوع والبيانات الموازية، وتداعياتها المحلية والدولية، مدى سيادة سياسات وممارسات ثقافة القمع والفساد بأنواعه وخاصة السياسي، وغياب الحد الأدنى من ضمانات العدالة وسيادة القانون في البلد، وبالتالي إبراز الحاجة الحقيقية لتلك المطالب الإصلاحية باعتبارها تمثل دعوة إصلاح دستوري نابعة من الداخل، ومعبرة عن تطلعات وحاجات المجتمع عموماً، وليست مفروضة من الخارج. يمكن القول إن تلك المطالب الإصلاحية السلمية العلنية، وتداعياتها، وخاصة الاعتقال وتداعياته، مثلت بالفعل تكوّن ما يمكن تسميته بالحركة التاريخية لدعوة ودعاة الإصلاح والدستور والمجتمع المدني في السعودية.

كل هذه التفاعلات والثقافة المدنية والدستورية، ستتواصل بعد اعتقالنا منذ ١٦/ ٣/ ٢٠٠٤م، وتتوالى تجذراً وانتشاراً في المجتمع مروراً بتطورات اعتقالات ٢٠٠٧م، و٢٠٠٨م، وفي سياق التحولات في المنطقة العربية، وخاصة الربيع العربي وثوراته في عدد من البلدان العربية، رغم كل

(٣) أُطلق سراحنا في ٨/ ٨/ ٢٠٠٥.

الإخفاقات والانتكاسات فيها في ما يتعلق بالحقوق والحريات والديمقراطية، وما صاحبها من قمع ومحاكمات واعتقالات هنا في السعودية منذ ٢٠١١م وحتى أوائل ٢٠١٤م، وكان آخرها اعتقال الناشط الحقوقي فوزان الحربي في أواخر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣م ومحاكمته التي لا زالت تجري، وكذلك التحقيق مع كل من عضوي حسم: عيسى الحامد وعبد العزيز الشبيلي في بريدة وعنيزة على التوالي. تلك النشاطات الحقوقية والمدنية الدستورية، في الفترة ٢٠٠٣ ـ ٢٠١٤م[٤]، لا زالت تتعمق

(٤) في الثقافة الحقوقية المدنية والدستورية في السعودية (٢٠٠٣ ـ ٢٠١٤م)، وما تعلق بممارسات القمع نشير إلى التفاعلات والنشاطات التالية، وإن مختصرة، فنقول: من إيجابيات هذه الاعتقالات، ومنها ما بداية تعلق باعتقال ٢٠٠٤م، وهذا أيضاً لم تحسب له السلطة حسابه، أننا نحن المعتقلين الثلاثة (د. عبد الله الحامد، أ. علي الدميني، وأنا) قد استطعنا أن ننجز أعمالاً وكتابات في سياق الإصلاح الدستوري والدعوة إلى المجتمع الأهلي/ المدني، في شكل كتب و/ أو مقالات أو قصائد فردية أو دواوين شعرية، وكلها تقدم إضافات للفكر الإصلاحي الدستوري، فضلاً عن خطابات وبيانات في سياق تفصيلات عناصر خطاب الإصلاح الدستوري ذاته، ومنها مذكرة «رؤية لتعزيز استقلال القضاء في السعودية»، إضافة إلى خطابات بشأن مطالب وأسس المحاكمات العلنية موجهة إلى رئيس مجلس القضاء الأعلى و/ أو إلى الهيئة القضائية المشكلة لمحاكمتنا، فضلاً عن دفوعنا للمحكمة ومرفقاتها رداً على الاتهامات المتهاوية التي قدمتها ما تسمى «هيئة التحقيق والادعاء»، وهي في حقيقة الأمر تمثل وزارة الداخلية. تلك الكتابات والدفوع، ومرفقاتها من مقالات وبيانات كلها تشكل أدبيات في سياق ثقافة حقوق المتهم وما يتصل بحقوق الإنسان واستقلال القضاء، والأخيرة واحدة من أهم أسس الإصلاح الدستوري التي نادي بها وينادي بها معنا تيار ودعاة الإصلاح الدستوري والمجتمع الأهلي المدني في السعودية. هذه الثقافة الحقوقية الدستورية والسياسية والمدنية ستتواصل لاحقاً وتنتشر على نطاق أوسع في الفترة ٢٠٠٧ ـ ٢٠١٤م، وما تخللها من تزايد في الكتابات والمناشط الفكرية الثقافية الحقوقية المتعددة في عدد من مناطق ومدن البلد، من خلال الديوانيات والمنابر والمنتديات وعبر الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي التي أخذت بالرواج في المنطقة العربية عموماً منذ ٢٠٠٨ فصاعداً، وخاصة منذ نهاية ٢٠١٠م مع الفيسبوك والتويتر وإسهاماتها في سياق التحولات الكبرى الموازية لـ «الربيع العربي» وثوراته في تونس ومصر وليبيا واليمن، وتواصلها في سورية منذ آذار/ مارس٢٠١١م وحتى الآن (شباط/ فبراير ٢٠١٤م)، ونشاطات موازية متقطعة في الأردن والمغرب ودول الخليج العربي، بالذات في عمان والبحرين والسعودية، رغم إخفاقات بعضها و/ أو إعاقتها وإجهاضها، وخاصة في البحرين وعمان، وكذلك في مصر منذ تموز/ يوليو ٢٠١٣م... إلخ. في تلك الفترة، ورغم المحاكمات الجائرة والمستهدفة ضد د. عبد الله الحامد وشقيقه عيسى في ٢٠٠٧م، ثم في ما تلاها من سجن لهما بين ٦ و٤ أشهر على التوالي، فاعتقال لي (١٩أيار/ مايو٢٠٠٨م وحتى ١٠كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٩م)، فإن «اثنينية ثقافة المجتمع المدني ـ في الرياض»، لم تتوقف، وقدمت إسهامات غير قليلة في نشر ثقافة حقوق الإنسان والحريات والإصلاح والديمقراطية والحكم الرشيد ومكافحة الظلم والفساد المالي والإداري والقضائي. توازى هذا كله مع انبثاق «جمعية الحقوق المدنية والسياسية في السعودية» (حسم) في عام ٢٠١٠م فصاعداً، بفضل جهود كبيرة وعظيمة من عدد من دعاة الإصلاح والدستور، وفي المقدمة منهم كل من: د. عبد الله الحامد، الذي لم ينقطع نضاله السلمي الإصلاحي منذ ١٩٩٣م رغم محاولات إسكاته بسجنه لأكثر من ٦ مرات، وكذلك د. محمد القحطاني، الذي بدأ نشاطه الحقوقي والسياسي منذ أواخر ٢٠٠٧م، فصاعداً، ولكنه تكثف بتعاضد مع الحامد وآخرين من جمعية «حسم»، بإصدار البيانات والمطالبات الإصلاحية وبمحاسبة المسؤولين، وخاصة ما يتعلق بملف المعتقلين، وكان لجمعية «حسم» وللحامد والقحطاني دور أساسي في تفعيل وفتح ملف المعتقلين وحقوقهم، وهو ما أدى إلى تفاعله واندلاع مواجهة من المظاهرات والاعتصامات، وإن كانت جزئية ومتقطعة، في الرياض والقصيم «بريدة» وفي الشرقية والغربية إلى حد ما. نود أن نشير إلى أن من أول المساهمين في تحريك ملف المعتقلين وحقوقهم كمعتقلين وبغض النظر عن قضاياهم، هو فضلاً، عن د. عبد الله الحامد في صيف ٢٠٠٧م، كان كل من محمد البجادي في بريدة القصيم في تموز/ يوليو من العام نفسه، حيث اعتقلا لاحقاً، وكذلك أ. منصور سالم العوذة الذي سبق أن حاول تحريك ملف حقوق المعتقلين بالجوف في ربيع ٢٠٠٧م عبر قيام أول اعتصام لأسر (زوجات وقريبات) بعض المعتقلين أمام إدارة مباحث الجوف، وقد عمل على تغطيتها إعلامياً بالتواصل مع قناة الجزيرة، لكن الأمر لم يتفاعل لأسباب موضوعية وذاتية، ليس هنا مكان تفسيرها، ولكنها على ما يبدو ذات صلة بمكان ومكانة الجوف، فضلاً عن خفوت مسألة ملف المعتقلين عموماً لدى أسر وعائلات المعتقلين في السعودية عموماً. وعلى خلفية تلك النشاطات، ومزاعم أخرى، اعتقل منصور العوذة، منذ الأحد: ٢٣/ ١١/ ١٤٢٨هـ، الموافق: ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م، ولا زال معتقلاً حتى الآن (نحن الآن في ١٥/ ٤/ ٢٠١٣م). طبعاً في الشرقية، في الأحساء والقطيف والعوامية، ومنذ آذار/ مارس ٢٠١١م، وفي تواز مع «الربيع العربي» وثوراته وتحولاته، واستفادة من أجوائها، انطلقت عدة مظاهرات سلمية تطالب بالإصلاح وبإطلاق سراح المعتقلين من أبنائهم. كانت ردة فعل الحكومة والداخلية تجاه تلك النشاطات مزيداً من القمع؛ اعتقالات و/ أو محاكمات ضد الناشطين، ومنهم نشطاء «حسم»، والأحكام الجائرة ضد الحامد والقحطاني، وإيداعهم السجن قبل أن يصبح الحكم قطعياً ونهائياً!، ثم لاحقاً أ. د. عبد الكريم الخضر ـ عضو حسم في بريدة ـ القصيم، وهناك نشطاء آخرون أودعوا السجن وتم إصدار أحكام جائرة ظالمة بحقهم، ومنهم «عيسى النخيفي» الذي فضح الفساد ليجازى بالاعتقال بدلاً من اعتقال المفسدين! ولا زالت التحقيقات والمضايقات تتوالى على أعضاء حسم، ومنهم: عمر السعيد =

في السعودية، رغم كل ممارسات القمع الشديدة المتزايدة من السلطة، ممثلة في التحقيقات وفرض التعهدات والمحاكمات والاعتقالات. واعتقادي أن تلك التفاعلات ستتواصل، ولكن التاريخ والمستقبل هو للإنسان في الحقوق والحريات والديمقراطية.

لم أكن أريد الخوض في تفصيلات قضية الإصلاح والحقوق في السعودية، ولكنها، فضلاً عن كونها مسألة ثقافية وفكرية وسياسية عامة جديرة بالإشارة والمتابعة والتسجيل الأولي، فهي متعلقة بما يخصني في مرحلة تتصل بالانشغالات العامة التي حالت دون أن أواصل مشروع تاريخ الجوف في حينه (وخاصة منذ ٢٠٠٢م عندما بدأت أجمع البيانات والمعلومات عن تاريخ الجوف عموماً والحالة الثقافية المصاحبة له خصوصاً).

على أية حال طالما أن الأمرين يتعلقان بي وبنشاطي الثقافي والعام، وباعتباري من أبناء وأهل الجوف، فهما على نحو ما على صلة بالمسألة الثقافية في الجوف في نهاية القرن العشرين وأوائل القرن الواحد العشرين الميلادية. على أية حال، فوق هذا كله، لعلنا لم نخسر شيئاً بهذا التأخير، ولعله يكون خيراً إن شاء الله.

= وفوزان الحربي، وعيسى الحامد، وربما يلحق بهم د. عبد الرحمن الحامد، فضلاً عن ضغوط مورست على نشطاء آخرين للتوقف عن مزاولة نشاط إصلاحي وحقوقي سلمي، ومنهم عبد الرحمن جمعان الدوسري، وكذلك بآخرين ممن لهم علاقة بإعلان عن قيام منظمة حقوقية أهلية تقريباً بعد الأسبوع الأول من اعتقال الحامد والقحطاني، ومنهم: محمد العتيبي، عبد الله الحربي/ أبو فيصل ومحمد عايض العتيبي، وعبد الله العطاوي/ أبو حكم، الذين أجبروا على تعهدات بوقف نشاطهم وجمعيتهم الحقوقية. ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً، في الفترة منذ شباط/ فبراير ٢٠٠٧م فصاعداً، فقد اعتقل مجموعة من دعاة الحقوق والإصلاح والدستور، من خيرة أبناء البلد، ومنهم: الشيخ سليمان الرشودي ود. سعود الهاشمي ود. موسى القرني، والمحامي عصام بصراوي ود. عبد الرحمن الشميري، ود. عبد العزيز الخريجي، وسيف الشريف آل غالب، أُلحق بهم عبد الرحمن بن صديق، وكذلك كل من فهد محمد الصخري وعلي القرني في فترة لاحقة، علماً أنه في أواخر٢٠٠٧م أفرج بشروط عن أ.عصام البصراوي، وفي فترات لاحقة أفرج بشروط أيضاً عن سليمان الرشودي ويبدو كذلك د. الخريجي، كما أفرج عن الصخري. على أية حال صدرت أحكام قاسية جداً على الجميع في ٢٠١١م تراوحت ما بين ١٠ و٣٠ سنه. وعندما نشط الشيخ سليمان الرشودي مرة أخرى مع جمعية «حسم»، وألقى محاضرة عن مشروعية المظاهرات، اعتقل بحجة إكمال مدة الحكم إلى أواخر ٢٠١٢م، علماً أن حكمه زيد لاحقاً، إلى ١٥ سنة بدلاً من ١٠ سنوات في بداية الحكم. نود أن نشير إلى أن النشاط الحقوقي والإصلاحي في السعودية أخذ بالتزايد منذ ٢٠٠٧ ـ ٢٠٠٨م، وكان لعدد من المنابر والنشطاء دور في إسهاماته، ومنها ومنهم، مثالاً لا حصراً: «منبر الحوار والإبداع» وصاحبه والمشرف عليه الأديب أ. علي الدميني، الذي، منذ تأسيسه في ٢٠٠٧م، أفسح مجالاً واسعاً لنشر ثقافة الحقوق والديمقراطية والمجتمع المدني، بما في ذلك نشر بيانات وتقارير الدفاع عن معتقلي الرأي والضمير، وكذلك أ. وليد سامي أبو الخير وهو محامٍ وناشط حقوقي ورئيس مرصد حقوق الإنسان في السعودية، والمشرف عليه، والذي هو الآخر يحاكم منذ أوائل ٢٠١٢م، ولا يزال يواجهً محاكمات إضافية ومتتابعة حتى تاريخه (نحن في هذه الجزئية نتكلم عن نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣م). في ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨م اعتقل المدوّن «فؤاد الفرحان»، وأطلق سراحة بعد حملة عالمية مكثفة مناصرة له. رغم الربيع العربي وثوراته وتحولاته الكبرى منذ نهاية ٢٠١٠م وبالذات منذ ٢٠١١م، تواصلت حملة القمع والاعتقالات في السعودية وشملت مدوّنين ومفكرين ونشطاء حقوق ومطالبين بالإصلاح و/ أو أصحاب رأي، ومنهم، مثالاً لا حصراً؛ د. محمد العبد الكريم (ديسمبر ٢٠١٠م)، عبد العزيز الوهيبي (حزب الأمة ـ فبراير ٢٠١١م)، وفاضل المناسف، ومخلف دهام الشمري، ومحمد الجهني، ومبارك الزعير، ومحمد صالح البجادي (آذار/ مارس ٢٠١١م)، ثم أطلق سراحه في ٢٠١٣م لمدة أسبوع ليعتقل مرة أخرى ولا زال، وهناك اعتقالات أخرى لا صلة لها مباشرة بمطالب الإصلاح والحقوق، وإنما تتعلق بالرأي والتعبير، ومنها ما تعلق باعتقال يوسف الأحمد وأطلق سراحه بعد عدة أشهر، وتركي الحمد (٢٤ ديسمبر ٢٠١٢م)، وأطلق سراحه بعد حوالي ستة أشهر وكذلك حمزة كشغري اعتقل وأطلق سراحه بعد أكثر من سنة ونصف تقريباً... إلخ. ورغم أن حملة الاعتقالات والمحاكمات لازالت تتواصل في السعودية، في الرياض في بريدة وفي جدة، وكذلك المضايقات والتحقيقات ضد عدد من نشطاء الحقوق والإصلاح، وفي الغالب ستتزايد مستقبلاً، فإن ثقافة الحقوق والحاجة الماسة للإصلاح السياسي والدستوري لا زالت تتواصل وتزداد انتشاراً أفقياً وعمودياً، والخشية أن السعودية كسلطة أو بعض القوى المتنفذة فيها، عاجزة وغير قادرة و/ أو راغبة في ولوج الإصلاح مما قد يعني أن السعودية تتجه إلى طريق قد يودي بها في النهاية كدولة (سلطة ومجتمع) إلى السقوط والانهيار؛ هذا هو منطق ومعادلة التاريخ البشري للدول والحكومات!

قد يكون مما يلفت الانتباه إليه، وفيه من المفارقات الجميلة، هو أنه ونحن نكتب الآن عن الحالة الثقافية المعرفية المحدودة عن الجوف وأهلها في الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، والتركيز فيها سيكون أكثر على (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) وربما تتجاوزها لما بعدها حتى نهاية ٢٠١٣م، وهي كانت ولا زالت منطقة وجماعة ذات ثقافة ريفية، فإن المعتقلين الثلاثة من دعاة الإصلاح الدستوري والمجتمع المدني في السعودية، آنفَي الذكر، فضلاً عن آخرين ممن وقعوا أو ساهموا في كتابة تلك المذكرات الإصلاحية، هم أيضاً وبالمناسبة جلهم وخاصة من الوسطى والجنوب والشمال والشرقية، إن لم يكن كلهم (الاستثناء عدد محدود من أبناء الحجاز ومنهم أ. محمد سعيد طيب)، في خلفياتهم الاجتماعية، آتون من مجتمع وثقافة الريف! فكيف أيضاً يتصدى لهذا العمل الإصلاحي السياسي الدستوري والمدني أناس من تلك الخلفية «الريفية»! لاحظ أن الربيع العربي، وثوراته المتلازمة و/ أو الاحتجاجات الموازية المتواصلة، منذ أواخر كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٠م، بالذات منذ ٢٠١١م فصاعداً، ورغم الانتكاسات في سياق تطوراتها، أيضاً كانت القوى المحركة الفاعلة فيها (تونس/ ليبيا/ اليمن/ سورية، البحرين/ الأردن/ وحتى في مصر وإن كانت أقل قليلاً) هي في معظمها من خلفيات ريفية، وانطلقت واستمرت في مناطق وتجمعات ومناطق ريفية، ثم امتدت إلى المدن في مرحلة تالية، هذا إذا اعتبرنا أن المدن العربية هي تجمعات مدنية، وهو أمر جادلنا بعدم صحته في بحث سابق لنا وعلى نحو مفصَّل، هذا فضلاً عما تضمنه من تبيان بأن خلفية الغالبية العظمى للطبقة الوسطى «المتعلمة/ المثقفة»، بما فيها النخب الإدارية والعسكرية، والتي تشغل أغلب مؤسسات وأجهزة الدولة من رأسها وحتى ساسها، بل وحتى في الجمعيات الأهلية القائمة، وفي كل البلدان العربية، هي ريفية الطابع (الفالح، ٢٠٠٢).

إننا أمام أسئلة تفتح دائماً، وفتح الأسئلة والنصوص لا إقفالها، هو ما يفضي، على أية حال، إلى مزيد من التقدم والتراكم العلمي والمعرفي. هذه الحالة المنشغلة بالشأن العام لأفراد أو جماعات مثقلة بالريف والثقافة الريفية، وخاصة ما يتعلق بما نحن بصدده في منطقة الجوف، وهذا التساؤل حول الأمر ومفارقاته، قد تقع الإجابة عليها في الجزء الثاني من هذا القسم من الدراسة، عندما نحاول أن نقدم تفسيراً للوعي المرتفع لأهل ومنطقة الجوف، رغم أن خلفيتهم الثقافية والمعرفية لا تسند ذلك الوعي، أقله من الناحية النظرية والمنهجية المفاهمية. كل من حالة الوعي وما صاحبها من انفتاح، وحالة وبنية التخلف تحتاج إلى تدليل وإيضاح ثم تفسير، وهو ما نستهدفه، في جزء هام من دراستنا للمسألة الثقافية بالجوف (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م).

٢ ـ الفكرة وتطوراتها كإشكالية بحث محددة

كان التصور الأول للفكرة، كما أشرنا سابقاً وفي أكثر من مكان، يتمحور حول التساؤل عن التخلف الثقافي المعرفي للجوف وأهلها مقارنة ببعض الأهالي والمناطق الأخرى، وخاصة الداخلية من البلاد، وتحديداً بعض أهالي وقرى نجد. لكن الفكرة أخذت تتشعب وتتعقد مع إدخال إشكالات ثقافية أخرى موازية و/أو مترابطة؛ فإلى جانب التخلف الثقافي هناك الوعي والانفتاح، ومن الانفتاح إلى التطرف والتشدد رغم بنية الوعي السابقة، وفضاءات العالم المفتوحة الموازية والمتزايدة المتقاطعة زمانياً. كل ذلك أدى بنا إلى أن نعالج المسألة الثقافية في الجوف كحالة شاملة، وإن في سياق مفارقات وجدليات.

من هنا نطرح الفكرة كمشكلة بحثية محددة مركبة من عدة إشكاليات ثقافية مترابطة متداخلة/ متعارضة (مفارقات وجدليات) على النحو التالي، فنقول:

في البدء هناك اعتقاد أو تصور ما، أو لنقل إعجاباً، يبدو منتشراً، أقله بين أوساط ثقافية في السعودية هو أن الجوف وأهلها تسودهم حالة من وعي يبدو مرتفعاً. هذا الوعي، وبما يعني حالة أو مستوى سائداً، من الفهم و/ أو التفاعل لأهالي الجوف (أفراداً و/ أو مجموعات) مع المناخ والشأن العام، محلياً ووطنياً وعربياً، ومحيطاً، وقضايا، وصلتها بالداخل أو بالخارج، وبما تتضمنه من مخاطر وتحديات و/ أو فرص وما تطلبه من اتخاذ مواقف و/ أو أفعال (مشاركة/ مساهمة) تتراوح بين الدعم والاعتراض والنقد والالتزام بها) يبدو مرتفعاً مقارنة بوضع الجوف وحجمها، وبالمقارنة نسبياً مع غيرهم من الأهالي في بقية المناطق. في الكلام عن الوعي لدى أبناء الجوف سمعته شخصياً من عدد معتبر من المثقفين والمفكرين والمهتمين بالشأن العام في السعودية. عدد غير قليل ممن قابلته وعرفته وتناقشت معه و/ أو تناقش معي كان يطرح عليّ هذه النقطة: أهل الجوف لديهم وعي مرتفع، ما السبب؟ المشكلة التي أخذت تتبدى لي هي، أنه حتى وإن صحت مقولة ارتفاع الوعي بين غالب أبناء الجوف، فإن الخلفية الثقافية المعرفية السابقة عليها تقريباً بقرن من الزمان، والتي ربما تمتد حتى عام ١٨٠٠م وما قبله، ولكنها في ما يهمنا منها هنا، على الأقل تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٠م)، والتي تشكل بنية حالة الوعي ذاتها، تبدو بنية متخلفة معرفياً وثقافياً ولا تسند حالة الوعي تلك! نحن نتكلم عن حالة وعي لأهل الجوف يمكن أن تمتد منذ ١٩٥٠م، وربما ما قبلها بعقد أو عقدين من الزمن وحتى أوائل العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين (تقريباً من أواخر الـ ١٩٣٠sم حتى ٢٠١٣م)، ونتكلم عن حالة وبنية تخلف معرفي وثقافي لفترة تعود إلى ١٨٥٠م، وربما إلى ما قبلها بعقود (١٨٠٠م).

بهذه الإشكاليات والتساؤلات حولها، وخاصة في سياق موازٍ ومتصل بالاهتمام بالمسألة الثقافية بالجوف عموماً، وخاصة في ضوء ما بدا لي منها، أولياً، من حالة تخلف ثقافي ومعرفي في الجوف، بدأت أرى ضرورة أن أتعمق في فهم وتفسير هذه الحالة من الوعي، مضافاً إليها حالة تبدو مصاحبة من الانفتاح الثقافي النسبي (الممارسات الثقافية والتفاعلات في الداخل ومع الخارج). حالة الانفتاح الثقافي الموازية للوعي، لم تكن أصلاً في صلب الاهتمام والتساؤلات في البداية، ولكنها تطورت مع مزيد من البحث والملاحظة للحالة الثقافية.

وفي العلاقة ما بين الوعي والانفتاح نكرر ما سبق أن نبهنا إليه وعنه بالقول: نود أن نلفت الانتباه إلى أنه ورغم المصاحبة بين الوعي والانفتاح في فترة ما بعد ١٩٥٠م، فإن المصاحبة قد تبدأ بالتواري بين الحالتين كلما تقدمنا زمانياً للأمام، بحيث نرى تواصلاً في الوعي في العقود التالية باتجاه نهاية القرن العشرين وصولاً حتى وقتنا الحاضر (٢٠١٣م وما بعدها)، بينما الانفتاح، في المقابل، يبدأ بالتناقص التدريجي مع التقدم زمانياً للأمام، وقد يصل إلى حد حالة من التلاشي، أو قريباً منها مع أواخر الـ ١٩٩٠sم، علماً أن الانفتاح في بداياته وجذوره، وخلافاً للوعي، يمتد، إلى الوراء، إلى عمق فترة بنية التخلف المعرفي الثقافي (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م). لذلك ستكون المعالجة للحالتين (الوعي والانفتاح)، على ما بينهما من مصاحبة واتصال ما ولفترة ما، معالجة فيها فصل بينهما وتفصيل لكل منهما.

مع التعمق أيضاً في قضية الثقافة والجوف بدت لي مفارقة وجدلية ثقافية متكونة حديثة و/أو في حالة تكوّن. تلك الحالة المتكونة، تتعلق بتحولات في حالة الانفتاح تجاه الممارسات الثقافية داخلياً وتجاه الخارج إلى حالة تبدو مغايرة؛ إننا أمام حالة يمكن وصفها على أنها التخلي عن ثقافة الانفتاح والتسامح الداخلي وتجاه الخارج لصالح «ثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد». والغريب في الأمر وجديده، أنه وعلى نقيض حالة الوعي والتخلف، فإننا أمام حالة من الانغلاق والتطرف والتشدد في عالم العولمة والفضاءات المفتوحة، فضلاً عن حالة الوعي السابقة، التي تبدو لا زالت متواصلة! كل تلك المفارقات الثقافية وجدلياتها تحتاج، أولاً، إلى بسط وإيضاح لواقعها وحالها، ثم، ثانياً، إلى فهم وتفسير لتكونها و/أو زوالها وتحولاتها؟ كل هذه المفارقات الثقافية وتحولاتها هي موضوعنا هنا، وهي ما نقوم به في ما يلي من معالجات متتالية.

انطلاقاً مما تقدم يمكن أن نحدد الفكرة كمشكلة بحثية على النحو التالي: إن المسألة الثقافية الحديثة بالجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، حيث التركيز فيها سيكون على فترة ١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م، يمكن طرحها ووصفها على أنها حالة من المفارقات والجدليات التي تثير الدهشة والتعجب، فهي من ناحية تتمظهر في قدر من الوعي خلال الفترة ما بعد ١٩٥٠م وحتى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، مصحوباً بقدر من الانفتاح الداخلي في الممارسات الثقافية وفي التعامل والتسامح مع الآخر والخارج.

لكن هذ الوعي، من جهة أخرى، يبدو متناقضاً مع بنيته وجذوره التي تتسم بالتخلف المعرفي والثقافي. الانفتاح المصاحب للوعي، هو الآخر، مثير للدهشة والتعجب؛ فهو من ناحية يحتل مساحات واسعة، ويتمظهر بشكل أوضح كلما اتجهنا إلى عمق فترة وبنية التخلف المعرفي والثقافي، حيث مجتمع الجوف محدود ومتخلف معرفياً وثقافياً، ومن ناحية أخرى، وفي المقابل، فإنه كلما تزايدت المعرفة ومساحات الثقافة ومنافذها، يبدأ بالتقلص والتلاشي مع نهاية القرن العشرين لصالح حالة أخرى من الانغلاق والتشدد والتطرف في تناقض عجيب مع الحالة الثقافية السابقة عليه كبنية «وعي»، وفي تناقض أكثر إثارة وصدمة مع عالم يتكثف تقارباً وتتسارع وتيرته، وتنبسط فضاءاته ثقافة ومعرفة ومعلومات على نحو هو الآخر يثير الدهشة؟ إذن نحن أمام إشكالية ثقافية متكونة من أربع أو خمس إشكاليات ثقافية متداخلة ومترابطة وإن بدت متعارضة: من هنا القول عن المسألة الثقافية بالجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م) والتركيز منها وفيها على فترة (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م): إنها مفارقات وجدليات، كل منها يحتاج إلى بسط ثم تفسير، وهذه كلها تمثل صلب مستهدفات دراسة المسألة الثقافية، فضلاً عن علاقتها اللصيقة بتاريخ الجوف العام، والثقافة منه على نحو خاص. أمامنا عدة مفارقات وجدليات ثقافية تتكامل بعضها مع بعض لتشكل المسألة الثقافية بالجوف (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م): إنها في بعض محطاتها تمثل حالة وثقافة تخلف مقابل حالة وثقافة وعي، وإلى حد ما حالة وثقافة انفتاح، وهي في محطات تالية تتمثل في حالة انغلاق وتطرف وتشدد مقابل ثقافة انفتاح.

إذن لدينا أربع حالات ثقافية هي: ١ ـ حالة وثقافة بنية التخلف المعرفي والثقافي؛ ٢ ـ حالة وثقافة الوعي؛ ٣ ـ حالة وثقافة الانفتاح؛ ٤ ـ حالة وثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف ف «العنف». وحيث إن

التخلف والوعي مترابطان بالمعاكسة، وكذلك حيث إن الانفتاح والانغلاق والتشدد والتطرف فـ «العنف» مترابطة بالمعاكسة فإننا سنعالج المسألة الثقافية بالجوف، وحالاتها الثقافية (١٨٠٠/ ١٨٥٠م ـ ٢٠١٣م) على التفصيل التالي:

أ ـ مفارقة وجدلية أولى: التخلف الوعي

ـ **بنية التخلف المعرفي الثقافي** (١٨٣٠s م ـ ١٩٣٠s م):

ـ بسط الحال والواقع (ماذا)؛

ـ بنية التخلف الثقافي بالجوف: الفهم والتفسير (لماذا).

ـ **حالة وثقافة الوعي** (١٩٣٠ ـ ٢٠١٣م+؟):

ـ حالة الوعي: بسط الحال والواقع (ماذا)؛

ـ ثم الفهم والتفسير (لماذا).

ب ـ مفارقة وجدلية ثانية: الانفتاح والانغلاق

أ ـ حالة وثقافة الانفتاح (١٨٥٠م؟ ـ ١٩٩٠s م):١ ـ بسط الحال والواقع (ماذا).

ب ـ حالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد (١٩٦٠s م ـ ٢٠١٣م+؟): بسط الحال والواقع (ماذا).

ج ـ في تفسير الانفتاح والانغلاق (والتطرف/ التشدد/ فالعنف) في (لماذا).

بناء على ما تقدم ستحتل المسألة الثقافية بالجوف (١٨٠٠/ ١٨٥٠م ـ ٢٠١٣م+) القسم الثاني من هذه الدراسة الكلية (الكتاب) عن تاريخ الجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، والتي ستحتل ثلاثة فصول، وعلى الأرجح ستكون المفارقة والجدلية الأولى (التخلف والوعي)، معالجة في الفصلين الرابع والخامس في هذا القسم، على أن يشمل الفصل الرابع المقدمة والإطار النظري وبنية التخلف المعرفي والثقافي، بينما يتصدى الفصل الخامس لحالة وثقافة الوعي بسطاً وتفسيراً. في حين أن المفارقة والجدلية الثانية (الانفتاح والانغلاق «التطرف والتشدد فالعنف»)، بسطاً منفصلاً لكل منهما على حده، فتفسيراً مشتركاً لهما، لما لهما من ترابط بالمعاكسة، تحتل الفصل السادس.

٣ ـ في مفهوم الثقافة

للثقافة مفاهيم ونظريات وتعريفات عديدة (لبيب، ١٩٨٦م؛ يونس، ١٩٩٧م؛ إيجلتون، ٢٠٠٠م؟؛ عماد، ٢٠٠٦م؛ كوش، ٢٠٠٧م؛ كوبر، ٢٠١٢م) ليس هنا مجال حصرها وعرضها أو مناقشتها. وما يهمنا هنا هو توضيح وتحديد مفهوم الثقافة بما هو مستخدم وموظف في هذه الدراسة. عليه، وتجاوزاً لتعريفات بعينها، فإننا نستخدم الثقافة في معناها الشامل والخاص. لذا نقول إننا نعرف الثقافة بمعناها العام والشامل على أنها: مفهوم مركب يتضمَّن مجمل أو بعض أنماط الحياة وطرق العيش والتعامل والإنتاج والإبداع والفنون وأنواعها وأسسها وأدواتها، وطرق التعبير عنها، وممارساتها في الأفراح والأتراح، وكذلك ما

يتصل بالمنظومات الحاكمة لتلك الأنماط والتفاعلات من الأعراف، والمعتقدات والقيم، وكذلك الأفكار والتصورات وطرق التفكير والمستوى المعرفي والوعي، والإبداع في تلك المجالات، ومصادر اكتسابها أو تواصلها أو اندثارها، واللصيقة بـ «جماعة ما» في تكوّنها وتطورها وتفاعلها الداخلي فيما بين المنتسبين لها أفراداً أو جماعات أصغر، وكذلك في تفاعلها الخارجي كوحدة واحدة أو تفاعلات المنتسبين لها أفراداً أو جماعات أصغر مع الآخرين ومواقفهم وقضاياهم.

هذه هي الثقافة بمعناها الشامل، غير أن ما يهمّنا هنا هو المسألة الثقافية في سياقها المعرفي بمعنى التركيز على ملاحظة طبيعة ومدى انتشار المعرفة من حيث مستويات القراءة والكتابة وانعكاسها على الحياة الفكرية والوعي لأهل المنطقة في ما يتعلق بذاتهم وقضاياهم وكذلك ما يتعلق بالآخرين وقضاياهم والعلاقة معهم. والجوف الذي نتكلم عنه هو الفضاء الاجتماعي والثقافي والموازي له في كل من سكاكا ودومة الجندل فقط، مع التركيز، من جانبي، على مدينة سكاكا باعتبارها تمثل مركز المنطقة حالياً، ومن ناحية أخرى لما أستطيع شخصياً أن أقدمه عن المدينة وأهلها باعتباري واحداً من أبنائها لديه معرفة مباشرة بها، فضلاً عن الاهتمام ذاته. ورغم التركيز على الجوف (سكاكا ودومة الجندل، وبدرجة أكبر على سكاكا) وفضائها الاجتماعي بمظلته الثقافية المعرفية، إلا أن ذلك سيكون مفيداً لبعض الفضاءات الأخرى و/ أو منسحب عليها، بما في ذلك بعض الفضاءات الاجتماعية الأخرى الموازية في بعض التجمعات السكانية العربية المتقاطعة زمانياً، أو بالاستفادة منها ومعها بالمقارنة، سواء لإيضاح الفوارق والتشابهات لذات تلك الفضاءات الأخرى، أو لدراستها بذاتها.

منذ ما قبل عام ٢٠٠٠م، عندما بدأت أنشغل بفضاء الجوف، وتحديداً سكاكا، والكتابة عنه وعنها، بدأت تتكون لدي قناعة أن دراسات الحالات والمحليات أولاً، وليست الدراسات الكلية، في سائر المجالات في كل بلد عربي، هي المدخل الضروري للوصول إلى دراسات كلية شاملة دقيقة وممثلة للواقع، سواء في بلد عربي بعينه، أم لكل البلدان العربية في مجال من المجالات. المستقبل في الدراسات والأبحاث في المنطقة العربية هو لدراسات الحالات؛ وعليه فإن مراكز البحوث وخاصة الجاد منها، بما في ذلك مركز دراسات الوحدة العربية، عليها أن تنفتح على دراسات الحالات، بل وتشق طريقاً رئيسياً لها وتتعمق بها؛ إذ إنها المفتاح والمدخل الحقيقي لمقاربة الواقع العربي بكافة تجلياته ومجالاته.

ما جرى في العراق منذ ٢٠٠٣م فصاعداً ببروز الأرياف والأطراف والقوى التقليدية والدينية والأقليات، ودورها في الاحتلال والمقاومة والعملية السياسية المتواصلة، وما جرى ويجري في عدد من البلدان العربية من ربيع عربي وثورات وتوابع لها لا زالت تتواصل، بنجاحاتها وإخفاقاتها وانتكاساتها (قوى الثورة المضادة وتحالفاتها في الداخل والخارج في المحيط القريب والبعيد)، كل ذلك يشير ويدلل ويؤكد أهمية الاهتمام بالدراسات المحلية (أفقياً وعمودياً: التجمعات، بكل تمفصلاتها، بما فيها الأقليات والطوائف، والقوى والنخب في الأرياف والمدن وعلاقتها وأهميتها في تفاعلات الدولة (السلطة/ المجتمع) قوة و/ أو ضعفاً واستقرارها/ عدم استقرارها، وما يتصل بواقع المحليات والإدارة المحلية والحكم المحلي وعلاقته بالمركز و/ أو بالاتجاهات الفدرالية، وحال وواقع التنمية فيها ومجالاتها، سلباً و/ أو إيجاباً... إلخ). هذا الاهتمام بدراسة الحالات والمحليات والمطالبة به أشرت إليه

وتطرقت لأهميته والحاجة إليه في كتابي عن سكاكا الجوف (الفالح، ٢٠٠٠م: ١٩ ـ ٢٤)، لكن للأسف حتى الآن لا زال التركيز على الدراسات الكلية، باستثناء ما تعلق بملاحظات ومناقشات وكتابات لامست دوراً للريف وقواها في دول الربيع العربي وثوراته وبعض من تحولاتها.

عودة لموضوعنا عن المسألة الثقافية بالجوف، هناك نقطة أخرى تتصل بمسألة التلازم بين الثقافي المعرفي والثقافي العام (الحياتي) لا بد من توضيحها، وهي أنه ورغم أن التركيز بالأساس هو على المسألة الثقافية المعرفية ومفارقات بُناها الفوقية والتحتية (مثلاً؛ الوعي مقابل التخلف... إلخ)، فإن هناك تداخلاً بين الثقافة في الممارسات والسلوك في بعدها الشمولي (أنماط الحياة لجماعة ما) وبين المسألة المعرفية، ذلك أن جزءاً من الممارسات الثقافية العامة من حيث هي أنماط حياتية وقيم ومعتقدات وممارسات في التعامل الداخلي والخارجي لجماعة ما، فإنها قد تفسر أو تعكس في جزء هام منها الحالة المعرفية أصلاً، والعكس صحيح. عليه فإنه في هذه المناقشات حول الجوف والمسألة الثقافية، سيكون هناك مراوحة وتداخل بين المعرفة والوعي من ناحية وبين الممارسات وأنماط الحياة من ناحية أخرى، فضلاً عن التطرق إلى مداخلات وتوضيحات في مصادر تلك الثقافة ممارسة أو معرفة، وبالتالي فقد تكون هناك أجزاء تبدو مطلوبة في الحديث عن الممارسات والأنماط الحياتية الثقافية، ولكنها في الحقيقة هي جزء هام من مكونات المعرفة أو من متلازماتها. من هنا فإن سؤال المعرفة بما هو متصل بحالة من الوعي وبنيتها المفترضة، وفي سياق الكتابة والقراءة ومدى انتشارها بين أهل المنطقة في مراحل بعينها ومدى تواصلها أو انقطاعها هو أيضاً سؤال مرتبط بمجموعة من الأسئلة الثقافية الأخرى (ممارسات) التي لا يبدو أن هناك مفراً من عدم التطرق إليها. في هذا السياقات، هناك أسئلة الحرث، فلاحة وزراعة، كمثل: سؤال البقر والإبل، وسؤال الطماطم، وسؤال العنب، وسؤال الزيتون. هناك أسئلة أخرى تتصل بالتجارة والصناعة، الغناء والفن، واللهجات واللكنات، وكذلك أسئلة تتعلق بالمرأة والموقف منها وأحوالها كالزاوج... إلخ. وهذه أسئلة قد تعالج في كلياتها أو في بعض منها في سياق سؤال مهم يتصل بالتثاقف مع الآخرين، ألا وهو سؤال السفر والغربة والعمل وهو يتصل بسؤال الداخل والخارج في مسألة التثاقف وتتعلق كذلك بحالة الانفتاح و/ أو الانغلاق. تلك الأسئلة وقضاياها تحتاج إلى معالجات تفصيلية بذاتها، قد لا نستطيع معالجتها جميعاً، ولكننا قد نتطرق إلى أهمها ونمر خفافاً على بعضها، وبما لها من تلازم مع الموضوع المطروق وإشكالياته. من المفيد التنبيه إلى أن التطرق لبعض الإشكاليات الواردة في بعض تلك الأسئلة قد يكون مفيداً لذاته من حيث التعرف على تلك الجزئيات الثقافية ومصادرها بذاتها، وما يتصل بموضوع الداخل والخارج والأصيل والدخيل في موضوع الثقافة، وعناصرها التفصيلية خصوصاً، فضلاً عن صلتها بالإشكالية الثقافية الكبرى بالجوف موضوع اهتمامنا ومركزه.

لإتمام تلك المهمة كان عليَّ بالإضافة إلى الاستفادة من ملاحظة ومراجعة بعض كتابات الرحالة الأوروبيين لشمال الجزيرة العربية ومنطقة وادي السرحان عموماً، وبالذات ما تعلق منها بالجوف تحديداً (دومة الجندل وسكاكا) وقُراها في الفترة من ١٨٤٠م وحتى ١٩٢٢م، وكذلك ملاحظة ما توفر من كتابات تاريخية سابقة لسنة ١٨٤٠م، وخاصة حول ١٨٠٠م وما بعدها، أن أقوم بإجراء مقابلات مدونة

أو مسجلة (صوتية) ثم تفريغها مع أعداد معتبرة من كبار السن من أبناء منطقة الجوف و/أو القاطنين فيها عموماً. إضافة إلى ذلك هناك بعض الآثار والنصوص المكتوبة التي تم الحصول عليها في بعض المتاحف الأهلية في المنطقة، والتي يمكن استثمارها في بعض المعالجات المعرفية. وفي ما يخص حالة الوعي ومؤشراتها، التي تركز على ما قبل منتصف القرن العشرين فصاعداً، هناك مصادر متعددة تم توظيفها واستخدامها، ولكن من أهمها مصادر ووثائق أصلية لمطالب جماعية لأهالي الجوف تعود إلى ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م أو في حدودها) لأول مرة تستخدم ويكشف عنها النقاب وفي هذه الدراسة تحديداً. ونشير إلى أننا في هذا الجزء من الدراسة، وقد استخدمنا، مجموعة متنوعة من المصادر، بما فيها مصادر لأول مرة تستخدم ويكشف عنها، نوظف منهجاً استقرائياً واقعياً، معززاً إلى حد ما، بالمقارن والتاريخي الوثائقي.

الفصل الرابع

في التخلف المعرفي والثقافي (١٨٠٠/١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م): في بنية وثقافة التخلف المعرفي والثقافي (١٨٣٠ ـ ١٩٣٠م)

أولاً: في بسط الحال والواقع (في ماذا): الشواهد والإثبات

في المسألة الثقافية الكلية للجوف قلنا إنها تشمل الفترة التي قد تمتد من ١٨٠٠م وحتى ٢٠١٣م. ولكن ولأسباب تتعلق بعدم وجود معلومات عن فترة ١٨٠٠ ـ ١٨٣٠sم، إلا ما ندر، ركزنا في الدراسة على (١٨٥٠ ـ ٢٠١٣م) وما قبلها بقليل. من هنا كان التحديد لفترة بنية التخلف على أنها تشمل (١٨٣٠sم ـ ١٩٣٠sم).

ما بين ١٨٤٥ و١٩٠٠م، ذكر عدد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا منطقة الجوف (دومة الجندل ولربما زاروا أو ذكروا سكاكا آنذاك) آراء متناقضة عن ملاحظاتهم في ما يتعلق بالمسألة الثقافية المعرفية لأهل الجوف. فبينما تقرأ لبعضهم أن أهل الجوف (دومة الجندل) يقبلون على القراءة بشكل يلفت الانتباه، و«... أن القراءة والكتابة منتشرة بينهم أكثر مما هي الحال في البلدان العربية التركية»، كما يسجل جورج أوغست والن (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٤)) و/أو، كما يلحظ الرحالة أرتشيبالد فوردر في رحلته للجوف ١٩٠١م وجود «عدد كبير من الرجال والصبيان يجيدون القراءة بطلاقة، وعدد كبير منهم يمتلك ساعات. أما جهلهم بشؤون العالم الخارجي فقد أدهشني. فعدم وجود البريد، والجرائد، والسكة الحديد جعلهم في عزلة كاملة...» (فوردر، رحلة ١٩٠١، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣١٤)، فإن آخرين من الرحالة كانوا يشيرون إلى أن بعض قرى الجوف ومنها «كاف» تحديداً، البالغ عددهم ٩٠ نسمة، كما يقول الرحالة تشارلز هوبر في رحلته للجوف ١٨٧٩م «... لا أحد يعرف القراءة والكتابة وتنتشر فيها أمراض العيون...»، بل، وكما يضيف هوبر نفسه، فإن شيخ كاف، وهو الشيخ عبد الله دهيري الخميس، «... وهو رجل في الخمسين من عمره (هو نفسه يجهل سنه الحقيقي)...

أحضر فنجان قهوة مملوءاً بالماء. وطلب مني القراءة على هذا الماء الكلمات الضرورية حتى يشفى ولده المريض» (هوبر، رحلة ١٨٧٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٤٩ ـ ١٥١). ويؤكد ما ذهب إليه هوبر عن كاف وأهلها، الرحالة جوليوس أويتنغ، في رحلته للجوف ١٨٨٣م في أن «الكتابة والقراءة لا يعرفها هنا أي بشر» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ١٩٤). بل إن أويتنغ، نفسه، وفي الرحلة نفسها والقرية عينها (كاف) لاحظ ودوّن حالة مثيرة من التخلف الثقافي والمعرفي لأهل المنطقة، وبالذات لأهل «كاف»، حيث طلب منه عدد من أبنائها، بمن فيهم شيخ كاف وابنه، أن يكتب لهم بعض الأدعية والكتابات لتوضع في «حجاب» كي يعلقونه حول أعناقهم ورقابهم ضد العين والحسد. وقد ذكر الرحالة أنه كتب كلاماً بذيئاً لعدد منهم باللغة الألمانية. ولأهمية الحالة الثقافية تلك من ناحية معرفية (مستوى التعلم والكتابة، وليس كحالة ممارسة ثقافية «الموقف من العين والحسد!»)، نورد ما كتبه «أويتنغ» كاملاً عنها تالياً حيث يقول في يومية الاثنين ١٧ أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م: «... في الصباح الباكر ذهبت إلى قصر الصعيدي وأخذت معي ابن الشيخ، ذي الثلاثة عشر عاماً، ويسمى سالماً إلى الخارج... وعند نزولنا من الجبل إلى أسفل، كان ذلك البدوي الذي طلب مني حجاباً بالأمس يقف هناك، وكان اسمه غيران، ويريد أن يأخذ حجابه... حكى لي أنه صائد غزلان، ولكنه منذ زمن طويل لم يصد أي شيء، وأنه أيضاً غالباً ما يشترك في مغامرات خطرة، وأن أكبر أمنياته أن يحصن نفسه ضد الرصاص. لقد كنت في وضوح تام حول القرار الحرج الذي سأتخذه ـ إذ يمكن تحت هذه الظروف أن تتم محاكمتي في صباح الغد بشكل واضح بالكذب، حول فاعلية حجابي. لذا أبديت بعض الملاحظات بتحفظ حول شروط معنوية وأخلاقية وأخرى لا يمكن السيطرة عليها، والتي بدونها لا يكون الحجاب شافياً فحسب، بل إنه يمكن أن يجلب الضرر لحامله في الحال. بعد أن أكد لي بأنه يمتلك كل المواصفات المطلوبة، ونظراً لأنه ألح بشغف للانتهاء من تحرير المكتوب المليء بالأسرار. هكذا كتبت على ورقة الأمنية باللغة الألمانية:

> الله
> أيها التعيس الفقير! فلتجعلك عقيدتك
> مباركاً وبما أنك فتى طيب،
> الله لذا أتمنى أن تخرج الطلقات مرة أخرى الله
> من جسدك مثلما دخلت.
> الله
> «كاف»
> التاريخ ١٦/ ٩/ ١٨٨٣م
> جي. أويتنغ

قبل أن يتم تسليم هذا الكنز جعلته يعدني بأن يحضر لي هدية من صيده، عندما يصطاد أي شيء. في عناية مهيبة قمت بثني هذه الورقة إلى شرائط رقيقة وتقصيرها إلى عقدة ذات خمس زوايا. بالسؤال عن كيفية حملها وضحت له الأمر بأن يحافظ على الزوايا الخمس وأن تحاك في جلد غزال نظيف وبشريط

جلد يُربط حول الرقبة وأن يوضع على الجانب الأيمن من الرأس، هذا كل ما هناك. وما كاد البدوي يحصل على تلك الورقة التي كان يطمع فيها حتى نهض، وألقى التحية، وابتعد كعادة آبائه وأجداده دون كلمة شكر» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي ٢٠٠٢ (أ): ١٩٧ ـ ١٩٩). بعد أسبوع تقريباً، يدون أويتنغ الملاحظة التالية، فيقول في يومية الجمعة ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م، ما يلي: «... عاد اليوم غيران الصياد المحصن ضد الرصاص، بعد إقرار بأنه لم يصد أي حيوان خلال عامين، عاد بغزال وأرنب، مقتنعاً للغاية بأن مثل هذا الحظ يُعزى فقط إلى الحجاب الذي كتبته له، وقام بتسليمي الغنيمة عن رضاً تام، وتلقّى نظير ذلك هدية عبارة عن ١٥ قرشاً (٥,١ مارك)» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي ٢٠٠٢ (أ): ٢٠٨).

يواصل أويتنغ عن طلبات «الحجاب» ليس من البدوي فقط وإنما حتى من أهل كاف «الفلاحين»، بمن فيهم شيخ كاف، فيقول (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي ٢٠٠٢ (أ): ١٩٩): «كان عبد الله خلال المحادثة وإهداء الحجاب مطبقاً الصمت جالساً هناك إلا أنه كان منتبهاً. ولم يترك الحسد بالطبع له أي راحة، وما إن ابتعد البدوي، إلا وأوضح أنه وابنه الأصغر يحتاجان إلى حجاب. ماذا يجب عليَّ أن أفعل؟ وتحت الرجاء وبعد وعد بعدم التقدم بأي التماس من هذا النوع في المستقبل كتبت للرجل بعض العبارات، ولابنه خميس ذي الثلاثة أعوام. وكتبت له بروح طيبة وطبقت الورقة إلى خمس زوايا. كتبت في هذه السطور ما يلي:

الله
أيها البريء القذر، اغسل نفسك، وبذا ستصبح طفلاً
غير عادي. وإذا ما أراد الله تعلم لمرة واحدة كرماً
الله آخر للضيافة غير حال أبيك، وأثناء ذلك أتمنى لك **الله**
كل ما هو طيب، ودمت في أحسن حال
الله
كاف ١٦/ ٩/ ١٨٨٣م
جي.أويتنغ
عبد الوهاب»

في حالة ثقافية أخرى، وإن كانت أكثر صلة بالممارسات الثقافية، لكنها تعكس حالة من تدني مستوى الوعي والمعرفة من ناحية موازية. الحالة الثقافية تلك مثيرة عن «كاف» وأهلها، حيث يسجلها الرحالة أويتنغ في يومية الجمعة ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م، قائلاً: «... وعند المساء أخرجت من أمتعتي خشبة تسمى «بُوميرانغ» (مجداع) وقمت بقذفها في السهل بالخارج عبر الهواء، لكي تعود مرة ثانية إليَ بحركة في شكل قوس جميل. هذه الأداة أثارت بالطبع دهشة وتعجباً لا حدود لهما، وكان معظم الناس يميلون إلى الاعتقاد بأنها عمل من ضروب السحر... تدفق كل سكان القرية، خارجين لمشاهدة تلك الأعجوبة الجديدة. قمت على سبيل الدعابة بقذف البُوميرانغ إلى بُعد مسافة ٢٠٠ خطوة بصورة أشبه

بالمجازفة فوق رؤوس بعض النسوة، اللائي كن قد خرجن مسرعات إلى الباب، وبصرخة مدوية ألقين بأنفسهن على الأرض، وعندما خاطرن بالتطلع إلى أعلى، ارتفعت تلك الخشبة بشكل عمودي فوقهن إلى الأعلى، وعادت بهدوء إلى نقطة انطلاقها، والناس تقول «ما شاء الله...» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي ٢٠٠٢ (أ): ٢٠٩).

طبعاً نحن نتكلم عن قرية «كاف»، وهي، وإن تعتبر في ومن منطقة الجوف، وأهلها هم في الغالب من الجوف (دومة الجندل) و/أو امتداد لها، فهي بحالها الثقافي المعرفي المتخلف جداً لا تعكس بالضرورة الحالة الثقافية المعرفية الكلية للجوف وأهلها (دومة الجندل وسكاكا)، وإن احتملت حالتها، رغم خصوصيتها، بعض الدلالات العامة للثقافة بالجوف. ومع ذلك فإن كاف وأهلها من الجوف، هي أقرب إلى الغربية (الشام/ فلسطين)، وأكثر احتكاكاً معها وأهلها، حيث تجارة الملح والقوافل المترددة عليها، وهذا القرب والاحتكاك ربما ما يستدعي الاستغراب في تخلفها وعدم الاستفادة من الثقافة القريبة (الشام)، كما هو الحال مع أهل الجوف عموماً كما سنرى ونبيّن لاحقاً. في هذا السياق نشير إلى أن هذا النوع من الممارسات الثقافية للجوف وأهلها في هذه الفترة، وربما لفترات ممتدة للوراء وللأمام، ربما ليس قاصراً على الجوف وأهلها، وإنما يجد له ما يماثله هنا أو هناك في عدد من قرى وتجمعات الناس في الجزيرة العربية. لكننا هنا على أية حال نرصد الحالة الثقافية والمعرفية بالجوف ومعنيون بها.

ورغم ما تقدم من تناقض وعدم وضوح عن الحالة الثقافية المعرفية للجوف وأهلها في الفترة ما قبل القرن العشرين، فإن الحالة الكلية من وجهة نظر تحليلية واقعية، إذا ما تم التدقيق وإمعان النظر فيها، في تلك الفترة ـ (منذ تقريباً بداية القرن التاسع عشر وحتى العقد الثالث من القرن العشرين والتي قد تمتد أيضاً حتى ما بعد منتصف القرن)، وإذا ما استثنينا بعض الإشارات الواردة من بعض الرحالة كما أشرنا إلى بعضها آنفاً وسوف نعود لها لاحقاً في محاولة للفهم والتفسير ـ، تشير إلى حالة معرفية متدنية يمكن الجزم بها ببسطها وباثباتها بالأدلة والشواهد الواقعية عليها كما سيأتي تالياً. عليه نقول إن الحالة المعرفية لأهل الجوف في هذه الفترة وحتى آخرها تقريباً تتسم بالسمات التالية:

١ ـ في الحالة المعرفية العامة

عدم العثور على بروز أي من أبناء المنطقة، كاتباً أو مؤرخاً، مقارنة ومقاربة مع أحوال مجتمعات سكانية مماثلة من حيث العدد والطبيعة الحياتية العامة، مثلاً ما تعلق بالمنطقة الوسطى (نجد) عموماً وعلمائها (البسام، ١٣٩٨هـ، والبسام، ١٤١٩هـ)، و/أو ما تعلق بقرى بعينها، مثلاً، عن منطقة الوشم، وبالذات عن «أشيقر»، حيث هناك عمل من جزأين عن «العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (البسيمي، ١٤٢٠هـ (أ)، والبسيمي، ١٤٢٠هـ (ب))، فضلاً عن كتابات تاريخية عن الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك التجمعات من قبل بعض أبناء تلك المناطق. في الجوف، في المقابل والمقارنة، فإنه وباستثناء اثنين أو ثلاثة من الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة وكان بعضهم يقوم ببعض التدريس، ومنهم مسلم الإبراهيم المران، وجزاع البديوي (الفلّاح، ممدوح، في ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٢: ١من ١) ويؤكد عليهما الشيخ حمود البليهد ويضيف عليهما شفق الخطيب، فضلاً

عن عيد الضميري في فترة ما قبل ١٩٢٢م (البليهد، حمود، لقاء وحديث، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ٢)، وكان ذلك، ليس في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، كما هو الحال، مثلاً، في أشيقر! وإنما في حدود فترة ١٩٢٠م وحولها، قبلها وبعدها بعقد أو عقدين على الأكثر. يذكر ممدوح السلطان الفلّاح أنه بينما جزاع البديوي كان عنده مدرسة في منزله ويقدم فيها دروس القرآن والقراءة والتفسير، فإن مسلم الإبراهيم المران، يقوم بالتدريس في منزله ومزرعته في المعاقلة، وكان مسلم الإبراهيم شديداً جداً على طلابه، حيث أحياناً يطلب من طلابه أن يقوموا بأعمال في مزرعته، من بينها «السني والسقي» (السلطان، ممدوح، لقاء وحديث، في ٢٨/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١). وطبقاً لما نُقل عن هلال سالم النصر فإن مدرسة جزاع البديوي، التي يشير إليها ممدوح السلطان، يبدو أنه فتحها وبدأت العمل في عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م تقريباً) (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧). عيد الضميري، من أهالي حي المطر في سكاكا، والذي قتل تقريباً في حدود أواخر ربيع و/ أو بداية صيف عام ١٩٢٢م، من قبل ابن رشيد، وهو ضمن فعاليات وفد أهالي الجوف لدعوة الملك عبد العزيز لقبول انضواء الجوف تحت حكمه سلمياً برغبتهم واختيارهم، كان لربما هو الشخص الوحيد من أهالي الجوف في تلك الفترة (١٩٢٢م وما قبلها) والذي إلى جانب الكتابة يبدو لديه معرفة في مسألة التقاضي والقضاء معرفة دينية. في هذه السياقات، سألت الشيخ حمود البليهد، بعد محاضرة له عن الشيخ فيصل بن مبارك في مسجد الزايد في حي الشلهوب بين مغرب وعشاء ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢م، عن مصدر تعلم أولئك الأشخاص الذين ذكر أو أقر أنهم كانوا يقومون بالقراءة والكتابة والتدريس من أهالي الجوف في تلك الفترة، أي أين تلقوا تعليمهم ومَن علّمهم معرفة القراءة والكتابة ؟ فرد عليَ بالقول: «لا ادري»! (البليهد، حمود، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ٢). لاحظ رد الشيخ حمود البليهد بالقول: «لا أدري»؟ فهي بحد ذاتها دلالة على حالة انقطاع معرفي بين حالة قائمة أصلاً ضعيفة جداً من جهة، وما بين، من جهة أخرى، حالة ما قبلها مباشرة تبدو مجهولة حتى لشهود الحالة القائمة تلك و/ أو معاصرين لها! في فترة ما بعد ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، وحتى ربما نهاية الستينيات من القرن العشرين، كان هناك عدد من القضاة كلهم دون استثناء من خارج الجوف، وأشهرهم، وأكثرهم مكانة وتقديراً بين معظم أهالي الجوف، على الإطلاق الشيخ فيصل عبد العزيز المبارك، وهو على ما يبدو من أهالي حريملاء، وصل الجوف في ١/ ٩/ ١٣٦٢هـ الموافق ١/ ٩/ ١٩٤٣م، وبقدومه قيل إنه «فتح باب العلم فيه» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٧٣)، علماً أنه توفي في الجمعة ١٦/ ١١/ ١٣٧٦هـ (البليهد، حمود، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ٢) الموافق ١٥/ ٦/ ١٩٥٧م، ودفن في سكاكا في مقبرة على ما يبدو إلى الغرب من المسجد الذي تسمى باسمه «مسجد فيصل المبارك» الواقع في منطقة سوق البحر (السوق القديم). في الفترة عينها (١٩٢٢ ـ ١٩٥٠s م)، وقبل بداية التعليم الرسمي في عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، عبر مدرسة واحدة في سكاكا، وبستين تلميذاً، وبمدرس واحد هو أحمد عبد الماجد من مكة المكرمة (السديري، ١٩٨٦: ١٦٥)، أشير إلى أنه كان هناك عدد من الأشخاص أغلبهم من أهالي الجوف (سكاكا و/ أو دومة الجندل) الذين مارسوا قدراً من التعليم عبر ما عرف بـ «نظام الكتاتيب»، ومنهم: «شفق بن مرزوق الرشيد، عبد العزيز بن شفق الضميري، أحمد بن خليفة المظهور، مسلم البراهيم المران، خليف بن مسلم السطام، مناور الهايس، سمير عمر الدرعان، شبيب بن سطم العبد الله الصالح، إبراهيم عابد الإبراهيم الجباب، محمد بن خالد الوشيح، عبد الرحمن بن صليع المرزوق الدرعان، خلف

البخيت المتوفي في شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨هـ، والذي تعلم على يديه عدد غير قليل من ناشئة دومة الجندل، وكان له فضل كبير في تعليم القرآن وتحفيظه لهم...» (السديري، ١٩٨٦: ١٦٥). في بداية القرن العشرين، يذكر محمد بن جديع الشملاني، من أهالي دومة، والمولود في ١٣١٠هـ: «... أنه درس على يدي الشيخ المرحوم عطالله السعيدان والذي كان في بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر يعمل قاضياً لدومة الجندل ومعلماً وخطيباً لصلاة الجمعة بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكر أنه يحسن ترتيل القرآن الكريم، وكان من الكتاتيب كما ذكر الشيخ سليمان المفرج والشيخ ابراهيم العابد الذي كان يعقد الأنكحة بالإضافة إلى قيامه بالتدريس، وكذلك الشيخ محمد الخالد والشيخ خلف البخيت؛ كل هذه الأسماء كانت في دومة الجندل، وقد وصف الشيخ محمد بن جديع أن تدريسهم ينحصر في قراءة القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتعلم حروف الهجاء حفظاً وكتابة وكذلك يدرس الطالب النصبات (العلامات) مثل (بَ بنصاب، بِ بخفاض، بُ برفاع، ب جزم)، كذلك يتعلمون قراءة القرآن الكريم بدءاً من الفاتحة وجزء عمّ، حفظاً وتلاوة وبعض الطلاب يتوقف عند هذا الحد، والبعض الآخر يستمر إلى أن يختم القرآن، وكذلك حفظ التشهد الأول والأخير وغيرها مما يستوجب حفظه لأداء الصلاة المفروضة» (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٦ ـ ٧)، علماً، أن الشيخ محمد الخالد، (غير معروف لدينا إن كان من أهل الجوف أم من خارجهم (الباحث))، وأما الشيخ خلف البخيت فهو على ما يبدو من «حايل» قدم للجوف في وقت إمارة تركي السديري للجوف (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧).

وفي سكاكا يذكر الشيخ سالم هلال النصر، المولود سنة ١٣٢٧هـ[1]، في مدينة سكاكا، «أن الكتاتيب كثر. وقد درس على بضعهم، أمثال الشيخ جزاع البديوي، والذي كان قاضيا قبل عهد ابن سعود في الجوف، والتي تم فتحها ١٣٤٠هـ ((الإشارة هنا إلى المدرسة التي افتتحها على ما يبدو جزاع البديوي، ولكنها كما يبدو سقطت بالخطأ)). وكذلك ذكر الشيخ سمير بن عمر الدرعان والشيخ عبد الرحمن الصليع الدرعان والشيخ مناور الهايس والشيخ مسلم الإبراهيم المرّان والشيخ عيد الضميري والشيخ محمد الراجحي والشيخ مريح الرغيلان» (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧)، **علماً** أن محمد الراجحي وعلى ما يبدو هو من خارج أهل الجوف. وذكر هلال سالم النصر «... أن الكتابة تتم على لوح من خشب الأثل يوضع عليه نوع من الطين يسمى (المطع) بطريقة ملساء ثم يكتب عليه بمزيج الفحم مع الماء وبواسطة قلم من أعواد جريد النخل المدبب» (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧). لاحظ أن الإشارة أعلاه هي عن حالة معرفية لفترة تبدو محصورة ما بين أوائل القرن العشرين وحتى منتصفه وبعده بعقد على الأكثر، مع ملاحظة أن اسمَي «جزاع البديوي» و«عيد الضميري» لم يردا مع المجموعة التي ذكرت في كتاب السديري أعلاه، وربما السبب، الذي لا يبدو مبرراً على أية حال، يعود ربما لكونهما متوفيين منذ زمن بعيد. على أية حال، لاحظ بدرجة أهم وأكثر دلالة لما نحن بصدده من قراءة ومعالجة لحالة من التخلف المعرفي، أن الإشارات السابقة، باستثناء ما تعلق بـ «عطالله السعيدان وعيد الضميري وإلى حد ما جزاع البديوي»، وإن كان الأخير يتداخل مع ما بعد ١٩٢٢م، تتحدث عن حالة معرفية فيما بعد ١٩٢٢م

---

(١) توفي هلال سالم النصر في ١٧/ ١١/ ١٤٢٥هـ، حسب إفادة ابنه حمد (النصر، حمد هلال، لقاء وحديث في مكتب فالح زعل الفالح، الخطوط السعودية بسكاكا، في ١٨/ ٥/ ١٤٣١هـ، الموافق ٢/ ٥/ ٢٠١٠م: الساعة ١١:٣٠ ـ ١٢ ظهراً).

وحتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي، فما بالك بما قبله بفترة تصل إلى الوراء حتى عام ١٨٥٠م، وتتجاوزها إلى ما قبلها بكثير!؟

٢ ـ في النصوص المكتوبة

فوق ما تقدم، فإن الكتابات أو نصوصها الموجودة في تلك الفترة وتعود لحدود ١٩١٠ وكذلك ما يبدو لعقود متأخرة حيث أثار كتابات على بعض الصخور، كلها تدل على مستوى ضعيف من حيث جودة الخط وكذلك أخطاء في كتابة الكلمات ذاتها (الإملاء والتحرير)، فضلاً عن أنها مكتوبة بكلمات لتعبر عن اللهجة المنطوقة محلياً وهي بالتأكيد غير العربية الفصحى، ومن تلك النصوص والكتابات في تلك الفترة، نقدم التالي:

١ ـ النص الأول: وثيقة ـ ١: «وصية...»، والكاتب/ جزاع البديوي في١٦/ ذي القعدة/ ١٣٤٤هـ (الموافق: ٢٨/ أيار/ مايو/ ١٩٢٦م):

وثيقة (١)

وصية بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٣٤٤هـ، كتبها جزاع البديوي



بسم الله

وصية سعدء حية على اشريعة ميتة على اشريعة
وادراهم الي على العريس ثلثهن لي بفعال البر بيد

سنة ١٣٤٤
١٦ ذالقعدة

متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص

المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من: «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

الوصية، أعلاه، كما هي مكتوبة بخط «جزاع»، وهو جزاع البديوي، تقول، كما وردت في النص: «وصية سعدء حية على اشريعة ميتة على اشريعة وادراهم الي على العريس ثلثهن لي بفعال البر بيد مسعر

يحفظه ليا ما يكبر عبد الله ويحطه بيد عبد الله وعبد الله يذكرني منهن وميه لي انا يا سعدء ولمي بيد مسعر بحجتين والباقي على الورثه لذكر مثل حظى الانثيين واطاسه لتريفه وحلوت العريبي لي نفقه تحطى بيد عبد الله والباقي الخفي والبين عرا شريعه ولي انا وامي خروفين ضحايا من هدراهم شهد محمد اصليع ومهاوش وسعد وحمد وكتب جزاع وشهد والله اعلم وصلا الله على محمد» سنة ١٣٤٤هـ ١٦ذو القعدة. *مع ختم جزاع البديوي على يمين ويسار التاريخ*.

ونعيد كتابة الوصية، علماً أن ما بين قوسين من عندنا (الباحث) توضيحاً أو تصحيحاً للكلمات ولبيان تدني مستوى وجودة الكتابة والتحرير في أصل النص، على النحو التالي:

«وصية سعدء ((سعدى)) حية على اشريعة ميتة على اشريعة ((حية على الشريعة ميتة على الشريعة))، ودراهم ((و الدراهم)) الي ((اللي)) على العري ثلثهن لي بفعال البر ((بأفعال البر))، بيد مسعر يحفظه، لياما ((إلى ما)) يكبر عبد الله ويحطه بيد عبد الله، وعبد الله يذكرني منهن، وميه ((مئة/ مائة)) لي أنا يا سعدء ((سعدى)) ولمي ((ولأمي)) بيد مسعر بحجتين، والباقي على الورثة لذكر ((للذكر)) مثل حظى ((حظ/ نصيب)) الأنثيين، واطاسه ((والطاسه/ الماعون)) لتريفه ((لـ «تريفه»)) وحلوت ((وحلوة/ نخلة حلوة)) العر يبيى لي نفقة ((ربما: حلوة العري يبي لي نفقة)) تحط بيد عبد الله، والباقي الخفي والبين عراشريعة ((على الشريعة))، شهد محمد اصليع ((الصليع)) ومهاوش وسعد وحمد، وكتب جزاع وشهد ((وكتبه جزاع وشهد به))، والله أعلم وصلا ((صلى)) الله على محمد». ختم جزاع البديوي واضحاً اسمه فيه، على يمين ويسار تاريخ كتابة الوصية على ما يبدو في ١٦/ ذي القعدة/ ١٣٤٤هـ ((لاحظ خطأ كتابة: ذلقعدة)).

ما يهمنا من الوصية ليس محتواها، وإنما في مستواها التحريري (الكتابة)، وكذلك بالكاتب، وهو جزاع البديوي، كما هو واضح من وفي الختم. ويهمنا منها إبراز النقاط التالية:

١ ـ نلاحظ أن مستوى وجودة الإملاء والتحرير ضعيفة جداً.

٢ ـ الأكثر أهمية أن من كتبها هو جزاع البديوي، وهو كان من أشهر وأبرز من كان يعرف القراءة والكتابة بالجوف في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين الميلادي، وكان فيما بعد ١٩٢٢م، لديه مدرسة، ويقوم بالتدريس فيها كما مر بنا. لاحظ أيضاً أن تاريخ الوصية في ١٦/ ١١/ ١٣٤٤هـ الموافق تقريباً ٢٨/ أيار/ مايو/ ١٩٢٦م. بالمناسبة جزاع البديوي كان كاتباً عند ابن شعلان في فترة سيطرة الأخير على الجوف، وكان هذا مؤكداً على الأقل في عام ١٩١٧م مع ما ورد من محاولة من القرشة للقيام على منصوب الشعلان في تلك السنة (انظر محاولة القرشة عام ١٩١٧م كما وردت الإشارة لها في القسم من الدراسة الكلية لتاريخ الجوف والخاص بالعلاقة بين الجوف والدولة السعودية الثالثة في حدود ١٩٢٢م). هذا المستوى من الكتابة يتمثل بما عليه جزاع البديوي صاحب المدرسة، من قدرات وإمكانات في الكتابة، فما بالك عن آخرين من أهالي الجوف في تلك الفترة، هم، بالمقارنة، في الغالب بمنزلة أدنى منه، وعلى القطع لن يتجاوزوه.

٣ ـ «وثيقة ـ ٢: بيع ملك...» أخرى يبدو أنها كتبت من ناحية تاريخية (زمانية) بعد الوثيقة السابقة، حيث إن كاتبها هو هنداوي ابن جزاع البديوي، ونضع نسخة من الوثيقة أدناه:

وثيقة (٢)

بيع ملك معتق الفالح

الكاتب: هنداوي جزاع البديوي



بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم بهي ثم من يراه بان معتق الفالح بي اني بعت على عيالا حضر الزيد
من المجر وما شرق مجر المسيكر امايت مجيدي وتسعين فاض منهن ثما
نين ماتا طيح وابقا عشره يلا هلحين ومنطرف الدر دار عيسى ما هي
بلبيع ومن المجر ومغرب الى انا يا معتق ما هو تبع البيع ولحويش الذي
عند لمرافيع الى لازم السوق يظالي ا يا معتق ما بعت ولا اعطيت
يلا هلحين وانا على هجواب وكاتب الورقه هنداوي والد حزاع البديوي
واعلم

المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من: «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

نص الوثيقة ـ ٢ كما ورد مكتوباً في المصدر: «بسم الله الرحمن الرحيم: يعلم بهي ثم من يراه بان معتق الفالح بي أني بعت على عيالا حضر الزيد من المجر وما شرق مجر المسيكر امايت مجيدي وتسعين فاض منهن ثمانين ما تا طيح وابقا عشرة يلا هلحين ومنطرف الدر دار عيسى ما هي بلبيع ومن المجر ومغرب إلى انا يا معتق ما هو تبع البيع ولحويش الذي عند لمرافيع إلى لازم السوق يظالي ا يا معتق ما بعت ولا اعطيت يلاهلحين وانا على هجواب وكاتب الورقه هنداوي والد حزاع البديوي واعلم».

الآن نعيد كتابة نص الوثيقة ـ ٢، علماً أن ما بين قوسين هي من الباحث إما للتوضيح أو لتصحيح الأخطاء، ولبيان إشكالية مستوى الكتابة والتحرير، على النحو التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم: يعلم بهي ((به أو بموجبه)) ثم من يراه بان ((بأن)) معتق الفالح بي اني ((بأني)) بعت على عيالاحضر الزيد ((على عيال خضر الزيد)) من المجر وما شرق مجر المسيكر أمايت ((بمائة/ بمئة)) مجيدي وتسعين فاض ((ربما فضة)) منهن ثمانين ماتا طيح ((ما تطيح)) وابقا عشرة يلاهلحين ((وابقى عشرة إلى هالحين)) ومنطرف الدر دار عيسى ما هي بلبيع ((ومن طرف الدار دار عيسى ماهي بالبيع)) ومن المجر ومغرب إلى انا يا معتق ((يقصد حتى حد ملك معتق الباقي)) ما هو تبع البيع، ولحويش الذي عند لمرافيع ((والحويش الذي عند المرافيع)) إلى لازم السوق ((حتى حد السوق)) يضالي ا يا معتق ما بعت

ولا اعطيت يلا هلحين ((يظل أو يبقى لي انا يا معتق ما بعت ولا أعطيت إلى هالحين/ الآن))، وأنا على هجواب ((وأنا على هالجواب/ الكلام))، وكاتب الورقه هنداوي والد حزاع البديوي ((وكاتب الورقة هنداوي ولد جزاع البديوي، أي كاتبها وشاهد عليها)) واعلم ((يبدو يريد أن يختتم بالقول؛ والله أعلم)). انتهى النص موضحاً من الباحث.

الآن، وبغض النظر عن محتوى الورقة/ الوثيقة، ما يهم من الوثيقة ـ ٢ هو التالي:

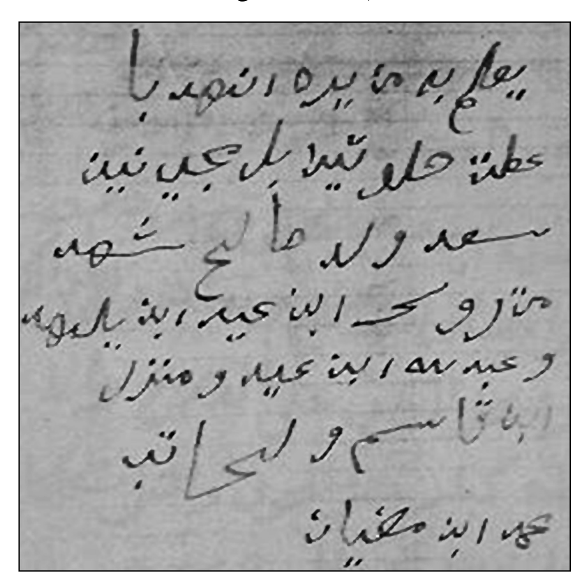
١ ـ أن كاتب الورقة هو «هنداوي» وهو ابن «جزاع البديوي». ويلاحظ أن مستوى الكتابة عنده من خلال نص الورقة، وإن كان أفضل حالاً من مستوى الكتابة عند والده بالمقارنة مع الوثيقة ـ ١ السابقة، إلا أن النص اشتمل على أخطاء تحريرية وإملائية واضحة تعكس أن مستوى من الكتابة، كان لا زال ضعيفاً في تلك الفترة التي كتبت فيها الورقة. ليس هناك تاريخ محدد لكتابة هذه الورقة، ولكننا نرجح أنها كتبت في فترة حول فترة كتابة الوثيقة ـ ١ ((وصية ـ سعدى))، ونرجح أنها في الغالب كتبت بعدها بعدد من السنوات، حيث يبدو أن جزاع البديوي إما بدا عليه الكبر وربما كان عاجزاً أو مريضاً، وربما يكون حينها متوفياً. يبقى تاريخ كتابة الورقة أو الوثيقة ـ ٢ يدور حول سنة ١٩٣٠م زيادة و/ أو نقصاً ببضع سنين.

٣ ـ الوثيقة ـ ٣: إقرار بإعطاء ممتلكات ـ التاريخ؟ الكاتب محمد ابن مضيان، نضع أدناه نسخة مصورة منها:

وثيقة (٣)

إقرار بإعطاء ممتلكات...

الكاتب: محمد ابن مضيان


يعلم به من يراه اشهد با
عطية حلال ثنيا لك عبيد بن
سعد ولد مالي شهد
ابن عبيد ابن بليهد
وعبد الله ابن عبيد و منزل
ال قاسم ولي الكاتب
محمد ابن مضيان

المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من: «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

نص الوثيقة/ الإقرار كما ورد مكتوباً: «يعلم به من يره انهد با عطت حلوتين بل مجي نين سعد ولد صالح شهد متروك ابن عيد ابن بليهد وعبدلله ابن عيد ومنزل ابن قاسم ولـحاتب محمد ابن مضيان».

ونعيد كتابة النص موضحاً، علماً أن ما ما بين قوسين هو من الباحث، للتوضيح، ولتبيان تدني جودة الكتابة والتحرير في أصل النص، على النحو التالي:

«يعلم به من يره انهدبا ((أن هدبا)) عطت ((أعطت/ أهدت)) حلوتين ((نخلتين حلوة)) بل مجي نين ((أما المقصود فربما: بالمجان أي مجاناً بدون مقابل، أو أن المقصود هو «بالمجينين» وهو ما يعني في الغالب «المغرس/ الحوطة»، أي المكان الذي فيه الحلوتين)) سعد ولد صالح ((أي العطاء هو لـ «سعد ولد صالح»))، شهد ((وشهد على هذا)) متروك ابن عيد ابن بليهد وعبد الله ابن عيد ومنزل ابن قاسم ولـحاتب ((والكاتب)) محمد ابن مضيان».

الآن ما يهمنا من الوثيقة ـ ٣ «الإقرار»، هو ليس في مضمونها، وإنما في النقاط التالية:

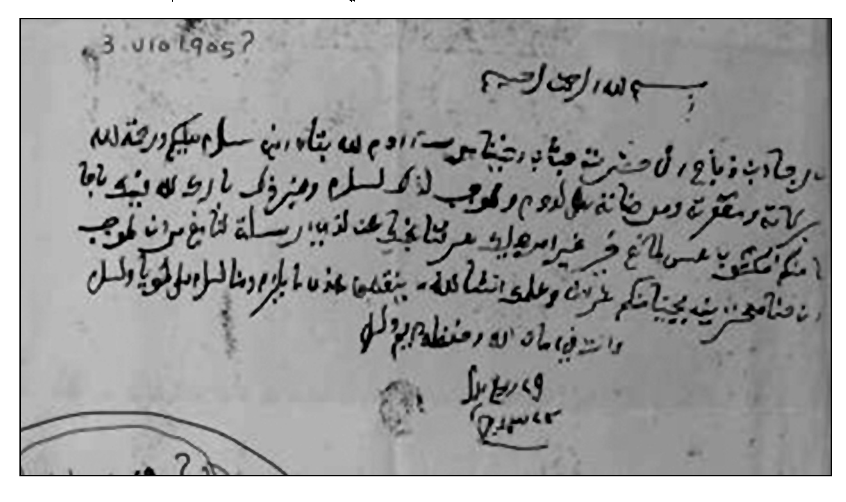
١ ـ يلاحظ ضعف وتدني مستوى الكتابة (التحرير) عند الكاتب.

٢ ـ الكاتب هو محمد ابن مضيان، ويبدو أنه هو «محمد بن مضيان بن رشيد السويلم (من النصير)؛ إنه هو، على ما يبدو: أبو «عبد الرحمن المضيان». محمد بن مضيان، ككاتب، لم يكن من الأسماء المتداولة في فترته فيما اطلعنا عليه. على أية حال المهم هو إذا كان كاتب الوثيقة ـ ٣ أعلاه، هو بالفعل أبو عبد الرحمن/ محمد المضيان، فإن تاريخ كتابة هذه الوثيقة/ الإقرار، رغم عدم تدوينه، يمكن الوصول إليه من خلال التقدير الافتراضي لعمر محمد المضيان قياساً على ولده عبد الرحمن، فضلاً عن ملاحظة شخصيات الشهود وأعمارهم التقديرية، وهم «متروك» و«عبد الله» ابنا «عيد البليهد» وكذلك «منزل القاسم» ((علماً أن الأخير من المطر/ من الشمردل))، وكذلك بالمقارنة مع بعض المعطيات الواردة في الوثيقة ـ ١، ومنها ما تشير له «سعدى» في وصيتها عن عبد الله، وهو يبدو ولدها، وكان آنذاك «١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م» قاصراً، هو نفسه على ما يبدو عبد الله بن عيد بن بليهد في الوثيقة ـ ٣، وهو أصبح الآن في وقت تاريخ الوثيقة ـ ٣، رجلاً يافعاً وشاهداً من شهود الوثيقة ـ ٣. وإذا كانت تلك المعايير ممكنة ومقبولة، فإن الورقة/ الوثيقة ـ ٣ كتبت في حدود ٢٠ سنة بعد الوثيقة ـ ١. عليه نقول إن الوثيقة ـ ٣ ربما يعود تاريخها إلى فترة مضت لا تقل عن ٧٠ سنة من الآن، بمعنى أنها كتبت في عام ما من فترة تعود في الغالب إلى عقد الـ « ١٩٤٠s م»، وعلى الأرجح في أوائله أو حوله زيادة أو نقصاً ببضع سنين قليلة. وحتى لو افترضنا، جدلاً، أنها كتبت قبل هذا التاريخ المفترض «عقد ١٩٤٠s م» بعقد آخر، فهذا لا يغير من الأمر الذي نحن بصدده كثيراً، بل يؤكد ما نجادل به من أن المستوى المعرفي (الكتابة) في الجوف كان بالفعل متدنياً جداً في الفترة ما بين١٨٥٠م ـ ١٩٥٠م.

٤ ـ الوثيقة ـ ٤: « رسالة رجا إلى الرحالة موسيل متوسلاً عطاياه...» مؤرخة في ٢٩/ ربيع الأول ١٣٢٧هـ الموافق ٢٠/ نيسان/ أبريل/ ١٩٠٩م. ونضع نص الرسالة كنسخة مصوَّرة منها، كما وردت في المصدر، تالياً:

وثيقة (٤)

«رسالة إلى الرحالة موسيل..» في ٢٠/ ٤/ ١٩٠٩م



المصدر: عوض البادي، «رسالة رجا إلى الرحالة موسيل... في ٢٠/ ٤/ ١٩٠٩م»، نسخة سلمها للباحث مباشرة في مساء ٢٤/ ٥/ ١٤٢٤هـ، الموافق ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م.

الآن نص الوثيقة ـ ٤، نضعه أدناه، مكتوباً، كما ورد في نسخة مصورة في المصدر، علماً أن إشارة الاستفهام «؟» هي من عندنا (الباحث) للتدليل على عدم وضوح الكلمة التي تتلو الإشارة مباشرة، على النحو التالي:

«بسم لله الرحمن لرحيم

من رجا ابن ذباح إلى حضرت جناب اخينا موسـ ا ادم لله بقاه اني؟ سل م عليكم ورحمة لله وبركاته ومغفرته ومرضاته على لدوم ولموجب لذلك لسلام وخبر ذك بارك لله فيك ماجا نا؟ منكم مكتوب عسى لمانع خير غير امر هيك معرفنا نجيك عن لذي ارسلة لنا مع مران لموجب ان حنا محترين يجينا منكم شـي؟ لأن؟ وعلمك انشالله ما ينقصن؟ عند نا ؟ ما يلزم ومنا لسلام على لمويا؟ وكل جماعت؟ في امان الله وحفظه لديم ولسلا ـ ـ ـ ـ ٢٩ ربع اول ١٣٢٧هج؟» ختم على يسار التاريخ غير واضح ولكن في الغالب نرجح ونتوقع انه ختم لمرسل الرسالة « رجا».

الآن نعيد كتابة النص، علماً أن ما بين قوسين هي من عندنا (الباحث) لتوضيح المعنى وللتدليل على إشكالية مستوى الكتابة المتدني من قبل الكاتب في فترة كتابتها على الأقل، كما يلي:

«بسم لله ((الله)) الرحمن الرحيم

من رجا ابن ذباح إلى حضرت ((حضرة)) جناب اخينا موسـ ا ((موسى)) ادم لله ((أدام الله)) بقاه، اني ((ربما: أخي أو مني)) سل م ((سلام)) عليكم ورحمة لله ((الله)) وبركاته ومغفرته ومرضاته على لدوم ((على الدوام)) ولموجب لذك لسلام وخبر ذك بارك لله فيك ما جا نا مكتوب عسى لمانع

خير ((ولموجب/ أو بموجب/ أو المَوجب لذاك أو ذاك السلام وخبر ذاك بارك الله فيك ما جانا/ أو ما جالنا منكم مكتوب عسى المانع خير))، غير امر هيك معرفنا نجيك ((غير أمر هيك ما عرفنا نجيك))، عن لذي ارسلة لنا مع مران لموجب ان حنا محترين يجينا منكم شـى؟ لأن؟ ((عن أو غير الذي ارسلته أو ارسلت لنا مع مران لموجب أو الموجب ان حنا محترين/ منتظرين يجينا منكم شيء للآن))، وعلمك انشالله ما ينقصن هذي/ أو عندنا ما يلزم ((وعلمك إن شاء الله ما ينقصن/ أو ينقصنا، عندنا ما يلزم، أو هذا ما يلزم)) ومنا لسل م على لمويا وكل؟ جماعة؟ في امان الله وحفظه لديم ولسلا ((ومنا السلام على الخويا وكل الجماعة، في أمان الله وحفظه الدايم والسلام)). ... ٢٩ ربيع أول ١٣٢٧هـ ـ ـ ـ والختم على اليسار.

الآن من وعن الرسالة نشير إلى النقاط التالية:

١ ـ خلفية الرسالة وما يتصل بطبيعة وغاية الرسالة ومحتواها، لا تهمنا كثيراً هنا، ولكن فقط إشارة سريعة لها؛ الرسالة كتبت، على ما يبدو، في أعقاب اختطاف الرحالة «موسى/ ألويس موسيل» وسلبه ممتلكاته من قبل رجا ثم التراجع عن ذلك بعد ضغط من الشعلان. وفي الرسالة طلب أعطيات من الرحالة موسى (ألويس موسيل). وحيث إن قصة الاختطاف وتوابعها ذكرها الرحالة «موسى/ ألويس موسيل» كاملة وبالتفصيل فيمكن الرجوع إليها في ما كتبه عن رحلته الأولى للجوف ١٩٠٩م (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٨٢ ـ ٣٩٤).

٢ ـ بغض النظر عن قصة وخلفية الرسالة، ما يهمنا من الرسالة، هنا، هو ما يتصل بالمسألة الثقافية بالجوف، وخاصة بما هو متصل بالمستوى المعرفي (الكتابة)، حيث نلاحظ التالي:

١ ـ تاريخ الورقة/ الوثيقة ـ ٤: هو ٢٩/ ربيع أول ١٣٢٧هـ الموافق تقريباً لـ: ٢٠/ نيسان/ أبريل/ ١٩٠٩م. إن تاريخ الورقة آنف الذكر، يمكن المجادلة بعدم دقته!، حيث إنه بالتدقيق في ومراجعة قصة الاختطاف وتوابعها كما كتبها «موسى/ ألويس موسيل» نفسه في مذكراته عن رحلته ١٩٠٩م، يلاحظ أنه ذكر أن «مران» زاره في مخيم/ معسكر «النوري» في «أم أرطى» جنوب غرب «قارا»، مساء يوم الأحد ١٨/ ٤/ ١٩٠٩م «طالباً» الهدايا له ولرجاء... (موسيل، رحلة ١٩٠٩، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٩٤) والغالب أن «مران»، في تلك الزيارة كان يحمل تلك الرسالة ونقلها لـ «موسى/ ألويس موسيل»، وإن كان هذا غير مؤكد على وجه اليقين، خاصة وأن «موسيل نفسه» لم يذكر شيئاً عن الرسالة وإنما أشار إلى طلب الهدايا. على أية حال وبغض النظر عن احتمال فروقات أيام عن ذلك التاريخ، فالرسالة على وجه اليقين كتبت في يوم من أيام نيسان/ أبريل ١٩٠٩م، وتكفينا على أية حال السنة نفسها (١٩٠٩م). إن الرسالة بنصها، ومستوى كتابتها، وتاريخها يعني أننا نتكلم عن مستوى الكتابة في العقد الأول من القرن العشرين. واضح أن مستوى وجودة الكتابة تبدو، بالمقارنة، أسوأ من الوثائق اللاحقة لها، والتي سبق وتحدثنا عنها (وثيقة (١)، ووثيقة (٢)، ووثيقة (٣)، أعلاه) والتي تليها من حيث تواريخها.

٢ ـ عليه فإن الورقة/ الوثيقة ـ ٤ مع الوثائق السابقة تغطي فترة النصف الأول من القرن العشرين تقريباً، وتعكس الحالة والمستوى المعرفي (الكتابة) في الجوف في تلك الفترة، والتي يلاحظ عليها إجمالاً أنها متدنية. وفي التركيز نلاحظ أن مستوى الكتابة، بالمقارنة ما بين الأربعة وثائق آنفة الذكر،

يتراجع أكثر كلما اتجهنا إلى الوراء (أي كلما اتجهنا نحو بداية القرن العشرين وما حوله)، ويتحسن قليلاً، وشيئاً فشيئاً، كلما اتجهنا إلى الأمام نحو قبيل منتصف القرن العشرين (١٩٥٠م) وحوله وما بعده، وهذا ما سوف يتضح بدرجة أكبر وأكثر مع وثيقة كتبها محمد الضميري سترد لاحقاً في موضوع الفقر والإفقار لأهل الجوف.

٣ ـ كاتب نص الورقة/ الوثيقة ـ ٤ غير معروف! ومع ذلك نعلم أن «مسلم الإبراهيم المران»، وليس معروفاً إن كان له علاقة بـ «مران» الوارد اسمه في الرسالة وفي قصة الاختطاف والتواصل مع الرحالة «موسى/ ألويس موسيل»، كان حول عقد منتصف القرن العشرين (١٩٥٠sم) وربما قبله بسنوات، كما مر بنا، لديه مدرسة في البيت يقوم فيها بتدريس بعض أبناء سكاكا وخاصة في المعاقلة. الآن هل كاتب الرسالة هو «مسلم الإبراهيم المرّان» أم لا، فالأمر غير مقطوع به، ولكننا نتوقع أن يكون هو، وكان آنذاك (١٩٠٩) على ما يبدو صبياً! إن لم يكن «مسلم الإبراهيم المران» فربما يكون «جزاع البديوي» هو كاتب الرسالة، إذ إن الأخير كان معروفاً أن له صلة بالكتابة أقله في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين. إن لم يكن كاتب الرسالة هو «مسلم إبراهيم المران» ولا هو «جزاع البديوي»، فليس هناك أية معلومات عن شخص آخر!

لاحظ أننا استطعنا الحصول على مؤشرات وأدلة عن الخلفية المعرفية (مستوى وجودة الكتابة)، عن فترة تصل إلى نصف قرن تقريباً (١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م)، وكلها تشير إلى تدني مستوى الكتابة في هذه الفترة. وإذا كان هذا صحيحاً عن فترة ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م تقريباً، فكيف بحال الكتابة ومستواها في الخمسين سنة السابقة عليها (١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م)، وما قبلها، والتي هي جزء هام من فترة كلية (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م) ومنها بالذات (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م) محل ومناط تركيزنا الآن، حيث هي تمثل بنية خلفية وجذور حالة الوعي لأهالي الجوف في الفترة منذ ١٩٣٠م فصاعداً. باستثناء ما ورد من إشارات عن «القراءة والكتابة» بين أهالي الجوف في فترة ١٨٥٠م فصاعداً، كما أشار لها بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا الجوف، على ما بينهم من تناقضات، فليس لدينا نص مكتوب في فترة ١٨٥٠م ـ ١٩٠٠م، نستطيع أن نحتكم إليه، ونتكلم عنه وعن المستوى المعرفي (الكتابة) لأهالي الجوف في هذه الفترة. ومع ذلك، وقياساً على نماذج من كتابات مرحلة ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م، نميل إلى الجزم بأن الحالة المعرفية للفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م، وامتدادها للوراء بالتأكيد، أقله على مستوى الكتابة عند الأهالي، هي بالفعل كانت متدنية ومتدنية جداً. الآن، ماذا عن قول بعض الرحالة، كما أشرنا سابقاً، عن انتشار الكتابة والقراءة بين أهل الجوف وخاصة شبابها منذ ١٨٤٥م وقت زيارة الرحالة «والن» وحتى زيارة الرحالة «أرتشيبالد فوردر» للجوف ١٩٠١م ؟ للإجابة يمكن المعالجة من خلال عدة نقاط:

١ ـ قلنا سابقاً إن الأمر، غالباً، فيه مبالغة.

٢ ـ وعلى فرض صحة معلومات الرحالة، أحياناً عن «القراءة»، فإن القراءة لا تعكس بالضرورة القدرة على الكتابة، حيث إن تعلم القراءة يتم عبر الحفظ مع الربط البصري ما بين المقروء والمكتوب (وخاصة ما تعلق بقراءة القرآن). أتذكر أن مؤذن مسجدنا (خلف السليمان العوف المثري/ الدغيفق) كان يؤمّنا في عدد من الصلوات، وكنت أتذكر أنه في أوقات ما قبل الصلاة يقرأ من القرآن، ولكنه لم

يكن يحسن الكتابة. كذلك فالأمر، آنذاك، ينطبق على إمام المسجد، وكان عمي (عبد الرحمن خليف الفالح) كان حافظاً للقرآن ويقرأه ويصلي بنا وكان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، لكنه لا يحسن الكتابة، ويؤكد الأمر أبو يزيد محمد سليمان الشاعل، عندما قال لي رداً على تساؤلاتي حول أنه يقرأ وحافظ للقرآن وأنه ربما ذهب للنجف في العراق للتعلم هناك! قال بما معناه: «نعم، هناك مثله من يحفظون القرآن ولكنهم لا يعرفون الكتابة أبداً، والدليل سوف أذكره لك»، قلت وما هو؟ قال: «إن عمك عبد الرحمن... قد ضافني ((يقصد في الرياض)) هو وحسن البليهد، وكلهم يحفظون قراءة القرآن، ولكنهم لا يكتبون، ولا يقرأون الكتابة، وقد طلب مني عمك أن أكتب خطاباً يطلب أو يطالب به فصل ابنه إبراهيم من العسكرية، وأنا الذي كتبت ذلك، وكان ذلك في حوالي ١٣٧٩/ ١٣٨٠هـ» (الشاعل، محمد سليمان (I)، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٥ من ١٧).

قبل عبد الرحمن الفالح، يبدو أن والده خليف الفالح، كان لديه القدرة على القراءة، وكان، كما يقول سليمان العودة الفلّاح «وهو... خطيب هو... أي والله يقرأ...» (العودة الفلّاح، سليمان، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣٦ من ٩٣ من تفريغ ج ٢ ش ٢)، ويؤكد ذلك، سعد الطارف، بالقول إنه عندما عرضت عليه رسالة مكتوبة موجهة لأبن رشيد في حدود أواخر عام ١٩١٨م، وحيث إن خليف كان «خطيباً»، طبقاً لراوية سعد الطارف، فـ «... يوم قراها خليف، قال: آيــه... ((ممدودة))... بالله المستعان والله ما صار شيء علينا غير منك» (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٥ من ٩).

الآن هل كان خليف الفالح يعرف الكتابة أم القراءة فقط؟ جوابي: ليس هناك من دليل قاطع، ولكني أرجح أنه كان يقرأ دون الكتابة. في هذا السياق وفي السياق الثقافي المعرفي (القراءة والكتابة)، وإلحاقاً بما تقدم عن المسألة، أطلعني أبناء عودة محيسن الكريّع (ثامر وفايز)، في سياق مقابلة معهم في منزلهم في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢م، وبحضور وترتيب من سلامة الوقيد، على وثيقة مكتوبة بخط اليد هي عبارة عن «وصية ـ إرث» تخص شخص ما (أنثى أو ذكر؟ لا أتذكر بالضبط وإن كنت أميل إلى أنها تخص إحدى النساء) من عائلة «محيسن الكريّع» وعليها شهادة وختم كل من خليف الفالح وابن أخيه محسن مخلف الفالح على تلك الوصية، التي أتذكر أيضاً أنها مكتوبة على وريقات، ولكنها بدت متقطعة إلى أجزاء على ما يبدو بسبب التقادم (العودة الكريّع، ثامر وفايز، مقابلة، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦)، ويبدو أنها كتبت بقلم حبر من الخشب على ما يبدو من خلال ملاحظة سُمك خطها حيث كان عريضاً، علماً أن جودة خط كتابتها ليس بأفضل حال من جودة خطوط كتابة الوثائق التي سبق أن أشرنا لها في ما تقدم من مناقشات. تاريخ هذه الوثيقة ـ الوصية، التي يمكن أن تضاف إلى الوثائق الأربع أعلاه ذات الصلة بجودة ومستوى القراءة والكتابة خلال فترة النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م)، غير معروف ولكن حيث إنني أرجح وفاة خليف الفالح في ١٩٣٥م أو في حدودها زيادة أو نقصاً قليلاً، وحيث إنه قبل وفاته بسنوات كان مريضاً بسبب «فتق/ بعج»، فالمرجح أن تكون الوصية كتبت وعرضت عليه عندما كان معافى، إلا أن يكون أهل الوصية قدموا عليه في داره وهو في حال اعتلال صحته! من هنا أعتقد أن الوصية آنفة الذكر، ربما، كتبت في عام ما بين ١٩٢٠ و١٩٣٠م. وهي على أية حال، وعلى وجه اليقين كتبت قبل وفاته المرجحة في عام ١٩٣٥م، وفي الغالب قبلها بعدد من السنين كما قلنا.

٣ ـ في ما قاله بعض الرحالة عن انتشار القراءة والكتابة بين أهالي الجوف حول منتصف القرن التاسع عشر، إذا ما سلمنا فيه وصدقناه، رغم عدم قناعتنا به، وأنه، على الأرجح، مبالغ فيه، يحتاج الأمر إلى تأمل وربما تفسير. إذا كان صحيحاً ما قالوه، أو بعضهم على الأقل، يبدو أن الأمر مرتبط (بمصادر الثقافة/ القراءة وتدريسها؟) بكون بعض أهالي الجوف (بالذات في دومة الجندل) حديثي الهجرة (ما بين ١٨٠٠ و١٨٤٠م تقريباً أو في حدودها)، من مناطق مجاورة من الهلال الخصيب (العراق والشام)، وبعضهم من حائل، وبالتالي ربما نقل بعض منهم معرفتهم معهم، هذا فضلاً عن فترة ١٨٣٨م ـ ١٩٠٧م، وفيها سيطرة الرشيد على الجوف، فنقلوا التعاليم الدينية الوهابية (قراءة القرآن وربما الكتابة) عبر بعض أئمة المساجد والقضاة المعينين من قبلهم! طبعاً يبقى هذا احتمال وارد وإن ليس مؤكداً، ولكن يبقى السؤال الموازي: إذا كان هذا صحيحاً وقبلنا به، ولو مؤقتاً، فلماذا مستوى القراءة والكتابة، الذي كان سائداً في الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠م، أخذ بالتدهور مع التقدم نحو القرن العشرين؟ طبعاً الأمر مرتبط بتفسير الحالة الثقافية الكلية، و/ أو في أجزاء منها، بما فيها فترة التخلف التي نتحدث عنها والتي تشكل، على نحو مفارقة، بنية وجذور حالة الوعي لأهالي الجوف منذ منتصف القرن العشرين وما قبله بقليل. سوف نؤجل الحديث عن التفسيرات إلى مكان وحين آخر.

٣ ـ في الشعراء والحالة الشعرية

في الجوف طبعاً هناك إشارات إلى بعض من الشعراء من قبل بعض الرحالة ولكن ليس هناك ما يبدو أنهم شعراء مخلدون مشهورون، أو على الأقل باقون في الذاكرة الاجتماعية عن تلك الفترة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م). على امتداد الفترة الماضية، وحسب ما يتوفر من ذاكرة لأهل المنطقة وما يتناقلونه في سياق الوقائع والأحداث لمنطقة الجوف، وما تتميز بها من بطولات، يذكر الأهالي ولا زالوا يرددون قصيدة منسوبة إلى أحد أبناء منطقة الجوف (دومة الجندل)، رجل شجاع يقال له غالب حطاب السراح، وهذا يقال أو تنسب له القصيدة التي مطلعها وبعض أبياتها تتضمن التالي:

«ياماحلا والشمس يبدي شعقها ... من حدر الزرقا على نقرة الجوف
نسقي بها غيد (ن) ظليل (ن) ورقها ... نقلط نماها للمسايير وضيوف
كم حايل (ن) للضيف نرمي شنقها ... يقلط حثث ماهو على الزاد مردوف
احلى من البلقا وصافي مرقها ... ومقلطه للضيف ذرعان وكتوف»

هذه القصيدة الشعبية المشهورة التي تنسب لغالب السراح، ذُكر إنه قالها أثناء لجوئه عند «نمر بن عدوان» في البلقاء (جنوب الأردن حالياً) هرباً من أمير الرشيد على خلفية صراع داخلي وتمرد في الجوف للتخلص من حكم الرشيد (واقعة تمرد ١٨٥٣م) وقيام الأخير بالقبض عليه بالمكيدة ونقله إلى حائل وسجنه هناك في حدود منتصف القرن التاسع عشر للميلاد (١٨٥٣م). هذه القصيدة تتكلم عن حالة ثقافية في الجوف، إذ تشير إلى الكرم الرفيع الذي يقدمه أهل الجوف لضيوفهم مقارنة مع الآخرين. والقصة، كما هي متداولة بين الأهالي شفهياً، باختصار تتحدث عن أن غالب حطاب السراح، بعد تمكنه من الهرب من سجن ابن رشيد في حائل، وعندما ضاف نمر العدوان، فإن هذا الأخير وبحكم

أنه لا يعرفه لم يقدم غالب السراح مع المتقدمين من الضيوف للطعام، بل قدمه للأكل مع المتأخرين! وكون غالب حطاب السراح رجلاً معتزاً بنفسه وبمكانته وبكرم أهل الجوف وطريقتهم، فقد شعر أن تلك المعاملة فيها إهانة له، فأخذ «ربابة» في آخر الليل، وقال تلك القصيدة. سمعت ابنة نمر بن عدوان القصيدة لحظة ترديدها من غالب السراح، وفي الصباح ذكرت الأمر لأبيها الذي طلب من الشخص أن يسمعه القصيدة، فلما سمعها طلب من وفد من جماعته (أهل البلقاء) الذهاب إلى الجوف للتأكد مما يقول/ يزعم به غالب السراح عن أهل الجوف وكرمهم. ذهب الوفد للجوف وأقفل راجعاً بعد أن جمع أدلة من بقايا الذبائح التي كُرّموا بها خلال تواجدهم حيث أصر أهالي الجوف على تكريمهم، كعادتهم، واحداً تلو الآخر طبعاً دون علمهم بمهمة الجماعة. فلما تأكد ابن عدوان من صحة ما ذهب إليه ابن السراح أكرمه وسأله حاجته، فذكر له قصته وأبيه «حطاب» مع ابن رشيد، فذهب بن عدوان في محاولة لإنقاذ «الأب»، لكن يقال إن ابن رشيد أعدمه قبل وصول ابن عدوان، عندما علم مسبقاً بمقدمه وحاجته. قصة غالب وحطاب السراح مع ابن الرشيد طويلة ومثيرة وفيها تساؤلات عدة، لكن ما يهمنا منها هنا هو تلك القصيدة من حيث القائل، وعلاقة الأمر كله بالمستوى الشعري، والذاكرة التاريخية الشعرية للجوف وأهلها في الفترة وعن تاريخها. رغم القول إن القصيدة هي لـ «غالب حطاب السراح»، إلا أن هناك كتابات منتشرة في الإنترنت مسنودة لكلام للأديب سعد بن عبد الله الجنيدل تقول بأن هذه القصيدة والقصة ليست لـ «غالب السراح» كما هو شائع وسائد في المنطقة، بل هي قصيدة لشخص يدعى «سعدون الجنيدي»!؟ الذي قدم للجوف على ما يبدو مع قوة للدولة السعودية الأولى، ولكنه تخلف عنها واستقر بالجوف. وفي قول مواز يشدد كل من نهار وعبد الهادي الزارع، بناء على أقوال والدهم، على أن القصيدة هي لشخص يدعى «الجنيدي»، وهو على ما يبدو من أهل نجد و/ أو من تجار العقيلات ولكنه استقر على ما يبدو في الجوف (الزارع، نهار وعبد الهادي، مقابلة، في ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ٤)، علماً أن عبد الرحمن السديري، في كتابه **الجوف ـ وادي النفاح** أورد تلك الملاحظة في ما يخص احتمالية أن تكون القصيدة لـ «الجنيدي» (السديري، ١٩٨٦: ١٥١). ومما يؤكد أن القصيدة ليست بالأصل لـ «غالب الحطاب»، هو ما ذكره عوض البادي في محاضرة له في دار الجوف للعلوم، في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م نقلاً عن أوراق اطلع عليها تعود للرحالة الفنلندي جورج أوغست والن الذي زار الجوف ١٨٤٥م، وجمع معلومات إضافية تتعلق بعضها بمجموعة من القصائد والشعراء آنذاك في الجوف، ومنها قصيدة تبدأ بالأبيات نفسها للقصيدة تحت النقاش (يا محلا والشمس باد شعقها...)، وذكر أن تلك القصيدة قد سمعها تقال وتغنى بالجوف (دومة الجندل) في وقت زيارته، ووقت زيارته كان سابقاً لحادثة الإيقاع بـ «غالب السراح» ووالده واعتقالهما، على إثر صراع السراح/ السراح وتمرد ١٨٥٣م، من قبل ابن رشيد، وهذا يعني أنها سابقة للاعتقال بحدود العشر سنوات! هذا ويبدو أن والن نسب تلك القصيدة لشاعر من أهل حي «خذماء» يقال له سلمان؟ (البادي، عوض، ٢٠٠٣: ١ من ٢). لاحظ أن القصيدة وطبقاً للرحالة الفنلندي والن معروفة في ١٨٤٥م وقت زيارته للجوف، وهذا التاريخ بالتأكيد قبل اعتقال غالب ووالده حطاب من قبل ابن رشيد، فضلاً عن أن فرار غالب والقول بذهابه إلى البلقاء وضيافة نمر بن عدوان لاحق للاعتقال، علماً أن الاعتقال حدث في ١٨٥٣م (صراع السراح/ السراح وتمرد أهل الجوف على حكم وسلطة الرشيد في عام ١٨٥٣م).

على أية حال إن كان الجنيدي قائل القصيدة وصاحب القصة، فربما يكون غالب السراح، إن صحت قصة ذهابه بالفعل إلى «البلقاء» ولجوئه عند نمر بن عدوان، تذكر تلك القصيدة والمنتشرة آنذاك في الجوف وجالت في خاطره، فأعاد ترديدها على مسامع أهل البلقاء وشيخهم نمر العدوان لحاجة في نفس يعقوب ولانها تعبر، في الغالب، عن الحالة التي استشعرها آنذاك!

يبقى القول أيضاً أن شطر البيت الأول من القصيدة نفسها الذي يبتدئ بالقول: «يا محلا والشمس باد شعقها» هو موجود في أكثر من قصة وقصيدة، ومن ذلك ما ورد في بيت لقصيدة عن صراع منذ حوالي ٣٠٠ عام تقريباً بين قرية «مقرن» أو «رياض مقرن» من جهة وهي المعروفة حالياً بـ «الرياض»، وبين قرية مجاورة كانت تدعى «معكال» من جهة أخرى، حيث يقول بيت القصيدة:

«يا محلا والشمس باد شعقها

ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال» (الفياض، عبد العزيز، ٢٠٠٨)[٢]. هناك أيضاً قصائد أو أبيات موازية تبدأ بنفس النصف الأول من البيت، ومن ذلك مثلاً ما أورده فالح الشراخ، لتعريف كلمة «شعق» بالإشارة إلى الأبيات التالية:

«يـــا مـحـلا والـشـمـس بـــاد شعـقـهـا طـرد الـجـوازي فـي فـيـاض وغـــدران»

و/ أو

«ويـــا مـحـلا والـشـمـس بـــاد شعـقـهـا ضـرب الـمشـوك دون حـلـوات الالـبـان»

(الشراخ، فالح، شعق، في جريدة الرياض الإلكترونية، في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٢)[٣].

الآن مهما يكن من أمر القصيدة، فإن قائلها لم يعد مؤكداً أنه غالب السراح، وهذا إن صح يضيف إشكالاً على إشكال في ما يتعلق بالمستوى الشعري لأهالي الجوف ومدى ارتباطه في موضوع بنية التخلف الثقافي عموماً في وخلال هذه الفترة تحت الدراسة. طبعاً إن لغالب السراح قصائد أخرى مؤكدة أشرنا إلى بعضها في سياق واقعة صراع السراح/ السراح (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٤ ـ ٣١ من ٣١) ويمكن الرجوع إليها، وكذلك قصيدته، وهو في قرية الوشواش التي كان فيها بين المحرض لأهل الجوف لمقاومة الرشيد وبين الممتعض من خضوع قيادات ورجالات منهم بمن فيهم أشخاص ذوو قربى منه وله. هناك أيضاً أشخاص آخرون في هذه الفترة وخاصة حول فترة منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٠s م)، في الجوف (دومة الجندل وسكاكا)، ومنهم من جمع الرحالة الفنلندي جورج أوغست والن في زيارته للجوف عام ١٨٤٥م عنهم قصائد ومنهم، طبقاً لما نقله عوض البادي في محاضرته آنفة الذكر، نشير إلى بعضهم: مساعد العبيد أو «العيد» وسالم

---

(٢) عبد العزيز الفياض، «يا محلا والشمس باد شعقها... ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال،» شبكة بني خالد الرسمية، تم تنزيله في ١٢/ ٢/ ٢٠٠٨، الساعة ١٠:٣٠ مساءً، من الرابط التالي: <http://www.bnokhaled.com/vb/showthread.php?t=3503.

(٣) فالح الشراخ، معرفاً بكلمة «شعق» بالإشارة إلى الأبيات التالية: «يا محلا والشمس باد شعقها... طرد الجوازي في فياض وغدران»، وكذلك «ويا محلا والشمس باد شعقها... ضرب المشوك دون حلوات الألبان»، جريدة الرياض الإلكترونية، في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٢، على الرابط التالي: <http://www.alriyadh.com/2012/12/22/article794898.html>.

العوض من «خذماء»، وكذلك «سكران»، وطعمه الجباب. في ما يتعلق بالشاعر «سكران» فهو على ما يبدو سكران بن خشاب من «الحواس»، علماً أن الحواس بالأصل من حايل (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٤ ـ ٣١ من ٣١ ص)،» وكان سكران بن خشاب على ما يبدو من أشهر شعراء الجوف (دومة الجندل) في تلك الفترة على وقته (١٨٥٠s م)، علماً أننا سبق وأن ذكرنا له مع آخرين، بمن فيهم، غالب السراح، وابن عمه مشوّح السلمان السراح، وكذلك رشيد العرسان من الرحيبيين، قصائد في سياق أحداث وملابسات واقعة «صراع السراح/ السراح» وتوابعه المباشرة المتمثلة في «تمرد أهل الجوف ١٨٥٣م» على سلطة الرشيد (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١٤ ـ ٣١ من ٣١ ص) ويمكن الرجوع لها هناك.

من المهم الإشارة إلى أن سكران ابن خشاب ـ الذي قال عنه الرحالة والن وطبقاً لما نقله عنه عوض البادي في محاضرته آنفة الذكر ـ كان من أشهر شعراء الجوف (دومة الجندل) آنذاك (١٨٥٠s م)، لكنه كان شاعراً لا يعرف حتى القراءة (البادي، ٢٠٠٣: ١ ـ ٢).

هناك أيضاً في سكاكا هذه الفترة أشخاص عرف لهم بعض الأشعار والقصائد، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: مفضي العطية، وكان له قصيدة ضد ابن رشيد وخاصة مطالبة الأخير ابن سهيان هدم قصور «الضلع» في سكاكا، كما مطالبته ابن درع هدم قصره بالجوف (دومة الجندل)، سبق أن أشرنا إليها في ملابسات وتوابع ومتلازمات تمرد ١٨٥٣م، ومنها قوله رد على طلب ابن رشيد:

«الضلع ما هو ضلع ابن درع كذبان   والله ما ترقاه غير بصعيعه»

(الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٢٥٦).

أيضاً في هذه الفترة كان ناصر العبد القادر (الشمدين)، وكان آنذاك وقبل عدة سنوات، قدم إلى سكاكا قادماً على ما يبدو من دومة الجندل يبدو في وقت ما من عقد ١٨٤٠s م، واستوطن اللقائط، له قصيدة يتحدث بها عن الدار ونخل الحوطة (المزرعة) وعن القهوة والدلال والكرام، ومنها يقول:

«غرست منها ميتين على بير   و المية الأخرى لحيق بثرها
الله يساعدني على نية الخير   ودنياك ماحد عارف وش دورها
بنيت دار ملفى للخطاطير   في مفرق التلين كل خبرها
قلط ليا صليت عوج المناقير   دلال يطيب الكيف ريحة بهرها...»

(السديري، ١٩٨٦: ١٥٠).

هناك أيضاً شعر و/ أو قصائد ذات صلة بتراد حول مرثيات الحاضر والماضي لأشخاص مررنا على ذكرهم في العقد الأول من القرن العشرين، ومنهم: عابد الجباب ومسلم الوردي، ويمكن الرجوع إليهما في أحداث (صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف ـ ١٩٠٩ ـ ١٩١٥م).

من المؤكد أن هناك أشخاصاً قد قرضوا شعراً وقالوا قصائد في هذه الفترة، فترة ما قبل القرن العشرين وما بعدها، ولكننا، طبعاً، وهنا نحن لا نتكلم، أو لا نركز على أشخاص قصائدهم محدودة أو

تدور حول مناسبات تخصهم وتتعلق بهم و/ أو بفئويات (مجموعات وتكوينات فرعية)، ولذلك غالب الأشخاص آنفي الذكر، وممن لم يذكروا في فترتهم و/ أو فترة لاحقة، هم في حقيقة الأمر ليسوا شعراء بالمعنى الشعري العام لأهل الجوف، وإنما هم أشخاص يقولون بعض الشعر والقصائد في سياقات محدودة وضيقة، وغالباً ما يعبرون عن حدث أو واقعة لجماعات فرعية ينتمون إليها؛ هذه حالات شعرية شخصية و/ أو فئوية لا تهمنا كثيراً في الموضوع الثقافي العام في الجوف، إلا بالقدر الذي تعكسه تلك الخصوصيات بتضادها مع الحالة الثقافية العامة بالجوف بتمايز الأخيرة به عن الأولى.

القصيدة الشعبية العامة الأخرى والأكثر شهرة وقدماً، التي لا زال يتناقلها أهل الجوف وغالباً ما يرددونها ويتغنون ويقصدونها في الأفراح (العرضات)، هي قصيدة منسوبة لـ «حلاف بن دوخي» الجد الأول لعائلة العيشان من الشلهوب، وتلك القصيدة تقول بياتها[٤]:

«قال حلاف بن دوخي سنة كوبه   كوبة اللي لفانا بغير جذّابي
كوبة اللي لفانا ساحبٍ طوبه   لو جموعه ملتْ وديان الأشعابي
لابتي أفهموا هرجي وقولوا به   من ضميرٍ توقّد فيه الألهابي
من ضميرٍ به النيران مشبوبه   جثّت القلب جثٍ والحشا ذابي
أحسوا الحرب وأعبوا كل مطلوبه   لا تقولون نجدٍ شرها طابي
نجد مزنٍ تبنى وأنحدر صوبه   نوّها الموت قصافٍ للأرقابي
برقها الملح والقصدير صابوبه   سيلها الدم بالفرشات وهضابي
كان بالسيف ما عفيتوا الجوبه   تر حماها وعفاها قصف الأرقابي
قبلنا جدودنا بالسيف عيوبه   ما نزل في وطنا غير الأصحابي
وين جمعن لابن علي لفا نوبه   يوم جا صايلٍ في كل الأعرابي
يوم جا صايلٍ في كل مركوبه   من قرايا طويّق لنجد لنصابي
بالهنادي ربوعي يوم حلوبه   بين قارا وفارع جمعهم عابي
كم عديمٍ نشب النار بجنوبه   من يماني ربوعي طاح منصابي
كم هنوفٍ عليهم شلّقت ثوبه   عقب لبس الحيا تمشي بلا ثيابي

---

(٤) مصدر قصيدة حلاف بن دوخي: القصيدة وَرَدَت في عدّة مراجع وعلى بعض المواقع الإلكترونية، ونشير إلى بعض منها:

١ ـ عبد الرحمن بن عطا الشايع الكريّع، **هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف: مع أبحاث في التاريخ والجغرافية والآثار: الجزء الثاني** (الرياض: المؤلف، ١٩٨٤)، ص ١٢٩ ـ ١٣٠. ولكن للأسف القصيدة هنا فيها نقص وأبياتها غير مرتّبة.

٢ ـ معاشي بن ذوقان سعد العطية، **أوراق جوفية** (الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ)، ص ١٠٩ ـ ١١٠. القصيدة كاملة مع اختلاف طفيف في نهاية القافية (تشكيل الحرف الأخير).

٣ ـ القصيدة منزلة كاملة تحت توقيع، «مقبل خلف الهذيل السرحاني»، على موقع قبيلة السرحان في ١٠/ ٤/ ٢٠٠٦، الساعة ٨:٤٨ مساءً، على موقع شبكة قبيلة السرحان على الرابط التالي: <http://www.alssirhan.com/vb//showthread.php?p=3320>.

٤ ـ القصيدة منزّلة كاملة من: «العيشاني السرحاني» عن «حلّاف بن دوخي المنديل السّرحاني» على موقع شبكة سيسرا، تمّ تنزيله في ٤/ ٩/ ٢٠٠٩، الساعة ٣:٤٠ بعد الظهر، رابط القصيدة على الموقع التالي: <http://www.saisra.com/vb/showthread.php?p=95835>.

العيشاني السرحاني «عضوية شبكة سيسرا رقم: **رقم العضوية: ١١٩٧**» يبدو اسم مستعار ولكن على ما يبدو هو من عائلة العيشان، وهذا جيد إن كان صحيحاً، باعتباره من نفس العائلة، علماً أن «عيشان» التي تنتسب إليه عائلة العيشان، حالياً، أبوه هو صاحب القصيدة: حلاف بن دوخي بن منديل بن عبد الله ابن شلهوب ـ من قبيلة السراحين (السرحان).

ويـــن عــبـيــدٍ ومـتـعـب كـــان قـــروا بـه	**يـــوم جـــو بـالـلـقـايـط جـمـعـهـم هـابـي**
جـوهـم أهــل الـعـوايـد حـزة الـشـوبـه	شـبـهـم شـــاب والـشـيـبـان شـبـابـي
شـــب نـــارٍ عـلـيـهـم كـنـهـا الـشـوبـه	لـيـن (فــجــران) بـيّـن والـقـمـر غـابـي
كـومـوهـم لـعـيـنـي كــل رعـبـوبـه	صــك قـصـرٍ عـلـيـهـم مـالـه الـبـابـي
وابـــن شـعــلان فـيـصـل مـاتـردوبـه	**يـــوم جـا صـايـل فـي كـل الأجـنـابـي**
هـــال واهــتـــال مـــن ربـعـن تـــدالـوا بـه	**هـــاش واهـتـاش واًقـفـى خـاطـره طـابـي**
لابــتــي بـالـمـلاقـا حـــزّة الـشـوبـه	لابــتــي بـالـمـلاقـا تـقـل قـصـابـي
عـــاش سـبـع الـخـلا وضـبـاعـة الـجـوبـه	مـــن جـلـيـد الـسـيـوف الـــدم صـبـابـي
يـمـشـي الـحـيـد عـقـب الـهـيـدره دوبـه	بـالـرسـن والـعـنـان يـقـود الاصـعـابـي»

يبدو أن هذه القصيدة، أعلاه، قيلت عن واقعة معركة «فارع» بين أهالي الجوف وبين حاكم حائل من آل علي (قبل حكم أبناء أعمامهم من الرشيد، ويبدو أن هذه القصيدة والمعركة حدثت في فترة يمكن أن تكون بين ١٨٢٠ ـ ١٨٣٥. طبعاً لا أحد يستطيع التأكيد أن «حلاف بن دوخي» قال هذه القصيدة بناء على أنه كان شاهداً عليها. من الممكن أنه كان شاهداً عليها أو أنه سمع عنها في حين حدوثها، ذلك أن عمره آنذاك قد يكون فوق العاشرة أو في حدودها حيث الواقعة حدثت تقريباً في عام ١٨٣٣م، وانطلاقاً من تقدير ولادته في حدود ١٨١٢/ ١٨١٣م، عن طريق احتساب أن هناك ٦ أجيال منذ جيله هو وحتى (٢٠١٣م) (٦ مضاعف ٣٣ سنة للجيل = ٢٠٠ سنة تقريباً)، وعليه يكون مولوداً في ١٨١٢/ ١٨١٣م أو في حدودها (عن طريق: عام ٢٠١٣ مطروحاً منها ٢٠٠ سنة = ١٨١٢م/ ١٨١٣م تقريباً). أما واقعة «تمرد ١٨٥٣م» (وفيها الإشارة إلى قدوم عبيد ومتعب)، وكذلك ما يتعلق بالتصدي لـ «فيصل الشعلان»، فهو لا بد من أن يكون حياً وقت حدوثهما، لأنه لو كان متوفياً فلا يمكن له أن يذكرهما، علماً أن الواقعتين، حدثتا بعد واقعة «كون فارع» (١٨٣٣م أو في حدودها).

القصيدة أيضاً فيها أبعاد ثقافية وخاصة في فترة حدوث واقعة «فارع»، والمقدر وقوعها في أو حول عام ١٨٣٣م، في ما يتعلق بالعلاقة بين أهل الجوف داخلياً وعلاقتهم بالآخر (الخارج) مع حاكم حائل أو مع بدايات ظهور الشعلان في المنطقة، وكيف أن أهل الجوف كانوا آنذاك متوحدين ولم تحدث بينهم بعد الانقسامات ولم تحدث بعد الحرب الأهلية وثقافة العنف.

الآن هناك عدة نقاط حول مسألة الحالة الشعرية (الثقافية) بالجوف في الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م، وبالذات في فترة القرن التاسع عشر وما بعده بقليل، نبرز أهمها، ومنها:

١ ـ أنه باستثناء عدد محدود جداً، وهو محصور في حقيقة الأمر، في قصيدتين، الأولى المنسوبة لغالب السراح والأخرى المنسوبة لـ «حلاف بن دوخي» آنفتي الذكر، وبغض النظر من ما هو القائل الحقيقي لبعض من تلك القصائد أو مناسبتها، وبالذات ما تعلق بالقصيدة المنسوبة لـ «غالب حطاب السراح»، فإن الحديث أعلاه يشير إلى أنه رغم الاعتراف بمسألة شعرية شعبية ما موجودة، وإن كان على بعض منها خلاف، فإن الأمر الأكثر إثارة في الموضوع هو أن الذاكرة الشعبية لأهل الجوف الحاليين

لا تسجل مرجعيات شعرية عامة (متعلقة بالجوف وأهلها على نحو شامل) أو لشعراء معروفين، وهذا يحيل إلى النقطة التالية.

٢ ـ ليس هناك سجلات مدونة أو مكتوبة لتلك الأشعار، على محدوديتها، وبالتالي يدل على إشكالية إضافية ومضاعفة أخرى تتصل بانقطاع معرفي بالفعل في المستوى المعرفي (الثقافي المكتوبة). أغلب شعراء الجوف في هذه الفترة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م) هم شعراء شفهيون لا يعرفون القراءة والكتابة، ولذلك حتى الديوان الشعري لهذه الفترة، على فرض وجود حالة شعرية عامة، وهو أمر لنا عليه تحوّط وتحفّظ، غير مكتوب، وما وصلنا منه هو مجرد نقل شفهي عبر أشخاص وأجيال اعتماداً على ذاكرة، مع الوقت تُطاولها التعرية والتحريف وبما يولد قدراً من الالتباس والغموض. طبعاً هناك بعض الأشخاص/ الشعراء المعاصرين الحاليين من أهل الجوف في دومة الجندل وسكاكا (في سكاكا على سبيل المثال فهد الغانم والذي ذكر لي في عام ١٩٨٩م أنه يعد كتاباً عن الشعر والشعراء وقصائدهم في الجوف، ولا أدري إن أصدره أم لا، والآخر في دومة الجندل، وهو عبد الرحمن الساكت الوارد)، لديهم ـ على ما يبدو ـ كم ومخزون من القصائد عن الفترة السابقة وتحولاتها تحت الدراسة، ولكنهم للأسف، كما هم بعض من الرواة الشفهيين لتاريخ الجوف، من فرط حساسيتهم وتخوفهم من الحالة القائمة، يتكتمون على تلك القصائد وقصصها. طبعاً هؤلاء الأشخاص المطلعون على شعر وقصائد سابقة، رحل معظمهم، كما هم الرواة لتاريخ الجوف الشفهي، وطُمر معهم جزء هام من تاريخ الجوف. الخسارة هي ضياع مصادر وروايات هامة تتعلق بتاريخ الجوف الشامل والكلي و/ أو بأجزائه وبعض أبعاده بما فيها الثقافية والشعرية. أخيراً نشير إلى أن ما ظهر من كتابات تاريخية حديثة عن الجوف وتضمنت أشعاراً وقصائد، و/ أو بعض الكتابات المحدودة عن أحوال شعرية سابقة، لا ترقى إلى مستوى يعكس الحالة الشعرية العامة (شعراء وقصائد ومناسبات تتصل بالحالة العامة للجوف وأهلها)، ولا تقدم الكثير في استحضار و/ أو الكشف عن واقع الحالة الشعرية الماضية ما قبل ١٩٢٢م وحتى ١٨٥٠م وما قبلها) بغض النظر عن مدى جودتها وضعفها. إننا، وباستثناء ما ورد من كتابات الرحالة عن الجوف في الفترة (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م) أمام حالة من انقطاع تاريخي ثقافي معرفي بما فيه الشعري. لاحظ على أية حال أن من كتب عن أبعاد من تاريخ الفترة ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م، هم الرحالة الغربيون، وهم على أية حال من خارج الجوف وأهلها!

٣ ـ خلاصة القول في موضوع المستوى الثقافي (المعرفي/ الكتابة والقراءة) وكذلك بما يتصل بالحالة الشعرية العامة للجوف وأهلها تدل دلالة قاطعة على «حالة بنية تخلف وانقطاع معرفي» هائل. أما لماذا، فهذا سؤال هام وفي صلب اهتمامنا، ولكننا، مرة أخرى، نؤجل الإجابة عليه مؤقتاً، وسوف نعود إليه بعد مناقشة عناصر إضافية من بنية التخلف في الجوف (١٨٣٠s م ـ ١٩٣٠s م).

٤ ـ في مصادر المعرفة/ التعليم بالجوف

الآن في سياق متصل بسؤال المعرفة (الكتابة/ القراءة)، لا بد من طرح سؤال موازٍ في ما يختص أولئك الأشخاص خلال النصف الأول من القرن العشرين، ومن في حكمهم في المنطقة الذين كان

لديهم مستوى من القراءة والكتابة أو القيام بمهام التدريس على طريقة «الكتاتيب» المعروفة في معظم البلدان العربية. السؤال يتعلق بالتالي: إذا لم تكن هناك خلفية معرفية قوية في المنطقة في الفترة السابقة للقرن العشرين، فمن أين تعلم هؤلاء الأشخاص القراءة والكتابة، بمعنى ما هو مصدر تعليم هؤلاء بغض النظر عن مستواه؟ هذا السؤال يتعلق بالداخل والخارج للجوف في ما يتعلق بمصادر التعليم أو القراءة والكتابة. لو استعدنا مؤقتاً كلام الشيخ حمود البليهد، لنتذكر رده على السؤال نفسه الذي وجهته له وسبقت الإشارة إليه، عن مصدر تعلم أولئك الأشخاص الذين ذكر أو أقر أنهم كانوا يقومون بالقراءة والكتابة والتدريس من أهالي الجوف في تلك الفترة، أي أين تلقوا تعليمهم ومن علمهم معرفة القراءة والكتابة؟ فرد عليَ بالقول «لا أدري»! (البليهد، حمود، ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ٢). لاحظ رد الشيخ حمود البليهد بالقول: «لا أدري»؟ فهي بحد ذاتها دلالة على حالة انقطاع معرفي بين حالة قائمة أصلاً ضعيفة جداً من جهة، وما بين، من جهة أخرى، حالة ما قبلها مباشرة تبدو مجهولة حتى لشهود الحالة القائمة تلك و/ أو لمعاصرين لها!

على أية حال، مهما يكن من أمر التباسات، وانقطاعات معرفية بالجوف، ليس فقط عن الحالة المعرفية بذاتها، وإنما حتى عن الطريقة المنهجية لمحاولة الوصول لها فاستكشافها، يمكن معالجة المسألة من خلال الجغرافيا والمراكز المحيطة. بالنسبة لمنطقة الجوف، وبحكم الموقع الجغرافي وعلاقته بالمحيط المباشر و/ أو المجاور، فإن المراكز التقليدية والتي يمكن اكتساب قدر من المعرفة عن طريقها (القراءة والكتابة، وبعض الدراسات الدينة)، تنحصر في واحد و/ أو أكثر من المراكز التالية:

(١) حائل

(٢) النجف وكربلاء (العراق)

(٣) بلاد الشام (القدس/ دمشق/ بيروت).

(٤) مصر (الأزهر).

(٥) الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة).

من الناحية النظرية يمكن أن يكون الحجاز (مكة المكرمة والمدينة)، بحكم فترة الحج السنوية، أكثر المناطق التي يمكن أن تقدم للحجاج القادمين من داخل الجزيرة العربية، ومنهم الحجاج القادمون من الجوف، فرصة اكتساب المعرفة والقراءة والكتابة والتفقه في الدين، ولكن، وحسب ما اطلعنا عليه من معلومات تتصل بتاريخ الجوف وثقافته، فإنه وباستثناء ما تعلق بفترة محدودة ومتقطعة وضعيفة للدولة السعودية الأولى في الجوف (١٨١٠ ـ ١٨١٨م وما بعدها، من بقايا لا تذكر، وحتى أوائل ١٨٣٠sم، علماً أن الدولة السعودية قضي عليها في الحملة التركية ـ المصرية عام ١٨١٨م)، وبحكم وسيطرة الرشيد لاحقاً عليها، حيث خطباء المساجد للمناطق التابعة، ومنها الجوف، يتلقون تعاليم الدين ودروسهم في المدينة المنورة (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٣ ـ ٣٤)، كما ستأتي الإشارة إليه لاحقاً، فليس هناك ما يشير إلى أن الذين اكتسبوا القدرة على القراءة أو الكتابة أو الذين أصبحوا يقومون بمهمة التدريس نفسها من أهل الجوف، قد اكتسبوها من الحجاز مباشرة، ذلك أن

أهل الجوف في حالة من الضعف المادي، فضلاً عن التخلف الثقافي ذاته، بما يكفي ويزيد لأن يصرفهم عن الانتباه إلى مسألة القراءة والكتابة. وفوق هذا وذاك ما يتعرضون له كحجاج من معاناة ومشقة، حيث إن مسيرة الحجاج وباستخدام الجمال تستغرق مدة لا تقل عن الشهر بالاتجاه الواحد، وهذا هو المعدل في الأوقات العادية فما بالك بأوقات الحر أو الصيف.

أما النجف وكربلاء (العراق)، فإنه باستثناء تلميحات غير مؤكدة أن «عبد الرحمن خليف الفالح ذهب إلى النجف، وربما تلقى تعليماً محدوداً هناك (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في ١٣ ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٤ من ٢٤ من ش ١ ـ ١)، فلا أحد يستطيع أن يقطع بقيام بعض من أهالي الجوف بالدراسة في النجف و/ أو كربلاء في العراق. لكن، مع ذلك، فإنه من المؤكد أن البعض من أبناء العراق والذين يطلق عليهم «المَشاهدة» والمنتسبين ربما لـ «مشهد الحسين» في كربلاء و/ أو «مشهد علي» في النجف في العراق، كان لهم تواجد في منطقة الجوف وبالذات في مدينة «سكاكا» في نهاية القرن التاسع عشر والعقدين الأولين من القرن العشرين. ويبدو أن تواجدهم بالأساس كان بغرض التجارة (بتلر، رحلة بتلر وإيلمر، ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٥٥)، بما فيها تجارة السلاح التي كان لها وللمشاهدة عبرها دور في تغذية الصراع بين القرشة والمعاقلة وخاصة في سياق الاصطفافات المتضادة لكل منهما على محور الشعلان ـ الرشيد في فترة صراعات وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف، وخاصة في الفترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٠٦ ـ ٤٠٧). ويبدو أن «المشاهدة»، وبحكم كونهم لديهم القدرة على القراءة والكتابة، فقد عمل بعضهم ككتبة أو مستشارين لدى الحاكم المحلي للجوف (المنصوب) نيابة عن ابن رشيد في أثناء حكم ابن رشيد أو حكم ابن شعلان (الرولة) في فترة استيلائه على المنطقة. وفي هذا السياق يذكر بعض الرواة المحليين، من أهل المنطقة أن «المشاهدة» قد لعبوا دوراً استشارياً في التأثير على مجريات و/ أو اتجاهات الصراع الاجتماعي في المنطقة (الحرب الأهلية بين القرشة والمعاقلة)، وبالذات في ما عرف ويعرف في المنطقة بواقعة أو كون «قصر الظلي» (الطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١ ـ ٢ من ٢١). أيضاً عندما قتل «تحالف أهالي الجوف» (سكاكا) ممثل حكم ابن مشعلان (عامر المشورب)، كان كاتبه آنذاك واحداً من «المَشاهدة» والذي قتل هو الآخر (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٤ من ٩)، وكان صهراً لعائلة الإبراهيم المعيقل، وكان اسمه على ما يبدو محمود المشهدي. أيضاً في فترة حكم الشعلان (١٩٠٩ ـ ١٩١٨م) للجوف هناك إشارات إلى دور محتمل، وإن كان قليلاً ومؤقتاً، للعراق، وإلى حد ما للقصيم في موضوع القراءة والكتابة في سياق التعاليم الدينية بالجوف عبر جنود يعملون مع ابن شعلان، وهو ما يبدو من ملاحظة الرحالة موسيل في رحلته الثانية للجوف عام ١٩١٤ ـ ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، حيث يقول عن الجنود العاملين مع نواف الشعلان ما يلي: «إن جنوده الذين يأتون من قرى جوار وأواسط الفرات ومن القصيم كانوا ملتزمين بالصلوات ومعتادين على أدائها، وكان يمكن للكثير منهم أن يتلوا جزءاً كاملاً من القرآن، كانوا يعلّمون الآخرين ويحضّونهم على مراعاة المبادئ والقواعد الدينية. إن الجنود من القصيم، مثل سكان الجوف كانوا مُشبعين بأفكار الوهابية...» (موسيل، رحلة ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٢٧). عليه نقول إن تواجد «المَشاهدة» من العراق، وبالذات في سكاكا، وكذلك بعض

الجنود من العراق والقصيم في الجوف، في ما هو معلوم في فترة العقدين الأولين من القرن العشرين ربما كان له دور ما في نقل قدر من الخبرة المعرفية (الكتابة والقراءة) لعدد محدود من أبناء الجوف، وإن كان ليس هناك ما يؤكد على وجه اليقين نقل تلك الخبرة المعرفية، ولا كذلك ما تعلق بالعدد المستفيد منها أن تمت العملية!

أما في ما يتعلق بالدراسة في مصر (الأزهر)، فلا توجد مصادر تاريخية أو وثائق تتبنى ذلك أو يمكن البناء عليها. ومع ذلك هناك أحد الإخوان من الجوف قد أبلغني بأنه عرف من بعض المسنين من أهل المنطقة، أن إبراهيم العيشان، وهو جد العيشان الحاليين، قد ذهب إلى مصر، عبر فلسطين، وأنه درس لبعض الوقت في الأزهر (البليهد، بدر، رسالة جوال نصية، في ١٦/ ٩/ ٢٠٠٢: الساعة ٥:٤٧ مساءً)، ولكن غير معروف متى ذهب؟، وكم قضى هناك؟ وكذلك ماذا استطاع أن يكتسب من حيث نوعية الدراسة؟ وهل أكمل دراساته أم لا؟ كل هذه أمور غير معروفة. من خلال واقعة «كون ـ الظلي ـ ١٩٠٨م»، نعلم أن ابن عيشان كان في فلسطين حين حدوث الواقعة، رفقة عدد من رجال من الشلهوب، وعندما وصله خبر «كون ـ الظلي» كتب قصيدة، كما أوردها سعد الطارف (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٤ من ٢١) يقول في مطلعها:

«يا راكب من عندنا فوق ثنتين حايلات مع ريح الهبوب أقرشني... إلخ»

والقصيدة كاملة سبق إيرادها في واقعة كون الظلي ـ ١٩٠٧م، فلمن يريدها يمكن الرجوع لها هناك، أو في الهامش(٥) أدناه.

الآن هل وقت ذهابه إلى مصر للدراسة كان في هذا الوقت (أوائل القرن العشرين) أم في وقت لاحق وسابق على حرب فلسطين ١٩٤٨م، فهو أمر غير معروف ولا يمكن الجزم به؛ كل من الاحتمالين وارد، وإن كنت شخصياً أميل إلى أن ذهابه إلى مصر للدراسة ربما على الأرجح حدث في فترة عقد الـ ١٩٤٠sم حيث كان هناك مجموعة من أبناء الجوف في فلسطين في هذه الفترة وحوالي ١٩٤٧/ ١٩٤٨م وبعضهم كان ضمن العاملين في القوات والجيوش العربية!؟

بالنسبة إلى الشام (دمشق، القدس، بيروت)، طبعاً لا يوجد أيضاً أي مصدر يشير إلى قيام أحد من أبناء الجوف ودومة الجندل أو سكاكا، بتلقي الدراسة هناك. المثير في الأمر أن أهل الجوف لم ينقطعوا تواصلاً مع الشام طوال فترة لا تقل عن القرن (١٨٤٠ ـ ١٩٥٠م)، وقد تتجاوزها إلى ما قبلها وحتى ١٨٠٠م، بحثاً عن العمل أو في سياق تواصل تجاري. يقول الرحالة والن في زيارته للجوف عام ١٨٤٥م: «... كما أنه يمكن ملاحظة أن السكان يتمتعون بعلاقات نشطة مع سورية أكثر مما هي مع العراق. كما

(٥) قصيدة ابراهيم العيشان، طبقاً لـ «سعد الطارف (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٤ من ٢١) يقول فيها:

«يا راكب من عندنا فوق ثنتين حايلات مع ريح الهبوب أقرشني
يا عارفين الرجم ما هن بعارين ولا هن طيور ولا مع اللي مشني
المزن زوم والبرد(*) له همالين أول ما كبه فوق قصر ابن ظلي
قل اخسو خسيتم يا قلوب البعارين وليه اطيع العداء بأبن عمي
من مثلكم يقعد على حافة السيل يصبر ولو ان السحاب استهلي»

(*) البرد يعني الرصاص.

أن التجار المتنقلين الذين يزورون الجوف أحياناً يأتون من سورية...» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٤). في السياق نفسه هنا مسألة تخص علاقة أهل الجوف بمنطقة الشام من حيث بعض التكوين الاجتماعي أولاً ومن ناحية أخرى من حيث قيام أعداد متوالية من أبناء المنطقة في العمل في الشام، فلسطين، سورية ـ حوران تحديداً. بالنسبة إلى التكوين الاجتماعي في الجوف وبالذات في دومة الجندل، هناك بعض العائلات التي استوطنت دومة الجندل وكانت في الأصل قادمة من القرى أو الأرياف الشامية (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٤ ـ ٣٠)؛ هذه العائلات وغيرها القادمة من الشام، يمكن أن يكون قدومها حدث في أوائل القرن التاسع عشر ما بين ١٨٠٠ و١٨٢٠ تقريباً أو بحدودها. ولذلك فإن إشارة بعض الرحالة الأوروبيين، ومنهم جورج أوغست والن عن ملاحظتهم لوجود عدد من الشبان من أهل الجوف يقبلون على القراءة والكتابة في الفترة ما بين ١٨٥٠ ـ ١٩٠٠ (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٤) يعود، ربما، إما لامتداد بتلك العائلات حديثة الهجرة أو بتأثير منها إن كانت لديها الخبرة والثقافة المكتوبة، وبالتالي نقلتها للآخرين أو لأبنائها من الأجيال المستقبلية. النقطة الأخرى والأهم والمثيرة في الوقت نفسه هي أن الشام، وبالذات حوران وفلسطين، كانت محطة استقبال متواصلة لأعداد من أبناء وأهالي الجوف (دومة الجندل وسكاكا وقراها) الباحثين عن العمل، منذ منتصف القرن التاسع عشر، كما يلاحظ عدد من الرحالة في سجلاتهم لرحلاتهم للجوف وشمال الجزيرة العربية (والن، رحلة ١٨٤٥م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٤؛ غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٩٩؛ فوردر، رحلة ١٩٠١م/١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٣٥، وموسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩)، وهذا التواصل سيستمر حتى تقريباً ١٩٥٠م طبقاً لما هو معروف ويؤكده ويشير إليه بعض الأشخاص المعاصرين الذين ذهبوا بالفعل إلى الغربية، من المتأخرين كما ورد، مثلاً، عن صالح العدوان ومجموعة معه في فترة مؤكدة هي ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م (المنديل، العدوان، صالح، مقابلة ولقاء (III)، في ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٤ من ٦) وكما ورد عنه في رواية سليمان عودة الفلّاح عن مجموعة من أهالي المعاقلة في ذهابهم للغربية يبدو أنها كانت في فترة عقد الـ «١٩٤٠s م» وقبل حرب فلسطين؟ (العودة الفلّاح، سليمان، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٥ ـ ٢٢، ٢٥ ـ ٢٦ من ٣٩ تفريغ ج ٢ ش ٢)، ومن المتقدمين السابقين عليهم كما، مثلاً، ذكر سعد الطارف عن رحلة له ولوالده، يبدو أنها كانت بعد ١٩٢٢م؟ أو في حدودها زيادة أو نقصاً بسنوات (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٤ ـ ١٥ من ٢١).

وكما أسلفنا القول آنفاً، لنتذكر ونذكر بأن ابراهيم العيشان، ومجموعة معه من الشلهوب كانوا في الغربية (الشام/ فلسطين) في حدود صيف عام ١٩٠٧م/ ١٩٠٨م (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٣ ـ ١٤ من ٢١). طبعاً هذه كانت مجرد أمثلة لا حصراً، وإلا فإنه من المؤكد وعلى وجه اليقين كانت هناك مجموعات وأعداد من أبناء وأهالي الجوف (من سكاكا ودومة الجندل وقارا والطوير فضلاً عن قرى وادي السرحان من مثل كاف وأثره) ذهبت إلى الغربية (الشام وفلسطين) خلال وطوال تلك الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م، وربما قبلها، وفي الغالب بحثاً عن العمل. هناك، كما سنرى، لاحقاً من عمل منهم في فترة ما بعد ١٩٤٠م ضمن القوات العربية في سورية و/ أو الأردن، (في الفصيلات انظر: المبحث التالي)

ومنهم، أيضاً من تقلد مناصب رفيعة في هذه البلدان وبالذات في الأردن. ورغم أن الغالبية الساحقة من الجوفيين الذين ذهبوا إلى الغربية سواء قديماً و/ أو حديثاً قد عادوا أدراجهم، وإن كان هناك من لقي حتفه في الذهاب و/ أو العودة، فإن أعداداً ممن ذهب هناك وهي أعداد محدودة منهم، وخاصة بعض المتأخرين في الذهاب (أي في فترة ما بعد ١٩٤٠م) قد استقروا واستوطنوا هناك وبالذات في الأردن.

لعل المثير والمهم هنا، في تواصل أهل الجوف مع الغربية (الشام وفلسطين) في الفترة ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م، وما قبلها، بحثاً عن العمل، هو أننا ليس فقط لم نقع على أي دليل قطعي أو واقعي يفيد باستفادة أهالي الجوف فرادى و/ أو مجموعات قراءة و/ أو كتابة من تواصلهم وتثاقفهم الطويل مع الغربية (الشام/ فلسطين)، وإنما كذلك، وكما سنلاحظ لاحقاً، فإن الأمر وصل إلى إهمال اكتساب ونقل مهارات وممارسات ثقافية معاشية وحياتية قريبة من طبيعتهم الزراعية/ الفلاحية، من مثل زراعة الزيتون وملحقاته من كبسه (تخليله) وأكله، وبعض المحاصيل والأشجار الزراعية الأخرى، وكذلك عمل (صناعة) الجبن والمخللات... إلخ، والتي شاهدوها وعايشوها وأكلوا من بعضها أثناء تواجدهم هناك! هذه «الممارسات الثقافية»، في واقعها، وفيما أتصل في عدم ترقيتها بالتثاقف مع الخارج المجاور (الشام/ فلسطين) نقطة هامة إضافية سوف نناقشها لاحقاً في سياق بسط وإثبات حالة وبنية التخلف على المستوى الثقافي العام للجوف وأهلها في الفترة (١٨٣٠s م ـ ١٩٣٠s م).

تبقى «حايل» باعتبارها المركز الأكثر ترشيحاً لتوفير مهارة القراءة والكتابة لعدد من أبناء الجوف، وذلك لأن الجوف منذ العقد الثاني تقريباً من القرن التاسع عشر، وبالذات منذ عام ١٨٣٨م تقريباً، فصاعداً وحتى ١٩١٠ تقريباً كانت واقعة تحت نفوذ حكام حايل والذي سوف يزداد بشكل واضح ومباشر منذ ١٨٥٠ وحتى ١٩١٠ تقريباً. حايل كان فيها بعض المدارس لتدريس العلوم الشرعية وقراءة القرآن، وقد أرسلت حكاماً محليين للجوف تابعين لها وكذلك بعض القضاة على الطريقة الوهابية حيث إن التدريس بحايل يبدو مرتبطاً بالدراسات الدينية ذات الصلة بالتعاليم الوهابية. وعن تلك الحالة يقول الرحالة والن في زيارته للجوف عام ١٨٤٥م، ما يلي:

«... وفي ما يتعلق بالقضايا الدينية، فيعهد بها إلى خطيب ينتخبه سكان كل حي من بينهم. يوجد خطيب واحد في حي خذما من الذين تلقوا تعليمهم في **المدينة**، وهو من جبل شمر، ولكن كل الآخرين من الجوف نفسها. كل حي له مسجده الخاص، تؤدى به الصلوات اليومية، بالإضافة إلى صلاة الجمعة...، بعد صلاة الظهر يقوم الخطيب عادة بقراءة بعض أحاديث الرسول أو بعض آيات القرآن أو تفسير تعاليم الدين في مسائل التوحيد وتحريم اتخاذ أولياء من دون الله...» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٣ ـ ٣٤). هذا الدور التعليمي الديني الرسمي لسلطة «حايل» الرشيد على الجوف سيتواصل في العقود التالية، وعن ذلك يسجل الرحالة جيفورد بلغريف في رحلته للجوف ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ ما يلي: «... بالقرب من هؤلاء، أعضاء مجلس استشارة حمود[٦]، جلس المطوِّع أو رجل الدين، وهو رجل متقدم في السن صارم التقاطيع، أُرسل إلى هنا ليعلم أهل

(٦) حمود هو حمود العقلا نائب ابن رشيد (طلال بن عبد الله الرشيد) بالجوف آنذاك، ومجلس استشارة حمود الواردة في المقطع يتكون من ثلاثة رجال من شمر (حايل) (رحلة جيفورد بلغريف ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٦١ و٨٧).

الجوف عقيدتهم، وهو غير محبوب بالنسبة للدارسين والزملاء، مما يجعله في وضع المستفز، وتصدر منه تصرفات حادة» (رحلة جيفورد بلغريف، ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٨٧).

إضافة إلى الدور الرسمي المباشر لحايل، أثناء حكم الرشيد للجوف وخاصة في بداياته الأولى، هناك الدور غير المباشر لحايل كفضاء اجتماعي، حيث قيام بعض الأفراد بزيارة حايل والتردد عليها، وكذلك بدرجة أهم ما حصل من هجرة بعض العائلات من حايل، إلى الجوف دومة الجندل و/ أو سكاكا، مثلاً الجباب، وغيرهم في دومة الجندل (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٧ ـ ٣٠؛ هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦١ ـ ١٦٣، والشايع الكريّع (II)، ١٩٨٤)، وكذلك ربما، الإبراهيم المعيقل، وغيرهم في سكاكا قد يكون أحد المصادر التي عن طريقها تم لعدد من أبناء منطقة الجوف اكتساب القراءة والكتابة وكذلك بعض العلوم الشرعية أو التفقه في أمور الدين، وإن كان هذا الأمر ليس مؤكداً و/ أو قطعي الثبوت.

في هذه السياقات يلاحظ وجود بعض القضاة في منطقة الجوف أثناء حكم ابن رشيد. وما يهمنا هنا هو ما تعلق بأبناء وأهالي الجوف منهم، حيث يلاحظ، مثلاً أن عيد الضميري كان كاتباً وكان على ما يبدو لديه خبرة بالقضاء، وله صلة واتصال مع حايل وحاكمها ابن رشيد في فترة العقدين الأولين من القرن العشرين وبالذات في السنوات الأخيرة قبيل ١٩٢٢م، وذلك قبل اعتقاله مع وفد أهالي الجوف، والذي كان في الأساس في طريقه إلى الملك عبد العزيز ليقدم طلب ضم الجوف إلى حكمه، وقتله في حايل من قبل ابن رشيد، وذلك انتقاماً منه لأنه كان يكاتب ابن سعود وهو في القصيم، ومن قبل ذهاب الوفد، حول فكرة إقناع عبد العزيز آل سعود بضم الجوف إلى الحكم السعودي.

أيضاً يلاحَظ تأثير حكم ابن رشيد لمنطقة الجوف من حيث طبيعة الممارسات الدينية من حيث إقامة الصلوات وقراءة القرآن في المساجد التي تكونت أو بنيت في تلك الفترة (١٨٥٠ ـ ١٩١٠)، وهذا ينطبق على بناء مسجد (السيل/ الضلع) القرشة الكبير الذي يعود بناؤه إلى منتصف القرن التاسع عشر، أو في حدودها نقصاً و/ أو زيادة ببعض السنين، في فترة حكم ابن رشيد على الجوف وبصلة ما بالدولة السعودية الثانية(؟)، حيث أخبرني د. عارف المسعر في لقاء، أن مشعل النداء عندما أراد أن يعيد بناء ذلك المسجد بطريقة البناء المسلح قد بعث برقية إلى الرياض يذكر بتلك العلاقة (المسعر، عارف، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث، في ٢٩ ـ ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٢: ٧ من ١٠). كذلك الأمر بالنسبة إلى بناء مسجد المعاقلة الذي بني أيام «فلاح الشردان»، في وقت ما من عقد الـ ١٨٨٠sم، لكنه كان في وقت حكم وسيطرة سلطة الرشيد على الجوف. كان فلاح الشردان، وقتها، عمدة/ شيخ على كل من الراشد والدغيفق، وتم بناء مسجد المعاقلة بأمره، وعلى خلفية خلاف بين القرشة والمعاقلة، وكان المعاقلة أساساً يصلون الجمعة في مسجد القرشة آنف الذكر، ورغم الخلاف على حقيقة قصة واقعة مؤامرة «مسجد الجمعة» بين القرشة والمعاقلة (في التفاصيل للواقعة: راجع؛ الحرب الأهلية بالجوف: فصل الواقعات والروايات). يبدو أن مسجد المعاقلة تم بناؤه في العقد الثاني ما قبل الأخير من القرن التاسع عشر (١٨٨٠s؟) وقد تم بناؤه مناصفة من أراضي السعدون والكبيدان بطلب من فلاح الشردان، وفي رواية أخرى فإن «السعدون/ الراشد» في البداية رفضوا ولكن فلاح الشردان باعتباره العمدة/ شيخ

على الراشد والدغيفق فقد أمرهم باستقطاع نصف الأرض لبناء المسجد (في التفاصيل للواقعة: راجع؛ الحرب الأهلية بالجوف: فصل الواقعات والروايات: واقعة مؤامرة مسجد الجمعة ـ ١٨٨٠s؟). في الغالب كل حارة عادة ما تنشئ مسجداً صغيراً تقام فيه الصلوات الخمس والتراويح والقيام في رمضان، وكذلك الاعتكاف للإمام فيه. والحارات ببيوت أهلها في جماعة واحدة تكون في الغالب شبه مغلقة، ولكن المسجد عادة ما يتوسطها جداً وتشكل الساحة (الأرض) المجاورة مكاناً يطلق عليه «المناخة»، حيث تنوّخ الجِمال في المكان لتحميل أو تنزيل البضائع، وغالباً ما تكون على شكل مقايضة مع الفلاحين، التمر من جهتهم، والحبوب من جهة البدو الرحل. وتلك المساجد، وكما لاحظ بعض الرحالة مما مر آنفاً، يتولى شؤونها كبير الجماعة أو عمدتها الذي لديه الإمكانات المادية أساساً في بنائها وثانياً في رعايتها، وأيضاً القيام بالإمامة في الصلاة أو توفير من يقوم بذلك.

وفي صلة بحايل وسلطة الرشيد بها وعلاقة ذلك بكونها مركزاً ومصدراً للقراءة والكتابة للجوف وأهلها، وخاصة في السياق الديني، يبدو أن الأمر يتعداها ويتصل هو الآخر، على الأقل بصلة ما للجوف بالدين والدعوة الوهابية والدولة السعودية الأولى. وعن تلك العلاقة وعن دور لكل من المدينة المنورة والدرعية كمراكز ومصادر للقراءة والكتابة في ما يتعلق بالجوف، يسجل الرحالة والن ملاحظاته على الجوف وأهلها وعلاقتها بالخارج وبالدين (الدعوة الوهابية ـ والدولة السعودية الأولى)، فيقول: «في الأزمان الأولى للدعوة الوهابية، دخل أحد قادة ابن سعود البلدة مع جيش ودمر قبراً قديماً في حي الدرع، وكان مزيناً بقبة ويحترمه السكان على أنه قبر ذي القرنين. وبعد أن قرر على السكان الزكاة، المقررة في القرآن كأحد اركان الإسلام، أصدر أوامره لفتوحات أخرى، تاركاً وراءه نائباً ليحكم البلدة باسمه. أما الأئمة والخطباء كما يسمونهم هنا وفي كل أنحاء نجد فيتلقون تعليمهم ودروسهم على نفقة ابن سعود في المدينة والدرعية، ويرسلون إلى هنا ليعلموا الناس أصول الدين الإسلامي، حسب دعوة ابن عبد الوهاب التجديدية» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٢ ـ ٣٣).

ثانياً: بنية التخلف: في الممارسات الثقافية

في الحديث، في ما سبق، عن تدني المستوى المعرفي (القراءة والكتابة) في الجوف في الفترة من عام ١٨٥٠م وما قبلها، وحتى حوالي منتصف القرن العشرين (١٩٥٠م) أشرنا إلى ممارسات ثقافية ذات صلة تعكس هي الأخرى الانحطاط المعرفي في الجوف في تلك الفترة. ولعل الأكثر إثارة ودهشة، كما أشرنا سابقاً، هو أنه ورغم التواصل بين أهل الجوف ومنطقة الهلال الخصيب وبالذات الشام (حوران/ سورية وفلسطين... إلخ) والذي لم ينقطع على الأقل منذ سنة ١٨٤٠م وربما قبلها وحتى منتصف القرن العشرين تقريباً وبالذات قبيل وبعيد نكبة فلسطين ١٩٤٨م وفي حدودها، فإن أهالي الجوف لم يعتنوا بنقل بعض من الممارسات الثقافية التي لامسوها في تواصلهم بالشام، وهو ما يدل على حالة التخلف الثقافي المتعاضد مع التخلف المعرفي. في بداية الفصل أشرنا إلى عدد من الممارسات الثقافية التي تعكس بنية التخلف، ولكننا ناقشناها هناك لكونها تتداخل مع التخلف المعرفي (المعلوماتي). طبعاً الممارسات الثقافية والتي تعكس حالة وبنية التخلف في الجوف كثيرة ولا يمكن لنا أن نغطيها و/ أو نناقشها كاملة،

وإنما سنقوم بإيراد أمثلة محددة من تخلف الممارسات الثقافية و/ أو عدم اكتسابها والعناية بها وترقيتها في حال التماس معها. من هذه الممارسات الثقافية لدينا التالي:

١ ـ الزيتون (زراعة وملحقات)

منطقة الجوف، كما مر بنا في بعض أجزاء من هذه الدراسة الكلية (الكتاب)، كانت على ما يبدو في أزمنة قديمة يكثر فيها شجر الزيتون، ولكن يبدو أن تحولات (براكين) كبيرة على الأرض منذ آلاف السنين قد قضى عليها تماماً، ولكن بقاياها المتحجرة لا زلت قائمة للعيان حتى اللحظة في مزارع غرب سكاكا، ومنها مزرعتي شخصياً على بعد ٨ ـ ٩ كم للغرب منها. طبعاً الأجيال المعاصرة من أهل الجوف (منذ حوالي عام ١٧٠٠م فصاعداً) يبدو أنهم، وإن رأوا تلك المتحجرات، لم يعيروها انتباهاً ولم يعطوها الاهتمام الكافي. ليس هذا فقط، وإنما أيضاً، أحد الرحالة الغربيين ينكر ذلك ويقول: «أما الزيتون، الذي يقول بعض المؤلفين العرب إنه زرع هنا، لا يوجد أية شجرة يمكن رؤيتها، وأنا أشك إذا كانت التربة تناسب هذه الأشجار...» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٣٦ ـ ٣٧).

وخلافاً لما يقول به والن عن الزيتون، سبق أن قلنا عنه ونكرره هنا: إن الزيتون، وإن لم يكن في حالة زراعة وقت زيارة **والن** للجوف، فإنه على مستوى التاريخ الزراعي للجوف كان على ما يبدو يزرع أو في حالة وجود في المنطقة ويبدو أن هذا يعود إلى مئات أو آلاف السنين الغابرة؛ فلو زار الرحالة والن بعض محيط سكاكا، وخاصة في النطاق الغربي لها لاكتشف الأمر عيانياً، إذ إن هناك شواهد عينية على أشجار متحجرة، بالذات في سكاكا في غربها، ولدي في مزرعتي شخصياً بقايا كبيرة متناثرة، وبعضها تراها متحطمة على الأرض بهيكل (جذع وأغصان) شبه كامل إلى جنب «مغرس أو حفرة» الزيتونة نفسها، إلى درجة أنه لا يمكن للعين أن تخطئها، والعقل إلا أن يقرر أنها بالفعل أشجار زيتون. يبدو أن براكين وحمماً بركانية انفجرت فسالت وأتت عليها. والزيتون الآن عاد يزرع منذ أكثر من ٣٠ سنة، وأثبت نجاحه بشكل مبهر، وهو ما يثبت أولاً صلاحية التربة والمناخ في الجوف لزراعته، خلافاً لما اعتقده والن أيام زيارته للجوف حيث لم تكن هناك زراعة له، وثانياً يؤكد، مع قرائن بقايا تحجرات آثار أشجاره، إمكانية حدوث زراعته قديماً دون أدنى شك. منذ ٣٠ سنة و/ أو في حدودها أخذ الزيتون في الجوف وبين أهلها مكانة متزايدة وبدأ ينافس النخيل والتمر وثقافتها؛ إننا أمام ثقافة جديدة تترسخ تسمى «ثقافة الزيتون» كما كتب ونوّه عنها عبد اللطيف الضويحي يوماً ما في مقالة له قبل أكثر من عقد من الزمان؟

لكن الأمر الأكثر أهمية في الجانب الثقافي (الممارسات الثقافية) في الجوف المتعلق بالزيتون هو في التأمل والتفكير في ما نسميه: «**سؤال الزيتون؟**» بمعنى لماذا غابت زراعة الزيتون حديثاً (منذ أواسط القرن التاسع عشر وربما ما قبله بوقت، وحتى ما قبل ١٩٧٠م وفي حدودها)، ولم ينتبه لها من أهل الجوف أحد، علماً أن أعداداً منهم غير قليلة شاهدته عيانياً، وبعضاً منهم أكل منه في الغربية (الشام وفلسطين) عندما كانت تذهب للعمل هناك منذ ما قبل منتصف القرن التاسع عشر وحتى قبيل وبعيد حرب فلسطين ١٩٤٨م. على مدى قرن ونصف وربما أكثر من ذلك كانت أعداد من أهالي الجوف (في دومة الجندل وسكاكا وقراها)، قدرها الرحالة موسيل في رحلته الأولى للجوف ١٩٠٩م بأكثر من ثلث سكان

الجوف، «يهاجرون سنوياً... إلى سورية... ويعملون هناك بالزراعة... وفي نهاية الصيف يعودون... إلى سكاكا...» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٩). إذن، أعداد من أهالي الجوف، ليست قليلة، تذهب سنوياً للعمل في الغربية (سورية/ حوران وفلسطين وعمان) وبالتأكيد من الذين ذهبوا إلى هناك لا بد وأن شاهدوا الزيتون، بل أكلوا من ثمارها وزيتها، لكنهم لم ينقلوها ويزرعوها في مزارعهم (حوطهم) بالجوف! سألت عدداً ممن ذهبوا إلى هناك في فترة متأخرة (ما بين بعد ١٩٢٢م وحتى ١٩٤٧م)، وقليل منهم ذهبوا حتى في فترات متأخرة، كما فعل عبد الله عايد الفياض/ أبو جميل عام ١٣٦٥هـ (تقريباً في أواخر١٩٤٥م أو أوائل ١٩٤٦م) بالذهاب إلى هناك مشياً/ حافياً على الأقدام (الفياض، عبد الله عايد، في: الفياض، عبد الله، وأحمد النخيلان، مقابلة مشتركة، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: الساعة ٩:٣٠ ـ ١١ مساء: ٢ من ٧): ألم تروا الزيتون وأشجاره؟ ألم تأكلوا من ثمار (حب) الزيتون المكبوس؟ أغلبهم، إن لم يكن كلهم، أجابوا نعم رأيناها وأكلنا منه ومن زيته، لكننا لم نفكر أو نهتم بنقلة وزراعته بالجوف (العودة الفلّاح، سليمان، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢٥ من ٣٩، ج ٢، تفريغ؛ الفياض، سعود، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٧:٤٥ ـ ١٠:٣٠ مساءً: ٢ من ٦ ملخص؛ الفياض، عبد الله عايد، وأحمد النخيلان، مقابلة مشتركة، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: الساعة ٩:٣٠ ـ ١١ مساء: ٢ ـ ٣ من ٧). فوق هذا وذاك، وفي هذا السياق، أتذكر أنه وحتى أواخر عقد الـ « ١٩٧٠sم»، كان لدى شقيقي مشعل مزرعة على جزء من أطراف الحافة الشرقية «للقنيطرة» وكان بها ثلاث شجرات زيتون، لا أعرف من أين أتى بها، وكبرت الشجرات وأنتجت ثمار الزيتون، ولكن أخي مشعل ونحن، وكل من في الجوف تقريباً، حتى ذلك الوقت (نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين، لا يعرف كيف يكبس الزيتون (يخلله بحيث يصبح قابلاً للأكل، ويكفي لذلك أن يوضع الزيتون مع الملح والماء في حاوية لمدة شهرين تقريباً، ولو سأل أحد الأخوة الفلسطينيين من المدرسين والمتواجدين آنذاك في سكاكا بكثرة منذ منتصف الخمسينيات لربما أخبرهم بطريقة كبس/ تخليل الزيتون، وهو ببساطة شديدة يتم بأن يوضع الزيتون في حاوية بلاستيكية (يمكن الاستعاضة عنها بـ جرة/ أو حتى جرن صخري، ثم يصب عليه ماء مالح فقط ويترك لمدة تتراوح من شهر إلى شهرين، ويمكن لمزيد من التحسينات إضافة ليمون/ ترنج (بديل) وفلفل حار ـ طبعاً هناك طرق متعددة للكبس والعصر، ولكنا فقط ضربنا الحد الأدنى والممكن والسهل منها)، فضلاً عن استخراج زيت الزيتون منه، والذي هو الآخر يمكن ببساطة جرشه وضغطه عن طريق الحجر (المجرشة الحجرية يمكن أن تؤدي الغرض للكميات البسيطة) ولو بطريقة بدائية. استمر هذا الوضع لعدة سنوات وكان أن قرر أخي مشعل في النهاية إزالة الشجرات واقتلاعها من جذورها وهو ما تم فعلياً! لاحظ أننا نتكلم عن سنوات تدور حول ١٩٨٠م زيادة أو نقصاً، وأهل الجوف لا يعرفون طريقة «إعداد الزيتون للأكل (الكبس)، فضلاً عن عصره. الاستثناء الوحيد كان عايض الزيد الواكد (الراشد) فقد كان ربما الوحيد الذي في بستانه الحديث جنوب وأسفل قارة «أم شخانب» عدد من شجر الزيتون، وكان وقت عصر الزيتون يأخذ ثمار/ حب الزيتون إلى الأردن ويعصره هناك ويأتي بالزيت ولا أعرف إن كان لديه و/ أو أهله أية معرفة، آنذاك، في كبس/ تخليل الزيتون (للأكل) أم لا. ويبدو أن جلب عايض الزيتون وغرسه في مزرعته الحديثة يعود إلى ما بعد حرب فلسطين ١٩٤٨م، والأكثر رجحاناً منذ منتصف

وأواخر الخمسينيات أو في حدودها، زيادة أو نقصاناً ببعض السنوات من القرن الميلادي الماضي، حيث كما فهمت، كان لديه سيارة/ شاحنة تذهب للأردن من وقت لآخر في تلك الفترة.

٢ ـ الجبن/ الأجبان

ما ينطبق على الزيتون ينطبق بدرجة أكبر على عمل الأجبان من ألبان الماعز والضان والبقر. حسب ما عشته في صغري، وما اطلعت عليه من معلومات في ثقافة أهل الجوف، فإن غالب أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل وقراها) لا يعرفون عمل الأجبان ومشتقاته. بالتأكيد يعرفون عمل «البقل/ الجميد» أو الأقط، وكذلك يعرفون عمل الخاثر (الزبادي) البلدي، وكذلك نوع يقال له خاثر «اللباء»، وهو قريب من طعم جبنة «حلوم» المعروفة حالياً، ولكنه لا يتم عمله على شكل كتلة الحلوم المعروفة؛ «اللباء» في الغالب يتم بغلي حليب الماعز مباشرة بعد ولادتها (فقط حليب وقت الولادة)، حيث يتخثر إلى قطع صغيرة متفتتة، طعمها كما أتذكر وأقارنه الآن يشبه طعم ومذاق جبنة «الحلوم» المتوافرة حالياً في الأسواق. طبعاً يعرفون اشتقاق الزبدة بخض الحليب لعمل اللبن، ومن الزبدة «السمن». حتى البقل وهم لا شك يعرفون عمله وبالذات منه ما يعرف بـ «الجميد»، في غالب الأحيان يشترونه من البدو عبر المقايضة قديماً وعبر النقود في الأوقات المتأخرة. لكن عمل الجبنة، مثل الجبنة المالحة (النابلسية مثلاً) أو الطرية بأنواعها، فهم لا يعرفون عملها على الإطلاق، رغم أن أعداداً غير قليلة منهم، شاهدته في الأردن وفلسطين وحوران وأكلت منه. لاحظ أن النقطة المهمة هنا هي أن مناقشة مثل هذه الممارسات الثقافية لا تتم بمعزل عن سؤال السفر للغربية (الشام/ فلسطين) والتواصل المستمر لأكثر من قرن ونصف، وما يتصل بمسألة وسؤال التثاقف ومداه معها ومع ممارساتها الثقافية! من دون شك، ربما كثير من قرى وواحات نجد لا تختلف كثيراً عن حال الجوف وأهلها في بعض من الممارسات الثقافية، رغم ما لدى الأخيرة من مستوى معرفي (قراءة/ كتابة) قد يكون أعلى ولو نسبياً. لكن بالنسبة للجوف وأهلها، فإن النقطة المهمة هي في قرب الجوف وتواصل أهلها مع «الغربية (الشام/ فلسطين) لم ينقطع معها على الأقل طوال فترة (١٨٥٠ ـ ١٩٤٨م) وما يفترض من حالة تثاقف معها، من حيث ملاحظة وملامسة ومعايشة ممارسات ثقافية لديها، فنقلها للجوف. لكن النقل والاستفادة على ما يبدو لم تتم أبداً، وهذا هو السؤال وهو مربط الفرس هنا! بالنسبة لنا هنا على الأقل فالنقطة هي أنها تتعاضد مع ما قبلها، وربما ما بعدها لتبسط حال وواقع بنية التخلف (معرفياً وثقافياً). طبعاً في الإجابة على السؤال (لماذا) عن هذه الممارسة وغيرها سنترك الأمر إلى حين تقديم التفسير الكلي لحالة وبنية التخلف بعد أن ننتهي من بسط الحالة نفسها.

٣ ـ سؤال العنب والطماطم

طبعاً زراعة الفواكه والخضروات: من مثل التين والرمان والمشمش والعنب، والبطيخ، والقرع والبقول... إلخ، كانت منتشرة في الجوف في سكاكا، وبالذات في دومة الجندل منذ منتصف القرن التاسع عشر وربما قبله بوقت ليس بقليل. في عام ١٨٤٥م يقول الرحالة والن في رحلته للجوف: «بجانب أشجار النخيل... توجد كل أنواع الفواكه التي تناسب مناخها، ولكن بكميات صغيرة كالتين،

والمشمش، والخوخ، والبرتقال، والعنب. أما الرمان... ينمو بكثرة هنا. والخضروات تزرع هنا ولكن بكميات قليلة، وتقل كثيراً عن نسبتها في نجد. كما أن السكان يبذرون الذرة بين الأشجار في بساتينهم، وإنتاجها عموماً يكفي حاجتهم» (والن، رحلة ١٨٤٥م، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٤). وفي عام ١٨٦٢م/١٢٧٨هـ، يسجل الرحالة جيفورد بلغريف، في رحلته للجوف، عن الفواكه والخضروات، التالي: «... أما المشمش والخوخ والتين والعنب فتزخر بها المزارع ويتفوق ثمرها في النكهة والإنتاج على إنتاج بساتين دمشق، وجبال سورية وفلسطين، وفي المساحات التي تقع بين الأشجار يزرع القمح، والبقول والقرع، والبطيخ... إلخ... بكميات كبيرة...» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٤). ويذكر الرحالة الألماني، «جوليوس أويتنغ»، في رحلته للجوف ١٨٨٣م، بعض الإشارات لبعض الخضروات في «كاف»، عند كلامه عن نوعية الأكل ووجبات الطعام المعتادة عند أهلها، مثل «البامية الخضراء والباذنجان والخيار» وأشار إلى نوع من أنواع «الخيار طوله متر»[٧] (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٨٧، و١٩٢). وفي بداية القرن العشرين، يذكر الرحالة أرتشيبالد فوردر في رحلته للجوف في عام ١٩٠١م/١٣١٨هـ، عدداً من الفواكه والخضروات المتوفرة بالجوف (هنا المقصود بالجوف هي دومة الجندل) عندما يقول: «... والناس هنا محظوظون لتوفر الفاكهة في هذا المكان، فبجانب البلح بأنواعه، لديهم العنب، والمشمش، والخوخ، والبطيخ، والطماطم، والخيار، والأترنج، والفاصوليا، والقرع، وأنواع كثيرة أخرى لا أجد لها أسماء في اللغة الإنجليزية...» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٤). وفي منتصف العقد الثاني من القرن العشرين، يذكر الرحالة ألويس موسيل في رحلته الثانية للجوف ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، أن في بساتين الجوف (دومة الجندل)؛: «يوجد التين والبرتقال، والليمون، والمشمش، والعنب، وأنواع متعددة من الخضروات، ويزرع إلى جانب جدران البساتين شجر الأثل... وخارج البساتين، وبعض الأحيان داخلها يزرع القمح والشعير...» (موسيل، رحلة ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٦٧).
ورغم هذه الأقوال، فإن هناك بعض الممارسات ذات الصلة ببعض التعاطي والتعامل غير المتطور مع بعض الفواكه والخضروات، وبعدم الاستفادة من ذهابهم للغربية (الشام/ فلسطين) في نقل الخبرة هناك للجوف وطريقة زراعتها والعناية بها وترقيتها، من ذلك: **أ ـ سؤال العنب واستنباته (الإبعال)**: ما كان سائداً بالجوف في تلك الحقبة من التاريخ (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م) في ما تعلق بشجرة العنب ومسألة إنباتها، هو أن أهل الجوف يجهلون أن إبعال (استنبات) العنب يمكن أن يتم بطريقة بسيطة وغير معقدة من خلال وضع عود من العنب في الأرض (على جانبي وأطراف مرور مياه السقي والمساقي («العوادي» باللهجة المحلية) في الوقت المناسب من العام (في الغالب مع أو قبيل شباط/ فبراير من كل عام). عندما سألت عدداً منهم، كانت إجاباتهم تميل إلى تأكيد أنهم لم يكونوا يعرفون إنبات العنب عن طريق «العود مباشرة»، ومنهم أحمد القضيب الراشد (الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II)، في ٣/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٦ ملخص). وتدخل أبو فريد/ الحموان، وكان ضمن الحاضرين في اللقاء والحديث مع أحمد قضيب

---

(٧) هذا النوع من الخيار الطويل هو ربما ما يعرف بـ «القثة» حالياً، وربما الأرجح هو نوع من أنواع الشمام (المستطيل) قبل استوائه ويقدم للأكل لوحده أو مع التمر وهو لا زال أخضر، وعندما يستوي يتحول إلى اللون الأصفر وعادة ما يسمى في هذه الحالة والوضعية بالشمام «المفصخ» (الباحث).

الراشد في مجلس خالد الشايع (٣٠ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م)، معلقاً، على الأمر، فقال نعم أهل الديرة (سكاكا) «لم يكونوا يعرفون أن بعض أعواد الأشجار يمكن في حال غرسها من إنبات الأشجار ذاتها» (أبو فريد، الحموان، في: الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II)، في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٦ ملخص). وكذلك منهم سليمان العودة الفلّاح، عندما سألته: هل صحيح أنكم أول ما تعرفون إن «العنبة» (شجرة العنب) يحط عودها وتطلع (تنبت)؟ رد عليَّ وقال؛ «إلا... نعرفها. .. العنبة مثل الغريس...» (الفلّاح، سليمان، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣٣ من ٣٩، ج ٢، تفريغ من شريط ٢).

لاحظ أن إجابته تقول «مثل الغريس»، أي مثل غرس «فسائل النخل (بالجوف صغارها تسمى «ضب/ ضبان» أو الفرخ/ الفروخ كما تسمى في الوسطى)، يعني يضعون لفافة من نشر/ فرع طويل من شجرة العنب في حفرة كبيرة قرب منطقة رطبة (في الغالب بأطراف حوض الماء الخارجية و/ أو على الأطراف الخارجية لمساقي المياه)، ويطمرونها بالتراب مع ترك طرف بسيط منها للخارج تترك لحوالي سنة كاملة، حيث بعدها تبدأ بالتورق والظهور على شكل شجيرة صغيرة. وفي الغالب تبقى في مكانها أو تنقل إلى مكان آخر و«تغرس» في حفرة أخرى. الطريقة البسيطة، التي ربما أهل الجوف الذين ذهبوا للغربية ولم ينتبهوا لها، هي أن تضع عوداً من أغصان الشجرة على حافة مجرى الماء في أوقات التقليم، في أواخر كانون الثاني/ يناير ـ أوائل شباط/ فبراير من كل سنة، وحيث إن العود يشرب الماء بشكل شبه يومي ومباشر، فإنه، وخلال فترة وجيزة وفي حدود الشهر، يبرعم العود ويورق شيئاً فشيئاً. يضاف إلى ذلك أنه وحسب ما كنت أشاهده وقت صغري، أي بحدود منتصف وأواخر عقد الـ «١٩٥٠sم»، لم أرَ أنهم يقلمون «شجرة العنب»، وشجرة العنب، إن لم تقلم سنوياً ببداية شهر شباط/ فبراير، فإنها في الغالب تنتج كميات قليلة من عناقيد العنب، وفي تناقص متواصل حتى تصل إلى درجة أنها لا تنتج شيئاً. أتذكر في حوطة/ مزرعة (الوالد) التي اشتراها بالأصل من عيد الطريف[8] (من العبد)، كانت لدينا شجرتان من العنب الأبيض (أبو حلمة طويلة كما تسمى محلياً) إحداهما كانت على حافة حوض الماء، وكانت ممتدة طويلة ومتسلقة بين عدد من النخل، وكنا دائماً، كل سنه وقت العنب، آنذاك نبحث عن عناقيد فيها. في الغالب لا نجد بها عنقوداً واحداً حتى، وكنت دائماً أتساءل لماذا؟ ويبدو الأمر ببساطة مرتبط بمسألة «التقليم» فضلاً عن السماد/ التسميد، حيث لم أرَ أبداً أنها قُلمت، كما لم أرَ عنب حوط (مزرعة) الجيران، بمن فيهم أعمامي (المخلف) أنهم قلموا يوماً من الأيام. وحيث الأمر كذلك فليس غريباً أن لا تجد، في الغالب، وفي المزرعة/ الحوطة الواحدة في سكاكا سوى شجرات معدودة من العنب، كما أن أصنافها محدودة جداً وتتراوح بين الأبيض المستطيل (أبو حلمة طويلة) أو الأسود المستدير المزرق إلى شديد السواد. من هنا نرى أن خبرة العناية بالعنب (استنباتاً وتقليماً وأنواعاً) لم تنقل من قبل أعداد غير قليلة من أهل الجوف كانت تذهب بحثاً عن العمل/ الاسترزاق سنوياً للغربية (الشام/ حوران وفلسطين) طوال الفترة تحت الدراسة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)؛ **ب ـ في سؤال الطماطم**: وردت الإشارة أعلاه في ما ذكره

---

(٨) عيد الطرف وهو من العبد (شمر)، كان رجلاً كريماً، لدرجة أن أمير المنطقة آنذاك يرسل ضيوفه عنده. ورداً على احتمال أن يكون عيد يتلقى مبالغ مالية مقابل ذلك، قال محمد السلطان الفلّاح؛ «والله ما يعطونه، ولكنه كريم وعند مكانه، وتحمل الديون بسبب كرمه» (السلطان، محمد، لقاء وحديث (II)، في ٨/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١).

بعض الرحالة عن وجود الطماطم (البندورة) إلى جانب بعض الخضروات. إن هذا قد يكون صحيحاً في الجوف (دومة الجندل) آنذاك، بالنسبة للطماطم، كما هو الحال مع «البرتقال» الذي ظهر ذكره في الجوف (دومة الجندل) لأول مرة من قبل، أولاً الرحالة والن في رحلته للجوف ١٨٤٥م (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٢٤)، كما أسلفنا، ثم ثانياً الرحالة موسيل في رحلته الثانية ١٩١٥م، ولم يذكره أحد غيرهما، حتى هو موسيل نفسه لم يذكره في رحلته الأولى للجوف عام ١٩٠٩م، مما يشير إلى احتمال أن يكون البرتقال بكميات محدودة ولم ينتشر كثيراً بعد بالجوف (بدومة الجندل)! أما في سكاكا، فالأمر إلى حد كبير مختلف، عن دومة الجندل. فبالنسبة للبرتقال، كما هو الحال مع «الكمثرى»! الذي وردت إليه إشارة سريعة وحيدة من الرحالة أويتنغ (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٤٧)، فأنا شخصياً لا أعرف في صغري (في حدود منتصف عقد الـ «١٩٥٠s م»)، أن هناك شجرة برتقال، أو كمثرى، واحدة في سكاكا، على الأقل في ما حولنا من حوط/ مزارع: كان الترنج (حامض) منتشراً في الجوف (بسكاكا ودومة الجندل)، ولا تخلو حوطة/ مزرعة من شجرة أو شجرتين منه، ولكن البرتقال، كما هو الكمثرى، لم يكن موجوداً في ما أعلم في تلك الحقبة من الزمن الماضي، وهو ما يؤكده لي أيضاً سليمان العودة عن البرتقال رداً على سؤال لي (أول/ قديماً، هل البرتقال موجود في الديرة بسكاكا؟) فقال، وهو يحيل إلى فترة صغره: «...لا ... لا البرتقال ما فيه... لا... ما عندنا... غاد نعرفه...» ((يقصد أننا تعرفنا عليه هناك في الغربية/ فلسطين)). (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢٠ من ٣٩ من تفريغ ج ٢ ش ٢). كانت لدى قريبنا وجارنا «ضبيان العايف المثري» شجرة ليمون حلوة المذاق تسمى «ليمونه حلوة»، إذا استوت ونضجت يصبح طعمها حلواً باهتاً، لكنها لا برتقالة ولا ليمونة، وكنا أولاد الحارة، ونحن أطفال صغار، من وقت لآخر نتحيّن الفرص في غياب «ضبيان» عن حراسة الليمونة الحلوة فنسرق حبات منها، وكان عندما يعرف ذلك يتوعدنا بالويل والثبور، لكنه لم يفعل أكثر من هذا، وعلى أية حال لم يمسك بواحد منا متلبساً بالجريمة! عرفنا البرتقال مع دخول ما يعرف في سكاكا بالخضارين (يشتغلون بجلب الفواكه والخضروات من الأردن)، الذين يبدو أن بدايات دخولهم للجوف تعود إلى أواخر عقد الـ ١٩٣٠sم و/ أو أوائل عقد الـ ١٩٤٠sم أو في حدودهمها نقصاً أو زيادة ببعض السنوات. كان لهؤلاء الخضارين، في البداية، دكان في سوق البحر، على ما أظن في الطرف الشمالي الشرقي لأملاك البليهد، حيث للجنوب منهم يبدو هناك «مجر وقليب» إذا لم تخنّي الذاكرة، وكنا أيضاً ونحن صغار، نمر هناك وإذا سنحت لنا الفرصة بأخذ تفاحة و/ أو برتقالة أو موزة حتى لو فيها بعض الخراب نأخذها، وأتذكر أن والدتي كانت تلومنا وتنهرنا، وتقول لنا هذا يا عيالي «حرام»! طبعاً نحن كنا صغار وجهال، وهو عمل محدود جداً على أية حال، ومع ذلك أقول وأسأل الله ألا يؤاخذنا، وأن يلهمنا أن نرد ما اقترفناه بحقهم، وأمثالهم أفعال خير وعملاً صالحاً لهم. ربما في هذه الفترة، حوالي منتصف القرن العشرين، بدأنا في سكاكا نعرف ونتعرف على الموز والبرتقال والتفاح كشيء ملموس عيني ونتذوقه؛ قبل ذلك كنا نقرأ عن «الموز» نصاً في كتب المطالعة كلاماً يقول: «يا ولدي لا ترمِ قشر الموز في الطريق» مما يشير، ربما، إلى أن من كتب المناهج الدراسية آنذاك هم في الغالب من مدرسي أبناء الشام/ فلسطين. طبعاً لاحظ أنه

باستثناء ما ذكره الرحالة والن في عام ١٨٤٥م، وكذلك الرحالة موسيل في رحلته للجوف ١٩١٥م عن البرتقال في دومة الجندل، فلم يذكره غيرهما من الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة ما بين ١٨٦٢م و١٩٠١م، أما في سكاكا فلا شيء منه آنذاك، ولم ينقل ويزرع بها من أهلها رغم علاقة أهلها بدومة الجندل و/ أو كذلك بالذهاب للغربية (الشام/ حوران وفلسطين) على مدار أكثر من قرن قبل ١٩٥٠م. **أما ما تعلق بالطماطم،** فالأمر في سكاكا أكثر إثارة؛ يقول ممدوح السلطان الفلّاح، عندما أثرت معه ومع عارف وخليفة المسعر، وكنا في نقاش حول قضايا تتعلق بتاريخ الجوف والثقافة فيه، بما فيها موضوع زراعة الزيتون الذي أثرته معهم؛ وأنا (الباحث) ألخص كلام ممدوح في العبارة التالية: «إن أهل الجوف في بداية القرن لم يكونوا يعرفون الطماطم، وإنما نبتت عندهم» (السلطان، ممدوح، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي مشترك، في ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٢: ٧ ـ ٨ من ١٠ ملخص اللقاء)، وهو ما تؤكده، كذلك، عاشة بنت خليف الفالح، في ردها على سؤالي لها عن «البندورة/ الطمام»، قالت بلكنة «شلهوبية»، إنها في وقت ما كانت صغيرة جداً «... أيه... البندورة... هاك الحين أما ما هو عندنا... وإلا ما نعرفُه... ماعرفُه...» (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في ١٣ ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٢٣ من تفريغ ٢ من ٢). وفي مداخلة له حول «الطماطم» أثناء لقاء وحديث مع أحمد قضيب الراشد بعد صلاة الجمعة في مجلس خالد عبد الرحمن الشايع (٣٠ ـ ٨ ـ ٢٠٠٢م)، أكد عبد المحسن عطا الشايع أن أهل الجوف (سكاكا) «كانوا لا يعرفونها قديماً، وكانوا لا يأكلونها نيئة أبداً خوفاً من أنها ضارة» (الشايع، عبد المحسن عطا، في: الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II)، في: ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٦ ملخص) وفي سياق عدم معرفة أهل الجوف (وتحديداً سكاكا) للطماطم (البندورة)، يروي فالح جابر المعدوة قصة ورواية حقيقية، أثناء نقاش تاريخي وثقافي جماعي في بيته عن قضايا ثقافية وتاريخ الجوف أثرتها معه في منزله/ استراحته باللقائط، بالاشتراك مع منصور سالم العوذة وبمشاركة وحضور عواد فالح المعدوة، في عام ٢٠٠٢م. القصة الواقعية المثيرة، التي ألخصها عن لسان فالح المعدوة، تقول: «إن أهل الجوف قديماً، قبل حوالي ١٠٠عام تقريباً لم يكونوا يعرفون البندورة (الطماطم)، وذكر أن موسى المصّبح ((وهو على ما يبدو من أهل حي الشريقية، في سكاكا، إلى الشمال من الغانم/ الكايد))، عندما نبتت شجرة البندورة وأثمرت في منزله لم يكن يعرف ما هي، فعرض بعض حبات منها، أي من الطماطم على واحد من التجار «المَشاهدة» العراقيين في السوق ((ربما سوق البحر آنذاك))، فقال له التاجر المَشهدي: من وين جبت هاي؟، فرد موسى المصّبح؛ من بيتي، فقال له المشهدي: زين، وش رأيك، كلما تأتي بعدد من البندورات وتنطينياها ((تعطينا إياها ـ أهل الجوف سابقاً ولا زال البعض، مثل أهل العراق، يقولون «انطني أي أعطني ـ الباحث ـ، انظر بعض التفصيلات عن الثقافة المنطوقة بالجوف ومصادرها في التهميش رقم (٩)))، أعطيك مقابل وزنها رز «تمن» ((رز التمن من العراق))، فقبل موسى

(٩) **كلمة في مصادر الثقافة المنطوقة (اللكنات والمفردات)**: رغم أن الحديث يتّصل في بنية التخلّف معرفياً وممارسة ثقافياً، إلا أن هناك ربما كلمة عن مصادر ثقافة اللغة بالجوف من المناسب الإشارة لها رغم خروجها عن النص (جوهر الموضوع)، وإن اتصلت به من ناحية أخرى. عليه نقول: في سياق ثقافة اللغة (المفردات ونطقها بالجوف) يمكن أن نشير سريعاً لبعضها ومصادرها فنقول إنه ورغم سيادة ثقافة (لغة ومفردات عامة بالجوف وتشابه في نطقها) إلا أن هناك أيضاً مفردات نطقها يقترب من المناطق المحيطة بالجوف/ ممّا يشير إلى أنها واردة وافدة على المنطقة، في الغالب بسبب مجموعة من العوامل من بينها ما يعود للهجرات من تلك المناطق وخاصة خلال =

المصّبح، وكان من وقت لآخر يجمع البندورة ويسلمها للتاجر العراقي المشهدي، ويقبض مقابلها وزناً «رز تمن» (المعدوة، فالح، في: المعدوة، فالح جابر، ومنصور العوذة [وآخرون]، لقاء وحديث مشترك، في ٤/٩/٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٢). طبعاً تاريخ القصة غير معروف، ولكني أرجحه في وقت ربما في منتصف عقد الـ ١٩٤٠sم أو في حدودها بسنوات نقصاً أو زيادة. وإذا كان هذا حال البندورة في الجوف

= ١٨٠٠ ـ ١٩٠٠م؛ هناك مفردات من مثل: كلمة «حسايف وحسافة، ويا معود، وأنطني... إلخ، وهذه مفردات مستخدمة في العراق، ويبدو أن هجرة بعض العوائل من العراق في دومة الجندل وكذلك وجود بعض التجار المَشاهدة من العراق لعبت دوراً في انتشارها؛ وهناك مثلاً كلمة «هيك» وتعني «كذا» وهذه كلمة شامية، والغالب أن كثرة تردد أهل الجوف على الشام/ فلسطين خلال القرنين الماضيين، فضلاً عن عوائل استوطنت الجوف (دومة الجندل) لها دور في اكتساب وترديد تلك الكلمة. طبعاً هناك مفردات لغوية محلية متعلقة بالسني والفلاحة وهي شائعة بالجوف تتقارب وتتماثل في ما هو منتشر في نجد، وهذا ربما مرتبط بدرجة كبيرة بسبب أن نسبة كبيرة من سكان أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) هم في الأصل قادمون من نجد «من الزلفي، والوشم، والقصيم، فضلاً عن حائل ومحيطها». من المسنين أهل الجوف عموماً في سكاكا والجوف كانوا ينطقون حرف الـ «جيم» بـ «ي»؛ فمثلاً كانوا يقولون عن الرجل والرجال «الريل والريال والريولة، وهذا الاستخدام يتشابه مع نطق أهل الخليج وبالذات في الكويت وهو أمر غريب، ذلك أنه ليس هناك ما يربط بين هجرات اجتماعية قادمة من الطرفين، ولكن ربما هناك عامل مشترك قديم، وهو أن بعض العائلات الكويتية كما هي بعض العائلات بالجوف قادمة من مناطق واحدة في نجد، من مثل «الزلفي»، ولكن ليس هناك ما يدل على أن هذا النطق متداول في نجد! على أية حال، كثير من هذه المفردات و/ أو نطقها بدأ يختفي، فمثلاً حسايف ويا معود، لا تكاد تسمعها من أحد، وأيضاً لا أحد من أهل الجوف، إلا من تبقى من المسنين الكبار، ينطق «الجيم، يا». يبدو أن التعليم والدراسة في كافة المستويات وانتشار الإعلام المسموع والمقروء والمرئي وطنياً وعربياً، وانتشاراللغة العربية الفصحى في التعاملات الرسمية، قد كان لها جميعاً أدوار حاسمة في تلك التحولات الثقافية. بالنسبة لبعض اللكنات المحلية، يلاحظ أنه ورغم ثقافة سائدة مشتركة ومهيمنة في الجوف لكل أهل الجوف، فإن هناك تنوعات في اللكنات المحلية قد لا تبدو مرئية لشخص من خارج الجوف (سكاكا ودومة الجندل وقراها)؛ فهناك لكنة لأهل دومة الجندل تتمايز عن اللكنة السائدة في سكاكا، وكذلك في «قارا» و«الطوير»، وطبعاً في «زلوم وصوير» وما حولهما من هجر، وكذلك بالنسبة لـ «طبر جل»... إلخ. أما القريات فهي خليط ما بين لكنات عربية محلية حضرية/ فلاحية من الجوف، وبين بدوية من عنوز وروله وشرارات.. إلخ. أيضاً هناك تمايز في اللكنات العربية المحلية عند أهل الجوف من البادية، فالعنوز لهم لكنة، وكذلك الرولة، وكذلك الشرارات والفهيقات... إلخ. في حاضرة الجوف، وتحديداً في سكاكا ودومة الجندل، يبدو أن هناك تمايزات في اللكنات بين أهالي الأحياء؛ فمثلاً أهل الشرق وأهل الغرب من دومة الجندل، وإن اشتركوا في ثقافة عامة محلية سائدة فلهما تفريعات وتنوعات في بعض الأصوات قد لا تبدو ملحوظة من شخص من خارجهم وبالذات من خارج دومة الجندل، ربما بعض من أهل سكاكا يدركون هذا الفارق. في سكاكا، الأمر كذلك فيه تنوعات في اللكنات بين سكان المعاقلة والشلهوب والقرشة؛ يلاحظ في القرشة، وفي منطقة «الضلع»، وإلى حد ما في الشلهوب، تسود هناك بعض اللكنات المميزة لمخارج بعض الكلمات وتكون بعض المفردات «منونة/ مضاف حرف النون» للحرف الأخير، من مثل «كلمة جيت تنطق «جيتن» وكلمة رحت تنطق «رحتن»... وهكذا... إلخ، كما أن الشلهوب أيضاً يتميزون بتواصل تمسكهم بألفاظ ولكنات بعينها، من مثل القول «أبوه تنطق أبـ واه»، ومثلاً كلمة «ما به شك» تنطق بالشلهوب «ما بوه شك»، قريب من نطق بعض الكلمات في القصيم/ بريدة! وهم أكثر أهل سكاكا تشبثاً بهذا الأمر. أما المعاقلة، فكونهم خليطاً من عدة تجمعات متنوعة قادمة في الأصل من نجد فنجد أن لكناتهم غير «منونة» كما في الضلع، أو مفعمة/ مشبعة بـ «الواو كما في الشلهوب. من هنا يلاحظ أن تحولات اللكنات وتغيراتها ربما في المعاقلة أكثر من الشلهوب وإلى حد ما من «القرشة». ورغم كل ما تقدم يلاحظ على المحدثين من شباب الجوف، وتحديداً في كل من سكاكا ودومة الجندل، أنهم أكثر ميلاً وتقبلاً على نحو يبدو سريعاً، لاكتساب ممارسات ثقافية من خارجهم، وبالذات من الداخل (نجد ومحيطها)، وهو ما يدل على عدم وجود قدر كبير من الممانعة الثقافية للممارسات الثقافية من الخارج؛ مثلاً نلاحظ مؤخراً أن الشباب في الجوف عند السلام، على بعضهم و/ أو على غيرهم، في الأعياد أو المناسبات، يسحبون أيديهم من بعضهم بعد المعانقة الأولى تقريباً و/ أو قبل الأخيرة كإشارة على نهاية العناق!، وهذا يبدو سائداً في نجد وبالذات في حزامها المحيط من أبناء البادية وبعضهم على الأقل، بينما هذا لم يكن سائداً في الجوف أبداً حتى تقريباً نهاية العقد الأخير من القرن العشرين؛ يبدو أن تأثير العمل والدراسة والتواصل مع نجد عموماً وفي الرياض خصوصاً قد ساهم في نقل تلك الممارسات، وهو ما يدل على قدر من تدني الممانعة الثقافية في الجوف تجاه الخارج/ المركز و/ أو يأتي في سياق اعتقاد لدى الشباب بتقدم المركز على الأطراف وانتشار وتزايد ضخ ثقافة الصحراء في مشهد التحديث في العقود الأربعة الماضية. أيضاً في «العزاء للمتوفي» لم يكن أهل الجوف يقدمون صحون ذبائح في الغداء والعشاء أبداً، هذه عادة/ ممارسة ثقافية وافدة من نجد في الغالب، وهو ما يبدو بتأثير الحياة والعمل والدراسة هناك؛ لاحظ تأثير العمق / الداخل للجوف (نجد) في نقل بعض من الممارسات الثقافية أكثر من المحيط الشمالي (الهلال الخصيب). وطبعاً هذا له علاقة كما قلنا بتأثيرات العمل والدراسة والشحن الديني والإعلامي، من الداخل/ المركز(نجد/ الرياض)، خاصة منذ نهاية عقد الـ «١٩٦٠sم» وأوائل عقد الـ «١٩٧٠Sم» فصاعداً.

وبالذات في سكاكا، فإن حال الورقيات (البقدونس/ الكسبرة/ الخس والجرجير... إلخ) لا يقل عنها إن لم يتجاوزها في الإهمال وعدم المعرفة في زراعتها/ أو حتى في أكلها عندما تنبت وتظهر في مزارعهم، وهو ما يدل دلالة قاطعة على عدم نقل خبرتها من خلال عملية التثاقف مع الغربية (الشام/ فلسطين). عن بعض الورقيات والجهل بها في حدود ١٩٥٠م وربما قبلها قليلاً، يقول ممدوح السلطان الفلّاح، وأنا ألخص كلامه كالتالي بالقول إنه «... يتذكر نبات الكسبرة، كان ينبت في جور النخل ((أحواض النخل))، وأنه هو، وواحد من أقربائه هما فقط اللذان يأكلان من النبتة (الكسبرة)، وأما البقية الآخرون جميعاً، فلا أحد منهم يأكل منها باعتبار أنهم لا يعرفونها» (السلطان، ممدوح، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي مشترك، في ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٢: ٧ ـ ٨ من ١٠ ملخص اللقاء). لاحظ أن قريب ممدوح السلطان، الذي يشير إليه في أكل الكسبرة، هو على ما يبدو خاله برجس النمر الشاقي، وهذا الشخص في ما أعلمه عنه كان ممن ذهب وعمل في الغربية/ فلسطين وجلس هناك سنوات عديدة في مدينة يافا/ فلسطين (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٨ من ٣٩ تفريغ، ج ٢، ش ٢)، ولذلك ليس غريباً أن يكون قد تعرف هناك على «الكسبرة» وفوائدها في الأكل و/ أو في استخدامها على الأقل في الأكل، وعلى غيرها الكثير. من هنا فإن ابن أخته «ممدوح» قد يكون، في الغالب، تعلم منه، وأما الآخرون فإنهم ربما لم يستسيغوا طعمها، إن تذوقوها، لقرب عهد وجهل بها. هذا الشخص (برجس نمر الشاقي) عرف عنه أنه يعالج من قرص/ لسع وسم العقارب، فإذا ما قُرص/ لُسع شخص ما في الحارة من العقرب، فإنه في الغالب يُذهب به إلى «برجس»، والذي بدوره يقوم بوضع مرهم (يبدو يعمله من زيت/ دهن ومخلوط بجزء مقلي من عقارب) على مكان القرصة، وفي الغالب يشفى الشخص المقروص سريعاً. طبعاً في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل وقراها)، كما في أجزاء من بلاد العرب، عموماً هناك من يعالج من قرص/ لسع العقارب، وفي الغالب من «العين والحسد»، بالقراءة من القرآن، وبعض الأحاديث والأدعية على المقروص، وربما يعطيه ماء مقروءاً عليه (ماء قروة) ليستخدمه علاجاً بالمسح منه و/ أو شرب منه، ولكن «برجس»، وفي علاج قرص العقارب يستخدم علاجاً مادياً يصنعه هو من خلال «حمس عقارب» على النار ثم يخلط حميسها مع دهن/ زيت ومن الخليط يضع جزءاً منه على المريض.

٤ ـ سؤال السكر والشاهي

قبل عام ١٩٤٠م و/ أو في حدودها نقصاً أو زيادة ببعض السنوات، لا يبدو أن أهل الجوف، ورغم أحتكاهم المتواصل مع الغربية (الشام/ فلسطين)، كانوا قد تعرفوا على الشاهي (الأحمر)، بل إن «السكر»، لم يكن معروفاً في الجوف في عام ١٨٦٢م وفي حدودها. عن ذلك، وفي معرض حديثه عن القهوة وطريقة عملها بالجوف بما فيها استخدام الهيل والزعفران، يقول الرحالة «جيفورد بلغريف» في رحلته للجوف عام ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ؛ «... أما السكر فبدعة لم يسمع بها في هذا المجال» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٦٨). في عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، وعلى وقت زيارة الرحالة «تشارلز هوبر» للجوف، أول إشارة لظهور السكر في المنطقة، والشاي/ الشاهي هو الماء الحار وبه سكر! يقول الرحالة هوبر فيما كتبه عن رحلته للجوف في تلك السنة، وهو يتحدث عن زيارته

لـ «جوهر» (منصوب/ »ممثل» ابن رشيد بالجوف)؛ «... في كل زيارة من زياراتي له كان يقدم لي ماء حاراً به سكر (ذلك هو شاي البدو)» (هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٥٩). إذاً حتى عام ١٨٧٩/ ١٢٩٥هـ، لا وجود للشاي/ الشاهي الأحمر في الجوف. في عام ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، يتحدث الرحالة أس. أس بتلر في سياق محاضرة له عن رحلته برفقة ل. أيلمر للجوف (سكاكا ودومة الجندل) عن أنهما عندما غادرا سكاكا وقدما للجوف (دومة الجندل) فإنهما شربا شاياً طيباً في منزل/ قلعة الأمير فيصل الرشيد (نائب ابن رشيد بالجوف آنذاك)، حيث يذكر في محاضرته عن الرحلة: «وبعيداً عن هذا الأسلوب، الذي يعتبر نهباً مؤدباً، فقد عاملنا الأمير معاملة حسنة... كما كان يدعونا أربع مرات في اليوم للقلعة وكنا نسارع بتلبية الدعوة لنشرب القهوة وشاياً جيداً طيب المذاق في صحبة الأمير...» (بتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦١). ولكن بتلر في إشارته للشاي، لم يحدد لنا إن كان شاياً/ شاهياً أحمر أم مجرد سكر مع الماء!؟ فضلاً عن أنه يقول إنه بالجوف في عام ١٩٠٨م، فإنه ضمن عمليات البيع والشراء التي تتم في البيوت في المكانين (دومة الجندل وسكاكا)، «... فلم نجد شيئاً يمكن شراؤه عدا القهوة، ولا يوجد سكر أو... شاي...» (بتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦١). وحتى على فرض ما ذكره الرحالة «**بتلر**» من أنه تناول شاياً طيب المذاق عند نائب الحكم بالجوف، وعلى فرض أنه كان شاياً/ شاهياً أحمر، وهو أمر مشكوك فيه و/ أو على الأقل غير واضح، فإنه فوق ذلك وعلى مستوى الأهالي بالجوف، هناك من أهل سكاكا من يقول ويؤكد أن أهل الجوف، وتحديداً أهل سكاكا، لم يكونوا على معرفة بالشاي/ الشاهي الأحمر، وعلى الأقل بطريقة عمله، حتى ما بعد ١٩٢٢م، وربما حتى ١٩٤٠م أو في حدودها. عندما سألت عمتي عاشة بنت خليف الفالح، عن الشاهي/ الشاي وهل كانوا يعرفونه على وقت صغرها وهي لا زالت عند أبوها (ربما في أواخر عقد الـ «١٩٢٠sم» و/ أو أوائل عقد الـ «١٩٣٠sم»، وشبه مؤكد قبل ١٩٣٥م حيث تقدير وفاة والدها)، قالت «لا والله ما عرفُه الشاهي... القهوة إلا والله... دلتُه دايم على النار... أما الشاهي لا ما عرفُه عنده...» (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في: ١٣ ـ ١٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٥ من ٢٣ من تفريغ ٢ ـ ٢).

في هذا السياق، وفي إثارة أكبر، يقول سعود منور الفياض[١٠] (الشلهوب/ سكاكا)، وأنا هنا أُلخص كلامه، أنه وعدد من أهل سكاكا ذهبوا إلى الشام/ حوران للعمل هناك، ويبدو أن هذا في وقت ما بين ١٩٢٢م و١٩٤٥م، والأرجح أن يكون في أواخر ١٩٣٠sم أو أوائل ١٩٤٠sم، يقول إنه قبل ذهابهم هذا إلى الغربية (الشام/ حوران والأردن وفلسطين)، لم يكونوا يعرفون الشاهي. ليس هذا فحسب، بل وفوق هذا يقول إنهم بعدما شربوا الشاهي هناك، أعتقدوا أنه يمكن عمل الشاهي بوضع كمية من السكر في الماء، وهذا ما فعلوه عندما أرادوا أن يشربوا الشاهي، ويبدو أن ذلك كان بعيد وصولهم هناك أو بعد عودتهم أو أثناء عودتهم للجوف، وعندما لم يصبح شاياً/ شاهياً (أحمر)، قال أحدهم «أحمسوا» (تحميص على النار، كتحميص حبات القهوة) السكر ثم ضعوه مع الماء الحار، لكنهم بعدما طبقوا الطريقة بكب السكر المحموس (المحمص) على الماء الحار لم يتكون الشاهي الأحمر! (الفياض، سعود، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٦).

---

(١٠) وفاة «سعود منور الفياض» في أحد أيام شهر آب/ أغسطس من عام ١٤٣١هـ.

٥ ـ سؤال الصابون والصحة العامة

طبعاً وبشكل عام، أهل الجوف يمكن أن يوصفوا فيما قبل ١٩٥٠م من حيث مستوى نظافتهم بالمقارنة مع الآخرين، بأنه مستوى لا بأس به من النظافة. ومع ذلك كله لم يكن الصابون معروفاً عندهم ربما قبل العقود الأولى من القرن العشرين، وعلى أية حال لم يكن مستخدماً في حياتهم قبل ١٩٤٠م أو في حدودها. في عام ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في وقت زيارة الرحالة الألماني، «أويتنغ» للجوف يسجل في إحدى ملاحظاته في بلدة «كاف» أنه في أحد الأيام شاهد البنات يغسلن شعر رؤوسهن بـ «بول الإبل» حيث يقول نصاً: «... في الطرف الخارجي للقرية وخلف حائط شاهدت لهود جالسة ومعها فتاة أخرى مسبلة شعرها، وكانت كل منهما تحمل دلواً من نحاس في حجرها به سائل أصفر. بسؤالي لهما عما تفعلانه هناك، أجابتا ضاحكتين لأنهما يردان غسل شعرهما... لم يكن معهما مشط وكان لا بد أن ينتظرا صديقة أخرى تمتلك واحداً ويأملان أن تحضره معها. أعلمني «محمود» لاحقاً أن السائل الأصفر ليس زبداً كما أعتقدت من مظهره، بل كان بول الجمال. وإن من الأشياء المحببة أن تسرع الفتاة جرياً وتضع الرأس أسفل الجمل عندما يتبول. البول هذا هو دواء شامل، يصلح كعلاج ولطيف وممتع معاً، مثلما هو الحمام الدافئ عندنا، ويحل أيضاً محل الصابون وماء الكلونيا...» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢١٥).

وفي هذا السياق وبالمناسبة، فإني، شخصياً وعلى وقت صغري (منتصف وأواخر عقد الخمسينيات من القرن الماضي)، وعلى الأقل في ما كنت أشاهده في محيط حارتنا «الدغيفق/ المعاقلة» أتذكر أن الغسيل ببول البعارين/ الإبل والماعز كان منتشراً بين النساء بالجوف. وعن الحالة الصحية وعدم معرفة أهل الجوف للصابون في بداية القرن العشرين وما قبله، يقول الرحالة فوردر في رحلته للجوف ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ ما يلي: «... ومثل المدن الشرقية لا توجد وسائل صحية... وفي صباح اليوم التالي... قضيت وقتاً عند عين ماء دافئ أغسل ملابسي. جذب منظر الصابون بعضاً من الناس فانضموا إلي وأخذوا يغسلون أيديهم ورؤوسهم، لذلك انتهى الصابون الذي كان معي بسرعة...» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٤ و٣١٩). وعن الحمامات والمراحيض فلم يذكر أي رحالة أية إشارة إلى وجودها. وحسب معلوماتي وحسب ما كنت أعرفه في صغري في أواخر خمسينيات القرن الماضي، فإنه، حتى منتصف عقد الـ ١٩٥٠sم، لم يكن في سكاكا حمام واحد، لا للاستحمام، ولا كمراحيض وقضاء الحاجة. أعتقد أن الأمر ينطبق على عموم الجوف بما فيها دومة الجندل. الناس في الجوف هم فلاحون وحوطهم/ مزارعهم هي، في الغالب والسائد، فضاؤهم وقضاؤهم في المدخلات (العيش) وفي المخرجات (التخلص من فضلاتهم). الاستثناء من هذا كله هو لبعض من الناس وهم في الغالب محدودو العدد، وهم في الغالب من خارج الجوف (مغتربون: مدرسون و/ أو موظفون في أجهزة الدولة من الحجاز ونجد)، هنا سواء في سكاكا و/ أو في دومة الجندل. هؤلاء ليس لديهم مزارع، حيث في الغالب يخصصون و/ أو يستخدمون جزءاً من أطراف منازلهم على شكل حمامات و/ أو مراحيض يسمى الواحد منها «سنداس»! أتذكر في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، كان أن خصص أخي مشعل، غرفة صغيرة للاستحمام «للاغتسال المائي فقط»، على طرف البيت المتصل بالحوطة/ المزرعة،

وكان هذا حدث كبير في الحارة كلها. طبعاً بقي قضاء الحاجة/ الغائط، خارج البيت تماماً، وفي أطراف الحوطة/ المزرعة، وأعتقد أن هذه الحالة كانت هي السائدة لغالب أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في ذلك الوقت، باستثناء ما ورد آنفاً لمن هم من خارجها ولم يكن لديهم حوط/ مزارع.

٦ ـ في الثقافة الصحراوية وأهل الجوف

أ ـ أسئلة التجارة والصناعة

حالة من التبادل التجاري المحدود مع المحيط، وبالذات الشمالي، عبر آلية المقايضة وخاصة في القرن التاسع عشر، حيث حتى ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ لم تكن العملة (النقود) معروفة تقريباً، كما يشير الرحالة هوبر في رحلته للجوف آنذاك (هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦٤)[١١] كانت هي السائدة بالجوف. والمقايضة كانت تشمل مبادلة الحاجات/ السلع من القمح والحبوب والملابس بالتمر، و/ أو عبر آلية مختلطة من المقايضة والنقد وخاصة في فترات متأخرة من نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ورغم أن التبادل التجاري، وإن كان محدوداً، مع الهلال الخصيب، وأكثرها مع الشام/ سورية لم ينقطع طوال فترة القرن التاسع عشر والعقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، ورغم ذهاب مجموعات غير قليلة سنوياً للغربية (الشام/ فلسطين) خلال تلك الفترة، ومشاهداتهم المباشرة والعينية للعمليات التجارية ومحلاتها (الدكاكين) هناك، إلا أنه يلاحظ أن لا أحد من أهل سكاكا ودومة الجندل اشتغل بالتجارة، ولا اهتم بأن يشتغل بها! بل فوق ذلك، وفي الفترة ما بين عامي ١٨٦٢م و١٩٠٨م، فإنه ليس فقط لا يوجد تجار من أهل الجوف، بل وكذلك حتى في الممارسات التجارية (أغلبها عبر المقايضة)، لم يكن هناك دكان واحدة أو سوق فيه دكاكين، وإنما تجري المبادلات التجارية (البيع والشراء) كلها في السكن/ البيوت (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٩؛ أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٣٥؛ فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٣ ـ ٣١٤، وبتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦١)، وفي الغالب عبر المقايضة، وإن لا تستبعد النقود أحياناً وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر فصاعداً، بالحبوب والقهوة والملابس مع البدو و/ أو مع القوافل القادمة من دمشق وبغداد وحتى أحياناً من مكة (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٣ ـ ٣١٤). في ما يتعلق بالإشارة، من بعض الرحالة للتجارة عبر القوافل من مكة، فنميل إلى الاعتقاد أن الأمر يدور حول فترة مواسم الحج فقط، ولذلك معظم التبادل التجاري وبدرجة أساسية وكبيرة مع الهلال الخصيب. على أية حال، وباستثناء مبيعات التمور من الأهالي، فإن من يقوم بعمليات التجارة على قلتها، في الجوف، وفي سكاكا تحديداً، هم أشخاص ليسوا من أهل الجوف أنفسهم، بل أشخاص من المَشاهدة (من العراق) في أواخر القرن التاسع عشر، وحتى أواخر العقد الأول (بتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي،

---

(١١) يقول هوبر، تدليلاً على غياب النقود بالجوف تقريباً في هذا الوقت (١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ) إن امرأة بالجوف (دومة الجندل) من أول منزل صادفه وتوقف عنده، قدّمت له الماء ورفيقة، وردّاً للجميل لها «فأعطيتها ربع مجيدي فأخذته باستغراب شديد، وسألها عبد الله إن كانت قد رأت العملة قبل ذلك، فردت أبداً» (هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦٤).

٢٠٠٢: ٣٥٥) وربما حتى العقد الثاني من القرن العشرين وما بعده وفي حدوده. وحال الصناعة بالجوف لا يختلف كثيراً عن حال التجارة، فهي أولاً محدودة جداً، وتنحصر في صناعة تتراوح ما بين السروج والجلود والخراطيش والسيوف ونوع من العباءات «الصوفية»، فضلاً عن بعض الحصير وأكياس الحمل وبعض المفروشات الصوفية (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٩؛ بلنت، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٢؛ هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٦٤؛ نولده، رحلة ١٨٩٣م/ ١٣١٠هـ: ٢٦٨؛ فوردر، رحلة ١٩٠١م/١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٤؛ بتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦١)، فضلاً عن صناعة وتجارة الملح (طبعاً في كاف وإثرة). بالنسبة لورش بعض المصنوعات آنفة الذكر، التي، وإن أشير إلى عدد محدود من ورش تصنيعها (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ: ٢٣٥)، فإنها تتم في البيوت، لا في متاجر/ ورش في أسواق مفتوحة؛ وكما هي كانت عادة ونظاماً قائماً محافظاً عليه خدمة للاحتكار، كما يقول **جيفورد بلغريف** فإن «ورشة الصانع هي أيضاً مسكنه» (بلغريف، ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٩). أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل وقراها من مثل قارا) في الغالب يقومون بأنفسهم بعمل/ صناعة بعض متطلبات حياتهم المباشرة، وبالذات مزارعهم، مثل الحبال المطلوبة للسني، وعمل «العدول» على شكل شبكة متقاطعة من الحبال لحمل الأثقال، بما فيها العشب/ الحشيش وقت الربيع و/ أو الحطب... إلخ، وكذلك بعض المشغولات اليدوية، مثل عمل المرواح اليدوية أو ما تسمى محلياً بالجوف بـ «المهفات» و/ أو «المناش ـ من نش أو طرد الذبان»، وكل موادها في الغالب من سعف/ أوراق «خوص» و«خلب» (ليف) النخيل، و/ أو من جلود الإبل والغنم. أتذكر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي، أن والدي ومجموعة من رجال الحارة (الدغيفق) يجتمعون ضحىً/ صباحاً و/ أو بعد الظهيرة إلى قبيل العصر، في قبة قصر جدي «خليف الفالح»، وكانت مسقوفة وتميل للبرودة في الصيف، وكانوا يأتون بخلب أو ليف النخل وينكثونه/ يمزقونه ويطرقونه طولياً إلى أنسجة طولية رفيعة، ثم يبدأون بفتل (لف) الأنسجة لبعضها شيئاً فشيئاً، وترى الحبل يبدأ بالتكون والتمدد من تحت أيديهم. كل هذا كان يتم وهم في حالة متواصلة من تجاذب الحديث والسوالف والأخبار. أما صناعة الحصير (سجاد مصنوع من سعف النخل)، وبعض المنتجات المماثلة من مثل «سفرة الطعام» و«عدول» الجداد (في الجوف يقولون لعملية «صرم» أو خرف النخل بـ «الجداد»)، من مثل الملاقط (ملقاطة التمر) والقفف،... إلخ، فالغالب هو أن تقوم النساء بها لا الرجال.

عدا ما تقدم، فإن غالبية أهل الجوف، في الغالب، لا يقومون بمهن الصناعة، وخاصة ما تعلق منها بالحدادة، (عمل الفؤوس [الفاروع]، بأنواعها، والمقارص [الأزاميل]، والمغادر، الأباريق، والقدور، والسروج، ودلال ومحامس [محامص]، وهاونات القهوة، وحتى الأختام وصيانة البنادق وإصلاحها... إلخ)، أبداً، بل في الغالب يحتقرونها، ولذلك يبدو أن فئة من الأشخاص/ العائلات، قادمة من نجد وخاصة من حايل والقصيم، استغلت بذكاء هذه الوضعية وأخذت تشتغل بها وتحتكرها وتدر عليها دخلاً مجزياً، وإن نُظر إليها نظرة دونية. ما ينطبق على الصناعة وموقف أهل الجوف منها ينطبق بدرجة أكبر على «قصابة اللحم» والموقف من أكل بعضها و/ أو عدم أكله، وهذه النقطة تقودنا إلى النقطة التالية.

ب ـ سؤال الإبل والبقر

قلنا إن ما ينطبق على الصناعة والموقف منها ينطبق على ما تعلق بالعلاقة مع الحيوانات، وخاصة في مسائل «القصابة» والأكل والطعام، وهذا يحيلنا إلى سؤال الإبل والبقر في ثقافة أهل الجوف؛ طبعاً كانت الجمال والبقر والحمير تستخدم في السني (استخراج الماء لسقي الحوطة/ المزرعة. ورغم التضارب في أقوال الرحالة الغربيين الذين زاروا الجوف ما بين ١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م، عن تواجدهما وأعدادهما، وكذلك عن أيهما أكثر، وخاصة بين الإبل والبقر، استخداماً في السني/ السقي، إلا أن الملاحظ هو أن الغالب من أهل الجوف (سكاكا ودومة وقُراها)، إن لم يكن كلهم، لا يأكلون لحم البقر ويتقززون منه، وطبعاً يقبلون على أكل لحم الإبل وهو مفضلهم بعد الضان، إن لم يتجاوز الضان تفضيلاً. طبعاً عدد من أهالي الجوف يشربون حليب ولبن البقر، ولكن لحمها أمر غير وارد ولا زال الأمر كذلك، كما هو الحال مع السمك، والأخير لم يعرفوه إلا في فترات ما بعد منتصف القرن العشرين أو في حدوده. طبعاً الموقف من لحم البقر، كما هو من السمك، وإن حديثاً تغيرت الأمور قليلاً، عند عدد محدود من الأهالي، من حيث استخدام اللحم المفروم من البقر في عمل بعض الأكلات مثل «السنبوسه/ السنبوسك» في رمضان، وكذلك من حيث السمك، إلا أن السائد العام هو «لا أكل للحم البقر» وقليل جداً من الأهالي، وفي أوقات ربما متباعدة كثيراً يكون السمك في وجباتهم. هذا الموقف من أكل لحم البقر، وبدرجة ما من السمك، فالموقف من القصابة (ذبح المواشي وبيعها) وحتى شرائها «لحماً» كان حتى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين من المحرمات أو شبه المحرمات. لا أحد من أهالي الجوف يشتغل بالقصابة خلال كل الفترة الماضية وربما ما قبلها وحتى الآن (نحن الآن في أوائل ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ)، لذلك كان من يشتغل بالقصابة كعمل ومهنة تجارة (ذبح وبيع) هم أشخاص من عائلات قادمة حديثاً، أي خلال المئة سنة المنصرمة و/ أو في حدودها نقصاً أو زيادة ببعض السنوات. من بين الأشخاص المشهورين بسكاكا الذين امتهنوا القصابة «ابن عصفور وأبو عريشة» ويبدو قبلهما كان واحد من «الصقعبي»، وآخر من «الحميد» وهذا الأخير كان، كما يقول سعود منور الفياض، يأتي بالشحم من عرعر ليخلطه مع لحم جمال هليمة (ضعيفة جداً) ليغري الناس بالشراء (الفياض، سعود، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ٣ من ٦ ملخص). ليس هذا فحسب، بل إن أهل الجوف كانوا حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين لا يُقبلون على شراء حتى اللحم من القصاب، بل كانوا يعتبرون شراءه عيباً، ومن كان يفعل كان يتخفى ويخفي اللحم عن أنظار الناس. أتذكر أن والدي (هايس خليف الفالح)، كان، وتلبية لإلحاح من شقيقي سلطان[١٢] يشتري لنا في الأسبوع مرة و/ أو مرتين بحدود ربع كيلو لحم جمل، وكان يخفيها في عباءته ولا يمسكها ظاهرة للناس، كما هم آخرون من أمثاله، وهم آنذاك قلة على أية حال، ممن يتجرأون على شراء اللحم من القصاب. طبعاً هذه الحالة والموقف من الصناعة وأعمالها وكذلك من القصابة ولحم البقر والإبل، تبدو في الغالب مشتركة مع ثقافة داخل الجزيرة العربية، وخاصة في نجد ومحيطها. لاحظ أن أهل الجنوب وأهل الشرقية (الأحساء والقطيف وقُراها) يفضلون أكل

(١٢) شقيقي سلطان توفّي غرقاً، في سد/ وادي قرب مدينة إربد ـ الأردن في صيف عام ١٩٧٣م، علماً أنه عند وفاته كان ضابطاً في القوات البحرية (ملازم أوّل بحري)، كان عمره آنذاك تقريباً ٢٧ عاماً، ولم يكن متزوجاً (الباحث).

لحم البقر، وبالتأكيد السمك مفضلهم الأول كما هم أهل الحجاز، ولا يأكلون في الغالب، إن لم يكن كلهم لحم «الإبل/ الجزور». في هذا السياق أتذكر في سجن المباحث بعليشة ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م، كنت أنا (الباحث)، وأبو عادل/ علي الدميني، وهو لمن لا يعرفه، غامدي من الباحة/ الجنوب، وأبو بلال د. عبد الله الحامد، وهو لمن لا يعرفه من تميم، من حضربريدة/ القصيم، وفي الأصل من «قفار» في منطقة حايل، وكان طعام الغداء المقدم للمعتقلين في الغالب إما يحتوي على دجاج أو لحم جمل، فإذا كان ذاك اليوم اللحم هو لحم جمل/ جزور فإن علي الدميني لا يأكله بينما عبد الله الحامد يفضله، ولذلك كان علي الدميني يقدمه لـ «الحامد»، والأخير يأخذه ليأكله في وجبة تالية. لاحظ أن الحالة الزراعية في الجنوب والأحساء أكثر تطوراً وقدماً، وهم بالفعل مزارعون وضمن اقتصاد زراعي مستقر منذ قرون، وكان باتجاه تحول نحو اقتصاد شبه «إقطاعي»، وخاصة في الأحساء، بما فيها القطيف وقُراها، حيث وجود طبقة عاملة (يعملون بالأجر) لصالح كبار «الملّاك» من المزارعين، بما يعني تكوّن تمايز طبقي من ناحية اقتصادية. هذا الوضع (نمط الاقتصاد) في الجوف، بالمقارنة، لم يتطور وكان اقتصاد حد الكفاف لمجتمع المساواة، وهو ما يجعله مجتمعاً فلاحياً بسيطاً ظل مراوحاً مكانه، فلا هو صحراوي خالص، ولا هو زراعي متطور متمايز مادياً (طبقياً) نحو الزراعي شبه الإقطاعي، وهو في الغالب وفي عدد من الممارسات الثقافية أقرب للثقافة الصحراوية من الزراعية المستقرة و/ أو المدنية. طبعاً لذلك أسباب ربما ترد الإشارة لبعضها لاحقاً، وعلى أية حال سبق أن فصلنا فيها في موضوع تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). يبقى الآن الإشارة إلى تساؤلات حول مصدر تلك الحيوانات المستخدمة في الزراعة بالجوف، وبالذات في موضوع سؤال «البقر»؛ الأبقار المستخدمة بالجوف، كانت من النوع الذي له سنام صغير، فمن أين أتت هذه الأبقار للمنطقة؟ هل هي في الأصل قديمة في ومن المنطقة، بمعنى أنها كانت متوحشة ثم استؤنست على مدار قرون عديدة خلت؟ أم هي جلبت من خارج المنطقة؟ وإذا جُلبت من خارج المنطقة من أين جُلبت، من أي مكان جُلبت ومتى وكيف؟ طبعاً هذه أسئلة مفتوحة والاحتمالات متعددة ممكنة، ومنها:

ـ في **الاحتمال الأول: متوحشة مستأنسة من داخل المنطقة**: في الغالب أن تكون الأبقار متوحشة في المنطقة، وربما أن أهل المنطقة استأنسوها مع الوقت. إذا عدنا لتاريخ المنطقة القديم، وخاصة من ظهور الإسلام وتحديداً من غزوة تبوك وما اتصل بها من غزوة دومة الجندل، نجد إشارات قوية لوجود البقر. ففي سرية/ غزوة خالد بن الوليد لدومة الجندل، يذكر الطبري وابن الأثير، رغم ما بين الروايتين من اختلاف طفيف في بعض المفردات، وعلماً أن الطبري وتاريخه قبل ابن الأثير بحوالي ثلاثة قرون (الطبري متوفٍّ ٣١٠هـ، وابن الأثير متوفٍّ في ٦٣٠هـ)، إشارات لوجود البقر في الجوف عندما يشيران إلى الرسول (ﷺ)، وهو في غزوة تبوك، مخاطباً خالد بن الوليد للسير إلى دومة الجندل في السنة التاسعة للهجرة بالقول كما هو وارد في الطبري: «... ثم إن رسول الله (ﷺ) دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدر دومة ـ وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة، كان عليها ملكاً نصرانياً ـ فقال رسول الله (ﷺ) لخالد: **إنك ستجده يصيد البقر**، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، **فبانت البقر تحك بقرونها** باب القصر، فقالت امرأته: هل رأيت

مثل هذا قط! قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر فرسه فأسْرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخٌ له يقال له حسان، فركب، وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله (ﷺ) فأخذته، وقتلوا أخاه حسان، وقد كان عليه قباء له ديباج مُخوّض بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله (ﷺ) قبل قدومه عليه (الطبري، ٢٠٠٨: ١٨٥ من ج ٢)[١٣].

ـ **في الاحتمال الثاني: مستوردة من خارج المنطقة:** إن لم تكن البقر موجودة في المنطقة منذ القدم، فليس هناك أدنى شك في أنها قد جلبت من خارج المنطقة. وإذا كان هذا صحيحاً فمن أين (من أي مكان) جُلبت وكيف؟ علماً أن الجوف منطقة مناخها ومحيطها صحراويان، وخاصة أنها حارة جداً في الصيف، ويعزلها عن داخل الجزيرة العربية، رمال وكثبان كبيرة وطويلة (النفوذ) ويعزلها عن الهلال الخصيب (العراق والشام وفلسطين)، وكذلك مصر، صحارى ذات مساحات شاسعة. المناطق المرشحة أن تكون قد جلب البقر منها هي محصورة في: العراق أو الشام/ فلسطين و/ أو مصر، أو من الأحساء. طبعاً في حالة أنها جلبت بالفعل من خارج المنطقة، فأُرجح أولاً أنها جلبت في أوقات الشتاء/ الربيع، حيث إمكانية تجنب المشي في أيام الصحراء، وخاصة أن البقر، بعكس الإبل/ الجمال لا تتحمل الصحراء وحرارتها الشديدة. وعلى هذا الأساس أرجح أيضاً، وثانياً، أن تكون من فلسطين/ مصر، خاصة أن فلسطين ومصر من جنوب فلسطين هي الأقرب إلى الجوف، وكذلك لتشابه نوعية البقر الموجودة في مصر وفي الجوف من حيث إنها ذات سنام صغير. ومع ذلك فإن العراق، وإن ليس مؤكداً، وخاصة جنوبه ومنطقة (النجف/ كربلاء) قد يكون هو مصدر بقر الجوف، حيث قرب الجوف للعراق، ولما للتداخل التاريخي بينهما فيما قبل الإسلام. في فترات متأخرة وحديثة، وفي حدود ما قبل السنوات السبعين/ أو المئة التي خلت، هناك من تحدث على أن بعض الأهالي من أهل الجوف (من اللقائط/ سكاكا) من اشتغل بتجارة المواشي، ومنها «الحمير» وجلبها من العراق إلى الجوف (العوذة، عايد، لقاء وحديث، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١ ملخص)، علماً أن الأنواع الشهيرة من الحمير المعروفة والمستخدمة بالجوف هي إما «الشهري» و/ أو «الحساوي». ويبدو أن نوع الحمار «الحساوي»، وإن قدم/ جلب للجوف من العراق، فهو بالأصل من الأحساء سواء كان بالتصدير المتواصل للعراق أو بالتوطين والتنشئة لها في العراق. هذا يعني، بالقياس، أن الأحساء قد تكون مصدر «البقر» في الجوف عبر العراق، وليس من الأحساء مباشرة. قديماً أيضاً قد يكون العراق أو الأحساء/ القطيف أو حتى فلسطين ومصر هي مصادر جلب البقر للجوف، وفي أوقات وأيام أسواق العرب ومنها ما تعلق بالجوف «سوق دومة الجندل» والذي كان يُقام في شهر ربيع من كل عام تقريباً. ونقلاً عن سعيد الأفغاني «**أسواق العرب**» وجواد علي «**تاريخ العرب المطوّل**» فإن سوق دومة الجندل «كان... من أكبر أسواق العرب وله أثره الكبير قبل الإسلام، فكانت تحضره القبائل العربية، ويُقام في أول يوم من شهر ربيع الأول ويستمر البيع والشراء والأخذ والعطاء وفكاك الأسرى وجمع الديات والإصلاح بين القبائل ويتولى حماية هذه السوق وتعشيرها رؤساء دومة الجندل وهم الأكيدر

---

(١٣) عن البقر في الجوف (دومة الجندل) في عام ٩ للهجرة المصدر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، ط ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨). والرواية نفسها تقريباً موجودة في (ابن الأثير، ٢٠٠٦: ١٥٢، ج ٢): أبي الحسن علي... الشيباني بن الأثير، **الكامل في التاريخ؛ من سنة ١ لغاية سنة ٢٩ للهجرة**، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، ط ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، ص ١٥٢.

من السكون[١٤] وآل قنانة من بني كلب أو ذوي صلة بهم، ويمتد قيام السوق إلى آخر الشهر، حيث ينتقل السوق العام إلى سوق هجر في البحرين...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ١٥٩) عن سوق دومة الجندل وعلاقة الأحساء/ القطيف التجارية بالجوف، يُشار إلى أنه ومع «بداية التاريخ الإسلامي بالهجرة المباركة بدأ المسلمون يتعرضون لقوافل قُريش وتأثرت الطرق التجارية بين اليمن والشام، وفي الوقت نفسه كانت الحروب بين الفرس والروم... فكانت هذه الحوادث من الأمور التي أعطت أهمية كبيرة لسوق دومة الجندل وللطريق المار من هجر والإبلة، والقطيف إلى دومة الجندل ثم إلى الشام عن طريق وادي السرحان أو إلى فلسطين عن طريق معان حتى غزة ثم مصر...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ١٦٢)[١٥].

٧ ـ أهل الجوف والشام: مفارقات التواصل وضعف المكتسبات المعرفية/ الثقافية: أهل الجوف وما جلبوه من الغربية (الشام/ فلسطين)

الآن في سياق تواصل مع المحيط، وبالذات مع الغربية (الشام/ فلسطين) لم ينقطع لأعداد غير قليلة من أهل الجوف طوال فترة تمتد إلى ما قبل ١٨٥٠ وحتى تقريباً ١٩٥٠، ولم يستفد منها بدرجة تذكر في تطوير وترقية ممارسات ثقافية لديهم و/ أو نقل ممارسات ثقافية (لا زيتون ولا جبن ولا صابون... إلخ) لامسوها وشاهدوها هناك، يبقى لنا سؤالان جوهريان متصلان بالأمر والحالة: الأول يتعلق بـ «ماذا؟»، والثاني يتعلق بـ «لماذا؟». سؤال «لماذا» بما يعني ويتعلق بالتفسير فنؤجله إلى ما بعد الإجابة على «ماذا؟». أما سؤال «ماذا؟» فالقصد منه هو: في سياق ما تقدم من تواصل أهل الجوف مع المحيط الشمالي للجوف (الغربية، الهلال الخصيب وبالذات الشام وفلسطين، وما حولهما)، فبماذا اهتموا به هناك من أشياء وممارسات، والمهم ما الذي جلبوه منها للجوف؟

في الجواب عن ماذا اهتم أهل الجوف به هناك في الغربية وما الذي جلبوه منها معهم في عودتهم للجوف، سألت عدداً منهم: ما هي الأشياء التي جلبتموها معكم من هناك؟ فكانت إجاباتهم تبدو متطابقة تثير الدهشة! ونضرب أمثلة عليها، ومنها: يقول سعود منور الفياض (الشلهوب/ سكاكا)، والذي على ما يبدو ذهب للغربية في وقت ما من أواخر عقد الـ «١٩٣٠s م» أو أوائل الـ (١٩٤٠s م) أو في حدودهما زيادة أو نقصاً ببعض السنوات، رفقة مجموعة من جماعة الشلهوب، ومنهم على ما يذكر عارف العساف ومحسن المطرود، وآخرين، يقول، وأنا هنا أُلخص كلامه؛ ذهبنا هناك (خربة غزالة/ درعا ـ حوران) من أجل الشغل (البحث عن العمل، وفي الغالب، يتعلق بالقيام بأعمال الحصاد ونقله من المزرعة للبيدر في

---

(١٤) سكان الجوف (سكاكا ودومة الجندل) قبيل وبعيد الإسلام يبدو أنهم من «السكون والسكاسك» من كندة، مع آخرين من قبيلة «كلب» القضاعية (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ١٣٠، ١٣٣، ١٤٤ و١٥٩). ويُشار إلى أن «الأشرس بن مرتع هو أخو كندة، وهو أبو السكون والسكاسك، حيث يُنسب السكاسك إلى خميس السكسك بن أشرس بن ثور، وكان أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل من السكون، وأخوه بشر بن عبد الملك، كما يذكر أنه، ذهب إلى الحيرة وتعلم بها الخط ثم رجع إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان ومنه تعلم أهل مكة الكتابة» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ١٢٩).

(١٥) علماً أن «هجر» هي في البحرين، و«الأبلة» هي مدينة قرب البصرة...» (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ١٥٩ و١٦٢). ونقلاً عن: «القلقشندي في كتابه **الأنساب**، يشير الرحالة «والن» إلى أن دومة الجندل كانت ضمن أسواق العرب يأتيها العرب من قريب وبعيد، في أول ربيع الأول وحتى آخره... إلخ (والن، رحلة، ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٩).

حوران و/ أو إزالة الأتربة من القلبان/ الآبار... إلخ) وكانت الأجرة اليومية حوالي نصف ورقة (ليرة/ دينار؟). ويقول إن المعزب (صاحب وأهل المزرعة) يقدمون لهم الطعام كمصروف مجاناً، والذي يبدو يتكون من «خبز وخاثر/ خيثور» (زبادي) في فطور الصباح، وفي العشاء ليلاً يقدمون لهم «البرغل» المطبوخ، وأحياناً في بعض الوجبات يوفرون لهم الزيتون والجبن، والسردين! وفي الغالب، كما يقول سعود الفياض، نجلس بحدود الشهرين، حتى آخر الحصاد. وأما عن سؤال الحاجات التي جلبوها معهم فيقول: ١ ـ قهوة (حب البن)، و ٢ ـ هديمات (هدوم/ ملابس)، و٣ ـ أباريق و٤ ـ محماسة ((المحماسة في الغالب لتحميص حب القهوة))، وهذه كلها نجلبها، كما يقول سعود الفياض، للبيوت وليس للتجارة (الفياض، سعود، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٣ من ٦ ملخص). سليمان عودة الفلّاح (المعاقلة/ سكاكا)، والذي يبدو أنه سافر للغربية في وقت ربما مقارب لسفر سعود منور الفياض ومجموعته، وفي الغالب، بعدها لأن سليمان العودة يشير إلى سفره رفقة كل من «محمد السلطان ومنصور النمر، وأحمد البنية» عبر سيارات، يقول إنها لشخص يدعى «عبد الرازق؟» وناس آخرين يستأجرونها لجلب الخضرة من عمان لسكاكا آنذاك، وهو يؤكد أنها قبل قبل حرب فلسطين ١٩٤٧/١٩٤٨م؟. وفي رد منه على سؤالي له، وهو: «يوم جيتوا من فلسطين/ الغربية وش جبتم معكم؟: رد وقال: « جبنا القشل ودقاقة ((القشل تنطق محلياً التسشل، وهي تعني الشيء التافه و/ أو الذي لا يسوى شيئاً يذكر)) ...والله نشتري هديمات ((ملابس))... وشي عازه ((حاجة))... ما فيه فلوس... اللي يحصل له ميتين أو ثلاثمية ((ريال/ ورقة)) اللي معه شين ((شيء من مال)) يجيبه لعياله...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٩ ـ ٢٢، ٢٥ من ٣٩ تفريغ، ج ٢ ش ٢). **أما سعد الطارف،** المؤرخ الشفهي الأشهر لتاريخ الجوف، وبالذات في سكاكا والمعاقلة على نحو خاص، والذي يبدو أنه ذهب للغربية (الشام/ حوران)، رفقة والده وهو لا زال صغيراً، ويبدو أن ذلك حدث في نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر، أو على الأرجح في أوائل العقد الأول من القرن العشرين(؟) أو في حدودهما زيادة أو نقصاً بسنوات قليلة، فيقول إنه وبعد أن تسلف أبوه من امرأة تدعى «شفاقة(؟)» ((يبدو أنها آنذاك واحدة من الأقرباء و/ أو الجيران ـ الباحث)) مبلغاً قدره ثلاث ريالات مقابل ستة أكيال من التمر غربنا ((يقصد الشام/ حوران) واللي أدرك بها أول سنة شراء به أبوي ٣٢ ثوب... وأرسلهن، مع بدوي، مع كتاب ((ورقة/ رسالة فيها كيفية توزيع الثياب ولمن))؛ لفلان كذا، وفلان كذا... وغدابهن من ذاك اليوم والليلة ((يعني البدوي لم يوصلها وصادرها لحسابه)) وروحنا من سورية على بعارين ما وصلنا القريات غير على سابع يوم... بعدين إلى ما طبينا ((حتى وصلنا)) الجوف ((يقصد دومة الجندل))... وروحنا من الجوف ((يقصد إلى سكاكا)) على رجلينا... ولا معنا غير... والله ما قدامنا غير اللي معنا... حول مدّين طحين أعطيناها صدقة... وحول ثلاث أمداد... شالهن أبوي على ظهره... وروّحنا... لمولنا السلطان وشاقي... وبنيان محفر... ومن دقلنا محفر... وخوالي... ما قصروا.. مشفي أعطانا محفر... ولافي أعطانا محفر وجازي... محفر ((يقصد سعد أنه لما رجعوا وليس معهم شيء فقد تعاضد معهم بعض أقربائهم ولموا لهم وجمعوا لهم تمر، كل واحد قدم مقدار محفر تمر، ربما لسداد الدين الذي على والده لـ «شفاقة»، والباقي ليأكلوا منه)) (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٧ ـ ٨ من ٩ تفريغ). وعندما كنت أسجل مع سعد الطارف في عام ١٩٨٩م، وكان يتحدث عن الذهاب للغربية للشغل تدخل ابنه سليمان سعد الطارف

وذكر قصة مثيرة عن إحدى المجلوبات من هناك للجوف وألخصها عن لسانه على النحو التالي: «... في إحدى سفرات أهل الجوف للغربية وحين عودتهم للجوف قام شخص منهم ويبدو أنه... أخو سميحة من المفلح/ الدغيفق وحمل على ظهرة خابية» جرة كبيرة من فخار» من الغربية حتى وصل إلى سكاكا مشياً على الأقدام، وهي محملة بالماء... ويقول سليمان الطارف أن رفاقة بالبداية تساءلوا كيف؟ فقال لهم أخو سميحة عندما اشتري «الخابية» ونشرق لسكاكا، أنا عليّ نقل الماء؛ أنتم ما تريدون الماء والزهاب؟ أنتم خوذوا زهابكم (طعامكم)، وأنا عليّ الماء، وهذي «الخابية» غير أطسها (املأها) من تمر القاعية (القاعية هي حوطة/ مزرعة أهل أخو سميحة). وعنما اشترى «الخابية» وقرروا العودة، طلب منهم أن يرفعونها على ظهره بعد ملئها بالماء، وكان كلما أرادوا أن يشربوا يقوم أخو سميحة بالتفحيج (فحج) ثم ينزلونها ويشربون منها ثم يشيلونها مرة أخرى على ظهره عند المشي. استمر الحال هكذا حتى وصلوا سكاكا، وبالفعل وضعها في «القاعية»...» (الطارف، سليمان سعد، في: الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٥ من ٢١ تفريغ). نتذكر بحدود عام١٩٠٧/ ١٩٠٨م أن ابراهيم العيشان، رفقة مجموعة من الشلهوب كانوا بالغربية (الشام) عند ما وقعت واقعة ما عرف بـ « كون الظلي ـ صيف ١٩٠٧م»، وعندما وصلهم الخبر قفلوا عائدين، وقام «ابراهيم العيشان واشترى بارود كويتية ((بندقية)) وحق خرز ((علبة خرز)) وملح ((بارود))، وكذلك فعل كل من خلف الدغمان، وفيصل المطرود، ورمان الحمد، وعتيق، ومصارع الظلي... أشتروا كويتيات وخرايط ((أكياس ـ الباحث)) ملح وخرز... وشرقوا على رجليهم... لسكاكا عبر دومة الجندل... ونزلوا عند «الحسن»... و قالوا يريدون من يفوتهم على العباس... وزهابهم خبز خذوه من النعيّمة ((نعيّمة سورية)) يأكلون منه ويمشون... روحوا على رجليهم بملح وكويتيات وزهاب...» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٤ من ٢١ تفريغ).

لاحظ أنه باستثناء مجموعة ابراهيم العيشان (الشلهوب) في حدود عام ١٩٠٧م/ ١٩٠٨م، فإن الغالبية العظمى من أهل الجوف، بل الأرجح كلهم، من العاملين في الشام/ فلسطين لم يجلبوا معهم من الأشياء سوى أشياء بسيطة جداً تتعلق بمتطلبات معيشية مباشرة ومحددة، من مثل القهوة وبعض الملابس وبعض متعلقات بالتمر (الخابية مثلاً كما مر بنا)، ولكنهم فضلاً عن إغفال وإهمال ممارسات ثقافية ذات شأن في ترقية حياتهم حتى الزراعية، كما أشرنا إلى بعض منها آنفاً، فإنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء جلبها للجوف، وربما حتى لم يفكروا مجرد التفكير فيها! بالنسبة لمجموعة ابراهيم العيشان وكونهم اشتروا سلاحاً، وجلبوه معهم للجوف (سكاكا)، فالسبب في الغالب يعود لنشوء اهتمام طارئ لديهم متعلق بالوضع الأمني (الصراع/ القتال) في سكاكا، وعلاقتهم بموضوع واقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م» حيث بلغهم أمرها وما جرى في قصر الظلي في الطرف الشرقي الشمالي من حيهم (الشلهوب) بين القرشة من جهة والمعاقلة والشلهوب من جهة أخرى، وربما اعتقدوا أن الوضع الأمني لا زال غير مستقر و/ أو أن القتال لا زال جارياً أو أنه، وإن توقف، فمن الممكن أن ينفجر من جديد في أية لحظة، ولذلك كان همهم الأساسي ليس حتى في إحضار وجلب متطلبات معيشية لأهلهم هم بأمسِّ الحاجة لها، وهم بالأصل ذهبوا من أجلها، وإنما في السلاح وقد استعجلوا العودة عندما وصلهم خبر واقعة كون الظلي. لاحظ سيطرة التفكير بالأمن (الصراع/ القتال)، والانشغال به عند عودتهم ومرورهم بالجوف (دومة الجندل)،

حيث إنهم نزلوا عند حلفاء المعاقلة «الحسن»، وكذلك طلبهم من «الحسن» أن يُفوتوهم إلى الحليف الآخر للمعاقلة في دومة الجندل، وهم «العباس»، ليقوم الأخيرون (العباس) بتأمين مرورهم من دومة الجندل إلى سكاكا، دون أن يتعرضهم حلف القرشة في دومة الجندل (أهل خذماء والدرع... إلخ). عليه نقول: لو لم تحدث واقعة كون الظلي فالغالب أنهم لن يشتروا ويجلبوا معهم السلاح وذخيرته، وإنما سيكون حالهم حال الآخرين من أهل الجوف بالتركيز على أمور معاشية مباشرة.

ثالثاً: في تفسير بنية التخلف المعرفي الثقافي بالجوف

١ ـ وجهات نظر واجتهادات في التفسير

أشرنا في ما سبق إلى أن المسألة الثقافية بالجوف ١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م، وفيها فترة بنية التخلف المعرفي الثقافي، وما يهمنا منها ينحصر في فترة (١٨٣٠s ـ ١٩٣٠s م)، وبشكل أكثر تحديداً فترة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م). الآن وقد أجبنا على سؤال ماذا، أي ماذا جلب أهل الجوف للجوف خلال عملهم في وتواصلهم مع المحيط الشمالي (الهلال الخصيب، وبالذات الشام وفلسطين) من أشياء وممارسات ثقافية، ولفترة تعود لأكثر من ١٠٠عام قبل ١٩٥٠م، يبقى السؤال، وقد رأينا أنهم لم يجلبوا شيئاً يذكر، فلماذا هذا الإغفال والإهمال للترقي المعرفي (التعليم: القراءة والكتابة) والثقافي (ممارسات ثقافية متطورة)؟ طبعاً للإجابة على هذا السؤال، فقد توجهت به لعدد من الأشخاص الذين ذهبوا هناك، وكذلك لبعض من أبناء الجوف المعاصرين والمهتمين بالشأن العام في المنطقة، ولذلك وقبل أن أصل إلى ما أراه تفسيراً مقنعاً للأمر بكلياته، وحرصاً على إشراك أهل الجوف في الإجابة عن التساؤل، فسوف نمر على مقتطفات من إجابات عدد ممن تقدمت الإشارة عنهم للتو، أولاً بمن ذهبوا للغربية، ثم بآراء بعض من أبناء أهل الجوف المعاصرين.

كل الإجابات التي تحصلت عليها سواء من الذين ذهبوا من أهل الجوف للغربية (الشام/ فلسطين)، أو من أبناء الجوف المعاصرين والمهتمين بالشأن العام في الجوف وقضاياه، والذين على الأقل قابلتهم و/ أو تحدثت معهم بهذا الشأن، كانت ترجح الفقر وقلة الحيلة، بينما آخرون أشاروا إلى الفقر وعدم الاستقرار على أنها طوال الفترة تحت الاهتمام والتركيز (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م) وراء عدم الاهتمام بالترقي المعرفي (التعليم: قراءة وكتابة) والثقافي (الممارسات الثقافية) لأهالي الجوف، بمن فيهم من ذهب للغربية، وكان همّه العمل والعمل فقط، ليكسب بعض المال/ النقود (أجرة) فيشتري به بعض الحاجات المعيشية الضرورية لأهله في الجوف.

لن نورد كل الإجابات، وإنما عيّنة منها، خاصة وأن فيها قدراً من التشابه الكبير. وحيث إننا نناقش التخلف المعرفي والثقافي في ضوء تواصل احتكاك مع الغربية (الشام/ فلسطين) من قبل مجموعات غير قليلة من أهالي الجوف على مدار الفترة تحت الدراسة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠)، وربما تمتد إلى ما قبلها بعقود، ودون استفادة تذكر لهم وللجوف في التطوير والترقي المعرفي والثقافي، فإننا سوف نورد بعض

أمثلة/ عينة لإجابات بعض ممن ذهبوا هناك خلال الفترة تحت الدراسة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، وربما نقرنها بوقائع ذات صله شاهدها وسجلها بعض من الرحالة الغربيين الذين زاروا الجوف.

لنتذكر كل المجموعة السابقة و/ أو الأفراد من أهالي الجوف والذين أشرنا إلى ذهابهم للغربية، فقد أجمع من تحدث معي منهم، على أن ذهابهم أو سفرهم للغربية كان بدافع البحث عن عمل هناك ولا سواه. ورأينا أن بعضهم مشى على الأقدام من الجوف (سكاكا في الأمثلة السابقة)، وحتى سورية/ حوران، كما فعل سعود الفياض وآخرون معه (الفياض، سعود منور، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ٦ ملخص)، بينما الآخر، وإن ركب مع القوافل من الجوف (دومة الجندل) حتى الشام/ حوران أو العكس، لكن في البداية أتى من سكاكا لدومة الجندل مشياً على الأقدام وكذلك كانت النهاية عند العودة، كما فعل سعد الطارف رفقة والده (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٧ ـ ٨ من ٩ تفريغ)، وكان زاد بعضهم قليلاً جداً أو لا زاد سوى العشب وبعض الصيد، في الطريق، إن حصل (الفياض، سعود منور، مقابلة، في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ٦ ملخص)، وبعضهم اضطر لاستلاف بعض النقود ليجهز نفسه للسفر، ولكنه كبل نفسه بديون لاحقة كما فعل سعد الطارف ووالده في سفرتهما (الطارف، سعد (III)، ١٤١٤هـ: ٧ ـ ٨ من ٩ تفريغ).

عندما سألت سليمان العودة الفلّاح (ابو محمد) عن القراءة والكتابة، وما الذي جلبوه والذي لم يجلبوه معهم ولماذا؟ دار الحديث بيني وبينه على النحو التالي، قلت أنا ((الباحث)): «يا بو محمد يوم رجعتوا من فلسطين... من رجع منكم يوم انك رجعت؟ رد وقال: «خويانا.. كلنا رجعنا..»، **فسألته مستفسراً: «ولا أحد منكم قرأ (تعلم القراءة والكتابة) هناك؟ رد وبدون تردد: «وشوله نقرأ.. ((لماذا/ ليه نقرأ))... حنا رايحين نقرأ، وإلا نشتغل...»!** وكنت قد سألته قبل هذا عن: «يوم رجعتوا من فلسطين.. وش جبتوا معكم؟ رد أبو محمد وقال؛ جبنا القشل ودقاقه...»، **قلت له: «لا...لا... شجر ليش ما جبتوا زيتون»؟ رد وقال؛ «ما حنا يمه»** ((أي لسنا مهتمين به))، وسألته: مثل الزيتون... أنتم تشوفونه؟ رد وقال: يا رجال ما هنا فلوس... تسوى... معنا ثلاثماية إلى أربعماية ريال... ما تقضي تجارة... لعنك... ((إذا ما)) أشتريت لعيالك مقسوم الله... هذولي قليلات...»، فسألته: أكلتوا زيتون هناك؟ فرد وقال ضاحكاً: «ما تدري وش تأكل؟»، رغم أنه في إحدى المرات قال لي: «لا والله ما أتذكر...»، ألححت عليه بالسؤال، لمّا رجعتوا من فلسطين ليه ما جبتوا معكم شجر وزيتون؟، قلت له: «أنا صادق يا أبو محمد...»، قال، بعد أن تدخل «عبد الهادي السلطان»، والذي كان معنا في المقابلة ومنسقها، طالباً منه التوضيح لأهمية الأمر للبحث والباحث: **«ضعف الناس... أقول... اسمع... والله ضعف...»، مشيراً إلى قصة توضح حالة التردي/ الضعف والجهل،** فيقول: «... اشتغلنا بعمان... بالدويخلة... طب راشد القايد عند بنيخيه ((ضاف عن أقربائه)) وطب عبد الرحمن الفالح عند المفرح ((أقرباؤه)). هذولاء الراشد «بهروا بدخان ((بهروا القهوة بالفحم بدلاً من الهيل أو المسمار)) بالليل لـ «راشد»!... وهذولاء المفرح طبخوا لعبد الرحمن الجريش بالليل يحسبونه سكر ((بدل السكر ربما لعمل الشاي/ الشاهي)) يوم صبوا... لمارهن.. ((إذ بهن)) كلهن ما يصلحن... بالليل ما يدرون وشو... حالة الردى... لكن عزومهم طيبة...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٦ ـ ٢٠، ٢٦ من ٣٨

من تفريغ ج ٢ من ش ٢). ويذكر سليمان العودة الفلّاح، قصة موت عدد من أهالي الجوف (سكاكا) في مكان حول «ضبيعة»؟ نتيجة ضعفهم وقلة حيلتهم، وهم على ما يبدو قد تاهوا/ أو انهاروا جوعاً وعطشاً من الإعياء والمشقة، أثناء العودة من و/ أو بالذهاب إلى الغربية (الشام/ فلسطين)، وعلى وقت حكم ابن شعلان، وهو ما يعني أن الواقعة حدثت في عام ما ما بين ١٩٠٩م ـ ١٩١٨م،/ أو في المرحلة الأخيرة ووجودهم الأخير ١٩٢١/ ١٩٢٢م، والأرجح في الفترة (١٩٠٩م ـ ١٩١٨م)، فيقول أبو محمد، راداً على تساؤل عن الواقعة وأشخاصها من «عبد الله عايض الزيد»، والذي دخل علينا وقت المقابلة وحضر جزئياً بعضاً منها: « هذولاك اثناعشر شخص... منهم سالم العقلاء يوم، الله بغى له حياة... من فزة الروح راح يركض وقع... ويقول كولن يالغربان من كتوف أخو خليفه ((أي كلن/ كلوا أيتها الغربان من جسدي يقصد نفسه))... ولا هاك... ((وإذ بـ)) أهل الذلولين يوم شافوه... ونوخوا عنده... ونقطوا باثمه سمن ومويه لما سلم... وهذولاك ((يقصد البقية الأحد عشر)) ارسل ابن شعلان ابن منفور... وأختف عقله... يوم وتوا، لمار ((إذ بـ)) هالناس ميتين وهم قاعدين..» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢٧ من ٣٨ من تفريغ ج ٢ من ش ٢).

تُذكرنا هذه القصة بقصة مشابهة عن حالة الضعف والتردي لأهل الجوف، وقد أصابهم العطش وأوشكوا على الهلاك، يذكرها الرحالة أرتشيبالد فوردر، في رحلته للجوف عام ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، فيقول إنه وفي اليوم الثالث لمغادرته للجوف، «...أخذتنا المفاجأة عندما رأينا رجلاً عن بعد يتجه إلينا فتحرك بعض رجالنا لمقابلته، ولم يعرفوا ما إذا كان كشافاً لعدو أم صديقاً. جاؤوا بذلك الشخص إلينا. ولم يكن قادراً على الكلام، وأشار في طلب الماء، فأعطيناه الماء. وقال إنه واحد من تسعة أشخاص تحركوا عبر الصحراء على ظهور جمالهم، وكانوا مزودين بالماء والطعام، ولكن اعترضهم قطاع طرق ونهبوا منهم كل شيء، ولثمانية أيام ظلوا بلا ماء أو غذاء، وأن زملاءه مطروحون على الرمال بلا حراك على مسافة غير بعيدة من هنا، وعبرت قافلتنا من بعيد فرأوها، وكان هو الأقدر على الحركة فجاء إلينا. وأعطيت الرجل قربة ماء وشيئاً من دقيق وتمر وغادرناه مبتهجاً بحظه السعيد...» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢م: ٣٣٤). وفي ذات المساء ليوم القصة السابقة، يورد الرحالة فوردر قصة ليس مؤكداً إن كانت امتداداً للسابقة أم أنها أخرى منفصلة، والأرجح أنها منفصلة؟ ولكنها على أية حال مشابهة لها وتدور حول أناس من أهل الجوف، فيقول، عطفاً على يوم القصة السابقة (وتقريباً عند مكان يبعد عن قرية «إثرة» بيوم واحد): «... وفي ذلك المساء، وبينما كنا نعسكر في الوادي... حول النار... انتقل الهمس... بأن أصواتاً تأتي من الوادي... وبعد قليل سمعنا أصوات البنادق وتخيلنا الأصوات التي سمعنا أصوات أعداء، ولكن بتتبعنا لأصوات البنادق سمعنا صرخات ترحيب، أصدقاء... أصدقاء... وبعد عشر دقائق عاد رجالنا ومعهم ١٢ رجلاً من ذوي الوجوه المتوحشة التي يندر أن يراها الإنسان. **بنظرة واحدة في تلك الوجوه الكالحة، يدرك المرء أن أصحابها عانوا الحرمان والإرهاق**. تم إعادة إشعال النيران، وابتدأ السمر وأعدت القهوة للضيوف الجدد حيث أخبروهم بقصتهم وهي باختصار: **لقد تحركوا من الجوف قبل أسبوعين بهدف الوصول إلى دمشق للبحث عن عمل، ولم يكن لديهم جِمال**[١٦]، ولكن

(١٦) لاحظ أنهم مسافرون مشياً على الأقدام/ الأرجل للشام/ سورية بحثاً عن عمل (الباحث).

معهم طعام يكفي لفترة، إذا استمر الحال على ما يرام، ومعهم قرَب للماء فارغة ليملؤوها إذا وجدوا ماء في طريقهم، حيث كانوا يفترضون وجوده. **جلد القرب هذه كان جافاً فتشققت ولم يشربوا ماء لفترة طويلة. كما أن عدم معرفتهم بالطريق جعلهم يتيهون في الصحراء، فانتهى الطعام والشراب الذي كان معهم. واستمروا يضربون في الصحراء بلا هدى لمدة خمسة أيام جوعى وعطشى ومرهقين**. وفي ذلك اليوم وقعوا على أثر أقدام جمالنا فتابعونا حتى وصلوا إلينا حيث نعسكر. أُعد لهم الخبز، وبينما يتم خبزه، أعطيتهم كمية جيدة من التمر الذي أحمل معي فشكروني، **وفي اليوم التالي سافروا معنا**» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

هذه الواقعة، أعلاه، التي يرويها فوردر حدثت في عام ١٩٠١م، ولكننا فوقها وقبلها، لو عدنا إلى الوراء بأكثر من ثلاثة عقود، وتحديداً إلى كل من عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ على وقت زيارة الرحالة تشارلز هوبر، وكذلك إلى عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، وعلى وقت زيارة الرحالة الإيطالي كارلو غوارماني، لوقعنا على قصص مشابهة و/ أو أشد قسوة وترويعاً وقعت لبعض من أهالي الجوف الذين كانوا في طريقهم للشام لوحدهم، أو من كانوا يرافقون قافلة الرحالة غوارماني في رحيله من الجوف عائداً إلى إثرة وكاف فالشام/ فلسطين، وهي قصص ما يهمنا منها هنا إلا لكونها كاشفة للضعف المعاشي ولقلة حيلة أهالي الجوف، آنذاك، داخل الجوف، وللمخاطر التي يتعرضون لها من محيط متوحش عدواني لا فكاك من التعامل معه، وعبوره غرباً. الرحالة هوبر، في رحلته وطريقه من كاف إلى الجوف (دومة الجندل)، رفقة شيخ كاف (عبد الله الخميس)، في ٢١/ ٥/ ١٨٧٩م، يقول التالي: «في منتصف النهار رأينا منظراً، وهو للأسف يتكرر كثيراً في الصحراء، فبينما كنا ندخل في مجرى وادي السرحان قابلنا واحداً ثم ثلاثة أشخاص يحتضرون، ثم بعد ذلك بقليل وقعنا على جثة آخر. إنهم أربعة من فقراء الجوف تجرأوا على الخروج بمفردهم سيراً على الأقدام منذ ثمانية أيام، بهدف الوصول إلى كاف ثم إلى دمشق، ولم يحملوا ماء وبدون مؤونة، وقد كانوا يأملون وجود مخيمات للبدو، ومن خلال التنقل من مخيم إلى آخر قد يصلون إلى هدفهم. لم يعد على هؤلاء الأفراد إلا الجلد والعظم كما يُقال في الأمثال. أما الجثة فقد كانت ممزقة تقريباً وعارية تماماً، وأصحابه الثلاثة، ورغم أنهم على وشك الموت فإنهم تقاسموا ثيابه الممزقة. أعطيت كل واحد منهم لترين من الماء تقريباً، وبعض الدقيق، الذي أكلوه في الحال. لاحظت أن عبد الله أشار لهم في اتجاه إثرة، وذلك لكي يوفر على بيته مؤونة غذائهم» (هوبر، رحلة، ١٨٧٩، في البادي، ٢٠٠٢: ١٥٤ ـ ١٥٥).

إلى الوراء بخمس عشرة سنة تقريباً، الرحالة الإيطالي يروي القصة التي وقعت ما بين ١٧ ـ ٢٢ أيار/ مايو من عام ١٨٦٤م، ونوردها مختصرة بعض الشيء، على النحو التالي: «بعد صلاة الصبح يوم ١٦ أيار/ مايو، كان موعدنا مع القافلة التي يرأسها دهيري، وانطلقنا من الجوف إلى كاف... في اليوم السابع عشر، وقد كنا معتمدين على كثرة عددنا، حيث كنا مائة واثنين وثمانين رجلاً، وأغلبنا مسلح، وعند عبورنا ممراً بين مرتفعات رملية بالقرب من بئر الجراوي، هاجمنا خمسة رجال من البدو... هؤلاء الخمسة شياطين، أعاقونا لما يقارب الساعة. كانت صيحتهم الحربية «أخو جوزاء» و«عبد الشعلان». تقدم هؤلاء الرجال وأطلقوا النار من بنادقهم ـ ولحسن الحظ بدون تصويب ـ ثم ولّوا مدبرين بسرعة...

انتهت أربعة أيام منذ غادرنا الجوف، وعدا الحادث الذي مر بسهولة ويسر لم يعترض سبيلنا شيء... عند اليوم الخامس... وعند بداية شروق الشمس... لاحظت امرأة شرارية جمعاً بدوياً كبيراً في أفق السهل... إلى يسارنا... هذا الجمع... يقارب المائتين... أمرنا القائد دهيري أن نعطف إلى اليمين... إلى صدع في تلال بازلتية، حيث وضعنا القافلة في مكان آمن. وضع ستون رجلاً مسلحاً من جمعنا في موضع دفاعي، عند مرتفعات مجاورة لنا للدفاع عند الضرورة. اتجه البدو إلى موقعنا بهدوء، واحد بعد آخر، وكان عددهم مائة وستين رجلاً... وقبل وصول قمة تلنا أنذرهم رجالنا المسلحون والمستعدون للدفاع عنا، للتوقف. لقد أطاعوا الأمر وتوقفوا. سألهم دهيري عن نيتهم، فأجابوا بأنهم شرارات، وأنهم سمعوا أن طلال بن رشيد موجود في منطقة الحماد، وأن لا خوف منهم، وهم عائدون إلى خيامهم... كان الدريبي هو الشخص الوحيد الذي شك في كلامهم. بعد الأمر بأن لا يتحرك أحد بما فيهم دهيري حتى يعود، أخذ جملي ونزل الوادي، ولكنه توقف على مسافة معقولة من جمع هؤلاء البدو، فتفحصهم بشكل جيد، فتأكد أن بعضهم شرارات، ولكن ليتأكد أكثر طلب من أحد الشيوخ أن يتبعه، بعد ذلك استدعى أحد الشرارات المرافقين لنا وسأله إن كان يعرفه. لقد تعرف مرافقنا على... دغمان شيخ فرع الضباعين من... الشرارات. تأكدنا من هؤلاء البدو... غادرت القافلة بعد ذلك التلال بأمان ورجعنا إلى السهول، لكن الشرارات تقدموا إلى مواقعنا السابقة التي ابتعدنا عنها. هذا التقدم من جانبهم، واحتلالهم لموقعنا السابق جعل بعضنا يرتاب بالأمر، لكن كان من المستحيل العودة. قسمنا مجموعتنا إلى ثلاثة أقسام... بقي البدو بدون حراك لما يقارب عشرين دقيقة، وبعد ذلك تبعوا مسارنا لما يزيد على الساعة، ولكنهم لم يقتربوا في الواقع إلى الحد الذي يكونون فيه على مرمى بنادقنا، لم نفهم ما الذي يجري. كان هناك خمس عائلات من الشرارات، عائلتان منهم ينتسبون إلى قبيلة الضباعين، مثلهم مثل الجماعة التي تبعتنا. الدريبي كان من بني صخر لذلك كان محترماً منهم. أما بقية القافلة فهم من أبناء الجوف، والذين يحتفظون دائماً بعلاقات حسنة مع الشرارات. لقد بدأنا الآن، وبسبب متابعتهم لنا بإظهار بعض المشاعر العدوانية. كان الشباب الذين ضمن قافلتنا يغنون معظم الوقت... وبعض الشباب خرجوا عن الخط وبدأوا يرقصون ويرمون ببنادقهم إلى أعلى ويلتقطونها قبل أن تقع على الأرض. فجأة بدأت جمال المتابعين لنا بإسراع الخطى والاندفاع إلى الجانب الأيسر لنا، الذي دافعنا عنه بحزم، وعندما استداروا إلى الأمام وبدأوا بإطلاق ما يقارب مائة رصاصة مع صيحات الحرب الخاصة بهم (أخو جوزاء وشعلان) كما كان يفعل الخمسة الذين قابلناهم يوم ١٧ أيار/ مايو، الذين تعرفنا عليهم الآن في مقدمة مهاجمينا. اتضح الآن الغموض في الأمر، فمهاجمونا هم من الشعلان الذين يقودهم حامد بن بنية. أما الشرارات الذين معه فهم تحت قيادته لفترة محدودة، فالجميع ضد طلال بن رشيد في قضية واحدة. توقفت القافلة، وقاتلت لمدة ساعتين، رغم الحذر والابتعاد قدر المستطاع عن موضع المعركة. الشرارات المرافقون لنا لم يشاركوا في النزاع، ولكنهم قدموا أسلحتهم لأبناء الجوف، الذين ليس معهم سلاح. أنا نفسي لم أطلق أية طلقة لأنني لا أريد أن أضيع ذخيرتي مع الريح. فنحن لا نملك إلا ٦٥ بندقية ضد ١٤٠ بندقية على الأقل مع الطرف الآخر. وفي الأخير أمر دهيري وقف إطلاق النار موضحاً أنه يريد الاستسلام. ستة رجال من البدو المهاجمين تقدموا باتجاهنا، عرضنا عدة مقترحات عليهم ولكنهم رفضوها. **لقد قالوا «أصدقاؤنا بأمان، ولكن الأعداء يجب أن يعتبروا أنفسهم مسلوبين»**. بكلمة أصدقاء عنوا العائلات الشرارية، التي ضمن القافلة،

دهيري وجماعته، وأنا ومحمد والدريبي. **أما «الأعداء» فهم أبناء الجوف، الذين عليهم الاستسلام**. إن التخلي عن مرافقينا، سيكون معيباً، فنحن جميعاً قاتلنا، وجميعاً علينا حمايتهم. لقد أعلمنا هؤلاء البدو، بأننا سنباشر المسيرة. ابتعدوا عنا بعد ذلك مؤكدين أنهم سيسلبوننا جميعاً إذا رفضنا مقترحهم. بدأ القتال مرة أخرى، ولكن هذه المرة كنا على مقربة من بعضنا البعض وخلال عشر دقائق كان عندنا قتيلان وعشرة جرحى. العائلات الشرارية استسلمت، وبقيتنا فقدت شجاعتها، لذلك تقدم دهيري باتجاه العدو ورمى سلاحه على الأرض وأعلن استسلامه. في الوقت نفسه، كان الدريبي يخفف من أحمال المؤونة، وأبعد الرسن من الجمل والحمار، وقفز على واحد من الخيول، محمد وأنا كنا قد سبقناه على أشدة خيولنا... لقد استدار حولنا الشعلان والشرارات ـ وهم يلوحون بسيوفهم ويصرخون بنا للتخلي عما نحمله معنا. فانطلقنا مسرعين وأطلقنا النيران باتجاه العدو، فردوا علينا بالمثل. لقد أصابت إحدى الطلقات حصاني وسقط، لكن الدريبي أخذ الحصان الحر الذي يقوده محمد وأحضره لي فامتطيته وانطلقت هارباً مرة أخرى... استمر ثلاثون بدوياً بمطاردتنا... حتى وصلنا جبال وادي محيضر. في هذا المكان اعتبرنا أنفسنا في أمن، والذين يطاردوننا تركونا... ليعودوا إلى المشاركة في سلب القافلة...» (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٣ ـ ١٠٨).

ويواصل الرحالة غوارماني وصف ما حدث لأهل الجوف، فيقول «... بعد ذلك ذهبت أنا والدريبي عائدين إلى ميدان المعركة... كان مرافقونا ما يزالون في مكانهم. **الرجال شبه عراة، والنساء بأثوابهن الطويلة بدون غطاء لرؤوسهن. فقد سلبوا حتى أغطية رؤوسهن**. بعد أن رأينا هذا الحال وأننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً قفلنا راجعين... حتى وصلنا إلى كاف بأمان...» (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٨). لاحقاً في «إثرة» ـ يكمل غوارماني ـ، ما جرى للقافلة ولمن فيها من أهل الجوف، فيقول «... وصلت القافلة إثرة يوم ٢٢ أيار/ مايو في حالة يُرثى لها، لقد ذهبت لمقابلتها ووزعت خمسين صاعاً من التمر، وساعدت المطبب في القرية في متابعة حالات الجرحى. أربعة من هؤلاء سيِّئو الحظ، ماتوا ودفنوا في قبر واحد...» (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٨).

ويكمل غوارماني القصة، خاتماً إياها ببعض الأخبار، ذات صلة بالقصة وبحالة بسلب ونهب لا تتوقف، عاكسة، آنذاك، بيئة متوحشة عدوانية تحيط بالجوف وأهلها. تلك الأخبار التي تحصل عليها وهو في كاف، يقول عنها غوارماني ما يلي: «... في كاف حصلت على الأخبار الآتية: أولاً: بينما كان الضباعين يساعدون الشعلان في سلب قافلتنا، سلب حمدان بن معجل من قبيلة المحلف العنزية ومعه ستون فارساً جميع ما كانوا قد تركوه في خيامهم ومصادرة قطعان أغنامهم وإبلهم. ثانياً: إن شيوخ الشرارات الذين وجدوا أن كل القبائل البدوية، عدا الرولة وبني صخر، يغزونهم دائماً، قرروا العودة إلى مضاربهم الأصلية لذا فقد أرسلوا وفداً يرئسه سليم اللحاوي، **للبحث عن الأمير طلال**(١٧) **لإعلان ولائهم له من جديد، ولدفع الإتاوة المقررة عليهم بالإضافة إلى هدية على أمل إرضائه والحصول على عفوه**. ثالثاً: إن الشيوخ سطام (ابن عم) وهزاع (أخو) فيصل الشعلان، ومعهم ألف وخمسمائة فارس من العمران

(١٧) المقصود بالأمير طلال، في هذا البند «ثانياً»، والبند الذي يليه «ثالثاً»، هو طلال بن عبد الله بن رشيد حاكم حايل آنذاك (فترة حكمه كانت بين ١٨٤٨ و١٨٦٨م) (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨).

والفدعان والسبعة والسوالمة فاجؤوا قبيلة المشهور، بين الجوف وسكاكا واستولوا على كل ممتلكاتهم. في هذه المعركة لم يكن يتواجد من شيوخ المشهور إلا جروح بن محسن وحمود بن حسين، أما بقية الشيوخ فكانوا مرافقين للأمير طلال في غزوة له. لقد استطاع المدافعون أن يقتلوا خمسة من مهاجميهم قبل أن يتراجعوا إلى الجوف مع النساء اللاتي لم يلحقهن أذىً، إلا أنه تم مصادرة كل ما له من قيمة منهم، وحتى الرعاة فقدوا مهنتهم، لأن قطعان ماشيتهم تم سلبها.» (غوارماني، رحلة ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٠٩).

قصة أخرى، عن الضعف والفقر لأهالي الجوف يرويها عبد الله عايد الفايض، والذي هو الآخر ذهب للغربية مع آخرين من سكاكا، وفي الغالب من جماعته/ الشلهوب، كما قال لي مشياً على الأقدام في عام ١٣٦٥هـ (الموافق تقريباً في أواخر١٩٤٥م أو أوائل ١٩٤٦م). هذه القصة التي يرويها لنا عبد الله عايد الفياض كانت رداً منه على تساؤلاتي حول المسألة الثقافية من حيث غياب المتعلمين والكتاب والمؤرخين... إلخ في الجوف، وكذلك بعدم استفادة أهل الجوف الذين ذهبوا للغربية من الحالة المعرفية والثقافية المتقدمة هناك.

القصة، والتي اسأذنت صاحبها بنشرها، والإشارة لها في الدراسة، تأتي في سياق الحديث والنقاش الذي دار بيني من جهة، وبين أبو جميل/ عبد الله عايد الفياض وأبو خالد/ أحمد النخيلان من جهة أخرى، أمام منزل الأخير بالشلهوب بعد صلاة العشاء من يوم الثلاثاء ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢م، وأنا أقدمه ملخصاً ومختصراً بعض الشيء كما يلي: «سألت أبو جميل وأبو خالد، وقلت أريد أعرف رأيكم بالموضوع، وهو لماذا لم يوجد من أبناء الديرة (الجوف: سكاكا ودومة الجندل، ولكني كنت أعني سكاكا) من هو مهتم بالثقافة والعلم والتاريخ في فترة المائتين من السنين الماضية؟ ما هي الأسباب برأيكم؟ خاصة، وبالمقارنة مع المنطقة الوسطى التي كانت مثل أوضاعنا، علماً أننا نحن أقرب إلى الشام والعراق!؟ فقال أبو جميل، أعتقد أن المسألة مرتبطة بدرجة كبيرة بالفقر والجهل! وقال أبو خالد: إن الناس لم يكن يهتمون إلا بأن يعيشوا، ليس لديهم ندرة لمثل هذه الأشياء ((ربما يقصد بـ «ندرة» وفرة من المال والوقت)). وأردف أبو جميل القول: إن حياتنا كانت في غاية الشدة والفقر، وأُذكرك بأنني أنا ((أبو جميل يقصد نفسه)) ذهبت عام ١٣٦٥هـ ((تقريباً أواخر ١٩٤٥م أو أوائل ١٩٤٦م أو في حدودهما)) إلى عمان على الأرجل حافياً، عبر الحماد والحرة، وليس لدينا ما نأكله! فقلت، مقاطعاً أبو جميل؛ مادام أنكم ذهبتم للشام/ فلسطين، ولكنكم وآخرين، لم تأتوا لنا بشيء ثقافي/ زراعي مختلف، مثلاً لم تأتوا بالزيتون (شجر الزيتون، وبعض الفواكه والموالح... إلخ،... وأضفت؛ ولكنكم أكلتم من الزيتون هناك وشفتم أشياء مختلفة، ألم تلفت انتباهاكم، مثل شجر الزيتون وتأتون بها!؟ فقال أبو جميل؛ إن أحد الأشخاص من الديرة، عندما وصل إلى هناك (الشام/ عمان/ فلسطين)، أكل من ثمر الزيتون مباشرة يحسبه يؤكل هكذا، دليل على جهل الناس! وأضاف أبو جميل قائلاً: الفقر والجهل، هي السبب وراء عدم اهتمام الناس بتلك الشؤون والمسائل. فقلت: ولكن المنطقة الوسطى (نجد) نفس الشيء، بل أن هناك قحط... إلخ، ونحن، بالمقارنة، في وضع أفضل، وكذلك أقرب إلى الشام والعراق، حيث المراكز الثقافية والمعرفية آنذاك! فردد أبو جميل مسألة الفقر وجهلهم! وقلت لأبي جميل: إن العقيلات (من أهل القصيم) أيضاً كانوا يُتاجرون ويأتون إلى هذه

المنطقة ويمرون بها، كما أن الذين ذهبوا من أهل الجوف إلى الشام (فلسطين/ الأردن/ سورية)، أيضاً، لا بد وأن لاحظوا التجارة وأشياء أخرى هناك! فقال أبو جميل: الناس هنا فقراء وجاهلين، وبالتالي عندما كانوا يذهبون إلى هناك همهم هو أن يحصلوا على عمل لكي يوفروا بعض المال القليل ويعودوا إلى أهاليهم. فقلت: إن البعض (من أهالي الجوف الذين ذهبوا للغربية) عاد بأشياء، ولكنها لا تدل على أهتمام بالأشياء المختلفة، فقد حرص البعض على إحضار «الخوابي» مثلاً! فرد أبو جميل، وقال: لأنهم كانوا منشغلين فقط بأوضاعهم وحياتهم. وأردف أبو جميل (للتأكيد على مسألة الفقر والجهل والحياة الصعبة التي كان أهل الجوف يمرون بها، وأنهم ليسوا مهتمين بالجانب الثقافي) فقال: سوف أذكر لك قصة من حياتي ووالدي مباشرة، وهي: أتذكر يوماً أن ليس لدينا أي شيء نأكله سوى بعض البسر ((البلح)) الأخضر وبعض الخوخ، وكانت أمي تطبخ تلك الأشياء طبخاً، فقط من باب أن يشعر الأولاد أن هناك طعاماً، وكان والدي يأكل من ذلك البسر والخوخ مباشرة! وأضاف أبو جميل، قصة أخرى أكثر شدة وقسوة، فقال: إنه في إحدى السنوات لم يبقَ عند والدي أي شيء نأكله، وخاصة من التمر، فأحتار الوالد ماذا يفعل لأولاده! وسرعان ما ذهب إلى أحد الأشخاص، ويدعى «مناور المطلق؟»، وكان هذا الشخص يبيع التمر، فقال له عايد الفياض (والد أبو جميل)؛ أريد أشتري تمر، أريد ثلاث «تنكات» تمر، فقال مناور؛ التنكة بعشرين ريال! وهذا يعني ٦٠ ريال، كما يقول أبو جميل، فوافق عايد الفياض دون تردد، ويقول أبو جميل: وعند هذه اللحظة لم يكن مع والدي أصلاً أية نقود، وبالتالي بدأ الآن يفكر من أين يأتي بالنقود (٦٠ريال)!، فيقول: تعرف إن «سعود النازل»، يسلف الناس، فذهب والدي إليه، وطلب منه المبلغ ٦٠ ريال، فقال له نعم ولكن كل ريال تسلمني مقابلة ٣ أمداد تمر في الموسم الجاي (القادم)! ويضيف أبو جميل؛ فلم يفكر والدي بأي شيء آخر غير أن يحصل على ذلك المبلغ، فوافق على ذلك الشرط. فقلت لأبي جميل؛ وأنت لم تكن موافقاً، أو راضياً عن ذلك ؟ فرد أبو جميل؛ نعم أنا كنت معه، ولم أكن موافقاً، ولكن لم أقدر أن أفعل شيء، وكنت أقول، في نفسي، لو أن والدي، آنذاك، قال لـ «مناور المطلق» أنني سوف أعطيك ٣٠ ريال بدل/ مقابل ٢٠ ريال التي تعطينياها للتنكة في السنة القادمة بعد أن نبيع التمر، لربما قد يوافق «مناور»، وبالتالي نسلم من مصيبة أكبر، وهي أن محصول تمرنا القادم، والذي يطالبنا به «سعود النازل» (١٨٠ مد/ صاع من التمر في السنة القادمة)، سوف نوفر منه على الأقل ما يسد رمقنا! ويكمل أبو جميل، القصة، بالقول: وعندما أتى وقت الجداد ...((بالجوف يُقال لخرف النخل و/ أو صرمه: الجداد))... وكنا قد وضعنا تمرنا في البصارة ...((البصارة، أما هي مكان تخزين التمر في «جرن» من الحجر، أو هي، على الأرجح، المساحات المربعة و/ أو المستطيلة من الأرض بين أربعة أو أكثر من النخيل المتقابلة داخل الحوطة/ المزرعة حيث تُنزل القني (قنوان)/ جداد التمر على حصير ممد فيها))... أتى سعود النازل، وأخذ معظم ذلك التمر، إن لم يكن كله! وختم أبو جميل بالقول: وبالتالي استمر وضعنا المالي والمعيشي متدهوراً، وأضاف معلقاً على ذلك بالقول: لعل الفقر يزداد فقراً والغنى يزداد غنىً! تلك كانت حالتنا، وبالتالي فإن الجهل والفقر هي سبب انصراف أهل الجوف/ سكاكا عن العلم والثقافة والمعرفة والتاريخ والمسائل الثقافية الأخرى» (الفياض، عبد الله عايد، في: الفياض والنخيلان، لقاء وحديث، في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٤ من ٧ ملخص).

في أمسية عند الدكتور عارف المسعر، وفي نقاش مشترك تم في منزله، وبحضور وتنسيق من ممدوح السلطان وبطلب مني بالأساس، وشارك فيه خليفة المسعر وعدد آخر من أقرباء المسعر، ومنهم على ما أعتقد بعض الأبناء، وكذلك منصور المسعر، وشخص على ما أتذكر اسمه «رجا؟»، استمر من بعد عشاء ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٢م وحتى الواحدة من منتصف اليوم التالي ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢م، وفي رد على سؤالي له ولجميع الحاضرين تلك الليلة (سؤالي كان: إذا كان الجوف الحديث على تلك الحالة من مظاهر وعي، فلماذا، في ما تقدم من زمن يمتد إلى الوراء لأكثر من قرن ونصف، لم يظهر فيها علماء ومؤرخون ومشايخ، كما حالة نجد، إذ شهدت بروز مؤرخين وعلماء... إلخ، فما هي الأسباب يا ترى؟ قال خليفة المسعر، وأنا (الباحث) هنا ألخص الكلام والإجابات: «إن هناك طمس لكثير من الأمور في الجوف» (المسعر، خليفة، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي مشترك، في ٢٩ ـ ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٢: ٦ من ١٠ ملخص)، ولكن د. عارف المسعر قال: «إن هذا يحتاج بالفعل إلى دراسة، ولعلنا نتعاون على ذلك، ثم قال: يبدو أن الأمر يرتبط بحالة عدم الاستقرار في المنطقة، والصراع المستمر في المنطقة بين الشعلان والرشيد وتورط أهل الجوف بها» (المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث مشترك، في ٢٩ ـ ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠٠٢: ٦ من ١٠ ملخص).

منصور سالم العوذة[١٨]، فك الله أسره، وبعد لقاء أولي مشترك في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢م، سنأتي على ذكره، وعد أن يقدم ورقة/ مكتوبة تعبر عن وجهة نظره كمدخل في فهم تاريخ الجوف وللإشكاليات فيه بما فيها المتعلقة بالصراع والثقافة. وبالفعل، أوفى منصور العوذة بوعده، فقدم وجهة نظره عن تلك الإشكاليات في ورقة مكتوبة سلمني إياها عند باب منزلي في مزرعتي بسكاكا، في حدود الساعة التاسعة والربع من صباح يوم الاثنين ١٧/ ٢/ ٢٠٠٣م الموافق ١٦/ ذو الحجة ١٤٢٣هـ (قبل دقائق محدودة من هذا الوقت بالذات من اليوم نفسه، كان للتو قد وصلني خبر اغتيال الدكتور حمد الوردي، وكيل إمارة الجوف، آنذاك، فنزلت وأخبرت منصور بالخبر، وكان للتو يطرق باب منزل مزرعتي منتظراً قدومي له، حيث تفاجأ به، إذ لم يكن قد علمه من قبل، وتوادعنا وغادر مسرعاً» (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٩٨).

وجهة نظره المدونة/ المكتوبة، والتي للأسف بحثت عنها في أوراقي في الرياض ولم أجدها، وربما هي مع أوراق بالجوف، تبدو، وأنا أحاول أن استرجع فكرتها الرئيسة من الذاكرة، ومن لقاء مشترك معه ومع عواد المعدوة، وابن الأخير «فالح»، وفي منزل واستراحة عواد باللقائط/ سكاكا، كانت أقرب إلى التحليل السوسيولوجي/ الاقتصادي العلمي منها للانطباعي، وكان يرى أن التداخل في أنماط الإنتاج في المحيط الصحراوي (الرعوي) للجوف، وتأثير البداوة عليها، هو المدخل الأفضل في فهم وقراءة تاريخ الجوف سواء تعلق بالصراع و/ أو الثقافة (العوذة، منصور، ورقة مدونة، استلمها الكاتب في ١٧/ ٢/ ٢٠٠٣، والعوذة، منصور، في: المعدوة، عواد [وآخرون]، لقاء وحديث مشترك، في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢).

(١٨) عن اعتقال منصور العوذة، والذي لا يزال من تاريخه (٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م) وحتى الآن (شباط/ فبراير ٢٠١٤م) في الاعتقال؛ انظر الهامش رقم (٤) ص ٤٥٤. وبقي رهن الاعتقال التعسّفي لأكثر من ٤ سنوات دون محاكمة، وقيل في عام ٢٠١١م، إنه حُكِمَ عليه بحوالي ١٠ ـ ١٥ سنة!؟

٢ ـ بنية التخلف المعرفي والثقافي بالجوف: محاولة في التفسير

ما تقدم من إجابات، هي في غالبها آراء انطباعية وليست علمية موضوعية، لكنها لا تخلو من صحة. فالفقر والجهل وعلى ما بينهما من تبادل وتشابك وأيهما الأول في التأثير (الدجاجة أم البيضة؟)، وكذلك الصراع وعدم الاستقرار كلها ذات صلة وصحيحة في تفسير قدر من حالة وبنية التخلف.

ولكن، أولاً، في ما يتعلق بـ «الجهل»، فهو، وإن لعب في مرحلة مكثفة ومتراكمة منه دوراً في تعزيز حالة «الفقر»، فإنه على الأقل وفي دراستنا هنا، يعتبر من مشمولات بنية التخلف، وبالتالي جزءاً من عناصرها ومظهراً من مظاهرها، وبالتالي نحن نبحث في تفسير بنية التخلف، والتي فيها الجهل من مكوناتها. عليه فـ «الجهل» هنا ننظر له هنا على أنه من مكونات ومظاهر بنية التخلف، وخاصة المعرفي منها، وليس عاملاً في تفسيرها، بينما الفقر هو أكثر قرباً لأن يكون عاملاً مفسراً لحالة وبنية التخلف.

ثانياً، وبدرجة أهم، يبقى السؤال الموازي، هو إذا كان الفقر هو وراء الحالة، فلماذا الفقر، في المقام الأول، رغم أن الجوف، وبالمقارنة مع الوسطى (نجد)، كانت في وضع معيشي موازٍ، وربما أفضل نسبياً، والشواهد على ذلك متوفرة، ومنها: أن هناك أسراً من نجد هاجرت للجوف، منذ أكثر من مائة سنة، في أوقات انتشر فيها القحط والجوع في نجد، علماً أن حالات تاريخية ودورات من القحط منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري (نهايات القرن السابع عشر الميلادي) فصاعداً كانت وراء هجرات مجموعات سابقة من نجد إلى الشمال، والجوف تحديداً (سكاكا ودومة الجندل)، حيث استوطنت في سكاكا و/ أو دومة الجندل، وأصبحت من نسيج أهل الجوف وجزءاً لا يتجزأ من المجتمع إلى درجة أن أصبح هناك قطيعة بينها، وبين مواطنها الأصلية في نجد، ولا أتذكر منه سوى أنها أتت في الأصل من هنا أو هناك من نجد (الوشم/ القصيم/ سدير ـ الزلفي، فضلاً عن وادي حنيفة، كان، إجمالاً، مصدراً للهجرات الأولى. الأمر كله قد لا يتعلق بالفقر، ذلك أن بعض المجموعات من نجد هاجرت للجوف، ربما ليس بسبب الفقر، وإنما بما يتصل بالبحث عن حياة أخرى مختلفة، فيها قدر من التحرر والكرامة، وهروباً من مشاكل وقيود وصراعات في مناطقها الأصلية، وهذا يتضح أيضاً من خلال ملاحظة أن هناك مجموعات هاجرت للجوف (وبالذات في دومة الجندل) واستقرت به وهي قادمة في الأصل من الهلال الخصيب، الأكثر غنىً وفيه حياة معيشية أفضل... إلخ.

نعود إلى «الفقر»، وإذا كان هو العامل في مسألة تكوّن حالة بنية التخلف المعرفي/ الثقافي بالجوف خلال (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠)، وما قبلها بعقود، فمن أين تكوّن وحالة الجوف الإجمالية لم تكن سيئة لهذه الدرجة، أقلها بالمقارنة مع مناطق مشابهة، وفي نفس الفترة تحت الدراسة؟

يبدو لنا أن «الفقر»، ولنقل «الإفقار» حالة قابعة متكونة في ومتولدة عن نمط اقتصادي محدد؛ أنه نمط واقتصاد (حد الكفاف) بالجوف: اقتصاد محدود بسيط وفوقه مستنزف، فلا فائض قيمة فيه، أو على الأقل فائض محدود متآكل، وبالتالي لا ادخار منه وفيه!؟ عندما ناقشنا تفسير الصراع والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) ناقشنا وأفضنا في موضوع نمط الاقتصاد السائد بالجوف طوال المائتين سنة السابقة لعام ١٩٢٢م. ولأهمية الفكرة، نعيد ما كتبناه عن جوهرها هنا، فنقول:

نمط الاقتصاد السائد في الجوف، خاصة وتحديداً على طول الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وربما يمتد إلى ما قبلها بكثير، ولكنه يبدأ في الانحسار التدريجي متلاشياً في حدود عقد الـ «١٩٤٠sم»، يتكون من تداخل نمطين من أنماط الاقتصاد، أحدهما متعلق بأهالي الجوف (الحضر/ الفلاحين)، وهو اقتصاد فلاحي بسيط يتسم بحد الكفاف (Subsistence Level Economy)، والآخر اقتصاد صحراوي رعوي لمجتمع أهل البادية، يعتمد بدرجة كبيرة على القتال و/ أو الغزو المتواصل؛ قتالاً للدفاع عن الحمى والمراعي، وغزواً للهجوم على الآخرين للاستحواذ و/ أو الإخضاع وما يتضمنه من «نهب وسلب للممتلكات والمقدرات، فضلاً عن القتل المصاحب و/ أو المتعمد». العلاقة بين الاثنين علاقة تبادلية غير منفكة (نحو من اعتماد متبادل عبر المقايضة: Bartering)، ولكنها تتسم أيضاً بمستوى وقدر غير قليل من التوتر والصراع وقدر كبير من استنزاف للموارد على محدوديتها، وفي الغالب على حساب اقتصاد المجتمع الأهلي الفلاحي. الاقتصاد الفلاحي لأهالي الجوف هو اقتصاد حد الكفاف يقوم على نشاط اقتصادي متماثل بين أفراد مجتمعه (الفلاحين ـ Peasant/ Farmers) من خلال استثمار طويل الأجل لحيازات (أراضٍ/ مزارع أو حوَط بالمفهوم المحلي الدارج) محدودة المساحة متماثلة تقريباً بين الفلاحين وتتركز بدرجة أساسية على زراعة النخيل وإنتاج التمور.

هذا الاستثمار وهذا النشاط الاقتصادي يتميز أيضاً بكون عائدة (محصوله من التمور) محدود، ويحتاج لتلمس نتائجة الأولى في بداياته ما بين ٣ إلى ٥ سنوات، في سياق عمل وجهد شاق ومكلف اجتماعياً ومادياً، وبما يعني أنه يحتاج إلى جهود اجتماعية جماعية (عائلة/ أسرة بكامل أفرادها)، وغالباً ما يتطلب و/ أو يتضمن مستوى وقدراً من «التعاضدية» أو العون من الآخرين (الجوار والأقرباء)، وبما يتضمنه كذلك من قدر عالٍ من التكلفة المالية (ديون)، فضلاً عن تكاليف وأثمان (مبالغ و/ أو قيَم عينية) سنوية تجاه الداخل و/ أو الخارج، كالزكاة والمغارم والجبايات و/ أو الإتاوات، مترتبة في الغالب على كل فلاح.

وفي سياقه وفي سياق العلاقة مع الاقتصاد الرعوي/ الصحراوي المجاور هناك حالة متواصلة من تجارة ونشاط تجاري محدود (مقايضة وفي الغالب حبوب واحتياجات بسيطة مقابل التمر)، وضيق الأفق وغير قابل للتوسع والازدهار نتيجة استنزاف متواصل للموارد الكلية للجوف وأهلها على محدوديتها، متولداً عن حالة صراعية شبه دائمة مع المحيط (القوى الخارجية، والقبائل والغزو والنهب وتدمير الممتلكات ومصادر المياه «الآبار» أو «القلبان» بالمفهوم المحلي الدارج، فضلاً عن متلازماتها من قتل وإعدامات وتشريد)، فضلاً عن امتداداتها واصطفافاتها الصراعية الداخلية البينية. في هذا النمط من الاقتصاد والنشاط الاقتصادي ومتغيراته ذات الطبيعة الاستنزافية والبيئة المحيطة المعادية المتواصلة لم يكن له من مجال أو أفق للتوسع والازدهار والتطور. في هذه الوضعية من الأفق المحدود، بل المسدود، فنحن أمام نمط اقتصادي فلاحي متسم بحد الكفاف، بما يعني أن «فائض القيمة» (Surplus Value) دائماً محدود ومستهلك إن لم يكن «معدوماً» (أي لا توفير أو ادخار فيه يذكر: ‘Limited or No Saving’).

من المهم التنبيه إلى نقطة مركزية، ألا وهي أننا في مناقشتنا، لنمط الاقتصاد في الجوف (اقتصاد فلاحي بسيط يتسم بحد الكفاف) ودوره الجوهري والمحوري في تفسيرنا للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، كان تركيزنا في الأمر هناك هو على أن هذا النمط يولد حالة من عدم تراتب اجتماعي (لا طبقي/ طبقات)، وبالتالي تكوّن حالة من «المساواة/ الندية» المتواصلة بين الأفراد والجماعات، والتي تولد «التنافس الحلزوني» حول «المكانة» فالصراعات الأهلية.

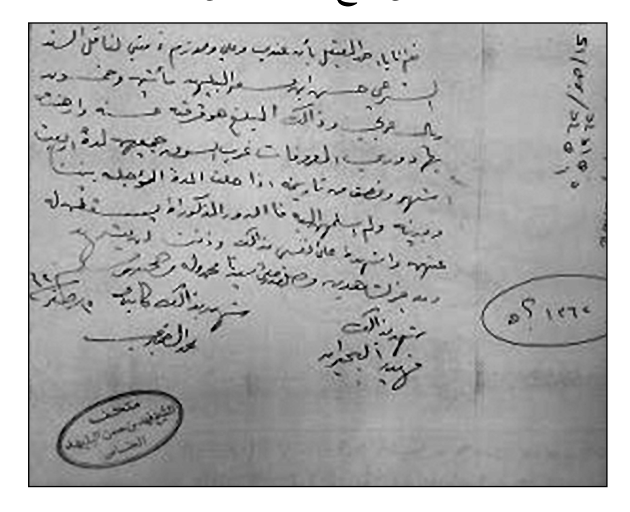
هنا، وفي المقابل، فنحن، وإن ارتكزنا على نفس المفهوم من نمط اقتصاد حد الكفاف بالجوف، فإننا نركز على تواصل استنزافه بالعوامل التي سنأتي عليها (وسبق أن أشرنا إلى بعضها من قبل)، بالتالي الوصول إلى فكرة إن نمط الاقتصاد بالجوف، وهو اقتصاد حد الكفاف، ومستنزف: فلا فائض ولا ادخار، وهو المهم في موضوعنا هنا في تفسير حالة الضعف و«الفقر»، أو كما نفضل تسميتها بـ «الإفقار».

من هنا، فإن ما يهمنا تحديداً هنا، هو ليس فقط في كون النمط الاقتصادي السائد بالجوف، في الفترة تحت الدراسة، هو «اقتصاد حد الكفاف، وإنما أنه، فوق كونه كذلك، في حالة استنزاف تاريخي متراكم، وبما يعني أن لا فائض فيه، أو أنه متآكل، وبالتالي فإن لا ادخار فيه. وإذا كان لا فائض فيه فلا ادخار ممكن، وبالتالي تحدث عملية تراكمية، من تآكل الإنتاج، فتبدأ تتكون و/ أو تتراكم حالة من الإفقار (الفقر المتكوّن و/ أو المتراكم قسراً).

انعدام فائض القيمة هو السبب في تكوّن حالة من عدم الادخار، وبالتالي تواصل عملية امتصاص من رأس المال/ الإنتاج، المحدود أصلاً، بما في ذلك اضطرار الناس إلى «القروض والديون»، فرهن جزء من إنتاجهم و/ أو حتى ممتلكاتهم، وفي أحيان متكررة يخسرونها/ يفقدونها للدائنين (أمثلة لا حصراً)، وهي أمثلة في فترة أعقبت فترة التخلف و/ أو في نهايتها؛ ١ ـ قصة عبد الله عايد الفياض، آنفة الذكر، عن فقدانهم لمعظم محصولهم للتمر في أحد الأعوام، بسبب الاستدانة/ قرض لشراء كمية محدودة من التمر»ثلاث تنكات فقط» لسد حاجتهم، آنياً، ضد التضوّر جوعاً؛ ٢ ـ ولدينا نسخة مصورة من إحدى الوثائق (سند) المكتوبة على ما يبدو في ١٥/ صفر/ من عام ١٣٦٢هـ(؟)، الموافق ٢٠/ ٢/ ١٩٤٣م، وإن ليس مؤكداً لعدم وضوح التاريخ، ولكن إن صح التاريخ كما فهمنا من قراءته، فهي حديثة نسبياً بالمقارنة لفترة بنية التخلف (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م) وتأتي في آخرها تقريباً، وهي، على أية حال، تتحدث عن قرض بمبلغ مائتين وخمسين ريالاً عربياً استلمها أحمد المعيقل، من حسن مسعر البليهد، بضمان رهن دور أحمد المعيقل غرب السوق ((المقصود على ما يبدو هو سوق البحر)) والتنازل عنها لصالح حسن المسعر، إذا لم يتم تسديد المبلغ في و/ أو قبل وقت حلول الأجل (أربعة أشهر من تاريخ السند)، كاتب السند (محمد الضميري)، وشاهد عليه (فهيد البحيران). إذا صح التاريخ، كما قرأناه على أنه في عام ١٣٦٢هـ/ الموافق ١٩٤٣م، فإنه، وإلحاقاً لموضوع القراءة والكتابة بالجوف، ومستواها، عند من تعلمها من أهل الجوف في هذه الفترة، يبدو أن مستواها التحريري، وكاتبها محمد الضميري، على قدر كبير من التقدم/ الحسن، وقياساً، طبعاً على ما تقدم من وثائق مكتوبة مررنا عليها من حيث أسلوب خطها وجودة تحريرها وصحة عباراتها. ولأهمية الوثيقة/ السند، بالنسبة لموضوعنا الحالي، نورد نسخة مصورة منها، (انظر وثيقة (٥)).

وثيقة (٥)

سند قرض مبلغ بضمان رهن الدور



المصدر: بدر البليهد «نسخ مخطوطات» من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص» ـ أرسلت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسلمت في: ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

طبعاً، في المثال السابق، ليس معروفاً إن كان للأمر علاقة بالمزرعة أم لا، وكذلك ليس معروفاً إن تم السداد أم لا، وبالتالي لا يعرف إن تم الاستحواذ على الدور أم لم يتم، ولكن الفكرة هي في ما تعلق بالحالة الاقتصادية والمادية المتدهورة لأهالي الجوف، وخاصة في فترة بنية التخلف (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، مما قد يضطرهم لرهن ممتلكاتهم وليس مستبعداً أن يفقدوها لعدم القدرة على السداد و/ أو تتزايد الديون وتتراكم عبر مزيد من القروض المتتالية. من هنا، وقياساً على حالات الاستنزاف للموارد بشتى طرقه، والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً، فإنه، في الغالب، تتكون وتتراكم حالة من الإفقار المتواصل لتتكون حالة «الفقر» المشار إليها في ما تقدم من بعض الأمثلة وفي ما سيأتي الإشارة إليه من أمثلة أخرى. من هنا، ومع تقدم الزمن وعقوده، ينشغل الناس بما هو أهم، ألا وهو الحياة والمعيشة المباشرة، ويتركون المسائل الأخرى من تعليم وثقافة، لأنها تحتاج إلى ادخار وفائض في المال والوقت، ولأن ليس لديهم فائض من المال وبالتالي لا ادخار فليس بمقدور أي شخص (فلّاح) حتى لو فكر بالأمر (التعليم/ الثقافة) أن يحرر جزءاً من وقته، أو واحداً من أفراد أسرته، لكي ينصرف للدراسة/ التعليم مثلاً، فوقته كله، ومن معه من أسرته، إن كان لديه أسرة (أبناء وبنات وزوجة) مستهلك كله في الانشغال برعاية وإحياء مزرعته (حوطته) ليتحصل منها في النهاية على إنتاج من التمر يسد به الرمق وحياة حد الكفاف له ولأهله، والذي ربما أمكن تأمينه في بعض السنوات، وفي أحيان (سنوات) أخرى قد لا يستطيع حتى الوصول حتى إلى هذا الحد من عيش الكفاف. ولو افترضنا أن أي فلاح فكر، بالأمر (بالتعليم/ الدراسة والثقافة)، وكان لديه من الأبناء ما يمكن تحرير أحدهم من عمل المزرعة (الحوطة) لكي ينصرف للدراسة، فليس بمقدوره أن يصرف (يستثمر فيه) عليه مالياً، في الغالب السائد، ذلك أن ليس لديه ادخار (مال مدخر) بما يكفي إن

لم يكن في الغالب ادخاراً بالسالب (ترتب عليه ديون من وقت لآخر، فيأكل ما كان بإمكانه توفيره، على فرض تحققه في وقت سابق، وهو أمر مشكوك فيه، في الظروف السائدة في الجوف آنذاك).

في هذا الوضع من تواصل نمط اقتصاد حد الكفاف بالجوف، فإنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل للغالبية الساحقة من أهل الجوف، إن لم يكن كلهم، الحصول على فائض من المال/ الإنتاج، وبما يولد حالة من ادخار تكفي أو تزيد عن حاجاته المعيشية المباشرة وعن المتطلبات الجوهرية لإبقاء مزرعته/ حوطته على قيد الحياة. من هنا التركيز هو أن كل فلاح منشغل في بذل كل جهد وصرف كل وقت من قبله وأفراد أسرته، وأي مال قد يكون لديه!، على مواصلة إبقاء وإحياء المزرعة. الاستثناء من هذه الحالة، هو فقط لعدد محدود جداً من الأهالي (ربما على عدد الأصابع في كل من سكاكا ودومة الجندل)، والذين لسبب أو آخر تمكنوا من الحصول على فائض قيمة (إنتاج/ مال) بطريقة مشروعة أو بخلافها (أشرنا في مناقشتنا لتفسير الحرب الأهلية بالجوف «١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م» إلى الطرق المشروعة وغير المشروعة لتكوّن حالة من فائض القيمة «حالة غنى» لعدد من الأهالي) «العمد/ المشيخات» و/ أو الأفراد في بعض العائلات في فترة ما بين ١٨٧٠ ـ ١٩٢٢م (مثلاً في سكاكا؛ شكر السهيان، فلاح الشردان، حمد الحيزان الأول، فهاد المظور، وخليف الفالح، مرعيد الدندني، وقبله دندن نفسه وحوطة بئر «الدندنية» والتي قيل إنها لا تغلق، وكان بها ١٨٠٠ نخلة (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ١٥٢)، راشد القايد، والمويشير، محسن مخلف الفالح، عايد السمرين، ومغرق المحمد، وناصر بن قادر «الشمدين». ومع ذلك، حتى هؤلاء، الذين قد توفروا على فائض من المال/ الإنتاج، وبغض النظر عن مشروعيته و/ أو عدم مشروعيته، لا يبدو أنهم صرفوا جزءاً من فائضهم وادخارهم لاستثمار في تعليم/ دراسة أحد أو بعض أبنائهم، وإن حدث فهو محدود جداً وغير متواصل ولا متراكم. يبدو أن السبب وراء عدم اهتمام مثل هؤلاء العمد/ الأفراد بالدراسة/ الثقافة يعود إلى أنه، وإن توفروا على تراكم فائض مال/ إنتاج، فهو كان في سياق فترة غير طويلة، لا تزيد عن ٢٠ ـ ٤٠ سنة تقريباً، حيث في نهاية المطاف تتفتت الثروة (فائض المال/ الإنتاج/ الممتلكات) بسبب الوفاة وتقسيم الإرث/ التركة. يُضاف إلى هذا العامل، عامل آخر موازٍ، وهو أن حالة الإفقار العامة لكل الجوف وأهلها، وحتى من نخبها الرئيسة، عبر التدمير والحرق، والتشريد والقتل، من قبل القوى الخارجية الغازية ـ (مثلاً ما جرى لأهل الدلهمية وتدميرها وحرق مزارعها وطرد أهاليها ١٨٣٨م، وكذلك ما حصل للسراح من تدمير مزارعهم وممتلكاتهم بالذات بيت العمر 'غالب الخطاب ووالده وأخوته' في عام ١٨٥٣م، كل ذلك من قبل ابن رشيد وفترة حكمه، وأيضاً ما حصل من هلاك ودمار وتدمير لممتلكات المقاومين للشعلان في كل من سكاكا ودومة الجندل، وبالذات في الأخيرة، فضلاً عن ما رافقها و/ أو تلاها من هجرة، في ما عرف بـ «هجة القرشة»، في سكاكا، إلى حائل بحدود ١٩١١/ ١٩١٢م؟، وكذلك ما حصل للدندن/ المطر من حرق لمزارعهم، على يد «الرشيد»، انتقاماً من تعاونهم مع الشعلان في ما عرف بواقعة أو «كون ـ الغطغط/ الغطيغط ـ ١٩٢١م؟»... إلخ، وكذلك ما حصل من الرشيد لبعض مجموعات الغرب في دومة الجندل وما عرف بـ «هجة الغرب» في حدود ١٩٢٠م؟) ـ، ولد حالة وبيئة عامة من جمود معرفي وثقافي وبما يعني تراكم غفلة (جهل) حيث لا ربط بين متطلبات تطور وتطوير الحياة المادية وتنميتها وبين اكتساب

المعرفة/ التعليم/ الدراسة والترقي الثقافي، ليس فقط عند غالبية أهل الجوف القابعين حول وتحت خط الفقر (لا فائض ولا ادخار: أو قليل من فائض لكنه متآكل)، بل حتى عند أولئك الأفراد الأوفر حظاً (غنىً) وهم قلة قليلة على أية حال. هنا ربما يكون للجهل المتراكم تاريخياً (زمناً طويلاً) دور ملحوظ في «الإفقار» (الفقر) عند أهل المنطقة كلهم، وكذلك بالإهمال المعرفي/ الثقافي بما في ذلك للعدد المحدود من المحظوظين (الأغنياء!؟) نسبياً منهم بالمقارنة مع كل أهل الجوف الآخرين. غير ذلك، وعن أية حالات استثنائية أخرى مغايرة، يمكن أن يُقال عنها أو يحاجج بها، عن تلك الحالة والقاعدة العامة، تبقى استثنائية وشاذة وعلى أية حال معزولة محدودة، لا يُقاس عليها أبداً.

الآن يبقى السؤال، لماذا تواصل هذا النمط من الاقتصاد (اقتصاد فلاحي بسيط يتسم بحد الكفاف، فلا فائض ولا ادخار؟). ورد في ما تقدم، آنفاً، من بسط وعرض لفكرة نمط الاقتصاد في الجوف، إشارات إلى بعض العوامل، والقوى التي وقفت وراء هذا التواصل من الحالة الاقتصادية المتردية، وبما تتضمنه من «إفقار/ فقر» متواصل للجوف وأهلها، ونضعها هنا بشكل أوضح، وإن مختصرة، على النحو التالي:

١ ـ القوى الخارجية المتسلطة على الجوف واستنزاف موارده: هذه القوى، وبشكل أكثر تحديداً ووضوحاً، تشمل كلاً من الرشيد (١٨٣٨ ـ ١٩٠٨م، ١٩١٩ ـ ١٩٢١م)، والشعلان (١٩٠٩ ـ ١٩١٨م، ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م). شمل الاستنزاف لموارد الجوف وأهلها، من كل منهما على تدمير المزارع والممتلكات لعدد من الأفراد والمجموعات المناهضة لهما، وخاصة في حالات الصراع/ التصادم دخولاً للجوف من قبل قوة وخروجاً لقوة أخرى، وكذلك في حالات التمرد فالانتقام بالقمع والتدمير والقتل والتشريد من قبل القوة المتمرد عليها (الأمثلة كثيرة وسبق أن فصلنا فيها في مسألة تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م، فيمكن الرجوع لها ولا حاجة لتكرارها هنا). فوق هذا وذاك، تمثل الاستنزاف الكبير والمتواصل عبر ما قامت به تلك القوى الخارجية المتحكمة بالجوف من فرض وتحصيل الضرائب والمغارم والزكاوات والإتاوات المفروضة على أهالي الجوف وإنتاجهم من التمور، وهو أصلاً إنتاجهم الوحيد على محدوديته. كذلك عملت تلك القوى الخارجية، وبالذات ما تعلق بالشعلان في الفترة الأولى من حكمهم، على استنزاف الموارد البشرية للجوف، من خلال إجبار عدد من الأهالي بترك أهاليهم ومزارعهم وهي بأمسّ الحاجة لهم، ومرافقة قوات الشعلان والعمل معها، وفي الغالب كمرتزقة (لنتذكر قصة باسل الماضي، ـ والتي مررنا عليها، في صراعات الشعلان والرشيد (آذار/ مارس ـ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٩م) والتي أعقبت قتل منصوب الشعلان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م ـ، وتتحدث عن أكثر من ٤٥ رجلاً من أبناء الجوف (من سكاكا ودومة الجندل)، كانوا مع الشعلان في تل «أبو حشيش» عند مقتل منصوبهم «عامر المشورب»، وسيقوا إلى سجن دومة الجندل بعدها مباشرة. لنتذكر قتل الشعلان لكل من «خليف» و«عاطن» أبناء عواد خليف الخميس، فقط لأنهم رفضوا العمل مع قوات الشعلان في ما عرف بواقعة كسر «الأشدة»).

٢ ـ الحروب والصراعات الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): ورغم أن جزءاً كبيراً من الصراعات الأهلية هي نتيجة لاصطفافات لمجموعات متقابلة أهلية من الجوف مع قوى خارجية متصادمة متصارعة على الجوف (في الدخول ولحظات الخروج)، وبالتالي فهي امتداد لها، فإن ما من شك في أن هناك صراعات

أهلية من داخل وبين جماعات من داخل الجوف. هذه الحروب المحلية وبتعاضد أو بتداخل مع حروب القوى الخارجية في الصراع على الجوف، ولد حالة استنزاف لموارد الأهالي إجمالاً، ولأولئك المنخرطين منهم في الحروب خاصة، وقد شمل الاستنزاف للموارد، وفي مقدمتها، فقدان البشر بالقتل و/ أو التشريد والتهجير والإزاحات للأفراد و/ أو المجموعات بين وداخل أحياء الفضاء الاجتماعي الواحد في دومة الجندل أو سكاكا، أو بينهما، فضلاً عن الممتلكات من حيث التدمير والإحراق... إلخ، كما أشرنا إلى بعضه في مناقشة الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) في الواقعات وفي التفسير.

٣ ـ يُضاف إلى ما تقدم من عوامل وما تأخر منها، سنأتي على ذكرها، بعض المعطيات الطبيعية من كوارث وأمطار وأمراض والرياح الشديدة، وخاصة المصحوبة بالعواصف الرملية الكثيفة وكلها و/ أو بعضها قد تصيب الناس والشجر بالأذى والضرر الكبير، وخاصة ما نتج عنها من ضعف الإنتاج/ المحصول من التمر، أو بفقدانة كلياً، حيث أحياناً/ بعض السنوات ولظروف مناخية وأمراض متصلة بالأشجار/ النخيل قد تتساقط الأثمار في بداياته و/ أو حتى قبل نضجه، وأحياناً ليس سقوطه، وإنما عدم استصلاحه من التلقيح/ (محلياً يُقال الأبار والتأبير) و/ أو خرابه مع نضجه وحتى بعده (مثلاً بعض الأمطار بكثرة إذا نزلت وقت الاستواء الكامل وقبل «الجداد» ففي الغالب سيؤدي لحموضته وخرابه، وكذلك هناك حالات من الأمراض التي تؤدي إلى ما يُقال له هنا بالجوف بـ «رونقة البسر/ رونق البسر أو البسر أو النخل مرونق» (أو ما يعرف بمرض عنكبوت النخل/ البسر)، فضلاً عن سنوات قد تقضي فيها أسراب الجراد على الأخضر واليابس.

٤ ـ المحيط المتوحش الصحراوي، واقتصاده الرعوي، القائم على الغزو والصراع المتواصل والسلب والنهب الفردي والجماعي، وما يصاحبه من قتل مقصود و/ أو غير مقصود. ورغم أن هذا يقوم به أفراد ومجموعات بدوية/ صحراوية وحتى فيما بينها وضد بعضهم البعض (مثلاً لا حصراً، ما ذكره الرحالة الإيطالي غوارماني عن قصة وأخبار تحصّل عليها في نهاية رحلته، أشرنا إليها قبل قليل في ما تقدم، عن غزو وسلب عنزة للشرارات، وسلب الشعلان للمشهور؛ والأخيران كلاهما من الرولة)، ولا يقتصر بالضرورة فقط على التعرض للجوف وأهلها، فإن المهم هنا هو بالفعل ما يقع على الجوف وأهلها من هذا المحيط المتوحش العدائي، من استنزاف لمواردهم، على قلتها. يتم الاستنزاف من هذا المحيط الصحراوي المعادي عبر التالي:

١ ـ هناك بالفعل غارات وحالات غزو قد تصل إلى عمق الجوف وتصيب أهلها بشررها، فتحدث مواجهات ويترتب عليها خسائر في الأرواح والممتلكات لعدد من أهالي الجوف (سكاكا/ دومة الجندل).

٢ ـ المجموعات المسلحة وقطاع الطرق: في ما مر من مناقشات رأينا حالات وقصص من تعرض أهل الجوف الباحثين للعمل في الغربية (الشام/ فلسطين) من سلب ونهب وقتل. رأينا فيما سبق من قصص كيف أن أبناء الجوف، رغم أنهم، في الغالب، يُسافرون رفقة قافلة جماعية، وفيها حتى من أبناء البادية، إلا أنهم يستهدفون بالسلب والنهب فقط لأنهم من أهل الجوف؛ فهم «الأعداء» بنظر مجموعات بدوية مسلحة، ومعهم ما يشبه المرتزقة من عناصر بدوية أخرى عاملة لحسابهم، تمتهن السلب والنهب،

ولا بأس بالقتل، كأسلوب وطريقة حياة وعيش واسترزاق. طبعاً لا يعني أن هؤلاء ليسوا بشراً وأن هذا التصرف هو نتاج فطري بحت، ولكن يبدو أن الأمر مرتبط بنمط الاقتصاد الرعوي الصحراوي القائم على الغزو والصراع والسلب والنهب والذي يتطلبه، حيث رأينا في ما تقدم من قصص أن الغزو والسلب والقتل تحدث حتى داخل وبين المجموعات الفرعية والمنتمية قبلياً لبعضها البعض. إننا أمام فضاء ما يمكن تسميته بـ «فضاء صراع البقاء»، والذي تتولد معه وتتنامى فيه قيم وسلوكيات القوة والمغالبة المتوحشة.

٣ ـ المحيط الصحراوي المتوحش والحد من التجارة: وهذا الوسط والمحيط الصحراوي المتوحش والعدائي والصراعي (غير المستقر) ولد حالة من تجارة محدودة جداً بين الجوف وأهلها وبين المحيط الشمالي القريب (الهلال الخصيب، العراق الشام/ سورية وفلسطين). التجارة محدودة جداً، وما يتم منها، كما لاحظها ورصدها عدد من الرحالة الغربيين منذ تقريباً ١٨٦٢م وحتى ١٩٠٨م، يتم في البيوت وغالباً عبر المقايضة، فلا أسواق ولا دكاكين في سكاكا ودومة الجندل (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٩؛ أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٣٥؛ فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣١٣ ـ ٣١٤، وبتلر، رحلة ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦١). لم يترك المحيط بوحشيته وعدوانيته وعدم استقراره والصراع الساكن فيه، مجالاً لأفق التجارة أن يتوسع في الجوف وبين أهلها. ولعله من المؤسف أنه ورغم سيطرة كل من الرشيد والشعلان على الجوف، في فترات متعاقبة، فإن الحالة الصراعية العداونية للمحيط الشمالي والشمالي الغربي للجوف لم تتوقف، ولم تعمل أي من تلك القوتين على توسيع التجارة وتأمين طرقها للجوف ومنه، على الأقل شمالاً، مما حدَّ فعلياً من إمكانية توسع للتجارة في سياق استثمار بعض فترات الهدوء النسبي المفروض على الجوف وداخلها. محدودية وضعف التجارة في الجوف، يعزوها، الرحالة «جورج أوغست والن»، مضمنة في نص عام ورد في ما كتبه عن رحلته للجوف ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ. ولأهمية النص، رغم ما لنا عليه من ملاحظات سنوردها تالياً له، نورده كاملاً، كما يلي: «بسبب الحرمان من وجود الجِمال (الوسيلة الوحيدة في الصحراء للتنقل والاتصال) فإن السكان عليهم دوماً الاعتماد في شؤون التجارة والاتصال على البدو. عكس ما هي عليه الحال في قرى الجزيرة العربية الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، فإن العداوات والحروب المصيرية، التي يبدو أنها تسود بين السكان منذ قديم الزمان، حدّت من فرص التجارة. فلو أخذنا بالاعتبار موقع المكان الذي لا شك يجعله في مأمن من الغزوات الخارجية، فإنه في ما يتعلق بالتجارة والاتصال غير مناسب. لذلك يمكن أن نقول إن الجوف احتلت دائماً موقعاً دونياً في عملية التأثير في التاريخ العربي فهي محاطة من جوانبها بالصحراء، التي لا تتوفر فيها المياه، ويصعب فيها السفر. كما أن أياً من الطرق الممتدة من سورية أو من العراق إلى مكة، مكان التجمع للعرب في جميع الأزمان ومنبت حضارة العرب والإسلام، لا تمر بالجوف. ولأن الجوف معزولة عن الاتصال مع المناطق الزراعية والمدنية المجاورة، فقد بقي أهلها في حدود قدراتهم، التي أبداً لن تكون ضخمة. إن الإنتاج الوحيد لأرضهم الفقيرة هو التمر الذي يُقاضونه بالأشياء الأخرى» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٦).

الآن، لو ركزنا على ولاحظنا العوامل التي أوردها الرحالة «والن» عن ضعف ومحدودية التجارة في الجوف لنراها كالتالي:

١ ـ عدم امتلاك أهل الجوف للجِمال وبالتالي اعتمادهم على الآخرين (البدو).

٢ ـ العداوات والحروب المصرية المزمنة بين السكان.

٣ ـ الموقع، رغم أنه في مأمن من الغزوات الخارجية (هكذا!)، لكنه غير مناسب للتجارة والاتصال، ومعزول عن المحيط المجاور «المناطق الزراعية المدنية المجاورة»، ويقصد بها على ما يبدو الهلال الخصيب (العراق والشام وفلسطين).

٤ ـ الصحراء محيطة بالجوف لا مياه فيها وصعوبة السفر فيها.

٥ ـ قوافل الحجاج إلى مكة من وإلى سورية والعراق لا تمر بالجوف.

٦ ـ التمر، في الأرض الفقيرة، هو المحصول الوحيد للتبادل التجاري (عبر المقايضة).

ورغم أهمية تلك العوامل في الحد من التجارة بالجوف، فإن لدينا ملاحظات على ما ورد فيها، وأهم منها، على الاستنتاج النهائي لدور التجارة في تخلف المنطقة، ودونيتها (أي: الجوف وأهلها) في التاريخ العربي، ونضعها على النحو التالي:

١ ـ لم يسأل أو يتساءل الرحالة «والن» لماذا أهل الجوف ليس لديهم جِمال/ إبل؟ ذلك أن المسألة في جذورها، هي ليست فقط متعلقة بعدم وجود الجمال/ الإبل، وإنما بدرجة أهم هي بـ «لماذا ليس عندهم جمال/ إبل؟ علماً أن مجموعات من أهل الجوف، ورغم كونهم لا يملكون جِمالاً، ومع صعوبات السفر والتنقل، لم تنقطع في الذهاب للغربية (الشام/ فلسطين) على الأقل في الفترة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، وهي على الأقل فترة تم رصدها من قبل عدد من الرحالة وعدد من الرواة المحليين كما مررنا على بعضها في ما تقدم من مناقشات.

٢ ـ أغفل «والن» الحروب والصراعات الخارجية المفروضة على الجوف من القوى الخارجية، رغم أنه على الأقل شهد آثار واحد منها، والمتعلق بغزو ابن رشيد للجوف (دومة الجندل)، ومنها تدمير حي «الدلهمية» بكامله (مزارع بما فيها من نخيل وأشجار وبيوت) (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩ ـ ٣٠)، وبالتالي أهمل دورها في استنزاف اقتصاد وموارد الجوف (حتى لو كان فقط التمر).

٣ ـ بالنسبة للموقع، وكونه معزولاً أو غير مناسب للتجارة، فهو، وإن كان جزئياً صحيحاً، فإنه، أولاً، أفضل حالاً من مناطق داخلية وأقرب للهلال الخصيب (العراق/ الشام/ فلسطين)، وثانياً هو أمر لا يتفق معه حتى آخرون من الرحالة الغربيين أنفسهم والذين زاروا الجوف بعد «والن» نفسه بسنوات. من ذلك ما يقوله الرحالة، جيفورد بلغريف، عن أهل الجوف وصفاتهم وموقعهم، «... وموقعهم في الوسط، الذي سبق أن أوضحنا من قبل، **مناسب للتجارة**، إلا أن المسافة البعيدة من الوادي وإليه حددت حركة التجارة...» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٩).

٤ ـ لم يتكلم «والن» عن المحيط الصحراوي المتوحش، ونمطه الاقتصادي الرعوي (اقتصاد الغزو السلب والنهب) وقطاع الطرق، ودوره في الحد من الحركة إجمالاً للأفراد والتجارة، ولا في دوره في استنزاف الموارد (بشراً وممتلكات وجبايات) في الجوف.

٥ ـ باستثناء إشارة «والن» إلى «التمر»، وأنه الإنتاج الوحيد في الجوف في أرض فقيرة (غير خصبة)، فإنه لم يتكلم عن طبيعة ونمط الاقتصاد في الجوف، ولا بالتراكم شبه الممنهج في استنزافه على مدى العقود من قبل القوى الخارجية الغازية. على أية حال وانطلاقاً من المفاهيم النظرية والبحثية الاجتماعية والاقتصادية السائدة في أوروبا على أيام «والن»، والتي لم تكن قد تبلورت بعد بشكل واضح، لم يكن، بمقدوره، ربما وفي الغالب التحدث عن هكذا من نمط اقتصادي (حد الكفاف وتآكل فائض القيمة... إلخ) سائد بالجوف.

٦ ـ في وعن الاستنتاج الذي توصل إليه والن: محدودية وضعف التجارة في الجوف، يراها، الرحالة جورج أوغست والن، على أنها هي المفسرة لتخلف الجوف، أو كما يقول عنها «دونية الجوف» وأهلها في التاريخ العربي. ورغم أننا نرى بأهمية العامل التجاري من حيث التقدم والتخلف والديناميكية في الفعل والحركة التاريخية لمجتمع ما في موقع ما بعينه، إلا أنه وبالنسبة إلى الجوف، ورغم دور ما لمحدودية التجارة في تكوّن التخلف فيها (معرفياً وثقافياً)، إلا أننا لا نرى أنها العامل الأساسي في التخلف بالجوف. قلنا ونكرر إن العامل الحاسم في بنية التخلف، هو نمط الاقتصاد السائد في الجوف خلال ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م، وربما امتدت حتى ١٩٥٠ وفي حدودها، بسنوات قليلة نقصاً أو زيادة بحد أقصى، وهو نمط واقتصاد حد الكفاف المستنزف بشكل متواصل طوال تلك الفترة، وخاصة منذ ١٨٣٨م، فصاعداً وحتى ١٩٢٢م. هذا الاستنزاف، وعوامله التي أشرنا إليها أعلاه، هي التي جعلت منه اقتصاداً ليس فقط يتسم بحد الكفاف، وإنما فوقه، اقتصاد حد كفاف وبلا فائض ولا ادخار؛ من هنا كانت حالة الإفقار (الفقر) المتواصل والذي ولد حال وبنية التخلف في بعديها المعرفي والثقافي. التجارة ومحدوديتها هي عامل من ضمن عوامل أخرى ساعدت في دعم حالة التخلف. نعلم أن أهل الجوف لم ينقطعوا، وبأعداد كبيرة، عن التواصل، مع المحيط (الشام/ فلسطين) طوال الفترة تحت الدراسة، وبالذات من ١٨٥٠م وحتى ١٩٥٠م، وقد رأوا هناك أشياء كثيرة ولامسوها مرة تلو الأخرى، بما فيها من تجارة وزراعة وأساليب عيش وحياة، لكنها لم تجذبهم كثيراً ولم ينشغلوا بها، بل ربما لم يلتفتوا لها ويتأملوها، لأن حالة «الفقر» و«الإفقار» التي أطبقت عليهم خلال ١٨٥٠ ـ ١٩٢٢م، لم تترك لهم حيزاً حتى ربما للتفكير والتأمل في تلك الأمور. إن حالة الفقر (الإفقار) هي المحورية في الأمر، وهي التي كونت حالة وبيئة متراكمة من الإغفال والإهمال المعرفي والثقافي، ألا وهي بنية وبيئة التخلف بكافة مكوناتها وعناصرها. وحالة الفقر والإفقار، التي تقف وراء تكون وتواصل «بنية التخلف»، هي الأخرى متولدة ومتواصلة من تواصل حالة ونمط اقتصاد حد الكفاف المستنزف (لا فائض، أو فائض متآكل، فلا ادخار، ولا استثمار) بالتفصيل الذي أشرنا إليه.

نكتفي بما تقدم من بسط لمشهد ولواقع وحال بنية التخلف في الجوف، طوال فترة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، وخاصة منها ما تعلق بفترة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠)، في بعديها المعرفي والثقافي، وفي ما قدمناه

من تفسير لهذه الحالة من التخلف. يبقى لنا الآن أن نتحّول إلى المفارقة الأكثر إثارة في المسألة الثقافية بالجوف؛ ألا وهي أنه ورغم تلك البنية من التخلف خلال ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م، وبالذات (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، فالمثير بالأمر أنه في الفترة التالية على فترة التخلف (ما بعد ١٩٥٠م فصاعداً، وربما تعود إلى ما قبلها وحتى ١٩٣٠م)، هناك حالة ثقافية أخرى، وهي كما تتبدى تتكئ على ما قبلها من حالة، لكنها تبدو في حالة تناقض ومفارقة معها، بما تتمثل به من وفي مستوى يبدو مرتفعاً وعالياً من «الوعي»، عند أهل الجوف، مقارنة مع الآخرين في المناطق الأخرى من البلد! هذه الحالة من «الوعي» يصاحبها قدر من حالة ثقافية أخرى تتمثل بـ «الانفتاح»، ولكنه انفتاح متسارع في التناقص والتآكل ويقترب من التلاشي كلما اتجهنا باتجاه نهاية القرن العشرين، على عكس ما كان عليه الحال قبل ١٩٥٠م، حيث مساحاته تكبر وتتسع كلما اتجهنا إلى الوراء وصولاً إلى عمق فترة بنية التخلف المعرفي والثقافي! ورغم التصاحب الجزئي بين الوعي والانفتاح في مرحلة من فترة المسألة الثقافية بالجوف، فإن الملاحظ هو من ناحية أخرى أن حالة وثقافة الانفتاح تبدو مترابطة بالمعاكسة (عكسياً) من جهة أخرى مع حالة وثقافة أخرى هي حالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد «فالعنف»، كمرحلة تالية على الانفتاح ومعاكسة لها في الاتجاه. وحيث الأمر كذلك، فإننا في الفصل القادم سنقوم بمعالجة حالة وثقافة الوعي منفصلة عن حالة وثقافة الانفتاح، وإن في الأخيرة مصاحبة جزئية ومرحلية للوعي، وربما نلحظها جزئياً في مناقشات الوعي. في الفصل الذي يلي الوعي، وحيث الترابط بين الانفتاح والانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف)، سوف نعالج، أولاً، حالة وثقافة الانفتاح، بسطاً وواقعاً، ثم، ثانياً، نعالج حالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف، بسطاً وواقعاً، ثم في مرحلة، ثالثة وأخيرة، نقدم تفسيراً مشتركا للانفتاح والانغلاق لما بينهما من ترابط بالمعاكسة.

الفصل الخامس

الجوف وثقافة الوعي (s١٩٣٠م ـ ٢٠١٣م)

مقدمة

في المسألة الثقافية الكلية للجوف وأهلها (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م)، كان التحديد ينطلق من مفارقات وجدليات: التخلف، والوعي والانفتاح، والانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف). وفي واقع الأمر، وجدليات الثقافة بالجوف، نحن من جهة أمام ثقافة الوعي، وإلى حدٍّ ما الانفتاح، مقابل التخلف، ومن جهة أخرى نحن أمام الانغلاق والتطرف والتشدد؛ فالعنف مقابل الوعي والانفتاح (انفتاح سابق عليه، وانفتاح حديث لفضاء متسارع). كانت المعالجة تقتضي، قبل الانتقال من حالة ثقافية إلى أخرى، هي، أولاً، بسط كل حالة ثقافية، ثم تفسيرها ثانياً. من هنا، في المبحث السابق، كان النقاش يتركز حول بنية التخلف المعرفي والثقافي في الجوف ولأهلها خلال الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، وخاصة منها فترة (s١٨٣٠م ـ s١٩٣٠م)، واقعاً وتفسيراً. كان علينا، أولاً، أن نبسط على نحو، شبه كامل لمشهد وواقع بنية التخلف معرفياً وثقافياً. وعندما بسطنا واقع وبنية التخلف، كان لا بد من تفسير الحالة ذاتها.إذن كان السؤال المطروح، هو لماذا هذا التخلف الثقافي المعرفي لأهل الجوف (سكاكا ـ دومة الجندل) خلال تلك الفترة، وخاصة في ضوء قرب الجوف من الهلال الخصيب، وبالذات مع سورية وفلسطين ومحيطهما، وكذلك في ضوء أنه، ويا للمفارقة الأخرى، كان هناك تواصل واحتكاك لم ينقطع من أهل الجوف مع تلك البلاد العربية المجاورة شمالاً وغرباً، وخاصة، سورية وفلسطين؟

إن كانت بنية التخلف المعرفي الثقافي (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠) للجوف وأهلها على تلك الوضعية، وكانت في واقعها ومناقشاتها على قدر من الإثارة والتعجب بالمقارنة والمفارقة مع قرب الجوف وأهلها من الهلال الخصيب وتواصل منهم معها لم ينقطع طوال تلك الفترة، فإن الأكثر إثارة وغرابة هو أن حالة

ثقافية من الوعي لأهل الجوف، وإن كان لها جذور في فترة بنية التخلف المعرفي والثقافي، لها تمظهرات وبروز بشكل أوضح في فترة تتراوح ما بين بعيد عقد الـ «١٩٣٠sم» وعقد الـ «٢٠١٠sم»، وهي فترة أتت لاحقة لبنية التخلف متكئة في خلفيتها عليها! نعيد التشديد على أن حالة الوعي في الجوف والتي نحن بصددها لا تعني أن جذورها نشأت فجأة ومنفصلة تماماً عما قبلها، ولكنها، وإن كان لها تمظهرات في ما سبق من فترة تخلف، إلا أن ما يهمنا من «حالة الوعي» سواء في تمظهرات سابقة و/ أو لاحقة لفترة التخلف، وبالذات اللاحقة (١٩٣٠s ـ ٢٠١٠م تقريباً)، هو في بسطها وتفسيرها وخاصة في ضوء خلفيتها من التخلف المعرفي/ الثقافي. حالة الوعي في الجوف، صاحَبها قدر من الانفتاح، ولكن الانفتاح، والذي بداياته ومساحاته الرحبة تقبع جذورها في عمق فترة التخلف، يبدو في حالة متناقصة متلاشية كلما تقدمنا باتجاه نهاية القرن العشرين، وربما قبلها بسنوات عديدة. ما يهمنا من الأمر هو التالي: إذا كانت خلفية الوعي، وبمعزل عما صاحبه من انفتاح وبقدرة متناقصة، هي بنية التخلف، فكيف لنا أن نفسر هذه الحالة من الوعي؟ إنه البحث في الإجابة عن السؤال: لماذا الوعي؟

قبل أن ندخل في البحث عن تفسير لثقافة وحالة الوعي بالجوف، علينا أولاً أن نبسط مشهد وواقع الوعي بالجوف وأهلها خلال الفترة (١٩٣٠sم ـ ٢٠١٠sم)، وبما يعني أن علينا أن نقيم الشواهد والأدلة على حالة الوعي. وبالرغم مما بين الوعي والانفتاح من اتصال وقدر من التصاحب وقدر من التلازم الظاهري، إلا أنهما في بداياتهما (جذورهما) ونهايتهما (تلاشيهما/ تناقصهما) ليسا متساويين بالضرورة. بل إن جذور الانفتاح، ومساحاتها الأكبر تعود إلى عمق فترة وحقبة بنية التخلف المعرفي والثقافي للجوف وأهلها (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، حيث يلاحظ أنه ومع التقدم تجاه نهاية فترة التخلف المعرفي الثقافي (بحدود عقد الـ «١٩٥٠sم») فإن الانفتاح ومساحاته يتجهان إلى مزيد من التناقص والتآكل التدريجي. ومع ذلك فإنه ورغم التناقص والتآكل المتواصل للانفتاح في الجوف ولأهلها، يبقى أن قدراً منه سيتواصل فيما بعد ١٩٥٠م مصاحباً حالة الوعي، ولكنه آخذ بمزيد من التآكل المتسارع، فمزيد من الانحسار وباتجاه التلاشي كلما اقتربنا من سنوات العقد الأخير لنهاية القرن العشرين و/ أو قبله بسنين. في المقابل سنرى أنه وبينما الانفتاح المصاحب للوعي يتزايد انحساراً كلما تقدمنا باتجاه أواخر القرن العشرين، فإن الوعي، وإنْ كان له بعض التمظهرات في فترة بنية التخلف، فإنه منذ أواخر فترة التخلف، يتخذ مساراً تصاعدياً، وسنرى أنه يتواصل وجوداً بحالة عامة حتى ما بعد عام ٢٠٠٠م. بينما الانفتاح سيكون متوقفاً حتى قبل عام ٢٠٠٠م بسنوات، فإن حالة الوعي العامة للجوف وأهلها ستتواصل إلى (٢٠١٣م) وفي الغالب بعدها، وإن كانت هناك منعطفات وملابسات دخلت وطرأت على مكونات ومرتكزات ومرجعيات «جيل» ما بعد عقد الـ «١٩٧٠sم»، الحامل لـ «الوعي»، مقارنة بفترة وجيل الـ «١٩٤٠ ـ ١٩٦٠». في المقابل بينما الانفتاح يتزايد في التناقص حتى تلاشيه في نهاية العقد العشرين تقريباً، فإن حالة ثقافية أخرى (الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف)، على النقيض منها وبالمعاكسة والمخالفة معها، تكون في حالة تشكل وتزايد في التمظهر كلما اتجهنا بالتقدم زمانياً إلى الأمام وخاصة بعد أواخر عقد الـ «١٩٦٠sم»، وباتجاه نهاية القرن العشرين، لتصبح كحالة ثقافية مهيمنة سائدة، بلا منازع، مع أوائل العقد الأول من القرن الواحد والعشرين ولا زالت تتواصل حتى آخر الفترة المدروسة

(٢٠١٣م) ومن المتوقع تواصلها لعقود بعدها. حيث الأمر كذلك، فيما هو بين الوعي والانفتاح من قدر من المصاحبة، وما بين الانفتاح والانغلاق من ترابط بالمعاكسة والمخالفة، فإننا من الناحية البحثية ولضروراتها نحتاج إلى معالجة فيها قدر من التفصيل والفصل بين الوعي والانفتاح. في المقابل نحتاج إلى معالجة للانفتاح والانغلاق على قدر من الفصل في مرحلة بسط الحال والواقع لكل منهما، ولكن بالربط في تفسير مشترك لهما لما بينهما من الترابط بالمعاكسة (المخالفة) في التمظهر والانحسار أو التلاشي. من هنا في هذا الفصل، سنعالج أولاً الوعي، واقعاً ومشهداً، ثم، ثانياً، نقدم تفسيراً لحالة وثقافة الوعي، وخاصة في ضوء الاتكاء على خلفية ثقافة وبنية التخلف المعرفي والثقافي. في الفصل السادس والأخير من الثقافة بالجوف، سنعالج أولاً، ثقافة وحالة الانفتاح، بسطاً للحال والواقع، ثم نعرّج، ثانياً، إلى معالجة، حالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف، بسطاً لحالها وواقعها. وفي النهاية، وبسبب من الترابط بين الانفتاح والانغلاق بالمعاكسة والمخالفة، سنقدم، في مرحلة ثالثة وأخيرة، تفسيراً مشتركاً لحالة وثقافة الانفتاح وكذلك لحالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف.

في مفهوم الوعي

قلنا في المبحث السابق، وفي الجزء المتعلق بتحديد الإشكالية البحثية للمسألة الثقافية الكلية للجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م) إن الوعي، كما هو مستخدم وموظف هنا، وبما يتصل بالجوف وأهلها، يعني ويشمل حالة، و/أو مستوى، يبدو سائداً، من الفهم و/أو التفاعل لأهالي الجوف (أفراداً و/أو مجموعات) مع المناخ والشأن العام، محلياً ووطنياً وعربياً، ومحيطاً، وقضاياه، وصلتها بالداخل أو بالخارج، وبما تتضمنه من مخاطر وتحديات و/أو فرص وما تطلبه من اتخاذ مواقف و/أو أفعال (مشاركة/مساهمة) تتراوح بين الدعم والاعتراض والنقد والالتزام بها. ننبه إلى أن الإشارة إلى كلمة «الفهم» الواردة في التعريف والتحديد لـ «الوعي»، أعلاه، تبدو متناقضة مع ما قلناه عن بنية التخلف المعرفي والثقافي في الجوف ولأهلها والتي تغطي فترة طويلة تشمل (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، وإن ركزنا منها على (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، حيث الفهم في الغالب يتطلب مزيداً من المعرفة والثقافة، وهو ما لم يكن متوفراً، على الأقل بما فيه الكفاية، في فترة بنية التخلف، فكيف بالفهم له أن يتولد؟ ورغم أن هذه أمور متعلقة في التفسير سنأتي عليها لاحقاً، فيكفي هنا أن نقول إن «الفهم» قد يتولد من التجربة والخبرة التاريخية والملاحظة المباشرة.

هذا الوعي ومستواه يبدو مرتفعاً مقارنة بوضع الجوف وحجمها، وبالمقارنة نسبياً مع غيرهم من الأهالي في بقية المناطق. طبعاً التركيز في الوعي ومضمونه هو في الغالب على الجانب السياسي منه، بمعنى ما تعلق منه بالشأن العام المحلي والوطني والعربي والإقليمي المحيط.

أولاً: في بسط الحال والواقع: الشواهد والإثبات

في البدء ننبه إلى أننا في مناقشة الوعي، كحالة ثقافية، حددناها على أنها تغطي الفترة (١٩٣٠s م ـ ٢٠١٠s م)، وهذا، طبعاً، تقدير، لكنه ليس قطعياً. من هنا يمكن لحالة الوعي أن تمتد إلى

ما قبل ١٩٣٠م، وربما لها بعض المظاهر حتى في فترة بنية التخلف ذاتها (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، ولكن على أية حال نرجح أنها على الأقل تعود إلى الوراء حتى عقد الـ «١٩٣٠sم»، وما يهمنا منها هو فعلاً ما بعد ١٩٣٠م فصاعداً. في السياق نفسه، بينما حالة الانفتاح المصاحب ربما تصل إلى نهايتها مع أو قبل عام ٢٠٠٠م، فإن حالة الوعي ستمتد إلى ما بعدها، وهو أمر متوقع وسنرى شواهد لها. إن الحالات الثقافية، في الغالب، لا تبدأ من لحظة/ سنة بعينها، ولا تتوقف عندها بالضرورة، وإنما قد تنشأ وتتواصل، متجاورة، ولكن على نحو متزايد أو متناقص في البروز، حيث تناقص أحداها قد يوازيه صعود تدريجي لحالة ثقافية أخرى، والتي في حال تواصل صعودها قد تصل إلى حالة من الهيمنة وهو ما يعني انحساراً وتنحياً للأخرى، دون أن يعني أن المنحسرة/ المتلاشية انتهت تماماً. الأساس الذي انطلقنا منه في تحديد فترة، الوعي هو بالقياس على حدود تلاشي فترة بنية التخلف المعرفي والثقافي (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م)، والتي نرى أن تلاشيها و/ أو تآكلها يتزايد مع اقترابها من ١٩٥٠م أو في حدودها نقصاً و/ أو زيادة ببضع سنوات قليلة، حيث تبدأ تنحسر، وعلى نحو متزايد، حالة التدهور المعرفي والثقافي المصاحب: عودة القراءة والكتابة للجوف (بدء تعليم متزايد) وبشكل منتظم في الجوف في حدود أوائل عقد الـ «١٩٤٠sم»، فصاعداً ربما هي تشكل بداية قطع أولي مع، أو تحوّل مفصلي عن، المرحلة والحالة الثقافية السابقة (بنية التخلف المعرفي والثقافي).

عليه، نقول، إنه ورغم أننا في بسط حالة الوعي، نعود في واقع الأمر إلى فترة عقد الـ «١٩٣٠sم»، فإن التركيز سيكون على ما بعدها، وخاصة منذ ١٩٥٠م وصولاً حتى أوائل العقد الأول من القرن الواحد والعشرين الميلادي وفي حدودها. وللتثبت من مقولة/ فرضية أن الوعي في الجوف ولأهلها، في الغالب، مرتفع المستوى، كان علينا أن نقوم بعملية معمقة من الرصد لتفاعلات أهل الجوف مع القضايا العامة في المشهد المحلي والوطني والعربي والإقليمي/ المحيط على طول فترة (١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠م)، وما قبلها وبعدها بعقد من السنين وفي حدودها زيادة أو نقصاً قليلاً. تبيّن لنا من خلال الرصد والتحقق من تمفصلات وتمظهرات المشهد، أن هناك عدداً من المواقف والتفاعلات، والتي سوف نورد ونركز على أهم محطاتها، ونضعها أولاً في قائمة متتالية من البنود، نذكر بعضها سريعاً ومختصراً، وبعضها نفصل فيه قليلاً، والبعض الآخر يحتاج إلى تفصيل موسع سنورده لاحقاً للقائمة الإجمالية. تشمل القائمة (مرتبة تقريباً في تسلسل زماني تصاعدي، مع بعض تقطيعات زمنية متداخلة)، للمواقف والتفاعلات، كشواهد ومظاهر على مستوى الوعي، على التالي:

١ ـ (١٩٣٧م) مظاهرة أهل الجوف ضد مقترح تقسيم فلسطين (قضية عربية/ فلسطين). في تموز/ يوليو من عام ١٩٣٧م، وفي ضوء مقترح/ قرار من اللجنة الملكية البريطانية ومرفوع للحكومة البريطانية آنذاك، ويتعلق بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، عمت بعض مدن البلاد العربية مظاهرات واحتجاجات، ولم تكن الجوف وأهلها غائبة عن المشهد، بل من المناطق المتقدمة في هذا الشأن في تفاعلها مع الحدث. ولأهمية هذا الحدث والفعل والتفاعل معه من أهل الجوف، وفي هذه الفترة بالذات، نورد ما ورد عنه من خبر في صحيفة «صوت الحجاز» الصادرة في عددها (٢٦٦) في يوم الثلاثاء: ١٢/ جمادى الأول/ ١٣٥٦هـ، الموافق ٢٠ تموز/ يوليو١٩٣٧م، عبر مراسلها بالجوف آنذاك، حيث ينص

الخبر على: «في الجوف: «أبرق إلينا مراسلنا في الجوف بما يأتي: في الثلاث الأيام الماضية قام الأهالي هنا بمظاهرات ضد القرار الصادر بتجزئة فلسطين، وحضروا أمام قصر الحكومة طالبين من الإمارة رفع احتجاجهم لذلك للمواقع المؤلمة والاستياء مستولٍ على نفوس طبقات الشعب... مراسلكم بالجوف» (صوت الحجاز، ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٣٧: ١ ـ ٤).

٢ ـ (١٩٤٧/ ١٩٤٨م) مشاركات أهل الجوف في معارك حرب فلسطين (قضية عربية/ فلسطين):
لعل من المفارقات وتناقضات الأمور وتحولاتها، أن عدداً من أبناء الجوف (سكاكا ودومة الجندل)، كما أشرنا أكثر من مرة، كانوا خلال طول القرن السابق لهذه الفترة يذهبون إلى الغربية (وهي تعني عند أهل الجوف الشام/ حوران وفلسطين) للعمل في المزارع كحراس أو كعمال أثناء مواسم الحصاد، وخاصة الحبوب، وكذلك في حفر الآبار (القلبان) وتنظيفها هناك. استمر هذا الوضع حتى تقريباً ١٩٥٠م. وفي فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم، كان هناك من أبناء الجوف مَن عمل ضمن القوات العربية وقد شارك عدد منهم في الجيش العربي السوري والأردني وجيش الإنقاذ في فلسطين، ولا زال بعض منهم أو ورثتهم يتلقون بعض رواتب تقاعدهم أو استشهادهم. ومن أولئك ممن شارك نورد القائمة التالية:

مشاركة أبناء الجوف في حرب فلسطين ١٩٤٨م(*)

أولاً: شهداء معركة الشجرة في تاريخ ١٦/ ٧/ ١٩٤٨ (من بين ٨ أشخاص من الجزيرة العربية):
١ ـ سلطان بن إبراهيم بن عويقيل من أهالي الجوف من قبيلة المعاقلة (٥).
٢ ـ كريم بن علي النحاس من بلدة سكاكا من قبيلة القرشة. (٨)

ثانياً: شهداء معركة الزراعة في ١٦ ـ ٠٢ ـ ١٩٤٨م (من ١٣ شخصاً من الجزيرة)
١ ـ محمد بن نومان بن وذيخ من اللقايط التابعة للجوف أي دومة الجندل(**) (٩).

ثالثاً: وأسماء بعض الجرحى من أبناء الجوف (من بين ٢٨ جريحاً من الجزيرة العربية):
١ ـ فهد بن ذباح من أهالي الجوف (٢٥).

رابعاً: أسماء الذين منحتهم قيادة الجيش السوري الأوسمة الحربية
قرار رقم ٣٦٠:
١ ـ وسام الإخلاص مع النجمة الفضية المذهبة:
أ ـ الرقباء (من بين سبعة أشخاص):
١ ـ فهد ذباح (٦).
ج ـ وسام الإخلاص مع النجمة الفضية:
العرفاء (من بين ١١٠ أشخاص):
٢ ـ حمدان فالح (٥٤)؟؟(***)
٢ ـ علي ضاري (٧٧).

٣ ـ سمحي صالح (٨٦).
٤ ـ طراد سعد (١٠١).

خامساً: أسماء بعض المتطوعين من أبناء الجوف (من بين (٣٧٣) من الجزيرة العربية لإنقاذ فلسطين):
١ ـ جار الله العبد الله من أهالي الجوف (٥).
٢ ـ معد بن إبراهيم من أهالي الجوف (٥٢).
٣ ـ علي الضاري من أهالي الجوف (٥٦).
٤ ـ فهد الذباح من أهالي الجوف (٦٨).
٥ ـ سمحي بن صالح من أهالي الجوف (١٠٣).
٦ ـ عثمان بن محمد من أهالي الجوف (١٠٦).
٧ ـ حمدان بن حشاش من سكان الجوف (١١٦).
٨ ـ طراد بن سعد من أهالي سكاكا (١٤٥).
٩ ـ عبد الله بن محمود بن حسن ابن رضوان من أهالي الجوف (١٦٨).
١٠ ـ حمود بن نومان من أهالي الجوف (٢٤٢)
١١ ـ أحمد بن عصيفير من أهالي الجوف (دومة الجندل) (٢٦٧)(#).
١٢ ـ حمود بن فيصل من أهالي الجوف (٢٩٦).
١٣ ـ فالح بن حمدان من الجوف (٢٩٨).
١٤ ـ حمود بن نصير من أهالي الجوف، أي دومة الجندل (٣١١)(#).
١٥ ـ عساف بن دهام من أهالي الجوف (٣١٣).
١٦ ـ محمد بن عوض، مدينة سكاكا (٣١٥).
١٧ ـ مرزوق بن محمد من بلدة الجوف (٣١٦).
١٨ ـ سعيد بن رشيد من بلدة الجوف (٣١٧).
١٩ ـ شهاب بن حميد من بلدة الجوف (٣٢٠).

....

(*) الأسماء وألقابهم وانتماءاتهم هي كما وردت في البيانات. والأرقام ما بين قوسين على اليمين من كل اسم هو ترتيب الشخص كما ورد في البيانات.
(**) هكذا ورد في البيان.
(***) تم وضعه هنا انطلاقاً من أنه هو: فالح بن حمدان!!؟ كما ورد في بيان المتطوعين برقم (٢٩٨).
(#) ملحوظة: أحمد بن عصيفير وحمود بن نصير من سكاكا وليسا من دومة الجندل ((الباحث)).

المصدر: (الفالح، ٢٠٠٨: ٩٠ ـ ٩١)، هذه القائمة، في الأصل، تم استخراجها من قائمة أكبر وبيانات لمشاركة أبناء الجزيرة العربية في حرب فلسطين ١٩٤٨م، وردت في: موقع منتديات أنساب أون لاين، <http://Ansab.online.com>. كما ورد في بيان بعنوان «أسماء بعض شهداء ومقاتلي الجزيرة سنة ٤٨» في ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٤.

بعض منهم ممن لم يستشهد استقر واستوطن حيث هو، وآخرون، هم وأسرهم، عادوا بعد منتصف الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي واستعادوا الجنسية السعودية، ومع ذلك فإن الغريب

بالأمر أن هناك بعضاً من هؤلاء الأسر أو أبنائهم من لم يتمكن من استعادة الجنسية إلى درجة أن هناك بعض الإخوة الأشقاء حصل على الجنسية، بينما هناك قسم آخر منهم رُفض طلبهم؛ أتذكر في هذا السياق حالة أحد أبناء عبد الله الوردي رحمه الله، وكذلك أبناء عائلة «السليم» أبناء عمومة خليف غالب (الفالح، ٢٠٠٨: ٩٠ ـ ٩١) ولا أعلم إن انتهت تلك الحالات أم لا زالت قائمة.

٣ ـ (١٣٧٠هـ (شتاء)/ ١٩٥٠م أو ١٩٥١م) مظاهرة وإضراب في سكاكا ضد ما عرف بـ «القوة» (الأخوان). في حديث جماعي مشترك، وفي رد على قول ممدوح السلطان، إن أول مظاهرة طلابية في السعودية كانت بالجوف، كما سنأتي على ذكرها لاحقاً، قال د. عارف المسعر، وأنا هنا ألخص كلامه: إن أول مظاهرة عامة في الجوف، وشارك فيها طلاب المدارس، حدثت في عام ١٣٧٠هـ. كان سببها أن حسن الغنام عنده نياق (إبل)، وأنه وبناته عادة ما يقرشون[1] إلى بر شمال سكاكا، وأن القوة (الأخوان)، والذين بقوا آنذاك في سكاكا ((على ما يبدو كانوا بالأصل في طريقهم للمشاركة في حرب فلسطين ١٩٤٧/١٩٤٨م؟ ـ الباحث)) حاولوا الاستيلاء على نياق حسن الغنام، ولكن الأخير رفض، فقام ملاحقاً عدداً من عناصر تلك «القوة»، بأخذ النياق أو بعضها بالقوة. لذلك قام حسن الغنام وجماعته غاضبين محتجين على ما جرى، وكذلك قامت عناصر من جماعات أخرى، ومنهم «المسعر» (أهل د. عارف)، ومنهم على وجه التحديد والده مفضي المسعر، بمناصرة حسن الغنام وجماعته، فقامت مضاربة ومعركة في منطقة سوق البحر بين المناصرين لحسن الغنام من جهة، وبين بعض عناصر «القوة» الموالين لها من جهة أخرى، ورافقها هتافات، ونتج عنها إصابات وجروح. وأضاف د. عارف، أنه يتذكر أنه في تلك الليلة، وحوالي الصباح الباكر، وكان في الانتظار للذهاب إلى المدرسة، وكان الوقت شتاءً، حيث، كان «أهله جالسين حول النار للتدفئة وعمل فطور، فإذا بوالده، ومعه بعض أهل المسعر، فلاحظت بعض الجروح على والدي. في الصباح الباكر، توجهت للمدرسة، ولكن قبل وصولي إلى المدرسة، وجدت الناس وقد تجمهروا، وكانت كثير من الدكاكين مقفلة. كان المحتجون، وكذلك حشد من الطلاب انضموا إليهم، يطالبون بقفل أية دكان مفتوحة (طلب الإضراب)، وكان الطلاب يضربون (يقذفون) بالحجارة أية دكان مفتوحة». وذكر د. عارف، أنه يتذكر «أننا قذفنا بحجارة على دكاكين للنحاس». وقال د. عارف إن بعض الطلاب قد تجمعوا هكذا، ولكن من جمعهم و/ أو من حرّضهم فلا يعرف من هو؟ (المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٠ ملخص). (شأن عام محلي).

٤ ـ (١٩٥٠م/ ١٣٧٠هـ) أفكار اشتراكية بالجوف (فلتسقط البرجوازية)!!؟ في سياق القصة السابقة عن المظاهرة الطلابية التي حدثت تضامناً مع حسن الغنام، وفي سياق المناقشات الجماعية آنفة الذكر، ذكر د. عارف أن هناك قصة/ حادثة مثيرة، وقال، مشيراً لي ولنا جميعاً، أنني سأرويها لكم، وربما لن يصدقها الدكتور متروك، ولن تصدقوها، فقال، وأنا أُلخص كلامه: «تذكرون هزيم الرويلي، والذي

---

(١) في الجوف (سكاكا ودومة الجندل) يقولون لمن يذهب للبرّ من أجل جمع وجلب الحطب و/ أو الحشيش (العشب): «يقرش وقرش، ويقرشون، أقرشوا... إلخ. وبالمناسبة، وإذا الشيء بالشيء يُذكر، ففي اليمن، وطبقاً لـ «أحمد بن محمد الشامي» في كتابه، **رياح التغيير في اليمن** (جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٩٨٤)، يذكر أن الدابة المستخدمة في السفر/ التنقل تسمى «قارشة»، وطريق ومسار «الخيل والبغال والحمير» يسمى «القُراش» (الشامي، ١٩٨٤: ٧٥ و١١٦).

ذبحه الباكستاني بـ «عرعر»؟، وواصل قائلاً: إنه كان له دكان في سوق البحر (في سكاكا)، وكانت تلك الأيام بحدود ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م/ ١٩٥١م تقريباً)، كانت هناك عبارة مكتوبة على أعلى دكانه، تنص/ تقول: «**فلتسقط البرجوازية**»**!** وقال إنه لا يعرف من كتبها ولكنها كانت موجودة، وأمام الناس، بما فيهم من له علاقة بالدولة، وفي الغالب يمرون بها/ عليها لكن دون أن تلفت انتباههم/ أو لا يدرون ما هي؟**!** (المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٠ ملخص).

بعد القصة نشأ نقاش حولها، ومن كتبها، ولماذا، وخاصة أنه لا يوجد في الجوف، في ذلك الوقت، شيوعيون و/ أو يساريون. في هذا السياق، وفي المناقشات، أشير إلى «عواد العوذة»، وأنه، ربما، كان في السابق «ملحداً»، ولكنه رجع للإسلام والإيمان بشكل قوي بعد حادثة لطائرة كان فيها، وكادت أن تسقط وتهوي إلى الأرض. وتأكيداً على فترة الإلحاد السابقة له، يشير أبو زياد/ ممدوح السلطان، في سياق المناقشات الجماعية حول قصة وفترة الإلحاد، إلى واقعة «عقد» بين منزل المقبل وعواد العوذة، ورفض الأخير الشهادة على القرآن. وعوداً على عبارة «فلتسقط البرجوازية»، يشير عايد العوذة، في مناقشة معه عن «العبارة» إلى احتمالية كتابتها بدور للعسكر من أبناء المنطقة والذين سبق أن اشتغلوا في الغربية (الشام/ فلسطين/ الأردن) (العوذة، عايد، لقاء وحديث، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١ ملخص).

ومع ذلك، ورغم هذا القول وهذه الاحتمالية كما طرحها عايد العوذة، إلا أنني أرى، وفي الغالب وفي حكم شبه المؤكد، أن لا علاقة لها بأي من أهل الجوف، آنذاك، ليس الأمر تنزيهاً لهم عنها، ولكن لأن واقع الأمر لا يشي بمثل أفكار كهذه ولا أشخاص بهذه المواصفات. هذه الأفكار لم تظهر إلا في سياق الحركات العمالية في شركات النفط، وفي سنوات ما بعد ١٩٥٣م، ولم تنتشر إلا مع الستينيات من القرن الماضي، علماً أنه حول ١٩٥٠م لا يبدو أن أحداً من أبناء الجوف التحق بشركات النفط. أغلب الظن أن هذه العبارة، كتبت من معلمين/ مدرسين من الشام/ فلسطين، إن وجدوا، وكانوا يعملون بالتدريس بالجوف آنذاك. على أية حال لاحظنا أن لا أهمية أعيرت للعبارة، حيث بقيت لفترة من الزمن(؟) دون إزالتها، مما يدل على أن مثل هذه الأفكار، وفي هذا الوقت بالذات، ليس له جاذبية و/ أو قبول من أهالي الجوف، علماً أن هذه الأفكار الاشتراكية، حتى في أوج عزها منذ منتصف الستينيات من القرن الماضي لم يكن لها رواج بالجوف، إلا بين عدد محدود جداً من أبنائها، لا يكاد يُذكر. هذا لا يعني التقليل من أهمية الأفكار ذاتها ولا من اقتنع بها وحقه في ذلك، ولكننا نحن، على أية حال، نتكلم عن محدودية انتشار تلك الأفكار في الجوف في تلك الفترة. (شأن محلي/ خارجي: أيديولوجيا/ أفكار).

٥ ـ (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) شكوى صالح المويشير ضد السديري والشيخ ابن مبارك، وشكوى المعاقلة المضادة (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٢ ـ ١٣ من ٢١ تفريغ، و«وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً). هذه الواقعة (شأن عام محلي) تحتاج إلى تفصيل سنورده لاحقاً.

٦ ـ (١٩٥٦م) مظاهرة طلابية في الجوف (سكاكا) ضد (العدوان الثلاثي على مصر): رغم أنه ليس هناك معلومات دقيقة على سنة حدوثها، إلا أن هناك من يشير إلى مظاهرة طلابية اندلعت، وشارك فيها بعض من طلبة المدارس بالجوف (سكاكا)، ومنهم على ما أذكر «سالم الحمود». ونرجح أن المظاهرة

كانت احتجاجاً على العدوان الثلاثي على مصر، حيث أشار المصدر إلى أن المظاهرة كانت بقيادة الأساتذة المصريين الذين كانوا متواجدين، على ما يبدو، بالجوف (سكاكا) آنذاك (السلطان، ممدوح، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٠ ملخص). (شأن عربي).

٧ ـ (١٣٧٧هـ/ (١٩٥٧م)) **مبادرة ووثيقة أهل الجوف عن التنمية ومكافحة الفساد**: شكوى/ مطالب أهل الجوف التنموية الجماعية وتطوراتها باتجاه مكافحة الفساد («وثيقة مطالب أهل الجوف، ١٣٧٧هـ»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً). (شأن عام وطني ومحلي: تنمية ومكافحة فساد). هذه الشكوى والمطالب الجماعية، تعتبر على درجة من الأهمية، باعتبارها، أولاً، قضية لوثيقة مطلبية تنموية جماعية غير مسبوقة، في ما أعلمه، على مستوى الدولة ككل، ولكونها، ثانياً، في تطوراتها، تحولت، في جزء هام منها، إلى أول وثيقة أهلية، أيضاً على مستوى الدولة ككل، ضد الفساد ومكافحته. لذلك تحتاج هذه الشكوى الجماعية بالجوف، أن نفرد لها تفصيلاً موسعاً فيما بعد الانتهاء من القائمة الإجمالية (التفصيل لاحقاً).

ونرى أن هذه المبادرة/ الشكوى الجماعية، والتي قدمت في هذه الفترة، من أبرز وأهم مظاهر الوعي لدى أهل الجوف جماعياً ولبعض من أفرادها (المبادرين)، وخاصة أن نسبة كبيرة من أهالي الجوف، زعامات وأفراداً وجماعات وقعت عليها في وقت، يعتبر استثنائياً ومثيراً للدهشة لكون تلك المبادرة قريبة عهد من ذيول فترة بنية التخلف المعرفي والثقافي بالجوف. (انظر كامل الشكوى مفصلة بعد نهاية القائمة).

٨ ـ (١٣٧٩هـ (١٩٥٨/ ١٩٥٩؟)) **المطالبة بصحيفة لـ «الشمال»**. طبقاً لمعلومات من مطرب عبد الله المطرب، عن والده، نقلها عقل الضميري للباحث وبطلب وسؤال من الباحث، فإن من قام بالمبادرة بالمطالبة بصحيفة للشمال هو عبد الله المطرب الدندني[٢] من «حي المطر في سكاكا». كانت مطالبته بصحيفة للشمال عبر مقالات كان كتبها ونشرها بجريدة **القصيم** في السبعينيات الهجرية من القرن الماضي. كان عبد الله المطرب، في كتابة مقالاته ونشرها في **القصيم** يوقع بإسم مستعار هو «فتى الشمال». على إثر ذلك، نقل من الجوف إلى الخرج سنة ١٣٧٩هجرية، حيث مكث هناك بالخرج حوالي عشر سنوات قبل أن يتمكن من العودة لإدارة التعليم بالجوف، مرة أخرى، في سنة (١٣٩٠هجري)، (الضميري، عقل، رسالة نصية «واتسآب»، في ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣: الساعة ٨:٥٨ مساءً).

ويبدو أن النقل أو، بالأحرى، الإبعاد، كعقاب له، كان على ما يبدو من مخرجات الضغوط التي مورست عليه من جهات حكومية يبدو ذات صلة بإدارة الحكم المحلي بالجوف (إمارة الجوف وأميرها آنذاك) و/ أو عبرها. ورغم أن مبادرته كانت مبادرة فردية ولم تؤتِ أُكلها، إلا أنها، في مضمونها ومحتواها المطلبي الثقافي/ الصحافي في ذلك الوقت بالذات (أواخر الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي) تمثل إضاءة في مشهد ومسار الوعي في الجوف ولأهله. وعبد الله المطرب، فضلاً عما تقدم، له دور

---

(٢) عبد الله المطرب، توفّي بتاريخ ٧/ ٧/ ١٣٩٧هـ (٢٤/ ٦/ ١٩٧٧م).

ثقافي ورياضي عام في الجوف (سكاكا) في تلك الفترة، حيث كان مؤسساً للحركة الرياضية بالجوف، وكان له إسهام في نشر الثقافة عبر تأسيس أول مكتبة ثقافية تجارية (**الرياض**، ٥/ ٥/ ٢٠٠٦)[٣].

٩ ـ (١٩٥٥ ـ ١٩٦٣م) الحركة العمالية ونشاطاتها في شركات الزيت ومشاركة عدد من أبناء الجوف فيها (شأن عام وطني ومحلي). المعلومات عن علاقة أهل الجوف بالحركة العمالية، محدودة، ولكن، في ما لدي من معلومات، هناك على الأقل شخصان من أهالي سكاكا، كان لهما نشاط ضمن الحركة العمالية، وخاصة في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي. هناك مبارك عبد الرحمن خليف الفالح، وعواد منزل العوذة. مبارك الفالح، وإن لم يظهر على الساحة العمالية علناً، كان يقوم بدور تنفيذي ميداني «سري»، في أوقات متأخرة من الليل، بتحريض العمال وبتوزيع المنشورات، وخاصة بين أهل الجوف منهم. أما عواد العوذة، فكان على ما يبدو يقوم بدور تنفيذي ميداني «حركي» أكثر علنية، ولذلك يبدو، كما فهمت من نقاشات متكررة، في صيف عام ٢٠٠٢م، وما بعدها، مع ابو/ شاكر (عايد منزل العوذة)، أن عواد العوذة اعتُقل مرة، وفي فترة الاعتقال دخل عايد العوذة نفسه، وهو كما يقول كان شاباً صغير السن آنذاك، على الخط، ليس من باب المشاركة في النشاطات العمالية، وهو لم يكن على ما يبدو قد التحق بالعمل أصلاً، وإنما من باب المساهمة في والسعي لإطلاق سراح شقيقه عواد. فذهب على ما يبدو إلى إمارة الشرقية/ الدمام، وحاول هناك، ولكن أحد الأشخاص، عندما فاتحه بالأمر، حذره بعدم فتح الموضوع في الإمارة ومع الأمير، ذلك أن ابن جلوي (الأمير آنذاك) لو عرف لألحق به أذىً كبيراً، فنصحه بالذهاب للرياض ولوزارة الداخلية. ويبدو أنه، وعلى خلفية ذلك التحذير، بالفعل ذهب للرياض، وقابل، على ما يبدو، إبراهيم العنقري، والذي يبدو أنه تفهّم حاجته، وساعد في النهاية بإطلاق سراح أخيه. طبعاً عمل عايد العوذة، هذا، بحد ذاته، اعتبره، وإن كان مجهوداً فردياً ولحاجة تبدو خاصة ومحددة وخارج النشاط النقابي العمالي ذاته، مظهراً من مظاهر وعي ولو على المستوى الفردي. طبعاً قد يكون هناك أشخاص آخرون شاركوا وساهموا بمثل هذه النشاطات العمالية، ولكني أعتذر لهم، إن وجدوا ولم أذكرهم، والسبب هو أنني لا أعرف عنهم شيئاً ولعدم توفري على أية معلومات إضافية في هذا المجال.

١٠ ـ (١٩٦٢م) استقلال الجزائر واحتفالات أهالي الجوف به: تضامناً مع الأخوة في الجزائر في حصولها على استقلالها والفرحة به، شاركت مجموعات من أهالي الجوف، وبالذات في سكاكا، بعمل

(٣) عن الدور الرياضي والثقافي لعبد الله المطرب، انظر ما كتب عنه في جريدة **الرياض** (٥/ ٥/ ٢٠٠٦م): «عبد الله مطرب الدندني: عمل الأستاذ عبد الله الدندني في بداية حياته مدرِّساً بمدينة سكاكا ثم مديراً لمدرسة الطوير فمدرسة اللقائط وأخيراً تمّ تعيينه نائباً لمدير التعليم بمنطقة الجوف. أسّس نادي النجمة الرياضي عام ١٣٧٤هـ ودعمه مادياً ومعنوياً. بحكم عمله في التعليم شجّع الشباب على ممارسة الرياضة إيماناً منه بأن العقل السليم في الجسم السليم. أوّل من أسّس مكتبة ثقافية تجارية بمدينة سكاكا. وقام على إدارتها وتنظيمها وتزويدها بكلّ جديد في عالم الكلمة والثقافة والعلم. مارس الكتابة في الصحافة المحلية باسم فتى الشمال. دعم وشجّع الشباب على التعليم والتثقيف وإشغال وقت الفراغ بكل ما هو مفيد لهم ولوطنهم وخاصة في المجال الرياضي. كان من الأوائل الذين أسّسوا الحركة الرياضية بالمملكة وخاصة في منطقة الجوف وبذل جهداً كبيراً في زرع الثقافة الرياضية في مجتمعه. وتقديراً لجهوده فقد تمّ تكريمه ـ ومنحه وسام الرئاسة العامة لرعاية الشباب وفاءً وعرفاناً وشكراً لجهوده ـ في حفل تكريم الرواد الذي أقامته الرئاسة في العام الماضي». انظر: «(عبد الله الدندني).. مؤسس رياضة الجوف،» **جريدة الرياض**، ٥/ ٥/ ٢٠٠٦م، «نص الخبر كاملاً» على الرابط التالي: <http://www.alriyadh.com/2006/05/05/article151896.html>.

احتفالات أفراح واستعراضات وعرضات متصادفة مع يوم الاستقلال وبعيده. وأتذكر أنني، وكنت صغيراً في حدود ٩ ـ ١٠ سنوات، قد حضرت وشاهدت بنفسي تلك الاحتفالات والتي جرت في الشارع العام (امتداد الشارع العام، وخاصة باتجاه شمال سكاكا، حيث كان الشارع العام للتو قد شُق، ولا زال آنذاك ترابياً) وقرب مبنى الدفاع المدني (المطافئ) جنوب شرق بستان/ القنيفذ[٤]. استمرت تلك الاحتفالات حوالي ثلاثة أيام. ورغم أن الحكومة السعودية، وفي تصرف نادر منها لم يتكرر مرة أخرى في مناسبات عربية أخرى، كانت على ما يبدو هي الراعية والمحرضة على تلك الاحتفالات، والتي يبدو أنها قامت في أكثر من منطقة ومدينة رئيسة فيها، وهي بذلك ليست حصراً على الجوف، إلا أن تجاوب الناس ومشاعرهم في الجوف/ سكاكا، والمشاركين في الاحتفالات تلك، وتفاعلهم مع حدث استقلال الجزائر كانت حقيقية.

١١ ـ (١٩٥٦ ـ ١٩٧٠) **المد القومي الناصري واليساري**: وخاصة مع تداعيات العدوان الثلاثي على مصر، وما تلاها من تحولات في الساحة العربية، الوحدة المصرية ـ السورية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١م)، وفي العراق (ثورة تموز١٩٥٨) وأحداث في لبنان والأردن (١٩٥٨م) بموازاة الأخيرة... إلخ كان هناك انتشار للأفكار القومية البعثية والناصرية، وخاصة الناصرية، في كثير من البلدان العربية ومدنها وأريافها. والجوف وأهلها لم يكونا استثناء من هذا المشهد، بل إن تلك الأفكار كانت منتشرة متزايدة عند عدد من أبناء الجوف (من سكاكا ودومة الجندل)، في داخل الجوف، وبين المتواجدين منهم خارجها، وبالذات في الرياض، من مدنيين وعسكريين. كانت المتابعات للأفكار القومية تتم من خلال متابعة الإذاعات العربية وبعض المنشورات، التي قد تأتي من هنا أو هناك. في سنوات القمع والاعتقالات، طالت مجموعات من كافة مناطق الدولة في الفترة (١٩٦٤، ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩م)، بما فيها المشاركون في محاولة الانقلاب العسكري ١٩٦٩م. فيما يخص أهل الجوف، شملت حملة الاعتقالات، عدداً من أبنائها، ومنهم على وجه التحديد عابد إبراهيم الجباب، والذي اعتُقل على ما يبدو في منتصف الستينيات(؟)، وكذلك عافت مناع الزيد (١٩٦٨ ـ ١٩٧٥م)، ومحمد الجبر اللبيخان (١٩٦٩ ـ ١٩٧٥م)، وشملت الاعتقالات كذلك كلاً من مفلح المريحيل ومنزل المقبل (؟ ـ ١٩٧٥م)، وإن كان الأخيران لا علاقة لهما بالانقلاب، وإنما على ما يبدو بالاشتباه بحمل أفكار وتوجهات محتملة غير مقبولة (الفالح، ٢٠٠٨: ٣٤ ـ ٣٦). في أواخر الستينيات أو أوائل السبعينيات من القرن الميلادي الماضي سامي سليم الكريّع، في ما ذكره لي يوماً في دكان الخال/ أبو عقلاء (سليمان العقلاء)، وإن لم يعتقل، فقد تعرض لضغوط وتحقيقات بالجوف، من قبل إدارة الحكم المحلي (إمارة الجوف و/ أو أميرها) أو عبرها، تحت مزاعم/ تهمة بتوجهات و/ أو نشر أفكار ناصرية أو تتصل بـ «عبد الناصر» في المدرسة/ التعليم! طبعاً النشاطات العمالية (الحركة العمالية آنفة الذكر) تدخل في هذا السياق وضمن هذه المرحلة، ومتداخلة معها، ولكننا قمنا بفصلهما من أجل التوضيح، ولكونها حالة بارزة وقائمة بذاتها كحالة ونشاط متصل بعمال النفط

(٤) بالمناسبة فإن بستان وحوطة القنيفذ (عبد الله علي القنيفذ) الحالية، كانت في أصلها، ملكاً لـ «يانس مخلف الفالح»، ولكن على ما يبدو بعد وفاته، لم يكن بمقدور أولاده وبناته، لصغرهم آنذاك، مواصلة إحيائها والبقاء هناك، فرأى بعض من أقربائهم «آل فالح» مبادلتها بحوطة وملك عبد الله القنيفذ على قليب «النباوي» من زاويتها الجنوبية، وتمت المبادلة، والأخيرة هي الآن ملك لـ «عبد الهادي يانس مخلف الفالح».

وكونه متركزاً في الشرقية. هناك شخص آخر هو عبد الله الضميري، من حي المطر، والمشهور لقباً في سكاكا بـ «أبو ركعة» اعتقل مرتين في ستينيات القرن الماضي (١٩٦٠sم). اعتقاله الأول كان في عام ١٩٦١م ولمدة ثمانية أشهر، والثاني بين عامي ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م و١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ويروي لنا عبد الله الضميري جانباً من قصة اعتقاله في المرتين، حيث يقول، وأنا ألخص ما قاله لي في اتصال هاتفي، في الجمعة ١٣/ ١٢/ ٢٠١٣م، بعد صلاة الجمعة، عبر هاتف/ جوال الأخ عقل الضميري، وبتنسيق مع الأخير: «إنه كان ضمن مجموعة من حوالي ٤٥٠٠ من طلبة الثانوية العسكرية، مبتعثين للدراسة في مصر في مختلف النخصصات، وكان تخصصه هو «الأشعة». كانت بداية ابتعاثهم في ١٩٥٨م، واستمروا حتى ١٩٦١م، حيث توترت العلاقات المصرية ـ السعودية (جمال/ سعود) على خلفية الموقف السعودي من الوحدة المصرية ـ السورية، فطلبت السعودية عودة الطلبة من مصر للسعودية على أن يذهبوا إلى باكستان لإكمال دراساتهم هناك. رفض عبد الله الضميري العودة، وأصر على أن يكمل الدراسة في مصر ولو على حساب والده، لأن الدراسة في مصر أفضل من باكستان، فضلاً عن أن مستقبله الوظيفي بعد التخرج من باكستان سيكون أقل من زملاء له تخرجوا تلك الأيام برتبة ضابط (ملازم ثانٍ)، وذكر منهم، مثالاً لا حصراً، تركي الفالح. بعد محاولات عدة معه، أقنعوه، كما يقول بالسياسة، بأن هناك طائرة سلاح تنتظركم وسوف تأخذكم للسعودية، فأحضر له شخص يقول إنه «كامل الدباغ» جواز السفر، وعندما دخل طائرة السلاح، آنفة الذكر، وضعت الكلابش في أرجله والقيود في يديه. عند وصوله للسعودية، تم إيداعه في الإيقاف في الكفنكو (نادي الضباط) واستمر محتجزاً لمدة ثمانية أشهر تقريباً، حيث توسط له شخص من «المطر» هو «حمود وطبان الشمردل»، وكان هذا الأخير يعمل سائقاً لدى مدير الاستخبارات العسكرية «رشيد السليمان». قال حمود الشمردل لمدير «الاستخبارات» إن عبد الله الضميري قريب لي وأنا أكفله، فوعده مدير الاستخبارات أن يكلم غداً رئيس الأركان «الطاسان»، آنذاك، حيث سيقابله غداً ويحل الموضوع معه. في اليوم التالي، يبدو أن رئيس الأركان، وبعد تدخل مدير الاستخبارات، طلب مقابلة عبد الله الضميري، حيث أُحضر له وصار نقاش معه، وكان عبد الله الضميري مصراً على موقفه وأنه لن يذهب لباكستان، فقال له «الطاسان»: «والله غير اخلي أبوك يبيع نخيلاته»، قاصداً أن يدفع تكاليف دراسة ابنه في مصر. بالنهاية وافق على إخلاء سبيله على أن يسرّح من العسكرية، وأن يُوقع على وثيقة (تعهد) بأن لا يعمل في أي عمل حكومي، ويقول عبد الله الضميري، إنه يحتفظ بتلك الوثيقة و/ أو بنسخة منها. بعد إطلاق سراحه، على ما يبدو في أواخر عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، وبسبب منعه من العمل في أية وظيفة حكومية، ذهب عبد الله الضميري إلى الشرقية وعمل مع عمال شركة الزيت اليابانية (OEC) في «الخفجي» في عمليات الحفر، وكان معه بعض من أهل الجوف، وذكر شخص من عائلة «النمر»، وقع على رأسه الحفار، ويبدو أنهم، كما يقول عوضوه و/ أو أهله بمبلغ بحدود ٢٥٠٠٠ ريال. وفي وقت ما من منتصف ١٣٨٥هـ/ ١٣٦٥م يبدو أن انفجاراً أو تفجيراً وقع في الخفجي اعتُقل على خلفيته مجموعة اتهموا «عبد الله الضميري» بأنه هو من يقف وراء التفجير، وهو بريء منه. على إثر تلك الوشاية تم اعتقال عبد الله الضميري في ١٢/ ٦/ ١٣٨٥هـ، وكما قال عبد الله الضميري، إنهم «تلوه من عرسه» وهو لا زال في اليوم الثالث لعرسة على بنت نايف السلامة. استمر اعتقاله حتى ٢١/ ٩/ ١٣٨٧هـ، حين أُمر باطلاق سراحه، عندما لم يثبت عليه ما اتهم به، على أن يتم ذلك إذا ما تحسنت حالته الصحية، والتي كانت

متردية جداً لدرجة أنه كان لا يستطيع المشي على قدميه، وإنما من خلال «كرسي عربية» نتيجة ما تعرض له وفي أعقاب إضراب له عن الطعام لمدة ٢١ يوماً في فترة من فترة اعتقاله (الضميري، عبد الله، مقابلة في اتصال هاتفي، الجمعة في ١٣/ ١٢/ ٢٠١٣: ١:٠٣ ـ ١:٢٣ ظهراً). شملت هذه الفترة متابعة أحداث ونكسة ١٩٦٧م والتفاعل معها بقدر من الألم والحزن بين أوساط الشباب وحتى الكبار بالجوف، والذين كانوا يتابعون الأخبار، ومسلسل الهزائم العسكرية عبر جهاز المذياع، وإذاعة لندن تحديداً، والتي كان الكبار يتابعونها أكثر من غيرها من محطات إذاعية لما بدا لهم أنها تقدم أخباراً أكثير مصداقية من غيرها. تابعوا مجريات وتطورات حرب ١٩٦٧م، وكانوا مذهولين من شدة الصدمة والهزيمة. ورغم الهزيمة وعلاقة مصر قيادة وقوات بها، فقد شكلت وفاة عبد الناصر، هي الأخرى وقعاً كبيراً ليس على الشباب فحسب، وإنما كذلك، على الجيل الأكبر (كبار السن)، المتعلق بالحلم ووهمه، والذين في غالبهم لا يعرفون القراءة والكتابة. لا زلت أتذكر أن بعضاً من كبار (شياب) حارتنا قد أجهش بالبكاء على فقد عبد الناصر! في سياق الأفكار القومية الناصرية والبعثية، والتي انتشرت في داخل الجوف (وتحديداً في سكاكا) أو في خارجها بين بعض أبناء أهلها في هذه الفترة وما بعدها بقليل، هناك ملاحظة لست متأكداً من مدى دقتها، ولكن لدي تصور وإحساس أنها كذلك، ويمكن اختصارها على النحو التالي: رغم أن الأفكار القومية، وبالذات منها الناصرية، كانت لها جاذبية عامة لا بأس بها في الجوف، وهناك تقدير واحترام لشخصية عبد الناصر في عموم الجوف وبين نسبة منهم بمن فيهم جيل كبار السن آنذاك، إلا أن الأفكار القومية (الاتجاه العروبي) بشكل عام، كما يبدو لي، كانت أكثر انتشاراً بين أبناء القرشة منها بين أبناء المعاقلة. وفوق هذا وذاك، وفي هذه السياقات، يبدو أن الأفكار القومية/ العروبية (البعثية ـ العراق) وسط انتشارها الأكبر هو أيضاً بين أبناء القرشة، بينما الأفكار الناصرية أكثر انتشاراً بين أبناء المعاقلة. في المعاقلة، وبين أحيائها، لدي إحساس بأن الأفكار القومية/ العروبية، وبالذات الناصرية منها، تنتشر أكثر كلما اتجهنا إلى الركن الجنوبي والغربي منها (مثلاً، هذا واضح في «الدغيفق» و«الطالب»)، بينما تضيق الأفكار القومية/ العروبية وتكاد أن تنعدم كلما اتجهنا إلى شمال المعاقلة وبالذات في وسطها وما حوله. طبعاً في عموم سكاكا، هناك أفراد هنا أو هناك، في أحياء وجماعات القرشة، والمطر، والشلهوب والمعاقلة، قد يميلون إلى الأفكار الناصرية أو البعثية. بالنسبة إلى دومة الجندل ليس لدي معلومات عن توزُّع الاتجاهات والميول القومية فيها، وإن كنت أتوقع، أن لشخصية عبد الناصر جاذبية عامة هناك، وخاصة بين العسكريين/ الضباط من أبناء دومة الجندل، كما هي في سكاكا عموماً، ولعل بعض أبناء دومة الجندل المعني بالأفكار وتحولاتها يبحث الأمر، كما أن الأمر ينطبق على ملاحظتنا عن سكاكا، والتي تحتاج إلى من يقوم بالتدقيق فيها وفحصها.

١٢ ـ (١٩٥٥ ـ ١٩٧٠s م) **شخصيات ومواقف**: على المستوى الفردي: إضافة لما تقدم من إشارات تتعلق بمواقف ونشاط فردي، هناك على الأقل ثلاث شخصيات من أهل الجوف، وبالذات من دومة الجندل، امتازت بعدم التردد في الإعلان والمجاهرة بمواقفها، المعبر عنها قولاً وشعراً، بنقدها للسلطة المحلية و/ أو المركزية، وما رأته منها أو اعتبرته تحيزاً ضد الجوف وأهلها وقضاياهم في التنمية والكرامة. الرجال الثلاثة ومواقفهم، هم: دابس المرخان، وإبراهيم عابد الجباب، وعبد الله العايش، علماً

أننا، ورغم أن موقف «دابس المرخان» سابق لواقعة وموقف إبراهيم الجباب، فقد أخرنا الحديث عنه لترابط وتشابه موقفه وقصيدته مع موقف وقصيدة عبد الله العايش. من هنا نقول إنه وبالنسبة إلى «إبراهيم الجباب» فموقفه كان يتعلق بقصة اعتقال ابنه عابد عابد، والذي هو الآخر توفي دون أن يكتب مذكراته، فنقول إن لوالده، إبراهيم الجباب موقفاً شجاعاً وفي العلن أمام السلطة في الرياض. ولأنه سبق أن أوردنا القصة في كتابنا عن حمد الوردي (الفالح، ٢٠٠٨) فننقلها كما وردت «... هناك شخصية وطنية مهمة... هذا الرجل هو عابد إبراهيم الجوفي (الجباب)، وهو من أهالي الجوف (دومة الجندل)، قدم أهله (الجباب) من جبة من حايل واستوطنوا الجوف منذ أكثر من قرنين من الزمن، ولذلك يقال لهم «الجباب». على خلفية اعتقال عابد إبراهيم والذي حدث على ما يبدو في منتصف الستينيات من القرن الماضي، يحكي لي عافت الزيد في صيف عام ٢٠٠٢م، أنه، وقبل اعتقاله هو نفسه، ذهب مع إبراهيم الجباب إلى الأمير سلمان، في إمارة الرياض، بشأن المطالبة بإطلاق ابنه عابد، وذكر عافت أنه عندما دخلا على الأمير سلمان، سألهم الأخير قائلاً: من وين أنتم؟ فردوا أنهم من أهل الجوف، فرد الأمير، وكأنه غاضب من أهل الجوف، أو أن هناك من أثر على تكوّن فكرة سلبية عنهم لديه، فقال: «واللعنة»، فانتفض إبراهيم الجباب، رافضاً فكرة اتهامهم بعدم الوطنية، فقصد من فوره بيتاً من الشعر، فقال:

(قصور عنيزة تشهد وتقول يكذب سلمان بن عبد العزيز)»

(الفالح، ٢٠٠٨: ٣٩).

بالمناسبة، وعطفاً على مقولة الأمير سلمان، عن أهل الجوف و«اللعنة»، فهذه ليست المرة الوحيدة التي سمعتها منسوبة عنه، حيث مصدر آخر، يؤكد أن الأمير رددها في مناسبات أخرى متشابهة، ويبدو أنها متقاربة من حيث التاريخ، عند مقابلته لأشخاص من أهل الجوف! فيذكر عارف المسعر وخليفة المسعر، حادثة وقعت مع عيد المطلق عند ذهابه للرياض، بحدود ١٣٨٥هـ/ ١٣٨٦هـ، ومقابلة الأمير سلمان، بشأن طلب إطلاق سراح ولده «صلاح»(!؟)، المسجون آنذاك، وقول الأمير له ولمن معه، من وين أنتم؟ فردوا: من الجوف، فقال الأمير: «والله واللعنة»! (المسعر، عارف وخليفة، في: المسعر، عارف [وآخرون]، لقاء وحديث جماعي، في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢: ٣ من ١٠). وإكمالاً لقصة إبراهيم الجباب نعود لها، حيث «... لم يكد يكمل إبراهيم الجباب بيت شعره، كما يروي عافت المناع، إلا وقد تخاطفه حراس وأمن الأمير، ظناً منهم أنه يسب الأمير سلمان، واعتُقل لمدة ثلاث ساعات، ثم أُطلق سراحه، حيث تبين لهم، بعد التحقيق معه، ما قصده من بيت الشعر. والحكاية، التي أوردها إبراهيم الجباب في بيت شعره عن «قصور عنيزة»، تدور حول معرفة الجباب أن أهل الجوف كانوا من بين الأهالي والقوات التي شاركت في الدفاع عن الدولة السعودية ضد محمد علي وولده إبراهيم باشا في حملته على نجد والقصيم، وبالذات في عنيزة، حيث تحصنوا، بالفعل، بأحد قصورها، ولم يستسلموا حتى استسلمت عنيزة نفسها بشرط حفظ حياتهم، وبعد تراجع الإمام عبد الله نفسه. كانت الحملة تلك على وقت «الإمام» عبد الله، وكانت عام ١٢٣١هـ. وهو، أي إبراهيم الجباب، يريد أن يثبت أن وطنية أهل الجوف ضاربة في القدم وإن كلام الأمير لا يستقيم وتلك المواقف والأفعال من أهل الجوف. وقد لفت نظري عافت، آنذاك، إلى ما اعتقده أنه مصدر المعلومة تلك عن مشاركة أهل الجوف أهالي القصيم وغيرهم في تلك الحملة، فذكر

لي كتاب محمد عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر، **تحفة المستفيد ـ تاريخ الإحساء وبني خالد في القديم والجديد،** تقديم وتعليق وطبع حمد الجاسر، مطابع الرياض؟ ط١، ١٣٧٩/ ١٩٦٠، وقال انظر ص ١٤١ ـ ١٤٣، وأعطاني لاحقاً نسخة منه، فرجعت إلى تلك الصفحات ووجدت المعلومة، ولكن مصدرها الحقيقي هو ابن بشر...» (الفالح، ٢٠٠٨: ٣٩ ـ ٤٠).

و بالنسبة إلى «دابس المرخان» فهو من الرجال المشهود لهم بالوقوف ضد الظلم والجور والطغيان الواقع على الجوف وأهلها، وتوظيف الدين لهذه الغاية. دابس المرخان تعرض أكثر من مرة لقدر من الضغوط والقمع من قبل بعض القوى والجهات. ودابس المرخان هذا، ورغم أن له قصائد في مدح أركان الدولة ومرثيات فيهم، فإنه هو قائل أقوى قصيدة شعبية سياسية حديثة ناقدة للدولة وسياساتها، وخاصة تجاه منطقة الجوف وأهلها، ولا سيّما على مستوى الجوف، وربما على مستوى البلد ككل عامة، والتي تعود، ربما، إلى منتصف الخمسينيات من القرن الماضي (الفالح، ٢٠٠٨: ٤٠ ـ ٤١)، ذلك أن سياقها يتضمن بيتاً من الشعر يشير إلى الملك سعود، فهي إذن لا بد قيلت فيما بعد عام ١٩٥٤م، إن لم تكن فيه، وعلى أية حال ليس قبل ١٩٥٤م على نحو قاطع، لأن الملك سعود حكم بعد وفاة والده الملك عبد العزيز، وكانت وفاة الأخير في ٩/ ١١/ ١٩٥٣م. يشير أحد أبياتها إلى الملك سعود مباشرة. القصيدة ليست قصيرة، والتي كنا في ما سبق، اكتفينا منها بالبيت الأول منها، نضيف عليها هنا في هذه الدراسة أبياتاً أخرى وقعنا عليها من منشور خاص، تضمن البيت الأول والأبيات الأخرى. ورغم وجود بعض صيغ أخرى من القصيدة ومتشابهة، نورد منها ما وقعنا عليه في ذلك المنشور(؟) والذي يحتوى على تلك الأبيات وأبيات لقصيدة منسوبة لـ «عبد الله العايش»، والتي سنوردها تباعاً. من أبيات و/ أو قصيدة دابس المرخان، التالي:

بعض من قصيدة دابس المرخان

والله لو السماء تمطر مشايخ وهيعات(*)	ما ينجلي ظلم تراكم علينا
برق الحيا من فوقنا ما تقل فات	من الظلم الأجنف ما يطقطق سمانا
يا سعود صحنا لك براس الطويلات	صحنا وصار اصياحنا من عنانا
لوا هني اللي مع أبوك كد مات	من قبل عمالك تنتف لحانا
جانا السديري ظالم كل الأوقات	لا عاد يوم من دياره وتانا
مفرق بين الأهل والجماعات	والحق يغدونه عيانا بيانا
جليتنا لعرعر شيوخ وعيلات	العفو لله كيف تبحث خفانا
حنا هل الجوبة أوساع المضافات	أمبوبين أبيوتنا لمن لفانا

(*) يقصد بـ «هيعات» هيئات الأمر ورجال الدين.

يضاف إلى تلك الشخصيتين شخصية ثالثة، من أهل الجوف (دومة الجندل)، والتي في ما قالته من شعر وقصيد، في وقته، ـ وكما ورد في المنشور قيل أنها في ١٣٨٦هـ!؟، ولكن هذا التاريخ لا يبدو صحيحاً بالمقارنة مع سياق بيت في القصيدة كما سنبينه لاحقاً ـ، كان أحد الشواهد في مشهد الوعي لأهل الجوف، على المستوى الفردي. نورد أبيات و/ أو القصيدة، كما وردت في المنشور(؟)، آنف

الذكر، والأبيات تتحدث عن نفسها، وخاصة ما تعلق منها بالكرامة، وكذلك حرمان المنطقة من التنمية، كما هي قصيدة و/ أو أبيات دابس المرخان. تقول الأبيات:

أبيات/ قصيدة منسوبة عبد الله العايش

يا دار عقب الجوف سموك دومة	ولا بقالك من صفاتك علامه
اللي نواك بسو صابت سهومه	بنك العقاري حطمك في نظامه
تاريخك الماضي تداعت رسومه	ولقصر مارد ثلمة مع هدامه
من كل مشروع تراك امحرومة	قالو يروح وقلت ما من سلامة
بالمنطقة بالجوف ينفث سمومه	ولو راح منها باقي به غلامه
الدار ضاعت واستذلت اقرومه	مثل المريض اللي جثا في منامه
يا كاشف البلوى وخالق نجومه	راع الوطن بالجوف ماله كرامه

ورغم أن القصيدة مشار لها في المنشور على أنها قيلت في عام ١٣٨٦هـ، إلا أن الباحث يرى أن الإشارة للبنك العقاري في البيت الثاني من القصيدة يفند هذا التاريخ، ذلك أن البنك العقاري في السعودية، وحسب ما نعرفه، لم يبدأ إلا تقريباً في ١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ. من هنا، فإن كان البيت المتعلق بالبنك العقاري فعلاً من ضمن وفي أصل القصيدة، فالقصيدة في الغالب قيلت إما في عام ١٩٧٥م أو بعدها، وعلى الأرجح بعدها، وعلى أية حال ليس قبلها أبداً.

١٣ ـ (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥م) عدد من أبناء الجوف (سكاكا) في القاهرة لدراسة الطب. ما بين ١٩٧٠م وربما حتى ١٩٧٥م، ذهب بحدود ثمانية أشخاص/ شباب الجوف (سكاكا) لتلقي التعليم ودراسة الطب في الجامعات المصرية، وعلى حساب/ نفقة أهاليهم. وهؤلاء الطلبة هم: أولاً، عزيز محمد الجبر وناصر صالح الحزيم، ثم في مرحلة تالية، كل من خالد إبراهيم خليف وحمد المانع، ثم مرحلة ثالثة كل من متروك الفالح وعبد العزيز يوسف الثاري، ثم في مرحلة تالية كل من محمد على العقل ومحمد حمود الهيشان. المهم في الأمر، وبغض النظر عمن أكمل ومن رجع، وبغض النظر، كذلك، عن المدة التي قضاها لإكمال دراسته إن أكمل، فالمهم في الأمر أنه، وباستثناء والد كل من عزيز وخالد ولحد ما العقل، فإن آباء الدارسين كانوا أميين و/ أو شبه أميين (لا يقرأون ولا يكتبون.. وبالنسبة للجوف، ومقارنة مع غيرها، في هذا الوقت بالذات، يعتبر عملاً كبيراً، ومثيراً للدهشة كما أتصور، أن يقوم بعض الأهالي/ الآباء، وعلى حسابهم الخاص، بإرسال أولادهم للدراسة في مصر. طبعاً الأمر ليس كله متعلق بالآباء، وإنما له علاقة بدعم أخوة لبعض هؤلاء الدارسين في مصر؛ هذا صحيح بالنسبة لي، فقد تلقيت دعماً من أخي تركي وسلطان، وتلقى عبد العزيز الثاري دعما من أخيه «ثاري»، وكذلك حمد المانع، تلقى دعماً من أخيه «مانع». ومع ذلك كان للآباء، والأميين منهم و/ أو شبه الأميين مساندة معنوية، إن لم تكن مادية، وهذا على الأقل صحيحاً بالنسبة لي ولـ «عبد العزيز الثاري» وإلى حدٍّ ما «ناصر الحزيم» و«محمد الهيشان». في هذا السياق، أتذكر أن والدي، وهو أمي بالمطلق (لا يقرأ ولا يكتب أبداً)، عندما قررت التوقف عن الدراسة والعودة من مصر، ولأسباب سبق أن ذكرتها في كتابي عن د. حمد الوردي (الفالح، ٢٠٠٨: ٥٨) أصر عليّ بالعودة وأن أكمل دراستي في مصر، لكني كنت قد حسمت أمري

وقراري. من المهم، وبالمقارنة والمخالفة مع ما ورد في تفسير ما لبنية التخلف المعرفي/ الثقافي، أنه في نهاية ١٩٦٠s م، وأوائل ١٩٧٠s، فإن تراكماً جزئياً من فائض القيمة (مال) لدى آباء و/ أو أسر هؤلاء الدارسين، هو من العوامل (الأسباب) الرئيسة في تفسير الاهتمام بالتعليم والدراسة لأولادهم، يُضاف له العامل المعرفي/ الثقافي المتولد لدى بعض الآباء و/ أو أخوة الدارسين.

١٤ ـ **(١٩٧٩م) حركة جهيمان وعدم مشاركة أهل الجوف فيها**: من الإيجابيات التي تحسب لأهل الجوف، أن لا أحد من أهل الجوف شارك في هذه الحركة. لعله من المناسب التنبيه إلى أن ثقافة التطرف والتشدد لم تبدأ بالبروز بعد، رغم أن جذورها، كما سوف نناقشها تفصيلاً لاحقاً، تعود إلى أواخر عقد الـ «١٩٦٠s م».

١٥ ـ **أواخر عقد الـ «١٩٧٠s م» ـ شكوى أهلية (مجموعة عقيل السويلم)** في عام ١٤٠٠هـ/ ١٤٠١هـ ضد الأمير (عبد الرحمن السديري). نقلاً عن طراد بن عقيل مطلق السويلم، في مناقشات معه في أكثر من مناسبة، قال، وأنا هنا أُلخص كلامه: إنه كانت هناك بعض الشخصيات التي اجتمعت عند والده عدة مرات، وأنها على ما يبدو قامت برفع خطاب أو برقية شكوى للملك آنذاك (خالد)، تتمحور حول تأخر المنطقة وعدم تقدمها، وأن السبب على ما يبدو مرتبط بالإدارة المحلية (الحكم المحلي)، ولذلك يبدو أن الشكوى، وكما يتذكر، كانت تلمح بتغيير الأمير (عبد الرحمن السديري) طالما أنه لم يقم بما عليه رغم طول الفترة التي قضاها أميراً للجوف. وقال طراد إن هناك على ما يبدو محاولتين في تلك السنة، ولكنه يتذكر على الأقل مرة واحدة، حيث إن والده طلب منه، مرة، أن يقوم بمراجعة خطاب أو برقية مرسلة للملك آنذاك. وقال إنه يتذكر بعض الشخصيات التي شاركت في الشكوى ومنها: ١ ـ عقيل مطلق السويلم؛ ٢ ـ عبد القادر الصلهام؛ ٣ ـ عبد الهادي السلطان؛ ٤ ـ سطام العبيكة. وأضاف أن هناك أسماء لشخصيات ربما شاركت معهم، ولكنه غير متأكد من ذلك، وأشار إلى: ١ ـ أحمد القضيب؛ عازي الوردي؛ وعافت مناع الزيد. وعندما سألت الأخ طراد عن: هل من ردود أفعال (رسمية تجاهها)؟، رد بالقول: إنه لا يذكر أن صار لها ردود أفعال... ولا يذكر أن هناك تجاوباً حول الأمر (المطالب)، ولكنه استدرك، فقال: ربما أن عافت الزيد استدعي من المباحث(!؟) ربما على خلفية البرقية، ولكنه لا يذكر ماذا جرى بالضبط (السويلم، طراد ـ لقاء وحديث ـ في: ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٢م، ٧:٢٠: ـ ٧:٣٥ مساءً: ١ من ١ ملخص).

١٦ ـ (**١٩٩٠/ ١٩٩١م**) مذكرة جدة الإصلاحية (أو ما عرف لاحقاً بالليبرالية) على الأقل شارك في التوقيع على نسخ منها من أبناء الجوف، كل من الدكتور فهاد معتاد الحمد، وحمد الوردي، ومتروك الفالح.

١٧ ـ **(١٩٩٤/ ١٩٩٥م) أهل الجوف ودعم للتيار الإصلاحي،** وبعض زعامته ورموزه: أ ـ عندما وقعت أحداث ومظاهرات في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، في بريدة/ القصيم مؤيدة للشيخ/ سلمان العودة، فهمت أن أكثر من ١٥ شخصاً من شباب الجوف قدموا لمساندة المظاهرات ودعماً للعودة. ب ـ ذكر لي أبو بلال/ د. عبد الله الحامد، في أكثر من مناسبة، بما في ذلك أثناء نقاشات مطوّلة بيننا في سجن مباحث/ عليشة بالرياض، أنه وبعد خروجه من الاعتقال الأول، على خلفية تشكيل

اللجنة الشرعية لحقوق الإنسان[٥]، زارته مجموعة من أبناء الجوف، وقدمت دعمها له، واستعدادها لعمل أي شيء يطلبه منها(!). ننبه إلى أنه ومنذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي فصاعداً يُلاحظ بروز الاتجاهات الإسلامية بالجوف لدى قطاعات متزايدة من أبنائه، وخاصة جيل الشباب المولود مع أوائل عقد الـ «١٩٧٠s م». وهذه التغيرات في مكونات بنية جيل الوعي، سنعرج عليها في مناقشاتنا عن ثقافة الانفتاح فالتطرف والعنف والتحولات فيهما وبينهما ولمصلحة الأخيرة.

١٨ ـ **(١٩٩٦م) أهل الجوف ينتفضون ضد «المدخلي»**: في عام ١٩٩٦ عندما أقدم مدير عام الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف بالجوف، محمد بن منصور بهلول المدخلي بكتابة خطاب «سري»، رقم ٢٧٣ في ٢٤/ ٢/ ١٤١٦هـ، إلى الوزارة من أجل إيجاد مبرر لعدم نقل أحد موظفيه إلى منطقة مكة، متهماً الجوف وأهلها خاصة، والشمال عامة، بالجهل وعدم الفهم بأساسيات الدين... إلخ، وتم تسريبه، بمساعدة على ما يبدو من موظفين من داخل الوزارة، ومن آخرين في إدارة أوقاف الجوف، فانتشر هذا الخطاب في كل مكان، تداعى للتصدي له أهالي الجوف، في سكاكا وخارجها. في داخل سكاكا تحركت مجموعات من الأهالي، فذهب وفد من الأهالي الإمارة شاكياً المدخلي ومطالباً بمحاسبة المدخلي ووضع حد لتصرفاته، ومنها ما تعلق بمجموعات من الشباب في سكاكا، والذين وصل مواجهتهم له بأن هددوه ومنعه فعلياً من مواصلة إمامة مسجد الجمعة في أحد مساجد الشلهوب.

وعلى مستوى ردة فعل المثقفين من أبناء المنطقة، والعاملين في مؤسسات التعليم العالي خارج الجوف، وبالذات في الرياض، نورد ما سبق أن كتبناه عن المسألة: «بعد مناقشات اتفق على كتابة خطابات (ذات صياغة واحدة) موقعة من كل واحد منا على شكل فردي، بدلاً من الفكرة الأساسية بالتوقيع عليها جماعياً، والتي اعترض عليها من قبل البعض، وخاصة من د. العناد، باعتبار الخطابات الجماعية أمراً ممنوعاً!، على أن يذهب وفد لمقابلة أمير المنطقة ويقوم بتسليمه الخطابات. تكوّن الوفد من: د. عبد المحسن اللحيد، د. موافق الرويلي، ود. متروك الفالح، ود. خليل المعيقل ولكن الأخير لم يذهب. ذهب الوفد فعلاً، على ما أتذكر في يوم كان ماطراً من أيام تشرين الأول/ أكتوبر أو تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٩٩٦، وتم الاجتماع مع أمير المنطقة آنذاك، الأستاذ سلطان عبد الرحمن السديري وتم تسليمه الخطابات، والتي بلغت، على ما اعتقد، ١٢ أو ١٣ خطاباً. دار في اللقاء نقاش مطوّل معه حول الموضوع، وحول متطلبات التنمية في المنطقة، ومنها حاجة المنطقة إلى جامعة. أما ما يتعلق بالموضوع الأساس من اللقاء، وموقف الأستاذ سلطان السديري منها، فهو الإشارة في عجالة إلى أنه أطلعنا على كتاب «رد» من «المدخلي» نفسه حول الموضوع، وطلب «الأمير» مني شخصياً أن أقرأه على الزملاء. لن أدخل في تفاصيله، ولكن كل ما يمكن الإشارة إليه هنا هو، أن «المدخلي» في الخطاب «الرد»، حاول أن يبرر فيه ما أقدم عليه في الخطاب «المتسرب»، ولكنه ضمّنه توضيحات فيها أسباب والغاية من قدومه للعمل في المنطقة، وأنه مدعوم من جهات بعينها بما في ذلك الداخلية، وذكر الأمير نفسه، أنه هو كان قد دعم ترشيحه للعمل في المنطقة. على أية حال، في تلك الخطابات الموقعة من مثقفي المنطقة، طُلب من الأمير إيجاد الوسيلة أو الإجراء الذي يرضي أهل المنطقة، وكان المقصود هو نقل «المدخلي» من منطقة

(٥) أُعلنت اللجنة الشرعية لحقوق الإنسان في أوائل أيار/ مايو عام ١٩٩٣.

الجوف. ورغم أن الأمير، على ما يبدو، لم يستجب لتلك الرغبة، إذ بقي «المدخلي» إلى قبيل إعفاء الأمير نفسه من منصبه، وتعيين صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود أميراً للجوف في ٥/ ١٤١٩هـ، فإن تلك المحاولة شكلت أول جهد جماعي من مثقفي أهل الجوف.» (الفالح، ٢٠٠٨: ١٩٧ ـ ١٩٨).

وفي سياق وثنايا تطورات وتفاعلات المسألة في الجوف، ولفضح تصرفات «المدخلي»، ظهرت عدة منشورات، ومنها على الأقل منشور/ بيان باسم «أحرار الجوف» تضمّن فضحاً له ولمخططه ولعلاقته بالتيار «الجامي»، ومما جاء في البيان/ المنشور نقتطف التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم... أهالي منطقة الجوف والشمال عامة نحييكم تحية إكبار وتقدير على انتفاضتكم ضد الباطل وأهله ضد (الجامي) محمد منصور بهلول المدخلي مدير عام الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة الجوف على ما قاله عن الجوف خاصة والشمال عامة بخطابه لوزارته رقم ٢٧٣ في ٢٤/ ٢/ ١٤١٦هـ، الذي جاء فيه ما نصه (أن منطقة الجوف خاصة والشمال عامة لا تزال تعاني كثيراً من أمور الجهل وعدم الفهم للكثير من أساسيات هذا الدين، ووجود الدعاة الرسميين المتفرغين للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى وتبصير الناس على نور من الله عز وجل يعتبر من أندر النوادر)، وأننا إذ نحيي فيكم غيرتكم على دينكم ووطنكم لنؤكد لكم أن ما قاله (محمد الجامي) مقصود ومخطط له ويهدف من ورائه إلى أمور خطيرة أبعد مما تتصورون، ولتكونوا على بصيرة من الرجل ومذهبه نوجز لكم نبذة عن فرقته الجاميين...، وهذه تنتسب إلى مؤسسها (محمد أمان جامي) حبشي الأصل... وأسس مذهبه الدعوة إلى الحكام والفتوى بما يوافق رغباتهم وأهواءهم... وصارت هذه الفئة أداة لضرب المصلحين... والجرأة على العلماء والفقهاء الذين لا يوافقونهم بالتجهيل والابتداع والاستفاف بهم... ومن المنتسبين إلى هذه الفرقة المدخليين وهم:... ومحمد منصور بهلول المدخلي، هذا المبتدع، أجل الذي نفى عن المنطقة معرفتهم بأساسيات دينهم من أجل أن يثبت أساسياته المذهبية التي يروج لها. لكن رب العزة والجلال غالب على أمره أراد أن يحمينا ويكفينا شروره، ويكشف زيفه ففضحه هذه الفضيحة وجعل تدميره في تدبيره... وأننا قد لاحظنا أن قليلا من أبناء المنطقة، لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة سلكوا طريق الجاميين، وحين وصول المدخلي للمنطقة التفوا حوله واحتضنهم وقربهم اليه، وهم الذين ما زالوا يدافعون عنه ويبررون افتراءه على هذه المنطقة حتى أن أحدهم أعد شريطاً يدافع به عن المدخلي بعنوان (القول الجلي في الدفاع عن المدخلي)... والواجب أيها الأخوة الحذر والتنبيه ورص الصفوف، وإنكم قادرون على صنع مجد بلدكم متى تكاتفت الأيدي وتصافت القلوب ووجدت الإرادة والعزيمة... وقال أبو القاسم الشابي: ومن يتهيب صعود الجبال ـ يعش أبد الدهر بين الحفر...» (أحرار الشمال، منشور، ١٤١٦هـ؟: ١ ـ ٢).

وأنهى البيان مقطعه الأخير بالتوجه للأهالي بالقول «... أخواني أمل الأمة، لتكن انتفاضتكم انطلاقة إلى الأمام في سبيل خدمة دينكم ووطنكم،...» ثم ذكرهم بعدم الغفلة عن مسؤولية إدارة الحكم المحلي (أمير الجوف الحالي ووالده السابق) بتأخر وتأخير المنطقة، حيث «... أصبحت من أكثر المناطق تخلفاً من الناحية الحضارية...»، وختم البيان خطابه بوعد بتخصيص النشرة القادمة لما قال عنه أنها «جرائمهما» (أحرار الشمال، منشور، ١٤١٦هـ؟: ٢ من ٢).

١٩ ـ (كانون الثاني/ يناير٢٠٠٠م (شوال/ ١٤٢٠هـ)): شكوى مجوعة أهلية ضد طلب الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود، تملك أرض (قرارات زراعية له ولأفراد أسرته) في ظهرة مطار الجوف وجنوب النباج. في فترة أوائل شوال عام ١٤٢٠/ أوائل كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠م، أو في حدودها للوراء قليلاً، عندما وردت معلومات للجوف بأن الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود، نائب وزير الدفاع متقدم للزراعة بطلب أرض (قرارات زراعية) في ظهرة مطار الجوف، قام، على ما يبدو، كل من منزل مقبل محمد النصير وزياد إبراهيم الشبيب، وسعد مجلي الشمري، وقريان العاصي الرويلي بشكوى رسمية، عبر برقية، للأمير عبد الله بن عبد العزيز (ولي العهد، ونائب رئيس مجلس الوزراء آنذاك، ونسخة منها، يبدو، وجهت لأمير الجوف آنذاك (عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود) ضد طلب للأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود، مبررين اعتراضهم على أن الأرض المطلوبة، هي متنفس ومراعي للأهالي، فضلاً عن طلبات فيها سابقة لمواطنين من أهل الجوف... إلخ. بعد حوالي الشهر تقريباً من الشكوى، وصل توجيه من ولي العهد لوزارة الزراعة بـ «إيقاف التصرف في الأرض والإبقاء عليها للصالح العام» (بن عبد العزيز آل سعود، عبد الله، برقية لوزير الزراعة، رقم ١٦٩٦١، في ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ: ١ من ١) (انظر صورة من نسخة الخطاب أدناه و/ أو في الملاحق نهاية الدراسة/ الكتاب).

وحيث إننا لا نتوفر على نسخة من أصل شكوى المجموعة أعلاه، فإننا، ولأهمية الشكوى وأطرافها ومآلاتها وتفاعلاتها الرسمية والمحلية، نورد نسخة مصورة لنص الخطاب/ البرقية عن نسخة من (برقية، رقم: ٤/ ب/ ١٦٩٦١ في ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ) ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء (الأمير عبد الله بن عبد العزيز) الموجهة أصلاً إلى وزير الزراعة، ونسخة منه إلى وزارة الداخلية، والتي فيها تحديدات لأصل الشكوى وأطرافها، والموقف الرسمي منها، وفي ما يلي إعادة كتابة نص البرقية، كما ورد في النسخة المصورة لمزيد من التوضيح:

نص نسخة البرقية: «معالي وزير الزراعة والمياه ـ ـ نسخة لوزارة الداخلية: نشير إلى برقية سمو أمير منطقة الجوف رقم ٣٦٠/ ٢ ش في ١٨ ـ ١٩/ ١٠/ ١٤٢٠هـ، الموجهة أصلاً للوزارة بشأن تظلم عدد من أهالي المنطقة من تقدم سمو الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز بطلب قرارات زراعية له ولأفراد أسرته في الأرض الواقعة جهة المطار وجنوب النباج وما ذكره سمو أمير المنطقة من أن جزء من تلك الأرض سبق مسحها لبعض المواطنين وأجزاء أخرى مخصصة لمشاريع حكومية وجزء مخصص مراعي بموجب أوامر سامية. ويطلب سموه عدم التصرف في تلك الأرض إلا بعد الرجوع للإمارة. كما نبعث لكم نسخة من البرقية المرفوعة من زياد بن إبراهيم الشبيب ورفقائه من أهالي الجوف بشأن الموضوع ويلتمسون عدم التصرف في هذه الأرض وإبقاءها لمصالح المنطقة العامة حاضراً ومستقبلاً لأنها هي المتنفس الوحيد للمنطقة وفيها مراعي ماشيتهم. ونرغب إليكم ايقاف التصرف بالأرض المشار إليها والابقاء عليها للصالح العام.. فأكملوا ما يلزم بموجبه... عبد الله بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء» (بن عبد العزيز آل سعود، عبد الله، برقية لوزير الزراعة، رقم ١٦٩٦١، في ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ: ١ من ١).

خطاب/ برقية ولي العهد لوزير الزراعة في ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ



المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

برقيــــــة

- معالي وزير الزراعة والمياه
نسخة لوزارة الداخلية

نشير إلى برقية سمو أمير منطقة الجوف رقم ٢/٣٦٠ش في ١٨-١٩/١٠/١٤٢٠هـ الموجهة أصلاً للوزارة بشأن تظلم عدد من أهالي المنطقة من تقدم سمو الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز بطلب قرارات زراعية له ولأفراد اسرته في الأرض الواقعة جهة المطار وجنوب النباج وماذكره سمو أمير المنطقة من أن جزء من تلك الأرض سبق مسحها لبعض المواطنين وأجزاء أخرى مخصصة لمشاريع حكومية وجزء مخصص مراعي [illegible] أوامر سامية. ويطلب سموه عدم التصرف في تلك الأرض إلا بعد الرجوع للامارة. كما نبعث لكم نسخة البرقية المرفوعة من زياد بن ابراهيم الشبيب ورفقائه من أهالي منطقة الجوف بشأن الموضوع ويلتمسون عدم التصرف في هذه الأرض وابقاءها لمصالح المنطقة العامة حاضرا ومستقبلا لأنها هي المتنفس الوحيد للمنطقة وفيها مراعي ماشيتهم.

ونرغب إليكم ايقاف التصرف بالأرض المشار إليها والابقاء عليها للصالح العام.. فاكملوا مايلزم بموجبه.،،،

عبدالله بن عبدالعزيز
نائب رئيس مجلس الوزراء

مكتب وزير الزراعة والمياه

أود أن أشير إلى أن هذه المبادرة الأهلية، وإن نبعت فكرتها من بعض الأهالي، فإنها، وحسب معلوماتي من خلال الدكتور حمد في حينها، تلقت تفهماً ومساندة وضوءاً أخضر من الأمير عبد الإله بن عبد العزيز، ويبدو أن ذلك تم بقدر من التنسيق عبر ومع الدكتور حمد الوردي، وكيل الإمارة آنذاك. على أية حال في نهاية الأمر نجحت المبادرة/ الشكوى في أن تحقق الغاية منها، وكان لها صدىً وتأييد وارتياح بين غالبية أهالي الجوف. ومع ذلك، ورغم التأييد العام للمبادرة من قبل غالبية الأهالي، يبقى

هناك أناس في الجوف، يأبون إلا أن يكونوا ملكيين أكثر من الملك نفسه، فقد أبدى عدد من الأشخاص (عدد المذيلين/ الموقعين كما ظهرت في نهاية نسخة الشكوى المضادة ١٦ شخصاً، منهم ٦ أشخاص من المويشير)، اعتراضهم على الشكوى الأهلية آنفة الذكر، وأيدوا، في شكوى مضادة مرسلة لولي العهد ونسخة منها لأمير الجوف، طلب وحق الأمير/ عبد الرحمن بن عبد العزيز بتلك الأرض، بل وزادوا في وطنيتهم، كرماً على كرم، عندما عرضوا مزارعهم ووضعوها تحت تصرف الأمير عبد الرحمن نفسه!

ولأهمية الشكوى/ البرقية المضادة، مضموناً، وبغض النظر عما ورد فيها من تعريض بأصحاب الشكوى الأصلية، وبالأسماء الموقعة عليها، نوردها ونضع أولاً نصها مكتوباً (معاد كتابته) هنا منقولاً عن نصها كما في النسخة الورقية منها والتي اطلعنا عليها ومتوفرة لدينا، ثم ثانياً نتبعها بنسخة مصورة (فوتوغرافية) عن النسخة الورقية المتوفرة لدينا، علماً أن الخطاب/ البرقية الشكوى المضادة، يبدو من خلال النص، ومن خلال ما ظهر منها في أعلاها ناقصاً في النسخة المتوفرة لنا، موجهة في أصلها إلى ولي العد الأمير عبد الله بن عبد العزيز.

نص الشكوى المضادة: تخاطب البرقية الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد، نائب رئيس: «... مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ـ ـ ـ ص/ لصاحب السمو الملكي الأمير/ عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود/ أمير الجوف ـ ـ ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ ـ ـ أبرق كل من: زياد بن إبراهيم الشبيب ومنزل بن مقبل النصير وسعد بن مجلي الشمري وقريان العاصي الرويلي لسموّكم الكريم يطلبون عدم منح صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود أرض في ظهرة الجوف بحجة أنهم سبق أن طلبوها ومنعت عنهم وأنها متنفس لهم ومسلك للنفوذ وقد ناقضوا أنفسهم بأنفسهم فقد سبق أن طالبوا بها، إذن فقد سقطت حجتهم يا صاحب السمو. وليس من عادات أهل المنطقة الترحيب بأبناء عبد العزيز كما رحب هؤلاء الأربعة وباسم أهالي المنطقة فهم لا يمثلون إلا أنفسهم، كذلك فإننا نود أن نوضح لسموكم أن هؤلاء لهم سجل حافل بإثارة القضايا والمشاكل وإشغال الدوائر الرسمية وتاريخهم يتكلم عنهم. ياصاحب السمو لا نقول عن أهالي الجوف كما قالوا ولكن عن أهالي منطقة الجوف نرحب بصاحب السمو الملكي الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز ونرحب بأي فرد من أفراد الأسرة فإن لم تسعه ظهرة المطار فمزارعنا مفتوحة له وتحت أمره ويكفينا شرفاً أن يكون متملكاً في منطقة الجوف فهو مواطن وله الحق هو أو أي فرد من أسرته التملك بأي منطقة يشاء من مناطق المملكة ومرحباً بسموه الكريم. ورجائنا من سموكم الكريم عدم الإلتفات لهؤلاء الباحثين عن الشهرة ولو بالخزي والعار. وقد سائنا تصرفهم حيث قاموا بتوزيع نسخة البرقية بالمدارس والأسواق، ونرجو ألا يتكرر هذا السلوك. حفظ الله سموكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...» (نسخة من الشكوى المضادة، ـ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١ من ١) (انظر النسخة المصورة في الصفحة التالية وفي الملاحق، نهاية الدراسة/ الكتاب).

ثانياً، ولتلازم الأمرين وانطلاقاً من التأكيد على التوثيق وحق الآخرين (القارئ/ القُراء) بالاطلاع، كما فعلنا في ما تقدم، وسنفعله في ما هو آتٍ، فإننا نضع نسخة مصورة منها عن النسخة الورقية، كما هي متوفرة لدينا فيما يلي مباشرة.

نسخة من الشكوى المضادة للشكوى ضد الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز ـ ١٤٢٠/ ٢٠٠٠م



مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

إلى/ صاحب السمو الملكي الأمير/ عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود / [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقدم كلاً من : زياد بن إبراهيم الشبيب و مقبل بن عقيل العمر و محمد بن [illegible] الشمري و [illegible] العاصي [illegible] لسموكم الكريم يطلبون عدم منح صاحب السمو الملكي الأمير/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل سعود أرض في طهرة مطار الجوف بحجة أنهم سبق أن طلبوها [illegible] وأنها متنفس لهم [illegible] فقد سبق أن طالبوا بها ، إلا أنه قد سقطت حجتهم يا صاحب السمو .

وليس من عادات أهل المنطقة الترحيب بأبناء عبدالعزيز كما رحب هؤلاء الأربعة [illegible] أهالي المنطقة فهم لا يمثلون إلا أنفسهم ، كذلك فإننا نود أن نوضح لسموكم أن هؤلاء [illegible] [illegible] .

يا صاحب السمو لا يقرل من أهالي منطقة الجوف كما قالوا ولكن من أهالي منطقة الجوف نرحب بصاحب السمو الملكي الأمير/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز ونرحب بأي فرد من أفراد الأسرة [illegible] طهرة المطار [illegible] مفتوحة له [illegible] أن يكون متملكاً في منطقة الجوف [illegible] أي فرد من أسرة المالك بأي منطقة [illegible] من مناطق المملكة ومرحباً بسموه الكريم .

ورجاؤنا من سموكم الكريم عدم الالتفات لهؤلاء [illegible] وإن [illegible] بالتوزيع نسخة الورقة بالمدارس والأسواق ، ونرجو ألا يتكرر هذا السلوك .

حفظ الله سموكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وذيلت الشكوى المضادة، وكما تبدو في النسخة المصورة، بقائمة من ١٦ اسماً/ شخصاً مقرونة بأرقام حفائظ النفوس (مرتبة في مجموعتين/ خانتين متقابلتين، إحداهما على اليمين تقابلها الأخرى على اليسار، وكل منهما تحتوي على ثمانية أسماء/ أشخاص) ونوردها، كما مرتبة في النسخة المصورة أعلاه، على النحو التالي: عرسان بن جضان الخالدي رقم الحفيظة ٣٠٣٢ الجوف، عبد العزيز بن عبد الله المويشير رقم الحفيظة ٣١٢٠ الجوف، عازي ابن أحمد الوردي رقم الحفيظة ٦٤٥٧ الجوف، مساعد بن صالح المويشير رقم الحفيظة ٤٠٨٣ الجوف، مبارك بن سليم الراضي رقم الحفيظة ١٢٢٥٤

الجوف، صالح بن شافي العنزي رقم الحفيظة ١٩٢٥٨ الجوف، خالد بن صالح المويشير رقم الحفيظة ٢٠١٥٥ الجوف، عبد الله بن شخير المحيني العنزي رقم الحفيظة ٦٨٥٧ الجوف، مطر بن سويلم حمود العنزي رقم الحفيظة ٣٣٤٣٠ الجوف، محمد بن صالح المويشير رقم الحفيظة ١٥٤٦٥ الجوف، سعود بن عبد العزيز المويشير رقم الحفيظة ٢٧١٢٧ الجوف، عبد العزيز بن خلف الفرحان رقم الحفيظة ٢٤٥٨٢ الجوف، حمد (؟) بن حسن حدران النعمان السرحاني رقم الحفيظة ٣٠٢٦ الجوف، نايف بن حمود بن قتال السمرين رقم الحفيظة ٣٢١٨٤ الجوف، رجأ بن صالح المويشير رقم الحفيظة ١٣٢٧٢ الجوف، عبد الله بن كاسب الدهمشي رقم الحفيظة ٢٤٣٩٢ الجوف» (نسخة من الشكوى المضادة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١ من ١).

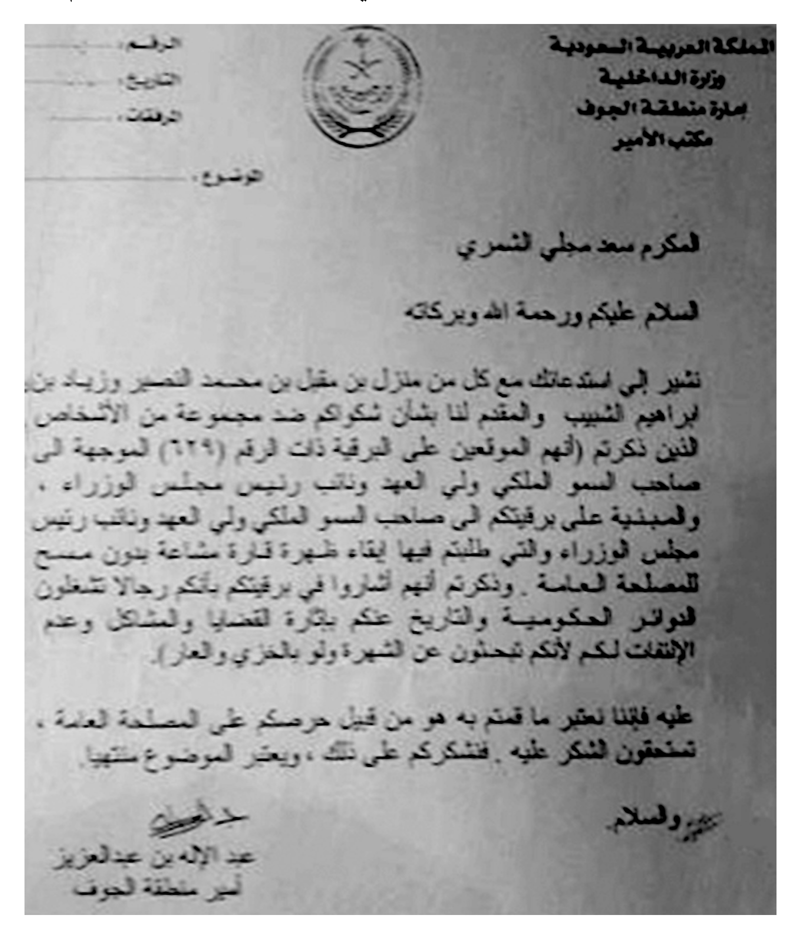
هذه الشكوى المضادة، وبما احتوته من مضامين تنطوي على قدر من التعريض بأصحاب الشكوى الأصلية ضد الأمير عبد الرحمن، كان لها ما بعدها؛ إذ على ما يبدو، قام أصحاب الشكوى الأصلية، وتحديداً كل من سعد مجلي الشمري ومنزل مقبل النصير وزياد الشبيب، بتقديم شكوى إلى أمير الجوف (عبد الإله بن عبد العزيز) ضد أصحاب الشكوى المضادة، مطالبين، على ما يبدو، بمحاسبة الأخيرين. كان رد الأمير، وبموجب الخطاب الموجه إلى سعد مجلي الشمري، يتضمن أنه أخذ علماً بما نسبه أصحاب الشكوى المضادة بأصحاب الشكوى الأصلية، ولكنه يرى أن ما قام به أصحاب الشكوى الأصلية ضد الأمير عبد الرحمن، «هو من قبيل حرصكم على المصلحة العامة، تستحقون الشكر عليه. فنشكركم على ذلك، ويعتبر الموضوع منتهياً» (بن عبد العزيز، عبد الإله، خطاب لسعد مجلي الشمري، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١ من ١) (انظر النسخة المصورة أدناه و/ أو في الملاحق، نهاية الدراسة/ الكتاب).

ولأهمية الخطاب، بما احتواه من معلومات، وكذلك لأن رقم وتاريخ نسخة الخطاب المتوافر لدينا غير واضحين، فإننا نعيد كتابة ـ هنا أولاً ـ نص الخطاب عن النسخة الورقية المتوفرة لدينا، ثم، ثانياً، نتبعه مباشرة بنسخة مصورة (فوتوغرافية) منه عن النسخة الورقية، كما فعلنا مع «الشكوى المضادة» آنفاً.

أولاً، نص الخطاب (معاد كتابته) على النحو التالي: «المكرم سعد مجلي الشمري ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: نشير إلى استدعائك مع كل من منزل بن مقبل بن محمد النصير، وزياد بن إبراهيم الشبيب، والمقدم لنا بشأن شكواكم ضد مجموعة من الأشخاص الذين ذكرتم (أنهم الموقعين على البرقية ذات الرقم (٦٢٩) الموجهة إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، والمبنية على برقيتكم إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والتي طلبتم فيها إبقاء ظهرة قارة مشاعة بدون مسح للمصلحة العامة. وذكرتم أنهم أشاروا في برقيتكم بأنكم رجالاً تشغلون الدوائر الحكومية والتاريخ عنكم بإثارة القضايا والمشاكل وعدم الالتفات لكم لأنكم تبحثون عن الشهرة ولو بالخزي والعار). عليه فإننا نعتبر ما قمتم به هو من قبيل حرصكم على المصلحة، تستحقون الشكر عليه. فنشكركم على ذلك، ويعتبر الموضوع منتهياً. والسلام. عبد الإله بن عبد العزيز أمير الجوف» مع توقيعه فوق اسمه (بن عبد العزيز، عبد الإله، خطاب لسعد مجلي الشمري، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١ من ١).

ثانياً، النسخة المصورة عن النسخة الورقية لخطاب أمير الجوف (عبد الإله بن عبد العزيز) لـ «سعد مجلي الشمري» نضعها أدناه.

خطاب أمير الجوف ـ لـ « سعد مجلي الشمري»١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة الجوف
مكتب الأمير

الرقم: ....
التاريخ: ....
المرفقات: ....

الموضوع: ....

المكرم سعد مجلي الشمري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشير إلى استدعائك مع كل من منازل بن مقبل بن محمد النصير وزياد بن ابراهيم الشبيب والمقدم لنا بشأن شكواكم ضد مجموعة من الأشخاص الذين ذكرتم (أنهم الموقعين على البرقية ذات الرقم (٦٢٩) الموجهة الى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، والمبنية على برقيتكم الى صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والتي طلبتم فيها إيقاف ظهيرة قارة مشاعة بدون مسح للمصلحة العامة. وذكرتم أنهم أشاروا في برقيتكم بأنكم رجالا تشغلون الدوائر الحكومية والتاريخ عنكم بإثارة القضايا والمشاكل وعدم الإلتفات لكم لأنكم تبحثون عن الشهرة ولو بالخزي والعار).

عليه فإننا نعتبر ما قمتم به هو من قبيل حرصكم على المصلحة العامة، تستحقون الشكر عليه. فنشكركم على ذلك، ويعتبر الموضوع منتهيا.

والسلام.

عبد الإله بن عبد العزيز
أمير منطقة الجوف

٢٠ ـ (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٨م) (مظاهرات واعتصامات الجوف (سكاكا):

أ ـ مع الانتفاضة الفلسطينية ضد اقتحام شارون للمسجد الأقصى، عمت الجوف، وبالذات سكاكا في تشرين الأول/ أكتوبر من عام ٢٠٠٠م، وكذلك أوائل نيسان/ أبريل ٢٠٠٢م عدة مظاهرات تأييداً لفلسطين ونصرة للقدس والقضية الفلسطينية وضد الاعتداءات الصهيونية على الفلسطينيين. كانت مظاهرة ٢٠٠٠م، وكذلك مظاهرة الجمعة ٥/ أبريل/ ٢٠٠٢م كبيرة وشارك فيها مجموعات من الأهالي. ولأهمية المظاهرات التي انطلقت في سكاكا منذ الأول من أبريل/ ٢٠٠٢م، والإشارة إلى مظاهرات تشرين الأول/ أكتوبر/ ٢٠٠٠م، وكذلك ما كان مخططاً له، نورد الخبر عنها كما ورد في حينه في صحيفة «**القدس العربي**»، علماً أن معلوماتها، تبدو، مستقاة من اتصالات مع مصادر وشهود عيان

من داخل الجوف، يقول الخبر: «أعلنت اللجنة الشعبية لمناصرة الشعب الفلسطيني في منطقة الجوف عن تسيير عدد من المظاهرات الاحتجاجية عقب صلاة الجمعة اليوم في مختلف مساجد مدينة سكاكا امتداداً للمظاهرات الاحتجاجية التي قامت بها اللجنة في منطقة الجوف. وكانت السلطات السعودية قد أرسلت الخميس تعزيزات أمنية إلى مدينة سكاكا... عن طريق ثلاث طائرات نقل عسكرية تحمل أكثر من ٥٠٠ جندي من قوات مكافحة الشغب عقب المظاهرات والمسيرات الشعبية التي انطلقت في عدة أماكن من مدينة سكاكا. وقد انطلقت المظاهرات منذ يوم الاثنين الماضي في مسيرة أولى، تظاهر فيها مئات المواطنين أغلبهم من طلبة المدارس الثانوية احتجاجاً على الأوضاع المأساوية والهجوم الوحشي والغزو الهمجي الذي تشنه القوات الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني الأعزل، واحتجاجاً على السياسات الأمريكية المؤيدة للغزو الصهيوني الغاشم للمدن الفلسطينية والسكوت العربي المهين. ثم انطلقت مظاهرات أكبر في الأيام التالية سار فيها أكثر من ٤٠٠٠ متظاهر في ثلاثة ميادين في مدينة سكاكا مرددين هتافات الاستنكار للصمت العربي والمعادية للعدو الصهيوني وحليفته الولايات المتحدة، معبرين عن استيائهم من الصمت العربي والدولي تجاه ما يتعرض له الأشقاء الفلسطينيون من مذابح وسفك للدماء، كما رفع المتظاهرين أعلام المملكة العربية السعودية وعلم دولة فلسطين. وقال شهود عيان أنهم شاهدوا المتظاهرين يقومون بإحراق العلمين الإسرائيلي والأمريكي في كلتا المظاهرتين. وقد قامت قوات الشرطة بالتدخل ومحاصرة الشوارع المؤدية للميادين التي قامت فيها المظاهرات بالضرب بالهروات مما أدى إلى قيام المتظاهرين بتكسير ثلاث سيارات للشرطة إحداها سيارة مدير شرطة المنطقة الذي أمر جنوده بمهاجمة المتظاهرين واعتقال قادة التظاهرات. وكانت مدينة سكاكا... قد شهدت سلسلة من المظاهرات الاحتجاجية عامي ٢٠٠٠م و٢٠٠١م على القمع والعدوان اللذين يتعرض لهما الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة. وقامت عدد من وكالات الأنباء بتغطية هذه المظاهرات في حينها، **وهي المظاهرات الوحيدة التي قام بها مواطنون سعوديون حيث تحظر الحكومة جميع أشكال المظاهرات...**» (**القدس العربي**، العدد ٤٠٠٧، الجمعة ٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢م ـ ٢٢ محرم ١٤٢٣هـ: ٣).

ب ـ وفي ربيع ٢٠٠٧م، ـ اعتصام نساء الجوف: وفي اعتصام يعدّ الأول من نوعه في الجوف وربما في السعودية قامت مجموعة من نساء الجوف القريبات لعدد من المعتقلين من أبناء الجوف، بتجمع واعتصام أمام إدارة المباحث في سكاكا، وقد غطى الخبر في قناة «الجزيرة»، منصور سالم العوذة. كانت النساء المعتصمات يطالبن بـ: إما بمحاكمات عادلة ومعلنة لذويهن و/ أو الإفراج عنهم طبقاً وتطبيقاً لنظام الإجراءات الجزائية، ولكن لأن ملف المعتقلين آنذاك لم يكن مفعّلاً، فضلاً عن أنه ومع الضغط على الأهالي (الأقرباء)، والذين نقلوا المعتصمات، بتوقيعهم على تعهدات بعدم تكرار الأمر، فلم يحظَ الاعتصام بالاهتمام والمتابعة والبناء عليه حتى في داخل السعودية، وبالذات في مناطق أخرى لها معتقلون كثر في سجون المباحث السعودية منذ ٢٠٠٣م فصاعداً.

ج ـ وفي حدود ١٧ شباط/ فبراير ٢٠٠٨م ـ أضرب أفراد دوريات الأمن بالجوف: ونقلاً عن **القدس العربي**، تورد مدوّنة «سكاكا الجوف» (<http://sakakaaljouf.blogspot.com>)، خبر إضراب مجموعة أفراد الدوريات الأمنية بالجوف، على النحو التالي: «... شهدت منطقة الجوف السعودية

حدثاً نادراً أول أمس، بعد الإعلان عن إضراب شرطة الدوريات الأمنية في مدينة سكاكا التي يزيد عدد أفرادها على ٥٠٠ فرد، ومعظمهم من أبناء منطقة الجوف. وقالت مصادر محلية للقدس العربي إن أفراد الدوريات الأمنية رفضوا الاستجابة للنداءات التي وجهت إليهم بفك الإضراب، مقدمين عدة مطالب لتحسين أوضاعهم الوظيفية، ومطالبين بزيادة عددهم لمواجهة الأعباء الأمنية، بعد تزايد عدد حالات عدم الاستقرار والسرقة وحالات الاعتداءات، إضافة إلى زيادة عدد النقاط الأمنية المطالبين بتغطيتها والتي تنتشر في جميع شوارع مدينة سكاكا ومدن منطقة الجوف، حتى باتت منطقة الجوف أشبه بثكنة عسكرية، مما يحملهم مزيداً من المسؤوليات. وتوجه اللواء الزامل مدير المباحث العامة بمنطقة الجوف وأوضح لهم أن طلباتهم ستنفذ وأن عليهم فك الإضراب المهني ولم يستجيبوا، ومن هذا المنطلق توجهت قوات الطوارئ المتمركزة في منطقة الجوف منذ أحداث عام ٢٠٠٠م لقمع الشرطة المضربين إلا أنهم توقفوا بآخر لحظه إثر برقية عاجلة مجهولة المصدر. واستمر الإضراب لأيام الخميس والجمعة حتى وصول مدير عام الإدارة العامة للدوريات الأمنية بالمملكة العربية السعودية اللواء محمد بن صالح الشهري الذي زار الأفراد المضربين وأكد على تلبية مطالبهم في أقرب فرصة. وأبدى عدد من ذوي الأفراد المضربين مخاوفه على مستقبل أبنائه الذين شاركوا في الإضراب، متخوفاً من قيام السلطات بنقلهم تعسفياً أو تأديبياً أو مجازاتهم بعد تهدئة الأوضاع (في: مدونة سكاكا الجوف، في ١٩/ ٢/ ٢٠٠٨م)[٦].

٢١ ـ (آذار/ مارس٢٠٠٢م (؟)) بيان، بعنوان «ضد وضعية الاستخذاء العربي»، وكان بيان نصرة للقضايا العربية ومنها القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى، وضد المبادرة العربية للسلام آنذاك (مبادرة الأمير عبد الله في أصلها)، واتسم البيان بخطاب ولغة يسارية ثورية شديدة الحدة والنقد للخضوع العربي (الحكومات العربية) أمام السياسات الغربية الأمريكية وإدارة بوش القمعية تجاه المنطقة، وطالب بمراجعة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومع كل التقدير للمشاركين، مبادرين و/ أو موقِّعين على البيان، حيث وقع البيان حوالي ٢٢ من مثقفي السعودية[٧]، فإن ما يهمنا هنا منهم ومن البيان هو ما تعلق بـ «زياد السالم»، باعتباره واحداً من أبناء وأهل الجوف. زياد عبد الكريم السالم من أبناء الجوف (دومة الجندل) واحد، ليس فقط من الموقِّعين على البيان، بل كان له دور في تداول الفكرة منذ بدايات النقاش حولها، على أثر لقاء في جمعية الثقافة والفنون بالرياض، وكذلك كان له دور أساسي «تنظيمي

---

(٦) مدوّنة سكاكا الجوف (Sakaka Aljouf) والخبر على رابط المدونة التالي، <http://sakakaaljouf.blogspot.com/2008/02/blog-post.html>.

(٧) من الموقّعين على بيان «ضدّ وضعية الاستخذاء العربي»، عند صدوره، وبغضّ النظر عن الانسحابات اللاحقة، نذكر، وطبقا لـ «زياد السالم»: أحمد الدويحي، محمد القشعمي، عادل الهوشان، علي الدميني، نجيب الخنيزي، عبد الحفيظ الشمري، يوسف المحيميد، جارالله الحميد، فهد العتيق، زياد السالم... إلخ. بعد ضغوط مورست على عدد منهم من إمارة الرياض، تعهّد عدد منهم بعدم توقيع أيّة بيانات، ومنهم على ما يبدو: أحمد الدويحي، ومحمد القشعمي، وعادل الهوشان، وفهد العتيق، وعبد الحفيظ الشمري، ويوسف المحيميد...» (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً). وفي رسالة نصّية إلحاقية، يقول زياد السالم، كما ورد حرفياً في رسالة نصية لنا (الباحث)، نقلاً عن فهد العتيق، التالي: «أخبرني الروائي فهد العتيق أن تركي السديري كتب مقالاً في تلك الفترة في جريدة **الرياض** اتهم به المجموعة بالحقد على رموز الدولة. وأنه استقصى عن خلفية البيان وتأكد له أن عبده خال ويوسف المحيميد لم يوقعا على البيان، وأضاف ـ السديري ـ أن عبده والمحيميد مواطنان صالحان وليس لديهما مركبات حقد وحسد تجاه الأغنياء (يقصد الأمراء) وفي سياق متصل يقول العتيق: إن المحيميد ذهب لإمارة الرياض وأخبر وكيل سلمان أنه كاتب قصص أطفال ولا علاقة له بالسياسة. هذا ما أخبره به عبد الحفيظ الشمري الذي وقع تعهداً هو الآخر في إمارة الرياض...» (السالم، زياد، رسالة جوال نصّية، في ٦/ ١٢/ ٢٠١٣: الساعة ٩:٢٥ مساءً).

وتنسيقي»، بالمشاركة مع جارالله الحميد (من حائل) بالاتصال بعدد من المثقفين في السعوديه لإقناعهم بالتوقيع على البيان وجمع التوقيعات عليه. وقد ترتب على إصداره ضغوط شديدة مورست على عدد من الموقعين، أدى إلى تراجع بعضهم بتوقيع تعهدات، واعتقل بعضهم، ومنهم زياد السالم نفسه، وكذلك جارالله الحميد لدورهما المحوري في البيان. اعتُقل زياد في الجوف، بعد خمسة أيام على وفاة والده، ثم نقل مباشرة وأُخضع للتحقيق في حائل، حتى إطلاق سراحه بعد حوالي عشرين يوماً من الاعتقال والتي يبدو تخللتها تحقيقات معه ومع جارالله الحميد (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال) معه، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣٢: ٩:٣٤ ـ ٩:٤٠ صباحاً، والسالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال) منه، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً). هذه الضغوط على زياد السالم، كمثقف ناشط في مجال «الثقافة التنويرية» لم تتوقف، فقد تعرض لاستدعاء وتحقيق و/ أو إيقاف على الأقل مرتين خلال الفترة ٢٠٠٩م وحتى آذار/ مارس ٢٠١٠م. التحقيق الأول مرتبط بخلفية وتطورات ما بعد الحريق الأول في خيمة النادي الأدبي بالجوف في صباح يوم (١٣كانون الثاني/ يناير من عام ٢٠٠٩م)، قبيل أمسية شعرية كانت الأديبة «حليمة مظفر» كانت مقررة. طبعاً الأمسية تلك لم تتم في النادي بسبب الحريق، حيث تأجلت، وأجريت في وقت لاحق في «مركز الأمير عبد الإله الثقافي»، وحضرها مجموعة كبيرة من الجمهور، بمن فيهم، وطبقا لـ « السالم « نفسه حوالي «٨٠ مطوعاً». في أمسية حليمة مظفر « تلك، في المركز، وبعد انتهاء المحاضرة الأساسية، كانت لـ «زياد السالم» مداخلة في مركز عبد الإله الثقافي، حيث تكلم عن التطرف والإرهاب وضرورة تبني منهج الاعتدال، في إشارة إلى حريق النادي الأدبي ومن يقف وراءه، فحدث هرج ومرج وزوبعة إثر ردود مستفزة من «المطاوعة» على مداخلة «السالم»، قطعت على أثرها المداخلات. في السياق ذاته، يبدو أن إمارة الجوف غضبت لما حدث ويبدو أنها رأت أنه، أي زياد السالم، في مداخلته هو المتسبب في إثارة «المطاوعة المتشددين»، وتخشى أن يزيد من حالة وحدّة الاستقطاب في المجتمع. على إثر تلك الأمسية والزوبعة التي أعقبتها، يبدو أن أحد الصحفيين تحدث معه، وكان له تصريحات حول تلك السياقات. وفي سياق تراكم المآخذ من إمارة الجوف على «زياد السالم»، فقد سبق له أن أرسل للأمير محمد بن نايف برقية (انظر نص البرقية بنهاية المبحث هامش الرقم (٨))، يطالب فيها بالإفراج عن

---

(٨) نقلاً عن إخبارية الجوف، موقع «السرحان» (موقع قبيلة السرحان الرسمي) وتحت عنوان «زياد السالم السرحاني يطالب بالإفراج عن الدكتور متروك الفالح»، يعيد نشر برقية زياد السالم، ونورد البرقية ونصّها كما وَرَدَت منشورة على موقع «السرحان» في ١١/ ٣/ ٢٠٠٨م، على النحو التالي: «حصلت «إخبارية الجوف» على برقية عاجلة موجهة إلى صاحب السمو الملكي الأمير محمد نايف بن عبد العزيز آل سعود مساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية وذلك للإفراج عن الدكتور متروك الفالح الأكاديمي والناشط في مجال حقوق الإنسان، وقد أكّد الشاعر والكاتب زياد السالم في برقيته أن الممارسات الإقصائية تحول المواطنين إلى خلايا إرهابية تعمل تحت الأرض».

وقد جاء نص البرقية كما يلي:

«صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبد العزيز حفظه الله مساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية: الرياض المملكة العربية السعودية؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في البداية يسرني أن أشكركم على ما تبذلونه من جهود جبارة لإرساء دعائم الأمن وخدمة الوطن والمواطن في مختلف المجالات، ولعل النتائج العملية التي حققتموها في مكافحة الإرهاب خير شاهد على ذلك. صاحب السمو: سأخاطب فيك الإنسان المثقف وصاحب الأفق الواسع إذ إنني أعلم من خلال زملائي في الوسط الثقافي أنك قريب من المشهد النخبوي وعلى دراية عريقة بشؤون الفكر والثقافة لذا أرجوك كل الرجاء عاقداً عليك بعد الله أمالاً واسعة أن تطلق سراح الباحث والمثقف التنويري البروفيسور متروك الفالح فهو صاحب قلم ومن يحمل قلماً في يده اليمنى لا يمكن أن يخبئ سلاحاً في يده الأخرى. وقد عرفت الرجل عن قرب واكتشفت فيه مثقفاً جذرياً ينتمي إلى أفق المستقبل ويطالب بالإصلاح ضمن حدود الممكن ووفقا للقواعد المعيارية والرؤى الاستراتيجية التي تنتهجها السلطة السياسية في البلاد. إن المطلع على كتبه وأطروحاته يدرك أن الرجل داعم أساسي لشرعة الدولة إذ إن =

متروك الفالح، ونشرتها إخبارية الجوف على ما يبدو في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٨م، أو في حدودها، طبقاً لما ورد عنها في موقع «السرحان»[٩]. في الشأن ذاته، سبق أن تحدث زياد السالم، في قناة الحرة، مطالباً السلطات السعودية بالإفراج عن متروك الفالح. في تراكم تلك السياقات، وبعيد مداخلته في أمسية حليمة مظفر، آنفة الذكر، يبدو أنه وبطلب من أمير الجوف، تم استدعاؤه من قبل الوكيل المساعد للشؤون الأمنية، عبد الرحمن النجم البادي، وأجرى معه نقاشاً وتحقيقاً حول تلك المسائل، لافتاً نظره إلى أنه وردت إليهم تقارير من الاستخبارات والمباحث عنه وعن نشاطاته (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً). أما التحقيق الثاني وما رافقه من احتجاز وإيقاف فهو الآخر متولد في أجواء وأعقاب الحريق الثاني للنادي الأدبي في الجوف مباشرة والذي وقع على ما يبدو ظهر الأحد (١٤/ ٣/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٠م)، حيث أدلى زياد السالم بعدة تصريحات لوسائل إعلام محلية وخارجية محملاً إدارة الحكم المحلي (الإمارة/ الأمير) مسؤلية التساهل مع المتطرفين، وعدم محاسبتهم في إشارة للحريق الأول، وملمحاً إلى تورط وتواطؤ الإمارة مع المتشددين، واتهمها بأنهما وراء عدم تكريم الدكتورة خولة سامي الكريّع، وشدد على أنه ولحل المشكلة على نحو جذري، فإن المنطقة بحاجة إلى أكبر من المعالجات الأمنية، إذ إنها تتطلب تغييراً سياسياً على مستوى الحكم المحلي. على أثر هذه التصريحات، يبدو أن الإمارة طار صوابها، فأوعزت لشرطة الجوف (في سكاكا) باستدعائه والتحقيق معه. في مقر الشرطة ذكرهم زياد السالم، بأن هذه القضايا التي يُراد التحقيق معه بشأنها هي قضايا تتعلق بالنشر، فهي من اختصاص وزارة الثقافة والإعلام حسب النظام، وما سبق أن شدد عليه الملك عبد الله في قضايا نشر، كما في قضية حمزة المزيني، فحاولوا الضغط عليه لكتابة تعهد فرفض، ثم احتجزوه لأكثر من ثلاث ساعات مطالبينه، للإفراج عنه، أن يحضر من يكفله، لكنه رفض، وأصر على الخروج بدون أي شرط و/ أو قيد، وقال لهم، وكرره فيما بعد خروجه بتصريحات للإعلام، إنه يفضل أن يجلس بالسجن لعشرات من السنين على أن يخرج بواسطة كفيل، فهو ليس مجرماً ولم يرتكب جريمة (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً، والعلي، ياسر، ١٤٣١هـ)[١٠].

= المثقفين الجذريين في مقارباتهم العميقة لا بد أن يطرحوا أسئلة نوعية لم تمتهن من قبل. جميع الدول المنتمية إلى عالم الحداثة والتي تفصلنا عنها مسافات فلكية لم تتقدم إلا عبر خلق فضاء مفتوح تتعايش فيه أطياف وتيارات مختلفة انه فضاء التعددية ومن مكوناته أسس الضبط الاجتماعي والمدونات القانونية ومواثيق حقوق الإنسان لقد أكد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا أن المعالجة الفعلية للإرهاب والتطرف تكمن في مرجعية القانون وقيم المواطنة وتشكيل آفاق التربية المدنية واستقراء النتائج المتجانسة والمواضعات القديمة وتفكيكها للذهاب نحو الغد إذ إن الدولة كائن متحول. وشدد على أن الممارسات الإقصائية تحول المواطنين إلى خلايا إرهابية تعمل تحت الأرض، لا شك أنكم أهل للمسؤولية حريصون على الإنسان بوصفه قيمة مطلقة. صاحب السمو الكريم: نتوسل إليك أن تطلق سراح هذا الإنسان. وضمن مقام متعلق أكاد أقول: إن كل بيت في منطقة الجوف يقيم مناحة حقيقية على متروك، نستحلفكم بالله أن تتركوه كي يعود حراً طليقاً إلى أهله ولكم الشكر سلفاً. أديب وكاتب ـ زياد عبد الكريم أحمد السالم دومة الجندل الجوف».

المصدر: «زياد السالم السرحاني يطالب بالإفراج عن الدكتور متروك الفالح،» موقع السرحان على شبكة الإنترنت، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٨، الساعة ٩:٢٢ مساءً، <http://www.alssirhan.com/vb/showthread.php?t=8158>.

(٩) موقع السرحان، ورابط خبر نص برقية زياد السالم، هو: <http://www.alssirhan.com/vb/showthread-php?t...>.

(١٠) عن تصريح زياد السالم لبعض وسائل الإعلام، ومنها صحيفة «جوف» الإلكترونية انظر: ياسر العلي، «السالم بقائي في الزنزانة عشرات السنين أفضل من الخروج بكفيل،» صحيفة «جوف» الإلكترونية، في ١٧/ ٣/ ١٤٣١هـ، على الرابط التالي: <http://www.jouf7.com/news-action-show-id-67...>.

تفاعل القضية، مباشرة عبر وسائل الإعلام، ومنها الشبكات الاجتماعية ـ حيث أتذكر أنني كنت، شخصياً وعبر رسائل جوال نصية تصلني منه، أتابع وأنقل أخباره أول بأول وأنزلها مباشرة على صفحتي في الفيسبوك ـ ومعها وفوقها، وفي سياق إصراره على عدم التنازل لهم والتمسك بحقوق، لم يكن أمامهم سوى الإفراج عنه، مرفوع الرأس، بدون شروط. وفي سياق نشاطه الثقافي والفكري التنوري، وفي فترة ما بين الحريقين آنفَي الذكر، جرت مناظرة بين زياد السالم من جهة، وبين صالح السعدون من جهة أخرى، وجهاً لوجه، ومسجلة صوت وصورة (متاحة الآن على اليوتيوب في عدة حلقات/ أجزاء) وأمام حوالي ٢٠٠ من الجمهور في «مركز الأمير عبد الإله الحضاري» في سكاكا عن «المواطنة والحداثة» في مساء الاثنين ١٣/ ١٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٩م. كانت المناظرة بترتيب من جمعية الثقافة والفنون بالجوف، وقد أدارها جلال خير الله الطالب، وبينما ذهب السعدون، إلى قضايا التغريب والتكفير في مهاجمة الحداثة وأنها ضد الدين، كان تركيز السالم على القضايا الجوهرية والمعاصرة في الحداثة من حيث ربطها للوطنية والوطن بقيم الكرامة وحقوق الإنسان والديمقراطية والعدالة والقانون، فذهب السعدون إلى عصر الصحابة، لكن السالم طالبه بالكلام عن الأمر في الوقت الحاضر، مذكراً إياه في المناظرة، وطبقاً لما نقله لي عبر اتصال هاتفي، «بأننا في السعودية بلا مدونة قضاء، ولا حقوق إنسان، ولا ديمقراطية،» أننا بدون تاريخ بدون وطنية»، «فهل تتجرأ على تناول هذه المسائل الآن»؟! (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣م: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً).

وبغض النظر عن اتفاقنا و/ أو اختلافنا مع هذا أو ذاك وتجاه القضايا التي طرحت، فقد ولدت هذه المناظرة، وما تم بها من مداخلات، تفاعلات على مستوى الثقافة والمثقفين في داخل وخارج الجوف، بل إنه وطبقاً لما نقله لي زياد السالم نفسه، فإن جهات رسمية ومن بينها جهاز «الاستخبارات» بالجوف، اتصلت على رئيس جمعية الثقافة والفنون آنذاك (نواف الذويبان) وطلبت نسخ من كامل المناظرة! (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً). لا أظن أن مثل هذه الجهات معنية بأقوال «السعدون» بقدر ما هي معنية بأقوال «السالم»، ذلك أن زياد السالم، في مداخلاته كان ناقداً فاضحاً من الداخل للحالة السعودية وتخلفها و/ أو انعدامها في مجالات قيم وممارسات الحياة الحديثة القائمة على كرامة وحقوق الإنسان والديمقراطية. كلمة أخيرة في زياد السالم، أقولها، ورغم أني لا أتفق معه في بعض أطروحاته واهتماماته وخاصة منها الفلسفية ومجالاتها: إن زياد السالم، وهو ابن منطقة ريفية (الجوف/ دومة الجندل)، ويا للمفارقة! ليس فقط أبرز مثقف عرفته بالجوف خلال العشر السنوات الأخيرة، وإنما كذلك، ودون مبالغة، فهو من أبرز المثقفين على المستوى الوطني، بل هو معروف عربياً، ولو تمكن من لغة أجنبية، وخاصة اللغة الإنجليزية، لصار له شأن في مجالات الثقافة والفكر والنقد والفلسفة حتى على المستوى العالمي.

٢٢ ـ (٢٠٠٣ ـ ٢٠١٣م) أهل **الجوف وحركة تيار دعوة الإصلاح الدستورية وثقافة المجتمع المدني في السعودية**. شارك في هذه الدعوة والحركة والثقافة، على المستوى الفردي عدد من أبنائها، وعلى التحديد منهم: متروك الفالح، ومنصور سالم العوذة، ومهنا محمد مهنا خليف الفالح، وإلى حد ما الدكتور حمد الوردي.

أ ـ **بالنسبة إلى مشاركة متروك الفالح**، والتي تعود إلى ما قبل عام ٢٠٠٣م، وبالذات منذ ٢٠٠٢م وحتى الاعتقال الأخير (١٩/ ٥/ ٢٠٠٨م ـ ١٠/ ١/ ٢٠٠٩م)، فقد سبق أن تحدثت عنها، وأشرت إلى بعض من جوانبها في بداية ومدخل الحديث عن الجوف والمسألة الثقافية (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م) فلا داعي من تكرارها هنا. وبالنسبة إلى الدكتور حمد الوردي، فكذلك كنت قد أشرت إلى مشاركته سابقاً، وكذلك في ما كتبته عنه عام ٢٠٠٨م (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، وكذلك أشرت، في ما تقدم، إلى توقيعه هو وفهاد الحمد على ما عرف بمذكرة الإصلاح «الليبرالية» ١٩٩٠م/ ١٩٩١م.

ب ـ **أما بالنسبة إلى «منصور العوذة ومهنا الفالح»** فقد دخلا مع تيار الدعوة الدستورية على ما أظن، بعد مذكرة «رؤية لحاضر ومستقبل الوطن/ ١١يناير ٢٠٠٣م»، وأكثر تحديداً ابتداءً من مذكرة «نداء إلى القيادة والشعب معاً» «الإصلاح الدستوري أولاً» ـ ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٣م) حيث كان منصور العوذة من ضمن قائمة الـ (١١٦) الموقعين عليها، وكان رقمه فيها (١٠٥). مهنا الفالح، وإن لم يوقع الوثيقة في أصلها المنشور في ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٣م، فيبدو أنه وقّع على نسخة من الوثيقة في المجموعة «بقية المئة الثانية» والتي على ما أتذكر اكتملت وتجاوزت المئتين من الموقعين عليها، وكان المنوي نشرها تباعاً، لكن تطورات متسارعة وخاصة الاعتقالات في ١٦/ ٣/ ٢٠٠٤م حالت دون ذلك. تطورت علاقة كل من منصور العوذة ومهنا الفالح بالتيار والحركة الدستورية وثقافة المجتمع المدني، مع محاكمات ما عرف بـ «الإصلاحيين الثلاثة» (د. عبد الله الحامد، ومتروك الفالح، وأ. علي الدميني) ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م. حيث زارانا في سجن «مباحث عليشة»، وحضر مهنا الفالح على ما يبدو الجلسة الأولى والثانية من المحاكمة، ليعتقل بعدها بفترة، بسبب نشاطه المؤيد للحركة والدعوة الدستورية، علماً أن كلاً من منصور العوذة ومهنا الفالح أرسل، في شهر ٤ و٥ من عام ١٤٢٥هـ على التوالي، خطابات أو برقيات (انظر نسخ منها أو مستندات عنها في الهامش الرقم (١١)) لعدد من المسؤولين وعلى رأسهم، ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز دعماً لـ «الإصلاحيين الثلاثة»، ويطالبون فيها بمحاكمات علنية عادلة لهم وتمكين

---

(١١) في ٢٤/ ٤/ ١٤٢٥هـ، الموافق ١٢/ ٦/ ٢٠٠٤م، أرسل منصور بن سالم غثيان (العوذة) برقية لولي العهد الأميرعبد الله بن عبد العزيز (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٦٩) وصوّر منها لكل من الأمير طلال بن عبد العزيز (بوصل رقم ٠٧٩٠٩٧٠)، والأمير نايف بن عبد العزيز (وزير الداخلية) (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧١)، والأمير أحمد بن عبد العزيز (نائب وزير الداخلية) (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٢)، والأمير عبد الإله بن عبد العزيز (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٣)، والأمير عبد العزيز بن فهد (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٤).

ونورد نص البرقية: «صاحب السمو الملكي الأمير/ عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني؟؟... حفظكم الله... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: أرفع لسموكم الكريم هذه البرقية بشأت استمرار اعتقال ثلاثة من النشطاء الوطنيين في مجال المجتمع المدني، والدعوة للمشاركة الشعبية والإصلاح الدستوري في بلادنا، وهم: البرفيسور متروك الفالح، والبرفيسور عبد الله الحامد، والشاعر على الدميني. وحيث تمت إحالة المعتقلين المذكورين للقضاء. فإنني: أطالب بأن يُحاكموا بشكل علني بمقتضى المادة (١٥٥) من نظام الإجراءات الجزائية. وتمكين كل من يرغب حضور جلسات المحاكمة بحضورها. والله يحفظ سموكم، الاسم: منصور بن سالم غثيان، رقم السجل المدني: ١٠٣٦٢٩٢٧٤٤، تاريخ الميلاد: ٢٠/ ١٢/ ١٣٩٢هـ، مكان الميلاد: طريف، رقم الحفيظة: ٢٩٦٧٧ مصدرها الجوف تاريخها ٦/ ١١/ ١٤٠٨هـ، العنوان: الجوف ـ سكاكا، ص.ب: ٤١٠١. أما مهنا محمد مهنا خليف الفالح فأرسل خطابات، يبدو أنها مشابة لبرقية منصور العوذة، بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٤٢٥هـ، وارسل الأصل لولي العهد، صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401261SA)، وصور منها لكل من: النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء الأمير سلطان بن عبد العزيز عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401275SA)، والأمير نواف بن عبد العزيز (رئيس الأستخبارات) عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401289SA)، والأمير سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض) عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401292SA).

من يرغب بالحضور. ومع اعتقال مهنا الفالح في١٣ ـ ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٤م، زاد منصور العوذة نشاطه الدستوري والمدني، حيث أصبح هو محامي/ وكيل مهنا الفالح، وكان يذهب إلى سجن المباحث في شرق جنوب «الطوير» منتظراً ساعات طوالاً ليزور «مهنا» ليرجع أدراجه دون أن تحقق رغبته وحقه وحق موكله في الزيارة. ظل منصور العوذة يدافع عنه وأصدر بيانات عنه، أهمها كان في ١٣/ ٦/ ٢٠٠٥م عن «رفض مهنا حضور المحكمة/ محاكمته» لحرمانها من حقه في علنية المحاكمة وحقه بالوكيل/ المحامي، والثاني في ١٩/ ٩/ ٢٠٠٥م عقب نقل مهنا الفالح بشكل مفاجئ وتعسفي دون علم زوجته وعائلته إلى سجن الحائر في الرياض في ٤/ ٩/ ٢٠٠٥م (العوذة، منصور، بيان صحفي، في ١٩/ ٩/ ٢٠٠٥م) (انظر نسخة من البيان الصحفي في الهامش الرقم (١٢)). واستمر منصور سالم العوذة في الدفاع عن مهنا

(١٢) «بيان صحفي صادر عن وكيل الدفاع عن الإصلاحي المعتقل مهنا الفالح بشأن قرار الإبعاد التعسفي» (١٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥).

«في الوقت الذي طالبتْ فيه العديد من المنظمات المعنية بحقوق الإنسان، محلياً وعربياً ودولياً، بضرورة الإفراج عنه لكونه معتقل بسبب آرائه السياسية. وفي الوقت الذي ناشدتْ فيه أسرته القيادة السياسية إطلاق سراحه، عبر العديد من البرقيات والرسائل والنداءات. وفي الوقت الذي شجبنا فيه. عبر أكثر من تقرير. التضييق المفروض ضده، والانتهاكات الجسيمة لحقوقه. بل إنه في الوقت الذي أطلق فيه الملك عبد الله بن عبد العزيز مبادرته النبيلة، والتي تمثلت بالعفو عن سجناء الرأي من المثقفين والناشطين السياسيين. إلا أننا نتابع، وبأسف بالغ وقلق شديد، الإجراء التعسفي الأخير، المتخذ بحق الإصلاحي المعتقل مهنا الفالح، والمتمثل بإبعاده. وعلى نحو مفاجئ ودون إخطار أسرته. من سجن المباحث العامة بسكاكا إلى سجن الحاير بالرياض مساء يوم الأحد الرابع من سبتمبر ٢٠٠٥. ففي الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء ٦/ ٩ الجاري، حضرت زوجته لزيارته كعادتها في مثل هذا اليوم من كل أسبوع. وفي عملية إذلال وعبث بمشاعر أسرته غير مبررة وغير مقبولة، تم السماح لها بالدخول إلى عنابر السجناء حتى غرفة الحبس الخاصة بزوجها. رغم عدم وجوده. وكانت صدمتها قاسية عندما أبلغها أحد نزلاء المعتقل (الذي اندهش لوجودها داخل العنابر) بأن زوجها قد رُحّل منذ يومين إلى سجن الحاير بالرياض. وقبل انصرافها حاولت الاستفسار عن مصير زوجها ولماذا لم يتم إخطارها بترحيله ولماذا سمحوا لها بالدخول طالما لم يكن موجوداً، فأفادها مسؤول الحراسة المناوب بأنه ليس لديه علم ولا تعليمات بهذا الخصوص!. إن هذا الإجراء يأتي كحلقة جديدة تضاف إلى سلسلة الانتهاكات المستمرة والمتواصلة لحقوق موكلي مهنا الفالح منذ لحظة اعتقاله، والطريقة التي تم بها في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٤، بدءاً بإجراءات القبض والتحقيق، ومروراً بإنكار ضمانة الدفاع لدرجة الاعتداء حتى على اختصاصات ولاية التوثيق «كتابة العدل» من خلال مصادرة صكوك الوكالات الشرعية. إلى محاولات إرغامه على المثول أمام محكمة لا تعترف هي نفسها بأبسط القواعد المبدئية التي تقوم عليها المحاكمة العادلة. وليس انتهاءً بتهديده بالتعذيب (حيث هدده مدير المباحث قبل ترحيله بأيام بـ «تعليقه من يده وقطعها»)، وقبل كل ذلك سلب حريته وعزله عن العالم، ليتم أخيراً إبعاده عن أهله وذويه مسافة أكثر من ألف كيلومتر. لنكون بذلك أمام (نموذج مثالي) لقضية يتم فيها التصرف الكامل واللامحدود لجميع حقوق المتهم المكفولة بمقتضى «نظام الإجراءات الجزائية» في المملكة. وطبيعي أن تستحيل القوانين إلى مجرد لغو، ويجري ابتذالها إلى هذا الحد، طالما لا يوجد أصلاً «ضمان قضائي» يكفل توقيع الجزاء المترتب على عدم المشروعية الإجرائية التي تقع من المكلفين بإنفاذ القوانين. كما أود التأكيد على أنه منذ إبعاد موكلي إلى سجن الحاير، لم يسمح له. وحتى ساعة إعلان هذا البيان . بالاتصال بأسرته ولم يسمح لابنه بزيارته هناك. أيضاً، وكما أوضحت في تقرير سابق (نشر في ٢٩ يونيو/ حزيران الماضي)، فإن السلطة المعنية لا تزال مستمرة في الاستيلاء على صك الوكالة الخاص بي.

وعليه، فإنني أتوجه بالنداء: إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز، وأناشده. حفظه الله. إخلاء سبيل المواطن / مهنا الفالح، المسجون بسبب آرائه السياسية. وإلى جميع المنظمات الحقوقية، وكل المناضلين المرابطين على جبهة الدفاع عن حقوق الإنسان؛ وأناشدهم مطالبة الحكومة السعودية بالكشف عن مصيره والإفراج الفوري عنه، ليكون مشمولاً بالعفو الذي أعلنه ملك البلاد. أو تمكينه. على الأقل. من التمتع بحقه الطبيعي والشخصي في محاكمة عادلة. ولأن الإصلاح السياسي يرتبط باحترام حقوق الإنسان والمواطن، ارتباطاً عضوياً وموضوعياً ويعتمد كل منهما على الآخر ويعززه؛ فإنني أتوجه بالنداء أيضاً إلى مختلف قطاعات وفعاليات الرأي العام في المملكة، للعمل من أجل مطالبة الحكومة بالالتزام بتعهداتها بشأن الإصلاح السياسي. وحثها على المضي قدماً في طريق بناء الشرعية الدستورية. ومطالبتها بالوفاء بالتزاماتها تجاه تقرير الحقوق الأساسية للمواطنين وحمايتها، بموجب تصديقها على المواثيق الإقليمية والدولية الخاصة بحقوق الإنسان».

منصور سالم غثيان العوذه وكيل الدفاع عن سجين الرأي «مهنا الفالح»

في ١٩ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٥، الجوف. سكاكا. =

الفالح حتى تم الإفراج عنه، ومعه خالد العمير في حدود ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥م. مهنا الفالح، وبعد الإفراج عنه، سيواصل نشاطاته الإصلاحية مع المجموعة الدستورية، فيكون من ضمن الموقعين على وثيقة «معالم على طريق الملكية الدستورية/ دولة العدل والشورى» الصادر في ١/ ٤/ ٢٠٠٧م، وكان ترتيبه هو ٨٧ من ضمن ٩٩ شخصية وقعت على الوثيقة. عندما اعتقل منصور العوذة، في ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م، عمل مع فريق للدفاع عنه، وأعتقد أنه أصدر بياناً مشتركاً مع الفريق، في وقت ما من عام ٢٠٠٨م ومن ضمنهم أخ لـ «منصور العوذة»، وربما هو ناصر سالم العوذة، وكان البيان حول «اعتقال منصور العوذة» وغياب المعلومات عن وضعه وأحواله في السجن. عندما اعتقلت في الاعتقال الثاني (متروك الفالح) في ١٩/ ٥/ ٢٠٠٨م، كان من ضمن ١٣٧ شخصية وقعت على نداء موجه للملك عبد الله مطالبة بالإفراج عن متروك الفالح، وفي حدود ٢٧ آب/ أغسطس كان من ضمن الموقعين على بيان ونداء يطالب بالإفراج عن سجناء الرأي والضمير في السعودية، وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٨م، كان من ضمن مجموعة أعلنت الإضراب عن الطعام (الصوم) متضامنة مع متروك الفالح ومطالبة بإطلاق سراحه، وقبل ذلك كان على ما يبدو من ضمن مجموعة ذهبت لهيئة حقوق الإنسان الحكومية واجتمعت برئيسها آنذاك تركي السديري، مطالبة إياه بالتدخل للإفراج عن متروك الفالح. في ٢٣/ ١٠/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٩م، كان واحداً من بين ١١ شخصية من المؤسسين والموقعين البيان التأسيسي وإعلان قيام «تأسيس جمعية الحقوق المدنية والسياسية» (حسم acpra). في آذار/ مارس ٢٠١١م، ومع الربيع العربي، شارك مع مئات، بل آلاف من أبناء وبنات السعودية في التوقيع على بيان «نحو دولة الحقوق والمؤسسات» وكان ترتيبه ضمن القائمة ٧٤١٤. قبل وفاته بثلاثة أسابيع (توفي في ٦/ ٧/ ٢٠١١م) كان آخر عطائه في ١٥/ ٦/ ٢٠١١م في التوقيع على «بيان الرياض: المشكلة والحل»، كان ترتيبه رقم ٣٦ من قائمة عددها ١٨٧. ورغم وفاة مهنا الفالح، فإن ثقافة الإصلاح لديه وفي محيطه الأُسري يبدو أن عدواها انتقلت إلى أحد أفراد أسرته، وهو أحمد مهنا محمد مهنا خليف الفالح، حيث يلاحظ أنه كان أحد الموقعين من ضمن مجموعة من ٧٧ من شباب/ شابات الوطن، على «**بيان بخصوص حملة الاستدعاءات لأعضاء**

= – **نبذة عن: مهنا الفالح**: من مواليد مدينة سكاكا بمنطقة الجوف عام ١٩٦١م. تخرج في قسم علم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٨٧. حصل على دبلوم في مجال الصحة النفسية من جامعة الملك سعودعام ١٩٩٦. وفي العام ١٩٩٩ حصل على دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع من جامعة بيروت العربية. وحتى لحظة اعتقاله كان يشتغل على إنجاز أطروحة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع. ويعمل مهنا الفالح (وهو من أقرباء الإصلاحي والناشط المعروف متروك الفالح) موظفاً بمديرية الشؤون الصحية بالجوف كأخصائي اجتماعي.

دعم مهنا وثيقة (الإصلاح الدستوري) وإن لم يوقع عليها. ولإيمانه بمشروعية مطالبهم وعدالة قضيتهم، دافع عن موقف الإصلاحيين الدستوريين منذ اعتقالهم ونشط في التعريف بقضيتهم وبمشروعهم الوطني إلى أن جرى اعتقاله لهذا السبب. وكان قد مارس دوراً تثقيفياً في محيطه الاجتماعي، حيث كان يداوم على شراء وتوزيع نسخ من (نظام الإجراءات الجزائية) بقصد التعريف ولو بهذه الحزمة المعترف بها من الحقوق المدنية والتي .على محدوديتها .تجهل بوجودها قطاعات واسعة من المجتمع، وهو نفس الدور الذي استمر في ممارسته داخل المعتقل عندما لاحظ أن زملاءه المعتقلين لم يسمعوا قط بتلك الحقوق. وكان قد اعتقل من أمام منزله في ساعة متأخرة من الليل في الثالث عشر من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤ بطريقة لاإنسانية ومخالفة للنظام. وأبعد إلى سجن الحاير في الرياض بعد تسعة أشهر قضاها في سجن المباحث بسكاكا.

المصدر (البيان ونبذة عن الفالح) كما منشور على (موقع «صدى ـ SADA» للدفاع عن الحقوق والحريات)، على الرابط التالي:
<http://sada.pagesperso-orange.fr/mohanna_alfaleh.htm>.

«**حسم**» نوفمبر ٢٠١٣م»[١٣]. منصور العوذة هو الآخر، وإن لم ينقطع كلية عن النشاط الإصلاحي، إلا أنه ومع تحولات فكرية وأيديولوجية بدأت تطرأ عليه، منذ أواخر ٢٠٠٥م، فصاعداً، وعلى نحو ملحوظ في ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م، بدأ بالتخفيف من نشاطاته في مجال الدعوة الدستورية والمجتمع المدني، رغم أنه قال لي في صيف ٢٠٠٧م في مزرعتي، وبحضور مهنا الفالح، أنه لا زال يعتبر نفسه من تيار ثقافة الحقوق والمجتمع السلمي. منصور العوذة سيتزايد نشاطه باتجاهات تحولاته الجديدة، ولكن على الأقل كان منها ما استمر في سياق ثقافة الحقوق، فكان منها ما تعلق باعتصام نساء معتقلي الجوف في ربيع ٢٠٠٧م، والذي تقدمت الإشارة إليه. مع تزايد حركته وباتجاه تحريك ملف المعتقلين وحقوقهم، وخاصة ما تعلق منها في الإفراج و/ أو المحاكمات العلنية العادلة، بدا أن السلطات غير قادرة و/ أو راغبة في تحمل المزيد منها، فأقدمت على اعتقاله في ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م، ولا زال معتقلاً حتى اللحظة (الآن نحن في شباط/ فبراير

---

(١٣) «بيان بخصوص حملة الاستدعاءات لأعضاء حسم» (تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

تابعنا بقلق ما تتعرض له جمعية الحقوق السياسية والمدنية (حسم) من استهداف وتصفية، ولا زال أغلب أعضائها يتعرضون للتهديد بأحكام جائرة واعتقالات وتحقيقات كما حدث للدكتور عبد الله الحامد، والدكتور محمد القحطاني، والدكتور عبد الكريم الخضر، واعتقال محمد البجادي، وصالح العشوان، والعضو المساند عمر السعيد، واستدعاء رئيس الجمعية السابق المهندس فوزان الحربي، واستدعاء العضو المساند السابق الأستاذ عبد الرحمن الدوسري، واستدعاء العضو المساند حسين الزايدي واستدعاء العضو الأستاذ عبد العزيز الشبيلي، وأخيراً استدعاء الرئيس الحالي لجمعية حسم الأستاذ عيسى الحامد.

ويتضح من خلال الأحكام الصادرة على رموز جمعية حسم واستدعاء جميع الأعضاء أن هناك استهدافاً ومخططاً من وزارة الداخلية وذراعها «هيئة التحقيق» لتصفية أعضاء حسم من خلال الأحكام، والاعتقالات والاستدعاءات، لثنيهم عن الدفاع عن حقوق الإنسان، وإسكات صوت كل مدافع عن حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية، وطمس الانتهاكات التي تجري في أروقة وفروع وزارة الداخلية.

إن وجود جمعيات حقوق الإنسان الأهلية والتعاون مع الأعضاء الناشطين فيها يعكس رقي الحكومات واحترامها للإنسان وحقوقه وتكريمه ميزة بارزة في أداء الحكومات العادلة. ومن الضروري وجود مثل هذه الجمعيات المستقلة لتأطير المجتمع والمنتسبين للجهات الحكومية لاحترام حقوق الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾. [**القرآن الكريم**، «سورة الإسراء،» الآية ٧٠].

وللدور البارز لجمعية الحقوق السياسية والمدنية (حسم) في الدفاع عن حقوق الإنسان الأساسية، نحن الموقعون على هذا البيان نرفض حملة التصفية والتنكيل التي تتعرض لها الجمعية وأعضائها، ونطالب السلطات بالكف عن استهداف الجمعية والأعضاء الناشطين فيها، ونحن ننذر أنفسنا في مساندتها والدفاع عنها.

الموقعون:

١ ـ علي الحطاب ٢ ـ عهود اللامي ٣ ـ عبد الله فيصل الحربي ٤ ـ سلوى الشهري ٥ ـ نورة العُمر ٦ ـ عبد الله العطاوي ٧ ـ عصام كوشك ٨ ـ بندر الشمري ٩ ـ عزيزة اليوسف ١٠ ـ عبد الله الشهري ١١ ـ عبد الله سلمان العودة ١٢ ـ عبد الله المقبل ١٣ ـ زانة الشهري ١٤ ـ طلال الزهراني ١٥ ـ صالح المنسلح ١٦ ـ ماريا فهد الصالح ١٧ ـ أحمد الجنيدل ١٨ ـ محمد علي محفوظ١٩ ـ تركي البكر ٢٠ ـ سارة الفواز ٢١ ـ عبد الله الوتيدي ٢٢ ـ بيان فهد البجادي٢٣ ـ خديجة الحربي ٢٤ ـ زين الشريف ٢٥ ـ محمد راشد الشملان ٢٦ ـ جنان الغيث ٢٧ ـ عبد الله النعمي ٢٨ ـ أحمد القحطاني ٢٩ ـ سارة الجريسي ٣٠ ـ سعد القحطاني ٣١ ـ شاكر الدعيج ٣٢ ـ عبد الرحمن ابراهيم الورهي ٣٣ ـ جواهر اللحيدان ٣٤ ـ عبد الله ابرهيم الناصري ٣٥ ـ وفاء العتيبي ٣٦ ـ سعد علي الشمراني ٣٧ ـ منال الحميضي ٣٨ ـ نجلاء القحطاني ٣٩ ـ منى خالد فهد العبيدان ٤٠ ـ حمد الرشيد ٤١ ـ مرام الشيخ ٤٢ ـ عبد الله الثقفي ٤٣ ـ فاطمة الخالدي ٤٤ ـ خالد محمد الجربوع ٤٥ ـ معاذ سلمان العودة ٤٦ ـ عبد الرحمن جمعان الدوسري ٤٧ ـ فارس العتيبي ٤٨ ـ مواهب المطيري ٤٩ ـ تركي العسيري ٥٠ ـ محمد العتيبي ٥١ ـ أمجاد اللحيدان ٥٢ ـ عبد الله إبراهيم المقبل ٥٣ ـ عبد العزيز حمود اليحيى ٥٤ ـ العنود الحامد ٥٥ ـ رزان محمد ناصر الغيث ٥٦ ـ جود القحطاني ٥٧ ـ امتنان الغيث ٥٨ ـ الجوهرة عبد الرحمن القفاري **٥٩ ـ أحمد مهنا الفالح** ٦٠ ـ إبراهيم الشلاش ٦١ ـ مها الفواز٦٢ ـ عايد عبد الله العايد ٦٣ ـ ثريا اللحيدان ٦٤ ـ أحمد الربيعان ٦٥ ـ عبد العزيز عبد اللطيف السنيدي ٦٦ ـ عبد الإله محمد الربيعان ٦٧ ـ بسام الربيعان ٦٨ ـ فراس الربيعان ٦٩ ـ ربيع الربيعان ٧٠ ـ رانيا الدخيل ٧١ ـ علي محمد التويجري ٧٢ ـ عمر عبد الزيز الزهراني ٧٣ ـ مريم مهنا الحبيل ٧٤ ـ مارية الشاوي٧٥ ـ بهجة الشاوي ٧٦ ـ خولة العمر ٧٧ ـ سفانة الشاوي.

٢٠١٤م)، وسبق أن أشرنا إلى أن هناك أقوالاً عن إصدار حكم عليه بحدود ١٥سنة! هذا وقد قابلت والدة سالم العوذة لأسلم عليها واطمئن على أحوال «منصور» أكثر من مرة في ٢٠١١م و٢٠١٢م، وآخرها كان في أيلول/ سبتمبر ـ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٣م. كان يشكو من الظلم الواقع عليه وعلى ابنه وأسرة ابنه. كلما تحدث عن ولده كنت ألمح عينيه وقد اغرورقتا، وكنت أحاول أن أقوّي من عزمه، لكن العاطفة أقوى من الكلام. كان يشير بحرقة وألم إلى قسوة الأحكام والتي يقول إنه لم يبَلَّغ عنها أصلاً، ولكن من خلال ما يقول إنه يسمع أنها في حدود ١٥سنة! ويقول إنه أرسل برقيات متتالية للملك ولوزير الداخلية، ولكن لا تجاوب معه، إلا أن «المباحث» استدعته وهدده أن يُلحقوه بولده إن هو لم يتوقف، «ووقعوه» على تعهد بعدم المطالبة حول ابنه، وقال إنه، ورغم أنه وقَّع، فإنه قال لهم إنه سيخرج من هنا وسيرسل برقية من هناك، وبالفعل، كما يقول «خرجت وأرسلت برقية» تالية، وشدد على حقه وأنه سوف يواصل المطالبة بحقوق ابنه، وهو يشكو أمره لله. منصور العوذة زرانا مرات عدة في سجن «مباحث عليشة» وتزايد نشاطه مع اعتقال مهنا الفالح ٢٠٠٤م ـ ٢٠٠٥م، كما أسلفنا، وأصدر عدة بيانات عن اعتقاله وعن محاولة محاكمته بالجوف. ما بين ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٧م، حضر منصور العوذة جانباً من نشاطات اثنينية ثقافة المجتمع المدني، ولكن نشاطه الأبرز بعد دفاعه عن مهنا الفالح وقت اعتقال الأخير، كان في محاولة تحريك ملف حقوق المعتقلين في سجن مباحث الجوف؛ يبدو أن الاعتصام الذي قامت به مجموعة من نساء المعتقلين في ربيع ٢٠٠٧م، واللاتي كن يطالبن إما بمحاكمات علنية عادلة لأزواجهن/ أقربائهن، كان نظام الإجراءات الجزائية هو المحرك له وقد قام بتغطية الخبر، في حينه، في وسائل إعلام منها «قناة الجزيرة». منصور العوذة وبسبب من نشاطه الإصلاحي المدني، ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٧، وبالذات في دفاعه العلني عن مهنا الفالح بما أصدره من بيانات، وكذلك بتواصله مع تيار ودعوة الدستور المدني في الرياض (وبالذات صلته بكل من متروك الفالح وعبد الله الحامد)، تعرض هو الآخر لضغوط متزايدة عليه وخاصة من جهاز إمارة الجوف، حيث سبق وأن أبلغني أنه استدعي وحقق معه في إمارة الجوف، من قبل عبد الرحمن نجم البادي (الوكيل المساعد للشؤون الأمنية بالإمارة). ورغم تلك التحقيقات، وما رافقها على ما يبدو من تحذيرات وبعقوبات شديدة منها الفصل و/ أو الاعتقال أن هو واصل نشاطه، فقد أصر على مواصلة نشاطه الإصلاحي الدستوري والمدني السلمي العلني. وعلى أثر نشاطه في عام ٢٠٠٧م، وتحريكه لملف المعتقلين وحقوقهم من خلال الاعتصام النسائي، والذي يعتبر بحد ذاته ربما الأول من نوعه في السعودية، تم اعتقاله في ٢/ ١٢/ ٢٠٠٧م ولا زال حتى تاريخه (فبراير/ ٢٠١٤م)، علماً أنه بقي رهن الاعتقال التعسفي لأكثر من ٤ سنوات دون محاكمة، وقيل في عام ٢٠١١م، أنه حكم عليه بحوالي ١٠ ـ ١٥ سنة!؟

ج ـ وثيقة أهل الجوف آب/ أغسطس ٢٠٠٤م: على المستوى الجماعي لأهل الجوف ودورهم في المسار الإصلاحي في السعودية نشير إلى أنه ومنذ ظهور وثيقة/ عريضة وقعها مجموعة من الأهالي بالجوف (سكاكا تحديداً) (**شفاف الشرق الأوسط**: ١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٤)[١٤] في

(١٤) وثيقة/ عريضة أهل الجوف (آب/ أغسطس ٢٠٠٤) (الداعمة والمطالبة بالإفراج عن «متروك الفالح»، و/ أو تقديمه إلى محاكمة علنية عادلة). نصّ الوثيقة والأسماء الموقّعة عليها كما وَرَدَت في مصدر الوثيقة/ العريضة: =

أغسطس/ ٢٠٠٤م ـ وإن كانت النسبة الأكبر (٥٣ بالمئة تقريباً) ممن وقعوا عليها هم من عائلة

= بسم الله الرحمن الرحيم
صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: نرفع لسموكم الكريم هذه العريضة بشأن استمرار اعتقال ابن منطقتنا البار، الاستاذ الدكتور متروك الفالح، أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود، وأحد الناشطين الوطنيين في مجال المجتمع المدني والدعوة للمشاركة الشعبية والإصلاح الدستوري في بلادنا، والمشهود له بالنزاهة والوطنية، والغيرة على مصلحة ومستقبل وطننا.

وحيث تمت إحالته إلى القضاء. فإننا نود أن نؤكد لسموكم على التالي: ان كل ما قام به ابننا الاستاذ الدكتور متروك الفالح ـ ومن معه ـ من نشاط مطلبي سلمي، إنما يأتي منسجماً مع التوجهات الاصلاحية للقيادة، ممثلة بما سبق وأن أكده المقام السامي الكريم في السادس عشر من ربيع الأول لعام ١٤٢٤هـ على: (الاستمرار في طريق الاصلاح السياسي، وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية). وبما سبق وأن أكده المقام السامي الكريم في الثاني من جمادى الأولى لهذا العام ١٤٢٥هـ على (المضي على طريق التنمية والتحديث والتطوير...). وبما سبق وأن أقره مجلس الوزراء بخصوص توسيع مشاركة المواطنين في الشئون المحلية عن طريق الانتخاب الجزئي للمجالس البلدية. كما أنه يأتي منسجماً ومتوافقاً مع ما ورد في الاعلانات والوفاقات والعهود الدولية المتعلقة بحماية حقوق الانسان ـ المدنية والسياسية، والتي سبق وأن انضمت إليها بلادنا أو صادقت عليها والتزمت بها. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن سموكم الكريم سبق وأن باركتم توجه الدكتور ومن معه، بقولكم ((رؤيتكم هي مشروعي)). وعليه فإننا نطالب بالإفراج عن ابننا الأستاذ الدكتور متروك الفالح أو بتقديمه لمحاكمة علنية عادلة. حفظكم الله سموكم وبلادنا من كل مكروه...».

أسماء الموقعين على العريضة: ١.أحمد بن حمدان العضيد ٢. أحمد بن مرجي صالح الفالح ٣. أحمد بن مهنا محمد الفالح ٤. امجد بن صالح عبد الكريم الفالح ٥. ايمن بن أحمد سلمان الفلاح ٦. إسماعيل بن سليمان عقلا المثري ٧. بشار بن خلف حمدان النصيري ٨. بكر بن خليفة حمدان الفالح ٩. بكر بن نزال منزل العوذه ١٠. تركي بن هايس خليف الفالح ١١. جميلة بنت سليمان عقلا السليمان ١٢. جميل بن سليمان عقلا المثري ١٣. جميل بن مشعل هايس الفالح ١٤. حمدان بن خليفة حمدان الفالح ١٥. حمدان بن زعل خليف الفالح ١٦. حمدان بن مهنا محمد الفالح ١٧. خالد بن تركي هايس الفالح ١٨. خالد بن دخيل العلي ١٩. خلدون بن تركي هايس الفالح ٢٠. خوله بنت متروك هايس الفالح ٢١. خوله بنت مهنا محمد الفالح ٢٢. دخيل بن عقلا سليمان المثري ٢٣. رزق بن صالح الغدير ٢٤. روان بنت صالح عبد الكريم الفالح ٢٥. زياد بن سليم معزي العوذه ٢٦. زيد بن مساعد عبد الرحمن الفالح ٢٧. زينب بنت حواس غثيان العوذه ٢٨. سلطان بن تركي هايس الفالح ٢٩. سلطان بن صالح فهد الطالب ٣٠. سلطان بن فواز هايس الفالح ٣١. سلطان بن مشعل هايس الفالح ٣٢. سلمان بن سليمان غثيان العوذه ٣٣. سليم بن معزي مسلم العوذه ٣٤. صالح بن سليمان غثيان العوذه ٣٥. صالح بن صبر الوردي ٣٦. صالح بن مرجي بن صالح الفالح ٣٧. صلاح بن خليفه حمدان الفالح ٣٨. ضرار بن متروك هايس الفالح ٣٩. طراد بن عقيل المطلق السويلم ٤٠. طلال بن عبد الله عدوان المنديل ٤١. طلال بن مشعل هايس الفالح ٤٢. عامر بن متروك هايس الفالح ٤٣. عايد بن منزل عوده العوذه ٤٤. عبد الحميد بن ممدوح عبد الحميد السلطان ٤٥. عبد الحميد بن مهنا محمد الفالح ٤٦. عبد الرحمن بن اسماعيل الدرعان ٤٧. عبد الرحمن بن عبد الله عبد الرحمن الفالح ٤٨. عبد الرحمن بن مبارك عبد الرحمن الفالح ٤٩. عبد الرحمن بن محمد مهنا الفالح ٥٠. عبد الرزاق بن زعل خليف الفالح ٥١. عبد الكريم بن خليفة حمدان الفالح ٥٢. عبد الله بن أحمد محسن الفالح ٥٣. عبد الله بن ابراهيم عضيد العويقيل ٥٤. عبد الله بن حمدان زعل الفالح ٥٥. عبد الله بن عبد الرحمن خليف الفالح ٥٦. عبد المحسن بن سليمان غثيان العوذه ٥٧. عطالله بن عبد الله عطالله العياف ٥٨. عقلا بن حمد عقلا النصيري ٥٩. علي بن محمد محسن الفالح ٦٠. علي بن هادي اليحيى ٦١. عواد بن فالح عواد المعدوة ٦٢. فادي بن فواز هايس الفالح ٦٣. فادية بنت فواز هايس الفالح ٦٤. فالح بن حمدان عضيد العويقيل ٦٥. فالح بن زعل خليف الفالح ٦٦. فايزة بنت فواز هايس الفالح ٦٧. فتحي بن حمدان زعل الفالح ٦٨. فدوى بنت فواز هايس الفالح ٦٩. فلاح بن زعل خليف الفالح ٧٠. فواز بن هايس خليف الفالح ٧١. فوزه بنت هايس خليف الفالح ٧٢. فوزه بنت حمدان عضيد الدغيفق ٧٣. فوزيه بنت فواز هايس الفالح ٧٤. ماجد بن صالح عبد الكريم الفالح ٧٥. ماجد بن عوده منزل العوذه ٧٦. مجدولين بنت صالح عبد الكريم الفالح ٧٧. مجدي بن صالح عبد الكريم الفالح ٧٨. محسن بن أحمد محسن الفالح ٧٩. محمد بن عواد منزل العوذه ٨٠. محمد بن مهنا محمد الفالح ٨١. مدالله بن حماد مدالله الرشيد الطالب ٨٢. مطلق بن عقيل السويلم ٨٣. ممدوح بن عبد الحميد السلطان ٨٤. منصور بن سالم غثيان العوذه ٨٥. منصور بن عواد منزل العوذه ٨٦. مهنا بن محمد مهنا الفالح ٨٧. ناصر بن عقيل السويلم ٨٨. نجاح بنت أحمد فاضل ٨٩. نمر بن علي العضيد العويقيل ٩٠. هيثم بن نزال منزل العوذه ٩١. وليد بن فواز هايس الفالح ٩٢. ونيس بن خليفه حمدان الفالح ٩٣. ياسر بن مفلح الضويح ٩٤. يحيى بن مدالله عضيد النصيري ٩٥. يوسف بن مرزوق الهادي الجوفي.

****

- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني ووزير الدفاع والمفتش العام للقوات المسلحة =

«الفالح» ـ، والتي أرسلت إلى ولي العهد، آنذاك، الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ثم نشرت فانتشر أمرها في الإعلام وفي المنتديات والمنظمات الحقوقية والمدنية، وكانت تطالب بالإفراج عن متروك الفالح، فإن الجوف وأهلها، لا أقول كلها أو معظمها وإنما على الأقل نسبة منهم، وفضلاً عن مشاركة من تقدم ذكرهم من أبنائها فردياً، كانت حاضرة وطنياً في هذا المسار الإصلاحي، وبالذات في فترة ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م، وإن سيمتد الحضور لاحقاً، ولا زال من خلال مواصلة و/ أو مشاركة بعض أبنائها في الحراك الإصلاحي الدستوري والثقافة السلمية المدنية. طبعاً قد يقول قائل، إنه طالما النسبة الأكبر من الموقعين للوثيقة/ العريضة هم من «الفالح»، وأن بعضهم من الأبناء/ البنات، فهي لا تعبر عن الجوف وأهلها، وأنا قدمت لذلك وقلت إنها لا تعبر عن كل الجوف وأهلها ولا عن غالبيتهم كذلك، ولكنها تعبر عن جزء ونسبة منهم. وعلى أية حال الوثيقة/ العريضة شملت ما لا يقل عن ٤٤ شخصية/ اسماً من خارج الفالح، ومنهم على الأقل واحد و/ أو أكثر من الشلهوب، واللقائط، والضويحي، والدرعان، والجحيش، والنصير، والطالب، والورادا، والسليمان، والكبيدان، وكذلك الدغيفق. فوق هذا، من صاغ الوثيقة/ العريضة هو «منصور سالم غثيان العوذة»، وهذا دور من أدواره تحسب له في المسار الإصلاحي الدستوري المدني. وفوق هذا وذاك، حتى لو اعتبرنا أنها تخص الفالح، فنقول على أية حال ـ ورغم أن هناك من الفالح أو من أقربائهم القريبين و/ أو البعيدين من رفض التوقيع عليها أو نأى بنفسه عنها، لعدم قناعة أو لعدم مبالاة و/ أو خوفاً، ولا مصادرة لحقهم في ذلك، وبغض النظر عن الأسباب والمبررات:

=

- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبد العزيز رئيس الاستخبارات السعودية.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير عبد الاله بن عبد العزيز
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية للشئون الأمنية.
- صورة مع التحية والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد وزير الدولة عضو مجلس الوزراء ورئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء.
- صورة مع التحية والتقدير لرئيس الجمعية الوطنية لحقوق الانسان.

مصدر الوثيقة/ العريضة: «أهالي الجوف يدعمون الدكتور متروك الفالح» موقع شفاف الشرق الأوسط على شبكة الإنترنت (١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، على الرابط التالي: <http://www.metransparent.com/old/texts/jawf_petition_hamed.htm>.

أولاً، إن «الفالح» جزء من الجوف وأهلها، وثانياً، وهذا الأهم أنها، بمن وقع عليها، من الفالح وغيرهم، هي في سياق مضمونها ومطالبها في سياق مسيرة الإصلاح، تعتبر أول وثيقة وعريضة علنية جماعية على مستوى ليس الجوف فحسب، بل حتى على مستوى السعودية ككل، علماً أننا هنا نسوق أمر الوثيقة/ العريضة، لا لذاتها وليس تسويقاً لها، وإنما كجزئية من شاهد فترة محددة ضمن شواهد مشهد أوسع لمسار الوعي الحديث في الجوف، وعلماً أننا، كذلك، وفي ما سبق، أوردنا حالات فردية بحتة كمشاهد على الوعي في الجوف وعن أهلها، فكيف بعريضة وقع عليها مجموعة أهلية تشمل على ٩٥ فرداً، منهم على الأقل ٤٤ فرداً/ شخصية من خارج «الفالح». طبعاً الاستثناء الأكبر، هو للشكوى الجماعية المطلبية (التنمية) لأهالي الجوف في عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م، والتي أشرنا لها بعجالة سابقاً، وسنفصل فيها لاحقاً، وهي لا شك وثيقة أهلية جماعية تعبر بدرجة كبيرة عن الغالبية العظمى للجوف وأهلها، من حيث شبه الإجماع عليها وبما شملته من أعداد كبيرة من التوقيعات من كافة المجموعات والأحياء في سكاكا ودومة الجندل. كلمة أخيرة عن الوثيقة/ العريضة الأهلية آنفة الذكر، أود أن أشير إلى أن هناك عدداً من الأشخاص من شارك في عرضها على الآخرين وإقناعهم بالتوقيع عليها، وقام بتجميع التواقيع عليها، ومنهم: منصور العوذة وفالح زعل الفالح[١٥]، وفواز هايس الفالح، وعقلا سليمان عقلا السليمان المثري. منصور العوذة، ليس فقط ساهم في عرض العريضة/ الوثيقة والإقناع بها وجمع مجموعة من التواقيع عليها، وإنما فوق ذلك كله فهو من صاغ العريضة/ الوثيقة. فالح زعل الفالح، والذي لم يكن يريد أن يظهر بالصورة، هو من بين المجموعة آنفة الذكر، أكثرهم مرافقة للابن «عامر»، في عرض الوثيقة/ العريضة وتوقيعها، وأما الأخير (عامر) فكان في ديناميكية حركة الوثيقة/ العريضة كلها منذ البداية وحتى النهاية.

د ـ **امرأة من الجوف ودورها في الإصلاح**: بقي أن نشير في موضوع الوثيقة ومسار الإصلاح (٢٠٠٣ ـ ٢٠١٣م) ودور أهل الجوف فيها، إلى ما تعلق منه بدور للمرأة، وهو يتصل بـ «أم/ عامر/ جميلة بنت سليمان السليمان» لا لذاتها وكونها زوجة، وإنما فوق ذلك وأهم، لكونها امرأة من أهل الجوف (سكاكا). في المستوى الثقافي والإنساني سبق أن أشرت إليه (الفالح، ٢٠٠٨: ١٧٤) ولا حاجة أن أكرره هنا، لكن في الشأن العام وبالذات في فترة الاعتقال الأول (١٦/ ٣/ ٢٠٠٤م ـ ٨/ ٨/ ٢٠٠٥م) والثاني (١٩/ ٥/ ٢٠٠٨ ـ ٩/ ١/ ٢٠٠٩م)، فأقول كلمة عنها وعن دورها، وأختصره رفعاً للحرج، فأقول، إنها في سبيل الدفاع عن زوجها ضمن ما عرف بالمعتقلين و/ أو «الإصلاحيين الثلاثة»، وفي سياق الشأن العام والحركة الإصلاحية قامت بجهود كبيرة وخاصة في فترة الاعتقالين، فقد عملت ما في وسعها لطباعة الدفوع والمقالات، وتواصلت مع وسائل إعلام وشخصيات من الداخل والخارج لتفعيل القضية، وأوصلتها لوسائل النشر (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥). في الاعتقال الثاني (٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩) قامت بدور أكبر وجهود مضاعفة، ومن ذلك مثلاً لا حصر: قامت باتصالات مع جهات رسمية، وأخرى حقوقية في الداخل (هيئة حقوق الإنسان الحكومية، ومع رئيسها، آنذاك أبو خالد/ تركي السديري) وأصدرت بيانات من إعدادها و/ أو بالاشتراك مع آخرين، عن أوضاع السجن وحال زوجها وما يتعرض له من

---

(١٥) فالح زعل الفالح توفي بعد مصارعة مع سرطان الكبد (٢٠١٠ ـ ٢٠١٢م) في ١٠/ ١٢/ ٢٠١٢م.

مضايقات، وقامت بالإدلاء بتصريحات وإجراء مقابلات، منها مع قناة الـ «سي إن إن (CNN) (عن بعض من تصريحات لها ومقابلات انظر الهامش الرقم (١٦)). هذا ونتيجة لنشاطها الحقوقي وتصريحاتها

(١٦) عن بعض نشاطات جميلة وتصريحاتها، مع تصريحات موازية من محمد سعيد الطيب وهيومن رايتس ووتش (HRW) وعلى خلفية تصريحاتها في بداية الاعتقال الثاني، كمثال، وانظر التالي:

«زميل المعتقل السعودي الفالح: لا بد من المضيّ قدماً في الإصلاح الحقيقي،» ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٨، الساعة ٤:٠٠.

«متابعة مصطفى العرب: «الفالح مضرب عن الطعام في السجن». دبي، الإمارات العربية المتحدة (CNN) ــ في أعقاب تصريحات جميلة العقلاء، زوجة الأكاديمي والناشط السعودي في مجال حقوق الإنسان متروك الفالح، قال الإصلاحي محمد سعيد طيب «إن المكان الطبيعي للدكتور الفالح هو (كرسي الأستاذية) في جامعته.. ليؤدي رسالته العلمية السامية»، مبدياً أسفه العميق وصدمته الشديدة لما وقع لزميله الفالح وقال محمد سعيد طيب، في بيان، تلقت CNN بالعربية نسخة منه، إن الأوان قد آن لإنهاء حالة التوتر الدائم والمتصل، وردود الفعل السلبية بوضع الجميع في كفة واحدة، والتوجس البالغ وغير المبرر من الرأي الآخر. ودعا إلى أن يسود الحد الأدنى من «الوفاق الاجتماعي والمصالحة الوطنية والتفاهم المشترك والثقة المتبادلة واحترام المخلصين والشرفاء من شرائح المثقفين والأساتذة ذوي الاختصاص وأصحاب الرأي» واعتبر أن هؤلاء يظلون أحسن وأفضل وأجدى من كل الأدعياء والمنافقين والمدلسين على أصحاب القرار وبعض فئات الشعب والمتلاعبين بمصالح الوطن ووحدته واستقراره. قال «إن المصالح العليا للوطن وحاضره ومستقبله ووحدته واستقراره وتقدمه هو رائده (الفالح) وهدفه في كل ما يصدر عنه.» وطالب محمد سعيد طيب بالمضيّ قدماً في الإصلاح الحقيقي والجاد بحيث يشمل جميع مناحي الحياة، معتبراً أن هذا الأمر ضروري «بل هو واجب وطني.. لا يحتمل التأجيل أو التسويف أو التبرير... وهو في الوقت ذاته مسؤولية مشتركة، ولا يصح أن تكون محلا للتنافر أو الاختلاف، فضلاً عن الصدام.» وحذر من أن البديل عن الإصلاح الشامل بديل مخيف وبالغ الخطورة. وكانت جميلة العقلاء، زوجة متروك الفالح، التي أوردت بعض التقارير إن.....اعتقلته الأسبوع الماضي، قد كشفت أن أحداً لم يتصل بها رسمياً بعد لشرح أسباب اعتقاله. وأضافت العقلاء، في اتصال أجراه معها موقع CNN بالعربية الثلاثاء، أنها ما تزال «متألمة» لمنظر زوجها حين زارته، حيث لم تؤمّن له الشرطة في السجن الذي وضع فيه احتياجات النظافة، وتردى وضعه الصحي بشكل ملفت، خاصة وأنه يعاني من مرض السكري والضغط. وأضافت زوجة الأكاديمي السعودي، الذي اعتقل ـ بحسب التقارير ـ بعد إثارته ملف أوضاع السجون السعودية، إنها تحاول تخفيف وقع الاعتقال على أولادها، وقد سعت في بدء الأمر لإخفاء الموضوع عنهم كلياً، لكن «لا يمكن إخفاء شيء مع وجود الانترنت،» على حد تعبيرها. وأضافت أن أحد أبنائها موجود في الولايات المتحدة للدراسة، وأنها تحدثت إليه مؤخراً طالبة منه «التركيز على دراسته»، والتذكّر بأن والده «رجل وطني يحب بلاده ولا يحقد على أحد». ولدى سؤالها عن موقف جمعية حقوق الإنسان السعودية التي حاول موقعنا الاتصال برئيسها، الدكتور بندر الحجّار، دون أن يوفق بذلك، اعتبرت العقلاء أن الجمعية مؤسسة حكومية غير قادرة على القيام بشيء على أرض الواقع، وأن الاتصالات التي تأتيها تكتفي بإبداء التعاطف فقط. واعتبرت العقلاء خلال الاتصال معها أن........هي المسؤولة عن زوجها، واستنكرت بالتالي رفضها التعليق على الموضوع. وكان موقع CNN بالعربية قد حاول الاتصال الثلاثاء بالناطق باسم وزارة الداخلية السعودية، اللواء منصور تركي، فرد أحد مساعديه موضحا أن اختصاصهم ينحصر في العمليات والبيانات الأمنية، وبالتالي فهذه المعلومات خارجة عن اختصاص المتحدث الرسمي باسم الوزارة. يذكر أن بعض التقارير، وفي مقدمتها بيان أصدرته منظمة حقوق الإنسان الدولية، (هيومن رايتس ووتش) كانت قد أشارت إلى واقعة اعتقال الفالح أثناء وجوده في جامعة الملك سعود في العاصمة الرياض «بعد يومين على انتقاده العلني لظروف اثنين من نشطاء منظمة حقوق الإنسان السعودية المعتقلين حالياً». ولم يصدر تعليق رسمي عن القضية من قبل السلطات السعودية حتى الآن. الرابط: <http://arabic.cnn.com/2008/middle_ea...ouk/index.html>.

وكذلك: «زوجة ناشط سعودي معتقل: زوجي يتعرّض لعنف نفسي».

الرياض، المملكة العربية السعودية (CNN) ــ، ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٨.

الفالح.. اعتقلته السلطات السعودية أثناء وجوده في الجامعة

اعتقلت السلطات الأمنية السعودية أستاذ العلوم السياسة والناشط في مجال حقوق الإنسان، متروك الفالح، الأسبوع الماضي، وفقاً لما أكّدته زوجته لشبكة CNN الجمعة. وأدانت منظمة «هيومان رايتس ووتش»، التي كشفت عن القضية، عملية الاعتقال وحثت السلطات على إطلاق سراحه فوراً، مشيرة إلى أنه اعتقل أثناء وجوده في جامعة الملك سعود في العاصمة الرياض «بعد يومين على انتقاده العلني لظروف اثنين من نشطاء منظمة حقوق الإنسان السعودية المعتقلين حالياً». وقالت جميلة العقلاء، زوجة متروك الفالح، التي زارت زوجها في السجن، السبت، إنّ زوجها يتعرض «لعنف نفسي». وأوضحت، في بيان تلقّت CNN بالعربية نسخة منه الأحد، أنّ زوجها أبلغها أنّ ... «يجبرونه آخر الليل ويوقظونه من النوم للتحقيق معه». وأضافت أنّ زوجها «أبلغها أنّه يطلب التحقيق عن طريق هيئة التحقيق والادعاء العام مع وجود محام، كما تنص عليها أنظمة الإجراءات الجزائية. لقد تعرض زوجي إلى أقسى أنواع العنف النفسي. وأوضحت أنّ ... «وضعوا الطعام أمامه وتمّ إحضار الكاميرا من قبل العسكري لأخذ صورته وهو مضرب عن الأكل. كما حذّرت في نفس البيان من تردّي الوضع الصحي لزوجها حيث إنه «يعاني من نقص في الوزن ولقد فقد إلى هذه اللحظة ١٠ كيلوغرامات، ومستوى السكر لديه ١٢٠ وهو صائم ومستوى الضغط ١٥٠على ١١٥، وهو مكبّل اليدين والرجلين بالحديد.» وناشدت كل المنظمات والهيئات الحقوقية «في الداخل =

ومقابلاتها، دفاعاً عن زوجها، فقد تعرضت لحملة تشوية واعتراض من قبل حتى بعض المقربين لها، وكمثال واحد فقط، أشير إلى أنها ذكرت لي أنها في أحد الأيام كانت تنوي زيارة لقريبة لها من «الدغيفق» في سكاكا، فاتصلت بها تشعرها بنيتها المرور والزيارة، فأخبرتها قريبتها أن زوجها، حذرها من التعامل معها (أي مع جميلة) مستنكراً بشدة ظهورها على شاشة التلفزيون ومتنفياً منها ومن قرابتها، وقال لزوجته ما معناه: إن هي دخلت «للبيت فستخرجين معها وإلى الأبد!»

في ما تقدم قدمنا ما نعتقد أنها شواهد على واقع ومشهد الوعي في الجوف ولأهلها خاصة في الفترة منذ عقد الـ «١٩٣٠s م» وحتى تقريباً ٢٠١٣م. ومع ذلك وقبل أن نذهب إلى تفصيل حالتين مما

= وفي الخارج لتبني هذه القضية للإفراج عنه أو إحالته إلى محكمة علنية عادلة لأنه سجين رأي وضمير». والسبت، قالت جميلة العقلاء إنّ زوجها في «وضع فظيع» دفعه إلى البدء بإضراب جوع من أجل حمل السلطات على إبلاغه بسبب اعتقاله. وأضافت قائلة «لقد أخذني حرّاس السجن إلى غرفة قبل أن يجلبوا زوجي لرؤيتي». وأضافت في تصريحات لـCNN أنّ متروك الفالح «مريض ولم يأكل منذ اعتقاله». وقالت «لقد فقد ١٠ كيلوغرامات منذ آخر مرة رأيته فيها. كما أنّه غاضب جداً أيضاً. وضغط دمه مرتفع جداً الآن كما أنّه يعاني من السكّري. إنّ وضعه فظيع». وأضافت أنّ والدتها رافقتها في الزيارة حيث ذهبتا أولاً إلى سجن العليشة وأنّ مسؤولي السجن كانوا متعاونين، غير أنهم أبلغوها أنّه تمّ نقل زوجها إلى سجن.....خارج الرياض. وقالت «لم أكن أعرف أين يوجد هذا السجن ولذلك فقد أرشدتني سيارة تابعة لهم إلى هناك وتبعناها إلى أن وصلنا إليه». وأضافت أنّ متروك الفالح أبلغ المحققين أنّه لن يأكل إلى أن يتمّ إبلاغه بسبب اعتقاله. وقالت إنّ زوجها أخبرها «بأنّهم استمروا في تقديم الطعام إليه ولكنه استمرّ أيضاً في الرفض وأنّهم هددوه بعد ذلك بأنهم سيجبرونه على الأكل إذا لم يتعاون معهم». وأضافت أنّ زوجها أبلغها بأنّه كان في الجامعة، التي يدرّس فيها، في حدود الرابعة عصراً، الاثنين، عندما بدأ ١٥ عضواً في الشرطة السعودية في طرق باب مكتبه. كما أنّهم اتصلوا بهاتفه النقّال، للتأكّد من وجوده هناك، وفق ما نقلت العقلاء عن زوجها. وبمجرد دخولهم، قام رجال الشرطة بحجز جهاز الكومبيوتر التابع له وهاتفه النقال، وفق العقلاء. والجمعة، قالت العقلاء إنّ زوجها توجه إلى مقر عمله بالجامعة الاثنين الماضي، غير أنه لم يعد إلى منزله منذ ذلك الحين.وكشفت أن الشرطة أبلغتها في وقت لاحق من اليوم نفسه بأمر اعتقال زوجها، وأنه محتجز في أحد مراكز الاعتقال. وأوضحت أن الشرطة طالبتها بالاتصال بهم في وقت لاحق، وأنها حاولت الاتصال بهم في اليوم التالي، غير أن أحداً لم يتمكن من تزويدها بأي تفاصيل عن مكان احتجازه، كما أن الشرطة رفضت الكشف عن سبب اعتقاله، إضافة إلى أنها لم تسمع منه أي شيء منذ ذلك الحين. وقالت جميلة «إنني أحاول الاتصال بأجهزة الأمن....غير أنهم يواصلون إنكار أنهم يعتقلونه في المركز التابع لهم.. وحاولت الاتصال بهاتفه الخلوي غير أن أحداً لا يرد، كما أنه لم يتصل ولا مرة من هاتفه». وأضافت جميلة أنها وزوجها، البالغ من العمر ٥٤ عاماً، وطنيان». وتابعت: «إن زوجي صريح وشفاف ولا يخفي أي شيء.. وهو يقول ما يراه.. وهو مخلص لبلاده وما فيه مصلحة لها». من جهته، قال نائب مدير منظمة هيومان رايتس ووتش، فرع الشرق الأوسط، جو ستورك، إن اعتقال الفالح يكشف «أن الدفاع عن حقوق الإنسان في تلك الدولة يظل عملاً محفوفاً بالمخاطر». وأضاف: «المملكة العربية السعودية لا تجني عبر.... إلا المزيد من السمعة... في انتهاك حقوق الإنسان»، على حد تعبيره. هذا ولم تفلح محاولات الاتصال.... للحصول على أي معلومات في هذا الشأن. وكانت «هيومان رايتس ووتش» قد قالت إن الفالح أرسل رسالة بواسطة البريد الإلكتروني إلى نشطاء في مجال حقوق الإنسان والصحفيين السبت الماضي حول «إجراءات الزيارة» و«ظروف الاعتقال» في سجن بريدة العام، حيث يقضي زميلاه الناشطين حكماً بالسجن. ووصف إجراءات الزيارة بأنها صعبة ومجهدة وقارنها بـ «حظيرة دجاج». وقالت هيومان رايتس ووتش: «إن زميلي الفالح، الأخوين عبد الله وعيسى الحامد، يمضيان عقوبة السجن في سجن بريدة العام لتعبيرهما عن دعمهما لمظاهرة نظمها أقارب وزوجات المعتقلين منذ وقت طويل دون توجيه اتهامات لهم، أمام سجن بريدة». وقال الفالح في رسالته إن ناشطَي حقوق الإنسان انتقدا ظروف السجن ووصفاه بأنه مكتظ، وقذر ويخلو من أشكال الرعاية الصحية، بحسب ما ذكرت هيومان رايتس ووتش، التي أكدت بصورة مستقلة على تلك الظروف. وقال ستوك: «من المشين أن تقوم.... باعتقال دكتور الفالح بهذا الشكل التعسفي بدلاً من أن تتصدى لمعالجة الظروف غير الإنسانية التي قام بتوثيقها». وكانت السلطات السعودية قد اعتقلت الفالح وعبد الله الحامد وعلي الدميني، الذين كانوا يديرون منتدى للنقاش على الإنترنت، في العام ٢٠٠٤ لتداولهم التماساً للعاهل السعودي الحالي، الأمير عبد الله بن عبد العزيز، الذي كان ولياً للعهد آنذاك، لسن قانون يضمن حقوق الإنسان الأساسية، وحكم على الناشطين الثلاثة بالسجن لمدد ٦ و٧ و٩ سنوات على الترتيب. غير أن العاهل السعودي عفا عنهم في أغسطس/ آب عام ٢٠٠٥، وفقاً لما ذكرته منظمة حقوق الإنسان «هيومان رايتس ووتش». وكان بيان الفالح الأخير قد نشر على منبر الحوار الإلكتروني، وهو موقع يمتلكه الدميني. وأوضحت العقلاء أن الشرطة سمحت لزوجها في العام ٢٠٠٤ بالاتصال بها لإبلاغها عن عملية اعتقاله، وهو ما لم يحدث هذه المرة. الرابط: <http://arabic.cnn.com/2008/middle_ea...ist/index.html>. منقول عن CNN العربية.

ذكرنا سابقاً، هناك كلمة أخيرة عن المشهد في العقود الأخيرة، وخاصة منذ نهاية عقد الـ «١٩٨٠sم» مروراً بالـ «١٩٩٠sم» فصاعداً وحتى نهاية عام (٢٠١٣م)، وما بعده. طبعاً من المهم أن نلفت الانتباه أننا في الجزئية الأخيرة من الحديث، كما في بعض الجزئيات التي مررنا عليها، فإننا وفي زحمة مشهد الوعي الكلي للجوف، دخلنا مرحلة منه إلى الأمام، وفي هذه المرحلة تبدو مكونات وبنية أيديولوجية الوعي آخذة في التحول؛ في الفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٩٥م، فصاعداً، يُلاحظ أن هناك تحولات في بنية الوعي (من الأيديولوجيا القومية إلى إلى الأيديولوجيا الدينية/ الإسلامية).

مع نهاية حقبة عقد السبعينيات من القرن الماضي بدا أن هناك تحولات وأحداثاً وقعت وأخذت في التشكُّل في المنطقة وفي السعودية، ومنها: صعود حقبة النفط وقواها وحركة جهيمان في السعودية، الثورة الإيرانية، الغزو السوفياتي لأفغانستان والحرب العراقية ـ الإيرانية، فالجهاد الأفغاني، والغزو العراقي للكويت فحرب تحرير الكويت، مثلت أحداثاً جساماً في ذاتها وفي ما تلاها وأعقبها، والأهم كذلك في سياقها ما حدث من تحولات في مكونات الأيديولوجيا (انحسار في المد القومي وتلاشيه مع تصاعد وبروز في المد الديني/ الإسلامي). هذه الأحداث والتطورات ألقت بظلالها على الجوف وأهلها من حيث تحولات في مكوِّنات وبنية الوعي.

ورغم أن حركة جهيمان ١٩٧٩، خلت من مشاركات لأي من أبناء الجوف، وهذا يحسب للجوف وأهلها بعدم انخراطهم في الحركة ومشروعها المستند إلى نهج وثقافة العنف، إلا أنه يلاحظ على أهل الجوف، أنه ـ وابتداءً من أواخر الـ «١٩٧٠sم» فصاعداً، ومروراً بالـ «١٩٨٠sم» كاملاً، وحتى ١٩٩٥/ ١٩٩٦م، وما بعدها حيث تنامي أولاً تيار الصحوة وتالياً التيار الجهادي في السعودية ـ ورغم تواصل مظاهر الوعي لديهم، فإن مكوناته وبنيته أخذت بالتحول لصالح مضامين وقضايا ذات مرتكزات وأيديولوجية دينية/ إسلامية، وباتجاه ثقافة تبتعد عن التسامح والانفتاح ولمصلحة تكوّن حالة ثقافية متطرفة أخذة بالتسارع في تشكلها بالتوازي مع تمددها في المنطقة عموماً وفي السعودية على نحو خاص. هذه التحولات في بنية الوعي وثقافتها تحيلنا من جديد إلى التحولات من حالة وثقافة الانفتاح إلى حالة وثقافة التشدد والتطرف والعنف.

على أية حال ما يهمنا هنا، وبما يتماشى مع السياق العام للتحولات، هو الإشارة سريعاً إلى بعض من مظاهر «الوعي» المصاحبة للسياقات المتكونة و/ أو التي تتشكل، في الجوف ولبعض من أهلها، على الأقل، ومنها: ١ ـ في الجهاد الأفغاني، يبدو كانت مشاركات محدودة، ولكنها متزايدة مع الوقت؛ ٢ ـ بشكل عام كان هناك في الجوف مشاعر عدائية للقوات الأجنبية (الغربية/ الأمريكية) في الخليج وبالذات في غزوها للعراق؛ ٣ ـ دعم لتيار الصحوة، وبعض زعاماتها، في الثمانينيات والتسعينيات، وفي هذا السياق، عندما وقعت أحداث ومظاهرات في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، في بريدة/ القصيم مؤيدة للشيخ سلمان العودة، فهمت أن أكثر من ١٥ شخصاً من شباب الجوف قدِموا لمساندة المظاهرات ودعماً للعودة؛ ٣ ـ ذكر لي أبو بلال/ د.عبد الله الحامد، في أكثر من مناسبة، بما في ذلك أثناء نقاشات مطوّلة في سجن مباحث/ عليشة بالرياض، أنه وبعد خروجه من الاعتقال الأول، على

خلفية تشكيل اللجنة الشرعية لحقوق الإنسان[١٧]، زارته مجموعة من أبناء الجوف، وقدمت دعمها له، واستعدادها لعمل أي شيء يطلبه منها(!) ستزداد هذه الاتجاهات كثافة مع ٢٠٠٣م (الغزو الأمريكي للعراق)، وسيكون هناك انخراط مكثف لبعض من شباب وأبناء الجوف في العراق (في القتال هناك والعمليات الاستشهادية) تباعاً وحتى الآن، وكذلك في ملابسات/ تداعيات تطورات الثورة السورية منذ نهاية ٢٠١١م فصاعداً وحتى الآن (شباط/ فبراير٢٠١٤م)، فضلاً عن مجموعة من أعمال وعمليات قتل وعنف و/ أو إرهاب في داخل الجوف، وخاصة في عام ٢٠٠٣م (اغتيال الشيخ السحيباني، والدكتور حمد الوردي، والمقدم حمود الربيّع، فضلاً عن عناصر أخرى)، وأحداث حرق لممتلكات عامة (النادي الأدبي بالجوف ٢٠٠٩م ـ ٢٠١١م). إننا أمام تحولات من حالة ثقافية إلى أخرى من حالة وعي عام منفتح ومصحوب بحالة من انفتاح، إلى حالة من إغلاق وتشدد وتطرف وثقافة عنف أخذت تحيط وتغلف حالة الوعي بالجوف. على أية حال ثقافة وحالة التطرف والتشدد والانغلاق سنأتي عليها بالتفصيل (بسطاً)، كما أسلفنا أكثر من مرة، بعد الانتهاء من مناقشة حالة ثقافة الانفتاح (بسطاً) ثم نقدم تفسيراً مشتركاً لهما ثالثاً، وكل ذلك سيأتي في الفصل القادم. الآن لنذهب إلى تفصيل حالتين مما مررنا عليها ضمن شواهد مشهد ثقافة الوعي.

ثانياً: حالات وتفصيلات عنها في مشهد الوعي بالجوف

قبل الانتهاء من بسط مشهد الوعي بالجوف (١٩٣٠sم ـ ٢٠١٣م)، وقبل الولوج في تفسير حالة ومشهد الوعي ذاته، علينا، أولاً، أن نُفصل في حالتين (الحالة الرقم ٥ والحالة الرقم ٧ في القائمة السابقة) سبق أن مررنا عليهما سريعاً، وآنذاك، وُعدنا بمزيد من التفصيل فيهما لاحقاً، وهما على النحو التالي:

١ ـ شكوى صالح المويشير ضد السديري والشيخ ابن مبارك وشكوى المعاقلة المضادة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

قام صالح المويشير، وبتواقيع قيل إنها معه لعدد من أهالي الجوف (و بالذات سكاكا ومن المعاقلة)، بتقديم شكوى للملك سعود، عند أو بُعيد زيارة الملك للجوف بعد توليه الحكم، مطالباً على ما يبدو، بتغيير الأمير عبد الرحمن السديري والشيخ فيصل بن مبارك (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٢ ـ ١٣ من ٢١ تفريغ، و«وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، ٩ ـ ١٢ ليلاً). يذكر سعد الطارف، في مقابلة أجراها الباحث معه في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩م مضمون شكوى صالح المويشير ضد أمير الجوف (عبد الرحمن السديري) وقاضيها الشيخ فيصل المبارك، والتي قدمها للملك سعود أثناء زيارته للجوف ضمن جولاته على مناطق ومدن المملكة إثر توليه الحكم. وهنا نورد ما ذكره سعد الطارف، علماً أن الأقواس المزدوجة وما فيها من محتوى هي من الباحث لتوضح القصد من الكلمة و/ أو العبارة، وليست في أصل نص كلام سعد الطارف، فيقول سعد الطارف: «... يوم جاء سعود هاك الجية، وزار

(١٧) أعلنت اللجنة الشرعية لحقوق الإنسان في ٣ أيار/ مايو عام ١٩٩٣.

المملكة، عند زيارته لسكاكا، قام صالح المويشير يجيب ويختم، من جاء بختمه قصعه، أثريه يريد يطلع السديري والشيخ فيصل المبارك، بعقله أنه يريد يطيعهم، ((ف)) قام معظم كبار المعاقلة ضد صالح المويشير، ووقعوا مع السديري والشيخ فيصل، ومنهم؛ راشد القايد، وحمد الحيزان، وهداج الهادي، وعطا الشايع، ونزال البيالي، وعايض الزيد، هذولا صاروا مع السديري... ((وبس)) زعل العرسان وعطا الهيشان ختموا مع صالح، وقوطروا معه ((سافروا معه)) للملك سعود... ولا صح لهم ولا ربع ريال... وهذولا الفلّاح (أحمد) ماهو ردي، بعد، كان مع السديري، أخذ خمسماية ريال...» (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٣ من ٢١). يبدو أن صالح المويشير جمع بعض التواقيع من بعض الأشخاص في المعاقلة، ولكن يبدو أن هناك أسماء أُدخلت بدون علمها وبدون التشاور معها، أو أنها وقعت على شيء دون معرفة أو إدراك لغاياته، ولذلك كان احتجاج من معظم أعيان وأفراد المعاقلة عندما بدأت تتكشف الأمور من وراء جمع التواقيع والأختام، فاستغل، على ما يبدو، أمير الجوف عبد الرحمن السديري هذه الثغرات، فعمل على ما يبدو على تشجيع وتحريض أغلب، إن لم يكن كل أعيان (العمد/ شيوخ) المعاقلة بتوقيع شكوى جماعية منهم وأغلب من يتبعهم من الأفراد، ضد صالح المويشير ورفعها للملك سعود وتقديمها له، متضمنة رفضهم لما قالوا إنها شكوى من صالح المويشير قدمت باستخدام أسمائهم و/ أو أختامهم دون علمهم و/ أو موافقتهم أو أخذ رأيهم (الطارف، سعد، مقابلة (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ١٢ ـ ١٣ من ٢١ تفريغ).

نود أن نلفت النظر إلى نقطة مهمة وهي أن الباحث لم يطلع على نص شكوى صالح المويشير بذاتها، ولا على من وقّع عليها، ولكن معلوماتنا عنها هي من خلال رواية سعد الطارف، آنفة الذكر، عن الواقعة، وكذلك من خلال الشكوى الجماعية المضادة من أهالي المعاقلة، بما فيهم مجموعة من نخبها وكبارها آنذاك. الآن ولأهمية الحالة، نورد نص شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، والأسماء التي وقعت عليها من المعاقلة طبقاً لنسخ منها متوافرة لدينا («وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٢ ليلاً)، علماً أن بعض الأسماء التي ذكرها سعد الطارف آنفاً لم تظهر ضمن القوائم الموقعة، ويبدو أنها وقعت على نسخ منفصلة تمثل ربما نسخة خاصة بالعمد/ الشيوخ في المعاقلة.

ونورد تالياً نص شكوى أعيان وأهالي المعاقلة ضد صالح المويشير، والقائمة بأسماء الموقعين عليها (انظر صورة من نسخة منها في الملاحق في نهاية الكتاب). شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، تمت على ما يبدو في الأصل بقائمة واحدة ولكن لدواعي الاحتفاظ بنسخ منها يبدو أنه تم عمل القائمة من نسختين مكررتين منفصلتين (نسختين) من الأسماء وأختامها و/ أو توقيعاتها، مع تغيّر طفيف في مواقع بعض الأسماء وتواقيعها (أختامها) في النسختين بالمقارنة، علماً أن الأقواس المزدوجة وما فيها من محتوى هي من الباحث لتوضيح القصد من الكلمة و/ أو العبارة أو ترابطها، وليست في أصل النص للشكوى. اطلع الباحث على أصل نص الشكوى والتواقيع والأسماء عليها في نسختين مكررتين للقائمة، واستلم الباحث نسختين عنهما من خالد عبد الرحمن الشايع في: ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، في منزله ليلاً (٩ ـ ١٢ مساءً).

أ ـ نص شكوى المعاقلة للملك سعود ضد صالح المويشير في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م

«حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك سعود الأول المعظم ـ ـ ـ بعد التحية والإجلال: مولانا يسرنا أن نعرض لجلالتكم ما يلي ((:)) أولاً ((ـ)) لقد بلغنا يا صاحب الجلالة في الآونة الأخيرة أن صالح بن مويشير كتب أسماءنا بموجب كشوفات وقدمها للسديري أمير الجوف بدون اطلاعنا أو اطلاع أحد منا أو أخذ رأينا ((،)) ونحن يا أبانا ويا أبا العروبة لا نعلم ما هو القصد من هذا الكتب ((الكتابة)) وهذا التدخل الذي نظم تحت ستار الأهو((اء)) والبغي والاستهتار بالإنسانية وحقوقها وما إلى ذلك ((.)). ثانياً ((ـ)) أن رؤساء قبائلنا الخاصين لا يتصرفون بشيء يضرنا ويأسينا ((،)) بل يأخذون رأينا بما يطرأ لهم ((،)) فكيف صالح المذكور يتصرف ويدخل بما لا يعنيه وبما لا يحق له ((،)) أي في شؤون غيره وغير جماعته ((.)) ولهذا نوضح لجلالتكم أن المعاقله تسعة قبائل وبن مويشير رئيساً لقبيلة الراشد فقط ((،)) أما هذه القبائل لكل رئيس مسؤلاً عنها وعن حقوقها وما يترتب عليها من واجب ((.)). ثالثاً ((ـ)) اننا يا نصير المستضعفين نتقدم لجلالتكم باسم الرجاء والعطف والحنان راجين عدم الأخذ بقول المذكور ((،)) أي بن مويشير ((،)) واذا كان للحكومة طلب أو لها حق ان يكون عن طريق رؤسانا لا عن طريق أهل الظلم واعوان الظلم وأهل الأهواء وملاحظة التزيف ((التزييف)) ومزيفيه بالحاضر والمستقبل ((.)) كما نوكد لجلالتكم اننا نحن وأولادنا تحت نظر جلالتكم مهما كان الأمر نوعه ((،)) ولكن كتابتنا هذه نريد التخلص من أهل الغي ونريد أن يكون الحق متمسكاً بمجراه الواضح الجلي دون اى عرقله مولانا المعظم ﴾» («وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٢ ليلاً) (انظر صورة من نسخة منها في الملاحق آخر الكتاب).

ب ـ الأسماء الموقعة على الشكوى كما وردت في نسختي القائمة

«١ ـ سليمان بن مسلم ٢ ـ عبد الرحمن بن سلطان الفلاح ٣ ـ عبد العزيز العاصي ٤ ـ مرزوق الوردي ٥ ـ عبد الرحمن الشايع ٦ ـ محمد بن فالح ٧ ـ حمدان بن شريدة النصير ٨ ـ مقبول ليلي ٩ ـ مقبل ليلي ١٠ ـ حمد الحسن المفرح ١٠ ـ عبد الرحمن الوردي ١١ ـ يوسف العياف ١٢ ـ صالح بن ضافي١٣ ـ ضافي بن منور١٤ ـ عقيل الشرعان ١٥ ـ صبر الوردي ١٦ ـ علي بن عايف ١٧ ـ فهيد الحيزان ١٨ ـ عبد الهادي المريزيق ١٩ ـ عايد القرينيس ٢٠ ـ نزال العاصي ٢١ ـ على الرجاء ٢٢ ـ يوسف بن مضحي ٢٣ ـ عبد الله العايش ٢٤ ـ علي عبد الله العايش ٢٥ ـ علي الكريّع ٢٦ ـ يوسف الكريّع ٢٧ ـ موسى الكريّع ٢٨ ـ صالح الفالح ٢٩ ـ هايس الفالح ٣٠ ـ حمدان الفالح ٣١ ـ سعود العيادة ٣٢ ـ جار الله الكريّع ٣٣ ـ عبد المصلح الهديان النصيري ٣٤ ـ أحمد خلف النصير(؟) ٣٥ ـ ناصر بن عيشان(؟) ٣٦ ـ عبد المصلح ناصر الكريّع ٣٧ ـ صالح بن حيزان ٣٨ ـ تركي مشعل السهو ٣٩ ـ مشعل السهو ٤٠ ـ مخلف العيادة ٤١ ـ صالح المخلف ٤٢ ـ مشعل مخلف العيادة ٤٣ ـ حمود العيادة ٤٤ ـ نزال الخليفه ٤٥ ـ محمد البيالي ٤٦ ـ مرزوق البيالي ٤٧ ـ منزل البيالي ٤٨ ـ محمود المفرح الفالح ٤٩ ـ حمدان المفرح الفالح ٥٠ ـ جزاع بن خلف العيادة ٥١ ـ زعل بن فالح ٥٢ ـ حمد بن

محسن الفالح ٥٣ ـ محمد بن محسن الفالح ٥٤ ـ خليفة المغيضب ٥٥ ـ مخلف السعد ٥٦ ـ طعمه البيالي ٥٧ ـ عواد ابن نور الفلاح ٥٨ ـ خطار الزاعل ٥٩ ـ عقلا بن حمد ٦٠ ـ عجب بن حمد ٦١ ـ فارس بن حمد ٦٢ ـ عوض الدحيل ٦٣ ـ دخيَل العلي ٦٤ ـ أحمد محسن الفالح ٦٥ ـ عتيق السليمان ٦٦ ـ عبد الواحد بن زاعل ٦٧ ـ خلف السليمان ٦٨ ـ خلف الحيزان ٦٩ ـ هلال الحيزان ٧٠ ـ منصور بن عيشان(؟) ٧١ ـ مرزوق منصور الكريّع ٧٢ ـ مشحن الحمدان ٧٣ ـ حمدان(؟) بن عقلاء ٧٤ ـ عبد المصلح بن عبد الرحمن ٧٥ ـ محمد السلطان ٧٦ ـ عبد الحميد السلطان»... نهاية القائمة.. («وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٢ ليلاً) (انظر الأسماء والتواقيع/ الأختام في: صورة من نسخة منها في الملاحق آخر الكتاب).

ج ـ ملاحظات على الشكوى والأسماء الموقعة/ أو الغائبة

١ ـ يلاحظ أن الأسماء والتواقيع/ الأختام كلها مكررة (في النسختين) باستثناء اسمين وهما: مشحن الحمدان، وحمدان(؟) بن عقلاء حيث لم يردا في النسخة الأخرى.

٢ ـ الاسم: حمدان بن عقلاء، من خلال الخط المكتوب، غير واضح، والباحث ليس متأكداً من أن الاسم صحيح، ربما هو محمد بن عقلاء أو حسن بن عقلاء، ومع ذلك هذا مجرد احتمال.

٣ ـ الوحيد الموقع يدوياً، أي بدون ختم أو بصمة إبهام، هو محمد محسن الفالح، أما الباقون فهم وقعوا إما بالختم أو بالبصمة (بصمة الإبهام) قرين أسمائهم (فوق أو أسفل الختم/ البصمة)، علماً أن الأسماء كتبت بخط متباين الجودة، مما يدل على أن من كتب الأسماء أشخاص متعددون.

٤ ـ الأهم من ذلك هو ملاحظة، أنه ورغم أن سعد الطارف يقول إن مجموعة من كبار (عمداء) المعاقلة، ومنهم راشد القايد، اصطفوا مع السديري في هذه الشكوى ضد صالح المويشير، فإن قائمة الأسماء الموقعة على الشكوى لا تتضمن أي اسم من أسماء كبار المعاقلة (العمد)، بما في ذلك راشد القايد نفسه، بل حتى، ولا اسم من جماعة «الراشد»/ راشدالقايد. طبعاً يبدو كون صالح المويشير ينتمي إلى نفس جماعة الراشد، فليس من الغريب غياب أي اسم منهم. ومع ذلك إن كان كلام سعد الطارف، آنف الذكر، سليماً فإن اصطفاف راشد القايد مع السديري ضد صالح المويشير فربما تم بالتنسيق مع العمد (رؤساء جماعات المعاقلة) الآخرين الذين ذكرهم سعد الطارف باصطفافهم مع السديري، في سياق «خطاب» غير معلن ومنفصل عن الشكوى الجماعية لأهالي المعاقلة ضد صالح المويشير، وهذا يتسق مع أقوال سعد الطارف عن اصطفاف كبار المعاقلة مع السديري، علماً أن لا أحد منهم ورد اسمه ضمن الموقعين على الشكوى الجماعية آنفة الذكر.

٥ ـ من الواضح أن للسديري يداً في تحريك الشكوى الجماعية للمعاقلة ضد صالح المويشير، ولكن أيضاً كان من الواضح أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه صالح المويشير هو على ما يبدو عدم التشاور والتنسيق مع كبار (عمد/ شيوخ) ورؤساء جماعات المعاقلة المتعددة. ربما حصل صالح على توقيعات من بعض أفراد المعاقلة، وربما اعتقد أنهم يمثلون المعاقلة، لكن المهم أن صالح ربما نسي أو لم يدرك

أن المعاقلة فيها جماعات متعددة وتحت زعاماتها، ولا يوجد أحد يمكن أن يدعي أنه يمثلهم جماعياً، ولذلك إن كان كلام سعد الطارف سليماً عن اصطفاف كبار المعاقلة مع السديري، فليس غريباً أن يصطف راشد القايد، فضلاً عن الآخرين، برفضهم تصرفات فردية من صالح المويشير، وهذه تعكس حالة قدر من التنافس بين زعامات جماعات المعاقلة، بل ومن داخل الجماعة الفرعية الواحدة، وهو أمر ليس بجديد، وسبق أن كان هذا موقف كل من راشد القايد ورجا المويشير في مضى من وقائع تاريخية بما فيها واقعة الاصطفاف المتضاد بينهما حول ومن الموقف من الشعلان في ١٩٢٢م، وما تسبب فيه تنافسهما من نشوب حرب أهلية بينية (داخل جماعة المعاقلة) وما عرف بحرب المعاقلة أو حرب الراشد ـ المويشير (نيسان/ أبريل ـ حزيران/ يونيو ١٩٢٢م).

٦ ـ لنتذكر فكرة المساواة/ الندية فالتنافس فالصراع: التحرك الفردي في مجتمع زراعي يغلب عليه التساوي بين أفراده وجماعاته، وبدون التوافق عليه، وبسبب من التنافس والصراع البيني، فضلاً عن استغلاله من قوى مضادة فاعلة ذات نفوذ (قوة/ سلطة داخلية أو خارجية)، غالباً ما يكون عمره قصيراً وغير مثمر ومفضي للفشل. ولأن العمل كان على ما يبدو فردياً، وبدون تنسيق مع الأهالي ونخبها الرئيسة فلم تفلح تلك المحاولة، بل ارتدت بقيام مناهضة قوية لها من غالبية من المعاقلة ونخبها الرئيسة آنذاك، وعلى ما يبدو، فقد استغل الأمير السديري موضوع عدم موافقة البعض لتوقيعه، فدفع بمناهضة صالح وشكواه، بشكوى مغايرة رفعت للملك مؤكدة أن ما قام به صالح تم دون علمهم و/ أو أن تواقيعهم وضعت دون دراية منهم للغاية والهدف.

٢ ـ وثيقة مطالب أهل الجوف التنموية (الجماعية) ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م

قام أهالي الجوف وبشكل جماعي، وربما، غير مسبوق في مناطق أخرى في داخل الجزيرة وخارجها، بتقديم عريضة/ شكوى جماعية موجهة للحكومة/ الملك سعود آنذاك، ومذيلة بالأسماء والتواقيع و/ أو الأختام، وشاملة لأسماء وشخصيات مهمة من معظم الأحياء (سكاكا ودومة الجندل)، وتتضمن مطالب تنموية لأهالي الجوف للتوازن والتوازي مع بقية المناطق. وفي تطورات القضية تفصيلات مهمة وخاصة تمظهرات جلية واضحة لمكافحة الفساد المالي والإداري للموظفين والمسؤولين الحكوميين في المنطقة، وصولاً بتحولات القضية إلى ما عرف بقضية المطاوعة وما رافقها من مضايقات وقمع تمثلت في النقل وإيقاف الرواتب والتحقيق وحتى نهايتها بالسجن (١٣٨٨/ ١٣٨٩هـ) (وثيقة مطالب أهل الجوف، ١٣٧٧هـ، في: الشايع الكريّع، خالد، في: مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢: ٩ ـ ١٢ ليلاً).

أ ـ في تفصيلات وثيقة/ شكوى أهالي الجوف الجماعية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م: في نص الشكوى وقوائم الأسماء (الموقعة)

في الشكوى الجماعية لأهالي الجوف، هناك ثماني نسخ و/ أو قوائم من الأسماء والتواقيع أو الأختام مع نص للشكوى وتوكيل بها (نص التوكيل يتضمن محتوى الشكوى) بينها اختلافات طفيفية في ما يتعلق بنص التوكيل. ولذلك سنوردها هنا مترتبة بالتوالي والتتابع من القائمة ١ من ٨ إلى القائمة ٨

من ٨، مع نص التوكيل لكل منها، وفي حالة المطابقة مع نص نسخة أو قائمة أخرى سنشير لها، ونتلوها بقائمة الأسماء والتي وقعت (في الغالب التواقيع كما في النسخ هي أختام قرينة الأسماء، يميناً أو شمالاً، أو فوقها أو تحتها (انظر نسخاً مصورة من القوائم الثمانية في الملاحق في نهاية الدراسة/ الكتاب) على كل قائمة منها. نلفت النظر مسبقاً إلى: أولاً، أن بعض القوائم، وإن يغلب عليها أسماء لجماعة من أهالي الجوف، فإنها قد تتضمن اسماً أو أسماء لأشخاص من المجموعات الأخرى، وثانياً، إلى أن عدداً من الأسماء في بعض القوائم تكررت في أكثر من قائمة. ونشير ثالثاً إلى أن مصدر «نص الشكوى وقوائم الأسماء»، مستقاة من أصول نسخ الشكوى المعروفة بشكوى أو عريضة «المطاوعة لعام ١٣٧٧هـ»، اطلع عليها الباحث مباشرة واستلم نسخ منها من خالد عبد الرحمن الشايع الكريّع، في مساء يوم الاحد: ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، في منزل الأخير الوقت: ٩ ـ ١٢ ليلاً. سوف نشير إليها مختصرة في التوثيق بالمتن وفي المراجع بـ: («وثيقة مطالب أهل الجوف، ١٣٧٧هـ»، في: الشايع الكريّع، خالد، في: مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً).

(١) القائمة ١ من ٨: بأسماء موكلين (مجموعة) من أهالي الجوف، علماً أن أغلبهم من جماعة القرشة ـ سكاكا[١٨]:

نص التوكيل للقائمة ١ من ٨ (كما ورد): «نقول نحن الموقعين أسمائنا أدناه من أهالي الجوف قد وكلنا كل من شفق المرزوق وعبد الرحمن ابن عطاء الشايع وأحمد القايد وعواد الراشد وفياض المسعر بلمطالبة في مصالحنا العامة كمثل منحة الصلاب المنكرة وغيرها قد وكلناهم وكالة شرعية لهذا جري التوقيع ـــ من أهالي سكاكا الجوف ـ ٢/ ١/ ١٣٧٧»

أسماء القائمة ١ من ٨

١ ـ عبد المصلح النادي
٢ ـ راجع السلمان
٣ ـ عبد الرزاق المسعر
٤ ـ حشاش الحسن
٥ ـ سميحان الزياد
٦ ـ ناصر القاضب
٧ ـ ضيف الله المرعي
٨ ـ معيقل العيدي (أو المعيدي؟)
٩ ـ فيصل السهيان
١٠ ـ دابس المرخان (دومة الجندل)
١١ ـ توفيق الجدعان
١٢ ـ منزل العوذة
١٣ ـ محمد العطا
١٤ ـ اسم غير واضح (ربما: قاضب فياض؟)
١٥ ـ حسين اللويبد
١٦ ـ عواد الراشد
١٧ ـ محمد العابط
١٨ ـ فالح اللحيد

(١٨) رغم أن أغلب أسماء القائمة ١ من ٨ هي لأهالي الجوف من جماعة القرشة من سكاكا، إلا أنها، كما أسلفنا تذكيراً بالأمر أعلاه، ضمت أسماء من الشلهوب ودومة الجندل ومن الطوير، بل ضمت حتى أحد الأشخاص من المعاقلة... إلخ. كما يود الباحث أن يشير إلى أن كلمتي «الصلاب المنكرة» الواردة في نص التوكيل أعلاه ربما يقصد بها: «الطلاب المنكسرة» وهذا واضح في نص التوكيل للقائمة ٥ من ٨، ولكنها في هذه القائمة ١ من ٨، كتبت هكذا، على ما يبدو، خطأ، وربما يقصد بها المنحة (مبالغ مالية) التي يفترض أن تعطى للطلاب (المحتاجين مالياً/ مادياً)، ولكنها في الجوف قصرت عن أن تشملهم. كذلك نشير إلى أن بعض الأسماء في القائمة أعلاه سترد في بعض القوائم التالية.

١٩ ـ عبد الله المدالله
٢٠ ـ عبد الرحمن الصاير
٢١ ـ مساعد نزال العوذة
٢٢ ـ كايد المظهور (الشلهوب)
٢٣ ـ فارس الروضان (الشلهوب)
٢٤ ـ إبراهيم العبد الرحمن(؟)
٢٥ ـ حمد العبد الرحمن(؟)
٢٦ ـ نمر لحيد
٢٧ ـ أحمد النعمان
٢٨ ـ حماد النعمان
٢٩ ـ خليف الحمدان
٣٠ ـ عقلا اللويبد
٣١ ـ صالح المحمد
٣٢ ـ معدي الدرعان
٣٣ ـ مخلف الفهد التيماني
٣٤ ـ فهيد الشرعان (الطوير؟)
٣٥ ـ غازي الخضير
٣٦ ـ عواد محمد العواد
٣٧ ـ شفق الرشيدان (الشلهوب؟)
٣٨ ـ تركي المظهور (الشلهوب)
٣٩ ـ علي الصويلح (الطوير؟)
٤٠ ـ عبد الله الرديني (الطوير؟)
٤١ ـ صالح الفهد (الطوير؟)
٤٢ ـ مجلي المبارك
٤٣ ـ سعد الروضان (الشلهوب)
٤٤ ـ حامد الهباد (الطوير)
٤٥ ـ عبد الله الخضر
٤٦ ـ ختم لاسم غير واضح
٤٧ ـ مثقال الكنعان
٤٨ ـ مكمي الكنعان
٤٩ ـ ثنيان الحرفوش
٥٠ ـ ليل الدرعان
٥١ ـ سالم الحلو
٥٢ ـ خيرالله البخيت
٥٣ ـ مغيضب الحمود (أو المحمود؟)
٥٤ ـ موسى بن معيوف
٥٥ ـ محمود حويكم (الطوير)
٥٦ ـ دخيل الدرعان
٥٧ ـ إبراهيم العويش
٥٨ ـ خليف الفهد التيماني
٥٩ ـ عبد الرحمن الخضر
٦٠ ـ عايد منزل
٦١ ـ مرزوق السالم
٦٢ ـ عوض النور
٦٣ ـ فرحان الصقر
٦٤ ـ خلف الخضر (الطوير)
٦٥ ـ سليمان الغثيان
٦٦ ـ سالم الغثيان
٦٧ ـ عقوب المعيوف
٦٨ ـ سالم الدابس (دومة الجندل؟)
٦٩ ـ خليفة الربيع
٧٠ ـ عبد الحميد الكريم
٧١ ـ عبد المصلح بن سعد
٧٢ ـ مرزوق بن سعد
٧٣ ـ عيسى السعد
٧٤ ـ صالح بن شفق
٧٥ ـ مثقال الملاقي
٧٦ ـ غصاب الحمد
٧٧ ـ معزي الصاير
٧٨ ـ محمد بن فرحان (اللقائط)
٧٩ ـ عبيد الجزاع
٨٠ ـ حواس الغثيان
٨١ ـ مشحن الفهد
٨٢ ـ ختم لاسم غير واضح
٨٣ ـ مشعل الصلهام
٨٤ ـ حطاب العيد
٨٥ ـ عبد العزيز بن شفق
٨٦ ـ مقبل صابر

٨٧ ـ كليب الهباد (الطوير)
٨٨ ـ محمد بن شفق (المرزوق؟)
٨٩ ـ عبد الله الحسن
٩٠ ـ ختم لاسم غير واضح
٩١ ـ عوض غصاب
٩٢ ـ ختم لأسم غير واضح (عايد عيد؟)
٩٣ ـ معيوف (معيف) الوسم (؟)
٩٤ ـ معزي المسلم
٩٥ ـ غالب الحميمص (معاقلة؟).

***** نهاية القائمة ١ من ٨ *****

(٢) «القائمة ٢ من ٨»: بأسماء موكلين من أهالي الجوف، علماً أن أغلبهم من جماعة القرشة، وشملت أفراداً من جماعة المطر ومن اللقائط ـ سكاكا(١٩):

نص التوكيل للقائمة ٢ من ٨ (كما ورد): «نحن الواضعين أسمائنا في آخر الورقة أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة أسمائهم كل من شفق المرزوق وعواد الراشد، وفياض المسعر، وعبد الرحمن الشايع، وأحمد القائد، وقد وكلناهم وكالة شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كمثل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا عند حكومتنا السنية الرشيدة وعليـه نوقع»

أسماء القائمة ٢ من ٨

١ ـ عطالله المبارك
٢ ـ كساب القبلان
٣ ـ سالم الحلو
٤ ـ مرزوق السالم
٥ ـ معزي المقبول
٦ ـ شاكر الزيد
٧ ـ بلال السلطان
٨ ـ متعب السعد
٩ ـ عودة سليمان العويضة
١٠ ـ خلف القابل
١١ ـ سالم السلم
١٢ ـ نجم الرزيق
١٣ ـ سامح الحلو
١٤ ـ قاسم الزيد
١٥ ـ رزيق القبيسي
١٦ ـ عبد العزيز الكايد
١٧ ـ جمعة الحموان
١٨ ـ فيصل بن جمعة
١٩ ـ مبارك القرينيس
٢٠ ـ عبد العزيز موسى
٢١ ـ موسى بن سلمان الدايس
٢٢ ـ ربيع السالم
٢٣ ـ محمد المخلف
٢٤ ـ عقلا الصياح
٢٥ ـ حمود المنصور
٢٦ ـ ضيف الله المنصور
٢٧ ـ مثقال الخليوي
٢٨ ـ صالح القبيسي
٢٩ ـ علي المبارك
٣٠ ـ فرحان بن صقر
٣١ ـ ناعم السند
٣٢ ـ عبد الله (أو عبد الرحمن؟) الضميري
٣٣ ـ مدلول الدندني
٣٤ ـ حسين التيماني
٣٥ ـ ختم لأسم غير واضح (؟)
٣٦ ـ كايد الذعار
٣٧ ـ ختم لأسم غير واضح
٣٨ ـ عقلا بن عقل

(١٩) **في القائمة ٢ من ٨**: يلاحظ أن بعض الأسماء وردت في بعض القوائم الأخرى (السابقة والتالية).

٣٩ ـ مشعل الصلهام
٤٠ ـ عقلا اللويبد
٤١ ـ عايد المسعر
٤٢ ـ فرحان السميحان
٤٣ ـ رجا بن رخيَص
٤٤ ـ عبد الله الفلحي
٤٥ ـ محمد الخليفة
٤٦ ـ مسلي بن عقلا
٤٧ ـ سليمان بن بخيت
٤٨ ـ إبراهيم ناصر
٤٩ ـ عبد المصلح السعد
٥٠ ـ ختم واسم غير واضح (؟ بن درعان)
٥١ ـ ختم واسم غير واضح.
*** نهاية القائمة ٢ من ٨ ***

(٣) القائمة ٣ من ٨: بأسماء موكلين من أهالي الجوف، علماً أن أغلبهم من جماعة القرشة ـ سكاكا[٢٠] **ومعهم عدد من جماعة أهل المطر واللقائط، ومن دومة الجندل**: علماً أن «نص التوكيل كما ورد في القائمة ٣ من ٨، هو مطابق لما ورد في نص توكيل القائمة ٢ من ٨».

أسماء القائمة ٣ من ٨

١ ـ السنيدي الدخيل
٢ ـ حمدان الربع
٣ ـ عقلا الحميد
٤ ـ دخيل الربع
٥ ـ ليل الربع
٦ ـ وطبان الشمردل
٧ ـ فالح اللحيد
٨ ـ عرفج الجابر
٩ ـ يوسف العشيش
١٠ ـ عبد المصلح بن مناور
١١ ـ مبارك مريحيل
١٢ ـ مشعل النومان
١٣ ـ مخاف الزبن
١٤ ـ خليفة بن مسلم
١٥ ـ عدوان بن زبن
١٦ ـ شنوان هطيلان
١٧ ـ مسلم بن عطالله
١٨ ـ مفضي المسعر
١٩ ـ خليفه النويديس
٢٠ ـ شكر السهيان(؟) ـ الباحث
٢١ ـ خلف سعد
٢٢ ـ عبد الله الراشد
٢٣ ـ سليمان النويديس
٢٤ ـ صالح الزايد
٢٥ ـ عطية بن وسم
٢٦ ـ عايد الشفق
٢٧ ـ صالح الصابر الضميري
٢٨ ـ عيد بن دبيس
٢٩ ـ ناصر المنصور
٣٠ ـ عطا الشايوش
٣١ ـ سعد بطي
٣٢ ـ عبد الكريم الثلج
٣٣ ـ رديني كايد
٣٤ ـ عواد العطالله
٣٥ ـ مريحيل مبارك
٣٦ ـ محمد مقبل (أو مشعل ختم ١٣٦٨هـ)
٣٧ ـ أحمد المشعل
٣٨ ـ عبد الرحمن الصابر الضميري

(٢٠) بعض الأسماء في القائمة ٣ من ٨ وردت في بعض القوائم (السابقة) الأخرى. وبالنسبة إلى ما ورد بختم واسم شكر السهيان فإن الباحث يود أن يشير إلى أنه إن كان المقصود به الشيخ شكر السهيان (شيخ القرشة ـ الضويحي) فهو توفي في عام ١٩٠٧م، بينما نحن نتكلم عن شكوى أهل الجوف لعام ١٣٧٧هـ (أي تقريباً ١٩٥٧)، ولذلك ربما، إن لم يكن هناك اسم مماثل مواز آخر، والباحث يشك في ذلك، فإن اسم وختم الشيخ شكر السهيان ربما استخدم من قبل شخص (قريب) آخر، قصداً أو خطأً(!؟).

٣٩ ـ فرحان التركي
٤٠ ـ إبراهيم العويش
٤١ ـ معزي الصابر
٤٢ ـ نمر اللحيد
٤٣ ـ عبد الرزاق المسعر
٤٤ ـ عبد الله عرفج
٤٥ ـ ناعم المغرق
٤٦ ـ محمد بن عابط الزايد
٤٧ ـ معدي الدرعان
٤٨ ـ الحميدي السيل
٤٩ ـ موسى الحميد
٥٠ ـ ناصر المرعي
٥١ ـ صالح الدخيل
٥٢ ـ مدرس الشاهر
٥٣ ـ غازي فهيد
٥٤ ـ رخيص السليمان
٥٥ ـ أحمد الوقيد
٥٦ ـ عطا خميس
٥٧ ـ ضافي الفلحي
٥٨ ـ شبيب الأحمد (دومة الجندل؟)
٥٩ ـ عودة بن فيض (ربما: قيضي (؟))
٦٠ ـ محيسن الحامد
٦١ ـ محمد الفرحان
٦٢ ـ صالح بن محيسن
٦٣ ـ عشيش العويش
٦٤ ـ عبد العزيز بن عطية
٦٥ ـ ذوقان السعد
٦٦ ـ نويران المصارع
٦٧ ـ مصارع الفياض
٦٨ ـ سعود المنور
٦٩ ـ فهد السليم
٧٠ ـ صالح المرعي
٧١ ـ سعد المطر
٧٢ ـ معتاد الشفق
٧٣ ـ ماطر الحنظل
٧٤ ـ خلف المنصور
٧٥ ـ عبد الكريم الثنيان
٧٦ ـ معزي بن مسلم
٧٧ ـ مشعان حطاب
٧٨ ـ عودة بن بشر
٧٩ ـ ختم واسم غير واضح
٨٠ ـ غازي النادي(؟)
٨١ ـ نادي الغالب(؟)
٨٢ ـ عيد التيماني
٨٣ ـ عبد المصلح النادي
٨٤ ـ منصور المشعل
٨٥ ـ مقبل النمر
٨٦ ـ راجع بن سلمان
٨٧ ـ حمدان بن دعمي(؟)
٨٨ ـ رخاء المنزل
٨٩ ـ مساعد بن نزال
٩٠ ـ عيسى الرشيد
٩١ ـ عبيد البديوي
٩٢ ـ معزي حمد البديوي
٩٣ ـ عبد الله حمد البديوي
٩٤ ـ فيصل السهيان
٩٥ ـ عبد الرزاق فيصل
٩٦ ـ نومان المطلق
٩٧ ـ عبد الرحمن الحسن
٩٨ ـ حشاش الحسن
٩٩ ـ حسن الغنام
١٠٠ ـ نعيم السهو
١٠١ ـ خلف القاسم
١٠٢ ـ قاسم الخلف
١٠٣ ـ فلاح المرزوق الدندني
١٠٤ ـ عيد العلي
١٠٥ ـ مقبل الصابر
١٠٦ ـ صالح العياش
١٠٧ ـ ابهام واسم غير واضح
١٠٨ ـ مثقال المطلق
١٠٩ ـ سلامة الدخيل
١١٠ ـ حمود النازل
١١١ ـ نايف السبيلة
١١٢ ـ عساف بن دهام

١١٣ ـ ضبعان بن عبد الله
١١٤ ـ مزلوه بن مسلط
١١٥ ـ محمد الإبراهيم
١١٦ ـ حريص بن طريخم
١١٧ ـ صالح العقلا
١١٨ ـ معزي الرشيد
١١٩ ـ عبد الكريم العقلا
١٢٠ ـ الحميدي السياط
١٢١ ـ عبد الله المريحيل
١٢٢ ـ ثامر نزال
١٢٣ ـ عبد الرزاق الدرعان
١٢٤ ـ معتق الزيد
١٢٥ ـ شفق المليح
١٢٦ ـ عبد اللطيف السليم
١٢٧ ـ توقيع بدون أسم واضح
١٢٨ ـ خطَار الفلاج
١٢٩ ـ محمود الضامن
١٣٠ ـ منصور اللافي
١٣١ ـ غانم العقلا
*** نهاية القائمة ٣ من ٨ ***

(٤) القائمة ٤: بأسماء موكلين من أهالي الجوف، علماً أن أغلبهم من المعاقلة ـ سكاكا[٢١]**، وتضمنت أسماء لأفراد من جماعة الشلهوب:**

نص التوكيل للقائمة ٤ من ٨ (كما ورد): «نقول نحن الواضعين أسمائنا في آخر الورقة من أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة أسماؤهم كل منشفق المرزوق وعبد الرحمن الشائع وفياض المسعر وأحمد القائد وعواد الراشد قد وكلناهم وكالة شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كمثل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا عند حكومتنا السنية الرشيدة وعليه نوقع « ـ ـ ـ أعيان وأفراد «المعاقلة».

أسماء القائمة ٤ من ٨

١ ـ عبد الله السهو
٢ ـ عبد المحسن عبد الكريم
٣ ـ أحمد عبد الكريم
٤ ـ عبد الرحمن عبد الكريم
٥ ـ سامي سليم
٦ ـ عبد المحسن بن عطا
٧ ـ حمد الحسن
٨ ـ مخلف المفرح
٩ ـ منصور الكريّع
١٠ ـ خلف العواد
١١ ـ عبد المصلح ناصر
١٢ ـ ناصر بن عيشان (من الشلهوب؟)
١٣ ـ أحمد السهو
١٤ ـ منصور الحموان
١٥ ـ نزال العاصي
١٦ ـ محارب بن محمد
١٧ ـ علي العضيد
١٨ ـ ناصر العايش
١٩ ـ عبد الرحمن المشحن
٢٠ ـ عبد الهادي الشايع
٢١ ـ حمدان المفرح
٢٢ ـ راشد الحموان
٢٣ ـ مبارك هطليس
٢٤ ـ هطليس العوض

(٢١) في القائمة ٤ من ٨، أعلاه، يبدو هناك اسمين لشخصين (الرقم ١٢ والرقم ٥٤ هما على ما يبدو من الشلهوب)، علماً أن بعض الأسماء وردت في البيان التالي (القائمة ٥ من ٨).

٢٥ ـ مشعل السهو
٢٦ ـ عواد النور
٢٧ ـ شريم المشفي
٢٨ ـ هلال الحركان
٢٩ ـ إبراهيم الحمد
٣٠ ـ عايد التركي
٣١ ـ سعد الطارف
٣٢ ـ سليمان سعد
٣٣ ـ محمد الطويَل؟
٣٤ ـ عواد حمد
٣٥ ـ مسلم سعد
٣٦ ـ ثاني المهنا
٣٧ ـ مبارك الحماد
٣٨ ـ محمد الزيدان
٣٩ ـ عبد الكريم الصالح
٤٠ ـ عبد الله الصالح
٤١ ـ أحمد طويَل الواكد
٤٢ ـ سليمان الشريم
٤٣ ـ صالح الضافي
٤٤ ـ ضافي المنور
٤٥ ـ فرحان العيد
٤٦ ـ مفضي المشحن
٤٧ ـ محارب دغيم
٤٨ ـ حمد العقلا
٤٩ ـ صالح المفضي
٥٠ ـ متعب الزويمل
٥١ ـ هايس الفالح
٥٢ ـ كساب العطاالله
٥٣ ـ يوسف العطا
٥٤ ـ سعد الروضان (الشلهوب؟)
٥٥ ـ زعل خليف (الفالح؟)
٥٦ ـ سعد أحمد
٥٧ ـ مساعد أحمد
٥٨ ـ مشعل أحمد
*** نهاية القائمة ٤ من ٨ ***

(٥) القائمة ٥ من ٨: بأسماء موكلين من أهالي الجوف، علماً أنها تشمل مجموعة من المعاقلة، وكذلك مجموعة من الشلهوب ـ سكاكا[٢٢].

نص التوكيل للقائمة ٥ من ٨ (كما ورد فيها): «نقول نحن الموقعين أسمائنا أدناه من أهالي الجوف قد وكلنا كل من عبد الرحمن ابن عطاء الشائع وأحمد القايد وشفق المرزوق بالمطالبة في جميع مصالحنا العامة كمنحة الصلاب المنكسرة وغيرها وكالة شرعية، وعليه جرى التوقيع «الموكلون من أهالي الجوف» ـ ٢/ ١/ ١٣٧٧»

أسماء القائمة ٥ من ٨

١ ـ فياض الفياض (ختم عام ١٣٥٧هـ)
٢ ـ عبد الله البنية
٣ ـ علي بن عضيد
٤ ـ حمدان العضيد
٥ ـ عبد الله العتيق
٦ ـ حمد الفالح (ربما أحمد الفالح!)
٧ ـ أحمد بن محمد الرشيد
٨ ـ شاهر بن مقاود

(٢٢) القائمة ٥ من ٨ تحتوي على أسماء مختلطة من المعاقلة والشلهوب، مع عدم وضوح عدد محدود من الأسماء كما بينا قرين الأرقام، علماً أن عدد من الأسماء وردت في البيان السابق (القائمة ٤ من ٨). لاحظ اختلاف ببعض كلمات الصياغة عما قبلها. والأهم للملاحظة هو أن الذين تم التوكيل لهم هنا في هذه القائمة ثلاثة أشخاص فقط: هم عبد الرحمن الشايع، وأحمد قضيب القايد وشفق المرزوق.

٩ ـ فهيد الحيزان
١٠ ـ حمد الفالح
١١ ـ قضيب النهار
١٢ ـ علي العطا الله
١٣ ـ عبد العزيز العاصي
١٤ ـ حمدان المفرح
١٥ ـ محمود المفرح
١٦ ـ محسن المطرود (الشلهوب)
١٧ ـ هطليس العوض
١٨ ـ سعد البريكان
١٩ ـ مشحن الحمدان
٢٠ ـ راشد الطويَرب (الشلهوب)
٢١ ـ دخيَل العلي
٢٢ ـ فالح المصارع (الشلهوب)
٢٣ ـ محمد المعزي (الشلهوب)
٢٤ ـ عبد الله خلف
٢٥ ـ سعد بن مسلم
٢٦ ـ سليمان بن مسلم
٢٧ ـ مفرح الصلف
٢٨ ـ أحمد البنية
٢٩ ـ أحمد الهديان
٣٠ ـ عايد بن باسل
٣١ ـ عيد الباسل
٣٢ ـ باسل الماضي
٣٣ ـ عودة ذياب
٣٤ ـ عبد الله حماد
٣٥ ـ ثامر النزال
٣٦ ـ عبد الكريم الكريّع
٣٧ ـ نعيم الدحيم (؟)
٣٨ ـ صالح ملفي
٣٩ ـ حمد عقلا
٤٠ ـ موسى الكريّع
٤١ ـ عبد الله المحمد
٤٢ ـ حمدان المحمد
٤٣ ـ إبراهيم الحمد
٤٤ ـ حمود حماد
٤٥ ـ مبارك حماد
٤٦ ـ اسم غير واضح ربما عبد العزيز بن مسعود؟ أو عيد نعيم بن سهو(؟)
٤٧ ـ يوسف الرجاء
٤٨ ـ علي الرجاء
٤٩ ـ عبد الرحمن بن مضيان
٥٠ ـ راشد سند
٥١ ـ يوسف الكريّع
٥٢ ـ سعود عبد الرزاق
٥٣ ـ مناور المطلق (الشلهوب؟)
٥٤ ـ عبد الله العليان (الشلهوب)
٥٥ ـ عقلاء فلاَج (الشلهوب؟)
٥٦ ـ دحام الحمدان (الشلهوب)
٥٧ ـ عبد الرحمن؟؟؟؟
٥٨ ـ صالح الخلف
٥٩ ـ عقلاء الفهيد
٦٠ ـ مرزوق الوردي
٦١ ـ هايس الفالح
٦٢ ـ علي بن فياض
٦٣ ـ كليب زبن
٦٤ ـ ناصر العيشان (الشلهوب؟)
٦٥ ـ فهاد الطريف
٦٦ ـ سالم الطريف
٦٧ ـ منسي منصور
٦٨ ـ ختم لأسم غير واضح (؟)
٦٩ ـ نايف بن عويقيل
٧٠ ـ عبد المصلح بن عدوان (الشلهوب)
٧١ ـ متعب العناد (الشلهوب)
٧٢ ـ مقبل الهذال (الشلهوب)
٧٣ ـ معزي بن؟؟؟ (الشلهوب؟)
٧٤ ـ عبد الله المظهور (الشلهوب)
٧٥ ـ هلال العلي
٧٦ ـ محمد العساف (الشلهوب)
٧٧ ـ عارف العساف (الشلهوب)
٧٨ ـ صبر الوردي
٧٩ ـ سعد بن بريكان (الشلهوب)
٨٠ ـ عبد الواحد بن محمد (الزاعل؟)

٨١ ـ أحمد العساف (الشلهوب)
٨٢ ـ عبد الله العساف (الشلهوب)
٨٣ ـ سعود المنور (الشلهوب)
٨٤ ـ ؟؟؟ السليمان (؟)
٨٥ ـ قريطان المشفي
٨٦ ـ ختم لأسم غير واضح (؟؟؟)
٨٧ ـ علي الملاقي
٨٨ ـ عقلا بن خلف
٨٩ ـ مخلف (؟؟؟)
٩٠ ـ فرحان بن عيد
٩١ ـ مشعل بن أحمد
٩٢ ـ ثاني بن مهنا
٩٣ ـ مسباح بن مشفي
٩٤ ـ مقبل الليلي
٩٥ ـ عبد الهادي العطا
٩٦ ـ عبد المصلح الناصر
٩٧ ـ جارالله الكريّع
٩٨ ـ أحمد محمد الطويَل
٩٩ ـ خلف فرحان عيد
١٠٠ ـ سحيم دغمان (الشلهوب)
١٠١ ـ محمد الإبراهيم
١٠٢ ـ شفق الخليف (؟)
١٠٣ ـ رجاء البلهود (الشلهوب)
١٠٤ ـ غضبان الدغمان (الشلهوب)
١٠٥ ـ عبد الرحمن المشحن
١٠٦ ـ أحمد محسن الفالح
١٠٧ ـ خلف الشافي
١٠٨ ـ حمد بن حسن المفرح
١٠٩ ـ مخلف المفرح
١١٠ ـ حماد بن محمد
١١١ ـ محارب الدغيم
١١٢ ـ عوض الدحيل
١١٣ ـ صالح بن ضافي
١١٤ ـ ضافي بن منور
١١٥ ـ عواد النور
١١٦ ـ خلف العلي
١١٧ ـ أحمد المرزوق
*** نهاية القائمة ٥ من ٨ ***

(٦) القائمة ٦ من ٨: بأسماء موكلين من أهالي الجوف، وكلهم من جماعة الشلهوب ـ سكاكا، علماً أن بعضاً من الأسماء الواردة هنا وردت في بعض القوائم الأخرى:

نص التوكيل للقائمة ٦ من ٨ (كما ورد): «نحن **الواضعين** أسمائنا في آخر الورقة أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة اسمائهم كل **من شفق المرزوق وأحمد القائد وعواد الراشد وفياض المسعر، وعبد الرحمن الشايع وقد** وكلناهم وكالة شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كمثل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا **من** حكومتنا السنية الرشيدة وعليـه نوقع» ـ ـ ـ «أعيان وأفراد الشلهوب».

أسماء القائمة ٦ من ٨

١ ـ عبد الله العدوان
٢ ـ أحمد العساف
٣ ـ محمد العساف
٤ ـ محمد المعزي
٥ ـ عبد المصلح العدوان
٦ ـ كساب بن سالم
٧ ـ عبد الله الحسن
٨ ـ راشد الطويرب
٩ ـ عبد الله بن ظلي
١٠ ـ أحمد بن قرينيس

١١ ـ فالح مصارع

١٢ ـ عارف العساف

١٣ ـ حمود صالح

*** نهاية القائمة ٦ من ٨***

(٧) القائمة ٧ من ٨: بأسماء موكلين من أهالي الجوف (من أهل دومة الجندل وجماعاتها): نص التوكيل للقائمة ٧ من ٨ (كما ورد): «نحن **الواضعين** أسمائنا في آخر الورقة أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة أسمائهم كل **من شفق المرزوق وعواد الراشد وفياض المسعر، وعبد الرحمن الشايعو أحمد القائد وقد** وكلناهم وكالة شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كمثل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا عندحكومتنا السنية الرشيدة وعليــه نوقع» ـ ـ ـ «أعيان وأفراد دومة الجندل»

أسماء القائمة ٧ من ٨

١ ـ الحمودي بن التيه

٢ ـ موسى بن تركي

٣ ـ مناحي فارس

٤ ـ حمود الحمودي

٥ ـ عبد الله الدايس

٦ ـ صالح الحجاج

٧ ـ فراس شلاش

٨ ـ محمد بن مسند

٩ ـ مياح فارس

١٠ ـ غازي بن زايد

١١ ـ عبد العزيز بن ساكت

١٢ ـ شائع الجفران

١٣ ـ فهيد مفرح

١٤ ـ مفرح بن فيهيد

١٥ ـ محمد حمود

١٦ ـ محمد ضيف الله

١٧ ـ عايد الخلف

١٨ ـ حمود السالم الحميد

*** نهاية القائمة ٧ من ٨ ***

(٨) القائمة ٨ من ٨ بأسماء موكلي أئمة ومؤذني مساجد مدينة سكاكا الجوف.

نص التوكيل للقائمة ٨ (كما ورد): «نحن الواضعين اسمائنا في آخر الورقة أئمة ومؤذنون مساجد مدينة سكاكا الجوف قد وكلنا الأشخاص المعدودة اسمائهم وهم: شفق بن مرزوق وعبد الرحمن بن عطا الشايع وأحمد القايد ويوسف العطأ الثاري وفياض المسعر على جميع ما يتعلق في حقوقنا والمراجعة في كل شيء يرونه وهم ماينين بما فعلوا وعلى ذلك فجرى التوقيع» ـ ـ ـ **حرر في ٦/ ١/ ١٣٧٧هـ**»

أسماء القائمة ٨ من ٨

١ ـ ليل الدرعان

٢ ـ محمد العابط

٣ ـ فلاح الدرعان

٤ ـ مفلح الزبون

٥ ـ عواد الراشد

٦ ـ سعد بن مسلم

٧ ـ هطليس العوض

٨ ـ عطا الشايع

٩ ـ منصور المرسال

١٠ ـ راشد السند

١١ ـ راجع السلمان

١٢ ـ معدي الدرعان

١٣ ـ ختم واسم غير واضح

١٤ ـ مسباح الدرعان

١٥ ـ حشاش الحسن
١٦ ـ خليفة الربيع
١٧ ـ شفق المليح
١٨ ـ سعد البطي
١٩ ـ نويران المصارع
٢٠ ـ عبد المصلح نادي
٢١ ـ عيد خليف
٢٢ ـ زيد المحمد
٢٣ ـ بلال الدرعان
٢٤ ـ رجاء الرخيص
٢٥ ـ معزي الصابر
٢٦ ـ إبراهيم الحمد
٢٧ ـ عبد الكريم الكريّع
٢٨ ـ باسل بن ماضي
٢٩ ـ موسى الكريّع
٣٠ ـ يوسف الكريّع
٣١ ـ فهيد بن حيزان
٣٢ ـ سلامة بن معيقل
٣٣ ـ إبراهيم سلامه
٣٤ ـ حمد محسن الفالح
٣٥ ـ سحيم دغمان
٣٦ ـ فارس بن روضان
٣٧ ـ فرحان بن مطرود
٣٨ ـ توفيق بن جدعان
٣٩ ـ سالم بن ربيع
٤٠ ـ محمد الهطليس
٤١ ـ محسن بن مطرود
٤٢ ـ حمد العقلا
٤٣ ـ محارب دغيم
٤٤ ـ عقيل بن شرعان
٤٥ ـ علي عبد الله
٤٦ ـ خلف الطراد (اسم دون ختم أو توقيع)
٤٧ ـ فرحان الصقر
٤٨ ـ حمود بن منصور
٤٩ ـ عدوان الزبن
٥٠ ـ شاكر الزيد
٥١ ـ عبيد الدايس
٥٢ ـ عبد الله بن عيد
٥٣ ـ مناور المطلق
٥٤ ـ سليمان الدايس
*** نهاية القائمة ٨ من ٨ ***

ب ـ الوثيقة والشكوى وقصتها: في الفكرة والتطورات والمآلات

وثيقة أهالي الجوف الجماعية في قصة: قصة المطاوعة ١٣٧٥ ـ ١٣٨٩هـ

قصة المطاوعة (١٣٧٥هـ ـ ١٣٨٩هـ)، والتي تقدم تفصيلاً لوثيقة وشكوى أهل الجوف الجماعية (١٩٥٧م وتطوراتها حتى ١٩٨٩م) مثيرة في مضمونها وفكرتها وتحولاتها وأبعادها ومآلاتها. إنها مثيرة في بداياتها (توقيتها ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، وفي تطوراتها (١٩٥٩ ـ ١٩٨٤م)، ثم سكونها (١٩٨٥ ـ ١٩٨٨م)، ثم في بعثها ونهايتها في (١٩٨٩م).

قصة المطاوعة (١٣٧٥/ ١٣٧٧ ـ ١٣٨٩هـ) تقدم تفصيلاً لفكرة ظهور وتطور وثيقة/ شكوى أهالي الجوف الجماعية ١٣٧٧هـ المطالبة بالتنمية المتوازنة، والتي ستتحول في تطوراتها اللاحقة، عبر تواصلها بالخطابات، فمرحلة التحقيقات والاعتقال، إلى وثيقة لـ «مكافحة الفساد». لأهمية القصة وما انطوت عليه من تحديد جذور فكرة المطالبة بالتنمية وأصحابها (المبادرين)، ثم تبلورها فعلياً في شكل شكوى ووثيقة أهلية جماعية موقع عليها من أهالي الجوف، أفراداً وجماعات في سكاكا ودومة الجندل، فتطورها بالموقف الرسمي منها فمرحلة المضايقات والتحقيقات فالاعتقال، سنوردها هنا، بتفصيلاتها،

بنصها الأصلي، كما كتبها عبد الرحمن عطا شايع الكريّع نفسه في عام ١٤١٣هـ في ١٧ صفحة. نلفت الانتباه إلى أن الباحث أعاد كتابتها على الكمبيوتر في (١٨ ـ ٦ ـ ٢٠١١م)، نقلاً عن نسخة من أصل مسودة عبد الرحمن الكريّع، اطلع عليها الباحث في ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، واستلم نسخة منها، ضمن مجموعات أوراق، بما فيها نسخ من أسماء قوائم الشكوى، من الأخ خالد عبد الرحمن الكريّع في عصر الاثنين: ٢ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، علماً أن ما بين أقواس مزدوجة هي من الباحث لتوضيح القصد من الكلمة و/أو العبارة، وليس في النص الأصلي للمسودة ـ الباحث)، وهو ما يعني أنه إذا ما مسحت الأقواس المزدوجة وما فيها من محتوى، فالمتبقي هو النص الأصلي للمسودة كما كتبها عبد الرحمن عطا شايع الكريّع نفسه)، وعلماً أنه تم ابقاء الكلمات كما كتبت رغم ما ورد فيها من أخطاء إملائية واضحة. سوف يشار إلى المصدر عند التوثيق في المتن بـ: ((الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ص؟ من ص ١٧، قصة المطاوعة ٧٥/ ١٣٨٩هـ). في المراجع يظهر على النحو التالي: الشايع، عبد الرحمن عطا (١٤١٣هـ)،» «إذا سألت عن المطاوعة منهم وعملهم وماهو السباب تظامنهم منذو عام ١٣٧٥هـ، وحتى هذا التاريخ عام ١٤١٣هـ» في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في: ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً).

(١) **مضمون القصة برواية وخط عبد الرحمن عطا الشايع الكريّع**: يقول عبد الرحمن الكريّع راوياً وكاتباً القصة مستهلاً إياها بعنوان على صفحة غلاف مسودة القصة، ينص على التالي:

«إذا سألت عن المطاوعة منهم وعملهم وماهو السباب تظامنهم منذو عام ١٣٧٥هـ، وحتى هذا التاريخ عام ١٤١٣هـ»

يسرد عبد الرحمن عطا الكريّع القصة على النحو التالي فيقول:

«الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلام على سيد المرسلين أما بعد أذ ((ا)) سألت عن المطاوعة هم ((:)) شفق بن مرزوق الرشيد يرجع نسبه لبني خالد ((،))و((أ))لمدعو عبد الرحمن بن عطأ الشايع الكريّع يرجع نسبه لعنزه فخذ البجايدة ((،)) أحمد بن قضيب الراشد يرجع نسبه لعتيبه ((،))عواد الراشد العويضة يرجع نسبه لبني خالد، فياض المسعر البرجس يرجع نسبه لبني خالد ((.)) هأولأ ((هؤلاء)) الجميع من سكان الجوف القداما ((القدامى)) ابا عن جد ((،)) وهم من طلبت ((طلبة)) فضيلة الشيخ فيصل المبارك ((،)) وقد اجتمعا ((اجتمعوا)) حبا في الله منذو نشئتهم ((منذ نشأتهم)) ((.)) وفي مطلع عام ١٣٧٥هـ رأو ((رأوا)) أن بلادهم لم تأخذ حقها من مشاريع الحكومة السعودية حيث قامة ((قامت)) الدولة السعودية في نهضة بالمملكة في بنأ ((بناء)) المدارس ودوائر الحكومة ما عدى ((ما عدا)) بلادهم الجوف حيث إن رُئسا ((رؤساء)) الدوائر الحكومية بالجوف قام كل واحد منهم بتئجير ((بتأجير)) بيته علا ((على)) الحكومة ((؛)) فيا حبذا لو كانت البيوت المذكورة من المسلح ولكن مباني طين وعندما ((أ))ستمرت الحالة علا ((على)) هذا قاموا ((قام)) المطاوعة في جولة علا ((على)) رُئسا ((رؤساء)) العاشائر ((يقصد شيوخ أو عُمد الجماعات والعائلات الرئيسة)) وشرح لهم الحالة التي يعانونها من المسئولين ((،)) وقالو ((ا)) لمشايخ العشائر ((:)) هل هذا يرضيكم ان تكون رُئسا أدوائر ((رؤساء الدوائر)) بالجوف في بيوتهم ((،)) ويتركو((ا)) المطالبة في مباني حكومية لدى الدولة((.))

ولكن رُؤسا العشائر ((،)) كما قال المثل لا حياة لمن تنادي ((،)) وكذلك لما كانت الدولة ضعيفة في سابق حكمها للجوف ما نلومها علا ((على)) قصورها تجاه البلد ((،)) ولكن الدولة الأن قوية وقامت في أنحاء المملكة في مباني ضخمه من المدارس وشتى الدوائر الحكومية ما عدى ((ما عدا)) بلادنا الجوف الذي قامة ((قامت)) بأرسال وفد من ((أ))عيان أهالي الجوف عندما قتلوا منصوب بن شعلان وطردوه من بلادهم إلى ((إلى)) أمام المسلمين آنذاك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وذلك مطلع عام ١٣٤٠هـ((.)) وفي هذا العام قام الامام عبد العزيز بن سعود وأمر علا ((على))عبد العزيز بن مساعد الجلوي أرسال من يرأ ((يرى)) فيه الكفاية و((أ))لمقدرة لتولي ((أ))لحكم بالجوف، وكان أن ذلك ((آنذاك)) ((أ))لحكم في دومة الجندل منذو نشائة ((منذ نشأت)) الدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلام ((سلم)) وحتى تولي ((أ))لأمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الحكم علا ((على)) الجوف ((.)) وقد استمر عساف الحسين حاكم علا ((على)) منطقة الجوف من عام ١٣٤٠هـ حتى شعبان (١٣٤٣هـ) و((أ))ستلم الحكم منه عبد الله العقيَل أخر رمضان عام ١٣٤٣هـ حتى ذلحجة ((ذي الحجة)) عام ١٣٤٥هـ ثم نقل و((أ))ستلم محله تركي بن أحمد السديري في ذلحجة ((ذي الحجة)) عام ١٣٤٥هـ حتى الاضحى عام ١٣٤٦هـ ومن ثم استلم منه عبد الرحمن بن لسعيد بن سعيد في عام ١٣٤٦هـ حتى ذلحجة ((ذي الحجة)) ١٣٤٨هـ ثم استلم منه ((أ))براهيم النشمي في عام١٣٤٨هـ حتى رمضان ١٣٤٩هـ ثم استلم تركي السديري للمرة الثانية في رمضان ١٣٤٩هـ حتى نهاية عام ١٣٥١هـ ـــــ وفي هذا العام قام تركي ورجا المويشير بعد نسب تركي لرجا حيث إن تركي تزوج بنته نعمه لتركي ((،)) وبعد هذا قام رجا وكبار قبائل منسكاكا ((من سكاكا)) وكتب كتاب بسم رُؤسا وعيان ((باسم رؤساء وأعيان)) مدينة سكاكا للأمام عبد العزيز وطلب نقل الحكم من دومة إلا ((إلى)) مدينة سكاكا وفصل أمارة الجوف عن امارة حائل ((،)) وتم هذا في عام ١٣٥١هـ ونقلت ((أ))لأمارة من دومة إلا ((إلى)) مدينة سكاكا عام ١٣٥٢هـ ـــ في محرم ١ ـ ١ ـ / ١٣٥١هـ ((،)) وكانت رواتب رجال الدولة أنذلك ((آنذاك)) أربعة الآف ريال في مالية الجوف وكان مديرها عبد العزيز بن زيد وكذلك تم فصل أمارة الجوف من أمارة حائل عام ١٣٥١هـ في رجب عام ١٣٥١هـ وربطها بالحجاز تتبع ((ل))لأمير فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه((،)) ومن ثم استلم عبد العزيز أحمد السديري من تركي عام ١٣٥١ و((أ)) ستمر عبد العزيز حتى عام ١٣٥٧هـ ومن ثم ((أ))ستلم محمد السديري ١٥/ ١/ ١٣٥٧هـ ومن ثم استلم عبد الرحمن السديري من محمد في ٥/ ٩/ ١٣٦٢هـ ـــــــ وفي عام ١٣٧٠هـ بدت لحكومة ((بدأت الحكومة)) تقوم في مباني في أنحا المملكة من مدارس ومستشفيات وجميع المرافق الحكومية من محاكم وماليات وجوازات واحوال مدنية وغيرها ما عدى ((ما عدا)) الجوف لازال علا ((على)) حالته السابقة((،)) فعند ذلك قامت ((أ))لأهالي بنصيحه تجاه رُئسا لعشائر ((رؤساء العشائر)) بالجوف أن هذا شي ما يصبر عليه ((،)) ولكن رُئساء لعشائر ((رؤساء العشائر)) مغلوب علا ((على)) أمرهم من ((أ)) لأمارة حيث أوجدو بينهم اتفرقه ((التفرقة)) وعدم اثقه ((الثقة)) في بعضهم وتفرقو ((ا)) ((،)) أي تفرقة سو بينهم((،)) وهذا خلاف ما وصبه ((وصى به)) رب البشرية حيث يقول((:)) ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم((.)) وعندما أييسو ((أيئسوا)) ((أ))لأهالي من رُئيس ((رؤساء)) العشائر قاموا بنتخاب ((بإنتخاب)) الخمسة المذكوره اسمائهم ((،)) ومن طلبت ((طلبة)) العلم ومن رجال البلاد الموثوق

بهم ((،)) بعد أن عرفو أن ذاك بالمجتمع ((بإعتبارهم كانوا معروفين من المجتمع آنذاك)) ((.)) وبعد أن تقرر أراي علا ((الرأي على)) صلاحيتهم قامة ((قامت)) ((أ))لأهالي بكتابت ((بكتابة)) وكائل لشرعية ((توكيلات شرعية)) علا ((على)) أنهم يمثلولون لبلاد ((يمثلون البلاد)) وختمه ((ختمها وتوقيعها)) لهم ومن ثم أنطلقو في مهمتهم وفقهم الله من ذلك التاريخ...» ((ربما يقصد منذ ١٣٧٥هـ، والأرجح في نهاية عام ١٣٧٦هـ، حيث بداية التوقيعات وجمعها مؤرخة في ٢/ ١/ ١٣٧٧هـ ـ الباحث)) (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ١ ـ ٧ من ص١٧، قصة المطاوعة، ٧٥/ ١٣٨٩هـ).

(٢) توابع وتطورات قصة المطاوعة (١٣٧٧ ـ ١٣٨٩هـ): «جذور مكافحة الفساد؟»: خطابات عبد الرحمن عطا الشايع للملك سعود:

(أ) الخطاب الثاني: أرسل في ١١/ ٥/ من عام ١٣٧٧هـ: ويواصل عبد الرحمن عطا الشايع الكريّع تطورات القصة، مشيراً إلى الخطاب الثاني (نص خطاب للملك سعود رفعه عبد الرحمن الكريّع في عام ١٣٧٧هـ)، ويبدو أن هذا الخطاب هو الخطاب الثاني، أرسله للملك قبل انتهاء جمع التوكيلات من الأهالي للمطاوعة الممثلين لأهل الجوف للتخاطب مع الدولة بمطالبهم، ويشرح، فيه كما يقول، أفعال رؤساء الدوائر الحكومية بقيامهم بتأجير بيوتهم مقار للإدارات الحكومية التي يرئسونها، وهجروا مقر «إدارة» قصر الحكم وهو قصر كبير يتسع لجميع إدارات الحكومة زاعمين عدم صلاحيته، وأنهم لو كانوا صادقين بعدم صلاح المقر ـ قصر الحكم للإدارات الحكومية، فإن قيمة سنة إيجار لتلك الإدارات في بيوتهم يمكن أن تبني مباني حديثة لجميع تلك الدوائر الحكومية. في الخطاب الثاني إشارة إلى خطاب أول سبق أن أرسله عبد الرحمن الكريّع للملك سعود، سنأتي على ذكره بعد الانتهاء من نص الخطاب الثاني.

عن الخطاب الثاني، يقول عبد الرحمن عطا الشايع الكريّع، (علماً أن عبارات ما بين أقواس مزدوجة هي من الباحث لتوضيح القصد من الكلمة و/ أو العبارة فقط). **يقول عبد الرحمن عطا الشايع الكريّع عن ومشيراً إلى «الخطاب الثاني»**: «وعندما بدأت الفكرة هذا الثاني: شأ القدر وكتبت كتاب بسم ((بأسم)) جلالة الملك سعود بسمي ((بأسمي)) قلت حتى تنتهي أوراق أتوكيل بسم لجماعة ((التوكيل بأسم الجماعة)) اشارحا فيه ((أشرح فيه)) عن افعل رُئسا أدوائر ((افعال رؤساء الدوائر)) بالجوف الذي مجرة علا الدولة بيوتهم ((الذين مؤجرين بيوتهم على الدولة)) و((أ))لحقيقه تم رفعه لجلالة الملك سعود عام ١٣٧٧هـ وهذا نصه: بسم لله الرحمن الرحيم ـ ـ ـ حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك سعود الأول المعظم بعد ((ال))تحية و((أ))لأجلال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته((.)) مولاي سبق ورفعة ((رفعت)) لجلاتكم خطاب للفت نظر لجلالتكم ((جلالتكم)) عن تفرقة الدوائر الحكومية في مدينة سكاكا((،)) **وجعل كل رئيس الدارة ((إدارة)) ادارته في بيته الخاص لأجل استغلال لأجرة ((الأجرة)) من الحكومة((،)) وتركو((ا)) الدئر ((الدوائر)) الحكومية مهجورة وأدعاهم أن الدوئر الحكومية غير صالحة((،)) فلو هنا من الموظفين رجلا مخلص لحكومته ووطنه اذ ((ا)) كان فيها خراب فأجرته سنة لعمرة ((فإن أجرة سنة لعمرت)) جميع هذه الدوائر بالجوف علا ((على)) الطراز الحديث((.))** مولا((ي)) أني رفعة ((رفعت)) لجلالتكم عن ذلك سابقاً كنصيحة وليس لي أي هدفاً أقصده وراء

ذلك((.)) وأخيرا أحضرني وكيل القاضي ((ب))الجوف المدعو عبد الله بن عبد الوهاب((،)) بناءً علا ((على)) أمر أمارة الجوف المعطوف على أمر جلالتكم رقم ١٥٣٨/٢/٢٩ في ١٣٧٧/٤/١٤هـ((،)) وطلب مني القاضي ((أ))لأفـاده و((أ))لأثبـات على ما أدعيت به ((،)) وقد أعطيته تقريراً وضحة ((وضحت)) فيه أنني سبق وان رفعة ((رفعت)) لجلالة الملك بصفتي كمواطن ومن واجبي وا وجب ((وواجب)) كل مواطن مخلص أن يلفت نضر ((نظر)) حكومته عن مثل ما ذكرته في خطابي السابق ((،)) وأذا يقتضي نظر جلالتكم ورئيس مجلس الوزراء وكبار الدولة المخلصين أن يوخذ مني تحقيق أو ((أ))ثبات((،)) أوخاصم ((أو أن اخاصم)) رئيس الدوائر بالجوف ((،)) فأنا مستعد((،)) غير أنني الرجو ((أرجو)) لفت الجميع بأن ((ال))تحقيق أو المخاصمة تكون((،)) و((أ))لأثباتات الذي تطلب مني أن تكون بوسطة رئيس ديوان المظالم أو بوسطة سماحة المفتي محمد بن إبراهيم وذلك لأظهار الحقيقة بصورة واضحة((،)) لأن الوكيل أي لقاضي ((وكيل القاضي)) نفسه المشار أليه بعاليه و((أ)) لتي ((أ))حيلت معاملتي أليه أول من يعمل ((لا يعمل)) الا ((إلا)) بعد أخذ رأي ((أ))لأمارة ورُوسا الوائرلحكوميه ((رؤساء الدوائر الحكومية))وعقد لاجتماعة ((الاجتماعات)) في ما بينهم ((.)) ثانياً أن الوكيل المذكور حصل بيني وبينه سوأ ((ء)) تفاهم أنا وربعه من زملاى لأيمة ((أنا وأربعة من زملائي الأئمة)) بخصوص رواتبنا وأختامنا الذي كانت محجوزه عند ((عنده)) علا أثر شيخ فيصل ((على أثر الشيخ فيصل المبارك)) **وفوق هذا وذاك فاأن ((فإن)) وكيل القاضي فعل كما فعلوه رؤسا((ء)) الدوائر بالجوف طبق ((أ))لأصل ((،)) حيث أظهر ((أخرج)) سجلات وأثاث المحكمة ألاجزاً ((إلا جزءاً منها)) في بيته وذلك ألاجل ((لأجل)) استغلال لأجره ((ألأجرة))((.))** ومن هذا يتضح لجلالتكم أنني ما أتمكن أن اخاصم عنده بموضوع هو يشترك فيه هو نفسه لأن المذكور يعتبر خصماً وحكم((،)) ولا استطيع شرح أي شى بواسطته خلاف قراري هذا المرفق بطيه((،)) و((أ))لذي وضحة ((وضحت)) فيه السر الوحيد بعد ((م)) استطاعتي للأد ((للأدلاء)) بأي شى((،)) سوا ((سوى))هذا القرار رداعلا ((على)) جلالتكم وترون صورته ((صورة))القرار بطيه لأطلاع جلالتكم عليه خوفا من أن ترفض بهذ الطرف ((في سكاكا)) ((،)) ويلفق على ((عليّ)) دعايات لأ ساس ((لا أساس)) لها من الصحة بوسطة لمسأولين ((المسئولين)) بهذ الطرف ((في سكاكا)) ((،))لأن جتماعات ((لأن الاجتماعات)) لا تزال جارية في ما بين اوكيل ((وكيل)) القاضي و((أ)) لأمير و((أ))لموظفين وأخشى أن يكتبون شى ضدي بدون مبرر((،)) كما كتبه أمير منطقة الجوف بقوله بمذكرته الذي بنفس المعاملة «كلمة غلام» وهذا دليل قاطع أنها استحقار وتصغير وتهكم بهذه الكلمة أمام الدوائر الرسمية كما الفة ((الفت)) أنضار ((أنظار)) جلالتكم لهذه كلمه و((أ))لأستحقا((ر)) ((أ))لموجه لي من أمير الجوف((.)) مولاى أبا فهد أنني داخل علا ((على)) جلالتكم ووالدكم المغفور له عن دعايات ((أ))لأمير و((أ)) لموظفين بالجوف الذي يقصدون من وراها خدعي وخدع كل مواطن بالجوف ومخلص لوطنه وحكومته. كما أني الفت أنظار جلالتكم لمثل ما ذكرته في خطابي السابق لأنني لما رفعه ((رفعته)) كنصيحة كما قال الرسول الدين النصيحة قالو لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ورسوله ولأيمة لمسلمين ((لأئمة المسلمين))((.)) ونصيحة((أ))لأمام هو تنبيه لما غفل عنه أوشعاره بما لا يعلم عنه((.)) مولاى أذا كل ناصح يخدع ويُهدد أمام ((أ))لمسئولين بالجوف((،)) فهذه ((أ))لمرة كافه ((كافية!))

لنا، ونسترحم من جلالتكم كف أد ((أذى)) ((أ))لمسئولين بالجوف عنا لأنهم اتخذوني خصماً لهم. مولاى ـ ـ ـ ـ ـ ١١ ـ ٥ ـ ١٣٧٧هـ ـ ـ ـ **مملولكم المطوع: عبد الرحمن بن عطأ الشايع ـ ـ ـ أتوقيع»** (الشايع،عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ٨ ـ ١٣، من ص١٧، قصة المطاوعة، ٧٥/ ١٣٨٩هـ). انتهى نص الخطاب الثاني.

(ب) الخطاب الأول للملك سعود (مرسل في ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ):

نص الخطاب الأول كما تم نقله مما كتبه عبد الرحمن عطا الشايع بخط يده، ما عدا ما بين أقواس مزدوجة وما بينها من محتوى فهي من الباحث لتوضيح المقصود من الكلمة أو العبارة:

نص الخطاب الاول:

«حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم أيده الله بنصره تعالى ـ ـ ـ بعد التحية و((أ))لأجلال((:)) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته((.)) مولاى يسر الخادم أنه يعرض لحكومة جلالتكم الرشيدة بما ألرآ ((أرى)) من استبدد ((استبداد)) رؤساء دوائر الحكومية في مدينة سكاكا الجوف والذي لا يعلمه جلالتكم. مولاى أن الحكومة في لمدينة ((مدينة)) سكاكا عندها قصرين كبيرين منها القصر القديم الذي كان يحتوى على دائرة ((أ))لأمارة و((أل))شرطة و((ال))مالية و((ا))لجمرك و((أ))لبرق و((أ))لبريد و((أ))لهاتف((.)) مولاى((:)) (١) **دائرة ((أ))لأمارة نقلت للقصر الجديد الذي يسكنه سعادة أمير الجوف (٢) الدارة ((إدارة)) الشرطه نقلت في ((أ))لبيت ((أ))لعائد إلى مدير ((أ))لشرطه نفسه ولا تزل عائلته و((أ))لأداره في بيت واحد (٣) دائرة ((أ))لمالية نقلت في بيت مدير المالية وهناء ((هنا)) عائلته في نفس أ))لبيت الذي فيه ((أ))لأداره (٤) دائرة الجمرك نقلت في حدى ((أحد بيوت)) موظفى الجمرك((.)) هذا يا مولاى وقد أخلي ((أ))لقصر القديم ((،)) وجعل كل رئس ((رئيس)) دائرة تصرف ((يتصرف)) حيث يشأ((،)) ونقل موظفيه وسلالة ((؟ أو ربما دلالة)) في بيته الخاص((،)) ليستغل الفرصه وياخذ ((أ))لأجار حتى لم يبقى في** ((أ))لقصر القديم سواى ((سوى)) الجوازاة ((الجوازات)) و((أ))لبرق و((أ))لبريد ((.)) ((أ))**يضا دائرة الصحة نقلة ((نقلت)) في حدى بيوت الموظفين بالأجار**((،)) ولا يخفى علا ((على)) جلالتكم ان هذا ((ه)) الدوائر جعلت شتى عن بعضها((،)) وجعلت كل دئرة ((دائرة)) تبعد عن ((أ))لأدارة الثانيه ((،)) وهذا مشقه علا ((على)) المراجع دون مصلحة الدوله ((.)) **مولاى((:)) رئيس ((رؤساء)) الموظفين يستغلون الفرص ويسعون لمصالحهم ((أ))لخاصه((،)) لا عن مصلحة الموطن ((المواطن)) ولا عن مصلحة الحكومة**((.)) مولاى((:)) أنني ((أ))كتب وأناشدكم بنفسي كمواطن لا يقبل لوطنه وحكومته و((أ))خوانه المسلمين مثل ما أشرة ((اشرت)) اليه ((،)) ويعلم الله يا مولاى أنني ما ((أ))رفع لكم الا عن حسن نيه ((،)) ولا هناك أهداف أو مقاصد شتى حولها((،)) و((أ))لله علا ((على)) ما أقول وكيل((.)) هذا وختاماً الطلب ((أطلب)) الله جلا وعلا ان يحفظكم ويحقق أهدافكم مولاي ـ ـ ـ **المخلص المواطن ـ ـ ـ عبد (أ)لرحمن بن عطا الشايع ـ ـ ـ حرر ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ ـ ـ رقم ١٩/ ٢/ ١٥٣٨**» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ١٤ ـ ١٦، من ص ١٧، قصة المطاوعة، ٧٥/ ١٣٨٩هـ). انتهى نص الخطاب الأول.

و يكمل عبد الرحمن عطا الشايع بعض المعلومات التي تربط ما بين عناصر خطابه الأول للملك سعود وما بين المعاملة المحالة من الملك لأمارة الجوف للتحقيق بالموضوع، وتطوراتها حتى تاريخ ٧/ ٦/ ١٣٧٧هـ، فيقول:

«وعلا ثر ((على اثر)) هذا الخطاب صدر ((أ))لأمر الملكي إلى أمارة منطقة الجوف برقم ١٩/ ٢/ ١٥٣٨ في ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ((،)) و((إ))حالتها من أمارة الجوف الا ((إلى)) وكيل القاضي عبد الله ابن عبد الوهاب ((.)) وعندما استدعاني وكيل القاضي ((أ))عطيته إقرار مفصل عن الموضوع كامل، ومن ثم رد عليه في شرحه علا ((على)) أقرار مني بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٣٧٧هـ ((،)) وهو كتابي ((،)) أي ((أ))لأقرار وشرح القاضي ((،)) وبعد كتابته حرفياً نرفق صورته ظمن ((ضمن)) هذا الكتاب للآثبات» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ١٧ من ١٧، قصة المطاوعة، ٧٥/ ١٣٨٩هـ). انتهى.

(٣) نسخة من نص الإقرار المفصل من عبد الرحمن الشايع في (٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ) أما وكيل قاضي الجوف رادّاً فيه على طلب الإثباتات في دعواه ضد رؤساء الدوائر الحكومية بالجوف: فيما تقدم وفي نهاية الحديث عن الخطاب الأول للملك سعود، والذي بعث به عبد الرحمن الشايع في ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ، أشار عبد الرحمن الشايع، مدونا بخط يدة، إلى أنه «وعلا ثر ((على أثر)) هذا الخطاب صدر ((أ))لأمر الملكي إلى أمارة منطقة الجوف برقم ١٩/ ٢/ ١٥٣٨ في ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ ((،)) و((إ))حالتها من أمارة الجوف الا ((إلى)) وكيل القاضي عبد الله ابن عبد الوهاب ((.)) وعندما استدعاني وكيل القاضي ((أ)) عطيته أقرار مفصل عن الموضوع كامل، ومن ثم رد عليه في شرحه علا ((على)) أقرار مني بتاريخ ٧ ـ ٦ ـ ١٣٧٧هـ ((،)) وهو كتابي ((،)) أي ((أ))لأقرار وشرح القاضي ((،)) وبعد كتابته حرفياً نرفق صورته ((ضمن)) هذا الكتاب للآثبات» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٤١٣هـ: ص ١٧من ١٧ قصة المطاوعة ٧٥/ ١٣٨٩هـ).

وفيما يلي نقدم إعادة طباعة لنسخة من أصل إقرار عبد الرحمن الشايع، الذي وقعه وقدمه لوكيل القاضي، راداً على ما طلب منه بتقديم الإثباتات كما طلب الأمر الملكي آنف الذكر، وأرفقه على ما يبدو مع الخطاب الثاني للملك، علماً أنه وكما يبدو من نسخة الإقرار التي اطلعنا عليها واستلمنا منها نسخة مكتوبة بخط حسن وواضح جداً وبدون أية أخطاء تحريرية «إملاء» تقريباً، بخلاف ما اطلعت عليه ولاحظته من كتابات عبد الرحمن التي كتبها ودوّنها بخط يده كما مر بنا ونقلنا عنه ونوهنا عنه أعلاه، وهو ما يعني أن شخصاً آخر، ربما، هو من كتب الإقرار لصالح عبد الرحمن الشايع وبإملاء من الأخير على ما يبدو من سياق النص، ومما يؤكد ذلك أن هناك توقيعاً لعبد الرحمن الشايع في أسفل الإقرار عن طريق ختم مسبوك على شكل مستطيل يحمل اسمه وبخط عربي بديع جداً، وكذلك يحمل سنة تاريخ عمل الختم أسفل الاسم مباشرة. سنورد نص الإقرار كما كتب دون أية توضيحات من الباحث وبغض النظر عن بعض الأخطاء الإملائية والتحريرية الواردة فيه، وهي قليلة جداً على أية حال. سوف نشير إلى هذا المصدر في التوثيق داخل المتن بـ: (الشايع، عبد الرحمن عطا، ٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ: ١ من ١ الأقرار). وفي المراجع سيظهر كاملاً على النحو التالي: **الشايع، عبد الرحمن عطا، (٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ)» الإقرار المفصل من عبد الرحمن الشايع في (٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ) أمام وكيل قاضي الجوف رادّاً فيه على طلب الإثباتات في**

دعواه ضد رؤساء الدوائر الحكومية بالجوف»، (الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢).

نص الإقرار

«بسم الله الرحمن الرحيم ـــــــ أقر أنا المطوع عبد الرحمن ابن عطاء الشايع البالغ من العمر تسعة وعشرون سنه (٢٩) بموجب حفيظة النفوس الصادرة من سجل برقم (٨٧٠) وتاريخ ٣/ ٦/ ٧٦ قد حضرت لدى وكيل قاضي الجوف في يوم الثلاثاء الموافق ٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ، وأطلعني وكيل القاضي على المعاملة الدائرة بخصوص شكواى على رؤساء الدوائر وتفرقتها عن بعضها وما إلى ذلك: الصادرة من ديوان جلالة الملك إلى أمارة الجوف برقم ١٩/ ٢/ ١٥٣٨ وتاريخ ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ وطلب مني وكيل القاضي الأثباتات اللزمة على ما أدعيت فيه. عليه أقول سبق انني رفعت لأنظار صاحب الجلالة عن هذه الحالات بصفتي مواطن وهذا من واجبي ومن واجب كل مواطن مخلص لحكومته ووطنه بلفت النظر لمثل ما ذكرت في خطابي المرفوع لصاحب الجلالة وحيث إنني لم أكتب من أجل هدف أتمشى حوله بل كتبت عن نية مخلصة لحكومتي ولأبناء وطني **وأذا يقتظي نظر صاحب الجلالة ورئيس مجلس الوزراء وكبار الدولة أن ياخذو مني تحقيق أو اثباتات أو أخاصم رؤسا الدوائر بالجوف فأنا مستعداً لكني أرجو ان يكون التحقيق والمخاصمة بواسطة سمو رئيس ديوان المظالم أو بواسطة سماحة المفتي الأكبر للبلاد السعودية في ما بيني وبين رؤرسا الدوائر التي أدعي عليهم وذلك بقصد أظهار الحق بصورة واضحه جليه لأن وكيل قاضي الجوف التي أحيلت معاملتي أليه قد حصل بيني وبينه أنا وأربعة من زملائي الأئمة بالجوف شقاق بخصوص رواتبنا وأختامنا التي حجزها سابقاً عنده وفوق هذا وذاك فإن وكيل القاضي فعل كما فعلو رؤساء الدوائر بالجوف طبق الاصل حيث أظهر سجلات وأثاث المحكمة من محلها الاصلي وأسكنها في ركن من أركان بيته الخاص** ولم أطمئن أن اخاصم عنده بموضوع يشترك فيه هو بنفسه وعلى هذا الأساس فأني لا أستطيع شرح أي شيء بواسطة وكيل القاضي المشار اليه هذا ويعلم صاحب الجلالة ورجال الدولة أنني لم اقصد بهذه الملاحظه أي مصلحه خاصه حيث خطابي يشهد لقولي **وهناك دليل في نفس المعاملة المذكوره يشهد لدعواى لو كان لوحظ من قبل المسؤلين وهو أنه سبق أن تقدم بمثل دعواي هذه المدعو عائض الزيد وهذا شيء واضح أمام جميع المواطنين عائض وغيره وأنا متوثقاً أنشالله من صحته** وبالختام أرجو من المسؤلين أن يلاحظوا ما لقبني فيه أمير الجوف أي كلمة (غلام) لأن هذا دليل للتصغير والأحتقار هذا ولابد من أنتصار الحق على الباطل بعون الله ثم بفضل صاحب الجلالة ورجال الدولة المخلصين وعليه أوقع: ٤/ ٥/ ١٣٧٧هـــــــ ((ختم)) **[عبد الرحمن ابن عطاء الشايع ١٣٧٧هـ]**». انتهى نص الإقرار ـــ ولكن تحت ختم عبد الرحمن الشايع هناك توقيع أو إشارة لتوقيع يبدو أنه لـ «عبد العزيز الخلف»، وهو على ما يبدو قاضي الجوف آنذاك، وكذلك هناك شرح في الركن الاسفل الايمن من نسخة الاقرار، يبدو أنه شرح وكيل القاضي، وينص على التالي: «الأخ عبد الرحمن العطا سابقاً تعذر ان فيه سوء تفاهم بيننا وبينه ولأن هذا الشيخ ليس بينك وبينه شيء اذا ما قبلت شوري فاعرص قضيتك عليه حرر ٧/ ٦/ ١٣٧٧». (الشايع، عبد الرحمن عطا، ٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ: ١ من ١، الاقرار).

(٤) **محتوى (عناصر) دعوى المطاوعة ضد عبد الرحمن السديري (التاريخ؟)**: نص الدعوى (الشكوى) المرفوعة من المطاوعة للشيخ محمد ابن إبراهيم ضد السديري. المصدر: نسخة من مسودة نص دعوى المطاوعة ضد عبد الرحمن السديري المرفوعة إلى الشيخ ابن إبراهيم في (؟ تاريخ الشكوى غير مذكور، ولكن يبدو أنها حدثت في وقت ما مابين عامي ١٣٧٧هـ و١٣٧٩م بعد خروجهم من السجن الأول والذي استمر لمدة ٣٨ يوما كما هو مشار إليه تاليا في مسودة شكوى المطاوعة ضد السديري) ـ استلم الباحث نسخة منها من خالد عبد الرحمن الشايع في ٢ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م وكان الباحث أطلع على أصل المسودة في ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م. خطاب الدعوى (الشكوى) مكتوب بخط بديع وبدون أخطاء إملائية تقريباً، وهو ما يبدو أن أحد الموظفين و/ أو المدرسين من أهل سكاكا أو من خارجها(؟) هو من خطه بيده.

النص كما استلمت نسخة منه يبدو فيه بعض التقطع وخاصة في بعض الفقرات الأخيرة منه ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى وجود مسودات لفقرات كان يراد إضافتها وإدخالها في فترات صياغة النص. سنشير إليه في التوثيق وفي المتن بـ: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)؟: ص ١ ـ ٥ دعوانا ضد السديري). في المراجع سيظهر كاملاً على النحو التالي: «مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)(؟)، دعوانا ضد عبد الرحمن السديري..» في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢.

ما يلي هو نص الشكوى، علماً أن الأقواس المزدوجة وما فيها من محتوى هي من الباحث لتوضيح المقصود من الكلمة و/ أو العبارة، وكذلك تم طباعة بعض العبارات المشطوبة ووضعت بين إشارتي اقتباس (« ») وتم التنويه عنها بين قوسين مزدوجين. **نص الشكوى**: «نقرر نحن الموقعين ادناه كل من عبد الرحمن العطاء الشائع وشفق المرزوق وأحمد القائد وعواد الراشد وفياض المسعر بان دعوانا ضد عبد الرحمن السديري تتلخص فيما يلي:

١ ـ أولاً: ان عبد الرحمن السديري المذكور يمثل في منطقة الجوف جلالة الملك المعظم نظرا لبعد هذه المنطقة عن عاصمة المملكة ولذلك فهو ملزم باتباع مواد النظام وتنفيذها على الكبير والصغير والقوى والضعيف على السوى ويجعل عموم الأهالي بالحق سويا ولكنه ابتعد كل البعد عن هذا الواجب المحتوم عليه امام الله وتجاه مليكه وجعل من بين الأهالي حبيب وبغيض وقوى وضعيف وصار يساعد القوى ولا ينفذ عليه النظام فيما اذا لزم الأمر لذلك واذا حصلت دعوى على اى انسان ضعيف أو بغيض له اودعه السجن وامر بتنفيذ النظام عليه واصبح النظام عوينا له على من لا يحبهم واستعمله حجة له عندما يرفع أحد ما ضده علماً بانه عين رئيس البلدية من أخوياه.

٢ ـ انه عندما تصدر الاحكام الشرعية يعرقلها حسب رغبته واهدافه الشخصية فاذا كانت لمصلحة شخص يحبه أو من الجماعه الاقويا صفح عنه وعرقل التنفيذ وصارت الاوراق دائره بين الدوائر مدة طويله حتى يترك المدعي دعواه نظرا لطول الوقت ولما يلحقه من التعب والاهانه واذا كان المحكوم عليه من طبقة الفقراء أو شخص يكرهه شخصيا أمر بتنفيذ الحكم عليه حالاً أو توديع المحكوم عليه السجن حتى ينفذ وكان الواجب عليه تجاه الله ثم تجاه حكومته والأهالي معاً ان تنفذ الاحكام الشرعية جميعها

على عموم الأهالي البغيض منهم والحبيب والقوى والضعيف ولكن للاسف الشديد كانه لا يعرف هذه الأمور كلها ويتجاهلها باستمرار.

٣ ـ عندما رئيا ((رأينا)) هذا الوضع السيء ((السيء)) وغيره من الاشياء اللازمه أصبح من الواجب علينا مراجعة مليكنا والجهات المختصة عن ذلك وفعلا « رفعنا عدة شكاوى» ((عبارة مشطوبة)) استمرينا بالمراجعة فتعرض لنا المذكور وجعلنا بمثابة الاعداء وصار ضدنا لدى الملك والمراجع العليا وكلما وردت معاملة تختص بنا علق عليها ولقبنا بالقاب الاحتقار والمشاغبه وهو يقصد من وراء ذلك تشويه سمعتنا وسمعة بلادنا لدى الملك والمراجع العليا حتى لا يصدق كل من اشتكاه من أهالي الجوف وفي أثناء ذلك اضطرينا لرفع برقية إلى جلالة الملك المعظم بلهجة شديدة والمقصود من رفعها هو ان جلالة الملك يتفضل علينا باحضارنا لديه وسؤالنا عن دعوانا ولكن جلالته ابرق إلى الأمير المذكور بأن يحضرنا ويأخذ علينا تعهد بعدم الرفع بمثل تلك اللهجة الشديدة وقال جلالته انه عفى وصفح عنا لتلك المرة. وبالفعل أُحضرنا بواسطة وكيل مدير شرطة الجوف الرئيس سعيد بن صالح الازرقي وطلب منا تعهد بعدم الابراق والرفع إلى جلالة الملك المعظم مطلقا فامتنعنا عن ذلك التعهد. فامر الأمير المذكور بسجننا على اثر تلك البرقيه التي عفى وصفح عنها ابوا الجميع مولانا الملك. وعندما ادخلنا بالسجن طلبت منا الشرطة كتابة تعهد بعدم مراجعة الملك فرفضنا ورغبنا السجن على ذلك. وفي اليوم الثاني من سجننا ابرقنا لجلالته عن حالتنا وعن الوضع الذى حصل معنا وبعد أن احتدينا ((الحاح متواصل)) بالمراجعة إلى جلالة الملك اخبرتنا الشرطه بأن التعهد المطلوب هو عدم الرفع باللهجه الشديدة ويتضح من هذا كله ان الشرطة والأمير لم يطلعونا على ما جاء ببرقية الملك المعظم الا بعد دخولنا بالسجن وهذا بقصد الاحتيال على سجننا بهذه الطريقه فمكثنا بالسجن ثمانية وثلاثون يوماً دون حكم شرعي أو امر ملكي و((بدون)) ارتكاب اى جريمه وهذا مما يدل على اهدافه الباطله ضدنا وضد ما ادعينا به من حقوق/ / ١١». ـ ـ ـ ((و لم نخرج من السجن)) ـ ـ ـ «**حتى أمر الملك بإطلاقنا من ((أل)) سجن في برقية. وبعد أن ظهرنا من السجن ذهبنا إلى الرياض وتقدمنا لجلالة الملك المعظم بمعرض ((بمعروض)) وبرفقه صور شكاوينا السابقه وطلبنا إحضار المذكور لدى سماحتكم والقصد من ذلك إظهار الحق بصورة واضحة**» ((هذه الفقرة بين إشارتي الاقتباس، والتي تحتها خط كانت فقرة وردت في صفحة منفصلة عن ثلاث صفحات متسلسلة من النص، ولكن كانت مقرونة برقم ١١ وكان هذا الرقم ١١ أيضاً موضوعاً على نهاية المقطع السابق مباشرة كما هو واضح أعلاه، ولذلك تم وضع هذه الفقرة هنا باعتبارها فقرة متسقة مع المقطع السابق عليها مباشرة ومطلوب إضافتها علية بعد أو عند الرقم ١١)).

٤ ـ إن مطالباتنا ومرافعاتنا ضد عبد الرحمن المذكور لا نقصد «منها» منفعة لأحدنا ولا حسداً له ولا بغضاً له ولا نريد من مرتبه شيئاً ولكنا نريد العدل والحق والانصاف بين أفراد الأهالي كما هو جاريا في انحا((ء)) مملكتنا العزيز((ة)) وكاصدار((ات)) وارشادات جلالة الملك المعظم التي تقضي باتباع الانظمة الحكومية وتنفيذ الاحكام الشرعيه على اى انسان كان كبرت أو صغرت شخصيته. لذلك نطلب من فضيلتكم النظر في دعوانا هذه ودعاوى تلك الفقراء الذين حرموا من العدل في منطقة الجوف والذين ليس لهم عونا بعد الله سوى جلالة الملك المعظم والشريعة السمحاء، ونقل هذا الأمير من منطقة الجوف

يخلفه رجلا صالحا للديرة واهلها حيث المذكور اسس التفرقه والبغضاء بين الأهالي والنظر بحق سجننا بغير دليل شرعي لانه سجننا بقصد اهانتنا امام الأهالي وتعجيز لنا عن المطالبة بحقوقنا وحقوق بلدتنا وهذا نسأل الله أن يحق الحق ويبطل ضده والسلام»: (مطاوعة الجوف، ٧٧ ـ ١٣٨٩هـ؟: ١ ـ ٥، دعوانا ضد السديري).

(٥) أحمد قضيب القايد الراشد ورواية موجزة عن قصة المطاوعة وشكوى أهل الجوف ١٣٧٧هـ: في رواية موجزة ومقتضبة يؤكد أحمد قضيب الراشد، في لقاء ونقاش معه في ١٢ ـ ٧ ـ ٢٠٠٢م، على ما ورد في ما تقدم، وأورده عبد الرحمن الشايع، من قصة المطاوعة وتفاعلات قضيتهم، علماً أن أحمد قضيب الراشد هو واحد من المطاوعة الذين تصدروا، المطالب الجماعية لأهل الجوف وشكواهم الجماعية عام ١٣٧٧هـ. عن تلك الواقعة وبعض منها نورد تالياً مضمون أقوال أحمد قضيب الراشد، حيث أكد قيام أهل الجوف بالشكوى الجماعية لدى الملك سعود فذكر: بدورهم ودور أهالي الجوف وبعض قياداتهم، ومنهم: أحمد القضيب، عواد الراشد، وفياض المسعر، وعبد الرحمن الشايع، وشفق المرزوق، وآخرين ومطالبهم إصلاح ما يتعرض له الجوف وأهلها من ظلم على يد عبد الرحمن السديري، وأنهم للغاية ذاتها عملوا على الحصول على تفاويض وتوكيلات شرعية (توقيعات واختام جماعية) من أهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل) ومن كافة الجماعات والاحياء للقيام بالمهمة. ويواصل أحمد القضيب الراشد، بعض من أطراف تفاعلات القصة فيذكر: أن عبد الرحمن السديري عندما علم بتلك الشكوى للملك سعود قام بسجن ما عرف «بالمطاوعة»، ولكنهم استطاعوا ارسال برقية عن طريق عرعر إلى ابن جلوي ((يبدو يقصد أمير حائل آنذاك وهو عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود «فترة حكمه: ١٣٤٠ ـ ١٣٩٠هـ»)) وطلبوا منه توصيل مظالمهم ومطالبهم للملك سعود، والذي طلب أخراجهم من السجن، وقبول حضورهم إلى الرياض للأطلاع على شكواهم. وقد شكلت لجنة لمقابلتهم والتعرف على مطالبهم، وكان من بين أعضاءها، «أبن جبير»، ولكن، وبكلام أبي مشعل «أحمد قضيب الراشد» ذكر «اننا رفضنا الإدلاء بأية معلومات إلا أمام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش (I)، الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ٤ من ٤).

(٦) خطاب المطاوعة للأمير محمد بن عبد العزيز للتوسط عند الملك و/ أو ولي العهد لإعادتهم إلى أعمالهم وصرف رواتبهم (١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ): في ما يلي نص خطاب المطاوعة للأمير محمد بن عبد العزيز للتوسط عند الملك و/ أو ولي العهد لإعادتهم إلى أعمالهم وصرف رواتبهم (١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ) الموقوفة لعدة سنوات على خلفية شكواهم ومطالبهم التنموية في ١٣٧٧هـ، علماً أن ما هو بين الأقواس المزدوجة من الباحث للتوضيح القصد من العبارة و/ أو الكلمة، بما يعني أنه إذا ما تم حذف الأقواس المزدوجة وما احتوت، فالباقي هو مطابق للنص الأصلي لمسودة الخطاب كما اطلعت عليها في مساء: ١ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م واستلمت نسخة منها في: عصر اليوم التالي: ٢ ـ ٩ ـ ٢٠٠٢م، من الأخ خالد عبد الرحمن الشايع ضمن مجموعة من الأوراق المتعلقة بقصة المطاوعة والشكوى الجماعية لأهل الجوف. سنشير إليه في التوثيق وفي المتن بـ: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥ه: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد). في المراجع سيظهر كاملاً على النحو التالي: مطاوعة الجوف

(٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، (١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ)، «صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز...»، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢.

نص الخطاب

«بسم الله الرحمن الرحيم صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز ـ ـ المعظم ـ ـ بعد التحية والأجلال ـ ـ نعرض لسموكم الكريم انه شاء القدر وصدر أمر سامي عام ٧٩ ((١٣٧٩هـ)) بنقلنا من بلدنا الجوف إلى بلد آخر لم يكن لنا فيها أهل ولا ممتلكات((،)) كذلك كان بدون جرم أقترفناه أو ذنب جنيناه الله أم الأ ((ما عدا)) عدم رضاء شخص هو قاضي الجوف السابق عبد العزيز ابن خلف ومن ساعده على ماء اراد ((ما أراد)) من المسؤلين بالجوف: فقد كتبوا ما لم يحدث منا إلى الحق أو الحقيقه بصله بأننا مشاغبين وطلبو ((ا)) من المقام السامي نقلنا عن بلدنا الذي يظم اطفالنا وعوائلنا وأملاكنا التي لا يرعاها أحد سوى بعد الله ((،)) وعلى أثر ذلك صدر الأمر السامي بنقلنا من بلدنا بناء على هذه الكتابات الجائره في حقنا ((.)) وحيث إنه لم يسبق أخذ لنا تحقيق عما نسب الينا من قاضي الجوف ولم تجرى معنا محاكمه وبعد أن بلغنا أمر النقل من القاضي المذكور سافرنا إلى مرجعنا أن ذلك ((آنذاك)) سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وعرضنا عليه حقيقة الأمر وشرحنا له ضروفنا فأمر ببقائنا بالجوف بخطابه الموجه إلى قاضي الجوف برقم ١٠٢٤ في ١٩/ ٨/ ٨١ ((١٣٨١هـ)) وعدنا إلى مقر عملنا بالجوف وصرفت رواتبنا بموجب برقية سماحة رئيس القضاة رقم ٦/٨١٦ في ٢٧/ ١١/ ٨١ ((١٣٨١هـ)) حتى أرتباط شئون المساجد بوزارة الحج ((؛)) عند ذاك أصدرت الوزارة أمرها بأيقاف رواتبنا على أساس الأمر السابق ((،)) ومن ذلك الحين ونحن على رئيس ((رؤُس)) أعمالنا ورواتبنا موقوفه ونحن نطالب بألحاح لدى الجهات المسؤلة ((،)) ولكن إلى هذا الوقت ولسوؤ الحظ لم نحظى بلفته صادقه إلى قضيتنا العادلة ((.)) وبعد أن طال علينا الوقت راجعنا سمو ولي العهد المعظم بتاريخ ٩/ ٧/ ٨٥ ((١٣٨٥هـ)) بمعروض وضحنا فيه قضيتنا ورجونا سموه النظره العادلة في موضوعنا ((،)) وقد أمر بأحالة المعروض إلى وزارة الحج ((.)) وعند مراجعتنا الوزاره المذكوره أخبرتنا بأنها أعادة ((أعادت)) الموضوع إلى سمو ولي العهد بحجة أنهم لا يستطيعون عمل شيء الأ بصدور أمر سامي بأعادتنا وصرف رواتبنا ((،)) والوزاره نفسها تعترف وتعرف أننا لازلنا على رؤس أعمالنا ولا هناك علينا ذنبا امام الوزاره ((،)) ولكن تعتذر بأنها بحاجة إلى أمر سامي من جلالة الملك المعظم أو من سمو ولي العهد يقضي بأعادتنا وصرف رواتبنا: وحيث إننا لم يسبق أن حدث منا ما يوجب ما حصل بنا وتحملناه من خسائر ماديه ومعنويه وتعب مضى لمدة اربع سنوات في سبيل البحث عن الحقيقه واعطائنا حقنا كاملا ((.)) لذا فأننا نلجاء إلى الله ثم إلى سموكم راجين التوسط لدى جلالة الملك المعظم أو سمو ولي العهد الأمير خالد ابن عبد العزيز بأعادتنا إلى اعملنا ((أعمالنا)) التي لازلنا قائمين بها وصرف رواتبنا المستحقة لنا والتي هي مصدر رزق عوائلنا وأطفالنا ((،)) ولنا في سموكم كبير الأمل ووافر الثقه في مساعدتنا ولاشك أنكم أهلاً لكل خير وفقكم الله وكلل اعمالكم بالنجاح وجزاكم الله عنى ((عنا)) احسن الجزاء ((،)) دمتم لنا ذخراً وعوناً والسلام ١٣/ ٨/ ١٣٨٥ ـــ المطاوعة بالجوف ـــ عبدارحمن

الشايع عواد الراشد فياض المسعر أحمد القضيب شفق المرزوق»: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

(٧) مضمون التحقيق (١١ ـ ٢٥/ ٦/ ١٣٨٩هـ) مع عبد الرحمن عطا الشايع وجزئياً مع عايض الزيد كما كتبه عبد الرحمن عطا الشايع بخط يده: نورد تالياً مضمون نص التحقيق (الاستجواب) مع عبد الرحمن عطا الشايع كما تم معه وكما دوَّنه هو نفسه، من قبل المفتش سليمان بن ثنيان والذي وصل الجوف (سكاكا) في ١١ ـ ٦ ـ ١٣٨٩هـ. وهناك إشارة من عبد الرحمن الشايع في أعلى صفحات أصل ما كتبه من مسودة مضمون التحقيق على أن التحقيق تم على ما يبدو في الفترة من ١١ ـ ٦ ـ ١٣٨٩هـ وحتى ٢٥ ـ ٦ ـ ١٣٨٩هـ. ويبدو من خلال تلك الإشارة في أعلى صفحات المسودة لمضمون التحقيق، أن عبد الرحمن عطا الشايع كتب ودوَّن مسودة مضمون التحقيق (الأسئلة والاجوبة) في فترة أيام التحقيق نفسها (أي ما بين ١١/ ٦ وحتى ٢٥/ ٦ من عام ١٣٨٩هـ).

المحقق (المفتش) سليمان بن ثنيان هو على ما يبدو مندوب من وزارة الداخلية للتحقيق معه بناء على أمر ملكي بتأثير ربما من أمير منطقة الجوف آنذاك عبد الرحمن السديري وشكوى من/ أو ضد قاضي الجوف آنذاك محمد بن خلف أو متصلة به، وعلى خلفية خطابات عبد الرحمن الشايع للملك سعود، وربما خطابات آخرين مثل عايض الزيد المتصلة بشكوى المطاوعة بالجوف، علماً أن عبد الرحمن عطا الشايع وقت التحقيق كان مسجوناً مع رفاقه المطاوعة الآخرين منذ ٢٧ ـ ٢ ـ ١٣٨٩هـ.

وننبه إلى أن مسودة مضمون التحقيق (الأسئلة والأجوبة) هي كما كتبها عبد الرحمن عطا الشايع بخط يده، وأعاد الباحث طباعتها على الكمبيوتر، علماً أنه سوف يشار إلى المصدر عند التوثيق في المتن بـ (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ١ ـ ٣١ من التحقيق)، وفي المراجع للدراسة/ الكتاب يظهر على النحو التالي (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ، التحقيق، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢).

مضمون التحقيق مع عبد الرحمن عطا الشايع

«**المحقق:**

س ـ: ما هو سبب شكوكم ((شكواكم)) الشيخ محمد بن خلف((؟)).

عبد الرحمن الشايع:

ج ـ السباب عده ((الأسباب متعددة)) وهي كما يلي (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١ ـ ٢ من ٣١، التحقيق):

١ ـ القاضي ما كان يصدر صكوك بالقضياء ((القضايا))((،)) ونما ((إنما)) يصدر مذكرات كارئيس ((كرئيس)) دائرة أخرا غير لمحكمة ((أخرى غير المحكمة)) من الدوائر ((ا))لأخرى((،)) وهذا اشي ((الشيء)) ما يكفي في هذا الوقت((،)) لأن حكومتنا ارشيدة ((الرشيدة)) كونت محاكم كاملة وكملتها من جميع متطلباتها من موظفين وغيرهم لأجل راحة شعبها وضمن ((ضمان)) حقوقهم.

٢ ـ القاضي ما ينهي الدعاوي في حينها((؛)) تبقاء لقضيا ((تبقى القضايا)) معلقه بالمحكمة من سنه إلى ((إلى)) سنتين فأكثر((،)) حتى ان فيه بعض القضاياء ((القضايا)) معلقه من تاريخ وصول القاضي المذكور((،)) حتى وصول لهئية الذي ((الهيئة التي)) قبيل موسم الحج.

٣ ـ جميع أنسان ما يرغبه هو أولد ((أو ولد)) أخيه يتحداه بالأشيء ((بالأشياء)) العائدة له و((ا)) لذي هي من أعمال القاضي((،)) مثل تصديق أوراق أو نقل السناد لشرعية ((السندات والصكوك الشرعية)) تالفه بغيرها((،)) وما ألاذلك ((وما إلى ذلك)).

٤ ـ ما عنده قيام بالأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولا كائنه ((ولا كأنه)) قاضي ((،)) ومن اختصاصه ((علماً أن من أختصاصه)) القيام تجاه هذا الدين ((أ))لإسلامي».

«**س** ـ ما هو سبب اقيامكم بشكوا ((قيامكم بشكوى)) ضد القاضي((،)) وهل لكم دعاوى لدى ((ا))لمحكمة معطلها القاضي((،)) ماذا عندك((؟)).

«**ج** ـ نعم لي ثلا((ثة)) دعاوى معلقه((،)) كما أن ((ا))لقاضي ما يصدر بدعاوى ((بالدعاوى)) صكوك((،)) بل يصدر مذكرة كمذكرة رئيس دائرة((،)) ولا كئنه ((ولا كأنه)) قاضي، ودعاوى التي عندي كما يلي (الشايع الكريّع، ١٣٨٩ه: ٣ ـ ١٠ من ٣١، التحقيق):

١ ـ عند دعو ((عندي دعوى)) في مسيل ماء تاخصمته أنا و((ا))لمدعو ((أ))براهيم السلامه عليه((،)) كما أنني تخاصمته أنا ((و)) والده ((،)) وعندي فيه أحكام ((،)) وقد حضرنا لدى القاضي ودون دعوانا في دفتر أ ((ل))ضبط ((،)) وعند لأنتها ((الانتهاء)) وبعد سماع دعونا ((دعوانا)) ((،)) أصدر ((أ))لأمر للأمارة بذكرة ((بمذكرة)) وهذه صورتها((.)) وقد طلبت من القاضي الصدر ((أصدار)) صك شرعي في هذا المسيل ورفض يقول معك صورة ((ا))لمذكرة ((،)) وقلت له هذه ما تكفي الريد ((اريد)) صك لكي أحتفظ فيه لي ولمن خلفي في هذا الملك ((،)) ورفض القاضي حتى ((أ))لأن ((.)) لذلك الطلب تلليغه ((أطلب تبليغه)) بتسليمي صك بهذا الصدد ـ ـ ـ ـ ـ ـ .

٢ ـ لقد تخاصمته أنا و((أ))لمدعو صالح ((أ))لمفضي بدعوا ((بالدعوى)) الثانية على قطعة الرض ((ارض)) في مية ((ماء)) القنيطرة لأن لأنا ((لنا)) الرض ((الارض)) نرعاها من تاريخ حكم ابن عقيل ((أبن عقيَل)) بالجوف ((،)) لها أكثر من ثمان و((أ))ربعون عام ـ ـ ـ ((رغم أن عبد الرحمن الشايع في روايته وما كتبه عن أصل قصة المطاوعة كتب مشيرا إلى أن حكم ابن عقيَل استمر ما بين رمضان ١٣٤٣هـ وحتى ذي الحجة من عام ١٣٤٥هـ، إلا أنه هنا، وفي أعلى الصفحة رقم ٤ من مسودة مضمون التحقيق كتب العبارة التالية: « حكم بن عقيل عندنا في عام ١٣٤٤هـ « ـ الباحث)) ـ ـ ـ وقد تداعيت أنا وصالح عنده وسجل دعونا ((دعوانا)) في دفتر الضبط أن ((أ))لأرض أرضي((،)) و((أ)) عطاني فيها ورقة لحينة ((لحين)) البعول((،)) وطلبت من ((أ))لقاضي محمد بن خلف صك بدعوا ((بالدعوى)) ورفض مدعي أن ((أ))لأرض للحكومة((،)) وقلت له أنا وحلالي وعيالي للحكومة((،)) ولكن أنا أبي صك فيها على أنني أحق فيها وقت البعل بناءً على خدمتي للأرض هذه ((أ))لأعوام((،)) وقال ما ((أ))عطيك((.)) وأنا طلبي هذا أخشى أن يتعدا عليها واحد مثل صالح المفضي.

٣ ـ لنا ملك أنا وشركاي العاصي فيه بأر ((بئر)) ومسور قبل البلدية بسور يعلو عن سطح ((أ)) لأرض متر((.)) وهذا الملك قديم وعندنا فيه السناد ((اسناد أو سندات)) شرعية في قلم ((بقلم)) الشيخ فيصل المبارك((،)) وقد أوشكت على أتلف ((التلف)) هذه ((أ))لأسناد وخفت عليها وتقدمت ((ل)) لشيخ محمد بن خلف طالبا تجديد الاسناد أو أنني أتقدم له بطلب حجة الستحكام ((استحكام)) ((،)) ولكن ابن خلف رفض ((أ))عطاي حجة الستحكام ((استحكام)) ورفض تجديد السناد ((أسناد أو سندات)) ملكي وشركاي ((.)) فلي هذا ((فلهذا)) السبب أضطريت وسافرت ((ل))لرياض وتقدمت لسماحة ((أ))لشيخ محمد ابن ((أ))براهيم وشرحة ((شرحت)) له دعواي((،)) وكان في وجود الشيخ عبد اللطيف وبعض المشايخ منهم عبد الرحمن الدوسري وعبد الرحمن بن فارس وناس كثيرين من المشايخ((.)) وقد أمر سماحة الشيخ محمد بن ((أ))براهيم على الشيخ عبد اللطيف ابن ((أ))براهيم ان ينقل السنادى ((الاسناد أو السندات)) جرفا بحرف في صكوك غير مسجلة في دفتر صكوك المبايعات لديه وسلمها لي ((،)) وأليك صور هذه ((أل))صكوك((.)) وقد تقدمت في عام ٨٤هـ ((١٣٨٤هـ)) لمدير ا ((ل))بنك الزراعي بلطب ((بطلب)) قرض ماطور وحفر بأر ((بئر)) ((أ))رتوازية ((.)) وعند ((أ)) طلاع مدير البنك على صكوك لذي ((التي)) معي ((،)) قال هذي غير مسجله((،)) وتقدمت للقاضي بطلب حجة ستحكام ((أستحكام)) لكي اسلمها للبنك((،)) ورفض((.)) وفي عام ٨٨ ((١٣٨٨هـ)) في شهره تقدمت للقاضي في تجديد هذا الطلب((،)) وقد أخذ المعروض وأمر المهندس أن يذهب للأرض ويمسحها على كيسي ((حسابي)) ((،)) وقد تم هذا ومسحها المهندس بناءً على أمر من ((أ)) لمحكمه((.)) ويثبت لفضيلتكم البئر والسوار ((أسوار)) ((أ))لأرض من خسارة ((أ))لأرض((،)) اليكم صورتها ((.)) ـ ـ ـ وقد سلمت صورة فعلا فيه في مجلس ((أل))تحقيق((.)) ـ ـ ـ وعند تسليم المهندس خارطة ((أ))لأرض للمحكمة ((،)) قامة ((قامت)) المحكمة ورفقو ((أرفقت)) صورتها((،)) أي بخارطه للبديه ((للبلدية))((.)) وعند وصولها البلدية قالت هذي مسوتيالها ((مسوية لها)) مخطط وعـادو((ا)) ((أ))عتراضهم على المحكمة((،)) وعند وصول ((أ))عتراض البلدية للمحكمة طلبت من القاضي ((أ))حضار رئيس البلدية أو مندوب عنه للمداعاة كيف تم تخطيط ملكي دون الطلاعي ((اطلاعي)) وبدون حضوري((؟)) وكيف تخطط الرضي((أرضي)) وأسوارها قائمة مع جميع الجهات وبدون أن تسألني((،)) فكيف يتم هذا((؟)) علماً أن تسويرها قبل البلدية وبأرها ((بئرها)) فيها((،)) كما أن البلدية لم يسبق لها أي معارضة((؛)) هذا كلامي مع بن خلف((،)) قال لاحضر ((إذا حضر)) رئس ((رئيس)) البلدية و((أ)) نت وياه فأدخل بينكم((.)) فابعد ((فبعد)) هذا رحة ((رحت)) للأمير وتقدمت له في معروض ((ـ)) هذه صورته قد جرا ((أ))لأطلاع عليها من قبل المحقق ((ـ)) فقال ((أ))لأمير هذا شيء أقدم عليه رئس ((رئيس)) البلدية ورفع مخططه ولا أدخل فيه الا أذا ((إلا إذا)) جانا سؤال((.)) وعلى هذا الأساس اضطريت أن ((أ))برق لجلالة الملك البرقيه هذه ((ـ)) أرجوك تطلع عليها ((،)) فجرا ((أ))لأطلاع عليها((.)) فعلا ((فعلى)) أساس هذاه ((هذه)) البرقيه صدر أمر وزير الداخلية لشؤن البلديات بتشكيل الجنة ((اللجنة)) من ((أ))لأماره و((أ))لبلديه و((أ))ثنين من ((أ))هل الخبره ومن ((أ))لمحكمه على أذا ((إذا)) كان عبد الرحمن لديه السناد ((اسناد أو سندات)) قديمه كما يدعي يسلم ملكه((،)) وأذا ((إذا)) ما لديه السناد ((اسناد أو سندات)) شرعيه قديمه بالملك وثبت لكم أن تسوير

عبد الرحمن للأرض قبل أعتراض البلديه فهو كذلك يسلم ملكه((،)) وأذا كان ما لدى عبد الرحمن لسناد ((اسناد أو سندات)) شرعيه وتسويره ((أ))لأرض بعد ((أ))عتراض البلديه فهو يفرغ ((أو يغرم؟ الكلمة غير واضحة)) ويشال جميع أحداثه من ((أ))لأرض ولا يلفت انظر ((النظر)) لدعاه ((لادعائه أو لدعواه))((.)) وعند وصول ((أ))لأمر الوارد من وزارة الداخليه للقاضي بن خلف رفض ((أ))لأشتراك مع ((أل))لحنه ورفض الرسال ((أرسال)) مندوب لحضورها((،)) وكان ((أ))لأمير غير موجود((.)) وعند مراجعتي الوكيل قال القاضي رفض حضور دعواك و((أ))لأشتراك فيها وغير تتئجل ((تتأجل)) لحضور ((أ))لأمير((،)) وأخرني وأخر دعواي((.)) وعند حضور ((أ))لأمير كذلك رفض((،)) وقام ((أ))لأمير بتشكيل لجنه هم ((:)) رئس لبلدية ((رئيس البلدية)) ومديرالشرطه ومندوب من ((أ))لأماره ومندوب من ((أل))زراعة((،)) وحضرو((ا)) بالأرض وشاهدوها وشاهدو((ا)) السوارها ((اسوارها)) و((ا))لبئر الذي فيها((.)) وبعد حضورهم طلبو((ا)) مني صور أ((لـ))صكوك و((أ))لمخطط((،)) وعندما أخذتها لجل ((لأجل)) السلمها ((اسلمها)) للجنه في قصر ((أ))لأماره حصل السجن وأخذوني من القصر ودخلوني السجن ((،)) و((أ))لمعامله عند ((أ))لأماره ((ـ)) أرجوك ((أ))لأطلاع عليها ((،)) لأن رفض القاضي مرفق فيها ((؛)) فهذ افعل ((فهذه أفعال)) القاضي بي ((،)) فكيف في غير ((ي)) و((أ))نا ((أ))عرف أن هذا قليل من كثير».

«**س** ـ هل لديك دعاوى خلاف ما ذكرت انفاً ((آنفاً)) تدعي فيه غير ما دونته»((؟)).

«**ج** ـ نعم ((،)) أما الحقوق الخاصة فقد نتهت ((أنتهت)) ولا عندي شيء((،)) ولم يبقى عندي شيء من الحقوق خلاف ما ذكرة ((ذكرت)). (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٠ من ٣١، التحقيق).

«**س** ـ ذكرتو((ا)) في شكواكم للمفتي أن القاضي شبك ((أ))لأهالي((،)) ما هو هذا ((ألـ)) شبك((،)) ومنهم ((أ))لأهالي الذي شبك بينهم»((؟)).

«**ج** ـ أما شبك بين ((أ))لأهالي ((ف))هو عدم تخليصهم قضاياهم في حينها((،)) لأن ((أ)) لمعامله تبقى أكثر من سنتين((،)) وعلى هذا ((أ))لأساس يحصل مشاكل((،)) كما ان فيه دعاوي من تاريخ وصو((ل)) بن خلف المحكمه((.)) أما لهالي ((الأهالي)) الذي شبك بينهم مثل القبيسي و((أل)) زيد وهداج ومتعب((،)) لأن حصل بينهم مضاربات على أثر دعاويهم((،)) فأذا يكفي هذا و((إ))لا هناك خلافه ((ـ قال المحقق)) يكفي» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١١ من ٣١، التحقيق).

«**س** ـ ذكرتو ((ا)) في شكوكم ((شكواكم)) للمفتي أن القاضي يتحدى لهالي ((الأهالي))((؛)) هل تحداك القاضي أو تحد((ى)) أحد خلافك في ((أ))عماله المطلوبه منه»((؟)).

«**ج** ـ نعم تحداني انا حيث رفض نقل السنادى ((ألأسناد أو السندات))((،)) وعدم الرساله ((أرساله)) لمندوب أو عدم الشتراكه ((أشتراكه)) في دعواى ((دعواي)) هذا هو اتحدى نفسه و((أ)) تحدى أحمد القضيب عندما عينه بن ((أ))براهيم وهو يرفض((،)) وكذلك عواد الراشد طلبو((ا)) ((أ)) هل مسجد السوق يكون لهم أمام جمعه وجماعه((،)) وعندما أطلع أنه عواد رفض على أثر مطالبتنا مع

أخوه((،)) فاأذا ((فإذا)) يكفي و((إ))لا عندي غيرها ((ـ)) قال المحقق يكفي» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٢ من ٣١، التحقيق).

«**س ـ** ذكرتو((ا)) في شكوكم ((شكواكم)) أن ((أ))لقاضي عزل ((عُزل)) من قريت ((قرية)) تيماء ((،)) مالذي الدراكم ((أدراكم)) أنه عزل((،)) وهل هو عزل أو نقل((،)) وما هو الدليل على هذا»((؟))

«**ج ـ** نفيدك أنه كان في عام ٨٢ ((١٣٨٢هـ)) بينا وبين أخيه عبد العزيز دعوا ((دعوى)) وكنا برأسته أن ذك ((آنذاك)) وكنت أنا جالس في مكتب عبد الله العثمان ((و))أذا دخل علينا رجل يدعى بن مقبل من أهل تيماء فسأله حدى ((أحد)) الحاضرين((:)) وش حصل في دعوكم ((دعواكم)) قال نبشركم نها نتهت ((أنها أنتهت)) ((ف))قد صدر ((أ))لأمر بعزل ((أ))لأمير و((أ))لقاضي ورئس لهئه ((ورئيس الهيئة))((،)) فكان ((لـ))لأمر الذي صدر بحق ابن خلف صوره منه رئسة لقضاه ((لرئاسة القضاة)) و((أ))لأصل لوزير الداخليه((،)) وفطلبت من الرجل رقم ((أ))لأمر((،)) لأن القاضي فيه بينا وبين لأخيه ((أخيه)) خصومه وهذا هو الذى جعلنا نحرص على ((أ))لأمر ونحتفظ فيه((.)) وأما هو((ف)) قد عُزل عزل لأنه تعطل مده ماهو بالقضأ((بالقضاء))((،)) ولو كان ((أ))نه نقل((،)) كان نقل لنا من تيمأ ((تيماء)) وأليكم رقم ((أ))لأمر ((أ))لذى تم بموجبه عزل المذكور» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٣ من ٣١، التحقيق).

«**س ـ** ذكرتو ((ا)) في معروضكم أنه لا يأمر بالمعروف ولا ينها عن منك ((لا لأيامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر)) و((أ))نه مثل عامة الناس»((؟)).

«**ج ـ** نعم انه كان يظهر من بيته ومن ((أ))لمحكمه أوقات الصلاة و((أ))لمتاجر مفتحه ولا يامرهم ولا ينهاهم((،)) ما كانه ((كأنه)) قاضي((،)) علماً أنني راجعته أنا و((أ))لأخوان أكثر من ثلاث مرات بخصوص العب ((اللعب)) عند العروس وخاصة العود ورفض يقول هذا الأمير ورءس لهئيه ((ورفض قائلاً هذا من اختصاص الأمير ورئيس الهيئة))((.)) ومن ضمن هذه المراجعات راجعته انا و((ال))شيخ حمد ابن عبد الله الراشد((؟)) وقلنا له هذا زمان مراهقه وأذا ما تساعدو ((أ))لأهالي و((أ))لمسئولين حقاً يحصل بالمجتمع مفسدة وقال كل يربي ولده ما عندي سنع((،)) فذهبنا أنا ولبرشيد ((والراشد؟)) الذى هو حمد إلى رئس لهئيه ((رئيس الهيئة)) و((أ))تفقنا على ان نجمع ((أ))لأخوان ونروح للأمير لأنه يتساعد مع ((أ))هل الدين كثر ((أكثر)) من القاضي((،)) فجتمعنا ((فاجتمعنا)) ورحنا ((أ))لأمير ولا قصر((؛)) أصدر ((أ))لأمير على مدير الشرطه بمنع العود((،)) و((أ))لعروس ما يسمح لهم ألا ((إلأ)) أول ليله بدق الطبل وقد تم هذا حتى سافر ((أ))لأمير لألمانيا وعاد كما كان وراجعنا الشيخ و((أ))عتذر كما ((أ))عتذر سابقاً((.)) وأما هو كنه ((كأنه)) فرد عادي ليس مسئول عن شي((،)) فأذا هذا يكفي هذا والا هناك السيا ((اشياء)) كثيره((ـ)) يكفي» ((رد المحقق)) (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٣ ـ ١٤ من ٣١، التحقيق).

«**س ـ** ذكرتو((ا)) في شكواكم أنه ضعيف بالقضا مهو ((ما هو)) دليلك أن بذات ((بالذات)) على ضعف القاضي»((؟)).

«ج ـ نعم هناك اشي ((أشياء)) تدل على ضعفه ولاأنا ((و إلا أنا)) لم اتصفح احكامه وهي يلي (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٥ ـ ١٦ من ٣١، التحقيق) ((:))

١ ـ شبكه للقضيا ((للقضايا)) وعدم تخليصه لها في حينها هذا دليل على ضعيف((.))

٢ ـ جميع دعوا ((دعوى)) فيها حصر وراثه باقيه بالمحكمة من تاريخ وصوله و((أ))لذى هو خلصها يامر ((يأمر)) حكمه على أهل الورثه((؛)) مثل دعوا ((دعوى)) عبد الله الربيع وخيه ((أخيه)) ما خلصها الا بموجب أمر ملك لأن فيها حصر وراثه((.)) وسمعت أنه غير أخذ القضيه يم أخوه عبد العزيز وخلصها معه وبعد وصوله من أخيه أصدر الحكم((،)) وقضية الضبعان و((أ))لبحيران((.)) وقضية الغدير ((الغديَر)) فيها حصر وراثه((،)) و((أ))لغدير أكثر من سبعون رجل صدر ((أ))لحكم دون أن يحصر الورثه وعندما صدر ا((ل))صك طلب خصيم الغدير رفع الصك ((أ))لمجلس اتميز ((التمييز)) وقد تم رفعه وعند ((أ))طلاع مجلس اتميز ((التمييز)) على ا((ل))صك بوزه ((ألغاه)) وقال أن الصك ملغي لأن الغدير ما يعرفون و((أ))لأرض تعتبر حكوميه هذي هي الدلائل على أنه ضعيف ولا يحسن ا((ل))تصرف بالمعاملاة ((المعاملات)) و((أ))لحقوق((،)) فأذا يكفي ولا أسئل ((اسأل))((؛)) يكفي ((رد المحقق)).

«س ـ يدعي عايض أن ((أ))لورقه ((أ))لمقدمه للمفتي كتبك ((كتابتك)) مذا ((ماذا)) تقول»((؟))

«ج ـ نعم اتفقت أنا وعايض قبل كم يوم من كتب ((كتابة)) المعروض على أن نرفع بشيخ ((بالشيخ/ القاضي)) حسب ما شاهدنا منه وقد وعدني عايض أنه يجيني على الساس ((أساس)) نقوم في كتب مانورا بشيخ ((نكتب ما يتراءى لنا بالشيخ)) وعندما كنت بعد المغرب جاني عايض((.)) وبعد ان جلس أظهر ورقه مكتوبه فيها أسماء الجماعه مدعي عايض على ان هأولأ ((هؤلاء)) لهم دعاوى بالمحكمه((،)) وعندما قرئت ((قرأت)) الورقه ما عجبتني لأن فيها كلام ما هو محله((،)) ((ف))قلت لعايض أحسن نغيرها ونسقط بعض الكلام((.)) وافق عايض وكان عايض يمليني الورقه بعد أن سقطانا ((اسقطنا)) بعض الجمل((.)) وعند ((أ))نتها الكتب صار يمليني((أ))لأسماء فقلت مافيه داعي لكتب ((أ))لأسماء((،)) كل واحد يحط ((أ))سمه يكتب عليه((.)) قال عايض أنا ماني ماشي فيها الرسلها ((أرسلها)) مع عوض((،)) وعوض تعرف ((أ))نه ما يقرأ ولا يكتب((،)) خل كل واحد مكتوب أسمه يروح له عوض ويحط أسمه فيها تحت أسمه((.)) وقد أملاني الكتب ((الكتابه)) و((أ))لأسماء((.)) وبعد ((أ))لأنتها منها وقعتها بسمي وسم ((بأسمي وأسم)) عيالنا ولوالد ولحاضرين ((وألوالد والحاضرين))((،)) وعند ((أ))نتها سلمتها عايض وهذاك آخر علمي فيها((،)) كما أن تم رفعها من قبل عايض فهو المسؤل عن أي تفريط أو خطء ((خطأ)) يحصل بالورقه» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٧ ـ ١٨ من ٣١، التحقيق).

س ـ يدعي عايض أن الورقه الذى قدمت لجلالة الملك((،)) أي تعقيب الذي يدعيه عايض و((أ)) لذى فيها أسماء ((أ))لجماعه الذى بورقه ((التي بورقة)) المفتي وفيه زيادة ربعه بحشر السم ((أسماء)) لم يكون لهم السماء ((أسماء)) في شكواكم((،)) ((أ))نك أنت إلى جبتها له مكتوبه ما تقول»((؟))

«ج ـ اقول أن جميع مدعا ((ما ادعاه)) عايض غير صحيح ولا كتبتها ولا جبتها لعايض((،)) ولو فرضنا أنني جبتها لعايض مكتوبه و((أ))لأسماء مكتوبه فيها ما هو من حق عايض رفعها للجهات ((أ)) لعلياء دون أن يوقعها من أصحاب ((أ))لأسماء الذى ((التي)) فيها ((.)) كما ان عايض يدعي فيها تعقيب ((،)) و((أل))تعقيب ما يكون للملك ولأولا ((ألأولى)) للمفتي ((؛)) لو انا كتبتها كان وجهتها للمفتي ((.)) كما ان عايض زاد بالأخيره اربعة عشر شخص ما هم باشكوا ((بالشكوى)) الذى ((التي)) قدمت للمفتي((،)) علماً ((ا))ن صورة ((أ))لأول عنده ((ا))لذي رفعه للمفتي وظهرها ((ابرزها)) عند وصول لهئية ((الهيئة)) ((أ))لأول((.)) فالذى يتحمل ((أ))لمسؤلية عايض((،)) لأن هو الذى قام في تقديمها للملك((،)) كما أفيدك لو كانت ((كنت)) كاتب في شارع ((ب))الرياض وجاني عايض وطلب أني اكتب له هذه الكتابه هل أكون أنا ((أ))لكاتب مسؤل أو عايض((؟)) علماً أنني الفت نضركم ((نظركم)) أن المعاملة جميعها دارة ((دارت)) بسم ((بأسم)) عايض((،)) فأذا يكفي هذا أو سئل ((أسأل)) ((ـ)) يكفي» ((رد المحقق)) (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ١٨ ـ ١٩ من ٣١، التحقيق).

«س ـ يدعي عايض أن خالد بن عبد الرحمن وعبد الله عبد الهادي انهما عيالكم((،)) نرغب ((أ)) لأفاده أينهماء ((اينهما)) وعن مقر عملهم وعن مقدار سنهماء ((عمرهما)) ومن الذي وقع عنهما((؟))

«ج ـ نعم خالد ولدى ونا لذى ((وأنا الذي)) وقعة ((وقعت)) أسمه موجب دعاوينا على القاضي وكذلك عبد الله ولدى ((ولد)) أخي وكذلك وقعت أسمه موجب دعونا ((دعوانا))((.)) وأما خالد عمره تسع ٩ سنوات وعبد الله عمره ثمان ٨ سنوات((،)) وأنا ((أ))تحمل المسؤليه الذى بحقهماء وهم عندنا ((أ))لأن((،)) ولكن انهم طلاب بالمدرسه ولا حبيت حضورهم((،)) فاذا عليهم مسؤليه فهي علي» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٢٠ من ٣١، التحقيق).

«س ـ فيه تسع أشخاص أسماء منهم تواقيع ومنهم ختوم انكروهلهن ((أنكرو ونفوا أهلهن أو أصحابهن))((،)) ترغب ((أ))لأفاه عنهن وعن من وقعهن((،)) وهل لك الطلاع فيهن ((اطلاع عليها)) أم لا((،)) وترغب فوق هذا أدا((ء)) اليمين «((؟))

«ج ـ من طرف أنا ((أ))لورقه ما بقت عندي حتى اني ارفقها و((أ))عرف هل هم وقعوها هم أو وقعت((،)) ولكن و((أ))لله انني لا علم عن هاءولأ لسماء ((لا أعلم عن هؤلاء الأسماء)) هل هم وقعوها بنفسهم ((بأنفسهم)) أو وقعت عنهم ولا حضرها ولا حضرة ((ولا حاضرها ولا حضرت)) عندهم((،)) وأن ((أ))خر علمي فيها سلمتها لعايض قبل وضع تواقيعهم فيها((،)) هذا ما عندي و((ال)) سلام» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩ه: ص ٢١ من ٣١، التحقيق).

«س ـ محاضرة ((محضر)) بين كل من عايض الزيد وعبد الرحمن الشايع((،)) أرغب أن اخذ منكم أفاده وتوقيعكم على أفادة بعض كم ((بعضكم)) و((أ))رغب كل يختم أفادته باليمنى ((أواليمين؟)) على ما يقول» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٢٢ ـ ٢٥ من ٣١، التحقيق) ((:))

أ ـ «و((أل))كلام ((أ))لأن موجه لعايض..

ج ـ أقول أنا عايض ما عندي الا ما عرفتك فيه سابقاً((؛)) أقول أن ((أ))لورقه كتبها عبد الرحمن وهذولا جماعته وعيال عمه ولأعلم ((ولا أعلم)) من وضع أسماهم ولله ولله أني ما علم ((والله والله أني ما أعلم)) عنهم و((أ))حمل مسؤليتهم عبد الرحمن لأنه وضع أسماء عياله الصغارين هناء وهذا دليل على أن الموضوع كله تبناه عبد الرحمن((.)) وعليه أوقع ـــ ـ وقع يا عبد الرحمن» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩ه: ص ٢٢ من ٣١، التحقيق).

ب ـ «((أ))لجواب لعبد الرحمن((:)) نعم أقول ان جميع مدعابه ((ما أدعى به)) عايض غير صحيح((.)) أما من طرف قول عايض انهم جماعتي و((أ))بناء عمي جميعهم فهذا غير صحيح((،)) لأن المدعو شفق من قبيلة ((آل))ضويحي من ((أ))لقرشه ويوسف العطأ من الدغيفق ((أ))لدهامشه وطلال من ((آل))دغيفق الدهامشه ((يبدو يقصد طلال نايف العويقيل؟ ـ الباحث))((.)) ومساعد وسعد عيال عمه هو نفسه لأنهم من قبيلة الراشد عتيبه((.)) وأما عبد المصلح ((أ))لحموان من ((أ))لجحيش شمر وأما متعب وصالح الخلف فهم من جماعتي ولكن مهم ((ما هم)) عيال عم ولكن و((أ))لله ما ((أ))علم من وضع السماهم ((أسماءهم)) ولا حضرة ((حضرت)) من وضعها لأن عايض أخر حد علمي بالورقه عند ((ه)) وهو الذى رفعها للمفتي وهو الذى بتحمل المسؤليه((.)) أما قول أنا وضعة ((وضعت)) اسما ((أسماء)) عيالي فيها((،)) نعم وضعتها بهم لأن لانا ((لنا)) دعاوى على الشيخ((،)) وضعتها بحضور عايض وبعد أخذ رايه ((رأيه)) على وضعها ((، ف)) وافق ان ذ ك ((آنذاك))((.)) وأنا ابرا الا الله ((وأنا ابرأ إلى الله)) اذا كان عايض وجه ((أ))لأتهام لي من شأن تزيف ((تزييف)) ((أ))لأسماء قصده يتخالا ((يتخلى)) عن المسؤليه أو أنه معاز ((موعز، أي مدفوع؟ الكلمة غير واضحة)) على هذا العمل((،)) فأنا أقول عايض هو الذى مضا ((مضى)) منه لها مثيل((،)) لأنه زيف ((زيَف)) ثلاث مرات على ناس وهي كما يلي((:)) ١ ـ زيف ((زيَف)) على ثاني ومحمد الطويل ((الطويَل)) ومفضي المشحن مرة برقية للملك بشرهة يونس المغرق ((،)) ورجو سؤلهم ((وأرجو سؤالهم)). ٢ ـ زيف ((زيَف)) على كبار المعاقلة هذه ((أ))لأيام برقية للملك وهم عطأ الشايع وسطم وحمد الحيزان وهداج((،)) رجوك سؤلهم ((وأرجو سؤالهم)). ٣ ـ زيف شهادة زور على صالح المفضي وثاني مرة ثانية.٤ ـ على باسل وعلى رجاء((،)) كذلك شهادة بعبد العزيز ((أ))لخلف((.)) هذا أذا قصده يضيف اتزيف على ((التزييف علي))((،)) فأنا يدي لك أذا حصل مني مره واحده((.)) وعند هذا لفت نضر ((ألفت نظر)) فضيلتكم على أن جميع المعامله والمعاريض بسم ((بأسم)) عايض وهو الذى قدمهن للمراجع العلياء ((العليا)) وأذا هناك شى ((شيء)) فهو المسؤل((.)) ولكن الموضوع ما هو ضد الحكومه بل هو ضد شخص فقط كتبنا فيه ((ولا))نزال نكتب فيه حتى تفكنا الحكومه منه((.)) هذا ما عندى وعليه أوقع ـــ ـ عبد الرحمن الشايع ـــ ـ وقع عايض علا ((على)) فادت ((إفادة))عبد الرحمن. شهد به مبارك بن صالح المليح الشفق ـــ ـ نتهة لمحاضرة ((انتهى المحضر)) بين عبد الرحمن وعايض الساعة ٧ ظهرا ((توقيت غروبي)) في ٢٥/ ٦/ ((١٣٨٩هـ)).» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٢٢ ـ ٢٥ من ٣١، التحقيق).

(٨) قرار المفتش (المحقق) وموافقة الملك والداخلية بالسجن للمطاوعة وتسلسل إجراءات التنفيذ وملابساتها: ويواصل عبد الرحمن الشايع قصة المطاوعة ملخصاً، ومعلقاً بعض الأحيان على، نتائج وقرارات التحقيق وأراء المحقق، علماً أن القوسين المزدوجين وما فيهما من محتوى هي من الباحث» لتوضيح القصد من الكلمة و/ أو العبارة، فيدوَن التالي: «بعد أن أنتهاء ((أنتهى)) المفتش ((أل))تحقيق وعزم السفر إلى ((إلى)) عرعر ودع قراره إلى ((إلى)) وزارة الداخلية برقم ٧٣ في ١٠/ ٧/ ١٣٨٩هـ ويحتوى هذى ((ويحتوي هذا)) القرار على الدانتنا ((إدانتنا)) من جهه وثبات دعاوينا من جهه أخرى لأنه ذكر في أقراره الدانت ((قراره إدانة)) الخمسة وتحملهم المسؤليه((؛)) ثلاث منهم يسجنون اربع شهور علاوة علا ((على)) ما مضا ((ما مضى)) لهم بسجن ((بالسجن)) وهم((:)) عبد الرحمن الشايع وعايض الزيد وأحمد القضيب((.)) وأما فياض المسعر وعواد الراشد يسجنون شهر فقط خلاف مامضاء ((ما مضى)) لأنهم تساعدو((ا)) مع ا((ل))ثلاثه المذكورين((.)) وأما القاضي السببا ((سبب أو أسباب)) تأخيره المعاملة هو أن المنطقه واسعه ومتراميت ((مترامية)) ((أ))لأطراف ولا فيها سوى قاض واحد مع قاضى ((قاضي)) دومة الجندل ولذى أناراه ((والذي أنا أراه)) أن المنطقة واسعه وفي حاجة إلى قاضي مستعجلة ومساعد للقاضي لأجل انهاء المشاكل المتراكمه في محكمه الجوف لأنني وجدت فيهاماينوف على الف معامله مهمشات دون أنتها((ء)) ولي عدم ((ولعدم)) مراجعة هل ((أهل)) المعاملات((.)) وأما مسؤلية الرفع للحكومة بشكل الأجمال ((جماعيا)) وتجمعات كشباب الذى ((وتجميع/ جمع الشباب الذين)) مع المشتكين و((أل))شياب نحمل مسئوليتهم إلى خمسة الشخاص ((إلى الأشخاص الخمسة)) هم((:)) عبد الرحمن الشايع وأحمد القضيب وعواد الراشد وفياض المسعر وعايض الزيد((.)) أما ثلاثة فعليهم حكم سجن الربع شهور ((اربعة اشهر)) خلاف مامضا ((ما مضى)) عليهم((.)) ويبدأ هذا ((أل)) سجن في ١٠/ ٧/ ٨٩ ((١٣٨٩هـ))((،)) وأما فياض وعواد عليهم سجن شهر ((يبدأ)) في ١٠/ ٧/ ((١٣٨٩هـ))((.)) وقد وافقت الداخلية على قرار المفتش وأيد من قبل الوزارة ورفع إلى جلالة الملك لجل ((لأجل)) الموافقه عليه تحت رقم.... وتاريخ.... ((.)) وبعد مضي مدة طويلة صدرة ((صدرت)) المعاملة من الملك إلى وزير الداخلية تحت رقم ١٧٦٦٣ في ١٧/ ٩/ ١٣٨٩هـ بالموافقه على قرار المفتش بسجن المذكورين المده المذكوره وتعميد رئسة القضا ((رئاسة القضاء)) لرسال ((إرسال)) قاض مستعجله ومساعد للقاضي الجديد وهو زيد ابن رشود. وفي ١٧/ ٩/ ١٣٨٩هـ أحيلة ((أحيلت)) المعامله من وزارة الداخليه إلى أمارة الجوف تحت رقم ١٢٤٢٤ وتاريخ ١٨/ ٩/ ١٣٨٩هـ لجل اتنفيذ ((لأجل التنفيذ))((.)) وفي يوم ((أل))ثلاثاء الموافق ٢٣/ ٩/ ٨٩ رمضان وصلت المعاملة إلى مامور ((مأمور)) سجن الجوف((،)) وقد قام باظهار ((إطلاق سراح)) من ثبتت برأته من السجن وسمأهم ((أسماءهم)) كما يلي((:)) «عطاء الشايع ـ باسل الماضي ـ محمد السلطان ـ عبد الهادي العطاء ـ عبد الرحمن المشحن ـ ثاني بن مهناء ((مهنا)) ـ موسى الكريّع ـ عبد الله ((أ))لعايش ـ نايف مرزوق ـ على الرجاء ـ صالح الزيد ـ عوض الزيد ـ هداج النافل ـ محمد عبد الهادي ـ ((أ))براهيم الحمد + مشعل ألحمد ((؟ ربما الأحمد، أي: مشعل أحمد القضيب الراشد))»((.)) وقد أمر ((أ))لأمير عبد الرحمن السديري بتأخير كل من عواد الراشد وفياض المسعر رغم أن دعواهم أي سجنهم قد أنتهى في ٢٠/ ٨/ ((١٣٨٩هـ)) لأن سجنهم يبتدى ((يبدأ))

في ١٠/ ٧/ ١٣٨٩ وينتهي في ٢٠/ ٨/ ١٣٨٩ه((.)) ويعتبر سجن الجماعة ((أ))لـذى ثبت براأتهم ((برأتهم)) منهي ((منتهي)) في ٢٣/ ٩/ ١٣٨٩هـ لأ((ن)) سجن ((أ))لجميع بدأ في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٩هـ..» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٢٦ ـ ٣٠، من ٣١، التحقيق).

(٩) نهاية القضية وأمير الجوف يأمر بسحب المعاملة وكامل مرفقاتها من السجن (الشرطة) ورفعها إلى وزارة الداخلية: ينهي عبد الرحمن الشايع قصة المطاوعة بالإشارة إلى سحب المعاملة من السجن ورفعها إلى وزارة الداخلية بأمر من أمير الجوف عبد الرحمن السديري، فيدوّن التالي: «وقد رفعت المعاملة الخاصة بنا إلى أمارة الجوف من الشرطة بناءً على طلب من ((أ))لأمير على أن لا تبقى المعالملة لدى مامور سجن ((مأمور السجن)) منسي بن عقلاء الزارع((.)) وقد رفعت من ((أل))شرطة للأمارة برقم ١٠٦١/ ف ف/ ٢ في ٦/ ١٠ ـ ١٣٨٩هـ ولفه ٢٩٢ ومن ثم رفعتها أمارة ((أ))لجوف إلى وزارة الداخليه برقم ٥١٧/ ١ في ١٢/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ـ ـ ـ معاملة عايض الزيد ورفقاه ضد قاض الجوف ولفاتها ٢٩٣» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩ه: ص ٣١ من ٣١، التحقيق).

ج ـ قصة المطاوعة والشكوى الجماعية لأهالي الجوف (١٣٧٧ ـ ١٣٨٩هـ): ملخص لتسلسلها وملاحظات حولها:

مما تقدم يمكن أن نلخص القصة وتطوراتها بعناصر موجزة بالتالي:

١ ـ فكرة الشكوى تعود في جذورها إلى ١٣٧٥هـ، ولكنها بدأت فعلياً بتجميع التواقيع عليها ابتداء من يوم ٢/ ١/ ١٣٧٧هـ (وهو يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ تموز/ يوليو١٩٥٧م) كما هو محدد في معظم نسخ (قوائم) الشكوى الجماعية (الثمانية) لأهالي الجوف (سكاكا ودومة الجندل). هذا وقد بلغ إجمالي عدد الموقعين من أهالي الجوف على كافة قوائم الشكوى ٥٣٧ شخصاً، علماً أن هناك عدداً من الأشخاص تكرروا في بعض القوائم، وهو ما يعني أنه إذا ما استبعدت الأسماء المكررة، فإننا أمام ما بين ٤٥٠ و٥٠٠ شخص قام بالفعل بالمشاركة بالشكوى الجماعية من خلال التوقيع/ الختم على واحدة من نسخها (قوائمها) الثمانية.

٢ ـ من خلال التوكيلات وتتابع وتفاعل القضية يبدو أن من تصدر الفكرة والقيام على بلورتها هم ما عرف بـ «المطاوعة بالجوف»، وهم: عبد الرحمن الشايع الكريّع وأحمد قضيب القايد، وعواد الراشد العويضه، وفياض المسعر البرجس، وشفق المرزوق الرشيد. ومع ذلك يلاحظ في ناهية القصة (قرار المحقق والإدانة والسجن الأخير للمطاوعة) غياب ذكر اسم شفق المرزوق الرشيد، وبروز اسم لم يرد في التوكيلات الجماعية للشكوى، وهو عايض الزيد، والذي نشير إليه في النقطة التالية.

٣ ـ ولكن من خلال ما ورد في مضمون التحقيق مع عبد الرحمن الشايع آنف الذكر، يبدو أن هناك شخصاً آخر أدى دوراً في تفاعلات القضية وهو: عايض الزيد (الواكد الراشد)، مع ملاحظة أن ملف تحقيقات القضية، أشار إلى أسماء من جماعته أضيفت إلى قائمة الشكوى للمفتي ولم ترد سابقاً بقائمة الشكوى للملك، وكذلك ملاحظة أن ملف تحقيقات القضية كلها كان معنوناً باسمه: «معاملة عايض الزيد ورفقاه ضد قاض الجوف ولفاتها...» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٣١ من

٣١، التحقيق)، وقد تم إدانته مع «المطاوعة» الآنف ذكرهم ما عدا شفق المرزوق الرشيد، وتحميله مع الاربعة المطاوعة مسؤولية الحشد والتجميع الجماعي للشكوى والرفع بها(!)، كما هو مبيَن في ما أورده عبد الرحمن الشايع في مآلات القضية وقرار المحقق. لعله من المثير للتساؤل والاستغراب والتعجب هو أن عايض الزيد في كل ما جرى لم يرد له توقيع أو اسم على أي من القوائم الثمانية للشكوى الجماعية (انظر القوائم: من ١ إلى ٨)، وعلماً أنه، كذلك، غير محسوب على المطاوعة.

٤ ـ **وثيقة أهلية جماعية غير مسبوقة للتنمية المتوازنة ولمكافحة الفساد:** فكرة الشكوى بالأساس تدور حول تخلف المنطقة والمطالبة بتنميتها كما شملت مناطق عدة من الدولة والتوازن معها في النمو والتقدم، ولكنها بخطاباتها الجماعية وبتفريعتها الفردية السابقة عليها والمتولدة من الفكرة الأساس (خطابات عبد الرحمن الشايع وربما آخرون، ومنهم على ما يبدو عايض الزيد) تضمنت في ما أعلم، وقد أكون مخطئاً، ربما أول شكوى جماعية مطلبية تنموية لجماعة ومنطقة بعينها في السعودية، إذا ما استثنينا المطالب العمالية في آرامكو وربما مطالب لأهل القطيف في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي (١٩٥٠s). وفوق هذا وذاك تعتبر في ما أعلم أول وثيقة «شكوى» جماعية علنية ضد الفساد المالي والإداري؛ فهي تضمنت وعياً بمكافحة الفساد المالي والإداري في الأجهزة الحكومية ومسؤوليها في منطقة الجوف، من خلال شكوى رؤساء الإدارات الحكومية بالجوف للملك واتهامهم بالفساد المالي بتأجير بيوتهم كمقرات للدوائر الحكومية التي يرأسونها. ولم تتوقف الشكوى عند هذه الإدارات ورؤسائها، بل طالت، وكيل القاضي الذي اتُّهم، هو كذلك بالفساد. وفوق هذا وذاك طالت الشكوى رأس الإدارة المحلية في المنطقة، ألا وهو أمير الجوف نفسه «عبد الرحمن السديري»، واتهامه بالفساد الإداري (المحاباة والمحسوبية والهوى والتعسف في الإدارة المحلية وفي التعامل مع الأهالي ومعاملاتهم وقضاياهم وشخوصهم) وطالبت بنقله عن المنطقة واستبداله برجل صالح يعمل على النهوض بالمنطقة وتطبيق الانظمة والأحكام الشرعية ملتزماً بالعدل والإنصاف والمساواة بين الجميع. كذلك طالت الشكوى، من حيث مكافحة الفساد «الإداري وعدم الحسم في القضايا وتأخيرها وتعطيلها والهوى في أحكام بعضها» قاضي الجوف آنذاك ابن خلف وأخيه ووكيله في فترات لاحقة، وأشارت الشكوى كذلك إلى عدم استقلال القضاء (القاضي) في المنطقة من خلال التداخل والتدخل من الإمارة (أمير الجوف/ السديري) بشؤون القضاء والقاضي و/ أو وكيله وقيام الأخيرين بالتشاور المسبق مع الأمير والتصرف في بعض القضايا وفي إصدار الاحكام حولها وفقاً لرغبات واتجاهات الأمير وليس وفقاً لمقتضيات الشرع والعدل. إذاً نحن في أواخر الخمسينيات (نحن نتكلم عن بداية عام ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٧م وما بعدها)، ربما، أمام أول وثيقة «شكوى» جماعية علنية لجماعة ومنطقة بعينها لمكافحة الفساد المالي والإداري وللتنمية والنهوض في المنطقة بالتوازن والتوازي مع المناطق الأخرى (هو بشكل آخر مطالب بتوزيع الثروة على نحو متوازن بين المناطق).

٥ ـ مع بداية تجميع التواقيع على تفويض «المطاوعة» الخمسة بالمطالبة تجاه المؤسسات والسلطة المحلية والمركزية، وقبل تكامل التوقيعات على التفويض بالشكوى الجماعية، يبدو كما هو واضح من خلال ما رواه عبد الرحمن الشايع عن خطاباته للملك وكذلك ما أورده عن مضمون التحقيق معه

وجزئياً مع عايض الزيد، يبدو أن هناك استعجالاً من بعض المطاوعة أنفسهم، ومنهم تحديداً عبد الرحمن الشايع، فضلاً عن ما يتصل بتحركات آخرين وخاصة عايض الزيد، للتخاطب على شكل منفرد بالجهات العليا (الملك)، وهذا على ما يبدو حصل في الشهرين الرابع والخامس من عام ١٣٧٧هـ، علماً أن تجميع التفاويض الجماعية بدأ على ما هو واضح من بعض القوائم الثمانية للشكوى في الثلاثاء: ٢/ ١/ ١٣٧٧هـ الموافق ٣٠ تموز/ يوليو ١٩٥٧م.

٦ ـ نتيجة للخطابات الفردية (عبد الرحمن الشايع وعايض الزيد)، وخاصة خطاب عبد الرحمن الشايع الأول للملك في ١٤ ـ ٤ ـ ١٣٧٧هـ كان أن صدر أمر إمارة الجوف المعطوف على أمر الملك الرقم ٢٩/ ٢/ ١٥٣٨ في ١٤/ ٤/ ١٣٧٧هـ بإحالة الأمر إلى القضاء بالجوف لتقديم الإثباتات من قبل عبد الرحمن الشايع على ما ادعاه على رؤساء الدوائر الحكومية بالجوف.

٧ ـ في٥/ ٤/ ١٣٧٧هـ، قدم عبد الرحمن الشايع لوكيل قاضي الجوف عبد الله ابن عبد الوهاب إقرار مفصل عن وجهة نظره واعتراضه على أن يقدم الإثباتات لوكيل القاضي باعتبار أن وكيل القاضي خصم ومشارك بنفس الأمر (تأجير بيوتهم الخاصة كمقار للدوائر الحكومية التي يترأسونها) مع رؤساء الدوائر الحكومية، فضلاً عن تداخله مع أمير الجوف ورغباته وأهوائه.

٨ ـ في ١١/ ٥/ ١٣٧٧هـ، أرسل عبد الرحمن الشايع خطابه الثاني للملك شارحاً وجهة نظره من التحقيق والمخاصمة، ومطالباً أن يكون مع رئيس ديوان المظالم أو سماحة المفتي (الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ)، مرفقاً بالخطاب الثاني الإقرار المفصل (٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ) وتبريرات موقفه.

٩ ـ ما يهم من الخطاب الثاني ومن نص «الإقرار» المقدم لوكيل قاضي الجوف، وما ورد في التحقيق لاحقاً (بعد مرور أكثر من اثنتي عشرة سنة على بداية الشكوى الجماعية وقصة المطاوعة)، أن عبد الرحمن الشايع أشار إلى أن عايض الزيد رفع للملك خطابات مماثلة لما رفعه هو للملك في الفترة نفسها تقريباً، بل ربما قبله حيث يقول عبد الرحمن الشايع في نص الإقرار: «.... هذا ويعلم صاحب الجلالة ورجال الدولة أنني لم اقصد بهذه الملاحظه أي مصلحه خاصه حيث خطابي يشهد لقولي **وهناك دليل في نفس المعاملة المذكوره يشهد لدعواى لو كان لوحظ من قبل المسؤلين وهو أنه سبق أن تقدم بمثل دعواي هذه المدعو عائض الزيد وهذا شيء واضح أمام جميع المواطنين عائض وغيره وأنا متوثقاً أنشالله من صحته**...» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ٤/ ٥/ ١٣٧٧هـ: ١ من ١، الإقرار).

١٠ ـ اعتقال المطاوعة الأول والزج بهم في السجن ٣٨ يوماً خارج القانون (بدون تحقيق أو حكم قضائي أو حتى أمر ملكي): في الفترة (١٣٧٧ ـ ١٣٧٩) يبدو أن هناك خطاباً أو أكثر أُرسل للملك سعود بشأن أوضاع المنطقة وتخلفها وما يتصل بشكواهم من تصرفات رؤساء الدوائر الحكومية، ولكن يبدو تدخل الإمارة وأميرها وبتحالف مع القاضي و/ أو وكيله في الكتابات والشروح المضادة لرغبات ومطالب الأهالي، قد أوصلت المطاوعة إلى قدر من الاحتقان والإلحاح بالمراجعات على الملك، ولكن بدون جدوى مما دفعهم إلى إرسال برقية شديدة اللهجة إلى الملك، علماً أن تاريخ إرسال تلك البرقية لم نتمكن من تحديده (!؟) ومع ذلك نتوقع أنها ربما أرسلت في وقت ما من أواخر ١٣٧٧هـ أو وقت ما من ١٣٧٨هـ(؟). كان من نتائج تلك البرقية الجماعية الحادة للملك أن أمر الملك بأخذ تعهد على المطاوعة

بعدم إرسال برقيات بتلك الحدة. استغل أمير الجوف (عبد الرحمن السديري) ذلك الأمر، فحاول قمع المطاوعة وأهل الجوف عن طريقهم، فأمر وكيل مدير شرطة الجوف الرئيس سعيد بن صالح الأزرقي بإحضار (استدعاء) المطاوعة والطلب منهم التوقيع على تعهد بعدم إرسال أية برقية على الإطلاق للملك أو الدخول السجن، ففضل المطاوعة السجن على أن يتنازلوا عن حقهم في مخاطبة الجهات العليا بما فيها الملك. بناء عليه تم سجن المطاوعة ولمدة ٨٣ يوما بدون تحقيق أو حكم قضائي أو أمر ملكي(!؟)، وعلماً أن تاريخ سجنهم لم نتمكن من تحديده(؟).

١١ ـ في اليوم الثاني لاعتقالهم الأول والزج بهم في السجن، استطاع المطاوعة إرسال برقية عن طريق عرعر إلى ابن جلوي ((يبدو المقصود أمير حائل آنذاك وهو عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود» فترة حكمه: ١٣٤٠ ـ ١٣٩٠هـ»)) وطلبوا منه توصيل مظالمهم ومطالبهم للملك سعود، وإطلاعه على ما حصل لهم من اعتقال وزج بالسجن. بعد اطلاع الملك على الأمر، أمر في النهاية إمارة الجوف بالإفراج عنهم مع أخذ تعهد فقط عن عدم إرسال برقيات بلهجة حادة.

١٢ ـ بعد مرور ٣٨ [يوماً]، وببرقية من الملك، تم الإفراج عن المطاوعة. في وقت غير بعيد من خروجهم من السجن، سافر المطاوعة إلى الرياض وقدموا خطاباً (معروضاً) جديداً للملك، وبرفقه صور من الشكاوى السابقة. في الخطاب يبدو أنهم بعد أن بينوا مشكلتهم والجوف مع أمير الجوف عبد الرحمن السديري طالبوا الملك باحضار أمير الجوف ومخاصمته على أن يكون أمام المفتي (الشيخ محمد بن إبراهيم)، علماً أنه، وبحسب المعلومات المتوفرة لدى الباحث، غير معروف إن كان الوفد قابل الملك مباشرة أم لا.

١٣ ـ في نفس الوقت (وقت ذهاب المطاوعة للرياض بعد خروجهم من الاعتقال الأول) وبعد تقديم خطابهم للملك بشأن مطالبهم ومشكلتهم مع أمير الجوف، يبدو أن المطاوعة ذهبوا إلى سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، وقدموا له أيضاً شكواهم ودعواهم ضد أمير الجوف عبد الرحمن السديري وطالبوه بالعمل على «... نقل هذا الأمير من منطقة الجوف يخلفه رجلا صالحا للديرة واهلها حيث المذكور اسس التفرقه والبغضاء بين الأهالي والنظر بحق سجننا بغير دليل شرعي لأنه سجننا بقصد إهانتنا أمام الأهالي وتعجيز لنا عن المطالبة بحقوقنا وحقوق بلدتنا وهذا نسأل الله أن يحق الحق ويبطل ضده والسلام» (مطاوعة الجوف، ٧٧ ـ ١٣٨٩هـ؟: ص ٤ ـ ٥، دعوانا ضد السديري).

١٤ ـ في وقت ما من عام ١٣٧٩ (؟ يبدو أنه في أواخر العام) صدر أمر ملكي بنقل المطاوعة خارج الجوف: نتيجة لتفاعلات تلك الشكاوي والمراجعات والتداخل مع أمير الجوف والقضاة ورؤساء الدوائر الحكومية، يبدو أن الأمر، وكما قال المطاوعة أنفسهم في خطاب للأمير محمد بن عبد العزيز، بترتيب ربما من قاضي الجوف السابق عبد العزيز ومساعدة من مسؤولين بالجوف اتجه إلى الحسم مع المطاوعة ومعاقبتهم فـ «... صدر أمر سامي عام ٧٩ بنقلنا من بلدنا الجوف إلى بلد آخر لم يكن لنا فيها أهل ولا ممتلكات كذلك كان بدون جرم اقترفناه أو ذنب جنيناه الله أم الأ ((ما عدا)) عدم رضاء شخص هو قاضي الجوف السابق عبد العزيز ابن خلف ومن ساعده على ماء اراد ((ما أراد)) من المسؤلين بالجوف: فقد كتبوا ما لم يحدث منا إلى الحق أو الحقيقه بصله بأننا مشاغبين وطلبو((ا)) من المقام

السامي نقلنا عن بلدنا الذي يظم [يظلم] اطفالنا وعوائلنا وأملاكنا التي لا يرعاها أحد سوى بعد الله((،)) وعلى أثر ذلك صدر الأمر السامي بنقلنا من بلدنا بناء على هذه الكتابات الجائره في حقنا..»: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢ خطاب للأمير محمد)، **علماً** أن ما بين الأقواس المزدوجة وما بينها من محتوى هي من الباحث للتوضيح. إذا صدر أمر ملكي في عام ١٣٧٩هـ يقضي بنقل عمل المطاوعة من الجوف إلى مكان آخر خارجها (يبدو إلى مدينة تبوك؟).

١٥ ـ سفر المطاوعة لمراجعة المفتي بشأن نقلهم: بعد إبلاغهم بالنقل (في وقت ما من عام ١٣٧٩هـ يبدو أنه في أواخره) سافر المطاوعة للرياض، وقابلوا الشيخ سماحة المفتي (محمد بن إبراهيم) وشرحوا له وضعهم ومعاناتهم طبقا لما ورد في خطابهم للأمير محمد حيث ورد ضمن ما ذكروه «... وحيث إنه لم يسبق أخذ لنا تحقيق عما نسب الينا من قاضي الجوف ولم تجرى معنا محاكمه وبعد أن بلغنا أمر النقل من القاضي المذكور سافرنا إلى مرجعنا أن ذلك ((آنذاك)) سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وعرضنا عليه حقيقة الأمر وشرحنا له ضروفنا...»: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد)،

١٦ ـ ٢٧/ ١١/ ١٣٨١هـ عودة المطاوعة، بأمر من المفتي، للعمل بالجوف وصرف مرتباتهم: وفي خطابهم للأمير محمد يذكر المطاوعة أنه بعد مراجعة المفتي وشرح قضيتهم (العمل والرواتب) قام سماحة المفتي محمد بن إبراهيم: «... فأمر ببقائنا بالجوف بخطابه الموجه إلى قاضي الجوف برقم ١٠٢٤ في ١٩/ ٨/ ٨١ ((١٣٨١هـ)) وعدنا إلى مقر عملنا بالجوف وصرفت رواتبنا بموجب برقية سماحة رئيس القضاة رقم ٨١٦/ ٦ في ٢٧/ ١١/ ٨١ ((١٣٨١هـ))...»: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

١٧ ـ الإيقاف عن العمل والرواتب مرة أخرى (١٣٨٢هـ؟): منذ ٢٧/ ١١/ ١٣٨١هـ وحتى ارتباط شؤون المساجد بوزارة الحج((؛)) استمرت عودة المطاوعة بالعمل بالجوف واستلام مرتباتهم. لكن مع ارتباط شؤون المساجد بوزارة الحج ـ (؟ غير معروف التاريخ، ولكن من خلال خطاب المطاوعة للأمير محمد والمرسل له في ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ، وردت الإشارة فيه إلى خسارتهم المادية والمعنوية على مدى أربع سنوات خلت، يبدو أن عودتهم لعملهم بالجوف وصرف مرتباتهم لم يدم طويلاً، ويبدو أن الإيقاف عن العمل والرواتب تم في وقت ما من ١٣٨٢هـ ربما في قبل أو بع منتصفها بقليل أو بحدودها) حيث ذكروا في خطابهم للأمير محمد بالقول «... حتى ارتباط شئون المساجد بوزارة الحج عند ذاك أصدرت الوزارة أمرها بأيقاف رواتبنا على أساس الأمر السابق((،)) ومن ذلك الحين ونحن على رئيس ((رأس)) أعمالنا ورواتبنا موقوفه ونحن نطالب بألحاح لدى الجهات المسؤلة((،)) ولكن إلى هذا الوقت ولسوؤ الحظ لم نحظى بلفته صادقه إلى قضيتنا العادلة((.))...»: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

١٨ ـ المطاوعة يراجعون ولي العهد (٩/ ٧/ ١٣٨٥هـ) وولي العهد (خالد) يحيلها لوزارة الحج: ويمضي المطاوعة في سرد تسلسل قضيتهم التي بدأت تتحول أو أريد لها كذلك أو تنحدر شيئاً فشيئاً منذ ١٣٧٩هـ فصاعداً من قضية عامة ومطالب تنموية جماعية إلى قضية صغيرة محددة تتصل فقط بالرزق

والعمل، فيقولون في خطابهم للأمير محمد للتوسط به عند الملك و/ أو ولي العهد بالقول: «... وبعد أن طال علينا الوقت راجعنا سمو ولي العهد المعظم بتاريخ ٩/ ٧/ ٨٥ ((١٣٨٥هـ)) بمعروض وضحنا فيه قضيتنا ورجونا سموه النظره العادلة في موضوعنا ((،)) وقد أمر بأحالة المعروض إلى وزارة الحج ((.)).....» (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

١٩ ـ وزارة الحج أعادت موضوع عودة عمل وصرف رواتب المطاوعة لولي العهد بحجة الحاجة إلى أمر سامٍ جديد: وعن ذلك يقول المطاوعة انفسهم في خطابهم للأمير محمد: «... وعند مراجعتنا الوزاره المذكوره أخبرتنا بأنها أعادة ((أعادت)) الموضوع إلى سمو ولي العهد بحجة أنهم لا يستطيعون عمل شيء الأ بصدور أمر سامي بأعادتنا وصرف رواتبنا((،)) والوزاره نفسها تعترف وتعرف أننا لازلنا على رؤس أعمالنا ولا هناك علينا ذنبا امام الوزاره((،)) ولكن تعتذر بأنها بحاجة إلى أمر سامي من جلالة الملك المعظم أو من سمو ولي العهد يقضي بأعادتنا وصرف رواتبنا...» (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ١ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

٢٠ ـ المطاوعة يستنجدون بالأمير محمد بن عبد العزيز (١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ) للتوسط عند الملك (فيصل) و/ أو ولي العهد (خالد): وحيث إننا لم يسبق أن حدث منا ما يوجب ما حصل بنا وتحملناه من خسائر ماديه ومعنويه وتعب مضى لمدة اربع سنوات في سبيل البحث عن الحقيقه واعطائنا حقنا كاملا((.)) لذا فأننا نلجاء إلى الله ثم إلى سموكم راجين التوسط لدى جلالة الملك المعظم أو سمو ولي العهد الأمير خالد ابن عبد العزيز بأعادتنا إلى اعملنا ((أعمالنا)) التي لازلنا قائمين بها وصرف رواتبنا المستحقة لنا والتي هي مصدر رزق عوائلنا وأطفالنا((،)) ولنا في سموكم كبير الأمل ووافر الثقه في مساعدتنا ولاشك أنكم أهلاً لكل خير وفقكم الله وكلل اعمالكم بالنجاح وجزاكم الله عنى ((عنا)) احسن الجزاء((،)) دمتم لنا ذخراً وعوناً والسلام ١٣/ ٨/ ١٣٨٥ ـــــــ المطاوعة بالجوف ـــ عبد الرحمن الشايع عواد الراشد فياض المسعر أحمد القضيب شفق المرزوق «: (مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، ١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـ: ص ٢ ـ ٢، خطاب للأمير محمد).

٢١ ـ **في الفترة ١٣٨٥ ـ ١٣٨٨هـ** ليس معروفاً، أقله للباحث ومما هو متاح له من معلومات، ماذا حدث لقضية ومعاملة المطاوعة بعد خطابهم للأمير محمد بن عبد العزيز، وما الذي فعله الأمير محمد بالخطاب وتجاه توجه المطاوعة له من خلاله، وما هي مآلات الخطاب؟ كل ما نستطيع قوله عن القضية والمطاوعة في هذه الفترة (٨٥ ـ ١٣٨٨هـ)، إنها تميَزت بركود و/ أو كمون وتلاشٍ من المشهد يدعو إلى التساؤل والتفكير. سنترك التأمل في الإجابة إلى حين، وكل ما نستطيع قوله هنا هو القول: إنه ورغم أن الأسباب ليست معروفة، فإن الباحث يود أن ينبه إلى أن البلاد كلها كانت تمر بتحولات كبرى وشدة من السلطة تجاه المجتمع في هذه المرحلة؛ نُذكر بأن هذ الفترة، وخاصة منذ ٢٧/ ٦/ ١٣٨٤هـ الموافق ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤م، شهدت تغيّراً في السلطة في السعودية بصعود الملك فيصل لسدة الحكم (استلام فيصل بن عبد العزيز الحكم بعد عزل وخلع الملك سعود) بعد صراع غير خفي بينهما في السنوات القليلة السابقة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤م). إذن السلطة العليا مشغولة بما هو أهم، لذلك ليس غريباً

أن تشهد قضية المطاوعة اختفاءً من المشهد، فضلاً عن أن السلطة الجديدة وتحالفات عناصر في حلقاتها يبدو منحازة مع إدارة الحكم المحلي بالجوف نازعة للتشدد تجاه المجتمع.

٢٢ ـ في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٩: عودة القضية للواجهة باعتقال المطاوعة وعدد من أهالي الجوف: ليس معروفاً، أقله للباحث ومما توفر له من معلومات، لماذا تم تحريك القضية وبعد سكون وكمون دام لأكثر من أربع سنوات منذ خطاب المطاوعة للأمير محمد، ولأكثر من اثنتي عشرة سنة منذ بداية ظهور الشكوى الجماعية لأهالي الجوف. في ٢٧ ـ ٢ ـ ١٣٨٩هـ تم اعتقال المطاوعة الخمسة ومجموعة من أهالي الجوف والزج بهم بالسجن. أما لماذا في هذا الوقت بالذات، وبناء على ماذا وبأمر من؟ فهو أمر بالنسبة للباحث يحتاج إلى التأمل والتفكير وربطه بما سبق من فقرة وبما هو لاحق عليها. من هنا نقول: في ما يتعلق بأمر الاعتقال فيبدو أنه في ضوء الاعتقال الأول وبالمقارنة معه، والذي وقع في وقت ما في الفترة ما بين ١٣٧٧ وقبل ١٣٧٩هـ، وعلى نحو غير قانوني الذي أقدم عليه أمير الجوف بالزج بالمطاوعة بالسجن، فإن أمر الاعتقال (الإيقاف رهن الاعتقال) ربما صدر بناء على أمر ملكي وبدفع من وزارة الداخلية، وباتجاه التحقيق والمحاكمة مؤشراً إلى بداية مرحلة تشدد من السلطة تجاه المجتمع في سياق هذه المرحلة الكلية المتكوِّنة في السعودية. وفي ما يتعلق بالسكون والكمون للقضية في الفترة ١٣٨٥ ـ ١٣٨٨هـ، ثم بروزها مجدداً في ١٣٨٩هـ، فنود أن ننبه إلى التالي: يمكن ملاحظة أن (١٣٨٥ ـ ١٣٨٨هـ) وحتى ١٣٨٩هـ كانت ضمن مشهد موجة الاعتقالات الواسعة التي حصلت في السعودية والمترافقة مع صعود فيصل بن عبد العزيز لسدة الحكم مع التحول والصراع الداخلي (فيصل والملك سعود) والحركات الإصلاحية الوطنية الاحتجاجية في تلك الفترة والمتداخلة مع التصادم الناصري ـ السعودي، فضلاً عن حرب ١٩٦٧م وتداعياتها الاحتجاجية الداخلية وتنامي وتحولات التيارات القومية واليسارية المتولدة في أجوائها وسياقاتها، وحتى تتويجها بالاعتقالات الواسعة في محاولة الانقلاب ١٩٦٩م. في سياق ما تقدم نطرح السؤال التالي: هل هناك علاقة بين تلك المعطيات تلك، وكون هناك بعض العناصر من أهل الجوف الذي اعتقلوا في تلك الفترة (١٩٦٤ ـ ١٩٦٩م) من جهة، وبين من جهة أخرى مسألة سكون وكمون قضية المطاوعة والشكوى الجماعية المطلبية (التنموية) لأهالي الجوف لفترة امتدت ما بين ١٣٨٥ و١٣٨٨هـ، ثم في التشدد تجاه الجوف والمطاوعة وسجنهم قبل التحقيق والمحاكمة ثم التحقيق معهم وصدور قرار (غير قضائي) بسجنهم في ١٣٨٩هـ؟

٢٣ ـ في الفترة (١١ ـ ٢٥/ ٦/ ١٣٨٩هـ)، «التحقيق مع المطاوعة»:

في ما أورده عبد الرحمن الشايع بخط يده عن مضمون نص التحقيق (الاستجواب) كما تم معه وكما دونه هو نفسه، من قبل المفتش سليمان بن ثنيان، هناك إشارة من عبد الرحمن الشايع في أعلى صفحات أصل ما كتبه من مسودة مضمون التحقيق على أن التحقيق تم على ما يبدو في الفترة من ١١/ ٦/ ١٣٨٩هـ وحتى ٢٥/ ٦/ ١٣٨٩هـ. المحقق «المفتش» سليمان بن ثنيان، والذي وصل الجوف (سكاكا) في ١١/ ٦/ ١٣٨٩هـ، هو على ما يبدو مندوب من وزارة الداخلية للتحقيق معه وربما مع آخرين بناء على أمر ملكي بتأثير على ما يبدو من أمير منطقة الجوف آنذاك عبد الرحمن السديري وشكوى من/ أو ضد قاضي الجوف آنذاك محمد بن خلف أو متصلة به، وعلى خلفية الخطابات الجماعية والفردية

كما هي خطابات عبد الرحمن الشايع للملك سعود، وربما خطابات آخرين مثل عايض الزيد المتصلة بشكوى المطاوعة بالجوف. رغم أن عبد الرحمن الشايع في مسودة مضمون التحقيق معه أشار إلى تحقيق جرى، على الأقل أمامه مع عايض الزيد، فلا يعرف هل جرى التحقيق مع الآخرين من المطاوعة وبعض الأهالي المعتقلين (الموقفين)، ولكن من نتائج (قرار/ توصية المحقق) وما تضمنه من إدانات وأحكام (إدارية ـ غير قضائية) بالسجن للمطاوعة، باستثناء شفق المرزوق، وعايض الزيد، وما تضمنه من براءات للبقية من الأهالي، فلا بد أن التحقيق قد جرى مع كافة المعتقلين من الأهالي والمطاوعة.

٢٤ ـ **قرار المحقق (رقم ٧٣ في ١٠/ ٧/ ١٣٨٩هـ مرفوع لوزارة الداخلية) وأحكام بالسجن للمطاوعة وتبرئة الآخرين من الأهالي وموافقة الملك ووزير الداخلية عليه بالتنفيذ.** وهنا أعيد ما كتبه عبد الرحمن الشايع عن مضمون نهاية التحقيق معه، فيدوّن التالي: «بعد أن أنتهاء ((أنتهى)) المفتش ((أل))تحقيق وعزم السفر ألى ((إلى)) عرعر ودع قراره ألى ((إلى)) وزارة الداخلية برقم ٧٣ في ١٠/ ٧/ ١٣٨٩ﻫ ويحتوى هذى ((ويحتوي هذا)) القرار على الدانتنا ((إدانتنا)) من جهه وثبات دعاوينا من جهه أخرى لأنه ذكر في أقراره الدانت ((قراره إدانة)) الخمسة وتحملهم المسؤليه((؛)) ثلاث منهم يسجنون اربع شهور علاوة علا ((على)) ما مضا ((ما مضى)) لهم بسجن ((بالسجن)) وهم((:)) عبد الرحمن الشايع وعايض الزيد وأحمد القضيب((.)) وأما فياض المسعر وعواد الراشد يسجنون شهر فقط خلاف مامضاء ((ما مضى)) لأنهم تساعدو((ا)) مع ا((ل))ثلاثه المذكورين((.)) وأما القاضي السببا ((سبب أو أسباب)) تأخيره المعاملة هو أن المنطقه واسعه ومتراميت ((مترامية)) ((أ))لأطراف ولا فيها سوى قاض واحد مع قاضى ((قاضي)) دومة الجندل ولذى أناراه ((والذي أنا أراه)) أن المنطقة واسعه وفي حاجة إلى قاضي مستعجلة ومساعد للقاضي لأجل انهاء المشاكل المتراكمه في محكمه الجوف لأنني وجدت فيها ما ينوف على الف معامله مهمشات دون أنتها((ء)) ولي عدم ((ولعدم)) مراجعة هل ((أهل)) المعاملات((.)) وأما مسؤلية الرفع للحكومة بشكل الأجمال ((اجمالا)) وتجمعات كشباب الذى ((ووالتجمعات كالشباب الذين)) مع المشتكين و((أل))شياب نحمل مسئوليتهم إلى خمسة الشخاص ((إلى الأشخاص الخمسة)) هم((:)) عبد الرحمن الشايع وأحمد القضيب وعواد الراشد وفياض المسعر وعايض الزيد((.)) أما ثلاثة فعليهم حكم سجن الربع شهور ((اربعة اشهر)) خلاف مامضا ((ما مضى)) عليهم((.)) ويبدأ هذا ((أل)) سجن في ١٠/ ٧/ ٨٩ ((١٣٨٩هـ))((،)) وأما فياض وعواد عليهم سجن شهر ((يبدأ)) في ١٠/ ٧/ ((١٣٨٩ﻫ))((.)) وقد وافقت الداخلية على قرار المفتش وأيد من قبل الوزارة ورفع إلى جلالة الملك لجل ((لأجل)) الموافقه عليه تحت رقم.... وتاريخ.... ((.)) وبعد مضي مدة طويلة صدرة ((صدرت)) المعاملة من الملك إلى وزير الداخلية تحت رقم ١٧٦٦٣ في ١٧/ ٩/ ١٣٨٩هـ بالموافقه على قرار المفتش بسجن المذكورين المده المذكوره وتعميد رئسة القضا ((رئاسة القضاء)) لرسال ((إرسال)) قاض مستعجله ومساعد للقاضي الجديد وهو زيد ابن رشود. وفي ١٧/ ٩/ ١٣٨٩هـ أحيلة ((أحيلت)) المعامله من وزارة الداخليه إلى أمارة الجوف تحت رقم ١٢٤٢٤ وتاريخ ١٨/ ٩/ ١٣٨٩هـ لجل اتنفيذ ((لأجل التنفيذ)) ((.)) وفي يوم ((ال))ثلاثاء الموافق ٢٣/ ٩/ ٨٩ رمضان وصلت المعاملة إلى مامور ((مأمور)) سجن الجوف((،)) وقد قام باظهار

((إطلاق سراح)) من ثبتت برأته من السجن وسمأهم ((أسماءهم)) كما يلي((:)) «عطاء الشايع ـ باسل الماضي ـ محمد السلطان ـ عبد الهادي العطاء ـ عبد الرحمن المشحن ـ ثاني بن مهناء ((مهنا)) ـ موسى الكريّع ـ عبد الله ((أ))لعايش ـ نايف مرزوق ـ على الرجاء ـ صالح الزيد ـ عوض الزيد ـ هداج النافل ـ محمد عبد الهادي ـ ((أ))براهيم الحمد + مشعل ألحمد ((؟ ربما الأحمد، أي؛ مشعل أحمد القضيب الراشد))»((.)) وقد أمر ((أ))لأمير عبد الرحمن السديري بتأخير كل من عواد الراشد وفياض المسعر رغم أن دعواهم أي سجنهم قد أنتهى في ٢٠/ ٨/ ((١٣٨٩هـ)) لأن سجنهم يبتدى ((يبدأ)) في ١٠/ ٧/ ١٣٨٩ وينتهي في ٢٠/ ٨/ ١٣٨٩ه((.)) ويعتبر سجن الجماعة ((أ))لذى ثبت براأتهم ((برأتهم)) منهي ((منتهي)) في ٢٣/ ٩/ ١٣٨٩ه لأ ((ن)) سجن ((أ))لجميع بدأ في ٢٧/ ٢/ ١٣٨٩هـ..» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٢٦ ـ ٣٠ من ٣١، التحقيق). ونلاحظ على ما سبق التالي:

أ ـ أن المفتش/ المحقق هو من وزارة الداخلية، وأصدر قراره أو توصيته بالإدانة وبتقديره لأحكام بالسجن لمعظم المطاوعة مع تبرئة الآخرين. ورغم موافقة الملك ووزير الداخلية على قرار المحقق والأمر بالتنفيذ، إلا أن الأحكام ليست قضائية وإنما تبدو إدارية خارج القضاء الشرعي، وهو ما يعني عدم توفر المحاكمة لهم وعدم إتاحة الفرصة للمطاوعة المدانين (إدارياً) بالدفاع عن انفسهم أمام القضاء(!؟).

ب ـ فوق ذلك قامت الإدارة المحلية بالجوف ممثلة بأميرها عبد الرحمن السديري: بتجاوز الأمر التنفيذي بالسجن بشكل غير قانوني من أمير الجوف، بإبقاء كل من عواد الراشد العويضه وفياض المسعر في السجن حتى خروج الآخرين، رغم انتهاء محكوميتهم في ١٠/ ٨/ ١٣٨٩هـ لأنه حكم عليهم بشهر واحد ابتداء من ١٠/ ٧/ ١٣٨٩، وهذه سياسات، خارج القانون والعدالة، في القمع والمضايقات وأساليب من نمط سائد من التحقيقات استمرت لعقود تالية، ولا زالت مستمرة بشكل أو آخر.

٢٥ ـ ١٠/ ١١/ ١٣٨٩ خروج المطاوعة من السجن: نهاية القضية وأمير الجوف يأمر بسحب المعاملة وكامل مرفقاتها من السجن (الشرطة) ورفعها إلى وزارة الداخلية: بعد مرور أربعة أشهر منذ ١٠/ ٧/ ١٣٨٩هـ يكون المطاوعة جميعاً قد خرجوا من السجن باعتبارهم أنهوا المحكومية (الإدارية وليست القضائية) التي صدرت بحقهم فضلاً عما تقدم من فترة سجن دامت منذ ٢٧/ ٢/ ١٣٨٩هـ. وحيث إن ملف القضية تم سحبها من الجوف كاملاً لوزارة الداخلية، فإننا ننهي الإشارة إلى نهاية القضية بما انتهى إليه أحد المطاوعة وهو عبد الرحمن الشايع حيث أشار إلى نهاية قصة المطاوعة بالإشارة إلى سحب المعاملة من السجن ورفعها إلى وزارة الداخلية بأمر من أمير الجوف عبد الرحمن السديري، فيدوّن التالي: «... وقد رفعت المعاملة الخاصة بنا إلى أمارة الجوف من الشرطة بناءً على طلب من ((أ))لأمير على أن لا تبقى المعالملة لدى مامور سجن ((مأمور السجن)) منسي بن عقلاء الزارع ((.)) وقد رفعت من ((أل))شرطة للأمارة برقم ١٠٦١/ ف ف/ ٢ في ٦/ ١٠ ـ ١٣٨٩هـ ولفه ٢٩٢ ومن ثم رفعتها أمارة ((أ))لجوف إلى وزارة الداخليه برقم ٥١٧/ ١ في ١٢/ ١٠/ ١٣٨٩هـ ـ ـ ـ معاملة عايض الزيد ورفقاه ضد قاض الجوف ولفاتها ٢٩٣» (الشايع، عبد الرحمن عطا، ١٣٨٩هـ: ص ٣١ من ٣١، التحقيق).

ثالثاً: الوعي في الجوف (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م): محاولة في التفسير

الآن، وبعد أن بسطنا حال وواقع ومشهد حالة الوعي بالجوف ولأهلها في فترة (١٩٣٠s ـ ٢٠١٠s م)، شواهد وتمظهرات، بما يدل على الحالة ويثبتها، علينا، كما نبهنا من قبل أكثر من مرة، أن نقدم تفسيراً معقولاً لحالة الوعي ذاتها والتي تبدو مرتفعة ومدهشة، خاصة في ضوء أن خلفيتها ومرتكزها الأول يعود، كما أسلفنا، إلى بنية التخلف المعرفي والثقافي (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م).

لتفسير حالة الوعي بالجوف (١٩٣٠s ـ ٢٠١٠s م) ننطلق نحو الأمر بتقسيم حالة الوعي الكلية إلى فترتين:

١ ـ حالة الوعي ما قبل أواخر ١٩٥٠s م: الخبرة التاريخية والحالة النفسية.

٢ ـ حالة الوعي ما بعد أواخر ١٩٥٠s م: وتشمل مجموعة من العوامل والقوى ذات العلاقة، سنفصل في بعضها لاحقاً، ومنها:

أ ـ حالة الوعي ما قبل ١٩٥٥م/ ١٩٦٠م وامتدادات تأثيراتها.

ب ـ عوامل ومتغيرات المحيط العربي المجاور للجوف.

ج ـ عوامل ومتغيرات المحيط الداخلي للجوف.

في تفصيلات تفسير الوعي (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م):

١ ـ حالة الوعي ما قبل أواخر ١٩٥٠s م: تراكمات الخبرة التاريخية والحالة النفسية.

بداية ننبه إلى نقطة هامة وهي تتعلق بأنه ونحن نتكلم عن حالات ومفارقات ثقافية في الجوف ١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م، فإن الأمر، وإن كان فيه قدر من الصحة، لا يعني أننا أمام حالات ميكانيكية تأتي وراء بعضها البعض، بمعنى أن حالة تنتهي لتبدأ حالة جديدة أخرى. إننا في حقيقة الأمر أمام قدر من التداخل بين الحالات الثقافية، من حيث إنها قد تعود إلى فترة الجذور وقد تتبارى وتتجاور في التقدم والتواصل إلى الأمام، وإن كانت هناك سيادة وهيمنة وبروز أكبر لإحداهما مع انحسار وتراجع للأخرى في فترة زمنية بعينها. وعليه فرغم، أننا سبق وأن تكلمنا عن بنية التخلف الثقافي والمعرفي بالجوف خلال الفترة ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠م، وبالذات ركزنا على (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، كحالة ثقافية بذاتها، وبدرجة أهم كخلفية لحالة الوعي التالية عليها (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م)، فهذا لا يعني أن الوعي لم ينشأ إلا في أعقاب انتهاء حالة وبنية التخلف آنفة الذكر؛ حالة الوعي في الجوف وبالذات ما تعلق منها ما بعد ١٩٣٠s م فصاعداً، قد تجد جذورها راجعة إلى الوراء ممتدة في أحشاء حقبة التخلف ذاتها، وإن كانت ليست واضحة بما هي عليه في تمظهراتها في الحقبة التالية (الحديثة).

وعليه نقول، إن الحالة الثقافية الكلية بالجوف ولأهلها على امتداد وطول المشهد، وخاصة في الفترة ما بين عقد الـ «١٨٣٠s م» وحتى ١٩٥٠م، تشير إلى أن أهل الجوف، وإن عانوا من حالة تخلف معرفي وثقافي تبدو فظيعة وعميقة، فإنهم لم يعدموا مخزوناً تاريخياً مثقلاً بالصراعات والتحولات ساهم على نحو ما في تشكل قدر لا بأس به من وعي لديهم (فهم و/ أو تفاعل) تجاه قضايا ذات صلة بالشأن

العام للفضاء المحلي و/ أو المجاور (المحيط) شمالاً وغرباً و/ أو جنوباً. من هنا نقول إن الأحداث التاريخية من صراع على الجوف، من قوى من خارجه، ومن صراع أهلي من قوى من داخله، وفي أجزاء منه متداخلة مع اصطفاف مع قوى خارجية، شكلت مخزوناً وإرث تاريخياً، بل ذاكرة وخبرة تاريخية مفعمة ومشحونة بقيم التحرر والكرامة ورفض الظلم والخنوع والإذلال والتسلط من أية قوة وبالذات تجاه القوى الخارجية (الغازية).

لنتذكر أنه ولأكثر من قرن، وبالذات منذ ١٧٩٢/ ١٨٠٠م وحتى ١٩٢٢م، كان لأهل الجوف، صراعات وتمردات عديدة ضد القوى الخارجية التي كانت تحاول السيطرة على الجوف في حينها و/ أو كانت مسيطرة وظالمة في أحيان أخرى، ومن ذلك أمثلة ـ سريعاً، لا تفصيلاً ـ ما يلي:

١ ـ ١٧٩٢ ـ ١٨٠٠م، والقوة الوهابية للدولة السعودية الأولى، فصراع السراح/ الدرع.

٢ ـ (أوائل ١٨٣٠sم؟) محاولة آل علي حكام حائل قبل أبناء عمهم الرشيد، غزو الجوف، وما عرف بواقعة أو «كون فارع»، وانتصار أهل الجوف فيها.

٣ ـ الرشيد وغزو الجوف ١٨٣٨م والسيطرة عليها وتدمير الدلهمية، وكان قبلها صراع الجرعاوي/ الدلهمية وتدمير الجرعاوي.

٤ ـ وفي عام ١٨٥٣م تمرد السراح وأهل الجوف مع مساندة عناصر من سكاكا ضد الرشيد.

٥ ـ تمرد أهل الجوف على الرشيد ١٨٧١م وتحالفهم مع الأتراك والحملة التركية آنذاك ثم تراجعهم عن التحالف مع الأتراك في أقل من ٨ أشهر بعد تزايد الظلم والقهر التركي عليهم.

٦ ـ صراع القرشة/ المعاقلة في كون الظلي ١٩٠٨م. ورغم أن الصراع في أصله سواء بالنسبة للقرشة أو للمعاقلة، وإن اختلفوا في التحالف مع سلطة خارجية (الرشيد)، إلا أنهما كليهما كانا يستهدفان عدم الإخلال في المكانة والنفوذ، والتوازنات (القرشة في روايتهم قاموا، باتفاق مسبق مع كبار المعاقلة على سلطة خارجية، هي سلطة الرشيد في الجوف في ١٩٠٨م، ولكن المعاقلة تخلفوا، أو طبقاً لرواية المعاقلة، فإن القرشة قاموا على سلطة الرشيد، لتحيّزها السافر مع تحولات في مشيخة القرشة (السهيان)، فكانت ردة فعل من المعاقلة لعدم الإخلال بالتوازنات والأمر الواقع والمكانة، علماً أن تحرك القرشة ضد الرشيد، هو، ومن خلال رواية المعاقلة، يمكن فهمه وتفسيره بالمخاوف نفسها تجاه عدم القبول بتحركات سلطة الرشيد بالإخلال في التوازنات والمكانة داخل مجموعة القرشة نفسها.

٧ ـ في ١٩٠٩ ـ ١٩١٥، ورغم تحالفات المعاقلة مع الشعلان، لِما رأوه، كما يقولون، تغيراً في عودة تحالفات القرشة من جديد مع سلطة الرشيد التي كانوا (القرشة) قد ثاروا عليها في صيف ١٩٠٧م، فقد قاوم القرشة في كل من سكاكا ودومة الجندل قوات وسلطة الشعلان على مدار تلك الفترة، رغم أنها حسمت بشكل كبير لصالح الشعلان وتحالفاتهم مع المعاقلة (لاحظ أن الصراع الأهلي بين القرشة والمعاقلة في فترة صراع وفوضى محاولة سيطرة الشعلان على الجوف، لم تكن صراعاً لذاته، وإنما أتى في سياق أن كل فريق يريد أن يحافظ على النفوذ و/ أو المكانة وعدم الإخلال بها، وإن تم عبر

اصطفافات مع قوى خارجية (الشعلان/ الرشيد) وكان في النهاية ليس فقط على حسابهما، وإنما فوق ذلك على حساب الجوف كلها.

٨ ـ في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٧م، محاولة القرشة القيام على سلطة الشعلان في الجوف، وإن لم تنجح، فهي تصب في الاتجاه نفسه (الكرامة/ التحرر).

٩ ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨م: محاولة ناجحة من المعاقلة أطاحت بحكم الشعلان ولو مؤقتاً في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢١م.

١٠ ـ صراعات الشعلان/ الرشيد ١٩١٩م، واصطفافات لبعض من أهالي الجوف في متونها.

١١ ـ ثم في النهاية وفي عام ١٩٢٢م، وبعد صراع أهلي (حرب المعاقلة أو ما عرف بحرب الراشد ـ المويشير)، وإن في جزء منه اصطفافي على محور الشعلان، فقد كان هناك رغبة من أهالي الجوف، بعد توافق بينهم في التوجه إلى قوة ثالثة بحثاً عن السلام والتقدم والكرامة، والتي سنرى أن هذه القوة الثالثة في سياساتها وممارساتها تجاه الجوف وأهلها لم تكن على مستوى ذلك التطلع والأمل، فكانت سياسات الإقصاء والتهميش، والتي ستكون بذاتها إحدى القوى والمتغيرات الرئيسة في تفسير تولد حالة من الشعور بالظلم والقهر مما ساهم مع عوامل أخرى في رفع مستوى الوعي في الجوف وبين أهلها وأبنائها.

تلك الصراعات على الجوف من قبل قوى خارجية غازية طامعة غاشمة، أو أهلية اصطفافية في سياقها، أو متمردة عليها كقوى خارجية ضالمة، أو أهلية بينية بحته ولدت خبرة وذاكرة تاريخية مشبعة بحالة نفسية عند أهالي الجوف وأبنائها نازعة وجانحة بهم نحو الكرامة والتحرر، ورفض للظلم والقمع والهيمنة الظالمة، داعمة، في الوقت ذاته، حالة نفسية في الأصل لها قدر من الجذور والبذور الأولى. نحن نعلم، وسبق أن بيّنا في مبحث تفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، أن التشّكل الاجتماعي في الجوف ذو بنية متنوعة متعددة في خلفياتها وفي مصادر هجراتها وأماكن قدومها. في الجوف، في كل من سكاكا ودومة الجندل، وإلى حدٍّ ما في القرى المجاورة، المجموعات الحديثة لأهالي وسكان الجوف خلا الـ (٢٠٠ سنة) السابقة لعام ١٩٠٠م أو في حدودها، قدمت من عدة مناطق و/ أو تشكلات اجتماعية (قبلية و/ أو غيرها)؛ فهناك من قدم من نجد الوشم/ القصيم، ووادي حنيفة عموماً، وحائل وقُراها ومحيطها، وهناك من قدم من الهلال الخصيب، من الشام و/ أو العراق. هذه الهجرات كانت تتوالى في قدومها و/ أو نزوحها إلى الجوف من خارجه، وفي أحيان حتى من داخله بين مكوناته، وكانت هذه الهجرات والنزوح و/ أو الإزاحات تتم بحثاً عن الاستقرار وحياة كريمة وفيها كرامة، وانعتاق وتحرر من قيود المواطن الأصلية للهجرات. في ١٩٢٢م، وكمثال على كون الجوف عموماً، ملاذاً للطامحين بالحرية والراغبين بالانعتاق من عبودية (نير وشدة وقيود) مناطقهم الأصلية، نشير إلى ما رصده الرحالة سانت جون فلبي، في رحلته للجوف (نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو ١٩٢٢م) عن ظاهرة شاملة مذهلة، حيث يقول عن بعض قرى الجوف، وبالذات عن «كاف» ما يلي: «... ولكن في كاف والقرى التابعة لها انغمرنا في أعماق الحياة العربية المدنية... كثير من سكان كاف والقرى حولها كانوا في السابق من سكان وسط الجزيرة العربية. **فالحاكم المحلي في هذا الوقت (وقت زيارتنا) خرج من بريدة قبل أربعين عاماً ليأتي**

إلى هنا. كذلك القاضي المحلي كان من نفس المدينة حيث غادرها قبل خمسة عشر عاما ساعياً للراحة بالابتعاد عن سيطرة الوهابية كما أخبرني. ويوجد كثير من الناس هنا جاؤوا من عنيزة ومراكز القصيم الأخرى...» (فلبي، رحلة ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٨٠ ـ ٤٨١). **ما يهمنا من ملاحظة الرحالة فلبي، أعلاه، هي** أن الجوف، وقراها، بما فيها كاف وما حولها من قرى، كانت ملاذاً للباحثين عن الحرية والتحرر من قيود مواطن الأصل. لاحظ عدد المستقرين فيها من نجد، ومن القصيم تحديداً. لاحظ أن الحاكم المحلي لكاف عام ١٩٢٢م هو من بريدة في القصيم مهاجر هنا منذ عام ١٨٨٢م تقريباً. لاحظ أن القاضي هنا هو في الأصل كذلك من بريدة/ القصيم، وقدم هنا في حدود ١٩٠٧م، بحثاً كما يقول هو بنفسه عن «الابتعاد عن سيطرة الوهابية». هذه النقطة برمتها، تندرج في الخلفية لتوافد أفراد ومكونات مجموعات أهالي الجوف للجوف والاستقرار فيها و/ أو حتى في نزوح المجموعات والأفراد داخل الجوف وفي ما بين بلداتها و/ أو أحيائها بحثاً عن الكرامة والاستقلالية (الحرية).

هذا التنوع والتعدد في المجموعات الأهلية بالجوف بذاته، وفي سياق دعم من طبيعة نمط اقتصاد فلاحي بسيط يتسم حد الكفاف ومحدودية فائض الإنتاج، ولد حالة من التكافؤ والتساوى بين الأهالي، أفراداً ومجموعات، وكان كل قادم جديد (أفراداً و/ أو مجموعات) يحظى بنفس الحالة من التعامل، بل قد يجد قدراً أكبر من الترحيب من أهالي الجوف الذين سبقوه هجرة واستيطاناً، والسبب أنه في لحظات قدومه ولفترة عدة عقود ممتدة تالية، لا يُنظر له على أنه منافس بقدر ما هو داعم، أو على الأقل محايد للحالة القائمة من التوازن في المكانة والنفوذ، وهو بدوره سيندمج، وفي الغالب تدريجياً، في النسيج الاجتماعي بقدر تمثله للقيم والممارسات والتحالفات في الجوف وللجماعات الفرعية التي يُساكنها و/ أو يجاورها.

هذه الخبرة التاريخية والحالة النفسية المواكبة شكلت الخلفية الديناميكية الدافعة لحالة الوعي في الجوف ولأهلها، وخاصة للناس منهم الذين ولدوا في فترة من عقد الـ «١٩١٠sم» وحتى أوائل عقد الـ «١٩٤٠sم»، أو في حدودهما نقصاً و/ أو زيادة ببضع سنوات. هؤلاء الناس الذين ولدوا في هذه الفترة، سيكونون، في الغالب، هم رجال الخمسينيات ويواليهم شباب الخمسينيات والستينيات (وكلاهما في الغالب أبناء رجال الخمسينيات) من القرن الماضي. رجال الخمسينيات وبعض من أبنائهم هم من شارك في إنتاج وتوليد مشاهد من مشهد الوعي بالجوف خلال الفترة من ١٩٣٧م وحتى ١٩٦٠م تقريباً، ومنها بالذات الشكوى الجماعية لأهالي الجوف (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م). شباب الخمسينيات والستينيات هم في الغالب من له دور في إنتاج مشاهد الوعي بالجوف في عقد الـ «١٩٦٠sم»، والذي،ربما، يمتد جزئياً في بعض سنوات عقد الـ «١٩٧٠sم»، ولكنه دور (للجيل آنف الذكر) سيتناقص على نحو متسارع ما بعد ١٩٧٥م فصاعداً، وربما يتلاشى في نهاية عقد الـ «١٩٧٠sم» وبالتأكيد مع الدخول في عقد الـ «١٩٨٠sم».

هذه الخبرة التاريخية والحالة النفسية للجوف وأهلها الداعمة للوعي في فترة أواخر عقد الـ «١٩٣٠sم» وحتى منتصف الـ «١٩٥٠sم»، وربما حتى أواخره، ستتعاضد جزئياً بالاحتكاك الحياتي (العياني) المباشر بين مجموعات من أهل الجوف وبين المحيط الشمالي والشمالي الغربي للجوف، وبالذات في التواصل والعمل هناك على مدار قرن ممتد منذ ١٨٥٠م وحتى ١٩٥٠م، وبالذات في

العقود الأخيرة (١٩٣٠ ـ ١٩٥٠م)، حيث تطورات وتحولات في سورية ولبنان (الاحتلال الفرنسي) والعراق وفلسطين والأردن (الاحتلال الإنجليزي)، وبالذات ما تعلق بتطور القضية الفلسطينية، بما في ذلك المقترحات الأولى لتقسيم فلسطين والاحتجاجات المرافقة له، وباتجاه انفجار الحروب العربية ـ الصهيونية، خاصة في ١٩٤٨م. لنتذكر أن مجموعة من أبناء الجوف كانوا يعملون هناك، ومنهم من عمل حتى ضمن القوات العربية في العمليات القتالية في تلك المعارك. لنتذكر مظاهرات أهل الجوف في عام ١٩٣٧م، احتجاجاً على المقترح/ القرار الأولي لتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، من قبل اللجنة الملكية البريطانية. كذلك فإن رجال الجوف في خمسينيات القرن الماضي الميلادي، ربما تأثروا عاطفياً بالأحداث العربية في كل من مصر والعراق، وبالذات في مصر، مواقف عبد الناصر وخطبه الحماسية، ذات النزعة التحررية، في مواجهته للغرب ولـ «إسرائيل»، في أثناء وبعد العدوان الثلاثي (١٩٥٦م). الأمر ذاته، جزئياً سينطبق على بعض من أبناء رجال الخمسينيات في التأثر بما يجري في مصر وزعامة عبد الناصر، ولكن سيكون وقعه عليهم أكثر من آبائهم وأجدادهم (رجال الخمسينيات)، كلما اتجهنا زمنياً إلى الأمام، حيث إنهم فضلاً عن التأثر العاطفي الحماسي بعبد الناصر وخطبه، سينشدّون، لاحقاً، أكثر لآرائه وأفكاره القومية في التحرر والعدالة الاجتماعية والوحدة، والتي ستتطور في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات كفلسفة حياة لبناء الدول ومستقبلها.

٢ ـ حالة الوعي ما بعد أواخر ١٩٥٠sم

أشرنا في ما سبق، وعلى نحو غير مفصل إلى مجموعة من العوامل والقوى التي يمكن أن تقدم فهماً وتفسيراً لحالة الوعي في الجوف في الفترة من أواخر عقد الـ «١٩٥٠sم» فصاعداً وربما حتى عقد الـ «٢٠١٠sم». من تلك القوى والعوامل نحتاج إلى أن نشير سريعاً لبعضها، وأن نفصل في الأخرى، نرصد التالي:

أ ـ حالة الوعي ما قبل ١٩٥٥م/ ١٩٦٠م وامتدادات تأثيراتها

في المقطع الأخير وما قبله بالتبعية، بيّنا دور الخبرة التاريخية والحالة النفسية ودورها في توليد حالة الوعي لدى أهالي الجوف، أفراداً ومجموعات. هذه الخبرة التاريخية والحالة النفسية بالتوصيف والخصائص السابقة كانت المحرك الديناميكي لحالة الوعي في فترة ما بين عقد الـ «١٩٣٠sم» وحتى ١٩٥٥م/ ١٩٦٠م. هذا العامل وإن تركز في النفوس، وخاصة في الأجيال ما قبل ١٩٦٠م، إلا أن تأثيراته ستخف، ربما، تدريجياً، وخاصة كلما تقدمنا إلى الأمام، حيث رجال الخمسينيات يبدأون بالرحيل متناقصين شيئاً فشيئاً وعلى نحو تدريجي ما بين أواخر عقد الـ «١٩٦٠sم» وحتى منتصف عقد الـ «١٩٩٠sم». طبعاً هناك دائماً استثناءات، فعدد من رجال الخمسينيات المولودين أصلاً في عقد الـ «١٩١٠sم» وفي حدوده زيادة أو نقصاً بسنوات، ربما يمتد بهم العمر حتى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين. ومع ذلك فهولاء ومعظم جيلهم، حتى مع بقائهم أحياء للعقد الأخير من القرن العشرين و/ أو العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، سيكون دورهم في شواهد وتمظهرات مشهد الوعي في أواخر حياتهم، قد خف بدرجة كبيرة، بل إنه على الأرجح يكون قد انتهى تقريباً. بالتأكيد سيكون لهم دور ما في

التنشئة المبكرة لأولادهم وأحفادهم، ولكنه دور متناقص متلاشٍ أمام دخول متغيرات وقوى جديدة في المشهد في الجوف ومحيطه جنوباً وشمالاً.

ب ـ في المحيط العربي للجوف (شمالاً وغرباً)

١ ـ التحولات الكبرى في المنطقة (الثورات والانقلابات والصراعات، والحروب العربية ـ الإسرائيلية ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) وتأثيرات السياسة والثقافة (الأفكار) والإعلام: الالتصاق بالقضايا العربية، وبالذات قضية فلسطين والقدس، فضلاً عن أفكار ذات صلة بالعدالة والتحرر والاستقلال وضد الهيمنة والقوى الاستعمارية، كلها دعمت وأضافت وقوداً لفكرة العزة والكرامة والتحرر المتكونة أصلاً في جذور الذاكرة والخبرة التاريخية والحالة النفسية. هذه التحولات الكبرى في المنطقة العربية، وبالذات المجاورة شمالاً وغرباً للجوف، كان لها وقع كبير على أهالي الجوف، كباراً وصغاراً، وإن بدرجة أكبر على أبناء رجال الخمسينيات بالجوف، وهم في واقع الأمر شباب «الخمسينيات والستينيات». كان للإعلام العربي المجاور (الإذاعات العربية في القاهرة وبغداد ودمشق وحتى إلى حد ما في عمان) النشط في هذه الفترة الدور الكبير في تواصل أهل الجوف مع تلك الأحداث، وخاصة ما بعد ١٩٥٥م فصاعداً. مع أواخر الأربعينيات ومنتصف الخمسينيات من القرن الميلادي الفارط، ومع تحسن نسبي طفيف في الحياة المعاشة بالجوف، أخذت أجهزة المذياع/ الراديو تنتشر شيئاً فشيئاً في الجوف مما أتاح لهم متابعة الأخبار والتطورات في المنطقة العربية في تلك الفترة فصاعداً. كان وقع تلك التحولات العربية وإعلامها القوي كبيراً على شباب الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، حيث تأثرهم لم يكن فقط عاطفياً، كما حال آبائهم وأجدادهم، وإنما تجاوزه إلى تلقف واستلهام الأفكار القومية، «الناصرية» منها بدرجة أكبر، ولاحقاً معها «البعثية»، في التحرر والاستقلال والنهضة والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية. شباب الجوف، في هذه الفترة، هم الذين انخرطوا في تلك الموجة من الأفكار القومية واتجاهاتها ونشطوا في سياقها، سواء من عمل في شركات الزيت و/ أو التحق بالجيش والقوات المسلحة في السعودية، وحتى الذين عملوا في القطاعات/ الوظائف الحكومية المدنية الأخرى، وبعضهم وصل بهم الأمر أن انخرط في تنظيمات حزبية سياسية سرية بتطلعات إلى السلطة وبناء الدولة (مثالاً، لا حصراً: محاولة انقلاب ١٩٦٩م). من هنا نلاحظ، كما مررنا على بعض من شواهد مشهد الوعي بالجوف، أن هناك عدداً من الاعتقالات و/ أو حالات قمع طالت مجموعة من أبناء الجوف خلال طول فترة عقد الـ «١٩٦٠sم». في هذه الأجواء العربية الملتهبة، شمالاً وغرباً من الجوف، كان الإعلام العربي قوياً مدوياً في الجوف بينما في المقابل، كان الإعلام السعودي ضعيفاً جداً، إن لم يكن معدوماً. من هنا نرى أن السعودية وفي أواخر «١٩٦٠sم»، وبالذات منذ ١٩٧٠م، فصاعداً، ومع تزايد إمكانات مالية (عوائد نفط) ستلتفت إلى تلك الإشكالية وتزيد من قوة تغطيتها الإعلامية في المنطقة.

ج ـ المحيط الداخلي للجوف (السعودية)

١ ـ التعليم والأفكار (ارتفاع مستويات القراءة والكتابة في الجوف): منذ أواخر الأربعينيات من القرن الماضي، وخاصة، منذ منتصف الخمسينيات منه فصاعداً، تتزايد فرص التعليم الحكومي الرسمي

والديني (القراءة والكتابة) في الجوف، مع إقبال متزايد من شبابها على التعليم، وبالتأكيد سيكون لديهم هناك فرص كبيرة ورغبة في مزيد من الاطلاع والقراءة والمتابعة لكل ما هو جديد ومتاح، فكانت هذه مفاتيح ومنافذ وأدوات جديدة للتعرف التدريجي على الأفكار والاتجاهات، فضلاً عن ما تقدمه القراءات والكتابات الحديثة من فهم ومستويات أفضل في التحليل.

٢ ـ الاحتكاك المباشر مع المدرسين العرب (فلسطين/ مصر/ العراق) العاملين بالجوف: ترافق هذا التطور في انتشار القراءة والكتابة بين أبناء الجوف في الخمسينيات والستينيات، مع وجود كوادر معلمين/ مدرّسين من خارج الجوف، وبالذات من مناطق عربية مجاورة (من فلسطين، من مصر، ومن العراق). هذه الكوادر كانت متقدمة في التعليم والمعرفة، ومشبعة بالأفكار الحديثية، وخاصة ما تعلق منها في القضايا القومية (التحرر والاستقلال وتحرير فلسطين، والنهضة والوحدة، ثم لاحقاً أفكار العدالة الاجتماعية... إلخ). لذلك، ليس غريباً، ولنتذكر، مقولة «فلتسقط البرجوازية» على إحدى دكاكين سوق البحر في سكاكا، رغم أن ذلك حدث في حدود ١٩٥٠م، قبل موجة الأفكار التي نتحدث عنها. لنتذكر أيضاً المظاهرة الطلابية، والتي قادها الأساتذة المصريون، وفي الغالب هي وقعت في ١٩٥٦م كردة فعل على العدوان الثلاثي على مصر، وعلى أية حال شارك بها مجموعة من طلبة سكاكا في تلك الأيام.

٣ ـ الاحتكاك الثقافي بالمناطق والمجموعات الأخرى في السعودية:

أ ـ العمل في شركات الزيت. سبق وأشرنا إلى أن مجموعات من أبناء الجوف، وجدوا في شركات الزيت وفي خط التابلاين فرصاً للعمل، فالتحقوا بها، وكانت فرصة لعدد منهم بالتثاقف مع العمال وكوادر العمل من المناطق الأخرى كافة، بما فيها كوادر عربية لديها مستويات مرتفعة من التعليم والمعرفة والوعي وأفكار ذات صلة بالشأن العربي (الأفكار القومية)، فضلاً عن الجوانب الحقوقية للعمال ونقاباتها التنظيمية ذات الصلة.

ب ـ العمل في الجيش والقوات المسلحة. مع أواخر الخمسينيات التحق مجموعة من أبناء الجوف (سكاكا ودومة الجندل) في الجيش والقوات المسلحة السعودية، وبالذات في الثانويات فالكليات العسكرية، فضلاً عن البعثات الطلابية العسكرية (بالذات في مصر)، تخرّج مجموعة منهم كضباط في القوات المسلحة (الجيش) فكان زمن وفترة الدراسة وكذلك أثناء العمل فرصة للتثاقف وتبادل المعلومات والأفكار ومنها ما كان منتشراً وسائداً تلك الأيام، وكان أكثرها هو الأفكار القومية، ذات الصلة بالتحرر والاستقلال والنهوض والوحدة.

نميل إلى الاعتقاد أن هؤلاء من أبناء الجوف العاملين في الزيت و/ أو العسكرية، وحتى في القطاعات الحكومية المدنية، كان لهم دور، أولاً، في دعم ما هو قائم من وعي ومتوفر من المخزون التاريخي والخبرة التاريخية والحالة النفسية، التي سبق أن أشرنا إليها، وثانياً، في زيادة وحشد جزء من الوعي الحديث والذي سينتشر في عقد الـ «١٩٦٠s م»، في الجوف، ويمتد إلى ما ورائها في العقود التالية، وإن بتناقص متدرّج.

ج ـ المشاهدات والمعاينات (البصرية) المباشرة والمقارنات الذهنية التلقائية. إلى جانب ما تقدم من متغيرات وعوامل كان هناك عامل إضافي متولد في جزء كبير منه عن البحث عن العمل والتجول

في عدة مناطق منه. هذا الترحال والسفر من أبناء الجوف وإلى مناطق متعددة خارج الجوف، أتاح لعدد مهم الاطلاع على أوضاع المناطق والتحولات التي جرت فيها ومقارنتها، من ثم، في الأوضاع القائمة بالجوف. تلقائياً سيدرك، على الأقل جزء من أبناء الجوف، الفوارق في التنمية بينهم وبين المناطق الأخرى. من هنا ليس غريباً على رجال الخمسينيات أن يتقدموا بأول عريضة/ شكوى أهلية، ليس فقط على مستوى الجوف، بل ربما على مستوى الدولة ككل، للملك سعود في بداية عام ١٣٧٧هـ الموافق شباط/ فبراير من عام ١٩٥٧م، مطالبين بنهضة الجوف على غرار ما تم ببعض المناطق.

د ـ في الإعلام السعودي (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠م)، وما بعده: أشرنا إلى أن الإعلام السعودي في الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٧٠م كان ضيعفاً جداً، إن لم يكن معدوماً، وبالتالي، فإن هذا الضعف أو العدم له، مقابل الإعلام العربي القوي شمالاً وغرباً من الجوف (بغداد والقاهرة) سيكون تأثيره كبيراً على أهل الجوف، كباراً وصغاراً، وإن كان على الشباب بدرجة أكبر وأقوى، وبمعايير نوعية (أفكار لا عاطفة فحسب)، حيث تتسع مساحات التأثير للإعلام العربي وأفكاره المصاحبة دون منافسة و/ أو مقابلة. هذا الوضع سيتغير منذ ١٩٧٠م فصاعداً، حيث مع بداية الحقبة النفطية، وغياب الكاريزمات/ الزعامات العربية (ناصر) ومدّها القومي، ستتزايد الإمكانات المالية في السعودية، فتزداد مساحات وقوة بثها الإعلامي ومحتواها الأيديولوجي المحافظ. من هنا سنرى أن هذا العامل الإعلامي والمالي والأيديولوجي السعودي المتزايد مقابل التراجعات العربية الموازية، ومقابل رحيل رجال الخمسينيات وكذلك تراجع وانحسار في جيل شباب الخمسينيات والستينيات، وبالتعاضد مع التعليم العام والعالي في المدارس والكليات والجامعات السعودية الحكومية، فضلاً عن المعاهد العلمية والشجن الديني في المساجد والخطب والدعوة، سيعمل على تغيير مكونات بنية الوعي عند أهل الجوف، من المحتوى القومي إلى المحتوى الإسلامي، كما أشرنا إلى ذلك في نهاية بسط واقع الوعي ومشهده. يبقى الوعي في الجوف وبين أبنائه، في مستويات مرتفعة، ولكنه ليس بالقدر والنوعية التي كان عليها الوعي فيما قبل منتصف ١٩٧٥م، وبالذات في عقد الـ «١٩٦٠s م».

هـ ـ سياسات التهميش والإقصاء من أواخر ١٩٥٠s فصاعداً. لاحظنا أن جزءاً من رجال الخمسينيات في الجوف لاحظوا نقص التنمية لديهم بالمقارنة مع بعض المناطق التى زاروها و/ أو عملوا بها أو مرّوا بها وعبروها، ولذلك تحركوا، وطالبوا الملك سعود آنذاك بالنهوض بالجوف أسوة بغيرها من المناطق التي نعمت به، رغم أن أغلبهم كان، في ذلك الوقت، أمِّياً لا يعرف القراءة والكتابة. وحيث إن سياسات التهميش والإقصاء في فترة ممتدة منذ ١٩٥٠م وحتى ١٩٩٨م، تمت معالجتها، بسطاً، شواهد وتمظهرات (حقائق بالأرقام والبيانات الرسمية) للمشهد في الجوف، وتفسيراً لها ولقواها ومتغيراتها، في كتابنا «**سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين: التحديث والتنمية وتحولات النخبة في الريف العربي السعودي**» (بيروت: بيسان، ط١، ٢٠٠٠م)، وفيه تفصيلات عن حالة التخلف التنموي في الجوف في كافة المجالات) (الفالح، ٢٠٠٠: ٣٥ ـ ١٥٠)، وكذلك حيث إنه ومنذ ١٩٩٨ وحتى الآن (٢٠١٣م) لم تتغير الأمور كثيراً بالجوف، فلا زالت تعاني التهميش والإقصاء، فإن ما كتب عن حال فترة ما قبلها يمثلها بدرجة كبيرة. وحيث الأمر كذلك فلا داعي لاجتراره وتكراره هنا، ومن أراد التأكد والتعرف، والمقارنة

بين فترة ١٩٥٠ ـ ١٩٩٨م من جهة وبين ١٩٩٩ ـ ٢٠١٣م من جهة أخرى، يمكنه الرجوع إلى الكتاب ذاته والقياس عليه بالنسبة لما تغيّر وطرأ على الفترة الأخيرة. كل ما بقي هنا للقول هو متعلق بأمرين متصلين: ١ ـ أن الوعي بالجوف وبين أبنائها، وأهلها فيما بعد ١٩٧٥م، وبالذات منذ ١٩٨٠م فصاعداً وحتى نهاية فترة الدراسة (٢٠١٣م)، أخذ يتغذى من سياسات التهميش والإقصاء نفسها والممارسة من الحكم المحلي والمركزي تجاه الجوف وأهلها، مولداً لديهم شعوراً بظلم واقع عليهم بسببها. هذه التغذية للوعي بين شباب الجوف في هذه الفترة، لم تتوقف عند الحالة القائمة بذاتها، بل ربما تعدته إلى شحن واستعادة ما تبقى لها من مخزون وعي توفر لرجال الخمسينيات من أهل الجوف (آبائهم و/ أو أجدادهم)، ليبقى الوعي، بالمحصلة النهائية، عند مستويات مرتفعة منه خاصة تجاه الشأن العام المحلي والوطني وفي المحيط: ٢ ـ ومع ذلك، وكما أشرنا أكثر من مرة في ما سبق، فإن بنية ومرتكزات الوعي في الجوف وعند أهلها وبين أبنائها، أخذت تتحول من مرتكزات قومية إلى مرتكزات دينية/ إسلامية وقضايا إسلامية وفي المحيط الأبعد عن الجوف، وفيها قدر غير قليل من العداء للثقافة الحديثة رغم أنها في مخرجاتها ومنتجاتها وقواها الفاعلة تتلبسهم جميعاً. وفوق هذا وذاك، ومعه، فإن تحالف سياسات التهميش والإقصاء في الجوف خصوصاً، وفي السعودية عموماً وقفل أبواب ومنافذ الإصلاح والتطور السياسي نحو دولة قانونية دستورية عادلة للجميع، بما في ذلك غياب و/ أو تغييب قيام وعمل مؤسسات المجتمع المدني (المؤسسات الأهلية المستقلة)، مع سياسات موازية في الانغلاق والمحافظة والحشد الأيديولوجي في التعليم ومن على المنابر، والضخ الإعلامي الموازي في الداخل، والتوظيف المالي الهائل لتحييد الخارج لعزل الداخل والتفرد به، كلها أنتجت تحولات في بنية وثقافة الوعي في الجوف وبين أهلها وشبابها منذ ١٩٩٠s فصاعداً، من ثقافة منفتحة ذات توجهات عربية إلى ثقافة منغلقة تنزع إلى التشدد والتطرف، بل إن العنف الذي اندلع في الجوف في عام ٢٠٠٣م، كما لاحقاً في من مناطق أخرى، كان ثمرة أساسية من ثمار هذا التحالف لقوى السياسة والإعلام والدين والمال، ضيقاً في الثلاثة الأولى، وإسرافاً في الأخيرة دون رقابة و/ أو محاسبة قانونية شعبية.

الفصل السادس

الجوف: من ثقافة الانفتاح إلى ثقافة الانغلاق

مقدمة

سبق أن قلنا إننا في تعاطينا مع المسألة الثقافية الكلية بالجوف (١٨٠٠م ـ ٢٠١٣م)، نواجه حالات من مفارقات وجدليات ثقافية، فيها قدر من التقابل والتناقض ولكنها لا تخلو من التداخل و/ أو التجاور والمصاحبة و/ أو التباري في أحيان وفترات، ولكن، في الغالب، مع سيادة وهيمنة لواحدة منها على المشهد في فترة بعينها. انطلاقاً من بنية التخلف المعرفي والثقافي (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠)، وهي حالة ثقافية كانت قائمة بذاتها، عالجنا حالة وثقافة الوعي في الجوف (١٩٣٠sم ـ ٢٠١٣م) بسطاً وتفسيراً. وقلنا في حينه إن الوعي بالجوف يتناقض مع بنية التخلف المعرفي والثقافي في فترة القرن السابق عليه على الأقل، وإن كان الوعي يجد له جذور في فترة بنية التخلف.

نبهنا كذلك إلى أن هناك حالة من ثقافة الانفتاح بالجوف، تبدو متوازية و/ أو مصاحبة لحالة وثقافة الوعي، ولكنها بالمقارنة معه تمتد إلى الوراء وتقبع في عمق بنية التخلف، بل وتتسع مساحاتها كلما اتجهنا إلى الوراء. في المقابل حالة ثقافة الانفتاح ستتواصل مصاحبة لحالة الوعي فيما بعد عام ١٩٥٠م، ولكنها ستكون متناقصة كلما تقدمنا إلى الأمام لتصل إلى قريب من التلاشي مع عقد الـ «١٩٩٠sم» وفي حدوده، وفي الغالب نقصاناً ببضع سنوات.

تقديرنا، وكما سنرى من خلال المعالجة، أن الانفتاح، قيماً وممارسات ومواقف بمساحاتها الواسعة، بما كان سائداً قبل ١٩٦٠م بسنين وعقود، سيكون منتهياً مع منتصف وأواخر عقد الـ «١٩٨٠sم»، ولكننا تحوّطاً في الأمر، فوضعنا نهاية فترة الانفتاح في عقد الـ «١٩٩٠sم»، وبحد أقصى في عام ٢٠٠٠م، مع نهاية القرن العشرين، وإطلالة القرن الواحد والعشرين، لذلك قرنّا نهاية الفترة بعلامة استفهام للدلالة على أن الأمر فيه عدم يقين. طبعاً عندما نتكلم عن بداية حالة ثقافية و/ أو نهايتها لا يعني، كما أشرنا أكثر

من مرة سابقاً، أنها أو بعض من عناصرها، ستبدأ و/أو تنتهي قطعاً مع تلك السنة (أو اللحظة)، لذلك فإننا عندما نقول، مثلاً، أن الانفتاح سيكون منتهياً في عام ٢٠٠٠م بحد أقصى، إنما نعني الغالب فيه ومن عناصره ومساحاته، لذلك سيكون غالب عناصر الانفتاح ومساحات منها منتهية لا وجود لها، بينما عناصر أخرى منه ستكون، إلى حد ما، متجاوزة، في وجودها وممارستها، هذا التحديد إلى ما بعدها من زمن، ولكنها بوجودها ومساحاتها وممارستها تتناقص وتخف كلما تقدمنا إلى الأمام زمانياً، وربما تأخذ في التلاشي و/أو التواري في سياق تواصل بروز حالة ثقافية أخرى، وتنامي الأخيرة باتجاه حالة من السيادة والهيمنة على وفي المشهد الثقافي للناس وممارساتهم.

ورغم ما بين الوعي والانفتاح من مصاحبة، لفترة ما، وخاصة ما بين عقد الـ «١٩٣٠sم» وحتى أواخر عقد الـ «١٩٨٠sم»، فإننا فضلنا معالجة حالة وثقافة الانفتاح منفصلة عن حالة وثقافة الوعي بالجوف. في المقابل، وبسبب ما بين حالة وثقافة الانفتاح من جهة، وبين حالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف من ترابط بالمعاكسة والمخالفة (كلما زادت مساحات الانغلاق والتطرف والتشدد، كلما قلَّت مساحات الانفتاح والعكس صحيح) رأينا أنه من الأفضل بحثياً أن نعالج كلاً من حالة وثقافة الانفتاح وحالة وثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد في فصل واحد، ولكن معالجة منفصلة متصلة. من هنا في هذا الفصل، واتساقاً مع الانفصال، سنعالج، أولاً، حالة وثقافة الانفتاح، بسطاً للحال والواقع، ثم سنعالج، ثانياً، حالة وثقافة الانغلاق بمكوناتها (التطرف والتشدد فالعنف) بسطاً للحال والواقع، ثم في مرحلة، ثالثة واتساقاً مع الاتصال بين الحالتين بالمخالفة، سنقدم محاولة لتفسير مشترك لكل من الانفتاح والانغلاق في الجوف.

أولاً: في ثقافة الانفتاح في الجوف (١٨٥٠ ـ ١٩٩٠sم؟)

الآن علينا أن نعالج حالة وثقافة الانفتاح بالجوف، والتي تغطي تقريباً فترة ممتدة بين ١٨٥٠ وحتى عقد الـ «١٩٩٠sم»، وربما بحد أقصى إلى عام ٢٠٠٠م، لنرى بالفعل ما كان سائداً منها في ما مضى وما انتهى، وما تبقى منه، إن تبقى شيئ. طبعاً الحالة الكلية لثقافة الانفتاح قد تمتد إلى الوراء وحتى ١٨٠٠م وربما تتجاوزها إلى ما قبلها، ولكننا من ناحية بحثية سنركز في معالجتنا لحالة وثقافة الانفتاح على فترة تمتد بين ١٨٥٠م وحتى أواخر عقد الـ «١٩٩٠sم» كحد أقصى. المعالجة تقتضي بسط مشهد الانفتاح، شواهد وتمظهرات، على امتداد المشهد وفترته بقدر الإمكان، ثم في النهاية أو في مرحلة لاحقة مناسبة، نقدم محاولة في الفهم والتفسير لحالة وثقافة الانفتاح ومساحاته في الاتساع وفي التقلص والتلاشي. يمكن أن نعالج تفسير الانفتاح بالتوازي مع تفسير الحالة الثقافية الأخيرة الانغلاق ومكوناتها (التشدد والتطرف والعنف) بعد الانتهاء من عرض الأخيرة، لما بينهما من ترابط بالمخالفة، ذلك أننا نرى وسنرى ونُبيّنه على نحو أكثر وضوحاً، أنه بقدر ما يتزايد التطرف والتشدد بقدر ما يتقلص الانفتاح ويتلاشى ويكون على حساب الانفتاح، مما يعني بدرجة أو أخرى، أن العوامل والمتغيرات والقوى المفسرة لصعود التطرف والتشدد فالعنف، هي في الغالب نفسها، بالمقابل وبالمخالفة، العوامل التي تفسر انحسار وأفول الانفتاح.

قبل القيام بالعالجة علينا أن نحدد ماذا نقصد بالانفتاح بالجوف. الانفتاح المعالج هنا يعني حالة ثقافية تسود في فترة ما وتشمل مجموعة من القيّم والممارسات و/ أو المواقف والاتجاهات والتعاملات لأفراد و/ أو مجموعات من الناس (هنا أهل الجوف) فيما بينهم و/ أو تجاه الآخرين، بما في ذلك المختلفون عنهم من داخلهم و/ أو من خارج فضائهم الكلي (خارج الجوف/ خارج البيئة العربية)، وكذلك تجاه ممارسات ثقافية متعددة، وفي الغالب تتسم هذه المواقف والتعاملات بالتسامح، والاحترام، والتقدير للآخر/ الآخرين، وبالمرونة والقبول لممارسات ثقافية متعددة وواسعة، بل وممارستها هي بذاتها، وفي الحدود الدنيا من التحفظ و/ أو القيود.

في ثقافة الانفتاح وبسط الحال والواقع: الشواهد والأثبات

في هذا الجزء من المعالجة علينا أن نبسط حال وواقع مشهد الانفتاح، شواهد وتمظهرات، تدلل على الحالة الثقافية وتثبتها. في عرض هذه الشواهد سنحاول ما أمكن هنا ملاحظة مدى استمراريتها من انحسارها على مسار المشهد. وعلى أية حال، إن لم تتم هنا الملاحظة سيكون لها موقع بارز عند وفي معالجة ثقافة الانغلاق بمكوناتها من التشدد والتطرف فالعنف، والتي فيها غالب مظاهر الانفتاح سينحسر بدرجة كبيرة، إن لم تكن منتهية تماماً. شواهد مشهد ثقافة الانفتاح للجوف ولأهلها متعددة، وهنا نمر على محطات هامة منها، على النحو التالي:

١ ـ في الموقف/ الثقافة من الآخر

لعل من حسنات الرحالة الأجانب الذين زاروا الجوف (١٨٤٥م ـ ١٩٢٢م) أن سجلوا جزءاً من ممارسات الجوف الثقافية، ومنها ما تعلق بتعاملات أهل الجوف مع الآخر المختلف (الأجنبي غير العربي) والموقف منه. رغم بعض الإشارات من بعض الرحالة عن ممارسات فَظّة تجاههم، والتي على أية حال تبدو محدودة وفي الغالب من أفراد و/ أو مجموعات صغيرة ولظروف بعينها، إلا أن غالبية منهم تذكر وتسجل أنهم، في الغالب، تلقوا في الجوف، ومن أهلها، معاملة حسنة، وعموماً ترحيباً وتسامحاً معهم، وضيافة قَلَّ نظيرها في مناطق ولجماعات أخرى. من تلك الملاحظات نشير إلى محطات هامة منها، على النحو التالي:

أ ـ ١٨٤٥م والرحالة «والن»

في زيارته للجوف عام ١٨٤٥م، يقول الرحالة جورج أوغست والن، عن تسامح وحسن تعامل أهل الجوف (دومة الجندل) التالي: «... رغم أن سكان هذه البلدة معروفون بخصوماتهم وصلابتهم فيما بينهم، إلا أنهم معروفون ومعترف بهم من جميع الناس بأنهم مضيافون جداً، ولطفاء مع الغرباء. وفي ما يتعلق بي، فعليّ الاعتراف أنه حتى من القبائل العربية المضيافة في الصحراء لم أقابل أية قبيلة تفوق أهل الجوف في هذه الفضيلة. ولم يعاملني أحد من قبل بمثل ما عاملوني...» (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٤). وفي معرض حديثه عن المقارنة بين مجموعات سكانية «القراريط» في الجوف، في حي الدرع، و«القروط من كُلاب» في جبة/ حايل، يذكر الرحالة والن أنه كوَّن صداقة مع عدد من

الشيوخ المسنين في الجوف، عندما يقول «لقد أخبرني سكان جبة خلال إقامتي في قريتهم، أن هؤلاء القراريط لازالوا يحتفظون بكتب قديمة... ولكن لم يذكر لي أحد هذه المعلومات في الجوف، مع أنني كنت حميماً وصديقاً للشيوخ المسنين» (والن، رحلة ١٨٤٥، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٤). نود أن نلفت النظر إلى أن الخصومة التي يقول عنها والن إنها بين السكان، فإن والن يبدو نقلها و/أو سجلها دون تمحيص ولا تفسير. ونحن هنا، نقول إن تفسير الظواهر والسلوكيات والعلاقات أهم من رصدها، ولذلك نرى أن التفسير لهذه الظاهرة في العلاقات البينية (بين سكان) أهل الجوف مرده لا إلى نزعة فطرية (جينيات وراثية) كما قد يفهم أو يتبادر للذهن من تلك المقولة، وإنما مرده إلى نمط وطبيعة الاقتصاد المتسم بحد الكفاف وتآكل فائض الإنتاج فجمتع لا طبقي، أي مجتمع «المساواة»، وهي»المساواة» محرك التنافسات فالصراعات كما سبق أن بيَّنا في تفسير الحرب الأهلية بالجوف (للمزيد انظر مبحث تفسير الحرب الأهلية بالجوف ١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م).

ب ـ ١٨٦٢م والرحالة بلغريف

في رحلته للجوف عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م، ورغم قول له ملتبس عن حال أهل الجوف «وتقلب مزاجهم بلا هدف محدد، حتى في أساليب الغدر والخيانة...»(!) (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٧)، إلا أنه، لاحقاً، يسجل أوصافاً لأهل الجوف ومواقفهم تجاه الآخر بما ينقض كلية ما تقدم له من قول، حيث كتب قائلاً: «إن أعظم سمة لسكان الجوف هي ميلهم للتحرر، فليس في أي مكان حتى في الجزيرة العربية تتم استضافة الضيف ومعاملته بالحسنى وإكرامه لدرجة عرض الإقامة عليه وتقريبه حتى يصبح واحداً منهم... مضى أسبوعان أو أكثر، وما زلنا ضيوفاً مكرمين حسب التعبير العربي... وما زال بيت غافل[1] مأوانا الرسمي. ولكن كان هناك أيضاً منزلان نحس بالراحة فيهما، هما منزل ضافي، الذي جاء مع غافل لاستقبالنا أول مرة، ومنزل سالم الرجل المحترم، الذي كان بطريقته رجلاً كبيراً مثقفاً، وكان يسكن بجوارنا وتحيط به أسرة كبيرة مكونة من شبان صغار... وكنا نرتاح في بيت سالم عندما نتعب من غافل وأمثاله، ونجلس في ساعة صفاء في مجلسه وننشد الشعر العربي، أو نستمع إليه ونتحدث عن أحوال البلدة ومستقبلها ونناقش القضايا الأخلاقية، أو نعلق على أساليب واتجاهات الناس في عصرنا الحالي. وفي كلا المنزلين كنا على يقين من أن نجد ترحيباً حاراً ووداعاً أكثر حرارة. وحتى عندما ابتعدنا ورحلنا إلى حائل كنا نستلم الرسائل من سالم وضافي... لقد كانوا جميعاً أصدقاء مخلصين وتصرفوا بنيات حسنة نحونا. وكانت لهم رغبة قلبية ليرونا بينهم في إقامة دائمة، وفي علاقات عمل، بل في علاقات زواج...» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٩ و٨٩ ـ ٩٠). وسبق للرحالة بلغريف أن أشار في مذكراته إلى الاستقبال الحار والحفاوة والتكريم وحسن المعاملة التي تلقاها لحظة اجتيازهم للمنحنى المتدرج للوادي على حافة الجوف (دومة الجندل)، من كل من غافل وضافي، رغم أن الأخيرَين، لا يعرفانه ومرافقه مسبقاً ولا عن خلفيتهما الحقيقية، حيث يقول: «... فكانت الجوف أشبه بجنة لا يدخلها أحد إلا بعد أن يجتاز نار الصحراء... فاجتزنا المنحنى المتدرج للوادي، وما كدنا

---

(١) المقصود بـ«غافل»، هو غافل الحبوب من السراح (الباحث).

نجتازه، حتى أقبل اثنان من الخيالة يرتديان فاخر الثياب ومدججين بالسلاح، على غرار ما عرفت تلك المناطق من أزياء، حيث رحبا بصوت عال بكلمة «مرحباً»، وبدون مقدمات قالا: «ترجلوا وكلوا»، ونزلا من على حصانيهما الضامرين، وحلّا رباط حقيبة جلدية مليئة بأفخر أنواع التمور، وأحضرا قربة ماء مليئة من ماء ينبوع جارٍ ووضعا كل ذلك على الصخر، وقالا: «لقد كنا على يقين من أنكم جائعون وظماء، ولذلك جئنا مستعدين لحاجتكم، فدعوا مرة أخرى للجلوس والأكل. بالفعل كنا ظماء وجائعين، وكان التمر المقدم لنا من إنتاج الجوف، وأفضل ما يمكن أن تجد في شمال الجزيرة العربية، أما الماء فقد بدا صافياً وعذباً بارداً،لا يحتاج إلى تزكية بعد ماء أبار «ميقوع» و«أويسط»، ولم يكن هناك داعٍ للتردد وجعل مضيفينا يعيدان الدعوة. وشرعنا من فورنا في تناول الوجبة التي أمامنا تاركين المستقبلَ للعناية الإلهية ولما تجيء به الأيام. وبدأت باغتنام الفرصة لدراسة المظهر الخارجي لمضيفينا. كان أكبرهما في حوالي الأربعين من العمر، طويلاً وقوي البنية، وكان لونه يميل إلى السمرة، ويعطي الأحساس بعدم الثقة، وفيه شيء من غطرسة مكتسبة، وملامح من الذكاء، ويرتدي ملابس فاخرة بالمقياس العربي. وكان يلبس صدرية بأكمام طويلة، وتتدلى فوق ثوبه الأبيض الطويل، وعلى رأسه منديل حرير بخطوط حمراء وصفراء، وعلى جانبه سيف بمقبض فضي. وباختصار كل ما ظهر فيه يدل على أنه رجل ثري، وذو مكانة، وكان هذا الرجل هو غافل الحبوب شيخ عائلة مهمة، ومتمردة في الجوف، تعرف ببيت الحبوب. كانت هذه العائلة وحتى وقت قريب تحكم، ولكنها الآن مثل سائر أفراد رعاياها، خاضعون لسلطة حمود [العقلا] نائب الأمير طلال بن رشيد حاكم جبل شمر. أما رفيقه فقد كان اسمه ضافي، وهو أصغر منه سناً، وأقل منه في تكوينه الجسماني، وأقل منه في مستوى الملابس، ولكنه مثله، يحمل السيف ذا المقبض الفضي ذاته، والذي عادة ما يحمله في الجزيرة العربية آباء الأسر المعروفة. كان ضافي أيضاً يحمل اسم حبوب، ولكن ملامحه تنم عن شخصية أكثر انفتاحاً ومرونة بالمقارنة بشخصية شيخه الذي يبدو أنه ابن لعمه الرابع أو الخامس. بعد أن تناولنا الوجبة، ظللنا مكاننا لفترة، وأجبنا على بعض الأسئلة. ولما كنا نعلم أن الحاكم حموداً يقيم في بلدة الجوف، فقد اقترحنا على غافل أن نزوره عند دخونا البلدة، ولكن الشيخ غافل، لم يحبذ ذلك لعدة أسباب سيعلم بها القارئ فيما بعد، وقال إننا ضيوفه هو شخصياً، ولذلك أصبح من حقه أن نزوره هو أولاً، أما حمود فيمكن أن نزوره فيما بعد وفي صحبته هو... كما أن ظهوره معنا في مثل هذه المناسبة يمثل ضماناً لرضا الحاكم. وأضاف ضافي أن بيته هو الأقرب، وأنه يعتبر نفسه مضيفاً لأنه جاء خصيصاً لاستقبالنا، وله نفس الحق، الذي للشيخ غافل في استضافتنا. على أية حال في النهاية تنازل ضافي لقريبه الشيخ، وامتثل لأمره لأنه أكبر منه مكانة وأعلى سلطة. تحركنا جميعاً نسير ببطء، وعندما كدنا نهبط إلى بطن الوادي، وكانت تغطينا بساتين النخيل بظلالها، أعرب ضافي عن أسفه لأننا نمر بداره دون أن ننعم بشيء من ضيافته. وبعد أن وجه لنا دعوة، على أن تتم في أقرب وقت، اختفى بين جدران البساتين، ولكنه وهو يفارقنا رمق غافلاً بنظرة لها معنى، ورمقنا نحن أيضاً بنظرة لم نفهم جيداً حتى الآن معناها» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٦١ ـ ٦٢). وتجاه موقف أهالي الجوف من الالتزام بالعقود والأمانة بالوفاء بالديون للآخر، بما فيه الغريب غير العربي، يذكر بلغريف أنه في المعاملات التجارية (الشراء)، «كان سكان الجوف أحرص منا في الشراء، فمنذ البدء ازدحم فناء بيتنا بالمشترين... وقد تم بيع كل ما حملنا من هذه الأشياء، إما نقداً أو بالدين. ومن

العدالة أن أقول إن كل الديون قد دُفعت لنا بكل أمانة في موعدها، وحتى تجار شارع أكسفورد في لندن لم يكونوا في الأزمان السابقة محظوظين مثلنا (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٨٠). لنذكر، القارئ، أن بلغريف، أشار لاحقاً إلى أنه عرف عن موقف عدائي لم يُنفذ ضده من عدد من أهل الجوف، وعلى رأسهم سليمان بن ظاهر، لحظة دخوله «مدخل الوادي» للجوف، وعلى ما يبدو قبيل استقباله من قبل «غافل وضافي الحبوب». المجموعة ذات الموقف العدائي يبدو مرتبطة بـ «سليمان الظاهر» حيث هو بنفسه من أخبر الرحالة «بلغريف» لاحقاً عن الأمر، وعلماً أن سليمان الظاهر، نفسه، أصبح فيما بعد قريباً منه وصديقاً له ومرافقه. كانت النية تجاه الرحالة بلغريف ومرافقه تتنازع مجموعة سليمان بن ظاهر، إما الاستضافة وإما القتل والسلب. ومع ذلك يلاحظ أن الأمر لم يُنفذ، وكذلك أصبح رئيسهم صديقاً مقرّباً من بلغريف، وهو ما يدل على أن الفكرة عارضة، وعلى أية حال كان هناك من اعترض عليها من المجموعة في شقها السيئ، حيث إن سليمان بن ظاهر، وبعد تشاور مع الرجال/ الخيالة رفقته، قال لـ «بلغريف» ومرافقه: «اذهبوا آمنين» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٧٨). تلك الحادثة، وملابساتها، عند ما عرفها بلغريف»، هي على ما يبدو، ما جعله يكتب عبارته الملتبسة، آنفة الذكر، عن تقلُّب مزاج أهل الجوف «بلا هدف محدد، حتى في أساليب الغدر والخيانة»!

ج ـ ١٨٧٩م والرحالة الليدي آن بلنت

الرحالة «الليدي آن بلنت» في رحلتها للجوف ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٩م، رفقة زوجها «ويلفرد بلنت»، تكشف عن الصورة الحقيقية الإيجابية خلافاً لما تصورته لأول وهلة عن أهل الجوف (دومة الجندل) عندما تسجل وتقول التالي عن تعاملهم معهم: «ليس في الجوف ما يمكن أن يعتبر سوقاً، ولا شوارع... بل مجرد عدد من الأزقة المتعرجة... فعندما دخلنا المدينة راكبين وجدنا هذه الخطوط مزدحمة برجال مسلحين، جميعهم يحملون سيوفاً... مظلمة طلعتهم، وغير مسرورين من رؤيتنا كما ظننا. ردوا على تحيتنا (السلام عليكم) ببساطة، وبدون حركة، وتركونا نمر دون مبادرة معينة للكرم. أن نفترض أنهم غير مكترثين كان على أية حال خطأ. كان برودهم مجرد رسميات عربية، فعندما بدأ محمد يستفهم عن بيت أقربائه أشاروا إلى الطريق بأسلوب حضاري. وجاء معنا واحد أو اثنان منهم، وأخذنا من المسالك الضيقة، ومن خلال بساتين النخيل إلى الجانب الآخر من المدينة، ثم خارج المدينة من خلال بوابة أخرى، بعدها إلى أحد الحقول المنعزلة، التي رأيناها من المرتفع، وكان قريباً، على بعد لا يبلغ الميل، وفي بضع دقائق أخرى ترجلنا، وعوملنا بكرم بالغ في (قهوة) حسين الأنيقة...» (بلنت، رحلة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٢٤ ـ ١٢٥). وفي سكاكا، يبدو الأمر أكثر إثارة ودهشة لها ولزوجها من حفاوة واستقبال تلقوهما هناك، حيث تقول وتسجل الليدي آن بلنت التالي: «جاءنا رسول من سكاكا بدعوة من جوهر [عامل الجوف] لنا، ولهذا نحن ذاهبون هناك غداً، ولن نقيم مع جوهر، فليس له منزل خاص به، بل سنقيم مع آل عروق، الذين تم اكتشافهم أخيراً. أرسل ناصر بن عروق رأس الأسرة عند سماعه بوصولنا، ابنه، حاملاً رسالة تتضمن كل أنواع المجاملات، وإلى بيته سنذهب. والشاب متواضع، مهذب بدون رياء، أمين وصريح، إذا كان بإمكان أي أحد أن يقرأ أي شيء في الوجوه، وبكل وضوح كان شديد التأثر بالشرف الذي ناله بزيارتنا المعتزمة» (بلنت، رحلة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣١).

بل إن المعاملة التي تلقتها «الليدي آن بلنت» وزوجها فعلياً في منزل «ابن عروق» كانت أكثر من المتوقع، ولنترك «الليدي بلنت» هي بنفسها تكمل ملاحظاتها في سكاكا بعد وصولها هناك، حيث تقول: «نحن الآن في قلب عائلة ابن عروق، وهي بعد كل شيء ليست أسطورة، بل واقع مضياف، فقد استقبلونا بسواعد مفتوحة، وكأنهم ينتظروننا كل يوم على مدى المائة سنة الأخيرة... أقمنا ثلاثة أيام مع نصر[٢] وأولاده وزوجاتهم وأولادهم في منزلهم الريفي الهادئ. وكانت استراحة نحن في أمس الحاجة لها، وأثبتت أنها تجربة مثيرة، وفرصة ممتازة للتعلم أكثر عن الحياة العربية البيتية، أكثر مما علمناه في رحلاتنا السابقة...» (بلنت، رحلة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٦). بل إن الليدي بلنت وزوجها، عوملوا على ما يبدو، معاملة وكأنهم من «آل البيت لابن عروق»، حيث شاهدوا تفصيلات «مهمة وكثيرة عن الحياة في بيت مضيفهم، وعن كيفية وتفاصيل خطبة إحدى بنات العائلة إلى مرافقهم محمد بن عروق ابن شيخ تدمر» (بلنت، رحلة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٤٢، الهامش رقم ١٠).

د ـ ١٨٨٣م والرحالة «أويتنغ»

الرحالة «جوليوس أويتنغ» في رحلته للجوف عام ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، يسجل قدراً من الإيجابية في تعامل أهل الجوف معه، وإن كان هناك قدر من الالتباس في الملاحظة. أثناء وجوده في كاف، يسجل أويتنغ الواقعة التالية وبالذات ما تعلق بموقف شيخ كاف عبد الله الخميس وعائلته منه في كاف، فبعيد وصوله إلى كاف، ١٠ أيلول/ سبتمبر١٨٨٣م، يقول أويتنغ: «... قام الشيخ بضيافة كل المشاركين في القافلة على شكل مجموعات حيث جلس غالبيتهم في العراء مباشرة بعد المدخل، وآخرون في الساحة أمام منزل الشيخ، **ونحن كمميزين، تناولنا القهوة والتمر والخيار في الديوان المشهور أو القهوة...**» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٧٦). وعن أمسية ١٥/ سبتمبر/ ١٨٨٣م، يقول أويتنغ: «بعد وجبة مساء اليوم، جلست في الفناء المظلم ضمن مجموعة زوار... قام أحد الزنوج بتقديم القهوة للضيوف، أما أنا فلم تُقدم لي القهوة إلا آخر الموجودين. ولأنني لم أكن معتاداً أن يقدم لي الشيء آخر شخص، نهضت واقفاً، وقفلت عائداً إلى مكان إقامتي. بسبب الارتباك الذي حدث، **استيقظ الشيخ، الذي كان أثناء المشهد ينام بالقرب من المجلس، وأسرع نحوي واعتذر بإلحاح شديد لعدم الاحترام الذي تلقيته، مردداً أن ذلك العبد مخلوق فظ وجاهل ولا يعرف التقدير، وأنني من أنبل الرعايا المسيحيين. وأنه شخصياً كان نائماً ولا توجد لديه أدنى فكرة عن الأمر الذي حدث. وأنني يجب أن أقتنع بأن مثل ذلك الأمر لن يحدث مرة أخرى**. بناء على توسلاته تحركت خارجاً لأجلس معهم، ومن قهوة قام بإعدادها بنفسه تناولت فنجاناً من يده. كان لا بد لي من أن أتصرف وفق ما فعلت، لأن الأمر بلا ريب مع هؤلاء الناس اتخذ صفة اللامبالاة وعدم الاكتراث. وإذا ما احتمل المرء خرق التقاليد دون عتب ولوم، فإنهم وإلى إشعار آخر يحكمون على كرامة ووجاهة الآخرين فقط، وفق ما يقوم بحسمه هو شخصياً» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩٣).

(٢) وَرَدَ الاسم «نصر» هكذا مكتوباً، وهو خطأ ربما مطبعي، والأصحّ أنه «ناصر» كما يتأكّد من خلال الاقتباس السابق مباشرة (الباحث).

وفي سياق ملاحظاته الملتبسة حول الشيخ عبد الله الخميس، فإن أويتنغ كان قد بدأ، يكتشف، كما يقول، حقيقة شخصيته، حيث بدأ يلحظ أن عبد الله الخميس أخذ يعبر عن تحسسه من أعباء ضيافته في منزله التي قد تطول لأكثر من ثلاثة أسابيع، بمفاتحته عبر ملامح وجهه المعبرة عن «الشكوى بأنه الآن وبكل أسف ليس لديه دقيق وأرز في منزله» مما دفع بالرحالة أويتنغ لأن يقول «لكنني أعفيته من الأعذار اللاحقة، ورجوته بأن لا يهتم بالأمر البتة، وأنني راضٍ تماماً من استضافته» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٩٢). ومع ذلك فإن الرحالة أويتنغ، لم يدرك لأسباب وفوارق ثقافية على ما يبدو، أن تحسس الشيخ عبد الله الخميس لم يكن غير طبيعي في سياق ثقافة الضيافة العربية التي تحدد الالتزام بها لمدة ثلاثة أيام فقط. على أية حال ورغم ما تقدم من التباسات ثقافية، وربما تالية، تبدت للرحالة أويتنغ تجاه الشيخ عبد الله، إلا أنه يسجل مرة أخرى، الموقف العام لأهالي كاف نحوه ومرافقه، عند رحيله من كاف متجهاً إلى الجوف (دومة الجندل) في ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٨٣م، حيث يسجل أويتنغ لحظة الوداع، قائلاً: «عند الوداع منحت النساء بعض الأشياء الصغيرة، واستفسرت من الشيخ عبد الله عما إذا كان لديه رغبة أستطيع أن ألبّيها له، فطلب مني أن أقرضه بعض المال وسوف يرده لي مرة أخرى عند عودتي، فأعطيته ٥ مجيدات وطلبت منه أن يحتفظ بها حتى نلتقي مرة أخرى بالجنة. **بعد ذلك تجمع أهل القرية جميعا عند البوابة متمنين لنا سفرا سعيداً**» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٢٤).

فوق ما تقدم في العلاقة والموقف منه كأجنبي، فإن هناك موقفاً لا بدّ من أن يُسجَّل، وهو متعلق بقصة غرام وربما عشق، وفي الحد الأدنى رغبة ومصلحة بحتة بالزواج، أبدتها له عدد من فتيات «كاف»، وبالذات واحدة اسمها «**لهود**» وهي أصلاً من قرية «إثرة» وقريبة من شيخ كاف (عبد الله الخميس). ولأهمية القصة لا لذاتها فحسب ـ والتي تستحق أن تكتب في رواية، وكنت شخصياً تمنيت لو أن لديّ إمكانات وتقنيات الرواية لكتبتها فعلياً ـ وإنما فوق ذلك لما فيها من مدى الانفتاح والشعور المباشر تجاه الآخر المختلف (حتى دينياً)، في هذه البيئة المنعزلة والمعزولة، نورد ما قاله الرحالة أويتنغ عنهن وعنها، والحوار الذي دار بينهما على النحو التالي: «جاءت لزيارة منزل عبد الله، فتاة جميلة ذات السبعة عشر عاماً تقريباً تدعى «لهود»، وهي قريبة له من قرية إثرة. ببساطة وسذاجة كبيرتين عبرت هذه الفتاة عن أمنيتها بأن أتزوجها. كذلك كانت الأخريات ورائي بشكل دائب لكي أتزوج. كيف يتسنى لي إذاً أن أدافع مؤيداً حججي بالرفض؟ قد يتبين من هذا الحديث المثير للدهشة بيني وبين لهود: قلت: إنني أسافر الآن في أرض البدو، وهناك ليس من هدوء وراحة، لذا فإنني لا أحتاج امرأة، وإلا لكنتُ قد صحبت إحداهن من بلدي. قالت: نساؤكم لسن معتادات على السفر، أما أنا فيمكنني ركوب الإبل ليلاً ونهاراً وبشكل جيد مثل الرجل. قلت: لكنني لا أملك إلا ذلولاً واحدة فقط كما تعلمين. قالت: هذا لا يهمُ؛ سوف أركب رديفاً لك بشكل جيد؛ إنني لا أحتاج إلى حبل ولا إلى رباط. قلت: حقاً، ولكن يعلم الله أنني أقضي كل حياتي هائماً في بلاد موحشة، وأنني يوماً ما سوف أعود إلى موطني في بلد المسيحية، وإلى هناك لا يمكنك حقاً الذهاب معي. قالت: لماذا لا يمكن ذلك؟ هل سيقوم المسيحيون بضربي حتى الموت وأنا امرأة؛ ألا يمكنك أن تحمي الأنثى التي تخصك؟ إنه سيكفيني للعيش اليومي البرغل أو حفنة رز

وبضع تمرات؛ وأن تشتري لي ثوباً إذا ما احتجت إلى واحد منها. قلت: إن هذا لهو أقل شيء، ولكنني أعلم أنه إذا ما جئت إلى بلادنا فلن تفهمي اللغة، وسترين بشراً غرباء، وبعد ذلك سوف تقلقينني طوال الوقت وتبدئين[٣] بالنواح والحسرة على أمك وأبيك. قالت: أتحسبني مغفلة أو مخبولة. لماذا لا يمكنني أن أتعلم لغتكم؛ وكيف يتعلم أطفالكم؟ خذني امرأة لك، وهكذا سوف أظل. أما بشأن والدي وأشقائي فسوف لن تنبس شفتي بكلمة شكوى واحدة» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٤).

ويختم «أويتنغ» كلامه، بالقول: «بسلاسة وطلاقة لسان لم تترك لي أي حجة. هكذا بدأ موضوع الزواج يُتداول ويُطرق كل يوم، وكانت الأحاديث البريئة والساذجة حقاً مثار تسلية كبيرة، ولا بد لي أن أُقر بأنني لم أجد أي فتاة ذات جرأة، وبالتالي سهلة الانقياد. من يدري فربما كانت الأمور لو طاوعتها ستصبح على ما يرام، مثلما كان الحال مع بيترو دي لافالي [رحالة إيطالي تزوج بفتاة شرقية خلال رحلته في الشرق]» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٤ ـ ٢٠٥). مما تقدم ومما يلي، يبدو أن الرحالة أويتنغ وقع في قدر من الغرام، ولكنه لم يكن قادراً على تطويره لزواج فعلي، بسبب مخاوف ثقافية على ما يبدو، فضلاً عن أن «لهود» حين وصلها خبر وفاة شقيقها المفاجئ في «أثرة» غادرت إلى هناك بدمع وعويل لا يتوقفان، وحينها قال أويتنغ: «... مددت يدي مودعاً، ولم أرها بعد ذلك على الإطلاق» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠١ه، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٢٩). طبعاً قصة «لهود» ـ «أويتنغ» ستبدو غريبة مستنكرة من أناس (ذكوراً و/ أو إناثاً) في وقتنا الحاضر، ولكنها من الناحية البشرية/ الإنسانية ممكنة وطبيعية، وهي يجب أن تفهم، لا بمقاييس ثقافتنا الحالية، وإنما بمقاييس وظروف وثقافة الفترة التي عاشتها «لهود»!

هـ ـ ١٩٠٨م والرحالة «أس. أس. بتلر»

الرحالة «أس. أس. بتلر» عن رحلة مشتركة مع ل. أيلمر ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م، له ملاحظات على موقف أهل الجوف(سكاكا) من الآخر نورده كما سجله هو بنفسه في محاضرة ألقاها عن الرحلة المشتركة، بعنوان «من بغداد إلى دمشق عبر الجوف، شمالي الجزيرة العربية» في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن يوم ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٠٩م. يقول فيها: «لقد وصلنا إلى سكاكا كأجانب ولم ندَّعِ أننا مسلمون ومع ذلك عوملنا معاملة تشمل كل معاني الضيافة من شخص مشهداني يدعى حسيناً، **وكل الذين قابلناهم في سكاكا عاملونا بكل كرم، وبطريقة لا تختلف عن معاملة حسين**» (بتلر، عن: رحلة بتلر وأيلمر ١٣٢٥ه/ ١٩٠٨م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٥٦).

ورغم ما تقدم يبقى هناك بعض الاستثناءات والشذوذ عن القاعدة العامة والسائدة في الجوف في انفتاح الأهالي تجاه الأغيار والآخرين الغرباء المختلفين، وتعاملهم معهم، سواء أتت من أو صدرت عن مجموعات صغيرة أو حتى من أفراد، بعضها حُسب ضمن شخصيات الجوف في فترة من الزمن، ولكنهم مارسوا معاملة فظة وقاسية ووصل بعضها إلى درجة اللصوصية والاختطاف والسلب، بل حتى التهديد

(٣) هكذا وردت مكتوبة في الترجمة، والأصح أن تكتب « تبدأين» (الباحث).

والترويع بالقتل، ضد الغرباء وممتلكاتهم، بما فيهم رحالة أوروبيون؛ حدث هذا مع الرحالة «آرتشيبالد فوردر»، في كاف وفي الجوف (دومة الجندل) (فوردر، رحلة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩٦ ـ ٣٠٢، ٣١١، ٣١٨ ـ ٣٢٣، ٣٢٦ ـ ٣٣٠، ٣٣١ و٣٣٥ ـ ٣٣٩)، ومع الرحالة ألويس موسيل في سكاكا في رحلته الأولى للجوف في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م (موسيل، رحلة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٨٢ ـ ٣٨٨).

هذه الحالة من ثقافة الانفتاح على الآخر وتجاهه، وبالذات الآخر المغاير المختلف من الخارج (خارج الجوف جغرافياً و/ أو ثقافياً بما في ذلك الأغراب وأهل المذاهب والأديان الأخرى)، وإن استمرت على قدر من الوجود والممارسة طوال فترة المشهد، إلا أنها، ومساحاتها، أخذت تخف وتضيق كلما اتجهنا زمانياً إلى الأمام، وبالذات مع نهاية عقد الـ «١٩٧٠sم» ودخولاً في عقد الـ «١٩٨٠sم»، وعلى نحو مؤكد وكبير وبحد أقصى مع نهاية عقد الـ «١٩٩٠sم». ما تبقى هو درجات من الترحيب والكرم بالضيف، وإن هو الآخر لم يعد بمقاييس وسعة الماضي. أما الموقف من الآخر المغاير، بما في ذلك من داخل البلد، فقد بدأ فيه وطرأ عليه تحول غير قليل، إلى درجة أن التسامح والاحترام والمرونة تجاهه ومعه اقتربت من التلاشي. على وقتنا وفي فترة صبانا وشبابنا (١٩٦٠ ـ ١٩٨٠) وفي حدودها، كان الشائع والسائد بالجوف، بين أهله وأبنائه وشبابه، تجاه الطوائف الأخرى (مثلاً تجاه الشيعة) من داخل البلد، هو عدم التميز و/ أو الموقف المناهض لهم، بل ولا حتى السؤال عن المذهب لهم أو لغيرهم في هذا الإطار، علماً أن الجوف بهذا الوقت تعتبر سنية حنبلية، ووهابية المذهب على الجملة. في أواخر الستينيات و/ أو أوائل السبعينيات من القرن العشرين الميلادي الفارط، أتذكر في حارتنا سكنت ثلاث مدرّسات أخوات من العراق، رفقة والدهن، وكن يخرجن بعباءات ضافية للجسم، ولكنهن سافرات الوجه (لا يلبسن الغشوة/ الحجاب على الوجه)، ولم تكن أي منهن متزوجة. كان التعامل معهن من أهالي الحارة فيه قدر كبير من الاحترام، بل إن أحد الشباب بالحارة لمح إلى رغبة في الزواج من إحداهن، ولم يسأل أحد عن مذهبهن، علماً أنهن وعلى ما يبدو كن «شيعيات» المذهب.

منذ ما بعد ١٩٨٠م فصاعداً، وبدرجة أكثر وضوحاً منذ عقد الـ «١٩٩٠sم» ونهايته، بدا أن هناك أصواتاً مرتفعة تناهض التعامل والتسامح مع المختلفين عنهم مذهبياً، ومنهم الشيعة من داخل البلد (في الشرقية: الأحساء والقطيف). بل أنه في الفترة الحالية في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين فصاعداً، ومع تواجد عدد من أبناء الشرقية (الأحساء/ القطيف) في الجوف، وخاصة كمدرسين فيها، فليس غريباً أن تسمع، في المجالس والمناقشات التي تدور، من يحرِّض على عدم بيعهم أراضي وبيوتاً بالجوف (في سكاكا تحديداً) وعدم تملكهم لها ولأي عقار، لا بل وفوقه، هناك من يحرم صفقات من هذا النوع ومع هؤلاء من «الناس»، ويلح بالمطالبة بسحب ما قد تم منها، وكأنهم (أي الشيعة) لا مواطنين ولا حقوق لهم! طبعاً نحن نتكلم عن موقف أهل الجوف من الآخر المختلف «مذهبياً» في الداخل، وإلا فإننا نعلم أن هناك متطرفين ومتشددين في الجانبين (الشيعة والسنة)، وعليه، فإننا هنا في مناقشتنا، لا ننزه طرفاً على حساب طرف، وإنما فقط ننظر إلى الأمر من زاوية تحولات في الثقافة بالجوف وأهلها تجاه الآخرين المختلفين عنهم سواء من الداخل و/ أو من الخارج.

٢ ـ في الثقافة نحو المرأة وعن الزواج

الثقافة نحو المرأة، والثقافة في وعن الزواج قدر كبير من التداخل، رغم ما بينهما من انفصال. لذلك، ولما للتداخل من بعد كبير في الثقافة الإجمالية نحو المرأة ودورها وحالها في المجتمع، فسوف تتم معالجة الثقافتين، وقوفاً عند أهم محطاتهما وبسطاً لهما، على قدر من الترابط، وعلى النحو التالي:

أ ـ في الموقف/ الثقافة من المرأة

إضافة إلى ما ورد جزئياً سابقاً من وفي قصة «لهود ـ أويتنغ»، قديماً، وكذلك، حتى وقت متأخر حديثاً، بالموقف من المدرسات العراقيات الثلاثة إجمالاً وفي ما يتصل برغبة بالزواج من إحداهن آنف الذكر، وإضافة، بدرجة أكبر، إلى ما سيأتي من طرح ونقاش لبعض من ثقافة الزواج، وفيه كثير من التداخل مع، والإحالات إلى موضوع المرأة والموقف منها في مجتمع الجوف، هناك كذلك مجموعة من الممارسات ذات الصلة. وعلى الجملة، وكبداية ولفت نظر، نقول إن الثقافة بالجوف نحو المرأة على ما فيها من انفتاح كبير سنفصل فيه تالياً، وخاصة ما قبل الـ «١٩٥٠sم» وكلما رجعنا إلى ما قبلها سنين وعقود وإلى قرن وأكثر إلى الوراء، لا تخلو من ممارسات فيها قدر من الحط من قيمة المرأة وكرامتها. من تلك الممارسات والتي تبدو قديمة ولا زالت، إلى حد ما مستمرة وإن خفت كثيراً، عادة جرى عليها الناس، وهي، وكما لاحظ الرحالة أويتنغ في عام ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، فإن البنات/ الفتيات «لم تكن... يتم عدّهن عند حساب عدد الأطفال. وكان الوالدان ممن لديهم نصف دزينة من الفتيات عند سؤالهما عن عدد أطفالهم يجيبون بزفرة وتنهيدة، بأنه للأسف ليس لديهما أي أطفال. بالرغم من ذلك، كان أصغر الأولاد طالما قادراً فقط على الإمساك بالمفتاح، فإنه يجوز له المجالسة في أوساط الأهل والمعارف... (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٢).

لا زالت الممارسة قائمة حالياً، بل نضيف عليها أن الرجل متى ما أنجب ولداً، وإن سبقته بنت له وكان ينادى عليه باسمها، فإنه ينادى، على الفور، باسم الولد «يا أبو صالح»، مثلاً، ويهجر المناداة عليه باسم البنت «يا أبو نورة»، مثلاً. عدد من «شجرة الأنساب» لمجموعات من أهالي الجوف، والتي خرجت مع أواخر عقد السبعينيات الميلادي من القرن الماضي فصاعداً، لا تظهر فيها أسماء البنات، ولا تحوي سوى أسماء الذكور. من العادات الثقافية القديمة الأخرى، والتي، وإن خفت، لا زالت تمارس: (١) ـ أنه في الإرث وتقسيم التركة، فإن نسبةً وأعداداً من أهالي الجوف ـ وإن لا ينكرون التقسيم الشرعي للتركة ويقرّون به وهناك من الأهالي من يلتزم به ـ يميلون في أحيان متكررة، لأن يطلبوا من النساء، وبالذات الأخوات، ويلحون ويضغطون عليهن بالتنازل عن حقهن في الإرث والتركة لصالحهم. في النهاية، في الغالب، يؤتى بهن للمحاكم وتتم عملية التنازل للأخوة/ الرجال، وهن، في الغالب، في أنفسهن غير راضيات و/ أو مقتنعات. طبعاً لا أقول إن كل النساء غير راضيات بهذا التصرف والسلوك، بل إن هناك من النساء/ الأخوات من يكن مقتنعات بالأمر بسبب الاكتفاء بما لديهن مع أزواجهن و/ أو لتشبعهن في الثقافة نفسها، وربما يقمن بالتنازل من تلقاء أنفسهن و/ أو بدون تردد. لكن الغالب من النساء/ الأخوات في قرارة أنفسهن غير راضيات ويقمن به من باب المجاملة و/ أو من باب عدم الظهور بمظهر المخالفة

بما جرت عليه العادة، وبعدم الرغبة بمخاصمة إخوانهن/ أهلهن في الأمر وبما قد يؤدي للقطيعة. وفي أحيان أخرى متكررة يتم إقناعهن بالتنازل عن حقوقهن الكاملة في التركة/ الإرث بإعطائهن مبالغ مالية مقطوعة أو بعض الممتلكات، كقطعة أرض أو بيت مثلاً، لكنها من ناحية فعلية أقل من القيمة الكلية والحقيقية (الصحيحة شرعاً) لهن. كثير ممن يمارسون هذه العادة من الرجال من أهالي الجوف، يقوم بها بحجة التخوّف على انتقال ممتلكات الأهل (أراضي/ مزارع/ بيوت... إلخ) إلى آخرين من خارج العائلة من خلال المرأة/ الأخت وزواجها من عوائل أخرى، ويرددون بينهم وفي أنفسهم: كيف للغريب (زوج الأخت 'صهرهم' من خارج العائلة، بذاته و/ أو عبر أبنائه) أن يدخل بيننا!؟ (٢) ـ من العادات الأخرى، والتي وإن خفت كثيراً، لا زالت تمارس، هي أنه في المناسبات وتقديم الولائم، وخاصة في البيوت، تكون فيها النساء آخر من يأكل من الطعام، حيث يأكل الضيوف والرجال فالأولاد، ثم ينقل المتبقي، بما تبقى إلى النساء والصغار، وفي الغالب لا يتبقى لهن إلا القليل، إن لم يكن العدم! هذه العادة لاحظها كذلك الرحالة أويتنغ في رحلته للجوف ١٨٨٣م، حيث يقول: «... يمكن للإنسان أن يُراقب ترتيب الناس على أحسن الوجوه عند وليمة يتم الذبح فيها: فأولاً وقبل كل شيء، في صف التدرج يأتي كل من جنس الذكور، إما في مجموعة واحدة، أو على مرحلتين، ليأكل الضيوف مع الكبار البالغين، وبعدما يشبعون يتركون المتبقي للأولاد الغلمان، والذين يقضون عليه، ويرسلون الصحون الفارغة إلى جناح النساء، وهؤلاء يحصلن على ما تبقى من الحيوان المذبوح كاستحقاق الأقدام والأحشاء وما شابه ذلك، ولكن بعد تسليم الكبد. وفي النهاية يحصل العبيد والحيوانات المنزلية الأليفة ليس على أكثر من الجلد والعظام» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٢).

ورغم أنني شخصياً كنت ضد هذه العادة وممارستها وتحدثت بها وعنها مع رجال ونساء، ونفذت ما كنت مقتنعاً به عندما كان الأمر يتعلق بي، إلا أنه من المثير في الأمر، أن كثيراً من نساء الجوف أنفسهن، وخاصة من جيل ما قبل ١٩٧٠م، وقد تحدثت مع بعضهن من قريباتي، لا يريّن فيه مشكلة ولا يبدين تذمراً. طبعاً العادة يبدو أنها تطورت، في أصلها، لحاجة وضرورات اقتصادية بحتة، وتقديم الأولوية للضيوف، فضلاً عن مجتمع يعلي من شأن الذكورية. في ضرورات الحاجة كممارسة ثقافية وارتباطاً بأوضاع وأحوال اقتصادية، سنورد مثالاً يقارب المسألة ويعبر عنها. ولأن المثال من قصة من بيت الأهل (خليف الفالح)، فإنني، ورفعاً للحرج، سأورد القصة على الجملة في المتن هنا، وأضع تفصيلاتها، مرفقة بتفصيلات تتجاوزها إلى ما هو أهم منها، ألا وهو يتعلق بتحولات النخب وبانهيارها، ترابطاً مع تحولات وتدهور في الحالة الاقتصادية، ومنها، مثالاً لا حصراً، ما تعلق بانهيار «الفالح» اقتصاداً ونفوذاً، ولمن أرادها، في الهامش الرقم (٤) كاملة في الهوامش. القصة، مختصرة، تتعلق بأوضاع كانت تحدث في الغالب في سنوات عقد الـ «١٩٢٠s م» و/ أو فيما قبله، حيث تذكر عاشة بنت خليف الفالح، نقلاً عن والدتها «حميدة» من الهذال/ الشلهوب، أن والدها يعمل عشاء كل ليلة، وهو في الأصل له ولبيته، ولكن لِما كان في الناس في سكاكا من ضيق حال وحاجة لطعام آنذاك، فقد اعتاد أن يطلب من أهله الزيادة ووضع حاجة الناس في الحسبان. ولأهمية الأمر، ولِما فيه من ثقافة متعددة، بما في ذلك ما يتعلق بتقديم الناس وحاجتهم من الطعام على أهل البيت، وبما في ذلك ما تعلق بوضع النساء في الترتيب الأخير،

نورد ملخص ما قالته عاشة بنت خليف عن المسألة، وكان في سياق مقابلة وحوار ونقاش عن حالهم وأحوالهم فيما مضى، أجراها الباحث معها في ليلة ١٣ ـ ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢م. تقول إنه وفي إحدى الليالي، بعد المغرب، وإذا بالحوش يغص بالناس، فنادى والدها (خليف الفالح) على أهله مخبرهم ومنبههم إلى أن الحوش مكتظ بالناس، وعليكم قضاء حاجتهم أولاً، ولا تبقوا من الطعام لنا شيئاً، إلا ما يخص حاجة أمه/ والدته. وهكذا كل ليلة على هذه الحال، يُوزّع الطعام على من أتى محتاجاً من الناس، من هنا وهناك، ولا يُمنع إلا عندما يتبقى منه ما يكفي فقط لوالدته، لدرجة أن أهل البيت وبالذات النساء والصغار لا يأكلون إلا في النهاية، وفي الغالب لا يبقى مما عمل تلك الليلة شيئاً، فتضطر النساء لأن يجمعن حالهن من جديد وبما لديهن مما تيسر وتوفر من فضل الله، فيأكلن ويتعشين وصغارهن، إلى درجة أنهن مرة حاولن الاحتيال و/ أو الاختبار، فطلبن من إحداهن أن تلبس لباس الرجال (عباة) والتخفّي بها، والجلوس بالحوش، وعندما فعلت، وكان «خليف» في هذا الوقت، كعادته على ما يبدو كل ليلة، ذاهباً للحوض (حوض الماء) ليغتسل وربما يتوضأ للعشاء، وعند رجوعه، أشارت له إحداهن على أن هناك رجلاً (المرأة المتخفية وهو طبعاً لا يعلم، ووقت دلاس «ظلام») بالحوش محتاج وينتظر، فقال لها إن كان عندك شيء من الطعام فأنطيه ((أعطيه))، وأنا ذاهب عند أمي لأصلي هناك... إلخ. بقية القصة وتفصيلات إضافية ثقافية، لمن يريد الاطلاع، وضعت في الهامش كاملة وبلسان ابنته عاشة، ومعها أهم منها مناقشة تغيرات وتحولات في مكانة ونفوذ النخب في الجوف، وخاصة ما تعلق بحالة انهيار «الفالح» اقتصاداً ونفوذاً، كمثال، لا حصراً ولا تميّزاً[٤].

---

(٤) في قصة العشاء وفي تحوّلات النخبة التقليدية (انهيار «الفالح» اقتصاداً ونفوذاً كمثال، لا حصراً ولا تميّزاً):

(#١) **في قصة العشاء**: قصة عشاء خليف الفالح، والذي كان يعمل ويقدم كل ليلة، في الغالب يحتسبه الناس له على أنه كرم، لكنني أراه يتجاوز الكرم إلى، ما هو أهم منه، ألا وهو «موقف إنساني»؛ ذلك أن الكرم في الغالب يقدم للضيوف، سواء كانوا محتاجين له أم لا، وفي الغالب، هم ليسوا بحاجة ماسة له، وكذلك فالكرم حالة عابرة، تحدث من وقت لآخر، بينما المواقف الإنسانية ذات صلة بحالة فيها استجابة للناس وشدة حاجتهم، وفي الغالب تستمر الاستجابة لفترات طويلة وأعباؤها المادية على الأهل كبيرة ومتواصلة. وفي تفصيل القصة، نوردها، كما دار بين الباحث وبين العمة/ عاشة، حيث كانت تتكلم عما تعرفه عن والدها «خليف الفالح»، نقلاً عن أمها «حميدة» من «الهذال» من الشلهوب، على النحو التالي، علما أن ما بين قوسين مزدوجين من الباحث لتوضيح معنى الكلمة و/ أو المقصود بها. «قالت/ عاشة ((وبلكنة شلهوبية)): أعرف عنه أنه قبل ما يصير به البعي ((البعج/ الفتق)) أنه بهـ«القبة» يقعد، وهالناس،هالعيال، يعملون، القهوة... ومن وتى ((جاء)) تقهوى... واللي يخش يروي... واللي يخش يسقي بعيره... واللي يخش يعني هالشغلة من شغلاته... نوبة تقول أمي وتانا ((جانا)) المغرب... تقول عندنا قدر عيارة من الحب، مد وربعيه..((مد وربع))... بس من الحب؛ قلت / متروك: قمح ولا شعير ولا رز؟ قالت: اللي هو هو... رز لا ما هنا... أما تمن ويهبشنه، وإلا أحمر ويهبشنه، وإلا جريش، وإلا مرقوق/ اللي يتوفق عاد لهالعيله ((للعائلة))... تقول..((أمي))... قياسُه من الحب مد وربعية... ويجيبون سفرة قراه... وتجيب اللي عليها الشغل... وتجيب غمرة فصول من حق الخدمة ((ورق ونشورالقرع)) ها المقرطة... وتجيب صاعية تين؛ قلت: وشو هذا؟؛ قالت: هذا للعشاء؛ قلت:القرع؟؛ قالت: أيه؛ قلت: العيدان؛ قالت: الفصول... الفصول... تشوف... الخدمة... ((ورقة القرع))... هذي... ورقة... وهذا... فصل... هذولي... الغضيوات... ((الغضة/ الطرية))... الزينات... يجيبونه غمر عاد غضيض، وإلا ما هو غضيض... هالكبر ((الكمية))... ويجيبون صاعية تين ها الكبر... تين أخضر... تين القيض... ((الصيف)).. هذا... تغسله وتدقه وتحطه... وفيه «بقبيزة» يقال لها « المخبر» ها الكبر... تحط به لها مويعين((ماعون)) طحين وتخلطه بمويه حامي وتخليه... ولبغى ((إذا بغى)) يقضي... قبل ما يقضي بربع ساعة... تجيب ها « المخبر» وتخلطه وتخلطه وتكبه عليه... يطعم ((به))... ؛ عبد الحميد((ولد عاشة)) يتدخل فيسأل ويتسآل: والبندوره / الطماطم؟؛قالت: ما هنا بندوره... كان هنا ترنجه زين... ما هنا بندوره... ؛ قلت(متروك): القدر وش كبره؟؛ قالت: وش أقولك... قياسُه من الحب، مد وربعيه..؛ قلت؛ لكن هو «القدر» وش كبره؟ قالت: أنا أقولك وش كبره... ما عرف كبره؛ قلت: يعني؟؛ قالت: ما ينشال من على النار وهو مليان... تقول ما تشيلواه؛ قلت يعني كبير... يعني؟؛ قالت:أيه كبير... مابوه شك... ((ما به شك ـ لاحظ اللكنة ونطق الكلام في الشلهوب كما في هذه الكلمة، وفيما تقدم وما سيأتي من كلمات ـ الباحث)) ـ ..أرع مقاسوه حب مد وربعية... وماوه وهالمواد وهالحاجات... ؛ =

على أية حال، بالنسبة لكون المرأة والنساء يتركن كآخر من يأكل من الطعام، وكذلك تقديم الأولاد

= قلت: هذا كل ليلة؟؛ قالت: أيـه هذا عشاء العيلة ((العائلة))... كل ليلة... تقول... ((أمي))..عاد أنا ليلة من الليلات... يوم صرنا المغرب قال... ((تقصد خليف الفالح مخاطبا نساءه)): اسمعن ترى الحوش مليان، واللي ما هو عشاء أمي لا تخلون ولا اللحيسة ((من اللحس، أي لا تخلون ولا شيء))... إلا لو نقول لتسن((لكن)) خلص..؛ قلت: مليان من غير البيت؟؛ قالت: أيـه، ماهو منهم البيت.... من اللي تحت... من البوابة القبلية((الجنوبية/ القبة))..إلى بوابة المجر؛ قلت: كله ناس؟؛ قالت: كله، اللي يقول أنا عندي نفسى((أمرأة والد))... الله يعزك... واللي يقول أنا عندي ييعان((جيعان/ جياع ـ لاحظ ثقافة نطق بعض الأحرف في الجوف عند الكبارو على وقتهم، الجيم هنا ينطق « ياءً» ـ الباحث))... واللي يقول مفطوم، واللي يقول تعبان... يعني هاه... كل يجيب معه مويعين ((ماعون))... تقول ((أمي)) عاد هالمويعين على كثُره وقلُّه، نحط به مغرافتين... وكل واحد يأخذ مويعينُه ويا الله... من البوابة... ومن أنطاه... ((أعطاه))... يالله مع السلامه... ولامنُه نحنح على عشاء أمهم... وقالوا ترى ما بوه إلا... ((تقصد وعندما يخبرونه أنه لم يبقى إلا ما يكفي عشاء أمه... قال.. ((خليف))..خلاص عشاء أمنا... وماشين إن شاء الله وفق... مشوا كلهم... ((تقصد إن الباقين من الناس عند هالوقت مشوا))؛ قلت: وأنتم يا أهل البيت؟؛ قالت: حنا... قعدنا... تقول((أمي))... واللي عاد يوم أنهم قضوا... تقول وهو ((تقصد خليف الفالح))... يروح الحوض يتوضأ... وتقوم «حمده» ((زوجته وهي أم هايس وصالح وشايع ومهنا وشنينان))... الله يسامحواه.. روحي البسي عباة مهنا، وصيري بالحوش... ؛ قلت: عشان كنها رجل؟؛ قالت: أيـه... كنها من هاللي وتوا... ((من الناس))... ينطي ((يعطي)) عاد اللي الله يكتبوه لُه... ؛ قلت: تقول لك أنت؟؛ قالت:لا ياخي... تقول لجتك «حمده» الله يرحمه... الحريم يقولن لجدتك حمده؛ قلت:من اللي تقوله؟؛ قالت: يقولن الحريم لـ «حمده» ((أي يطلبن منها أن تتخفى بلباس رجل كأنها من الناس/ الضيوف))... وراحت حمده ولبست عبية ((عباة)) مهنا وقعدت بالحوش... عن أمي هالكلام، وإلا أنا ما عرف هاكالحين... تقول ((أمي)): والله يوم أنوه فات ((تقصد خليف رجع)) وتأشر لُه حدى الحريم، قال ((خليف)): كان عندك شين أنطيه، والله أنا أريد أصلي يم أمي... عليه بردون الله يسامحُه... تقول ((أمي)): يوم أنوه راح ((خليف)) وصلى، وتى ((رجع)) قال: وين راح المسكين، وين راح المثبور؟... تقول ((امي)): قلنا قوطر((راح))... تقول ما عندي شين وقوطر... تقول ((أمي)): والله يوم أنه عاد راح ((تقصد خليف))... تجمعنا، وتقول، عملنا لمينا ((جمعنا من بعضنا البعض))، وتعشينا... ؛ قلت:هذا كل ليله يعملون كذا؟ أنت تذكرين هالحكي يا عمتي؟؛ قالت: لا والله ما أتذكرُه... بحكي أمي، الله يسامحواه... ايه أي والله... هم كل ليلة، العشاء اللي هو عليها، هاللي أقولك.... وكل ليلة على وحدة... ما يصك دارُه.. ((تقصد ابوها خليف))... دارُه الصبح ما يصكه... لامنه ((إذا إنه)).. راح وصلى الصبح... راح للحوض يروح يفتحه ((يفتح داره))... ويخليّه مفتوحه... اللي يريد تمير، واللي يريد حب... ؛ قلت: يعني متعمد؟؛ قالت: أيه متعمد، ما هو... ؛ قلت: يعني... خوذوا على كيفكم؟؛ قالت: ايه أيه... أي والله... الله يسامحُه... اللي يريد قريشات ((فلوس)).. عاد يدور القريشات، إن لقى ون ما لقى... واللي ما يريد قريشات ياخذ من اللي الله يكتبُه لُه شين...، وتضيف عاشة فتقول: واحد شاف رحمة زعل... ((ولد خليف من زوجته حميدة، وهو شقيق عاشة وعبد الله))...، قال... ((تقصد زعل قال للرجل)): تيد ((تريد)) تمر وإلا حب، قال((الرجل)): كلهن ما اريدهن! قال له زعل: مار ما عندي لك شين غيرهن، قال له الرجل: ترى أعلم أبوك عليك؛ قال له زعل: علمه... قال الرجل ((لـ «خليف» يعلمه عن ولده زعل)): ترى زعل هيك وهيك... قاله ((خليف)): والله مانت خشير((شريك)) له بحلاله... ؛ قلت/ متروك: هاه!؛ قالت/ عاشة:أيـه....مابوه... شك... هذي... طبيعتُه........((تقصد طبع والدها خليف))... لامنُه راح يصلي، فتح الدار، وخله مفتحة هيك... تحسبه يصكُّه، وإلا يخلي المفتاح!... المفتاح ما يخليّه بوه ((به))... لا... يفتح عليه المفتاح، ياخذ المفتاح، ويخليّه مقدمة ((مفتوحة))... اللي يريد حب وإلا يريد أي شين... ياخذ... يرد هالباب على شكله ((كما كان))... حريم، وإلا عيال، وإلا أللي هوهو.. عاد الله يرحمُه ويسامحُه...» (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، في ١٣ ـ ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٦ ـ ٢٢، من تفريغ ش ١ ـ ١).

وفي هذه السياقات الإنسانية، تحدث أبو غالب/ محمد العقلاء الضميري (من الضمارى، عنوز من حي/ المطر)، في مقابلة أجريتها معه في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢م، بتنسيق وحضور من عقل الضميري، وحضور عدد من الضمارى، وقال أبو غالب موجهاً الكلام لي، إنه يقول هالكلام لا ليسمعني ولأنني بينهم، وإنما للحقيقة والتاريخ، وأنا أُلخص كلامه على الجملة، علما أن ما بين قوسين هي من الباحث للتوضيح، يقول ابو غالب: « إن خليف الفالح والفالح، كانوا ذي مال ومكانة وكرم،أعطاهم الله، وقال أنه يذكر خليف الفالح جيدا ويعرفه، وقال أنه مرة من المرات وتى ((جاء)) عند «مغرق» ((هو على ما يبدو «مغرق المحمد» من السراحين في حي المطر)) وكان الأخير قد باع مدين تمر بجنيه، فلما قدم خليف الفالح عند مغرق، وكان أطرم ((بالجوف يُقال لمن سمعه ثقيل «أطرام»!))، ويلحن في كلامه ((لحنه بالكلام متأثراً بخواله الشلهوب)) قال: سلام يا ابو مدين! فرد عليه مغرق: وش نسوي يا بوعبد الرحمن محتاجين. وأضاف أبو غالب: إن خليف الفالح، وآل فالح، أهل مال وحلال وكرم، وكان خليف الفالح عندما ينتهي ما عند أهل سكاكا من التمر، بعد أن يكونوا استنفدوا ما عندهم، والبعض باع ما عنده، وعندما تشتد الحاجة، فإنهم يذهبون إلى خليف الفالح، وكان خليف الفالح يضع في البداية كمية من التمر حوالي «المركى»، ويأكل الناس منه. ولما أشتد الناس وحاجتهم، وما عادت تلك الطريقة تكفي، قام خليف الفالح وتى ((أتى)) بقدر كبير، ويضع بها كمية من التمر تعادل الطاسة المتوسطة، ثم يمرسها بالقدر، فيشرب الناس المحتاجين منه، كل يأخذ صاعية صغيرة ((ماعون)) تكفيه وتشبعه وتسد حاجته...» (الضميري، محمد العقلاء، مقابلة، في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٥ ملخص). وطالما الشيء بالشي يذكر في هذه السياقات، يروي أبو محمد/ سليمان العودة الفلّاح، في مقابلة أجريتها معه في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢م، بتنسيق وحضور من عبد الهادي السلطان، نقلاً =

والاهتمام بهم على حساب البنات، فهذه عادة وممارسة ثقافية، وإن لم تختفِ نهائيا، فقد خفَّت كثيراً،

= عن من قاله إنه صاحب القصة والذي حدثه هو بنفسه عنها، فيقول، أبو محمود: «... إن ناصر... أبو ابراهيم، هاللي يبيع بالصناعية عدة/ قطع سيارات... ناصر... من العلي/ القرشة.....ابو ابراهيم هالبدين اللي بالصناعية... حجينا سوا؛ يتدخل عبد الهادي السلطان مستفسرا: هو اللي باللقايط؟ رد ابو محمد، وقال: أيـه...، ويواصل ابو محمد، فيقول إن ناصر هذا حكى له وهم بالحج، قائلا: «... والله ياخي... جت عليه... يقول... طقتنا صفر الضحى... أي والله..؛ يتدخل متروك، ويسأل ابو محمد: هذا هو يسولفه عليك؟ فيرد ابو محمد: أي والله...، ويواصل ابو محمد القصة، فيقول:... قال خذيت أرنبين وجبتهم لـ «خليف الفالح»، ويوم جيت لهو ((إذا به)) عقب الظهر... يلبس عباة جوفية تبرد... الجوفية... (عباة من صنع الجوف/ دومة الجندل)... تراها تبرد على اللي يلبسه... ومعه منشة... ((مروحة/ مهفة من خوص/ ورق سعف النخل))... قاعد بالقهوة... ((المجلس))...، ويحاول من جديد أبو محمد/ سليمان العودة تذكر اسم صاحب القصة، فيقول: ناصر... ناصر... ايش... ناصر القاضب...، ثم بعد أن تذكر أسم الشخص، عاد مكملا ما قاله له « ناصر» بالحج:... قال خليف يوم شافه:... وش اللي جايب ناصر القاضب؟ رد ناصر عليه وقال:... والله ياطويل العمر جبت هالأرنبين! قال خليف لناصر: أدخل... أدخل... القهوة بها بويب (باب صغير) من مشرق،هذا للمختصر...، يقول ناصر: ويحط لي هاك المحطة... ((تمر))... اللي...، قال خليف: شف كل ولا تلتفت أني وراك... يقول ناصر يوم أني قضيت، لهو... ((إذا به يقصد خليف))... جايب له ثنتين... دلقومين ورق خدم... ((كورتين من تمر في ورق القرع))... وقال خليف لناصر:... أرانبك هاك أياهن..((خذهن عيال لك أولى بهن))... وحنا قريبات منا الأرانب...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٢ من ٢٧ من تفريغ ج ٣، ش ٣).

(#٢) ـ **في تحولات النخبة وانهيارها بالجوف وعلاقتها بتحولات وتدهور الحالة الاقتصادية، ومنها هنا، مثالاً، لا حصراً: انهيار «الفالح» اقتصاداً ونفوذاً**: ولأن دوام الحال من المحال، مثلهم مثل غيرهم ممن سبقوهم ـ (لنتذكر مثلا السهيان/ شكر، ولنتذكر الشردان/ فلاح، ولنتذكر السراح والدرع وانهياراتهم اقتصاداً ومكانة ونفوذاً) ومن لحق بهم (مثلاً، «الجبر» بعد ١٩٧٠م) ـ وسيلحق بحالهم يوما ما آخرون وآخرون، فقد انهار «الفالح» اقتصادياً ونفوذاً، مع النظام الجديد، خلال عقدين أو ثلاثة على الأكثر منذ (١٩٢٢م)، إلى درجة أن هناك من أبناء خليف الفالح ومحسن الفالح، رغم ما كان لكل منهما من مكانة واقتصاد ونفوذ، من أضطر للعمل أجيرا عند الآخرين و/ أو عند الحكومة. طبعاً عندما أقول هذا الكلام لا يعني أنهم منزهون عن هكذا أعمال من دون البشر الآخرين، وهي أعمال شريفة على كل حال. لا لا ليس هذا هو المقصود، فكل الناس عرضة لمثل هذا، وهو في النهاية أمر طبيعي وسنة كونية تجري على الجميع، ولكني أقوله من باب رصد التحوّل في المكانة، والنفوذ، وهذه على أية حال جزء من التاريخ، وتاريخ الجوف، بكل أبعاده وترابطاته الثقافية والاجتماعية في السياسة والاقتصاد السياسية. وعليه فإن الإشارة إلى «انهيار الفالح» اقتصاداً ونفوذاً، وطرحه، جزئياً هنا، هو ليس لذاته على أهميته، وإنما ربما كأحد النماذج في تحولات تاريخ الجوف، ومنها ما تعلق بصعود وأفول النخب، مكانة ونفوذاً. كان انهيار الفالح بسبب مجموعة من العوامل، منها: ١ ـ أن الثروة/ الممتلكات بما فيها الحوّط/ المزارع وأراضيها، فضلاً عن أموال قد تكون وجدت، ما كادت تتجمع وتصل إلى مستوى معين، إلا لتصل إلى التفتيت والتقسيم من خلال الورثة وكثرتهم، فضلاً عن خلافاتهم بسبب تعدد الأمهات/ الزوجات قبيل وبعد وفاة كل من خليف الفالح وابن أخيه محسن مخلف الفالح؛ ٢ ـ بسبب تعدد الأمهات والتقسيم للتركة / الحلال لم يكن هناك آلية للتوافق بين الأبناء على إدارة مشتركة للثروة/ التركة، فضلاً عن عدم فهم متغيرات المرحلة والمستقبل؛ ٣ ـ ولكن العامل الأكثر جوهرية في الأمر هو في واقع الأمر مرتبط بتحولات وتغيّر في بنية الاقتصاد بالجوف، من اقتصاد حد الكفاف وتجارة/ مقايضة التمور، على محدوديتها، إلى اقتصاد حكومي توزيعي(غير عادل)، عبر تحالفات النظام الجديد، من مخصصات وشرهات ونفقات/ أجور حكومية. كان الفالح (خليف ومحسن) يعتمدون على إنتاج من التمور فيه فائض نسبي لا بأس به يزيد عن حاجتهم بكثير، ومنه كانوا يفيدون الناس وقت الحاجة واشتدادها، وبه ومن خلاله تتم الاستفادة اقتصادياً ومادياً عبر تجارة التمر والمقايضة بالحبوب والملابس. هذا الوضع، مع النظام الجديد (الدولة السعودية الثالثة) بدأ يتقلص سريعا مع ضبط الحدود، وتغيّر في هيكلة التجارة والتجار، لينتهي تقريباً مع نهاية عقد الـ «١٩٣٠s م» وعلى الأكثر مع عقد «١٩٤٠s م»، ليحل محله اقتصاد حكومي يقوم على المحاباة والموالاة، خاصة في التوزيع (توزيع غير عادل)، فضلاً عن عدم وجود آلية حديثة لتحقيق توزيع عادل، وغياب الرقابة على التوزيع ولمن يذهب ومن يعطي من؟!!. في مقابلة أجريتها مع أبو داوود/ سليمان سعد الطارف في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢م، ذكر مما ذكر من تاريخ الجوف، موضوع يتعلق بالطريقة التي تتم بها التوزيعات والمخصصات ومن يتولاها أو يقوم بها، فقال، وأنا هنا الخص كلامه على الجملة: «إن أحمد العايد (الفلّاح) كان هو عمدة (شيخ) الكبيدان قبل انتقالها، أو نقلها إلى زعل العرسان، وأضاف أبو داوود: إن رجا كان، وعن طريق علاقاته بالسدارا يستلم مخصصات وشرهات (مالية و/ أو عينية) لأفراد وجماعات المعاقلة بما فيهم آل معيقل، ثم كل سنة يذهب هؤلاء عند رجا، فيقوم الأخير بتسليمهم ما خصصه لكل واحد منهم من بعض المال والملابس (العبايات). فكان من هذا الأمر، أن شعر البعض بقدر من الحرج والإهانة، ومنهم «أحمد العايد الفلّاح» حيث قال لبعض المعاقلة: لماذا لا نستلم نحن مباشرة شرهاتنا ومخصصاتنا؟ ولماذا غير عن طريق رجا؟ فقام أحد الأشخاص، ويبدو أنه من جماعة المعيقل/ الكبيدان، كما يقول أبو داوود، وراح يم رجا وأخبره بالقصة! عندها قام زعل العرسان، واستدان، كما يقول ابو داوود، «ثمن بعير من ذوقان» لركوبه، مرافقا رجا للرياض، وعندما وصلوا هناك أُستصدر خطاب عبر «ابن جميعة» باسم الملك عبد العزيز، موجه إلى أمير الجوف، آنذاك محمد السديري ((ولاية محمد السديري إمارة الجوف كانت في الفترة من ١٥/ ٩/ ١٣٥٧هـ إلى ٥/ ٩/ ١٣٦٢هـ، (السديري، ١٩٦٨: ٧٢، والشايع آل كريّع (I)، ١٩٨٤: ٢٧٢) (الموافق ١٨/ ٣/ ١٩٣٨م ـ ٥/ ٩/ ١٩٤٣م) ـ وهذا يعني أن القصة وقعت في وقت ما =

وهي كذلك، في ممارستها سابقاً وفي ما بقي منها ممارَساً حالياً، يمكن أن تُفهم ضمن سياق السائد

= من هذه الفترة ـ [الباحث])) يشير في الخطاب بتوجيه على الأمير محمد السديري، بأن «زعل العرسان» هو شيخ جماعة الكبيدان، وهو ما يعني سحب عمودية «أحمد العايد الفلّاح»، دون علم وموافقة الأخير، بل حتى دون علم وموافقة» الكبيدان» ككل. وذكر أبو داوود: أنه شخصياً لم يكن يعرف عن ذلك الخطاب، ولا كيف تمت عملية تنصيب عمدة جديد على الكبيدان، إلا عندما سافر، هو بنفسه ((سليمان سعد الطارف))، ومعه زعل العرسان باعتباره شيخ الكبيدان، لمحاولة المطالبة بإطلاق سراح سجن أخيه «مسلم»، ولما ذهبوا إلى الرياض، ذهبوا إلى مكتب الأمير سلمان بن عبد العزيز، ولما فاتحوه بالمسألة، قال أبو داوود لـ «مدير مكتب الأمير سلمان»، وهو يطالب بالمساعدة في إطلاق سراح أخيه «مسلم»: إن هذا زعل العرسان هو شيخ الكبيدان وهو يكفل العملية، عندها، كما يقول ابو داوود/ أخرج زعل العرسان ذلك الخطاب والذي فيه توجيه للأميرمحمد السديري بتنصيب زعل العرسان عمدة للكبيدان وموقف الملك عبد العزيز، عندها، كما يقول أبو داوود، أخذ مدير مكتب الأمير سلمان الأمر جدياً...» (الطارف، سليمان سعد، مقابلة، في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢: ٧ ـ ٨ من ٨ ملخص).

في هذا السياق، يبدو أن «معارك جابر الكريّع» ـ والذي قصة مشيخته/ رئاسته للكريّع، بدلاً من محيسن الكريّع، تتشابه مع القصة السابقة، كما ورد في تلميحات الأخوة أحفاد محيسن الكريّع (الكريّع، ثامر عودة [وآخرون]، لقاء وحديث، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٦من ٦ ملخص)، وإن شدد خالد عبد الرحمن الشايع الكريّع على انتقالها بالوراثة لـ «معارك» لكونه ابن جاير (الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، خطاب عن مشيخة الكريّع، في ١٦/ ٧/ ١٤٢٣هـ)، طالب هو الآخر، قبيل أو مع أو بعيد هذه الحادثة آنفة الذكر، أن تصرف له مخصصاته «قاعدة» مباشرة من مالية الجوف وليس عبر وسيط آخر، وقد صدر توجيه من مالية الجوف بهذا الأمر، وبناء على الملك، والتوجيه مكتوباً بخط اليد وعلى ورقة رسمية بأعلاها، وعلى اليمين من «بسم الله الرحمن الرحيم، مكتوب» المملكة العربية السعودية تحتها مديرية أموال الجوف، وتحتها عدد، في الجهة المقابلة التاريخ ١٠ جمادى الآخر ١٣٥٨ هـ، ونصه كالتالي: «إن قاعدة معارك بن كريّع من كبار المعاقلة بالجوف، هي ثلاثون ريال مجيدي، تصرف من مالية الجوف سنوياً اعتباراً من عام ٣٥٨، وذلك حسب أمر جلالة الملك المعظم برقياً بعدد ٣٠/ ١/ ١/ ٣٥٨، ووزارة المالة الجليلة برقياً بعدد ١٢٧/ ٧/ ١/ ٣٥٨، وللبيان محرر مالية الجوف، الختم الرسمي مكتوب عليه بخط اليد: ١٠/ ٦/ ٥٨» («خطاب مالية الجوف إلى معارك بن جابر»، في ٣٠/ ١١/ ١٣٥٨هـ، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢).

وإذا كانت مخصصات وقاعدة «معارك الكريّع»، وهو من «كبار المعاقلة»، كما ورد في البرقية آنفة الذكر، هي «ثلاثون ريال مجيدي»، فماذا يُقال عن أن مخصصات/ قاعدة خليف الفالح، وهو عمدة/ شيخ الدغيفق، ورغم ما كان له من مكانة ونفوذ، لم تصل حتى إلى «ثلاثين ريال» وإنما كانت بحدود «عشرين ريال»، كما يذكر سليمان العودة الفلاح (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في: ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢١ من ٢٣، تفريغ ج ١، ش ١ ـ ٢)، بينما، في المقابل، فإن مخصصات / قاعدة خلف الشافي السويلم (من النصير) السنوية كانت بدايتها وفي حدود عام ١٩٣٠م!، وكما يقول هو وبعظمة لسانه، «ستماية فضة»، ثم أصبحت لاحقاً ١٤الف ريال. أما كيف تمت فنسمع من خلف الشافي، حيث يقول، وأنا أُلخص كلامه: «رحت أنا وشامخ وعطا الهيشان، وابن شخير، مع رجا للرياض، يم الملك عبد العزيز، وعمري شباب حوالي الثلاثين، على وقت رتبة «ابن سعيد»... ((ولاية عبد الرحمن ابن سعيد للجوف، فترة قصيرة في الشهر الأخير من عام ١٣٤٧هـ الموافق يونيو ١٩٣٠م (السديري، ١٩٦٨: ٧٠ ـ ٧٢) ـ وهو ما يدل على أن السفرة على الأرجح وقعت في ذلك الشهر ـ «الباحث»))... ورحنا له يم «الحير» في مكان يبعد عن الرياض مثل بعد الشويحطة عن سكاكا... ولقيناه عند الحوض، وخوياه ينبون تحت نخلة لا تقع، والسواني ٦ حمير، ويوم سلمنا قال لا تنقدونا ياهل الجوف، قال رجا ما حنا ناقدين عليك، حنا ماعندنا غيرهن؛ سألت أنا/ الباحث (متروك) خلف الشافي: وش تريدون رحتوا لعبد العزيز، شرهات ولا شيخات...؛ قال خلف: شرهات؛ قلت: كم أعطاكم أو كتب لكم؛ قال خلف: ٦٠٠ ريال فضة/ شرهة، وصارت بعدين ١٤ الف ريال» (السويلم، خلف الشافي، مقابلة (II)، في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢: ١٣ من ١٥ ملخص). طبعاً في كلامنا هذا، وفي المقارنة الواردة فيه آنفة الذكر، لا نقصد به التقليل من «خلف الشافي» ولا من أي شخص آخر، وما تحصّل عليه «خلف الشافي» هو ربما جزء من حقه، ولكننا هنا إنما نرصد التحولات في تاريخ الجوف، ثقافة واقتصاداً، وسياسة، بما فيها تحولات في دور النخب في النظام الجديد، ودور النظام الجديد في التحولات ومآلاتها على مكانة ونفوذ النخب أو بعضها على الأقل.

فوق هذا وذاك مما تقدم ومعه وفي سياقة، فإنه مع قيام النظام الجديد، وعبر تحالفاتها المحلية بالجوف، سلطة (إمارة/ أمراء) وأدوات ونخبة بنزعة تتملكها روح الانتقام، سيكتمل المشهد في انهيار، بل تصفية، «الفالح» والدغيفق اقتصاداً ونفوذاً، من خلال مصادرة أملاك وأراضي «الفالح» بما فيها قصر خليف الفالح الجديد، المسمى بـ «قصرالشهيباء»، والذي هد لاحقاً لتقوم على أرضه «مقر إمارة الجوف» السابق، والذي تحتله الآن، إدارة/ مكتب مدير جامعة الجوف. قصة التصفية والمصادرة، والتحريض عليها، ومآلاتها ـ ، بما فيها، شكوى «الفالح»، وسجنهم في أواخر الـ «١٩٥٠sم» ـ طويلة. هنا ما يهمنا منها هو الإشارة إليها، كواقعة ذات صلة بتحولات النخب بالجوف. وباختصار، نقول، حدثت هذه التصفية والمصادرة اعتباراً من ١٣٤٨هـ فصاعداً، مستغلة ذريعة واقعة أن الولد الأكبر لـ «خليف الفالح، وهو «عبد الرحمن» كان واحداً من ضمن مجموعة من أبناء سكاكا انتسبوا لمجموعة حركة الإخوان (الجناح الشمالي ـ بقيادة مشهور الشعلان) والتي نشطت وتمردت في الشمال في فترة ١٣٤٧هـ. ولأن عبد الرحمن هو ابن خليف الفالح، ولأن قصر خليف الفالح، في النظام الجديد، وبالذات عبر سلطته المحلية وتحالفاتها وأدواتها في الجوف، مشرف على البلد، فقد أشغلهم هوساً وهلوسة لدرجة أنهم، يرددون «قصر الفالح... قصر الفالح...» (الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢١ من ٢٣، تفريغ ج ١، ش ١ ـ ٢)، وبما =

في ثقافة عربية عامة تعلي من شأن الذكور والرجال على حساب النساء(!). أيضاً سنأتي على ذكر ما

= يعني أنه لا بد من تهويل أمره، للحكم الجديد، على أنه «قصر حكم» كتهيئة من أجل التصفية وتحريضاً عليها (الضميري، محمد العقلاء، مقابلة، في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢: ٣ من ٥ ملخص). لذلك لا يكفي هدم علاليه كعقاب، كما استهل به، وإنما لا بد من هدمة كاملا وتصفيته من الخارطة/ والذهن كلياً، هو وما حوله من أراض، فكان أن تم تنفيذ ما خطط له بالتصفية والمصادرة، وإن استغرقت بعضاً من الوقت لكي تتكامل، ابتداءً من وقت «تركي السديري» وبالذات في ولايته الثانية بالجوف (رمضان/ ١٣٤٩هـ ـ نهاية ١٣٥١هـ (١٩٣٣م) ومروراً بوقت ولاية أخيه عبد العزيز السديري، فولاية محمد السديري ما بين ١٣٥٧هـ و١٣٦٢هـ (١٩٣٨ ـ ١٩٤٣م) وحتى جزء من ولاية عبد الرحمن السديري في سنواته الأولى وحتى أواخر عقد الـ «١٣٧٠S هـ/ ١٩٥٠S م» حيث على وقتهم، وفي فترات متتالية، يجبر و/ أو يخدع بعض من «الفالح»، آنذاك، (منهم، كل من عبد الرحمن خليف الفالح، ومحسن مخلف الفالح)، بالتنازل عن تلك الممتلكات والأراضي مقابل تعويضات تافهة (الفلّاح، سليمان العودة مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ٢١ من ٢٣، تفريغ ج ١، ش ١ ـ ٢)، بل إنه، وفوق ما تقدم كله، ففي أواخر فترة الـ «١٣٧٠S هـ/ ١٩٥٠S م»، تم سجن «الفالح» عندما أثاروا القضية مجدداً، وأتذكر أنني وأنا صغير كنت أذهب لزيارتهم هناك في سجن قصر الطين القديم (شمالي مستوصف الحمد حالياً)، وكنت أتذكر منهم والدي وعمي حمد محسن مخلف الفالح وعبد الكريم مخلف الفالح، ومحمد مهنا خليف الفالح، وأعتقد كذلك أحمد محسن مخلف الفالح، وحمدان مخلف الفالح، وتعرضوا لضغوط قاسية منها، التهديد بالفصل من الخدمة العسكرية، لمن يعمل منهم، ومنهم كل من عبد الكريم المخلف، و«محمد المهنا»، بل أن الأخير وبسبب مشاركته في الشكوى تم نقله لاحقاً، عقاباً له إلى «العيساوية». ورغم أن عدد منهم، ونتيجة للضغوط أضطر للتنازل عن الشكوى، إلا أن « هايس خليف الفالح» وعلى ما أعتقد «حمد محسن الفالح»، رفضا الخروج مقابل التنازل، وتم التحقيق معهم، ومع تواصل تمسكهما وإصرارهما في حقهم والحق بالمطالبة، اضطرت الحكومة أن تُفرج عنهما دون تنازل منهما.

في أصل قصة هدم قصر «خليف الفالح/ قصر الشهيباء» جزئياً، أولاً، ثم في إكمال الباقي، عبر البيع القسري، بمصادرته وكل أملاك (أراضي) الفالح المجاورة له، وبالذات إلى الجنوب الشرقي منه مباشرة (المقام علية مسجد القصر/ الجمعة ومبنى البريد والبرقيات سابقاً وما بينهما مما سمي حالياً بـ «ساحة العدل») تذهب ماكينة إعلامية لحلقات وقوى محلية منافسة ومتصلة بالنظام الجديد، بالترويج لرواية عن أن سبب هدم ومصادرة أراضي الفالح يعود إلى غضب من الملك عبد العزيز على خليف الفالح لأن الأخير رفض أن يهديه «القصر»، وأن خليف الفالح عندما ذهب للرياض وطلب منه الملك عبد العزيز «القصر» رفض، وقال له الملك أطلب بلسانك، فرد عليه خليف الفالح، كما تزعم الرواية، بعدم المبالاة، حيث قذف بـ «صرة» مملوءة بالنقود أمام الملك عبد العزيز وقال له « هذه الفلوس»، وأنه ما هو «محتاج» لها(!؟). هذه القصة والرواية عارية تماماً من الصحة، وما حدث بين الملك عبد العزيز وخليف الفالح من حديث حول القصر يورده محمد السلطان الفلّاح، نقلاً عن أخيه عبد الرحمن السلطان، والذي كان حاضراً وشاهداً عليه. ومن باب الأمانة التاريخية فإن قصة قصر خليف الفالح (قصر الشهيباء) وزيارة خليف الفالح للملك عبد العزيز وما دار بينهما، وطبقاً لما يقول به محمد السلطان، نقلاً عن أخيه عبد الرحمن السلطان والذي كان مع خليف وابنه عبد الرحمن وسمع ما دار بين الملك عبد العزيز وخليف الفالح، هي كالتالي: «أن شقيقه عبد الرحمن قال له حيث رافق خليف الفالح وولده عبد الرحمن، عندما ذهب خليف الفالح إلى الملك عبد العزيز، حيث كثر الضغط عليه من قبل السدارا لبيع القصر... فقال عبد الرحمن السلطان إن خليف الفالح عندما وصل إلى الرياض، وفي اليوم التالي، تجهز ولبس أحسن اللبس وتحزم بالسلاح والفرد (المسدس)، فقال له ولده عبد الرحمن، يمكن يا يبه ما يصلح، ولكن خليف الفالح اصر على ذلك وذهب ودخل على الملك ((وكان برفقته ولده عبد الرحمن، وكذلك عبد الرحمن السلطان الذي يروي ما سمع مباشرة))، فلما سلم على الملك، قال خليف الفالح للملك عبد العزيز، يا «عبد العزيز»: إن القصر اللي نبنبه نبغيه سكن لأولادنا وأهلنا، وحنا نعمل هذا تحت نظركم، وإن كنتم تريدون القصر فالأمر لكم، فقال له الملك عبد العزيز، لا ما نبيه، ما نبيه، يا ولدي وترى الناس يوشون (أو يحرشون) وحنا ما نبيه يا ولدي. فرجع خليف الفالح على هذا الأساس «أنتهى كلام محمد السلطان نقلاً عن شقيقه»: (السلطان الفلاح، محمد، لقاء وحديث (I)، في ١٦ ـ ١٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢: ٩ من ٩).

عوداً على مسألة انهيار «الفالح»، فنختم هنا بالقول، إن تحالف تلك العوامل وتضافرها، مجتمعة، وإن بدور جوهري كبير للعامل الأخير (النظام الجديد) وعبر سلطته المحلية وتحالفاتها وولاءاتها المحلية بالجوف، كان وراء التغير والتحول الكبير في مكانة ونفوذ «الفالح»، وفي المقابل، كان وراء صعود نفوذ عائلة/ عائلات أخرى. على أية حال، سبق أن أشرنا، في كتابنا عن «**سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين**...»، إلى أن حال نخب وقوى جديدة (الطبقة الوسطى: مثقفين ومعلمين، وأهل خبرة معرفية وتقنية متعددة التخصصات، وموظفين، مدنيين وعسكريين، وكذلك أهل المال والأعمال)، غير تقليدية، وعبر مقومات للمكانة والنفوذ غير تقليدية، ومنها المعرفة/ العلم والمعلومة وتقنياتها، فضلاً عن الوظيفة/ المنصب(الإدارة)، آخذة في التشكل وعلى حساب كل النخب والقوى التقليدية (الفالح، ٢٠٠٠)، وإن احتمت، الأخيرة، بنظام، كان جديداً، لكن بدأت عليه ملامح التقادم والشيخوخة، والذي، إن لم يتدارك نفسه بالإصلاح السياسي والمدني الحديث بما يؤسس لدولة القانون والعدالة والكرامة، بضماناتها وأدواتها وإجراءاتها، فلن يصمد طويلاً إلا عبر مزيد من القمع، وهذا بدوره في النهاية سيعمل على تقويض النظام وأن يقبرالنظام نفسه بنفسه. طبعاً يبقى للمال والقوة الاقتصادية دور في تشكل القوى الجديدة، وبقاء بعض القديمة التقليدية، ولكنها لوحدها لا تكفي، إن لم تحقق قدراً كبيراً من الاستقلال عن السلطة وقبضتها الاقتصادية، وما لم تدعم بالمقوّمات الأخرى وبالذات مستويات عالية من المعرفة والعلم وتقنياتها الحديثة، رغم أن أمر حدوثهما مشكوك فيه، وخاصة =

كانت تقوله امرأة «خويخان» شيخ «إثرة»، وهم في الأصل من الجوف (دومة الجندل) للرحالة «آرتشيبالد فوردر» في رحلته للجوف عام ١٩٠١م، عن وضع ومكانة النساء، وأنهن لسنا أفضل حالاً من جِمالهن وحميرهن وأن نهايتهن تكون بموتهن (فوردر، رحلة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٠٧).

ورغم ما تقدم من سلبيات تجاه المرأة وعنها، فإن ثقافة الانفتاح تجاه المرأة بالجوف تعتبر كبيرة بالمقارنة مع الحاضر ومقاييسه، بل حتى مع مقاييس المحيط المجاور و/ أو البعيد نسبياً عن الجوف آنذاك، وخاصة في فترة سنين وعقود ما قبل عقد الـ «١٩٥٠sم». ومن ثقافة الانفتاح تجاه المرأة في الجوف في الفترة الممتدة ما بين ١٨٥٠م وحتى عام ١٩٥٠م، نرصد الممارسات والمواقف التالية تجاه المرأة وكذلك أدوارها في المجتمع.

(١) **في حرية النساء في الجوف**: لنبدأ من حيث انتهينا في المقطع الأخير والسابق مباشرة، فنقول رغم رؤية «امرأة خويخان»، والتي أشرنا إليها، آنفاً، عن وضع ومكانة النساء، وسنورد عبارتها كاملة بعد قليل، فإن الرحالة فوردر نفسه يقول، في عام ١٩٠١م، عن وضع المرأة بالجوف ما يلي: في كاف «النساء غير معزولات وغير محجبات، ولكنهن لا يجالسن الرجال. إنهن يتمتعن بحريتهن، وهن بذلك أفضل حالاً من آلاف النساء في أجزاء أخرى من العالم 'المحمدي'» (فوردر، رحلة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩٤). وفي «إثرة» يقول الرحالة فوردر «لاحظت هنا أن النساء يتمتعن بحرية ويتجولن سافرات الوجوه» (فوردر، رحلة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٩٩).

ورغم القول بأن النساء لا يجالسن الرجال، وهذا صحيح كمجالسة دائمة، إلا أن المرأة في هذه الفترة، كانت تتحدث مع وتكلم الرجال وتناقشهم في أحيان أخرى، بل وتستقبلهم أحياناً في البيوت وتقدم لهم واجب الضيافة من قهوة وتمر، عكس ما هو جارٍ منذ نهاية عقد الـ «١٩٦٠sم»، فصاعداً وحتى الآن (٢٠١٣م وما بعدها). لنتذكر أن امرأة خويخان، والتي انتقدت بمرارة وضعها، تحدثت هي نفسها مع الرحالة «فوردر»، بل دعته إلى داخل المنزل وأكرمته، وجرى بينهما نقاش وحوار، ولأهميته وتأكيداً عليه، لا لذاته على أهميته، وإنما، فوقه، كشاهد من شواهد مشهد الانفتاح وبما يتعلق تحديداً بالمرأة، نورده كما ينقله «فوردر» بنفسه: «ذهبت إلى ينبوع الماء القريب مني واغتسلت... ثم ذهبت بحثاً عن الرجال **والتقيت امرأة اتضح لي أنها امرأة خويخان، وكانت كريمة فدعتني إلى منزلها ودخلت فقدمت لي تمراً وخبزاً ساخناً ولبناً حامضاً ونلت بذلك إفطاراً سخياً. ولقد تحدثت المرأة معي حديثاً طويلاً،** وأبدت تعاطفاً معي، وشفقة عليّ لأنها تعتقد أنني هربت من أهلي وعشيرتي لأحتمي بالعرب. وقالت لي: أخبرني ما هي الجريمة التي ارتكبتها؟ أو من قتلت؟ ما الذي اضطرك على الهرب؟ وأخبرتها عن السبب الحقيقي لحضوري إلى إقليم الصحراء العربية ولكنها لم تصدق المسكينة، بأن رجلاً يترك زوجته

= ما تعلق بموقف السلطة القائمة وطبيعتها تجاه متطالبات ومطالب الإصلاح وقواها الحديثة. في المستقبل، وفي الغالب، ستكون القوى والنخب الجديدة صاعدة (مكانة ونفوذاً) على مستويين، على مستوى فردي كأفراد و/ أو ضمن تجمعات ومؤسسات أهلية مدنية حديثة، ولكن ليس كعائلات أو جماعة تقليدية. سيتلاشى ما للعائلات والجماعات التقليدية من مكانة ونفوذ كلما اتجهنا إلى الأمام وكلما اتجهت الدولة إلى التكوّن و/ أو إعادة التكون على أسس ديمقراطية قانونية عادلة. سيبقى تأثير الجماعات التحتية (قبيلية/ عائلية / طائفية / مناطقية) في الغالب مع حالات الصراع وفيها وفي فترات عدم الاستقرار السياسي والفوضى التي قد تصاحب التغيرات الكبرى (الثورات) وتعثر البناء الديمقراطي.

وأطفاله، ووطنه، وبلاده، ليعيش مثل هذه العيشة، ويعاني مثل هذه المعاناة ليحدث الناس عن المنقذ المسيح. وسألتها عن الرحلة المزمعة، فأخبرتني بأن زوجها يقوم بمثل هذه الرحلة مرة كل عام، وقد آن أوانها. وأنه يأخذ الضرائب السنوية من هذا الإقليم، ويقوم بدفعها إلى شيخ الجوف الذي بدوره يرسلها إلى العاصمة حائل، وقالت لي: إن الرجال المسافرين معه ملعونون، ولكن لن يصيبني منهم أذى طالما أنني في معية خويخان، وتحدثت معها عن نفسها فرددت كالمعتاد: **نحن النساء لسنا أفضل من جِمالنا وحميرنا، ليست لنا قيمة، وعندما نموت تكون تلك نهايتنا**» (فوردر، رحلة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٠٧). هذا الحوار والنقاش مع رجل وأجنبي وموقف تجاهه، ربما لن يكون الأخير، وسنرى أنه سيتواصل على نحو ما، ولكن متناقصاً ومتقلصاً، حتى أواخر عقد الـ «١٩٥٠sم»، حيث في حدودها تميل الأمور بالتسارع ضيقاً تجاه هذه الثقافة وممارساتها إلى درجة أنها في الوقت الحالي لم تعد متاحة للنساء بالجوف ولم تعد ثقافة مسموحة بها.

(٢) في عام ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م: في السياق السابق ذاته، لنتذكر، ما دار من نقاش وحوار بين الفتاة «**لهود**» والرحالة الألماني أويتنغ وإبداءها رغبة الزواج منه، رغم أنه أجنبي ومختلف دينياً معها، علماً أنه أشار إلى متابعة الفتيات الأخريات، عندما يقول «وكذلك كانت الأخريات ورائي بشكل دائب لكي أتزوج» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٤ ـ ٢٠٥). يضاف إلى هذا المشهد، مشهد آخر، للانفتاح على المرأة لاحظه أويتنغ عام ١٨٨٣م. هذا المشهد، سنأتي على ذكره مفصلاً في فقرة أخرى من ثقافة الانفتاح، ويكفي منه هنا أن نشير إلى أنه، ورغم تعلقه بحالة وثقافة الغناء ورقص مشترك لصفوف من الشباب والبنات متقابلة، يفصح عن ما بين الرجل والمرأة في الجوف من علاقة وثقة متبادلة ومشاركة المرأة والموقف منها في هذه المشاركات في المناسبات ومنها الاحتفالات بالأعياد (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١).

(٣) ١٩١٢م(؟) ـ دور سيدة من أهل الجوف (سكاكا) (عذفاء بنت ماضي رشيد السويلم ـ النصير) في الصراع وفي فك الحصار: في مناقشاتنا عن واقعات الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، ومنها ما تعلق باصطفافات أهل الجوف على جانبي الصراعات ذات الصلة أحداث وفوضى سيطرة الشعلان على الجوف (١٩٠٩ ـ ١٩١٤)، أشار سعد الطارف إلى أن ابن سبهان، وبعد حوالي أربع سنوات من واقعة «كون الظلي ـ ١٩٠٧م»، تقريباً ١٩١١/ ١٩١٢م، أو في حدودها زيادة أو نقصاً بسنة، عسكر في رمال الطعوس ما بين قارا واللقائط وأنه مكث أربعة أيام انسحب بعدها إلى حائل ولكنه، أي، سعد الطارف، لم يتكلم عن هذه العودة والانسحاب السريع لابن سبهان وقواته، نحو حائل. يبدو أن هناك بعض التطورات والعوامل في كل من حائل وفي الجوف وما حولهما ساهمت، بتضافرها، بأشكال ونسب مختلفة في أحداث قرار الانسحاب السريع.

من العوامل، في الجوف، والتي ربما أسهمت بدرجة ما في انسحاب ابن سبهان إلى حائل سريعاً وتخليه عن التصادم بالجوف مع المحاصرين، فضلاً عن الشعلان، هو دور قامت به سيدة من أهل الجوف. **السيدة هي**: **عذفاء بنت ماضي رشيد السويلم (من النصير)**، وهي أم حسن العقلاء، حيث أوصلت لابن سبهان بطريقة غير مباشرة صورة صلبة لحال المحاصرين وعن حشود للرولة ـ الشعلان قادمة. عن ذلك

يحدثنا عبد الهادي السلطان نقلاً عن جدته (لأمه) «عذفاء»، نفسها، بالقول: إن المحاصرين من أهل سكاكا من المعاقلة، في أحد القصور، التي لجأوا لها، وبعد مرور أيام قليلة من الحصار، شعروا بالضيق نتيجة الحصار، فكان أن فكروا في طلب المساعدة من أهل قارا ((علماً، لمن لا يعرف، فإن جماعة الدغمان يقطنون قارا، وهم من الرولة، وبالتأكيد جزء من قوة الشعلان ـ [الباحث])) فقيل: «ما يروح بالمهمة رجل، شوفوا لنا مرة (امرأة)، لأنه لا يصلح لهذا الدور إلا أمرأة، باعتبار أن الخطر عليها من قوة ابن سبهان أقل في حال اكتشاف أمرها،... تقول وقالوا (أي المحاصرين): «ما فيه غير بنت ماضي (عذفاء)»... فتبرعت السيدة «عذفاء»... وأرسلوها لـ «قارا» توصل وتفزَع»، وبالفعل ذهبت إلى قارا عن طريق محاذي لقرية «الطوير»، ولكنها وهي في منطقة قرب الطوير وفي طريقها إلى قارا، اكتُشف أمرها واعترضها رجال ابن رشيد، الذين أخذوا يطلقون «الرصاص تحت رجليها... شرقي الطوير... تقول ويوم شمر جوا يمها...»، أوقفوها وأخذوا يسألونها: وش ((من)) أنت؟ وين رايحه؟ في ما يشبه التحقيق. ولتبديد مخاوفهم، قالت لهم، وهي تشير إلى صدرها: «... أنا أريد ـ لي بنت بقارا ـ أريد أرضعها... صدقوها وخلوها... وراحت». (السلطان، عبد الهادي عبد المحسن، في: الفلاح، سليمان العودة، مقابلة، ٢٩ ـ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: ١٨ من ٢٣).

وحيث إنهم صدقوها، ولكن قبل أن يدعوها تواصل سيرها لـ «قارا» سألوها عن المعاقلة وحال المحاصرين، فقدمت لهم معلومات مضللة بالقول إن المعاقلة المحاصرين لديهم من السلاح ومن مخزون الطعام ما يكفي لعدة أشهر، وأشارت إلى أن حشوداً من الرولة مؤيدة لابن شعلان تتجه من شمال شرق الديرة باتجاه النفود. عند سماعهم هذه الأخبار والمعلومات تركوا «عذفاء» على عجل وانسحبوا مسرعين عائدين لأبن سبهان بالأخبار (السلطان، عبد الهادي عبد المحسن، لقاء وحديث، السبت في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢، عصراً: ١ من ١).

هذه المعلومات والأخبار التي أوهمت بها السيدة عذفاء رجال ابن سبهان، وصلت، بلا شك، إلى ابن سبهان نفسه، دون إبطاء، مسهمة في ما يبدو بتكوين «تصور أو انطباع ما» لديه، يشير إلى احتمال بعدم إمكانية حسم سريع للأمور لصالحه والرشيد بالجوف، وأن الحسم في الصراع على وفي الجوف قد يحتاج إلى مطاولة مكلفة وغير مضمونة النتيجة. هذه التصورات المتولدة (المتخيَّلة) عن صعوبة الحسم في الجوف وعليه، فضلاً عن ضغوط عوامل كانت ربما تدور، آنذاك، في حائل وحولها، أشرنا لها سابقاً، ساهمت على نحو ما بقرار ابن سبهان بالانسحاب السريع والعودة إلى حائل، وبعد أربعة أيام فقط من وصوله للجوف (سكاكا) محاصراً لها في محاولة لانتزاعها و/ أو الانتقام من بعض أهلها.

(٤) (١٩٥٠sم) وقهوة السيدة «نومة»: تلك السيدة، أعلاه، وما قبلها امرأة خويخان، وحوارها ونقاشها مع الرحالة فوردر في عام ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، تذكرنا بسيدة أخرى في وقت ما من أواخر الـ « ١٩٥٠sم»، وكانت ثقافة الانفتاح فيه، على ما يبدو وفي الغالب، بدأت عليها علامات الاحتضار! كانت النساء على وقت صبانا (أواخر عقد الـ «١٩٥٠sم»)، والكبيرات منهن بدرجة أكبر، لا يتحرجن في التحدث مع الرجال والسلام ورد التحية، كما أن الرجال، من الحارة و/ أو الحارات المجاورة، لا يتحرجون في إلقاء التحية والسلام على النساء وربما التحدث إليهن والسؤال عن أحوالهن والأهل.

فوق ذلك هناك من النساء، وإن كان عددهن قليلاً، يقمن باستقبال الضيوف، بمن فيهم الرجال من الحارة ومن خارج الجوف، وتقديم القهوة لهم والتحدث معهم. أشهر العمالقة من هذا الصنف، من النساء، على وقت صبانا (أواخر عقد الـ «١٩٥٠s م»)، وعلى الأقل في محيطنا وما حولنا، كانت امرأة من جماعة العبد (شمر)، هي: «نومة بنت عطا الهيشان». كنت أتذكر وأنا صغير، أن باب بيتها وقهوتها (المجلس) مفتوح دائماً وقهوتها على النار دائمة ضحى وحتى بعد الظهيرة، وأتذكر أنني، من وقت لآخر أرى رجالاً يدخلون ويخرجون من عندها، بما في ذلك مجموعات من بدو الرولة (ربما من أقرباء زوجها و/ أو من معارفهم). أتذكر في أحد الأيام أنني دخلت عندها وكانت موجودة في القهوة، وعلى ما اعتقد كان هناك أخي تركي، وكان شاباً في حدود العشرين سنة من عمره، ومعه صاحبه «مدالله» أبنها، وكانت تتناول أطراف الحديث معهما. طبعاً هذه السيدة كانت متزوجة من رجل من الرولة (من عائلة «الغُشم» من أهل صوير، قرية إلى الشرق من سكاكا على بعد حوالي ٣٠ كم)، ويبدو أن زواجها يعود، إلى فترة وجود وحكم الشعلان الأخير بالجوف (ربما في ١٩٢٠م أو في حدودها زيادة أو نقصاناً ببضع سنوات). طبعاً السيدة نومة عادت إلى سكاكا، ولست متأكدا من سبب العودة(؟)، والذي قد يكون بسبب وفاة زوجها أو انفصالها، وأرجِّح الوفاة.

طبعاً، قد يقال إن السيدة نومة، وقد تنقلت مع الرولة وعاشت معهم سنين عديدة، قبل أن تعود إلى سكاكا، قد تعوَّدت على، وتشبعت بقيَم وممارسات ثقافة الرولة الأكثر انفتاحاً تجاه المرأة بالمقارنة بموقف أهل الجوف الفلاحين/ الحاضرة (سكاكا، ودومة الجندل) تجاهها، وبالتالي فهذه ثقافة وممارسة بدوية صحراوية، وليست متجذرة بين حاضرة أهل الجوف.

ونقول، ربما هذا جزئياً صحيح، ولكن الصحيح الآخر الموازي، هو ليس في ممارسة نومة لتلك الثقافة في ذاتها على أهميتها، وإنما، معها، بل وفوقها، ما تعلق بالموقف منها وتجاه ممارساتها تلك من أهل سكاكا عموماً، وأهلها وجماعة العبد والدغيفق المجاورين لها على وجه الخصوص. حسب علمي وما أعرفه، لم يكن أحد من أهلها ولا جماعتها، ولا من الجماعات المجاورة لها، من أنكر عليها، بل أن بعضهم كان لا يتردد في المرور والسلام وأخذ فنجان من القهوة عندها. طبعاً في حالة نومة وكذلك «عذفاء» ومن قبلهما امرأة خويخان»، هذه مجرد نماذج، توفرت لي معلومات عنهن، ولكن من المؤكد أن هناك نماذج أخرى لمثل هذه النساء، في فترات عقود موازية و/ أو سابقة، وفي فضاءات (أحياء وجماعات فرعية) أخرى في الجوف (سكاكا ودومة الجندل وما حولهما من قرى مماثلة). طبعاً هذه الحالة لم تكن منتشرة بكثرة في هذا الوقت المتأخر من مشهد الانفتاح، ولكن على أية حال نحن نتحدث عن فترة قريبة من نهاية عقد الـ «١٩٥٠s م»، وهو ما يعني أننا نسير إلى الأمام، زمانياً، في مشهد الانفتاح، والذي يتقلص وتتقلص مساحاته، لذلك من الطبيعي أن تكون مثل هذه الممارسة محدودة في هذا الوقت وهي مؤشر قوي على أنها، كعنصر من عناصر الانفتاح، تقترب من نهاياتها (الاندثار).

ما بعد ١٩٦٠م، وبالتأكيد منذ ١٩٧٠م فصاعداً لا وجود لمثل هذه الثقافة/ الممارسة، وخاصة عند أهل الجوف من الفلاحين/ الحاضرة. ورغم أن تلك الثقافة تكون، ربما، استمرت بعض الشيء، في فترة ما بعد سنة ١٩٧٠م وربما في العقود الثلاثة التالية عليها بين أبناء أهل الجوف من البادية، وبالذات الرولة

والمستوطنين منهم حديثاً في الجوف وقراها، إلا أنها حتى بين أبناء البادية آخذة في التقلص، وربما اقتربت من نهاياتها مع نهاية العقد الأول، وأوائل العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين.

(٥) **المرأة في الجوف عاملة منتجة (١٨٠٠ ـ ١٩٧٠)**: في كل الفترات السابقة ما قبل ١٩٧٠م، وكلما رجعنا إلى الوراء عقود بل حتى قرون، كانت المرأة في الجوف (سكاكا ودومة وما حولها من مثيلاتها من القرى) تقوم ليس بأعمال البيت التقليدية من طبخ وخلافه، وإنما تقوم بأعمال غير قليلة، وغالباً ما تكون شاقة مضنية، في الفلاحة/ الزراعة، حرثاً وسقاية (السني)، وحصاداً، وتنقية للتمور والحبوب ونقلها وتخزينها، بل أحياناً تقوم بعض النساء في صعود النخل لتلقيحها (إبار النخل) و«عدالها» و«جدادها». وفوق ذلك كانت تذهب للبر (تقرش/ قراش) إما لتجلب الحشيش (العشب) و/ أو الحطب، وأحياناً، «الجراد» (صيد الجراد خارج القرية وفي الغالب بالنفود). ليس هذا فحسب، بل إن ذهابهن إلى البر، يتم في الغالب، مع وجود الرجال من الحارة والحارات المجاورة معهن، وفي أحيان غير قليلة، يقرشن معهم، من غير أزواجهن، وكن يمكثن ليالي في البر قبل أن يعدن مع الجميع أو مع البعض و/ أو لوحدهن وقد جلبنا معهن الحطب و/ أو العشب والجني (الجني: العشب من الربيع والذي يؤكل، مثل الربحلاء، والحوذاء، والثعاليق، واليهق أو الجهق وهو يقابل الجرجير البلدي، والكيسوم «الرشاد»... إلخ). سوف نأتي على بعص من قصص ذات صلة بكون النساء يقرشن/ قرشن مع الرجال. لم يكن الرجال يتذمرون ولا يمانعون، في الغالب، من خروج نسائهم مع خليط من الجيران (نساء ورجال) إلى البر، ولم يكن يقلقهم أن تنام زوجاتهم أو أخواتهم أو أمهاتهم في البر ليلية، وربما امتدت ليالي. بعد عام ١٩٥٥م، وبحدودها، أتذكر في حارتنا، ونحن صغار، ذهبنا أكثر من مرة للبر وقد ركبنا، في سيارة واحدة (مرة في سيارة خليفة حمدان الفالح، والأخرى في قلاب لـ «محمد محسن مخلف الفالح») أولاداً وبنات ونساء من عدة عائلات من الحارة ومن حارات ذات صلة بأسرة بالفالح (زواجات/ مصاهرات). في إحداهن على ما أذكر ذهبنا إلى «رياض القطب» شمال سكاكا وغرب «قيال»، ونمنا في أركان متجاورة، ولكن متباعدة بعض الشيء، حول غار وجبل هناك، وفي مجموعات متجانسة، الأولاد في ركن، والبنات والنساء في ركن، والرجال والشباب في ركن. أتذكر في تلك الليلة، أن شقيقي «سلطان» وكان شاباً يافعاً آنذاك، مر علينا والوقت قد تجاوز العشاء، وكان قادماً من سكاكا/ أو من القنيطرة مشياً على الأقدام باحثاً عن ابن عمه (خليفة حمدان الفالح) لكي يذهبا إلى مجموعة شباب «المهنا واليونس»، وبعض من الحمود في مكان آخر من البر المجاور، فأخبرناه أن «خليفة» ذهب، بُعيد المغرب، إلى المجموعة هناك، وأنهم في «رياض حنين»، إلى الجنوب الغربي من مكاننا بحوالي ٦كم، فتركنا وأقفل ذاهباً إليهم هناك، مشياً على الأقدام مرة أخرى، وكان الوقت شتاءً قارساً (شديد البرودة)، وخرمسيساً (حالك الظلمة). هذا الحال، من خروج المرأة للبر مرافقةً للرجال من الحارة والحارات المجاورة، ربما استمر حتى حوالي ١٩٥٥م في حدودها تقريباً.

ب ـ في ثقافة الزواج (العشق/ النصب)

قصة «لهود» مع الرحالة أويتنغ، والتي أشرنا إليها مختصرة آنفة، وسنأتي عليها مفصلة لاحقاً، على ما فيها من إثارة وحالة يمكن فهمها في سياق ظروفها وثقافتها القائمة آنذاك، تحيلنا إلى ثقافة الزواج في

الجوف والموقف منها ومن ممارساتها. منذ عقد الـ «١٩٥٠s م»، وعلى نحو مؤكد فيما قبله من سنين وعقود، كان الزواج في الجوف (سكاكا ودومة الجندل وما حولهما من قُرى)، عبر العشق/ الحب يعتبر أمراً مألوفاً في الجوف. وهناك قصص معروفة للناس جميعاً في تلك الفترات، ولولا أن أفق الناس، الآن، ضاق كثيراً، لذكرت أسماء زواجات بعينها تمت عبر العشق والحب الذي عرف واشتهر عن الزوجين قبل زواجهما بفترة غير قليلة. والأمر المثير في هذا الأمر أنه ليس فقط عامة الناس يتحدثون عنه في العلن، ولا يستنكرونه، بل في تناوله بقدر من الإشادة، وإنما فوق ذلك أن أهل المعشوقة، وفي حالات بعينها ومعروفة للجميع، قد تتكشف لهم العلاقة مع العشيق (الرجل) ويعرفون عنها، فلا يعنّفون البنت، ولا يقفون ضد تطور العشق نحو الزواج. وكم من مجلس حضرته في سكاكا في ما قبل ١٩٩٥م، لا يمر ولا ينتهي دون ذكر قصص لـ «عشق وزواج» من هنا وهناك في الجوف في تلك الفترات الماضية.

ليس هذا فحسب، بل إن هناك حالات متعددة عن قصص عشق وحب بحتة غير منتهية بزواج. سمعت مرات عديدة من شياب (كبار سن)، قصصاً مذهلة عن أنهم، وفي ليال بعينها، ورغم التعب المضني جراء السني والفلاحة ومتطلباتها والتي قد تستهلك الوقت مما قبل الفجر وحتى الغروب وما بعده، يتجشمون عناء الذهاب ليلاً مشياً على الأقدام إلى قرية/ قرى مجاورة، بما في ذلك قرى تبعد عنهم بما لا يقل عن ٣٠ كم أو في حدودها، من أجل أن يقابل عشيقة له هناك، فيقضيان مع بعضهما بعض الوقت متناجيين، ليعود قافلاً ومشياً على الأقدام قبيل صلاة الفجر لقريته وبيته وحوطته، لا لينام، وإنما ليواصل عمله في حوطته/ مزرعته وفي الغالب في مهام السني (السقاية). في لقاءات العشق تلك، وأمثالها، في داخل الأحياء و/ أو في الأحياء الأخرى المجاورة القريبة و/ أو البعيدة، عند أطراف وحواف الحوط/ المزارع وحول القلبان (الآبار)، تتم في الغالب خلسة وليلاً، ومع ذلك فإن بعضها يبدأ يتكشف للناس وتصبح قصة حب وعشق معروفة، وقد تنتهي بزواج وربما لا تنتهي به، لظروف تتصل بعدم التوافق بين العائلات وأطرافها، أو بعضهم على الأقل، ذات الصلة. طبعاً بداية العشق قد تكون نشأت في أماكن علنية عبر الرؤية المباشرة، وربما المتكررة، حول القلبان والأحواض (مكان تجمع ماء السني) وممرات/ أزقة الأحياء، وبعضها متولد من المعرفة في الصغر في الحارة. في حارتنا وما حولها من قلبان، كانت النساء، ولا زلت أتذكر منظرهن ونحن صغار، يقمن بنقل المياه (تروي أو يروّن) للشرب والطبخ، إلى البيوت فوق رؤوسهن عبر «المرواة» (الطاسات/ القدور، وتحت الرأس الوقاة)، وكان الماء منساباً/ منسكباً على ظهورهن وأردافهن، وكان مثيراً حقاً لنا كصغار، فكيف بالشباب! وكيف لا يقعون في العشق ويهيمون في دنياه وهم يرون الجمال فتنة بكل تفصيلاته! ومع ما تقدم، بل وفوقه كله، فإن أغلب من تحدثوا عن «لقاءات العشاق» وسمعت الكثير منها، يقولون ويؤكدون، بل يقسمون ويحلفون أيماناً غليظة، على أنهم في تلك اللقاءات وأجواء العشق فيها، لم يلامسوا بعضهم البعض جسدياً أبداً، بما في ذلك القبلات.

وفي سياق هذا كله، وبالمقارنة مع وقتنا الحالي، فإن الممارسات الجنسية غير المشروعة (الزنا) في تلك الفترات، والتي تميّزت بانفتاح نسبي، بما في ذلك موضوع العشق والحب الذي كان مألوفاً، لم تكن إلا في الحدود الدنيا والطبيعية للعلاقات البشرية، لا بل إن حالات الممارسات الجنسية خارج

المسموح به والشرعي (الزنا/ السفاح) هي، على وجودها، أقل بكثير مما هي عليه الآن حتى مع احتساب الفارق في عدد السكان بين ما هو قائم حالياً من جهة وبين ما مضى من فترة ذات صلة، علماً أن التدين والحشد الديني في الفترة الحالية (ما بعد ١٩٦٠م فصاعداً) وكذلك مستويات المعرفة والتعليم فيها، كبيرة جداً فيها عما في قبلها، بل إن ما في قبلها (ما قبل ١٩٥٠sم) لا يكاد يذكر مقارنة بالأخيرة. طبعاً قد يقول قائل، ويرد علينا بالمخالفة، بأن «الزنا منتشر» في الجوف، وفي سكاكا تحديداً، مستنداً على ومشيراً إلى أقوال للرحالة «والن» بأن من سكاكا ومن هذا المكان «بشكل متكرر كان رجال... يأتون إلى الجوف لاستشارتي كطبيب لأمراض مختلفة وجدت... معظم الأمراض التي وجدتها كانت من الدرجتين الثانية والثالثة من مرض السفلس» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٢)، وكما انساق وراءه سعد بن جنيدل بإيراده النص، وإن تحوّط عليه (ابن جنيدل، سعد، ١٩٨١م/ ١٤٠١هـ: ٥٢ ـ ٥٣)، بل حتى إن المترجم عوض البادي نفسه لم، يكلف نفسه عناء التعليق ولو حتى في الهامش، علماً أنه هو نفسه شطب كلاماً لبعض الرحالة قريباً من هذه التوصيفات، في الكلام عن بعض من عائلات في القصيم.
نرد على هذا القول، بالقول، أولاً، إن «الزنا»، كنزعة وممارسة فطرية، هو حالة موجودة في كل المجتمعات البشرية، حتى مع الإسلام وعلى وقت الرسول (ﷺ)، كان موجوداً، ولم يقض عليه قضاء كاملاً، وإنما حد منه ووضعه في الحدود/ المستويات الدنيا له (كمستويات طبيعية/ فطرية). وعليه فإن «الزنا» لم، ولن، ينقطع ما كان وما بقى من بشر. ثانياً، الرحالة «والن»، نفسه يقول إنه لم يزر سكاكا، ولم يقابل من أهلها إلا من زاروه، وبالتالي فهو يعمم عليها، وعلى أهلها من خلال من احتك بهم ممن زاروه من أهلها وهو بالجوف (في دومة الجندل)، ويقول إن من زاره منهم ولديهم أمراض مختلفة فـ «معظم الأمراض التي وجدتها كانت»، من هذا النوع والدرجة. لنسأل، افتراضاً: كم من أهل سكاكا زار «والن» في تلك الفترة؟ ١٠ أو ٢٠ أو ٥٠ أو لنقل ١٠٠ شخص؟ وكم نسبتهم من الأهالي في سكاكا؟ هو يقول إن «عدد العائلات التي تعيش في سكاكا تُقدر بحوالي أربعمائة عائلة» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٢)، وبالتالي، إذا، قبلنا تقديره، وافترضنا أن معدل كل عائلة تتكون من ٥ أشخاص، رجالاً ونساء، سيكون العدد الكلي لـ «سكاكا» كأفراد، آنذاك، تقريباً في حدود ٢٠٠٠ شخص. الآن إذا افترضنا، جدلاً، أن من زاره من أهل سكاكا، هم ١٠٠ شخص، ولنقل إن كلهم وليس «معظمهم» كما يقول «يحملون المرض ذاته ستكون نسبتهم هي في حدود (٠,٠٥ بالمئة). ثالثاً، وعلى افتراض هذه النسبة وحتى لو كانت أعلى منها، فإن هذا المرض ودرجاته، والذي ذكره الرحالة لا يعني أن مصدره يقيناً وعلى نحو مطلق ممارسة «الزنا» (خارج الحلال)؛ ربما يكون كذلك وقد يكون غير ذلك، وفي الغالب، مصدره ليس «الزنا» بذاته وإنما، ناجم عن عدم النظافة بعد ممارسة الجنس الحلال (مع الزوجات). نحن نعلم أنه لا وجود لصابون ومطهرات آنذاك في عموم الجوف، بما فيه سكاكا، وبالتالي ففي الغالب ستتكون وتتراكم الأوساخ (الميكروبات/ الجراثيم) لدى الرجال والنساء، وفي الغالب ستتطور عند الرجال إلى حالة ما يعرف «بالتعقيبة/ الحصر» والتي هي قد تتطور، في حال عدم علاجها وفي غياب النظافة، إلى المرض ذاته الذي تكلم عنه الرحالة. نحن لا نقول إنه لا يوجد «زنا» في الجوف، آنذاك، وإنما نقول إن «الزنا» الذي كان في الجوف في فترة الانفتاح كان محدوداً، وكان، في الغالب، عند مستوياته الطبيعية/ الفطرية. وفوق هذا وذاك، نزعم وبقناعة وثقة أن لا علاقة له بالانفتاح بالضرورة، إذ إن

«الزنا»، كما قلنا ونقول، موجود في المجتمعات المفتوحة، وكذلك المغلقة قديمها وحديثها، بل إن «الزنا» في الجوف، كما قلنا ونكرر القول، في فترة التشدد والتطرف، ما بعد ١٩٨٠م فصاعداً، يتجاوز ما كان عليه الوضع قبل ١٩٥٠م بكثير حتى مع الأخذ بالاعتبار والحسبان الفارق النسبي للسكان في الفترتين. طبعاً أهل الجوف في فترة ما قبل ١٩٥٠s م، وإن كانوا أقل تديناً مما هم عليه حالياً ـ وبالمناسبة «عدم التشدد في التديّن» هو من شواهد الانفتاح نفسه دون تفريط ـ فإنهم لم يخلوا من دين ولا من مخافة الله، ولا من أخلاق وقيَم وفضائل رفيعة تؤطر السلوك والمعاملة تجاه بعضهم البعض، وبما يحفظ الجماعات الصغرى (المجموعات في الأحياء والحارات) والجماعة العامة الكبيرة (المجتمع بالجوف ككل)، وبما يشمل المحافظة على القريب والجار القريب والبعيد، بما فيهم النساء، والحرص على السمعة لهم ولهن. ولذلك أيضاً تولدت حالة من الثقة ليس فقط بين الناس عموماً، وإنما كذلك ومعها حتى ثقة في المرأة، وثقة بين النساء والرجال. هذه النقطة الأخيرة تحيلنا إلى نقطة، سبق الإشارة لها، وكذلك سنأتي عليها لاحقاً، تتعلق بالموقف من المرأة ذاتها. وطبعاً هذه المقارنة والمفارقة لربما تنطبق على مناطق أخرى خارج الجوف وفي الدولة ككل، ولكننا على أية حال، ورغم التداخلات بين المناطق في الأمر من حيث القوى والعوامل والمتغيرات المفسرة للحالة والمفارقة، فإننا نتكلم هنا ونركز على الجوف، وحسبنا في الإشارة إلى المناطق الأخرى هو ألّا يظهر علينا أحد فيقول إن وضع الجوف ليس لوحده ولا متفرداً به. وعودة إلى ثقافة الزواج، فإنه إضافة إلى الزواج المنتهي عبر العشق والحب وكان أمراً مألوفاً في الجوف، فإن طريقاً آخر مباشراً يتم من خلاله الزواج في تلك الفترة (ما قبل ١٩٥٠s م، وفي حدودها). الطريق المباشر، هو ليس عبر نساء الأهل (الأمهات والأخوات) كما يتم هذه الأيام، وإنما يقوم به الرجال/ الشباب مباشرة. سأورد قصة، لمقاربة الأمر، وفيها دلالات وثقافة انفتاح في موضوع مقاربة الزواج وفي الموقف من المرأة وتجاهها من الرجل وبالعكس منها تجاه الرجل. القصة تتعلق بزواج، والدي من والدتي (ولمن لا يعرف فوالدتي هي: مركية بنت مطلق السويلم[٥] (من جماعة النصير)، ووالدي هو: هايس خليف الفالح من الدغيفق). القصة، والتي سمعتها مرات ومرات من والدي، وألخصها على الجملة هنا، تقول: كان والدي يحب امرأة/ بنت، من أحياء على حواف سيل الغديّر/ الهذال، وكان لا يرغب في الزواج إلا منها. كان يقابلها ويتحدث معها وكانت على ما يبدو تريده أيضاً. بالمناسبة، هذه من قصص العشق التي لم تنتهِ بزواج، وكانت معروفة عند أهل الوالد كما هي معروفة، علناً، عند أهل البنت، ولم يكن أهل البنت، كما يقول الوالد، غاضبين لا على بنتهم ولا عليه، وكانت الطرق تسير باتجاه الزواج. كان والده (خليف الفالح) غير راضٍ عن الزواج هذا، وكان معترضاً عليه، وكان يقول له شف البنات عند خوالك الغالي/ الشمروخ، بينما كان الوالد مصراً على رغبته، لدرجة أن «ابن عقيّل»، وكان أمير الجوف آنذاك ـ حيث فترته كانت بين نهاية رمضان ١٣٤٣هـ، وبين ذي الحجة

(٥) أمي «مركية بنت مطلق السويلم»؛ أمها هي عاشة (وهي زوجة مطلق السويلم ـ النصير) وعاشة لها ثلاث أخوات؛ أختها «ضحية» أم الباسط، ولها أخت ثانية هي «فزة» وهي أم صالح العدوان «المنديل ـ الشلهوب» وأختها الثالثة اسمها «ليلى» تزوجت رويلي، علماً أن أم هؤلاء الأخوات الأربع هي «بليشة» والأخيرة أخت بخيت الطالب تزوجها شخص يبدو أن اسمه «مشحن» من الشريقية، طبقاً لأقوال مفرح بخيّت الطالب (الطالب، مفرح بخيت، لقاء وحديث، الجمعة في ٢١/ ١٠/ ٢٠١١: الساعة ١٢:٠٥ ـ ١٢:٣٥ ظهراً)، و«مشحن» هذا يبدو أنه في الغالب من العلي ـ القرشة، علماً أن «الشريقية»، لمن لا يعرفها، هي حي في غربي سوق البحر وشمال الغانم والكايد.

١٣٤٥هـ (الشايع الكريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٧٢، والسديري، ١٩٨٦: ٧٠ ـ ٧١)، وكان من وقت لآخر يمر ويتقهوى ويتناول «المعروض» عند والده (خليف) ـ تدخل وتوسط في الأمر، بعد أن عرف عن الرغبة من الوالد (هايس) نفسه على ما يبدو، حيث يقول الوالد إن «ابن عقيّل» قال له إذا جلسنا افتح الموضوع مع أبوك أمامي، وأترك الباقي عليّ، وهو ما حصل، عندها تدخل «ابن عقيل» متوسطاً في الأمر، مما أقنع والده (خليف) بالموافقة وإعطائه مبلغ الزواج المطلوب، وإن على مضض. سارت الأمور بما لا تشتهي السفن، فلم ينته العشق بالزواج، ذلك أن خالها حرَّض أخته وأهلها على عدم قبول الزواج، والسبب أن أبواب قصر خليف الفالح أغلقت عندما دخل «ابن عقيّل»، فلم يتمكن من الدخول مع من كان خارجه، وكان منهم خال البنت (المعشوقة)، فرجع الخال غاضباً محرضاً على أن لا يتم الزواج بينهما. ويضيف الوالد، عندما تبين له هذا الرفض والصدود، وكان يبدو مثار نقاش مع أحد الأقرباء، قال له هذا الرجل، «وش تعب حالك، ارع البنت عند عاشة، زوجة مطلق السويلم». هذا يعني أن مطلق السويلم كان متوفياً آنذاك، وهو ما يضفي على القصة وأطرافها ونهايتها دلالات كبيرة تجاه ثقافة الزواج وطريقته، والأكثر أهمية ما تعلق بالموقف من المرأة وفي دورها هي وتجاه المجتمع. يقول الوالد، فقمت من فوري ورحت مباشرة إلى بيت مطلق السويلم، وطرقت الباب، فخرجت عليّ عاشة (زوجة مطلق وأم بناته: علياء، ومركية، وهلالة، وولداه عقيل وإبراهيم) وسألتها حاجتي بالزواج من بنتها (مركية)، فقالت له: أرعها بطرف هالنفود، حشاشة وحطابة مقرشة مع الحواشيش وهالمقرشين. (من المهم ملاحظة أن الأمر يتعلق بمجموعة من النساء والرجال في البر من أجل جلب الحطب والحشيش/ العشب، والذي سبق الإشارة إليه). يقول الوالد، وبعد أن وصفتها لي (ملابس وشكلاً) ذهبت من فوري نحو المكان، وعندما أقبلت عليهم (نساء ورجالاً)، كانوا يتجهزون للعودة، حيث بعضهم يرفع العدول (حبال من ليف النخل متقاطعة يحمل بها وعليها الأثقال من الحطب ثم توضع متقابلة على جانبي ظهر الدابة لتوزيع الحمل وللتوازن، والدواب المستخدمة في الغالب هي الجمال و/ أو الحمير). ويضيف قائلاً، عندما أقبلت عليهم واقتربت، تعرفت على أن تلك البنت هي، «مركية» أو أنه قال سألت عنها فأشروا عليها، فتوجهت لها، وهي تهم برفع «عدل» الحطب، فقلت: سلام يا بنت! فردت السلام، وأخذت أرفع عنها «العدول» بنفسي. طبعاً القصة ستنتهي بالزواج، ولكن المثير في الأمر عدة نقاط، متعلقة بثقافة الانفتاح المتصلة بالزواج وموقف الناس من المرأة وموقفها هي تجاه الناس، ومن ذلك: ١ ـ ذهاب الوالد وطلب الزواج بنفسه، لا بطلب من أهله ولا بتوسط منهم؛ ٢ ـ الأكثر أهمية هو أن «عاشة»، وهي أم «مركية»، ليس فقط خرجت على «هايس» وقابلته، فتحدثت معه في موضوع الزواج من البنت وليس بينهما وسيط أو حاجز، وإنما كذلك، وفوقه، أنها وبثقة عالية، قالت له عن مكان البنت وليذهب هناك ويراها بنفسه؛ ٣ ـ وهناك في النفود، أقبل عليها وسلم عليها وكلمها، وعاونها أمام الناس، رجالاً ونساء/ بنات، والناس يعرفون أن هذا «هايس» وأن هذه «مركية»، وأنهما غير متزوجين بعد، ولم ينكروا عليهما ما بدا من «غزل» أولي ومباشر بينهما وتجاه بعضهم البعض، أو على الأقل من رجل تجاه امرأة/ بنت؛ ٤ ـ كذلك فإن من كان مع وفي القرش/ المقرشين، هم رجال ونساء، وفي الغالب من الحارة و/ أو الحارات المتجاورة، وأنهم يثقون ليس فقط ببعضهم البعض، وإنما في بناتهم أن تذهب إلى البر (تقرش) مع هكذا مجاميع بما فيها من رجال وشباب، وفي أحيان تجلس في البر لعدة أيام وتضطر للنوم والمبيت هناك لعدة ليال. هذا

في العرف الحالي، أقل ما يُقال عنه إنه «اختلاط مشبوه»!، ولا يقبلون به بالمطلق؛ ٥ ـ والدتي، بالمناسبة، سبق لها أن تزوجت مرتين وقبل زواجها من والدي، ومع ذلك لم يكن هذا يُعيبها من الزواج مرة أخرى، بل إن والدي، كرجل، لم يتردد في الزواج منها، وهو يعلم أنها كانت قد تزوجت رجلين قبله. الزواج من امرأة منفصلة و/أو مطلقة فيما قبل ١٩٦٠م كان أمراً شائعاً ومألوفاً، من الرجال في الجوف، ولم يكن يقف عائقاً أمام الزواج، كما هو عليه الحال الآن. رغم أن البنات، كن، قبل ١٩٦٠م بسنين وعقود، على ما يبدو قليلة العدد، بالمقارنة بعدد الرجال، كما تقول به وتؤكد عليه العمة عاشة (الفالح، عاشة بنت خليف، مقابلة، ١٣ ـ ١٤ آب/أغسطس ٢٠٠٢)، وربما كانت هذه من العوامل في عدم الاهتمام بكون المرأة مطلقة أو لم يسبق لها الزواج، إلا أن الرجال كانوا، بطبيعة الحال والاهتمام، يبحثون عن امرأة تنجب لهم الذرية، وفوق ذلك، تعاونهم على مشاق الحياة. من هنا، ورغم أن تعدد الزوجات كان قائماً وممارَساً فيما قبل ١٩٥٠م، إلا أنه كان بهدف الضرورة والحاجة الاقتصادية (الإنجاب أولاداً وبناتاً، للحصول على قوة عمل كافية في إحياء المزرعة/الحوطة والمحافظة عليها) أكثر منه لإشباع رغبة جنسية. لذلك نرى، أنه ورغم وجود حالات من الزواج المتعدد في السنين والعقود السابقة على ١٩٦٠م، لكن الغالب أن الرجل يحتفظ، في النهاية، بزوجة واحدة. حالياً، وبالمقارنة مع عقود ما قبل ١٩٦٠م، التعدد قليل ومنخفض، ولكنه ورغم أن الموقف فيه وتجاه التعدد هو في جزء منه ناتج عن تصرف عقلي ولضرورات التعاطي مع الحياة المعاصرة وضغوطها، فإن جزءاً مهماً منه، أي الموقف الحالي من التعدد هو امتداد للثقافة السابقة والتي لم تكن تميل إلى التعدد إلا، في الغالب، لضرورات وحاجة اقتصادية. في كل من الفترتين، على أية حال، التصرف آنذاك والآن تجاه الزواج المتعدد (في السابق فعله على محدوديته، وحديثاً في الامتناع عنه رغم حصول حالات منه) هو أنه ورغم وجود عاطفة فيه، فهو تصرف بالأساس عقلاني لا عاطفي. طبعاً نسبة من الزواجات، رغم البعد العقلاني فيه، لا تخلو من قدر من الحب والعشق والغزل. في الجوف، الغزل والتغزل، يُقال له، في ما هو شائع قبل ١٩٧٠م، «النصب» الشباب ينصبون، وينصبن البنات». وهذا «النصب»، وبالذات من الشباب، وإن كانت البنات يقمن به أو يتفاعلن معه، كانت عادة مألوفة كذلك في الجوف، فيما قبل عقد الـ «١٩٥٠sم». وبالمناسبة فإن «الغزل/التغزل أو النصب»، يمثل بذاته حالة ثقافية فرعية وشاهداً من شواهد مشهد الانفتاح ونطرحه هنا على هذا الأساس. في عام ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ)، يقول سليمان العودة الفلّاح، في روايته عن ملابسات مقتل «فهاد المظهور»، وللتعرف على المقتول والتأكد من أنه «فهاد المظهور»، مشيراً في روايته، إلى حال من «النصب/التغزل» كان يجري بالجوف ومألوفاً آنذاك، بالقول: «...أنا خابر باروده... صواري عصملي تثور ثورتين... لقوا محزم ومجند ومزهبة فرس كلهن مفضيهن...»، ويضيف سليمان العودة، أنه وحيث الأمر وقع ليلاً، فلم يكن من السهل التعرف عليه، فقال: «... **قالوا ما يعرفه غير حمدان السمرين... ينصب ((يتغزل)) بالليل**... قال حمدان السمرين؛ لا والله هو ((يقصد أنه فهاد المظهور))...» (الفلّاح، سليمان العودة، مقابلة، في ٢٩ ـ ٣٠ آب/أغسطس ٢٠٠٢: ١٧ ـ ١٩ من ٢٧ ج ٣، ش ٣). وإن كان «النصب/التغزل» عادة مألوفة فيما قبل عقد الـ «١٩٥٠sم»، فإنه في أواخر مراحله كان له بعض الممارسات حتى في أواخر الـ «١٩٥٠sم» وأوائل الـ «١٩٦٠sم»، وكنت أنا (الباحث) شاهداً عليه. ورغم

أنه ليس كل الشباب و/ أو البنات يقومون به، فإن هناك على الأقل مجموعة وأعداد من الشباب كانوا، وفي، العلن يستعرضون أنفسهم، جيئة وذهاباً لابسين أفضل الملابس، في ممرات وطرقات على حوافها وأطرافها بيوت فيها بعض البنات، والتي يعلمن، وفي الغالب يتابعن من خلف الأبواب حركات هؤلاء الشباب. لا زلت أتذكر، على وقت صبانا، في أواخر الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي، كنا نخرج أولاداً وبناتاً، وأعمارنا بحدود العشر سنوات، لنعانق «نستقبل» الغنم القادمة من «السراح»، في البر الشمالي والشمالي الغربي من المعاقلة في سكاكا، وكنا نجتمع ونلعب سوية في الطرف الشمالي الغربي لسيل الغدير/ الهذال، حول جدار من الطين غير مرتفع، وحوله شجرة أو شجرتي إثل كبيرة، وفي أسفل الجدار كومة متمددة من رمل ناعم «برقا و/ أو سافي»، كما يُقال له محلياً، متجمع/ متراكم مع الوقت بسبب الهواء والرياح. مكان التجمع واللعب هذا هو الآن مقام عليه بيت عبد الله الصالح (من العبد). كنا، أولاداً وبناتاً نصعد الأثل والجدار ثم نقفز على الرمل «السافي» فنتدحرج على الرمل ونتطارد وهكذا حتى تأتي الغنم من «السراح» فنمضي معها لننعزل عن بعضنا البعض مع انعزال مجموعات من الغنم عن بعضها البعض كلما اقتربنا من ممر أو سويق يؤدي إلى حارة فرعية «عند نقاط التوزيع ينادى على الغنم عزل عزل»، وهكذا حتى ننتهي نحن الأولاد والبنات في آخرنا حيث تنتهي المجموعات الأخيرة من الغنم في أطراف ونهايات الأحياء المشاركة في سراح الغنم. كنا نلعب ونمرح سوية على مرأى من الناس جميعاً، ولم يكن أحد من الناس، لا من أهل البنات ولا من أهل الأولاد، ولا حتى من الجيران حول منطقة اللعب، ليس فقط أنكر علينا و/ أو استنكر ما نفعله، وإنما فوق، كذلك، لم يكن أحد يتحرّج مما نقوم به. كنا الأولاد والبنات معروفين بأسمائنا وأشخاصنا وأهلنا، ولولا ضيق أفق الناس، حالياً، لعددت أسماء البنات اللواتي كن يلعبن معنا كأولاد. في تلك الأيام التي خلت، على وقت صبانا، في عقد الـ «١٩٥٠sم» وأواخره، وربما حتى أوائل «١٩٦٠sم»، كان عدد من الشباب، وهم في أحسن المظهر واللباس «الثوب مكوي والغترة منيلة» (صبغة زرقاء)، يجوبون الحارات من وإلى وسط وشمال المعاقلة مروراً بسويقات «الراس» وممر/ سويق «غنماء»، فمنطقة وسيل الغدير/ الهذال وغربه، فالعودة أدراجهم، وهكذا الأمر في العصير الأصغر وحتى المغرب، فينتهي المشهد والعرض، ليبدأ من الغد، وهكذا. هذا كنا نسميه في الجوف (سكاكا تحديداً) بـ «النصب»، والمثير في الأمر أن الناس جميعاً، رجالاً ونساءً وفي تلك الحارات، يعلمون أن هؤلاء الشباب يقومون بـ «النصب/ التغزل»، ويعرفون الشباب واحداً واحداً، ولا ينكرون عليهم، كما أنهم في الغالب، يعرفون، ممن البنات والبيوت المستهدفة في النصب. طبعاً هذا النوع من «النصب/ التغزل»، كما هو «العشق» بالأوصاف السابقة، انتهى نهائياً بالجوف منذ تقريباً ١٩٦٥ فصاعداً. طبعاً لا يعني أن لا هناك من عشق ولا غزل بالجوف فيما بعد ١٩٧٠م، لا لا ليس هذا هو القصد. الغزل/ التغزل نعم موجود في الجوف، ولكن طرقه ووسائله مختلفة عما كان سائداً من قبل ١٩٦٠م. سأكتفي بقصة من حياتي شخصياً، وهي قصة لا علاقة لها بالغزل/ التغزل والنصب، وإنما بعلاقة شرعية، لنرى كيف التحوّل خلال نصف قرن من الزمن أو في حدوده؛ في عام ١٩٧٧م، عندما تقدمت لخطبة زوجتي (جميلة بنت سليمان العقلاء) وتم توقيع عقد الزواج فعلياً، وبما يعني من الناحية الشرعية والرسمية أننا أصبحنا زوجين، سمح لي والدها سليمان العقلاء، أن أقابلها وأجلس معها في اليوم التالي لتوقيع عقد الزواج، وهو ما تم بالفعل، وعندما شاع الخبر وانتشر في سكاكا، وفي المعاقلة

تحديداً، قامت الدنيا ولم تقعد أمام هذا الحدث الجلل، استنكاراً وتنديداً به، وكيف لـ «سليمان العقلاء» أن يسمح به قبل ليلة الزفة و/ أو العرس!

٣ ـ الفن/ الطرب (الغناء والموسيقى والرقص والسمر)

لنستعيد صورة مشهد ثقافة الفنون وبالذات «الغناء واللعب والرقص»، الذي كان عليه أهل الجوف (في دومة الجندل وسكاكا) من ثقافة. وحيث إن عدداً من الرحالة الغربيين، زار الجوف ما بين الفترة ١٨٤٥م وحتى ١٩٢٢م، وقد رصد بعضهم أجزاء من تلك الثقافة، علينا، أولاً، الذهاب لهم ولكتاباتهم عن الجوف، واستحضارها هنا، ثم، ثانياً، على ملاحظة، حال المشهد، في الفترة ما بعد ١٩٢٢م وحتى أواخر و/ أو مع نهاية عقد الـ «١٩٦٠s م»، وربما نتجاوزها إلى ما بعدها من عقود، ولنرى مدى استمرار و/ أو تآكل عناصر ومساحات منها بالمقارنة مع ما قبلها من فترة.

أ ـ فترة ١٨٤٥م ـ ١٩٢٢م وثقافة الفن والغناء والرقص في كتابات الرحالة الأوروبيين الذين زارو الجوف

(١) **في عام ١٨٤٥م ـ الرحالة جورج أوغست والن**: رصد الحالة، وكتب قائلاً: «... كما أن أهل الجوف معروفون بمواهبهم الشعرية، فرغم شدة المذهب الوهابي، في ما يتعلق بالغناء والربابة (الآلة الوحيدة في الصحراء)، وأنهما لا يلقيان بالإنسان الورع والمؤمن الحقيقي، اعتقاداً بأن من يتمتع بالشعر والموسيقى في الحياة الدنيا، فإنه لن يتمتع بهما في حياته الآخرة، إلا أنني نادراً ما قضيت ليلة واحدة بدون رفقة بعض الشباب الذين يغنون بصحبة هذه الآلة البدوية الرتيبة والساحرة في نفس الوقت» (والن، رحلة ١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٥).

(٢) **١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ ـ الرحالة بلغريف**: في رحلته للجوف في هذه السنة، ورغم أنه لم يتكلم كثيراً عن غناء ورقص، إلا أنه أشار إلى حالة ليلة سمر صيفية، وأضفى عليها لمسة «شاعرية»، وفيها أبعاد انفتاح ثقافية إضافية، حيث يقول: «بعد العشاء ينهض الجميع، يغسلون أيديهم، ويتجهون إلى أرض فضاء، حيث الهواء الطلق، **ليجلسوا ويدخنوا الغليون** تحت السماء الصافية، التي تبدو شفافة بلا ضباب أو رطوبة، ولا يظهر السحاب إلا قليلاً، ثم يلوح القمر ناشراً ملاءته الفضية على رؤوس النخل، وآخر أشعة المغيب لا تقل صفاءً ووضوحاً عن أشعة الشروق. **يستمر القوم في السمر لساعة أو ساعتين،** ثم يذهبون إلى منازلهم للنوم في الغالب الأعم. وننصرف نحن لكتابة يومياتنا...» (بلغريف، رحلة ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٨٣). بالنسبة لعادة التدخين، كحالة ثقافية قائمة بذاتها، وإن تداخلت في أحيان مع حالة السمر واللهو، سنأتي على طرحها لاحقاً.

(٣) **١٨٧٩م ـ الرحالة الليدي آن بلنت**: رغم أن الرحالة تشارلز هوبر، في رحلته عام ١٨٧٩م للجوف وهو يتحدث عن أن التدخين/ النارجيلة، وأنه كان متاحاً، ويقدم للزوار وخاصة من «جوهر» ممثل حاكم ابن رشيد في الجوف، يقول، كذلك، أن جوهر «يمارس... عادة التدخين، وهو بذلك يخالف المبادئ النقية للوهابيين، ولكنه يتمسك بالمبادئ التي تحرّم الموسيقى والغناء في الجوف، الذي كان

قديماً يمتاز بالفرح كما ذكر بلغريف، ولم يعد به ربابة واحدة» (هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٥٩)، فإن الليدي بلنت والتي سبقته بأربعة أشهر تقريباً فقط، تقول في زيارتها للجوف، في أواخر ١٨٧٨م وأوائل ١٨٧٩م، إنه: «وفي المساء رتب لتسليتنا رقص وغناء، اشترك فيه دواس والجنود، لعبوا نوعاً من رقصة السيف، وكان أحد اللاعبين يدق على طبل صنع من خشب النخيل وجلد الحصان، بينما رفع الباقون سيوفهم على أكتافهم وغنوا لحناً مهيباً، ورقصوا بمهابة وجلال. ومن وقت لآخر كانت السيوف ترفع ويلوَّح بها، ثم تنطلق صرخة تشبه إلى حد كبير ما قد يسمع في حلبات الصيد في بلادنا. مرة أو مرتين كان هناك «هوب ـ هوب» مميزة، ومضبوطة في المفتاح الموسيقي الملائم، وبالتفخيم المناسب، كانت أكثر الألحان أخاذة، على طريقة الموسيقى العربية، وجرى أحدها على النحو التالي... انتهى الرقص» (بلنت، رحلة ١٨٧٩م، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٠). ورغم أن حفلة (الغناء والرقص)، هي حفلة ليست أهلية، وإنما تبدو شبة «رسمية» رتبها وقام به «دواس» وجنوده بالجوف (دومة الجندل، وهو نائب الحاكم في الجوف بينما الحاكم (عامل الجوف)، ممثل ابن رشيد، هو «جوهر»، وكان في هذا الوقت في «سكاكا»، فإن قيام «دواس» بها يقلل من قول «هوبر» بأن «جوهر» متمسك بالمبادئ التي تحرّم الموسيقى والغناء؛ فلو كان صحيحاً لما تجرأ «دواس» كنائب له على أن يقيمها، إلا أن تكون خاصة واستثنائية لضيوف أجانب، أو أن القصد من التمسك بتحريم الموسيقى والغناء خاصاً بسلوك شخصي لـ «جوهر» نفسه دون غيره، أي ليس بتعليمات للسكان عامة. وأما قول «هوبر» عن عدم وجود «ربابة واحدة» فهو ربما مبالغ فيه، وإن كان صحيحاً، فيدل على أن هناك تزايداً لضغط ديني متشدد (وهابي) من قبل سلطة ابن رشيد وممثلها بالجوف. ومع ذلك كله سنرى، في البنود التالية، أن ممارسات من الغناء والرقص لا زالت جارية حتى على وقت «جوهر»، وفي الجوف (دومة الجندل) وفي العلن. كذلك فإن الربابة، لها وجود هنا وهناك بالجوف ولم تندثر أو تختفي من المشهد، على الرغم مما يقوله «هوبر» عن عدم وجودها في ما ذكرناه، آنفاً. على أية حال فإن تراكم التشدد الديني/ المذهبي ربما له دور في تناقص مثل هذه الممارسات الثقافية في هذا الوقت، وبالتأكيد سيكون دوره متزايداً كلما تقدمنا إلى الأمام ودخلنا مراحل جديدة من التشدد، وخاصة بعد ١٩٢٢م فصاعداً، وبالذات في العقود الأربعة التالية عليها، وسيكون هذا أحد أهم العوامل الحاسمة، التي منذ أواخر عقد الـ «١٩٦٠sم» فصاعداً، تقف وراء انحسار ثقافة الانفتاح ومساحاتها، وصعود حالة ثقافية بديلة، وهي حالة وثقافة الانغلاق ومكوناتها «التشدد والتطرف والعنف» بالجوف.

(٤) **١٨٨٣م ـ الرحالة جوليوس أويتنغ** يسجل ملاحظات عن مجالس أنس وربابة في كاف، وغناء ورقص في الجوف على النحو التالي:

(أ) **في «كاف»**، وهي من قرى الجوف وسكانها في الغالب من حاضرة الجوف (دومة الجندل) يتكلم الرحالة أويتنغ في رحلته للجوف ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ عن مجلس أنس وربابة، عندما يقول عن يوم ١٩أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م: «في المساء تجمع مجلس أنس ومرح عند نار قهوة مضطرمة حول الربابة...» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣م، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٠٨)، علماً أن أويتنغ في اليوم السابق، أشار إلى أنه قضى «فترة ما بعد الظهيرة في بستان «فضي» صاحب الربابة» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي،

٢٠٠٢: ٢٠٧). يواصل أويتنغ القول عن يوم ٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م «... بعدما سافر عبد الله ومطيلق معاً حوالي المساء في رحلة يومين إلى إثرة كان لا بد لضيوفه أن يكونوا في «حلقي» لشرب القهوة. كانت تؤخذ الربابة ويؤدى معها الغناء إلى وقت متأخر..» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢١٩). ويضيف القول عن يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٨٣م «... بعد غروب الشمس، حضر من السهل جماعة تتكون من ٣٥ ضيفاً. جلسوا في دائرة واحدة، في الفناء. وقدم لهم ثلاث صحائف كبيرة من التمر، بينما أضاء أحد العبيد المكان بسعفة نخيل موقدة جيداً من أجل الأنس. كان للمرء أن يراقب الأوجه واللحى بوضوح تام، ولكن وبما أنني كنت متعب من ليلة الأمس، فقد انسحبت دون أن أنتظر القهوة، وكنت أسمع صوت الربابة، التي لم تصمت ويصمت الجميع معها إلا عند الفجر» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٢٩).

(ب) وفي الجوف (دومة الجندل): وإذا كانت حالة «مجلس الأنس والربابة» في «كاف» لا تكفي، فإن الرحالة أويتنغ، يصف مشهداً مثيراً مبهراً من الغناء والرقص، كما رآه بأم عينه في الجوف (دومة الجندل) في يوم السبت ١٠/ ١٢/ ١٣٠٠هـ، الموافق ١٣/ ١٠/ ١٨٨٣م، وهو أول أيام عيد الأضحى في الجوف، يقول: «وفي طريق العودة، عندما بدأت الشمس تُقارب المغيب، شاهدنا منظراً عجيباً رسخ في ذاكرتي، ولم أُشاهده مرة أخرى أثناء رحلتي كلها. ففي سهل واسع وفسيح، جرت رقصات رائعة، حيث وقف صفان، تفصل بينهما ٢٠ خطوة، في الصف الأول العديد من الفتيات، وفي الجهة المقابلة في الصف الآخر العديد من الفتيان، وفي الوسط وقفت فتاتان ترقصان برؤوس مكشوفة وشعر تم تصفيفه للخلف. بدأ الرقص على شكل خطوات قصيرة للأقدام، مع فرد الأذرع حيث تتقارب الصفوف وتتباعد، ثم مرة واحدة أدارت الفتاتان ظهريهما لبعضهما، وأمالتا رأسيهما للخلف، ثم قامت كل منهما بتحريك شعرها أمام الأخرى. وقامت الصفوف العديدة من الفريقين بالتصفيق لهما في صورة جماعية وأيديهم في صورة عمودية على صدورهم. وفي هذه الأثناء كان الفتيان يتراصون في الجهة المقابلة، وقد التصقت أكتافهم ووضعوا سيوفهم أمامهم، وقاموا بالغناء سوياً وبصورة سريعة، لم أتمكن من فهم كلمات هذا الغناء (القصيدة) ولكن كان اللحن كالتالي[٦]:...» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١). ورغم أن الرحالة أويتنغ قيل له إن هذه الرقصة تسمى «لعب الدحة»، إلا أنه شكك بالتسمية، ومال إلى الاعتقاد بأنها رقصة أو عرضة «الدبكة»، عندما علق وقال «لم يذكر أحد اسم «سحجة» لي. لم يقف الأشخاص هنا في الجوف أثناء الرقصة بشكل دائري، ولكن الرقص عبارة عن صفين متقابلين. وقال لي «جراف لاندبيرج» إن مثل هذا النوع من الرقص يوجد في سورية تحت اسم «الدبكة» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١). والباحث يميل إلى أن هذه الرقصة واللعبة، ليست هي «الدحة»، وإنما هي بالفعل «الدبكة»، والتي في حوران، في منطقة درعا والسويداء والجولان، وكذلك بمنطقة «الرمثا» بشمال غرب الأردن يمارسونها ويسمونها «الدبكة الجوفية»، والتي نميل إلى الاعتقاد بأنها في الغالب أتت مع التردد القديم والمتواصل لمجموعات من أهالي الجوف على الغربية بالذات على منطقة وسهل حوران ومحيطها المجاور، بما في ذلك فلسطين وأجزاء مما أصبح

(٦) وضع الرحالة أويتنغ «رسمة للنوتة الموسيقية» مباشرة بعد عبارة وقوله «و لكن اللحن كالتالي: ...» ((الباحث)).

لاحقاً يعرف بالأردن. هذا التردد والتواصل لأهالي الجوف (الحاضرة) كان على الأقل لمدة تغطي قرناً من الزمان ١٨٥٠م ـ ١٩٥٠م، وبالتأكيد تتجاوزها إلى ما قبلها بسنوات وربما عقود، وهي معروفة وسبق أن تحدثنا عنها كثيراً في أكثر من مكان وخاصة عند مناقشة بنية التخلف المعرفي والثقافي من المسألة الثقافية الكلية للجوف) لأهالي الجوف على حوران والعمل هناك، وممارستهم لها وبخلطة مع عناصر محلية من حوران، فضلاً عن قدوم أعداد وعائلات من الشام واستقرارها في الجوف (دومة الجندل) في فترة نهاية القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر وربما بعده بسنوات إلى ما قبل ١٩٠٠م.

فوق هذا وذاك، ولمن لديه شك وتشكيك في الأمر و/ أو إنكاره، فنقول له، أولاً، إنه يستطيع، التثبت بنفسه عبر بحث «قوقل» عن «الدبكة الجوفية»[٧] و«الجوفيات أو الأغاني الجوفية»، فسيجد كتابات كثيرة تحيل للموضوع، بل سيجد في البحث إشارة إلى ملخص «لدراسة علمية متكاملة»[٨]، في سياق موسيقي، عن «الدبكة الجوفية» وأغانيها في أصولها وتطورها، قام بها عبد السلام مرعي حداد، أستاذ الموسيقى في جامعة اليرموك الأردنية، ومنشورة، على ما يبدو، في مجلة/ دورية «**أبحاث اليرموك**» عام ٢٠٠٣م. طبعاً «الدبكة الجوفية» وأغانيها في حوران وشمال الأردن ربما دخلت عليها تحريفات وإضافات، ولم تعد كما كانت سائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ثانياً، نقول، إن مما يؤكد أنها رقصة «دبكة» خاصة بحاضرة الجوف (سكاكا ودومة الجندل) وكان أهلها و/ أو بعضهم على الأقل يمارسونها حتى ربما وقت ما من عقد الـ «١٩٣٠sم» وبحدودة زيادة و/ أو نقصاناً ببضع سنوات، هو أنه عندما ذكرت هذه القصة والمشهد ـ (غناء ورقص الشباب والبنات في الجوف عام ١٨٨٣م طبقاً لمشاهدات الرحالة أويتنغ) ـ في إحدى الليالي من أيام عام ٢٠٠٢م، في جلسة واستراحة ما عرف بمجموعة «المربع» ـ وكانت تضم في أغلبها مجموعة من أبناء سكاكا، وبالذات من «الضويحي» وأحياناً يحضرها من خارجهم، من المطر، ومن الطوير، وكذلك كنت أنا أتردد عليهم من وقت لآخر، وحتى من دومة الجندل، ومنهم دهام ناصر المرخان، وأحمد السالم، وآخرون، أحياناً، من خارج الجوف، ومنهم محمد القشعمي (من أهل الزلفي) ـ قال لي عبد الحسن فالح اللحيد، إن خاله كان يذكر أنهم قديماً، على وقت شبابهم، وفي مثل هذه المناسات (الأعياد/ الاحتفالات) بالفعل كانوا يخرجون شباباً وبناتاً في صفوف متقابلة ويمارسون تلك الرقصة في الأراضي المفتوحة للغرب والجنوب الغربي من بيوتهم ومنازلهم (اللحيد، عبد المحسن فالح، ٢٠٠٢).

في النقطة التالية، وفيها إشارات لغناء ورقص لرجال من الجوف، ما يبدو أن فيه قدراً من التشابه مع «الدبكة الجوفية» وحالة الرقص والغناء التي شاهدها الرحالة أويتنغ. الفرق البارز أنها كانت تقريباً من رجال الجوف (سكاكا)، وفي صف واحد، ودون النساء، وهو أمر طبيعي لأن الرجال ذاهبون ويتحركون للأمام نحو مقر ومخيم الشيخ نوري الشعلان في أجواء وسياقات احتفالية ترحيبية.

---

(٧) انظر مثلاً ما كتب في «وكيبيديا» عن الدبكة، والدبكة الجوفية في جنوب سورية وشمال الأردن، على الرابط التالي: <http://ar.wikipedia.org/wiki/%d8%af%d8%a8%d9%83%d8%a9>.

(٨) ملخص دراسة عبد السلام مرعي حداد عن «أغاني دبكة الجوفية»، المنشور في: «أبحاث اليرموك: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية»، على الرابط التالي: <http://repository.yu.edu.jo/handle/123456789/416812>.

(٥) ١٩٠٩م ـ **الرحالة ألويس موسيل**: منذ الرحالة أويتنغ، ورحلته للجوف عام ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ، لم يورد الرحالة الذين أتوا بعده ـ وهم «البارون نولده ـ ١٨٩٣م/ ١٣١٠هـ» و«آرتشيبالد فوردر ـ ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ» وكذلك «أس. أس. بتلر عن رحلته مع ل. أيلمر ـ ١٩٠٨م/ ١٣٢٥هـ» ـ، أية ملاحظات حول الغناء والرقص. أولى الإشارات، بعد عام ١٨٨٣م عن غناء ورقص، أتت من خلال ما سجله الرحالة «ألويس موسيل» في رحلته الأولى للجوف ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، مرافقاً لتحركات النوري الشعلان. يقول الرحالة موسيل، في يومياته عن الجمعة ٢٣/ ٤/ ١٩٠٩م: «وعند المساء سمعت عدة طلقات وصياحاً، وعندما خرجت من الخيمة رأيت رجال سكاكا وقد اصطفوا طويلاً وهم في اتجاه خيمة الأمير، وكان يتقدمهم رجل عجوز، كان يحرك السيف فوق رأسه، ويأتي بحركات مثلما يفعل الراقصون خلفه، وهي التحرك خطوتين إلى الأمام، والتمايل إلى اليمين والشمال، ويهزون جذوعهم بنفس الطريقة... ووقف الرجال أمام الخيمة في شكل منتظم، وقام الرجل العجوز، الذي كان يقودهم في الرقص بإشعال نار في منتصف الحلقة، التي اصطف حولها الرجال، والتي تفصل بينه وبين زملائه، وبدأ العجوز بالرقص ثانية. والتصق رفاقه ببعضهم البعض، حتى تلاصقت أكتافهم، وأمسكوا بأيدي بعضهم، وبدأوا يرقصون حتى أخذ منهم التعب كل مأخذ» (موسيل، رحلة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٩٧). لاحظ أن هذه الرقصات وحركاتها من التمايل والتقدم والالتصاقات الكتفية، هي رقصات ليست حربية أو قتالية، بل رقصات احتفالية، تعبر عن الفرح والترحيب؛ إنها حالة أقرب إلى النشوة والطرب، وإلا كيف نفسر التمايل والرقص وهز الجذوع (الأجساد)، ومسك الأيادي والتلاصق بالأكتاف**!؟**

(٦) ١٩٢٢م ـ **الرحالة جون فلبي**. ورغم أن الرحالة فلبي لم يتكلم عن رقص وغناء وقت زيارته للجوف في ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، إلا أنه أشار إلى عروض ورقصات حربية يقوم بها الموالون لـ «سلطان الشعلان» آنذاك، حيث كانت معارك وقتال يجري في سكاكا على وجه الخصوص، وما عرف محلياً على أنها حرب «المعاقلة ـ المعاقلة» أو «الراشد ـ المويشير». في تلك الأجواء الحربية/ القتالية كان سلطان الشعلان وقواته، وفي استعراض للقوة يسير شبه يومي المسيرات من عسكره وحلفائه رفقة الرقصات وإطلاق أعيرة النيران في كل اتجاه. كانت تلك الحشود ومسيراتها ورقصاتها ذات الطابع الحربي والعسكري التي تجوب عدداً من أحياء سكاكا وساحاتها (مناخاتها)، بما في ذلك في أحياء المعاقلة في منطقة (مناخ) الراشد (جماعة الرواشدة الشماليين ـ جماعة راشد القايد)، وكان يشارك في تلك الاستعراضات والرقصات الحربية مجموعات ممن التف حول ابن شعلان من أهالي سكاكا، بما فيهم غالبية ساحقة من المعاقلة. الاستعراضات العسكرية ورقصات الحرب التي تكلم عنها «فلبي»، هي كما يقول تحدث شبه ليل ونهار، ولكن ما شاهده «فلبي» منها، هو ما يحدث منها فقط وفقط أمام مقر إقامة سلطان الشعلان في شرق سكاكا (يبدو مقره أقرب إلى قرية اللقائط آنذاك) (Philby, 1923: 254-255، وفلبي، رحلة ١٩٢٢، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٩٧ ـ ٤٩٩)، وأما الاستعراضات العسكرية والرقصات الحربية الموازية في غرب شمال سكاكا، فكانت تجري في المعاقلة (الراشد، أحمد قضيب، لقاء ونقاش (I)، الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢: ١ ـ ٢ من ٤). طبعاً هذه رقصات حربية قتالية، ولكن اشتراك مجموعات من أهل سكاكا، ومن المعاقلة

تحديداً، فيها ربما يعكس امتداداً لحالة رقص وغناء كان سائدا مدنياً (اجتماعياً) في الجوف آنذاك، وربما هو في جزء منه تحريف و/ أو تطوير له باتجاه حاجة عسكرية، والعكس قد يكون صحيحاً.

ب ـ فترة ١٩٢٢م ـ ١٩٦٠s م، وما بعدها وحال ثقافة الغناء والرقص في الجوف:

(١) **نهاية الدبكة الجوفية**: يبدو أن الدبكة الجوفية، والتي كانت سائدة، وممارسة إلى حد ما، على الأقل من بعض الأهالي، في فترة بين ١٨٨٠م وحتى عقد الـ «١٩٣٠s م» يبدو أنها مع عقد الـ «١٩٤٠s م»، ومع النظام الجديد (الدولة السعودية الثالثة) والتشدد الديني له ولأتباعه، بما فيها تواجد مجموعات من قوة الأخوان، فضلاً عن حركة ابن مشهور الشعلان الأخوانية (الجناح الشمالي لحركة الأخوان في نجد ـ السعودية) بحدود ١٣٤٧هـ، قد قضى نهائياً على ممارسات ثقافية ومنها «الدبكة الجوفية».

(٢) **الربابة**: رغم قول «هوبر» في عام ١٨٧٩م إنه لا وجود لربابة بالجوف، فإن الربابة كانت موجودة، وكانت تمارس، ولكن على نطاق أضيق، وازداد الضيق في ممارستها في فترة مع ووجود قوة الأخوان التي أشرنا لها، ولكنها لم تنقطع على الجملة.

(٣) **العرضة والسامري والعود**: الأهم من ذلك، أنه، ورغم التشدد الديني المتزايد ما بعد ١٩٢٢م، فإن هناك طرباً وفنوناً (غناء ورقص وآلات) جديدة ظهرت في هذه الفترة وبالذات بين ١٩٢٢ و١٩٧٠م، ومنها **العرضة والسامري**، وكذلك **العود والطرب** والطبل والكورس.

(أ) **في العرضة والسامري**: وفي سؤال العرضة والسامري، فإنه وفي ما لاحظته وتابعته، لا يبدو لي أن العرضة والسامري، وما بهما من رقص، من الفنون القديمة في الجوف، بل هي وافدة من نجد مع النظام الجديد (الإمارة) ومن معها من مجموعات وفدت للعمل فاستقرت في الجوف منذ ١٩٢٢م فصاعداً. ما كان معروفاً بالجوف هي فضلاً عن «الدبكة الجوفية» ورقصات موازية، غناء «الهجيني» أو بالأحرى «التهيجن» باللهجة المحلية. التهيجن، من الهيجنة، هي نوع من الغناء بأصوات ذات لحن لمقاطع من أبيات (قصائد) يرددها ويؤديها، في الغالب، الرجال، فردياً أو على شكل تراد/ مراد ثنائي، وفي الغالب وقت صعود النخل، في فترات التلقيح والعدال والجداد، وكذلك وقت «القرش/ القراش» والذهاب للبر للحطب والعشب والجني. وفي الغالب قد تكون ذات مضامين حماسية أو حزينة أو فرحة أو غزلية. في الجوف كان بعض الرجال يزدادون حماساً في الهيجنة، عندما يعلمون أن بعض النساء يتابعن الأصوات والغناء، وقد يتعمد أولئك «المهيجنون» برفع الصوت للفت أنظار النساء نحوهم. وبالمناسبة، فإن هذه النقطة يمكن احتسابها ضمن ثقافة «الغزل/ التغزل» والعشق و«النصب». عوداً إلى «العرضة والسامري»، فإنه، ورغم أن نسبة غير قليلة من مجموعات وأسر أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) تعود أصولهم وجذروهم إلى نجد (وادي حنيفة، والوشم/ القصيم/ حايل)، فإن ثقافة وفن العرضة، وهي العرضة النجدية، والسامري ذي الإيقاع السريع «الحوطي»، هي ثقافة وافدة أتت مع المجموعات والأسر الي بدأت تتوافد إلى الجوف مع الحكم السعودي الجديد منذ ١٩٢٢م، فصاعداً، وخاصة بعد تزايد أعدادها مع وبعد عقد الـ «١٩٣٠s م». طبعاً يمكن لحايل وفترة حكم الرشيد (١٨٣٨ ـ ١٩٠٨م)، وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، دور في بعض من الغناء الموازي، ولكن

العرضة والسامري، بما هما عليه بالجوف منذ عقد الـ«١٩٣٠s م» فصاعداً، هما في الغالب من مناطق في عمق نجد. على أية حال، الأكثر أهمية في موضوع الغناء والفن الجديد، هو ليس العرضة وما فيها من رقص، لأنها في الأصل متفرعة عن غناء ورقصات حربية، وإنما هو فن «السامري»، لأنه أولاً، ربما ذو طابع مدني وليس حربي، وثانياً، في سياقه، أنه أصبح ممارساً من أهل الجوف، سواء على مستوى الرجال أم النساء. لا تخلو مناسبات الأفراح، وخاصة الأعراس من العرضة، وبشكل أكبر من «السامري». الشباب، وكذلك النساء، في الغالب يميلون إلى ممارسة فن وغناء السامري، بينما كبار السن يميلون في الغالب إلى ممارسة العرضة والرقص بالسيوف، وإن كان الشباب يشاركون فيها. المثير بالأمر، وفي ما يتعلق بالسامري، فإن الشباب يقضون أوقاتاً طويلة في لعبها وترديد قصائدها، ويكون هناك نوع من أنواع الرقص من بعض الشباب بالتمايل وهز الجذوع (الأجساد)، ويزداد الشباب حماساً في السامري، غناء وحركات ورقصاً، عندما يعلمون، أو يرون، أن البنات، يتفرجن عليهم من وراء الجدران/ أو من فوق الأسطح. ليس هذا فحسب، بل هناك ممارسات فنية تتم في لعب السامري وفي أجوائه، هي أقرب للأساطير والخرافات، ولكنها تمارس وتنتظر بحماس من قبل الجمهور. من تلك الممارسات الفنية، هناك بعض الأفراد المتخصصون في الرقص ويعرفون بـ «الزار» وما يُقال/ يُزعم بقدرتهم على «تحضير الجن»، حيث يقع «الزار» بعد لعب ورقص شديد، صريعاً على الأرض بالوسط، ويضع جمرة في فمه، فيزعم أنه يخمدها، بل يحولها إلى «بخور»! وفوق ذلك، يُزعم أنه يتعرف على من عليه «جنابة» من الجمهور، والناس ينتظرون، من هو الذي يقع عليه الاختيار؟، وربما يقع على أي شخص هكذا! ومع ذلك يميل الجمهور إلى الاعتقاد أن «الزار» لم يختره إلا لأنه كذلك! لكن كيف لشخص أشار عليه أنه على «جنابة/ لم يتغسل» أن يفند ما يقوله عنه «الزار»!؟ هذا السامري وممارساته، فيما كنت شاهداً عليه في وقت صبانا وبدايات شبابنا، كان جارياً معمولاً به طوال عقد من الزمان، على الأقل منذ أواخر الـ «١٩٥٠s م» وحتى أواخر الـ «١٩٦٠s م»، فلم يخلُ منه، في الغالب، عرس في سكاكا في تلك الفترة. طبعاً، سيستمر «السامري»، وكذلك العرضة في الجوف حتى وقتنا الحالي (العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين الميلادي)، ولكن بوتيرة وزخم وحماس أقل بكثيرعما كانا عليه قبل ١٩٨٠م، حتى إن «العرضة» لا يقوم بها سوى الشباب، أما الكبار ففي الغالب، إن وجدوا، وكثيراً منهم من الجيل السابق رحل، يكتفون بالتفرج، وربما واحد أو اثنان منهم قد يشارك بمسك السيف بوسط العرضة. فوق ذلك، فإن نسبة غير قليلة من الأعراس في الجوف، وبالذات في سكاكا، وفي المعاقلة بدرجة ملحوظة، لا يتم فيها لا عرضة ولا سامري. أما بالنسبة إلى «الزار» وممارسته في السامري، فقد اختفى ولم يعد له وجود مع نهاية الـ «١٩٦٠s م»، وبالتأكيد ما بعد ١٩٧٠م.

(ب) **العود والطرب الحديث (صعود فأفول)**: في عقد الـ «١٩٥٠s م»، وبالذات مع منتصفه وأواخره، ظهر فن وطرب جديد لم تعهده الجوف من قبل. إنه طرب العود وألحانه/ والذي كان يؤديه أحد الأشخاص «المطرب» ومعه «المروس» و«الكورس» والدق على «الطبل/ الطبلة». لمدة اقتربت من خمس عشرة سنة، وبالذات منذ أواخر عقد الـ «١٩٥٠s م» وحتى أواخر عقد الـ «١٩٦٠s م»، كان العود والطرب والمطرب أحد أهم عروض وبنود السهرة لأغلب الأعراس في الجوف (في سكاكا تحديداً)،

إلى درجة أن العرس الذي لا يشارك ولا يغني فيه المطرب، وليس فيه عود، يعتبر آنذاك عرساً ناقصاً، ولا يُقبل الجمهور (الناس/ الأهالي) عليه كثيراً. ورغم أن مجموعة من المطربين ظهروا ومارسوا «دق العود» وطربه، بما في ذلك عدد من الشباب، وخاصة مع منتصف الستينيات من القرن فصاعداً، إلا أن أشهر المطربين، ومن تسيّد المشهد آنذاك، وعلى طوله، كان كل من «عبد العزيز الدريويش» (من دومة الجندل)، و«حميان خليفه/ فتى الجوف» (من سكاكا). المطرب «حميان خليفة» تعرض في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين الميلادي لضغوط ومحاصرة اجتماعية وفوقها رسمية، حيث سجن وغُرب لفترة في جزيرة «فرسان/ جيزان». طبعاً لم يسلم معظم المطربين، بمن فيهم جيل الشباب من ضغوط اجتماعية/ دينية طالت حياتهم وحياة أسرهم وألحقت قدراً من الضرر. على أية حال، مع ظهور «الدريويش» و«حميان» ظهر، لاحقاً، مطرب شاب هو «صالح الحلو» من حارة سوق البحر للغرب منها، وكذلك كل من «سلمان هلال السياط»، و«مقبل عقيل الشرعان»، لكن الأخيرَين لم يدوما طويلاً. في الجوف (في دومة الجندل وإلى حد ما في سكاكا)، وفي حدود هذه الفترة، ربما في منتصف وأواخر الستينيات من القرن الميلادي الفارط، ظهر هناك عدد من الفنانين/ المطربين، الذين كان لهم مشاركات في الأعراس والجلسات، ومنهم «ناصر خليف»، و«عبد الله حيدر»، و«عبد الكريم الفراس»، و«حلو الحلو» (يبدو الأخير وهو الأخ الكبير لصالح وأحمد الحلو، من سكاكا ظهر في فترة سابقة و/ أو موازية لفترة ظهور أخيه صالح الحلو)، ويبدو أن أشهرهم، في دومة الجندل، كان هو «ناصر خليف»، والذي تميّز «بالحزن الدائم والبكاء والتصعلك» (السالم، زياد، رسالة جوال نصية، في ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: الساعة ٨:١٨ مساءً).

كان المطرب في البداية، يشارك بـ «عوده» ويغني به في الأعراس مجاناً، ثم تطور الأمر إلى أن يُعطى المطرب مبلغاً من المال. كان المطرب في البداية يدق على العود ويغني الأغاني لوحده مع مرافق ضارب للطبل «المروّس/ ضابط الإيقاع»، ثم تطور الأمر ليصبح هناك مجموعة من الأشخاص «الكورس» يساندون المطرب على بعض الأدوات اللحنية/ الموسيقية الأخرى كالطبل والقرقشة/ الدندشة، والكمنجة أحياناً. أثناء حفلة الطرب «العود» كان هناك من الشباب من يتطوع للرقص وسط الحلقة التي تتشكل من الجمهور حول المطرب وعوده، وأمامه! ما يهمنا هنا من أمر الطرب والعود والغناء والرقص المرافق، ليس لتسجيل تاريخه وتفصيلاته على أهميته، ولكن هو ما تعلق منه بالانفتاح وثقافته. من هنا نقول إنه، أولاً، طرب وغناء ورقص جديد على المنطقة وأهلها وأخذ يمارس في العلن «في تجمع مفتوح» ولا يكتمل عرس بدونه. وثانياً، وبنفس الأهمية، هو أنه، ورغم أن جمهور الطرب والعود آنذاك كان في أغلبه من جيل الشباب، إلا أن بعض الكبار كان يشاهده لبعض الوقت. فوق هذا وذاك، وبدرجة أهم، هو أنه، وعلى أية حال، فإن نسبة غير قليلة من أهالي الجوف (سكاكا) لم تستنكره. هذه الحالة لم تدم طويلاً؛ استغرقت حوالي خمس عشرة سنة من الممارسة العلنية، لتبدأ في أواخر الـ «١٩٦٠sم»، وأوائل الـ «١٩٧٠sم» بالتواري والممارسة في الخفاء و«الجلسات المغلقة/ الخاصة» لتظهر، لاحقاً، في أشرطة/ كاسيتات مسجلة. منذ أوائل الـ «١٩٧٠م» لم يعد العود والمطرب إحدى فقرات الأعراس، بل لا وجود له في أي عرس تقريباً، إلا ما ندر! ليس هذا فقط، وإنما هناك من اعتزل الطرب والغناء على

العود، كمثل «عبد العزيز الدريويش»، وكذلك «سلمان هلال السياط» قبل وفاته بسنين عديدة، وقبلهما «اعتزل العود» مقبل عقيل الشرعان. لم يستمر من المطربين الأوائل سوى «حميّان خليفة»، وربما «صالح الحلو» وإن كانا، منذ الـ «١٩٧٠s م» لا يغنيان كثيراً، وفي الغالب في جلسات مغلقة خاصة. الفنان عبد العزيز الدريويش، بعد اعتزاله، وفي حدود السنوات الأخيرة من العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠م)، افتتح، في دومة الجندل، وفي داره (ربما في استراحة له)، ما يشبه مدرسة لتعليم العزف على العود، حيث تردد عليه عدد من الشباب، وبالذات من دومة الجندل مقابل مبالغ تتراواح ما بين ٣٠٠ ريال الى ٤٠٠ ريال. لكن، وتحت ضغوط جماعته من «الدريويش» وتدهور صحته «بالفشل الكلوي» يبدو أن المدرسة توقفت تماماً (السالم، زياد، اتصال هاتفي، في ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: ٨:٣٠ ـ ٨:٥٤ مساء). طبعاً مع غياب أو توقف الكبار و/ أو الأوائل منهم، ظهر بعض الشباب المطربين في الجوف (في سكاكا وفي دومة الجندل)، والذين، سيلحق غالبيتهم، إن لم يكن كلهم، قدر من الاعتزالات، والبعض منهم يتراجع ويعود للغناء. من أولئك المطربين، التالية أسماؤهم، علماً أن بعض المعلومات الواردة عنها هي من تجميع الباحث، ومن مناقشات مع الأديب زياد السالم (السالم، زياد، مناقشات ثقافية عبر اتصال هاتفي، في ٤/ ١/ ٢٠١٤: الساعة ٧:٤٣ ـ ٨:٤٣ مساءً، والسالم، زياد، رسالة جوال نصية، في ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: الساعة ٨:١٨ مساءً): ١ ـ بدر الليمون (سكاكا/ حي المطر)، والذي هو الآخر تردد كلام، غير مؤكد، عنه أنه اعتزل وأنه تراجع عن الاعتزال!؟ قيل مؤخراً إنه أجرى عملية «قلب». كان هناك أخ لـ «بدر الليمون» من الأم، هو «خالد عبد المحسن الليمون»، أيضاً مارس العود، ولكنه توفي. بدر الليمون، يعتبر امتداداً لمدرسة «حميّان خليفة» و/ أو متأثرا بها؛ ٢ ـ صلاح عبد اللطيف العيشان (سكاكا/ الشلهوب): ظهر على ما يبدو في فترة بدر الليمون ومتأثراً به اشتغل لفترة في الغناء، ولا أعلم إن كان مستمراً أم لا؛ ٣ ـ مدالله الطريف: ذُكر أنه عرف له شريط أو شريطين لجلسات شعبية؛ ٤ ـ نادر كساب (سكاكا/ الضويحي): واسمه كاملاً، كما ورد في بطاقة تعريفه في المقابلة المشار إليها أدناه، هو «نادر كساب الضويحي الخالدي». اشتهر بالفن/ الغناء الشعبي، ويبدو أن ذروة شهرته كانت بحدود ١٤١٥هـ. له مقابلة[٩] في «صحيفة جوف الإلكترونية»، أجراها معه شخص يقول إنه «عبد العزيز الخالدي»، ومنزلة على موقع الصحيفة على الإنترنت في: ٢٤/ ٧/ ١٤٣١هـ، يؤكد فيها اعتزاله الفن، ولكن، مؤخراً، هناك كلام «غير مؤكد» أنه رجع للغناء!؛ ٥ ـ هناك اثنان من «الفهيقات»، أحدهما «عقلا الفهيقي» (عقلا فالح حمدان الغلاوين الفهيقي) على ما يبدو اعتزل في عام ١٤١٢هـ، حيث اطلعت في الإنترنت على نص «توبة»[١٠] منسوب له يعلن فيه اعتزاله وأسبابه، على موقع «توب. كوم» (طريق التوبة) ومنزل على الموقع أو مضاف فيه في: ٥/ ٥/ ٢٠٠٩م، علماً أن بعض المواقع أوردت الإشارة إليه قبل هذا التاريخ بسنتين. هو الآن دكتور في جامعة الجوف، وقيل كلام، مؤخراً، على أنه رجع للغناء. والآخر، هو «سالم دخيل الفهيقي»؛ ٦ ـ سلمان الجوفي (دومة الجندل/ علاج؟) له عدة أغانٍ وجلسات، بما فيها، حديثاً، جلسات في أحد الأعراس في الشلهوب/ سكاكا. الفنان «سلمان

(٩) انظرالمقابلة كاملة في: «الفنان التائب نادر... لن تعيدني فتوى الكلباني للغناء وأقف ضد تعدد الزوجات!،» صحيفة جوف الإلكترونية، منزلة في ٢٤/ ٧/ ١٤٣١هـ، وهي على الرابط التالي: <http://www.juof7.com/news-action-show-id-9011.htm>.

(١٠) نصّ توبة الفنان «عقلا الفهيقي» على الرابط التالي: <http://www.twbh.com/index.php/site/article/read/197>.

الجوفي»، بالاشتراك مع الفنان «فهد فرحان» ـ (شقيق المطرب المعتزل، فواز فرحان الصلفيق، كما في أدناه إشارة له) ـ قاما بتلحين أوبريت «دومة الجندل» في حفل استقبال أهالي دومة للأمير/ عبد الإله، وقت قدومه للجوف (في حدود خريف عام ١٩٩٩م)، وكان ذلك بناء على تكليف «اللجنة الإعلامية» المكلفة بالبروفات والجلسات التحضيرية التي سبقت الحفل الخطابي. ورغم ما قاما به من دور وجهد أثار إعجاب الأمير والجمهور، إلا أن عملهما تم اختطافه ومصادرته، حيث كانت المفاجأة، وخيبة الأمل لهما، في ليلة الحفلة أن نُسب إعداد الأُوبريت لأعضاء اللجنة الإعلامية، وتم حذف اسمَي «الفرحان» و«الجوفي»! (السالم، زياد، رسالة جوال نصية، في ٤/ ١/ ٢٠١٤: الساعة ١٠:٤٦ مساءً)؛ ٧ ـ كذلك في دومة الجندل، وفي حدود فترة ظهور «سلمان الجوفي»، هناك شخصان ظهرا ومارسا الغناء والعود وهما: «أحمد عبد المحسن الدابس»، وكذلك «فواز فرحان» (الصلفيق؟)، ولكن كلاهما «طوّع» واعتزل الغناء. كان هناك أيضاً، في هذه الفترة، شخص «زقرتي» هو «إبراهيم سالم»، وفرحان الشمراني»(؟)» (السالم، زياد، رسالة جوال نصية، في ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: الساعة ٨:١٨ مساءً)؛ ٨ ـ في سكاكا، أحمد الحلو (سكاكا/ حارة سوق البحر): وهو أخو «صالح الحلو» وقد مارس العود، ولكنه توفي على ما يبدو في حادث؛ ٩ ـ منذ ١٤٢٠هـ فصاعداً هناك شخص آخر ظهر في سكاكا، وهو، على ما يبدو، متخصص في الألحان والموسيقى (ملحن/ موسيقار)، أكثر منه مطرباً، وهو: بسام السلامة؛ ١٠ ـ وقديماً في طبرجل «مرخي صياح»» (السالم، زياد، رسالة جوال نصية، في ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: الساعة ٨:١٨ مساءً). طبعاً في فترة أواخر الـ «١٩٦٠sم»، وأوائل الـ «١٩٧٠sم»، هناك أشخاص آخرون مارسوا دق العود لبعض الوقت، وأتذكر على الأقل «عمار الدغيشم»، وواحد في حارة «العودة/ البحيران)، نسيت اسمه، وشخص آخر في الأصل من خارج سكاكا كان يسكن جنب بيوت «الحلو» في غرب سوق البحر بسكاكا.

على أية حال ظهور هؤلاء الشباب، وخاصة في ما بعد عقدي لـ «١٩٦٠sم»، و«١٩٧٠sم»، فصاعداً، لم يغير من المشهد كثيراً، والذي بدا عليه، في الغالب، التواري والممارسة في الخفاء والجلسات الخاصة والمغلقة. كما بدأ العود وطربه مدهشاً ومثيراً في بداياته ظهوراً وصعوداً، كانت مآلاته «انحساراً، إن لم يكن، أفولاً» أشد دهشة وإثارة للتساؤل. والجواب يرتبط بالتفسير، والتفسير يرتبط بعوامل أخذت بالانحسار لصالح حالة ثقافية أخرى من الانغلاق ومكوناتها «التشدد والتطرف»، كانت على ما يبدو تتشكل وقواها تتنامى في هذه الفترة، لتظهر متسيّدة المشهد ابتداء من ١٩٨٠م فصاعداً، وعلى نحو أكثر وضوحاً مع نهاية التسعينيات من القرن الماضي الميلادي، حيث تتكامل حلقاتها بدخول العنف كواحد من أهم مكوناتها.

في الآونة الأخيرة، أواخر العقد الأول من القرن الواحد والعشرين وأوائل العقد الثاني منه، يبدو أن ظاهرة جديدة برزت في الجوف، وهي ظاهرة «النشيد الإسلامي» وعدد من ممارسيه من المنشدين/ المغنين، ويبدو أن أبرزهم والمتسيّد لهذا «النشيد الإسلامي» ومشهده في الجوف، وله مشاركات خارج الجوف، هو «عبد المجيد مرجي صالح الفالح» (السالم، زياد، اتصال هاتفي، في ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: ٨:٣٠ ـ ٨:٥٤ مساءً).

٤ ـ عودة على عادة التدخين

ممارسة التدخين هي جزء من الحالة الثقافية الكلية للانفتاح وشاهد من شواهدها. وهي وإن كانت كذلك، ورغم تداخلها مع حالة السمر واللهو، فإننا نعالجها هنا على أنها حالة ثقافية فرعية منفصلة متصلة. بداية ننبه إلى أننا ونحن نعتبر أن ممارسة التدخين إحدى شواهد مرحلة الانفتاح، فلا يعني أن الانفتاح مرهون بأن يقوم الناس بالتدخين، ولا يعني أنها دعوة للأشخاص/ المجتمع بالتدخين لكي يكون الشخص/ المجتمع منفتحاً و/ أو أن يوصف أنه كذلك. أصبح معلوماً للغالب من الناس أن التدخين مضر بالصحة، وهذه معلومة وحقيقة أصبحت متاحة للجميع هنا وفي أماكن أخرى من العالم. ومع ذلك، فإن نسبة من الناس، في الجوف وغيرها، وهم يعلمون أضراره ومضاره، يقومون بممارسته. على أية حال نحن نناقش الانفتاح، بما فيه أمر التدخين، ليس من باب ممارسته فحسب، وإنما في التسامح مع ممارسته وممارسيه خلال الفترة المحددة، في الجوف وعند أهلها بالمقارنة مع المجتمعات الأخرى الموازية، والتي كانت من ناحية اجتماعية تضيق بتلك الممارسات. في الجوف كان بعض الناس يمارسون التدخين، لأن ممارسته كانت، بالنسبة لهم، تمثل، على ما يبدو، نوعاً من النزعة الاستقلالية والتحررية من القيود، سواء كانت اجتماعية أو دينية أو سلطوية، بما فيها السلطة العائلية (الأبوية)، وهي على هذا النحو جزء من الثقافة التحررية الكلية لأهالي الجوف، حيث القبول العام لها من غالبية الأهالي، حتى وإن كانت هذه الأغلبية من الناس، بأفرادها، لا تمارس التدخين. بناء على ما تقدم نرصد حالة التدخين في الجوف، وخاصة خلال مشهد الانفتاح فنلاحظ، أنه، ورغم محاولات مذهبية/ دينية على امتداد مشهد الانفتاح لم تنقطع لمنعها، وربما نجحت جزئياً في الحد منها كما ورد في ملاحظة الرحالة «فلبي» عن «كاف» عام ١٩٢٢م (فلبي، رحلة ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٨١)، فهي عادة كانت منتشرة، وخاصة في سنين وعقود ما قبل ١٩٨٠م، أولاً، بكثرة، وغير مستنكرة بين أبناء الجوف من البادية وبالذات بين الرولة ذكوراً وإناثاً، وثانياً، عادة ممارسة موجودة ومقبولة، وإن على نطاق أضيق، بين أبناء حاضرة أهل الجوف دومة الجندل وسكاكا، وقراها المماثلة بما فيها كاف وأثره وقارا/ قارة والطويّر... إلخ) من الشباب وبعض كبار السن، ولكن دون النساء. ورغم أن عادة التدخين لا زالت تمارس بالجوف، إلا أنها تقلصت إلى حد ما عما كانت عليه سابقاً، سواء بين أوساط أهل الحاضرة، أو بين أوساط أهل البادية والذين معظمهم، إن لم يكن كلهم، استوطنوا واستقروا في الجوف (في مدنها و/ أو قراها)، ويشمل تقلص عادة التدخين النساء منهم بدرجة أكبر. سابقاً وقبل انتشار صناعة السجاير وعلبها الجاهزة، كان الناس يدخنون الغليون، وكذلك النرجيلة كما مر بنا من إشارات عنها وحولها من قبل عدد من الرحالة الغربيين الذين زاروا الجوف. في فترات لاحقة، ومع توفر التبغ وأدواته البسيطة من العراق، كان الناس في الجوف يشترون التبغ المفلول (غير الملفوف) ويلفونها بورق ناعم خاص بالتدخين. التدخين لا زال يمارس من بعض الشباب في منطقة الجوف، وإن كان هناك نزوع بالعزوف عنه و/ أو الإقلاع عن ممارسته عند البعض. دون شك، فإنه فضلاً عن تزايد الوعي الصحي بمخاطر التدخين، وبالتوازي معه، سيكون لتزايد قيَم المذهب/ الدين وتكريسه وشحنه في التعليم وفي الخطب والمحاضرات الدعوية، والتشدد في تطبيقها والاشتغال عليها، وخاصة منذ عقد أواخر

عقد الـ «١٩٦٠s م» فصاعداً، دوراً في تناقص الأعداد من أهل الجوف حاضرة وبادية الذين يمارسون التدخين. في فترة ما قبل أواخر عقد الـ «١٩٦٠s م»، هناك حالة ثقافية متفرعة و/ أو متصلة بموضوع وعادة التدخين والموقف منها بالجوف. الحالة التي نحن بصددها تتعلق بأُناس من أهل الجوف يوصفون على أنهم «الزجرت/ الزقرت/ الزكرت». أنبه بداية إلى أنني هنا أتكلم عن ما أعرفه عن سكاكا وفي حاراتنا والمجاورة لنا تحديداً، ولا أعرف إن كان هذا يمكن تعميمه على الحارات والجماعات الأخرى، سواء في سكاكا وأحيائها أو في دومة الجندل، وأحيائها، ولكني أميل إلى الاعتقاد أنها تتشابه مع الحالة التي في حارتنا والأحياء المجاورة لنا. «الزجرت/ الزقرت/ الزكرت»، هو وصف لنوع من الرجال، والذين ـ كما في ورقة اللعب «الأكة والجوكر»، والتي منها التسمية أتت أصلاً، كما سبق أن فصلت ذلك في دراستنا عن حمد الوردي (الفالح، ٢٠٠٨: ٢٦ ـ ٢٧) ـ لديهم القابلية والمرونة في التعامل مع الآخرين، كباراً وشباباً، في الحارة، وفي الحارات المجاورة، وبنفس الوقت فإنهم هم، هؤلاء «الزجرت» يتلقون قبولاً وملاطفة في التعامل من الجميع، بما فيهم كبار السن من الأهالي، علماً أن هؤلاء «الزجرت» معروفون عنهم، أهلياً وفي تلك الحارات، على أنهم، إلى حد ما، يحتسون الخمر/ الخمرة (في الغالب الخمرة مصنوعة محلياً). ورغم أن الأهالي، بما في ذلك كبار السن، يعلمون بتلك الحال لمثل أولئك الأشخاص «الزجرت/ الزقرت»، فإنهم في الغالب لا ينفرون منهم ولا يُقاطعونهم، بل عادة ما يستقبلونهم في المجالس «القهاوي» في البيوت، وفي الجلسات المفتوحة الخارجية «الربعة/ الربعات»، ويفسحون لهم فيها، بل ويداعبونهم ويلاطفونهم ويتحدثون معهم بكل أريحية!

٥ ـ في الانفتاح في الأحياء والجماعات في الجوف

قبل أن نختم مشهد الانفتاح، شواهد ووقائع، هناك جزئية لا بد من الإشارة إليها، وهي تتعلق بدرجة ومدى الانفتاح في الأحياء ومجموعاتها في الجوف. هنا أنا أتكلم عن سكاكا وفي فترة ممتدة ما بين ١٩٥٠ و٢٠١٣م، أما دومة الجندل فيمكن لأبنائها والمهتمين بالمسألة القياس على مناقشتنا لحال سكاكا. إجمالاً وعلى طول مشهد الانفتاح وخاصة في الفترة «١٩٥٠ ـ ٢٠١٣م»، يمكننا القول، إنه وبالمقارنة مع أحياء وجماعات سكاكا، فإن حي وجماعة الشلهوب هو وهي الأكثر انفتاحاً. نسوق أمثلة بارزة، لا حصراً لها، ومن ذلك: في فترة الـ «١٩٥٠ ـ ١٩٨٠»، نلاحظ أن جماعة الشلهوب، تعاملت مع الآخر، سواء من خارج الجوف كلية أو من داخله، ولكن من خارج سكاكا، بقدر من التسامح والاحترام والتقبل لهم في التساكن عندهم، حيث احتضن «الشلهوب» مجموعات من الناس، من خارج سكاكا، ومن خارج الجوف كلية. كانت هناك مجموعات عاملة في الأجهزة الحكومية (من نجد)، أو في التعليم (المدرسين العرب من عدة بلدان عربية)، وكذلك الطلبة «المغتربين» من دومة الجندل استأجرت وسكنت وعاشت في حي الشلهوب، على امتداد شارع «سوق السرحان» الحالي، وخاصة إلى الشمال من بيوت «الطويرب والحليل والدغيشم»، وباتجاه الشارع بين المطر والشلهوب. لاحظ أن «الدغيشم» و«ابن نشوان»، و«المرزم، و«ابن سابق/ مدير المالية» الأسبق، وعبد الحميد التونسي «مدير التعليم» السابق، أنفسهم، وآخرين مثلهم، كانوا بالأصل من خارج سكاكا، ولكنهم لم يسكنوا فقط في هذا المكان، بل فوق هذا وذاك، تملكوا بيوتاً، وأصبح من استقر منهم جزءاً من سكان الشلهوب.

كذلك إلى الجنوب من سوق السرحان وغرب بيت المعزي، وفي شارع خلفي، وراء بيت «كردية» مقابل بيت عطا السعد. في هذا الشارع الخلفي كان عدد من أبناء وطلبة دومة الجندل مستأجرين ويقطنون هنا في فترات الدراسة في فترة الستينيات من القرن العشرين المنصرم. لاحظ في هذه المنطقة أيضا، بيت «كردية» وأولادها، وكذلك إلى الغرب منها، بيت «العقل/ الدخيّل»، والذي كان في السابق مقراً و/ أو مؤجراً على المالية، وهما في الأصل من خارج سكاكا. لاحظ أن سوق السرحان، نفسه، قد توسع شمالاً وجنوباً في الشلهوب، علماً أن جذوره، كسوق تجاري، تعود إلى ما قبل ١٩٦٠م ببضع سنين. إضافة إلى ما تقدم، تميّز أهل الشلهوب، بشكل عام، رجالاً ونساءً، بالميل إلى ممارسة وسماع الغناء، والعرضة والسامري، ولا ينافسهم أحد في ذلك سوى في العرضة عند جماعة الضويحي والعلي وأحيائهم. يبدو أن لِقِدم الاستيطان الزراعي لجماعة الشلهوب دوراً في تنامي مثل قيَم كهذه أكثر قرباً للمدنية بينهم (التسامح واللطف مع الآخر ومجالس الأنس... إلخ) مما لدى غيرهم من الجماعات في الأحياء الأخرى. طبعاً سنرى أن هذا الانفتاح للشلهوب بدأ يتقهقر ويتقلص بشكل غير قليل، حيث تنامي التشدد والتطرف في الشلهوب آخذ في التصاعد منذ ١٩٨٠م فصعوداً. في الفترة الحالية، ومنذ نهاية القرن العشرين تقريباً وولوجاً في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، أصبح الشلهوب كجماعة، لديهم من التشدد ما لدى الآخرين في الجوف (سكاكا)، وبدا أن تميزهم السابق، على غيرهم، بالانفتاح، وإن بقى قليل منه، حديثاً في الماضي. بعد الشلهوب، يمكن القول، إن منطقة سوق البحر (حول مسجد الشيخ فيصل بن مبارك)، هي التي تحتل المكان الثاني، انفتاحاً نسبياً في سكاكا. لاحظ أن هناك مجموعات وعائلات (مثل: النصر/ العتيق/ السعيد/ الطعيمي/ الجباب... إلخ) وهم في الغالب من خارج الجوف و/ أو من خارج سكاكا، استأجرت، وسكنت، بل تملكت هناك، وبالذات حول المسجد شمالاً وغرباً. وأيضاً لاحظ، «السوق» نفسه، كدكاكين ومحال للبيع والتجارة، وهو أقدم سوق في سكاكا، وربما تعود بداياته إلى أوائل عقد الـ «١٩٤٠s م» وأواخر العقد السابق عليه. لاحظ أن السوق «سوق البحر» كتجارة، والمسجد، ووجود «ابن مبارك»، كان لهما دور في تزايد الانفتاح «النسبي» نفسه، وفي زيادة التعليم والمتعلمين بين أبناء العلي والضويحي في فترة ما بعد ١٩٤٥م/ ١٩٥٠م فصاعداً، وبدرجة أكبر من غيرهم من أبناء الجماعات الأخرى وأحيائها في سكاكا، وخاصة في المعاقلة والشلهوب والمطر. لاحظ أن هذا الانفتاح في سوق البحر، هو انفتاح نسبي ومحدود في ما حول السوق مباشرة، ولكن في الجملة يلاحظ على العلي عموماً، ومنهم القسم الجنوبي الغربي تحديداً، فهم أقل انفتاحاً، ولا يختلفون كثيراً عن المعاقلة، والأخيرين «أي المعاقلة» هم وأهل «الضلع»، وإلى حد ما أهل «المطر» أكثر أهل سكاكا انغلاقاً. الانغلاق في «المطر» يبدو غريباً سواء من حيث تنوع سكانه (خوالد/ سراحين/ شمر/ عنوز)، أو بحكم موقعه والذي يبدو مفتوحاً من جميع أبعاد محيطه، وهناك بالتأكيد درجة من التماس مع مجموعات تفد إلى سكاكا من جهة الجنوب والجنوب الشرقي، مثل قوافل البادية! أما بالنسبة لحي «الضلع»، فيبدو أن للموقع الجغرافي المادي (الضلع نفسه: جبل عالٍ على شكل قوس/ ضلع ممتد من بيوت العرفج تقريباً في أقصى الغرب إلى الشرق عند بيوت المسعر الحالية) دوراً في حصر الاحتكاك بالجهات الطرفية القصوى منه إلى الغرب والشرق وإلى الجنوب في الوسط (حارة السهيان). شريط الضلع الداخلي، وسكانه، يبدو معزولاً بدرجة كبيرة عن الاحتكاك الدائم بالآخرين من خارج الحي والجماعة. يلاحظ، أن البيوت والعائلات القاطنة

في الأطراف القصوى (مثلاً: العرفج/ المسعر/ والسهيان) من الضلع هي الأكثر انفتاحاً نسبياً بالمقارنة بعموم سكان الضلع. إذا ذهبنا إلى «الشعيب» نجده أكثر انفتاحا مقارنة بـ «الضلع»، ولعل السبب يعود إلى أنه، بشكل عام، منطقة مكشوفة، ومنطقة عبور للقوافل وللتجارة القديمة القادمة من العراق و/ أو الكويت (كمثال، لا حصراً، أشرنا في أماكن أخرى من الدراسة إلى التجار من المشاهدة، وتجارة الأسلحة التي كانت تأتي لسكاكا من الكويت في فترة ١٩٠٠ ـ ١٩١٥، وبالذات في ١٩٠٩ ـ ١٩١٠م). من هنا ليس غريباً أن نسبة من سكان «الشعيب» و/ أو في أطرافه ومحيطه وحدوده، بمن فيهم ممن ينتسبون إلى «الجخيدب»، امتهنت التجارة (الحمد، فهاد معتاد، مكالمة هاتفية، في ٢٠/ ٥/ ١٩٩٨: الساعة ٢:٢٠ ظهراً، والضويحي، عبد اللطيف، لقاء وحديث، في ٢٧/ ٥/ ١٩٩٨: الساعة ١٠ مساءً). «المعاقلة»، كما «الضلع» وربما «المطر»، تعتبر على الجملة جماعة منغلقة، وهي بكل تأكيد أقل انفتاحاً بكثير من الشلهوب. ومع ذلك فكون المعاقلة، ليست مجموعة واحدة متجانسة، وإنما تتكون من مجموعات وأحياء فرعية، فهي في انغلاقها و/ أو انفتاحها على درجات ومستويات متفاوتة. أكثر المعاقلة انغلاقاً، هي ما تسمى بالوسطة (مركز الجزء الشمالي والشرقي من المعاقلة)، وهي تشمل عائلات الراشد هناك، وكذلك أجزاء من عائلات الكبيدان المحيطين بالراشد غرباً وجنوباً، وكذلك معظم النصير والسليمان/ الحيزان. ويبدو أن السبب مرتبط إلى حد ما بموقعها الداخلي، والذي جعل من محيطها الدائري، فضلاً عن الجبل الغربي الشمالي (من أم شخانب غرباً إلى تل الساعي وباتجاه سيسرا شرقاً وشمالاً) شبه عازل بينها وبين الاحتكاك مع المجموعات الخارجية. في أطراف المعاقلة القصوى، شمالاً وجنوباً، تبدو مجموعاتها وأحياؤها الأكثر انفتاحاً بالمقارنة مع الوسط (الوسطة). نلاحظ السهو، والجحيش (والحموان، والهادي والسهو)، أكثر احتكاكاً وانفتاحاً في التعاملات ـ (زواجات، وزيارات، ومشاركات في الاحتفالات) ـ على الضويحي، إلى الشمال والشمال الشرقي منهم، حتى إن هناك تجاوراً في المزارع الحديثة حول القرعى من الجنوب الشرقي لها فشمالاً وباتجاه «قيال»، وحتى في مخططات الأراضي الشمالية (شمال الضلع). في الطرف الأقصى للمعاقلة، جنوب وغرب المعاقلة، غرب سيل الغديّر/ الهذال، تبدو المجموعات المحاذية لامتداد ضفتي السيل، ونحو الغرب والجنوب منه قليلاً، هي الأخرى منفتحة نسبياً بالمقارنة للوسط. هذه تشمل عائلات من الدغيفق (الفالح، المثري والثاري) والسليمان (الراشد والخلف)، والهذيل (اليونس/ الطايف)، والحميّر، والفلاح (الكبيدان)، والعبد. ويبدو أن وقوعهم على السيل وهو معبر فسيح وواسع بالمقارنة، ومتاح للداخلين والخارجين من شرق ووسط سكاكا إلى غربها وبالعكس من داخل وخارج سكاكا، ساعد على قدر من الاحتكاك بالآخرين والتعامل معهم. إضافة إلى هذا، ومعه، يبدو وبحكم الموقع في الطرف الأقصى الجنوبي والشرقي منه حيث بعض (الدغيفق والعبد) لهم مساحات مفتوحة تجاه الجنوب والشرق، مما سهل الاحتكاك بالآخرين، من خارج سكاكا، من القوافل العابرة والمتصلة بتجارة ومقايضة التمور، و/ أو من داخل سكاكا (الشلهوب والمطر، وبشكل كبير مع الشلهوب). من هنا نلاحظ، أنه ورغم أن الزواجات المتبادلة بين جماعات الأحياء المتجاورة في الجوف (سكاكا، مثالاً) موجودة وليست حكراً على أحياء بعينها، فإن زواجات متعددة، قديماً وحديثاً، لأفراد من عائلات تسكن هذا الجزء (من الدغيفق ـ الفالح والمثري، والثاري،

والسليمان (الراشد والخلف)، ومن العبد، والهذيل/ اليونس، والحميّر ومن الكبيدان «السلطان الفلّاح») مع عائلات تسكن «الشلهوب و/ أو المطر»[١١]، تبدو حالة متكررة نسبياً.

ثقافة الانفتاح هذه في الجوف، بما فيها ما تعلق بالجماعات الفرعية والمقارنة بينها، والتي تحدثنا عنها وكونها سائدة منذ ما قبل ١٩٨٠م ورجوعاً حتى ١٨٥٠م يبدو أنها تبخرت بعد ١٩٨٠م فصاعداً، وبالذات منذ دخولنا العقد الأخير للقرن العشرين الميلادي وصولاً لأواخره. إن حالة وثقافة الانفتاح، تغيرت لا في عناصرها ومظاهرها فحسب، وإنما حتى في موقف الجماعات الفرعية وحالها من الانفتاح، كما لمحنا سريعا في ما سبق عن جماعات سكاكا. لم تعد جماعة «الشلهوب»، مثلاً لا حصراً، كما كانت عليه من انفتاح نسبي كبير بالمقارنة مع الجماعات والأحياء الأخرى في سكاكا الجوف. لقد طرأ عليها ولحقها تغيرات باتجاهات متزايدة من الانغلاق ومكوناتها من التشدد والتطرف وبدأت تفقد كثيراً من تمايزها في الانفتاح والتسامح.

إن الجوف في عمومها ومكوناتها دخلت مرحلة وحالة ثقافية تبدو في حالة مغايرة ومناقضة ونافية لما قبلها. الجوف وأهلها، في غالبهم، دخلت ودخلوا مرحلة حالة وثقافة، لا أقول ودّعت الانفتاح واتجهت نحو الانغلاق فحسب، بل فوق ذلك، أخذت تحارب الانفتاح وتقف منه موقفاً عدائياً. الجوف دخلت منذ عقدين أو أكثر، في ثقافة الانغلاق ومكوناتها من التشدد والتطرف فالعنف.

كلمة ما قبل أخيرة في ثقافة الانفتاح في الجوف: تلك كانت حالة وثقافة مشهد الانفتاح في الجوف، في تمظهراتها في بداياتها ومسارها ومآلاتها، ودون الدخول في تفسيرها رغم بعض الملامسات له هنا وهناك في ثنايا المناقشات أعلاه. ثقافة الانفتاح في الجوف يبدو أنها، وبعد ١٩٨٠م، وعلى نحو شبه مؤكد مع عقد الـ «١٩٩٠sم» وفي نهاياته بحد أقصى، توارت، أو بالأحرى انحسرت وتلاشت مقصية لصالح حالة وثقافة أخرى، هي ثقافة الانغلاق ومكوناتها من التشدد والتطرف فالعنف. قبل الذهاب إلى الحالة والثقافة المغايرة والمناقضة والنافية للانفتاح، نشير إلى أنه سبق وأن قلنا إننا بعد استعراض وعرض شواهد (واقع/ مشهد) كل حالة ثقافية، فإننا سنقوم بتفسيرها. وحيث إن هناك ترابطاً عكسياً بين الانفتاح من جهة وبين الانغلاق ومكوناته من التطرف والتشدد من جهة أخرى، وبغض النظر عما ورد من إشارات سابقة لتفسيرات جزئية عن حالة الانفتاح، فإننا سنؤجل التفسير لكل من الحالتين (الانفتاح والانغلاق) حتى ننتهي من قراءة سريعة لمشهد وواقع حالة وثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فالعنف، على أن نعالج التفسير لهما على نحو فيه ترابط وتشابك في الغالب. الكلمة الأخيرة في وعن ثقافة

(١١) أمثلة لا حصراً، للزواجات المتبادلة: الفالح زواجات متعددة مع الشلهوب؛ أم خليف الفالح من الشلهوب، خليف نفسه تزوج أكثر من مرة من الشلهوب/ المظهور (أم عبد الرحمن) ومن الدغمان (أم زعل وعبد الله وابنته عاشة) ومخلف الفالح وولده محسن تزوجا من الشلهوب، عاشة بنت خليف متزوجة من الشلهوب، شفاقة بنت مخلف متزوجة من الشلهوب، زعل خليف تزوج سابقاً من الشلهوب... إلخ، زيد مساعد الفالح متزوج من الشلهوب)، زياد مساعد الفالح متزوج من المطر، طريف الفهاد تزوج من الشلهوب (أم ناصر وشقيقته ربيعة)، ذياب السميرالسطام (خاله فلاح الراشد «من السليمان آل معيقل»/ عقلاء السليمان/ المثري متزوج من المطر («عقيلة» من الدبيس)، الشلهوب/ المطرود زواج من الدغيفق/ الثاري،عبد اللطيف العيشان (الشلهوب) متزوج من الدغيفق (بنت خلف السليمان)، صالح الخلف تزوج من الشلهوب، على الخلف تزوج من المطر، صقر الدايس تزوج من العبد (بنت حمود الهيشان). الهذيل/ اليونس زواج من الشلهوب/ الطويرب، المنديل/ السعد (الشلهوب) زواج من الحميّر، الفلّاح/ السلطان (الكبيدان) زواج مع الشلهوب (أم محمد وعبد المحسن السلطان من الدغمان/ الغضبان).

الانفتاح ستكون هناك (بعد مناقشة التشدد والتطرف)، وربما كذلك في الخلاصة وما يتصل منها وبها بمستقبل الثقافة في الجوف.

ثانياً: في الانغلاق في الجوف (١٩٦٠s م ـ ٢٠١٣+؟)

طبعاً تكلمنا، في ما تقدم، عن الانفتاح في الجوف عما كان سائداً فيها ما قبل ١٩٨٠م ورجوعاً حتى ١٨٥٠م. بعد ١٩٨٠م فصاعداً، وبالذات منذ دخولنا العقد الأخير للقرن العشرين الميلادي وصولاً لأواخره، فإن حالة وثقافة الانفتاح، تغيرت لا في عناصرها ومظاهرها فحسب، وإنما حتى في موقف الجماعات الفرعية وحالها من الانفتاح، كما لمحنا سريعاً في ما سبق عن جماعات سكاكا. الجوف عموماً دخلت مرحلة وحالة ثقافية تبدو في حالة مغايرة ومناقضة ونافية لما قبلها. الجوف وأهلها، في غالبهم، دخلت مرحلة حالة وثقافة، لا أقول ودعت الانفتاح واتجهت نحو الانغلاق فحسب، بل فوق ذلك، أخذت تحارب الانفتاح وتقف منه موقفاً عدائياً. الجوف دخلت منذ عقدين أو أكثر، في ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف، ثم مع ٢٠٠٣م فصاعداً تزايدت نزوعاً نحو الحدة والعنف.

وكما سبق أن نبهنا أكثر من مرة، فننبه هنا، كذلك، إلى أن الانتقال من حالة ثقافية إلى أخرى لا يعني أنه يقع في لحظة (سنة محددة بعينها)، ولكن في الغالب تجد أن جذور الحالة الثقافية الجديدة تعود إلى سنوات، وربما إلى عقود للوراء، قبل تمظهرها وتسيّدها المشهد الثقافي والهيمنة عليه. ومن هنا، فإن ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف لا يعني أنها بدأت منذ ١٩٨٠م فصاعداً، كما يمكن أن يفهم من الإشارة إلى انحسار و/ أو نهاية ثقافة ما قبلها (الانفتاح). ومن هنا، كذلك، كنا وضعنا نهاية الانفتاح بحد أقصى في أواخر عقد الـ «١٩٩٠s م»، لأن ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف بدأت في هذه الفترة (العقد) بالتمظهر على نحو بارز بما يعني أن عملية الإحلال الثقافي من حالة إلى حالة قد أخذت مجراها. ثقافة التشدد والتطرف تعود في بذورها وجذورها الأولى إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (١٨٠٠م ـ ١٨٢٠م) وتغذت على طول القرن خلال فترة حكم الرشيد منذ ١٨٣٨م وحتى ١٩٠٩م. سوف تستأنف التغذية وبشكل أكبر وعلى نحو جرعات متزايدة مع الدولة السعودية الثالثة منذ ١٩٢٢م فصاعداً. لكن يلاحظ أنه ورغم جرعات متزايدة مع النظام الجديد بين ١٩٢٢م و١٩٥٥م، وبالذات في فترة (١٩٤٧هـ/ ١٩٢٨ ـ أوائل ١٩٥٠s م)، حيث الزخم الأولي بعد حركة الإخوان «الجناح الشمالي ـ مجموعة بن مشهور الشعلان» (في تفصيلات حركة الأخوان ـ الجناح الشمالي ـ وابن مشهور ـ وعلاقة بعض أبناء الجوف فيها، انظر هوامش نهاية المبحث/ الفصل)، ونهاية وجود ما عرف بـ «القوة»، وهي مجموعة وهابية رسمية، يبدو تواجدت على أثر مواجهة مع حركة الإخوان (جناح الشمال) و/ أو في سياق حرب فلسطين ١٩٤٨م، يلاحظ أن ثقافة الانفتاح ومنها عناصر جديدة مثيرة (العود والطرب/ الغناء... إلخ) تواصلت في الأعوام الخمسة عشر التالية وحتى تقريباً أواخر «١٩٦٠s م». مع أواخر ونهاية عقد الستينيات في القرن الميلادي الماضي، بدأت موجة جديدة من البذور والتغذية لثقافة التشدد والتطرف، والتي مع عوامل ومعطيات أخرى ستتواصل نمواً، وستؤتي أُكلها مع نهاية عقد الـ «١٩٩٠s م»، وأوائل العقد التالي عليه، باكتمال تكونها كحالة انغلاق شديدة التطرف، بتطوّرها ونزوعها نحو الحدة والعنف كرافد من روافدها، وكنتيجة

لها ومتولدة عنها وعن الحالة الكلية لثقافة التشدد والتطرف في الدولة ككل، متسيّدة ومهيمنة على المشهد وخاصة ما بعد ٢٠٠٠م فصاعداً. من هنا حددنا أن فترة ومرحلة حالة وثقافة الانغلاق التشدد والتطرف فالعنف في الجوف هي ما بين أواخر «١٩٦٠sم» و٢٠١٣م وما بعدها، حيث عبرنا عنها بوضع إشارة زائد (+) بعد سنة ٢٠١٣م في نهاية عنوان المبحث، للدلالة على أن مرحلة الانغلاق ثقافة التشدد والتطرف لا زالت في حالة تواصل بعد ٢٠١٣م ولسنوات قادمة، وربما، في الغالب، لن تكون قليلة!

ونبه بداية إلى أننا، في هذا الجزء من الدراسة وربما في أماكن أخرى، وبسبب المخالفة مع ثقافة «الانفتاح» السابقة عليها في الغالب، فإننا قد نشير إلى ونتكلم عن حالة وثقافة «الانغلاق»، ونحن كذلك، في نفس الوقت، نعني أو نحيل على ثقافة التطرف والتشدد فالعنف، والعكس صحيح. كذلك ننبه إلى أننا عندما نتكلم عن ثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد، أو عن ثقافة الانغلاق ومكوناتها من التشدد والتطرف فالعنف، فإننا نعني الشيء نفسه من الحالة الثقافية، وإن كان «العنف» كمكوّن من مكوّنات ثقافة الانغلاق والتشدد/ التطرف، هو رافد جديد وإضافي ظهر بشكل عملي، ولفئة من الناس من أهل الجوف، في السنوات الأولى للعقد الأول من القرن الواحد العشرين، كما سوف نرى لاحقاً. وينطبق الأمر، كذلك، على تقديم أو تأخير «التطرف» و«التشدد» في الحديث عن الحالة الثقافية ذاتها أو في الإحالة عليها، فالتقديم والتأخير لا يعني أننا نتكلم عن حالة مختلفة، إذ إننا نتكلم عن الشيء نفسه تقريباً.

بناء على ما تقدم، فإن ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فالعنف وحالتها هما صلب مناقشاتنا ومعالجتنا التالية. ولكن وقبل الذهاب هناك، نشير إلى أنه سبق وأن قلنا إننا بعد استعراض وعرض حال وشواهد (واقع/ مشهد) كل حالة ثقافية، فإننا سنقوم بتفسيرها. وحيث إن هناك ترابطاً عكسياً بين الانفتاح من جهة والانغلاق والتطرف والتشدد من جهة أخرى، فضلاً عن إشارات سابقة لتفسيرات سابقة جزئية عن الانفتاح، وبما تتضمنه عن التشدد بالمعاكسة والمخالفة، فإننا سنؤجل التفسير لكل من الحالتين (الانفتاح والانغلاق) حتى ننتهي من قراءة سريعة لمشهد وواقع حالة وثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فالعنف، على أننا سنعالج التفسير لهما على نحو فيه ترابط وتشابك (بالمخالفة) في الغالب.

قبل البدء نقول إنه إذا كانت ثقافة الوعي والانفتاح من جهة مقابل بنية التخلف المعرفي والثقافي من جهة أخرى مثيرة لما بينهما من مفارقات وجدليات ولكون بنية التخلف تمثل خلفية ومرجعية للوعي ـ (وإلى حد ما للانفتاح) ـ الذي تلاها تزايداً على نحو متواصل، فإن ثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد فالعنف، هي الأخرى مثيرة في مفارقاتها وجدليتها لحالة الانفتاح السابقة عليها، ولحالة الفضاءات (العولمة) المفتوحة المتزايدة انتشاراً وتواصلاً بالتوازي والتزامن معها. سنناقش ونعالج ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فالعنف في الجوف (١٩٦٠sم ـ ٢٠١٣م+) في جزئيتين، على النحو التالي:

ثقافة الانغلاق وبسط الحال والواقع: الشواهد والأثبات

حيث إننا في مناقشاتنا لثقافة الانفتاح بالجوف في الفترة ١٨٥٠م ـ ١٩٩٠sم، قد مررنا على كثير من تمظهرات مشهد وواقع الانفتاح، فإنها هي، أي تلك التمظهرات والشواهد، بالمخالفة (عند عكسها، أي في انحسارها وتواريها و/ أو تلاشيها و/ أو غيابها وانتهائها) تمثل تمظهرات وشواهد ثقافة الانغلاق

والتشدد والتطرف كما برزت في المرحلة الأخيرة من المسألة الثقافية بالجوف. وحيث الأمر كذلك، فضلاً عن أننا في معرض مناقشاتنا لبعض عناصر وبنود ثقافة الانفتاح بالجوف، أشرنا في أكثر من مرة إلى نهايات بعض من عناصر وتمظهرات مشهد وواقع الانفتاح، فإننا هنا سنمر سريعاً وعلى نحو مختصر على أهم وأبرز محطات وتمظهرات واقع ومشهد ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف، من خلال المعاكسة والمخالفة لما ورد في الانفتاح وعلى نحو سريع ومختصر (على شكل بنود ورؤوس أقلام). أما عناصر التشدد والتطرف التي برزت للوجود في هذه المرحلة دون أن يكون لها سوابق بالمخالفة في مرحلة الانفتاح، فسوف نشير إليها، وإن دعت الضرورة سنفصل فيها بعض الشيء. على هذا الأساس، ذكرنا في ثقافة الانفتاح عدداً من التمظهرات والشواهد ومنها:١ ـ الموقف/ الثقافة من الآخر؛ ٢ ـ في الثقافة نحو المرأة والزواج؛ ٣ ـ في الفن والطرب والغناء والرقص؛ ٤ ـ في التدخين؛ ٥ ـ في الجماعات الفرعية في الجوف (سكاكا) ومستويات ودرجات الانفتاح.

١ ـ في الموقف/ الثقافة من الآخر

أشرنا في حالة وثقافة الانفتاح إلى أن من سماتها وشواهدها التسامح والاحترام والمرونة وحسن المعاملة مع الآخر المختلف دينياً/ مذهبياً واجتماعياً، بما فيه أولئك الأشخاص من خارج الجوف. لكن، أشرنا أيضاً إلى أن هذه الثقافة بدأت تنحسر وتتقلص تدريجياً ما بعد ١٩٨٠م، لتتلاشى تقريباً في أواخر ١٩٩٠s م. أشرنا إلى ظهور فتزايد حالة وقدر من النفور والتحريض والكره والتكفير للناس من خارج «السنة»، المختلفين مذهبياً/ دينياً، أفراداً وجماعات، كالشيعة من داخل الدولة، فضلاً عن الموقف العدائي من أمثالهم في الخارج.

ليس هذا فحسب، بل تنامى في الجوف، مع أواسط الـ «١٩٩٠s م»، فصاعداً مواقف ومشاعر غير ودية من مجموعات من أهل الجوف تجاه آخرين من أبنائها المختلفين معهم فكرياً و/ أو أيديولوجياً، حتى مع وبين أولئك الأشخاص من التيارات الأيديولوجية بمرجعيات المظلة العامة نفسها، كمثل أفراد و/ أو جماعات ومجموعات التيارات الإسلامية الأخرى و/ أو فيما بينها. اصبحت قاعدة التعامل، تسامحاً أو نفوراً تنطلق من قاعدة تقول: «من هو ليس معي «مثلي» فهو ضدي»! إن كرامة الإنسان، التي قال الله عنها وفيها ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾[١٢]، لم تعد أساساً للتعاملات لعدد متزايد من مجموعات وأفراد أهالي الجوف تجاه الآخرين وتجاه بعضهم البعض. لا بل وصل الأمر إلى أن هناك من أفراد أهل الجوف سكاكا) ممن تشبعوا، فكرياً وأيديولوجياً، بثقافة أكثر تطرفاً وحدَّة، أن اتجهوا إلى التصفية الجسدية لأشخاص، من داخل الجوف ومن بين أبنائها، اعتبروهم ليس فقط مخالفين لهم فكرياً وأيديولوجياً وسياسياً، بل إنما، فوق ذلك، كفرة يستحقون القتل! طبعاً ثقافة العنف، والتي انفجرت في ٢٠٠٣م فصاعداً وسنشير لها لاحقاً، هي مكوِّن أو رافد جديد من روافد مكوِّنات ثقافة التشدد والتطرف، وأحد أهم تحولاتها شدَّة وحدَّة.

---

(١٢) **القرآن الكريم**، «سورة الإسراء،» الآية ٧٠.

٢ ـ في الموقف/ الثقافة نحو المرأة والزواج

أ ـ في البرقع

رغم أن عدداً متزايداً من النساء في الجوف أخذن، مؤخراً، يستخدمن «البرقع»، بظهور وانكشاف العينين، وهو بالمناسبة ثقافة وافدة على الجوف، قادمة من العمق الدخلي الجنوبي والجنوبي الشرقي الصحراوي (نجد) وما حولها، إلا أن المرأة في الجوف، بالمقارنة بما كانت عليه في فترة الانفتاح ورجوعاً للوراء حتى ١٨٤٠م، أصبحت ليست فقط محجبة، وإنما فوق ذلك معزولة، وفي الغالب قابعة في البيت؛ فخروجها وتنقلها وسفرها محدد ومقيّد. عملها، إن عملت، محدود في قطاع التعليم، وإلى حد ما في الصحة وقليل جداً فيه. غير ذلك لا عمل ولا إنتاج كما كانت المرأة الجوفية في ما مضى عاملة منتجة في الحقل/ المزرعة، وفي البيت والبر المحيط. طبعاً قلما تحتكّ بالرجال، أو أن تتحدث معهم، وفي الغالب غير مسموح لها بذلك. حتى السلام مع القريب في تردد وتمنع، وإن تم يكون من وراء ستار وحجاب. والغريب، في الأمر، أن بعض النساء أنفسهن يمارسنه، بقناعة وحتى من غير تدخل الرجال (آبائهن أو أزواجهن أو أخوانهن). أتذكر فيما قبل ١٩٨٠م و١٩٧٠م، كنا نسلم على قريباتنا، من بنات العم و/ أو الخال، وكذلك مع زوجات الأخوان وحتى نأكل أحياناً سوية، لكن بعد عام ١٩٨٠م لم يعد متاحاً؛ لا بل أتذكر أنني عندما رجعت في إجازة إحدى السنوات في حدود ١٩٨٢م، وذهبت لأحد الأخوان أنا وزوجتى «جميلة» للسلام، ظهرت علينا زوجته، وهي ابنة عم بالمناسبة، محجبة ومتمسكة فيه على خلاف ما كانت عليه في ما قبل ١٩٨٠م. طبعاً، وفي هذا السياقات، لا يمكن تصور أن تخرج المرأة للبر، كما كانت النساء الجوفيات يفعلن في «القراش/ القرش» مع الجيران، بما فيهم الرجال، كما كان في ما قبل ١٩٦٠م. طبعاً لكل قاعدة شواذ فهناك من العائلات من تسمح لهن في السفر، بل وحتى في الدراسة في الغرب وديار «الكفار»(!)، ولكننا هنا نتكلم عن السائد في الجوف. ذكرت في مناقشة الانفتاح، أن زوج إحدى قريبات زوجتي جميلة، شدد على زوجته بعدم استقبال زوجتي عندما علم أنها تنوي زيارة زوجته، بسبب أن «جميلة/ زوجتي» ظهرت على شاشة تلفزيون «السي إن إن» (CNN) في مقابلة للدفاع عن زوجها المعتقل آنذاك.

ب ـ في العشق والزواج

طبعاً الود والحب غرائز فطرية ولا يمكن أن تنتهي، ولكن ما بعد ١٩٦٠s م فصاعداً ليس وارداً، أو لنقل غير مسموح على الإطلاق بالعشق المفتوح المعلن، ولو بنية الزواج، كما كان سابقاً مع نساء ورجال ما قبل ١٩٥٠م. ليس هذا فقط، بل فوقه، ذكرت أنه في عام ١٩٧٧م عندما وقعنا عقد قران زواجي، سمح لي والد زوجتي «جميلة»، «سليمان العقلاء»، أن أراها في صبيحة اليوم التالي للتوقيع، فقامت الدنيا في سكاكا، وفي المعاقلة تحديداً، كيف يحدث هذا قبل ليلة الزفاف! ليس هذا فقط، بل إن صورة للبنت، والتي يرغب شاب بالاقتران منها أن يحصل عليها ليراها «صورة»، قبل عقد القران، لا يسمح بها، وتعتبر من شبه المحرمات هذه الأيام (٢٠١٣/ ٢٠١٤م). طبعاً، إن كانت تلك حال «الصورة»، فحدِّث ولا حرج عن الرفض القاطع لأهالي الجوف لرغبة شاب رؤية ابنتهم ومقابلتها في بيتها وأمام

أهلها وقت الطلبة/ الخطبة وقبل عقد القران، وهي «رؤية شرعية» قبل عقد القران، ورسولنا الكريم أمر بها. ليس هذا فحسب، بل إن مجموعات وأفراد وعائلات من الأهالي بالجوف، لا أقول أكثرية، ولكن لها حجم غير قليل، ترفض أن تذهب بناتهم وأخواتهم وزوجاتهم إلى حفلات الأعراس التي تقام فيها «التشريعة» (منصة يجلس عليها العروس والعريس لفترة تؤخذ بها الصور لهما، وأمامهما تتم بعض الرقصات الخاطفة من الأقرباء). ومع ذلك، فمن المفارقات المذهلات، أن ترى أو تسمع أن بنات ونساء مثل هؤلاء العائلات، يتحايلن على أزواجهن وأخوانهن و/ أو أبائهن ويذهبن لتلك الزواجات وحفلاتها من ورائهم. وفوق ذلك، هن وأخريات من نساء الجوف، وبالذات من البنات/ الفتيات، متزوجات وغير متزوجات، يلبسن آخر الموضات من الملابس وتقليعاتها، بما يعطيك الانطباع بأن المرأة بالجوف، كما عموم السعودية وبلدان عربية موازية، متقدمة حداثياً على الرجل، بل وتقود الحداثة في هذه السياقات!

ج ـ في قيادة المرأة للسيارة

لا يوجد إحصاء/ استبيان علمي وموضوعي يعبر عن موقف أهل الجوف من قيادة المرأة للسيارة يمكن الاستناد إليه. ولكن اعتقادي وتصوري أن هناك نسبة غير قليلة من أهالي الجوف ضد قيادة المرأة للسيارات، علماً أن هناك من الأهالي، وإن كانوا لا يمثلون أكثرية، لديهم رجال أجانب كسواقين للعائلة! طبعاً في الموقف من قيادة المرأة للسيارة، كما في العمل وبعض الممارسات الثقافية الأخرى، الأمر «في الممارسة الثقافية»، ليس محصوراً في الجوف وأهلها، وإنما هي في عموم الدولة السعودية، وأحد مخرجات السياسات العامة له (في الدين/ المذهب، والتعليم، والإعلام، والأنظمة والقوانين!) مع ذلك فهناك أعداد من الأهالي ربما ليست كثيرة، بما فيهم من النساء، وأنا أعرف قريبات لي، من يؤيدن السماح للمرأة بقيادة السيارة، على الأقل لمن ترغب ويقبل أهلها. طبعاً الموقف من قيادة السيارة، في الجوف، كما في السعودية عموماً، لو سمح به رسمياً، لصار كالموقف من تعليم المرأة في الجوف، وأول مدرسة لها فيها، بحدود عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م (السديري، ١٩٨٦: ١٦٨ ـ ١٦٩)، كما كان الموقف في السعودية عموماً، حيث كانت ممانعة في البداية، لكنها لم تصمد حتى لسنة واحدة. لا أشك في أن قيادة المرأة، في الجوف، كما في السعودية، ستأتي يوماً ما، ربما ليس بعيداً عنا، وأعتقد أنه، في الغالب، لن يتجاوز نهاية هذا العقد (الثاني من القرن الواحد والعشرين الميلادي).

د ـ في الثقة بالمرأة

رغم ما تقدم من نقطة وحديث عن تقدم المرأة حداثياً على الرجال في شكليات موضات الملابس ومتلازماتها، إلا أنه يمكننا القول وباختصار أنه، واستناداً إلى ما ناقشناه في ما سبق آنفا، وفي أماكن أخرى في ثقافة الوعي والانفتاح، وفي ما تبقى من مناقشات ثقافية ذات صلة بالمرأة (الموقف من الثقافة الحديثة وعلاقة المرأة بها) سنأتي عليها لاحقاً، فإن عهد الثقة بالمرأة بالجوف، والذي كان سائداً في فترة ثقافة الانفتاح بالجوف (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠s م) قد ولى. هل ستعود الثقة؟ هذا جوابه وأمره مرهون بتطورات ومستقبل الثقافة في الجوف، والأخيرة مرهونة بتطورات السياسة والثقافة في السعودية وفي المنطقة ككل.

٣ ـ في ثقافة السكن

كانت أبواب السكن والبيوت والحوَط في الجوف، في الغالب لا تقفل، وهي على ما يبدو ثقافة قديمة في الجوف (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٦٤) وتواصلت ربما حتى وقت ما من عقد الـ «١٩٧٠sم» وفي حدوده، وعلى الأرجح نقصاناً ببضع سنوات لتتلاشى بشكل شبه كامل ما بعد عقد الـ «١٩٩٠sم». الأبواب المفتوحة تكون في الغالب في أوقات النهار، وخاصة ما تعلق منها بالأجزاء المتصلة بمجلس استقبال الناس وشرب القهوة (القهوة/ القهاوي)، علماً أنه في الغالب، ما بين مجلس القهوة، وبين الحوش الداخلي للبيوت وغرفه لا توجد أبواب، بل ممارّ ومداخل جانبية. كذلك كانت جدران البيوت، كما هي جدران الحوَط/ البساتين والمزارع، قصيرة، وفي الغالب، من في الخارج قد يرى الأشخاص وحركتهم فيها وبعض أجزائها. أتذكر أنه عندما تم هدم بيتنا القديم وأقمنا عليه عمارة مسلحة، وهي ربما ثالث أو رابع عمارة مسلحة في سكاكا (استأجرتها الجوازات لأكثر من عشر سنوات)، كان سور العمارة قصيراً لا يتجاوز ارتفاعه ١,٥م، وكان الناس من الجيران حول المسجد وعلى «الربعة» (الجلسة المفتوحة المظاهرة للمسجد والمواجهة للشارع العام وعمارتنا)، يجلسون كل يوم بعد الظهر والعصر وكانوا يشاهدوننا من هناك ونشاهدهم من أرض العمارة في الحوش الأرضي الخارجي لها. في السنوات الأولى، وفي حدود ما قبل ١٩٧٠م، لم يكن أحد ينتقدنا، ولكن مع التقدم باتجاه ما بعد ١٩٧٠م، بدأ يكثر الكلام وترتفع الأصوات منتقدة الوضع مما أدى لاحقاً بأخي «مشعل» أن يرفع من علو سور وجدار العمارة الخارجي المطل على الشارع العام والمقابل للمسجد، وكذلك رفع ما تبقى من سور وجدار الحوطة/ المزرعة. مع نهاية عقد الـ «١٩٧٠sم»، هناك عدد قليل من أهل الجوف، وأنا أتكلم هنا عن سكاكا تحديداً، من استمر بترك أبواب مجالسهم وقهاويهم مفتوحة، علماً أنه في هذا الوقت أصبح هناك أبواب فاصلة بين المجالس والأجزاء الداخلية للبيت. لكن منذ ١٩٨٠م فصاعداً من النادر أن تجد «الأبواب المفتوحة» في الجوف، وفي المقابل بدأت الأسوار والجدران بمطاولة السماء. لا بل، فوقها، لم تعد الأربعة أمتار من الجدار المسلح تكفي للانعزال، بل أضيف عليها أمتار من السواتر الحديدية (الزنك)، ليس فقط مع وبين جيران غرباء ومن خارج الجماعة والحي، وإنما مع وبين أفراد من العائلة الصغيرة، وبين الأخوان الأشقاء. واحد من أهل سكاكا، مؤخراً، بنى مجمعاً من عدة فلل/ عمارات، كل شبابيكها/ نوافذها الخارجية المطلة على الشارع العام وعلى الجيران في الجهة المقابلة من الشارع، وحتى ما بين الفلل نفسها، شبه مقفلة بالأسمنت المسلح، وكل ما يدل عليها هو الإطار الخارجي وفتحة مستديرة بمقاس ٤ بوصات تقريباً، وفتحة ضيقة مستطيلة في أسفل الإطار المسلح للنوافذ، ومطلة/ فاتحة إلى الأسفل(!).

٤ ـ في الفن والغناء

رغم استمرار ممارسة لعب العرضة والسامري، إلا أنها خفت كثيراً، في الجوف عموماً، وفي سكاكا خصوصاً، وبالذات في المعاقلة منها وفيها. نستطيع أن نقول، رغم ما بقى منها من ممارسات، فقد ولى عهدها الذهبي ما قبل ١٩٨٠م. أما عن الطرب/ العود، وإن لم يختفيا تماماً، فإنهما لم يعودا

يمارسان في الأعراس في العلن وأمام الجمهور كما كان يفعل سابقاً. ما بقى منهما هما الممارسة في الخفاء والجلسات الخاصة والمغلقة. في الآونة الأخيرة، هناك بروز ظاهرة النشيد الإسلامي، والمغنين والمنشدين لهذا النشيد، ومن أبرزهم الآن في الجوف هو «عبد المجيد الفالح»[١٣] (السالم، زياد، اتصال هاتفي، في ٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤: ٨:٣٠ ـ ٨:٥٤ مساءً).

٥ ـ التدخين

قلنا في ما سبق عن ممارسة التدخين في فترة الانفتاح لا يعني أن الانفتاح في تكونه كحالة ثقافية وفي تواصله لأكثر من قرن للوراء متوقفاً على ممارسة عادة التدخين، ولا يعني كذلك أن ممارسة التدخين شرط لكي يكون مجتمع ما منفتحاً أو مفتوحاً. وقلنا، كذلك، إن كون عادة التدخين وممارستها والموقف المرن منها، تزامنت وفترة ومرحلة الانفتاح، لا يعني دعوة إلى التدخين ولا إلى مواصلته لكي يبقى المجتمع على أنه مجتمع منفتح ومفتوح. كل ما قلناه عن التدخين وممارسته، والموقف منه وتجاهه، في مرحلة الانفتاح بالجوف (١٨٥٠ ـ ١٩٩٠s م)، إن التدخين وممارسته، بينما كان محظوراً و/ أو غير متاح في المجتمعات الموازية الأخرى للجوف، (مثلاً نجد/ القصيم)، في تلك الفترة، كان يمارس في الجوف مما يدل على مرونة وتسامح من الناس تجاه الممارسة ذاتها وممارسينها. وأشرنا في ما سبق إلى أن حالة التدخين كانت منتشرة على نطاق أوسع في أوساط بادية الجوف، وبالذات، بين الرولة بما فيهم نسبة من نسائهم، وأنها عادة موجودة ممارسة بين الحاضرة/ الحضر من أهالي الجوف من (سكاكا ودومة الجندل وما في حكمهما من قرى الجوف/ وادي السرحان، آنذاك، مثل قارا والطوير وكاف، وإثرة، ولكن دون نسائهم. على وقت وأيام صغرنا وشبابنا، وعلى حد علمي، ليس هناك امرأة واحدة مارست عادة التدخين في سكاكا، وعلى الأقل في حارتنا.

في المقابل، في مرحلة التشدد والتطرف والانغلاق، نلاحظ أن ممارسة التدخين، رغم انخفاضها بين أوساط الأجيال السابقة المتبقية، وكبار السن، إلا أنها، على الجملة والعموم، تواصلت، ولم تنقطع، بل في الغالب زادت، خاصة بين أوساط الشباب من الأجيال الجديدة. بل فوق ذلك، رغم أن ممارسة التدخين بين أوساط البادية، بمن فيهم، الرولة، وخاصة بين نسائهم، انخفضت على نحو ملحوظ ولتأثيرات دينية في الغالب، وإن لم تخلُ من وعي صحي بمخاطر التدخين، وكذلك رغم اتجاه متزايد للإقلاع عن التدخين، بين عدد من ممارسيه السابقين من حاضرة أهل الجوف، في الغالب لأسباب صحية، وإن لم تخلُ من مؤثرات دينية، فإن أعداداً متزايدة، وإن لا زالت غير كثيرة، من نساء/ بنات الجوف الحاضرة أخذت، فيما بعد ٢٠٠٠م، فصاعداً، ومع وفي عز فترة التشدد والتطرف، بممارسة التدخين وإن على نحو سري غير معلن. فوق هذا وذاك، ففي فترة التشدد والتطرف وما بها من شحن مذهبي/ ديني، يلاحظ أنه مع استمرار التدخين وتزايد أعداد ممارسيه بين أوساط الشباب، فإن هناك ظاهرة تثير الدهشة والتعجب، ألا وهي ظاهرة انتشار وتعاطي المخدرات (الحبوب) بين أوساط الشباب من الأجيال الحديثة في ما بعد ١٩٨٠م فصاعداً وبشكل كبير بعد عام ٢٠٠٠م. طبعاً ظاهرة تعاطي

(١٣) عبد المجيد مرجي صالح الفالح.

المخدرات بالجوف، وربما في البلد ككل تعود إلى فترة عقد الـ «١٩٦٠sم»، حيث دخلت مع سائقي الشاحنات والذين كانوا، في الأصل، يستخدمونها بحجة مواصلة السهر وقطع الطريق الشاق والطويل لإيصال بضاعتهم. مع عقد الـ «١٩٧٠sم» تزايدت بين أوساط الشباب، وانتشرت في فترات الأعراس، حيث بعض الشباب، وإغراء للآخرين بمواصلة السهر واللعب (العرضة والسامري)، يضعون الحبوب مذابةً في أباريق الشاهي المحلاة بالسكر. لكن الأمر تواصل بشكل أكبر خلال العقود الثلاثة التالية، ولا زال هناك من يسأل عن مكافحة مهربي المخدرات، ويلقي باللوم، في انتشار الظاهرة، على التهريب وممارسيه (المهربين/ الموردين). لكن غاب عن هؤلاء المتسائلين، عدة نقاط، أهمها هي: لولا أن هناك من أبناء وشباب البلد عموماً، بما فيهم من الجوف بين أبنائها، من يتعاطى المخدرات وهناك طلب عليها، لما كان للمهربين أن يروّجوا «بضاعتهم»؛ البضاعة، أية بضاعة، باستثناء الضروري منها للبقاء حياً، لن تنتشر وتسوّق، ما لم يكن عليها طلب واستهلاك. النقطة الثانية، أننا نتكلم عن انتشار الظاهرة، في الجوف، وفي البلد ككل (الدولة)، بينما الحشد والتعبئة الدينية، في المدارس والإعلام والخطب، على قدم وساق منذ ما بعد ١٩٦٥م فصاعداً تقريباً، فكيف بمجتمع «إسلامي متديّن»(!) يمارس هذه المخدرات وبنسب عالية (هناك كلام غير مؤكد على نسبة ٦٠٪) بين أوساط الشباب، بمن فيهم نسب من البنات، وإن كانت أعدادهن لا زالت قليلة بالمقارنة مع الشباب الذكور؟ حتى نسبة الطلاق، والتي هي الأخرى، مرتفعة بين أوساط الشباب المتزوجين، ويُقال إنها قد تصل إلى ٦٠ بالمئة، تُعزى، في جزء منها، إلى انتشار وتعاطي المخدرات، وخاصة بين الأزواج من الذكور. بالموازاة، وفي ما هو مثير لمجتمع يزعم أنه «إسلامي متديّن»، هناك عشرات الآلاف من الشباب، يسافرون إلى الخارج[١٤]، من حين لآخر، وبأعداد أكبر في فصل الصيف، لتقوم نسبة منهم (لا أقول كلهم)، وهي نسبة على ما يبدو غير قليلة، لا بممارسة الفضيلة، وإنما بممارسة أنواع متعددة من الرذيلة، من شرب ومخدرات وجنس. لكن السؤال الذي لم يُسأل هو: ما هو دور السياسات العامة (الثقافية والتعليمية الإعلامية ومعها وفوقها السياسية) للدولة خلال العقود الأربعة والخمسة الماضية، والتي نرى أنها هي بدرجة أكبر من غيرها من ومع عوامل أخرى لا شك بتضافرها، المسؤولة عن مثل هذه الظاهرات وانتشارها. هناك كلام كثير في القيم والمبادئ، في كل الميادين، لكن الممارسات لا تتوافق ولا تتطابق مع القيَم والمبادئ المشدد عليها: هناك انفصال بين الواقع والممارسة من جهة وبين التعاليم والقيم (النظري) من جهة أخرى. ما يمارس من تعديات ومظالم ومحسوبيات وعدم التزام وأمانة واتقان/ حرص بأداء العمل من نسبة غير قليلة من المسؤولين والموظفين في الدولة في كافة مستويات وأجهزة الدولة (البيروقراطية)، بما فيه جهاز القضاء والعدل، ليس فقط لا علاقة لها بتعاليم وقيم دينية نظرية يشدد عليها في كل حين وكل مناسبة ومجال، وإنما، كذلك وفوقها، تنفيها وتنقضها بالكامل. فوق هذا وذاك، إصرار السلطة، على مستوى الدولة ككل، على عدم ولوج الإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي، بما يتيح المشاركة للمواطنين، وبالمحاسبة والرقابة على المسؤولين وعلى السياسات نفسها، عبر سلطة نيابية تشريعية حقيقة تمثلهم، وبغياب، أو

(١٤) من مناطق السفر: البحرين، ودبي، وأبوظبي، تايلاند، الفيليبين، المغرب، جنيف، فيينا، باريس، لندن، أمريكا، وحتى أمريكا اللاتينية وجزر الباهاما، وبعض جزر أفريقية، ودول إسكندنافية.

لنقل تغييب متعمد، لمؤسسات المجتمع المدني (المؤسسات الأهلية المدنية الحديثة)[١٥] والتي تقوم في حالة وجودها وعملها بدور ليس فقط بالمحاسبة والرقابة الشعبية (الأهلية) من خارج المؤسسات الرسمية، وإنما، معها وبدرجة بالغة الأهمية، بكونها مجالاً وأفقاً واسعاً لتصريف الطاقات والأفكار الإبداعية لدى الشباب، ذكوراً وإناثاً. حتى في المجال الثقافي، وإصلاحه، لا ترى سوى مزيد من التشدد الرسمي، به وتجاهه، ومعه أولئك المتشددون، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع كما هي: السينما، ممنوعة في البلد، ولكن الشباب، ذكوراً وبعض البنات، يسافرون للخارج، بحثاً عن الترفيه، ونسبة كبيرة منهم يقضون أوقاتاً في صالات السينما ومشاهدة الأفلام. السينما ممنوعة، وبالمناسبة الدش والتقاط البث الفضائي كان ممنوعاً، ويبدو أنه من ناحية رسمية معلق هكذا، وكان هناك من كان يفتي بحرمانه وأن من يستخدمه يعتبر «ديّوثا»(!)، وكان عندنا في الجوف، منهم، ولا زال، نصيباً. لكن، في المقابل، الفضاء على العالم مفتوح، والأولاد والبنات مراهقين وشباباً، فضلاً عن الكبار، يشاهدون العالم أمامهم، وكل أنواع الممارسات الحياتية، محرمة و/ أو غير محرمة، مقبولة و/ أو غير مقبولة متاحة أمامهم. من هنا وأمام قفل الأبواب، وخاصة ما تعلق منها في المشاركة والرقابة وفي التعبير وتصريف الطاقات والأفكار، والتماشي والتكيّف مع العصر وأدواته ومخرجاته وتحولاته وحاجات ورغبات ونزعات الشباب، فطبيعي أن يكون الطريق لتصريف الطاقات والآراء والأفكار هو طريق آخر، ومنه السهر والمخدرات والرذيلة من جهة، ومزيد من التشدد والتطرف ونزوع للعمل السري في الغرف المظلمة من جهة أخرى، بما في ذلك الرافد الجديد لحالة وثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف، ألا وهو ثقافة العنف والحدة، والتي سنأتي عليها بعد قليل.

٦ ـ في الثقافة الحديثة

منذ ما بعد ١٩٨٠م فصاعداً، وبالذات منذ أواخر عقد الـ «١٩٩٠sم»، وولوجاً في السنوات الأولى من العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، يُلاحظ أنه في ما تعلق بالثقافة الحديثة، بما فيها ما تعلق منها بالمرأة، على نحو خاص، في الجوف، والذي أشرنا إلى جزئية منها سريعاً أعلاه، بدأ يتبلور موقف عدائي من الندوات المحاضرات ذات العلاقة بالثقافة الحديثة، وبدرجة أكبر عندما تكون المرأة طرفاً فيها. أشرنا في ما سبق لاعتراضات على مشاركة نساء ومثقفات في ندوات بالجوف، ومنها الاعتراض على مشاركة الأديبة «حليمة مظفر»، ووصل الأمر إلى إحراق النادي الأدبي بالجوف في صباح يوم ١٣/ كانون الثاني/ يناير من عام ٢٠٠٩م، قبيل الأمسية الشعرية التي كانت مقررة للأديبة «حليمة مظفر». طبعاً الأمسية تلك لم تتم في النادي بسبب الحريق، حيث تأجلت، وأجريت في وقت لاحق في «مركز الأمير عبد الإله الثقافي»، وحضرها مجموعة كبيرة من الجمهور، بما فيهم، وطبقاً لـ «زياد السالم» حوالي «٨٠ مطوعاً». في أمسية حليمة مظفر تلك، في المركز، وبعد انتهاء المحاضرة الأساسية، كانت هناك مداخلات للحضور، ومنها مداخلة لـ «زياد السالم»، حيث تحدث عن التطرف والإرهاب وضرورة تبني

---

(١٥) كان متوقعاً في (٢٠٠٧م) أن يصدر نظام (قانون) المؤسسات الأهلية (المجتمع المدني)، ولكن ورغم جهود عدد من نشطاء الحقوق/ الإصلاح، وبعض أعضاء مجلس الشورى، وصلت بالنهاية بانتهاء مجلس الشورى من إعداد مشروع النظام/ القانون ورفعه إلى مجلس الوزراء منذ شباط/ فبراير ٢٠٠٨م، إلا أن النظام/ القانون لا زال حبيس الأدراج هناك، ولا يُراد له أن يرى النور.

منهج الاعتدال، في إشارة إلى حريق النادي الأدبي ومن يقف وراءه، فحدث هرج ومرج وزوبعة أثارت ردوداً مستفزة من «المطاوعة» على مداخلته، قطعت على إثرها المداخلات والميكروفون (السالم، زياد، اتصال هاتفي (جوال)، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣: ٨ ـ ٨:٣٥ مساءً). ولم تكد تمضي سنة على الحريق الأول للنادي الأدبي في الجوف، إلا ويحدث الحريق الثاني للنادي الأدبي نفسه في الجوف مباشرة والذي وقع على ما يبدو ظهر الأحد (١٤/ ٣/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٨ شباط/ فبراير ٢٠١٠م). في السياق المتشدد نفسه، أتذكر، في صبيحة يوم عيد الأضحى (١٢/ ١٢/ ١٤٣٣هـ)، كنت قد ذهبت رفقة أخي «تركي»، إلى أخوالنا «العقيل السويلم» للسلام والمعايدة، كما جرينا عليها منذ فترة طويلة. بين الحضور أتذكر منهم: طراد وناصر، وربما مطلق، أبناء الخال «عقيل»، وخالد، ابن الخال «ابراهيم المطلق»، وكذلك «سلطان» ابن شقيقي «فواز»، فضلاً عني وعن أخي تركي. بعد المعايدة والسلام، دار نقاش وحوار متشعب بين الحضور، ولكن كان من ضمنه ما تعلق بملابسات إلغاء ندوة «عبد الله القصيمي وعبد الرحمن المنيف»، في القصيم، آنذاك. عندما سألوني، قلت إنني مع إقامة الندوة، وإن دراسة الآخر، بما تتضمن التعرف عليه وعلى فكره وماذا قدم، وما هي سلبياته وإيجابياته، وبغض النظر عن الاتفاق و/ أو الاختلاف معه، تعتبر أمراً مهماً ومفيداً. كان الموقف العام للآخرين الحاضرين رافضاً للندوة و/ أو إقامتها. أشد المواقف تطرفاً وحدّة من الندوة تمثلت في موقف كل من خالد إبراهيم وسلطان فواز، حيث كانا يشيران إلى أن «القصيمي ملحد»، فكيف تُقام عنه ندوة! كان رأي أخي تركي وطراد عقيل، أقرب إلى هذا الموقف. ناصر عقيل، كان وسطياً، كان إلى حد ما ليس ضد الإلغاء، ولكنه كان لا يرى ضرورة لإقامتها. ذكرتهم ولفت نظرهم إلى واقع عالم يعيشون فيه؛ إنهم يعيشون في عالم مفتوح، وإنهم، في الغالب من حياتهم وفي حياتهم، يستخدمون منتجات وتقنيات (سيارات وساعات وجولات، وجزم، وشمغ وغتر، وملابس، وعطور، ومعلبات طعام للكبار والصغار، والأدوية) وحتى تصميمات ومستلزمات السكن، (مبان وبيوت وفلل، وأجهزة وتجهيزات متعددة متنوعة)، هي في الغالب من منتجات «الكفار»(!)، فضلاً عن العاملين الأجانب والخبراء في مجالات الحياة العامة، وحتى الخاصة بما فيهم العمالة في بيوتهم ومزارعهم ومحلاتهم، ونسبة منهم ليسوا بمسلمين! «تركي الفالح»، عمره آنذاك ٧٠ سنة، و/ أو في حدودها، «طراد عقيل» بحدود ٦٤ سنة، بينما الآخرون في أول أو آخر الأربعينيات من عمرهم تقريباً. **سطان** فواز أصغرهم، ولكنه وخالد إبراهيم أكثرهم، على ما يبدو، نزوعاً لـ «التديّن». ناصر له ميول دينية، ولكنه في اعتدال على ما يبدو. طراد، وإن عمل في جهاز «المباحث»، بالمقارنة، يعتبر معتدلاً في أفكاره، ومتفهماً، كما أخوانه «مطلق وناصر»، للحاجات الحديثة ولضرورة الإصلاحات بما فيها السياسية. طراد كان، وكذلك كل من «مطلق» و«ناصر»، من الموقعين على عريضة أهل الجوف (آب/ أغسطس ٢٠٠٤م) المطالبة بالإفراج عن «متروك الفالح» و/ أو محاكمته محاكمة علنية عادلة، ولكنه على أية حال يعيش، كما أخوته والآخرون، في وسط ثقافي ريفي سائد، يختلط فيه الدين والتديّن بالتقاليد والثقافة التقليدية ذات الأفق المحدود، لا بد أن يترك بصمته على كثير من أهلها. تركي الفالح يعتبر من جيل الستينيات، وعمل ضابطاً عسكرياً في الجيش، وكان في بيئة ساد فيها التوجه القومي/ الناصري آنذاك، ولكن مع ١٩٨٠م فصاعداً، ومع تزايد صعود حركة الصحوة في السعودية ـ (المتولدة أصلاً في ومن رحم «ضيق الدين/ التديّن والسياسة» في السعودية كما سنأتي على تفصيلاتها لاحقاً) ـ بدا عليه، كما على آخرين

من زملائه الضباط في الجوف و/ أو من أبنائها، كما آخرين في مناطق أخرى من الدولة، والذين كانوا ذوي توجهات تقليدية، و/ أو أن لها ميول قومية/ ناصرية و/ أو يسارية أو متابعات عنها، نزوع إلى قدر من التديّن. ازدادت هذا الحالة عند وبعد تقاعده وانتقاله للإقامة في سكاكا بعد عام ١٩٩٣م/ ١٩٩٤م، فصاعداً، بتخالطه المتزايد، بل انخراطه واندماجه في مجتمع ريفي، مشبع بجلسات وجمعات صباحية، وعصرية، وليليلة، يغلب عليها ثقافة تجمع ما بين التقليدية الريفية، ونزعة دينية (صحوية وجهادية) متزايدة بين أوساط فئات وجيل من شباب الجوف الذين تلقوا تعليمهم في بعض الجامعات السعودية وكليات إعداد المعلمين و/ أو احتكّوا بآخرين في ميادين قتال/ جهاد في الخارج أو بمن في صلة لهم بهم، وكل ذلك في سياق انتشار ظاهرة ثقافة وحركة الصحوة وتفريعاتها و/ أو انشقاقاتها عنها ونحو الجهادية. أمام هذا السياق الثقافي المتنامي بالجوف وفي الدولة، ومع انحسار للمحيط العربي وتأثيراته الأيديولوجية، يبدو أن ثقافة «تركي»، كما هي عدد متزايد من أبناء الجوف، من الجيل السابق، أخذت بالتواري لمصلحة ثقافة التشدد والانغلاق. بالمناسبة كان شقيقي «تركي» من الرافضين لمشاركة الأديبة «حليمة مظفر» في الجوف وفي ناديه الأدبي! لاحظ أن أخي «تركي» وأبناء «خالي» على ما ذكرت عنهم من تشدد في الأمر (ندوة القصيمي/ المنيف)، يعتبرون معتدلين بالنسبة للثقافة السائدة بين أهل الجوف. لذلك ليس غريباً أن يكون موقف أهل الجوف، أو لجزء منهم على الأقل، في هذه المسألة (ندوة القصيمي/ المنيف)، عدائياً، ومتشدداً، بل لا يقل تشدداً عن متشددي أهل القصيم/ بريدة منها، إن لم يتجاوزهم تشدداً. أهل الجوف خاصة وأهل الشمال عامة، كما هم، في الغالب، أهل الجنوب، أصبحوا يمثلون مناطق متشددة، ويبدو أنهم تجاوزوا أهل نجد والقصيم في تشددهم، لذلك ليس غريباً أن تسمع كلاماً عن أن الجوف، وإن كان لا ينطبق على الغالبية من أهلها، تمثل إحدى بؤر التشدد والتطرف وإلى حد ما نزوعاً نحو العنف. نجحت ثقافة التشدد والتطرف الكلية في السعودية (التوسع في ضيق الدين/ التديّن والسياسة) أن تجعل من الأطراف (شمالاً وجنوباً) جنوداً أوفياء في «حراسة الدين والدنيا»، وإن لم تخلُ من تناقض بخروج بعض من أبنائهما على المخزن (الدولة) من رحمها(!).

٧ ـ ثقافة العنف ٢٠٠٣م فصاعداً

مررنا في أكثر من مكان في أجزاء من هذه الدراسة، بما فيها ومنها ما تعلق بالمسألة الثقافية بالجوف، على أكثر من إشارة عن تنامي حالات من العنف وثقافته منذ أواخر عقد الـ «١٩٩٠s م» وبالذات السنوات الأولى من العقد الأول من القرن الواحد والعشرين. لنتذكر ونذكر، أنه في عام (٢٠٠٣م) انفجرت ثقافة التشدد والتطرف، عنفاً، لم تشهده الجوف من قبل، وخاصة خلال الخمسين سنة السابقة عليها، حيث اغتيل في تلك السنة، غدراً وعدواناً كل من الدكتور حمد الوردي، والمقدم حمود الربيّع، وسبقهما اغتيال الشيخ «السحيباني»، وبينهما وبعدهم اغتيال عدد من أفراد الشرطة و/ أو الأمن. كذلك، وكما مر بنا آنفاً، وذكرنا سابقاً أن النادي الأدبي بالجوف تعرض للحرق مرتين الأولى في عام ٢٠٠٩م والثانية، في عام ٢٠١٠م، وكان كلاهما حرقاً متعمداً، احتجاجاً على الثقافة الحديثة وعلى مشاركة النساء فيها، ومن ضمنها حليمة مظفر. وحيث إنه سبق لنا أن قدمنا معالجة وتفسيراً لحالة وثقافة العنف في أكثر من دراسة، سواء على مستوى الدولة ككل و/ أو على مستوى منطقة الجوف (الفالح، ٢٠٠٢؛ الفالح، ٢٠٠٤

(أ)؛ الفالح، ٢٠٠٤ (ب)؛ الفالح، ٢٠٠٥، والفالح، ٢٠٠٨)، فضلاً عن ما ورد، وما سيرد، من تفسيرات سريعة في ثنايا هذه الدراسة في أكثر من مكان، فلا داعي لإعادة الكلام هنا، ويمكن لمن يرغب في المزيد والتعمق في التفسيرات الرجوع إلى تلك الدراسات وأجزاء الدراسة الحالية، بما في ذلك ما سيرد في تفسير كل من حالة الانفتاح والانغلاق (التشدد والتطرف) في نهاية هذا المبحث نفسه. ما يكفي هنا قولاً هو أن العنف وثقافته هي، أولاً، وليد ومنتج طبيعي وأساسي لثقافة التشدد والتطرف في السعودية، والمتولدة من «ضيق الدين/ التديّن والسياسة» فيها ومنها، كما سنأتي عليه لاحقاً. وثانياً أصبح العنف وثقافته رافداً من روافد حالة وثقافة التشدد والتطرف بالجوف، وخاصة لفئة من أهلها، اقتنعوا بالعنف و/ أو انخرطوا فيه كوسيلة في التصرف والوصول إلى الأهداف وفي التعامل مع الغير والآخر المختلف. من هنا، ورغم قولنا بأن العنف، ومنذ السنوات الأولى للعقد الأول من القرن العشرين الميلادي، أصبح أحد روافد ومكونات ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف بالجوف، فهذا لا يعني، ولا يجب أن يفهم منه، أن الجوف وأهلها كلهم أهل عنف و/ أو مؤيدون له، وإنما يعني أنها تخص فقط بعضاً من أهلها، وهم فئة وأعداد محدودة من الشباب على أية حال. غالبية أهل الجوف، وإن غلب عليها ثقافة التشدد والتطرف بشكل عام، وإن كانت، كذلك، لا تخلو من أعداد من الأفراد الذين لهم ميول في دعم و/ أو تأييد اصحاب العنف وتصرفاتهم، إلا أنها، أي غالبية أهل وأهالي الجوف، ليست عنفية ولا تقبل أن تنخرط في أعمال العنف. بقي أن نقول إن واقع ومستقبل ثقافة الانغلاق والتشدد والتطرف فالعنف في التواصل أو التراجع يعتمد على تضافر تواصل مجموعة من العوامل والمتغيرات الحاكمة في تكوّنها أو في انحسارها وزوالها. تلك العوامل والمتغيرات الحاكمة، ولمن أراد التعرف عليها، يجدها مُشاراً لها، جزئياً وسريعاً في هذه الدراسة، في ما ورد سابقاً وما سيرد منها لاحقاً بما يلي مناقشات، وكذلك في دراساتنا الأخرى الموازية آنفة الذكر.

نكتفي بما تقدم من عرض سريع لأهم محطات وشواهد مشهد وواقع حالة وثقافة التشدد والتطرف والانغلاق والعنف في الجوف. ورغم أن هناك بعض عناصر وتفصيلات متصلة بثقافة التشدد والتطرف والانغلاق والعنف لم نتطرق لها هنا، فإننا نعتقد أن تلك الشواهد والمحطات الرئيسة التي أوردناها وركزنا عليها ـ فضلاً عما تقدم من مناقشات، في الوعي والانفتاح، وما ورد فيها من عناصر ذات صلة عند أخذها بالمخالفة ـ تكفي لإثبات الحالة. وحيث إننا سبق وأن وعدنا بتقديم تفسير كل حالة ثقافية بعد عرض حالها وواقعها، فإننا في ما يلي سنقوم بالأمر في ما يخص الحالتين الثقافيتين، وهما الانفتاح والانغلاق (التشدد والتطرف) لما بينهما من الترابط بالمخالفة.

ثالثاً: الانفتاح والانغلاق بالجوف: محاولة في التفسير في تحالف الدين والسياسة والاقتصاد (المال): ضيقاً وسعة

طبعاً عدد من مظاهر التشدد والتطرف والعنف، كما أشرنا إليها آنفاً، لم تعد قاصرة على الجوف وأهلها، وإنما عمّت وتشمل معظم مناطق الدولة، إن لم تكن كلها، وهذا جزء من تداخل عوامل من خارج الجوف في تفسير الحالة بالجوف. ومع ذلك فنحن، وإن ندرك مدى التداخل للعوامل من داخل

وخارج الجوف، ونرى أن العوامل من خارجها أهم أسباب ومتغيرات تفسير الحالة ذاتها بالجوف، فإننا على أية حال نركز على حالة الجوف بثقافتها الجديدة (الانغلاق) ومقارنتها بما كانت عليه الثقافة قبلها (الانفتاح).

دون الدخول بالتفاصيل، ودون التقليل من عوامل أخرى مساعدة ذات صلة (كالتعليم الإعلام، مثالاً، لا حصراً، وإن كانت هي تصب في مخرجات ومستهدفات ما نحن بصدده وخاصة في الفترة الحديثة والحالية)، فإننا نعتقد أن تفسير كل من حالة وثقافة الانفتاح من جهة والانغلاق (التشدد والتطرف) من جهة أخرى مرتبطة إلى حد كبير، وبالمخالفة، بثلاثة متغيرات حاكمة وفيها قدر من الترابط و/ أو التحالف فيما بينها وخاصة عند وحول السلطة وفي مقابل الناس (الأهالي). نستطيع أن نقول، كفرضية أساسية، أنه وفي الغالب «تبدو مساحات الانفتاح أو الانغلاق تتوسع أو تتقلص عكسياً، مع ضيق أو سعة في الدين «التديّن»، والسياسة، والاقتصاد (المال) والتحالف بينها على مستوى الدولة/ السلطة وفي مواجهة الأهالي (الناس/ السكان).

وبشكل أوضح وأكثر تحديداً نضعها على النحو التالي: كلما زاد الدين/ التدين والسياسة ضيقاً في المجال العام والأهلي والخاص ـ وبمعنى كلما كان هناك توسع وتشدد في التدخل في الشأن العام والأهلي بمزيد من الغلوّ في الدين/ التديّن بالإصرار في بالتوسع والتشدد في تطبيق وتنفيذ تعاليم مذهب بعينه، ودون سواه، وبفهم ضيق بعينه، وبالتركيز على الحظر والمنع والتقييد والقسوة والغلظة في المعاقبة على مخالفتها، من قبل السلطة، «الضيقة» أصلا ببنْيتها، وفي سعة من المال والاقتصاد لديها، واعتماد الناس عليها ـ كلما كان التشدد والانغلاق والتطرف هو النتيجة وعلى حساب الانفتاح ومساحاته. والعكس صحيحاً، كلما كان هناك سعة في الدين/ التدين، وسعة عند السلطة، بما يعني عدم تدخلها في كل صغيرة وكبيرة وبانحسارها من المجال العام الأهلي، مع حاجة (ضيق) اقتصادي (مالي) لديها ولدى الناس، كلما كان الانفتاح أكبر. طبعاً الضيق و/ أو السعة من وفي السلطة وحالها، وفي ما يتعلق بعلاقتها بالمجتمعات عموماً، وهنا ما يتعلق بالجوف تاريخياً، يتم فهمه وتحديده من خلال طريقين: إما، أولاً، يكون المجال السياسي مفتوحاً للناس ومشاركين فيه، وبالتالي عليها قدر من المحاسبة والرقابة، وهذا غير متاح في كل مراحل الدولة السعودية، بما فيها الثالثة والحالية وحتى الآن (نحن في أوائل ٢٠١٤م)، كما لم يكن متاحاً أيام حكم وسلطة الرشيد أو الشعلان في الجوف، مما يمثل ضيقاً وعدم سعة في السياسة، وإما، ثانياً، عن طريق انحسار السلطة و/ أو عدم تدخلها و/ أو تدخلها المحدود، رغبة و/ أو ضعفاً، في حياة وشؤون الأهالي بما فيها أحوالهم الخاصة، وممارساتهم الثقافية الأهلية، وهذا ما يخفف من ضيق السياسة وعدم سعتها نتيجة حالها وبنيتها كما في الطريق الأول، وهو ما كان عليه حال السلطة، بشكل عام، في فترة حكم الرشيد والشعلان بالجوف، وكما هو الحال مع الدولة والسلطة السعودية الأولى والثانية، وجزء (فترة) من الثالثة، وخاصة ما بين ١٩٢٢م وحتى ١٩٦٥م و/ أو في حدودها. ضعف السلطة الحاكمة قد يكون نتيجة صراعات داخلية فيها، كما في الرشيد، أو تصارع مع قوى منافسة و/ أو مع كثرة تمردات عليها، أو عدم توافرها على قدرات، وخاصة مالية. بالنسبة إلى «الضيق والسعة في المال»، فالمقصود هو أنه على مستوى السلطة/ الدولة الحاكمة يكون لديها وفرة مالية (سعة) توظفها

لدعم «ضيقها في الدين/ التديّن والسياسة»، بما يعني قدرتها بالصرف والإنفاق على الحشد والشحن والتعبئة الدينية/ المذهبية والتنفيذ، وبنفس الوقت مواصلة إقصاء الناس من السياسة، أو أنها ذات موارد مالية محدودة (الضيق) تحد من قوتها وقدراتها في «التضييق الديني والسياسي»، تجاه الناس والأهالي وفي احتواء متطلباتهم وحاجاتهم المعيشية. في المقابل، على مستوى الأفراد والأهالي، نقصد بالضيق والسعة المالية/ الاقتصادية، هو اشتداد حالتهم وحاجتهم الاقتصادية (المعيشية)، بما يعني قلة المال والموارد (الضيق)، أو توفرهم على قدر من المال والموارد (السعة)، بما ينهي حالة الضيق وشدة الحاجة المعيشية، علماً أنه في الغالب، وفي فترة الدولة السعودية الثالثة، مصدر وفرة المال هو السلطة/ الدولة ذاتها، وبما يعني الاعتماد عليها وعدم استقلاليتهم.

من هنا، وبناء على ما تقدم، سنناقش تفسير الانفتاح و/ أو الانغلاق (التشدد والتطرف) على امتداد طول مشهد المسألة الثقافية في الجوف (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+) في محطات وفترات ثلاث رئيسة، على النحو التالي:

١ ـ فترة حكم وسلطة الرشيد بالجوف وما قبلها

نلاحظ أنه ورغم أن الجذور والبذور الأولى للتشدد الديني (ضيق الدين/ التديّن) كانت تعود للوراء حتى ١٨٠٠م في الغزوات الأولى للعناصر الوهابية للدولة السعودية الأولى، إلا أن ضعف السلطة، آنذاك، ثم انهيارها بعد ١٨١٨م، كان يعني تواصل حالة من سعة الدين والتديّن، بما يعني قليلاً من التدخل في حياة وممارسات الأهالي والسكان. استمر هذا الوضع ما بين ١٨٠٠ ـ ١٨٤٠م، عند دخول سلطة وفترة الرشيد، ولكن لضعفها آنذاك، فقد كان التدخل في الشأن الأهلي وممارساته بقي هو الآخر قليلاً ومحدوداً، وأخذ بالتصاعد التدريجي ما بين ١٨٤٠م وحتى ١٩٠٩م، مع طفرات منه في سنوات ١٨٥٣م (صراع السراح/ السراح وتحوله إلى تمرد وثورة أهل الجوف ضد الرشيد)، ١٨٧١م (الحملة التركية وتوابعها)، وامتد الأمر حتى ١٩٠٩م، نهاية حكم الرشيد الأساسية وما قبل الأخيرة القصيرة (١٩١٩ ـ أواخر ١٩٢١م).

في كل هذه الفترة، ورغم التزايد، التدريجي، في «ضيق الدين/ التديّن»، من قبل سلطة الرشيد الضيقة سياسياً، إلا أن سلطة الرشيد خفف من ضيقها السياسي ديناميكية صراع سلطتها داخلياً منذ مقتل متعب بن عبد الله الرشيد عام ١٨٦٩م، على يد ابن أخيه بندر بن طلال فمقتل الأخير على يد عمه محمد بن عبد الله، في السنة نفسها، ثم ما كادت الأمور تهدأ ما بين ١٨٧٠م وحتى أواخر القرن التاسع عشر، حتى تجدد الصراع الداخلي أكثر عنفاً ووحشية مع موت ومقتل عبد العزيز بن متعب في ١٩٠٦م، ليستمر القتل ما بين ١٩٠٦ وحتى ١٩٢٠ (متعب بن عبد العزيز قتله عام ١٩٠٧م ابن عمه سلطان بن حمود، والأخير قتله أخوه سعود في عام ١٩٠٨م، وسعود بن حمود قتله أخوال ابن عمه في عام ١٩١٠م، وسعود بن عبد العزيز قتله ابن عمه عبد الله بن طلال عام ١٩٢٠م) (الرشيد، مضاوي، ١٩٩٨: ٦٨). كل ذلك ـ وبترافقه مع صراع تجاه سلطة صاعدة (عبد العزيز ابن سعود ـ الدولة السعودية الثالثة) مع العقد الأول والثاني للقرن الواحد والعشرين، فضلاً عن تمردات وثورات أهل الجوف

في ١٨٥٣م و١٨٧١م ـ ساعد في انشغالها بحالها وبمن حواليها فتضعضعها، والتخفيف من «ضيقها السياسي» ومن الغلوّ في «التضييق الديني».

من هنا نلاحظ أن ثقافة الانفتاح متواصلة ومساحاتها كانت واسعة، رغم ما طرأ من تقلص محدود فيها، وخاصة في الفترة ١٨٧١ ـ ١٩٠٧م وعلى أيام ممثل ابن رشيد في الجوف (جوهر)، والإشارة إلى منعه بعض الممارسات الثقافية (كالربابة مثلاً) والموسيقى، وإن كان هذا ليس صحيحاً على الجملة والتفصيل كما سبق وأن بيّنا الأمر وفنّدناه إلى حد كبير. لننظر ماذا حال «التشدد الديني» ضيق الدين/ التدّين و/ أو سعته في الجوف، كما رصدها عدد من الرحالة، في عهد وحكم الرشيد، ومن ذلك كأمثلة ما يلي:

أ ـ الرحالة جيفورد بلغريف في رحلته للجوف ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ

يقول عن مسجد القلعة وصلاة الجمعة التالي: «في هذا المكان يلتقي الناس لصلاة الجمعة ويستمعون إلى خطبة الجمعة. كل من يحضر عليه أن يؤديها، ولكن حموداً لا يفرض ذلك على الناس. وفي غياب التشدد في أدائها يكون الحضور قليلاً. والمتشددون ليس لهم أثر في الجوف، ولن يتمكنوا من إحضار عدد مناسب منهم...» (بلغريف، رحلة، ١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ، في: البادي: ٨٩).

ب ـ في عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، الرحالة تشارلز هوبر والرحالة الليدي آن بلنت

كل له رصده وملاحظاته، وإن كانت ذات ملابسات متداخلة وفيها قدر من التناقض. الرحالة تشارلز هوبر، في رحلته عام ١٨٧٩م للجوف، تحدث عن أن التدخين/ النارجيلة، كان متاحاً، ويقدم للزوار وخاصة من «جوهر» ممثل حاكم ابن رشيد في الجوف، بل «جوهر»، نفسه كان «يمارس... عادة التدخين»، ولكن «هوبر» أضاف أن جوهر بهذه الممارسة إنما هو «... بذلك يخالف المبادئ النقية للوهابيين، ولكنه يتمسك بالمبادئ التي تحرم الموسيقى والغناء في الجوف، الذي كان قديماً يمتاز بالفرح كما ذكر بلغريف، ولم يعد به ربابة واحدة» (هوبر، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٥٩). في المقابل، «الليدي بلنت» والتي سبقت «هوبر» بأربعة أشهر تقريباً فقط، في رحلتها للجوف عام ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، بعد أن تشير، أولاً، إلى حالة الغناء والرقص التي رتب لها ولزوجها ولتسليتهم من قبل ممثل الحكم (دواس) وجنوده في الجوف (دومة الجندل) (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩ م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٠)، وترصد، ثانياً، عمل حكومة ابن رشيد يتعلق بمدى «ضيق/ سعة» تطبيق الممارسات والتعاليم الوهابية في الجوف (دومة الجندل)، فتقول: «بينما كنا نجلس في منزل ابن درع، رأينا نموذجاً لعمل حكومة ابن رشيد الأبوية، وأولى علامات الوهابية. كان قد نودي لصلاة الظهر من سطح المسجد القريب، إذ ليس هناك منارة في الجوف، ولم يبدُ على أي فرد لبرهة من الزمن، أي ميل لأن يتحرك، متخذين من زيارتنا عذراً. ثم ابتدأ رجل مسن ذو وجه فض يحاضر الأصغرين ويخبرهم أن ينهضوا ويذهبوا للصلاة، وعندما لم يجد لأمره أي جدوى، ضرب لهم المثل في النهاية. ومع ذلك ظلت المجموعة الرئيسية للضيوف جالسة، إلى أن نهض فجأة الجنديان الشابان اللذان جاءا معنا وأخذا يصيحان بكلمات «قم، قم» واضعين صفحات سيفيهما على البقية وساقوهم جميعاً إلى المسجد، ما

عدا مضيفنا الذي جعله مركزه بهذه الصفة مرعوباً من الإهانة. ومن الواضح أن الدين ليس مقدراً حق قدره هنا، وباستثناء الرجل ذي المنظر المسن والوجه الفظ، لم يبدُ أن أحداً ينظر للصلاة نظرة جدية، فالجنديان بعد أن أدّيا واجبهما في سوق الآخرين إلى المسجد عادا من دون صلاة...» (الليدي بلنت، رحلة ١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٣٣).

ج ـ الرحالة «جوليوس أويتنغ» في رحلته للجوف عام ١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ

في ثقافة وحالة الانفتاح وشواهدها، سبق أن أشرنا، هناك، إلى جملة من الممارسات الثقافية بالجوف (في كاف وفي دومة الجندل) التي أشار إليها وشاهدها الرحالة أويتنغ نفسه، ومنها: الغناء على الربابة، وكذلك الحوار الذي دار مع الفتيات، وخاصة «**لهود**» بقصد الزواج، وكذلك لمشهد «الغناء والرقص» المهيب المشترك للشباب والفتيات في الجوف (دومة الجندل)، وهي ما رجحنا وقلنا عنها في حينه، أنها، في الغالب تتعلق بما يعرف و/ أو أصبح متعارفاً عليه في «حوران/ سوريا» وشمال غرب الأردن بـ «**الدبكة الجوفية**». إضافة إلى ذلك رصد الرحالة أويتنغ، في ما بعد عصر الجمعة (١٤ أيلول/ سبتمبر ١٨٨٣م) حالة ثقافية تبدو نادرة، ولكنها معبرة وذات دلالات على الثقافة السائدة وعدم «التشدد الديني»، آنذاك، وكتب عنها في مذكراته ما يلي: «عند شرب القهوة، حدث مشهد لا يتكرر إلا هنا، حيث شجع الشيخ عبد الله ابنه خميس ذا الثلاث سنوات، وعلمه كيف تتم عملية تدخين الشيشة (غليون الماء)» (أويتنغ، رحلة ١٨٨٣، في: البادي، ٢٠٠٢: ١٨٧).

د ـ (١٩٠١م)، والرحالة «آرتشيبالد فوردر

في ثقافة الانفتاح، ذكرنا عنه أنه ورغم ما تعرض له « فوردر»، نفسه من قسوة في المعاملة «كرجل مسيحي (مبشر) في كل من «كاف»، و«إثرة»، فإن «فوردر» تكلم عن «حرية النساء» وأنهن غير «معزولات» في البلدتين، وأنهن أكثر حظاً وحرية، بالمقارنة، مع غيرهن في ما أسماه «العالم المحمدي». وذكرنا، كذلك، مجالسته لامرأة «خويخان»، شيخ إثرة، وحواره الطويل معها. واستثناء من ثقافة الانفتاح تجاه الغير (وبما يعني قدراً من التشدد وعدم التسامح)، كنا قد أشرنا، هناك إلى حالتين، إحداهما تتعلق بالرحالة فوردر نفسه، والأخرى بالرحالة ألويس موسيل. ومما رصده الرحالة فوردر، وفي دومة الجندل تحديداً، هناك عدة وقائع تتعلق به، وفوقها بالمستوى والمدى الذي وصل إليه «التشدد الديني» آنذاك، ومنها ما يقول عنه فوردر بنفسه: «بعد أيام قليلة من الأحداث، والتي سجلتها سابقاً، وبينما كنت جالساً حول النار في بيت الضيافة ومعي حوالي عشرين رجلاً، جاء رجل دين متشدد وألقى خطبة دينية فيها روح معادية للمسيحيين، وذكر الرجل كل ما ورد في القرآن من أقوال معادية للمسيحيين. وذكر المستمعين بأن نبيَّهم طلب من المؤمنين أن يبيدوا الكفار أينما وجدوهم، وكانت كل الخطبة موجهة ضدي ولم أُبدِ أي اهتمام. ذهب ذلك الواعظ إلى حال سبيله، وذهبت أنا إلى ركني المظلم وأديت صلاتي، وطلبت من الله المساعدة والهداية» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٢٧). فوق هذا يشير فوردر إلى تعرضه لقسوة غير قليلة لكونه مسيحياً، ولمحاولة وصلت بالتهديد المباشر بقتله بعد حادثة انهيار أحد أبراج القلعة، بسبب الأمطار الغزيرة على «جوهر» كادت أن تقضي عليه، ويقول عن ذلك: «... لقد

تم إنقاذ جوهر وإخراجه من تحت الأنقاض، واكتشفوا أن رجله مكسورة وبه جراح وكدمات شديدة. وبينما هو مسجى على الرمل في فناء قلعته علق واحد منهم قائلاً: هذا هو المسيحي وهذه هي أفعاله. لابد أنه خرج وألقى نظرة على البرج فأصابه بالعين،حتى سقط، أنها بداية شره. كانت هذه الكلمات عبارة عن الشرارة التي قدحت زناد البارود. بسرعة مذهلة صدّق الناس هذه الرواية، وأنني أنا الفاعل، وارتفعت الصيحة: اقتلوا المسيحي... تعالوا لنقتل المسيحي... ووقفت على مدخل الميدان ورأيت جموعاً تتجه نحو ركن البيت، وسمعتهم يصيحون: اقتلوه... اقتلوه... المسيحي... المسيحي، وكانوا يحملون العصيّ، والخناجر، وبعض المسدسات. وأخذوا يقتربون ولم أهرب، فالهرب معناه الموت، ومعناه أني فعلت شيئاً...» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٢٩). ومع ذلك كله وما جرى له، فهو أيضاً يسجل درجة ومستوى وقدراً من عدم التشدد لا زالت قائمة آنذاك. من ذلك، أولاً، أنه في حادثة محاولة القتل، آنفة الذكر، ورغم أنها أوشكت على الوقوع، إلا أن هناك من أهل الجوف من منعها، وفوردر نفسه يقول التالي عنها: «... وعندما كانوا على بعد ثمانين ياردة مني تدخلت العناية الإلهية فجاء ثلاثة رجال واصطفوا أمامي وصرخوا على الجمهور ملوحين مسدساتهم قائلين: لا تقربوا من المسيحي، وتوقفت الجموع وساندني الرجال وأخذوني إلى غرفتي. ظل الرجال الثلاثة واقفين أمام باب بيتي وبدأ الجمهور بالانصراف، فأقبل عليّ الرجال الثلاثة الذين أنقذوني فشكرتهم على صنيعهم ومروءتهم، وسألتهم ما الذي حملهم على الوقوف مني هذا الموقف. فأجابوا: لقد كنا في الهند، ورأينا المسيحيين هناك، ونعرف أنهم لا يضرون أحداً، ورأينا أيضاً ما خلفته الإدارة البريطانية من آثار هناك، وفي مصر وسنساعد المسيحيين ما استطعنا ذلك؛ ونتمنى أن يأتي الإنجليز هنا؛ المسيحيون أحسن من المسلمين. إن الناس هنا في الجوف يجهلون عادات المسيحيين، ولو لم نتدخل نحن لكانوا سيقتلونك بلا شك» (فوردر، رحلة١٩٠١م/١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٢٩). وثانياً، الرحالة فوردر، نفسه، ورغم ما تعرض له من اضطهاد وتشدد تجاهه، يقول، أيضاً، إنه استطاع أن يسوّق عدداً من نسخ من الإنجيل على الأهالي وحتى إن نسخاً منها أخذها عدد من أهل حائل، بل إن «جوهر» ممثل ابن رشيد بالجوف أخذ نسخة منها. يقول الرحالة «فوردر» عن ذلك إنه في مساء أحد الأيام، وبعد نقاش وحوار بينه وبين «جوهر» يتعلق بمحاولة إقناعه تغيير دينه وتحوله للإسلام، وهو ما رفضه بشده، قائلاً: «شكرته على عرضه السخي، وأكدت له أنني لن أغيِّر ديني مهما أعطاني. ونهض جوهر مهرولاً نحو قلعته وهو يتمتم «إن يوم حلوله بيننا هو يوم نحس، وإذا بقي في الجوف سيحل بنا مكروه». وفي ذلك المساء أرسل جوهر لي ابنه طالباً الإنجيل الذي رآه عندي، وأرسلته إليه»، وأضاف الرحالة فوردر أنه «... وفي أيام أخرى، وزعت وبعت عدداً من كتبي للرجال والأولاد الذين أثبتوا أنهم يجيدون القراءة. وبعد الظهر جاءني فالح[١٦] بثلاثة رجال قال إنهم من حائل العاصمة، وإنهم في طريق عودتهم، إلا أنهم يرغبون في أخذ الإنجيل معهم. فهل أعطي نسخة كل واحد منهم؟ لقد كنت مسروراً لسماعي هذه الأنباء وسعيداً لانتقال كلمة الرب إلى حائل، ولاسيما وأنا لن أستطيع الذهاب إليها. لذلك أخرجت ثلاث نسخ من الإنجيل من النوع الجيد تغليفه، وأعطيتها للرجال الثلاثة، فغادروا المكان في طريقهم إلى حائل عاصمة وسط الجزيرة

(١٦) فالح هو ابن جوهر (الباحث).

العربية» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٢٦ و٣٢٨). وفي مكان آخر يقول «لقد أمضيت أيام في الجوف، ووزعت عدداً من كتبي، وفي ذات صباح، وأنا أفتح باب غرفتي وجدت كل ما وزعت مكوَّماً عند باب غرفتي، ويبدو أنها وضعت هناك في الليل... وبعد قليل جاءني فالح ليقول: يجب ألا تغضب لأن الكتب أعيدت. لقد أصدر والدي أوامره بأن تعاد إليك، وقال إن أشياء سيئة فيها. وسألته: ماهي؟ فقال: ما ورد في المزمور الثاني من كتاب المزامير، الفقرة السابعة، ونصه: إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. وقلت لفالح:... ولكن والدك لم يرجع الإنجيل الذي أخذه؟ فأجابني فالح: بأنه يريد أن يحتفظ به ويقرأه. وكنت سعيداً لسماع ذلك...»، ويواصل «فوردر» القول بأنه «في ذلك اليوم جاءني خويخان وقال لي: لا بد أن نغادر بسرعة. لقد كنت أرغب في الجلوس هنا لمدة شهر، ولكن لأجلك لا بد أن نغادر بسرعة. وفي اليوم التالي جاء الرجال وسألوا عن كتبهم التي أعادوها، وذكرتهم بما قاله جوهر فقالوا: لقد فعلنا ما أمرنا به وأعدنا الكتب إليك، ولم يأمر أحد ألّا نعيدها مرة أخرى إلى منازلنا. أعطنا الكتب وسوف نخبئها حتى تغادر. فأعطيتهم الكتب مرة أخرى، ولم أسمع شيئاً عنها بعد ذلك» (فوردر، رحلة ١٩٠١م/ ١٣١٨هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٣٢٦ و٣٣١). في ما تقدم مما تعرض له فوردر، وبالذات ما تعلق بما ذكره من خطبة رجل الدين المتشدد والذي ألقى خطبة دينية معادية للمسيحيين، وذكره لكل «ما ورد في القرآن من أقوال معادية للمسيحيين. **وذكر المستمعين بأن نبيّهم طلب من المؤمنين أن يبيدوا الكفار أينما وجدوهم**»، تشير إلى بدايات و/ أو تمظهرات أولى، على ما يبدو، لفهم متشدد لمسألة «الولاء والبراء» بما يشير إلى تزايد في الجرعات الدينية، بالمقارنة مع فترة ١٨٥٠ ـ ١٨٩٠م، وبما يعني محاولات لغرس مستوى أكثر تشدداً للقيم الوهابية في الجوف، وبين أهلها، مع نهاية القرن (١٩) وبداية القرن (٢٠). ومع ذلك، يُلاحظ، بقاء درجات ومساحات من التسامح و/ أو الانفتاح، وهو ما يدل، على أن تلكم الجرعات المتزايدة للقيَم والتعاليم المذهبية الوهابية المتشددة في الجوف كانت تسير تدريجياً وببطء، وبما يعني أن أهل الجوف، وإن أصبحوا «وهابيين»، بشكل عام، مع نهاية القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين، كانوا في الغالب غير مقتنعين وغير مبالين، وبالتالي يفصلون ما بين ما يفرض عليهم فرضاً من جهة، وما بين قناعاتهم وممارساتهم من جهة أخرى. بالموازاة، يلاحظ أن الفرض من السلطة الحاكمة للقيم والتعاليم الدينية يجري، أولاً، في فضاءات أهلية عامة محدودة النطاق وضيقة جداً، وهي، في الغالب، تدور في الجوف (في دومة الجندل، كما في سكاكا) حول المنطقة التي فيها مسجد للجمعة، وما حولها مباشرة من الساكنين. في دومة الجندل، في فترة العقد الأول من القرن العشرين، وربما بعده بثلاثة عقود أو أربعة وفي حدودهما نقصاً و/ أو زيادة(؟)، لم يكن فيها إلا مسجد واحد للجمعة. في دومة الجندل كان مسجد الجمعة الوحيد هو حول القلعة « مارد». في سكاكا، الأمر لم يكن مختلفاً كثيراً، فقبل عقد الـ «١٨٨٠sم» لم يكن هناك سوى مسجد واحد للجمعة هو مسجد الضلع/ السيل غرب بيوت السهيان، ولا زال المسجد، وإن أعيد بناؤه مسلحاً، قائماً في المكان نفسه تقريباً. في وقت ما من عقد الـ «١٨٨٠sم»، وعلى خلفية ما قيل إنها واقعة «مؤامرة مسجد الجمعة» بين القرشة والمعاقلة، آنذاك، تم انفصال المعاقلة وبناء مسجد «المعاقلة»، وهو المسجد الثاني في سكاكا، حيث يستمر الوضع كما هو، حتى وقت ما من عقد الـ «١٩٤٠sم»، عندما تم

بناء مسجد القصر (قصر الإمارة)[17]، هو مسجد الجمعة الثالث في سكاكا. وبالموازاة، ثانياً، كانت سلطة الرشيد الحاكمة بالجوف، ورغم قسوتها وإسرافها في القتل لأهالي الجوف (قتل أكثر من ٨٠ رجلاً من رجال الجوف، في أعقاب الحملة التركية على الجوف، وفي ما عرف بـ واقعة» المديرس ـ ١٨٧١م»و ما بعدها بقليل)، كانت، إجمالاً، في حالة ضعف يتزايد تدريجياً، منذ ما بعد ١٨٧٠م فصاعداً وحتى سقوطها في عام ١٩٢٢م، كما سبق أن أشرنا إليه، نتيجة صراعاتها الداخلية وتمردات عليها، بما في ذلك تمردات أهل الجوف، وكذلك في تصادم وتنافس مع قوة صاعدة (قوة ابن سعود) مع العقد الأول والثاني من القرن (٢٠) الميلادي، وخلالهما. كل ذلك جعلها منشغلة بنفسها مما حدّ من ضيقها السياسي وقلل من تركيزها على التوسع في «التشدد الديني». فوق ذلك قوتها الاقتصادية (المالية) كانت محدودة، ومستنزفة، في نفس الوقت، في تلك الصراعات، وبالتالي حدّ من قدراتها وإمكاناتها (الصرف والإنفاق) على الحشد والتعبئة الدينية في الجوف. في المقابل فإن سلطة الرشيد، وبدل أن تعمل على تحسين أوضاع أهل الجوف المعيشية، كانت تفرض على الجوف وأهلها الضرائب، مما يستنزف ما لديهم من موارد، هي في الأصل محدودة، فيزيد من ضيق حاجة الناس المعيشية وتدهور حالتهم الاقتصادية، وهو ما يعني للأهالي الانشغال بأمور الحياة والعمل، بما فيها الحاجة للمرأة في العمل والإنتاج في المزارع/ الحوَط وفي الذهاب (القرش/ القراش) للبر لجلب العشب والحطب ومستلزمات الحياة. كل ذلك شجع، من ناحية ضيق اقتصادي لدى الناس بالجوف، على تواصل الانفتاح على المرأة والموقف منها في العمل والتعامل.

٢ ـ فترة حكم «الشعلان»

استمرت ما بين ١٩٠٩م و١٩١٨م، ثم فترة قصيرة وأخيرة في ١٩٢١ ـ ١٩٢٢م، كانت فترة يبدو فيها قدر أكبر من مساحات الانفتاح، إما بالاسترخاء، بالتخفف مما كان مفروضاً من التشدد فرضاً في فترة الرشيد، أو في تواصل ما كان من الانفتاح بالأصل قائماً. سلطة الشعلان طرأ عليها وعناصر وأفراد مجموعاتها (الرولة) قدر من التديّن/ الدين وممارساتها في الجوف، كما لاحظ الرحالة «موسيل» في زيارته الثانية للجوف بتزايد أعداد الرولة في أداء الصلاة، بخلاف ما كان عليه الحال، أثناء زيارته الأولى للجوف عام ١٩٠٩م، متأثرين، على ما يبدو، بجنودهم من الفرات والقصيم الملتزمين بالصلاة وأدائها، وكذلك بتشبع جنودهم من القصيم كما هم أهل الجوف «بأفكار الوهابية» (موسيل، رحلة ١٩١٤ ـ ١٩١٥م/ ١٣٣٣هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٢٦ ـ ٤٢٧). ومع ذلك كله لم تكن سلطة الشعلان ذاتها معنية كثيراً بالمسألة الدينية ونشرها، ولم تكن أصلاً في صلب مشروع سلطتها، ولا كانت مشروعيتها قائمة على بعد و/ أو أساس ديني. من هنا يبدو أن الجوف وأهلها، من ناحية الانفتاح، نعمت ونعموا بقدر كبير من مساحاته في فترة حكم وسلطة الشعلان، علماً أن هذا التواصل في الانفتاح كان مدعوماً، بالتوازي، بتواصل الضيق الاقتصادي (المال) لدى الأهالي، والذي يعود في جزء منه لتواصل

---

(١٧) (قصر الإمارة)، ومسجد القصر نفسه، أُقيم كل منهما، على أراض وأملاك شبه مغتصبة من «الفالح»، بما فيها هدم ومصادرة «قصر خليف الفالح/ قصر الشهيباء»، وأصبح المسجد الجديد،وهو ما يعرف بـ «مسجد القصر». (عن بعض تفصيلات قصة المصادرة، انظر ما ورد عنها في: الهامش (١) من الفصل أعلاه.

حالة استنزاف موارد الجوف وأهلها، على قلّتها، من قبل السلطة الحاكمة (الشعلان) عبر الضرائب والأتوات، فضلاً عن الهدم والحرق للممتلكات، وتفريغ مجموعات من شبابها للعمل والقتال معها في أطراف الجوف، شمالاً وغرباً، في أحيان أخرى. ورغم ذلك الانفتاح في فترة حكم الشعلان، إلا أن فترتها الأخيرة (١٩٢٢م) لم تخلُ من نشاطات دينية وهابية؛ ففي أثناء تواجد الرحالة البريطاني (سانت جون فلبي) في رحلته للجوف، في نيسان/ أبريل ـ أيار/ مايو من العام نفسه، وحول «منوة» بين «كاف» و«إثرة»، كانت هناك نشاطات وغزوات وقتل مروّع قامت بها عناصر وقوة هابية في الجوف ووادي السرحان، ولكنها على ما يبدو خارجة عن سلطة الشعلان، ولا تعمل بالتنسيق معها، ولذلك تصادمت معها. عن تلك النشاطات والغزوات الوهابية والمصادمات معهم وضدهم يسجل الرحالة «فلبي» في ١٦ أيار/ مايو ١٩٢٢م القصة التالية: «في الليلة... أي ليلة ١٤ مايو بينما كنا نستعد للنوم للانطلاق المبكر في الغد ظهر مجحم مع كاتبه وأخرج نسخة «لاتفاقية»، شرحها لنا وطلب توقيعها إذا أردنا المغادرة. وبما أن النقاش يقود فقط للتأخير وبما أنني أعرف بشكل مؤكد أن «اتفاقية منوة»، التي لا أرى الكشف عن بنودها ضرورياً، لن تُرضي الحكومة الملكية البريطانية. لم أكن مع ذلك في المزاج أو الموقف الذي يُراعي تفاصيل الإجراء الدبلوماسي فوقعت على هذه الاتفاقية. وكان من حسن الحظ توقيعها كما سيتبين. رفضت الحكومة البريطانية الاعتراف بها، بل أنكرتها، كما ينبغي، ولكن ذلك تم بعد أن انتهى بيت الشعلان كقوة مستقلة. أما نحن فقد حققنا بسببها زيارة الجوف بدون أن ندفع رشاوي، بل حفظتنا من ألم وجودنا في وسط معركة منوة، التي وقعت خلال ٣٦ ساعة من توقيع الاتفاقية. في هذه المعركة أحسن مجحم وعائلته معاملة الضيوف الجدد بالتصرف الشجاع في أرض المعركة ضد الوهابيين، الذين وقعوا عليهم بدون سابق علم صباح السادس عشر من شهر مايو. لقد هزموا الوهابيين هزيمة كبيرة وتم القبض على قائدهم ومن كان معه. في صباح يوم ١٥ مايو... لحسن الحظ، لم ينتصر أي من الرأيين. لقد كان قادتنا متلهفين وبعصبية للمسير بسبب تقارير غامضة عن النشاطات الوهابية في المنطقة. وفي الأخير اتفقوا على الاتجاه شرقاً إلى أبار قراقر، وهي موضع مهجور في نطاق المنطقة التلالية إلى الشرق من وادي السرحان، حيث قضينا الليلة هناك. في تلك الليلة، خيّمت قوة كبيرة من الوهابيين عند ماء البيضاء. في اليوم التالي وعند شروق الشمس أبادوا الشرارات في مخيم غطي، ثم اتجهوا إلى منوة حيث تمت هزيمتهم في معركة منوة بواسطة مجحم ورجاله... لقد جاء الوهابيون من أعماق وسط الجزيرة العربية على بعد ٧٠٠ أو ٨٠٠ ميل، حيث التفوا من خلال الجناح والجانب الغربي للنفود الكبير. بينما يستحيل القول: ما هو الرقم الحقيقي لهذه القوة؟ ـ ربما ٥٠٠ أو ٦٠٠ رجل في مجملهم ـ ما يقارب ٢٠٠ منهم هلكوا في منوة، ومصير المتبقين غير معروف. إنه لمثير حقاً، عدم رؤيتنا أية إشارة لتراجعهم في طريقنا مما يعني أنهم كانوا يسيرون أسرع منا. وأيضاً ليس من المستبعد أن تكون أغلبيتهم قد ضلت الطريق فهلكوا من العطش. إن هذا الحدث كان الإنذار الأول لنا باقتراب التهديد الوهابي لحدود شرق الأردن» (فلبي، رحلة ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٨٧ ـ ٤٨٩).

رغم النشاطات الوهابية تلك، وكذلك رغم ما قاله ولاحظه موسيل، من تزايد انتشار الأفكار الوهابية في الجوف عموماً وبين سكانها في ١٩١٥م، إلا أنه يُلاحظ أن القرى الشمالية للجوف (كاف، وما حولها

من قرى، مثلاً) كانت أقل تأثراً بها. في ما يتصل بالدين/ التديّن ضيقاً وسعة بها، وكذلك بكون الجوف عموماً، ملاذاً للطامحين بالحرية والراغبين بالانعتاق من عبودية (نير وشدة وقيود) مناطقهم الأصلية، فضلاً عن الشدة/ «الضيق» الاقتصادي لأهالي الجوف، الرحالة سانت جون فلبي، في رحلته ١٩٢٢م، يرصد ظاهرة شاملة مذهلة، ولأهميتها نورد النص عنها كاملاً، حيث يقول: «... ولكن في كاف والقرى التابعة لها انغمرنا في أعماق الحياة العربية المدنية... قاعدة الحياة الكريمة هنا، هي البطالة الصرفة التي لا يقطع رتباتها إلا حضور الصلوات الخمس، وزيارة الجيران لشرب القهوة، وحضور جلسات الصباح والمساء في مجلس الحاكم المحلي خارج سور المبنى الذي يشبه قلعة، ويسكن هو بداخله. كثير من سكان كاف والقرى حولها كانوا في السابق من سكان وسط الجزيرة العربية. **فالحاكم المحلي في هذا الوقت (وقت زيارتنا) خرج من بريدة قبل أربعين عاماً ليأتي إلى هنا. كذلك القاضي المحلي كان من نفس المدينة حيث غادرها قبل خمسة عشر عاماً ساعياً للراحة بالابتعاد عن سيطرة الوهابية كما أخبرني. ويوجد كثير من الناس هنا جاؤوا من عنيزة ومراكز القصيم الأخرى**. ولكن أحدث الواصلين هنا، وهذا ربما تجدر الإشارة إليه، هو وجود عشرة أو اثني عشر شخصاً من المتحمسين الوهابيين، الذين استقروا هنا بهدف نشر الإيمان الحقيقي. ولا يستطيع أحد هنا أن يقول لهم لا. إنهم لم ينجحوا حتى الآن إلا في وقف عادة التدخين. ولكن لا أشك في أن سكان مستوطنات القريات، وفي الوقت المناسب، ومن ذاتهم سيدخلون في العقيدة الصافية، وتكون لهم طريقة حياة...» (فلبي، رحلة ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢: ٤٨٠ ـ ٤٨١). من النص نلاحظ ويهمنا التالي:

١ ـ أن الجوف، وقراها، بما فيها كاف وما حولها من قرى، كانت ملاذاً للباحثين عن الحرية والتحرر من قيود مواطن الأصل. لاحظ عدد المستقرين فيها من نجد، ومن القصيم تحديداً. لاحظ أن الحاكم المحلي لكاف عام ١٩٢٢م هو من بريدة في القصيم مهاجر هنا منذ عام ١٨٨٢م تقريباً. لاحظ أن القاضي هنا هو في الأصل كذلك من بريدة/ القصيم، وقدم هنا في حدود ١٩٠٧م، بحثاً كما يقول هو بنفسه عن «الابتعاد عن سيطرة الوهابية». هذه النقطة برمتها، تندرج في ما سبق وأن قلناه وتحدثنا عنه في أكثر من مكان، وبالذات، في تفسير الحرب الأهلية بالجوف، وفكرة النزوع للكرامة والندية والاستقلالية والتحرر وعدم القبول بسيطرة الآخر، وكذلك في المناقشات عن ثقافة وحالة كل من الوعي والانفتاح للجوف وأهلها، والخبرة التاريخية عندهم في النزوع نحو الحرية والتحرر والتمرد على أية سلطة ظالمة، منهم أو من خارجهم، وفي الخلفية لتوافد أفراد ومكونات مجموعات أهالي الجوف للجوف والاستقرار فيها و/ أو حتى في نزوح المجموعات والأفراد داخل الجوف وفيما بين بلداتها و/ أو أحيائها بحثاً عن الكرامة والاستقلالية (الحرية).

٢ ـ ليس صحيحاً أن لا أحد يقف بوجه الأشخاص (حوالي ١٠ أو ١٢) من المتحمسين للوهابية والذين قدموا حديثاً إلى «كاف» لنشر العقيدة/ الإيمان الحقيقي. هؤلاء كانوا يعملون في هذا الوقت تحت إمرة وسلطة الشعلان، والدليل أن الشعلان، بقيادة «مجحم»، وجماعته تصادموا وهزموا في معركة «منوة» تلك «القوة الوهابية» التي أشار لها الرحالة فلبي عن يوميات «١٤ ـ ١٦ أيار/ مايو١٩٢٢م» من رحلته للجوف. من هنا فالشعلان، كانوا يغضون عنهم البصر، علماً أن نشاطاتهم محدودة، وتجري تحت

نظرهم ونفوذهم في «كاف» وقراها المجاورة، لأنهم كانوا يرغبون بذلك ولأنها تخدمهم آنذاك، حيث الجوف (سكاكا بالذات) غير مستقرة وفي صراع معهم.

٣ ـ مع ذلك يلاحظ في هذه القرى أن النشاط الديني في التجمعات السكانية المستقرة (كاف مثلاً) كان محدوداً جداً وإنجازاته لن تتجاوز وقف عادة التدخين حصراً، دون سواها.

٤ ـ لاحظ القتل الجماعي والمجازر المروعة للآخرين «المخالفين»، في ما أشرنا لها آنفاً، مما أورده عنها، الرحالة «فلبي» بالقول «... في تلك الليلة، خيمت قوة كبيرة من الوهابيين عند ماء البيضاء. في اليوم التالي وعند شروق الشمس أبادوا الشرارات في مخيم غطي...». لاحظ أن الإبادة تمت باسم الدين(!)، رغم أن من تعرضوا للقتل والإبادة الجماعية (الشرارات) هم مسلمون وآمنون، لكنهم، بنظر المهاجمين وتصوراتهم المذهبية، «مخالفين»، بل ربما كانوا «كفاراً».

يبدو أن التشدد الديني (الضيق) لم يكن في هذه الظروف لينجح، لأن السلطة (الشعلان) ذاتها غير معنية بها ضمن مشروع سلطتها، ولأنها هي «ضعيفة» متآكلة ومنشغلة بنفسها، فضلاً عمن بحولها، في سياق تصاعد مجابهات أهل الجوف لها، وتنامي قوة صاعدة (ابن سعود)، وعدم حصولها، في المقابل، على دعم دولي (إنجليزي/ فرنسي) لفكرة جنينية لمشروع دولة «مملكة الشعلان العربية» (Lancaster, 1981: 126) في الجوف ووادي السرحان (شمال غرب الجزيرة العربية). من هنا كان مستقبلها كسلطة ومشروع «مملكة» غير مؤكد على الاطلاق. هذا الضعف في السلطة، بكل متغيراتها الذاتية والمحلية في الجوف، وفي المحيط شمالاً وغرباً وجنوباً، وكذلك في عدم حملها لمشروعية دينية، جعل من ضيقها السياسي محاصراً، فسلطتها غير راغبة في أو قادرة على التوسع في التدخل في المجال العام الأهلي وممارساته الثقافية، فضلاً عن أن الثقافة البدوية والشمالية، وللرولة على نحو خاص، هي بذاتها منفتحة، بل أكثر انفتاحاً في هذه السياقات الثقافية مما هو سائد بين حاضرة أهل في الجوف.

٣ ـ الدولة السعودية الثالثة (١٩٢٢ ـ ٢٠١٣م+):

أ ـ فترة ١٩٢٢ ـ ١٩٦٥م

في الفترة ما بين عام ١٩٢٢م، عام دخول الجوف طوعاً وبرغبة وطلب من أهاليها في حكم وسلطة ابن سعود للتو ناشئة صاعدة، وحتى أوائل ومنتصف عقد الـ «١٩٣٠sم»، كانت السلطة والحكم الجديد منشغلة بعملية التوحيد ومشاكلها، ولحقتها فترة انشغال بتأسيس بنية الدولة وأجهزتها، امتدت حتى الخمسينيات من القرن الماضي. خلال هذه الفترة (١٩٢٢ ـ ١٩٥٥م+)، ورغم أن السلطة الجديدة قائمة على امتداد وفي سياق مشروعية دينية/ وهابية، إلا أن انشغالاتها الأولى مع ضعفها الاقتصادي والمالي النسبي (البترول لم يكتشف إلا في عام ١٩٣٨م فصاعداً وعوائده المالية لم تظهر فوائدها إلا بعد عقد من الزمن تقريبا «أواخر ١٩٤٠sم»)، فضلاً عن طواعية الجوف بالانضمام للسلطة والحكم الجديد، حالت دون ضيقها السياسي والديني في التوسع بالجوف. وفي المقابل كان لتواصل ضيق الأهالي اقتصادياً (مالياً) في مواصلة مساحات من الانفتاح وممارساته الثقافية في هذه الفترة. مع ذلك، فإن الجوف، وفي الفترة عينها، شهدت أحداثاً مثيرة، منها: ١ ـ ما عرف بحركة الجناح الشمالي للأخوان

(مجموعة ابن مشهور الشعلان) في حدود ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م شارك فيها، عدد من شباب ورجال الجوف آنذاك، كما تأثر بها وبهم آخرون، وانتشرت في الجوف موجة دينية/ مصاحبة (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٢ ـ ٦ من ٦، والطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٧ ـ ٨ من ٢١) (في تفصيلات حركة الأخوان/ الجناح الشمالي بقيادة ابن مشهور الشعلان، وأسماء من شارك فيها من أهل الجوف، ومن قتلت من أهل سكاكا، وبالذات من جماعة «القرشة» عند دخولها سكاكا)[١٨]؛

---

(١٨) **واقعة الإخوان (جناح الشمال/ ابن مشهور الشعلان) في الجوف (سكاكا) ١٣٤٦/ ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م (؟) ـ وذبحة القرشة:**

قصة الإخوان ١٣٤٦/ ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م؟)، واقعة، وإن تعلقت بصراعات يمكن أن تُضاف جزئياً على الصراعات بالجوف بعد ١٩٢٢م، إلا أن أهميتها تكمن في ما تعلق منها بالناحية الثقافية والأيديولوجية (المذهبية/ الدينية) في سياق التعاليم والقيَم الوهابية (ضيق الدين، أي بالتوسع في التضييق على الناس بالتدخل بحياتهم الخاصة ومجالهم العام)، ومدى تغلغلها بين أوساط أهالي الجوف، بل ومشاركة عدد من أبنائها فيها، وبعض من نتائجها المأساوية وملابسات القتل الذي تم من الحركة في دخوله سكاكا، وبالذات ضد جماعة «القرشة» في منطقة «الضلع» و«السوق». بناء عليه نورد القصة، لذاتها، ولما تنطوي عليها من تداخلات ثقافيدينية/ مذهبية (ضيق الدين تجاه الناس)، ملخصة على الجملة مما سمعناه وكتبناه من رواية هلال سالم النصر عن الواقعة، ذكرها لنا في مقابلة أجريتها معه في ٢ ـ أيلول/ سبتمبر ـ ٢٠٠٢م. تذهب رواية، هلال سالم النصر عن واقعة «الإخوان» ١٣٤٧هـ وذبحة القرشة»، إلى القول: إن ثورة الإخوان على الملك عبد العزيز، كان قد شارك فيها من الشمال (الجوف وما حولها) ابن مشهور الشعلان، ومعه بعض عناصر قليلة من المنطقة، وكذلك من أبناء الجوف، ومنهم: عبد الله الكايد، عقلاء الحميد، عبد الرحمن الصليع، عبد الرحمن الصليع، سمير السطام، وشلال المنزل، وعبد الرحمن خليف الفالح. وذكر هلال النصر أن عبد الرحمن الفالح، وإن كان مع حركة الإخوان (ابن مشهور)، لكنه لم يذهب معهم، ولم يذهب إلى العراق فراراً بعد القضاء على الحركة من قبل حملة لابن سعود بقيادة ابن مساعد الجلوي لاحقاً. ويعلق هلال النصر، على هذه الحركة بالقول، إن حركة الإخوان هذه في المنطقة يمكن تشبهها بظاهرة الشباب الإسلاميين الحالية، حيث إن الشباب في المنطقة آنذاك، بدأت عليهم ظاهرة التديّن، والإعجاب بحركة الإخوان والتي التحق بها عدد منهم. وذكر هلال النصر، أنه وبعد وصول قوات ابن مساعد الجلوي، التابعة للملك عبد العزيز، والتي أرسلها للقضاء على حركة الإخوان وابن مشهور في الجوف وشمال غرب الجزيرة العربية، هرب عدد من أبناء سكاكا، ومنهم: عبد الله الكايد، عقلاء الحميد، وسعود السليمان الرشود، والشيخ عبد الرحمن الصليع، وكان الأخير شيخاً عند ابن مشور الشعلان، وأضاف هلال، أنه وفي وقت لاحق، وبعد مرور فترة من الزمن(؟)، فقد تم السماح لأولئك الاشخاص بالعودة إلى بلادهم، وقد تمت عملية العودة على النحو التالي: ١ ـ تم السماح بالعودة لكل من؛ عقلاء الحميد، وكذلك عبد الله الكايد بوجه (ضمان) الشيخ فيصل بن مبارك. وفي هذا السياق يذكر هلال، أنه وفي إحدى المرات وبعد عودة عقلاء الحميد، مر الأخير على جماعة، وفيهم الشيخ فيصل بن مبارك، ولكنه لم يسلم عليهم، وكان الشيخ فيصل يعرفه، وهو قد سهل عودته للجوف على ضمانته وبوجهه. نادى الشيخ فيصل على عقلاء الحميد، وقال له: ما تسلم ليه، ما تعرفنا، فرد عليه عقلاء الحميد بأنه لا يعرفه، فرد عليه الشيخ وعرف بنفسه، فسلم عليه عقلاء الحميد، ولكنه غادر دون أن يبدي نوعاً من المجاملة تجاه الشيخ فيصل، من حيث إنه لم يدعه على قهوة أو التفضل عنده. ٢ ـ بالنسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الصليع، فيقول هلال النصر عنه أنه قد تم السماح له بالعودة بوجه وضمان النشمي آنذاك (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٢ ـ ٣ من ٦).

وفي سياق القصة، يقول هلال النصر، أما بالنسبة لـ «عبد الرحمن خليف الفالح»، والذي كان مسجوناً، ولم يغادر مع الآخرين للعراق، فقد طالب ابن سعيد (أمير الجوف آنذاك) من خليف الفالح، إحضار بندقية (بارود) أمانيه ((يبدو مقصود ألمانية ـ صنع المانيا))، مقابل الإفراج عن ولده عبد الرحمن. ولما أصر أبن سعيد على الشرط، ولم يكن عند خليف الفالح ذلك النوع من البارود (البندقية)، وعرف من أحد الأشخاص أن تلك البندقية موجودة عند «الصقعبي»، ذهب خليف الفالح إلى «الصقعبي»، وطلب منه البندقية، فأنكر «الصقعبي» بالبداية وجود تلك البارود، ولكن خليف الفالح أخبره بالقصة، وكذلك بأن تلك البندقية موجودة في المكان الفلاني عنده، وافق أخيرا على بيعه أياها (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٣ ـ ٤ من ٦). وفي سياق القصة وحركة الإخوان وابن مشهور في عام ١٣٤٧هـ، يذكر هلال النصر، أن ابن مساعد الجلوي، وهو كان أميراً على حائل وتتبعه آنذاك الجوف، عندما استتبت الأمور بالجوف وما حولها، وقد قضى على حركة ابن مشهور ومن معه، كان يريد قتل أولئك الذين شاركوا مع حركة الإخوان وابن مشهور من بناء المنطقة وأهل الجوف، ومنهم عبد الرحمن الصليع... إلخ، حيث طلب ابن مساعد من النشمي أن يسلمهم له لقتلهم، رغم أن النشمي كان هو الضامن والكفيل له. تردد النشمي في الأمر، مما جعل أول برقية تصل للجوف في تاريخه في ذلك العام (يبدو عام ١٣٤٨هـ أو ١٣٤٩هـ) من الملك عبد العزيز تفيد بـ: ضم الجوف إداريا إلى الحجاز، فكان أن أنقذت تلك البرقية أولئك الاشخاص من القتل، وكذلك النشمي من الإحراج (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٤ من ٦). وفي تفصيل واقعة حركة الإخوان وابن مشهور في الجوف (سكاكا تحديداً) في عام ١٣٤٧هـ، وذبحة القرشة التي نتجت عنها، يقول هلال سالم النصر، إن الإخوان وابن مشهور، عندما دخلوا سكاكا انقسموا قسمين؛ قسم أخذ الديرة من الشمال الغربي، وقسم من الغرب الجنوبي. وذكر هلال النصر أنه عندما اقترب الإخوان وابن مشهور من منطقة =

٢ ـ توافد ونشر مجموعات عناصر دينية/ وهابية شبه عسكرية (ما عرف محلياً بـ « القوة»/ الإخوان)،

= القرشة قام كل من: يوسف العشيش، وذياب أخو خابور الخدير (عنزي)، وخطار السويلم... قاموا بإطلاق النار عليهم، فقام الإخوان وابن مشهور وتجمعوا مهاجمين منطقة القرشة، حتى وصلوا إلى سوق البحر، حيث وقعت معركة غير متكافئة بين المدافعين من القرشة من جهة، وبين المهاجمين من الإخوان وجماعة ابن مشهور من جهة أخرى. ويذكر هلال النصر أن تلك المعركة كانت مذبحة... قتل فيها من القرشة ما لا يقل عن ستة أشخاص، وجرح منهم على الأقل واحد. من القتلى يذكر هلال النصر التالية أسماءهم: ١ ـ تماني الهفيل ٢ ـ شميريخ السويلم ٣ ـ عتلان العويضة ٤ ـ منزل القاسم من الشمردل (وهذا كما يقول هلال هو أخ غير شقيق (من الأم) لـ: محسن مخلف الفالح) ٥ ـ محسن الصليع (الدرعان)، ويذكر هلال أن هذا الاخير خرج بسيفه ليقاتل المهاجمين، ولكن المهاجمين معهم بنادق فأردوه قتيلا، ويعلق هلال على حركة محسن الصليع بالقول انه شجاع، ولكن الشجاعة لا تكفي أو تصلح في مثل هذه الاوضاع ٦ ـ فياض العشيش. ومن الجرحى: سالم النصر (ابو هلال) (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في: ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٥ من ٦). ويذكر ابو محمد (هلال سالم النصر) أن الكثيرين تعرضوا للأذى، وأن أعدادا من القرشة فروا. ويقول هلال سالم النصر، أنه هو وأخوه ((يبدو صالح)) وكانا لا يزالان صغيرين، هربوا باتجاه المعاقلة، وقد استداروا على عدد من بيوت المعاقلة، ولكن لا أحد من المعاقلة أجارهم، إلا عندما وصلوا قصر محسن الفالح، حيث تم إيواؤهم. ويضيف هلال النصر بالقول، إن والدته عندما لم تجدنا في البيت، ولم نعود مع قدوم الليل، بعثت بأخ لها (خال العيال)، وقالت اذهب إلى محسن الفالح، وسوف تجدهم هناك. ويضيف ابو محمد هلال النصر، معلقا، إن لهم (أي عائلة النصر) علاقة ممتازة مع الفالح ومحسن الفالح، ويضيف قائلاً أننا (أي عائلة النصر) كنا، في الأصل، نسكن في المعاقلة، ولكن والده (سالم النصر) بدأ يسمع كلاماً غير طيّب من بعض الناس هناك أو يسمعونه كلاما غير طيِّب، فقررنا الارتحال إلى السوق (سوق البحر ـ شمال مسجد الشيخ فيصل بن مبارك) (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٦).

في سياق ما تقدم من قصة حركة الإخوان وابن مشهور وتصادمها مع أهل الجوف (سكاكا)، لنا (الباحث) بعض الملاحظات نوردها كالتالي:

١ ـ ويبدو أن اشاره هلال النصر لـ «النشمي» إنما هو ابراهيم النشمي، وكان، طبقا لما ورد في كتاب السديري عن الجوف ـ وادي النفاخ، أميراً للجوف بالوكالة عن عبد الرحمن ابن سعيد، ما بين شهر ذي الحجة ١٣٤٨هـ/ يونيو ١٩٣٠م، وحتى شهر رمضان ١٣٤٩هـ / يناير ـ فبراير ١٩٣١م (السديري، ١٩٨٦: ٧٢)، وهو ما يشير إلى أن أحداث تلك العودة وقعت في فترة تواجده وكيلاً في إمارة الجوف. ورغم قول هلال النصر عن قصة الشيخ فيصل المبارك وعقلاء الحميد، فإن الباحث يود أن ينبه إلى احتمال أن يكون هناك خطأ و/ أو خلط بالأمر، حيث إن الشيخ فيصل المبارك، وطبقاً لبعض المصادر، وصل للجوف في عام ١٣٦٢هـ (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٧٣)، وهذا التاريخ متأخر عن الواقعة بثلاث عشرة سنة على الأقل، وعليه إما يكون هناك شيخ آخر تتعلق به القصة، أو أن الشيخ فيصل بن مبارك كان في الجوف مؤقتاً آنذاك، أو أن تكون عودة عقلاء الحميد حدثت في أو بعد ١٣٦٢هـ، وهذا احتمال ضعيف جداً.

٢ ـ هناك سؤال مفتوح لا إجابة عليه، ولكن نطرحه وهو: إذا كان هناك عناصر من أهل الجوف (سكاكا) ومن القرشة ومن المعاقلة، وخاصة من القرشة عناصر وردت بعض أسمائها، وكانت منضمة إلى حركة الإخوان وابن مشهور عام ١٣٤٧هـ، فكيف ولماذا تهاجم قوات الحركة أهل سكاكا وبالذات أهل القرشة؟ والأهم هو، في ضوء حدوثها، وفي احتمال أن انضمام عناصر من أهل سكاكا معها كان سابقاً لدخول الحركة الجوف وسكاكا تحديداً، فكيف يفسر موقف عناصر أهل سكاكا من التصادم وقتل الأهالي (ذبحة القرشة تحديداً كما وردت) بسكاكا؟ لاحظ مثلاً أن عبد الرحمن الصليع الدرعان، وهو كما ورد في الرواية شيخ عند ابن مشهور ومع الحركة، بينما محسن الصليع (أو محمد الصليع) كما ورد في رواية سعد الطارف عن حركة الإخوان، نوردها لاحقاً (الطارف، سعد (I)، في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٧ ـ ٨ من ٢١) وهو قد قُتل ضمن من قُتل من قبل نيران وبنادق الإخوان، في ما ورد من ذبحة الإخوان ١٣٤٧هـ للقرشة، علما أن محسن الصليع (أو محمد الصليع) كما يبدو من شجرة انساب القرشة هو أخ لعبد الرحمن الصليع، طبقا لما أورده عبد الرحمن الشايع الكريّع في كتابه عن الجوف ١٩٨٤م (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (II)، ١٩٨٤: ٩١). وإذا كان انضمام عناصر من أهل سكاكا سواء من القرشة أو من المعاقلة، وبالذات من المعاقلة، حدث بعد واقعة مذبحة الإخوان للقرشة، وهو احتمال ضعيف جداً، فكيف نفسر قبول هؤلاء بالانضمام للحركة التي قتلت عدد من أهلهم!؟ أرجح أن انضمام عناصر سكاكا للحركة كان سابقاً لواقعة دخولها سكاكا وما تلاها من تصادمها مع أهلها وبالذات مع القرشة (وذبحة القرشة)، وعليه يبقى السؤال الأول لا جواب له عندي، إلا إن كانت هذه العناصر من أهل الجوف (سكاكا) في موقفها من الحركة ومن المذبحة يغلفه فكرة الإيمان في مواجهة الكفر (الولاء والبراء)، بمعنى أن من مع الحركة هو من المؤمنين ويصبح منا، ومن منه خارج الحركة وتصوراتها فهو ضدها وضدهم وهو عدو كافر يستحق القتل حتى لو كان من الأهل(!). علماً أن الحركة وقوات الإخوان عندما مرت من غرب المعاقلة باتجاه الشمال ونحو القرشة تصادمت مع عناصر من المعاقلة غرب شمالي المعاقلة (منطقة بيوت وقصر العيادة ـ السليمان)، كما يذكر سعد الطارف في روايته عن حركة الإخوان.

٣ ـ أطراف من قصة حركة الإخوان وتصادمها مع الأهالي في سكاكا، سمعتها ومن سعد الطارف، في مقابلة مسجلة أجريتها معه، في ٢٧ ـ يوليو ـ من عام ١٩٨٩م، وفيها بعض الإضافات عن ما اورده هلال النصر، وخاصة لزاوية تصادم الحركة مع المعاقلة أولاً، وإن كان خفيفاً عارضاً، وثانياً لما يتعلق بالإصابات في جانب القرشة من قبل قوات الحركة. عن حركة الإخوان ودخولها في الجوف (سكاكا)، سعد الطارف في رده عن سؤال طرحه عليه ممدوح السلطان (السؤال هو: هل صحيح أن ابن مشهور يوم جاء الديرة، ووصل حدود المعاقلة، قال =

في فترة متزامنة مع حرب فلسطين الأولى ١٩٤٨م، والتي يبدو أن وجودها استمر بالجوف حتى أوائل

= للي معه؛ لا أحد يطلق النار بالمعاقلة؟)، علماً أن ممدوح السلطان كان حاضر المقابلة ومرتب لها، مشيراً إلى حركة ابن مشهور وعلاقتها بحركة الإخوان ضد ابن سعود، وهو نفسه شاهداً عليها ومشاركاً مع آخرين ضدها، يقول: «... هو لما روح... هو كان غزاي... حيث اغتروا... هذولا قامو على ابن سعود تراهم... هذا وقومه اتجهوا شمالا، مركوبتين اتجهت شمالا... على مثواهم في «قشاطه»... حيث كانوا نازلين على «قشاطه»...، «ويضيف سعد الطارف عن استعداد الأهالي ضدهم وتوزعهم على بعض الاماكن والمواقع وحمايتها من قوات الإخوان، فيقول؛ «... قام الناس بالذهاب يقضبون... ناس ارسلوها إلى ديرة المنديل، وهاللي عندها، وقالوا لا يخشها أحد... وناس قضبوا من قبله (جنوب)، وقالوا لا يخشها أحد... والله أنا ((يقصد نفسه، أي سعد الطارف))، وصبر المضحي، وراشد القايد، وعلي (العايش!)، وآخرين... صرنا بديرة العيادة، بحزم ـ قصر العيادة... وإذا بهم ((يقصد جماعة الإخوان وابن مشهور))... طلعوا من عند حليقيم... واعطيناهم النار الدايمه... فتراجعوا، وعبروا على الضلع... وذبحوا: عتلان، وشميريخ، ومنزل ((يبدو منزل القاسم))، ومحمد الصليع(!)، وذبحوا البشري، الله لا يلبى، خمسة...» (الطارف، سعد (I)، ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩: ٧ ـ ٨ من ٢١).

٤ ـ بينما أورد هلال النصر في روايته عن حركة الإخوان بالجوف ١٣٤٧هـ من ضمن القتلى، اسم «محسن الصليع»، يورد سعد الطارف اسم «محمد الصليع» على أنه من قُتل من قبل الإخوان، ولا بد أن هناك خطأ ما، إما من هلال النصر، أو من سعد الطارف، أو من (الباحث) والأخير ربما هو الاكثر احتمالاً، وإن كان غير مؤكد. في هذه السياقات من الاختلافات بين الروايات، لاحظ أن سعد الطارف أورد في روايته اسم شخص من ضمن القتلى هو «البشري» لم يورده هلال النصر في روايته.

وسبقت هذه الواقعة، حركة أخرى في عام ١٣٤٣هـ، ذات صلة بأهل الجوف (سكاكا)، ولأهميتها التاريخية نضعها، كما سمعناها من هلال سالم النصر، في نفس المقابلة (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٤ ـ ٥ من ٦). وتلك الواقعة وقصتها مجملة هي:

واقعة «غزوة بن فردان» لوادي السرحان ـ عام ١٣٤٣ هـ ومحاولة قتل عدد من أبناء سكاكا بتهمة الاشتراك مع الغزو

في سياق القصص، ذكر هلال سالم النصر، أنه في عام ١٣٤٣هـ، في وقت كان ابن عقيل هو أمير الجوف (عهد وحكم الملك عبد العزيز)، كانت هناك محاولة لقتل عدد من أبناء سكاكا، ومنهم: «**صنيتان الدرعان، وابن كبيريت، ومسعر البليهد، وندا السهيان، ومرعيد الدندني**»، وذلك بتهمة الاشتراك مع غزو لجماعة من شمر بقيادة «بن فردان»، حيث غزا الوادي. هذا وقد تم القبض على «ابن فردان»، وأربعة أشخاص آخرين، تم قتلهم من قبل ابن عقيل، في دومة الجندل، أم صنيتان، وابن كبيريت، فقد جلوا وذهبوا مع «أبن مزيريق» (شمر)، ثم ذهبوا إلى «ابن مجلاد»، وهذا الأخير لاحقاً دخل على الملك عبد العزيز وتوجه عليه طالباً العفو عنهم وهو ما تم. (النصر، هلال سالم، مقابلة (II)، في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢: ٤ ـ ٥ من ٦).

الإخوان ومذبحة أهل الجوف في وادي السرحان ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م

وسبقت تلك الواقعتين، واقعة أخرى مأساوية دموية ذات صلة بالإخوان وقتلهم لحوالي ثمانين من أهل الجوف، فضلاً عن إبادتها لمجموعة كاملة من الشرارات، وكل ذلك له دلالات تاريخية وأيديولوجية ذات صلة بالعنف والتطرف. تذكر رواية محلية أنه في فترة ما لم تُحدد، إلى أنه «تصادف أن عدداً لا يستهان به من أهل الجوف جايين (قادمون) من الغربية، أي ديار الأردن وفلسطين والشام، ولكي يأمنوا على انفسهم، أتوا بشكل جماعي، وهم قرابة الثمانين (رجلاً) فواجهوا حملة للإخوان المسلمين متجهة غرباً، وأهل الجوف متجهين شرقاً للالتقاء بأهليهم، فتمت مهاجمتهم من قبل الإخوان، وتم قتلهم جميعاً، عدا واحد، اعتقد أنه ميت، وهو الذي أخبر عن ذلك، وقيل أنه هرب ولم يتمكنوا من قتله، وهو رزق العفر» (القعيّد، عبد العزيز، ملف في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: ١١ من ١٢؛ وكذلك في: القعيد، مدونة، في ملف من مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ٦ من ٦).

ورغم أن الرواية المحلية لا تشير إلى تاريخ محدد لتلك الواقعة (مذبحة أهل الجوف من قبل قوة الإخوان)، إلا أن الرحالة الإنجليزي «فلبي» ذكر في مذكراته عن رحلته للجوف ١٩٢٢، أن قوة للإخوان «الوهابيين»، قد تصادف وجودها في حدود منتصف مايو من عام ١٩٢٢م، حيث في مساء يوم ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٢٢م ليلاً، أبادت هذه القوة الإخوانية كافة الشرارات الذين كانوا في حينها في مخيم غطي، ولكن هذه القوة الإخوانية الوهابية ذاتها تمت هزيمتها وأفرادها من قبل مجحم الشعلان ـ الرولة في معركة «منوة» في اليوم التالي (١٦ ـ ٥ ـ ١٩٢٢م). إن مقتل ومذبحة أهل الجوف القادمين من الغربية على يد الإخوان التي تشير إليها الرواية المحلية مرتبط بدرجة قوية بهذه القوة الإخوانية الوهابية ونشاطها في الجوف في تلك الفترة، أي في مايو من عام ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ تقريباً. عن تلك القصة، وفي سياق رحلته للجوف وتطوراتها، يحدثنا الرحالة «فلبي» فيقول إنه، وبينما كان لديهم قلق وتخوّف من نشاطات وهابية في منطقة الجوف، فقد حدث أنه وفي تلك الليلة (مساء يوم ١٥ مايو ١٩٢٢م):

«... خيمت قوة كبيرة من الوهابيين عند ما البيضاء. في اليوم التالي، وعند شروق الشمس أبادوا الشرارات في مخيم غطي، ثم اتجهوا إلى منوة، حيث تمت هزيمتهم في معركة منوة بواسطة مجحم ورجاله...»، ويواصل «فلبي» القول: «... استمرت مسيرتنا إلى الجوف ونحن لحسن الحظ جاهلون بالمصائب التي حصلت من وراءنا، ولم نتمكن من معرفة الاخبار إلا بعد وصولنا بسلام إلى الجوف»، ولكنه بعد الوصول للجوف يذكر أخبار طبيعة وحجم ونهاية ومصير الحملة الوهابية تلك بالقول: «... لقد جاء الوهابيون من أعماق وسط الجزيرة على بعد ٧٠٠ أو ٨٠٠ ميل، حيث التفوا من خلال الجناح، أو الجانب الغربي للنفود الكبير. وبينما يستحيل القول: ما هو الرقم الحقيقي لهذه =

«١٩٥٠s م» وفي حدودها. في أثناء هذه الأحداث والوقائع وفي أعقابها وملابساتها يبدو أن قدراً من الضيق (التشدد) الديني حدث بالجوف من السلطة الجديدة، و/ أو بسبب تلك النشاطات ذاتها، وجزء منها مرتبط بالسلطة ذاتها، وخاصة ما تعلق منها بـ «القوة/ الأخوان». ونحن صغار كنا نسمع كلاماً عن تسجيل، أو بالأحرى بالمناداة، في مساجد الحارات والأحياء، على أسماء أهل الحارة من الرجال والكبار في الصلوات، وبالذات في صلاة الفجر. لنتذكر احتجاجات ومظاهرة ١٩٥٠م/ ١٣٧٠هـ في شمال سكاكا ضد «القوة» وتدخلاتها في شؤون الناس. لكن على أية حال في الفترة التي تلت مغادرة ما عرف بـ «القوة» للجوف وانسحابها منه، وما بعدها، وخاصة ما بين ما بعد ١٩٥٥م وحتى أواخر عقد الـ «١٩٦٠s م»، يلاحظ أن انفراجاً و«سعة» في الدين/ التديّن وفي السياسة، وبمعنى عدم التوسع في التدخل في المجال الأهلي وممارساته الثقافية، قد حدث. من هنا يمكن لنا أن نرى ونفهم ما كنا تكلمنا عنه من غناء ورقص وطرب جديد (العود والمطربين في الأعراس) امتد خلال الخمسة عشر سنة للفترة عينها تقريباً. ربما غلو نشاطات وتدخلات ما عرف بـ «القوة» أثناء تواجدها في الجوف، وردة فعل الناس عليها والضجر منها كان أحد أسباب ومتغيرات الانفراج (تواصل الانفتاح) وانحسار في التشدد الديني. لكن العامل الأكثر تأثيراً هو في إضعاف تحالف «ضيق الدين/ التديّن والسياسة» عبر انحسار قوة «السلطة» بضعفها في فترة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٤، حيث الصراع داخل السلطة بين أجنحتها (فيصل وسعود) ترافقت مع تحولات وتحديات في المحيط العربي وقواه القومية والوحدوية والتحررية، والثورات و/ أو الانقلابات (مصر/ عبد الناصر/ الوحدة المصرية السورية/ الانقلاب في العراق، العدوان الثلاثي على مصر... إلخ) الضاغطة وذات التأثيرات القوية على السلطة والمجتمع في السعودية (الحركات العمالية في شركات الزيت واحتجاجاتها في الشرقية... إلخ، والحركات والمطالب الإصلاحية اللاحقة). العامل الآخر الموازي هو في الضعف الاقتصادي للسلطة والدولة السعودية في هذه الفترة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٥م (رغم مداخيل وعوائد البترول، كان هناك كلام كثير عن تبديد الثروة والفساد المالي في هذه الفترة وانهيار ميزانية الدولة). عليه فإن تحالفات ضيق السياسة والدين أضعفت السلطة سياسياً واقتصادياً (مالياً). في المقابل، ورغم تحسن نسبي في أحوال الناس المعيشية بالجوف، إلا أنهم كانوا لا زالوا يعانون من قدر من «ضيق» اقتصادي (مالي)، وهم على أية حال في اعتماد على مصروفات الدولة. من هنا نلاحظ أن فترة الانفتاح ـ وبعناصر جديدة مثل العود والطرب ـ كان هو السائد على الجملة، رغم أن مساحات منه تقلصت دون شك خلال الفترة ١٩٢٢ ـ ١٩٦٥م، وبسبب ما رافقها من مستويات و/ أو جرعات ضيق الدين/ التديّن والسياسة.

ب ـ فترة أواخر ١٩٦٠s م ـ ٢٠١٣م(+؟)

منذ منتصف وأواخر عقد الـ «١٩٦٠s م» فصاعداً وحتى (٢٠١٣م) وما بعدها في الغالب لفترة قد تمتد لسنوات عديدة(؟)، فإنه وعلى امتداد هذه الفترة وطولها يلاحظ، في السعودية عموماً تزايد وتواصل

= القوة؟ ـ ربما ٥٠٠ أو ٦٠٠ رجل في مجملهم ـ فإن ما يقارب من ٢٠٠ منهم هلكوا في منوة، ومصير الناجين غير معروف. أنه من دواعي الفضول حقاً عدم رؤيتنا أي إشارة لتراجعهم في طريقنا، مما يعني أنهم كانوا يسيرون أسرع منا. وأيضاً ليس من المستبعد أن تكون أغلبيتهم قد ضلت الطريق فهلكوا على نحو بائس من العطش. إن هذا الحدث كان الإنذار الأول لنا باقتراب التهديد الوهابي لحدود شرق الأردن» (فلبي، رحلة ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، في: البادي، ٢٠٠٢ (أ): ٤٨٨ ـ ٤٨٩، و(Philby, 1923: 249-250).

الجرعات الدينية بكثافة غير مسبوقة، مع مزيد من الإقصاء والقمع السياسي الموازي، وبما يعني مزيداً من التوسع في التدخل في الشأن العام والأهلي وممارسته الثقافية. هناك توسع في التنشئة ونشر القيَم والتعاليم الدينية لمدرسة فقهية بعينها (الوهابية)، ودون سواها، في التعليم مناهج ونشاطات، وفي بناء أعداد كثيرة (بالعشرات فالمئات فالآلاف) من المساجد، في كل مكان، وهناك نشاطات وحلقات ثقافية ومحاضرات دعوية ودينية متزايدة موازية، وهناك مؤسسات تعليمية دينية صرفة كالمعاهد العلمية، والكليات والجامعات الإسلامية، فضلاً عن ما كان قائماً من جامعات ومؤسسات تعليمية، وما أضيف عليها من كليات إعداد المعلمين وجامعات أخرى. هناك نشاطات توعوية وثقافية لا صفّية (خارج المدارس) في مراكز ومخيمات في خارج المدن وفي البر. هناك إعلام، إذاعة وتلفزيون وصحف، كلها إما مملوكة للدولة و/ أو تحت هيمنتها وتوجيهاتها. هناك تزايد لكتب ومطبوعات ثقافية ذات طابع ديني، مع تضييق كبير على مطبوعات وكتب الثقافة الحديثة، بما فيها الروايات، وذات التوجهات والإيحاءات السياسية، فضلاً عن التضييق على أية كتابات متصلة بشأن التوجهات المؤيدة للقومية العربية والأفكار اليسارية والاشتراكية والتحررية، ومنها ما تعلق تحديداً بالمنطقة العربية. هناك تزايد وانتشار لجمعيات «خيرية»، مهيمن عليها رسمياً. هذه الجرعات الدينية المتشددة وبعين وحيدة، ستأخذ أبعاداً ممنهجة أكبر أعمق في النشر والتغلغل في المجتمع ومؤسسات الدولة وأجهزتها مع حركة جهيمان والثورة في إيران ١٩٧٩، فالتدخل والغزو السوفياتي لأفغانستان فالجهاد الأفغاني والحرب العراقية الإيرانية. في أوائل وبعيد منتصف عقد السبعينيات من القرن الماضي ببضع سنوات، كان التلفزيون السعودي، شبه ليلي، يعرض أفلاماً ومسرحيات عربية من مصر والكويت تتخللها مشاهد حب ورقص، وكذلك يعرض أغاني عربية راقصة بما في ذلك المطربة اللبنانية الشعبية الشهيرة «سميرة توفيق»، وكان كثير من الناس، بالجوف، بما فيهم، الكبار، في أواخر السبعينيات مع ظهور التلفزيون هناك، يتابعونها فهي وإن كانت عشيقة للقابع في «غاره»، فهي ملهمة لهم جميعاً. كنت أتذكر، وسبق أن كتبت وأشرت إليه، على صفحتي في الفيسبوك (الفالح، ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٩)[١٩]، بأن التلفزيون الرسمي السعودي، كان يبث، عدة مرات في الأسبوع، أغنية المغنية الفرنسية الشهيرة «ميراي ماثيو (Mereille Mathieu)، والتي تقول بدايتها و/ أو عنوانها «قل لي(بربك) بماذا تفكر..؟» (A Quoi Tu Penses=Tel Me what you'r Thinking).

يبدو أن فترة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠م ستكون فترة انتقالية مراوحة بين قليل منحسر من الانفتاح، وبين قليل متزايد من الانغلاق وباتجاه التشدد. بعد ١٩٧٩م/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨١م، وخاصة بعد حركة جهيمان وما تلاها من تطورات في الشرق العربي وإلى شرق المنطقة العربية، تبخرت المياة وأُقفلت الأبواب والمنافذ لما تبقى من انفتاح، مدشنة حقبة من العزل للمجتمع والتضييق عليه. مع التوسع في ضيق

(١٩) رداً على ما كتبته عن التلفزيون السعودي وترديده لأغنية المطربة الفرنسية (ميراي ماثيو) على صفحتي في الفيسبوك، وفي اليوم نفسه (٢٧/ ٧/ ٢٠٠٩م)، رد عليّ عدد من المهتمين وشهود الفترة، ومنهم أ. «خالد قمش» فقال: «هذا قبل أن تتلوث حياتنا بغاز أكسيد التطرف». ورداً على ما كتبه وتعليقات آخرين كتبت الرد التالي في اليوم نفسه: «نعم أنس وخالد... في مجتمعاتنا، ليس غريباً تقلب الأمور فيها على نحو يخالف سيرورة ومسار التاريخ البشري، إذ نحن خارجه أصلاً.. ومع ذلك تبقى الموسيقى والأغنية حاجة روحية لا غنى عنها لشخصية أُفق ثقافتها مفتوح، حتى وإن كانت تلك النفس والشخصية في أُفق فضاء بشري مغلق! من هنا ليس غريباً أن أغنية ماثيو، كانت وما تزال من الأغاني الخالدات عند الأولين وميتة عند الأخيرين ـ تحياتي».

الدين/ التديّن، وبالتوازي، وبنفس الوقت، فلا سماح، في المقابل، لمنافذ التسلية والترفية للشباب، بما في ذلك حظر السينما وصالات عرض الأفلام، ولا تسمح الدولة بأي جمعية/ نقابة أهلية مدنية مستقلة تحتوي الشباب بتصريف طاقاتهم وإبداعاتهم وأوقاتهم. لا سماح لصحف مستقلة ولا لإعلام مستقل، لا سماح بجمعيات أهلية، لا سماح بأحزاب وتنظيمات حزبية. لا استقلال للقضاء والسلطة القاضية؛ القضاء والقضاة لم يحققوا العدالة في الشأن العام، فلا تسمع إلا أحكاماً بالإدانة والسجن لنشطاء الحقوق ودعاة الإصلاح. الاعتقالات متواصلة في كل فترة وفي مراحل متتالية، منذ الستينيات من القرن الماضي وحتى ١٩٧٥م (فترة حكم الملك فيصل)، ومروراً في الثمانينيات والتسعينيات وحتى ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥م (عهد الملك فهد)، وحتى إلى (٢٠١٣م+) وما بعدها، في فترة حكم الملك عبد الله رغم ما عرف وقيل عنه وقال هو برغبته في الإصلاحات. لا تسمع عن أحكام براءة في الشأن السياسي. أصبح القضاء، وعدد من قضاته أدوات قمع لا أدوات لتحقيق العدالة، ولجم تعديات وانتهاكات الدولة وأجهزتها على حقوق الناس وحرياتهم. وباستثناء انتخابات منذ ٢٠٠٤م لنصف مقاعد مجالس بلدية لا تسمن ولا تغني من جوع، فلا انتخابات، ولا مجالس نيابية منتخبة، حتى مع الموجود منها في ما بعد ١٩٩٣م، و٢٠٠٤م؛ ليس هناك سلطة تشريعة منتخبة تمثل الناس ولديها صلاحيات شعبية بالرقابة والمحاسبة. لا رقابة ولا محاسبة أهلية (مؤسسات المجتمع المدني) على الفساد والمفسدين. رفض لكل مطالب دعوات الإصلاح منذ عقد الستينيات ومروراً بالستينيات والتسعينيات من القرن العشرين، وولوجاً في العقد الأول والثاني من القرن الواحد والعشرين. إذن نحن في فضاءات تزداد فيها بالتوازي والاضطراد المتسارع مساحات التوسع في نشر ثقافة دينية وهابية بعينها، دون سواها، وفي الإقصاء السياسي، وما يرافقهما من ثقافة قامعة موازية في السعودية، إجمالاً وعموماً، عبر التحالف ما بين ضيق الدين/ التديّن والسياسة. هذا التحالف وفاعليته توسعا في ضيق الدين/ التديّن والسياسة ما كان له أن يتم لو لم تتعاضد معه وله ركيزتان. الركيزة الأولى هي تركز وتركيز السلطة من جديد في مركز واحد ووحيد متمثلة في شخص الملك فيصل بحسم الصراع على السلطة وبإقصاء الملك سعود وجناحه في عام ١٩٦٤م. والركيزة الأخرى والأهم، هي وفرة الموارد المالية (عبر مداخيل مبيعات النفط)، والتي بدأت بالتراكم والتزايد الهائل وغير المسبوق، منذ نهاية الـ «١٩٦٠sم»، وبالذات منذ أوائل الـ «١٩٧٠sم»، وبشكل أكبر بعد حرب ١٩٧٣م واستخدام جزئي للنفط العربي كسلاح في المعركة. كل ما تقدم من نشاطات ثقافية دينية في التعليم ومؤسساته و/ أو في خارجه وفي المجال العام الأهلي، وفي الإقصاء والقمع السياسي ومتطلباته في الداخل والخارج بحاجة لقوة مالية هائلة. في الخارج كان المطلوب، ولا زال، هو عزل الداخل (المجتمع) عن الخارج وتأثيراته وضغوطه وتدخلاته، وبما يتيح العزل وضع اليد كاملة عليه بالتصرف به كيفما تشاء دون رقابة و/ أو محاسبة، وبالثمن المطلوب. من هنا كان ولا زال الاحتواء وشراء الخارج، قائماً، عبر تدوير المال النفطي من خلال صفقات الأسلحة والاستثمارات. تلك النشاطات والاستهدافات في الداخل والخارج تحتاج كلها لأحداثها وجعلها واقعاً مشاهداً و/ أو ملموساً، إلى مبالغ هائلة للصرف عليها، لم تكن ممكنة ومتوفرة في ما قبل ١٩٦٠م، ولو لم تتوفر بعد ١٩٦٥ فصاعداً ما كان لها أن تتم وتتحقق. في مثل هذه الفضاءات المتزايدة ضيقاً في السياسة والدين (بمعنى التوسع في التدخل في المجال العام والأهلي الثقافي، وكذلك في الإقصاء والقمع السياسي)، ليس لا غرابة

فحسب أن لا تتشكل ثقافة التشدد والتطرف في السعودية، ولكن الغرابة الأكبر فوق ذلك، هي أن تتشكل ثقافة مغايرة للتشدد والتطرف في السعودية وفي مناطقها. عليه فالنتيجة المنطقية والحتمية أن تسود ثقافة التشدد والتطرف في عموم السعودية، منسحبة على بقية المناطق، بما فيها الجوف، وسوف يكون من مخرجاتها العنف و/ أو اللهو والانحرافات والاختلالات الأخلاقية، بما فيها كثرة تعاطي المخدرات في الداخل و/ أو في الخارج، وقدر من ظواهر الشذوذ الجنسي ذكوراً وإناثاً، بما فيها اتجاهات بين أعداد من البنات نحو ما عرف بـ «البويات» (Girls appear as Boys)، فضلاً عن حالات من الإلحاد وإن غير معلنة وغير معروف حجمها في المجتمع. هذه الاتجاهات والانحرافات، كظواهر حديثة، نتيجة طبيعية لتواصل ثقافة التشدد والتطرف الكلية في الدولة في مقابل فضاءات مفتوحة على كل العالم وشعوبه، بكل الأشكال والألوان من أنماط الحياة والممارسات الثقافية فيها، وبغض النظر عن كونها مباحة مسموحة أم غير مباحة و/ أو محرمة... إلخ.

في الجوف كان لزوال الشدة الشديدة (الضيق) في الحالة الاقتصادية (المالية) التي كانت سائدة بين أهلها ما قبل ١٩٦٠م بعقود، بفعل تحسن أوضاع الدولة المالية ككل وما لحقهم منها، على الأقل جزئياً، أن عمل على تقليص عمل المرأة والحاجة إليها وبالتالي بدأت بعض عناصر الانفتاح السابق (الموقف من المرأة وعملها وخروجها وعلاقتها بالرجل) ينحسر لصالح الانغلاق والتشدد. ساعد، كذلك، في تكوّن ونشر ثقافة التشدد والتطرف في الجوف، كما في السعودية، عموماً، عوامل مساعدة إضافية، منها أن حقبة النفط وعوائده الهائلة، ترافقت مع تراجع وانحسار كبير في المنظومة الأيديولوجية القومية واليسارية وإعلامها وتأثيراتها في المنطقة العربية، بعد نكسة ١٩٦٧م، ورحيل عبد الناصر ١٩٧٠م. كان للجوف وأهلها نصيب من هذا التراجع والانحسار، حيث بدأ غالب جيل رجال الـ «S ١٩٥٠م»، وأبناؤهم وأحفادهم المولودون إما في هذا العقد وإما في ما قبله و/ أو في أوائل ما بعده، بالانحسار والتناقص التدريجي وبالتلاشي عبر الرحيل و/ أو بالانكماش، في أعدادهم، مقابل وأمام أجيال ما بعد ١٩٨٠م، آخذة بالتصاعد والتكاثر تحت مؤثرات حقبة النفط وثقافة التشدد والغلو والتطرف بالتحالف مع القمع والإقصاء السياسي، وبغياب منظومة المحيط العربي وإعلامها وتأثيراتها عليه. من هنا سيكون غريباً ومذهلاً حقاً، أن لا تكون الجوف وأهلها بشكل عام، وأجيالها فيما بعد عقد الـ «s١٩٧٠م»، قد دخلت في ثقافة التشدد والتطرف وأوشكت على توديع ثقافة الانفتاح وما تبقى منها، إن لم تودعها بالفعل، التي سادت لأكثر من قرن من الزمان قبل أواخر عقد الـ «s١٩٦٠م». نقطة أخرى هامة متصلة، هي أن الجوف وأهلها، وفي سياق وفي فضاءات ما تقدم من ثقافة التوسع في التضييق دينياً وسياسياً (ثقافة التشدد والتطرف) على مستوى الدولة ككل، وإن لم يكن لها إمكانية أن تكون لها ثقافة مغايرة، فإنه لم يكن لها أن تكون كذلك، إلا عندما تحقق أمران: الأمر الأول هو أنها تشبعت بقيم وتعاليم المذهب الوهابي، بشكل عام. والأمر الثاني، وفوق الأول وأهم منه، هو عندما نسبة من أهل الجوف، أنفسهم، ليست فقط تشبعت بتعاليم وممارسات الدينية للمذهب بعينه، وإنما عندما أصبحوا أنفسهم، لا من خارجهم، يعتبرون أنفسهم حراساً ومبشرين، وحماة حمى الدين والتديّن والتمسك بفضائلة بالجوف؛ إنهم هم بأنفسهم، لا من خارجهم (من خارج الجوف) أخذوا يعتبرون أنفسهم على أنهم المعنيون بـ « حراسة

الدين والدنيا»، في الجوف وبلداتها، وبمفاهيم المذهب الوحيد بعينه، ودون سواه. فيما قبل ١٩٢٢، رغم وجود عدد من أهل الجوف (سكاكا ودومة الجندل) من يحمل أفكاراً دينية/ وهابية، ربما لا وجود لأحد من أهل الجوف يقوم بهذه المهمة؛ مهمة «حراسة الدين والدنيا» كأدوات تنفيذية. في فترة ما بعد ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، وخاصة في حدود ١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ وحولها وبعدها، كان هناك عدد من الأهالي، وبالذات من أهل سكاكا، من شارك وتأثر بحركة الإخوان ـ الجناح الشمالي وبالقيَم والتعاليم الوهابية المتصلة بها، وربما كان لهم دور، كما أسلفنا الإشارة إليه، وإن كان محدوداً، في نشر تلك القيم والتعاليم بالجوف. خلافاً لذلك، في فترة ما بعد ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ، وحتى ربما نهاية الستينيات من القرن العشرين كان هناك عدد من القضاة كلهم دون استثناء من خارج الجوف، وأشهرهم، وأكثرهم مكانة وتقديراً بين معظم أهالي الجوف، على الإطلاق الشيخ فيصل عبد العزيز المبارك، وهو على ما يبدو من أهالي حريملاء، وصل الجوف (سكاكا) في ١/ ٩/ ١٣٦٢هـ الموافق ١/ ٩/ ١٩٤٣م، وبقدومه قيل إنه «فتح باب العلم» في الجوف (الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (I)، ١٩٨٤: ٢٧٣)، علماً أنه توفي في الجمعة ١٦/ ١١/ ١٣٧٦هـ (البليهد، حمود، ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ٢) الموافق ١٥/ ٦/ ١٩٥٧م، ودفن فيها. في الفترة عينها (١٩٢٢ ـ ١٩٥٠s م)، وقبل بداية التعليم الرسمي في عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، عبر مدرسة واحدة في سكاكا، وبستين تلميذاً، وبمدرس واحد هو أحمد عبد الماجد من مكة المكرمة (السديري، ١٩٨٦: ١٦٥)، أشير إلى أنه كان هناك عدد من الأشخاص أغلبهم من أهالي الجوف (سكاكا و/ أو دومة الجندل) والذين حملوا قيم وتعاليم المذهب الوهابي ومارسوا قدراً من التعليم الديني (الوهابي) عبر ما عرف بـ «نظام الكتاتيب»، ومنهم: «شفق بن مرزوق الرشيد عبد العزيز بن شفق الضميري/ أحمد بن خليفة المظهور/ مسلم البراهيم المران/ خليف بن مسلم السطام/ مناور الهايس/ سمير عمر الدرعان/ شبيب بن سطم العبد الله الصالح/ ابراهيم عابد البراهيم الجباب/ محمد بن خالد الوشيح/ عبد الرحمن بن صليع المرزوق الدرعان/ خلف البخيت المتوفي في شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨هـ، والذي تعلم على يديه عدد غير قليل من ناشئة دومة الجندل، وكان له فضل كبير في تعليم القرآن وتحفيظه لهم...» (السديري، ١٩٨٦: ١٦٥). في بداية القرن العشرين، يذكر محمد بن جديع الشملاني، من أهالي دومة، والمولود في ١٣١٠هـ: «... أنه درس على يدي الشيخ المرحوم عطالله السعيدان والذي كان في بداية العقد الثاني من القرن الرابع عشر (الهجري) يعمل قاضياً لدومة الجندل ومعلماً وخطيباً لصلاة الجمعة بمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكر أنه يحسن ترتيل القرآن الكريم، وكان من الكتاتيب، كما ذكر، الشيخ سليمان المفرج والشيخ ابراهيم العابد الذي كان يعقد الأنكحة بالإضافة إلى قيامه بالتدريس، وكذلك الشيخ محمد الخالد والشيخ خلف البخيت. كل هذه الأسماء كانت في دومة الجندل، وقد وصف الشيخ محمد بن جديع أن تدريسهم ينحصر على قراءة القرآن الكريم حفظاً وتلاوة...» (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٦ ـ ٧)، علماً أن الشيخ محمد الخالد غير معروف لدينا (الباحث) إن كان من أهل الجوف أم من خارجهم، وأما الشيخ خلف البخيت فهو على ما يبدو من «حايل» قدم للجوف في وقت إمارة تركي السديري للجوف (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧). وفي سكاكا يذكر: «... سالم هلال النصر، المولود سنة ١٣٢٧هـ، في مدينة سكاكا، أن الكتاتيب كثر... أمثال الشيخ جزاع البديوي، والذي كان قاضياً قبل عهد ابن سعود في الجوف، والتي تم فتحها ١٣٤٠هـ...» ((الإشارة هنا إلى المدرسة التي افتتحها على ما

يبدو جزاع البديوي، ولكنها كما يبدو سقطت بالخطأ ـ 'الباحث'))... وكذلك ذكر الشيخ/ سمير بن عمر الدرعان والشيخ/ عبد الرحمن الصليع الدرعان والشيخ مناور الهايس والشيخ/ مسلم الإبراهيم المرّان والشيخ عيد الضميري والشيخ محمد الراجحي والشيخ/ مريح الرغيلان» (النصر، حمد هلال، ١٤١٦هـ: ٧)، علماً أن محمد الراجحي وعلى ما يبدو هو من خارج أهل الجوف.على أية حال، لاحظ بدرجة أهم وأكثر دلالة لما نحن بصدده (ممارسة حراسة الدين والدنيا) أن الإشارات السابقة، باستثاء ما تعلق منها بممارسة القضاء لكل من عطالله السعيدان وربما لـ «عيد الضميري» وإلى حد ما جزاع البديوي، وإن كان الأخير، وكذلك عطالله السعيدان إلى حد ما، يتداخلان مع ما بعد ١٩٢٢م، تتحدث عن حالة تدريس ديني فيما بعد ١٩٢٢م وحتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي.

في حدود ١٩٦٠م وحولها، زيادة أو نقصاً ببضع سنوات، ومع تأسيس أوقاف الجوف وهيئة الأمر بالمعروف في الجوف (في سكاكا ودومة الجندل) في عام ١٣٧٨هـ/ ٥٧ ـ ١٩٥٨م (السديري، ١٩٦٨: ٧٣)، كان عدد الحاملين لهذه الفكرة من أهل الجوف، لازال قليلاً جداً، قد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. بعد تأسيس المعهد العلمي بالجوف (سكاكا) في ١٣٨٦هـ/ ٦٦ ـ ١٩٦٧م (السديري، ١٩٦٨: ٧٣)، وفي أواخر عقد الـ «١٩٦٠sم»، هناك تزايد نسبي لأعداد من أهل الجوف أنفسهم الحاملين والمنفذين لنشر بذور الثقافة الجديدة، ومنهم من بدأ خطواته الأولى في ممارسة قدر من «ضيق الدين/ التدين» بالجوف. من هؤلاء مجموعة عُرفت باسم «المطاوعة في الجوف». لنرى أحدهم، عن نفسه وعنهم، وهو واحد منهم، ماذا يقول، في سياق تحقيق معه على خلفية شكوى أهل الجوف الجماعية المطلبية عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م. يقول، عبد الرحمن عطا الشايع، في ما كتبه، بنفسه، في معرض إجابته عن أسئلة لتحقيق أجري معه، من قبل سليمان بن ثنيان، والأخير على ما يبدو مندوب وزارة الداخلية، وهو في السجن، مشيراً إلى خلاف له مع الشيخ محمد بن خلف، في سكاكا، ما يلي، علماً أن ما بين قوسين مزدوجين هي من الباحث لتوضيح الكلمة/ المقصود: المحقق (سليمان بن ثنيان) «**س ـ** : ما هو سبب شكوكم ((شكواكم)) الشيخ محمد بن خلف»((؟)). **عبد الرحمن عطا الشايع**: «**ج ـ** السباب عده ((الأسباب متعددة)) وهي كما يلي (الشايع الكريّع، ١٣٨٩هـ: ص ١ ـ ٢، من ٣١ من التحقيق، والشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، ٩ ـ ١٢ ليلاً). وبعد أن يعدد مجموعة من الأسباب، يذكر منها الرابع بالقول: «... ٤ ـ ما عنده قيام بالأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولا كائنه ((ولا كأنه)) قاضي ((،)) ومن اختصاصه ((علماً أن من اختصاصه)) القيام تجاه هذا الدين ((أ)) لإسلامي» (الشايع الكريّع، عبد الرحمن، ١٣٨٩هـ: ص ١ ـ ٢ من ٣١ من التحقيق، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢): **المحقق**:»**س ـ** ذكرتو((ا)) في معروضكم أنه لا يامر بالمعروف ولا ينها عن منك ((لا لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر)) و((أ)) نه مثل عامة الناس»((؟)). **عبد الرحمن عطا الشايع**:»**ج ـ** نعم انه كان يظهر من بيته ومن ((أ)) لمحكمه أوقات الصلاة و((أ))لمتاجر مفتحه ولا يامرهم ولا ينهاهم ((،)) ما كانه ((كأنه)) قاضي ((،)) علماً أنني راجعته أنا و((أ))لأخوان أكثر من ثلاث مرات بخصوص العب ((اللعب)) عند العروس وخاصة العود ورفض يقول هذا الامير ورءس لهئيه ((ورفض قائلاً هذا من اختصاص الأمير ورئيس

الهيئة)) ((.)) ومن ضمن هذه المراجعات راجعته انا و((ال))شيخ حمد ابن عبد الله الراشد وقلنا له هذا زمان مراهقه وأذا ما تساعدو ((أ))لأهالي و((أ)) لمسئولين حقاً يحصل بالمجتمع مفسدة وقال كل يربي ولده ما عندي سنع ((،)) فذهبنا أنا ولبرشيد ((و الراشد)) الذى هو حمد الى رئس لهئيه ((رئيس الهيئة)) و((أ))تفقنا على ان نجمع ((أ))لأخوان ونروح للأمير لأنه يتساعد مع ((أ))هل الدين كثر ((أكثر)) من القاضي ((،)) فجتمعنا ((فأجتمعنا)) ورحنا ((أ)لأمير ولا قصر ((؛)) أصدر ((أ)) لأمير على مدير الشرطه بمنع العود ((،)) و((أ))لعروس ما يسمح لهم إلا ((إلأ)) أول ليله بدق الطبل وقد تم هذا حتى سافر ((أ))لأمير لألمانيا وعاد كما كان وراجعنا الشيخ و((أ))عتذر كما ((أ))عتذر سابقاً((.)) وأما هو كنه ((كأنه)) فرد عادي ليس مسئول عن شي ((،)) فأذا هذا يكفي هذا والا هناك السيا ((اشياء)) كثيره ((ـ)) يكفي» ((رد المحقق)) (الشايع الكريّع، عبد الرحمن، ١٣٨٩هـ: ص ١٣ ـ ١٤، من ٣١ من التحقيق، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، ٩ ـ ١٢ ليلاً).

لاحظ الإشارة إلى فتح الدكاكين وقت الصلاة والعود والطرب في ليالي الأعراس، ومطالبتهم الشيخ ابن خلف بمنعها. ونحن نتكلم عن فترة تدور حول عام ١٣٨٩هـ، أو أواخر سنوات عقد الـ «١٩٦٠sم»، حيث انحسارات في الانفتاح، وبدايات حديثة في التشدد والتطرف (ضيق الدين/ التدين)، ومن يقوم بها ويطالب بها ليس من أناس من خارج الجوف، بل من أهل الجوف (سكاكا هنا) أنفسهم. لاحظ موقف ابن خلف، وهو في الأصل من خارج الجوف، وتسامحه تجاه تلك التمظهرات من الانفتاح، بينما أهل الجوف، ومنهم هؤلاء «المطاوعة»، ورغم أنهم من شهود فترة من الانفتاح (عمر عبد الرحمن الشايع كان حوالي ٤٠ سنة في عام ١٩٧٠ .بينما من زملائه، مثلاً أحمد القضيب، كان قريباً من الـ (٦٠) عاماً، حيث كان في أحداث عام ١٩١٨م فتى بحدود ٨ ـ ١٠ سنوات، كما سبق وأن أشرت إليه). ومع ذلك، فإن هذه المجموعة والموجهة منها، والتي بدا عليها النزوع نحو التشدد وممارسة الاحتساب الديني، كانوا هم وعلى الجملة، لا زالوا في هذه الفترة، يعتبرون معتدلين بامتياز، مقارنة بمن سيأتي من بعدهم وخاصة في عقد الـ «١٩٨٠sم». في عقد الـ «١٩٩٠sم»، وما بعده فصاعداً، ستأتي دفعات وأمواج متواصلة من أبناء وشباب الجوف، ثم لاحقاً من بناته، تلقت تعليماً دينياً مكثفاً، وفي سياق المدرسة المذهب الوحيد بعينه، دون سواه، من خلال المؤسسات التعليمية الرسمية ذات التوجه الديني، بما في ذلك المعهد العلمي بالجوف، وبعض الجامعات السعودية الإسلامية، وبالذات جامعة الإمام، وبشكل أكبر ومكثف مع تأسيس وافتتاح كلية إعداد المعلمين بالجوف فصاعداً. نشير إلى نقطة جديرة بالاهتمام والملاحظة، وهي تتعلق بأنه ليس بالضرورة أن من درس في المعهد العلمي بالجوف، فهو سيصبح أو أصبح متشدداً؛ نسبة من الدفعات الأولى فيه، وخاصة خلال السنوات الأولى على تأسيسه في ١٩٦٦/ ١٩٦٧م، لم تكن، في الغالب، متشددة التوجه رغم كونها تلقت تعليماً دينياً وهابياً مكثفاً بالمقارنة مع المدارس الحكومية الأخرى (التعليم العام). على وقتنا، وحتى أواخر الـ «١٩٦٠sم»، درس في المعهد العلمي، وتخرج منه مجموعة من أبناء الجوف، ومن سكاكا، أتذكر، طراد عقيل السويلم، وعبد المحسن فالح اللحيد، وصالح الجلوي، وعبد الواحد الصالح. من هؤلاء: طراد عقيل، وكما أشرت له سابقاً، له توجهات إسلامية لكنها غير متشددة. عبد الواحد الصالح ـ والذي درس لاحقاً في الرياض في كلية اللغة العربية، رفقة عطا حمود

السبيتي (في الأصل من أهل سكاكا من الحميّر ـ ولكن ربيَ وعاش وأهله في تبوك) والتي ستتحول إلى جامعة الإمام ـ كان أديباً وشاعراً، ولكنه مع ما قلت عنه من انسداد الأفق سياسياً وثقافياً، نزع بشكل واضح نحو التوجهات الإسلامية الجانحة نحو التشدد. واضح أن للخلفية الدراسية في المعهد العلمي وكلية اللغة تأثيراً إلى حد ما على «طراد»، وكذلك على توجهات عبد الواحد الصالح الأخيرة بعد ١٩٩٣م فصاعداً، علماً أن الأخير درس في أمريكا في أوائل الـ«١٩٨٠sم» وتحصّل على درجة الماجستير في الإدارة العامة من جامعة نيوهيفن على ما أظن. عبد المحسن اللحيد وصالح الجلوي، إنهما منذ عرفتهما، ولا زالا، أقرب إلى ثقافة الانفتاح، علماً أن عبد المحسن تلقى تعليمه العالي (الماجستير والدكتوراه في أمريكا) بينما تلقى الجلوي دورة دبلوم، على ما أظن في المحاسبة، في معهد الإدارة.

في الجوف، وفوق ما تقدم، فإن كلية إعداد المعلمين بالجوف ومن خلال مناهجها المكثفة دينياً وكادرها التدريسي المؤدلج بكثافة سيكون لها ولخريجيها، وهم، في الغالب، المنخرطون في حقل التعليم العام (وبشكل كبير في المدارس الابتدائية والمتوسطة، وجزئياً في الثانويات) النصيب الأكبر على تفريخ جيل التشدد والتطرف في الجوف مع منتصف عقد الـ «١٩٩٠sم» فصاعداً. هذه الأجيال المولودة في نهاية عقد الـ «١٩٦٠sم»، وما بعد ١٩٧٠م وحتى ١٩٨٠م، هم في الغالب، جيل التشدد والتطرف والانغلاق، في أواخر عقد الأخير من القرن العشرين والعقد الأول والجزء الحالي (الثاني) من القرن الواحد والعشرين. هؤلاء هم من انخرطوا في الوظائف الدينية، كأئمة مساجد وبالذات في مساجد وصلوات الجمعة، وخطباء ودعاة، وكذلك محتسبين بما في ذلك غير الرسميين منهم، ومسؤولي حلقات وتحفيظ ومراكز ومخيمات في المدارس والمساجد داخل سكاكا، وفي أطرافها في القرى وفي البراري. حتى نساء الجوف رغم القول بحداثة الموضات عندهن، أصبحن ليس فقط بشكل عام محافظات وبتشدد ديني، بل إن من بينهن من أصبحن داعيات ومحتسبات ولديهن جلسات وحلقات في الاتجاه نفسه من الذكور من الأجيال الحديثة من أهالي الجوف. فوق هذا وذاك، كانت هناك فئات منهم، ومن التصق بهم أو تأثر بهم، من شكل جلسات ذكر وحلقات نقاش دينية خاصة، وكان منهم أو انشق عنهم فئات و/ أو أعداد ذات توجهات أكثر تشدداً وتطرفاً ليس في المسائل الثقافية والفقهية المتصلة بالحياة والتعاملات فيها فحسب، وإنما على مستوى العلاقة مع السلطة والدولة وتجاه القضايا السياسية الإقليمية والدولية.

بينما كان، هذا الجيل يتكاثر في عقد الـ «١٩٩٠sم» فصاعداً وولوجاً في السنوات الأولى من العقد الثاني من القرن الواحد العشرين، كانت أجيال الانفتاح (الناس/ الأهلي المولودون في الفترة ما بين ١٩١٠م، وفي حدودها وحتى أواخر عقد الـ «١٩٥٠sم») تقلصت بدرجة كبيرة، إن لم تكن انتهت نهائياً، بالرحيل (الوفاة). ما بقي منها، إن بقي، فهو إما تأثر بهذه الثقافة الجديدة أو انخرط بها أو على الأقل تكيّف معها، وعلى الأقل في الحد الأدنى منها مما تعلق منها بالانغلاق بشكل عام، وليس بالضرورة بالتشدد والتطرف الأقصى منها وفيها. القليل ممن تبقى من أجيال ما قبل ١٩٧٠م، وربما، على شكل أفراد وليس كمجموعات، مع قليل، وكأفراد، من الأجيال المولودة ما بعد ١٩٧٠م فصاعداً، يمكن القول عنهم أنهم لا زالوا يميلون للانفتاح ولقيَمه. لكن هؤلاء وأولئك من الأفراد ذوي الميول نحو الانفتاح، لا يشكلون إلا نسبة ضئيلة بالمقارنة بأغلبية السكان والأهالي بالجوف. ثقافة الانغلاق سائدة بشكل عام

في الجوف، متعاضدة مع التشدد والتطرف لمجموعات منها، ونازعة للعنف، بسلوكه و/ أو بالتحريض عليه وتأييده، عند فئات أقل و/ أو أعداد قليلة منهم.

نقطة ما قبل أخيرة: سبق أن قلنا إن الوعي في الجوف والذي لا يزال مرتفعاً، بما ذلك في الفترة الأخيرة (ما بين أواخر ١٩٩٠s م وحتى ٢٠١٣م وما بعدها)، حدث لمكونات بنيته تحول وإضافات جوهرية وخاصة في المنظومة القيَمية والأيديولوجية. تلك المنظومة القيمية والأيديولوجية تجد جزءاً من خلفيتها ومرجعيتها في مكونات بنية ثقافة التشدد والتطرف كما هي في السعودية عموماً وما تفرّع أو تورّق منها أو انشق عنها، نحو، مثلاً، الجهادية. من هنا نرى أن الوعي بالجوف ـ وبتحولات في مكونات بنيته الأيديولوجية، من القومية والاشتراكية واليسارية التي كانت سائدة إلى ما قبل ١٩٧٥م، إلى الإسلامية (الصحوة والإخوانية والجهادية)، ما بعد ١٩٨٠م و١٩٩٠م فصاعداً ـ ينزع في تمظهراته نحو المناشط والقضايا الإسلامية، ويقود هذا الوعي وتحركه فئات، من أهالي الجوف أنفسهم، ذات صلة بتلك التوجهات والمكونات.

في الختام، هناك نقطة أخيرة، أشرنا لها سريعاً في ما سبق، هي مفارقة أخرى تتصل بأن ثقافة التشدد والتطرف، الناتجة عن «الضيق في الدين/ التديّن والسياسة» بالتعاضد مع سعة في الاقتصاد (المال/ المارد) عند السلطة، والتي أخذت بالتزايد منذ أواخر ١٩٦٠s م فصاعداً، ومع ١٩٨٠م قضت على كثير من الانفتاح، لتتواصل ضيقاً في ١٩٩٠s م، ولتنفجر عنفاً في العقد الأول من القرن العشرين، ولا زالت تلقي ببعض ظلالها، وتجري وتفعل فعلها وتتوسع بالتوازي مع عالم خارجي وفضاءات مفتوحة على كل شيء. هذه المفارقة مع الضيق الديني والسياسي، يولد حالة انفصام وتفريخ لاتجاهات ثقافية موازية، من المخدرات والانحرافات و/ أو مزيد من العنف وولوج مسالكه ودروبه وساحاته في الداخل و/ أو في الخارج. كل ذلك يفضي، إن تواصل، إلى انهيار شبه مؤكد وحتمي للدولة والمجتمع، وهذا يعيدنا إلى معضلة كبرى في التعامل مع احتمالات في الصراع والحروب، تحتاج في التحوّط والمعالجة لها إلى يقظة من الناس نخباً وقيادات وزعامات وجماعات، وخاصة في الجوف وفي ضوء التجربة المُرة السابقة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م).

مستقبل الثقافة في الجوف، وبما يتعلق بمستقبل الانغلاق والتشدد من جهة، وبالانفتاح والوعي الموازي من جهة أخرى، يعتمد بدرجة كبيرة على تحولات في تحالفات الدين/ التديّن والسياسة والمال، ضيقاً و/ أو سعة، على مستوى الدولة ككل وفي مواجهة الناس (المجتمع)، وهذا يرتبط إلى حد كبير باتجاهات وقناعات وإرادة السلطة نحو الإصلاح السياسي المدني الحقيقي من عدمه خلال السنوات العشر القادمة، وفي ضوء ومواجهة تغيرات وتحولات كبرى تجري في المنطقة منذ ٢٠١١م فصاعداً، بما في ذلك، الربيع العربي وثوراته، والذي ستتواصل تطوراته وارتداداته، رغم انتكاساته في عدد من البلدان العربية، وكذلك بالتحولات على المستوى العالمي، وفتوحات العولمة والحداثة والفضاءات المفتوحة للمعلومات والتقنية وعلى القيَم الإنسانية والممارسات الثقافية بكل أشكلها وانواعها وألوانها. لا أحد محصن ضد التحول والتغيير، ولن يستمر العزل والانعزال عن العالم وتاريخ البشر وسيرورته ومساره العام. لن تكفي الأموال في مواصلة الضيق في الدين والسياسة، حيث المجتمع يتحول سريعاً في

تركيبته وفئاته وتطلعاتهم المشروعة نحو التقدم والحرية والعدالة والكرامة، وفي سياق تداخل مع عالم مفتوح على هذه القيم والتطلعات، فضلاً عن أدواته وتقنياته ذات الشبك والربط، والذي لن يفلت أحد منه. وأهل الجوف، ومستقبل ثقافتهم مرهون بتلك التحولات وتأثيراتها على الدولة ككل وعليهم وبقدر الاستجابة والتفاعل الإيجابي الفاعل المساهم المشارك، لا المنفعل والمستقبل المستهلك فقط، الواثق، لا الخائف من قبل الدولة أولاً، ومنهم ثانياً، وبالموازاة. أهل الجوف، كما هم أهل البلدان العربية، ليسوا بدعاً من غير البشر. قانون البشر وسنن الله الكونية، في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة، تسري عليهم كما على غيرهم. مستقبل الجوف والثقافة فيه، مرهون بموقفهم من الثقافة الحديثة، بالمشاركة والمساهمة فيها والتعاطي معها، لا الهروب والخوف منها. لن تصلح وتنزل الأشياء وتزفلت الشوارع من تلقاء نفسها، وإنما عبر الفعل والثمن(!). الله، سبحانه وتعالى، قادر على أن يفعل ما يشاء، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته، ولكنه، وهو كذلك، أوقف التغيير، على رغبة وفعل البشر، فهو يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾[٢٠].

(٢٠) **القرآن الكريم**، «سورة الرعد،» الآية ١١.

خاتمة

الجوف وأهلها: في التاريخ والمستقبل

أولاً: في الخلاصات

١ ـ في الصراع الأهلي

في القسم الأول من الكتاب شملت المناقشات الصراع الأهلي أو الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، كذلك وعلاقة الجوف بالدولة السعودي الثالثة (١٩٢٢م). في فصل الصراع الأهلي أو الحرب الأهلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، كان علينا أولاً أن نقوم بجهد مضاعف: فمن ناحية كان علينا أن نحدد الواقعات ذاتها وأن نقوم بما يشبه إعادة بناء وتركيب بحيث تبدو حالات حرب في تسلسل زمني يبدو متتابعاً، وإن كانت الحالات ذاتها من ناحية فعلية متقطعة. في سياقها، من ناحية أخرى كان علينا، بعد البناء والتركيب، أن نقدم الروايات المتصلة والمتوفرة عن كل واقعة. ومن حسن الحظ، أن جهدنا في المقابلات واللقاءات أتاح لنا الحصول على روايات متعددة، من أطراف وجماعات متقابلة، مما أتاح لنا روايات متقابلة في الغالب عن أغلب الحالات فصادمناها وقابلناها ببعض كلما كان ذلك ممكناً. وانتهينا من ذلك العمل، إلى ما هو أهم منه، وهو محاولة فهم لماذا هذه الحرب الأهلية أصلاً؟ فما بالك لتواصلها ونهايتها، لا بكونها حالات منفصلة، وإنما كما تبدت لنا على أنها حالات، وإن متقطعة، فهي متصلة مترابطة، بما يتشكل منها جميعا ما أسميناه «حرب أهلية شاملة» تغطي الفترة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). لم تكن أية رواية، أو الروايات المتقابلة عن حتى الواقعة الواحدة بذاتها، على ما أحتوت من بعض الحقيقة، كافية لأن تفسر تلك الواقعة، فما بالك أن تفسر الحالة الكلية للحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٠٢٢م). من هنا كان علينا أن نقوم، كذلك بجهد آخر مكثف، غايته تجاوز تلك الروايات وقصورها إلى ما هو أهم منها ألا وهو فهم وتفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م). وهكذا كان، فقد قدمنا ما نعتقد أنه تفسير شامل للصراع الأهلي بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م) ليس فقط في وقوعه وتواصله وإنما في نهايته

وتوقفه. فلا حاجة لنا إذن، هنا، أن نكرر ونعيد التفسير وبعوامله ومتغيراته وقواه في الداخل والخارج (داخل وخارج الجوف)، ويمكن لمن هو في حاجة أن يعود إليه في مكانه في الدراسة. الآن يبقى السؤال الأهم هو سؤال المستقبل، وهو: هل هناك احتمال لعودة الصراع الأهلي بالجوف مرة أخرى؟ قبل الإجابة على السؤال علينا أن نكمل خلاصة مواضيع الدراسة الأخرى.

٢ ـ الجوف والتقدم والكرامة

في القسم الأول من الدراسة، كذلك، ناقشنا في أحد فصوله، موضوع الجوف وأهلها وخيارهم في التوجه إلى حكم الملك عبد العزيز في عام ١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ (الدولة السعودية الثالثة). في هذا الفصل/ المبحث رأينا، كذلك، وببحث مفصل وبأدلة من رواة وشهود على العصر وعنه، أن انضمام الجوف لحكم الملك عبد العزيز، لم يكن صناعة رجل واحد كما زعم السيف وأصحابه ومن على قياساتهم بتزييف التاريخ وتاريخ الجوف. كانت عملية الانضمام والضم هي صناعة جماعية وأدوار قام بها أهالي الجوف، زعامات وقيادات وأفراداً وجماعات فرعية وعامة، في كل من سكاكا ودومة الجندل، وفي سبيلها خاضوا حروباً، مع قوى خارجية وتحالفاتها بالداخل، وصل الأمر ببعضهم أن قدم حياته، مقتولاً في تلك الحروب في سكاكا ودومة الجندل، أو معتقلاً و/ أو مقتولاً أو منفياً في سجون تلك القوى (الشعلان/ الرشيد). قبل إتمام تلك المهمة، لعب الأهالي، زعامات وقيادات وأفراداً وجماعات فردية، أدواراً هامة في القضاء على سلطة وحكم الشعلان أولاً، وقد تطلب هو الآخر أدواراً متعددة متعاضدة، وقد بيّنا في الدراسة على نحو مفصل الأدوار والمساهمات لكل منهم، ولا حاجة لتكرارها هنا، ومن أرادها فيمكن الرجوع إليها هناك. تبقى نقطة مهمة أشرنا إليها في حينها، في المناقشة هناك في الفصل، ألا وهي تتعلق بكون الجوف وأهلها اتجهوا للملك عبد العزيز في عام ١٩٢٢م، كخيار أهلي طوعي، وكانوا يستهدفون، فضلاً عن السلام والاستقرار، التقدم والكرامة. كانت علاقة الجوف بالرشيد والشعلان علاقة متوترة صراعية، فيها قدر كبير من التوحش والقمع والتخلف. من هنا كان التوجه للدولة السعودية الثالثة (الملك عبد العزيز ١٩٢٢م) تطلعاً للسلام والتقدم والكرامة لما هو متأصل أصلاً في النفوس، بما هو انعكاس لنزوع، متأصل بالنفوس، لأهالي الجوف نحو التحرر والانعتاق من القمع والتخلف. الآن ماذا عن المستقبل تجاه ذاك التطلع وهذا النزوع ؟ الجواب مفتوح وسنتركة حتى ننتهي من ملاحظة خلاصات مسألة الثقافة بالجوف وحالاتها (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣+).

٣ ـ في الجوف والثقافة

في القسم الثاني من الدراسة كان التركيز والمناقشة منصبين على المسألة الثقافية بالجوف خلال الفترة ١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+). رأينا بالتفصيل الممل، وفي أحيان عبر وثائق تاريخية تنشر لأول مرة، بسطاً للحال والواقع لحالات ومفارقات الثقافة بالجوف؛ «التخلف» و«الوعي» و«الإنفتاح» و«الانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف)». وبعد أن بسطنا الحال والواقع وشواهد كل منها، كان علينا أن نقدم تفسيراً لكل حالة ثقافية ولتحولاتها وجوداً وتلاشياً و/ أو استمراراً. قدمنا تفسيراً لحالة و«ثقافة التخلف المعرفي والثقافي» (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م)، بعد أن بسطنا حالها وواقعها، ثم بسطنا حالة و«ثقافة

الوعي» (١٩٣٠s ـ ٢٠١٣م) فتفسيراً لها. بعدها، ولما بين، حالة و«ثقافة الانفتاح» من جهة وما بين حالة و«ثقافة الانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف)» من جهة أخرى، من ترابط بالمخالفة (المعاكسة) قدمنا، أولاً، بسط لحال وواقع لـ «ثقافة الانفتاح» بالجوف (١٨٠٠/ ١٨٥٠ ـ ١٩٩٠s؟)، ثم أعقبناها مباشرة ببسط حال وواقع «ثقافة الانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف)». في الأخير، ولما بين الانفتاح والانغلاق من ترابط بالمخالفة (عكسياً) قدمنا محاولة للتفسير مشترك (بالمخالفة) للانفتاح وللانغلاق (التطرف والتشدد فالعنف).

ثانياً: في الجوف والتاريخ والثقافة والمستقبل

الآن نعود إلى أسئلة المستقبل عن الجوف وأهلها في الصراع والثقافة والبحث عن السلام والتقدم والكرامة. فنقول إن هناك مشتركات (عوامل أو متغيرات أو قوى) بين هذه القضايا و/ أو المسائل. المشتركات هي في الجوف وأهلها، وفي الدولة السعودية وطبيعتها، وفي المحيط/ العالم.

في ما يتعلق بالصراع الأهلي والحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وفي نهاية تفسير الصراع الأهلي بالجوف، تحدثنا عن عوامل نهاية الصراع نفسه، وأشرنا إلى مجموعة من العوامل. ولكننا، رغم تلك النهاية السعيدة، وفي ضوء التجربة والذاكرة المثقلة بالتاريخ، يبقى الانشغال بسؤال الصراع الأهلي واحتمالاته المستقبلية مشروعاً ومفتوحاً. إن الإشكالية تكمن في مشروعية التساؤل حول إمكانية عودة الصراع الأهلي بالجوف؛ فهل هي واردة ومحتملة أم ماذا؟ في نهاية الحديث عن تفسير نهاية الصراع الأهلي، أجبنا على التساؤل والسؤال على نحو مختصر وقلنا هناك ونقول هنا: رغم ما طرأ من تحولات في بنية الاقتصاد والاجتماع والثقافة في الجوف والتي كانت محركة للصراع الأهلي في ما مضى، فإن عودة الصراع الأهلي بالجوف، واردة ومحتملة في ضوء حدوث تلاقح وتفاعل لمجموعة من المعطيات (المتغيرات/ العوامل) أو بعضها على الأقل، ومنها على وجه التحديد: احتمال عودة الصراع الأهلي بالجوف واردة، هو أن هذا يتوقف على تفاعل وتلاقح ثلاثة عوامل، وهي: ١ ـ تواصل تغذية ذاكرة نفسية عدائية متراكمة، ومعاد إنتاجها وعلى نحو مقصود و/ أو بجهالة من و/ أو بين بعض المجموعات والأفراد في المكونات الكبرى لفضاء الجوف الاجتماعي؛ ٢ ـ في حالة غياب و/ أو تغييب وعدم تكوّن بنى ومؤسسات حديثة (مؤسسات المجتمع المدني والأهلي الفاعلة «المستقلة»)، رديفاً لفكرة المواطنة وترسيخاً لها، وبديلاً عن المؤسسات الأهلية التقليدية المتهاوية، وغير القادرة، في ضوء طبيعتها وعملها وخبرتها السابقة، أن تتعامل مع سيرورة وتاريخ البشر وثقافته المستقبلية وتحدياتها. وهذا مرتبط ومتوقف على ما بعدها ويليها من عامل ثالث وحاسم؛ ٣ ـ عدم قدرة و/ أو رغبة السلطة الحاكمة في الدولة السعودية على التقدم على مسارات جوهرية وحقيقية في الإصلاح السياسي الشامل، بما يتضمن قيام دولة وحكومة دستورية تسود فيها العدالة والحرية والكرامة والمساواة والتقدم والتنمية المتوازنة: دولة القانون وحقوق الإنسان والديمقراطية. العامل الأخير وما قبله مترابطان بالدولة السعودية وطبيعة السلطة واتجاهاتها المستقبلية، وهذه وتلك إحدى أهم المشاركات في مستقبل الصراع والثقافة في الجوف وبحثهم عن التقدم والكرامة، ويحتاج إلى بعض من التفصيل بعد قليل.

في الثقافة بالجوف وحالاتها ومفارقاتها في التخلف والوعي والانفتاح والانغلاق رأينا في التفسير أن هناك عوامل بعضها متعلق بالجوف وأهلها وبعضها متعلق بالقوة/ القوى الحاكمة، حسب فتراتها. رأينا في أمر التخلف أن أهل الجوف لم يستغلوا تواصلهم بالشام في المعرفة والثقافة، وكان هذا في جزء كبير منه يعود إلى حالة الإفقار المتولد عن حالة الاستنزاف المتواصل لموارد هي في الأصل محدودة، من قبل السلطة الحاكمة في حينها (الرشيد أو الشعلان). وفي الفترة الأخيرة كان التخلف والعنف مرتبطين بسياسات التهميش والإقصاء منذ ١٩٦٠م ولا زال الأمر متواصلاً، وإن على نحو نسبي. في تطور وسيادة وهيمنة ثقافة الانغلاق والتطرف والتشدد، على حساب ثقافة الانفتاح وإزاحة شبة كاملة لها، رأينا أيضاً مسؤولية أهل الجوف ودور لبعض من أهلها، ولكن كان هناك مسؤولية أكبر تتعلق بما أسميناه بتحالفات «ضيق الدين والسياسة والمال» توسعاً في التدخل في الشأن العام المحلي وفي الإقصاء والتهميش التنموي وباستخدام وفرة مال للصرف على التضييق الديني والسياسي على حساب الصرف على تنمية حقيقية متوازنة. كذلك الحال بالنسبة إلى الوعي فإنه، وإن لا زال مرتفعاً، متغذياً على سياسات التهميش، في تحولات بنيّة مكوناته الوعي في الفترة الأخيرة (ما بعد ١٩٩٠م فصاعداً) يعود في جزء هام منه للدولة السعودية وسياساتها تلك. الجزء الآخر يتعلق بتوجهات و/ أو رغبات لفئات من الأهالي، وإن كانوا هم وتوجهاتهم، في الغالب، من مخرجات تلك السياسات ذات الصلة بالدولة السعودية وخاصة منذ ١٩٧٠sم فصاعداً. إذن الدولة السعودية وطبيعتها وسياستها، وهي أهم المشتركات في مستقبل الجوف وأهلها في الثقافة كما هي في الصراع والعنف وكذلك في قضايا التقدم والتخلف والكرامة والحرية.

قلنا في الإشارة إلى قوى ومتغيرات وعوامل المستقبل للجوف وأهلها في الصراع والثقافة والتقدم والكرامة، إن هناك ثلاث مشتركات؛ إحداها متعلقة بالجوف وأهلها، والثانية متعلقة بالدولة السعودية وطبيعة وتركيبة السلطة وعلاقتها بالمجتمع وبالتالي بمستقبل الدولة السعودية نفسها، والأخيرة متعلقة بالفضاءات المحيطة وبالعالم المفتوح على كل التحولات في المعلومات والتقنيات والقيم الأفكار والمشتركات الإنسانية والممارسات الحياتية والثقافية والسياسية والاقتصادية. هذه المشتركات الثلاثة نبسطها هنا سريعاً وعلى نحو متداخل، رغم أن التركيز سيكون على الدولة السعودية ومستقبلها في التحولات و/ أو الممانعة، باعتباره العامل الأكثر ربطاً بين الجوف وأهله والمستقبل من جهة وبين المحيط والعالم بكل فضاءاته المفتوحة ومنتجاته المتاحة وتحولاته المتواصلة.

في كل القضايا المتعلقة بالجوف ومستقبلها الأمر في جزء هام منه وحاسم يعتمد على قدرة الدولة ورغبة وإرادة السلطة في الإصلاح والتحول الديمقراطي. من هنا فإن تواصل الانغلاق التشدد والتطرف فالعنف، بما في ذلك احتمال عودة للصراعات الأهلية، وكذلك ما تعلق بالتقدم والكرامة والحقوق والحريات، وعودة لثقافة الانفتاح أم استمرار في تواريها، في الدولة ككل، ومنها وفيها الجوف هي أمور واردة. ما هو واضح جلي حتى الآن، فهناك عدم قدرة و/ أو رغبة من السلطة الحاكمة في الدولة السعودية على التقدم على مسارات جوهرية وحقيقية في الإصلاح السياسي الشامل، بما يتضمن قيام دولة وحكومة دستورية مسؤولة أمام مجلس شعبي نيابي منتخب بطريقة مباشرة ونزيهة، وبما له من سلطات أصيلة مستمدة من الشعب، في التشريع والرقابة والمحاسبة للحكومة وسياساتها ومسؤوليها، وقيام مؤسسات

مجتمع مدني فاعل «مستقل» للتراقب والتحاسب فيما بينها وبين الحكومة، وكذلك قضاء وسلطة قضائية مستقلة (بمعايير استقلال القضاء الدولي والشرعي المتعارف عليها) لتحقيق العدالة وصون الحقوق والحريات العامة والخاصة. كل ذلك في سياق قيام وتبني «دستور» (عقد اجتماعي جديد)، تصوغه هيئة مستقلة، فمصوت عليه شعبياً، بالتصويت الشعبي المباشر، بما يعبر ويستند إلى الشعب كمصدر للسلطات، ويؤكد في النصوص والممارسة فصل السلطات وصيانة وحفظ وحماية وتنمية الحقوق والحريات للأفراد والأقليات، وكل ما تقدم من استقلال القضاء وقيام وعمل فاعل عبر مؤسسات المجتمع المدني المستقل... إلخ. في حالة استمرار السلطة على العناد والمكابرة في احتكار السلطة والثروة والنفوذ، وبما يعني إقصاء الشعب عن السياسة والمشاركة الشعبية السياسية الفاعلة والحقيقية، والمواصلة في هذا الطريق المؤدي إلى نفق مسدود، ومع حالة عدم قدرة النظام وعدم رغبته في مواجهة التحديات من بطالة وفقر وتدني في مستويات الخدمة الصحية والتعليمية والإسكان، وقضايا تتعلق بحلة حقوق المرأة ومتطلباتها، ومع انتشار واسع للفساد المالي والإداري، ونهب ممنهج للمال العام، فضلاً عن انحرافات في المجتمع في السلوك والقيَم، وانتشار للمخدرات والسرقات والجريمة... إلخ، ومع عدم حيادية الدولة تجاه المذاهب، وكذلك معها وفي سياقها سياسات تمييزه ضد الأقليات وحقوقها المشروعة في ظل غياب لمفهوم حقيقي لـ «المواطنة»، ومع تحديات العولمة والمعرفة وتقنياتها، ومع معاندة لكل تلك التحولات، وبما فيها من تداخل مع ما يجري في المحيط العربي من «ثورات» وربيع عربي، لا زالت أمواج تسوناميانه في بداياتها، رغم ما بدا من انتكاسات وإعاقات له، فالنتيجة الحتمية، ولو بعد حين، أننا أمام حالة تتكوَّن باتجاه الانهيار للدولة. عندها تكون الآثار الأكبر خطراً هي على المجتمع باتجاه التمزق وربما، لا سمح الله، الاحتراب. هنا، وعندها، في الجوف، وربما في غيرها بالقياس، ستكون إمكانية واحتمالية الصراع الأهلي مفتوحة باتجاه النشوء والاندلاع. طبعاً في الكلام عن والتشديد على مسؤولية السلطة في احتمالية تبدو شبه مؤكدة عن انهيار الدولة والمجتمع، لا يعني أننا نبرر و/أو ندعم فكرة استمرار الأوضاع بما هي عليه من أجل تفادي مسألة الحروب والصراعات الأهلية؛ هذا ما تطرحه السلطة المستبدة دائماً: «نحن أو الفوضى». هذا ما قاله مبارك وبن علي، والقذافي، والشاويش «صالح»، ويقوم به حالياً، ولأكثر من ثلاثة أعوام متتالية، الأكثر إجراماً في التاريخ العربي المعاصر السفاح «بشار». نحن هنا لا نبرر لأحد أن يواصل القمع والطغيان مقابل ما يزعم به «الأمن». الحرية وكرامة الإنسان مقدمة على كل شيء، والأمن الحقيقي يأتي من الكرامة والعدالة والحرية والحفاظ على حقوق الناس، عبر آليات الدولة والحكومات الدستورية وسيادة القانون والدستور بالتوصيف الذي قدمناه، وكما تمارسة الدول الديمقراطية في العالم أجمع، ونحن، كما بقية العرب وشعوبهم، لسنا استثناء، ولا يجب أن نكون خارج تاريخ البشرية في منظومة الحكم الرشيدة وآلياته ومؤسساته، التي ثبت أنها النموذج الأكثر فاعلية وتقدماً وتطوراً في تاريخ البشرية. للذين يرون أن «الخلافة الإسلامية» هي النموذج البشري، نقول إن النظام الديمقراطي بعناصره وآلياته الكلية والأساسية وتبنّيه، هو الذي يقدم للخلافة الإسلامية وللإسلام حيويته وفاعليته: إنه هو النظام المناسب والمفعل لفكرة «الخلافة الإسلامية» بعينها. في التبني، وعندها، نكون أمام «نموذج للعالم» مطعَّم بالروح والقيم الإسلامية ذات الطبيعة الإنسانية الشمولية السمحة المنفتحة المتفاعلة مع العالم والصانعة و/أو المشاركة في التاريخ

البشري وحركته. دون ذلك، نحن أمام شعارات، وكلام نظري يحيل إلى أماني وتصورات عن تاريخ وتجربة سابقة، ولكنها، على جلها محدودة، وغير مناسبة و/أو غير قابلة للتطبيق بالمفاهيم والعناصر والآليات القديمة نفسها.

مستقبل الثقافة في الجوف، وبما يتعلق بمستقبل الانغلاق والتشدد من جهة، وبالانفتاح والوعي الموازي من جهة أخرى، يعتمد بدرجة كبيرة على تحولات في تحالفات الدين/ التديّن والسياسة والمال، ضيقاً و/أو سعة، على مستوى الدولة ككل وفي مواجهة الناس (المجتمع)، وهذا يرتبط إلى حد كبير باتجاهات وقناعات وإرادة السلطة نحو الإصلاح السياسي المدني الحقيقي من عدمه خلال العشر سنوات القادمة، وفي ضوء ومواجهة تغيرات وتحولات كبرى تجري في المنطقة منذ ٢٠١١م فصاعداً، بما في ذلك، الربيع العربي وثوراته، والذي ستتواصل تطوراته وارتداداته، رغم انتكاساته في عدد من البلدان العربية، وكذلك بالتحولات على المستوى العالمي، وفتوحات العولمة والحداثة والفضاءات المفتوحة للمعلومات والتقنية وعلى القيَم الإنسانية والممارسات الثقافية بكل أشكالها وأنواعها وألوانها. لا أحد محصن ضد التحول والتغيير، ولن يستمر العزل والانعزال عن العالم وتاريخ البشر وسيرورته ومساره العام. لن تكفي الأموال في مواصلة الضيق في الدين والسياسة، حيث المجتمع يتحول سريعاً في تركيبته وفئاته وتطلعاتهم المشروعة نحو التقدم والحرية والعدالة والكرامة، وفي سياق تداخل مع عالم مفتوح على هذه القيم والتطلعات، فضلاً عن أدواته وتقنياته ذات الشبك والربط، والذي لن يفلت أحد منه. وأهل الجوف، فمستقبل ثقافتهم مرهون بتلك التحولات وتأثيراتها على الدولة ككل وعليهم وبقدر الاستجابة والتفاعل، الإيجابي الفاعل المساهم المشارك، لا المنفعل والمستقبل المستهلك فقط، الواثق، لا الخائف من قبل الدولة أولاً، ومن أهل الجوف أنفسهم، ثانياً، وبالموازاة. أهل الجوف، كما هم أهل البلدان العربية، ليسوا بدعاً من غير البشر. قانون البشر وسنن الله الكونية، في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة، تسري عليهم كما على غيرهم. مستقبل الجوف والثقافة فيه، مرهون بموقفهم من الثقافة الحديثة، بالمشاركة والمساهمة فيها والتعاطي معها، لا الهروب والخوف منها. لن تصلح وتنزل الأشياء وتمهد الطرق وتزفلت الشوارع من تلقاء نفسها، وإنما عبر الفعل والثمن(!). الله، سبحانه وتعالى، قادر على أن يفعل ما يشاء، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته، ولكنه، وهو كذلك، أوقف التغيير، على رغبة وفعل البشر، فهو يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾.

قبل الأخير، وعوداً على بدء، وعن الصراع الأهلي في الجوف والمستقبل واحتمال عودته، سبق أن قلنا ونكرره هنا فنقول: في صلب الموضوع وعودة له، وما تعلق منه بالمستقبل، إننا ناقشنا، الصراع الأهلي بالجوف كحالة تاريخية كلية (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، ليس من باب الترف ولا من باب العودة للماضي و/أو إحياء له، كما قد يبدو للبعض، وإنما، أولاً، بهدف فهمه وتفسيره، من خلال عوامله ومحركاته الأساسية، للتنبؤ في احتمالاته المستقبلية، وللتحكم فيه وضبطه واحتوائه ومنعه، تالياً، من قبل المجتمع ومكوناته وقواه، وخاصة نخبه الحالية والمستقبلية. يتم ذلك عبر الوعي والإرادة والرغبة والقدرة، لدى ومن تلك النخب والقوى الأهلية، على وفي توظيف كل الإمكانات والموارد المتاحة، وأهمها وفي مقدمتها العقل والمعرفة والتوافق والوفاق والحوار والتفاهم حول

وعلى مصلحة مشتركة، لا فكاك منها، ولا نجاة خارجها و/أو في الخروج عليها؛ إنها مصلحة السلم الأهلي للجميع وبما يكفل تواصل المجتمع وتقدمه ونهضته وبما يجعله مشاركاً بفعالية، ضمن مكونات الوطن والبلدان العربية وشعوبها، في صناعة تاريخها وتحولاته وفي سياق المشاركة والمساهمة في صناعة وتقدم التاريخ البشري، والحضارة الإنسانية المنفتحة على الكل، والمنبسطة المتاحة لصالح البشرية جميعاً. لا أحد رابح في صراع أهلي، وإن بدا، له و/أو لغيره أنه كذلك «رابح»! وفي الجوف، وفي حربها الأهلية السابقة (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، في كلياتها و/أو في حالات منها، الكل كان خاسراً. إن كان هناك من ربح، فهو في ما تكوَّن وتولد عنها من وعي، إن توفر، حول مآسيها وكوارثها ومآلاتها وعواقبها على الحرث والنسل، وبما هو تقويض للسلم الأهلي وللحياة المشتركة، وبما يحيل إلى الحاجة وضروراتها بتجاوز العودة للصراع الأهلي و/أو الارتكاس فيه، وفي متونه مرة أخرى! الصراع بذاته، وإن كان مشيناً ومدمراً، فإنه في الفطرة الإنسانية وارد ومفهوم وحالة «طبيعية» في حده الأدنى، وفي الظروف والمعطيات القديمة للحياة وتفاعلاتها وأطرها المعرفية، ولكن ما هو مشين فعلاً، هو أن يلجأ الإنسان (أفراداً وجماعات)، وفي ضوء معطيات حياة معاصرة مفتوحة وذات قدر متاح من الإدراك والمعرفة لا بأس بها، إلى خيار القوة والعنف في حل أية إشكالات وخلافات مع الطرف الآخر، مستبعداً خيار الحوار والتفاوض والتفاهم والاتفاق و/أو التوافق معه أو معهم وبينهم. من هنا فالعيب ليس في أن يحدث وينشأ الصراع، وإنما في فقدان الآليات، فضلاً عن الرغبة والإرادة، في إدارة الصراع والتحكم فيه وضبطه قبل أن ينفلت عنفاً مسلحاً ومدمراً، خارجاً عن السيطرة، وعاكساً لمزيد من حالات الاحتقان الدائمة، عبر حالات متكررة ومتبادلة من الثأر والانتقام، فدوامة الصراع وحلقته المفرغة وآثارها المدمرة. أهل الجوف، في الصراع والثقافة، كما في بحثهم عن التقدم والكرامة والتحرر، عليهم أن يدركوا تلك الحقائق والمعطيات والخلاصات والسنن من تاريخهم، كما من تاريخ (تجارب وحياة) الشعوب والأمم، قديمها وحديثها.

في الختام: نقدم للقارئ لوحة بصرية مختصرة شاملة على شكل رسم بياني يتضمن فترة الصراعات ببداياتها ونهاياتها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وكذلك مسار الثقافة بالجوف وحالاتها (التخلف والوعي والانفتاح والانغلاق) وتحولاتها على امتداد طول الفترة تحت الدراسة (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)، كما في الشكل التالي في ملاحق الدراسة.

*** انتهى ولله الحمد.

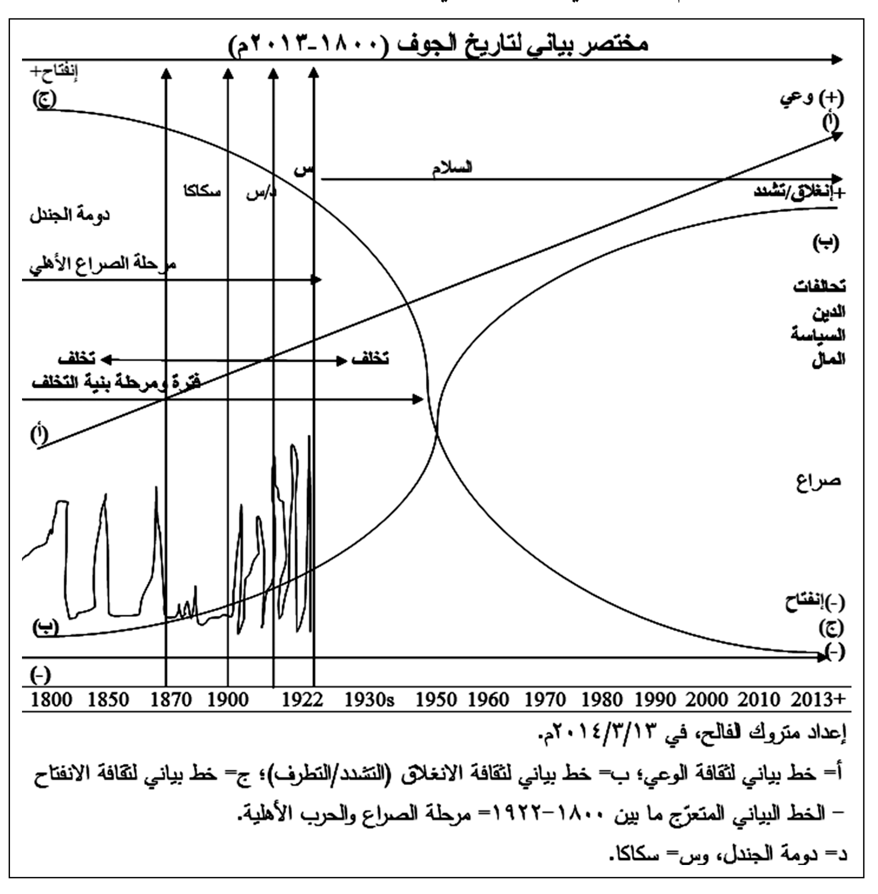
متروك الفالح ـ الرياض

١٣ آذار/ مارس ٢٠١٤م.

ملاحق الدراسة

أولاً: مختصر تاريخ الجوف

رسم بياني يتضمن فترة الصراعات ببداياتها ونهايتها (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)، وكذلك مسار الثقافة بالجوف وحالاتها (التخلف والوعي والانفتاح والانغلاق) وتحولاتها على امتداد طول الفترة تحت الدراسة (١٨٠٠ ـ ٢٠١٣م+)، كما في الشكل التالي:



ثانياً: جداول ومخططات ووثائق الصراع

١ ـ جداول الدراسة

الجدول الرقم (١)

قائمة بأشهر الحروب الأهلية في التاريخ (ترتيب زمني)

الحرب	التاريخ
حروب الأخوة بين الفونسو ملك ليون وسانشو ملك قشتالة	١٠٦٧ ـ ١٠٧٢
الحرب الأهلية في النرويج	١١٣٠ ـ ١٢٤٠
حرب الوردتين في إنجلترا	١٤٥٥ ـ ١٤٨٥
حرب أونين في اليابان	١٤٦٧ ـ ١٤٧٧
الحروب الدينية الفرنسية	١٥٦٢ ـ ١٥٩٨
الحرب الأهلية الأمريكية	١٨٦١ ـ ١٨٦٥
الحرب الأهلية الروسية	١٩١٧ ـ ١٩٢١
الحرب الأهلية في فنلندا	١٩١٨
الحرب الأهلية الأيرلندية	١٩٢٢ ـ ١٩٢٣
الحرب الأهلية الصينية	١٩٢٨ ـ ١٩٣٧، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩
الحرب الأهلية الفيتنامية	١٩٣٠ ـ ١٩٧٥
الحرب الأهلية الإسبانية	١٩٣٦ ـ ١٩٣٩
الحرب الأهلية اليونانية	١٩٤٦ ـ ١٩٤٩
الحرب الأهلية الباراغوانية	١٩٤٧
الحرب الأهلية في كوستاريكا	١٩٤٨
الحرب الأهلية الكورية	١٩٥٠ ـ ١٩٥٣
الحرب الأهلية الإندونيسية	١٩٦٥ ـ ١٩٦٦
الحرب الأهلية النيجرية	١٩٦٧ ـ ١٩٧٠
الحرب الأهلية الباكستانية	١٩٧١
الحرب الأهلية اللبنانية	١٩٧٥ ـ ١٩٩٠
الحرب الأهلية الموزمبيقية	١٩٧٥ ـ ١٩٩٢
الحرب الأهلية اليوغسلافية	١٩٩١ ـ ٢٠٠١
الحرب الأهلية الأفغانية	١٩٩٢ ـ ٢٠٠١

المصدر: «حرب أهلية،» ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، <http://ar.wikipedia.org/wiki/%d8%ad%d8%b1%d8%a8_%d8%a3%d9%87%d9%84%d9%8a%d8%a9>، تاريخ زيارة الموقع (٧ أيار/ مايو ٢٠١٢، الساعة ٥:٢٨ بعد الظهر).

الجدول الرقم (٢)

قائمة الحروب مرتبة تبعاً لأعداد القتلى

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، (انظر خسائر الحرب العالمية الثانية)	٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٧٢,٠٠٠,٠٠٠
تمردا شي (الصين)	٣٦,٠٠٠,٠٠٠
الفتوحات المغولية (القرن الثالث عشر) (انظر غزوات المغول وغزوات التتار)	٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٦٠,٠٠٠,٠٠٠
فتوحات أسرة تشينغ الملكية في عهد أسرة مينغ (١٦١٦ ـ ١٦٦٢)	٢٥,٠٠٠,٠٠٠
الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) (انظر خسائر الحرب العالمية الأولى)	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
تمرد تايبينغ (الصين، ١٨٥١ ـ ١٨٦٤) (انظر ثورة دونغان)	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
الحرب الثانية بين الصين واليابان (١٩٣٧ ـ ١٩٤٥)	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
عصر الممالك المتحاربة (الصين، ٤٧٥ قبل الميلاد إلى ٢٢١ قبل الميلاد)	١٠,٠٠٠,٠٠٠
فتوحات تيمورلنك (١٣٦٠ ـ ١٤٠٥)	٧,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠,٠٠٠
الحرب الأهلية الروسية والتدخل الخارجي (١٩١٧ ـ ١٩٢١)	٥,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٩,٠٠٠,٠٠٠
فتوحات منليك الثاني ملك إثيوبيا (١٨٨٢ ـ ١٨٩٨)	٥,٠٠٠,٠٠٠
حرب الكونغو الثانية (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٧)	٣,٨٠٠,٠٠٠ ـ ٥,٤٠٠,٠٠٠
الحروب النابليونية (١٨٠٤ ـ ١٨١٥) (انظر خسائر الحروب النابليونية)	٣,٥٠٠,٠٠٠ ـ ٦,٠٠٠,٠٠٠
حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨ ـ ١٦٤٨)	٣,٠٠٠,٠٠٠ ـ ١١,٥٠٠,٠٠٠
تمرد العمامة الأصفر (الصين، ١٨٤ ـ ٢٠٥)	٣,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٧,٠٠٠,٠٠٠
الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) (انظر الحرب الباردة)	٢,٥٠٠,٠٠٠ ـ ٣,٥٠٠,٠٠٠
حرب فيتنام (الحرب برمّتها من ١٩٤٥ ـ ١٩٧٥)	٢,٣٠٠,٠٠٠ ـ ٣,٨٠٠,٠٠٠

يتبع

تابع

الحرب الهندية الصينية الأولى (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)	٣٠٠,٠٠٠ ـ ١,٣٠٠,٠٠٠
الحرب الفيتنامية الأهلية (١٩٥٤ ـ ١٩٦٠)	١٠٠,٠٠٠ ـ ٣٠٠,٠٠٠
المرحلة الأمريكية (١٩٦٠ ـ ١٩٧٣)	١,٧٥٠,٠٠٠ ـ ٢,١٠٠,٠٠٠
المرحلة النهائية (١٩٧٣ ـ ١٩٧٥)	١٧٠,٠٠٠
الحرب السرّية (١٩٦٢ ـ ١٩٧٥)	١٧٥,٠٠٠ ـ ١,١٥٠,٠٠٠
حروب هاجينوت	٢,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٤,٠٠٠,٠٠٠
فتوحات شاكا (١٨١٦ ـ ١٨٢٨)	٢,٠٠٠,٠٠٠
الغزو الغازني للهند (١٠٠٠ ـ ١٠٢٧)	٢,٠٠٠,٠٠٠
حرب التحرير في بنغلاديش (١٩٧١)	
الحرب الأهلية الأفغانية (١٩٧٩ ـ ـ)	١,٥٠٠,٠٠٠ ـ ٢,٠٠٠,٠٠٠
التدخل السوفياتي (١٩٧٩ ـ ١٩٨٩)	١,٠٠٠,٠٠٠ ـ ١,٥٠٠,٠٠٠
الحرب الأهلية الصينية (١٩٢٨ ـ ١٩٤٩)، علماً بأن هذا الرقم لا يشمل ضحايا الحرب العالمية الثانية	١,٣٠٠,٠٠٠ ـ ٦,١٠٠,٠٠٠
قبل ١٩٣٧	٣٠٠,٠٠٠ ـ ٣,١٠٠,٠٠٠
بعد الحرب العالمية الثانية	١,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٣,٠٠٠,٠٠٠
الثورة المكسيكية (١٩١٠ ـ ١٩٢٠)	١,٠٠٠,٠٠٠ ـ ٢,٠٠٠,٠٠٠
الحرب العراقية ـ الإيرانية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨)	١,٠٠٠,٠٠٠
الغزو الياباني لكوريا (١٥٩٢ ـ ١٥٩٨)	١,٠٠٠,٠٠٠
الحرب الأهلية السودانية الثانية (١٩٨٣ ـ ٢٠٠٥)	١,٠٠٠,٠٠٠

يتبع

تابع

١,٠٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية النيجيرية (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)
٦١٨,٠٠٠ ـ ٩٧٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الأمريكية (بما في ذلك ٣٥٠,٠٠٠ بسبب المرض) (١٨٦١ ـ ١٨٦٥)
٩٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الموزمبيقية (١٩٧٦ ـ ١٩٩٣)
٨٦٨,٠٠٠ ـ ١,٤٠٠,٠٠٠	حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣)
٨٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الرواندية (١٩٩٠ ـ ١٩٩٤)
٨٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الكونغولية (١٩٩١ ـ ١٩٩٧)
٦٠٠,٠٠٠ إلى ١,٣٠٠,٠٠٠	الحرب اليهودية الرومانية الأولى (انظر قائمة الحروب الرومانية)
٥٨٠,٠٠٠	ثورة بار كوخبا (١٣٢ ـ ١٣٥CE)
٥٧٠,٠٠٠	حرب الاستقلال الإريترية (١٩٦١ ـ ١٩٩١)
٥٥٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الصومالية (١٩٨٨ ـ ـ)
٥٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)
٥٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الأنغولية (١٩٧٥ ـ ٢٠٠٢)
٥٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الأوغندية (١٩٧٩ ـ ١٩٨٦)
٤٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠	حرب التحالف الثلاثي في باراغواي (١٨٦٤ ـ ١٨٧٠)
٤٠٠,٠٠٠	حرب الوراثة الإسبانية (١٧٠١ ـ ١٧١٤)
٣٧١,٠٠٠	مواصلة الحرب (١٩٤١ ـ ١٩٤٤)
٣٥٠,٠٠٠	الحرب العظيمة الشمالية (١٧٠٠ ـ ١٧٢١)
٣١٥,٠٠٠ ـ ٧٣٥,٠٠٠	حروب الممالك الثلاث (١٦٣٩ ـ ١٦٥١) الحملة الإنكليزية ~ ٤٠,٠٠٠، ٧٣,٠٠٠ الاسكتلندية، ٢٠٠,٠٠٠ ـ ٦٢٠,٠٠٠ الأيرلندية

يتبع

تابع

٣٠٠,٠٠٠	الحرب الروسية الشركسية (١٧٦٣ ـ ١٨٦٤) (انظر الحرب القوقازية)
٣٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية البوروندية الأولى (١٩٧٢)
٣٠٠,٠٠٠	صراع دارفور (٢٠٠٣ ـ)
٢٧٠,٠٠٠ ـ ٣٠٠,٠٠٠	حرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦)
٢٣٤,٠٠٠	الحرب الفلبينية الأمريكية (١٨٩٨ ـ ١٩١٣)
٢٣٠,٠٠٠ ـ ١,٤٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الإثيوبية (١٩٧٤ ـ ١٩٩١)
٢٢٤,٠٠٠	حروب البلقان، تشمل الحربين (١٩١٢ ـ ١٩١٣)
٢٢٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الليبيرية (١٩٨٩ ـ)
٢١٧,٠٠٠ ـ ١,١٢٤,٣٠٣	الحرب على الإرهاب (9/11/2001-Present)
٢٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠	الحملة الصليبية على الكثار (١٢٠٨ ـ ١٢٥٩)
٢٠٠,٠٠٠ ـ ٨٠٠,٠٠٠	عصر أمراء الحروب في الصين (١٩١٧ ـ ١٩٢٨)
٢٠٠,٠٠٠	الحرب البونيقية الثانية (BC٢١٨ ـ BC٢٠٤) (انظر قائمة المعارك الرومانية)
٢٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية السيراليونية (١٩٩١ ـ ٢٠٠٠)
٢٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الجزائرية (١٩٩١ ـ)
٢٠٠,٠٠٠	الحرب الأهلية الغواتيمالية (١٩٦٠ ـ ١٩٩٦)
١٩٠,٠٠٠	الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١)
١٨٠,٠٠٠ ـ ٣٠٠,٠٠٠	أحداث العنف في لوس أنجليس (١٩٤٨ ـ ١٩٥٨)
١٧٠,٠٠٠	حرب الاستقلال اليونانية (١٨٢١ ـ ١٨٢٩)

يتبع

تابع

الحرب	عدد الضحايا
الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠)	١٥٠,٠٠٠
الحرب الأهلية في اليمن الشمالية (١٩٦٢ ـ ١٩٧٠)	١٥٠,٠٠٠
الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥)	١٥٠,٠٠٠
حرب الشتاء (١٩٣٩)	١٤٨,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠
الحرب الإثيوبية الإريترية (١٩٩٨ ـ ٢٠٠٠)	١٢٥,٠٠٠
الحرب العظمى التركية (١٦٨٣ ـ ١٦٩٩) (انظر الحروب العثمانية هابسبورغ)	١٢٠,٠٠٠ ـ ٣٨٤,٠٠٠
حرب العبيد الثالثة (BC٧٣ ـ BC٧١)	١٢٠,٠٠٠
الثورة في فيندي (١٧٩٣ ـ ١٧٩٦)	١١٧,٠٠٠ ـ ٥٠٠,٠٠٠
غزو واحتلال العراق (٢٠٠٣ إلى الوقت الحاضر)	١٠٣٣٥٩ + ـــ + ١,١٣٦,٩٢٠
الصراع العربي ـ الإسرائيلي (١٩٢٩ ـــ)	١٠١,٠٠٠ ـ ١١٥,٠٠٠
حرب شاكو (١٩٣٢ ـ ١٩٣٥)	١٠٠,٥٠٠
حرب الأخوين (١٥٣١ ـ ١٥٣٢)	١٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠
غرب غينيا الجديدة (١٩٨٤ ـــ) (انظر أعمال الإبادة الجماعية في بابوا الغربية)	١٠٠,٠٠٠ ـ ٤٠٠,٠٠٠
الغزو الأندونيسي لتيمور الشرقية (١٩٧٥ ـ ١٩٧٨)	١٠٠,٠٠٠ ـ ٢٠٠,٠٠٠
حرب الخليج العربي (١٩٩١)	١٠٠,٠٠٠
حرب استقلال الجزائر (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢)	١٠٠,٠٠٠ ـ ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠
حرب الألف يوم (١٨٩٩ ـ ١٩٠١)	١٠٠,٠٠٠
حرب الفلاحين (١٥٢٤ ـ ١٥٢٥)	١٠٠,٠٠٠

يتبع

تابع

الحرب البوسنية (١٩٩٢ ـ ١٩٩٥)	٩٧,٢٠٧
الحرب البونية الثالثة (BC١٤٩ ـ BC١٤٦)	٨٠,٠٠٠
فتوحات الإسكندر الأكبر (BC٣٣٦ ـ BC٣٢٣)	٧٥,٠٠٠ ـ ٢٠٠,٠٠٠؟
الحرب الأهلية السلفادورية (١٩٨٠ ـ ١٩٩٢)	٧٥,٠٠٠
حرب البوير الثانية (١٨٩٨ ـ ١٩٠٢)	٧٥,٠٠٠
انتفاضة بوديكا (AD٦٠ ـ AD٦١)	٧٠,٠٠٠
الصراع الداخلي في البيرو (١٩٨٠ ـ ـ)	٦٩,٠٠٠
الصراع بين سري لانكا/ التاميل (١٩٨٣ ـ ٢٠٠٩)	٦٠,٠٠٠
التمرد في نيكاراغوا (١٩٧٢ ـ ٩١)	٦٠,٠٠٠
حرب المحيط الهادئ (١٨٧٩ ـ ١٨٨٥)	٥٥,٠٠٠
الحرب الشيشانية الأولى (١٩٩٤ ـ ١٩٩٦)	٥٠,٠٠٠ ـ ٢٠٠,٠٠٠
الحرب الطاجيكستانية الأهلية (١٩٩٢ ـ ١٩٩٧)	٥٠,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠
حرب الوردتين (١٤٥٥ ـ ١٤٨٥) (انظر الحروب التي تشمل إنكلترا)	٥٠,٠٠٠
الحرب الأهلية اليونانية (١٩٤٥ ـ ١٩٤٩)	٤٥,٠٠٠
أحداث التمرد الكشميرية (١٩٨٩ ـ ـ)	٤١,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠
الحرب الأهلية الفنلندية (١٩١٨)	٣٦,٠٠٠
حرب المحيط الهادئ (١٨٧٩ ـ ١٨٨٤)	٣٥,٠٠٠ ـ ٤٠,٠٠٠
حصار مالطا (١٥٦٥) (انظر الحروب العثمانية في أوروبا)	٣٥,٠٠٠ ـ ٤٥,٠٠٠

يتبع

٣٠,٠٠٠	الصراع بين حزب العمال الكردستاني وتركيا (١٩٨٤ ـ ـ)
٣٠,٠٠٠	الحرب الفيتنامية الصينية (١٩٧٩)
~ ٢٨,٠٠٠	الغزو الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢ (١٩٨٢)
٢٥,٠٠٠	حرب الشيشان الثانية (١٩٩٩ ـ الوقت الحاضر)
٢٥,٠٠٠	الحرب الأمريكية الثورية (١٧٧٥ ـ ١٧٨٣)
٢٣٣٨٤+	الحرب بين الهند وباكستان لعام ١٩٧١ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧١)
٢٣,٠٠٠	حرب ناغورنو كاراباخ (١٩٨٨ ـ ١٩٩٤)
٢٠,٠٠٠ ـ ٤٩,٦٠٠	الغزو الأمريكي لأفغانستان (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢)
١٩,٠٠٠ +ـ	الحرب المكسيكية ـ الأمريكية (١٨٤٦ ـ ١٨٤٨)
١٤,٠٠٠ +ـ	حرب الأيام الستة (١٩٦٧)
١٥,٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠	حرب الاستقلال الكرواتية (١٩٩١ ـ ١٩٩٥)
١١,٠٥٣	طوارئ الملايو (١٩٤٨ ـ ١٩٦٠)
١١,٠٠٠	الحرب الإسبانية الأميركية (١٨٩٨)
١٠,٠٠٠	جهاد الأمادو (١٨١٠ ـ ١٨١٨)
١٠,٠٠٠	هجوم بالغاز السام في حلبجة (١٩٨٨)
٧,٢٦٤ ـ ١٠,٠٠٠	الحرب بين الهند وباكستان لعام ١٩٦٥ (آب/ أغسطس ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٥)
٧,٠٠٠ ـ ٢٤,٠٠٠	الحرب الأمريكية عام ١٨١٢ (١٨١٢ ـ ١٨١٥)
٧,٠٠٠	حرب كوسوفو (١٩٩٦ ـ ١٩٩٩) (المتنازع عليها)

تابع

الغزو التركي لقبرص (١٩٧٤)	٥,٠٠٠
الحرب بين الصين والهند (١٩٦٢)	٤,٥٨٨
حرب زيرستان (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٦)	٤,٠٠٠
الحرب الاهلية الأيرلندية (١٩٢٢ ـ ٢٣)	٤,٠٠٠
الاضطرابات (١٩٦٩ ـ ١٩٩٨)	٣,٥٠٠
الحرب الأهلية في كوت ديفوار (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٧)	٣,٠٠٠
أرض الحروب في نيوزيلندا (١٨٤٥ ـ ١٨٧٢)	٢,٨٩٩
الحرب بين الهند وباكستان في عام ١٩٤٧ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٤٧ ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨)	٢,٦٠٤ ـ ٧,٠٠٠
حروب كرة القدم (١٩٦٩)	٢,٠٠٠
حرب الاستقلال الأيرلندية (١٩١٩ ـ ١٩٢١)	٢,٠٠٠
العنف في النزاع الإسرائيلي ـ الفلسطيني (٢٠٠٠ ـ ـ)	١,٩٧٥ ـ ٤,٥٠٠ +
الحرب في لابلاند (١٩٤٥)	١,٧٢٤
الثورة الرومانية (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٩)	ـ ١,٥٠٠
حرب لبنان ٢٠٠٦	~ ١,٥٠٠
انتفاضة زاباتيستا في تشياباس (١٩٩٤)	ـ ١,٠٠٠
حرب فوكلاند (١٩٨٢)	٩٠٧
حرب الاستقلال السلوفينية (١٩٩١)	٦٢

هذه **قائمة غير مكتملة** من الحروب.هذه الأرقام لا تشمل الوفيات بين المدنيين الناجمة عن الأمراض والمجاعة والفظائع.. إلخ. فضلاً عن مقتل الجنود في المعركة.

المصدر: «حرب،» ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، <http://ar.wikipedia.org/wiki/%d8%ad%d8%b1%d8%a8>، تمّت الزيارة في ٢٨ آذار/ مارس ٢٠١٢، الساعة ٦:٤٦.

الجدول الرقم (٣)

الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م): القوى والمتغيرات

المتغيرات القوى الواقعات زمن/ مكان	قوى/ أطراف/ الصراع		سياسية سلطة/ محلية مركزية واحدة/ فراغ	اجتماعية/ ثقافية/ نفسية اجتماعي حرية/ كرامة		ديمغرافية (د) و عسكرية (ع)	اقتصادية ومادية اقتصادي/ مادي/ نمط اقصاد	
صراعات حرب	داخلي	خارجي	سلطة مركز	انقسام اجتماعي	حرية/ تحرر مذهبية	عدد: +/ ـ	دعم/ ضرائب/ زكاة أملاك/ مراعي	كفاف/ فلاحي مساوة
صراعات ١٨٠٠ ـ ١٨٣٠sم	سراح/ درع دومة	دولة ـ س١ دعم/ حلف للدرع	**مركزية ـ** NO تنافس/ صراع على سلطة	YES	حرية/ تحرر	د = ?NO ع = YES دولة س١	مال للدرع + (سلاح من دولة س١)	YES
واقعة الدلهمية ١٨٣٨م	دلهمية/ جرعاوي دومة	دولة ـ رش جرعاوي	**سلطة محلية لا مركزية**	YES	ح/ تح؟	د =؟ استيطان؟	أراضي/ لملاك؟	YES
صراع السراح ـ تمرد ١٨٥٣م	السراح × السراح دومة	الرشيد ـ «الشعلان»	**تمرد** على سلطة «الرشيد» **بعيدة/ ضعيفة**	NO تنافس بيوت	حرية/ تحرر من «الرشيد»	د = NO ع = YES شعلان/ رشيد	حلال/ سجادة	YES
واقعة المديرس الحملة التركية ١٨٧٠/ ١٨٧١م	قرشة × معاقلة (جزئيا) دومة سكاكا	الرشيد الأتراك تدخل الأتراك	**بالأصل تمرد** أهل الجوف على سلطة «الرشيد»	بالأصل No لاحقاً YES	حرية/ تحرر من «الرشيد»	د = ؟ ع = YES قوة تركية عسكر «الرشيد»	ضرائب/ زكاة رشيد/ أتراك	YES
واقعة السمرة ?١٨٧٠S	قرشة × معاقلة سكاكا	NONE	سلطة مركزية «الرشيد» **قوية**	YES	NONE	د = ?Maybe ع = Yes Bt Limitd	حلال رعي/ مراعي	YES
واقعة سيسرا ١٨٨٠S م عرض قوة	قرشة × معاقلة سكاكا	NO	سلطة «الرشيد» **قوية/** **تدخلت** اوقفت العمل	YES BT NO VIP	NO	د = ؟ Maybe? ع = NoUSE	YES مورد/ مياة قليب + قنوات أرضية	YES

يتبع

تابع

واقعة الجمعة ١٨٨٠S م نوايا للقتل	قرشة × معاقلة سكاكا	NO	سلطة «الرشيد» **قوية**	YES	بالأصل NONE لكن المسجد صلاة	د = ?Maybe ع = NO USE	إشارات عن توقف دفع الزكاة؟	YES
كون الظلي صيف ١٩٠٧م مسلح/ قتلى	قرشة × معاقلة سكاكا رحيل شكر السهيان	جزئيا Yes الرشيد/ المعاقلة مشيخة السهيان	سلطة «الرشيد» موجودة ـ لكن **ضعيفة** **جدا** صراعات «الرشيد»/ حايل؟	YES and NO صراع مشيخة السهيان	NONE جزئياً تحررمن سلطة خارجية «الرشيد»؟	د = معاقلة # قرشة لكن معاقلة استيطان + نمو؟ ع = YES لكن من أكثر؟	توسع المعاقلة جغرافيا ـ حد من توسع القرشة غربا وجنوبا	YES
صراعات سيطرة الشعلان ١٩٠٩ ـ ١٩١٤م مسلح/ قتلى	قرشة معاقلة دومة سكاكا	Yes «الشعلان» = معاقلة الرشيد = قرشة	سلطةالرشيد **ضعيفة** صراع بحايل # سيطرة لسلطة «الشعلان»	YES	NONE لكن الرولة عداء لوهابية «الرشيد»؟	د = معاقلة # قرشة لكن المعاقلة نمو+؟ ع = YES قوة عسكرية + سلاح للحلفاء (رشيد/ شعلان)+ تجار سلاح (المشاهدة)	ضرائب/ زكاة/ مراعي/ مياه/ تجارة مقايضة محدودة حبوب/ تمر/ ملح حرق/ هدم/ نهب/ املاك ومزارع تهجير/ هجرة	YES
صراعات الرشيد ـ الشعلان على الجوف ١٩١٩م مسلح/ قتلى	مجموعات من سكاكا ودومة ضد بعضهم	YES الرشيد X «الشعلان» ودعم حلفاءهم	**فراغ سياسي** على خلفية القضاء على سلطة «الشعلان» ١٢/ ١٩١٨م	NO إجمالاً المعاقلة مع «الرشيد» والقرشة غالباً على الحياد	NONE مإعداما يتصل بموقف بالرشيد و«الشعلان»/ الرولة من الوهابية	د = معاقلة # قرشة لكن الحرب بين مجموعات خليط ع = YES سلاح للحلفاء	الضرائب/ الزكاة/ ومناطق للرعي وموارد المياه وطريق التجارة للشام	YES
كون الغطغط ـ المطر ١٩٢٠م؟ وهجة الغرب بدومة مسلح/ قتلى	١*قرشة × ضد معاقلة بسكاكا ٢*معاقلة + قرشة X ضد معاقلة بدومة الجندل	الرولة «الشعلان» ضد المعاقلة و«الرشيد» بسكاكا ودومة	سلطة «الرشيد» موجودة لكن ضعيفة *** محاولة #٢ «الشعلان» لإنتزاع الجوف	Ys /No بعض الشلهوب بسكاكا وبعض المعاقلة في دومة مع «الشعلان»	NONE ماعدا موقف الرولة الرشيد من الوهابية	د = معاقلة # قرشة لكن معاقلة في نمو ع = YES قوة متعددة من «الشعلان» وبادية + سلاح لمناصريهم في دومة وسكاكا	تجارة التمر ضرائب/ زكاة لصالح «الرشيد» أو «الشعلان»؟	YES

يتبع

تابع

كون/ حرب المعاقلة ـ أو حرب الراشد والمويشير ١٩٢٢م (رمضان ١٣٤٠هـ) مسلح/ قتلى	معاقلة × ضد معاقلة أو بالأحرى هي بين: الراشد والمويشير	«الشعلان» دعم وتحالف مع غالب أهالي الجوف	سلطة «الشعلان» موجودة ولكن ضعيفة وغير مستقرة تنافس على مشيخة الراشد	NO معاقلة × معاقلة بل بين الراشد = الراشدX المويشير مشيخة الراشد	NONE	د = حلف «الشعلان» أكثر ❋ القرشة ليست طرف بالحرب شارك عناصر قليلة من العلي والمطر ع = YES سلاح دعم عسكري من «الشعلان» لمجموعات حلفهم ومنهم راشد القايد مقابل سلاح مستولى عليه (١٩١٨م)لحلف جنوب/ غرب معاقلة مطالب به من «الشعلان»		YES
نهاية الحرب الأهلية بالجوف نوفمبر ١٩٢٢م	انهاك أهلي من الصراعات	بروز سلطة كيان جديد بديلة السعودية # ٣ انهيار سلطتين متنافستين	دعوة وقبول سلطة مركزية واحدة بتوافق أهلي عام وتواصلها	انقسام اجتماعي موجود لكن لم يحل دون توافق أهلي على سلطة جديدة	الوهابية متغلغلة بالجوف وأهلها منذ +٨٠ سنة ومتجانسة مع السلطة الجديدة	تقارب وتوازن بين الجماعات الكبرى العامة بالجوف (المعاقلة والقرشة)	وقف الاستنزاف المادي الحاد بنهاية الضرائب الجائرة رغم دفع الأهالي للزكاة المفروضة للسلطة الجديدة + استقرار وتعافي الحالة الزراعية تدريجياً	YES ولكن تحولات لاحقة في تطور الاقتصاد الزراعي آليا مدعوما بمال ونفقات حكومية + وظائف عسكرية + مدنية + دخول البترول وتبعاته على الخط في غضون ٣٠ سنة من دخول الجوف تحت السلطة الجديدة

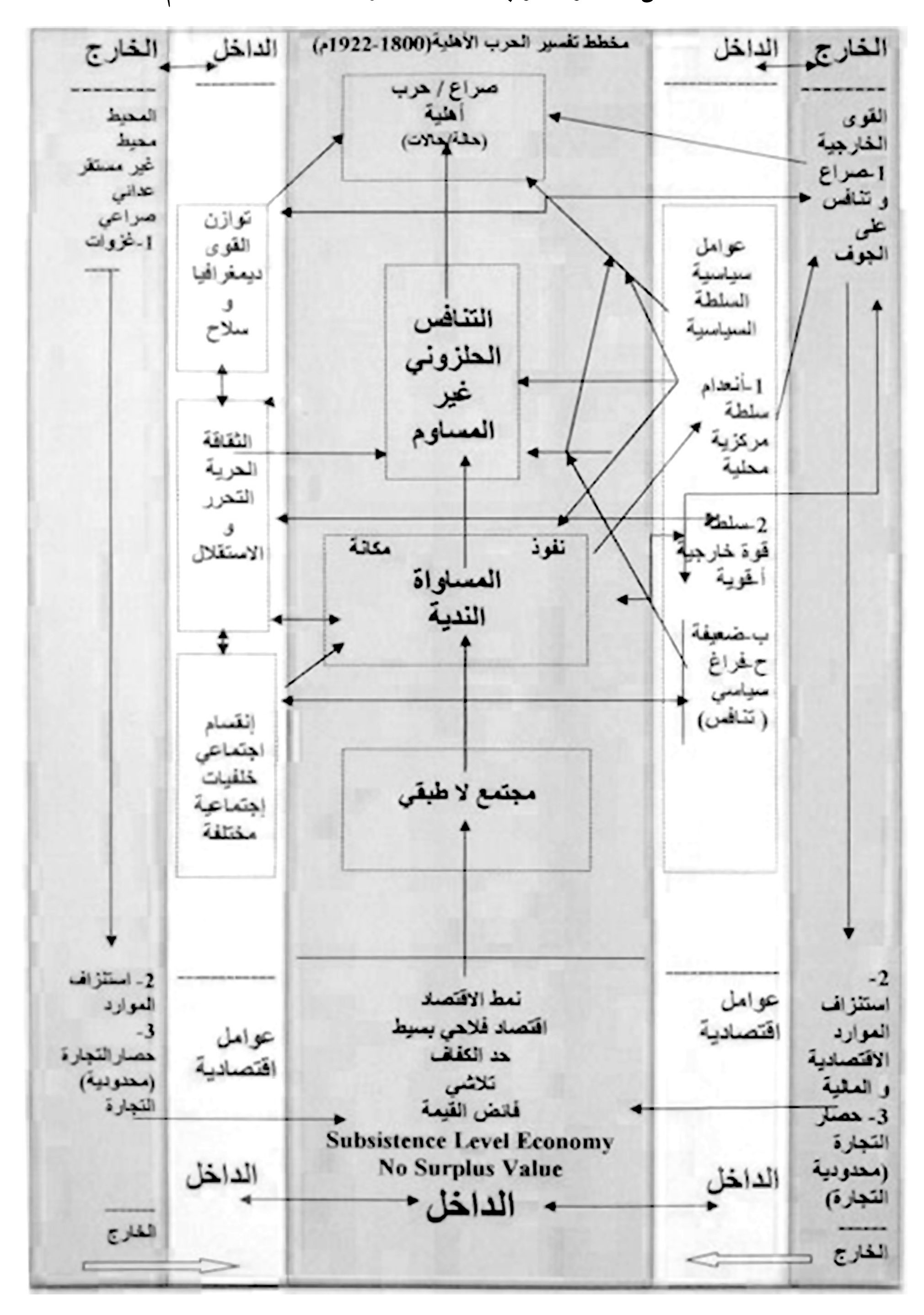
ملحوظة هناك عدد من حالات الحرب الأهلية بالجوف لنفس الفترة ولكنها لم تضمن في الجدول لغياب روايات بعض أطرافها، ومنها: صراع الرحيبيين/ الرحيبيين (١٨٣٠sم؟) في دومة الجندل؛ الرحيبيين/ المطر (١٨٣٠sم؟) في دومة الجندل؛ الطالب/ السراحين والدغمان (١٨٤٠sم؟) في قارا... إلخ.

٢ ـ مخططات تفسير الصراع الأهلي:

مخطط: نموذج مبسط لتفسير الحرب الأهلية بالجوف
(١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)



مخطط مفصل لتفسير الحرب الأهلية بالجوف (١٨٠٠ ـ ١٩٢٢م)



ثالثاً: وثائق الصراع الأهلي بالجوف

صورة من نسخة من: (وثيقة الجرعاوي ـ ٩/ ربيع (؟)/ ١٢٥٨هـ)


الحمد لله وحده
بيان ثمن الجرعاوي ... عند عبد العزيز
عشرين وعند مناور عشرين
عونة لوطبا ومعينهم عبد الله
الزغيبي كان هو عين بمعزوق والكان
هو باقي ١٢٥٨ ومن بحر الشرقي
قاله وثبته
عبيد الله الرشيد ختام والسلام
٦ ربيع

المصدر: «وثيقة الجرعاوي»، أصل الوثيقة موجودة في دارة الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات التاريخية، كما وَرَدَت منقولة في: مهند الرمالي، «رمالات الجرعاوي،» موقع شبكة الطنايا، ديوانية شمر (٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٩)، الساعة ٣:٠٨ مساءً، على الرابط التالي: <http://www.altanaya.net/vb/showthread.php?t=59249&page=5>.

صورة من نسخة من: وثيقة التسوية بين أهل خذما ـ والجمادا على ملكية الدلهمية، في ٢٧ جمادى الثاني ١٣٤١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به من يراه ان حامد الجبيد وسالم ابا بكر وحمد ابن عشيران تخاصموا عندي هم و
شاهر الشعب واخوه عبدالله وعناد آل شاعب ومن تبعهم من اهل خذما في الدلهمية فالدعا
اهل خذما انهم مشترين الدلهمية من اهلها ثمانين نخلة وعصرية من حا خذما وادعو الجمادا انها
ماهو بيع ومشترا وان النخل والماء الذي بيديهم من خذما انه شرط لهم من اهل خذما على انهم
يعبرون عبيد ابن رشيد على ربعهم وانهم عبروه بها الشرط فلما تولاهم عبيد ابن رشيد
دهم الديرة وقطع نخل هذي حجة الجمادا والا عند الجميع منهم صكايك ولا بينة واضحة على دعوة
الا المستفيض عند هل الجوف والذي ينقلونه عن اباهم من غير تحقيق ان الامر على ما ادعاه الجمادا
فحكمنا بينهم ان الجمادا يردون الذي تحت ايديهم من نخل اهل خذما وملكهم ويرجعون على دين لهم
الدلهمية البحر الذي اطلع به شعلان والمالحة التي اطلع عوهر وحدد تالم الارض الى تبيع
القليبين المذكورات عن رسمناها لهم بحضورهم تخمينا لا تحقيق برضا الجميع بالتحديد يتعلم
بيعا للجمادا تعلق بخذما لا ماء ولا نخل ولا غيره ولا لاهل خذما تعلق بالدلهمية لا ماء ولا ارض
ولا غيره والارض التي بين مراسيم الجمادا وبين الحوطة الدور سعة للجميع ما يحدث بها
احد منهم شي لا زرع ولا نخل ولا بنا قطعا للخصومة بينهم فان ادعا احد من اهل الدلهمية
الاصليين على الجمادا بدعوا في حكمنا لهم بين الدلهمية فالمدعى على دعواه فيما ادعا به على الجمادا
جرا ذلك على يد الامير عساف بن حسين المنصور واشهد كاتبه بقلم الفقير الى الله سبحانه محمد
بن براهيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

١٣٤١
٢٧ ج

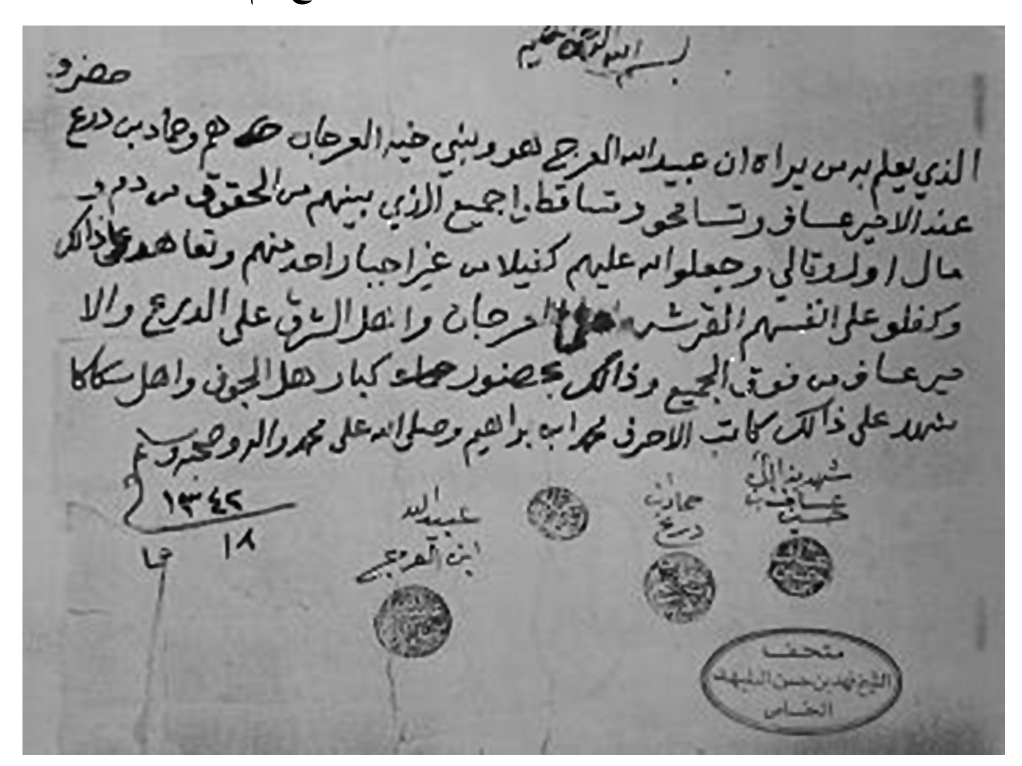
وجب المذكور اعلاه صحيح برضا الجميع منهم لا يبقى لاحد منهم على الآخر معارضة بموجب حكم الشرع

١٣٤١
٢٧ جماد الثاني

عساف الحسين المنصور

المصدر: نسخة الوثيقة، كما استلمناها من زياد السالم، في ٢٠/ ١١/ ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٦/ ٩/ ٢٠١٣م، في دومة الجندل. والتي تحصَّل عليها كما يقول من شخص من عائلة «الرزن» فضل عدم ذكر اسمه.

صورة من نسخة من وثيقة المصالحة بين العرجان والدرع عام ١٣٤٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به من يراه ان عبيد الله العرجي [illegible] العرجان [illegible] هو وحماد بن درع
عند الاخير عساف وتسامحو وتساقطوا جميع الذي بينهم من الحقوق من دم و
مال اول وتالي وجعلوا الله عليهم كفيلا من غير اجبار واحد منهم وتعاهدو على ذالك
وكفلو على انفسهم القرشه [illegible] العرجان واهل الشرق على الدرع والا
[illegible] عساف من فوق الجميع وذالك بحضور جملة كبار اهل الجوف واهل سكاكا
شهد على ذالك كاتب الاحرف محمد ابن ابراهيم وصلى الله على محمد [illegible]

شهد بذالك عساف [illegible]
حماد بن درع
عبيد الله ابن العرجي
١٣٤٢
١٨

متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص

المصدر: (البليهد، بدر، في مجموعة نسخ وثائق من متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص، تسلمها الباحث عن طريق عواد فالح عواد المعدوة، في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢).

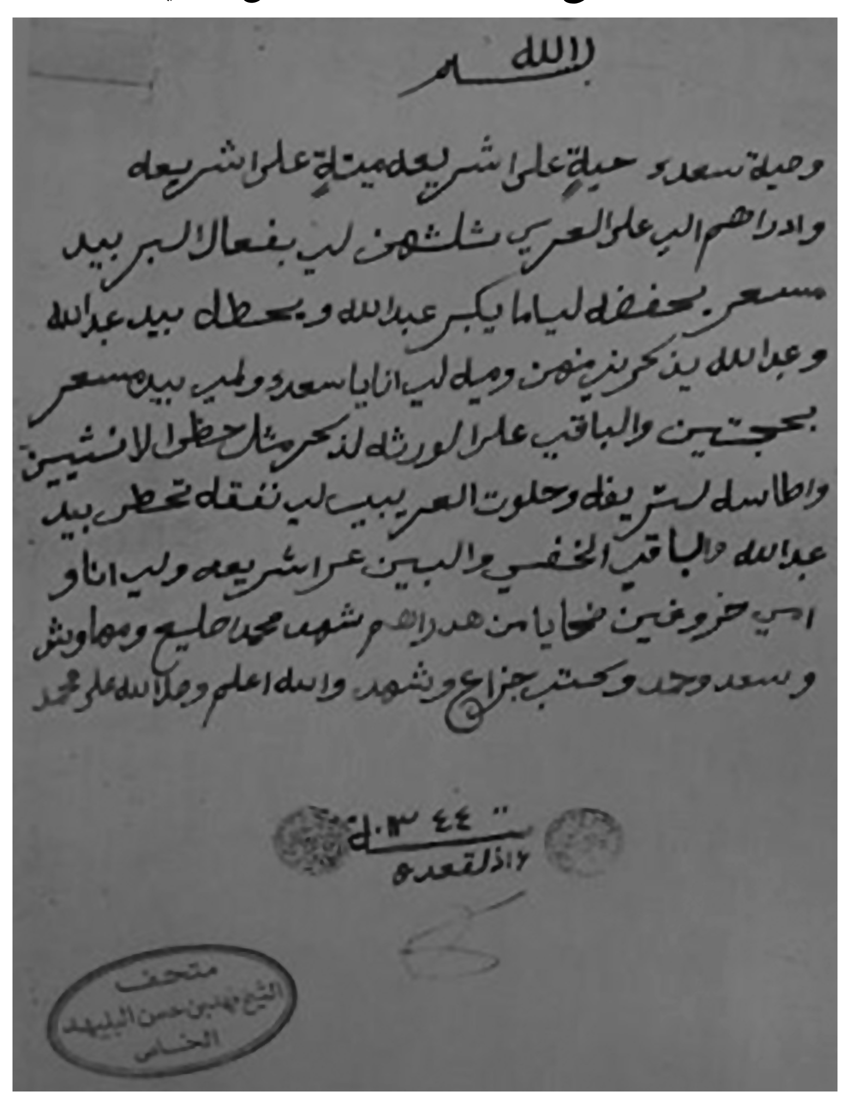
رابعاً: ملحق الثقافة بالجوف:

ملحق نسخ من وثائق تتعلق بالثقافة بالجوف

١ ـ نسخ مصورة عن نسخ من وثائق عن فترة بنية التخلف المعرفي والثقافي

وثيقة (١)

وصية بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٣٤٤هـ، كتبها جزاع البديوي



بسم الله

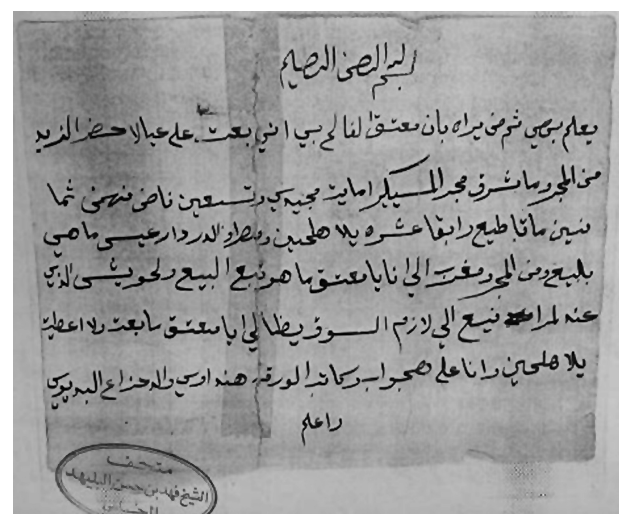
وصية سعدو حية على اشريعه ميتة على اشريعه
وادراهم التي على العريب ثلثهن لي بفعال البر بيد
مسعر يحفظه ليا ما يكبر عبدالله و يحطه بيد عبدالله
وعبدالله يذكر نديمهن وميه لي انا يا سعدو ولمي بين مسعر
بحجتين والباقي على الورثه للذكر مثل حظ الانثيين
واطاسه لشريفه وحلوت العريبيب لي نتقله تحطر بيد
عبدالله والباقي الخفي والبين عن اشريعه ولي اناو
امي خزو غين ضحايا من هد الام شهد محمد احليع ومعاوش
وسعد وحمد وكتب جزاع وشهد والله اعلم وصلى الله على محمد

سنة ١٣٤٤
١٦ ذالقعده

المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أرسلت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، تسلّمها الباحث في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

وثيقة (٢)

بيع ملك معتق الفالح



بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم بهذه من يراه بان معتق الفالحي اني بعت على عبدالله [illegible] الزيد

من المجر وما شرق مجر المسيكر امايه مجيديه وتسعين ناض فهي ثمنا

نبين ما انا طيع رابعا عشره يلا هلحين ومطراق الدردار عيسى ماهي

بالبيع ومن المجر مغرب الي انا يا معتق ما هو تبع البيع ولحويشي الذي

عنه لمراح تبيع الي لازم السوق يطالي يا معتق ما بعت ولا اعطيت

يلا هلحين وانا على صحواب وكاتب الورقه هنداوي ولد جزاع البديوي

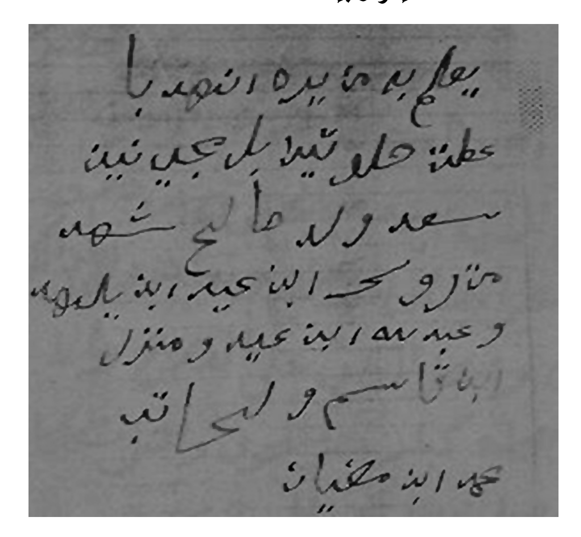
واعلم

متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص

الكاتب هنداوي جزاع البديوي المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

وثيقة (٣)

إقرار بإعطاء ممتلكات



يعلم به من يراه انه با

عطيت حلالي كله عبيد بن

سعد ولد فالح شهد

منازل [illegible] ابن عبيد ابن بليهد

وعبدالله ابن عبيد و منزل

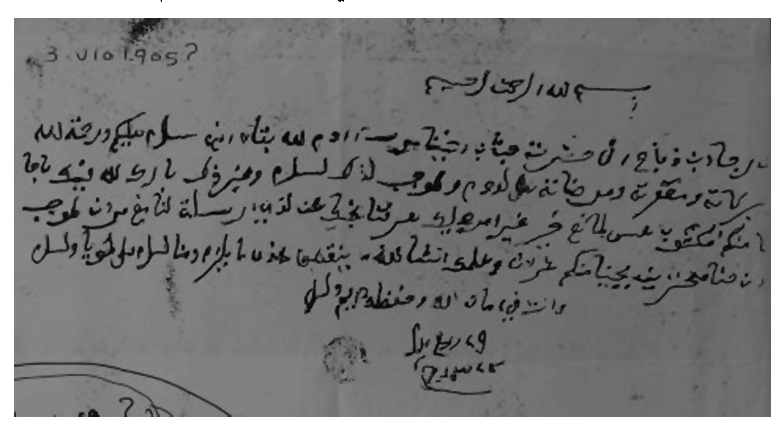
ابن قاسم والكاتب

محمد ابن مضيان

الكاتب: محمد ابن مضيان المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت له في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢.

وثيقة (٤)

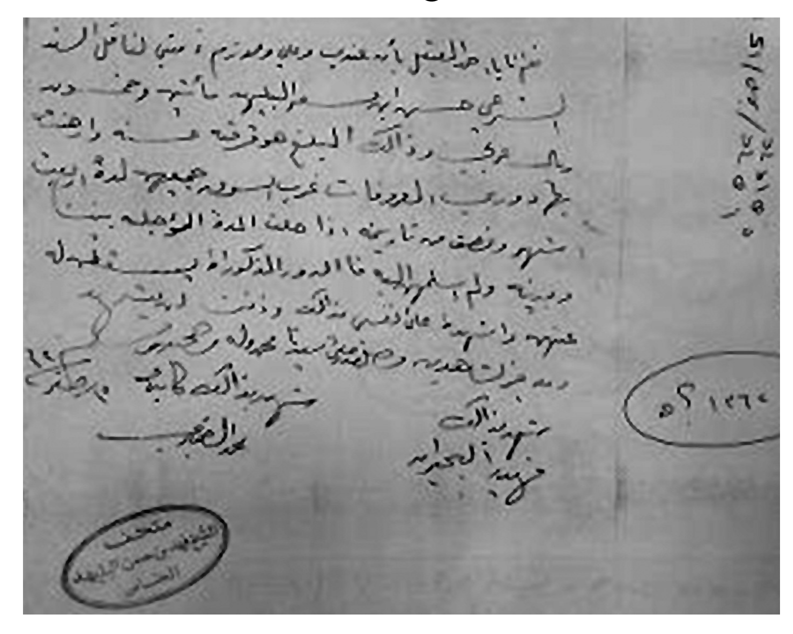
رسالة إلى الرحالة موسيل في ٢٠/ ٤/ ١٩٠٩م



المصدر: عوض البادي، «رسالة رجا إلى الرحالة موسيل...، في ٢٠/ ٤/ ١٩٠٩م»، نسخة سلّمها للباحث مباشرةً مساء ٢٤/ ٥/ ١٤٢٤هـ ـ الموافق ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م.

وثيقة (٥)

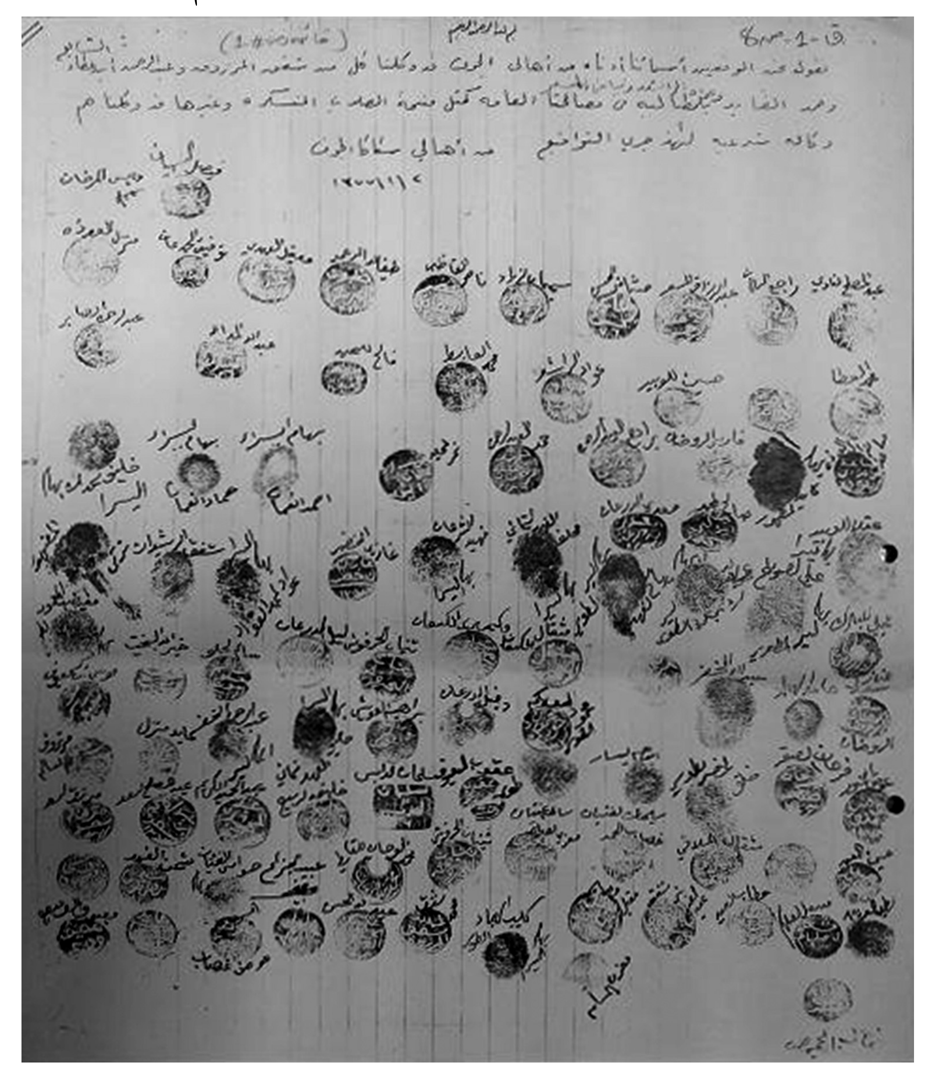
سند قرض مبلغ بضمان رهن الدور



المصدر: بدر البليهد، «نسخ مخطوطات» من «متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص»، أُرسِلَت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلِّمَت له في ٢٥/ ٩/ ٢٠٠٢م.

٢ ـ نسخ مصورة عن نسخ من وثائق ثقافة الوعي

صور من نسخ من قوائم (١ ـ ٨) الشكوى الجماعية لأهل الجوف (٢/ ١/ ١٣٧٧هـ الموافق ٣٠/ ٧/ ١٩٥٧م)[1]

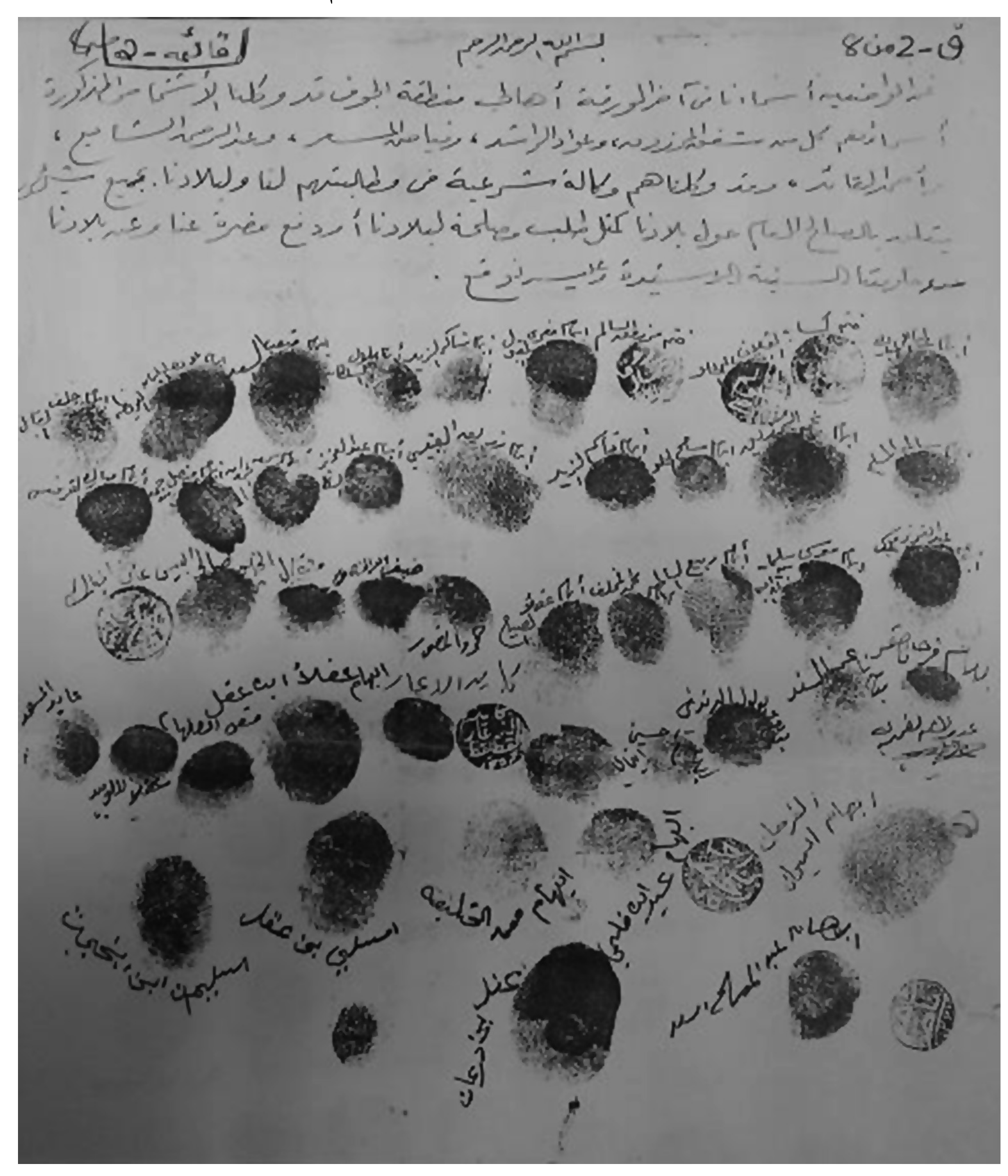


(**المصدر**: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث، في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً). **الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ١ ـ)**

---

(١) يبدو أن الشكوى/ العريضة ابتدأ التوقيع عليها وجمع التوقيعات في حدود ٢/ ١/ ١٣٧٧هـ الموافق ٣٠/ ٧/ ١٩٥٧م، أما متى انتهى التوقيع عليها ورفعها للجهات الرسمية وعن أي طريق فليس واضحاً، وإن نتوقع أن يكون في حدود الشهر من تاريخ بداية التوقيع عليها، وأتوقع أنها إن أرسلت بالبريد / برقية فالغالب تكون نقلت شخصياً إلى عرعر ثم أرسلت من هناك.

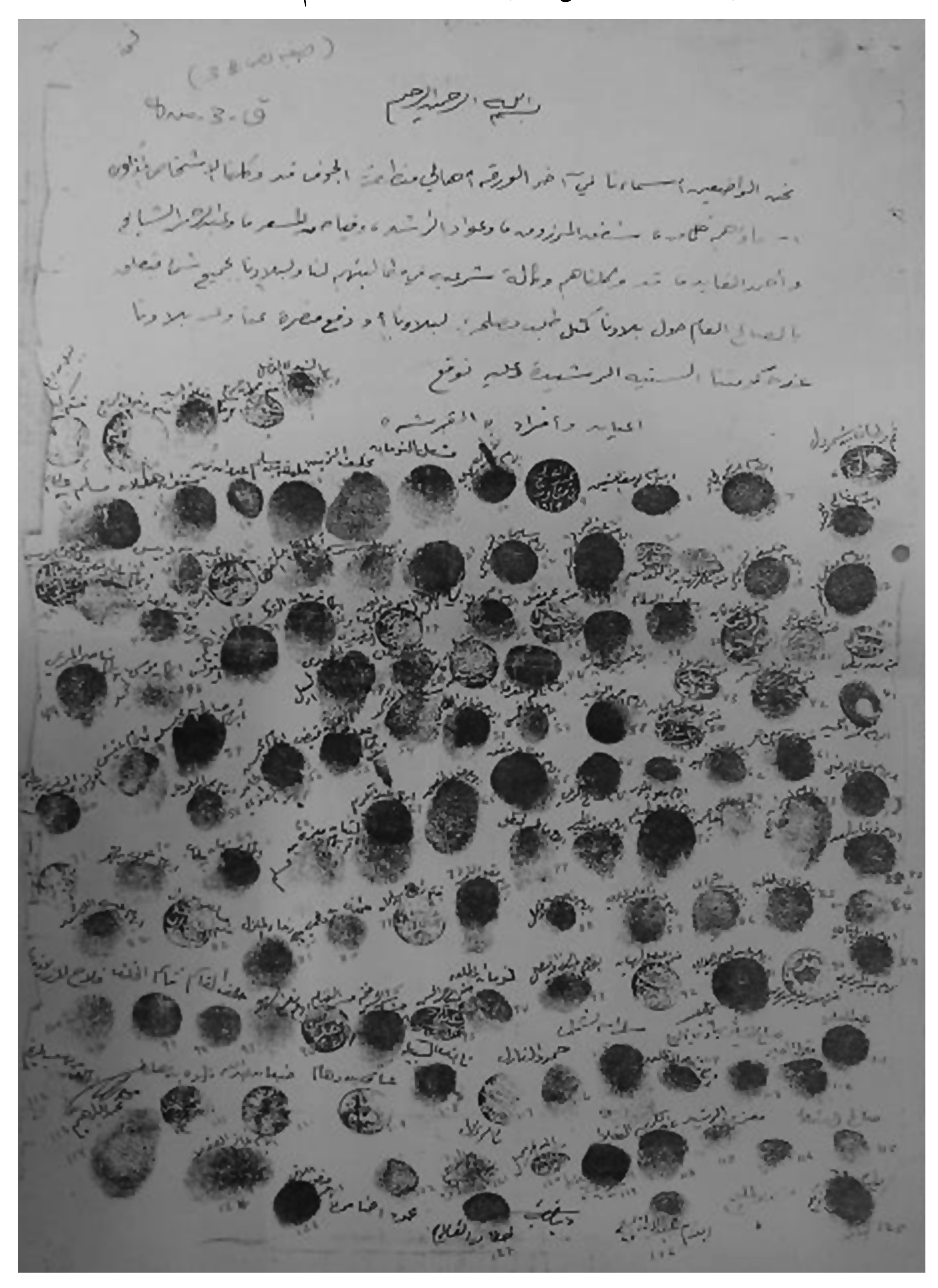
الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٢ ـ)



ق-2 من 8 بسم الله الرحمن الرحيم القائمة

يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا

الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٣ ـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الواضعين أسمائنا في آخر الورقة أهالي منطقة الجوف نعد وكلائنا الأشخاص الآتون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] العام حول بلادنا [illegible] لبلادنا و دفع مضرة عنا وعن بلادنا

عند حكومتنا السنية الرشيدة وعليه نوقع

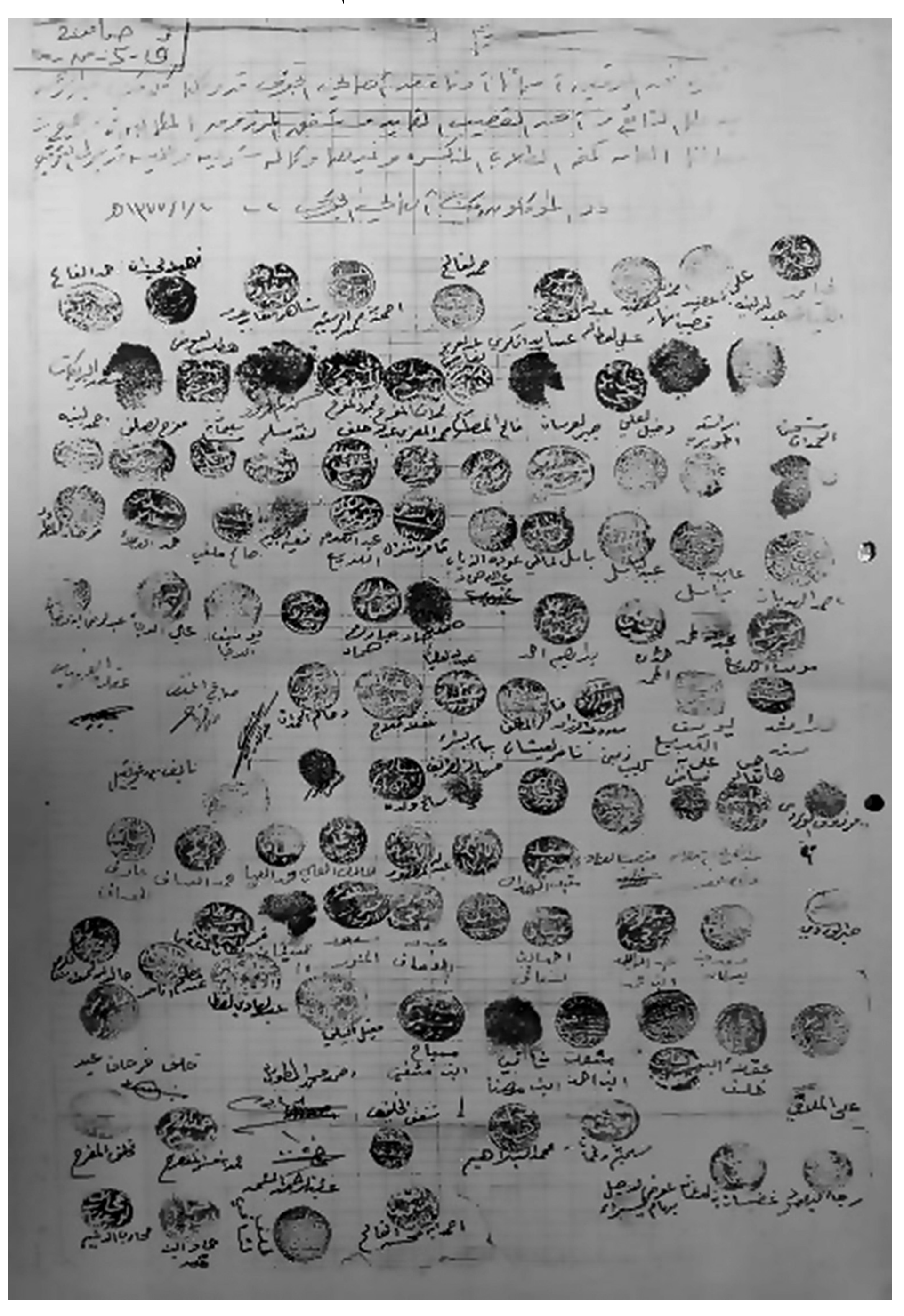
الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٤ ـ)



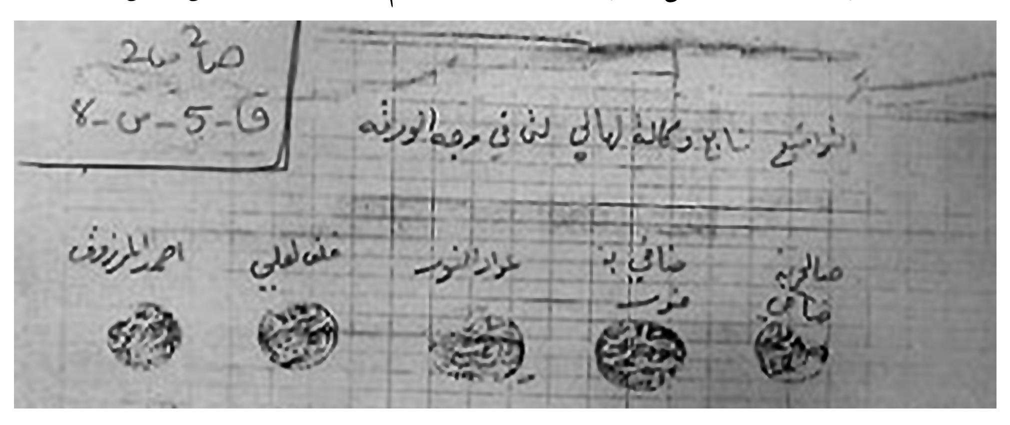
نحن الموقعين أسمائنا من آخر الورقة أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة
أسمائهم [illegible] [illegible] متعب المرزوقه وعبدالرحمن الشايع ومبارك المسعر وأحمد القايد وعواد [illegible]
قد وكلناهم والتزمنا شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا
كان المطلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا عند حكومتنا السنية الرشيدة
وعليه نوقع.

أعيان وأفراد «المعاقلة»

الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٥ ـ) ص ١ من ٢



الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٥ ـ) ص ٢ من ٢



الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٦ ـ)

ق-6-س-8

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن الواضعين أسماءنا في آخر الورقة أهالي منطقة الجوف قد وكلنا الأشخاص المذكورة أسماؤهم كل من سلطان المرزوق وأحمد القايد وعواد الراشد وفياض المسعر وعبد الرزاق الشايع قد وكلناهم وكالة شرعية في مطالبتهم لنا ولبلادنا بجميع شيء يتعلق بالصالح العام حول بلادنا كمثل طلب مصلحة لبلادنا أو دفع مضرة عنا وعن بلادنا من حكومتنا السنية الرشيدة وعليه نوقع.

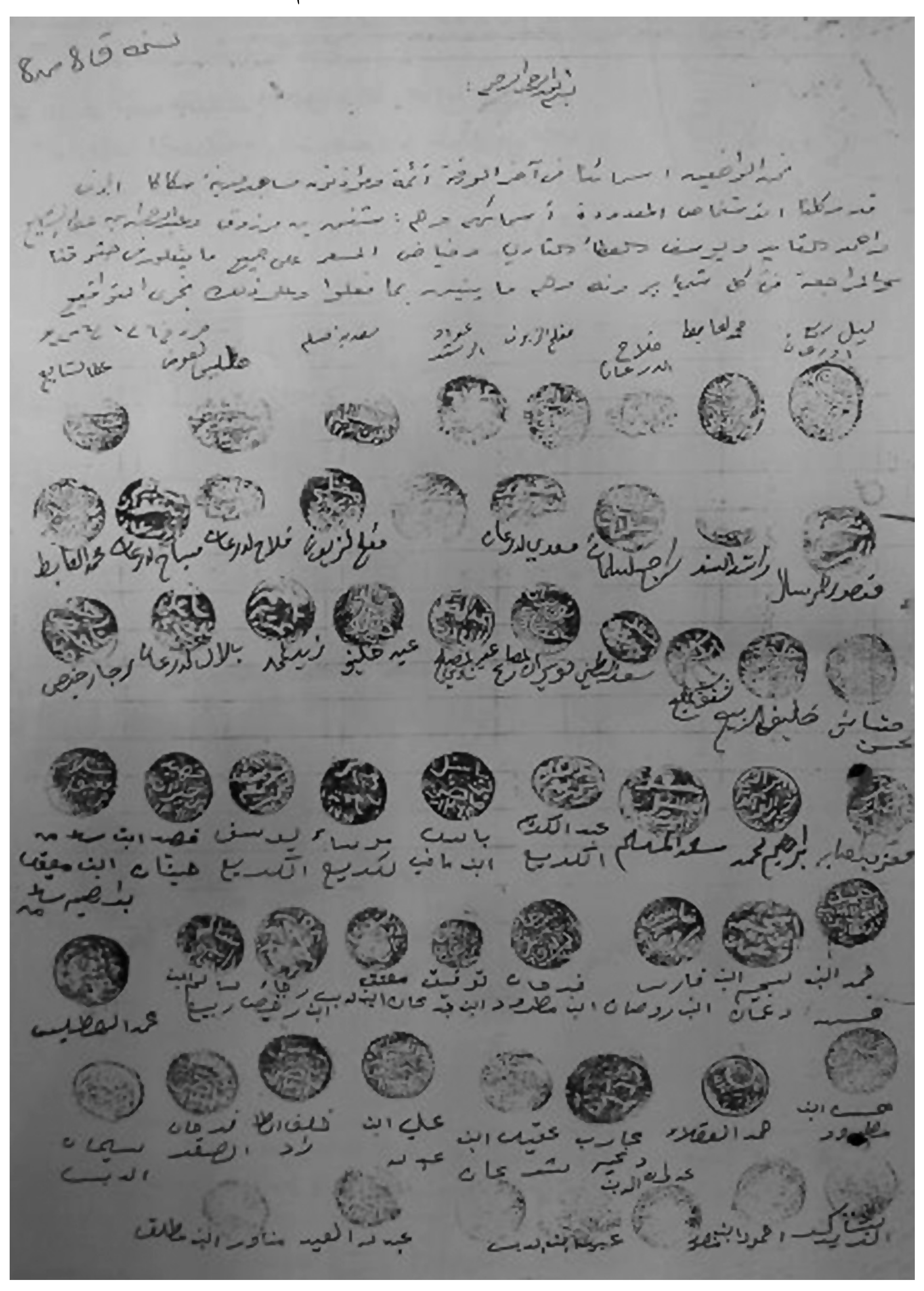
أعيان وأفراد «الشلهوب»

الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م

(القائمة ـ ٧ ـ)



الشكوى الجماعية لأهل الجوف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م (القائمة ـ ٨ ـ)



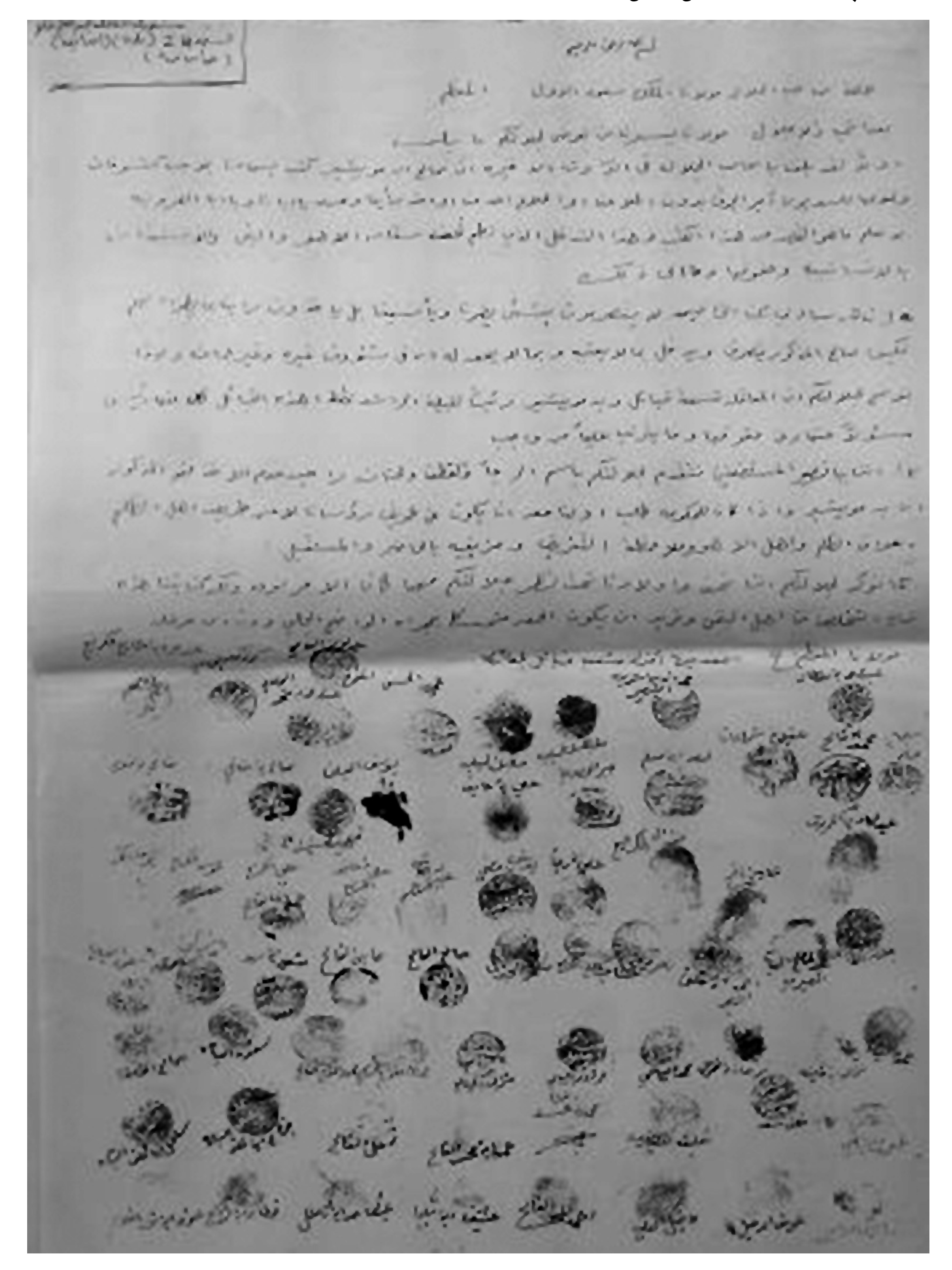
٣ ـ شكوى المعاقلة المضادة ضد صالح المويشير (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)

(أ) ـ نسخة ـ ١



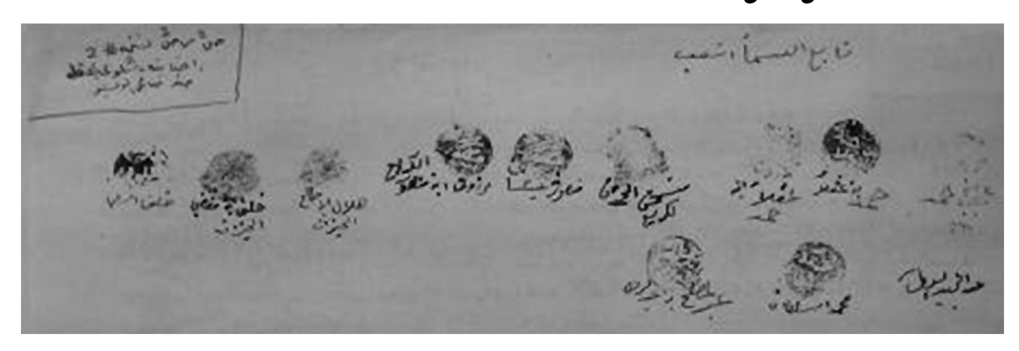
(**المصدر**: «وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً).

(ب) ـ نسخة ـ ٢ (ص ١ من ٢)



(**المصدر**: «وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً).

نسخة ـ ٢ (ص ٢ من ٢)



(**المصدر**: «وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير، ١٩٥٤م»، في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً).

المراجع

أولاً: في المقابلات واللقاءات المباشرة، والمخطوطات/ الوثائق، والمكالمات الهاتفية والمعلومات المرسلة نصياً (هاتفياً)

البحيران، صالح فهيد (١٩٨٩). «حديث ونقاش عن الصراع الأهلي بالجوف (النزوح والإزاحات).» في مكتب ربيع السعدون، شمال شرق طريق الستين ـ الرياض. ٢٠ حزيران/ يونيو، بين الساعة ٩ و١١ مساءً. (١ من ١ من ملخص).

البليهد، بدر (٢٠٠٢). «رسالة جوال نصية عن احتمال دراسة «إبراهيم العيشان» في مصر(؟).» في ١٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢، الساعة ٥:٤٧ مساءً.

البليهد، بدر (٢٠٠٢). «مجموعة نسخ مخطوطات» من: متحف الشيخ فهد بن حسن البليهد الخاص. أرسلت للباحث عبر عواد فالح الجابر المعدوة، وسُلّمت في ٢٥ ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٢، أثناء معرض الرياض للكتاب المقام آنذاك في البهو الرئيس بجامعة الملك سعود.

البليهد، حمود، (٢٠٠٢). «الشيخ فيصل بن مبارك: حياته ومآثره.» محاضرة ألقاها في مسجد الزايد، على طريق المواصلات، في حي الشلهوب، سكاكا في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٧:٢٥ و٨:٢٠ مساءً «بين المغرب والعشاء».

الجهيمان، عبد الكريم [وآخرون] (٢٠٠٢). لقاء ونقاش في جلسة منزل الشيخ عبد الكريم الجهيمان، حول كتاب **السيف والمويشير**، شارك بالنقاش، إضافة إلى الجهيمان، كل من: متروك الفالح، ومحمد القشعمي، وصالح الصويان. حضر الجلسة في بداياتها كلّ من إبراهيم الهجرس، ومقبل الذكير ولكنهما غادرا قبل نهايتها، نهار الاثنين في ٣/ ٦/ ٢٠٠٢.

الحمد، فهاد معتاد (١٩٩٨). «مكالمة هافية» في ٢٠/ ٥/ ١٩٩٨، الساعة ٢:٢٠ ظهراً.

«رسالة رجا إلى الرحالة موسيل...» في ٢٠/ ٤/ ١٩٠٩م(؟). نسخة سلّمها للباحث في المزرعة، عوض البادي، وبحضور فالح زعل الفالح؛ مساء ٢٤/ ٥/ ١٤٢٤هـ ـ الموافق ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م، بعد المحاضرة التي ألقاها بـ «دار الجوف للعلوم» بترتيب من النادي الأدبي بالجوف.

الحموان، أبو فريد (٢٠٠٢). في: الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II) في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ٣ من ٦ ملخص. عن عدم معرفة أهل الديرة «إنبات العنب بالعود».

الدليمان، سالم (١٩٨٩)، مقابلة أجراها الباحث في منزله بدومة الجندل، بحضور وتنسيق من مبارك عبد الرحمن الفالح، وحضور شخص يدعى خلف النومان (الجوفي)، في ٢٤/ ٨/ ١٩٨٩.

الدعيمي، كساب شاهر(٢٠٠٢). مقابلة مسجلة أجراها الباحث في مزرعته بحضور وتنسيق مع صالح مرجي صالح الفالح. تاريخ الجوف (واقعات الحرب.. إلخ)، في ٤/ ٧/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٧ والساعة ٨:٣٥ مساءاً.

الدوش الكريّع (٢٠٠٢)، عبد المحسن عبد الكريم. في: ثامر وفايز عودة محيسن الكريع، لقاء ونقاش معهم في منزلهم، بترتيب وحضور من سلامة الوقيد، وحضور أبو عبد الله عبد المحسن عبد الكريم الدوش، وحضور أبو عيد ناصر العاصي، في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ من ٦.

الراشد، أحمد قضيب (٢٠٠٢). لقاء حديث (I)، في مجلس خالد عبد الرحمن الشايع (سكاكا)، وحضر الحديث واللقاء عبد الرحيم محمد مهنا الفالح، نهار الجمعة في ١٢/ ٧/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١ والساعة ٢:١٥ ظهراً.

الراشد، أحمد قضيب (٢٠٠٢). لقاء حديث (II) في مجلس خالد عبد الحمن الشايع (سكاكا)، حضر النقاش، عبد المحسن الشايع، وعبد الوهاب الشايع، وخالد عبد الحرمن الشايع، وعبد الحيم الفالح، وحضر جانباً منه ايضاً أبو فريد الحموان، وابن الطعيمي، نهار الجمعة في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١ والساعة ٢:٣٠ ظهراً.

الراشد، عبد الله مسباح (١٩٩٧). لقاء مع الباحث وحديث ومعلومات جماعات سكاكا في مجلس الأخ مشعل هايس الفالح، في ٢٨/ ٧/ ١٩٩٧، الساعة ١٢:٠٥ ظهراً.

الرويلي، جلباخ بن سالم حامد (٢٠٠٢). مقابلة (تسجيل) أجراها الباحث معه، بتنسيق وحضور أبو خالد فالح جابر المعدوة، وحضور ضرار الفالح في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٦ والساعة ٧ مساءً.

الزارع، عبد الهادي علي (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن تاريخ الجوف والرواة في دومة الجندل، في البنك العربي في سكاكا نهار الاثنين في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١١ والساعة ١٢ظهراً.

الزارع، عبد الهادي ونهار علي (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن تاريخ الجوف في منزليهما بدومة الجندل، نهار الخميس ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٦:٣٠ والساعة ٧:٣٠ مساءً. (٤ صفحات ملخص).

الزيد، عافت مناع (٢٠٠٢). لقاء وحديث (I) بمنزله في ٧/ ٧/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١١ والساعة ١٢ ظهراً.

الزيد، عافت مناع (٢٠٠٢). لقاء وحديث (II) بمنزله في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٠:٣٠ والساعة ١٢:٣٠ ظهراً.

الزيد، عافت مناع (٢٠٠٢). لقاء وحديث (III) بمنزله في ٧/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٢:١٠ والساعة ١:١٥ ظهراً.

الزيد، عافت مناع (٢٠٠٢). لقاء وحديث (IV) بمنزله في ١/ ٩/ ٢٠٠٢.

السالم، أحمد (٢٠٠٢). لقاء وحديث مع الباحث حول حامد الجميد ومراسلاته وعلاقته مع الملك عبد العزيز في ١٢ ـ ١٣/ ٩/ ٢٠٠٢ (صفحتان ملخص).

السالم، أحمد (٢٠٠٣). مجموعة أوراق نسخ مراسلات في مغلف، مرسلة للباحث استلمها نهار الخميس في ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣م، الساعة ١٠:١٠ مساء. «مراسلات متصلة بـ «حامد الجميد»، عبر إرسالها لنا عن طريق كل من د. عبد المحسن اللحيد، وعبد الله موسى الشاعل، في استراحة المربع ـ الرياض، وبوجود عبد الهادي الحيزان، في تمام الساعة ١٠:١٠ مساءً، من يوم الخميس في ٩/ ١٠/ ٢٠٠٣، وكما فهمت منه أنه أخذها من نسخ موجودة في متحف الآثار في دومة الجندل.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠٠٧). مكالة هاتفية (جوال) مع الباحث، ونقاش حول الأحياء والتكوينات الاجتماعية وتحالفاتها بدومة الجندل في ١/ ٧/ ٢٠٠٧، بين الساعة ٩:٣٠ والساعة ١٠:٤٥ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠٠٧). «الجميد لقب وليس اسم: رسالة نصية بالجوال للباحث.» في ٧/ ٧/ ٢٠٠٧، الساعة ١٢:١٤ ظهراً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٠). اتصال هاتفي (جوال) وحديث عن «الجميد واللقب»، وأن من بالفعل صلب وتجمد، هو «مناور الرزن»، نهار الجمعة في ٥/ ١١/ ٢٠١٠.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٠). مكالمتان هاتفيتان في اتصال هاتفي، واحد قبيل المغرب، والثاني بعد الساعة ١٠ مساء؛ بشأن من هو «خليف»؟ خليف السراح أو خليف الخميس من الرحيبيين؟، في ١/ ٦/ ٢٠١٠.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٠). اتصال هاتفي جوال مع الباحث، وحديث ونقاش عن الإبداع في الفلسفة والعلوم الأخرى صلة ذلك بالمنهجيات البحثية الأكاديمية... وتاريخ الجوف مثل معلومات عن: الدلهمية، والجرعاوي، وعين الصفاة، وخذماء، وأهاليها... إلخ، نهار الخميس في ٤/ ١١/ ٢٠١٠، بين الساعة ٦ والساعة ٨ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٠). اتصال هاتفي جوال مع الباحث حول رواية من أحد كبار الجباب عن واقعة تدمير الجرعاوي... إلخ «من أهل الدلهمية ومتابعة قصيرة لنقاش سابق متصل بالإبداع...» نهار الجمعة في ٥/ ١١/ ٢٠١٠، بين الساعة ١٠:٣٠ والساعة ١١ صباحاً. وقد تمّت متابعة الاتصال السابق نهار الخميس في ٤/ ١١/ ٢٠١٠.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٠). اتصال هاتفي جوال مع الباحث، ومعلومات عن بعض أحياء دومة وسكانها وبعض من تفاعلاتها وصراعاتها، نهار السبت في ٦/ ١١/ ٢٠١٠، بين الساعة ٢:٢٣ والساعة ٢:٥٠ ضهراً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٣). اتصال هاتفي (جوال) مع الباحث، وسؤال عن سبب اعتقاله عام ٢٠٠٢ ولماذا؟، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣، بين الساعة ٩:٣٤ والساعة ٩:٤٠ صباحاً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٣). اتصال هاتفي (جوال) مع الباحث حول بيان «ضد وضعية الاستخذاء العربي ـ العربي» في آذار/ مارس ٢٠٠٢، في ٥/ ١٢/ ٢٠١٣، بين الساعة ٨ والساعة ٨:٣٥ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٣). رسالة جوال نصية، نقلاً عن الروائي فهد العتيق حول ما كتبه تركي السديري عن مجموعة «بيان ضد الاستخذاء العربي... إلخ.» في ٦/ ١٢/ ٢٠١٣، الساعة ٩:٢٥ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٤). اتصال هاتفي مع الباحث تناول مناقشات ثقافية حول الغناء والطرب والمطربين في الجوف، في ٤/ ١/ ٢٠١٤، بين الساعة ٧:٤٣ والساعة ٨:٤٣ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٤). رسالة جوال نصية عن وحول واقعة تتعلق بالفنان «سلمان الجوفي»، بالاشتراك مع الفنان «فهد فرحان»، في ٤/ ١/ ٢٠١٤، الساعة ١٠:٤٦ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٤). رسالة جوال نصية عن الفنانين والمطربين بالجوف، في ٥/ ١/ ٢٠١٤، الساعة ٨:١٨ مساءً.

السالم، زياد عبد الكريم (٢٠١٤). اتصال هاتفي وحديث عن الفن والفنانين بالجوف في ٨/ ١/ ٢٠١٤، بين الساعة ٨:٣٠ والساعة ٨:٥٤ مساءً.

السطام، عبد الحميد، عبد الله زعل الفالح، فالح زعل الفالح، ومتروك الفالح (٢٠١٢). لقاء وحديث جماعي مشترك عن تاريخ الجوف وعن مشيخة الشلهوب (والخلاف بين الفياض والمظهور)، في ١٧/ ١٠/ ٢٠١٢، بين الساعة ٧:١٠ والساعة ٧:٤٠ مساءً.

السلامة، عبد العزيز (٢٠١٣). إرسالية صورة من شجرة السلامة، مُرسلة بالواتسآب، في ٢١/ ٩/ ٢٠١٣، الساعة ١١:٤٣ قبل الظهر.

السلطان، عبد الله عبد المحسن (٢٠٠٢). لقاءات ومناقشات مع الباحث في وقبل عام ٢٠٠٢م، ومن ضمنها أن أم «دغيفق بن معيقل» من «السرحان» نقلاً عن سعد الطارف.

السلطان، عبد الله عبد المحسن (٢٠٠٢). حديث ونقاش عن تاريخ الجوف ووفد البيعة وعدم سلام أهل الجوف على الملك عبد العزيز. صيف ٢٠٠٢.

السلطان، عبد الهادي عبد المحسن (٢٠٠٢). لقاء وحديث أمام دكان البركة عند مدخل طريق القنيطرة عن دور «عذفاء بنت ماضي رشيد السويلم النصيري» في حصار زامل السبهان لـ «سكاكا» (١٩١١ ـ ١٩١٢م)، وعن أحداث قصر «الظلي». عصر يوم السبت في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢.

السلطان، عذية بنت عبد الحميد (٢٠١٠). نقاش وحديث مع الباحث، في منزل ابنه محمد سليمان عقلاء السليمان وبحضور ومشاركة محمد سليمان وابنتها جميلة بنت سليمان عقلا السليمان، وكان يستمع عن بعد ولد محمد (سليمان محمد سليمان عقلا السليمان). بعض المعلومات عن أهل بعض أمهات بعض العائلات. نهار الأحد في ٢١/ ١١/ ٢٠١٠، بين الساعة ١ ظهراً والساعة ٤:٣٠ عصراً.

السلطان، محمد (٢٠٠٢). لقاء وحديث (I) في مجلس ممدوح السلطان. استمرّ النقاش بحضور عياف عايد العياف وممدوح السلطان. حضر جانباً من النقاش والحديث، واحد من أبناء محمد السلطان، وسلطان ممدوح السلطان، وسلطان عبد الحميد السلطان والذي لحق تالياً، وكذلك ضرار متروك الفالح. يومي ١٦ و١٧/ ٦/ ٢٠٠٢، ما بين الساعة ١٠ مساءً من إلى ١٢:٣٠ من فجر اليوم التالي.

السلطان، محمد (٢٠٠٢). لقاء وحديث (II) مع محمد السلطان الفلاح، في مجلس ممدوح السلطان، استمرّ النقاش بحضور عياف عايد العياف وممدوح السلطان، وبدر محمد السلطان. يوم ٨/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٠:٣٠ والساعة ١٢ ليلاً.

السلطان، محمد (٢٠٠٨). مقابلة ولقاء (III) في دكان الأخير بسكاكا شمال سوق اللحم القديم، سؤال وحديث عن وفد أهل الجوف لابن شعلان في دومة الجندل، أجراها الباحث معه. يوم ١٦/ ٤/ ٢٠٠٨، بين الساعة ١١:٣٥ والساعة ١١:٥٠ قبل الظهر.

السلطان ممدوح عبد الحميد (٢٠٠٢). لقاء وحديث، اللقاء تمّ أولياً بحضور عياف عايد العياف، وسلطان عبد الحميد (أبو مراد) وعبد المحسن عبد الحميد، وبندر عبد الحميد، ونايف محمد السلطان. أما النقاش والحديث فقد جرى مع ممدوح السلطان عن تاريخ الجوف بعد مغادرة الآخرين بحدود الساعة ١٢:٠٥، واستمرّ حتى الساعة ١٢:٤٥ بعد منتصف الليل. يوم الأحد في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢.

السلطان ممدوح عبد الحميد (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن تاريخ الجوف المعرفي والثقافي. في ٢٠٠٢/٨/٢٨، بين الساعة ١٠:٣٠ مساءً والساعة ١:١٠ بعد منتصف ليل اليوم التالي في ٢٠٠٢/٨/٢٩.

السلطان ممدوح عبد الحميد (٢٠٠٦). قراءة حول كتاب رجاء المويشير (مخطوطة كتاب لم ينشر بعد). اطّلع عليها الباحث، حيث تمّ استلام نسخة من المخطوطة عن طريق ابنه عاطف في قسم العلوم السياسية يوم السبت في ٢٠٠٦/٥/٢٠، حيث طلب المؤلف منّي مراجعة وإبداء الملاحظات على المخطوطة، في زيارتي له في منزل ابنه عاطف في الرياض، يوم ٢٠٠٦/٥/١٩، وقد ناقشته وعرضت عليه ملاحظاتي على المخطوطة. في ٢٠٠٦/٦/٢٤.

السليمان، جميلة بنت سليمان عقلاء (٢٠١٠). حديث ونقاش في المنزل وفي «مول الرياض جاليري» (Riyadh Gallery Mall)، عن بعض معلوماتها عن بعض الأمهات وأهلها لبعض العائلات، نقلاً عن استفسارات ونقاش مع أمها عذية بنت عبد الحميد سلطان الفلاح. في الفترة الممتدّة بين ١٨ و٢٠١٠/١١/٢٣.

السليمان، محمد سليمان عقلاء (٢٠١٠). عن زوجة ضافي المنور (وهي: عيدة بنت محمد الصبيح، من الحميمص/ الراشد)، نقلاً عن خالد صالح الضافي، في اتصال ورسائل نصّية بالجوال. يوم الأحد في ٢٠١٠/١١/٢١، بين الساعة ١ ظهراً والساعة ٤:٣٠ عصراً.

السليمان، محمد سليمان عقلاء (٢٠١٠). معلومة عن زوجة محمود العيد الرشيد/ الطالب (وهي: فضية بنت كساب المعيقل الراشد) وأن عديله هو يوسف محمد العياف (حيث يوسف متزوج «فضة» بنت كساب المعيقل الراشد) تمّ تأكيدها من صالح محمود العيد باتصال هاتفي (جوال). نهار الأحد في ٢٠١٠/١١/٢١، بين الساعة ١ ظهراً والساعة ٤:٣٠ عصراً.

السويلم، خلف الشافي (٢٠٠٢). مقابلة مدونة (I) بحضور المغرب وكل من خالد إبراهيم مطلق السويلم، وابنه «إبراهيم خالد» (عمره آنذاك ١٢ سنة)، وحضور كذلك عبد الله خلف الشافي. في ٢٠٠٢/٨/٣٠، بين المغرب والعشاء (صفحتان، ملخص).

السويلم، خلف الشافي (٢٠٠٢). مقابلة مدونة (II). بحضور، بعد صلاة المغرب وحتى آخر الجلسة كل من خالد إبراهيم مطلق السويلم عبد الله خلف الشافي. في ٢٠٠٢/٨/٣١، قبيل المغرب وحتى صلاة العشاء (١٥ صفحة ملخص).

السويلم، طراد عقيل (٢٠٠٢). لقاء وحديث نقلاً عن هلال السياط، عن عدم مشاركة القرشة في القيام على منصوب بن شعلان ديسمبر ١٩١٨. في ٢٠٠٢/٦/٢٤: (١ من ١).

السويلم، طراد عقيل (٢٠١٢). لقاء وحديث عن شكوى أهلية ضد عبد الرحمن السديري لمجموعة «عقيل السويلم» حول عام ١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ. في ٢٠١٢/١٠/٢٢، بين الساعة ٧:٢٠ والساعة ٧:٣٥ مساءً: (١ من ١ ملخص).

السهو، عيد نعيم (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن تاريخ الجوف. في ٢٠٠٢/٨/١٥: (٤ صفحات ملخص).

السياط، محمد هلال (٢٠٠٣). لقاء وحديث في مزرعتي بسكاكا، الحديث تضمّن قول محمد السياط «أن قريش تزوج مباشرة من السياط»(؟). اللقاء والحديث كان بحضور طارق السياط مساء الثلاثاء. في اللقاء سلّم محمد السياط نسخ من مقابلة مع والده أجرته جريدة **الجزيرة** ما بين (١٩٩١/٨/١٦، و١٩٩١/٨/٣٠). في: ٢٠٠٣/٨/١٩، الساعة ٩:٢٠ مساءً.

الشاعل، محمد سليمان (٢٠٠٢). لقاء وحديث (I). زيارة من الباحث فحديث عن تاريخ الجوف، في مكتبه للخدمات العامة والاستقدام والهندسي. حضر جزئياً بعض المناقشات «إبراهيم النحاس». في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٠:٤٠ قبل الظهر والساعة ١:٥٠ ظهراً: (١٧صفحة ملخص).

الشاعل، محمد سليمان (٢٠٠٢). لقاء وحديث (II). مواصلة ومراجعة لمناقشات الزيارة الأولى، في مكتبه للخدمات العامة والاستقدام والهندسي. في ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢م، بين الساعة ١٠:٣٠ والساعة ١١ مساءً: (٢ صفحة ملخص).

الشاقي الكبيدان، ميثا نمر (أم ياسف) (٢٠١٠). حديث واتصال هاتفي مع جميلة سليمان عقلاء السليمان، وإفادة عن أن زوجة راشد بن مفرح (أم حمدان المفرح) اسمها «خضراء»، وهذه الأخيرة من الزيد (الواكد الراشد، عمة لـ عايض وعوض الزيد)، وبعد موت زوجها (راشد المفرح)، تزوجها «حادي بن فلاح بن راشد غدير الدغيفق» وأنجب منها سعود (الحادي)، وأخوات سعود الحادي من الأب هن «سلمى وسميحة وسعدى»، أمهن على ما يبدو من الناهض ـ الكبيدان. يوم السبت في ٢٨/ ١١/ ٢٠١٠، بين الساعة ٩:٤٥ والساعة ١٠:٣٠ صباحاً.

الشايع، عبد الرحمن عطا، (١٣٧٧هـ). الإقرارالمفصل من عبد الرحمن الشايع أمام وكيل قاضي الجوف راداً فيه على طلب الاثباتات في دعواه ضدّ رؤساء الدوائر الحكومية بالجوف، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن. «مجموعة أوراق تسلمها للباحث». في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً.

الشايع، عبد الرحمن عطا (١٣٨٩هـ). التحقيق، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن. «مجموعة أوراق» تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً. «التحقيق» مدوّنة بخط يده عن التحقيق الذي أُجرِيَ معه حول الشكوى الجماعية لأهالي الجوف (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م) (٣١ صفحة). علماً أن الباحث اطّلع على الأصل/ الأصول في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٩ والساعة ١٢ ليلاً.

الشايع، عبد الرحمن عطا (١٤١٣هـ). إذا سألت عن المطاوعة منهم وعملهم وما أسباب تضامنهم منذ عام ١٣٧٥هـ، وحتى هذا التاريخ عام ١٤١٣هـ، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ عصراً. «قصة المطاوعة» (٧/ ٥/ ١٣٨٩هـ) (١٧صفحة). علماً أن الباحث اطّلع على الأصل في: ١/ ٩/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٩ والساعة ١٢ ليلاً.

الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (٢٠٠٢). «قص باسل الماضي...»: (صفحتان)؛ في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً. رواية باسل الماضي كما كتبها عبد الرحمن الشايع بخط يده بعد سماعها من باسل الماضي (النصير) عن أحداث سجنهم من قِبَل ابن شعلان بعد مقتل منصوبهم في سكاكا (١٩١٨م)، في: الشايع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٥ عصراً.

الشايع آل كريّع، عبد الرحمن عطا (٢٠٠٢). رواية عايض الزيد عن «سيسرا» وأنها أصل الخلاف بين القرشة والمعاقلة، نسخة من أصل مخطوطة يدوية كتبها عبد الرحمن الشايع، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن. في: مجموعة أوراق تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ عصراً.

الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن (٢٠٠٢). مجموعة أوراق، اطلاع على الأصول وتسليم بعض من نسخها للباحث. في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٩ والساعة ١٢ ليلاً.

الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن (٢٠٠٢). مجموعة أوراق تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ عصراً. علماً أن الباحث اطّلع على الأصول في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٩والساعة ١٢ ليلاً.

الشايع، خالد عبد الرحمن الشايع (١٤٢٣هـ). خطاب عن مشيخة/ عمودية الكريّع، مدوّن/ مكتوب بخط يده، عن مشيخة الكريع، وكيف انفصالهم عن الحيزان (على وقت ابن مجراد، منصوب، في فترة حكم سعود الرشيد ١٩١٩ ـ ١٩٢٠)، ثم كيف انتقلت من جابر الكريع إلى، ابنه «معارك» رغم وجود محيسن الكريع، ثم إلى ابن أخيه عطا الشايع، بتنافس مع على الدخل الله، وعبد الكريم الدوش. يوم الاثنين في ١٦/ ٧/ ١٤٢٣هـ.

الشايع، عبد المحسن عطا (٢٠٠٢). في: الراشد، أحمد قضيب، لقاء وحديث (II). أهل الديرة قديماً لا يأكلون «الطماطم» نية أبداً. في ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢ (:٢ ـ ٣ من ٦ ملخص).

الشرعان، فارس وحامد والحميدي (٢٠٠٢). لقاء وحديث. اللقاء والحديث بمزرعتي، بحضور وترتيب مع صالح مرجي الفالح، ثم حضر في آخر اللقاء الأخ فالح زعل الفالح. والنقاش عن قلعة الطوير وإن بيعها لم يتم إلا في عهد الملك عبد العزيز. في ٦/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٨:٢٠ والساعة ٩:٣٠ مساءً.

الشرعان، فارس بن محمد فهيد (١٤٢٣هـ). خطاب مرسل للباحث، مرفق بالخطاب، معلومات تاريخية، وكلاهما يتعلقان بموضوع قلعة الطوير، وأنه تمّ بيعها عام ١٣٤٧هـ، في عهد الملك عبد العزيز. مؤرّخ في ١٨/ ٧/ ١٤٢٣هـ.

الشرعان، فارس بن محمد فهيد (١٤٢٣هـ). عبد الله سلمان، ومحمد بن فهيد الحميدي، وحمود فهيد الحميدي، خطاب مرسل إلى محمد السيف، موقّع منهم ومؤرَّخ في ١٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ. ورداً عليه بموضوع قلعة الطوير وتاريخ بيعها. وتمّ تسليم الباحث نسخة منه في زيارة الشرعان للباحث في مزرعته. في ٦/ ٨/ ٢٠٠٢م.

الضميري، عبد الله (٢٠١٣). حديث/ مقابلة في مكالمة هاتفية عن اعتقاله، عبر هاتف جوّال الأخ عقل الضميري وبالتنسيق معه. يوم الجمعة في ١٣/ ١٢/ ٢٠١٣: بين الساعة ١:٠٣ والساعة ١:٢٣ ظهراً.

الضميري، عقل (٢٠١٣م). رسالة نصّية عبر الواتساب عن عبد الله المطرب وفكرة/ مبادرة «صحيفة الشمال»، ونقلاً عن مطرب عبد الله المطرب في اتصال أجراه معه عقل الضميري في اليوم نفسه. في ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣، الساعة ٨:٥٨ مساءً.

الضميري، محمد العقلاء غالب (٢٠٠٢). مقابلة أجراها الباحث معه في المنزل، بحي المطر، بحضور وتنسيق من عقل الضميري، وحضور كلّ من علي الضميري، عيد محمد عيد العبد الله الضميري. يوم الاثنين في ١٢/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ٧:٤٥ والساعة ٩:١٥ مساءً.

الضويحي، عبد اللطيف (١٩٩٨). لقاء وحديث في منزل زياد السديري بالرياض. في ٢٧/ ٥/ ١٩٩٨، الساعة ١٠ مساءً.

الطارف، سعد (١٩٨٩). مقابلة مسجله (I) أجراها الباحث، بتنسيق وحضور ممدوح السلطان، وحضور سليمان سعد الطارف، وفي أوقات لاحقه حفيده (سعد سليمان سعد الطارف). تمّ تفريغ المقابله المسجّلة إلى نصّ مكتوب، في ٢٥ و٢٨ و٢٩/ ٦/ ٢٠٠٣. في ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩. مشار إليها في المتن بـ: (الطارف، سعد ـ I ـ ، في؛ ٢٧/ ٧/ ١٩٨٩م).

الطارف، سعد (١٩٨٩). مقابلة مسجّله (II) أجراها الباحث، بحضور كلّ من سليمان سعد الطارف، وفي أوقات

لاحقه حفيده (سعد سليمان سعد الطارف). تمّ تفريغ المقابله المسجّلة إلى نصّ مكتوب، في ٤ ـ ٥/ ١٠/ ٢٠٠٣. في ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩. مُشار لها في المتن بـ: (الطارف، سعد -II- في؛ ٢٥/ ٨/ ١٩٨٩م).

الطارف، سعد (١٤١٤هـ). مقابلة مسجّلة على شريط صوتي عام ١٤١٦هـ، وهي في الأصل مفرّغة من شريط فيديو (صوت وصورة) عام ١٤١٤هـ. أجرى المقابلة الأصل، سعد سليمان سعد الطارف، والذي سلّمني منه نسخة مسجّلة على شريط صوتي. تمّ التسليم في ٢٠٠٣/٨/٣١، في مكتب مشعل هايس الفالح (العقاري) بسكاكا. تمّ تفريغ التسجيل الصوتي إلى نص مكتوب في ٨ و٢٠٠٣/١٠/٩. مُشار لها في المتن بـ: (الطارف، سعد -III-، ١٤١٤هـ).

الطارف، سعد سليمان سعد (٢٠٠٢). حديث عن مشيخة فلاح الشردان. الحديث مع الباحث جرى، في مكتب الأخ مشعل هايس الفالح العقاري ـ الشارع العام، سكاكا. في ١٧/ ٦/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١١:٣٥ والساعة ١٢ ظهراً.

الطارف، سعد سليمان سعد (٢٠٠٢). «فلاح بن شردان الكبيدان». مدوّنة كتبها سعد سليمان الطارف، بخطّ يده، عن فلاح الشردان وقصة مشيخته، وسلمها إلى الباحث في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢.

الطارف، سعد سليمان، ومتروك الفالح (٢٠٠٢). زيارة مشتركة إلى «تل الساعي ومصلى الصحابي(؟)». يوم الخميس في ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٢ والساعة ١٢:٢٥ ظهراً.

الطارف، سعد سليمان سعد (٢٠١٠). اتصال هاتفي (جوال) عليه، واستفسار من الباحث ونقاش عن عمر جده عند وفاته، كان حمدان زعل الفالح شاهداً على الاتصال والحديث الذي جرى بيننا. في ٢٧/ ٩/ ٢٠١٠م، بين الساعة ١٢:١٢ والساعة ١٢:٢٢ ظهراً.

الطارف، سعد سليمان سعد (٢٠١٠). مكالمه هاتفية عن عمر جدّه، نقاش مع الباحث عن عمر جدّه عند وفاته، ويقول عن والده أنه الآن أكثر من ٨٠ سنة. في ٤/ ١٠/ ٢٠١٠، بعد المغرب مباشرةً.

الطارف، سليمان سعد (٢٠٠٢). مقابلة في ٣٠/ ٦/ ٢٠٠٢، بين الساعة ١٠:١٥ والساعة ١٢:١٠ قبل الظهر.

الطالب، مدالله حماد الرشيد (٢٠٠٧). اتصال هاتفي (جوال) عن أسماء المشاركين من الطالب في القيام على منصوب ابن شعلان ١٩١٨. في ٢٠٠٧/٦/١٠، الساعة ١٠:٣٠ صباحاً.

الطالب، فهد حمود الرشيد الطالب [وآخرون] (٢٠٠٢). لقاء وحديث في مزرعة الباحث شرق القنيطرة، بترتيب وتنسيق ومشاركة مع مفرح بخيت الطالب، وكذلك مشاركة من مدالله حماد الرشيد الطالب، في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ صفحات ملخص.

الطالب، مدالله حماد الرشيد (٢٠٠٧). اتصال جوال في ٢٠٠٧/٦/١٠، الساعة ١٠:٣٠ صباحاً. عن الطالب ومناصرة الراشد قديماً.

الطالب، مفرح بخيت (٢٠٠٢). لقاء وحديث (I). في مكتب مشعل هايس الفالح العقاري، حضر الجلسة كل من سعد السليمان الطارف، وخلف علي الخلف، ثم في وقت لاحق ناصر صالح الرضي. في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢، الساعة ١١:٣٠ ـ ١٢:٣٠ ظهراً: ٥ صفحات ملخص.

الطالب، مفرح بخيت (٢٠١١)، لقاء وحديث عن علاقة أمي «مركية» بالبخيّت الطالب، حيث أمها «عاشة» هي بنت لـ «بليشة» والأخيرة أخت لـ: «بخيّت». الجمعة في ٢١/ ١٠/ ٢٠١١.

العابط، زايد محمد (٢٠٠٢). مقابلة في منزل طلال العرفج، وبالتنسيق معه وكذلك بحضور محمد زايد محمد العابط، وجابر العرفج، وأحمد العرفج، ووليد خالد عبد الحميد وآخرين. في ٢٠٠٢/٨/١٩، الساعة ٧:٣٠ ـ ٩:٣٠ ليلاً.

العضيد، نمر علي (٢٠١٠). حديث مشترك في قصر الراشد للأفراح ـ الرومانسية، عن كون خليف الفالح خال وعم عضيد العويقيل. مساء ١٣/ ٨/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥/ ٧/ ٢٠١٠م.

العوذة، عايد منزل (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن تجارة المواشي (الحمير) في مكتب أبو شاكر في ورشة ومخرطة العوذة في الصناعية. في: ٢٠٠٢/٨/٣١م، الساعة: ١٢:٣٠ ـ ٢:٣٠ ظهراً: ١ من ١ ملخص.

العوذة، عايد منزل (٢٠١٣). اتصال هاتفي وحديث عن قدوم «العوذة» من دومة الجندل لـ «سكاكا» في حي «المطر» ثم انتقالهم إلى «اللقائط». في ٢٠١٣/١/٢٥: الساعة ٤:٥٩ ـ ٥:٠٥ مساءً.

الغانم، فهد (١٩٨٩). مقابلة مدوّنة أجراها الباحث، بتنسيق وحضور مبارك عبد الرحمن الفالح، وحضور فالح إبراهيم الفالح. في ١٤١٠/١/٢١هـ، الموافق ١٩٨٩/٨/٢٢م، الساعة ٧:٣٠ ـ ١٠:٣٠: ١٣ صفحة ملخص.

العوذة، عودة وعايد ونزل (٢٠١٣). لقاء وحديث مع الباحث عن أسرة العوذة وسبب انتقالهم من دومة إلى حي المطر أولاً، ثم، لاحقاً عن انتقالهم إلى اليابس باللقائط. في ٢٠١٣/٣/٢٥: ١ من ١ ملخص.

العويقيل، حمدان عضيد (٢٠٠٢). لقاء وحديث في منزل ابنه « فالح حمدان العضيد»، وكان بين الحضور: ممدوح السلطان، وعبد المحسن السلطان، وبندر السلطان، وأحمد حمدان العضيد، وناصر حمدان العضيد، و«وصل سند»، ومحمد ممدوح السلطان، ومحمد النشوان، وضرار متروك الفالح. كان الحوار بين الباحث وحمدان عضيد العويقيل جانبي، بعد العشاء، وقد عرف عنه أبو زياد/ ممدوح السلطان. أسئلة عن تاريخ الجوف وبعض الواقعات فيه. في ٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ١٠:٣٠ ـ ١١:٠٠ ليلاً.

الفالح، جمال عبد الله زعل (٢٠١٠) . رسالة نصية هاتفية (جوال): إفادة من عائشة بنت خليف الفالح عن أم والدها خليف الفالح. في ٣ آب/ أغسطس ٢٠١٠.

الفالح، عائشة بنت خليف (٢٠٠٢). مقابلة مسجلة في منزلها بالشلهوب، بحضور وتنسيق ابنها عبد الحميد ذياب السطام، وجزئياً حضر ابنها مساعد ذياب السطام. تاريخ الجوف وعن أبوها خليف الفالح وأفراد من الفالح (نساء ورجال). في ١٣ ـ ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢، الساعة ٩:١٥ ـ ١٢:٣٠ ليلاً.

الفالح، فلاح زعل (٢٠٠٢). خطاب استلام. رواية عن مراسلات خليف الفالح لابن شعلان ورواية عبد الله ملاوي الوشيح عن بيع قلعة الطوير. الخطاب في الأصل مؤرخ في (١٤٢٣/٦/٢١هـ، الموافق ٢٠٠٢/٨/٣٠م). سلّمني الخطاب الابن عامر في ٢٠٠٢/١١/١٢م، الذي استلمه من شخص آخر من طرف فلاح. في ٢٠٠٢/١١/١٢.

الفالح، فلاح زعل خليف الفالح (٢٠١٠). حديث ونقاش في منزلي بالرياض. بعض المعلومات، هي نقلاً عن شقيقه عبد الله زعل خليف الفالح، وخاصة ما يتعلق بمن منهم خوال عواد حمد محسن مخلف الفالح، ذكر أن خاله هو غالب الصحن (النصير)، أي أن أمه بنت صحن. الاثنين في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠، الساعة: ٩:١٥ مساءً ـ ١٢:٣٠ بعد منتصف الليل.

الفالح، متروك (٢٠٠٢). أوّل زيارة إلى متحف «البليهد»، بحضور كلّ من بدر وبندر البليهد، عواد فالح المعدوة، وولده فالح جابر المعدوة، ونقاش عن تاريخ الجوف. في: ١٤٢٣/٤/١١هـ ـ الموافق ٢٠٠٢/٦/٢٢م.

الفالح، متروك (٢٠٠٢). ثاني زيارة إلى متحف «البليهد»، بحضور كل من بدر وبندر البليهد. في: ١٤٢٣/٦/٢٣هـ ـ الموافق ٢٠٠٢/٩/١م.

الفالح، متروك [وآخرون] (٢٠١٣). زيارة ميدانية لدومة الجندل، رفقة زياد عبد الكريم السالم ومحمد سليمان الحبوب وصياح مناور السبيلة، وقد شاركنا جزئياً أبو أحمد عيد السالم في جولة حول حي وعين

خذما، وكذلك بالصدفة «طلال القبلان»، وحول حي الجرعاوي ساعدنا بالصدفة شخص فهمت أن اسمه «عبد الكريم العابد الجباب». في ١٣/ ٩/ ٢٠١٣.

الفلّاح، سليمان العودة (٢٠٠٢). مقابلة مسجلة صوتياً في ثلاثة أشرطة على الوجهين، وتمت المقابلة بحضور وترتيب بواسطة عبد الهادي عبد المحسن السلطان، وحضر جانباً منها عبد الله عايض الزيد (بالصدفة)، وراكان محمد سليمان العودة. في ٢٩ ـ ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢: ٩:٣٠ مساءً ـ ١٢:١٠ من صباح اليوم التالي.

الفياض، عبد الله عايد، وأحمد النخيلان (٢٠٠٢). لقاء وحديث مشترك تمّ أمام منزل أحمد النخيلان (أبو خالد). ونقاشات وأسئلة أجراها الباحث (متروك الفالح) معهما. في ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢: ٩:٣٠ ـ ١١مساء: ٢ ـ ٣ من ٧.

الفياض، سعود منور (أبو أحمد) (٢٠٠٢). مقابلة مسجلة ومدوّنة على شكل ملخص نقاط أثناء التسجيل أجراها الباحث، حضر المقابلة ونسّق له الأخ عبد الحميد ذياب السطام، كما حضرها جزئياً، أحمد سعود منور الفياض. في ٣/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٧:٤٥ ـ ١٠:٣٠ مساءً. ٦ صفحات ملخص.

«قصة وقصيد ابن سراح «راعي الجوف» مع عبيد الرشيد، وناصر القادر، وبعض القصص والقصائد في «شريط مسجّل» تسلّمه للباحث من ناصر صالح الرضي. في ١٣/ ٨/ ٢٠٠٢.

القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان (٢٠٠٢). لقاء ونقاش مع الباحث في زيارة برفقة فالح زعل الفالح، وخالد عبد الرحمن الشايع وولده «عبد الرحمن»، وعبد الرحيم محمد مهنا الفالح وابنيّ الأخير «محمد وعبد الرحمن». نقاشات عن تاريخ الجوف، وتسليم بعض الأوراق ذات الصلة، في دومة الجندل. الأربعاء في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٦:٠٠ ـ ٨:٤٠ مساءً.

القعيّد، عبد العزيز محمد سلمان (٢٠٠٢). ملف من مجموعة أوراق، تسليم في دومة الجندل، الأربعاء في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢.

القعيد، عبد العزيز محمد سلمان (٢٠٠٢). ملف من مجموعة أوراق، سلّمه لمتروك الفالح في مزرعة أبناء محمد مهنا خليف الفالح، وبحضور عبد الرحيم الفالح وسيد إبراهيم محمود (سائق القعيّد الخاص). الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً.

القعيَد، عبد العزيز محمد سلمان [وآخرون] (٢٠٠٢). لقاء ونقاش مع الباحث، تسليمه للباحث مجموعة أوراق في ملف، مزرعة أبناء محمد مهنا الفالح في سكاكا، بحضور ومشاركة عبد الرحيم محمد مهنا الفالح في النقاش. في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢: ١ من ١.

القعيد، عبد العزيز محمد سلمان (٢٠٠٢). ملف من مجموعة أوراق، مرسلة للباحث وقد سلَّمها له محمد عبد العزيز القعيد، في مكتبي بجامعة الملك سعود (٩٩أأ). الأربعاء في ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢: الساعة ١:٢٦ ظهراً.

الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن (٢٠٠٢). لقاء ونقاش في منزلهم، بترتيب وحضور من سلامة الوقيد، وحضور أبو عبد الله عبد المحسن عبد الكريم الدوش، وحضور أبو عيد ناصر العاصي. في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٦.

الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن (٢٠٠٢). نسخة بيان/ وثيقة محاولة قتل منصوب بن شعلان. في: الكريّع، ثامر وفايز عودة محيسن الكريّع، لقاء ونقاش في منزلهما، بترتيب وحضور من سلامة الوقيد، وحضور أبو

عبد الله عبد المحسن عبد الكريم الدوش، وحضور أبو عيد ناصر العاصي. في ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٢: ٥ ـ ٦ من ٦.

اللحيد، عبد المحسن فالح (٢٠٠٢). لقاء وحديث في استراحة المربع بالرياض. الحديث يتّصل بنقاشات حول الدبكة بالجوف وأنها كانت تمارس بسكاكا من الفتيات والفتيات على وقت خاله ونقلاً عن أقوال له، تأكيداً وتعليقاً على ما ذكرته في الجلسة/ الاستراحة من أن الرحالة «أويتنغ» شاهد دبكة ورقصة مشتركة بين الأولاد والبنات في الجوف (دومة الجندل) في رحلته عام ١٨٨٣م. في خريف عام ٢٠٠٢.

المسعر، عارف [وآخرون] (٢٠٠٢). لقاء وحديث جماعي. شارك باللقاء والحوار ممدوح عبد الحميد السلطان الذي رتّب اللقاء، كذلك شارك خليفة المسعر، وحضر عدد من أهل المسعر ومنهم «منصور المسعر» وشخص اسمه «رجا». في ٢٩ ـ ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٢: ٥ من ١٠ ملخص.

المسعر، عارف (٢٠٠٢). «قائمة وفد أهل الجوف برواية سلمان النومان، مرسلة في خطاب. وسلّمها لنا في «جلسة واستراحة المربع» عن طريق الأخ خليل الصلهام، في ٣٠ ـ ٣١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢، ليلاً: ١ من ١.

مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ)، (١٣/ ٨/ ١٣٨٥هـــ). «صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز...» في: الشايع الكريع، خالد عبد الرحمن، في مجموعة أوراق، تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً، علماً أن الباحث أطلع على الأصل في ١/ ٩/ ٢٠٠٢م، الساعة ٩:٠٠ ـ ١:٣٠ ليلاً.

مطاوعة الجوف (٧٧ ـ ١٣٨٩هـ) (؟)، «دعوانا ضدّ عبد الرحمن السديري...» ٥ صفحات، في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن، في: مجموعة أوراق، تسلمها الباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ عصراً، علماً أن الباحث اطّلع على الأصل في ١/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٩:٠٠ ـ ١:٣٠ ليلاً.

المعدوة، فالح، ومنصور العوذة [وآخرون] (٢٠٠٢). لقاء وحديث مشترك عن تاريخ وثقافة الجوف. الزيارة واللقاء والحديث بين الباحث متروك الفالح وكلّ من فالح عواد المعدوة ومنصور سالم العوذة، وعواد فالح المعدوة، كان بالأصل بدعوة من الأخ أبو خالد فالح عواد المعدوة، في منزله واستراحته باللقائط، جنوب شرق محطة البليهد للمحروقات. الأربعاء في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢، الساعة ٥:٣٥ ـ ٨:٠٠ مساءً: ١ ـ ٢ من ٢ ملخص.

المفرح، سالم حمدان (٢٠٠٢). حديث ونقاش في مكتبه بشرطة الكهرباء بسكاكا.. عن تاريخ الجوف وتلميح بفكرة عيد الضميري في ضمّ الجوف للملك عبد العزيز. صيف ٢٠٠٢.

المنديل، صالح العدوان (٢٠٠٢). لقاء مع الباحث (I)، في منزله، حضر اللقاء وساعد في ترتيبه، خالد دخيل العلي. الأحد في ٥/ ٤/ ١٤٢٣هـ، الموافق ١٦/ ٦/ ٢٠٠٢م، الساعة ١٠صباحاً ـ ١٢ ظهراً.

المنديل، صالح العدوان (٢٠٠٢). مقابلة ولقاء مع الباحث (II)، في منزله، حضر اللقاء ضرار متروك الفالح. الأحد في ٥/ ٤/ ١٤٢٣هـ، الموافق ٢٩/ ٦/ ٢٠٠٢م، الساعة ١٠:٣٠صباحاً ـ ١١:٥٠ ظهراً.

المنديل، صالح العدوان (٢٠٠٢). مقابلة ولقاء مع الباحث (III)، في منزله. في ٢٠/ ٨/ ٢٠٠٢، الساعة ١٠:٥٥ صباحاً ـ ١٢:٣٠ظهراً.

المويشير، سلطان سليمان عبد الله (٢٠٠٢). لقاء وحديث وزيارة لي وحديث في مكتبي بجامعة الملك سعود عن كتاب السيف والمويشير. في ٣/ ٦/ ٢٠٠٢، الساعة ١١:٣٠ ـ ١٢:١٥ ظهراً.

النصر، هلال سالم (٢٠٠٢). مقابلة (I)، أجراها الباحث بمنزله، وحضر جزئياً ولده حمد، وحضر كامل المقابلة كلّ من فالح زعل الفالح، وضرار متروك الفالح. السبت في ١٥/ ٦/ ٢٠٠٢م، الساعة ٩:٣٥ ـ ١٢ ليلاً: ٢ صفحة ملخص.

النصر، هلال سالم (٢٠٠٣). مقابلة (II)، أجراها الباحث في حدود الساعة العاشرة والنصف، أولاً في الشارع العام ملاصقاً لمنزله، ثم في منزله، حيث أصرّ على الدخول وتناول القهوة. شهد ولده حمد جانب من الحديث مع والده في الشارع العام. الثلاثاء في ٢/ ٩/ ٢٠٠٣، الموافق ٥/ ٧/ ١٤٢٤هـ، الساعة ١٠:٥٥صباحاً ـ ١٢:٣٠ ظهراً: ٦ صفحات ملخص.

الهادي، مساعد هداج (٢٠٠٢). لقاء وحديث. في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٢: ص ١ ملخص.

الهادي، مساعد وصالح هداج (٢٠٠٢). لقاء وحديث عن المشاركين من الجحيش في القيام على منصوب ابن شعلان، نقلاً عن الحميدي نصير في ٢١/ ٨/ ٢٠٠٢. في: ٢٤/ ٨/ ٢٠٠٢: ١ من ١.

«وثيقة الجرعاوي» (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م). أصل الوثيقة موجودة في دارة الملك عبد العزيز، قسم المخطوطات التاريخية، كما وَرَدَت منقولة في مقالة مهند الرمالي، «رمالات الجرعاوي». تمّ إنزالها من موقع شبكة الطنايا ـ ديوانية شمر، في ٣٠/ ١١/ ٢٠٠٩، الساعة ٣:٠٨ مساءً على الرابط التالي: <http://www. altanaya.net/vb/showthread.php?t=59249&page=5>.

«وثيقة شكوى المعاقلة ضد صالح المويشير» (١٩٥٤). في: الشايع الكريّع، خالد عبد الرحمن. في مجموعة أوراق، تسليم للباحث في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً.

«وثيقة مطالب أهل الجوف» (١٣٧٧هـ). في: الشايع الكريّع، خالد، مجموعة أوراق، تسليم للباحث. في ٢/ ٩/ ٢٠٠٢، عصراً.

الوردي، حمد عبد الرحمن (٢٠٠٢). لقاء وحديث في مزرعتي بسكاكا، بحضور الابن ضرار. الحديث عن تاريخ الجوف وورد ضمنه حديث عن أصل «الورادا». صيف ٢٠٠٢.

الوشيح، عبد الله ملاوي (٢٠٠٢). «رواية بيع قلعة الطوير.» في: فلاح زعل الفالح. خطاب في مجموعة أوراق. استلام في ١٢/ ١١/ ٢٠٠٢: ١ من ١.

الوقيد، سلامة (٢٠٠٢). لقاء ونقاش. زيارة من الباحث ونقاش عن تاريخ الجوف وقضاياه، وتسليم ما قيل أنه «بيان أسماء المشاركين في أول محاولة للقيام على الشعلان» عام ١٩١٧، بحضور ثلاثة من أبنائه، ومنهم جمال. في ٢٣ ـ ٢٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٢: الساعة ١١مساء ـ ١ بعد منتصف الليل: ١ من ١.

ثانياً: وثائق أخرى متعلقة بالجوف (خطابات ـ بيانات ـ تصريحات ـ برقيات)

بن عبد العزيز، عبد الإله (٢٠٠٠). خطاب لسعد مجلي الشمري. ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م: ١ من ١.

ابن عبد العزيز آل سعود، عبد الله (١٤٢٠هـ). برقية (خطاب) لوزير الزراعة ـ رقم ١٦٩٦١، بشأن وقف التصرف بأرض ظهرة قارا. في ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٠هـ: ١ من ١.

بيان بخصوص حملة الاستدعاءات لأعضاء حسم، وموقع من مجموعة من ٧٧ من شباب/ شابات الوطن. تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣.

«نسخة من الشكوى المضادة للشكوى ضد الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز.» ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

الفالح، أحمد مهنا محمد مهنا (٢٠١٣). بيان بخصوص حملة الاستدعاءات لأعضاء حسم، وموقع من مجموعة من ٧٧ من شباب/ شابات الوطن. تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣.

العوذة، منصور سالم بن غثيان (٢٠٠٤). «برقيات لولي العهد وعدد من الأمراء بشأن «الإصلاحيين الثلاثة» والمطالبة بمحاكتهم علنياً وتمكين من يرغب بالحضور بشأن «الإصلاحيين الثلاثة» والمطالبة بمحاكمتهم علنياً وتمكين من يرغب بالحضور». في ٢٤/ ٤/ ١٤٢٥هـ الموافق ١٢/ ٦/ ٢٠٠٤م، أرسل منصور بن سالم غثيان (العوذة) برقية لوليّ العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٦٩) وصور منها لكل من الأمير طلال بن عبد العزيز (بوصل رقم ٠٧٩٠٩٧٠)، والأمير نايف بن عبد العزيز (وزير الداخلية) (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧١)، والأمير أحمد بن عبد العزيز (نائب وزير الداخلية) (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٢)، والأمير عبد الإله بن عبد العزيز (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٣)، والأمير عبد العزيز بن فهد (بوصل شركة الاتصالات السعودية رقم ٠٧٩٠٩٧٤).

العوذة، منصو سالم بن غثيان (٢٠٠٥). «بيان صحفي عن الاصلاحي المعتقل «مهنا الفالح» بشأن قرار الإبعاد التعسفي». في ١٩/ ٩/ ٢٠٠٥، ومنصور سالم غثيان العوذة وكيل الدفاع عن سجين الرأي «مهنا الفالح». في ١٩ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥. المصدر موقع صدى SADA للدفاع عن الحقوق والحريات، على الرابط التالي: <http://sada.pagesperso-orange.fr/mohanna_alfaleh.htm>.

الفالح، مهنا محمد مهنا خليف (١٤٢٥هـ). «خطابات»، مشابة لبرقية منصور العوذة، بتاريخ ٢٢/ ٥/ ١٤٢٥هـ، وأرسل الأصل لولي العهد، صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401261SA)، وصور منهل لكلّ من: النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء الأمير سلطان بن عبد العزيز عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401275SA)، والأمير نواف بن عبد العزيز (رئيس الاستخبارات) عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401289SA)، والأمير سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض) عبد العزيز (إرسالية بالبريد السعودي الممتاز برقم: EE1`0401292SA).

«وثيقة/ عريضة أهل الجوف» (آب/ أغسطس ٢٠٠٤) «الداعمة والمطالبة بالإفراج عن «متروك الفالح»، و/ أو تقديمه إلى محاكمة علنية عادلة. نص الوثيقة والأسماء الموقعة عليها كما وردت في المصدر «أهالي الجوف يدعمون الدكتور متروك الفالح» موقع شفاف الشرق الأوسط (١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٤)، <http://www.metransparent.com/old/texts/jawf_petition_hamed.htm>.

ثالثاً: في مذكرات الرحالة الغربيين في زياراتهم للجوف (١٨٤٥م ـ ١٩٢٢م) وعنهم:

أويتنغ، جوليوس رحلة (١٨٨٣م/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠١هـ)، ص ١٧١ ـ ٢٥٤. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

البادي، عوض (٢٠٠٢م/ ١٤٢٣هـ). **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢ م): نصوص مترجمة**. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

البادي، عوض (٢٠٠٢). «المقدمة»، ص ٩ ـ ١٤، في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢.

البادي، عوض عطا (٢٠٠٣). محاضرة عن الرحالة والجوف، في دار الجوف للعلوم. في ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٣م (٢٤/ ٥/ ١٤٢٤هـ)، الساعة: ٨:٠٠ ـ ٩:٤٥ مساءً. بدعوة من نادي الجوف الأدبي بمناسبة مهرجان الجوف الصيفي الأول. من حضور المحاضرة: فالح جابر المعدوة وولده عواد، عبد الكريم الصالح، معاشي ذوقان، د. عارف المسعر، خليفه المسعر، عبد الرحمن المفرج، عيد نعيم السهو، منصور سالم العودة، فالح زعل الفالح، متروك الفالح، وآخرين...

بتلر، إس. إس، عن رحلة إس. إس. بتلر/ ل. إيلمر (١٩٠٨م ـ ١٣٢٥هـ)، ص ٣٤٣ ـ ٣٦٨. في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

بلغريف، جيفورد، رحلة (١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ)، ص ٥٥ ـ ٩٤، في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

بلنت، الليدي آن، وويلفرد بلنت، رحلة (١٨٧٩م/ ١٢٩٥هـ)، ص ١١١ ـ ١٤٢. في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

غوارماني، كارلو، رحلة (١٨٦٤م/ ١٢٩٥هـ)، ص ٩٥ ـ ١١٠. في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

فوردر، أرتشيبالد، رحلة (١٩٠١م/ ١٣١٨هـ)، ص ٢٨١ ـ ٣٤٢. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

فيلبي، سانت جون، رحلة (١٩٢٢م/ ١٣٤٠هـ). ص ٤٦٩ ـ ٥٠٨. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

موسيل، الويس، رحلة (١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ)، ص ٣٦٩ ـ ٤١٩. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

موسيل، الويس، رحلة (١٩١٥/ ١٣٣٣هـ)، ص ٤١٩ ـ ٤٦٨. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

نولده، البارون إدوارد نولده، رحلة (١٨٩٣م/ ١٣١٠هـ)، ص ٢٥٥ ـ ٢٨٠. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

هوبر، تشالرز، رحلة (١٨٧٩م/ ١٢٩٥ هـ)، ص ١٤٣ ـ ١٧٠. في: عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

والن، جورج أوغست، رحلة (١٨٤٥م/ ١٢٦١هـ). ص ١٥ ـ ٥٤. عوض البادي. **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة**. ط ٢. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

Doughty, Charles M. (1921). *Travels in Arabia*. 3rd ed. 2 vols. New York: Random House Publication. Esp. volume Two.

Philby, H. St. J. B, C. I. E. (1923). «Jauf and the North Arabia Desert.» *The Geographical Journal*: vol. xii, no. 4, October. pp. 243-271.

رابعاً: مراجع أخرى (قديمة وحديثة) ذات صلة

ابن الأثير، أبي الحسن علي... الشيباني (٢٠٠٦). **الكامل في التاريخ**. من سنة ١ لغاية سنة ٢٩ للهجرة. تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي. ط ٤. بيروت: دار الكتب العلمية.

«إضراب نادر ينفذه أفراد الدوريات الأمنية، والسلطات تعاملت معه بهدوء لافت» (٢٠٠٨)، في: مدونة سكاكا الجوف (Sakaka Aljouf)، نقلاً عن: **القدس العربي**، الثلاثاء (١٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٨)، على الرابط التالي: <httop://http://sakakaaljouf.blogspot.com/2008/02/blog-post.html>.

إيغلتون، تيري (٢٠٠٠م؟). **فكرة الثقافة**. ترجمة ثائر ديب. اللاذقية: دار الحوار. (*) ملحوظة: أصل الكتاب نشر في عام ٢٠٠٠م، كما وَرَدَت الإشارة إليه في الترجمة على النحو التالي: Terry Eagleton, *The Idea of Culture* (London: Blackwell Publishers, 2000).

البادي، عوض بن عطا (١٩٩٨). «الملك عبد العزيز ومنطقة الجوف ووادي السرحان» **الدرعية**: العددان ٣ ـ ٤ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٨ ـ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٩)، ص ٢٢٥ ـ ٢٣٣. في المقالة نسخة من رسالة وثقية من الملك عبد العزيز إلى «السير بيرسي كوكس... ردّاً على برقية الأخير الرقم ٨٨٤، بتاريخ ٢٢/ ٨/ ١٩٢٢م» تتعلّق بمنطقة الجوف، بتاريخ ١٣ محرم ١٣٤١هـ، الموافق ٦/ ٩/ ١٩٢٢م. مصدر الوثيقة الارشيف البريطاني، وثائق المعتمدية البريطانية في الكويت.

البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح (١٣٨٩هـ)، **علماء نجد خلال ستة قرون**. مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة.

البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح (١٤١٩هـ). **علماء نجد خلال ثمانية قرون**. ط ٢. الرياض: دار العاصمة.

البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢٠هـ «أ»)، **العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين: الجزء الأول**. الرياض: جمعية أشيقر الخيرية.

البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢٠هـ «ب»). **العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين: الجزء الثاني**. الرياض: جمعية أشيقر الخيرية.

بلغريف، جيفورد، رحلة (١٨٦٢م/ ١٢٧٨هـ)، ص ٥٥ ـ ٩٥. في: عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان (١٨٤٥ ـ ١٩٢٢م): نصوص مترجمة. ط ٢.** بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

بن بشر النجدي الحنبلي، الشيخ عثمان بن عبد الله (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م). **عنوان المجد في تاريخ نجد: الجزء الأول.** حقّقه وعلّق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ. بأمر من وزارة المعارف. ط ٣. الرياض: طبع على نفقة وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.

بن جنيدل، سعد بن عبد الله (١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ). **بلاد الجوف أو دومة الجندل.** الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

بن غنام، الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام حسين (١٣٦٨هـ). **تاريخ نجد المسمّى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام: الجزء الأول.** القاهرة: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٨هـ ـ الموافق ١٩٤٩م؛ الرياض ـ نجد: صاحب المكتبة الأهلية، على نفقة الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين.

بن غنام، الشيخ الإمام حسين (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م). **تاريخ نجد.** حرّره وحقّقه الدكتور ناصر الدين الأسد. قابله على الأصل عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. القاهرة: مطبعة المدني، والمؤسسة السعودية بمصر.

التميم، عبد الله بن مهنا محمد (١٩٨١). **مدينة الجوف (دومة الجندل) بين الماضي والحاضر.** [؟؟] ٢٨ أيار/ مايو. نسخة من كتاب استلمتها من عبد العزيز محمد سلمان القعيد في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢، في سكاكا، الساعة ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً، بمزرعة محمد مهنا الفالح، وبوجود عبد الرحيم الفالح، وسواق القعيد الخاص المدعو (سيد إبراهيم محمود).

جوزف كوستنر (١٩٩٦). **العربية السعودية، ١٩١٦ ـ ١٩٣٦: من القبيلة إلى الملكية.** ترجمة شاكر إبراهيم سعد. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦.

حتي، ناصيف يوسف (١٩٨٥). **النظرية في العلاقات الدولية.** بيروت: دار الكتاب العربي.

الحسن، حمدان بن عجيريف بن زايد (١٤١٧هـ). **آل حسن بالجوف: دومة الجندل: الماضي والحاضر.** الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ.. نسخة من كتاب استلمتها من عبد العزيز محمد سلمان القعيد في ٤/ ٩/ ٢٠٠٢، بسكاكا، الساعة ١٢:٣٠ ـ ١:٥٥ ظهراً، بمزرعة محمد مهنا الفالح، وبوجود عبد الرحيم الفالح، وسواق القعيد الخاص المدعو (سيد إبراهيم محمود).

السيد حسين، عدنان (٢٠٠٣). **نظرية العلاقات الدولية.** بيروت: دار أمواج.

دورتي، جيمس، وروبرت بالتسغراف (١٩٨٥). **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية.** ترجمة وليد عبد الحي. الكويت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.

الرشيد، مضاوي (١٩٩٨). **السياسة في واحة عربية.** بيروت؛ لندن: دار الساقي.

الريحاني، أمين (د. ت.). **تاريخ نجد الحديث.** بيروت: دار الجليل.

الزعارير، محمد (١٩٩٧). **إمارة الرشيد في حايل.** بيروت: بيسان للنشر.

ستيرن، جيفري (٢٠٠١). **تركيبة المجتمع الدولي.** دبي: مركز الخليج للأبحاث.

السديري، عبد الرحمن بن أحمد (١٩٨٦). **الجوف: وادي النفاخ.** مؤسسة السديري الخيرية وشركة ماكملان.

السياط، هلال (١٩٩١). «مقابلة هلال السياط مع قناة الجزيرة في ثلاث حلقات، في ١٦، ٢٣ و٣٠/ ٨/ ١٩٩١: ٤ ـ ٥. نسخ منها سلّمها محمد السياط للباحث في مزرعة الأخير بسكاكا بحضور طارق السياط مساء الثلاثاء في ١٩/ ٨/ ٢٠٠٣، الساعة ٩:٢٠ مساءً.

السيف، محمد بن عبد الله (٢٠٠٢). **رجاء بن مويشير ودوره في ضم الجوف لحكم الملك عبد العزيز**. الرياض: المؤلف.

الشراخ، فالح (٢٠١٢). «كلمة ومعنى شعق.» **الرياض** (الإلكترونية)، في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٢، على الرابط التالي: <http://www.alriyadh.com/2012/12/22/article794898.html>.

الشامي، أحمد بن محمد (١٩٨٤). **رياح التغيير في اليمن**. جدة: دار العلم للطباعة والنشر.

الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ). **هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف: مع أبحاث في التاريخ والجغرافيا والآثار: الجزء الأول**. مراجعة وتنقيح ورسم مصورات عدنان العطار إبراهيم. الرياض: المؤلف.

الشايع آل كريّع، عبد الرحمن (١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ). **هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، مع أبحاث في التاريخ والجغرافيا والآثار: الجزء الثاني**. مراجعة وتنقيح ورسم مصورات عدنان العطار إبراهيم. الرياض: المؤلف.

الشايع، عبد الرحمن سليمان (١٤٢٧هـ). في بحث منسوب له قيل إنه كتبه في ٢٦/ ٧/ ١٤٢٧هـ، كما ورد في: ابن سراح. «الصراع على الجوف بين أسرتي الدرع والحطاب.» موقع أنساب أونلاين.كوم: ١٦/ ١/ ٢٠١٠، الساعة ٧:١٩ مساءً، على الرابط التالي: <http://www.ansab-online.com/phpBB2/archive/index.php/t-23625.html>. (مع ملاحظة أن اسم «ابن سراح» يبدو اسم وهمي).

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (٢٠٠٨). **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**. ط ٤. بيروت: دار الكتب العلمية.

عبد الكريم، محمد عبد العزيز (١٩٩١). **محمد العلي العرفج: حياته وشعره**. الرياض: دار الكتاب السعودي.

«عبدالله الدندني» (٢٠٠٦). «مؤسس رياضة الجوف.» **الرياض**: ٥/ ٥/ ٢٠٠٦. نصّ الخبر كاملاً على الرابط التالي: <http://www.alriyadh.com/2006/05/05/article151896.html>.

آل عبد القادر، محمد عبد الله بن عبد المحسن (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م). **تحفة المستفيد: تاريخ الأحساء وبني خالد في القديم والجديد**. تقديم حمد الجاسر. الرياض: مطابع الرياض.

العثيمين، عبد الله الصالح (١٩٩١). **نشأة إمارة آل رشيد**. ط ٢. الرياض: [؟؟].

العطية، معاشي بن ذوقان سعد (١٤٢٣هـ). **أوراق جوفية**. الرياض: المؤلف.

العلي، ياسر (١٤٣١م). «"جوف ـ خاص» سكاكا: السالم بقائي في الزنزانة عشرات السنين أفضل من الخروج بكفيل.» جوف (صحيفة إلكترونية)، ١٧/ ٣/ ١٤٣١هـ، متاح على الرابط التالي، <http://www.jouf7.com/news-action-show-id-67>.

عماد، عبد الغني (٢٠٠٦). **سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الفالح، متروك (١٩٩١). **نظريات العنف والثورة: دراسة تحليلية وتقويمية**. بحث ٤٩. القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩١.

الفالح، متروك. «الصين: الاستقطاب الاجتماعي والسياسي لبرنامج التحديث والإصلاح.» انتهى عام ١٩٨٩. **مجلة العلوم الاجتماعية** (جامعة الكويت): العددان ١ ـ ٢، صيف ١٩٩٢. ص ٦٩ ـ ١٠٣.

الفالح، متروك (١٩٩٦). «الثورة الألمانية ١٨٤٨م: بحث حول نظرية الثورة.» **مجلة جامعة الملك سعود للعلوم الإدارية**: السنة ٨، العدد ٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص ٣٣٥ ـ ٣٦٧.

الفالح، متروك. «ابن خلدون ونظريات الثورة: نظريته للثورة ومفهوم العصبية.» **دراسات** (الجامعة الأردنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية): السنة ٢٣، العدد ٢ (آب/ أغسطس ١٩٩٦)، ص ١٦٧ ـ ١٨٢.

الفالح، متروك (١٩٩٨ «أ»). **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنه لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريّف المدن العربية**. الرياض: جامعة الملك سعود، كلية العلوم الإدارية، مركز البحوث، ١٩٩٨.

الفالح، متروك (١٩٩٨ «ب»). «سكاكا ـ الجوف في نهاية القرن العشرين (١٩٩٨): قوى التحديث وتحولات النخبة.» **مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية** (جامعة الإسكندرية): السنة ٣٥، العدد ٢، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨.

الفالح، متروك (٢٠٠٠). **سكاكا الجوف في نهاية القرن العشرين: التحديث والتنمية وتحولات النخبة في الريف العربي السعودي**. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

الفالح، متروك (٢٠٠٢ «أ»). **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريّف المدن**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢.

الفالح، متروك (٢٠٠٢ «ب»). «المستقبل السياسي للسعودية: الإصلاح في وجه الانهيار و/ أو التقسيم.» **القدس العربي**: ٢٦ نيسان/ أبريل ـ ١ أيار/ مايو ٢٠٠٢. موجودة أيضاً على عدد من مواقع الإنترنت، ومنها موقع صحيفة **الشعب** (مصر)، ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢.

الفالح، متروك (٢٠٠٣). «الناشط السياسي: المكونات والمقومات والغايات والدلالات.» كتبت في ٢٢/ ٦/ ٢٠٠٣، وموجودة على مواقع إنترنت، منها موقع التجديد العربي منذ أواخر حزيران/ يونيو ٢٠٠٣.

الفالح، متروك (٢٠٠٤). «العنف والإصلاح الدستوري في السعودية.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٧، العدد ٣٠٨، تشرين الأول/ أكتوبر. ص ٦ ـ ٢٤.

الفالح، متروك (٢٠٠٤). **الإصلاح الدستوري في السعودية: القضايا والأسئلة الأساسية**. دمشق: الأهالي للنشر والتوزيع؛ باريس: المؤسسة العربية الأوربية للنشر، واللجنة العربية لحقوق الإنسان.

الفالح، متروك (٢٠٠٥م). «المجتمع والإصلاح الدستوري في السعودية.» أصل مسوّدة في ٢٠٠٤م، وطُوِّرَت وعُدِّلَت ونُشِرَت لأوّل مرّة عام ٢٠٠٥ على عدّة مواقع على الإنترنت.

الفالح، متروك (٢٠٠٦). «تقديم.» في: حمد الوردي. **البيروقراطية والتمثيل البيروقراطي والتكافؤ في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية للمخصصات المالية**. ترجمة هناء معتوق وداليا حمدان. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٥٥)

الفالح، متروك (٢٠٠٨). **متروك الفالح يتحدث عن الدكتور حمد الوردي (١٩٥٢ ـ ٢٠٠٣م): سيرة نضال وقصة اغتيال حلم الإصلاح والتطوير**. بيروت: المؤلف، ٢٠٠٨.

الفالح، متروك (٢٠٠٧). «الناشط المدني في الشأن العام: من المكونات والمقومات إلى الغايات والدلالات.» في ١٣/ ٥/ ٢٠٠٧، وهذه نسخة مبنيّة ومعدّلة ومطوّرة من الأصل: «الناشط السياسي: المكونات والمقومات والغايات والدلالات.» منشورة في الأصل على موقع التجديد العربي: في ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٣.

الفالح، متروك (٢٠٠٩). «في مفهوم وفكرة الإصلاح: خصائص المكونات ومتطلبات السياقات.» كتبت في مسوّدتها الأصل عام ٢٠٠٤م، ولكن طوّرت وعُدِّلَت ونُشِرَت لأوّل مرّة في ٢٦ أيار/ مايو ٢٠٠٩.

الفالح، متروك (٢٠٠٩). «اليمن من الاحتضار إلى الحياة: دولة (فدرالية) وعضوية كاملة في مجلس التعاون» منتهية في ١٩/ ١٢/ ٢٠٠٩، نُشرت في منتدى الحوار والإبداع، على الرابط التالي، <http://www.menber-alhewar1.info/news.php?action=view&id=5413>، وفي: **القدس العربي**: ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٩.

الفالح، متروك (٢٠١٠). «أفكار عملية مقترحة لحل المشكلة الصحراوية بين المغرب والبوليساريو: لا استفتاء ولا حكم ذاتي، بل دولة صحراوية في دولة اتحادية (فدرالية) مغربية.» منتهية ومنشورة على عدة مواقع إلكترونية في ١٩/ ١/ ٢٠١٠.

الفالح، متروك (٢٠١٠). «المشكلة الصحراوية بين المغرب والبوليساريو: نحو دولة صحراوية في دولة اتحادية (فدرالية) مغربية (حل مقترح).» **المستقبل العربي**: السنة ٣٢، العدد ٣٧٣، آذار/ مارس ٢٠١٠. ص ٢٩ ـ ٤٤.

الفالح، متروك (٢٠١١)، «الإبداع السياسي في فضاءات مختلفة: دراسة مقارنة.» منبر الحوار والابداع: ٦/ ٦/ ٢٠١١.

متروك الفالح (٢٠٠٨ ـ ٢٠١٢). «ابن خلدون ونظريات الحرب: دراسة مقارنة.» منتهية، ٩/ ١/ ٢٠٠٨، ومعدّلة في ٨/ ١/ ٢٠١٢، ولم تُنشَر بعد وهي في الأصل ضمن مهام التفرّغ العلمي الممنوح لنا في العام الجامعي ١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ.

الفياض، عبد العزيز (٢٠٠٨). عبد العزيز الفياض «يا محلا والشمس باد شعقها ـ ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال.» شبكة بني خالد الرسمية، تم إنزاله في: ١٢/ ٢/ ٢٠٠٨، الساعة ١٠:٣٠ مساءً، من الرابط التالي: <http://www.bnokhaled.com/vb/showthread.php?t=3503>.

«قصة توبة الفنان... عقلا الفهيقي.» موقع طريق التوبة (توبة.كوم)، كما منزل/ أو مضاف في: ٥/ ٥/ ٢٠٠٩. (اسمه كما ورد في أسفل نص التوبة: عقلا فالح حمدان الغلاوين الفهيقي)، على الرابط التالي: <http:// www.twbh.com/index.php/site/article/read/197>، علماً أن نصّ التوبة منزّل على أكثر من موقع، وبعضها منزل في تاريخ سابق بسنتين عن موقع التوبة.

كاشمان، جرج (١٩٩٦). **لماذا تنشب الحروب: الجزء الأول**. ترجمة أحمد حمدي محمود. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب. (سلسلة الألف كتاب الثاني؛ ٢٤٢)

كاشمان، جرج (١٩٩٦). **لماذا تنشب الحروب: الجزء الثاني**. ترجمة أحمد حمدي محمود. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب. (سلسلة الألف كتاب الثاني؛ ٢٤٣)

الكريّع، فايز بن عودة المحيسن (١٤٢٤هـ)، **مناقب بعض المناعير النشامى بالجوف**. جدّة: المؤلف.

كوبر، آدم (٢٠١٢). **الثقافة: التفسير الأنثروبولوجي**. ترجمة صباح صديَق الملوحي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

كوش، دنيس (٢٠٠٧). **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**. ترجمة منير السعيداني. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

لبيب، الطاهر (١٩٨٦). **سوسيولوجيا الثقافة**. ط ٣. عمّان: دار ابن رشد.

المفرح، سالم حمدان. **شجرة قبيلة الدغيفق في سكاكا الجوف: إحدى فروع قبيلة «عنزة» الشهيرة**. الرياض: المطابع الأهلية للأوفست، ١٦ ذو الحجة ١٤٠٦هـ، الموافق ٢١ آب/ أغسطس ١٩٨٦م.

«المظاهرات تتواصل في السعودية تضامناً مع الفلسطينيين...» **القدس العربي**، العدد ٤٠٠٧، الجمعة، ٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢م، ٢٢ محرم ١٤٢٣هـ، ص ٣.

مقلد، إسماعيل صبري (١٩٨٢). **نظريات السياسة الدولية: دراسة تحليلية مقارنة**. ط ١٩. الكويت: جامعة الكويت.

نادر كساب (١٤٣١هـ). «الضويحي الخالدي: مقابلة معه في منزله: الفنان التائب نادر... لن تعيدني فتوى الكلباني للغناء وأقف ضد تعدد الزوجات!،» صحيفة جوف الإلكترونية: ٢٤/ ٧/ ١٤٣١هـ، وهي على الرابط التالي: <http://www.juof7.com/news-action-show-id-9011.htm>.

النصر، حمد هلال سالم (١٤١٦هـ). **تطور التعليم بمنطقة الجوف خلال مائة عام**. سكاكا: الإدارة العامة للتعليم بمنطقة الجوف، وزارة المعارف، ١٤١٦هـ.

يونس، الفاروق زكي (مقدّم) (١٩٩٧). **نظرية الثقافة**، ترجمة علي سيد الصاوي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٢٣).

خامساً: مصادر باللغة الإنكليزية

Cashman, Greg (1993). *What Causes War: An Introduction to Theories of International Conflict*. San Francisco, Ca: Jossey. Bass lnc. Publishers.

Dougherty, James E. and Robert L. Pfaltzgraff (Jr.). (1981). *Contending Theories of International Relations: A Comprehensive Survey*. 2nd ed. New York: Harper and Row Publishers.

Doughty, Charles M. (1921). *Travels in Arabia*. 2 vols. 2 vols. New York: Random House Publication. Esp. vol. 2.

Joseph Kostiner (1993). *The Making of Saudi Arabia, 1916-1936: From Chieftaincy to Monarchical State*. New York: Oxford University Press.

Lancaster, William (1981). *Changing Cultures: The Rwala Bedouin Today*. Cambridge; MA Cambridge Univiversity Press.

Zimmerman, Ekkart (1983). *Political Violence, Crises and Revolutions: Theories and Research*. Cambridge, MA: SchenkmanPublishing Co.

فهرس

ـ أ ـ

ـ ب ـ

- ت -

- ث -

- خ -

- د -

- ص -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ل -

- م -

- و -

- ن -

- ه -